سعيد حوّى

الأساس في السنة وفقهها

المجلد الأول

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الأساس في السنة وفقهها

العقائد الإسلامية

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار
120 شارع الأزهر - ص.ب 161 الغورية
ت : 932820 - 2704280 - 2741578 فاكس : 2741750

الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

مقدمة

كان القسم الأول من هذا الكتاب في السيرة وقد حاولنا في ذلك القسم أن نعطي تصورًا عن السيرة النبوية ، وعما هو ألصق بها ، واعتبرنا ذلك هو المدخل لبقية أقسام هذا الكتاب ، وجعلنا الأقسام اللاحقة في : العقائد ، والعبادات ، والحياتيات ، وتحرير الرقيق ، والحكم .

فالقسم الثاني إذن في العقائد ، وهي أهم مضبونات الرسالة النبوية .

لقد بعث الله محمدًا ﷺ بالتوحيد ، والقيام بحقوق الربوبية ، وبمسؤولية الإنسان أمام الله عز وجل .

فالإله واحد ؛ وعلى الإنسان أن يقوم بواجب التعبد له ، والعبودية له ، وذلك هو المظهر الأول لقبول التوحيد ، فمن قَبِل التوحيد والعبادة والعبودية فإنه مجازى بالجنة ، ومن رفض ذلك فإنه مجازى بالنار .

ويدخل في التوحيد : توحيد الذات ، والصفات ، والأفعال ، وأن الرب واحد ، وأنه هو صاحب الحق في التشريع ، والأمر والحكم ؛ وهذا يقتضي عبادةً وتسليمًا .

ويدخل في العبادات : ما اشتهر أنه عبادة من صلاة وزكاة ، ويدخل فيها التسليم له سبحانه في كل ماشرع ، وطاعته في كل ما افترض وأوجب ، سواء في ذلك ما كان علمًا على عبادته ، أو ما كان من أعلام شريعته ، وهذه هي العبودية .

وقد جعلنا ما هو أدخل في العقائد في هذا القسم ، وماهو أدخل في العبادة في القسم الثالث ، وما هو أدخل في العبودية في القسمين الرابع ، والخامس .

والأقسام كلها في النهاية توحيد وعبادة وعبودية ، وسوابق لذلك أو لواحق له ، ولكن تسهيل العرض جعلنا نضع ما هو أخص بقسم من الأقسام الخمسة بجانب بعضه .

وبالله نستعين ونبدأ الكلام عن قسم العقائد .

* * *

لم تكن كلمة العقائد مستعملة زمن النبوة ، فهي اسم مستحدث للتعبير عما يعقد عليه القلب فيعتقده ويجزم به ، فإذا أخذنا هذا الاصطلاح ، وبنينا عليه ، فإننا نستطيع أن نقول : هناك العقائد الإسلامية في وضعها الفطري في زمن النبوة ، وهناك العقائد كما استقر عليها التأليف ، فالعقائد في وضعها الفطري زمن النبوة كانت الأساس الذي يكمله العمل بالإسلام ، ويدخل فيها جانبان : الجانب الأول في الرسالة ، والجانب الثاني هو الذي له علاقة بالغيبيات التي أخبرنا عنها الوحي الصادق ، ويتداخل الجانبان أحيانًا ويتكاملان ، ورمز ذلك كله النطق بالشهادتين .

أما العقائد كما استقر عليها التأليف ، فقد شملت هذه الأمور ، وزادت عليها ، بأن دخل فيها ما اضطرته عملية الصراع بين أهل الإسلام وأهل الأديان ، وبين أهل الحق والصواب من جهة ، وأهل الباطل والخطأ من غير أهل السنة والجماعة من جهة أخرى ، ومن هٰهنا أدخلوا في بحث العقائد ـ كما استقر التأليف فيها ـ وصف الإسلام والإيمان ، وما يدخل في كلٍ ، ومباحث الإلٰهيات ، والنبويات ، والسمعيات ، وما يدخل في كلٍ ، ويأخذ الكلام عن الحقائق الغيبية التي لا يدركها الإنسان إلا عن طريق الوحي حيزًا كبيرًا من هذا العلم ، ويدخل في هذا العلم الحديث عن التصورات الكلية في الشريعة والتكليف .

والناس بالنسبة للإسلام والإيمان والشريعة : إما مسلم مؤمن ملتزم ، وإما مسلم مؤمن مقصِّر مذنب ، فالأول تقي ، والثاني عاصٍ أو فاسق ، وهناك متظاهر بالإسلام غير مؤمن به فذلك المنافق ، وهناك الكافر ، وهناك المسلم المخطئ في الفهم أو في العمل ، فذلك المبتدع ، وقد تصل البدعة إلى الكفر ، وقد لا تصل ، فالأول مرتد ، والثاني ضال ، وقد يرتد مسلم عن الإسلام أصلاً ، أو قد يقول أو يفعل ما هو ردّة ، ومن ثم دخل في أبحاث العقائد نواقض الإسلام .

ومن وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة ستحدث أحداث أخبر عنها رسول الله ﷺ ، والإيمان بها جزء من الإيمان بنبوته ، وبعض هذه الأمور وقع ، وبعضها لم يقع بعد ، وبعضها يكون قبيل الساعة بقليل ، وبعضها يسبقها بزمن ، ومن ثم تدخل هذه الأمور في باب العقائد .

وفي مسرى تاريخ الأمة الإسلامية وجدت فرق إسلامية انشقت عن جسمها ، وخرجت عن الفهم الفطري للنصوص ، وطرحت هذه الفرق آراء شاذةً أو كافرة ، وتبنت مواقف خاطئة ، وأصبح الحديث عن آرائها ومواقفها جزءًا من علم العقائد .

وهناك تصورات خاطئة ، وتصورات يترتب على السكوت عنها لوازم ضارة ، يُتحدث عنها عادة في علم العقائد كذلك ، ومبنى الحديث في العقائد على النصوص ، ولكن للحكم العقلي والعادي محلاً في شريعتنا ، فاقتضى ذلك كلامًا عن الاثنين في أبحاث العقائد ؛ لمعرفة محل التجارب البشرية ، والأحكام العقلية في هذا الدين ، وهكذا دخل في أبحاث العقائد الكلام عن الحكم العقلي والشرعي ، والعادي ، وأنها لاتتناقض .

هذه كلها مباحث تجدها مع غيرها في كتب العقائد ، وقد أصبحت بطون هذه الكتب هي موطن البحث فيها .

* * *

وفي العادة فإن البشر يصلون إلى كثير من المعاني عن طريق التأمل والتجربة والممارسة ، والله عز وجل وصف الكافرين بقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [1] . وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : « أنتم أعلمُ بأمر دنياكم » [2] مثل هذه الأمور دور الشريعة فيها التوجيه والتسديد والترشيد ، لكن هناك أمورًا تعرف ، أولا تستقيم ، أو لا تتأكد إلا من خلال الوحي ، وتبيان مثل هذه الأمور هي الوظيفة الكبرى للرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن ذلك ماافترضه الله على عباده وكلفهم به .

ومن ذلك وضع الأمور في مواضعها على مقتضى الحكم ؛ فلا تنحرف الحياة الإنسانية عن المسار الصحيح ؛ كترشيد الإنسان في استثمار الكون ، والحياة الاقتصادية ، والعلاقات الجنسية ، والعلاقات الاجتماعية ، ومن ذلك الحقائق التي لا يمكن للإنسان أن يعرفها إلا عن طريق الوحي ؛ كالمغيبات ، وما أعده الله للمؤمنين والكافرين .

---

(١) الروم : ٧ .

(٢) رواه مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ٣٨ ـ باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً عن عائشة وأنس .

تفصيل هذه المعاني وأمثالها هي الوظيفة الكبرى للرسل عليهم الصلاة والسلام ، نجد مصداق ذلك في قوله تعالى :ـ ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسولاً مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ : فمعرفة آيات الله التي تدل على ذاته مما جاء به الوحي . ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ : فتزكية الأنفس على ما تقتضيه معرفة الله والعبودية له مما جاء به الوحي ـ ﴿ وَيُعَلِّمُكُم الْكِتَابَ ﴾ : الذي أنزله ، ويتضمن ما افترضه الله على خلقه ، وذلك مضمون القرآن والكتب السماوية ـ ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ : وهي وضع الأمور في مواضعها عل مقتضى الكتاب ، وهذا الجانب تكفّل به الكتاب والسنة ـ ﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونوا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] : أي مما لاتستطيعون معرفته إلا عن طريق الوحي .

ومن ههنا كان التعرف على الآيات ، وعلى ما تزكو به الأنفس ، وعلى الفرائض والمكتوبات ، وعلى الحكمة في الكون ، أو في التصرفات ، أو في التصورات ، أو في العلاقات ، أو في السياسات ، وكان التعرف على ما لايعرفه الإنسان إلا من طريق الوحي ، كل ذلك يدخل في مباحث العقائد ، بل إنه لهو الأهم ، وهو الذي ينبغي أن يشتغل به الدعاة ؛ لأن أعظم ما في الدين هو هذا : آيات الله ، والواجبات ، والحكمة ، وما لايعرف إلا عن طريق الوحي .

ومن ههنا تعلم خطأ بعض من يدعون إلى الإسلام فيغفلون التركيز على هذه الأمور ، ويتحدثون عن نواحٍ أخرى لا تصبُّ في هذا البحر .

* * *

وإذا كان كل ما في الإسلام مبناه على الاعتقاد الحق ، فالاعتقاد الحق مبناه على الإيمان الجازم بالله وبالرسول ﷺ ، ومبنى الإيمان بالله : يقوم على معرفة آثاره وآياته التي تدل عليه ، ومبنى الإيمان بالرسول ﷺ: يقوم على معرفة الدلائل التي تدل على أنه رسول حقًا ، وقد دخل ذلك في أبحاث العقائد ، وقد جرت عادة كُتّاب العقائد ـ كما ذكرنا من قبل ـ أن يركّزوا على ماجرى فيه خلاف بين أهل السنة والجماعة ، وبقية الفرق الإسلامية ، ومن

(١) البقرة : ١٥١ .

ههنا فقد حكم التأليفَ في العقائد ذكرُ وجهات النظر المطروحة ؛ كأثر عن هوى ، أو الرد على هوى ، فقد وجدت آراء مبتدعة وأهواء متفرقة ، فاقتضى ذلكم ردودًا ومناقشات ، وغلب ذلك كله على التأليف ، تأمل صحيح البخاري مثلاً ، فإنك تجد الكثير من عناوين كتابه لها علاقة بقضية هي محل بحث في عصره ، والكتب التي خصّت العقائد في التأليف غلب عليها هذا الحال، ومع هذا التوسع في موضوعات كتب العقائد فقد أخرج الأقدمون من دائرة أبحاثهم قضايا اعتبروها ألصق بعلوم أخرى كبحث الحاكمية ، وأنها لله وحده ، فقد ربطت بعلم أصول الفقه الذي لا يدرسه إلا الخاصة ، ومن ههنا وجد الكتاب الإسلاميون المعاصرون شيئًا من الفراغ حاولوا أن يملأوه ؛ فوجد ما يسمى ـ في جيلنا ـ بكتب التصورات الإسلامية .

وإذ كنت أعتبر أن دراسة العقائد كما استقر عليها التأليف لابد منه للمسلم ، فقد جعلني هذا أركّز في هذا القسم على ما كان محل تركيز في عصر النبوة ، وإن كان القسم مليئًا بما اعتاد عليه كتاب العقائد قديمًا وحديثًا أن يدخلوه في كتبهم ، بل لا تكاد مسألة رئيسية من مسائل العقائد إلا وفي هذا القسم حديث عنها ، ومع ذلك فإنني أنصح إخواني المسلمين أن يدرسوا العقائد في كتبها ، فإنّ هذا الكتاب ركّز على المسائل الاعتقادية التي كانت محل التركيز الأقوى في الهدي النبوي .

كان التركيز الأقوى في عصره عليه الصلاة والسلام على توحيد الله ، وعلى الإيمان بالرسول ﷺ ، وعلى الإيمان باليوم الآخر ، وعلى الإيمان بالغيب ، وعلى التسليم لله ورسوله ﷺ بالإسلام .

وكان عنوان الدخول في الإسلام بقبول الشهادتين ، والنطق بها ، والقيام بأعمال الإسلام ، والكينونة مع الجماعة ، وكان يقف في مقابل ذلك : كفر ، ونفاق ، وجاهلية ؛ ولذلك فإنني سأخص هذا وأمثاله مما هو محل تركيز في عصر النبوة بمزيد عناية ، وقد جعلت هذا القسم في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : معالم عقدية .

الباب الثاني : الإيمان بالغيب .

الباب الثالث : مباحث عقدية .

وأدخلت في الإيمان بالغيب : أركان الإيمان الستة ؛ وما يعتبر من الغيوب ، وأدخلت في الباب الأول : المعالم الكبرى التي تعتبر نقاط علام في موضوع العقـائـد ، وأدخلت في البـاب الثالث: بعض الأبحاث التي هي ألصق بالجانب الاعتقادي .

* * *

البَابُ الأولُ

معالم عقدية

وفيه:

تمهيد وفصول

تمهيد

الإنسان في هذا العالم الكبير لا ينقضي منه العجب ، وما خفي منه فذلك أعجب ، والعالم الذي يعيش فيه الإنسان أكثر عجبا ، ومع أنه أكثر عجبًا فإنه خلق من أجل هذا الإنسان : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١) . ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢) فكان الإنسان بهذا التسخير قطب دائرة الوجود .

اقرأ عن الكون تدخل في دائرة الدهشة ، مليارات السنين الضوئية ، أعداد هائلة من المجرّات ، مجموعات شمسية كبيرة ، أنواع من الإشعاعات ، وأنماط من توضعات الكهارب الصغيرة ، وإشارات فضائية متنوعة ، وخصائص عجيبة لكل نجم ، ولكل كوكب ، ولكل مذنّب ، وهذه الأرض في محلها لا ينقضي منها العجب ، ولا ينقضي مما فيها العجب وكل ذلك مسخَّر للإنسان .

واقرأ عن هذا الإنسان تجد كتب علم النفس تبلغ الآلاف ، وهي تشمل ملاحظات مجردة عن نفس الإنسان دون أن تعرف كنهها ، واقرأ عن التشريح تجد آلاف الصفحات ، وهي تسجل حقائق وملاحظات عن جسم الإنسان وأعضاء الإنسان وغدد الإنسان ، واقرأ ثبت الأمراض المعروفة تجد الآلاف ، حتى إنه شخّص حتى الآن من أمراض الوراثة وحدها حوالي ألف وخمسمائة ، واقرأ تأثير الأغذية والأدوية تجد مالا تستطيع له إحصاءً ، واقرأ عن أخلاق الإنسان ، وعلاقات الإنسان ، واجتماعيات الإنسان ، وأديان الإنسان ، والأنظمة التي اخترعها الإنسان ، والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية مما له علاقة بالإنسان تجد عجبًا ، أما إذا وصلت إلى حياة الإنسان ، وروح الإنسان ، وقلب الإنسان ، ومشاعر الإنسان ، فتلك عوالم مجهولة مع كثرة آثارها .

فكما أن الذات الإلٰهية تعرف بآثارها ، ولا يحاط بها علمًا ، فهذه النفخة التي خلقها الله

---

(١) البقرة : ٢٩ .
(٢) لقمان : ٢٠ .

سبحانه وبثّها في الإنسان تعرف بآثارها ، ولا تدرك ولا يحاط بها : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١) .

أبَعْدَ ذلك كله يعجب الإنسان أن يرسل الله لهداية الإنسان ؟!

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (٢) .

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣) .

أفبعد هذا التركيب المدهش للإنسان يعجب الإنسان أن يكلّفه الله ، ويحمّله مسؤولية ، ويجعل له حياة أخرى ، وقد خلقه هذا الخلق ، وخلق له هذا الخلق :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ﴾ (٤) .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ (٥) .

إنّ من تأمل لم يعجب ، فإذا جاء الواقع يصدق التأمل لم يبق إلا التسليم ، فهذه قوافل الرسل تترى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ (٦) .

ولقد كذب من لا عقل له ولا إنصاف ولاتدبر ، فإن أهل العقول آمنوا ، وحملوا رسالات الله عز وجل : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٧) .

وعلى فترة من الرسل وبعد مرحلة من التيه والضياع ، وبعد تصميم على الضلال عند كل فرقة من فرق الضالين بعث الله محمدا ﷺ :﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

(١) الحجر : ٢٩ .
(٢) النجم : ٥٩ ـ ٦١ .
(٣) يونس : ٢ .
(٤) القيامة : ٣٦ .
(٥) المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ .
(٦) المؤمنون : ٤٤ .
(٧) الأنعام : ٨٩ .

عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُـلِ أَنْ تَقُـولُـوا مَـاجَـاءَنَـا مِن بَشِيرٍ وَلانَـذِيرٍ فَقَـدْ جَـاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (١) .

لقد بُعِثَ محمدٌ - ﷺ - في مرحلة لا أمل أن ينبثق من الضلال الذي وقعت فيه الأمم هدى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ (٢) . فالجميع مستمرون على الضلال ، فكان لا بد من رسول يوقف هذا الاستمرار ، ويعطي للناس الهداية .

لقد أُمِرَ كل رسول لله بإقامة الدين وعدم التفرق فيه :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) .

وعند بعثة رسول الله ﷺ - لم يكن دين قائم ؛ فالتوحيد رأس الدين تغير ، ولم تعد نتيجة لذلك عبادة في الأرض ، ولا عبودية ،والتفرق حاصل :

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (٤) .

ومن سنة الله عز وجل ألا يستأصل المختلفين في الدين :

﴿ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٥) .

وهكذا ضاع الدين ، وحدث التفرّق ، ولم يبق يقين :

﴿ وَإِنَّ الَّذِين أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيب ﴾ (٦) .

لقد ضاع الدين واليقين ، وفي هذه الأجواء بعث الله محمدًا ﷺ وأمره :

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ

(١) المائدة : ١٩ .
(٢) البينة : ١ - ٣ .
(٣) الشورى : ١٣ .
(٤) الشورى : ١٤ .
(٥) الشورى : ٢ .
(٦) الشورى : ١٤ .

كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فمن حاج بعد ذلك فحجته مرفوضة ومهزومة :

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (٢) .

وإذا جعل الله عز وجل كتاب هذا الدين محفوظًا فلا حجة لأحد ألا يقيم الدين ، ولا حجة لأحد يتفرق في الدين ، والأمر واضح ، وعلينا أن نفهم هذا الدين فلانتفرق ، فبدون علم نزيغ ، وبدون قلب سليم نتفرق .

وهذا الكتاب الذي بين يدينا فيه كل مايحتاجه فهم الدين الذي بعث به محمد ﷺ . والسنة شارحة ومفصلة :

ـ فقد بعث الله محمدًا ﷺ بالإسلام ، دينه الذي لا يقبل دينًا غيره ، وأنزل عليه القرآن كتابًا لهذا الدين ، مبيّنًا له ومفصلاً فيه ، وجعل الله رسوله ﷺ مبينًا لهذا القرآن ، وشارحًا بالقدوة والحال ، والكلمة والفعال ، ومن ثم كان الكتاب والسنة هما أصليْ هذا الدين .

ـوقد جاءت نصوص الكتاب والسنة لتصف هذا الدين وما يدخل فيه وما يخرج منه على الكمال والتمام ، وجاءت نصوص هي بمثابة المعالم الكبرى في الإسلام ؛ ليعلم من يريد الإسلام مايعني انتماؤه للإسلام ؛ وما هي المطالب الكبرى فيه : من توحيد ، وصلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وجهاد ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وما هي المحظورات الكبرى فيه : من شرك ، وزنى ، وشرب خمر ، ...

ـ وجعل الله دينه منسجمًا مع العقل والقلب والروح ، واحتياجات الجسد في الأمر والنهي والتكليف ، فكان هذا الدين هو دين الفطرة ، الدين الذي ينسجم مع حكمة الخلق ، ومع تركيب الإنسان .

---

(١) الشورى : ١٥ . (٢) الشورى : ١٦ .

ـ وقَبِل بعض الناس هذا الدين فكان من المسلمين ، وبتصديقه بهذا الدين وقبوله له أصبح من المؤمنين ، الذين دخلوا في دائرة الخطاب بوصف الإيمان ؛ ومن ثم جاءت النصوص لتوضح ماذا يدخل في دائرة الإيمان ، وماذا يطالب به أهل الإيمان من عقائد ، وأعمال ، وتكاليف ، ومقامات ، فكان هذا النوع من النصوص مكملاً للنصوص التي وصفت الإسلام ، وجاءت نصوص تصف الإيمان مطابقة للنصوص التي وصفت الإسلام ؛ لأن الإيمان والإسلام يتطابقان أحيانًا ، ويدل كل منهما على مفهوم يكمل الآخر أحيانًا .

ـ فالإسلام بمعناه الكامل : هو إسلام القلب، والجوارح ، لله تعالى بهذا الدين ، بنصوصه ، وبعقائده وتكاليفه ، والإيمان بمعناه الكامل : هو تصديق القلب بنصوص هذا الدين ، وتصديق السلوك لهذا التصديق ، فالإسلام والإيمان من هذه الحيثيّة متطابقان .

ـ وأحيانًا يراد بالإسلام : عمل الجوارح بالطاعة ، وبالإيمان : التصديق القلبي ، وانشراح الصدر بنور الإيمان ؛ حتى يرى القلب الأشياء بنور هذا الدين ، فهُهنا الإسلام والإيمان يتكاملان ، فالإسلام بهذا المعنى أثر الإيمان العقلي ، ويوصل إلى الإيمان القلبي : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يدْخُلِ الإيمانُ فِي قُلُوبكُمْ** ﴾ [١] .

ـ إنه بمجرد أن يقبل الإنسان الإسلام ويدخل في عداد المؤمنين به فإنه يطالب بأمر ونهي ، أو بفعل وترك ، ومجموع مايطالب به مباشرة كفرائض ونوافل حوالي سبعين شيئًا هي مايسمى بشعب الإيمان ، وكثير من الشعب تعني المطالبة بها : الكف عما يناقضها ، فالمطالبة بالتوحيد تعني الكف عن الشرك ، وليس كل مانهي عنه يقابل شيئًا مأمورًا به ، وهكذا تتوسع دائرة المنهيات حتى تشمل أمورًا كثيرة ، منها ما يسمى كبيرًا من الذنوب ، ومنها ما يسمى صغيرًا من الذنوب .

ـ ودوائر التكليف الرباني أوسع من هذا الذي ذكرناه ، فقد يقوم الإنسان بكل شعب الإيمان وينتهي عن الكبائر والصغائر ، ومع ذلك يكون مقصّرًا في التكليف ، لأن دوائر التكليف أوسع من مجرد هذا وهذا .

---

(١) الحجرات : ١٤ .

ـ وكأثر عن القيام بالتكليف يتحقق الإنسان بالصفات العليا التي أثنى الله على أصحابها : التقوى ، والإحسان ، والإيمان ، والإسلام ، والشكر ، والتوكل ، والصبر ...

ـ وبرفض الإسلام ، أو بالتقصير في تكاليفه ، أو بعدم التحقق بمقاماته ، أو بالانحراف الاعتقادي أو العملي عنه ، أو باعتقاد ما ليس منه على أنّه منه ، أو بعمل ما يتناقض معه على أنه منه : يستحق الإنسان وصفًا قبيحًا على حسب بشاعة الجرم : الكفر ، النفاق ، الضلال ، العصيان ، الفسوق ، الابتداع ، المروق من الدين ، الردة ، الزندقة ، وعلى حسب القيام بالتكليف يكون للمؤمن وزنه ودرجته ورتبته : من صِدِّيقية ، وشهادة ، وصلاح ، وربانية ، ورِبِّيَّة ، وللمؤمن ما يستحقه بفضل الله وكرمه ، وما يتكرم به الله عز وجل أعظم ، وللآخرين ما يستحقونه من عقاب معنوي ومادي ودنيوي وأخروي .

ـ وشيء عادي ـ والرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام فيصفه أو يربي على الإيمان فيفصله ـ أن تتعدد النصوص ، فأحوال المدعوين متعددة ، وأحوال المؤمنين ليست واحدة ، فهذا عرف شيئًا فأتقنه ، وغاب عنه شيء فجهله ، فهذا يعرف على المجهول ، ومجهول إنسان قد يختلف عن مجهول آخر ، وما وصل إليه الصف الإسلامي اليوم غير ما وصل إليه بالأمس ، والتكليف في زمن الرسول ﷺ كان متدرجًا ، كل ذلك يجعلنا أمام نصوص كثيرة ، تصبّ كلها في بحر واحد ، وتنبثق عن نور واحد ، ولكنها تلاحظ حالات شتى بعضها متشابه ، وبعضها متداخل ، وبعضها متكامل ، والرسول ﷺ كان يواجه جاهلية متعددة الصور ، ذات عقائد خاطئة ، فينبثق عنها عبادات وسلوكيات خاطئة ، فصحّح المسار ، وقطع الطريق على العودة إلى الجاهلية . وفي الباب معالم عقدية تتحدث عن بعض ماذكرناه وغيره معه .

وقد جعلنا الفصل الأول في : العقل ، والجسد ، والقلب ، والروح ، والنفس ، وهي المعالم الكبرى في الإنسان ، وإثباتها هو الأساس في التكليف ؛ فلا تكليف إلا بعقل ، والجسد بما حوى هو المكلف ، وللقلب تكليفه ، وللنفس تكليفها ، وللروح أحوالها ، وقد اقتصرنا في هذا الفصل على ذكر النصوص التي تثبت هذه العوالم وتفصلّ في معاني إطلاقها .

* * *

فصـول البـاب الأول

الفصل الأول
في
الجسد والروح والعقل والقلب والنفس
وفيه:
مقدمة وفقرات

الفقرة الأولى : نصوص في الجسد
الفقرة الثانية : " " الروح
الفقرة الثالثة : " " العقل
الفقرة الرابعة : " " القلب
الفقرة الخامسة : " " النفس

مقدمة الفصل

في الإنسان جانب غيبي أخبرتنا عنه نصوص الكتاب والسنة ، وهذا الجانب الغيبي يعرفه الإنسان من آثاره ، وبعضه يحس به إحساسًا ، حتى إن إنكاره يكون إنكارًا للمحسوس ، فالإنسان يميز به بين العاقل وغير العاقل ، ويحس بمطالب النفس والجسد ، ويحس في قلبه الذي في صدره بكثير من المعاني ، وأهل الإيمان لهم إحساساتهم القلبية النامية ، وهناك فارق بين حياة الجنين قبل نفخ الروح ، وبعد نفخ الروح فيه ، فمتى نفخت الروح فيه تبدأ الحركة ، هذه القضايا التي نرى آثارها جاءت نصوص كثيرة تتحدث عنها ، فأصبحت من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، مما لايسع مسلمًا أومسلمة أن ينكرها ، وإن كان يسع المسلم أن يجهل تفصيلات فيها ، أو تحديدات لمعانٍ دقيقة للنصوص في شأنها .

وإنها لإحدى معارك عصرنا الإيمانية : الصراع مع الذين يفسرون كل ما في الإنسان ، وكل مايجري للإنسان أو على الإنسان ، بالمادة والمادية ، فكل شيء عندهم في الإنسان مرتبط بآلية المادة ، وإفرازاتها ، وقد سرى ذلك إلى بعض أبناء المسلمين ؛ فصاروا يفسرون القلب بأنه الدماغ ، وهم بذلك ينكرون أن يكون للمسلم قلب مرتبط بالقلب الحسي ، له وظائفه الإيمانية ، وهو محل الإلهام ، ومحل الإشراق ، وهومحل الكفر والنفاق ، وأصبح هؤلاء يميلون إلى تأويل ماورد عن الجانب الغيبي في الإنسان بأنواع من التأويلات .

والإسلام يعطي للتجربة البشرية مداها ، وللبحث العلمي مداه ، ولكن هل استطاع الإنسان أن يجيب جوابًا جازمًا على كل الأسئلة التي لها علاقة في الإنسان ، أو أن الإنسان لا زال مجهولاً .

وفي كل الأحوال فنصوص الإسلام القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة ، لا يمكن أن تتناقض مع حقيقة علمية فالأصل الأصيل أن يسلم المسلم للنصوص كلها ، فكيف إذا كانت النصوص في أمور غيبية تشهد لها آثارها ؟!

إنه لمن فساد التصورات ، ومن المكفرات ، إنكار الروح ، أو القلب ، أو النفس ، أو العقل ، أو الجسد ، ثم إن هذا الإنكار يترتب عليه فساد عريض ، فالتربية التي لا تلحظ

القلب ، أو العقل ، أو الجسد ، أو النفس ، أو الروح ، تربية فاشلة ، ومن هٰهنا يكون لهذا البحث أهمية كبرى في العقائد والسلوك .

إن الإنسان جسد وروح قال تعالى : ﴿ **ونفخت فيه من روحي** ﴾ (١) . نرى ذلك واضحًا عند الموت حيث تفارق الروح الجسد فيتوقف كل شيء ، هذه الروح إذا خالطت الجسد تسمى نفسًا فقد قال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ (٢) . فالروح التي تقبض حين الوفاة سماها الله عز وجل نفسًا ، وتطلق كلمة النفس على أكثر من معنى كما سنرى .

وفي هذا الإنسان المؤلف من الروح والجسد ، أو من النفس والجسد ، شيئان لهما الأهمية الكبرى هما : العقل ، والقلب ، فالعقل : هو محل إدراك الخطاب فحيثما وجد كان التكليف ، والقلب : هو محل القبول للتكليف ، فهو صاحب القرار في القبول والرفض .

والظاهر من التجربة ، ومن النصوص ، ومن الإحساسات ، ومن الأذواق ، أن العقل الذي هو محل إدراك الخطاب مقره الدماغ ، وأن القلب الذي هو محل القرار في القبول والرفض مقره الصدر ، فله تعلق بالقلب الصنوبري الذي يضخ الدم : ﴿ **فإنَّهَا لا تَعْمَى الأبصارُ وَلَكِن تَعْمَى القلوبُ الَّتِي في الصُّدُورِ** ﴾ (٣) ، ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ** ﴾ (٤) .

وللدماغ تكليفه : وهو أن يفكر فيربط الأسباب بمسبباتها ، ويربط الأدلة بمدلولاتها ؛ ليصل إلى الحقيقة ، وللقلب تكليفه : وهو أن يقبل الإسلام الذي أوصل إليه العقل ، وأن يستنير بنور الإسلام ، وللنفس تكاليفها في التزكية ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ (٥) .

والتكليف في النهاية للإنسان المؤلف من الروح والجسد ، فهو المكلف أن يجعل جسمه ونفسه وعقله وقلبه على مقتضى أمر الله عز وجل .

* * *

(١) الحجر : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) الحج : ٤٦ .
(٤) الزمر : ٢٢ .
(٥) الشمس : ٧ ـ ١٠ .

إن النصوص تتحدث عن جسد : « إنّ لجسدك عليك حقا » (١) . وعن روح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (٢) وتتحدث عن نفس :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٢) . وتتحدث عن قلب . « إن في الجسد مضغة إذا صلَحت صَلَحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (٣) . وتتحدث عن عقل : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأحيانا تتحدث النصوص عن النفس وتريد بها الذات كلها : الجسم والعقل والقلب والروح : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ (٤) . وأحيانا تتحدث عن القلب وأنه محل العقل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ (٥) .

وأحيانًا تشعر النصوص بأن المراد بالنفس الذات متلبسة بحالة قلبية : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (٦) ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٧) .

والإنسان يحس بأن محل التفكير الدماغ ، والدراسات المعاصرة وقفت بالنسبة للإنسان أمام مجهولات كثيرة ، فلقد تبين أنه لو فقد الإنسان قسمًا كبيرًا من مخّه فإنه لايفتقد ذاكرته ، ولم تزل أبحاث الذاكرة في دائرة المجهول ، والماديون ينكرون الروح أصلاً ، والكافرون لا يحسون بقلوبهم التي هي محل الكفر والإيمان ، فهم يتكلمون بعيدين عن الجانب الغيبي في الإنسان ، وكما ذكرنا من قبل فقد تأثر بعض المسلمين بأفكار غير إسلامية ، حتى زعم بعضهم أن المراد بالقلب في الاصطلاح الشرعي هو الدماغ ، وهذا شيء له خطورته في العقيدة والتربية والسلوك ، فهو إنكار لشيء تتواطأ عليه النصوص ، محددة له أنه في الصدر : ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٧) ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٨) ، ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (٩) . كل ذلك يقتضي كلامًا ضمن الحدود التي لا بدّ منها ، فالمؤمن مكلّف بالإيمان بأن له عقلاً هو محل إدراك الخطاب ، وبهذا العقل تقوم عليه الحجة ، ومكلّف أن يؤمن بأن له قلبًا عليه أن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) الإسراء : ٨٥ .
(٣) رواه مسلم .
(٤) الكهف : ٧٤ .
(٥) الحج : ٤٦ .
(٦) الفجر : ٢٧ .
(٧) الحج : ٤٦ .
(٨) الأنعام : ١٢٥ .
(٩) الزمر : ٢٢ .

يصدق به وأن ينوره ، وأن له نفسًا عليه أن يزكّيها ، وأن له روحًا ركّبها الله عز وجل بهذا الجسد : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [١] ، ونصوص الكتاب والسنة متعاضدة متضافرة على تأكيد هذه المعاني ، ولكن التداخل في الوظائف والتكليف يجعل أحيانًا الكلام عن هذه المعاني متداخلاً في النصوص وفي كلام الناس ، والمسلم مكلّف بالجملة بالإثبات ،ولا يكلف كل مسلم بمعرفة كل النصوص ، وحمل كل نص على المراد الدقيق منه .

إن الإيمان بالقلب والنفس لهما آثارهما في التربية والسلوك ، فبينما ينبغي أن يكون مركز اهتمام المسلم قلبه ونفسه ، وإذا به في حالة الإنكار يتوجه إلى الفكر والدماغ ، وبينما يحس المؤمن إحساسًا ذوقيًا بقلبه ومقاماته فمن توكُّل وخوف ورجاء ومحبة ، إذا بهذا المُنْكِر يفقد هذا كله .

* * *

إن عصرنا جعل أكثر الناس علمًا هم أكثر الناس تواضعًا ؛ فمن عرف ضآلة بعض الإفرازات في الجسد ، وضخامة تأثيرها ، ومن عرف ضآلة حجم بعض الأشياء في الدماغ ، وضخامة تأثيرها . ومن عرف أنه لو جمعنا كل أجهزة العالم من (التليفون والتلغراف والرادار والتلفزيون) ثم صَغّرناها إلى مثل حجم الدماغ فإنها لاتبلغ بمجموعها أن تؤدي وظائف الدماغ ، ومن عرف فكرة التسجيلات والمسجّلات والطاقة الكهربائية والذرية ينبغي أن يزداد تواضعًا ؛ فيسلم لمن يعلم ومن أعلم من الله !!

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٢] .

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴾ [٣] .

وعَوالم القلب والروح والعقل والجسد والنفس ليس مثل المسلم على بصيرة فيها . ونحن سنستعرض في هذا الفصل بعض نصوص الكتاب والسنة ، وفيهما العلم الذي يحكم على كل علم . وفيما بين يدي ذلك نقول :

---

(١) الحجر : ٢٩ . (٢) الكهف :٥١ .

(٣) الإسراء : ٨٥ .

تطلق كلمة القلب على معنيين : القلب الحسي الذي يشترك فيه الإنسان والحيوان ، وعلى قلب آخر مقرُّه ذلك القلب ، وهو مرتبط به نوع ارتباط ، وهو محل الإيمان والكفر والنفاق ، ومركز ظهور العواطف ، وهو بالنسبة للإنسان محل القرار والإرادة ، فهو محل التردد ، والشك ، والإقدام ، والإحجام .

وللإنسان دماغ هو محل التفكر ، والمحاكات ، وقديكون محل خزن المعلومات ، وهو محل إدراك الخطاب ، وهو مخزن الحواس ومركز الإحساس ، ومنظّم الجملة العصبية إلى غير ذلك من المهام ، وهناك الروح التي تعطي الجسد والقلب والدماغ الحياة .

* * *

عندما يكون الإنسان جنينًا في بطن أمه في المرحلة الأولى فإن حياته تكون تبعًا لحياة أمه ، وإنما تكون له شخصيته المستقلة منذ نفخ الروح فيه ، فعندما تُنْفَخ الروح عندئذ تكون له حياته المستقلة نوع استقلال ، والروح في أصل خلقتها عارفة بالله ، منطبعة بها البدهيات ، والقلب الغيبي حين نفخ الروح في الجسد يكون على الفطرة ، فهو نور خالص ، والدماغ يكون جاهزًا للتلقي وتخزين المعلومات ، هكذا حال الطفل أول ولادته .

* * *

عندما تحل الروح في الجسد تصبح أسيرة هذا الجسد ، وبالتالي تتحكم فيها مطالب الجسد ، وتفكير الدماغ وقرار القلب والبيئة ، كما أن القلب تتحكم فيه مطالب الجسد ، وتفكير الدماغ ، وتأثير النفس بمطالب الجسد ، والروح بعد التلبس بالجسد تسمى نفسًا ، وبقدر ماتسيطر عليها الشهوات يصبح القلب أسيرًا لها ، وبقدر مايستنير القلب يمكن أن يؤثر في النفس ، فيستقيم أمر الجسد ، ومن ههنا فإن هناك صراعًا بين الخير والشر في ذات الإنسان ، إما أن يسيطر العقل أو القلب أو الروح أو النفس أو الجسد ، وبين ذلك صور فإذا تطهَّر القلب وتنور فعندئذ تكون الروح في وضعها الأول وضع العبودية ؛ فتظهر فيها الأخلاق العليا كلها ، وإلا فإنها تنتكس .

ومن العوامل المضلة المؤثرة :

أولاً : التلقين .

ثانيًا : جواذب الدنيا .

ثالثًا : مطالب الجسد وغرائزه .

رابعاً : الشيطان ووساوسه .

ومن العوامل الهادية :

أولاً : الإيمان بالله ورسله والتلقي عنهما .

ثانيًا : الفكر الاستدلالي والبناء عليه .

ثالثًا : الذكر .

رابعًا : العلم والمعرفة الصحيحان .

خامسًا : بذل الجهد ومجاهدة النفس .

سادسًا : البيئة المساعدة .

والعقل هو مناط التكليف ، وهو الجهة التي يدرك فيها الإنسان فحوى الخطاب ، وهو وسيلة الإنسان للمعرفة وهو مفطور على معانٍ ، فعنده بدهيات مستقرة ، وله قوانين مغروسة ، وهو يصل إلى المعرفة من خلال التعليم والاستقراء أو الاستنتاج ، ومن هٰهنا وجد علم المنطق الاستقرائي والاستنتاجي ، فأن يتعرف الإنسان على علم المنطق للتعرف على قوانين العقل ، وعلى ماهو بدهي ، وعلى ضوابط الاستنتاج الصحيح ، والاستقراء الصحيح ، فهذا القدر لاحرج فيه . وحَمْلَةُ بعض العلماء على نوع من المنطق لا يدخل فيها ماذكرناه . وهذا النوع يوجد عند الجن من لحظة الولادة ، فهم مكلفون من تلك اللحظة ، أما عند الإنسان فإنه يتكامل شيئًا فشيئًا ، ومن هٰهنا فلا تكليف يحاسب عليه الإنسان إلا بعد البلوغ ، أما ماقبل ذلك فله أحكامه .

* * *

ويطلق العقل في الشريعة على شيئين :

أولاً : على ما هو مناط فهم الخطاب ، وإذا وجد فقد أصبح الإنسان مكلفًا ضمن شروط .

ثانيًا : على قبول خطاب الشارع والعمل به وذلك هو العقل الشرعي .

وعلى هذا يحمل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [١] . ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [٢] ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [٣] .

والقلب يطلق في الشريعة : على العقل الشرعي ، وعلى القلب الحسي ، وعلى القلب المرتبط بالقلب الحسي ، وهو محل الإيمان والكفر ، وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٤] ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ [٥] ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٦] .

والنفس تطلق في الشريعة : على الذات كلها جسدًا وروحًا ، وتطلق على الروح وحدها ، وتطلق على الدم ، وتطلق على مطالب الروح المتأثرة بمطالب الجسد المذمومة .

وتسمى الروح إذا خالطت الجسد نفسًا ، وها نحن نذكر لك بعد هذا البيان بعض النصوص التي تناسب عنوان هذا الفصل ، ومضمونه الذي تحدثنا عنه في هذه المقدمة ، مبتدئين بذكر بعض النصوص التي تتحدث عن الجسد ، للإشعار ببعض الواجبات الجسدية ، وببعض حقوق الجسد ، ومن مثل ذلك يعرف وضع الجسد في الإسلام : حقوقه ، وواجباته ، وكالاته ، وضرورة رعايته ، لا كما تحاول مِلَلٌ أخرى أن تعذّبه أو تحرمه من ضرورات مباحة .

---

(١) الملك : ١٠ .
(٢) الحشر : ١٤.
(٣) الأعراف : ١٧٩ .
(٤) البقرة : ١٠ .
(٥) البقرة : ٧ .
(٦) الحج : ٤٦ .

الفقرة الأولى : نصوص في الجسد

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (١)

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (٢) .

١ - * روى البخاري عن عبدِ الله بن عمرٍو بن العاصِ رضي الله عنهما ، قال لي رسولُ الله ﷺ : « يا عبدَ اللهِ أَلَم أُخْبر أنكَ تَصومُ النهار ، وتقومُ الليل ؟ » فقلت : بلى يارسول الله ، قال : « فلا تَفْعلْ ، صُمْ وأَفطِرْ ، وقم ونم ، فإنَّ لِجسدِك عليك حقًا ، وإنَّ لِبَدنكَ عليك حقًا ، وإنَّ لزوجكَ عليك حقًا ، وإنَّ لِزَورِك عليك حقًا ، وإنَّ بحسبْك أنْ تصُومَ كل شهر ثلاثةَ أيام ، فإنَّ لك بكُلِّ حَسنةٍ عَشْرَ أمثالِها ، فإذَن ذلك صيامُ الدَّهرِ » . فَشَدَّدتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ ، قلتُ : يارسول الله : إنِّي أجِدُ قوَّة ، قال : « فصُمْ صيامَ نَبيِّ الله داودَ عليه السلام ولا تَزِدْ عليه » . قلتُ : وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال : « نصفُ الدَّهر » ، فكان عبدُ الله يقول بعد ماكَبِر : ياليتَني قَبِلتُ رُخصة النبيِّ ﷺ .

٢ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول مايُسْأَلُ عنه يومَ القيامةِ - يعني : العبد - من النعيم ، أنْ يُقالَ : أَلَم نُصِحَّ لك جِسْمَكَ ؟ ونُروِكَ من الماء البارِدِ ؟ »

---

(١) البقرة : ٢٤٨ . (٢) المنافقون : ٤ .

١ - البخاري (٤ / ١٧) ٣٠ - كتاب الصوم ٥٥ - باب حق الجسم في الصوم .

ومسلم (٢ / ٨١٢) ١٣ - كتاب الصيام ٣٥ - باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به .

إن لِزَوْرك عليك حقاً . أي لزوارك وضيوفك . والزَّوْر : الزائر وهو في الأصل مصدرٌ وُضِعَ موضعَ الاسم . وقد يكون الزَّوْر جمع زائر .

٢ - الترمذي (٥ / ٤٤٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٨٩ - باب ومن سورة التكاثر .

وقال : هذا حديث غريب . وإسناده قوي .

وابن حبان - الإحسان (٩ / ٢٢٨) .

٣ - * روى الترمذي عن عبيدِ اللهِ بنِ محصَنٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ أصبَحَ منكم آمِنًا في سِربِه ، مُعافًى في جَسَدِهِ ، عندهُ قُوتُ يومِه ، فكأنَّما حِيزَتْ لهُ الدنيا بحَذافيرِها » .

٤ -* روى الترمذي عَنْ أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ عُمرِهِ فِيما أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَه » .

٥ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ « نحنُ الآخِرون السابقونَ يومَ القِيامةِ ، أُوتوا الكتابَ من قَبلنا وأُوتيناهُ من بعدِهم ، فهذا اليومُ الذي اختلَفوا فيه فهدانا اللهُ ، فغداً لليهودِ ، وبعد غدٍ للنصارَى » فسكتَ ثم قال « حَقٌّ على كلِّ مُسلمٍ أن يَغتَسِلَ في كلِّ سَبعةِ أيامٍ يومًا يَغسِلُ فيه رأْسَهُ وجَسَدَه » .

٦ - * روى الترمذي عن بلالٍ ، وأبي أُمامةَ ، رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليلِ ، فإنه دأبُ الصالحين قَبْلَكم ، وإنَّ قِيام الليل قُرْبَةٌ إلى الله ، ومَنهاةٌ عن الإثم ، وتكفيرٌ للسيئات ، ومَطْرَدة للدّاء عن الجسد » .

---

٣ - الترمذي (٤ / ٥٧٤) ٧ - كتاب الزهد باب ٢٤ . وقال . هذا حديث حسن غريب ، ورواه أيضًا ابن حبان في صحيحه . واختلف في تحسينه والراجح أنه حسن .

(آمناً في سربه) أي : في نفسه ، يقال : فلان واسع السرب أي : رَخِيُّ البال وروي بفتح السين ، وهو المسلَك والمذهب .

(الحذافير) : عالي الشيء ونواحيه ، يقال : أعطاه الدنيا بحذافيرها ، أي : بأسرها ، الواحد حِذْفارٌ .

٤ - الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ١ - باب في القيامة . وقال : هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال .

٥ - البخاري (٢ / ٣٨٢) ١١ - كتاب الجمعة ١٢ - باب هل على من لم شهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم ؟ .

٦ - الترمذي (٥ / ٥٥٢) ٤٩ - كتاب الدعوات ١٠٢ - باب في دعاء النبي ﷺ .

والمستدرك (١ / ٣٠٨) وصححه ووافقه الذهبي . وهو حديث حسن . ورواه أحمد والبيهقي .

٧ ـ * روى الترمذي عَن عَائشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقولُ : « اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي ، وعَافِنِي فِي بَصَرِي ، واجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي ، لا إِلَهَ إِلا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

٨ ـ * روى مسلم عن عثمان بن أبي العاصِ الثقفي الطائفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسولِ الله ﷺ وجعاً يَجِدُهُ في جَسده مُنْذُ أَسْلَمَ ، فقال له : « ضَعْ يدَكَ على الذي يَأْلَمُ من جَسدك ، وقل : باسم اللهِ ، ثلاثَ مرات ، وقُلْ سَبْعَ مَراتٍ : أَعوذُ باللهِ وقُدْرَتِهِ من شَرِّ ماأجِدُ وأُحَاذِرُ » .

وعند الموطأ (١) « بعزة الله وقدرته من شرِّ ماأجِدُ » قال : فقلتُ ذلك ، فأذهبَ اللهُ ماكان بي ، فلم أَزَلْ آمُرُ بها أهلي وغيرَهم .

٩ ـ * روى البخاري عن عروَة عن عائشةَ ، « أن النبي ﷺ كان إذا أَوَى إلى فِراشِه كل ليلة جمع كَفيه ثم نفثَ فيهما فقرأَ فيهما ﴿ قُل هو الله أَحَد ﴾ و﴿ قل أعوذ بربِّ الفَلَق ﴾ و ﴿ قل أعوذُ بربِّ الناس ﴾ ثم يمسح بهما مااستطاع من جَسَدِه ، يَبدأ بهما على رأسِه ووجهه وماأَقبلَ من جسده ، يفعَل ذلك ثلاثَ مراتٍ .

١٠ ـ * روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَال : رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَ تَحاسَدُوا ، وَلا تَنَاجَشُوا وَلا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، ولايَبِع بَعْضُكُمْ عَلَى

---

٧ ـ الترمذي (٥ / ٥١٨) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ٦٧ ـ باب منه .

وقال : هٰذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب . قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يقُولُ : حَبِيبُ ابْنُ أَبِي ثَابتٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ شَيْئًا، واللهُ أَعْلَم .

وقال محقق الجامع : لهذا الحديث شواهد بالمعنى يقوي بها ، منها حديث أبي داود رقم ٥٠٩ بإسناد حسن .

(واجعله الوارث مني) أي : أبقه صحيحاً سليماً .

٨ ـ (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ ـ كتاب السلام ٢٤ ـ باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء .

(١) الموطأ (٢ / ٩٤٢) ٥٠ ـ كتاب العين ٤ ـ باب التعوذ والرقية في المرض .

٩ ـ البخاري (٩ / ٦٢) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ١٤ ـ باب فضل المعوذات .

١٠ ـ البخاري طرفًا منه في (١٠ / ٤٨١) ٧٨ ـ كتاب الأدب ٥٧ ـ باب ماينهي عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤ / ١٩٨٦) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ١٠ ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله .

بَيْعِ بَعْضٍ . وَكُونُوا ، عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا . الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ . لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ ، وَلا يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ . دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .

١١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، أن النبيَّ ﷺ كان إذا اغتسلَ من الجَنَابة : بَدَأَ فغسل يديه ، ثم يتوضأُ كما يتوضأُ للصلاة ثم يُدْخِل أصابعَه في الماء ، فَيُخَلِّلُ بها أُصُولَ شَعْرِه ، ثم يَصُبُّ الماءَ على رأسه ثلاثَ غُرَفٍ بيديه ، ثم يُفِيضُ الماءَ على جِلْدِهِ كلِّه .

وفي رواية [(١)] ثم يُخلِّل بيديه شعره ، حتى إذا ظن أنه قد أروَى بَشَرتَه ، أفاضَ الماءَ عليه ثلاثَ مرات ، ثُمَّ غَسَل سائر جسده .

وقالت : كنت أغتسلُ أنا ورسولُ الله ﷺ من إناء واحد ، نغترف منه جميعًا [(٢)] .

١٢ - * روى مسلم عن عثمانَ بنِ عَفانَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من توضَّأَ فأحسنَ الوُضُوءَ ، خرجتْ خطاياهُ من جَسدِهِ ثم تَخْرُجَ من تحتِ أَظْفَارِهِ » . .

١٣ - * روى أبو داود عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : خَرَجْنَا في سَفَرٍ ، فأصاب رجلاً منا حَجَر فَشَجَّه في رأسه ، فاحتلمَ ، فسأل أصحابَه : هل تجدون لي رُخصة في التيمم ؟ فقالوا : مانَجِدُ لك رُخصة وأنت تَقْدِرُ على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قَدِمْنا على

---

١١ - البخاري (١ / ٣٦٠) ٥ - كتاب الغسل ١ - باب الوضوء قبل الغسل .
ومسلم (١ / ٢٥٣) ٣ - كتاب الحيض ٩ - باب صفة غسل الجنابة .
البخاري (١ / ٣٨٢) ٥ - كتاب الغسل ١٥ - باب تخليل الشعر .

(١) ، (٢) البخاري : الموضع السابق .

١٢ - مسلم (١ / ٢١٦) ٢ - كتاب الطهارة ١١ - باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء .

١٣ - أبو داود (١ / ٩٣) كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم . وهو حديث حسن وله شواهد .
فشجّه : شجَّ رأسه : إذا ضربه بشيء فكسره وفتحه .

رسول الله ﷺ وأُخْبِرَ بذلك ، قال : « قَتَلوه قَتَلَهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شِفاء العِيِّ السؤالُ ، إنما كان يكفيه أن يتيممَ وَيعْصِرَ — أو يَعصِبَ ، شك موسى — على جُرْحِهِ خِرْقة ، ثم يَمسحَ عليها ، ويَغْسِلَ سَائرَ جسدِهِ » .

* * *

الفقرة الثانية : نصوص في الروح

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴾ (١) ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ ﴾ (٢) ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) والمراد : روح خلقها ونسبها إلى ذاته تشريفاً كما تقول : بيت الله .

ومن نصوص السنة في الروح :

١٤ - * روى مالك عن كعب بن مالك رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمِن طيرٌ يَعْلَق في شَجَرِ الجنة ، حتى يَرْجِعَهُ اللهُ في جَسَدِهِ يوم يَبْعَثُهُ » .

قال القرطبي وغيره : هي روح المؤمن الشهيد .

وقال بعضهم : المراد بالحديث أعم من أن يكون المراد بذلك أرواح الشهداء وحدهم فقد يعطي الله عز وجل هذه الخصوصية لغيرهم .

١٥ - * روى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ إلا رَدَّ الله تبارك وتَعالى عليَّ رُوحي حتى أَرُدَّ عليه السلام »

---

(١) الإسراء : ٨٥ . (٢) الحجر : ٢٩ (٣) السجدة : ٩ .

١٤ - الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .

وابن ماجة (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى . وإسناده صحيح .

النَّسَمة : الروح والنفس ، و« يعلق » : أي يأكل .

١٥ - أحمد في مسنده (٢ / ٥٢٧)

وأبو داود (٢ / ٢١٨) كتاب المناسك باب زيارة القبور . وإسناده حسن .

١٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « الأَرواح جُنُود مُجَنَّدَةٌ ، فما تَعَارفَ منها ائتلَفَ ، وماتَنَاكَر منها اختلفَ » .

وفي رواية (١) يَرفَعُهُ قال : « الناسُ مَعَادنٌ كمعادن الذّهب والفضّـة ، خِيـارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقِهُوا ، والأرواحُ جنودٌ مجنَّدَةٌ .... الحديث » .

١٧ ـ * روى البخـاري ومسلم عن رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ؛ أَنَّ حُـذَيفـةَ حَـدَّثَهُمْ قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تَلَقَّتِ الْمَلائِكَةُ رُوح رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخيرِ شَيْئاً ؟ قَالَ : لا . قَالُوا : تَذَكَّرْ . قَالَ : كُنْتُ أَدينُ النَّاسَ . فَـآمُرُ فِتْيـانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِر وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ . قَـالَ : قَـالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : تَجَـوَّزُوا عَنْهُ » .

١٨ ـ * روى أحمد وأبو داود عن عليِّ بنِ شَمَّاخ ـــ وقيل : شماس ، قال : شَهدتُ مروانَ يسـألُ أبـا هريرةَ : « كيف سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي على الجِنَـازةِ ؟ قـال أبو هريرةَ : سَمِعْتُه يقول: « اللهم أنت ربُّهـا ، وأنت خَلَقْتَهـا ، وأنت هـديتَهـا إلى الإسلام وأَنت قَبَضْتَ روحَها ، وأنت أعلمُ بسِرها وعلانِيَتِها ، جئنا شُفَعَاءَ ، فاغفر لها » .

١٩ ـ * روى أحمـد وأبـو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : سمعتُ رسـولَ الله

---

١٦ ـ البخاري (٦ / ٣٦٩) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ٢ ـ باب الأرواح جنود مجندة .

ومسلم (٤ / ٢٠٣١) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ٤٩ ـ باب الأرواح جنود مجندة .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

١٧ ـ البخاري (٤ / ٣٠٧) ٣٤ ـ كتاب البيوع ١٧ ـ باب من أنظر موسراً .

ومسلم (٣ / ١١٩٤) ٢٢ ـ كتاب المساقاة ٦ ـ باب فضل إنظار المعسر .

(وأنظر) : الإنظار : الإمهال والتأخير .

(الجواز) : في الشيء : المساهلة والتجاوز فيه .

١٨ ـ أحمد في مسنده (٢ / ٢٥٦) .

وأبو داود (٣ / ٢١٠) كتاب الجنائز باب الدعاء للميت .

وذكره الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار وقال : هذا حديث حسن .

١٩ ـ أحمد في مسنده (٢ / ٣٢٣)

وأبو داود (٤ / ٢٧٥) كتاب الأدب باب في النهي عن البغي . وإسناده حسن .

أوبقت : أوبقه يوبقه إذا أهلكه .

ﷺ يقول : « كان في بني إسرائيلَ رجلان مُتواخيـان ، أحـدُهمـا مُـذْنِبٌ والآخَرُ في العِبادة مُجتهِدٌ ، فكان المجتَهِـدُ لا يزالُ يرى الآخر على ذَنب ، فيقول : أقْصِر ، فوجده يوماً على ذنب ، فقـال : أقْصِر ، فقـال : خلِّني وربي أبُعِثْتَ عليَّ رَقيبـاً ؟ فقال له : واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لـكَ ـ أو قـال : لا يُـدْخِلُـك الجنـة ـ فقبضَ اللهُ أرواحَها ، فاجتمعـا عنـد ربِّ العـالمين ، فقـال الربُّ تعـالى للمُجْتَهِـد : أكنتَ عَلى مافي يدي قادراً ؟ وقال للمُذنب : اذهبْ فـادخُل الجنَّـةَ برحمتي ، وقـال للآخر : اذهبوا به إلى النار » قال أبو هريرةَ : تكلَّم والله بكلمَةٍ أوبَقتْ دُنْياهُ وآخِرَتَه » .

٢٠ - * روى مسلم عن مسروق رحمه الله ، قـال : سَـألنـا عبـدَ الله بنَ مسعودٍ عن هـذه الآية ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللهِ أمْوَاتاً بَلْ أحْيَاءٌ عِنـدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) فقال : أما إنَّـا قـد سَـألْنَـا عن ذلـك رسولَ الله ﷺ ؟ فقـال : « أرواحُهم في جوف طَيرٍ خُضْرٍ ، لها قناديلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرش ، تَسْرحُ من الجنـةِ حيثُ شـاءَتْ ، ثم تـأوي إلى تلكَ القناديلِ فاطَّلعَ إليهم ربُّهم اطلاعَةً ، فقـال : هل تَشتَهُونَ شيئـاً ؟ قـالوا : أيَّ شيءٍ نَشْتَهِي ونحن نَسْرَحُ من الجنـة حيثُ شِئنـا ؟ ففعـل ذلـك بهم ثـلاثَ مراتٍ ، فلمـا رَأَوا أنَّهم لم يُترَكوا من أن يَسـألُوا ، قـالوا : يـارب ، نُريـدُ أن تَرُدَّ علينا أرواحنا في أجسادِنـا حتى نُقتل في سبيلـك مرة أُخرى ، فلمـا رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُرِكوا » .

أقول : إن كينونة أرواحهم في أجواف الطيور من زيادة الإكرام ، فالطيور بالنسبـة لهم كالسيارة أو الطائرة لراكبها .

٢١ - * روى مسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ . قَـالَ : « إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤمِنِ تَلَقَّـاهَـا مَلَكَـانِ يُصْعِدَانِهَا قَالَ حَمَّادٌ : فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا ، وَذَكَرَ الْمِسْكَ .

---

٢٠ - مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ٣٢ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .

(١) آل عمران ١٦٩ .

٢١ - مسلم (٤ / ٢٢٠٢) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٧ - بـاب عرض مقعـد الميت من الجنـة أو النـار عليـه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(ريطـة) : الريطـة ثوب رقيق . وقيل : هي الملاءة . وكان سبب ردّهـا على الأنف بسبب مـا ذكر من نتن ريح روح الكافر .

قَـالَ : وَيَقُـولُ أَهْـلُ السَّمَـاء : رُوحٌ طَيِّبَـةٌ جـاءتْ مِنْ قِبَـلِ الأَرْضِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْـكِ وَعَلَى جَسَـدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَـهُ . فَيُنْطَلَقُ بِـهِ إِلَى رَبِّـهِ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ يَقُولُ : انْطَلِقُوا بِـهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ .

قـال : وإنَّ الكَـافِرَ إذا خَرَجَتْ رُوحُـهُ ـ قـال حَمَّـادٌ وذَكَرَ مِنْ نَتْنِهـا ، وذَكَرَ لَعْنًـا ـ وَيَقُولُ أهلُ السَّمَاء : رُوحٌ خَبِيثَةٌ جاءت من قِبَلِ الأَرْضِ . قالَ فيُقالُ : انْطَلِقُوا بِـهِ إلى آخِرِ الأَجَلِ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَيْطَةً ، كَانتْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْفِهِ ، هَكَذَا .

٢٢ ـ * روى مسلم عن أُمِّ سَلَمَـةَ رضي الله عنهـا قـالت : دَخَلَ رسـولُ الله ﷺ على أبي سلمةَ ــ وقد شَقَّ بصرهُ ــ فأغْمضَهُ ، ثم قال : « إنَّ الروحَ إذا قُبض تَبِعَـه البصرُ » فَضَجَّ ناسٌ من أهله ، فقال : « لا تَـدْعُوا على أنفسِكم إلا بخير ، فـإنَّ الملائكـة يؤمِّنون على ماتقولون » ثم قال : « اللهم اغْفر لأبي سَلمةَ ، وارفع درجتَـهُ في المهـديين ، واخْلُفْـهُ في عَقِبِهِ في الغابِرين ، واغفر لنا وله يـارب العـالمين ، وافْسَحْ لـه في قبره ، ونَوِّر له فيه » .

٢٣ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـالوا : يـارسول الله متى وَجَبَتْ لـك النبوةُ ؟ قـال : « وآدمُ بين الروحِ والجسـد » ، والمرادُ : أن آدم عليـه السلام كان بَعدُ ترابًا لم يُصوَّر ولم يُخلَق .

٢٤ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عبـدِ اللهِ بن مسعـودٍ رضي الله عنـه ، قـال : حـدَّثنـا

---

٢٢ ـ مسلم (٢ / ٦٣٤) ١١ ـ كتاب الجنائز ٤ ـ باب في إغماض الميت والدعاء له ، إذا أُحضر .
وأبو داود (٣ / ١٩١) كتاب الجنائز ـ باب تغميض الميت .
٢٣ ـ الترمذي (٥ / ٥٨٥) ٥٠ ـ كتاب المناقب ١ ـ باب في فضل النبي ﷺ . وقال : حسن صحيح غريب .
٢٤ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) ٨٢ ـ كتاب القدر باب : ١ .
ومسلم (٤ / ٢٠٣٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه .
وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ١٧ ـ باب في القدر .
والترمذي (٤ / ٤٤٦) ٣٣ ـ كتاب القدر ٤ ـ باب ماجاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : حسن صحيح .

رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ : « إن خلقَ أحَدِكم يُجمعُ في بطنِ أُمِّـهِ أربعين يوماً ، ثم يكون عَلَقةً مثلَ ذلك ، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ، ثم يَبْعَثُ الله إليـه مَلكاً بأربع كلمات : بكَتْبِ رزقهِ وأجله وعَمَله ، وشَقيٌّ أو سعيـدٌ ، ثم يَنْفُخُ فيـه الروحَ ، فوالذي لا إله غيرُهُ ، إنَّ أحدَكم ليَعْملُ بعمل أهل الجَنـةِ ، حتى مـا يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتـابُ فَيَعملُ بعَملِ أهلِ النـار فيَـدْخُلُها ، وإن أحدَكم لَيَعْمَل بعمل أهل النار حتى مـا يكونُ بينـه وبينهـا إلا ذراعٌ ، فيَسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلُها » .

* * *

الفقرة الثالثة : نصوص في العقل

قال تعالى ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه ﴾ (١) .

المراد بالعقل هنا العقل الذي هو محل إدراك الخطاب .

﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير ﴾ (٢) .

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ (٣) .

﴿ أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾ (٤) .

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ (٥).

المراد بالعقل بالنصوص الأربعة الأخيرة العقل الشرعي ومقره القلب .

ومن نصوص السنة في العقل :

٢٥ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خرج رسولُ الله ﷺ في أضْحَى - أو فطر - إلى المصلّى ، فمرَّ على النساء ، فقال : « يامَعشرَ النساء ، تَصدّقْنَ ، فإني أُريتُكنَّ أكثرَ أهل النار » فقُلْنَ : لِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « تُكْثِرنَ اللَّعنَ ، وتَكْفُرْن العشيرَ ، مارأيتُ من ناقصات عقل ودينٍ أذْهبَ لِلُب الرجل الحازم من إحداكن » قُلْنَ : ومانُقْصان عقلِنا وديننا يارسول الله ؟ قال : « أليس شهادةُالمرأة منكن مثلَ نصفِ شهادةِ الرجل ؟ » قُلْنَ : بلى ؟ قال : « فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تصمْ » ؟ قُلْنَ : بلى ، قال : « فذلك من نُقْصانِ دينها » .

---

(١) البقرة : ٧٥ .
(٢) الملك : ١٠ .
(٣) العنكبوت : ٤٣ .
(٤) يونس : ٤٢ .
(٥) الحج : ٤٦ .

٢٥ - البخاري (١ / ٤٠٥) ٦ - كتاب الحيض ٦ - باب ترك الحائض الصوم .
تكفرن العشير : تجحدن إحسان أزواجكن .

فائدة :

المرأة بالنسبة للعقل التكليفي الذي هو محل إدراك الخطاب كالرجل ، إلا أنها تختلف عن الرجل في مقدار التكليف وفي طبيعته نوع اختلاف بسبب تركيبها الذي يتناسب مع دورها الحياتي ، فهي من هذه الحيثية ينقص دينها وعقلها عن دين الرجل وعقله .

٢٦ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُعيدُ الكلمةَ ثلاثاً ، لتُعْقَلَ عنه .

* * *

٢٦ ـ الترمذي (٥ / ٦٠٠) ٥٠ ـ كتاب المناقب ٩ ـ باب في كلام النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وهو كما قال .

الفقرة الرابعة : نصوص في القلب

١ - في أن القلب الإيماني محله الصدر .

قال تعالى : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾[(١)] .

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾[(٢)] .

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضَيِّقاً حَرَجًا كأنما يصَّعَّد في السماء ﴾[(٣)] .

﴿ وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾[(٤)] .

﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾[(٥)] .

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر ﴾[(٦)]

ومن نصوص السنة النبوية :

٢٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظَّنَّ ، فإنَّ الظَنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تَحَسَّسُوا ، ولا تَجسَّسُوا ، ولا تَنَافسُوا ، ولا تحاسدُوا ، ولا تَبَاغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً كما أمَرَكم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلِمُه ، ولا يَخْذُلُهُ ، ولا يَحْقِرَهُ ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا — ويشير إلى صدره — بَحسْب امرئ من الشَّرِّ : أن يَحقرَ أخاه المسلم ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ : دمُه ، وعِرْضُه ،

(١) الحج : ٤٦ .
(٢) الزمر : ٢٢ .
(٣) الأنعام : ١٢٥ .
(٤) الأحزاب : ١٠ .
(٥) الأحزاب : ٤ .
(٦) غافر : ١٨ .

٢٧ - البخاري (١٠ / ٤٨١) ٧٨ - كتاب الأدب ٥٧ - باب ماينهى عن التحاسد والتدابر .

ومسلم (٤ / ١٩٨٦) ٤٥ - كتاب البر والصلة ١٠ - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله .

ومالَهُ ، إن اللهَ لا ينظر إلى أجسادِكم ، ولا إلى صُورِكم ، ولكن ينظر إلى قلوبِكم وأعمالكم » .

٢ - في بعض نصوص تتحدث عن القلب

من نصوص الكتاب في القلب :

قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ (١) .

﴿ وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ (٢) .

﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ (٣) .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (٤) .

﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ (٥).

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (٦)

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾ (٧) .

﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ (٨) .

﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ (٩) .

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ (١٠) .

﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ (١١) ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (١٢) .

---

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) الفتح : ٤.
(٣) الصافات : ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) الحديد : ٢٧ .
(٥) ق : ٣٣ .
(٦) الحجرات : ٧ .
(٧) ق : ٣٧ .
(٨) الأنفال : ٢ .
(٩) التغابن : ١١ .
(١٠) الأنفال : ٦٣ .
(١١) الحج : ٣٢ .
(١٢) الرعد : ٢٨ .

﴿ فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ﴾ [(١)] .

﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [(٢)] .

﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [(٣)] .

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ﴾ [(٤)] .

﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [(٥)]

وقال تعالى ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ [(٦)] .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [(٧)]

﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ [(٨)] .

﴿ في قلوبهم مرض ﴾ [(٩)] .

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾ [(١٠)]

وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك ﴾ [(١١)] .

﴿ نزّل به الروحُ الأمين على قلبك لتكون من المنذِرين ﴾ [(١٢)] .

---

(١) الحج : ٥٤ .
(٢) محمد : ٢٤ .
(٣) المؤمنون : ٦٠ .
(٤) البقرة : ٧ .
(٥) الزمر : ٢٣ .
(٦) البقرة : ١٠ .
(٧) الحديد : ١٦ .
(٨) المطففين : ١٤ .
(٩) المجادلة : ٢٢ .
(١٠) البقرة : ٩٧ .
(١١) آل عمران : ١٥١ .
(١٢) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .

ومن نصوص السنة في القلوب

٢٨ ـ * روى مسلم عن الأغرّ المزني رضي الله عنه ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنه لَيغَانُ على **قلبي** ، حتى استَغفر الله في اليوم مائة مرة » .

قال ابن الأثير :

لَيُغَانُ على قلْبي : أي : لَيُغَطّى ويُغشى ، والمراد به : السَّهْوُ ، لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيدٍ من الذِّكرِ والقُرْبة ودوام المراقبة ، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات ، أو نسيَ ، عَدَّهُ ذَنبًا على نفسه ففزِعَ إلى الاستغفار .

أقول :

« قال بعضهم مفسرًا هذا الحديث ناسبًا هذا التفسير إلى رؤيا رأى فيها رسول الله ﷺ ، فذكر رسول الله ﷺ في المنام « « أنه غين أنوار لا أغيار » و لا شك أن نوع الغين الذي يقع لقلب ـ رسول الله ﷺ غير ما يمكن أن يتوهمه بعض الناس من كون هذه الحالة حالة نقص في حقه عليه الصلاة والسلام ، إلا أن في الحديث تحريضًا للمؤمنين أن يراعوا قلوبهم ويكثروا من الاستغفار لجلائها » .

٢٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : حدّثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيتُ أحدَهما ، وأنا أَنْتَظِرُ الآخَرَ ، حَدَّثنا أنّ الأمانة نزلت في جَذر قلوب الرّجال ، ثم نزل القرآن ، فعلِمُوا من القرآن ، وعلموا من السُّنَّةِ . ثمّ حدَّثنا عن رَفْعِ الأمانة ، فقال : ينامُ الرَّجُلُ النومَةَ ، فتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه ، فيظَلُّ أثرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوكْتِ ، ثمّ ينامُ النَّومَة ، فَتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبه ، فيظَلُّ أثرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمجْلِ ، كَجَمْرٍ

---

٢٨ ـ مسلم (٤ / ٢٠٧٥) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٢ ـ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه .

٢٩ ـ البخاري (١١ / ٣٣٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٣٥ ـ باب رفع الأمانة .

ومسلم (١ / ١٢٦) ١ ـ كتاب الإيمان ٦٤ ـ باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب .

(جَذْر) : الشيء ، بفتح الجيم وكسرها : أصله .

(الوَكت) : النُّقطةُ في الشيء من غير لونه .

(المَجْلُ) : غِلَظُ الجلْدِ من أثر العمل ، وقيل : إنما هي النَفاطات في الجلد . =

دَحْرَجْتهَ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتراه مُنْتبِرًا ، وليس فيه شيءٌ ـ ثم أَخَذَ حصى فدحْرجَهَ على رجْلِهِ ـ فيُصبحَ النَّاسَ يتبايَعون ، فلا يكاد أحدٌ يُؤدِّي الأمانَة ، حَتَّى يُقال : إنَّ في بني فلانٍ رَجُلاً أمينًا ، حتى يُقالَ للرجلِ : ماأجْلَدَه ، ماأظْرفَهُ ، ماأعْقَلَهُ ، وما في قلبه مِثْقَالَ حبَّةٍ من خَردلٍ من إيمان ، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيكَم بايعْتُ لئن كان مُسلمًا ليَرُدَّنَّه عليَّ دينُهُ ، وإن كان نَصْرانيًا أو يَهوديًا ليَرُدَّنه عليَّ ساعيه ، وأما اليومَ فما كنتُ أبايع منكم إلا فلانًا وفلانًا .

قال ابن التين : الأمانة : كل مايخفى ولا يعلمه إلا الله من المكلف ، وعن ابن عباس : هي الفرائض التي أمروا بها ونهوا عنها ، وقال أبو بكر بن العربي : المراد بالأمانة في هذا الحديث الإيمان ، وتحقيق ذلك فيا ذكر من رفعها أن الأعمال السيئة لاتزال تضعف الإيمان حتى إذا تناهى الضعف لم يبق إلا أثر الإيمان وهو التلفظ باللسان والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب ، فشبهه بالأثر في ظاهر البدن ، وكنى عن ضعف الإيمان بالنوم ، وضرب مثلاً لزهوق الإيمان عن القلب حالاً بزهوق الحجر عن الرجل حتى يقع بالأرض . (م) .

قال صاحب التحرير : معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت ـ وهو اعتراض لون مخالف للّون الذي قبله ـ فإذا زال شيء آخر صار كالمجل ـ وهو أثر محكم لايكاد يزول إلا بعد مدة ـ وهذه الظلمة فوق التي قبلها ، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط .

= (فنفط) : يقال : نفطت يده نفطاً ، من باب تَعب ، ونفيطاً إذا صار بين الجلد واللحم ماء .
(مُنتبِرًا) المُنْتَبِرُ : المنتفخ وليس فيه شيء ، وكل شيء رفع شيئًا ، فقد نَبَرهُ ومنه اشتقَ المنبرَ .
(ساعيه) السَّاعي : واحد السُّعاة ، وهم الولاة على القوم ، يعني أنَّ المسلمين كانوا مُهْتمِين بالإسلام ، فيحتفظون بالصدق والأمانة ، والملوك ذَوو عَدْلٍ ، فما كنتُ أبالي مَنْ أُعامِل : إن كان مسلماً ردّه إليّ بالخروج عن الحق عَمَلُهُ بمقتضي الإسلام ، وإن كان غير مُسلمٍ أنصفني منه عامله .

٣٠ - * روى البخـاري ومسلم عن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما أنّ صَفيّـةَ زَوجَ النبي ﷺ ورضي الله عنها قـالت : كان النبيُّ ﷺ مُعْتكفًـا ، فـأتيتـه أزورُهُ لَيْلاً ، فحـدَّثْتُـهُ ، ثم قُمتُ لأنْقلبَ ، فقام معي ليقْلِبني ، وكان مسكنُها في دارِ أُسامَـةَ بن زيـد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلمَّا رأيـا النبي ﷺ أسرعـا ، فقـال النبي ﷺ : « على رِسْلِكُمَـا ، إنَّهـا صفيـةُ بنتُ حُيَيّ » . فقالا : سُبْحان اللهِ ، فقـال : « إنَّ الشيطـان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدمِ ، وإني خشيتُ أن يَقْذِفَ في قلوبكما شرًّا » - أو قال : شيئًا - .

٣١ - * روى الترمذي عن ثوبان رضي الله عنـه قـال : لما نزلت : ﴿ والـذين يكنِزون الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [(١)] كُنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ في بعضِ أسفـارِه ، فقال بعضُ أصحابه : أُنزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا : أيُّ المال خيرٌ فنتَّخـذه ، فقـال رسول الله ﷺ : « أفْضَلُهُ : لِسانٌ ذَاكرٌ ، وقلبٌ شاكرٌ ، وزوجةٌ صالحـةٌ تُعينـه على إيمانه » .

٣٢ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قـال : « كُتِبَ على ابن آدمَ نصيبُهُ من الزِّنا ، مُدْرِكٌ ذلـك لامَحـالـة ، فـالعينـان زنَـاهُما النَّظَرُ ، والأُذُنَان زِناهُمَا الاستماعُ ، واللِّسانُ زِنَاه الْكلامُ ، واليَدُ زِنـاهـا الْبَطْشُ ، والرِّجْـلُ زِنـاهـا الْخُطَـا ، والْقَلْبُ يَهـوى ويتَمنَّى ، ويُصَـدِّقُ ذلـك الْفَرْجُ أو يُكَذِّبُهُ » .

---

٣٠ - البخاري (٤ / ٢٧٨) ٣٣ - كتاب الاعتكاف ٨ - باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد .

ومسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ - كتاب السلام ٩ - باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة ... أن يقول هذه فلانة ...

٣١ - الترمذي (٥ / ٢٧٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٠ - باب ومن سورة التوبة وقال : هذا حديث حسن .

(١) التوبة : ٣٤ .

٣٢ - البخاري (١١ / ٥٥٢) ٨٢ - كتاب القدر ٩ - باب ﴿ وحرامٌ على قرية أهلكناها ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ - كتاب القدر ٥ - باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره .

٣٣ - * روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رَضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الْعَبْدَ إذا أخْطَأ خَطِيئَةً ، نُكِتَت في قلبه نُكْتَةٌ ، فإذا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ وتابَ ، صُقِلَ قلبهُ ، وإنْ عاد ، زِيدَ فيها ، حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وهو الرَّانُ الذي ذكره الله » ﴿ كلا بل رانَ على قُلُوبِهِم ماكانوا يكسبُون ﴾ (١) .

٣٤ - * روى أبو داود والحاكم ، عن عبدِ الله ، قال : كنا لاندري مانقول إذا جلسنا في الصلاة ، وكان رسول الله ﷺ قد عُلِّم ، فذكر نحوه ، قال شريك : وحدثنا جامع - يعني ابن شداد - عن أبي وائل عن عبد الله ، بمثله ، قال : وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يُعَلِّمُنَاهُنَّ كما يعلمنا التشهد : اللهم أَلِّفْ بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونَجِّنَا من الظلمات إلى النور ، وجنِّبْنَا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا ، وأبصارنا ، وقلوبنا ، وأزواجنا ، وذرياتنا ، وتب علينا ؛ إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مُثْنِينَ بها ، قابليها وأَتِمَّهَا علينا .

٣٥ - * روى الترمذي عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ ، قال : قلتُ لأُمِّ سلمةَ رضي الله عنها : ياأُمَّ المؤمنين ، ماكان أكثَرُ دُعاء رسولِ الله ﷺ إذا كان عندَكِ ؟ قالت : كان أكثَرُ دُعَائه : يامُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّت قلبي على دِينك ، قالت : فقلتُ له : يارسولَ الله ، ماأكثَرَ دُعَاءَكَ بهذا ؟ قال : « ياأُمَّ سلمةَ ، إنه ليس آدَميٌّ إلا وقلبُه بين إصْبَعيْنِ من أصابع الله ، فمن شاء أقام ، ومن شاء أزَاغَ » .

---

٣٣ - أحمد في مسنده (٢ / ٢٩٧) .

والترمذي (٥ / ٤٣٤) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٧٥ - باب « ومن سورة المطففين » وقال : حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٤١٨) ٣٧ - كتاب الزهد ٢٩ - باب ذكر الذنوب .

(نكتَ) النَكْتُ : الأثر في الشيء .

(الرانُ) رَان على قلبه ، أي : غَطَّى ، وقيل : غَلبَ .

(١) المطففين : ١٤ .

٣٤ - أبو داود (١ / ٢٥٤) كتاب الصلاة باب التشهد .

والمستدرك (١ / ٢٦٥) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

٣٥ - الترمذي (٤ / ٤٤٨) ٣٣ - كتاب القدر ٧ - باب ماجاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن وقال : حديث حسن صحيح .

أزاغ : الزيغ : الميل عن الاعتدال .

٣٦ ـ * روى البخاري عن عبدِ الله بنِ عَمرو رضي الله عنهما ، قال : أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف : لا ، ومُقَلِّبِ القلوب .

٣٧ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن **قُلُوبَ** بني آدمَ كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمنِ ، كقلب واحدٍ ، يُصَرِّفهُ حيث يشاء » ثم قال رسولُ الله ﷺ : « **اللَّهمَّ مُصَرِّفَ القلوب** ثَبِّتْ **قلوبَنَا** على طاعتك » .

٣٨ ـ * روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسولُ الله ﷺ يقول : « اللهم اغْسلْ خَطَايَاي بماء الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، ونَقِّ **قَلْبِي** من الخطايا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ منْ الدَّنَسِ » .

٣٩ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما ، قال : صَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنبر ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ ، فقال : « يامَعشرَ مَنْ أسلم بلسانه ولم يُفْض الإيمانُ إلى **قلبه** ، لاتُؤذُوا المسلمين ، ولا تُعَيِّرُوهم ، ولا تَتَّبِعُوا عوراتِهم ، فإنه من تَتَبَّع عورة أخيه المسلمِ تَتَبَّع اللهُ عورته ، ومن تتبَّع الله عورَتَهُ يفْضَحْهُ ولو في جوف رَحْله » قال نافعٌ ، ونظر ابنُ عمرَ يومًا إلى الكعبة، فقال : ماأعْظَمكِ وأعظمَ حُرمَتكِ ، والمؤمنُ أعظمُ حُرمة عندَ الله منكِ .

٤٠ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ **وقلبِهِ** » . قال : وقال ابن عمر : مانزل بالناس أمرٌ قط ، فقالوا فيه ، وقال فيه عمر ـ أو قال : ابن الخطاب شَكَّ خارجةُ ـ إلا نزل

---

٣٦ ـ البخاري (١١ / ٥١٣) ٨٢ ـ كتاب القدر ١٤ ـ باب يحول بين المرء وقلبه .

٣٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ ـ كتاب القدر ٣ ـ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء .

٣٨ ـ النسائي (١ / ٥١) ١ ـ كتاب الطهارة ٤٩ ـ باب الوضوء بماء الثلج . وإسناده حسن .

(بماء الثَّلج والبَرَدِ) : تخصيص الثلج والبَرَد تأكيد للتطهير ومبالغة فيه ، لأن الثلج والبَرَد ماءان مفطوران على خلقتهما ، لم يُستعملا ولم تَنَلهُما الأيدي ، ولم تخضهُما الأرجلُ .

٣٩ ـ الترمذي (٤ / ٣٧٨) ٢٨ ـ كتاب البر والصلة ٨٥ ـ باب ما جاء في تعظيم المؤمن وقال : حسن غَريب . وإسناده حسن . وابن حبان : الإحسان (٧ / ٥٠٦) وأبو يعلى بإسناد حسن .

٤٠ ـ الترمذي (٥ / ٦١٧) ٥٠ ـ كتاب المناقب ١٨ ـ باب في مناقب عمر بن الخطاب . وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

فيه القرآن على نحو ماقال عمر .

٤١ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله : « يَخرجُ من النار من كان في **قلبه** مثقالُ ذَرَّةٍ من الإيمان » قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرّة** ﴾ (١) .

٤٢ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قلتُ : يارسولَ الله مَنْ أسْعَدُ الناس بشَفاعتِك يوم القيامة ؟ قال : « لقد ظننتُ أن لايسألني عن هذا أوَّلَ منك ، لما رأيتُ من حِرْصِكَ على الحديث ، أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامة من قال : لاإله إلا الله ، خالصًا مُخْلِصًا من **قلبه** » .

٤٣ ـ * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « لايجتمعُ غُبارٌ في سبيل الله ودُخَانُ جهنَّم في جوفِ عبدٍ أبداً ، ولا يجتمع الشُّح والإيمان في **قلب** عبدٍ أبداً » . وفي أخرى « في قلبِ مسلمٍ » في الموضعين .

٤٤ ـ * روى مسلم عن حُذَيفَةَ بنِ اليَمان رضي الله عنه قال : كنا عند عمر فقال : أيكم سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يذكُر الفِتَنَ ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لَعَلَّكم تَعْنُون فتنةَ الرجلِ في أهله وجاره ؟ قالوا : أجل ، قال : تلك يُكَفِّرها الصلاةُ والصيام والصدقة ، ولكن أيُّكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موجَ البحر ؟ قال حذيفة : فأسْكَتَ القومُ ، فقلت : أنا ، قال : أنت لله أبوك ، قال حذيفة : سمعت رسولَ الله ﷺ : يقول : « تُعْرَض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ

---

٤١ ـ الترمذي (٤ / ٧١٤) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ١٠ ـ باب منه . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وإسناده صحيح .

(١) النساء : ٤٠ .

٤٢ ـ البخاري (١ / ١٩٣) ٣ ـ كتاب العلم ٣٣ ـ باب الحرص على الحديث .

٤٣ ـ النسائي (٦ / ١٣) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ٨ ـ فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

والترمذي (٤ / ١٧١) ٢٣ ـ كتاب فضائل الجهاد ٨ ـ باب ماجاء في فضل الغبار في سبيل الله . وقال : حديث حسن صحيح وهو كما قال .

٤٤ ـ مسلم (١ / ١٢٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٦٥ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

أُشْرِبها : أشرب القلب هذا الأمر : إذا دخل فيه وقَبِلَهُ وسكن إليه كأنه قد شَرِبه . =

سوداءُ ؟ وأيُّ قلب أنكَرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضـاءُ ، حتى تصيرَ على قلبين : أبيضَ مثل الصَّفا ، فلاتَضره فِتنةٌ ، مادامتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخرُ : أسودُ مُرْبادًّا ، كالكـوزِ مُجَخِّيًـا ، لايعرف معروفًـا ، ولايُنكرُ مُنكَرًا ، إلا مـاأُشْرِبَ من هـواه » قـال : وحـدَّثتـه : أن بينـك وبينهـا بـابًا مُغْلقًـا ، يُـوشِـك أنْ يُكْسَرَ قـال عمر : أكسرًا ؟ لاأبالك ، فلو أنه فُتِحَ ؟ لعله كان يُعادُ ، قال : لا ، بل يُكْسَرُ ، وحدَّثتـه أن ذلـك البـابَ رجلٌ يقتل أو يموتُ ،حديثًا ليس بالأغاليـطِ . قـال ربْعـيٌّ : فقلـت : يـاأبـا مـالـك ـ هو سعد بن طارق ـ ماأسودُ مرباداً ؟ قال : شِدة البياض في سوادٍ ، قلت : فما الكوز مُجخِيًا ؟ قال : منكوسا .

(كالحصير عَودًا عودًا) قال الحميدي : في بعض الروايات « عَرْضَ الحصير » والمعني فيها : أنها تحيط بالقلوب كالمحصور المحبوس ، يقال : حصره القوم : إذا أحاطوا به ، وضيقوا عليه ، قال : وقال الليث : حصير الجَنْب : عِرْق يمتد معترضًا على الجَنْب إلى نـاحيـة البطن ، شَبَّـه إحاطتَها بالقلب بإحاطة هذا العِرق بالبطن ، وقوله « عَوْدًا عَوْدًا » :
أي مرَّة بعد مرة ، يقول : عاد يعودُ عودة وعَوداً .

أقول :

هناك روايات تذكر بدل العَود العُودَ ويترتب على ذلك اختلاف في شرح الحصير وسيمر معنا الحديث مرة أخرى .

٤٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي إدريسَ الخـولانيِّ ، أنـه سمِعَ حـذيفـةَ بن اليمان يقولُ : كان النـاسُ يَسـألونَ رسـولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسـألُـه عنِ الشرّ مخـافَـة أن يُدركَني ، فقلتُ : يارسولَ الله ، إنا كنَّا في جاهلية وشر ، فَجاءنا الله بهـذا الخير ، فهل بعـدَ

= نكِتَ فيه نكتة سوداء : أي أثر فيه أثرًا أسودَ ، وهو دليل السخط ولذلك قـال في حـالـة الرضى : نُكت فيـه نُكْتـةٌ بيضاء ، حتى تصير القلوب على قلبين . أي على قسمين .
مرباداً : المُرْبادُ والمُربدُ : الذي في لونه رُبْدة ، وهي بين السواد والغُبرة .
كالكوز مجخياً : المُجَخّي : المائل عن الاستقامة والاعتدال هـاهنـا ، وجَخّي الرجل في جلوسه : إذا جلس مستوفزاً ، وجَخّي في صلاته : إذا جافى عضديه عن جوفه ورفع جوفه عن الأرض وخَوى .

٤٥ ـ البخاري (١٣ / ٣٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ١١ ـ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة . =

هـذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قلتُ : وهل بعـد ذلـك الشرّ من خير ؟ قال : « نعم وفيه دَخَن » . قلتُ وما دَخَنهُ ؟ قال : « قومٌ يَهدونَ بغير هَـدْيي ، تَعرفُ منهم وتُنكر » ، قلتُ : فهـل بعـدَ ذلـك الخير من شرٍّ ؟ قـال : « نعم ، دُعـاةٌ على أبـوابِ جهنم ، مَن أجابهم إليها قذَفوه فيها » . قلتُ : يارسولَ الله ، صفهم لنا ، قال : « هم من جِلدَتنـا ، ويتكلمون بـألسنَتنـا » . قلتُ : فما تـأمرني إنْ أدركني ذلـك ؟ قـال : « تَلـزمُ جمـاعـةَ المسلمين وإمـامَهم » قلتُ : فـإن لم يكنْ لهم جمـاعـةٌ ولا إمـام ؟ قـال : « فـاعتَزلْ تلـكَ الفرَقَ كلَّها ، ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة حتى يُدركَك الموتُ وأنتَ على ذلك » .

ولمسلم [١] نَحـوَه ، وفيـه قلتُ : « مـا دَخنُـهُ ؟ قـال : « قـوم لا يستنُّـون بِسُنَتي ، وسيقوم فيهم رِجَـالٌ قُلوبُهم قلوبُ الشيـاطين في جُثمان إنْس » ، قلت : كيف أصنـع يـارسولَ الله إن أدركتُ ذلـك ؟ قـال : « تَسْمَعُ وتُطيـع ، وإن ضُربَ ظَهرُك ، وأُخـذ مالُكَ ، فاسمع وأطع » .

٤٦ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ ، وعبـدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهم ، قـال أبـو هريرة : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يكـون في آخر الـزمـان رجـالٌ يَخْتِلُـونَ الـدُّنيـا بـالـدِّين ، يَلبسُـون للنـاس جلـودَ الضّـأن من اللّين ، ألسِنَتُهم أحلى من العسـل وقلُوبهم قُلُوبُ الذِّئـاب ، يقول الله تعـالى : أبي يَغْتَرُّونَ ، أم عليَّ يَجْتَرِئونَ ؟ فبي حَلَفْتُ ، لأبعَثَنَّ على أُولئك منهم فِتنَةً تَدَعُ الحليمَ حَيْرَان » .

وروايةُ ابن عمرَ أخصر من هذه ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « إن الله قال : لقد خلقتُ خلقًـا ألسِنتُهم أحلى من العسلِ ، وقُلـوبُهم أمرُّ من الصَّبر ، فبي حلفتُ : لأُتيحَنَّهُم فتنةً تدعُ الحليمَ منهم حيران ، فبي يغترون ، أم عليَّ يجترئون » ؟ .

= ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

مسلم (٣ / ١٤٧٦) في نفس الموضع السابق .

٤٦ ـ الترمذي (٤ / ٦٠٤) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٥٩ ـ باب حدثنا سويد ... وقال حسن غريب . وهو حديث حسن .

(يَخْتِلُونَ) : الخَتْلُ : الخَدْعُ .

(يَجْتَرِئُون) : الاجتراء : الجسَارَةُ على الشيء .

(لأُتيحنَّهم) : أتَاحَ الله لفلان كذا ، أي : قدَّرَهُ له .

=

٤٧ ـ * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله : « غِلَظُ القلوب والجَفاءُ : في المشرق ، والإيمانُ في أهل الحجاز » .

٤٨ ـ * روى مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يَمسحُ مَناكِبنا في الصلاة ، ويقول : « اسْتَووا ، ولاتَختلِفوا فتختلفَ قلوبُكم ، لِيَلِني منكم أُولو الأحلامِ والنُّهى ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم الذين يلونهم » .
قال أبو مسعود : فأنتم اليومَ أشدُّ اختلافًا .

٤٩ ـ * روى أبو داود والنسائي عن أبي الجَعْد الضَّمْري رضي الله عنه ، وكانت له صُحْبَةٌ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « من تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بِها طَبَع الله على قلبه » .

وعند الترمذي (١) « من تركَ الجمعةَ ثلاثَ مرَّاتٍ تَهاوُنًا بها طَبَعَ اللهُ على قلبه » .

٥٠ ـ * روى مسلم عن أبي إدريس الخَوْلاني رحمه الله ، عن أبي ذَرٍّ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :ـ فيما روي عن الله تبارك وتعالى ـ أنه قال : « ياعبادي إني حَرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسي ، وجعلتُه بينكم محرَّمًا ، فلا تَظَالموا ،ياعبادي ، كُلُّكم ضالٌّ إلا منْ هدَيتُه ، فاسْتَهدُوني أَهْدِكم ، ياعبادي ، كُلُّكم جائع إلا من أطعمتُهُ ، فاستطعِموني أُطْعِمْكم ، ياعبادي ، كُلُّكم عارٍ إلا منْ كَسوْتُه ، فاستكْسُوني أكْسُكمْ ، ياعبادي ، إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعًا ، فاستغفروني أغفِرْ لكم ، ياعبادي ، إنَّكم لَنْ تبلغُوا ضَري فَتَضُروني ، ولن تبلغوا نَفْعي فَتنفعوني ،

---

٤٧ ـ مسلم (١ / ٧٣) ١ ـ كتاب الإيمان ٢١ ـ باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

٤٨ ـ مسلم (١ / ٣٢٣) ٤ ـ كتاب الصلاة ٢٨ ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها .

٤٩ ـ أبو داود (١ / ٢٧٧) كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة .

والنسائي (٣ / ٨٨) ١٤ ـ كتاب الجمعة ٢ ـ باب التشديد في التخلف عن الجمعة .

وإسناده حسن ، حسنه الترمذي وغيره ، وصححه جماعة ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(١) الترمذي (٢ / ٣٧٣) كتاب الصلاة باب ماجاء في ترك الجمعة من غير عذر.

(طَبَعَ اللهُ على قلبهِ : الطَّبْعُ وَالختمُ واحدٌ ، والمراد : أنه بتركه الجمعةَ قد أغْلِقَ قلبُهُ وخُتِمَ عليه ، فلا يَصِلُ إليه شيء من الخير .

٥٠ ـ مسلم (٤ / ١٩٩٤) ٤٥ ـ البر والصلة ١٥ ـ باب تحريم الظلم .

ياعبـادي ، لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجنَّكم ، كانوا على أتْقَى قلب رجلٍ واحـدٍ منكم ، مـازاد ذلـك في مُلْكي شيئًـا ، يـاعبـادي ، لـو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجنَّكم ، [كانـوا] على أفجر قلب رجـلٍ واحـدٍ منكم ، مـانقص ذلـك من مُلْكي شيئًا ، ياعبادي ، لو أنَّ أوَّلكم وآخِرَكم ، وإنسَكم وجنَّكم ، قاموا في صعيـدٍ واحـدٍ ، فسألوني ، فأعطيتُ كُلَّ إنسـانٍ مسـألتَـهُ ، مـانقص ذلـك ممـاعنـدي إلا كما يَنْقُص المِخْيَـطُ إذا أُدخِـل البحرَ ، يـاعبـادي ، إنمـا هي أعمـالُكم أُحصيهـا لكم ، ثم أُوفِّيكم إيَّاها ، فمن وَجَدَ خيرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ » .

٥١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : دخلنـا مع رسولِ الله ﷺ على أبي سَيْف القَيْن ، وكان ظِئْرًا لإبراهيمَ ، فـأخـذ رسـولُ الله ﷺ ابنَـه إبراهيم ، فقَبَّلَهُ وَشَمَّه ، ثم دخلنا عليه بعدَ ذلك ، وإبراهيمُ يجودُ بنفسِهِ ، فَجَعَلَتْ عينا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفان ، فقال ابنُ عوف : وأنتَ يارسول الله ، فقال : « يـاابنَ عوف ، إنَّهـا رحمـةٌ » ثم أتْبَعَها بـأُخْرى ، فقـال : « إنَّ العينَ تـدمعُ ، والقلبَ يَخشعُ ، ولا نقولُ إلا مـا يُرضي ربَّنا ، وإنا بِفراقِكَ ياإبراهيمُ محزونون » .

٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قـال : اشتكى سعـدُ بنُ عُبادة شكوى لـه ، فـأتـاه رسولُ الله ﷺ يعودُه مع عبـد الرحمن بنِ عوفٍ ، وسعـدِ بن أبي وقـاصٍ ، وعبـدِالله بنِ مسعـودٍ ، فلمـا دخـل عليـه وجـدَهُ في غَشْيَّـة ، فقـال : قـد قَضَى ؟ فقـالوا : لا ، يـارسـول الله ، فبكى رسـولُ الله ﷺ ، فلمـا رأى القـومُ بُكاءَ النبيِّ ﷺ وسلم بَكَوْا ، قـال « ألا تسمعون ؟ إنَّ الله لايُعَـذِّبُ بِـدَمْعِ العَيْنِ ، ولا بِحُـزن القلب ، ولكن يعذِّبُ بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحمُ » .

---

٥١ ـ البخاري (٣ / ١٧٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٤٣ ـ باب قول النبيِّ ﷺ إنا بك لمحزونون .

ومسلم (٤ / ١٨٠٧) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ١٥ ـ باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

(الظِّئر) : المرأة التي ترضع ولد غيرها بالأجرة ، وزوج المرضعة يُسمَّى ظِئْراً .

(يجود بنفسه) : جاد المريض بنفسه : إذا قارب الموت ، فكأنه سمح بخروج روحه .

٥٢ ـ البخاري (٣ / ١٧٥) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٤٤ ـ باب البكاء عند المريض .

ومسلم (٢ / ٦٣٦) ١١ ـ كتاب الجنائز ٦ ـ باب البكاء على الميت .

٥٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إنكم تُقَبِّلُونَ الصِّبيان ، ولا نُقَبِّلُهم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « أَوَ أَمْلِكُ لك أن نَزَعَ اللهُ الرحمةَ من قلبِك ؟ » .

٥٤ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ يومًا لأصحابه : « مَنْ يأخُذُ [عَنّي] هؤلاء الكلماتِ فَيعْمَلُ بهن ، أو يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بهنَّ ؟ » قال أبو هريرة ، قلتُ : أنا يارسولَ الله ، فأخذ بيدي وَعَدَّ خَمْسًا ، فقال« اتقِ المحارمَ تَكُنْ أَعْبَدَ الناسِ ، وارضَ بما قسم الله لك تكنْ أغنى الناس ، وأَحْسِنْ إلى جارِكَ تَكُنْ مُؤمنًا ، وأَحِبَّ للناس ماتُحبُّ لنفسك تكن مُسْلِمًا ، ولا تُكْثِر الضحكَ ، فإن كَثْرَةَ الضحكِ ، تُميتُ القلب » .

٥٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن النُّعْمانِ بنِ بشير رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ـ وأهوى النعمانُ بإصبعيه إلى أذُنَيه ـ « إنَّ الحلال بَيِّن ، وإن الحرامَ بَيِّن ، وبينهما أمور مشتبهاتٌ ، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس ، فمن اتَّقى الشبهاتِ ، استبرأ لدينه وعرضِه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحِمى ، يُوشك أن يَرْتَعَ فيه ، ألا ولكلِّ مَلِكٍ حِمي ، ألا وإنَّ حمى الله محارمُهُ ، ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً ، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فسدت فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ، ألا وَهي القلبُ » .

٥٦ ـ * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه ، قال طارقُ بنُ شِهاب : أولُ من بدأ بالخُطْبةِ يوم العيدِ قبلَ الصلاةِ مروانُ ، فقام إليه رجُلٌ فقال : الصَّلاةُ قبل الخُطبة ، قال : قد تُرِك ماهنالك ، فقال أبو سعيد ، أمَّا هذا فقد قَضى ماعليه ، سمعتُ

---

٥٣ ـ البخاري (١٠ / ٤٢٦) ٧٨ ـ كتاب الأدب ١٨ ـ باب رحمة الولد وتقبيله .

ومسلم (٤ / ١٨٠٨) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ١٥ ـ باب رحمة النبي ﷺ الصبيان .

٥٤ ـ الترمذي (٤ / ٥٥١) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٢ ـ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن .

٥٥ ـ البخاري (١ / ١٢٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٩ ـ باب من استبرأ لدينه .

ومسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ ـ كتاب المساقاة ٢٠ ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

٥٦ ـ مسلم (١ / ٦٩) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٠ ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

رسـولَ الله ﷺ يقـول : « من رأى منكم مُنكَرًا فلْيُغيره بيــده ، فــإن لم يَستطِــعْ فبلسانِه ، فإن لم يَستطِعْ فبقلبه ، وذلك أضعفُ الإيمان » .

٥٧ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَـامِنْ نبي بعثَـهُ اللهُ في أُمَّـةٍ قَبْلي ، إلا كانَ لـه من أُمَّتِـه حَوَاريُّون ، وأصحـابٌ يأخذون بسُنَّته ، ويَقتدون بأمره ، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعـدهم خُلوفٌ يقولون مـالا يفعلون ، ويفعلون مالا يُؤمَرون ، فمن جَاهدهم بيدِهِ فهو مؤمن ، ومن جَـاهَـدَهُمْ بلسانه فهو مؤمن ، ومن جَاهدهم بقلبـه فهو مؤمن ، ليس وراءَ ذلـك من الإيمـان حَبَّةُ خَردل » .

٥٨ - * روى البخـاري ومسلم عن جُنْـدَب بن عبـد الله رضي الله عنـه قـال : قـال النبي ﷺ : « اقْرَؤوا القرآنَ مَا ائتَلَفَتْ عليه قُلُوبُكُم ، فإذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنه » .

٥٩ - * روى مسلم والترمذي عَنْ حَنْظَلَـةَ الأُسَيِّـدِيِّ قَـالَ : وَكَـانَ مِنْ كُتَّـابِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَـالَ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ يَـا حَنْظَلَـةُ ! قَـالَ قُلْتُ : نَـافَقَ حَنْظَلَـةُ . قَالَ : سُبْحَـانَ اللهِ ! مَـاتَقُولُ ؟ قَـالَ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْـدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : يُـذَكِّرُنَـا بِـالنَّـارِ وَالْجنَّةِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّـا رَأْيُ عَيْنٍ . فَـإِذَا خَرَجْنَـا مِنْ عِنْـدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : عَـافَسْنَـا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضيْعَاتِ . فَنَسِينَا كَثِيرًا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللهِ ! إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هٰذَا . فَـانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ ، حَتَّىٰ دَخَلْنَـا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قُلْتُ : نَـافَقَ حَنْظَلَـةُ . يـارَسُولَ اللهِ !

---

٥٧ - مسلم في نفس الموضع السابق .

(الحواريون) : جمع حواري وهم الخاصة والأصحاب والناصرون .

(الخلوف) : جمع خَلْف : وهو القرن من الناس .

وقد جرت العادة أن تطلق كلمة خَلْف على من يخلف غيره بسوء .

وبعضهم يقول : خَلَف صدق بالتحريك ويسكن الآخر في السوء للتفريق .

وبعضهم جعلها سواء في التحريك والتسكين .

٥٨ - البخاري (٩ / ١٠١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٢٧ - باب اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم .

ومسلم : ((٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ - كتاب العلم ، ١ باب النهي عن متشابه القرآن .

٥٩ - مسلم (٤ / ٢١٠٦) ٤٩ - كتاب التوبة ٣ - باب فضل دوام الذكر والفكر .

والترمذي (٤ / ٦٦٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ٥٩ - باب حدثنا بشر بن هلال ... =

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « وَمَاذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ . حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ . فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ . نَسِينَا كَثِيرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ . وَلٰكِنْ ، يَاحَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً » ثَلاثَ مَرَّاتٍ .

وفي رواية لمسلم (١) عَنْ حَنْظَلَةَ . قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلاعَبْتُ الْمَرْأَةَ . قَالَ فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ . فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ . فَقَالَ : وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَاتَذْكُرُ . فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! نَافَقَ حَنْظَلَةُ . فَقَالَ« مه » فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فَقَالَ : « يَاحَنْظَلَةُ ! سَاعَةً وَسَاعَةً . وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ ، حَتَّىٰ تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ » .

٦٠ ـ * روى أحمد عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَن كَثُر هَمُّهُ فليقُل : اللهمَّ إني عبدُك وابنُ عبدِكَ ، وابن أمَتِك ، وفي قَبضَتِك ، ناصيتي بيدِك ، ماضٍ فيَّ حُكمُك ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك ، سَمَّيتَ به نفسَك ، أو أنزلْتَهُ في كِتَابِك ، أو استأثرْتَ به في مكنُون الغيب عندَك : أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي ، وَجَلاء هَمِّي وَغَمِّي ، ماقالها عبدٌ قَطُّ إلا أذهَبَ الله غَمَّه ، وأبدله به فرجًا » .

٦١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ماقال

= (المعافسة) : المعالجة والممارسة والملاعبة .

(الضيعات) : المعايش .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

٦٠ ـ أحمد في مسنده (١ / ٣٩١) وذكره رزين وصححه ابن حبان . وهو حديث صحيح .

المستدرك (١ / ٥٠٩) وقال : صحيح . ووافقه الذهبي .

٦١ ـ الترمذي (٥ / ٥٧٥) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ١٢٧ ـ باب ودعاء أم سلمة وقال حديث حسن .

عبدٌ : لاإله إلا الله ، مخلصًا من قلبه ، إلا فتحت له أبوابُ السماء ، حتى يُفضيَ إلى العرش مااجتنَب الكَبَائر » .

٦٢ - * روى مسلم عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ بَايَعَ إمَامًا فَاعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وثَمرَةَ قَلْبه ، فلْيُطِعهُ مَااستطاعَ ، فَإنْ جَاء آخرُ يُنازعُهُ فَاضْربوا رقَبَةَ الآخر » .

قُلتُ : أنت سَمِعْتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ قال : سَمِعَتْه أذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلبي ، قلت : هذا ابنُ عَمّكَ مُعاويَةُ يأْمُرنَا أن نَفْعَل ونَفْعَل ؟ قال : أَطِعْهُ في طَاعَةِ الله ، واعْصِهِ في مَعصيَةِ الله .

أقول : (المراد بالبيعة هنا التي تعطي لأمير المؤمنين ، ولأهل العدل من السلاطين ، وليست المراد بذلك البيعات التي تعورف عليها عند الشيوخ وأمثالهم ممن ليس لهم سلطان نافذ على الرعية) .

٦٣ - * روى البخاري ومسلم عن سَهْلِ بن سعدِ الساعديِّ رضي الله عنه ، قال : لما جاءَت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يارسول الله ، جئتُ أهبُ نفسي لك ، فنظر إليها رسولُ الله ﷺ ، فصعَّدَ النظر فيها وصَوَّبَه ، ثم طأْطأَ رسولُ الله ﷺ رأسَهُ ، فلما رأَتِ المرأةُ أنه لم يَقْضِ فيها شيئًا جلستْ ، فقامَ رجلٌ من أصحابِهِ ، فقال : يارسولَ الله ، إن لم يكن لك بها حاجةٌ فزوِّجْنِيها ، فقال : « فهل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله

---

٦٢ - مسلم (٣ / ١٣٧٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٠ - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .
وأبو داود (٤ / ٩٦) كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها .
(صَفْقَةَ يده) : كِنَايَةٌ عن البيعة والعهد ، وذلك : أنَّ العادةَ في التَّبايُع والبيعة : أنْ يطرح المشتري يده في يد البائع ، وكذلك عند البيعة ، ويَصفقَ أحدهُما يَده على الآخر ، هذا هو الأصل .
(ثمرة قلبه) : كنايةٌ عن الإخلاص فيما عاهده عليه والتزمه له .

٦٣ - البخاري (٩ / ١٣١) ٦٧ - كتاب النكاح ١٤ - باب تزويج المعسر .
ومسلم (٢ / ١٠٤٠) ١٦ - كتاب النكاح ١٣ - باب الصداق .
والموطأ (٢ / ٥٢٦) ٢٨ - كتاب النكاح ٣ - باب ماجاء في الصداق والحباء .
وأبو داود (٢ / ٢٣٦) كتاب النكاح - باب التزويج على العمل يعمل .
والترمذي (٣ / ٤٢١) ٩ - كتاب النكاح ٢٢ - باب ماجاء في مهور النساء . وقال : حسن صحيح .

يارسول الله ، فقال : « اذهب إلى أهلك فانظر : هل تجدُ شيئًا ؟ » فذهب ، ثم رَجَعَ ، فقال : لا والله ، ماوجدتُ شيئًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « انظُرْ ولو خاتَمًا من حديد » فذهب ، ثم رجع فقال : لا ، والله يارسول الله ، ولا خاتَمًا من حديد ، ولكن هذا إزاري ـ قال سهل : ماله رداء ـ فلها نصفه ، فقال رسولُ الله ﷺ « ماتصنعُ بإزارك ؟ إنْ لبستَهُ لم يكن عليها منه شيءٌ ، وإن لَبستْهُ لم يكنْ عليكَ منه شيءٌ » فجلس الرجلُ حتى إذا طال مجلِسُهُ قامَ ، فرآه رسول الله ﷺ مُوَلِّيا ، فأمر به فَدُعِي ، فلما جاء قال : « ماذا معك من القرآن ؟ » قال : معي سورةُ كذا ، وسورةُ كذا ـ عَدَّدها ـ قال : « تقرؤهنَّ عن ظهر قلبك ؟ » قال : نعم ، قال : « اذهب ، فقد ملَّكْتُكَها بما معك من القرآن » .

٦٤ ـ * روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما كان يومُ الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين ، منهم سهيل بن عمرو ، وأناسٌ من رؤساء المشركين ، فقالوا : يارسول الله ، قد خرج إليكَ ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقَّائنا ، وليس بهم فِقْهٌ في الدِّين ، وإنما خرجوا فِرَارًا من أموالنا وضياعنا ، فارددْهم إلينا ، فإن لم يكن لهم فِقْهٌ في الدين سَنُفَقِّهُهُم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « يامعشر قريش ، لَتَنْتَهُنَّ أو لَيَبْعَثَنَّ الله عليكم من يَضْرِبُ رِقَابَكُم بالسيف على الدِّين ، قد امتَحَن اللهُ قلوبهم على الإيمان » قال أبو بكر وعمر :مَن هو يارسول الله ؟ قال : « خاصِفُ النَّعل » وكان قد أعطى عليًّا نعلَه يخصِفُها ، ثم التفت إلينا عليٌ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « من كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوأمقعدَهُ من النار » .

٦٥ ـ روى البخاري ومسلم عن أبي ظَبْيانَ حُصَيْن بن جُنْدَب قال : سمعت أسامةَ بن زيد يقول : بعثنا رسولُ الله ﷺ في سريَّةٍ ، فَصبَّحنا الحُرَقَاتِ من جُهينة ، فأدركتُ

---

٦٤ ـ الترمذي (٥ / ٦٣٤) ٥٠ ـ كتاب المناقب ٢٠ ـ باب مناقب علي بن أبي طالب .

وقال : هذا حديث صحيح غريب .

(**يخصفها**) : خَصَفَ النعل يخصِفها : إذا خرزها .

٦٥ ـ البخاري (١٢ / ١٩١) ٨٧ ـ كتاب الديات ٢ ـ باب قول الله ومن أحياها .

مسلم (١ / ٩٦) ١ ـ كتاب الإيمان ٤١ ـ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

رجلاً ، فقال : لاإله إلا الله ، فطعنتُه ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرتُه للنبيِّ ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أقال لا إله إلا الله وقتلتَهُ ؟ قال : قلتُ : يارسولَ الله ، إنما قالها خوفًا من السِّلاح ، قال : « أفلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ، حتى تعلم أقالها ، أم لا ؟ » فما زال يكرِّرُها عليَّ ، حتى تمنيتُ أني أسلمتُ يومئذ ، قال : فقال سعدٌ : وأنا والله لاأقتلُ مسلمًا حتى يَقْتُلَه ذُو البُطين ـ يعني : أُسامة ـ قال : فقال رجلٌ : ألم يقل الله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَى لا تكونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله ﴾ [1] ؟ فقال سعدٌ : قد قاتلْنا حتى لا تكونَ فتنةٌ ، وأنتَ وأصحابُك تريدون أن تقاتِلوا حتى تكونَ فتنةٌ .

٦٦ ـ * روى أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : بَعَثَني رسولُ الله ﷺ إلى اليمن قاضيًا ، فقلت : يارسولَ الله ، تُرْسِلُني وأنا حَدَثُ السِّن ، ولا عِلْمَ لي بالقضاء ؟ فقال : « إن الله سَيَهْدِي قلبكَ ، ويُثَبِّتُ لسانَكَ ، فإذا جلس بين يديك الخَصْمان ، فلا تَقْضِيَنَّ حتى تَسْمعَ من الآخرِ ، كما سمعت من الأول ، فإنه أحْرَى أن يتبين لك القضاءُ » قال : فما زِلتُ قاضيًا ، أو ما شككتُ في قضاء بعدُ .

وأخرجه الترمذي [2] ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إذا تقاض إليك رجلان فلا تقض للأول ... » وذكر الحديث .

٦٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أَعددْتُ لِعباديَ الصالحين مالا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سِمعَتْ ، ولا خَطَر على قلب بشر » واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاأُخْفِيَ لهم

---

(١) الأنفال : ٣٩ .

٦٦ ـ أبو داود (٣ / ٣٠١) كتاب الأقضية باب كيف القضاء .

وأخرجه الترمذي . قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا تقاضى إليك رجلان ، فلا تقض للأول ... » وذكر الحديث وقال : هذا حديث حسن وهو كما قال .

(٢) الترمذي (٣ / ٦١٨) ١٣ ـ كتاب الأحكام ٥ ـ باب ماجاء في القاضي لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما . وقال : حسن . وهو كما قال .

٦٧ ـ البخاري (١٣ / ٤٦٥) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ٣٥ ـ باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ ـ كتاب الجنة .

والترمذي (٥ / ٢٤٦) ٤٨ ـ كتاب التفسير ٣٢ ـ باب ومن سورة السجدة . وقال : حسن صحيح .

مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١) .

٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أولُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجنةَ صُوَرُهم على صورة القمر ليلةَ البدر ، لا يَبْصُقُون فيها ، ولا يَمْتَخِطُونَ ، ولا يَتَغَوَّطون ، آنيتهُم فيها الذَّهَبُ ، أمشاطُهم من الذهبِ والفِضةِ ، ومَجامِرُهم الألُوَّةُ ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ ، ولِكُلِّ واحدٍ منهم زوجتان ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِما من وراء اللحم من الحُسْن ، لا اختلافَ بينهم ، ولا تَباغُضَ ، **قُلُوبُهُمْ قلبٌ** واحدٌ ، يُسبِّحُون اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا » .

تعليق :

أكثرنا من الأحاديث ، وأكثرنا من ذكر النصوص التي تتعلق بالقلب لأننا نرى أن علم إصلاح القلب على مقتضى الهدي النبوي قد طوى الكثيرون بساطَه ، وقلَّ العارفون به ، فكثرت أمراض القلوب وظهرت كثير من القلوب المريضة التي تتحدث عنها النصوص من مثل قلوب الشياطين وقلوب الذئاب والقلوب التي هي أمرّ من الصبر ، كما أن قضية القلب في المفهوم الفطري للنصوص قد طرأ عليها ماطرأ ، وهذا كله يستدعي علاجًا وذكرًا وتذكيرًا وحسن تطبيب ولذلك أكثرنا النقل عن القلوب ثم إن أشياء كثيرة ستمر معنا لها صلة بموضوع القلب فاقتضى ذلك التنويه بهذا الموضوع في أوائل قسم العقائد .

وكما أننا أكثرنا من النصوص في موضوع القلب فسنذكر الكثير منها في موضوع النفس لأن تزكية الأنفس على مقتضى الشريعة من أهم مابعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) السجدة : ١٧ .

٦٨ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ١ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

(مَجامِرُهم) : جمع مُجْمَر وهو مايُتَبَخَّرُ به .

(الأَلُوَّةُ) : العود . أي يتبخرون بالعود الطيب الرائحة .

الفقرة الخامسة : نصوص في النفس

تطلق كلمة النفس في اصطلاحات الشارع وفي خطابات الناس وفي كلام المؤلفين على معانٍ متعددة ، ويَلتبس نتيجة لذلك على كثير من الناس المراد بالنفس حينما تستعمل .

ونحن يهمنا في هذا الكتاب أن نلفت النظر إلى المرادات الرئيسية لكلمة النفس في اصطلاحات النصوص .

ومن ها هنا فسنذكر النصوص التي وردت في النفس تحت العناوين التالية :

١ ـ نصوص في النفس ويراد بها الذات .

٢ ـ نصوص في النفس ويراد بها الروح .

٣ ـ نصوص في النفس ويراد بها الروح بعد تلبسها بالجسد وطاعتها للأهواء .

٤ ـ نصوص في النفس ويراد بها القلب .

١ - نصوص في النفس ويراد بها الذات

قال تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ (١) .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ﴾ (٢) .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ (٣) .

﴿ أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ﴾ (٤) .

ومن النصوص النبوية :

٦٩ - * روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ رُوح القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفسٌ حتى تستكمل رِزقَها وأجَلَها .

٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاس حتَّى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا اللهُ ، فقد عَصَمَ مني نفسَه ومالَهُ إلا بحقِّهِ ، وحسابه على الله » .

وفي رواية : « حتَّى يشهَدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمِنُوا بي ، وبما جئْتُ به ، فإذا فَعلوا ذلك عَصموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها ، وحسابهم على الله » .

---

(١) البقرة : ٤٨ ، ١٢٣ .　(٢) آل عمران : ٣٠ .

(٣) النساء : ١ .　(٤) المائدة : ٣٢ .

٦٩ - ابن ماجه (٢ / ٧٢٥) ١٢ - كتاب التجارات ٢ - باب الاقتصاد في طلب المعيشة .

وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ، لأن فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وكل منهما كان يدلس ، وكذلك أبو الزبير. وقد عنعنوه . لكن لم ينفرد المصنف من حديث أبي الزبير عن جابر . فقد رواه ابن حبان في صحيحه بإسنادين عن جابر ا.هـ .

ذكره رزين وأخرجه ابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح .

(روحُ القدس) : جبريل عليه السلام .

(الرُّوع) : القلب والعقل . (نَفَثَ في رُوعي) : أي نفث في خَلَدي وبالي .

٧٠ - البخاري (١٣ / ٢٥٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام باكتاب والسنة ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

مسلم (١ / ٥٢) ١ - كتاب الإيمان ٨ - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

النسائي (٥ / ١٤) ٢٣ - كتاب الزكاة ٣ - باب مانع الزكاة .

٧١ ـ * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى عُثمانَ بْنِ مَظْعُونٍ : « أَرَغِبْتَ عن سُنَّتي ؟ » فقال : لا ، والله يارسول الله ، ولكن سُنَّتَكَ أَطْلُبُ ، قال : « فإنِّي أنامُ ، وأُصَلِّي ، وأصومُ ، وأُفْطِرُ ، وأَنْكِحُ النِّساءَ ، فاتَّقِ الله ياعُثمانُ ، فإنَّ لأَهْلِكَ عليكَ حقًّا ، وإنَّ لِنَفْسِكَ عليكَ حقًّا ، فَصُمْ وأَفْطِرْ ، وصَلِّ ونَمْ » .

٧٢ ـ * روى مسلم عن محمدِ بن عمرِو بن عطاءٍ رحمه الله قال : سمَّيتُ ابنَتي بَرَّةَ ، فقالت لي زيْنَبُ بنتُ أبي سَلَمَةَ : إنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيَتْ برَّة ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ الله أعلم بأهل البرِّ منكم » فقالوا : بِمَ نُسَمِّيها ؟ فقال : « سموها زينبَ » .

٧٣ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما يَزَالُ البلاءُ بالمؤمِنِ والمؤمِنة ، في نَفْسه وولدهِ ومالهِ ، حتى يلقَى الله وما علَيْه من خطيئةٍ » .

٧٤ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن هشامٍ رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مع النبيِّ ﷺ وهو آخذٌ بيدِ عمرَ بنِ الخطاب ، فقال له عمر : يارسولَ الله ، لأنتَ أَحَبُّ إليَّ من كل شيءٍ ، إلا نَفْسي ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا والذي نَفْسي بيده حتى أكونَ أحبَّ إليكَ من نَفْسِكَ » فقال له عُمَرُ : فإنَّه الآن ، [والله] لأنت أحبُّ إليَّ من نَفْسي ، فقال له النبيُّ ﷺ : « الآن ياعمرُ » .

---

٧١ ـ أبو داود (٢ / ٤٨) كتاب الصلاة باب مايؤمر به من القصد في الصلاة .
ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق ، لكن يشهد له أحاديث صحاح .

٧٢ ـ مسلم (٣ / ١٦٨٨) ٣٨ ـ كتاب الآداب ٣ ـ باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن .
وأبو داود (٤ / ٢٨٨) كتاب الأدب ٧١ ـ باب في تغيير الاسم القبيح .

٧٣ ـ الترمذي (٤ / ٦٠٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٥٦ ـ باب ماجاء في الصبر على البلاء .
وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

٧٤ ـ البخاري (١١ / ٥٢٣) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ٣ ـ باب كيف كان يمين النبي ﷺ .

٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يامعْشَرَ قُريشٍ - أو كلمة نحوها - اشْتَرُوا أنفسَكم ، لاأُغْني عَنْكم مِنَ اللهِ شيئًا يابني عبدِ مَنَافٍ ، لا أُغْني عَنْكم مِنَ اللهِ شيئًا ، ياعباسُ بنَ عبدِ المطلب ، لا أُغني عنكَ من الله شيئًا . وياصفيَّةُ عمَّةَ رسُولِ الله ، لا أُغني عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا . ويافاطمةُ بنْتَ محمَّدٍ سَلِيني ماشِئْتِ مِنْ مالي ، لا أُغني عنْكِ من اللهِ شيئًا » .

وفي رواية نحوه [(١)] ، ولم يذكر فيه « يا بني عبدِ مناف » وذكر بدله : « بني عبد المطلب » .

٧٦ - * روي الترمذي عن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، وقد سُئل : بأيِّ شَيء بُعِثْتَ في الحَجَّةِ ؟ قال : بُعِثْتُ بأرْبَعٍ : لا يطوفَنَّ بالبيت عُريانٌ ، ومن كان بينه وبينَ النبي ﷺ عَهْدٌ ، فهو إلى مُدَّتِه ، ومَنْ لم يكن له عهدٌ ، فأجَلُهُ أرْبَعَةُ أشْهُرٍ ، ولا يَدْخلُ الجَنَّةَ إلا نفسٌ مُؤمِنَةٌ ، ولا يجتمع المشركون والمؤمنون بعد عامهم هذا » .

٧٧ - * روي أبو داودَ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن الشَّيطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ ، فاحذَرُوهُ على أنفسكم ، من بَاتَ وفي يَدِهِ ريحُ غَمَرٍ فأصابه شيءٌ فلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَه » .

---

٧٥ - البخاري (٥ / ٣٨٢) ٥٥ - كتاب الوصايا ١١ - باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب .
مسلم (١ / ١٩٢) ١ - كتاب الإيمان ٨٩ - باب قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .
(١) مسلم في الموضع السابق .
٧٦ - الترمذي (٣ / ٢٢٢) ٧ - كتاب الحج ٤٤ - باب ماجاء في كراهية الطواف عريانا .
وقال : حديث حسن صحيح . وإسناده قوي .
٧٧ - أبو داود (٣ / ٣٦٦) كتاب الأطعمة ٥٣ - باب في غسل اليد من الطعام .
والترمذي (٤ / ٢٨٩) ٢٦ - كتاب الأطعمة ٤٨ - باب ماجاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر .
وابن ماجه (٤ / ١٠٩٦) ٢٩ - كتاب الأطعمة ٢٢ - باب من بات وفي يده ريح غمر .
ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري .
مجمع الزوائد (٥ / ٣٠) وهو حديث حسن بشواهده . وعزاه الهيثمي من رواية ابن عباس إلى البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح خلا الزبير بن بكار وهو ثقة وقد تفرد به كما قال الطبراني .
(حسّاس) : كثير الحس والإدراك .
(لحّاس) : كثير اللحس لما يصل إليه .
(غمَر) : الغَمَرُ : ريح اللحم وزُهُومَتُه . والزُّهُومة : دسم اللحم .

٧٨ ـ * روى أبو داودَ عن ثوبانَ رضي اللهُ عنه ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « ثلاثٌ لا يَحِلُّ لأحد أن يَفْعَلَهن : لا يَؤُمَّنَّ رجلٌ قومًا فيخصَّ نفسَه بـالـدُّعـاء دُونَهم ، فـإن فعـل فقـد خـانَهم ، ولا يَنْظُرْ في قَعْرِ بَيْتٍ قَبْـلَ أنْ يستـأذِنَ ، فـإن فعـل فقـد خـانهم ، ولا يصلِّي وهو حَقِنٌ ، حتى يتخفَّفَ » .

٧٩ ـ * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : صلَّى النبيُّ ﷺ يـومًـا ، ثم انصرف ، فقال : « يافُلانُ ، ألا تُحسنُ صلاتَـكَ ؟ ألا ينظرُ المصلِّي إذا صلَّى كيف يُصلِّي ؟ فإنما يصلِّي لنفسه ، إني لأُبصِرُ مِن ورائي كما أُبصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ » .

٨٠ ـ * روى أبـو داودَ عن جـابرِ بن عبـد الله رضي الله عنهما ، قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لاتَـدْعُوا على أنفسِكم ، ولاتَـدْعُوا على أولادِكم ، ولا تَـدْعوا على خَـدَمِكم ، ولاتَـدْعُوا على أمـوالِكم ، لاتُوافِقُـوا من الله عَـزَّ وجـلَّ ساعةَ نَيْـلٍ ، فيهـا عطـاءٌ ، فَيَسْتَجيبَ لكم »

٨١ ـ * روى مسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَارِي رضي الله عنه ، قـال : قلت : يـارسول الله ، ألا تَسْتَعْمِلُني ؟ قال : فَضَرَبَ بيدِه على مَنْكِبي ثم قال : « ياأبـا ذَرٍّ ، إنَّـكَ ضَعيفٌ ، وإنَّهـا أَمَانَة ، وإنها يومَ القيامةِ خِزيٌ ونَدَامة إلا مَنْ أخذَها بِحَقِّها ، وأدَّى الَّذي عليـه فيهـا ».

وفي رواية قـال لـه : « يـاأبـا ذَرٍّ ، إني أَرَاكَ ضَعيفًـا ، وإني أُحِبُّ لَـكَ مَـاأُحِبُّ لِنَفْسي ، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتيمٍ » .

---

٧٨ ـ أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الطهارة ٤٣ ـ باب أيصلي الرجل وهو حاقن .

ورواه بنحوه أحمد (٥ / ٢٨٠) ، والترمذي (٢ / ١٨٩) كتاب الصلاة ـ بـاب مـاجـاء في كراهيـة أن يخص الإمـام نفسه بالدعاء . وهو حديث حسن .

٧٩ ـ مسلم (١ / ٣١٩) ٤ ـ كتاب الصلاة ٢٤ ـ باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها .

والنسـائي (١ / ١١٩) كتاب الإمامة ٦٣ ـ باب الركوع دون الصف .

٨٠ ـ أبو داود (٢ / ٨٨) كتاب الصلاة ـ باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله .

وهو قطعة من حديث جابر الطويل عند مسلم (٤ / ٢٣٠١) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقاق ١٨ ـ بـاب حـديث جـابر الطويل ، وقصة أبي اليسر . ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٤ / ١٦) .

٨١ ـ مسلم (٣ / ١٤٥٧) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٤ ـ باب كراهة الإمام بغير ضرورة .

وروى أبو داود الرواية الثانية (٣ / ١١٤) كتاب الوصايا ـ باب ماجاء في الدخول في الوصايا .

٨٢ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « ليسَ من نفس تُقْتَلُ ظُلْمًا إلا كانَ على ابنِ آدمَ الأولِ كِفْلٌ من دَمِها ، لأنه سَنَّ القتلَ أولاً » .

٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « لا يَحِـلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ يشهـدُ أن لا إلـه إلا الله وأني رسـولُ الله ، إلا بـإحـدَى ثـلاثٍ : الثَّيبُ الـزَّاني ، والنفْسُ بـالنَّفْسِ والتَّـارِكُ لـدينــهِ ، المفــارِقُ للجماعَةِ » .

٨٤ - * روى مسلم عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنـه ، قـال : أُتِيَ النبيُّ ﷺ برَجلٍ قَتَلَ نَفْسَه بمشاقِصَ ، فلم يُصَلِّ عليه .

أقول : أجاز الفقهاء الصلاة على من قتل نفسه ، ولعل الرسول ﷺ لم يصلِّ عليـه زجرًا للناس أن يفعلوا مثل فعله .

٨٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كُنَّا عنـدَ رسولِ الله ﷺ ، فَضَحِكَ ، فقال : « هلْ تدرون مِمَّ أضحـكُ ؟ » قلنـا : الله ورسولـه أعلم ، قـال : « مِنْ مخاطبة العبدِ ربَّه ، فيقول : يـاربِّ أَلَمْ تُجِرْني من الظلم ؟ [قـال] : يقول بلَى :

---

٨٢ - البخاري (٦ / ٣٦٤) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ١ - باب خلق آدم وذريته .
ومسلم (٣ / ١٣٠٤) ٢٨ - كتاب القسامة ٧ - باب بيان إثم من سن القتل .
والترمذي (٥ / ٤٢) ٤٢ - كتاب العلم ١٤ - باب ماجاء الدال على الخير كفاعله .
والنسائي (٧ / ٨٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ١ - باب تحريم الدم .

٨٣ - البخاري (١٢ / ٢٠١) ٨٧ - كتاب الديات ٦ - باب قول الله تعالى ﴿ أن النفس بالنفس ... ﴾ .
ومسلم (٣ / ١٣٠٢) ٢٨ - كتاب القسامة ٦ - باب مايباح به دم المسلم .
وأبو داود (٣ / ١٢٦) كتاب الحدود - باب الحكم فيمن ارتد .
والترمذي (٤ / ٤٩) ١٥ - كتاب الحدود ١٥ - باب ماجاء من شرب الخمر فاجلدوه .... .
والنسائي (٧ / ٩٠) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٥ - ذكر مايحل به دم المسلم .

٨٤ - مسلم (٢ / ٦٧٢) ١١ - كتاب الجنائز ٣٧ - باب ترك الصلاة على القاتل نفسه .
والنسائي (٤ / ٦٦) ٢١ - كتاب الجنائز ٦٨ - باب ترك الصلاة على من قتل نفسه .
وأخرجه الترمذي (٣ / ٣٨٠) ٨ - كتاب الجنائز ٦٨ - باب ماجاء فيمن قتل نفسه . ولم يذكر المشاقص .
(بمشاقص) : المشاقص ، جمع مشقص ، وهو من النصال ماطال وعرض ، وقيل : هو سهم له نصل عريض .

٨٥ - مسلم (٤ / ٢٢٨٠) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق . =

فيقول : فإني لا أجيزُ اليوم على نفسي شاهدًا إلا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، والكرام الكاتبين شهودًا ، قال : فيُختَم على فيه ، ويقال لأركانه : انطِقي ، فَتَنْطِقُ بأعماله ، ثم يُخَلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا لَكُنَّ وسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » .

٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رَجُلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجبه نفسُه ، مُرَجِّل رأسَهُ ، يختال في مِشْيَتِه إذ خَسَفَ الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة » .

٨٧ - * روى الترمذي عن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَكُنْ أحَدُكم إمَّعَةً يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنَ الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أسأتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنفسَكم إن أحسنَ الناسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا أن لا تَظلِمُوا » .

= فيختم على فيه : أي على فمه .

٨٦ - البخاري (١٠ / ٢٥٨) ٧٧ - كتاب اللباس ٥ - باب من جر ثوبه من الخيلاء .

مسلم (٣ / ١٦٥٣) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ١٠ - باب تحريم التبختر في المشي ، مع إعجابه بثيابه .

(مُرَجِّل) : شعر مرجَّل : أي مُسَرَّح .

٨٧ - الترمذي (٤ / ٣٦٤) ٢٨ - كتاب البر والصلة ٦٣ - باب ماجاء في الإحسان والعفو .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

(الإمعة) : هو الذي لا رأى له ، فيوافق الناس بالخير والشر .

٢ ـ نصوص في النفس و يراد بها الروح

قال تعالى : ﴿ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزوْن عذاب الهُون ﴾ (١) .

﴿ وإذ أخذ ربّـك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ (٢) .

﴿ الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قَضَى عليهـا الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى ﴾ (٣) .

٨٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسولُ الله ﷺ : « إذا أَوَى أحَدُكم إلى فِراشه فَلْيَنفُض فِرَاشَه بِدَاخِلةِ إزارِه ، فإنـه لايَـدْري مـاخَلَفَهُ عليه ، ثم يقول : بـاسمـك ربي وضعْتُ جنبي ، وبـكَ أرفَعُـه ، إنْ أمسكْتَ نَفْسي فارْحَمْها ، وإنْ أرْسلتَها فاحْفَظْها بما تَحفَظُ به عبادَك الصالحينَ » .

في رواية للترمـذي (٤) : أن رسولَ الله ﷺ قـال : « إذا قام أحـدُكم عن فِرَاشـه ، ثم رَجَعَ [إليه] فَلْيِنفُضه بِصَنِفَةِ ثَوْبـه ، ثلاثَ مرات ، ولْيَقل : بـاسمـك ربي وضعت جَنبِي ، وبكَ أرفعُه .. » الحديث ـ وزاد في آخره : « فإذا اسْتَيقظ فلْيَقل : الحمـد لله الذي عافاني في جسدي وَرَدَّ عَلَيَّ روحي ، وأذِن لي بذِكرِه » .

٨٩ ـ * روى الجماعة إلا الترمذي عن عائشـة رضي الله عنهـا ، أن رجلاً قـال لرسول الله ﷺ : أمّي افْتُلِتَت نفسُها ، وأظنُّها لو تَكلّمتْ تصدّقَتْ ، فهل لها أجْرٌ إن تصدّقْتُ عنهـا ؟

---

(١) سورة الأنعام : ٩٣ .   (٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) سورة الزمر : ٤٢ .

٨٨ ـ البخاري (١١ / ١٢٦) ٨٠ ـ كتاب الدعوات ١٢ ـ باب التعوذ والقراءة عند المنام .

ومسلم (٤ / ٢٠٨٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر ١٧ ـ باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع .

الترمذي (٥ / ٤٧٢) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ٢٠ ـ باب منه .

(داخِلَةُ) : الإزارِ : طَرَفُهُ . وصنفِتَهُ : طرفه أيضاً من جانب هُدْبِهِ وقيل : من جانب حاشيته .

(خَلَفَهُ عليه) : خلف فلانٌ فلاناً : إذا قام مقامه. والمراد : مايكون قد دَبَّ على فراشه بعد مُفَارقته له .

٨٩ ـ البخاري (٣ / ٢٥٤) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ٩٥ ـ باب موت الفجاءة ، البغتة .

(٤) ومسلم (٢ / ٦٩٦) ١٢ ـ كتاب الزكاة ١٥ ـ باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه .   =

قال : « نعم » .

وفي رواية : افتُلِتَتْ نفسُها ولم تُوصِ ... وذكر نحوه .

٩٠ - * روى النسائي عن عبدِ الرحمن بن أبي عُميرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما من نَفسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُها ربُّها تُحِبُّ أن ترجعَ إليكم وأنَّ لها الدنيا وما فيها ، غيرُ الشهيد » .

قال ابن أبي عميرة : قال رسولُ الله ﷺ : « لأَن أُقْتَلَ في سبيل الله أحَبُّ إليَّ مِنْ أن يكونَ لي أهل الوبَر والمَدَر » .

٩١ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : من عَادى لي وَلِيا ، فقد آذَنتُه بحرب ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مِنْ أداء ماافترضتُ عليه ، ولايزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به ، وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به ، ويدَه التي يَبطِشُ بها ، ورِجْلَه التي يَمشِي بها ، وإن سألني أعطيتُه ، وإن استَعاذَ بي أعَذْتُه ، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعلُه ، تردّدي عن نفس المؤمن ، يكره الموتَ وأنا أكرَهُ مَساءَتَه » .

قال الحافظ في الفتح حول هذا الحديث : قال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الأمور غير سائغ . ولكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولابد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء

= وأبو داود (٣ / ١١٨) كتاب الوصايا ـ باب ماجاء فيمن مات عن غير وصية يتصدق عنه .

والنسائي (٦ / ٢٥٠) ٣٠ ـ كتاب الوصايا ٧ ـ باب إذا مات الفجأة هل يستحب لأهله أن يتصدقوا عنه .

(افتُلِتَتْ نفسها) : افتلتت نفس فلان : أي مات فجاة كأن نفسه أُخِذت فجأة .

٩٠ ـ النسائي (٦ / ٣٣) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ٣٠ ـ باب تمني القتل في سبيل الله تعالى .

وأحمد (٤ / ٢١٦) . وسنده حسن .

(أهل الوبر) : أي أهل الخيام . أي البدو .

(أهل المدر) : أي أهل الحجارة والطين . أي أهل المدن .

٩١ ـ البخاري (١١ / ٣٤٠) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٣٨ ـ باب التواضع .

لنفسه . والثاني أن يكون معناه مارددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن ، كما روي في قصة موسى وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذي ماحاصله إنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات ، أي عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك . قال : وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه ، فأخبر أنه يكره الموت ويسوؤه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق . قال : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد والله أعلم .

وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره ، قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة . فإن قيل : إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما لم يحد له فيه الوقت : كأن يقال لاتقبض روحه إلا إذا رضي . ثم ذكر جوابًا ثالثًا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدًّا من امتثاله . وجوابًا رابعًا وهو أن يكون هذا خطابًا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته ، بل هو من جنس قوله « ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبًا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد ، وجوز الكرماني احتمالا آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج ، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعًا دفعة ا .هـ .

٩٢ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « نفس المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَينه حتى يُقْضَى عنه » .

* * *

---

٩٢ ـ الترمذي (٣ / ٣٩٠) ٨ ـ كتاب الجنائز ٧٦ ـ باب ماجاءَ عن النبي ... ألخ .
وإسناده حسن . قال الترمذي : هذا حديث حسن .

٣ ـ نصوص في النفس و يراد بها الروح بعد تلبسها بالجسد

قال تعالى :

﴿ و لا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (١) .

﴿ و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى ﴾ (٢) .

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ (٣) .

﴿ و نفس و ما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (٤) .

﴿ و نعلم ما توسوس به نفسه ﴾ (٥) .

﴿ و من يوق شح نفسه ﴾ (٦) .

﴿ و ما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾ (٧) .

﴿ قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل ﴾ (٨) .

﴿ لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ (٩) .

﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذّبوا و فريقًا يقتلون ﴾ (١٠) .

﴿ لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتوًا كبيرًا ﴾ (١١) .

ومن نصوص السنة :

---

(١) القيامة : ٢ .
(٢) النازعات : ٤٠ .
(٣) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) الشمس : ٧ ، ٨ .
(٥) ق : ١٦ .
(٦) الحشر : ٩ .
(٧) يوسف : ٥٣ .
(٨) يوسف : ١٨ .
(٩) البقرة : ١٠٩ .
(١٠) المائدة : ٧٠ .
(١١) الفرقان : ١١ .

٩٣ ـ * روى البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : ما رأيتُ شيئًا أشبهَ باللَّمَمِ مما قال أبو هريرة إنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ الله كتبَ على ابن آدمَ حَظَّـهُ من الزِّنـا ، أَدْرَكَ ذلك لا مَحَالَة ، فَزِنَا العينين النظرُ ، وزنا اللسـان النُّطْقُ ، والنفسُ تَمنَّى وتَشْتهي ، والْفَرْجُ يُصدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُه » .

٩٤ ـ * روى الجماعة إلا الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَعْقِدُ الشيطانُ على قَافِيَةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَـدٍ ، يَضْرِبُ على كل عُقْـدَةٍ مكانها ، عليـك ليلٌ طويلٌ فـارْقُـدْ ، فـإن استيقـظ فـذكر الله انحلَّتْ عُقْدَةٌ ، فإن توضَّأ انحلَّت عقدةٌ ، فـإن صلى انحلَّت عُقَـدُه كلُّهـا ، فـأصْبح نشيطًـا طيِّبَ النَّفْس ، و إلا أصبح خبيثَ النفس كَسْلانَ » .

٩٥ ـ * روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنـه ، قـال :ـ و قـد سُئِل عمَّـا سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقـول ـ: كان يقـول : « اللَّهمَّ إني أعـوذ بـك من العجْـزِ والكَسَـلِ ، و الجُبنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، وعـذاب القبر ، اللَّهمَّ آتِ نَفسي تَقْـوَاهـا ، و زَكِّهـا أَنت خيرُ مَنْ زكَّاهَا ، أَنتَ وَلِيُّها و مولاهـا ، اللَّهمَّ إني أعوذ بـك من علم لا ينفعُ ، و من قَلبٍ لا يَخشَع ، ومن نَفس لا تشبع ، ومن دعوة لا تُستَجَاب » .

٩٦ ـ * روى الترمذي عن فَضَالَةَ بنِ عُبيدٍ رضي الله عنه ، قال : قـال رسول الله ﷺ : « المجاهِدُ مَن جَاهَدَ نفسه » .

---

٩٣ ـ البخاري (١١ / ٥٠٢) ٨٢ ـ كتاب القدر ٩ ـ باب ﴿ وحرام على قرية أهلكناها ... ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ٥ ـ باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره .
وأبو داود (٢ / ٢٤٦) كتاب النكاح ٤٣ ـ باب مايؤمر به من غض البصر .

٩٤ ـ البخاري (٣ / ٢٤) ١٩ ـ كتاب التهجد ١٢ ـ باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل .
ومسلم (١ / ٥٣٨) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين ٢٨ ـ باب ماروي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .
وأبو داود (٢ / ٣٢) أبواب التطوع ١٨ ـ باب قيام الليل .
والنسائي (٣ / ٢٠٣) ٢٠ ـ كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، ٥ ـ باب الترغيب في قيام الليل .
ومالك (١ / ١٧٦) ٩ ـ كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٥ ـ باب جامع الترغيب في الصلاة .

٩٥ ـ مسلم (٤ / ٢٠٨٨) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ١٨ ـ باب التعوذ من شر ماعمل ومن شر مالم يعمل .

٩٦ ـ الترمذي (٤ / ١٦٥) ٢٣ ـ كتاب فضائل الجهاد ٢ ـ باب ما جاء في فضل من مـات مرابطًا . وقـال حـديث حسن صحيح . وأحمد (٦ / ٢٠ ، ٢٢) . وإسناده حسن .

٩٧ - * روى مسلم عن جـابرِ بن عبـدِ اللهِ رضي الله عنهما ، أنَّ رسـولَ الله ﷺ رأى امرأةً ، فأتى امرأته زينبَ ، وهي تَمْعَس مَنيئةً [له] ، فقضى حـاجتـه منهـا ، ثم خرج إلى أصحابه ، فقـال : « إن المرأةَ تُقبل في صورة شيطـان ، وتُـدبرُ في صورة شيطـانٍ ، فإذا أبصر أحدُكم امرأةً فليأتِ أهله ، فإن ذلك يَرُدُّ ما في **نفسه** » .

٩٨ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « ليس الغني عن كثرة العَرَض ، و لكنَّ الغِنى غنى النفس » .

٩٩ - * روى البخاري و مسلم عن سهلِ بن حنيفٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يقولَنَّ أحدُكم : خَبُثَتْ نفسي ، ولكن لِيقُل : لَقِسَتْ **نفسي** » .

---

٩٧ - مسلم (٢ / ١٠٢١) ١٦ - كتاب النكاح ٢ - باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه ... ألخ .
(تمعس منيئة) : تَدْبَغُ إهاباً . ويقال : منيئة مادام في الدباغ ، وأصل المَعْس : المعكُ والدَّلْكُ .
٩٨ - البخاري (١١ / ٢٧١) ٨١ - كتاب الرقاق ١٥ - باب الغنى غنى النفس .
ومسلم (٢ / ٢٧٦) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٠ - باب ليس الغنى عن كثرة العرض .
والترمذي (٤ / ٥٨٦) ٣٧ - كتاب الزهد ٤٠ - باب ماجاء أن الغنى غنى النفس .
٩٩ - البخاري (١٠ / ٥٦٣) ٧٨ - كتاب الأدب ١٠٠ - باب لا يقل خبثت نفسي .
ومسلم (٤ / ١٧٦٥) ٤٠ - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ٤ - باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي .
(لَقِستْ نفسي من الشيء تلقس) : إذا غثت ، واللقس : الغثيان ، وإنما كره « خَبُثَتْ » هرباً من لفظ الخبث .

٤ ـ نصوص في النفس و يراد بها القلب

قال تعالى :

﴿ وتُخْفي في نفسك ما الله مُبدِيه ﴾ (١) .

﴿ فأسرّها يوسف في نفسه و لم يُبْدِها لهم ﴾ (٢) .

﴿ يُخْفُون في أنفسهم ما لا يُبْدُون لك ﴾ (٣) .

﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويُسَلّموا تسليمًا ﴾ (٤) .

﴿ و جحدوا بها واستيقنتها أنفسُهم ظلمًا وعلوًا ﴾ (٥) .

من النصوص النبوية :

١٠٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا نُودي بالصلاة أدْبَرَ الشيطانُ له ضُراطٌ حتى لا يَسمع التأْذِينَ ، حتى إذا قُضِيَ التثويبُ ، أقبل حتى يَخْطِرُ بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا ، واذكر كذا ، لِمَا لم يكنْ يَذْكُرُ من قَبْلُ ، حتى يَظَلَّ الرَّجُل ما يدري كم صلى ».

١٠١ ـ * روى أبو داود عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال : بَعَثَتْني قُرَيْشٌ إلى رسولَ الله ﷺ ، فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أُلقِي في قلبي الإسلامُ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إني والله لا أَرْجِعُ إليهم أبدًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إني لا أَخيسُ بالعهدِ ، ولا أَحْبِسُ البُرُدَ ، ولكنِ ارْجِع ، فإن كان في نفْسِك الذي في نفسك الآن فارْجِعْ » ، قال : فذهبتُ ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فأسلمتُ .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .
(٢) يوسف : ٧٧ .
(٣) آل عمران : ١٥٤ .
(٤) النساء : ٦٥ .
(٥) النمل : ١٤ .

١٠٠ ـ البخاري (٢ / ٨٤) ١٠ ـ كتاب الأذان ٤ ـ باب فضل التأذين .

ومسلم (١ / ٢٩١) ٤ ـ كتاب الصلاة ٨ ـ باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .

١٠١ ـ أبو داود (٣ / ٨٢) كتاب الجهاد ١٥١ ـ باب في الإمام يستجن به في العهود . وإسناده صحيح .

قال أبو داودَ : و كان أبو رافع قبْطِيًّا ، قال : وإنما كانوا يَرَدُّونَ أول الزمان ، و أما الآن فلا يصلح .

١٠٢ ـ * روى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ مات ولم يَغْزُ ، و لم يُحدِّثْ به نَفْسَهُ ، مات على شُعْبَةٍ من النِفاق » . قال ابنُ المُبَارك فَنَرى أنَّ ذلك كان على عهدِ رسول اللهِ ﷺ .

١٠٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذَكَرَني ، فإن ذكرني في نفسه ذَكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في مَلإٍ ذكرتُه في مَلإٍ خيرٍ منه ، وإنْ تَقرَّبَ إليَّ شِبْراً تَقَرَّبتُ إليه ذِراعًا ، وإنْ تَقَرب إليّ ذِراعًا اقْتَرَبتُ إليه بَاعًا ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَةً » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله : (ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) قال ابن بطال : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ووصف العبد بالتقرب إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال ، فلما استحالت الحقيقة تعيَّن المجاز لشهرته في كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرًا وذراعًا وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده وإتيانه والمشي عبارة عن إثابته على طاعته وتقربه من رحمته ، ويكون قوله أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعا ، وثقل عن

---

١٠٢ ـ مسلم (٣ / ١٥١٧) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٤٧ ـ باب ذم من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو .
وأبو داود (٣ / ١٠) كتاب الجهاد ١٧ ـ باب كراهية ترك الغزو . وعنده : « شعبة نفاق » .
والنسائي (٦ / ٨) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ٢ ـ باب التشديد في ترك الجهاد .

١٠٣ ـ البخاري (١٣ / ٣٨٤) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ١٥ ـ باب قول الله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢٠٦١) ٤٨ ـ كتاب الذكر ١ ـ باب الحث على ذكر الله تعالى .
والترمذي (٥ / ٥٨١) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ١٣٢ ـ باب في حسن الظن بالله عز وجل .
(الملأُ) : أشْرَافُ النَّاس ، ورؤساؤهم الذين يَرْجعُونَ إلى أقوالهم .

الطبري أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه والضعف من الكرامة والثواب بالذراع فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته أن ثواب عمله له على عمله الضعف وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى ، وقال ابن التين : القرب هنا نظير ماتقدم في قوله تعالى ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة ، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر ، قال : والهرولة ضرب من المشي السريع وهي دون العدو . وقال صاحب المشارق : المراد بما جاء في هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أو تيسير طاعته وتقويته عليه وتمام هدايته وتوفيقه والله أعلم بمراده . ا.هـ .

١٠٤ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قالْ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول « والذي نفسي بيده ، لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لاتطيب أنفسُهم بأن يتخلَّفوا عنِّي ، ولا أجدُ ماأحملهم عليه ، ماتخلَّفْتُ عن سَرِيَّةٍ . تَغْزُو في سبيل الله ، ولَودِدْتُ أني أُقْتَلُ في سبيل الله . ثم أُحيا ، ثم أُقتل ، ثم أُحيا ، ثم أُقتل ثم أُحيا ، ثم أُقتل » .

١٠٥ - * روى أبو داود عن معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه ، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنْ قاتَل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وَجَبَتْ له الجنةُ ، ومَنْ سأل الله القَتْلَ في سبيل الله صادقًا مِنْ نَفْسِه ، ثم مات أو قُتل : كان له أجرُ شهيدٍ ، ومَنْ جُرِحَ جُرْحًا في سبيل الله ، أو نُكِبَ نَكْبةً ، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزرِ ما كانت ، لونها لونُ الزعفران ، وريحُها رِيحُ المِسْك ، وَمنْ خَرَج به خُرَّاجٌ في سبيل الله ، فإنَّ عليهِ طابَع الشُّهداء » .

---

١٠٤ - البخاري (٦ / ١٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ٧ - باب تمني الشهادة .

١٠٥ - أبو داود (٣ / ٢١) كتاب الجهاد ٤٠ - باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة .

الترمذي (٤ / ١٨٣ ، ١٨٥) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ١٩ - باب ماجاء فيمن سأل الشهادة ، و ٢١ - باب ماجاء فيمن يكلم في سبيل الله وقال : هذا حديث حسن صحيح .

النسائي (٦ / ٢٥) ٢٥ - كتاب الجهاد ٢٥ - باب ثواب من قاتل في سبيل الله فواق ناقة .

ابن ماجه (٢ / ٩٣٣) ٢٤ - كتاب الجهاد ١٥ - باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى .

وأخرجه ابن حبان - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧ / ٦٧) . والحاكم في المستدرك (٢ / ٧٧) وصححه .

وبعد : فهذه نصوص في الجسد والعقل والقلب والروح والنفس بدأنا بها قسم العقائد لأنّ لها صلة بها ، ثمّ إنّ لها صلة بالتكليف الذي هو الفصل الثاني من هذا الباب : فهناك تكاليف للذات وهناك تكاليف جسديّة ، والنية وأصل الإيمان لابدّ منها لقبولها ، وهناك تكاليف للنفس ، ومن تكاليفها أن تزكّى من الأمراض كالحسد والعجب والكبر . وهناك تكاليف للقلب أن يؤمن وأن ينوّر ، وللروح ارتباط بهذا كلّه فهي المكلّفة بالعبوديّة لله ، وكلّ ما كلّف به الإنسان إنّما هو تحقيق لما كلّفت به الروح من العبوديّة لله رب العالمين ، لهذه الأسباب وغيرها قدّمنا هذا الفصل ، فقد رأينا أنّ بعض الناس يغلطون في فهم هذه المصطلحات الشرعيّة ويترتّب على الغلط فيها شرّ كبير وانحراف خطير ، وها نحن ننتقل إلى الفصل الثاني لنعرّف بالتكليف وماهيّته وشروطه ثمّ ننتقل إلى الحديث عن الإسلام والإيمان اللذين كلّف الله بهما عباده .

* * *

الفصل الثاني

في:

التكليف ومسؤولية الإنسان أمام الله عز وجل

وفيه:

مقدمة ونصوص ونقول ومسائل

المقدمة

جعل الله عزوجل الإنس والجن مسؤولين أمامه ، مكلّفين بالعبادة والعبودية له و محاسبين على ذلك ومجازين عليه في الدنيا وفي الآخرة . قال تعالى :

﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [١] .

﴿ **يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا** ﴾ [٢] .

فالإنسان من المخلوقات المحسوسة هو المكلّف الوحيد ، والجن من المخلوقات المغيّبة هم المكلّفون الوحيدون .

و التكليف الشرعي في الاصطلاح هو طلب الله عز وجل من المكلّفين مافيه كلفة في الفعل أو الترك ، و يدخل في الفعل الفريضة و الواجب و المندوب ، ويدخل في الترك الحرمة والكراهة .

قال البغدادي : التكليف في اللغة مأخوذ من الكلفة وهي التعب و المشقة ثم أطلق التكليف في الشرع على الأمر و النهي .

والتكليف منوط بالعقل وببلوغ الدعوة ، وبالبلوغ وبوجود ما به يدرك الخطاب من الحواس ، فمن ولد أعمى أصم أو أصابه العمى والصم قبل أن يعقل الخطاب لا يعتبر مكلّفا لأنّ شرط التكليف فهم الخطاب ، أمّا إذا كان سميعًا أعمى أو أصمّ مبصرًا يستطيع الفهم فهو مكلّف بقدر ما يفهم ، أمّا العقل فلاتكليف إلا به ، ألا ترى أنّ الله عز و جل خاطب الناس بقوله ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ [٣] فمن لا عقل له لا حُجّة عليه ، وأما بلوغ الرسالة فهو شرط من شروط التكليف فمن لم تبلغه الرسالة لا يكون مكلّفا . قال تعالى : ﴿ **رسلاً مبشّرين ومنذِرين لئلا يكون للناس على الله حُجّةٌ بعد الرسل** ﴾ [٤] .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) الأنعام : ١٣٠ .
(٣) البقرة : ٤٤ .
(٤) النساء : ١٦٥ .

﴿ و ما كنّا معذّبين حتّى نبعثَ رسولاً ﴾ [١] .

﴿ لأُنذِرَكُم به و من بَلَغَ ﴾ [٢] .

ومن رحمة الله عز و جل أنّه لم يجعل الإنسان مكلّفا قبل البلوغ وذلك لقصور عقله عن استيعاب التكليف و القيام بحقوقه قبل ذلك لكنّ الشّارع كلّف أهل الولاية عليه أن يؤدّبوه ليؤهّلوه للقيام بالتكليف بعد البلوغ .

و إذا أردنا أن نعرف التكليف باختصار فإنّنا نصفه بأنّه معرفة الله والرسول ﷺ والإسلام والقيام لله عز و جل بحقوق العبادة والعبوديّة وبإقامة مايطلب من المكلّف من الإسلام .

* * *

إن مسئولية الإنسان أمام الله عز و جل من أخطر القضايا تأثيرًا على السلوك البشري و من أعظم القضايا التي يجب على الإنسان أن يعرفها ، فالإنسان الذي لا يستشعر مسئوليته أمام الله عز و جل يحب أن ينطلق بلا حدود ، و من ها هنا تأتي فكرة حيوانية الإنسان و ما يترتب عليها من فوضى شاملة ، و تأتي فكرة اتباع الأهواء و مايترتب عليها من خراب شامل ، قال تعالى : ﴿ و لو اتّبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن ﴾ [٣] .

أما إذا أقرّ الإنسان بمسئوليته أمام الله عز وجل ، و اعترف بذلك واعتنق دينه الحق الإسلام ، و عرف أنه مجازَى على ذلك أمامه في حياة أخرى ، فإن ذلك ينبثق عنه كل خير . قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً أصلُها ثابت وفرعُها في السماء * تؤتي أكُلَها كل حين بإذن ربها ﴾ [٤] .

(١) الإسراء : ١٦٥ .
(٢) الأنعام : ١٩ .
(٣) المؤمنون : ٧١ .
(٤) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

و لقد جعل الله عز و جل مسئولية الإنسان في رسالته الخاتمة تنحصر بالتسليم له بالإسلام الذي أنزله على محمد عليه الصلاة والسلام .

وإن فهم الإسلام و التكاليف التي يطالب به كل إنسان و هو ما يسمى بالمطلوبات العينية و فهم ماتطالب به الأمة الإسلامية و مما يطلق عليه اسم المطلوبات الكفائية ، من أوجب الواجبات على كل مسلم ، وقد فصلنا ذلك في كتاب : « كي لا نمضي بعيدًا عن احتياجات العصر » . وذكرنا هناك تفصيلات للمطلوبات العينية و الكفائية ، و ذكرنا أن المسلم لو استهدى بتفصيلات هذه الشئون لكفاه ذلك للوصول إلى سيادة العالم بإذن الله ، و لنال بذلك الخلود الأبدي في نعيم الله وجنته ، و من رحمة الله أن جعل التكليف بالإسلام في دائرة اليسر ورفع الحرج ، و جعله منوطًا بالطاقة ، فكل مالايدخل في دائرة الوسع أو يدخل الإنسان في دائرة الحرج فقد خفف الله عز و جل فيه .

و تفصيلات هذا الأمر أكبر من أن يحاط بها ولذلك فإننا هاهنا سنقتصر على لُبابٍ من النقول وعلى أصولٍ من النصوص ندرك فيها الكثير مماذكرناه في مقدمة هذا الفصل .

* * *

١ ـ نصوص و نقول في التكليف

قال تعالى :

﴿ أيحسَب الإنسان أن يترك سُدى ﴾ (١) .

﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعَها ﴾ (٢) .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٣) .

﴿ وأوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذِرَكم به ومن بلغ ﴾ (٤) .

﴿ وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ (٥) .

﴿ ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ (٦) .

ومن نصوص السنة المتعلقة بالتكليف :

١٠٦ ـ * روى الجماعة إلا الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى تَجاوزَ لأُمَّتي ما حدَّثتْ به أنْفُسَها ، ما لم يَعْمَلُوا به أو يتكلَّمُوا » .

ولَفْظُ أَبي داود : « إنَّ الله تَجاوَز لأُمَّتي ما لم تَكَلَّم به أو تعمَلَ به ، وما حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها » .

---

(١) القيامة : ٣٦ . (٢) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) البقرة : ١٨٥ . (٤) الأنعام : ١٩ .

(٥) الإسراء : ١٥ . (٦) الإسراء : ٣٦ .

١٠٦ ـ البخاري (١١ / ٥٤٨) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١٥ ـ باب إذا حنث ناسيا في الأيمان .

مسلم (١ / ١١٦ ، ١١٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٥٨ ـ باب تجاوز الله عن حديث النفس ... إلخ .

أبو داود (٢ / ٢٦٤) كتاب الطلاق ، ١٥ ـ باب في الوسوسة بالطلاق .

الترمذي (٣ / ٤٨٩) ١١ ـ كتاب الطلاق ، ٨ ـ باب ماجاء فين يحدث بطلاق امرأته .

النسائي (٦ / ١٥٦) ٢٧ ـ كتاب الطلاق ، ٢٢ ـ باب من طلق في نفسه .

١٠٧ - * روى أبو داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : أُتيَ عُمَرُ بمجنونةٍ قد زَنَتْ ، فاستشار فيها أُناسًا ، فأمرَ بها أن تُرجَمَ ، فَمَرَّ بها عليُّ بن أبي طالب ، فقال : ما شأْنُ هذه ؟ قالوا : مجنونةُ بني فُلانٍ زَنَتْ ، فأمَرَ بها [عمر] أنْ تُرْجمَ ، فقال : ارجعِوا بها ، ثم أتاه ، فقال : ياأميرَ المؤمنين ، أمَا علمتَ أنَّ القَلَمَ قد رُفِعَ عن ثَلاثةٍ : عن المجنون حتى يبرَأَ ؟ - وفي رواية : يَفيقَ - ، وعن النائم حتى يستيقظَ ، وعن الصبيِّ حتى يَعقِلَ ؟ فقال : بَلى ، قال : فما بالُ هذه ؟ قال : لا شيءَ ، [فأَرسِلها] ، قال : فأرسلها عمرُ ، قال : فَجَعَلَ يُكَبِّرُ .

وفي أخرى : قال له أو مَا تَذْكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ : عن المجنونِ المغلوب على عَقْله ، وعن النَّائِم حتى يَستيقظَ ، وعن الصَّبيِّ حتى يَحْتَلِمَ » ؟ قال : صَدَقْتَ فَخلَّى عنها .

وفي أخرى قال : أُتِي عمرُ بامرأةٍ قد فَجَرَتْ ، فَأَمَر برجْمها ، فمرَّ عليٌّ ، فَأَخَذَها ، فَخَلَّى سبيلَها ، فأُخْبِرَ عُمرُ ، فقال : ادْعوا لي عَليًّا ، فجاء عليٌّ ، فقال : ياأمير المؤمنين ، لقد علمت أنَّ رسول الله ﷺ قال : « رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ : عن الصبيِّ حتى يَبلُغَ ، وعن النائم حتى يستَيقظَ ، وعن المعتُوهِ حتَّى يَبْرَأَ » .

وإنَّ هذهَ مَعتُوهَةُ بني فُلانٍ ، لَعَل الذي أتاها أَتَاها في بلائها .

١٠٨ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ ، رفعه : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

(الأمّة) : هنا : أمة الدعوة وهم المكلفون من الإنس والجن ، وإذا كان اليهود

---

١٠٧ - أبو داود (٤ / ١٤٠) كتاب الحدود ، ١٦ - باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا .

قال محقق الجامع : وإسناده حسن وهو حديث صحيح بطرقه .

(فَجرَتْ) : الفُجُورُ : الزِّنا .

(المعتوه) : المجنونُ المصَاب في عقله .

١٠٨ - مسلم (١ / ١٣٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٠ - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ .

والنصارى يستحقون النار إذا لم يؤمنوا به وهم أهل دين سماوي في الأصل فمن باب أولى غيرهم .

وهل مجرد السماع بمحمد ﷺ يوجب على من سمع به أن يبحث ثم يؤمن أو أنه السماع الذي تقوم به الحجة كأن يسمع من مسلم مباشرة أو بالواسطة ؟

قولان للعلماء :

فالغزالي يرى أنّ بلوغ الدعوة الذي تقوم به الحجّة هو ما كان عن طريق مسلم بشكل مباشر كالكلام المباشر ، أو بشكل غير مباشر كالكتاب والخطاب ،وفي عصرنا تكاد الحجّة أن تكون قد قامت على كلّ إنسان ، فما من إنسان إلا وقد سمع عن الإسلام ورسوله بواسطة المذياع أو التلفاز أو الكتاب أو المجلّة أو المحاضرات أو الدعوة المباشرة أو الخلطة لمسلم .

وكان شيخنا الحامد (رحمه الله) يرى أنّ الحجّة في عصرنا قد قامت على كلّ إنسان بما شاع واستفاض عن بعثة محمد ﷺ ممّا يوجب على الإنسان البحث والسؤال ، فإذا لم يفعل فهو المقصّر .

وهل هناك مخففّات في حقّ بعض النّاس ؟ وهل هذه المخففّات تعفي من العقاب والحساب فتسقط التكليف أو أنها تقتضي تكليفًا آخر يوم القيامة ؟ إن الحديث اللاحق يجيب على هذا :

١٠٩ ـ * روى أحمد عن الأسودِ بن سريع ، أن نبي الله ﷺ قال : « أربعةٌ يحتجون يوم القيامة : رجلٌ أصمُ لا يسمعُ شيئًا ورجلٌ أحمقُ ورجل هَرِمٌ ورجل مات في فترةٍ : فأما الأصمُ فيقول لقد جاء الإسلام وما أسمعُ شيئًا ، وأما الأحمقُ : فيقول

---

١٠٩ ـ أحمد (٤ / ٢٤) .

والطبراني (١ / ٢٨٧) .

قال في مجمع الزوائد (٧ / ٢١٦) :

رواه أحمد والبزار إلا أنه قال يُعرضُ على الله الأصمُ الذي لا يسمع شيئاً والأحمق والهرم ورجل مات في الفترة . رواه الطبراني بنحوه وذكر بعده إسنادا إلى أبي هريرة قال مثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها ـ هذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال =

يارب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبَعْرِ ، وأما الهرم فيقول يارب لقد جاء الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا . وأما الذي مات في فترة فيقول : ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم لَيطيعُنَّه فَيرسل إليهم أن ادخلوا النارَ . فو الذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا » .

وفي الحديث : إشارة إلى ثِقَل التكليف بالإيمان بالغيب ، فإنه لايعدل ذلك إلا أن يمتحن الإنسان بعد أن ينكشف الغيب بأن يؤمر في دخول النار ، وما أشدّه من امتحان ؟ وما أثقل الإيمان بالغيب في الميزان ؟؟؟

قلنا إن شروط التكليف : العقل والبلوغ وبلوغ الدعوة ووجود الحواسّ التي يتأتى بها فهم الخطاب ، ولفهم موضوع البلوغ نذكر ماقاله أبو زهرة في كتابه أصول الفقه :

« ولكن ماهو حد البلوغ الذي يخرج به الغلام من دور الصبا إلى دور الرجولة المكلفة المتحملة للتبعات ؟ قالوا إنه يكون ببلوغه النكاح ، فالجارية برؤيتها الحيض ، والغلام بالاحتلام ، وذلك لأن القرآن حدّ البلوغ ببلوغ النكاح ، أي الصلاحية لاستيفاء حقوق ذلك العقد ، إذ يقول تعالى : ﴿ **وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم** ﴾ وإن الأمارات الحسية هي التي تدل على بلوغ النكاح ، والشارع يعتبر الأمور مغيرة للأحكام بأمارات حسية .

وإذا لم تظهر هذه الأمارات الحسية في إبّان المراهقة ، اعتبر البلوغ بالسن ، وجمهور الفقهاء يعتبرون سن البلوغ خمسة عشر عاما » ا . هـ .

أقول :

والحمل في حق المرأة ينوب مناب الحيض ، والإنزال بالنسبة للرجل ينوب مناب الاحتلام ، والمراد بالبلوغ في السن : السنون القمرية ، وهاتان روايتان حول البلوغ بغير السنّ :

= الصحيح وكذلك رجال البزار فيها . ا . هـ .

(البَعْر) : جمع بَعْرة : رجيع ذوات الخُفّ وذوات الظِّلْف إلا البقر الأهلي .

١١٠ ـ * روى البخاري معلقًا عن الحسن بن صالح ، قال : أدركْتُ جارة لنا جَدَّة ، بنتَ إحدى وعشرين سنة .

١١١ ـ * أخرج البخاري تعليقا عن المُغيْرَةِ بنِ مِقْسَمٍ الضَّبِّيِّ رحمه الله ، قال : احتلمت وأنا ابنُ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ سَنةً .

وبعد إذ أخذنا تصوّرًا عن شروط التكليف وعرفنا أنّه بالعقل والبلوغ والتبليغ ووجود الحاسّة التي يفهم بها التبليغ تقوم الحجّة على الإنسان فيكون مكلفًا بالإسلام ، فإنّه من المناسب أن نذكر أنّ الإنسان في دار الإسلام يعتبر مكلّفًا حكمًا ، وأمّا خارج دار الإسلام فلا يعتبر مبلغاً إلا إذا جاءه التبليغ من مسلم بشكل مباشر أو غير مباشر (على رأى الغزالي كما ذكرنا) سواء كان ذلك باللسان أو بالكتاب أو بوسيلة من وسائل الإعلام ، أمّا إذا بلغته الصورة مشوّشة عن كافر ولم يصل إليه الإسلام بواسطة صحيحة من الوسائط فقد ذهب الغزالي إلى أن التبليغ لم يحصل له وهذا في غير دار الإسلام .

وقال البغدادي في أصول الدين :

« وقال أصحابنا إن الواجبات كلها معلوم وجوبها بالشرع . وقالوا فيمن كان وراء السد أو في قطر من الأرض ولم تبلغه دعوة الإسلام يُنْظرُ فيه فإن اعتقد الحق في العدل والتوحيد وجَهِل شرائع الأحكام والرسل فحكمه حكم المسلمين وهو معذور فيما جهله من الأحكام لأنه لم يقم به الحجة عليه . ومن اعتقد منهم الإلحاد والكفر والتعطيل فهو كافر بالاعتقاد وينظر فيه فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء عليهم السلام فلم يؤمن بها كان مستحقا للوعيد على التأبيد . وإن لم تبلغه دعوة شريعة بحال لم يكن مكلفا ولم يكن له في الآخرة ثواب ولا عقاب فإن عذبه الله في الآخرة كان ذلك عدلا منه ولم يكن عقابًا له كما أن إيلام

---

١١٠ ـ البخاري (٥ / ٢٧٦) ٥٢ ـ كتاب الشهادات ١٨ ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم .

قال الحافظ في « الفتح » : وقد رويناه موصولاً في « المجالسة » للدينوري من طريق يحيي بن آدم نحوه ، وأقل أوقات الحمل تسع سنين .

١١١ ـ البخاري (٥ / ٢٧٦) ٥٢ ـ كتاب الشهادات ١٨ ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم .

قال الحافظ في « الفتح » : جاء مثله عن عمرو بن العاص ، فإنهم ذكروا أنه لم يكن بينه وبين ابنه عبد الله بن عمرو في السن سوى اثنتي عشرة سنة .

الأطفال والبهائم في الدنيا عدل من الله تعالى وليس بعقاب لهم على شيء . وإن أنعم عليه في الآخرة فهو فضل منه وليس بثواب لـه على الطـاعـة ، كما أن إدخـالـه ذراري المسلمين الجنـة فضل منه وليس بثواب على طاعة . وإن كان هذا الـذي لم تبلغـه دعوة الإسلام غير معتقـد كفرًا ولا توحيدًا فليس بمؤمن ولا كافر فإن شـاء الله عـذبـه في الآخرة عـدلا وإن شـاء أنعم عليه فضلا » ا .هـ .

* * *

مباحث في العذر بالجهل

ولعلمائنا مباحث تصل إلى موضوعنا بسبب : يبحثونها عادة تحت عنوان الجهل بالأحكام متى يعتبر عذرًا ، وقد لخصّ الشيخ أبو زهرة في كتابه أصول الفقه : هذه الأبحاث وهذه مستخلصات من كلامه :

الأحكام الشرعية المقررة في الكتاب والسنة ، والأمور التى انعقد الإجماع عليها لا يسع أحدًا أن يخالفها بدعوى الجهل بها ، فلا يُعَدّ هذا الجهل عذرًا مسوّغًا ، وذلك لمن يقيم في الديار الإسلامية .

وهذا النوع من العلم هو الذي يسميه الشافعي رضي الله عنه [علم] عامة لا يسع أحدًا أن يجهله . وذلك لأن العلم قسمان ، تولى النص بيانها ، ولنترك الكلمة للإمام العظيم ، فهو يقول في رسالة الأصول :

« العلم علمان : علم عامة لا يسع أحدًا غير مغلوب على عقله جهله ، مثل الصلوات الخمس ، وأن لله على الناس صوم رمضان وحج البيت إذا استطاع ، وزكاة أموالهم ، وأنه حرم عليهم القتل والزنى والسرقة والخمر ، وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يعلموه ويعملوا به ويعطوه من أنفسهم وأموالهم ، وأن يكفوا عما حرم عليهم منه ، وهذا الصنف كله من العلم موجود نصا في كتاب الله تعالى ، وموجود عامًا عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله ﷺ ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه ، وهذا العلم هو الذي لا يمكن الغلط فيه من الخبر ولا التأويل ولا يجوز التنازع فيه » .

وبهذا يتبين أن هذا العلم هو المأخوذ من صريح الكتاب والسنة المتواترة ، والمشهور من الأحاديث الذي انعقد على أحكامه إجماع المسلمين .

أما القسم الثاني فقد بينه الشافعي في الرسالة أيضاً ، وسماه علم الخاصة ، وهو ما ينوب العباد من فروع الفرائض ، ولم يرد فيه نص صريح من كتاب أو سنة ولم ينعقد عليه إجماع .

وإن هذا النوع من العلم يختص به الفقهاء الـذين عكفوا على الـدراسـات الفقهيـة ، وهو درجة عاليـة يسع العـامـة أن يجهلوه ولا يسع الفقهـاء أن يهملوه . وبهـذا يتبين أن الأصول العـامـة للمحرمـات والفرائض تعتبر كل مُقيم في الـديـار الإسلاميـة على علم بها ، ولا يعـذر بالجهل به ، إلا في حـال الاشتبـاه ولا يستثنى من ذلـك الـذميون الـذين يقيمون في الـديـار الإسلامية . فلا يعذرون في الجهل بالحد والقصـاص والـدِيـاتِ وموجبـاتها ، وغير ذلـك مما يطبق عليهم من عقوبـات تطبق على المسلمين ، وذلـك لأنهم يقيمـون في الـديـار الإسـلاميـة فيفترض فيهم مثلاً العلم بما يعلمه عامتهم من أن :

الزنى يوجب الحد ، وغير ذلك من العقوبـات مع موجبـاتها ، ولأنهم يقيمون مع المسلمين على أساس أن لهم ماللمسلمين ، وعليهم ماعليهم .

وإن الأحكام التفصيليـة التي تـؤخـذ بـالاستنبـاط بـالأقيسـة وغيرهـا من طرق الرأي لا يعرفها كما ذكرنا إلا الخاصة من علماء الشرع المتخصصين .

... هذا وإن الجهل بأحكام النصوص منه ما يكون عذرًا ، ومنه ما لا عذر فيـه ، ولقـد ضبط علماء الأصول ذلك في أقسام أربعة :

القسم الأول ـ جهل لا يعذر فيه صاحبه ، ولا شبهـة فيـه كالردة بعـد إيمـان ، وارتكاب مانص القرآن نصًا قاطعًا على تحريه معتقدًا حِلَّهُ ، وكذلك ماتواتر وثبت بـالإجمـاع ، فـإن الجهل بهذا إثم ، والإثمُ لا يبرر الإثمَ .

وقد ذكر علماء الأصول من ذلك جهل غير المسلم بالوحدانية ، وجهله بالرسالـة المحمـديـة إذا بُلِّغَ الدعوة الإسلامية على الوجه الصحيح . وأقيمت الأدلة القاطعة بصدقهـا ، فـإنهم قـالوا إن ذلك جهل لايعذر صاحبه .

... **القسم الثاني ـ** جهل يعذر فيه الشخص لأنه موضع اشتباه من حيث الدليل ، وذلـك يكون في الجهل بـالمسـائل التي يحتـاج فهمهـا إلى ضرب من التـأويل والتفسير ، وتكون هي محتملة للتأويل ، والحق فيها لايتبين إلا بعد الفحص والتأمل ....

... **القسم الثالث ـ** الجهل في مواضع الاجتهاد ، والجهل الذي لا تتوافر فيـه أسبـاب العلم

توافرًا تامًا ، أو يكون الجهل معه شبهة أسقطت العقاب .....

... القسم الرابع - الجهل بالأحكام الإسلامية في غير الديار الإسلامية وهو جهل قوي إلى درجة أن جمهور الفقهاء قال إنه تسقط عنه التكليفات الشرعية ، حتى إنه لو أسلم رجل في دار الحرب ، ولم يهاجر إلى الديار الإسلامية ، ولم يعلم أنه عليه الصلاة والصوم والزكاة ، ولم يؤد فرضًا من هذه الفرائض . فإنه لا يؤديها قضاء إذا علم ، وقال زُفَرُ يجب عليه أن يؤديها إذا علم ، ووجهه أنه بقبوله الإسلام صار ملتزمًا أحكامه وعليه أداؤها ، ويعذر إذا لم يؤدها في وقتها ، ولكن إذا علم فحكم الالتزام ثابت ، ويجب عليه قضاء ما التزم .

ووجهة جمهور الفقهاء ، أن دار الحرب ليست موضع علم بالأحكام الشرعية ، فلم تستفض فيها مصادر الأحكام ، ولم تشتهر ، فكان الجهل جهلا بالدليل ، والجهل بالدليل يسقط التكليف ، إذ لم يتوجه الخطاب .

وعلى ذلك يتميز هذا القسم عن بقية الأقسام السابقة ، بأن الجهل هنا ليس عذرًا فقط ، بل إنه مسقط للخطاب .

ويجب أن نقرر هنا أنه إذا كان الجهل ليس موضوعه أمرًا من الأمور التي تعد من أصول الإسلام الثابتة بالكتاب والسنة ، بل كان أمرًا هو موضوع اجتهاد واختلف فيه الفقهاء ، واختار ولي الأمر الأخذ بأقوال بعض الأئمة ، وأعلن ولي الأمر الأخذ به ، فإن ذلك يكون موضوع عذر ، حتى يشيع الإعلان بحيث لا يسع أحدًا أن يجهله » ا . هـ . كلام أبي زهرة .

أقول : هناك أمور معلومة من الدين بالضرورة ، فهذه لا يعذر أحد بالجهل بها في دار الإسلام ، فمن أنكرها أو جهلها كفر وبالتالي : لا يعتبر مسلمًا بسبب الجهل أو الإنكار ، وفقهاء الحنفيّة يحكمون بكفره قبل أن يقرّ بها ، فإذا أقرّ بها بعد البيان فكأنّه أسلم من جديد ويرتبّون على ذلك فساد نكاحه وبطلان حجه ، وأمّا الشافعية فيقولون : لا يكفر بالجهل إلا بعد البيان فإذا أصرّ بعد البيان حكم بكفره .

وأمّا الجهل بالأحكام التي تعتبر معرفتها فريضة عينيّة على كلّ مسلم ممّا ليس من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فهذه الجهل بها في دار الإسلام فسوق ، والفتوى هي التي تحكم

التقصير في العمل من وجوب التوبة وحدها أو وجوبها مع غيرها .

أمّا الجهل في غير دار الإسلام فإنّه يعتبر عذرًا مالم يكن تقصير ، فلو افترضنا أنّ إنسانًا جاهلاً حدّث إنسانًا كافرًا في غير دار الإسلام عن الشهادتين فنطق بها ذلك المبلّغ مؤمنًا بها ولم يُعلّمْه الآخر شيئًا آخر ولا يستطيع هو أن يتعلّم من مسلم آخر أو كان يجهل وسيلة تصل به إلى العلم فالعذر في حقّه قائم .

* * *

ومن رحمة الله عز وجل بالمكلّف أنّه جعل التكليف ضمن الوسع والطاقة وجعل دينه الإسلام ميسّرًا فرفع فيه الحرج والتكاليف الشّاقّة . قال تعالى :

﴿ **لا يكلّف الله نفسًا إلا وُسْعَها** ﴾ (١) .

﴿ **لا يكلّف الله نفسًا إلا ماآتاها** ﴾ (٢) .

﴿ **ماجعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ (٣) .

﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ (٤) .

﴿ **ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ (٥) .

ومن مظاهر التخفيف في التكليف ماتحدّث عنه هذان النّصان :

١١٢ - * عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تجاوزَ اللهُ عن أُمتي الخطأَ والنسيانَ وما استُكْرِهوا عليه » .

---

١١٢ - الحاكم (٢ / ١٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ورواه ابن ماجه (١ / ٦٥٩) ١٠ - كتاب الطلاق ١٦ - باب طلاق المكره والناسي عن أبي ذر .

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) الطلاق : ٧ .
(٣) الحج : ٧٨ .
(٤) البقرة : ١٨٥ .
(٥) الأعراف : ١٥٧ .

١١٣ - * روى الجماعة إلا الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ اللهَ تعالى تَجاوزَ لأُمَّتي ماحدَّثَتْ به أَنْفُسَها ، مالم يَعْمَلُوا به أو يتكلَّمُوا » . وفي رواية : « ماوسْوَسَتْ به صُدُورُها » .

ولَفْظُ أبي داود : « إنَّ اللهَ تَجَاوَز لأُمَّتي مالم تَكلَّم به أو تعمَلَ به ، وما حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها » .

وبمناسبة الكلام عن اليسر ورفع الحرج والتكليف بقدر الوسع لابدّ من تصحيح مفهوم خاطئ يقع فيه بعض الناس وهو أن بعضهم يتصوّر أن التكليف موافق للهوى أو للراحة الجسميّة ، والأمر ليس كذلك فالإسلام جاء بمخالفة الهوى ، والتكليف هو طلب ما فيه كُلفة في الأصل ، فالمنفي هو التكليف المعنِت المُرْهِق الذي لا تستطيعه النفس باستمرار ، وللشيخ أبي زهرة تحقيق لطيف بهذه المناسبة نستخلص منه بعضه .

قال رحمه الله :

التكليف بما يشق :

إن المشقة قسمان : أولها - مشقة يمكن احتمالها والاستمرار عليها ، وهذه يمكن فيها التكليف ويمكن المؤاخذة عليها ، كالصوم والحج ، فإنها مشقات يمكن احتمالها ، ويمكن الاستمرار على أدائها وما من تكليف إلا وفيه مشقة محتملة ، أدناها رياضة النفس على ترك الممنوع ، والأخذ بالمشروع ، إذ كل ممنوع متبوع ، ولذلك ورد في الحديث الشريف « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » فإن أسباب العصيان دائمًا اتباع للهوى والشهوة ، والسير في سبيلهما إلى أقصى الغاية من غير تحرج ولا تأثم ، وأسباب

---

١١٣ - البخاري (١١ / ٥٤٨) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ١٥ - باب إذا حنث ناسياً في الأيمان .

ومسلم (١ / ١١٦ ، ١١٧) ١ - كتاب الإيمان ٥٨ - باب تجاوز الله عن حديث النفس ... إلخ .

وأبو داود (٢ / ٢٦٤) كتاب الطلاق ١٥ - باب في الوسوسة بالطلاق .

والترمذي (٣ / ٤٨٩) ١١ - كتاب الطلاق ٨ - باب ماجاء فين يحدث نفسه بطلاق امرأته .

والنسائي (٦ / ١٥٦) ٢٧ - كتاب الطلاق ٢٢ - باب من طلق في نفسه .

(أنفسها) : قال النووي رحمه الله : ضبطه العلماء بالنصب والرفع ، وهما ظاهران ، إلا أن النصب أشهر وأظهر ، قال القاضي عياض : « أنفسها » بالنصب ، ويدل عليه قوله « إن أحدنا يحدث نفسه » قال : قال الطحاوي : وأهل اللغة يقولون : « أنفسها » بالرفع ، يريدون بغير اختيارها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ونعلم ماتوسوس به نفسه ﴾ .

الطاعات فطم للنفس عن كثير من الشهوات أو وقوف بها عند حد ، وهذا في ذاته فيه مشقة على النفس التي لم تتعود الضبط ، والوقوف بها عند حد محدود حده الشارع ، ولو كانت كل التكليفات يسرًا خالصًا لايوجد مخالفون ولاعصاة ، ولو كانت التكليفات تسير مع الأهواء جنبًا لجنب ماوجد اعتداء ولاظلم ، ولكن الله تعالى اختبر الإنسان فجعل فيه داعي الطاعة وداعي المعصية ينبعثان من جنبيه ، كما قال تعالى : ﴿ **وهديناه النَّجْدَيْن** ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ **ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ .

القسم الثاني : المشقات التي يصعب الاستمرار على أدائها أو لا تحتمل إلا ببذل أقصى الطاقة .

[من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى] ، وكذلك الصبر عند الإكراه على النطق بكلمة الكفر هو موضع ثواب عند الله مع أنه مشقة فوق الاحتمال العادي ، ولكن النبي ﷺ اعتبر منزلته يوم القيامة بجوار منزلته .

ومن ذلك الجهر بكلمة الحق في وقت يسود فيه الظلم ، ولذا قال عليه السلام : « أفضل الجهاد كلمة حق لسلطان جائر » وقال عليه السلام : « سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ، ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله » ولذا كان التكليف في المشقة التي لا تحتمل إلا بأقصى الطاقة جائزًا في تلك الدائرة المحدودة .

وننتهي من هذا إلى أن التكليفات التي تكون فيها مشقات غير معتادة ثابتة في إحدى أحوال ثلاثة :

(ا) ـ في الفروض الكفائية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما يُعرِّض الآمر نفسه إلى التلف .

(ب) ـ في الصور التي لايتحقق نفع عام كامل إلا ببذل أقصى البذل في النفس والنفيس . [كالجهاد] .

(جـ) ـ في الأحوال التي يكون فيها اعتداء على حق من حقوق الله تعالى ، أو حقوق العباد ، فإن الصبر في هذه الحال مطلوب وإن كان شاقًا مشقة فوق المعتادة كمن يكره بالقتل لينفِّذ الاعتداء بالعمل على قتل غيره ، فإنه يجب عليه أن يصبر ولا يقتل غيره .

[بل إن فعل يكون آثمًا ولا يعتبر عذره بحال] .

ففي هذه الصور وأشباهها يكون العمل الذي فيه مشقة غير معتادة مطلوبًا .

ويلاحظ في هذه الصور أن المشقة ليست مقصودة لذاتها ، فليست المشقة في ذاتها أمرًا يتعبد به ، لأن تعذيب الجسم ، لتطهير الروح ليس من مقاصد الإسلام ، إنما المشقة غير المعتادة تطلب ، لأنها تكون دفعاً لضرر أشد ، أو جلبًا لنفع أسمى . فهي تكون تحقيقًا لمقصد من المقاصد الإسلامية العليا ، على أنها وسيلة متعينة له ، وليست مقصودة لذاتها .

واليسر هو الأصل في الشريعة الإسلامية ، ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ : ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثمًا .

لذا نهى النبي ﷺ مَن نذر أن يصوم قائمًا في الشمس أن يستمر قائمًا في الشمس وأمره أن يتم صومه وقال عليه السلام « هؤلاء **المتنطعون** » وبذلك يكون أمره بما هو طاعة في ذاته وهو الصيام ، ونهاه عما ليس طاعة وهو القيام في الشمس ، وذلك النهي تقرر أن القيام في الشمس لغير مقصد شرعي مقصود معصية ، ولذا نهى عنها في النذر ، ولقد قال النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ولقد روي أن بعض الصحابة أخذ نفسه بقيام الليل وصوم النهار ، وبعضهم أخذ نفسه باعتزال النساء ، فبلغ النبي ﷺ أمرهم جميعًا ، فقال عليه السلام « ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأُفطِرُ ، وأصلي وأرقُدُ ، وأتزوجُ النساء . فمن رَغِبَ عن سنتي فليس مني » .

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على ألا يلتزم الشخص عبادات ليست فرضًا ، و لا يطيق الاستمرار عليه ، وكان يحب العبادة الدائمة التي لاصعوبة فيها على العبادة الشاقة التي لا يمكن الاستمرار عليها ، ولذا كان يقول ﷺ « أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ » [١] .

وكان يقول : « إن الله يحبُ الديمةَ من الأعمال » وكان يقول ﷺ « لن يُشادَّ أحد هذا الدين إلا غلبه ، ولكن سددوا وقاربوا » . ا. هـ . كلام أبي زهرة .

---

(١) أخرجه الشيخان .

وقال عبد القاهر البغدادي في بيان أنواع التكليف :

اختلف أصحابنا في أقسام التكليف : فمنهم من قال إن التكليف مقصور على ثلاثة أوجه : أمر ونهي وخبر . فالتكليف بالأمر . كقوله : ﴿ أقيمُوا الصّلاة ﴾ ونحوه والتكليف بالنهي كقوله : ﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا ﴾ .

والتكليف بالخبر على ضربين : أحدهما في معنى الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ .

والثاني خبر في معنى النهي كقوله تعالى ﴿ لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُون ﴾ ومنهم من قصر التكليف على الأمر والنهي . فأما الخبر عن وجوب شيء أو عن تحريمه فإنما حُمِلَ على معناه : بأمر الله تعالى أن يحمل عليه . ومنهم من قصر التكليف على معنى الأمر وقال إن النهي إنما صار تكليفا لأنه أمر بترك المنهي عنه وتركِ ضدّ المأمور بفعله . فهذا بيان أقسام التكليف في الجملة . وتفصيله أن التكليف على خمسة أقسام : أحدها موجب وثانيها محرم وثالثها دليل على أن ماورد به سنة ورابعها دليل على أن ماورد به مكروه وخامسا دليل على إباحة ماورد به من غير وجوب ولا حظر ولا كراهية ولا استحباب . وحقيقة الواجب ما يستحق بتركه العقاب والحرام مايستحق بفعله العقاب ا. هـ من كتاب أصول الدين .

وبمناسبة الكلام عن التكليف يثير أصوليّو العقائد وأصوليّو الفقه عددًا من المسائل بعضها لا يتوقف عنده وهاك بعض مسائلهم المهمّة :

٢ ـ مسائل في التكليف

المسألة الأولى في أهل الفترة :

أهل الفترة هم من كانوا في زمن رسل لم يبعثوا إليهم أو كانوا بقية أمة أرسل لأسلافهم رسول ثم اندثر هديه أو حُرِّفَ وذلك كذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام بعد اندثار هديه فهؤلاء في القول الراجح ناجون لأنه لم تبلغهم رسالة رسول بطريق صحيح عن أهل ذلك فلم تقم عليهم بسبب ذلك حجّة ، وواضح ممّا مرّ معنا أنّه مادامت رسالة الرسول باقية في إطارها الصحيح وَبَلغت عن طريق صحيح لمن هو مكلَّف بها فقد قامت عليه الحجة .

وعلى هذا نقول : إنّه مادامت رسالة إبراهيم وإسماعيل تصل بطريق صحيح إلى الذين بعثا إليهم فهم مكلفون ومؤاخذون على النكول والتقصير ، أمّا بعد أن ضاعت ولم يبق أحد يبلغّها على وجهها الصحيح فإن الناس وقتذاك يكونون أهل فترة ، وهم على القول الراجح ناجون ، وبناء عليه فإننا نحمل الأحاديث الواردة في عذاب بعض أهل الجاهليّة على أنّه وصلهم دين إبراهيم وإسماعيل صحيحا ثمّ حرّفوا وبدلوا كما فعل عمرو بن لحي الذي أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب ، وعلى ضوء هذه القواعد نقول : إنّ أبوي رسول الله ﷺ ناجيان لأنّهما لم تبلغهما رسالة سابقة ولم يدركا رسول الله ﷺ وما ورد خلاف ذلك فإنّه إمّا مؤوّل ، وإمّا أنّه محمول على توهّم عند بعض الرواة فإن روايات صحيحة تعارض ذلك . فحديث مسلم الذي يقول « إنّ أبي وأباك في النار » قد ورد في صيغة أخرى بإسناد على شرط الشيخين : أنّ رسول الله ﷺ قال بعد أن ذكر أنّ أبا السائل في النار : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » .

كما أنّ الحديث يحتمل التأويل ، فالأب في اللغة يطلق على الأب المباشر والجد ومن قبله من الجُدد .

ومما يدل على وجود فترة :

الحديث الذي سبق معنا وفيه :

عن الأسود بن سريع ، أن رسول الله ﷺ قال : « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئًا ، ورجل أحمقَ ، ورجل هرمٌ ، ورجل مات في

قبره .... ، .... وأما الذي مات في فترة فيقول ما أتاني لك رسول » [١] .

ومما يدل علي أنهم ناجون قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وإنْ من أمةٍ إلا خلا فيها نذير ﴾ [٢] :

لا يعني عدم وجود أناس لم يصلهم دين صحيح ، فأمة العرب خلا فيهم إبراهيم وإسماعيل ، ولكن دينهم حُرِّفَ وبُدِّلَ فمن لم يصله منهم الدين الصحيح لايؤاخذ ويعتبر من أهل الفترة إلى أن بعث محمد ﷺ .

المسألة الثانية :

الماتريديّة يرون أن الإنسان مكلَّف بمعرفة الله عز وجل ولو لم يرسل إليه رسول ، والمعتزلة يقولون بأن الإنسان مكلَّف بفعل كلّ مايصل العقل إلى حسنه وبترك كل مايصل العقل إلى قبحه ولو لم يكن رسول ، والأشاعرة يرون أنّه لا تكليف بأصول أو فروع إلا إذا بعث رسول وتشهد لهم النصوص :

﴿ وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا ﴾ [٣] .

﴿ لأنذرَكم به ومن بلغ ﴾ [٤] .

﴿ رسلا مبشِّرين ومنذرِين لِئَلا يكون للناس على الله حُجّة بعد الرسل ﴾ [٥] .

﴿ قالوا أو لم تَكُ تأتيكم رسلكم بالبيِّنات قالوا بلى ﴾ [٦] .

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون * أن تقولوا إنّما أُنزِل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنّا عن دراستِهم لغافلين * أوتقولوا لو أنّا أُنزِل علينا الكتابُ لكنّا أهدَى منهم ﴾ [٧] .

---

(١) الإسراء : ١٥ .
(٢) فاطر : ٢٤ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) الأنعام : ١٩ .
(٥) النساء : ١٦٥ .
(٦) غافر : ٥٠ .
(٧) الأنعام : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

المسألة الثالثة :

المجنون ليس مكلفا إنْ بَلَغَ مجنونا واستمرّ على ذلك حتّى مات بخلاف مالو بَلَغَ عاقلا ثم جن وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج وهو محاسب بعد البلوغ على الفترة التي عقل فيها .

المسألة الرابعة :

اتفق الأصوليّون على أن العبد لا يؤاخذ إلا بما هو في طاقته فلا يؤاخذ بما لا يمكنه فعله ولا يكلّف أصلا بأمر مستحيل الوقوع عقلا أو عادة كالجمع بين الضدّين .

المسألة الخامسة : هل الكفار مخاطَبون بالأصول والفروع ومكلّفون بها ومحاسبون على الجميع ، أو أنهم مكلفون بالأصول فإذا آمنوا كلفوا بالفروع ؟

قولان للعلماء ، وجمهور العلماء : أنّ الكفار غير مكلفين بالفروع إلا بعد الإيمان .

والمراد بالأصول : أصول العقائد من إيمان بالله وبالرسول وباليوم الآخر إلى غير ذلك ، والمراد بالفروع ماينبثق عن الأصول من أحكام الشريعة كأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك .

المسألة السادسة : في مسئوليّة الطفل والمجنون ماليًّا :

« ولكن يلاحظ أن المجنون وهو فاقد التمييز ، والصبي غير المميز مثله تتعلق بهما تكليفات مالية ، فإذا أتلف أحدهما شيئًا وجب في ماله ، وإذا جنى أحدهما جناية وجبت الدية في مالهما ، وقد قرر جمهور الفقهاء أن الزكاة تجب في مالهما ، [والحنفية لا يرون ذلك] .

وقرر الفقهاء بالإجماع أن زكاة الزرع والثمار تجب من زرعهما وثمارهما » ا. هـ . [أصول الفقه ـ أبو زهرة] .

المسألة السابعة : في أولاد المسلمين والمشركين :

رأينا أن مما يناط به التكليف : البلوغ ، وعلى هذا فما لم يبلغ الإنسان لايعتبر مكلفا ، فإذا مات قبل البلوغ فالمرجو أن يكون ناجيًا عند الله ، غير أن الشارع أدّبنا أن نسكت

عن هذا الموضوع وأن نفوّض الأمر فيه لله عز وجل لأنّ في السكوت عنه مدعاةً لبذل الجهد في الدعوة للصغار وتربيتهم .

وفي شأن الصغار ورد عدد من الآثار يلحظ في بعضها ماذكرناه . وهـذه بعض النصوص في ذلك :

١١٤ - * روى مسلم عن عـائشـةَ رضي الله عنهـا ، قـالت : تُوُفِّيَ صبيٌّ ، فقلتُ : طُوبَى لَـهُ ، عُصْفُورٌ من عصـافير الجنـة ، فقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ : « أَوَلا تَـدْرِينَ أنَّ الله خَلَـقَ الجنَّةَ ، وخَلَقَ النارَ ، فخلق لهذه أَهْلاً ولهذه أهلا ؟ » .

وفي روايـة : قَـالت : دُعيَ رَسُـولُ الله ﷺ إلى جَنَـازةِ صَبيٍّ من الأنصـار ، فقُلْتُ : يـارَسُولَ اللهِ ، طُوبى لهـذَا ، عُصفورٌ مِن عَصَـافيرِ الجنَّـة ، لم يعمـل السُّوءَ ، وَلَمْ يُـدْرِكْـهُ ، فَقَالَ : « أَوَ غَيْرَ ذٰلِـك يـاعَـائِشَـةُ ، إنَّ اللهَ خَلَقَ للجَنَّـةِ أَهْلاً ، خَلَقَهُمْ لَهَـا وهُمْ في أَصْلابِ آبائِهِم ، وخَلَقَ للنَّار أَهلاً ، خَلَقَهم لَهَا وهُم في أَصْلاب آبائهم » .

وأخرج أبو داود والنسـائي الثـانيـة ، وقـالا فيـه : طُوبَى لهـذا ، لم يعلم سوءاً ولم يـدر به [(١)] .

هذا نموذج على ما أدّبنا بـه الشـارع في التفويض في أمر الـذين يموتون وهم صغـار للحكم التي ذكرناها مع أنّ القواعد تفيد أنّهم ناجون ويشهد لذلك الحديث اللاحق :

١١٥ - * روى البزار عن ابن عباس، أن النبي ﷺ سئل عمن في الجنة ؟ فقال :« النبيُّ في الجنة والشهيدُ في الجنة ، والمولُود في الجنة والمؤودة في الجنة » .

---

١١٤ - مسلم (٤ / ٢٠٥٠) ٤٦ - كتاب القدر ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(١) أبو داود (٤ / ٢٢٩) كتاب السنة - باب في ذراري المشركين .

النسائي (٤ / ٥٧) ٢١ - كتاب الجنائز ٥٨ - باب الصلاة على الصبيان .

(طوبى) : فُعلَى من الطيب ، وقيل : هو اسم الجنة ، وقيل : هو اسم شجرة فيها .

١١٥ - كشف الأستار (٣ / ٣١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن مالج وهو ثقة .

ورواه أحمد وأبو داود من طريق حسناء بنت معاوية عن عمها وحسنه الحافظ في الفتح ورمز السيوطي لصحته ، وضعفه بعضهم وفي كل الأحوال فإن معناه صحيح . المسند (٥ / ٥٨) .

١١٦ - * روى الشيخان وأبو داود والنسائي عن ابن عبـاس ، سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال : « الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين » .

وهذان النصّان يؤكّدان فكرة تأديب الشارع للمسلم أن يفوّض في أمر الصغار لما يترتّب على ذلك من حِكَمٍ ، ومن أمثـال هـذا أخـذ العلمـاء فكرة أدب الوعـظ وأدب العلم ، فـأدب الواعظ ألا يدخل في تفصيلات تخفف من قوّة التأثير والتأثّر أو تؤدي إلى إثـارة أسئلـة عنـد العامّة أو تؤدّي إلى تشويش عقائد العامّة أوتستـدرجهم لمواطن فتنـة في الرأي أو في العمل ، وأدب العالم مع طلاب العلم أن يدرّجهم في التعليم حتّى يوصلهم إلى أن يفهموا دقائق العلوم وعَويصَات المسائل . فأدب الواعظ : ليس كلُّ مـا يعلم يقـال ، وأدب العـالم مع طلاب العلم الذين يؤهلهم للإمامة في الدين أن يقول لهم كلَّ شيء مع ملاحظة التدرّج ، وتشهـد لـذلـك كثير من نصوص السنّة .

كما أخذ العلمـاء من الأحـاديث فكرة الحكم العقلي والحكم الشرعي ، والواجب العقلي لله ، والواجب الشرعي ، فمثلاً : قالوا : إن قدرة الله صالحة أن تعذب الكافر والمؤمن ، فـالواجب العقلي أن نعتقـد أنـه يجوز على الله أن يعـذب الكافر والمؤمن ، ولكن إذ ورد الشرع أن الله لا يعذب مؤمنًا ، فقد أصبح الواجب الشرعي أن نؤمن بأن الله لا يعـذب مؤمنًـا ولا يترك كافرًا ، والأحـاديث التي بين أيـدينـا تـدل على هـذا المـذهب الـذي هو مـذهب أهل السنـة والجماعة ، وخالفهم فيها المعتزلة ، وهـذه من عويصـات المسـائل التي لا يـدركهـا إلا العلمـاء المحققون . ويتفرع عنها مسائل كثيرة تذكر في كتب العقائد .

ولنعد إلى موضوعنا :

فمن أقوال العلماء في أطفال المشركين مايلي :

---

١١٦ - البخاري (٣ / ٢٤٥) ٢٣ - كتاب الجنائز ٩٢ - باب ماقيل في أولاد المشركين .
مسلم (٤ / ٢٠٤٩) ٤٦ - كتاب القدر ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .
أبو داود (٤ / ٢٢٩) كتاب السنة ١٨ - باب في ذراري المشركين .
النسائي (٤ / ٩٥) ٢١ - كتاب الجنائز ٦٠ - باب أولاد المشركين .
شرح السنة (١ / ١٥٥)

قـال البغوي : « لا يحكم لهم بجنـة ولا ونـار بـل أمرهم مـوكـول إلى علم الله فيهم كما أفتى رسول الله ﷺ » .

وقال ابن القيم : « في الاستدلال هذا نظر ، فإن النبي ﷺ لم يُجبْ فيهم بـالوقف ولكن وَكَلَ علمَ ما كانوا يعملون إلى الله سبحانه ، والمعنى : الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا فيعلم القابل للهدى والعامل به والقابل منهم للكفر المؤثر لـه ..... وأنـه يعلم منهم مـا هم عـاملون بتقدير حياتهم » .

وقال النووي : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة » . ا. هـ .

وأخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « مـا من مسلم يموت لـه ثلاثـة من الولـد لم يبلغـوا الحِنْثَ (١) إلا أدخلـه الله الجنـة بفضـل رحمته إياهم » .

أقول :

أفلا يكون الأولاد في الجنة خاصة وقد وردت نصوص أنهم يشفعون لآبائهم وأمهاتهم .

وقال المحقق الأستاذ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنـة : إن المـذهب الصحيح الذي ذهب إليه المحققون من العلمـاء وارتضـاه جمع من المفسرين والمتكلمين هو أنهم في الجنـة . واحتجوا بما رواه البخـاري في صحيحـه من حـديث سمرة بن جنـدب قـال : كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ . قال فيقص عليه ماشـاء الله أن يقص ، وأنه قال لنا ذات غداة : « أتاني الليلة آتيان ».... فذكر الحديث ، وفيـه ... « وأما الرجل الطويل الـذي في الروضـة فـإنـه إبراهيم ﷺ وأمـا الوِلْـدَان الـذين حولـه : فكل مولود مـات على الفطرة » . قـال : فقـال بعض المسلمين : يـارسـول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وأولاد المشركين » .

---

(١) الحِنْثَ : الإدراك والبلوغ .

ثم نقل آيات تؤكد أن الإنسان لايعذب إلا إذا كان بالغًا عاقلاً مختارًا مبلَّغًا : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ . ﴿ **وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ . والأحاديث التي سبق ذكرها [١] .

المسألة الثامنة :

قرر علماء المسلمين أن المطلوبات على نوعين : مطلوبات عينية ، ومطلوبات كفائية .

فالكفائية تطالب بها الأمة بمجموعها ، والعينية يطالب بها كل فرد على حدة ، وتحديد المطلوبات الكفائية والمطلوبات العينية من أهم ما يجب أن يعرفه المسلم ، وقد كتبنا في ذلك رسالة ضمناها كتاب (كي لانمضي بعيدًا عن احتياجات العصر) وفي الحقيقة فإن المطلوبات العينية والكفائية هي الجانب العملي في التكليف .

* * *

---

(١) شرح السنة (١ / ١٥٥) .

الفصل الثالث

في:

مباحث في الإسلام والإيمان

الإيمان والإسلام

الإيمان في اللغة : هو التصديق . قال تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين ﴾ [١] أي وما أنت بمصدقٍ لنا .

والإسلام في اللغة معناه التسليم والاستسلام والإذعان . قال تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [٢] والمطلوب من المكلّف أن يكون مؤمناً مسلماً في قلبه ابتداءً ، أي مصدّقًا بقلبه مذعناً بقلبه ليدخل في أصل الإيمان وأصل الإسلام ، فلا إيمان بلا إذعان ولا إذعان بلا تصديق لصحّة اسم الإيمان والإسلام ، ثمّ الإيمان الكامل يقتضي تطابقاً بين تصديق الجنان وإقرار اللسان وعمل الجوارح بالأركان ، والإسلام الكامل يقتضي إسلام القلب كلّه لله رب العالمين بالتصديق والتسليم ، وإسلام اللسان بالإقرار وعمل الجوارح بالأحكام ، ومن ههنا كان الإسلام والإيمان في حدّهما الأدنى متطابقين وفي حدّهما الأعلى متطابقين .

ولذلك نجد نصوصًا تذكر هذا التطابق من مثل قوله تعالى :

﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[٣].

﴿ ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [٤]

فالمؤمن الحق هو المسلم الحق وهو من آمن بالكتاب والسنة وآمن بالأحكام والأوامر والنواهي المنبثقة عن الكتاب والسنة وأذعن لذلك وصدّقت أقواله وأفعاله تصديقه وإذعانه .

ولكن من الناحية العملية الناس يتفاوتون ، ومن هاهنا تتوضع مباحث شتى حول تعريف الإيمان والإسلام وحقيقة الإيمان والإسلام ، وماهو القدر المنجي عند الله من الإيمان والإسلام . ومتى يتطابق الإيمان والإسلام ؟ ومتى يتداخلان ؟ ومتى يتكاملان ؟ وماذا

---

(١) يوسف : ١٧ .
(٢) الحجرات : ١٤ .
(٣) الذاريات : ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) يونس : ٨٤ .

يـدخل في الإيـان والإسلام ؟ ومـاهي شروط قبول الإيـان والإسلام ؟ وإذا كان العمـل في الإسلام يتفـاوت بين آحـاد المكلّفين ، فهل التصـديـق القلبي يتفـاوت ؟ وهـل النـور القلبي يتفاوت ؟

وهكذا يتوضّح حول موضوعي الإيمان والإسلام مسـائل شتّى منهـا محل اتفـاق بين أهل السنة والجماعة وغيرهم من فرق منشقّة عن الجماعة ، ومنها ما هو محلّ اختلاف لفظي ، ومنها ما هو محلّ اختلاف بين أهل السنة والجماعة ونحن إذ نطالب كلّ مسلم أن يدرس عقائـد أهل السنّة والجماعة في كتبها وعلى أهلها لا نرغب أن نتوسّع في هـذه المسـائل حتّى لا يخرج هـذا الكتاب عن مقصوده ، ولذلك فإننا نكتفي في ذكر أمهاتٍ من المسائل :

ـ المعتزلة يقولون إن الإيمان هو العمل والنطق والاعتقـاد ، فمن ترك العمل فليس بمؤمن لأنه فقد جـزء الإيمان وليس بكافر لوجود التصـديق ، فهو عنـدهم بين الكافر والمؤمن ويخلّـد في النار ويعذّب بأقل من عذاب الكافر ، والخوارج يكفّرون مرتكب الكبائر ، وأهل السنّـة يقولون : من وجد منه التصديق المعهود شرعاً ، وهو تصـديق النبي بكل مـاجـاء بـه ، وعلم من الدين بالضرورة مع الإذعان القلبي فقد ثبت له أصل الإيـان ولو لم يرافقـه عمل ومـآلـه إلى الجنّة وهو في المشيئة إن شاء الله أن يعذبّه على نقصان العمل عذبّه وإن شاء عفـا . قـال تعالى :

﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

وهناك بعض التفصيلات هي محل خلاف بين أهل السنّة والجماعة .

ومن أدلّة محققي أهل السنّة والجماعة لهذا المذهب قوله تعالى :

﴿ أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان ﴾ (٢)

﴿ ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (٣)

﴿ إلا من أُكرِه وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (٤)

---

(١) النساء : ١١٦ .
(٢) المجادلة : ٢٢ .
(٣) الحجرات : ١٤ .
(٤) النحل : ١٠٦ .

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ (١)

والشرط غير المشروط فدلّ ذلك على أن الإيمان غير العمل :

﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ (٢)

أثبت أصل الإيمان ولو حدثت مخالفة ، وقال تعالى :

﴿ إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ (٣)

عطف العمل الصالح على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة ، ثم إن الله خاطب أهل الإيمان بالعمل :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم ﴾ (٤)

فأثبت لهم أصل الإيمان ثمّ طالبهم بالعمل ، فدلّ ذلك على أن الإيمان غير العمل .

والخلاف بين أهل السنّة والجماعة وغيرهم أو بين المحققين من أهل السنّة مع غيرهم يرجع إلى الاستيعاب والاستشراف ، ووضع كلّ نصٍّ في محلّه في الهيكل العام لمضمون الإيمان والإسلام ، فهناك الحقيقة والمجاز والكمال والنقص ، والحد الأدنى والحد الأعلى .

ـ إذا وجد التصديق القلبي دون الإذعان فإن ذلك لا ينفع صاحبه عند الله عز وجل ، فقد وصف بعض الكافرين بقوله :

﴿ وجَحَدوا بها واستيقنتها أنفُسهم ﴾ (٥)

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم * وإنّ فريقًا منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون ﴾ (٦)

---

(١) طه : ١١٢ .
(٢) الحجرات : ٩ .
(٣) مريم : ٩٦ .
(٤) البقرة : ١٨٣ .
(٥) النمل : ١٤ .
(٦) البقرة : ١٤٦ .

- وإذا وجد التصديق والإذعان والقبول ولم ينطق الإنسان بالشهادتين سواء باللغة العربيّة أو بغيرها من اللغات فإن كان ذلك لمانع كالخرس أو لوجود الموت المفاجئ بعد الإيمان فصاحبه ناج عند الله ، وإن اتفق له عدم النطق دون عناد أو إباء فهناك خلاف ، فبعضهم قال : لا ينجو عند الله . وبعضهم قال : هو عاصٍ فقط وهو ناجٍ ، وكلهم أجمعوا على أننا لا نعامله معاملة المسلمين في الدنيا فلا نزوّجه ولا ندفنه في مقابر المسلمين ، أمّا من نطق بالشهادتين نفاقاً دون تصديق وإذعان قلبي فذلك لا ينفعه عند الله لأنه منافق ، ولكنّا نعاملُه معاملة المسلمين في الأحكام الدنيوية وأما من أبى النطق بالشهادتين عناداً وإباءً ولو كان مصدقاً بقلبه فهو كافر إجماعاً .

ومن مباحث كتّاب العقائد : .

زيادة الإيمان ونقصه ، وهو خلاف لفظي في النهاية وفي بعض دقائق الموضوع ، لأنّهم كلّهم متّفقون بأن أعمال الإسلام يتفاوت الناس فيها ، فليست طاعات الأفراد واحدة ، والطاعة أثر من آثار الإيمان وكلهم يتفقون على أن ما يرافق هذه الأعمال من معانٍ قلبيّة متفاوتٌ ، ولذلك علاقة بالإيمان والإسلام ، وكلهم متفقون بأن إيمان الصدّيقين أرقى من إيمان غيرهم ، وإيمان الأنبياء أرقى من إيمان غيرهم ، وكلّهم متفقون على أن نور الإيمان في القلوب يختلف من مكلَّفٍ لمكلف ، ثم إن الفهم الفطري للنصوص يدل على أن الإيمان يزيد . قال تعالى :

﴿ وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ (١)

﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ (٢)

﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ (٣)

﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾ (٤)

﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ (٥)

---

(١) الأنفال : ٢ .
(٢) الفتح : ٤ .
(٣) المدثر : ٣١ .
(٤) التوبة : ١٢٤ .
(٥) الأحزاب : ٢٢ .

﴿ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ (١)

ومن نصوص السنّة في هذا الشأن مايلي :

١١٧ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ثمّ يقول الله تعالى « أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان » .

١١٨ ـ * روى الترمذي عن أنس قوله ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّة من إيمان ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه ذرّة من إيمان » .

وذلك يدل على تفاوت الإيمان في القلوب ، فالذرّة دون البّرة ،والبرّة دون الشعيرة .

ـ إذا أراد كافر أن يدخل في الإسلام ، فباب الدخول هو النطق بالشهادتين ، وهل يشترط التلفظ بكلمة (أشهد) في الشهادتين أو مرادفه ، قولان للعلماء ، والاحتياط النطق بها .

ـ قد يصل بعض الكفّار إلى الإيمان بأصل التوحيد وأصل الرسالة مع بقائها على معتَقَدٍ كفريٍّ كالقول بِقَدَمِ العالم أو كالقول بخصوصيّة الرسالة المحمديّة للعرب ، أو كالقول أنّ التكليف بالإسلام كلّه للجيل الأول فقط ، فهذا وأمثاله لا يُخرِجُ الإنسان عن الكفر ولو نطق بالشهادتين .

ـ هناك من يدّعي الإسلام وعنده نواقض للشهادتين يتستّر عليها ، كطوائف الباطنية والزنادقة والوجوديين والماديين وأمثال هؤلاء ، فهؤلاء إذا تابوا وأرادوا الدخول في الإسلام

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

١١٧ ـ البخاري (١ / ٧٢) ٢ ـ كتاب الإيمان ١٥ ـ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال .

مسلم (١ / ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية .

النسائي (٨ / ١١٢) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ١٨ ـ باب زيادة الإيمان .

١١٨ ـ الترمذي (٤ / ٧١١) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ٩ ـ باب ماجاء أن للنار نفسين ... إلخ .

وقال . هذا حديث حسن صحيح .

حقًّا فلابدّ أن يتبرأوا من معتقداتهم هذه .

إذا عرفت مـامرّ أدركت بعض جـوانب مـايجب عليـك من إيمـان وإسـلام ، ثمّ من تصـديق اللسـان والأعمـال للإيمـان والإسـلام ، ثم التحقـق لكمـال الإسـلام والإيمـان القلبيين والعمليين ، وفي عصرنا المليء بالفتن لابدّ أن تحذر من الكفر ونواقض الشهادتين ، وهـذا كلّـه يقتضي علماً ليعرف المكلّف أن يضع كلّ شيء في محلّه ، فبدون العلم المحيط بنصوص الكتـاب والسنّة والعلوم التي انبثقت عنها كعلوم أصول الفقه والعقائد والفقه والسلوك ، فإن الإنسـان قـد يهجم على المكفّرات وهـو لا يـدري ، وقـد يهجم على تكفير النـاس وهم مـؤمنـون ، وقـد يُثْبِتَ لهم الإيمان وهم كافرون ، وقد يستحل دماءهمَ وهي معصومة ، وقد يرى عصمة دمـائهم وحكمهم القتل ، فالعلمَ العلمَ على أصول أهل السنّة والجماعة ومذاهبهم فإنّه باب النجاة .

* * *

تحقيقات للعلماء في الإسلام والإيمان :

وإليك ماقاله العلماء في تحقيق بعض ما مر معنا :

قال النووي : فأما الزهري فقال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ . وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت المسلمين** ﴾ قال الخطابي : وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين ، وردَّ الآخرُ منهما على المتقدّم وصنف عليه كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئين . قال الخطابي : والصحيح من ذلك أن يقيّد الكلامُ في هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها .

وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر .

وقال الخطابي أيضاً في قول النبي ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبة » : في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنىً ذي شعب وأجزاء له أدنى وأعلى ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلّها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ، ويدل عليه قوله ﷺ « الحياء شعبة من الإيمان » وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته . هذا آخر كلام الخطابي .

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي رحمه الله في حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان والإسلام وجوابه قال : جعل النبي ﷺ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك

قال ﷺ « ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعًا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل . أ . هـ .

وقال النووي أيضاً : وفي كتاب التحرير في شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله التيمي :

الإيمان في اللغة هو التصديق فإن عنى به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كاله مرة ونقصه أخرى ، والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان . وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص وهو مذهب أهل السنة . قال : فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بواجب الإيمان هل يسمي مؤمناً مطلقاً أم لا ؟ والمختار عندنا أنه لا يسمى به قال رسول الله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق . هذا آخر كلام صاحب التحرير .

وقال الإمام أبو الحسن على بن خلف بن بطال المالكي المغربي في شرح صحيح البخاري : مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، والحجة على زيادته ونقصانه ماأورده البخاري من الآيات يعني قوله عز وجل ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ وزدناهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فاخشوهم فزادهم إيمانا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ومازادهم إلا إيمانا وتسليمًا ﴾ قال ابن بطال فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص . قال : فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص ، فمتى نقصت أعمال البر نقص كال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كالاً . هذا توسط القول في الإيمان وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص

ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان ، إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكًّا وخرج عن اسم الإيمان .

وقال بعضهم إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة .

قال عبد الرزاق : سمعت من أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا سفيانَ الثوري ومالك بن أنسٍ وعبيد اللهِ بن عمر والأوزاعي ومَعْمَر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينه يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك .

فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ولوّ عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك إذا أقرّ بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمّى مؤمناً بالإطلاق وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى لقوله عز وجل ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقًا ﴾ فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته . وقال ابن بطال في باب من قال الإيمان هو العمل : فإن قيل قد قدمتم أن الإيمان هو التصديق قيل : التصديق هو أول منازل الإيمان ، ويوجب للمصدق الدخول فيه ، ولا يوجب له استكمال منازله ، ولا يسمى مؤمنًا مطلقًا . هذا مذهب جماعة أهل السنة أن الإيمان قول وعمل . قال أبو عبيد : وهو قول مالك والثوري والأوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم .

قال بن بطال : وهذا المعنى أراد البخاري رحمه الله إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب

أبوابه كلها ، فقال : بـاب أمور الإيمـان وبـاب الصلاة من الإيمـان وبـاب الزكاة من الإيمـان وباب الجهاد من الإيمان وسائر أبوابه وإنما أراد الرد على المرجئة في قولهم إن الإيمـان قول بلا عمل وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتـاب والسنـة ومـذاهب الأئمـة . ثمّ قـال ابن بطال في باب آخر : قال المهلب : الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذي هو عقد القلب المصـدق لإقرار اللسان الذي لا ينفع عند الله تعالى غيره .

وقالت الكرامية وبعض المرجئة : الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب .

ومن أقـوى مـا يرد بـه عليهم إجمـاع الأمـة على إكفـار المنـافقين وإن كانـوا قـد أظهروا الشهادتين . قال الله تعالى : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبـدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بـالله ورسـولـه** ﴾ إلى قـولـه تعـالى ﴿ **وتَـزْهَـقَ أنفسهم وهم كافرون** ﴾ هـذا آخر كـلام ابن بطال .

وقـال الشيخ الإمـام أبو عمرو بن الصلاح رحمـه الله : قـولـه ﷺ الإسـلام أن تشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضـان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً والإيمـان أن تؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسلـه واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه قال هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق البـاطن وبيـان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين وإنما أضـاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامـه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله ثم إن اسم الإيمان يتناول مافسر بـه الإسلام في هذا الحـديث وسـائر الطـاعـات لكونهـا ثمرات للتصـديق البـاطن الذي هو أصل الإيمـان ومقـويـات ومتمات وحـافظـات لـه ولهـذا فسر ﷺ الإيمـان في حـديث وفـد عبــد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضـان وإعطـاء الخمس من المغنم ولهـذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بـدل فريضـة لأن اسم الشيء مطلقـا يقع على الكامل منـه ولا يستعمل في النـاقص ظـاهراً إلا بقيـد ولـذلـك جـاز إطـلاق نفيـه عنـه في قـولـه ﷺ « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » واسم الإسلام يتناول أيضـا مـاهو أصل الإيمـان وهو التصديق الباطن ويتنـاول أصل الطـاعـات فـإن ذلـك كلـه استسلام قـال : فخرج ممـا

ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقـان ، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . قال : وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقـات نصوص الكتـاب والسنـة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وماحققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم . هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح .

فإذا تقرر ماذكرناه من مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظـاهرة متطـابقـة على كون الإيمـان يزيـد وينقص ، وهـذا مـذهب السلف والمحـدثين وجمـاعـة من المتكلمين وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانـه ، وقـالوا : متـى قبل الزيـادة كان شكا وكفرا . قـال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصـديق لا يزيـد ولا ينقص ، والإيمـان الشرعي يزيـد وينقص بزيـادة ثمراتـه وهي الأعمـال ونقصـانهـا . قـالوا : وفي هـذا توفيق بين ظواهر النصـوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وماعليه المتكلمون . وهـذا الـذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهراً حسناً فـالأظهر والله أعلم أن نفس التصـديق يزيـد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ، ولهذا يكون إيمان الصـديقين أقوى من إيمـان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبـه ولا يتزلزل إيمانهم بعارض ، بل لا تزال قلوبهم منشرحـة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال ، وأمـا غيرهم من المـؤلفـة ومن قـاربهم ونحـوهم فليسـوا كـذلـك فهـذا ممـا لا يمكن إنكاره ، ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يسـاويـه تصـديق آحاد الناس . ولهـذا قـال البخـاري في صحيحـه : قـال ابن أبي مليكـة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسـه مـامنهم أحـد يقول إنـه على إيمـان جبريل وميكائيل والله أعلم .

وأمـا إطلاق اسم الإيمـان على الأعمـال فمتفق عليـه عنـد أهل الحـق ودلائلـه في الكتـاب والسنـــة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر ، قـــال الله تعـــالى ﴿ ومـــاكان الله ليُضيـــع إيمانَكم ﴾ أجمعوا على أن المراد صلاتكم .

واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنـه من أهل القبلة ولا يخلّد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جـازمـاً خـاليـاً من الشكوك ، ونطق بالشهادتين ، فـإن اقتصر على إحـداهمـا لم يكن من أهل القبلـة أصلا إلا إذا

عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التكن منه لمعاجلة المنية أو لغير ذلك فإنه يكون مؤمناً ، أما إذا أتى بالشهادتين فلا يشترط معها أن يقول وأنا بريء من كل دين خالف الإسلام إلا إذا كان من الكفار الذين يعتقدون اختصاص رسالة نبينا ﷺ إلى العرب فإنه لا يحكم بإسلامه إلا بأن يتبرأ . ومن أصحابنا ـ أصحاب الشافعي رحمه الله ـ مَنْ شَرَطَ أن يتبرأ مطلقاً ، وليس بشيء أما إذا اقتصر على قوله لا إله إلا الله ولم يقل محمد رسول الله فالمشهور من مذهبنا ومذاهب العلماء أنه لا يكون مسلماً ومن أصحابنا من قال يكون مسلماً ويطالب بالشهادة الأخرى فإن أبى جعل مرتداً ويحتج لهذا القول بقوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللهُ فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم » . وهذا محمول عند الجماهير على قول الشهادتين واستغنى بذكر إحداهما عن الأخرى لارتباطهما وشهرتها والله أعلم .

أما إذا أقر بوجوب الصلاة أو الصوم أو غيرهما من أركان الإسلام وهو على خلاف ملته التي كان عليها فهل يجعل بذلك مسلماً ؟ فيه وجهان لأصحابنا ، فمن جعله مسلماً قال : كل ما يكفر المسلم بإنكاره يصير الكافر بالإقرار به مسلماً أما إذا أقر بالشهادتين بالعجمية ، وهو يحسن العربية فهل يجعل بذلك مسلماً فيه وجهان لأصحابنا : الصحيح منها أنه يصير مسلماً لوجود الإقرار . وهذا الوجه هو الحق ولا يظهر للآخر وجه وقد بينت ذلك مستقصًى في شرح المهذب والله أعلم .

واختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله أنا مؤمن ؛ فقالت طائفة : لا يقول أنا مؤمن مقتصرًا عليه ، بل يقول أنا مؤمن إن شاء الله . وحكى هذا المذهب بعض أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين وذهب آخرون إلى جواز الإطلاق وأنه لا يقول إن شاء الله . وهذا هو المختار ، وقول أهل التحقيق . وذهب الأوزاعي وغيره إلى جواز الأمرين والكل صحيح باعتبارات مختلفة ، فمن أطلق نظر إلى الحال وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال ، ومن قال إن شاء الله فقالوا فيه : هو إما للتبرك وإما لاعتبار العاقبة وما قدر الله تعالى ، فلا يدري أيثبت على الإيمان أم يصرف عنه ، والقول بالتخيير حسن صحيح نظراً إلى مأخذ القولين الأولين ورفعاً لحقيقة الخلاف .

واعلم أن مـذهب أهل الحق أنـه لا يكفر أحـد من أهل القبلـة بـذنب ، ولا يكفر أهـل الأهواء والبدع ، وأن من جحد مـايعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردتـه وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك ، فـإن استمر حكم بكفره ، وكـذا حكم من استحل الزنـا أو الخمر أو القتل أو غير ذلـك من المحرمـات التي يعلم تحريمها ضرورة . ا . هـ

* * *

الفصل الرابع

في :

فضل الانتساب إلى الأمة الإسلامية

وفيه :

مقدمة ونصوص

المقدمة

ليس هناك من نسب أعلى وأعظم وأرفع وأشرف من الانتساب للأمّة الإسلاميّة ، لأنه الانتساب إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ هو الانتساب لسيّد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام محمد رسول الله ﷺ وهو انتماء للإسلام وأهله ، وأي انتماء أعظم من الانتماء لدين الله عز وجل .

ولقد خالط الانتماء لأمة الإسلام في عصرنا أنواع من الانتماءات بعضها جائز مباح لولا مارافقها من غلو ، وبعضها فسوق ، وبعضها ضلال ، وبعضها ردّة فاقتضى ذلك أن ندخل بعض النصوص الحديثية في فضل الانتماء للأمة الإسلامية في قسم العقائد بعد أن أدخلناه في قسم السيرة النبويّة . فقد حدث غلو في فكرة الانتماء للإنسانية أو للقومية أو للوطنية أو لحزب من الأحزاب مما أضعف انتماء المسلم للأمة الإسلامية أو عكّر عليه أو أماته أحياناً بأن أوقع المسلم في الردّة .

وكلٌّ ماورد في شرف الأمة الإسلامية وكرامتها إنما يرد في حق من لا زال من أبناء هذه الأمة ، أما المرتدُّون وذراريهم الذين هم على طريقتهم فليس لهم شيء من هذا الشرف أو الفضل . وليس لأحد لم يؤمن بمحمد ﷺ بعد بعثته وبلوغه دعوته فضل هذه النسبة ولو كان يدّعِي النسب لأحد من الرسل الذين بعثوا قبل محمد ﷺ .

* * *

النصوص

قال تعالى : ﴿ وإنّ هذه أمتكم أمّةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) .

﴿ وإنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون ﴾ (٢) .

﴿ ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾(٣) .

﴿ هو سمّاكُم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ (٤) .

﴿ وكذلك جعلناكم أمّة وسَطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٥) .

﴿ كنتم خير أمّة أُخرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْن عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٦) .

وهذه بعض النصوص الحديثية في شرف هذه الأمة وشرف الانتساب إليها :

١١٩ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : ﴿ كنتم خيرَ أمة أُخرجتْ للناس ﴾ قال : خيرُ الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يَدْخُلوا في الإسلام .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) المؤمنون : ٥٢ .
(٣) فصلت : ٣٣ .
(٤) الحج : ٧٨ .
(٥) البقرة : ١٤٣ .
(٦) آل عمران : ١١٠ .

١١٩ ـ البخاري (٨ / ٢٢٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ٧ ـ باب ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ . موقوفاً . وقد أخرجه مرفوعاً بنحوه (٦ / ١٤٥) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ١٤٤ ـ باب الأسارى في السلاسل .

قال ابن حجر : (خير الناس للناس) : أي خير بعض الناس لبعضهم : أي أنفعهم لهم ، وإنّما كان كذلك لكونهم كانوا سبباً في إسلامهم .

وقال الحافظ : رواه البخاري من غير هذا الوجه مرفوعاً .

وقال ابن كثير وغيره : والصحيح أن هذه عامّة في جميع الأمّة كلّ قرن بحسبه .

١٢٠ - * روى الترمذي عن بَهْزِ بن حكيمٍ رضي الله عنه ، عن أبيه عن جده ، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول في قوله تعالى : ﴿ كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناس ﴾ [٢] قال : « أنتم تُتِمُّونَ سبعين أمَّة ، أنتم خيرُها ، وأكرمُها على الله » .

١٢١ - *روى الترمذي عن عبدِ الله بن بُسرٍ رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « أُمَّتي يومَ القيامة غُرٌّ من السجود ، مُحَجَّلُون من الوضوء » .

١٢٢ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا يموتُ رجلٌ مسلم إلا أدخلَ الله مكانه النارَ يهودياً ، أو نصرانياً » .

قال : فاستحلفَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ أبا بُردةَ بالذي لا إله إلا هو ثلاث مرات : أن أباه حدثَه عن رسولِ الله ﷺ ؟ قال : فحلفَ له ، فلم يحدِّثني سعيد — هو ابن أبي بُردةَ — أنه استحلفه ، ولم ينكر على عَوْنٍ — هو ابن عتبةَ — قولَه .

وفي رواية « إذا كان يومُ القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فَكَاكُكَ من النار » .

١٢٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرَة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « نحن الآخِرون السابقون يومَ القيامة ، أُوتوا الكتاب مِن قَبْلِنا ، وأُوتيناه من بعدهم ، فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه ، فهدانا الله [له] فغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى » فسكت ، ثم قال : « حقٌّ على كل مسلم أن يغتسلَ في كل سبعةِ أيام يوماً ، يَغْسِلُ فيه رأسَهُ وجسده » . ليس فيه عند مسلم ذكر الغسل .

---

١٢٠ - الترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٤ - باب من سورة آل عمران .

وقال حديث حسن وحسنه الحاكم وغيرهما . قال الحافظ عنه : حديث حسن صحيح .

١٢١ - الترمذي (٢ / ٥٠٦) كتاب الصلاة ٤٢٧ - باب ذكر من سيما هذه الأمة ... إلخ .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو حديث صحيح .

١٢٢ - مسلم (٤ / ٢١١٩) ٤٩ - كتاب التوبة ٨ - باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله .

قال النووي : (الفكاك) : الخلاص والفداء .

وقال ومعناه : أنّ لكلّ أحد منزلاً في الجنّة ومنزلاً في النار كما في الحديث ، فالمؤمن إذا دخل الجنّة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره .

وفي رواية نحوه (١) ، وفيه ذِكْرُ الغسل .

وفي رواية للبخاري (٢) « نحن الآخِرون السابقون ... » لم يزد .

وفي أخرى لمسلم (٣) « نحن الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة ، ونحن أولُ من يدخل الجنة ... » وذكر نحوه .

وفي أخرى له (٤) قال : « أَضلَّ الله عز وجل عن الجمعة مَنْ كان قبلَنا فكان لليهود يومُ السبت ، وكان للنصارى يومُ الأحدِ ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يومَ القيامة ، المقضيُّ [لهم] قَبل الخَلائقِ » .

وفي رواية (٥) للبخاري ومسلم والنسائي قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « نحن الآخِرون السابقون ، بَيدَ أنهم أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلنا ، ثم هذا يومُهم الذي فَرضَ اللهُ عليهم ، فاختلفوا فيه فَهدانا اللهُ له » .

زاد النسائي : « يعني يوم الجمعة ، ثم اتفقوا ، فالناس لنا تَبَعٌ ، اليهود غداً ، والنصارى بعد غدٍ » .

البخاري (٢ / ٣٨٢) ١١ - كتاب الجمعة ١٢ - باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ... إلخ .
ومسلم (٣ / ٥٨٥) ٧ - كتاب الجمعة ٦ - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة .
والنسائي (٣ / ٨٥) ١٤ - كتاب الجمعة ١ - باب إيجاب الجمعة .

(١) مسلم (٣ / ٥٨٢) ٧ - كتاب الجمعة ٢ - باب الطيب والسواك يوم الجمعة .
(٢) البخاري (١ / ٣٤٥) ٤ - كتاب الوضوء ٦٨ - باب البول في الماء الدائم .
(٣) مسلم (٣ / ٥٨٥) الموضع السابق .
(٤) مسلم (٣ / ٥٨٦) الموضع السابق .
(٥) البخاري (٦ / ٥١٥) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء .
ومسلم (الموضع السابق) .
والنسائي (الموضع السابق) .
(بَيدَ أنهم) : بيد بمعنى غَير ، تقول : هو كثير المال ، بيْدَ أنه بخيل أي : غير أنه بخيل .

١٢٤ ـ * روى ابن ماجه عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون » .

١٢٥ ـ * روى البخاري عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لَيدخُلَنَّ الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً ــ أو سبعمائة ألفٍ ــ سِماطين آخذٌ بعضُهم ببعض ، حتى يدْخُلَ أوّلُهم وآخرُهم الجنة ووجوهُهم على صورة القمرِ ليلةَ البدرِ » .

١٢٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يدخُلُ الجنة من أمتي زُمْرَةٌ ــ هم سبعون ألفاً ــ تُضيء وجوهُهم إضاءةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدرِ » قال أبو هريرةَ : فقام عُكّاشة بنُ مِحْصَنٍ الأسَديّ فرفع نَمِرَةً عليه ، فقال : يارسول الله ، ادْعُ الله أن يَجعلَني منهم ، فقال رسولُ الله ﷺ :« اللهم اجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، ادع الله عز وجل أن يجعلني منهم ، فقال : « سبقَك [بها] عُكّاشَةُ » .

ولمسلم [1] : أن النبيَّ ﷺ قال : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » فقال رجل : يارسول الله ، ادْعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « اللهم اجعله منهم » ثم قام آخر ، فقال : يارسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبقك بها عُكّاشةُ » .

---

١٢٤ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٣٤) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٣٤ ـ باب صفة أمة محمد ﷺ .
وفي الزوائد : إسناده صحيحٌ ورجاله ثقات .
١٢٥ ـ البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .
(سماطين) : السِّماطان من النخل ومن الناس : الجانبان ، يقال : مشى بين السّماطين : إذا مشى بين صفين من الناس ، قال محقق الجامع : بالنصب على الحال ، ويجوز فيه : سماطان ، وفي نسخ البخاري المطبوعة : متماسكين ، وفي بعض الروايات : متماسكون .
١٢٦ ـ البخاري (١١ / ٤٠٦) ٨١ ـ كتاب الرقاق ٥٠ ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب .
ومسلم (١ / ١٩٧) ١ ـ كتاب الإيمان ٩٤ ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة ... إلخ .
(١) مسلم الموضع السابق .
=

وفي أخرى [١] قال : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، زمرةٌ واحدةٌ منهم على صورة القمر » .

١٢٧ - * روى الترمذي عن أبي أُمامَةَ الباهلي رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « وَعَدَني ربي أنْ يُدْخِلَ الجنّةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ ، ومع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاثُ حَثَياتٍ من حَثَياتِ ربي » .

١٢٨ - *روى أحمد ، عن أبي سعيدٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ « يجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل فيقال له هل بلغت قومك فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم فيقولون : لا ، فيقال : من شهد لك ؟ فيقول محمد وأمته ، فتدعي أمة محمد فيقال : هل بلغ هذا ، فيقولون نعم فيقول : وما علمكم بذلك ؟ فيقولون أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، قال : فذلكم قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

١٢٩ - * روى الحاكم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ قال : مع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته شَهِدوا له بالبلاغ وشَهِدوا للرسل أنهم قد بَلَّغوا .

= (١) مسلم الموضع السابق .

(زمرة) : الزمرة : الطائفة من الناس والجماعة منهم .

(نَمِرة) : النمرة ، جمعها : أنمار . وهي ثوب مخطّط .

١٢٧ - الترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ١٢ - باب منه حدثنا الحسن بن عرفة ... إلخ .

وإسناده حسن ، ورواه ابن حبان في صحيحه والطبراني ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(حَثَيات) : الحثيات جمع حَثْية ، وهي الغَرْفة بالكفّ ، يقال : حثا يَحثو ويحْثي .

١٢٨ - أحمد (٣ / ٥٨) . وهو حديث صحيح .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٢) ٣٧ - كتاب الزهد ٢٤ - باب صفة أمة محمد ﷺ .

١٢٩ - المستدرك (٢ / ٣١٣) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

١٣٠ - * روى أحمدُ والترمذيُّ عن بُريدةَ رضي الله عنهُ ، أن رسول الله ﷺ قال : « أهلُ الجنة عشرونَ ومائةُ صفٍّ ، ثمانونَ منها من هذه الأُمة ، وأربعون من سائرِ الأُمم » .

١٣١ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مع النبيِّ ﷺ في قُبَّةٍ نحواً من أربعين ، فقال : « أترضَوْنَ أن تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنة ؟ » قلنا : نعم ، قال : « أترضَوْنَ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة ؟ » قلنا : نعم ، قال : « والذي نفسُ محمدٍ بيده ، إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجَنةِ ، وذلك : أن الجَنةَ لا يدْخُلُها إلا نفسٌ مُسْلِمةٌ ، وماأنتم في أهل الشرك إلا كالشَّعْرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشَّعرةِ السوداء في جلد الثورِ الأحمرِ » .

وفي رواية الترمذي (١)مثله ، إلا أنه قال : « أتَرْضَوْنَ أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ؟ إن الجنةَ لا يدْخُلُها إلا نفسٌ مسلمة ... » وذكره .

١٣٢ - * روى الترمذي عن عُمران بن حُصَينٍ رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال لما نزلت ﴿ يأَيُّها الناسُ اتَّقوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ الساعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى الآية ﴿ عذاب الله شديد ﴾ وهو في سفرٍ ، فقال : « أتدرون أي يوم ذاك ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابْعَثْ بَعْثَ النار ، قال : يارب ، وما بعثُ النارِ ؟ قال : تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال النبيُّ ﷺ : « قاربوا وسَدِّدوا ، فإنَّه لم تكن نُبُوَّةٌ قطُّ إلا كان

---

١٣٠ - أحمد (٥ / ٣٤٧ - ٣٥٥) . وإسناد الحديث صحيح .

والترمذي (٤ / ٦٨٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ١٣ - باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن .

١٣١ - البخاري(١١ / ٣) ٨١ - كتاب الرقاق ٤٥ - باب الحشر .

ومسلم (١ / ٢٠٠) ١ - كتاب الإيمان ٩٥ - باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة .

(١) الترمذي (٤ / ٦٨٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ١٣ - باب ماجاء في صف أهل الجنة .

١٣٢ - الترمذي (٥ / ٣٢٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٢٣ - باب ومن سورة الحج . وقال : حسن صحيح .

- (قاربوا وسدِّدوا) : المقاربة في الفعل : القصد والعدل ، والسداد : الصواب من القول والفعل ، أي : اطلبوا القصد والصواب ، واتركوا الغُلُوّ والإفراط .

بين يـديها جـاهليّـةٌ ، فتؤخـذ العِـدَّة من الجـاهليـة ، فـإن تمت وإلا كُمِّلَت من المنافقين ، ومامَثَلُكم ومثل الأمم إلا كَمَثَلِ الرَّقْمَة في ذِراع الدابةِ ، أو كالشّامـةِ فِي جَنْبِ البعير » ثم قـال : « إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنـةِ » ، فكبَّروا ، ثم قـال : « إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة » فكبَّروا ، ثم قـال : « إني لأرجو أن تكونوا نِصْفَ أهل الجنة » فكبروا ، قال : ولا أدري : أقال الثُّلثين أم لا ؟

وفي رواية قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فتفـاوت أصحـابـه في السير ، فرفعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه بهاتين الآيتين ﴿ ياأيها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكم إنَّ زلزلـةَ السـاعـةِ شيء عظيم ﴾ - إلى قوله - ﴿ عذاب الله شديد ﴾ فلما سَمِعَ ذلك أصحابُـه حثُّوا المطيَّ ، وعرفوا أنَّـه عنـد قول يقوله ، فقال : « أتـدرون أيَّ يوم ذلـك ؟ » قـالوا : الله ورسولـه أعلم ، قـال : « ذلـك يومٌ ينـادي الله فيـه آدم ، فينـاديـه ربـه ، فيقول : يـاآدمُ ، ابعثْ بعثَ النـار ، فيقول : أيْ ربِّ ومابعثُ النـار ؟ فيقول : من كلِّ ألفٍ تسعُمائـةٍ وتسعـةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فيَئِس القومُ حتى ماأُبدَوْا بضَـاحِكـة ، فلمـا رأى رسولُ الله ﷺ الذي بـأصحـابـه ، قـال : « اعملُوا وأبشرُوا ، فوالـذي نفسُ محمـد بيـده ، إنكم لَمَعَ خَلِيقتَيْن ، ماكانتا مع شيء إلا كثَّرتـاه : يـأجوج ومـاجوج ، ومن مـاتَ من بني آدمَ ، ومن بني إبليسَ » .

فسُرِّي عن القوم بعضُ الـذي يجـدون ، قـال : « اعمَلوا وأبشروا ، فـو الـذي نفسُ محمـدٍ بيـده ، مـاأنتم في النـاس إلا كالشّـامـة في جنب البعير ، أو كالرَّقْمَـةِ في ذراع الدابة » .

= (الرَّقْمة) : الهَنة التي تكون في باطن عَضُدي الحمار ، وهما رقمتان في عَضُديه .

(حثُّوا) : حثُّ الدابة : الإسراع بها في السير ، وحملُها عليه .

(المطيُّ) : جمع مطية ، وهي الإبل .

(أبدَوا بضاحكة) : يقال : ماأبدى القوم بضاحكة ، أي : ماتبسموا حتى تبدو منها السّن الضاحكة ، فإن من تبسُّم أدنى تبسُّم بَدَتْ أسنانه .

ويقال في المبالغة : ضَحِك حتى بدت نواجذه ، وهي أواخر الأضراس .

(كثَّرتاه) : تقول : كاثرتُهُ فكثَّرته : إذا غَلَبْته بالكثرة ، وكنتَ أكثَرَ منه .

(فسُرِّي) : سُري عن الحزين والمغموم ونحوهما : إذا كشف عنه مابه وزَالَ .

١٣٣ ـ * روى أحمدُ عن عليّ بنِ خالدٍ أن أبا أمامة الباهليَّ مرَّ على خالدِ بن يزيدِ بن معاويةَ فسأله عن ألينِ كلمةٍ سمِعَها من رسول الله ﷺ فقال : سمِعْت رسول الله ﷺ يقول : « كلُّكم في الجنة ألا من شَرَدَ على الله شِرَادَ البَعيرِ على أهلِه » .

١٣٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدريّ قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتَدخُلُن الجنة كلُّكم إلا من أبى أوشَردَ على الله شِرادَ البعير » قيل يا رسول اللهِ ومن أبي أن يدخُلَ الجنة ؟ فقال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار » .

١٣٥ ـ * روى أحمدُ وأبو داود عن زيد بنِ أرقمَ ، رضي الله عنه ، قال : كُنَّا معَ رسول الله ﷺ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، فقال : « ما أنتم جزء من مائةِ ألف جزءٍ ممَّن يَرِدُ عليَّ الحوض » قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : سبعُمائةٍ ، أو ثمانمائةٍ .

١٣٦ ـ * روى أحمد عن أبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « بَشِّرْ هذه الأمَّةَ ـ وروي : بشر الأئمة ـ بالسناء والنَّصر والتمكين ، ومَن عَمِل منهم عَمَل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب » .

---

١٣٣ ـ أحمد (٥ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٧٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد وهو ثقة .

والمستدرك (٤ / ٢٤٧) وسكت عنه .

١٣٤ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٧٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

١٣٥ ـ أحمد (٤ / ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢) .

أبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ٢٦ ـ باب في الحوض .

المستدرك (١ / ٧٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٣٦ ـ المسند (٥ / ١٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٠) وقال : رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح .

والحاكم (٤ / ٣١١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١ / ٢١١) . وهو حديث صحيح .

١٣٧ ـ * أخرج الحاكم عن قتادة في قوله تعالى ﴿ فإمّا نذهبَنّ بكَ فإنّا منهم منتَقِمُون ﴾ فقال ، قال أنس : ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبَقيتْ النّقْمةَ ولم يُرِ اللهُ نبيَه صلى الله عليه وآله وسلم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكنْ نبي إلا وقد رأى العقوبةَ في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٣٨ ـ * روى البزار عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « أنا حَظُّكم من الأنبياء وأنتم حظّي من الأمم » .

١٣٩ ـ * روى أحمد عن أبي الدرداء قال : سمعت أبا القاسم رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يقول ياعيسى إني باعث بَعدك أمة إن أصابهم مايحبون حَمِدوا وشكَروا وإن أصابهم مايَكْرهَون احتَسَبوا وصَبَروا ولا حِلْمَ ولا عِلمَ قال يارب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي » .

١٤٠ ـ * روى الحاكم عن عوفِ بن مالكِ الأشجعيّ قال : نزلْنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزِلاً فاستيقظتُ من الليل فإذا لا أرى في العسكر شيئاً أطول من مُوخرة رحلي لقد لصق كلُّ إنسانٍ وبعيرُه بالأرض فقمت أتخللُ النـاسَ حتى دفعت إلى مضجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا ليس فيه فوضعتُ يدي على الفراش فإذا هو بارد فخرجت أتخللُ الناس أقولُ إنا إليه راجعون ذُهِبَ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى خرجتُ من العسكر كله فنظرت سواداً فرميت بحجر فمضيت إلى السواد فإذا معاذُ بن جبلٍ وأبو عبيدة بنُ الجراح وإذا بين أيدينا صوت كدويّ الرحا أو كصوت الْحَصْبَاء حين يُصيبها

---

١٣٧ ـ المستدرك (٢ / ٤٤٧) وصححه ووافقه الذهبي .

١٣٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) . وقال : رواه البزار وَرجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبة الطائي وقد صحح له الترمذي حديثاً وذكره ابن حبان في الثقات .

وله شاهد عند أحمد (٣ / ٤٧١) وهي جزء من حديث طويل .

١٣٩ ـ المسند (٦ / ٤٥٠) .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط .

ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن سَوّار وأبي حَلْبَس يزيد بن ميسرة وهما ثقتان .

المستدرك (١ / ١٤ ، ٦٧) .

١٤٠ ـ المستدرك (١ / ٦٧) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواته كلهم ثقات على شرطهما =

الريحَ فقال بعضنا لبعض : يـاقومُ اثبتُوا حتى تصبحوا أو يـأتيكم رسولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلم قال : فلبثنا ما شاء الله ثم نـادى « أثَمَّ معـاذُ بن جبلٍ وأبو عبيـدةَ بنُ الجراح وعوفُ ابن مالـكٍ » فقلنـا : أي نعم فـأقبل إلينـا فخرجنـا نمشي معـه لا نسـألـه عن شيء ولا نخبره بشيء فقعد على فراشه فقال : « أتدرون مـا خيرني بـه ربي الليلـة » فقلنـا : الله ورسولُـه أعلم قـال : « فـإنـه خيرني بين أن يَـدخُـلَ نصف أمتي الجنـة وبين الشفـاعـة فـاخترتُ الشفاعة » قلنا : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلنا من أهلها قال : « هي لكل مسلم » .

١٤١ ـ * روى أحمدُ عن أبي جُمُعَة قال : تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدةَ بنُ الجراح فقال : يا رسول الله : أحد أفضل منا أسلمنا معك وجاهدنا معك .
قال : « نعم قومٌ يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يَرَوني » .

الأفضليّة هنا من حيثيّة أنّ هؤلاء آمنوا ولم يشاهدوه فلهم فضل على الصحابة من هـذه الحيثيّة ، أما فضل أصحاب رسول الله ﷺ بحيثيّة الصحبة فلا يلحقهم أحد .

١٤٢ ـ * روى البزارُ عن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال النبي ﷺ : « أي الخلـق أعجَبُ إيماناً » قالوا الملائكةُ قـال : « الملائكـةُ كيفَ لا يؤمنون » قـالوا النبيون قـال : « النبيون يوحَى إليهم فكيف لا يؤمنون » قـالوا : الصحابـة قـال : « الصحـابـة مع الأنبيـاء فكيف لا يـؤمنـون ولكن أعجب النـاس إيمـانًـا قـوم يجيئـون من بعـدكم فيجدون كتابًا من الوحي فيؤمنون به ويتّبعونَه فهم أعجبُ الناسِ إيمانـاً أو الخلق إيماناً » .

= جيماً وليس له علة وليس في سائر أخبار الشفاعة وهي لكل مسلم .
وقال الذهبي :
على شرط مسلم .
١٤١ ـ أحمد (٤ / ١٠٦) .
ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٦) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات .
١٤٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٦٥) . وقال :
رواه البزار وقال غريب من حديث أنس . قال الهيثمي : فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيـه فوثقـه قوم وضعفـه آخرون ، وبقية رجاله ثقات . وأخرجه الدارمي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

أقول :

الخصوصيّة لا تقتضي الأفضليّة المطلقة إلا إذا كانت كذلك ، فخصوصيّة هؤلاء بالفضل من هذه الحيثيّة التي ذكرها رسول الله ﷺ لكنّ الفضل بإطلاق إنّما هو للنبيين ثمّ الصديقين ثمّ الشهداء ثم الصالحين والله أعلم ، وأصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل الخلق بعد النبيين لحيثيّة الصحبة .

١٤٣ - * روى الطبراني عن سهلِ بن سعدٍ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن في أصلاب أصلاب أصلابِ رجالٍ من أصحابي رجالاً ونساءً يدخلون الجنة بغَيْرِ حساب » ثم قرأ ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم** ﴾ .

١٤٤ - * روى الطبراني والبزار عن رِفاعةَ بن عَرَابَة ، قال : صَدَرْنا مع رسول الله ﷺ فجعل أُناسٌ يَستأذنون رسول الله ﷺ فجعل يَأْذَنَ لهم ، فقال رسول الله ﷺ : « مابالُ شِقٌّ الشجرةِ التي تلي رسول الله ﷺ أبغضُ إليكم من الشِّقِّ الآخر » فلا تَرى من القوم إلا باكيًا ، فقال أبو بكر : إن الذي يستأذنك في نفسي بعدها لسفيهٌ فقال رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أشهد عندَ الله - وكان إذا حَلف قال : والذي نفس محمد بيده - مامنكم من أحدٍ يؤمنُ بالله ثم يُسَدِّدُ إلا سَلَكَ الجنةَ ولقد وعَدَني ربي أن يُدْخِلَ من أمتي الجنةَ سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ وإني لأرجُو أن لا يدْخُلوها حتى تبوأوا أنتم ومن صَلَحَ من أزواجكم وذراريكم مساكنَ في الجنةِ ثم قال : إذا مضى شَطْرُ الليل أو قال ثُلثاه ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسألُ عن عبادي غيري ، مَنْ ذا الذي يسألُني أعْطِيه ؟ من ذا الذي يدعُوني أستَجِيب له ؟ من ذا الذي يستغْفِرُني أغفرَ له ؟ حتى يَنْصَدِعَ الفجر » .

---

١٤٣ - المعجم الكبير (٦ / ٢٠١) .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٤٨) وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٤٤ - المعجم الكبير (٥ / ٤٩ - ٥١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٨) وقال : رواه الطبراني والبزار بأسانيد ورجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح .

في هذا الحديث دليل على فضل الصحبة ، وأنّ الصحابة مقدّمون في دخول الجنّة على غيرهم . والسبعون ألفاً المذكورون في هذا الحديث ممن يأتون بعد الصحابة ، فهم غير السبعين ألفاً الذين سيكون منهم عكاشة بن محصن . والله أعلم .

١٤٥ - * روى البزار والطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ أمتي مثلُ المطرِ لايدْرَى أولُه خيرٌ أم آخِره » .

١٤٦ - * روى أحمد عن عمارِ بنِ ياسرٍ قال : قال رسول الله ﷺ « مثلُ أمتي مثلُ المَطرِ لا يُدرَى أولُه خيرٌ أم آخِره » .

١٤٧ - * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :« مَثَلُ أُمتي مثلُ المطر : لا يُدْرَى آخِرُه خيرٌ ، أم أوَّلُه ؟ » .

١٤٨ - * روى أحمدُ عن أبي عبد الرحمنِ الجهني قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ طلَعَ راكبان فلمّا رآهما قال « كِنديان مُذحِجيّان » حتى إذا أتياه قال : فدنا أحدهما إليه ليبايعَه قال : فلما أخذَ بيده قال : يارسول الله : أرأيتَ من رآكَ وآمنَ بك وصدّقك واتَّبعك ماذا له قال : « طُوبَى له » فمسح على يده وانصرف ثم أقبل الآخر حتى أخذَ بيده ليبايَعه قال : أرأيتَ يارسولَ الله من آمن بك وصدّقك واتّبعك ولم يَرك قال : « طُوبَى له ثم طُوبَى له » قال فمسح على يده وانصَرفَ .

---

١٤٥ - مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) .

قال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد البزار حسن ، وقال : لا يروى عن النبي ﷺ بإسناد أحسن من هذا .

١٤٦ - أحمد (٤ / ٣١٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٨) . قال الهيثمي : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة وعبيد بن سليمان الأغر وهما ثقتان وفي عبيد خلاف لا يضر .

١٤٧ - الترمذي (٥ / ١٥٢) . وقال : هذا حديث حسن .

١٤٨ - أحمد (٤ / ١٥٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع .

١٤٩ - * روى أحمد والطبراني عن أبي أُمـامَـةَ ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « طُوبَى لمن رآني وآمن بي ، وطُوبَى لمن آمن بي ولم يَرنَي » سبع مرات .

١٥٠ - * روى ابن خزيمة في صحيحه عن حذيفة بن اليَمان ، قال : قال رسول الله ﷺ « فُضِّلنا على الناس بثَلاثٍ ، جُعِلَتْ لنا الأَرضُ كُلُّها مَسجدًا ، وجُعِلَ تُرابُها لنا طهوراً إذا لم نجـدِ المـاءَ ، وجعلت صفـوفُنـا كصفـوفِ المـلائكـةِ ، وأُوتيت هـؤلاء الآيـاتِ من آخِرِ سـورة البقرة من بيتِ كَنز تحتَ العرشِ لم يُعْـطَ منـه أَحـدٌ قَبلي ولا أحدٌ بعدي ».

* * *

وبعد : فإنّ مافضّلت به هذه الأمّة وفضّل به رسولها ﷺ أكثر ممّا يحصى ، وخاصّة هـذا القرآن العظيم المعجزة المتجدّدة الخالدة ، وإنّما ذكرنا بعضاً من الأحاديث في فضل هذه الأمّة سابقها ولاحقها هنا حتى لا يخلو قسم العقائد من مثل هذا الموضوع ، فـالإيمـان بفضل هـذه الأمّة على غيرها من المعلومات من الدين بالضرورة ، وقـد جرت عـادة المؤلّفين في العقـائـد أن يدخلوا في كتبهم موضوع الفاضل والأفضل من الرجال والأعمـال والأمم ، واكتفينـا هنـا بـذكر فضل هـذه الأمّـة ليحرص المسلم على الانتماء ويستشعر شرف ذلـك ﴿ وقـال إنني من المسلمين ﴾ .

* * *

---

١٤٩ - أحمد (٥ / ٢٤٨) .

المعجم الكبير (٨ / ٣١١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٦٧) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجـال الصحيح غير أيمن بن مـالـك الأشعري وهو ثقة . كذا في المجمع ، والحديث بطرقه صحيح .

١٥٠ - صحيح ابن خزيمة (١ / ١٣٢) .

وأحمد (٥ / ٣٨٣) .

ومسلم (١ / ٣٧١) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة . وهو عند أحمد ومسلم باختلاف يسير .

الفصل الخامس

في:

فضل الإيمان وفي فضل المؤمن

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

ليس هناك شيء أعظم ولا أفضل من الإيمان ، وليس هناك أحد من الناس يكرم عند الله إلا بالإيمان ، وإنّما يتفاوت الناس عند الله بمقدار إيمانهم : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) ولا يعرف عظمة الإيمان إلا من آمن باليوم الآخر وعرف ماأعده الله عز وجل للمؤمنين وللكافرين ، إن من عرف أن هناك جنة وناراً عرف فضل الإيمان ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** ﴾ (٢) . فإذا كان الإنسان يخرج من النار بسبب ذرة إيمان في قلبه عَرِفَ أهميةَ ذرة الإيمان هذه ، وعَرِفَ فضل الإيمان بذلك ، ومن عرف أن الحكمة في كل ماخلق الله أن يوجد المؤمن ، عرف فضل المؤمن : ﴿ **هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ (٣)

﴿ **قل من حرم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيباتِ من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾ (٤) .

ومن عرف فضل الإيمان وفضل المؤمن عرف مِنّة الله على عباده بإرساله محمدًا ﷺ ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (٥)ومن ههنا كان أهم مايحرص عليه المؤمن تحصيل أصل الإيمان ، وتحصيل المزيد منه بالعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بالمذاكرة مع أهل الإيمان وبالاجتماع مع أهل القرآن ، وبتحمل ما ينتج عن حمل الحق :

وما اجتَمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلَتْ عليهم السكينة .... (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٣ .
(٢) الأنعام : ٩٢ .
(٣) تبارك : ٢ .
(٤) الأعراف : ٣٢ .
(٥) الأنبياء : ١٠٧ .
(٦) رواه مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ١١ ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ... إلخ .

ومن آثار تَنزُّل السكينة زيادة الإيمان ﴿ هو الذي أنزلَ السكينةَ في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ (١)

وكان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : (تعال نؤمن بربنا ساعة) . أخرجه أحمد ، وأخرج البخاري تعليقاً قال : قال معاذ (اجلس بنا نؤمن ساعة) .

قال ابن حجر : وصله أحمد بسند صحيح ...

* * *

الفتح : ٤ .

أحمد (٣ / ٢٦٥) .

البخاري (١ / ٤٥) ٢ ـ كتاب الإيمان ١ ـ باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس .

النصوص الحديثية

١٥١ - * روى البخاري عنْ أبي سَعيدٍ الْخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « يَدْخُلُ أهلُ الْجنَّةِ الجنَّةَ وَأهلُ النَّارِ النَّارَ ، ثمَّ يقولُ اللهُ تعالى أخرجوا مَنْ كانَ في قَلبِه مثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ ، فَيُخرَجونَ منها قد اسْوَدوا فيُلْقَوْنَ في نهرِ الحَيا - أوِ الحَياة ، شَكَّ مالكٌ - فيَنبتُونَ كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جانِبِ السَّيْلِ ، ألم ترَ أنَّها تَخْرُجُ صَفْراءَ مُلْتَويَة » ؟ !

١٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ؛ قال : سُئِل رسولُ الله ﷺ : أيُّ العملِ أفضَلُ ؟ قال : « إيمانٌ باللهِ ورسوله » ، قيل ثم ماذا ؟ قالَ : « الجهادُ في سبيلِ اللهِ » ، قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال : « حَجٌّ مبرورٌ » .

وفي أخرى للنسائي [(١)] ؛ أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : « الإيمانُ باللهِ ورسولِهِ » لم يَزِدْ .

وفي رواية الترمذي [(٢)] ، قال : سُئِلَ رَسولُ الله ﷺ : أيُّ الأعمال خيرٌ ؟ .. وذكر الحديث وفيه قال : « الجهادُ سَنَامُ العَمَلِ » .

---

١٥١ - البخاري (١ / ٧٢) ٢ - كتاب الإيمان ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

وأخرجه مسلم بنحوه (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ٨٢ - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(الحِبَّةُ) : قال النووي : الحِبَّةُ هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول .

وجمعها : حِبَب . وقال ابن حجر : بكسر أوله ، وهي جمع بزور النبات ، واحدتها ، حَبَّة بالفتح . وأما الحَبُّ : فهو الحنطة والشعير ، واحدتها : حَبَّة بالفتح أيضاً ، وإنما افترقا في الجمع ا . هـ .

وقيل : الحِبَّة بزور الصحراء مما ليس بقوت .

١٥٢ - البخاري (١ / ٧٧) ٢ - كتاب الإيمان ١٨ - باب من قال إن الإيمان هو العمل .

ومسلم (١ / ٨٨) ١ - كتاب الإيمان ٣٦ - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

والنسائي (٥ / ١١٣) ٢٤ - كتاب المناسك ٤ - فضل الحج .

(١) النسائي (٨ / ٩٣) ٤٧ - كتاب الإيمان ١ - ذكر أفضل الأعمال .

(٢) الترمذي (٤ / ١٨٥) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ٢٢ - باب ماجاء أي الأعمال أفضل .

١٥٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه ؛ قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ العملِ أفضلُ ؟ قال : « الإيمانُ بالله ، والجهادُ في سبيله » ، قلتُ : فأيُّ الرقابِ أفضلُ ؟ قالَ : « أغلاها ثمناً ، وأنْفَسُها عند أهلِها » ، قلتُ : فإن لم أفْعَلْ ؟ قال : « تُعينُ ضائعاً ، أو تَصْنَعُ لأَخْرَقَ » ، قلتُ : يارسول الله أرأيتَ إنْ ضَعُفْتُ عن بعضِ العمل ؟ قال : « تَكُفُّ شَرَّكَ عن الناسِ ، فإنها صَدقةٌ تتصدَّقُ بها على نفسِكَ » .

وفي رواية النسائي (١) : أنه سأل النبيَّ ﷺ : « أيُّ العمل خيرٌ ؟ قال : إيمان بالله ، وجهادٌ في سبيل الله » لم يزد .

١٥٤ - * روى أحمد عن ماعزٍ ، عن النبي ﷺ أنه سُئل : أيُّ الأعمال أفضلُ قال : « إيمان بالله وحدَه ثم الجهادُ ثم حَجَّةٌ بَرَّةٌ تفضل سائرَ الأعمالِ كما بين مَطْلِع الشمس إلى مَغْرِبِها » .

١٥٥ - * روى أحمد عن سعدِ بن أبي وقاص ؛ قال رسول الله ﷺ : « عَجبتُ من قضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ للمؤمنِ إن أصابَه خيرٌ حَمِدَ ربَّهُ وشَكَر وإن أصابته مصيبةٌ حَمِدَ ربَّه وصبَر ، المؤمن يؤجرُ في كل شيء » .

---

١٥٣ - البخاري (٥ / ١٤٨) ٤٩ - كتاب العتق ٢ - باب أي الرقاب أفضل .

مسلم (١ / ٨٩) ١ - كتاب الإيمان ٣٦ - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال .

(١) النسائي (٦ / ١٩) ٢٥ - كتاب الجهاد ١٧ - باب مايعدل الجهاد في سبيل الله .

(أنفَسها) : الشيء النفيس : الجيد من كل شيء ، المرغوب فيه ، وحقيقته : الشيء الذي يتنافس فيه .

(تعين ضائعاً) : أي : ذا ضياع من فَقْرٍ أو عيال ، أو حال قَصَّرَ عن القيام بها .

(لأخرق) : الخرَق : ضد الرفق والكياسة والتعقل ، والرجلُ أخرَقُ ، والمرأة خَرْقاءُ .

١٥٤ - أحمد (٤ / ٣٤٢) .

المعجم الكبير (٢٠ / ٣٤٤) .

مجمع الزوائد (٣ / ٢٠٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٥ - أحمد (١ / ١٧٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٥) . وقال : رواه أحمد بأسانيدَ والطبراني في الأوسط وزاد في كل يؤجر المؤمن حتى في أُكْلته يرفَعُها إلى فيه ، والبزار / قال : يؤجر في كل أمره حتى اللُّقْمَة يَرفَعُها إلى في امرأته ، وأسانيد أحمد رجالها رجال الصحيح وكذلك بعض أسانيد البزار .

١٥٦ - * روى مسلم عن صُهَيْب ، رفعه : « عَجَباً لأمر المؤمن إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لـه خَيْرٌ وليس ذلـك لأحـد إلا للمـؤمنِ إن أصـابتْـهُ سَراءُ شَكَرَ فكان خيراً ، وإن أصـابتْـهُ ضَراءُ صَبَرَ فكان خيراً » .

١٥٧ - * روى الشيخان عن أبي سعيد مرفوعاً : « يَخْرُجِ من النار من كان في قلبـه مِثقـالُ ذرةٍ من الإيمـان » قـال : أبـو سعيـد فمن شَـكَّ فليقرأ ﴿ إنّ الله لا يَظلِمُ مِثقـالَ ذَرةٍ ﴾ .

١٥٨ - * روى الطبراني عن عبـدِ الله بن مسعـودٍ ؛ قـالَ : إنَّ اللهَ قَسَمَ بينكم أخـلاقكم كما قسم بينكم أرزاقَكُم ، وإنَّ الله يـؤتِي المـالَ مَنْ يُحبُّ ومن لا يُحِبُّ ولا يـؤتِي الإيمـان إلا من أحبَّ ، فإذا أحبَّ اللهُ عبداً أعطاه الإيمانَ فمن ضَنّ بالمال أن يُنفِقَهُ وهابَ العدوَ أن يجاهـدَهُ والليلَ أن يكابدَهُ فلْيكْثر من قول لا إله إلا اللهُ والله أكبرُ والحمدُ لله وسبحانَ الله .

١٥٩ - * روى الحـاكم عن ابن مسعود قـال : قـال رسـول الله ﷺ « إنَّ اللهَ قَسَمَ بينكم أخـلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإنَّ الله يُعْطي الـدنيـا من يحبُّ ومن لا يحبُّ ، ولا يُعطي الإيمانَ إلا من يحب » .

١٦٠ - * روى الطبراني عن عبادة بن الصَّامِت قـال : بينمـا أنـا عنـدَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَهُ رجلٌ فقال : يارسول الله أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيلِـهِ

---

١٥٦ - مسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٣ - باب المؤمن أمره كله خير .

١٥٧ - البخـاري (١٣ / ٤٢٠ : ٤٢٢) ٩٧ - كتـاب التوحيـد ٢٤ - بـاب قول الله تعـالى ﴿ وجـوه يـومئـذ نـاضرة إلى ربهـا ناظرة ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٧ : ١٧١) ١ - كتاب الإيمان ٨١ - باب معرفة طريق الرؤيا .

الترمذي (٤ / ٧١٤) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ١٠ - باب منه حدثنا هناد ... إلخ .

١٥٨ - المعجم الكبير (٩ / ٢٢٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٠) وقال : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح ا.هـ .

وقد ضعفه بعضهم ، ويشهد لبعضه الحديث التالي .

١٥٩ - المستدرك : (٢ / ٤٤٧) قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

١٦٠ - مجمع الزوائد (٥ / ٢٧٨) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وفي الآخر سويد بن إبراهيم ، وثقه ابن معين في روايتين ، وضعفه النسائي وبقية رجالهما ثقات .

وحَجٌّ مبرورٌ» فلما ولى الرجل قال : « وأهون عليك من ذلك إطعامُ الطعامِ ولِينُ الكلامِ وحُسْنُ الْخلُقِ » ، فلما ولى قال : « وأهون عليك من ذلك لا تتهم اللهَ على شيء قضاهُ عليك » وفي رواية إن الرجل هو الذي قال يارسولَ الله أُريدُ أهونَ من ذلك ، قال : « السماحةُ والصَّبْرُ » .

١٦١ - * روى أحمد والطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : بيْنما نحْنُ نسيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذْ سمِعَ القَوْمَ وهُمْ يَقُولُونَ : أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ يارسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ : « إيْمَانٌ باللهِ وجهادٌ في سَبِيلِ اللهِ وحجٌّ مَبْرورٌ » ثمَّ سَمِعَ نَداءً في الوَادِي يقول أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنْ محمداً رَسُولُ اللهِ فَقَالَ رسول اللهِ ﷺ : « وَأَنا أشْهَدُ وأَشْهدُ ألا يَشْهَدَ بَها أحَدٌ إلا بَرِئَ منَ الشرْكِ » .

١٦٢ - * روى أحمد عن عبدِ الله بن عَمْرو أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده إنَّ مثلَ المؤمنِ كمَثلِ النحلةِ أكلت طيباً ووضعت طيباً ووقعت فلم تكسِرْ ولم تُفْسِدْ » .

١٦٣ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ عَز وجلَّ يقول إنَّ عبدي المؤمن عِندي بمنزلةِ كلِّ خيرٍ يَحمدُني وأنا أنْزِعُ نَفْسَهُ من بين جَنبيه » .

* * *

---

١٦١ - أحمد (٤ / ٤٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٩) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد موثقون . كذا في المجمع ولبعضه شواهد .

١٦٢ - أحمد (٢ / ١٩٩).

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٥) وقال : رواه أحمد في حديث طويل تقدم ورجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة وقد وثقه ابن حبان .

١٦٣ - أحمد (٢ / ٣٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السادس

في:

أمثال مثل بها لدعوة الرسول ﷺ وللمستجيبين له

النصوص

قال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال ﴾ (١)

﴿ إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها ﴾ (٢)

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ (٣) .

فضرب الأمثال أسلوب جاء به القرآن ، وقد تأدّب بـه رسول الله ﷺ ، فكان يكثر من ضرب الأمثال ، والعـالِم وحـده هو الـذي يـدرك حقيقـة المثل ، قـد يفهم الإنسـان العـادي المثل ، ولكنّ الفهم شيء وإدراك حقيقة المثل شيء آخر ، وقد مثّل رسول الله ﷺ لـدعوتـه أمثلة كثيرة . وهذه نماذجُ من ذلك :

١٦٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه ؛ قال : قـال رسول الله ﷺ : « إنَّ مَثَلَ مابعَثني الله به من الهُدى والعلمِ ، كمثلِ غَيثٍ أصـابَ أرضًـا ، فكانت منها طائفَةٌ طيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتْ الكلأَ والعُشْبَ الكثير ، وكان منهـا أجـادِبُ أمْسَكتِ المـاءَ ، فنفعَ اللهُ بهـا النَّـاسَ ، فشربوا منهـا ، وسَقَـوْا ورَعَـوْا ، وأصابَ طائفَةً منها أُخْرى ، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فذلـك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ونَفَعَـهُ مـابعثني الله بـه ، فعَلِمَ وعلَّم ، ومثلُ من لم يَرْفعْ بذلك رَأْساً ، ولَمْ يَقبَلْ هُدى اللهِ الذي أُرْسلت به » .

قـال النووي في شرح مسلم ، أمـا الغيث : فهو المطر ، وأمـا العشب والكلأ والحشيش ، فكلها أسماء للنبـات ، لكن الحشيش مختص بـاليـابس . والعشب والخلا - مقصوراً - مختصـان بـالرطب ، و « الكلأ » بـالهمز يقع على اليـابس والرطب . « والأجـادب » بـالجيم والـدال المهملة ، وهي التي لا تنبت كلأ .

---

(١) إبراهيم : ٢٥ . (٢) البقرة : ٢٦ .

(٣) العنكبوت : ٤٣ .

١٦٤ - البخاري (١ / ١٧٥) ٣ - كتاب العلم ٢٠ - باب فضل من علم وعلم .

مسلم (٤ / ١٧٨٧) ٤٣ - كتاب الفضائل ٥ - باب بيان مثل مابعث النبي ﷺ من الهدى والعلم .

وقد جاء في « الفتح » : قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ ، لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها » ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ، ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ، والله أعلم .

أقول : الأرض الجدباء هنا هي الأرض التي لا تنبت لكنها تحفظ الماء على ظهرها ، والمراد بالقاع هنا الأرض التي لا تنبت ولا تحفظ الماء على ظهرها .

لقد جاء محمد ﷺ بالهدى متمثلاً بالكتاب والسنّة ، والكتاب والسنّة للقلوب بمثابة المطر للأرض ، والمسلمون أقسام : فقسم لا يقرأ ولا يسمع كتاباً وسنّة ولو سمع وقرأها ما أفاد ولا استفاد فهؤلاء قلوبهم كالصحاري ، وناس يقرؤون فيستفيدون فيعملون ويفيدون فهؤلاء بساتين هذا العالم وناس يحفظون ويعلّمون فهؤلاء أحواض يشرب منها الناس ، إن الذين يسمعون فلا يحفظون ولا يعلمون ولا يعملون هم غرابيل الناس .

وعلى كلٍّ فلا شيء يكشف طبيعة القلوب مثل عرض الكتاب والسنّة عليها ، وهذه مهمّة الربّانيّين : اقرأ على الناس الكتابَ والسنّة فتظهر جواهر قلوبهم ، وعلى من لم يكن قلبه بستاناً أن يجاهد نفسه . فالله تعالى يقول : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا ﴾ [1] .

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

١٦٥ - * روى الترمذي عن النَّواسِ بنِ سَمْعَانَ ، رفعه : « إنَّ اللهَ ضَربَ مثلاً صِراطاً مُستقيماً ، على كَنَفي الصِراط دَارَان لهما أبوابٌ مفتحةٌ ، على الأبواب ستورٌ ، ودَاع يدعو على رأسِ الصِراطِ وداع يدعو فوقَه ، ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ والأبوابُ التي على كَنفي الصِّراطِ حدودُ اللهِ ، فلا يقعُ أحدٌ في حدودِ الله ، حتى يكشِفَ السِترَ والذي يدعو من فوقه واعظُ ربهِ » .

في الحديث : إشارة إلى : إسلام وقرآن وفطرة : فالإسلام هو دين الله وهو الصراط المستقيم ، ومما يثبت على الصراط القرآن وواعظ الله في القلب المؤمن ، فمن كان له تلاوة في القرآن ، ومن كانت في قلبه بقية من حياة وفطرة ، فحريّ به أن يستقيم ، وعوامل الانحراف كثيرة وأبوابها كثيرة والشيطان ودعاة الضلال يدفعون نحو هذه الأبواب فالشهوات الحسية والمعنوية والضلالات والشبهات كل من أفرادها باب من دخله ضلّ إلا أن يرجع .

وأهل الصراط المستقيم هم المطيعون من أهل السنة والجماعة ، وإذن هم من اجتمع لهم اعتقاد صحيح وعمل صحيح ، أمّا مَنْ سِوى ذلك من المكلفين فهم بين داخل في طريق كفري أو في طريق ضلال أو معصية :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (١) .

﴿ إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ (٢) .

---

١٦٥ - الترمذي (٥ / ١٤٤) ٤٥ - كتاب الأمثال ١ - باب ماجاء في مثل الله لعباده . وقال : حسن غريب .
وأحمد (٤ / ١٨٢ ، ١٨٣) .
وأخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي .
(دَارَان) : جدران . وفي بعض الروايات سُوران .
(كنفي) : جانبي .
(١) الأنعام : ١٥٩ . (٢) الأنعام : ١٥٣ .

١٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ مَثَلي وَمثل ما بعثني الله به ، كمثلِ رجلٍ أتى قَوْمَهُ فقال : إنِّي رأيتُ الجيشَ بعَيْنيَّ ، و [إني] أنا النَّذيرُ العُرْيان . فالنَّجاءَ ، النَّجاءَ ، فأطاعهُ طائفةٌ من قومهِ ، فأدْلَجوا ، فانْطلَقُوا على مَهْلِهِم فنجَوْا ، و كذَّبَتْ طَائفةٌ منهم ، فأَصْبَحوا مكانَهم ، فصبَّحهم الجيشُ فأَهلَكَهم ، واجْتَاحَهُم ، فذلك مَثَلُ من أطاعني ، واتَّبَعَ ما جِئْتُ به ، ومَثَلُ مَن عصاني ، وكذبَ ما جِئتُ به من الحق ».

١٦٧ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ؛ أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنما مَثَلِي ومثلُ النَّاسِ ، كمثلِ رجلٍ استوقَدَ نارًا ، فلمَّا أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ ، جعَلَ الفَرَاشُ وهذي الدوابُّ ، الَّتي تقع في النَّار ، تَقَعُ فيها ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ ، فَيَتَقَحَّمْنَ فيها ، فأَنا آخِذٌ بِحُجَزِكُم عن النَّار ، وأَنتُم تَقَحَّمُونَ فيها » .

١٦٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : ذكر أحاديث منها : قال رسول الله ﷺ : « مثلي كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيَتقحمن فيها . قال فذلكم مثلي ومثلكم . أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحَّمون فيها » .

وأخرجه الترمذي بنحوه (١) .

---

١٦٦ - البخاري (١١ / ٣١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي .

مسلم (٤ / ١٧٨٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته .. إلخ .

(النَّجاءَ) أي : اطلبوا الخلاص ، وأنجوا أنفسكم وخلصوها .

(فاجتاحهم) استأصلهم ، وهو من الجائحة التي تهلك الأشياء .

(النذير العريان) الذي لا ثوب عليه ، وخص العُريان ، لأنه أبْينُ في العين ، وأصل هذا : أن الرجل منهم كان إذا أنذر قومَه ، وجاء من بلد بعيد انسلخ من ثيابه ، ليكون أبْيَنَ للعين .

(أدلجوا) إذا خُفِّف - من أدلج يُدْلِج - كان بمعنى : سار الليل كله ، وإذا ثقل - من ادَّلج - كان إذا سار آخر الليل .

١٦٧ - البخاري (١١ / ٣١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٦ - باب الانتهاء عن المعاصي . وهذه رواية البخاري .

١٦٨ - مسلم (٤ / ١٧٨٩) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

(١) الترمذي (٥ / ١٥٤) ٤٥ - كتاب الأمثال ٧ - باب ماجاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله . =

١٦٩ - * روى مسلم عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلي و مثلُكم كَمَثَلِ رجلٍ أَوْقَدَ نارًا ، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فيها ، وهُوَ يَذُبُّهُنَّ عنها ، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكم عن النار ، وأنتم تَفَلَّتُونَ مِن يَدي » .

١٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مثلُ المؤمنِ كمَثَلِ شجرةٍ خضراءَ ، لا يَسقُط ورقها ، و لايتحاتُّ » . فقال القومُ كذا ، هي شجرةُ كذا ، فأَردْتُ أن أقولَ : هي النَّخْلةُ ، و أنا غلام شابٌ ، فاستحْيَيْتُ ، فقال : « هي النَّخْلةُ » .

١٧١ - * روى البخاري عن جابر بن عبدِ الله ؛ قال : جاءَتْ مَلائِكَةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ ، وهُو نَائمٌ ، فقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نَائمٌ ، وقالَ بَعْضُهُمْ ، إنَّ الْعَيْن نَائمَةٌ ، والْقَلْبَ يَقْظانُ فَقَالُوا : إنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذا مَثَلاً ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا ، فقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ نَائم ، وقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ الْعَيْنَ نَائمَةٌ ، والْقَلْبَ يَقْظَانُ . فَقالُوا : مَثَلُه كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى دَارًا ، وجَعَلَ فيها مَأْدُبَة ، وبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجابَ الدَّاعِيَ ، دَخَلَ الدَّارَ ، وأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، ومَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ ، لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ، ولَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ .

= (الحُجَز) : جمع حُجْزَة ، وهي مَقْعِدُ الإزار ، وحجزة السراويل معروفةٌ .

(التَّقَحُّمُ) : الإقدامُ والوقوعُ في الأمور الشاقة من غير تثبت .

١٦٩ - مسلم (٤ / ١٧٩٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ٦ - باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم ...

(الجنَادِب) : جمع جُنْدَب ، وهو طائر كالجراد ، يَصِرُّ في الحرّ .

(تَفلّتون) : التفلُّت والانفلات : التخلص من اليد .

وأما « تفلتون » فروي بوجهين : يقال : أفلت مني وتفلت : إذا نازعك الغلبة والهرب ، ثم غلب وهرب ، ومقصود الحديث : أنه ﷺ ، أرسله الله ليمنع بقدر طاقته تساقط الجاهلين والمخالفين بشركهم وبمعاصيهم وشهواتهم في غضب الله وعذابه في الدنيا ، وفي نار الآخرة ، وهم حريصون بعمى بصائرهم وجاهليتهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم ، فهم يتساقطون في الفساد تساقط الفراش في النار ، لهواهم وضعف تمييزهم ، فكلاهما حريص على هلاك نفسه ، ساع في ذلك .

١٧٠ - البخاري (١٠ / ٥٢٣) ٧٨ - كتاب الأدب - ٧٩ - باب مالا يستحيا من الحق ، للتفقه في الدين .

مسلم (٤ / ٢١٦٤ : ٢١٦٦) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٥ - باب مثل المؤمن مثل النخلة .

(يَتَحات) : تحاتّ ورقُ الشجر : إذا انتثر وتساقط بنفسه .

١٧١ - البخاري (١٣ / ٢٤٩) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

فقَالُوا : أَوِّلُوهَا لَهُ يفْقهها ، قـالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّـهُ نَـائِم ، وقـالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الْعَيْنَ نَـائِمَـةٌ ، والْقَلْبِ يَقْظانٌ ، فَقَالُوا : فَالدَّارُ : الجَنَّـةُ ، والـدَّاعي : مُحَمَّـدٌ ، فَمَنْ أطَـاع مُحمَّدًا ، فَقَـدْ أَطَاعَ اللهَ ، ومنْ عَصَى مُحمَّدًا ، فَقَدْ عَصَى اللهَ ، ومُحمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ .

* * *

الفصل السابع
في:
الإسلام وأسسه وأركانه ومقاماته وبعض أعماله
وفيه:
مقدمة وفقرات

الفقرة الأولى: في أسس الإسلام.

الفقرة الثانية: في أركان الإسلام.

الفقرة الثالثة: في مقامات الإسلام.

الفقرة الرابعة: في أمهات من أعمال الإسلام.

المقدمة

قال تعالى : ﴿ إنّ الدينَ عند الله الإسلامُ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ و من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبلَ منه ﴾ [2] .

إنّ كلمة الإسلام تطلق على معنى أعمّ و هو الدين الذي بعث به محمد ﷺ والـذي القرآن كتابه والسنّة شارحة لهذا القرآن ، و هو بهذا المعنى فيه كل شيء تحتاجه هداية الإنس والجنّ ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تِبيانًا لكلّ شيء و هدى ورحمـة وبشرى للمسلمين ﴾ [3] والمسلم مَنْ قَبِلَ الإسلام قبول تصـديق ورضـا وتسليم ، فـآمن بـالكتـاب والسنّـة واستسلم لهما وأسلم فيهما اعتقادًا وعملاً .

وتأتي كلمة الإسلام بمعنى خـاص فهي تُطلق ويراد بهـا أسهم الإسلام أو أركان الإسلام أو أعمـال من الإسلام ، فـالرسول ﷺ كان يطـالب الـداخلين في الإسلام بـأعمـال تطلب منهم مباشرة بسبب دخولهم الإسلام ، وكلّ ذلك يعتبر أجزاءً من الإسلام .

ومن أساليب العرب في الخطاب أنّها تعرّف الكلّ بالجزء لإظهار أهميّة الجزء وهو أسلوب استعملـه رسـول الله ﷺ فمن لم يعرف أســاليب العرب في الخطــاب ومن لم يعرف أسلـوب رسول الله ﷺ في هذا الشأن فاتته المعرفة الكلّية للإسلام وفـاتـه وضع كلّ جزء من الإسلام في محلّه ضمن البناء العام الذي يصف أعمال الإسلام ، وقد كتبنا كتابنا الإسلام لتوضيح بناء الإسلام أركانًا ومناهج حياة ومؤيدات ، وكتبنا كتابنـا تربيتنـا الروحيّة لتعرف مقـامـات السير في دين الله عز وجل ، فالإسلام بمعناه الأعمّ تصوّرات وأعمال وأحكام وعقائد وعبـادات ومناهج حياة ومؤيدات ومقامات تنبثق عن الكتـاب والسنّـة وعمّـا يستنبـط بشكل صحيح من الكتـاب والسنّـة ، فـالأمر واسع ونحن ههنـا سنتحـدّث عن أسهم الإسـلام ، وعن أركان الإسلام ، وعن مقامات الإسلام ، وعن أعمـال أسـاسيّـة في الإسلام كان يـأمر بهـا رسول الله ﷺ الـداخلين الجـدد في الإسلام ، أو يعلمهـا لمن يريـد تفقّهًـا في الإسلام ، فـأسهم الإسلام

---

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) ال عمران : ٨٥ .

(٣) النحل : ٨٩ .

ثمانية كما سنرى ، وهذه لها وضع خاصٌّ بالنسبة للإسلام .

وأركان الإسلام خمسة وهي من أسهم الإسلام ، ولكن لها صفة الركنية بالنسبة لبناء الإسلام فلا يقوم الإسلام إلا بها جميعًا .

ومقامات الإسلام : تصديق ، فعمل فتحقّق ، فالتزام ، فشكر .

أو تقول : إيمان ، فإسلام بالمعنى الأخصّ وهو العمل بما تُطالَب به من الإسلام فإحسان ، فتقوى ، فشكر .

فالمطلوب الأوّل : الإيمان بالإسلام ، وعلامة ذلك : إعلان الشهادتين ، والإيمان بالكتاب والسنّة ، وبما جاء فيهما .

والمطلوب الثاني : العمل بما افترض الله عليك وتَركُ ما نهاك عنه - وهو الإسلام بالمعنى الأخصّ فهو العمل - فإذا فعلت ذلك وداومت عليه أوصلك ذلك إلى حقيقة الإيمان .

﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ [1] أي هو على وشك الدخول بسبب القيام بأعمال الإسلام ، فإذا ما دخل نور الإيمان واستنار القلب وصل الإنسان إلى مقام الإحسان ، وذلك هو حقيقة الإيمان ، فإذا ما وصل إلى الإحسان كمل التزامه بالكتاب والسنة وذلك هو التقوى ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [2] .

فإذا ما كثر التزامه فأدّى شكر ما أنعم الله به عليه فقد وصل إلى مقام الشكر وهو أرقى المقامات ، قال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ [3] وإنما الطريق للشكر هو التقوى ، قال تعالى : ﴿ **فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ [4] وسيد الشاكرين رسول الله ﷺ : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

وأمهات أعمال الإسلام : أداء الأركان الخمسة ، وأخذ الحظ من الأسهم الثمانية بما في ذلك

---

(١) الحجرات : ١٤ .
(٢) البقرة : ٢١ .
(٣) سبأ : ١٣ .
(٤) آل عمران : ١٢٣ .

الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم موادةِ المشركين ، وموالاةُ المسلمين ، وأداء السلام وإطعام الطعام ، والذكر ، وترك الخمر ، وحفظ اللسان فلا يؤذي مسلمًا ، وترك الشرك والسرقة والزنى وقتل النفس ، ويجب السمع والطاعة لأمراء العدل ، وعدم منازعة الأمر أهله ، وطيب الكلام والصبر والسماحة وحسن الخلق ، وترك ما نهى الله عنه ، وإعطاء الأمن للناس ، وترك الربا ، وإعطاء الزوجة حقّها في المطعم ، والملبس ، وتوليّ الله تعالى ، والستر على المسلم حيث يجب الستر ، وترك الحرام ، وعدم إيذاء الجار ، وترك الكبائر السبع .

وهذه نصوص تتحدث عن أسهم الإسلام ، ثم عن أركانه ، ثم عن مقاماته ، ثم عن أمهات من الأعمال فيه ، وكل ذلك لتعرف الإسلام بالمعنى الأخص ، أما الإسلام بالمعنى الأعم فإنك تعرفه من خلال استيعاب الكتاب والسنة وما يخدمها وما ينبثق عنها .

* * *

الفِقْرة الأولى : أسهم الإسلام

السهم في اللغة يأتي بمعنى النصيب ، فالأصل أنّ على المسلم أن يأخذ نصيبه من الإسلام بإقامة الأسهم الثمانية المذكورة في حديث حذيفة رضي الله عنه ، وإذا فاته سهم من السهام الآتية فهو على شفا خيبة :

١٧٢ ـ * روى البزار عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الإسلامُ ثمانيةُ أَسهم : الإسلامُ سهم ، والصلاةُ سهم ، والصيامُ سهم ، والزكاةُ سهم ، وحَجُّ البيتِ سهم ، والأمرُ بالمعروفِ سهم ، والنهيُ عن المُنْكرِ سهمٌ ، والجِهادُ في سبيلِ الله سهم ، وقد خَابَ من لا سَهْمَ له » .

أقول : مثل هذا الحديث لا يقال من جهة الرأي ، فهو وإن كان الأصح أنه موقوف فإن له حكم الرفع .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ حديث آخر تذكر فيه الأسهم مما يقوي الحديث وهو :

١٧٣ ـ * روى الحاكم عن أبي هريرةَ عن رسول الله ﷺ : « إن للإسلام صَوى ومنارًا كمنار الطريق ، منها أن تؤمنَ بالله ولا تشركَ به شيئًا ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وصومُ رمضانَ ، وحَجُّ البيت ، والأمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكر ، وأن تُسلِّمَ على أهلك إذا دخلتَ عليهم ، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم ، فمن ترك من ذلك شيئًا ، فقد ترك سهمًا من الإسلام ، ومن تركهن [كلهن] فقد

---

١٧١ ـ كشف الأستار (١ / ٤١٥) وقال : لا نعلم أسنده إلا يزيد بن عطاء ، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق فوقفه على حذيفة . ا . هـ .

ومجمع الزوائد (١ / ٣٨ ، ٣ / ٦٢) وقال : رواه البزار وفيه يزيد بن عطاء وثقه أحمد وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات . ا . هـ فهو عند أحمد حسن .

قال ابن رجب في جامع العلوم « ص ٢٣ » : وصح من حديث أبي إسحاق عن صِلَةَ بن زُفَرَ عن حذيفه رضي الله عنه : « الإسلام ثمانيةُ أسهم ... وساق الحديث موقوفاً ... ثم قال :

« وخرّجه البزار مرفوعاً والموقوف أصح . ورواه بعضهم عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ خرجه أبو يعلى الموصلي وغيره ، والموقوف على حذيفة أصح ، قال الدارقطني وغيره » ا . هـ .

١٧٢ ـ المستدرك (١ / ٢١) ، مختصراً . وهو صحيح بطرقه وشواهده .

(الصَّوَى) : جمع صُوَّة وهي : أعلام من الحجارة تنصب في المنارة يستدل بها على الطريق .

وَلّى الإسلامَ ظهرَه » .

المراد بالسهم الأول ـ في الحديث الأول : حديث حذيفة ـ الذي عبّر عنه بالإسلام : قبول الإسلام والإيمان به ، ورمز ذلك النطق بالشهادتين ، وهذا الحديث له أهميّة خاصّة ، فالله عز وجل أخبر عن اليهود بقوله :

﴿ **فنسوا حظًا مّا ذكّروا به** ﴾ [١] أي ـ نصيبا ـ ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ [٢] والحديث الذي بين أيدينا يذكر أسهم الإسلام : أي أنصباءه أي حظوظه ، فإذا ترك أبناء الأمّة الاسلاميّة واحدا من هذه السهام فإنّهم يستحقّون إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم ، وإن كانت الآية تشير إلى هذه السهام وغيرها ممّا أنزله الله عز وجل من وحي ، ولكنّ هذه السهام لها وضع هام في هذا الشأن ، ولّما كان من أساليب العرب أن تذكر جزءا وتعبّر به عن الكلّ لتبيان أهميّة الجزء فالحديث اللاحق يخصّ ثلاثة من أسهم الإسلام الثانية بالذكر تبيانا لأهميتها ، وفي السياق يذكر الحديث أهميّة تولّي الله للعبد ليحرص المسلم على هذه المعاني مجتمعة :

١٧٤ ـ * روى أحمد عن عائشة رفعه ، « ثلاث أحلِف عليهن ، لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهمُ الإسلام الثلاثةُ الصلاةُ ، والصومُ ، والزكاةُ ، ولا يتولى الله عبدًا في الدنيا فيوليه غَيْرَهُ يومَ القيامةِ ولا يُحبُّ رجلٌ قوما إلا جعلَه معهم والرابعة لو حلفتُ عليها رجوت أن لا آثَمَ لا يسترُ الله عبدًا في الدنيا إلا ستره يوم القيامة » .

---

(١) المائدة : ١٣ .　　(٢) المائدة : ١٤ .

١٧٤ ـ مسند أحمد (٦ / ١٤٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٧) ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه أبو يعلى أيضاً .

الفقرة الثانية : أركان الإسلام

تطلق كلمة أركان الإسلام على الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج بنصّ الحديث النبوي ، لأن كلاً منها ركن في جانب من جوانب الإسلام ، فالشهادتان ركن العقائد ، والصلاة ركن العبادات المباشرة ، والصوم ركن الأعمال التي تضبط النفس على أمر الله ، والزكاة ركن الحياة الاقتصاديّة ، والحجّ ركن الحياة السياسيّة وغيرها :

١٧٥ - * روى مسلم عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ : شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ محمدًا عبْدُهُ ورسولُهُ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزّكاةِ ، وحَجِّ البيتِ ، وصومِ رمضانَ » .

وفي أُخرى : « بُنِيَ الإسلام على خَمْسَة : على أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاةِ ، وصيامِ رمضانَ ، والحجِّ » ، فقال رجل : الحجِّ وصيامِ رمضانَ ؟ قال : لا ، صيامِ رمضانَ والحجِّ » . هكذا سمعته من رسولِ الله ﷺ .

وفي أخرى : « بُنِيَ الإسلام على خَمْس : [على] أن يُعْبَدَ اللهُ ويُكْفَرَ بما دُونَهُ ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاء الزكاة ، وحَجِّ البيت ، وصومِ رمضانِ » .

عندما يقال : بني هذا البيت على أساس متين فهذا يعني : أن هناك أساسًا فوقه بيت ، وهكذا هنا : فالإسلام بني على خمس فهذا أساسه وفوق ذلك بناؤه ، والبناء يشمل أحكام الله في كل شيء في السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وغير ذلك ، والإسلام عقائد وعبادات ومناهج حياة وشرائع وشعائر وأخبار وأوامر ونواهٍ وغيب وشهادة .... وأركان ذلك كله هذه الخمسة .

---

١٧٥ - مسلم (١ / ٤٥) ١ - كتاب الإيمان ٥ - باب بيان أركان الإسلام ودعائمه . بجميع طرقه ، وهو عند البخاري والنسائي والترمذي ، ببعضها .
البخاري (١ / ٤٩) ٢ - كتاب الإيمان ٢ - باب دعاؤكم إيمانكم .
النسائي (٥ / ١٠٨) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٣ - باب على كم بني الإسلام .
الترمذي (٥ / ٥) ٤١ - كتاب الإيمان ٣ - باب ماجاء بني الإسلام على خمس .

١٧٦ ـ * روى أبو يعلى عن ابن عباس ، قال حمادُ بنُ زيدٍ لا أعلمه إلا رفعه : « عُرَى الإسلام وقواعدُ الدين ثلاثةٌ عليهن أُسِّسَ الإسلام ، من ترك واحدةً منهن فهو بها كافرٌ حلالُ الدَمِ : شهادة أن لا إله إلا اللهُ ، والصلاةُ المكتوبةُ ، وصومُ رمضان » . ثم قال ابن عباس تجِدهُ كثيرَ المال لا يُزكي فلا يزالُ بذلك كافرًا ، ولا يَحِلُّ دَمُهُ وتجده كثيرَ المال لم يَحُجَّ فلا يزالُ بذلك كافرا ولا يَحِلُّ دَمُهُ .

هذا الحديث يبيّن أهميّة الأركان الثلاثة : الشهادتين والصلاة والصوم من بين الأركان الخمسة والذي عليه الأكثرون أن عدَم قبول الشهادتين أو ارتكاب ناقض للشهادتين هو الذي يكون به صاحبه كافرًا حلال الدم بالكفر ، واستحلال ترك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج على من كان مكلفًا هو الذي يكون به صاحبه كافرًا حلال الدم ، والمعروف أنّ مذهب أحمد : تكفير تارك الصلاة ولو كسلا واستحقاقه بذلك القتل كفرًا ، لكن عامّة الفقهاء على أن تارك الصلاة كسلا يستحق العقوبة التي قد تصل إلى حدّ القتل ، لكنّ مذهب ابن عباس كما نفهمه من ظاهر الرواية أن تارك الصلاة وتارك الصوم كافران مباحا الدم .

والحديث يركّز على أهميّة الشهادتين والصلاة والصوم، فإذا كان أهمّ ما في الإسلام أركانه الخمسة فأهمّ هذه الأركان هي هذه الثلاثة .

* * *

---

١٧٦ ـ مجمع الزوائد (١ / ٤٧ ، ٤٨) . وقال : رواه أبو يعلى بتمامه ورواه الطبراني في الكبير بلفظ بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله والصلاةو وصيام رمضان فمن ترك واحدة منهن كان كافرًا حلال الدم . فاقتصر على ثلاثة منها ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف وإسناده حسن . أ . هـ.

والحديث صححه بعضهم وحسنه آخرون .

الفقرة الثالثة : مقامات الإسلام

قال تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (١) فالعمل بالإسلام يوصل إلى الإيمان القلبي وذلك يوصل إلى الإحسان الذي هو أحد مقامات الصديقين . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم ﴾ (٢) والإحسان هو المقام الأرقى في العبادة ، والعبادة توصل إلى التقوى . ﴿ يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقّون ﴾ (٣) والتقوى توصل إلى الشكر ﴿ فاتقوا الله لعلّكم تشكرون ﴾ (٤) فهذه مقامات الإسلام .

وهذه نصوص :

١٧٧ - * روى مسلم عن يحيى بن يَعْمَر ، قال : كان أولَ من قال في القَدَرِ بالبَصْرَةِ : مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ ، فَانْطلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحِمْيَرِيّ حَاجَّيْنِ ، أو مُعْتَمِرَيْنِ ، فقلنا : لو لَقِينا أحدًا من أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فسألناه عما يَقولُ هؤلاء في القَدَرِ ؟ فَوُفِّقَ لنا عبدُ الله بنُ عمرَ بن الخطابَ رضي الله عنه داخلاً المسجد ، فاكْتنفتُه أنا وصَاحِبي ، أحدُنا عن يمينه ، والآخَرُ عن شِماله ، فظننتُ أنّ صاحِبي سيَكِلُ الكلامَ إليَّ ، فقلتُ : أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقرؤُون القُرآنَ ، ويتَقَفَّرون العِلْمَ ، وذكَرَ من شأنِهِمْ ، وأنَّهم يَزْعُمُون أنْ لا قَدَرَ ، وأنّ الأَمْرَ أُنُفٌ ، فقال : إذا لَقِيتَ أُولئك فأَخْبِرْهم : أنّي بَريءٌ منهم ، وأنَّهم بُرَآءُ مِّني ، والذي يَحْلِفُ به عبْدُ اللهِ بنُ عمرَ : لَوْ أن لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فأنفَقَهُ ، ما قَبِلَ اللهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ ، ثم قال : حدَّثني أبي عُمرُ بنُ الخطَّاب ، قال : بَيْنَما نحنُ جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ، إذ طَلَعَ علَيْنا رجلٌ شَديدُ بياضِ الثِّيابِ ، شديدُ سوادِ الشَّعْرِ ، لايُرى عليه أَثَرُ السَّفَرِ ، ولا يعرفُه مِنَّا أحدٌ ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ

---

(١) الحجرات : ١٤ .
(٢) الحديد : ١٩ .
(٣) البقرة : ٢١ .
(٤) آل عمران : ١٢٣ .

١٧٧ - مسلم (١ / ٣٦ : ٤٠) ١ - كتاب الإيمان ١ - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ.
وأبو داود . (٤ / ٢٢٣ / كتاب السنة ١٧ ، باب في القدر .
والترمذي (٥ / ٦) ٤١ - كتاب الإيمان ٤ - باب ماجاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام . =

ﷺ ، فأسْند رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيـهِ وقـال : يـامحمدُ ، أخبرني عن الإسلام ، فقـالَ رسُولُ الله ﷺ « الإسـلامُ أن تَشهـدَ أن لا إلـه إلا اللهُ ، وأنَّ محمَّـدًا رسولُ الله ، وتُقيمَ الصَّلاةَ ، وتُـؤتِي الـزكاةَ ، وتصـومَ رمضـانَ ، وتَحُـجَّ البيْتَ إن استطعت إليه سبيلا » . قال : صَدَقْتَ ، قـال : فَعَجِبنـا لَـهُ يَسْـأَلـهُ ويُصـدِّقُـه ، قـال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أنْ تُؤمنَ باللهِ ، ومَلائِكَتهِ ، وكتبه ، ورُسُلِـه ، واليوم الآخِرِ ، وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه » . قال : صدَقتَ ، قـال : فـأخبرني عن الإحسـان ، قال : « أن تعبدَ الله كأنك تراه ، فان لم تكن تَراه ، فإنـه يَراك » . قـال : فـأخبرني عن السـاعـة ؟ قـال : « مـا المسؤولُ عنهـا بـأَعْلَمَ من السَّائِلِ » . قـال : فـأخبرني عن أمَاراتها ؟ قال : « أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتها ، وأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ ، العالَةَ رِعاءَ الشـاء يتَطاوَلونَ في البُنْيانِ » ، قال : ثم انطلَقَ ، فلبثَ مَليًا ثم قال لي : « يـا عُمَرُ ، أتـدري مَنِ السَّائل ؟ » قُلتَ الله ورسُولُه أعلمُ ، قال : « فإنَّه جبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم دينَكُمْ » .

وأخرجَه أبو داود بنحوه (١) ، وفيه « فَلَبِث ثلاثًا » .

وفي أُخرى له (٢) : قال : فما الإسلام ؟ قال : « إقـامُ الصلاة ، وإيتـاء الزكاة وحجُّ البيت ، وصوم شهر رمضان ،. والاغتسال من الجنابة » .

١٧٨ ـ * روى البخـــاري ومسلم عن أبي هريرةَ وأبي ذَرٍّ رضي الله عنهما ، قـــالا : كان رسولُ الله ﷺ يومًا بارزًا للناس ، فأتاه رجلٌ فقال : يـارسولَ اللهِ ، مـا الإيمـانُ ؟ قـال : « أن تُؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتابه ، ولقائه ، ورُسُلِهِ ، وتؤمنَ بـالبعْثِ الآخِرِ » قال : يارسولَ اللهِ ما الإسلام ؟ قال : « الإسلامُ أن تعبُـدَ اللّهَ ، لا تُشركَ بـه شيئًـا ، وتُقيمَ الصـلاة المكتـوبـة ، وتـؤدي الـزّكاة المفروضـةَ ، وتصـومَ رمضـانَ » . قـال :

والنسائي (٨ / ٩٧) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٥ ـ باب نعت الإسلام .

وابن ماجه (١ / ٢٢) المقدمة ٩ ـ باب في الإيمان .

(١) أبو داود الموضع السابق . (٢) أبو داود الموضع السابق .

١٧٨ ـ البخاري (١ / ١١٤) ٢ ـ كتاب الإيمان ـ٣٧ . باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام ... إلخ .

مسلم (١ / ٣٩) ١ ـ كتاب الإيمان ١ ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .. إلخ .

كلاهما رواه عن أبي هريرة وحده .

يارسول الله ما الإحسانُ ؟ قال : « أن تعبدَ اللهَ كأنـك تراه ، فـإنَّـك إنْ لم تره فـإنَّـه يراك » . قال : يـا رسولَ الله ، مَتى السَّاعةُ ؟ قـال : « مـا المسؤولُ عنهـا بـأعلَم من السَّائلِ ، ولكنْ سـأُحَـدِّثُـكَ عَنْ أشْراطها : إذا ولَـدَت الأَمـةُ ربَّتَها ، فـذاك من أشراطِهـا ، وإذا كانت العُرَاةُ الحُفـاةُ رؤوسَ النـاسِ ، فـذاك من أشراطهـــا ، وإذا تَطَـاوَلَ رِعـاءُ البَهْمِ في البُنيـانِ ، فـذاك من أشراطهـــا ، في خَمْسٍ لا يعلَمُهنَّ إلا الله ، ثم تـلا رسـولُ الله ﷺ ﴿ **إنَّ الله عنـده عِلْمُ السـاعـةِ ويُنَـزل الغَيْثَ ويَعْلَمُ مـا في الأرحام و ما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا و مـا تـدري نفسٌ بـأي أرضٍ تموت إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ** ﴾ [1] . قـال : ثم أدْبرَ الرجـلُ ، فقـالَ رسـولُ الله ﷺ : « رُدُّوا عليَّ الرَّجـلَ » ، فأخذُوا ليَرُدُّه ، فلم يَروا شيئًا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّمَ النَّـاس دينَهمْ » .

وفي أُخرى نَحْوَه ، وفي أوَّله : أن رسولَ الله ﷺ قال : « سلوني فهابُوهُ أن يسـألوهُ ، فجاء رجلٌ ، فجلس عند رُكْبَتَيْهِ ، فقـال : يـا رسولَ الله ، مـا الإسلامُ ؟ـ وذكَرَ نَحْوَهُ ـ وزاد : أنَّه قال له في آخِرِ كل سؤال منها : صدقت ـ وقال في الإحسـان : « أن تخشى اللهَ كأنـك تراه » . وقـال فيهـا : « وإذا رأيتَ الحُفـاةَ العُراةَ الصُّمَّ البُكْمَ ملوكَ الأرض ، فذاك من أشراطها » ـ وفي آخِرها ـ « هـذا جبريلُ أراد أن تَعَلَّموا ، إذ لم تَسألوا » .

١٧٩ ـ * وعند الطبراني في الكبير من روايـة ابن عمر : « مـا جـاءني [أي جبريل] في صورة قط إلا عَرَفْتُه إلا في هذه الصورة » .

= ونحوه عند النسائي وأبي داود عنها .

النسائي (٨ / ١٠١) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب صفة الإيمان والإسلام .

أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ١٧ ـ باب في القدر .

(١) لقمان : ٣٤ .

١٧٩ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٤٣٠) .

مجمع الزوائد (١ / ٤٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

لفت رسول الله ﷺ النظر في هذا الحديث إلى أركان الإسلام ، وإلى أركان الإيمان ، وإلى الدرجة العليا في العبادة وهي مقام الإحسان ، وهذا الحديث أصل من الأصول :

فهو يتحدّث عن ثلاثة مقامات من مقامات الدين الإسلامي ، فالإنسان يُسْلِمُ فيقيم المطلوب منه من أركان الإسلام ، وهذا يصل به إلى حقيقة الإيمان ، وحقيقة الإيمان تصل له إلى مقام الإحسان ، ومقام الإحسان يوصله إلى حقيقة التقوى ، وحقيقة التقوى توصله إلى حقيقة الشكر ، وهذه مقامات الإسلام والنصوص تشهد لذلك كما مرّ معنا . وهذا حديث في المقام الرابع وهو التقوى :

١٨٠ ـ * روى أحمد وأبو يعلى عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ : « الإسْلامُ عَلانِيَةٌ ، والإيمَانُ في القَلْبِ » ، قَالَ : ثم يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى صدرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ : ثمَّ يَقُولُ : « التقوى هٰهُنَا التَّقْوَى هٰهُنا » .

لقد فصلنا في موضوع التقوى في كتابنا (جند الله ثقافة وأخلاقًا) تفصيلاً واسعًا . وهاهنا نكتفي بذكر بعض النصوص القرآنية ، ونشير إلى بعض ما تفيده :

قال تعالى : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ (١) .

فالهداية أثر الإيمان والمجاهدة :

﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ .

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا** ﴾ (٣) .

---

١٨٠ ـ مسند أحمد (٣ / ١٣٤) .

كشف الأستار (١ / ١٩) مختصراً وقال : تفرد به علي بن مسعدة .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح ماخلا علي ابن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون . أ . هـ .

وقال في التقريب (٤٠٥) بتحقيق محمد عوامة : صدوق له أوهام .

وقوله : (التقوى هاهنا) أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة بغير هذا السياق .

(١) محمد : ١٧ . (٢) التغابن : ١١ .

(٣) العنكبوت : ٦٩ .

والهداية توصل إلى التقوى بفضل الله ، فالتقوى عطيّة من الله وهدية ، والتقوى توصل إلى الشكر . قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله لعلّكم تشكرون ﴾ (١) .

والشكر أرقى المقامات ، قال تعالى :

﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ (٢) .

لأنّ الشكر أن تستعمل كلّ ماأعطاك الله عز وجل في الأحبّ إلى الله . وهذا نصّ في الشكر :

١٨١ - * روى البخاري ومسلم عن المُغِيْرَةِ بنِ شُعْبَة ، رضي الله عنه ، قال : قام النبيُّ ﷺ حتى تورَّمتْ قدماه ، فقيل له : قد غفرَ الله لك ماتقدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّر ؟ قال : « أفلا أكونَ عبدًا شكورًا ؟ » .

وفي رواية (٣) ، إن كان النبيُّ ﷺ لَيَقُومَ - أو ليُصلّي - حتى تَرِمَ قَدَماه - أو ساقاه - فيُقال له ، فيقول : « أفلا أكونَ عبدًا شكورًا ؟ » .

وفي أخرى : حتى تَرِمَ أو تَنْتَفِخ (٤) .

وفي أخرى (٥) ، أنه صلى حتى انتفختْ قدماه ، فقيل له : أتَكَلَّفُ هذا ، وقد غُفِرَ لك ؟ فقال ... وذكره .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٢٣ . (٢) سبأ : ١٣ .

١٨١ - البخاري (٨ / ٥٨٤) ٦٥ - كتاب التفسير ٢ - باب ﴿ ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك ﴾ ...إلخ .

ومسلم (٤ / ٢١٧١) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٨ - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٣) البخاري (٣ / ١٤) ١٩ كتاب التهجد - ٦ - باب قيام النبي ﷺ الليل .

(٤) البخاري (١١ / ٣٠٣) ٨١ - كتاب الرقاق ٢٠ - باب الصبر عن محارم الله .

(٥) مسلم الموضع السابق .

الفقرة الرابعة : في أمهات من أعمال الإسلام

إنه بمجرد أنْ يدخل الإنسان في الإسلام تترتب عليه تكاليف وأعمال منها ما مر معنا في هذا الفصل بمناسبة الكلام عن أسهم الإسلام وأركانه ومقاماته ، ولكي نأخذ صورة متكاملة عما كان يلقنه رسول الله ﷺ لمن يدخل في الإسلام أو لمن يريد أن يتفقه في أعمال الإسلام فإننا نذكر هذه الفقرة لنرى فيها طرائق الرسول ﷺ في التوجيه وفي تعامله مع المبتدئين أو مع المجتهدين ، فذلك كله من سياسات النبوة التي ينبغي أن يراعيها المربون ، عدا عن كون العرض لهذه الإشياء يذكرنا ببعض دقائق من أعمال الإسلام ينبغي أن يلتزم بها السالكون ، وهذه نصوص :

١٨٢ ـ * روى البخاري عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جُلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد ، إذ دخل رجلٌ على جَملٍ ، ثم أناخه في المسجدِ ، ثُمَّ عَقلَهُ ، ثم قال [لهم] أيُّكمْ محمدٌ ؟ والنبي ﷺ مُتَّكئ بين ظَهْرانيْهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال له [الرجل] ، ابنَ عبدِ المطَّلب ؟ فقال له النبي ﷺ : « قد أجبتُك » فقال الرَّجل [للنبي] إنِّي سائِلُك فمشدِّدٌ عليك في المسألةِ ، فلا تجِدْ عَليَّ في نفسك ، قال : « سلْ عما بدا لك » . فقال أسألك بربك وربِّ من قَبْلَكَ ، آللهُ أرسلك إلى الناس كلِّهم ؟ قال : « اللهم نعم » . قال أنشُدُك بالله : آللهُ أمَرك أن تُصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال : « اللَّهم نعم » . قال : أنشُدُكَ بالله ، آلله أمرَكَ أن تصومَ هذا الشهر من السَّنَة ؟ قال : « [اللهم]نعم » . قال : أنشُدُك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقةَ من أغنيائنا ، فتقْسِمَها على فقرائنا ؟ . فقال النبي ﷺ : « اللَّهم نعم » . قال الرجل : آمنتُ بما جئْت به ، وأَنا رسولُ مَنْ وَرائي من قومي ، وأنا ضِمامُ بنُ ثَعْلبَةَ ، أخو بني سعْد بنِ بكرٍ .

وأخرجه مسلم [(١)] ، وهذا لفظه ، قال أنس رضي الله عنه : نُهينا في القرآن أن نسألَ رسول الله ﷺ عن شيء ، فكان يُعْجِبُنَا أنْ يَجيءَ الرجلُ من أهل البادِية العاقلُ ، فيسألَهُ

---

١٨٢ ـ البخاري (١ / ١٤٨) ٣ ـ كتاب العلم ٦ ـ باب ماجاء في العلم .

(١) مسلم (١ / ٤١) ١ ـ كتاب الإيمان ٣ ـ باب السؤال عن أركان الإسلام .

ونحن نسمعُ ، فجاءَ رجلٌ من أهلِ البادية ، فقال : يامحمدُ ، أتانا رسولُك ، فَزَعَمَ لنا أنك تزعُمُ أنَّ الله أرسلَكَ ، فقال : « صدَقَ » . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : « اللهُ » قال فمن خلَق الأرض ؟ قال : « الله » قال . فمن نَصبَ هذه الجبال وجعل فيها ما جَعَلَ ؟ قال : « الله » قال : فبالذي خلق السماءَ وخلق الأرض ، ونصب هذه الجبال ، الله أرسلَك ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك ، آلله أمَرك بهذا ؟ قال : « نعم » ، قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : « صَدق » . قال : فبالذي أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » قال : وزعم رسولُك أن علينا صوم شهرِ رمضان في سنتنا ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » ، قال : وزعم رسولك أنَّ علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : ثم ولَّى ، وقال : والذي بعثك بالحق لا أَزيدُ عليهنَّ ، ولا أَنقُصُ منهن ، فقال النبي ﷺ : « لئن صدق ليدْخُلَنَّ الْجنة » .

وعند أحمد والطبراني [١] : وكان ضِمامٌ رجلا أشعرَ ذا غديرتين قال : أنشُدك بالله إلهكَ وإله من قبلك وإله مَنْ هو كائنٌ بعدَك في السؤالاتِ كلها وقال : الله أمرك أن تَأمُرَنا أن نَعْبُدَه ولا نُشرك به شيئًا وأن نخلعَ هذه الأنداد التي كان آباؤنا يَعبُدون معه ؟ قال : « اللهم نعم » .. وقال : وسأؤدي هذه الفرائضَ وأجتنبُ مانَهيتَني عنه لا أزيدُ ولا أنقصُ . وقال ﷺ حين ولى « إنْ صدَقَ ذو العقيصتين يَدْخُل الجنةَ » ثم خَرَجَ حَتى قدمَ على قومِه فاجتمعوا إليه فكان أولَ ماتكلم به أن قال : بئسَتِ اللاتُ والعزى قالوا : مه ياضِمامُ : اتقِ البَرَصَ والجُذَامَ اتق الجنونَ قال ويلكم إنها والله مايضران ولاينفعان . إن الله تعالى قد بعثَ رسولا وأنزل كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه قد جئتكم من عنده بما أمرَكم به ونهاكم عنه . فوالله ماأمسى في ذلك اليوم وفي حاضره رجلٌ ولا إمرأة إلا مسلما . يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافِد قوم يقول أفضلَ من ضِمامٍ .

أحمد (١ / ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٨٩) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد موثقون .

١٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن طلحةَ بنِ عُبيدِ الله رضي الله عنهما قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ ، من أهل نَجْد ، ثَائرَ الرأسِ ، نَسْمَعُ دَوِي صوته ، ولا نفْقهُ ما يقولُ ، حتى دَنا من رسول الله ﷺ ، فإذا هو يَسْأَلُ عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : « خَمْسُ صلوات في اليوم واللَّيلةِ » . فقال : هل عليَّ غَيْرُهن ؟ قال : « لا ، إلا أن تَطَّوعَ »فقال رسولُ الله ﷺ : « وصيامُ رمضانَ » . فقال : هلْ عليَّ غيرُه ؟ قال : « لا ، إلا أنْ تطوّع » . قال : وذكر له رسول الله ﷺ الزكاةَ ، فقال : هل عليّ غيرُها ! قال : « لا ، إلا أنْ تطوع » . قال : فأدبرَ الرجلُ ، وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقصُ منه . فقال رسولُ الله ﷺ : « أفلَحَ إنْ صَدَق ، أوْ دَخَلَ الجنَّة إن صدق » .

١٨٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ، أَتَتْهُ امرأةٌ تَسألُه عن نَبيذ الجَرِّ ، فقال : إنَّ وَفْدَ عبدِ القيس أتَوْا النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن الوفد ؟ـ أو مَنِ القومُ ـ؟ » قالوا : ربيعةُ ، قال : « مَرْحبًا بالقوم ، أو بالوَفْدِ ، غيرَ خَزايا ، ولا ندامَى » ـ قال : فقالوا : يارسول الله ، إنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة ، وإن بيننا وبينَك هذا الحيَّ من كُفار مُضَر ، وإنا لا نستطيع أنْ نأْتيك إلا في الشهر الحرام ،

---

١٨٣ ـ البخاري (١ / ١٠٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٤ ـ باب الزكاة من الإسلام .
ومسلم (١ / ٤١) ١ ـ كتاب الإيمان ٢ ـ باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .
ورواه مالك في الموطأ (١ / ١٧٥) ٩ ـ كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٥ ـ باب جامع الترغيب في الصلاة .
وأبو داود (١ / ١٠٦) أول كتاب الصلاة .
والنسائي (١ / ٢٢٦) ٥ ـ كتاب الصلاة ٤ ـ باب كم فرضت في اليوم والليلة .
(الثَّائر الرأس) : الشعث الشعر ، البعيد العهد بالغسل والتسريح والدّهن .
(الدويُّ) : كصوت النحل وغيره .
(نفقه) : الفقه : الفهم والعلم ، أي : لا يُفهم كلامه .
١٨٤ ـ البخاري (١ / ١٢٩) ١ ـ كتاب الإيمان ٤٠ ـ باب أداء الخمس من الإيمان .
ومسلم (١ / ٤٧) ١ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى .. إلخ .
ورواه أيضاً أبو داود (٣ / ٣٣٠) كتاب الأشربة ـ باب في الأوعية .
والنسائي (٨ / ١٢٠) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٢٥ ـ باب أداء الخمس .
(الجرّ) : والجرارُ ، جمع جَرَّة ، وهو من الخزف ، معروف ،وقيل : هو ماكان منه مدْهوناً .
(خزايا) : جمع خَزيان ، من الخزاية ، وهي الاستحياءُ ، وكذلك ندامى جمع ندمان ، وهو فَعلان من الندم ، وهذا البناء من أبنية المبالغة .
(شُقّة) : يقال : بيني وبينك شُقّةٌ بعيدة ، أي : مسافة بعيدة ، والشقة : السفر البعيد . =

فمرنا بأمرٍ فَصْلٍ ، نُخبرْ به مَنْ وراءَنا ، ونَدخُلُ به الجنة . قال فأمرَهم بأربعٍ ، ونهاهم عن أربعٍ ،قال : أمَرَهم بالإيمانِ باللهِ وحدَهُ ،قال :« هل تَدرُون ماالإيمانُ ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : « شهادةُ أن لا إله إلااللهُ ، وأنَّ مُحمداً رسولُ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة وصومُ رمضان ، وأن تؤَدّوا خُمُساً من المغنم » ، ونهاهم عن الدُّبّاء والحَنْتَم ، والمُزفّت ، والنقير - قال شُعبةُ :وربما قال : المقيَّر - وقال : « احفَظوهُ وأخبِروا به مَن وَرَاءَكم » .

وزاد في رواية (١) قال : وقال رسول الله ﷺ للأشجّ - أشجِّ عبدِ القيس - « إنَّ فيك خَصلتَيْنِ يُحبُّهما الله تعالى : الحِلمُ والأَناةُ » .

١٨٥ - * روى الترمذي عن مُعَاذٍ : كنتُ مع النبي ﷺ في سَفَرٍ فأصبحتُ يوماً قريباً منه ونحن نسيرُ فقلتُ يارسولَ الله أخبرني بعمل يُدخِلُني الجنة ويباعِدُني من النار . قال « لقد سألتني عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ على من يَسَّرَه اللهُ : تَعبُدُ اللهَ ولا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتقيمُ الصلاةَ وتؤتي الزكاة وتصومُ رمضانَ ، وتَحُجُّ البيتَ ، ثم قال : « ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخير ؟ » قلت : بَلَى يارسولَ الله : قال : « الصومُ جُنَّةٌ ، والصدقةُ تُطفئ الخطيئةَ كما يُطفئ الماءُ النارَ ، وصلاةُ الرجل من جَوفِ الليلِ شِعارُ الصالحين » ، ثم تلا قوله تعالى ﴿ **تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يَدعون ربَّهم خَوفاً وطَمعاً** ﴾ الآية . ثم قال : « ألا أُخْبِرُكَ برأسِ الأمر كلهِ وعَمودِهِ وذِروةِ سَنَامَه ؟ »

= (فصل) : أمر فَصلٌ ، أي فاصِلٌ قاطِعٌ ، لا رجعة فيه ، ولا مردَّ له .
(الدُّباء) : القرْعُ ، واحدها : دُبَّاءة . (الحنتم) : جرارٌ خُضْرٌ كانوا يخزنون فيها الخَمرَ .
(النقير) : أصلُ خشبة تُنْقَرُ ، وقيل : أصل نخلة .
(المزَفّتَ) : الوعاءُ المطليّ بالزِّفتِ من داخل ، وكذلك المُقَيّر .
أقول : وهذه أوعية حُرِّم ابتداءً الانتباذُ بها ، لأن الانتباذ بها يسرع إليه الإسكار فيختلط ثم استقر الأمر على تحريم المسكر دون النظر إلى الآنية .

(١) مسلم في الموضع السابق .

١٨٥ - الترمذي (٥ / ١١) ٤١ - كتاب الإيمان ٨ - باب ما جاء في حرمة الصلاة (بمعنى : شرف الصلاة وكرامتها) ، وقال : حديث حسن صحيح .
(الجُنّة) : الوقاية والستر من النار .
(شِعار الصالحين) : علامتهم . (ذِرْوَة سَنَامِهِ) : أعلى موضع في الإسلام وأشرفه .

قلتُ : بلى يارسولَ الله . قال : « رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعَمودُهُ الصَلاةُ ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجهَادُ » ثم قال : « ألا أخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذلك كلِه ؟ » قلت : بلى يارسولَ الله : قال : « كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه » قلت : يانبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلمُ به ؟ قال : « ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يامُعاذُ ، وهل يَكُبُّ النـاسَ في النـار على وجوههم - أو قال (على مَناخِرِهم) - إلا حصائد ألسِنَتِهم » .

١٨٦ - * روى الترمذي عن عليٍّ رفعه : « بعث الله يحي بن زكريا إلى بني إسرائيلَ بخمس كلماتٍ ، فلما بعث الله عيسى قال تعالى : ياعيسى قل ليحي بن زَكريا : إمّا أن يُبلِّغَ (ما أرْسِلَ) به إلى بني أسرائيلَ وإما أنْ تُبلِّغَهم . فخرج يحي حتى صارَ إلى بني إسرائيلَ فقال : إن الله تعالى يأمُرُكم أن تَعبُدوه ولا تُشْركوا به شيئًا ، ومثلُ ذلك كَمثل رجلٍ أعتقَ رجلاً وأحسنَ إليه وأعطاه فانطلقَ وكَفَرَ نعمتَهُ ووالَى إلى غيره . وإن اللهَ يأمُرُكم أن تقيموا الصلاة ، ومثلُ ذلك كمثل رجلٍ أسره العدو فأرادوا قتله فقال : لا تقتلوني فإنَّ لي كَنزًا وأنا أفدي نفسي فأعطاهم كَنزَه ونَجا بنفسه . وإنّ اللهَ يأمرُكم أن تَصدَّقوا ، ومثلُ ذلك كمثل رجلٍ مشى إلى عَدُوِّه وقد أَخَذَ للقتال جُنَّةً فلا يبالي من حيثُ أُتي . وإنّ اللهَ يأمرُكم أن تقرءوا الكتابَ وَمَثَلُ ذلك كمثلِ قومٍ في حِصْنِهم صار إليهم عدوهم وقد أعدوا في كل ناحيةٍ من نواحي الحصْن قوما فليسَ يأتيهم عَدوهم من ناحية من نواحي الحِصْن إلا وبين يَدَيْهِم مَنْ يَدْرَؤهم عن الحصْن . فذلك مَثَلُ من يقرأ القرآن لا يزال في أحْصَنِ حِصْنٍ » .

١٨٧ - * روى أبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري ، رفعه : « من قال رَضِيْتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولاً وجبت له الجنة » .

= (ملاك ذلك) : قوامه ومايتم به .

(ثَكِلَتْكَ أمك) : فقدتك . وليس المراد ظاهره وإنما هو أسلوب من أساليب العرب في الخطاب .

١٨٦ - الترمذي (٥ / ١٤٨) ٤٥ - كتاب الأمثال ٣ - باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وروى البزار نحوه .

١٨٧ - أبو داود (٢ / ٨٨) كتاب الصلاة - باب في الاستغفار .

والنسائي (٦ / ١٩) ٢٥ - كتاب الجهاد - ١٨ - باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل .

ومسلم نحوه (٣ / ١٥٠١) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٣١ - باب بيان ماأعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات .

١٨٨ - * روى النسائي عن بَهْزِ بن حكيمٍ عن أَبيه عن جدّه رضي الله عنه :

قلتُ : يـانبيَّ الله ، مـا أتيتُـك حتى حَلفتُ أكثَر من عَـددِهنَّ - لأصـابع يَـديـهِ - : أنْ لا آتيك ، لا آتي دِينكَ ، وإني كنتُ امرَءًا لا أَعْقِلُ شيئًـا ، إلا مـا عَلَّمني اللهُ ورسُولُـهُ وإني سألتُك بوجه الله ، بِمَ بَعثَـكَ الله إلينا ؟ قـال: « بـالإسلام » قـال : ومـا آيـاتُ الإسلامِ ؟ قالَ : « أنْ تقولَ : أسلمتُ وجهي لله ، وتَخلَّيتُ ، وتُقيم الصلاةَ ، وتُؤتيَ الزكاةَ » .

زادَ في أخرى (١) « كلُّ مسلمٍ على مسلمٍ مُحَرَّم . أَخَـوانِ نَصيرانِ ، لايُقبَـلُ عن مُشركٍ بعدَ ما أسلَم عَمَلٌ ؛ أو يُفارِقَ المشركين إلى المسلمين » .

١٨٩ - * روى مسلم عن (سُفْيـانَ بنِ عبـدِ الله الثقفي) قلتُ يـارسولَ الله قـلْ لي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحدًا بعدَك ؟ قال : « قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ » .

١٩٠ - * روى النسائي عن أنسٍ رفعـه : « من صلى صَلاتَنـا واستقبلَ قِبلتَنـا وأكلَ ذَبيحتنا فذلكمُ المسلمُ » .

١٩١ - * روى الترمـذي والنسـائي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـال : قـالَ رسول الله ﷺ « المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لِسـانِـه ويَـدِه . والمؤمنُ : من أمِنَـهُ النـاسُ على دِمائِهم وأموالِهم » .

١٩٢ - * روى البخـاري عن عبـدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العـاص رضي الله عنهما ، أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « المسلِم : مَن سَلِمَ المسلمونَ من لِسـانِـه ويـدِه ، والمهـاجر مَن هَجَرَ ما نَهاهُ اللهُ عنه » .

---

١٨٨ - النسـائي (٥ / ٨٢) ٢٣ - كتاب الزكاة - ٧٣ - باب من سأل بوجه الله عز وجل . وسنده حسن .

١٨٩ - مسلم (١ / ٦٥) ١ - كتاب الإيمان ١٣ - باب جامع أوصاف الإسلام .

١٩٠ - النسائي (٨ / ١٠٥) ٤٧ - كتاب الإيمان ٩ - باب صفة المسلم . والحديث سنده حسن .

١٩١ - الترمذي (٥ / ١٧) ٤١ - كتاب الإيمان ١٢ - باب ماجاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسـانـه ويـده . وقـال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٨ / ١٠٥) ٤٧ - كتاب الإيمان ٨ - باب صفة المؤمن . وسنده قوي (م) .

١٩٢ - البخاري (١ / ٥٣) ٢ - كتاب الإيمان ٤ - باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وأبو داود (٣ / ٤) كتاب الجهاد - باب في الهجرة هل انقطعت .

=

إلا أنَّ النسائي (١) قال : « مَن هجر ما حرَّم الله عليه » .

وأخرجه مسلم (٢) فقال : إنَّ رجلاً سـألَ النبيَّ ﷺ : أيُّ المسلمين خيْرٌ ؟ قـال : « من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويدِه » .

١٩٣ ـ * روى البخـاري ومسلم والنسـائي عن عبـدِ اللهِ بن عمرو بن العـاص رضي الله عنهما أنَّ رَجُلاً سـأل النبي ﷺ ، قـال : أيُّ الإسـلامِ خيرٌ؟ قـال : « تُطعِمُ الطعـامَ وتَقْرأُ السلامَ على مَنْ عَرَفتَ ومَنْ لم تعرف » .

١٩٤ ـ * روى ابن حبان عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنـه ، أنّ رسولَ الله ﷺ قـال : « المُؤمنُ مَنْ أَمِنَهُ النّاسُ ، والمسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لِسانه ويده ، والمهاجرُ مَنْ هَجَرَ السّوء ، والذي نفسُ محمدٍ بيده ، لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جارُه بوائقَهُ » .

١٩٥ ـ * روى الطبراني وأحمد بن عَمرو بن عَبَسَة قلتُ : يارسولَ الله من معك على هذا الأمر ؟ قال « حُرٌّ وعَبْدٌ » قلتُ ماالإسلامُ ؟ قال : « طيبُ الكلام وإطعـامُ الطعـام » قلتُ مـاالإيمـانُ ؟ قـال « الصَبْرُ والسَّماحـةُ » قلتُ أي الإسلام أفضـلُ ؟ قـال : « من سلم المسلمون من لسـانـه ويـده » قلت أيُّ الايمـانِ أفضـلُ ؟ قـال « خُلُـقٌ حَسَنٌ » قلت أيُّ الصلاة أفضلُ ؟ قال : « طولُ القُنُوتِ » قلتُ أيُّ الهجرة أفضلُ ؟ قال « أن تَهْجُرَ ماكَرِه ربُّكَ » .

والنسـائي (٨ / ١٠٥) ٤٧) ـ كتاب الإيمان ٩ ـ باب صفة المسلم .

(١) النسـائي في الموضع السـابق .

(٢) مسلم (١ / ٦٥) ١ ـ كتاب الإيمان ١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل .

١٩٣ ـ البخاري(١ / ٥٥) ٢ ـ كتاب الإيمان ٦ ـ باب إطعام الطعام من الإسلام .

ومسلم (١ / ٦٥) ١ ـ كتاب الإيمان ١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل .

والنسـائي (٨ / ١٠٧) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ١٢ ـ باب أي الإسلام خير .

١٩٤ ـ الإحسان (١ / ٣٦٤) .

(بوائقه) : غوائله وشروره .

١٩٥ ـ أحمد (٤ / ٣٨٥) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٦٠) باب أي العمل أفضل وأي الدين أحب إلى الله . وقـال : فيـه شهر بن حوشب .

ا . هـ . قد حسن بعضهم إسناد الطبراني وأحمد .

١٩٦ ـ * روى الطبراني عن أبي مُوسَى رَضِي الله عنه عن النبي ﷺ أنّـه سُئِلَ أي الإسْلام أفْضَلُ ؟ قَال : « منْ سَلِمَ الناسُ مِنْ لِسَانِـه وَيَـدِهِ » قيل فـأي الجِهَـادِ أفْضَل ؟ قَـالَ : « مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وأهْرِيْقَ دَمُه » قِيْل : فَأيُّ الصَّلاةِ أفضلُ ؟ قَالَ : « طولُ القنُوتِ » .

١٩٧ ـ * روى النسائي عن أبي سعيـدٍ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما قـالا : خَطَبَنـا رسولُ الله ﷺ فقال : « والـذي نفسي بيـده » ـ ثلاثَ مرات ، ثم أكَبَّ ، فـأكبَّ كلُّ رجلٍ منّـا يَبكي ، لا يدري : على مـاذا حَلَفَ ، ثم رفع رَأْسَهُ وفي وجهـه البُشْرَى ، فكانت أحبَّ إلينـا من حُمْرِ النَّعَم ، قـال : « مـامن عبـدٍ يُصَلِّي الصلـواتِ الخمسَ ، ويصـومُ رمضـانَ ، ويُخْرِجُ الزكاةَ ، ويجتنبُ الكبائرَ السبعَ ، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنة ، وقيل لـه : ادخُلْ بسلام » .

١٩٨ ـ * روى النسـائي عن أبي الـدرداء رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ أقَامَ الصلاةَ ، وآتَى الزكاةَ ، وماتَ لايشركُ بـالله شيئًـا ، كان حقًّـا على الله أن يَغْفِرَ له ، هَاجرَ أو مات في مولده » ، فقلنـا : يـارسولَ الله ، ألا نُخْبِرُ بهـا النـاسَ فيستبشِروا بها ؟ قال : « إنَّ في الجنة مِائةَ درجـةٍ ، مـابين كلِّ دَرَجَتين كما بين السماء والأرض ، أعَدَّهـا الله للمجـاهـدين في سبيلـه ، ولولا أن أشُقَّ على المؤمنين ، ولا أجِدَ مـا أحمِلُهم عليـه ، ولا تَطيبُ أنفسهُم أن يتخلَّفوا بعـدي ، مـا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيةٍ ، ولَوَدِدْتُ أني أُقْتَلُ ، ثم أُحْيا ثم أُقتَلُ » .

قوله : (هاجر أو مات في مولـده) محمول على الحـالـة التي لاتكون فيهـا الهجرة فريضـة عينيّة أو على من لايستطيعها وهي كذلك ، والظاهر أنّ الحـديث قـد قيل بعـد فتح مكّـة حيث قال رسول الله (ﷺ) : « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة » .

١٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ أعرابيًا جـاء إلى رسول

---

١٩٦ ـ الهيثمي في نفس الموضع والباب السابقين وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

١٩٧ ـ النسائي (٥ / ٨) ٢٣ ـ كتاب الزكاة ١ ـ باب وجوب الزكاة . وهو حديث حسن .

١٩٨ ـ النسائي (٦ / ٢٠) ٢٥ ـ كتاب الجهاد ١٨ ـ باب درجة المجاهد في سبيل الله عز وجل وإسناده حسن .

١٩٩ ـ البخاري (٣ / ٢٦١) ٢٤ ـ كتاب الزكاة ١ ـ باب وجوب الزكاة .

الله ﷺ ، فقالَ : يـارسولَ الله ، دُلَّني على عَمَلٍ إذا عَمِلتُـه دَخَلْتُ الجنـةَ ، قـال : « تَعبُـدُ اللهَ ، ولا تُشرِكُ بـه شيئًـا ، وتقيمُ الصلاةَ المكتـوبـةَ ، وتُـؤَدِّي الـزكاةَ المفروضـةَ ، وتصومُ رمضانَ » ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا شيئًا ، ولا أنقصُ منه ، فلما ولَّى قـال النبيُّ ﷺ : « مَنْ سَرَّه أن ينظُرَ إلى رجـل من أهـل الجنـة ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا » .

٢٠٠ ـ * روى مسلم عن جابرٍ رضِي اللهُ عنه ، قَال : قَـالَ النعْمَـانُ بن قَوْقَل : يـارَسُولَ الله أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْتُ المكْتُـوبَـةَ ، وحَرَّمْتُ الحَرَامَ ، وأحْلَلْتُ الحَـلالَ ، وَلَمْ أزِدْ عَلَىَ ذَلِـك شَيْئًا ، أَدْخُلُ الجَنَّةَ ؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « نَعَم » .

وفي روايـة (١) : أنَّ رجـلاً سـأل النبيَّ ﷺ فقـال : أرأيتَ إذا صليتُ المكتـوبـةَ وصمتُ رمضانَ ، وأحْلَلْتُ الحلالَ ، وحرَّمْتُ الحرامَ ، ولم أَزدْ على ذلـك شيْئًـا ، أَدْخلُ الجنـةَ ؟ قَـال « نعَمْ » ، قال : والله لا أَزيدُ على ذلك شَيْئًا .

٢٠١ ـ * روى الترمـذي عن معـاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنـه ، أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « من صامَ رمضـانَ ، وصلَّى الصلواتِ ، وحجَّ البيتَ » ـ لا أدري أذكَرَ الزكاةَ أم لا ـ « كان حَقًّا على الله أن يَغْفرَ له ، إن هـاجر في سبيل الله ، أو مَكَثَ بـأرضِـهِ التي وُلـد فيهـا » قـال معـاذ : ألا أُخْبِرُ بهـا النـاسَ ؟ فقـال رسـولُ الله ﷺ : « ذَرِ النـاسَ يعملون ، فـإن في الجنـة مـائـةَ درجـة ، مـابين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوسُ أعلى الجنـة وأوسطُهـا ، وفـوق ذلـك عرشُ الرحمن ، ومنهـا تفجَّرُ أنهارُ الجنة ، فإذا سألتم الله ، فاسألوه الفردوسَ » .

مسلم (١ / ٤٤) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٤ ـ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

٢٠٠ ـ مسلم (١ / ٤٤) ١ ـ كتاب الإيمان ٤ ـ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

(١) نفس الكتاب والباب السابقين .

٢٠١ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٥) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ٤ ـ باب ما جاء في صفة درجات الجنة وهو حديث حسن بشواهده .

٢٠٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال : أخبرني بعملٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ ، ويباعدُني من النارِ ، فقالَ القومُ : مالَهُ ؟ مالَهُ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « أَرَبٌ مالَهُ ؟ تَعبُدُ الله لا تُشرِكُ به شيئًا ، وتقيمُ الصلاةَ ، وتُؤتِي الزكاةَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ » .

زاد في رواية (١) . فلما أدبر قال رسولُ الله ﷺ : « إنْ تَمَسَّكَ بما أمرتُهُ به دخل الجنة » .

وفي أخرى (٢) أن أعرابيًا عَرَضَ للنبيِّ ﷺ وهو في سفر ، فأخذ بخطام ناقتِهِ - أو بزمامِها - ثم قال : يارسولَ الله - أو يامحمدُ - أخبرني بما يُقَرِّبني من الجنة ، ويُباعدُني من النار ، قال : فكفَّ النبيُّ ﷺ ، ثم نظر في أصحابه ، ثم قال : « لقد وُفِّقَ - أو لقد هُدي » - قال : « كيفَ قلتَ : ؟ » قال : فأعاد ، فقال النبيُّ ﷺ : « تَعبُدُ الله .. وذكر الحديث ، وقال في آخره : دَعِ الناقةَ » .

٢٠٣ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال سألتُ رسول الله ﷺ فقلت يارسولَ الله أيّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : « الصلاةُ على مِيقاتها » قلت ثم ماذا يارسولَ الله ؟ قال : « أن يَسلَمَ الناسُ من لسانِك » .

٢٠٤ - * روى أحمد عن ابن مسعود رفعه : « إن الله عز وجل قَسَمَ بَينكم أخلاقَكم كما قَسَمَ بينكم أرزاقَكم ، وإن الله يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ ولا يُعطي الدينَ إلا من أحبَّ فمن أعطاه الدينَ فقد أحبَّه . والذي نفسي بيده لا يُسلِمُ عَبدٌ

---

٢٠٢ - البخاري (٣ / ٢٦١) ٢٤ - كتاب الزكاة ١ - باب وجوب الزكاة .

مسلم (١ / ٤٢) ١ - كتاب الإيمان ٤ - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

أَرَبٌ مالَهُ : أي حاجةٌ مالَهُ ، وفي أرب عدةُ رواياتٍ .

٢٠٣ - الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٠١) .

وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عمرو بن عبد الله النخعي وهو ثقة .

٢٠٤ - أحمد (١ / ٣٨٧) .

حتى يُسْلِمَ قلبُه ولسانُه ، ولا يؤمنُ حتى يأمنَ جارهُ بَوائِقَه » قلت وما بَوائِقُه يارسولَ الله ! قال : « غَشْمُهُ وظُلْمُهُ ، ولا يَكْسِبُ مالا من حرام فينفق منه فيُبارَكُ له فيه ولا يَتَصدَّق به فَيُقبَلُ منه ولا يَتركُه خَلْفَ ظهره إلا كان زَادَه إلى النار . إن الله لا يَمحُو السيءَ بالسيء ولكنه يَمحو السيءَ بالحَسَنِ ، إن الخبيثَ لا يمحو الخبيث » .

من هذا الحديث وأمثاله أخذ فقهاء الحنفيّة أن من كان عنده مال حرام فلينفقه بنيّة التخلّص منه ، فإذا نوى أن يتصدق فيه فإنه بذلك يكفر لأنّ من المعلومات من الدين بالضرورة أنّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، والحرام ليس بطيب ، انظر الهدية العلائية .

٢٠٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عُبادةَ بنِ الصّامِتِ رضي الله عنه ، قال : كُنّا مَعَ رسولِ الله ﷺ في مجلس ، فقال : « تُبايعوني على ألا تُشركُوا بالله شيئًا ، ولا تَسْرِقوا ، ولا تَزْنُوا ، ولا تَقتُلوا النَّفْسَ الّتي حرَّمَ الله إلا بالحقّ » .

وفي رواية (١) « ولا تَقْتُلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتانٍ تَفترونه بين أيديكم وأرجُلِكم ، ولا تَعصوني في معروفٍ ، فمنْ وفَّى منكم فأجرُهُ على الله ، ومنْ أصابَ شيئًا من ذلك فعوقِب به في الدنيا فهو كَفّارةٌ له وطَهُرٌ ، ومَن أصاب شيئًا من ذلك فَسَتَرَهُ الله عليه ، فأمْرهُ إلى الله ، إن شاءَ عفا عنه ، وإن شاءَ عَذبَهُ » . قال : فبايَعناهُ على ذلك .

٢٠٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قال : بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السّمْعِ والطاعَةِ ، في العُسْر واليُسر ، والمَنْشَطِ ، والمَكْرَه وعلى أثَرَةٍ علينا ، وعلى

= (البوائق) : جمع بائقة ، وهي الداهية . والبوائق : الظلم والغَشْمُ . وقال الكسائي : الغوائل والشرور .
(الغَشْمُ) : الظُلْمُ .

٢٠٥ ـ البخاري (١٣ / ٢٠٣) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ٤٩ ـ باب بيعة النساء .
مسلم (٣ / ١٣٣٣) ٢٩ ـ كتاب الحدود ١٠ ـ باب الحدود كفارات لأهلها .

(١) البخاري : الموضع السابق .

٢٠٦ ـ البخاري (١٣ / ١٩٢) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ٤٣ ـ باب كيف يبايع الإمام الناس . =

ألا نُنازِعَ الأمرَ أهْلَهُ ، وعلى أن نقولَ بالحق أينما كُنّا ، لا نَخافُ في الله لَومْةَ لائم .

وفي رواية [١] بمعناه ، وفيه « ولا نُنازع الأمرَ أهلَه » .

قال : « إلا أنْ ترَوْا كُفرًا بَواحاً ، عندكم فيه من الله برهان » .

٢٠٧ ـ * روى مالك والنسائي والترمذي عن أُمَيْمَةَ بنتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها قالت : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نِسْوةٍ من الأنصار ، نبايعُه على الإسلام ، فقلنا : نُبايعُك على ألا نُشْرِكَ بالله شيئًا ، ولا نسرِقَ ، ولا نَزْنِيَ ، ولا نقْتُل أولادنا ، ولا نأْتِي ببُهْتانٍ نفتريه بينَ أيدينا وأرْجُلِنَا ، ولا نَعصِيَكَ في معروفٍ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فيما استطعْتُنَّ وأَطِقْتُنَّ » . فقلنا : اللهُ ورسولُه أرحَمُ بنا منّا بأنفسِنا ؛ هَلُمَّ نُبايعكَ يارسولَ الله ، فقال : « إني لا أُصافِحُ النساءَ ، إنما قَولي لمائة امرأة كقولي لامْرأةٍ واحدَةٍ » .

٢٠٨ ـ * روى مسلم عن عَوْفِ بن مَالِكٍ الأشْجَعِيِّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ تِسْعَةً أوْ ثَمانِيَةً أوْ سَبْعَةً . فَقَالَ : « ألاتُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ؟ » وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ . فقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ! ثُمَّ قَالَ : « ألا تُبَايِعُونَ رسُولَ اللهِ ؟ » فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ! ثُمَّ قَالَ : « ألا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ؟ » قَالَ : فَبَسَطْنَا أيْدِيَنَا

= ومسلم (٣ / ١٤٧٠) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٨ ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . حديث ٤١ .

ومالك (٢ / ٤٤٥) ٢١ ـ كتاب الجهاد ١ ـ باب الترغيب في الجهاد .

والنسائي (٧ / ١٣٧) ٣٩ ـ كتاب البيعة ١ ـ باب البيعة على السمع والطاعة .

(١) النسائي الموضع السابق .

(المَنْشَط) : الأمر الذي تَنشط له ، وتخف إليه ، وتُؤثِر فعلَهُ .

(المَكْره) : الأمر الذي تكرهُه ، وتَتثاقل عنه .

(الأَثَرَةُ) : الاستئثارُ بالشيء ، والانفرادُ به ، والمرادُ في الحديث : إنْ مُنِعْنَا حقَّنا من الغنائم والفيء ، وأُعْطِي غيرنا ، نَصْبِرَ على ذلك .

(كُفراً بَواحاً) : الكُفْرُ البواح : الجهار .

(البرهان) : الحجّة والدليل .

٢٠٧ ـ مالك (٢ / ٩٨٢) ٥٥ ـ كتاب البيعة١ ـ باب ما جاء في البيعة .

النسائي (٧ / ١٤٩) ٣٩ ـ كتاب البيعة ١٨ ـ باب بيعة النساء .

الترمذي (٤ / ١٥١) ٢٢ ـ كتاب السير عن رسول الله ﷺ ٣٧ ـ باب ماجاء في بيعة النساء وإسناده صحيح .

٢٠٨ ـ مسلم (٢ / ٧٢١) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٣٥ ـ باب كراهة المسألة للناس . =

وَقُلْنا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ الله ! فَعَلامَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : « عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . وَالصَّلَوات الخَمْسِ . وَتُطِيعُوا » (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً) « وَلا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا » فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ . فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

٢٠٩ - * روى الترمذي عن سليمانَ بن عَمرو بنِ الأحوصِ رَحِمَه الله ، قال : حدَّثني أبي : أنه شَهِدَ حَجَّةَ الوَداع مع رسول الله ﷺ ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، وذَكَّرَ ووعظ ، ثم قال : « أيُّ يوم أحرَمُ ؟ أيُّ يوم أحرَمُ ؟ أي يوم أحرمُ ؟ » قال : فقال الناسُ : يومُ الحج الأكبر يارسولَ الله ، قال : « فإنَّ دماءَكم وأموالَكُمْ وأعراضَكم عليكم حرامٌ كَحُرمةِ يَومِكم هذا ، في بلدِكم هذا ، في شَهرِكم هذا ، ألا لا يَجني جانٍ إلا على نفسِه ، ولا يَجني والدٌ على ولدِه ، ولا يَجني ولَدٌ على والدِه ، ألا إنَّ المُسلمَ أخو المسلم ، فليسَ يَحِلُّ لمسلمٍ من أخيه شيءٌ إلا ما أحلَّ من نفسه ، ألا وإنَّ كلَّ رِبًا في الجاهلية موضوعٌ ، لكُم رُؤوسُ أموالِكم لا تَظلِمُون ولا تُظلَمون ، غيرَ ربا العبَّاس ، فإنَّه موضوعٌ كُلُّهُ ، ألا وإن كلَّ دَمٍ كان في الجاهلية موضوعٌ ، وأوَّلُ دمٍ أضَعُ من دَمِ الجاهلية : دمُ الحارث بنِ عبدِ المطلب ، وكان مُسْتَرضَعًا في بني ليث ، فقتلتْه هُذَيلٌ ، ألا واستَوصوا بالنساء خيرًا ، فإنَّهنَّ عَوَانٌ عندكم ، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك ، إلا أنْ يأتين بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ ، فإن فَعَلنَ ذلك

= أبو داود (٢ / ١٢١) كتاب الزكاة - باب كراهية المسالة .

النسائي (١ / ٢٢٩) ٥ - كتاب الصلاة ٥ - باب البيعة على الصلوات الخمس .

٢٠٩ - الترمذي (٥ / ٢٧٣) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٠ - باب « ومن سورة التوبة » وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(الحجَّ الأكبر) : هو يوم النحر ، وقيل : يوم عرفةَ ، وإنما سُمي الحجُّ الأكبرَ ، لأنَّهم يُسمُّون العُمْرةَ : الحجُّ الأصغرَ .

(وأعراضكم) : الأعراض : جمع عِرْض ، وهو النفس ، وقيل : الحسَبُ .

(لا يجني جانٍ) : الجِنايَةُ : الذَّنْبُ ، ومايفعله الإنسان مما يوجب عليه الجزاءَ ، إمّا في الدنيا وإما في الآخرةِ ، فقوله ﷺ « لا يجني جانٍ إلا على نفسه » يريد : أنه لا يُطالَبُ بجنايتِهِ غيرُهُ ، من أقاربه وأباعِدِه .

(عَوَان) : جمع عانية وهي الأسيرة . والعاني : الأسير .

(الفاحشة المبيِّنة) : النشوز وسوء العشرة . والمبيِّنة : الواضحة الظاهرة . =

فاهجروهنَّ في المضَاجعِ ، واضْربوهن ضَرْبا غيرَ مُبَرِّحٍ ، فإن أطَعْنَكُم فلا تَبغوا عليهن سبيلاً ، ألا وإنَّ لكم على نسائِكم حقًا ، ولنسائِكم عليكم حقًّا ، فأمَّا حَقُّكُمْ على نسائِكم ، فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَن تَكْرَهون ، ولا يأْذَنَّ في بيوتِكم لِمَنْ تكرَهونَ ، ألا وإنَّ حَقَّهُنَّ عليكم : أن تُحسِنُوا إليهنَّ في كِسْوتِهن وطَعامِهن » .

وفي رواية (١) قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في حَجَّةِالوداعِ للناس « أيُّ يوم هذا ؟ » قالوا : يومُ الحَجِّ الأكبر ، قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضَكُم بيْنَكُمْ حرامٌ كحُرمةِ يومكم هذا ، ألا لا يجني جانٍ على ولده ، ولا مولودٌ على والده ، ألا وإن الشيطان قد أيِس أن يُعْبَد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن سيكونُ له طاعةٌ فيما تحتقرون مِنْ أعمالِكُمْ ، فسيَرضى به » .

(فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون) .

المراد بذلك ماذكره صاحب دليل الفالحين :

لا يأذنّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبيا أو امرأة أو أحد محارم الزوجة ، فالنهي يتناول جميع ذلك . قلت : ولذا عقب بقوله (ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون) أي تكرهون دخوله لمنزلكم من أنثى وذكر وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنه لا يحلّ لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا مَحْرَم ولا غيره في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه ، لأن الأصل تحريم دخول منزل الإنسان حتى يوجد الإذن منه في ذلك أو ممن أذن له في الإذن في ذلك أو عرف رضاه به باطراد العرف بذلك ونحوه ، ومتى حصل الشك في الرضا ولم يترجح شيء ولا وجدت قرينة لا يحلّ الدخول ولا الإذن » ا.هـ .

٢١٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ

= (الضرب المبرّح) : الشّاقّ الشديد .

(١) الترمذي (٤ / ٤٦١) ٣٤ - كتاب الفتن ٢ - باب ماجاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرامٌ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٢١٠ - البخاري (١٠ / ٧) ٧٣ - كتاب الأضاحي ٥ - باب من قال : الأضحى يوم النحر . =

الزَّمانَ قد استدار كهيأتِه يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ ، السَّنـةُ اثنـا عَشَرَ شهرًا منها : أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثَـةٌ متواليـات : ذو القَعـدة ، وذو الحِجَّـةِ والمحرَّمُ ، ورجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشعبـانَ ، أيُّ شهر هـذا؟ » قُلنـا : الله ورسولُـه أعلمُ ، فَسكت حتى ظنَنَّا أنَّه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه ، فقال : « أليس ذا الحِجة ؟ » : قلنا . بلى ؛ قال : « أيُّ بلد هذا ؟ » قلنا : الله ورسولُـه أعلمُ ، فَسكَت حتى ظننَّـا أنَّـه سَيُسمِّيـه بغير اسمـه ، قـال : « أليس البلدَةَ الحرامَ » قلنـا : بلى ، قـال : « فـأيُّ يومٍ هـذا ؟ » قلنـا : الله ورسولـه أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قـال : « أليس يومَ النَّحرِ؟ » قلنـا : بلى، قال : « فإن دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حَرامٌ ، كحُرمَةِ يومِكم هـذا ، في بَلـدِكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلْقَون ربَّكم فيسألكُم عن أعْمَالِكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كُفّارًا ، يَضْرِب بعضُكُم رقابَ بعضٍ ، ألا ليُبَلِّغِ الشاهدُ الغـائِبَ ، فلعلَّ بعضَ منْ يبْلُغُـهُ أن يكون أوْعى من بعضِ من سَمِعَـهُ » ثم قـال : « ألا هلْ بَلَّغتُ ؟ ألا هـل بلغت ؟ » قلنا : نعم ! قال : « اللَّهُمَّ اشْهدْ » .

وفي رواية [١] « أنَّ النبيَّ ﷺ قَعدَ على بَعيره ، وأمسك إنسـانٌ بخطـامـه ، أو بزمـامـه ، فقال : « أيُّ شهر هذا ؟ » ـ وذكرَ نحوه مختصرًا ـ.

وزاد مسلم في روايـة [٢] « ثُمَّ انْكَفَأَ إلى كبْشَيْن أمْلَحَيْنِ ، فَـذبَحها ، وإلى جُـزَيعَـةٍ من الغَنَم فَقسَمَها بَيْنَنا » .

= مسلم (٣ / ١٣٠٥) ٢٨ ـ كتاب القسامة ٩ ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .

(١) مسلم (٣ / ١٣٠٦) ـ ٢٨ ـ كتاب القسامة ٩ ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال .

(٢) مسلم نفس الموضع السابق .

قوله : (ثمّ انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما) : انكفأ : رجع ومال .

(أملحين) : الأملح من الغنم : النقي البياض ، وقيل : هو المختلط سواده وبياضه ، إلا أنّ البياض فيه أكثر .

(جزيعة من غنم) : القطعة من الغنم .

٢١١ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ : تَرْكُهُ مالا يعنِيه » .

٢١٢ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ ، أَنُؤاخَذُ بما عَمِلْنَاهُ في الجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَحْسَنَ في الإسْلامِ لَم يُؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجَاهِلِيَّةِ ، وَمَن أَسَاءَ في الإسْلامِ أُخِذَ بالأَوَّلِ والآخرِ » .

* * *

٢١١ - الترمذي (٤ / ٥٥٨) ٣٧ - كتاب الزهد ١١ - باب حدثنا سليمان بن عبد الجبار البَغْدَادِيُّ . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه . وأرسله عن علي بن الحسين .

ورواه أيضاً مالك (٢ / ٩٠٣) ٤٧ - كتاب حسن الخلق ١ - باب ماجاء في حسن الخلق .

وهو عنده مرسل عن علي بن الحسين أيضاً . وهو حديثٌ حسن وأصل عظيم من أصول الأدب .

٢١٢ - البخاري (١٢ / ٢٦٥) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ١ - باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

مسلم (١ / ١١١) ١ - كتاب الإيمان ٥٣ - باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية .

أحمد (١ / ٣٧٩) .

الفصل الثامن
في :
بعض شعب الإيمان
وفيه:
مقدمة وفقرتان

الفقرة الأولى : نصوص من الكتاب في بعض شعب الإيمان
الفقرة الثانية : نصوص من السنة في بعض شعب الإيمان

مقــدمــة

قـال تعـالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كيف ضرب الله مثـلاً كلمـة طيبـة كشجرة طيبـة أصلُها ثـابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ﴾ [١] .

إنّه كما أنّ الشجر المثمر يخرج ثمرهُ كلّ حين ، كذلك شجرة الإيمـان تخرج ثمـارهـا الطيبـة بشكل مستمر ، ومن ههنـا كان للإيمـان شعب ، وقـد حـدّدهـا رسـول الله ﷺ بـأنّها بضعـة وسبعون شعبة وفي رواية البخاري بضع وستون ورجحها بعضهم .

وانبثاق هذه الشعب عن الإيمان القلبي إنّما يكون إذا اكتمل الإيمان في القلب وأصبح نورًا خـالصًـا وكان مع ذلـك علم بهـذه الشعب ، وللوصول إلى هـذا الكـال لابـدّ من بـذل الجهـد بالأوراد وقراءة القرآن والعلم والإقبال على الله ، وكثيرون من الناس يحاولون معـالجـة الفرع ويتركون الأصل ، أمّا أهل المعرفة في الله فإنّهم يركّزون على الأصل ولا يغفلون الفرع .

إنّ دخول الإنســان في الإسلام يعني التزامـه بـالأوامر والنواهي التي وردت في الكتـاب والسنة ، والأوامر منها : الفرائض والنوافل والآداب ، والنواهي منها : المحرّمات والمكروهات وخلاف الأولى .

وما مرّ معنـا في فصل أعمـال الإسلام أمّهـات ممّـا يطـالب بـه من دخل في الإسلام فهي الشعب الأولى للإيمان والإسلام ، ولكنّ الإيمان له بضع وسبعون شعبة ، وإقـامـة بعض هـذه الشعب يعني الكفّ عمّا يقابلها ، فكلمة التوحيد شعبة من شعب الإيمان يقابلهـا الشرك وهو منهي عنه وكثير من شعب الإيمان يقـابلهـا معـاص ، والمعـاصي منهـا مـاهو مكفّر وكبيرة ، ومنها ماهو كبيرة وليست كفرًا ، ومنها مـاهو من الصغـائر ، والصغـائر منهـا اللمم ، ومنهـا ما يعتبر الإصرار عليه والاستمرار فيه كبيرة .

إنّه بمجرّد ما يدخل الإنسان في دائرة الإيمـان عليـه أن يعمل وأن يترك ، ودائرة العمل تشمل ابتداءً شعب الإيمان ، ودائرة الترك تشمل ابتداءً المنهيات كلّها وأوّلها الكبائر .

---

(١) إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

وبعض شعب الإيمان يدخل فيها فروع كثيرة ، فحفظ اللسان يدخل فيه أكثر من عشرين فرعًا ، وحفظ الفروج يدخل فيه حفظها عن الزنا واللواط وهكذا يتوضّح حول شعب الإيمان فكرة الطاعات والمعاصي ، فالطاعات والأعمال الصالحة أثر عن الإيمان وما يقابلها أثر عن كفر أو ضلال أو فسوق .

إنّ الأعمال الصالحة تغذي الإيمان ، وكلّما قوي الإيمان انبثق عنه ثمرات ، وهكذا نجد بين شعب الإيمان والأعمال الصالحة صلة .

قال النووي : قال ابن الصلاح : وقد صُنِّفَتْ في ذلك مصنفات ومن أغزرها فوائد كتاب المنهاج لأبي عبد الله الْحليمي إمام الشافعيين ببخارى وكان من رفعاء أئمة المسلمين وحذا حذوه الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الجليل الحفيل كتاب شعب الإيمان ا.هـ .

وقال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : وقد تقدم أن أصل الإيمان في اللغة التصديق ، وفي الشرع تصديق القلب واللسان ، وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق وقد قدمنا أن كمال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات ، وأن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه ، وأنها خلق أهل التصديق ، فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي ، وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد ، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم ، وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه ، وقد فعل ذلك بعض من تقدم وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي ﷺ صعوبة ، ثم إنه لايلزم معرفة أعيانها ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة ، والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة . هذا كلام القاضي رحمه الله .

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم بن حِبان ـ بكسر الحاء ـ تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئًا كثيرًا فرجعت إلي السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فرجعت إلى

كتاب الله تعالى فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا كل شيء عده الله تعالى ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا تزيد عليها ولاتنقص ، فعلمت أن مراد النبي ﷺ أن هذا العدد في الكتاب والسنن . وذكر أبو حاتم رحمه الله جميع ذلك في كتاب وصف الإيمان وشعبه ، وذكر أن رواية من روى بضع وستون شعبة أيضا صحيحة فإن العرب قد تذكر للشيء عددًا ولا تريد نفي ما سواه .

وله نظائر أوردها في كتابه منها في أحاديث الإيمان والإسلام والله تعالى أعلم ا.هـ . شرح صحيح مسلم / كتاب الإيمان .

وها نحن سنعرض شعب الإيمان في الكتاب ثم في السنة :

الفقرة الأولى : نصوص من الكتاب في بعض شعب الإيمان

ذكر الله عز وجل في القرآن شعبا كثيرة للإيمان في معارض شتّى وبمناسبات كثيرة ، ففي معرض الحديث عن البر تذكر شعب وفي معرض الكلام عن التقوى تذكر شعب ، فكلمة التقوى هي : لا إله إلا الله ، وبمناسبة الكلام عن حزبه جلّ جلاله تذكر شعب ، وبعض الشعب تذكر وهي تفصيل لشعب جامعة ، ولكي نستكمل صورة شعب الإيمان فنحن نذكر بعض ما ورد في القرآن ونعطي لكلّ شعبة نذكرها رقما متسلسلاً ، وما يتكرّر ممّا لا يعطي تفصيلاً لا نعطيه رقمًا .

قال تعالى :

١ - ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتّقين ﴾ (١) .

٢ - ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ .

٣ - ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ .

٤ - ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٢) .

٥ - ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزِل من قبلك ﴾ .

٦ - ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ (٣) .

٧ - ﴿ ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ .

٨ - ﴿ والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس ﴾ (٤) .

٩ - ﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ٢ .
(٢) البقرة : ٣ .
(٣) البقرة : ٤ .
(٤) البقرة : ١٧٧ .
(٥) البقرة : ٢٨٥ .

١٠ - ﴿ الصابرين والصادقين ﴾ .

١١ - ﴿ والقانتين والمنفقين ﴾ .

١٢ - ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ [١] .

١٣ - ﴿ فالذين آمنوا به وعزّروه ﴾ .

١٤ - ﴿ ونصروه ﴾ .

١٥ - ﴿ واتّبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ [٢] .

١٦ - ﴿ إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ .

١٧ - ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ .

١٨ - ﴿ وعلى ربّهم يتوكّلون ﴾ [٣] .

١٩ - ﴿ إنّما يتذكّر أولوا الألباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ .

٢٠ - ﴿ ويخشون ربّهم ﴾ .

٢١ - ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ [٤] .

٢٢ - ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة ﴾ [٥] .

٢٣ - ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ .

٢٤ - ﴿ الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ﴾ [٦] .

---

(١) آل عمران : ١٧ .
(٢) الأعراف : ١٥٧ .
(٣) الأنفال : ٢ .
(٤) الرعد : ١٨ - ٢١ .
(٥) الرعد : ٢٢ .
(٦) الرعد : ٢٧ ، ٢٨ .

٢٥ - ﴿ ذلك ومن يعظّمْ شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب ﴾ (١) .

٢٦ - ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (٢) .

٢٧ - ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ (٣) .

٢٨ - ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ (٤) .

٢٩ - ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ (٥) .

٣٠ - ﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون ﴾ (٦) .

٣١ - ﴿ إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ (٧) .

٣٢ - ﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتّى يستأذنوه ﴾ (٨) .

٣٣ - ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ .

٣٤ - ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ (٩) .

٣٥ - ﴿ والذين يبيتون لربّهم سجدًا وقيامًا ﴾ (١٠) .

٣٦ - ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر﴾ .

٣٧ - ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ﴾ (١١) .

---

(١) الحج : ٣٢ .
(٢) المؤمنون : ١ .
(٣) المؤمنون : ٢ .
(٤) المؤمنون : ٤ ، ٥ .
(٥) المؤمنون : ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٦) المؤمنون : ٦٠ .
(٧) النور : ٥١ .
(٨) النور : ٦٢ .
(٩) الفرقان : ٦٣ .
(١٠) الفرقان : ٦٤ .
(١١) الفرقان : ٦٨ .

٣٨ ـ ﴿ والذين لا يشهدون الزّور ﴾ [١] .

٣٩ ـ ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ... ﴾ [٢] .

٤٠ ـ ﴿ أعدّت للمتقين * الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ ﴾ .

٤١ ـ ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [٣] .

٤٢ ـ ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ .

٤٣ ـ ﴿ ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [٤] .

٤٤ ـ ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ [٥] .

٤٥ ـ ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ﴾ .

٤٦ ـ ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ [٦] .

٤٧ ـ ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله ﴾ .

٤٨ ـ ﴿ فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ... ﴾ [٧] .

٤٩ ـ ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ﴾ .

٥٠ ـ ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ [٨] .

٥١ ـ ﴿ والذين آمنوا أشدّ حبًّا لله ﴾ [٩] .

٥٢ ـ ﴿ يحبّهم ويحبّونه أذلّةٍ على المؤمنين ﴾ .

---

(١) الفرقان : ٧٢ .
(٢) الفرقان : ٧٤ .
(٣) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤) آل عمران : ١٣٥ .
(٥) آل عمران : ١١٣ .
(٦) آل عمران : ١١٤ .
(٧) التوبة : ١١١ .
(٨) التوبة : ١١٢ .
(٩) البقرة : ١٦٥ .

٥٣ - ﴿ أعزّةٍ على الكافرين ﴾ .

٥٤ - ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ [(١)] .

٥٥ - ﴿ .. إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ [(٢)] .

٥٦ - ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ﴾ [(٣)] .

٥٧ - ﴿ وقولوا للناس حسنًا ﴾ [(٤)] .

٥٨ - ﴿ ولا تبذّر تبذيرا ﴾ [(٥)] .

٥٩ - ﴿ ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [(٦)] .

٦٠ - ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ [(٧)] .

٦١ - ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾ [(٨)] .

٦٢ - ﴿ ولا تمش في الأرض مرحًا ﴾ [(٩)] .

٦٣ - ﴿ ولا تصعّر خدّك للناس ﴾ [(١٠)] .

٦٤ - ﴿ واغضض من صوتك ﴾ [(١١)] .

٦٥ - ﴿ إنّما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجّداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ [(١٢)] .

٦٦ - ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفا وطمعا ﴾ [(١٣)] .

---

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) المائدة : ٥٥ .
(٣) النساء : ٣٦ .
(٤) البقرة : ٨٣ .
(٥) الإسراء : ٢٦ .
(٦) الإسراء : ٣٤ .
(٧) الإسراء : ٣٥ .
(٨) الإسراء : ٣٦ .
(٩) الإسراء : ٣٧ .
(١٠) لقمان : ١٨ .
(١١) لقمان : ١٩ .
(١٢) السجدة : ١٥ .
(١٣) السجدة : ١٦ .

٦٧ ـ ﴿ والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ﴾ (١) .

٦٨ ـ ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٢) ﴿ إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ (٣) .

٦٩ ـ ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ﴾ (٤) .

٧٠ ـ ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٥) .

٧١ ـ ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ (٦) .

٧٢ ـ ﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ (٧) .

٧٣ ـ ﴿ إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ (٨) .

٧٤ ـ ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٩) .

٧٥ ـ ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ... ﴾(١٠).

٧٦ ـ ﴿ ولله العِزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾(١١) .

هذه نماذج من القرآن على شعب الإيمان ، والأمر واسع ، لأنّ بعض شعب الإيمان المأمور بها يقابلها ترك وكف ونهي ، فلو أدخلنا المأمورات وما يقابلها من المنهيّات لزادت شعب الإيمان عن البضعة والسبعين ، ومن تتبّع الأمر على ما ذكرناه تأكّد من ذلك ، وإنّما نحن هنا نعطي نماذج وإلا فقد خصّت الشعب بالتأليف وخصّ ما يقابلها من معاصٍ بالتأليف ، ولنعرض بعض ماورد في السنّة من شعب :

---

(١) الأحزاب : ٣٥ .
(٢) ص : ٨٣ .
(٣) صّ : ٤٦ .
(٤) الشورى : ٣٧ .
(٥) الشورى : ٣٨ .
(٦) الشورى : ٣٩ .
(٧) الحجرات : ١٥ .
(٨) الطور : ٢٦ .
(٩) المجادلة : ١١ .
(١٠) المجادلة : ٢٢ .
(١١) المنافقون : ٨ .

الفقرة الثانية : نصوص في بعض شعب الإيمان في السنة

٢١٣ - * روى الجماعة إلا مالكا عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون شُعبة » .

وفي رواية : « بِضْعٌ وستون ، والحياءُ شُعْبةٌ من الإيمانِ » .

زاد في رواية : « وأفضلُها قول : لا إله إلا اللهُ ، وأدناها : إماطةُ الأذى عن الطريق » .

٢١٤ - * روى الطبراني عن عَلْقَمَةَ ، قالَ : قال عبد الله : الصَّبْرُ نصفُ الإيمان واليقينُ الإيمانُ كلُّه .

٢١٥ - * روى أحمد عن أنس ، رفعه « لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له » .

---

٢١٣ - البخاري (١ / ٥١) ٢ - كتاب الإيمان ٣ - باب أمور الإيمان .

ومسلم (١ / ٦٣) ١ - كتاب الإيمان ١٢ - باب بيان عدد وشعب الإيمان وأفضلها وأدناها ... إلخ .

وأبو داود (٤ / ٢١٩) كتاب السنة - باب في رد الإرجاء .

والترمذي (٥ / ١٠) ٤١ - كتاب الإيمان ٦ - باب ماجاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه .

والنسائي (٨ / ١١٠) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٦ - باب ذكر شعب الإيمان .

وابن ماجه (١ / ٢٢) المقدمة ٩ - باب في الإيمان .

(بضع) : البِضْعُ : القطعةُ من الشيء ، وهو في العدد مابين الثلاث إلى التسع ، لأنه قطعة من العدد .

(الحياء من الإيمان) : جعل الحياءَ - وهو غريزةٌ - من الإيمان ، وهو اكتسابٌ ، لأن المستحيي ينقطع باستحيائه عن المعاصي ، وإن لم يكن له تَقيَّةٌ ، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، وإنما جعله بعْضاً من الإيمان ، لأنَّ الإيمان بمجموعه ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به ، وانتهاءٍ عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضَه .

(الشُّعبة) : الطائفة من كل شيء ، والقطعة منه .

(إماطة الأذى) : أماطَ الشيءَ : إذا أزاله عنه ، وأذْهَبَهُ ، والأذى في هذا الحديث ، نحو الشَّوك والحجر وماأشبَهَهُ .

٢١٤ - المعجم الكبير (٩ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٧) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

٢١٥ - المسند (٣ / ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ٩٦) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ا . هـ .

قال البغوي في شرح السنة (١ / ٧٥) : هذا حديث حسن . ا . هـ . وقال محققه شعيب الأرناؤوط : حديث جيد قوي .

٢١٦ - * روى مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . والْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ . وسُبْحَانَ اللهِ والْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَابَيْنَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ . والصَّلاةُ نُورٌ . والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ . والصَّبْرُ ضِيَاءٌ . والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ . فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » .

٢١٧ - * روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَه . وَمَنْ كَرِهَ لقاء الله كره الله لِقَاءَهُ » فَقُلْتُ : يَانَبِيَّ اللهِ ! أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : « لَيْسَ كَذَلِكِ . وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحبَّ لقاءَ اللهِ ، فأَحبَّ اللهُ لقاءَه ، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذابِ الله وسخطه ، كره لقاءَ اللهِ وكرهَ اللهُ لقاءَه » .

---

٢١٦ - مسلم (١ / ٢٠٣) ٢ - كتاب الطهارة ١ - باب فضل الوضوء .

(الطهور) : قال جمهور أهل اللغة : يقال : الوضوء . والطُّهور ، بضم أولها ، إذا أريد بـه الفعل الـذي هو المصدر ويقال : الوَضوء والطَّهور ، بفتح أولها ، إذا أريد به الماء الذي يتطهر به .

(شطر) : أصل الشطر النصف .

(الصلاة نور) : فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب . كما أن النور يستضاء به .

(والصدقة برهان) : قال صاحب التحرير : معناه يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين . كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال ، فيقول : تصدقتُ به .

(والصبر ضياء) : فمعناه الصبر المحبوب في الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته ، والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا . والمراد أن الصبر محمود ، ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمراً على الصواب .

(والقرآن حجة لك أو عليك) : معناه ظاهر . أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك .

(كل الناس يغدو إلخ) : فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه . فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب . ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها ، أي يهلكها .

٢١٧ - مسلم (٤ / ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٥ - باب من أحب لقاء الله ... إلخ .

(كره الله لقاءه) : هذا الحديث يفسر آخره أوله . ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة : من أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله . ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها . فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وماأعدّ له ويكشف له عن ذلك . فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ماأعدّ لهم ، ويحب الله لقاءهم ، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة . وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه ، لما علموا من سوء ماينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم ، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ، ولا يريد ذلك بهم وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم .

٢١٨ - * روى مسلم عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ أَنَّـهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « ذاقَ طَعْمَ الإيمَانِ ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » .

٢١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً » .

٢٢٠ - * روى الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يؤمنُ عبدٌ حتى يؤمنَ بأربعٍ حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ اللهِ بعثني بالحقِّ وحتي يؤمِن بالبعث بعد الموتِ وحتى يؤمنَ بالقَدَرِ » .

٢٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : سَمِعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يؤمِنُ أحدُكم ، حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ والده وولدهِ والنَّاسِ أجمعين » .

٢٢٢ - *روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مِن أشدِّ أُمَّتي لي حُباً نَاسٌ يكونون بَعدِي يَوَدُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله » .

٢٢٣ - * روى البخاري عن عمار ، قال : ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقَدْ جَمَعَ الإيمانَ :

---

٢١٨ - مسلم (١ / ٦٢) ١ - كتاب الإيمان ١١ - باب الدليل على أن من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً ... إلخ .

٢١٩ - البخاري (١ / ٥٦٥) ٨ - كتاب الصلاة ٨٨ - باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .
ومسلم (٤ / ١٩٩٩) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ١٧ - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .
وأحمد (٤ / ٤٠٤ ، ٤٠٥) .
والترمذي (٤ / ٣٢٥) ٢٨ - كتاب البر والصلة ١٨ - باب ماجاء في شفقة المسلم على المسلم .

٢٢٠ - الترمذي (٤ / ٤٥٢) . وإسناده صحيح .
وأخرجه ابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ - باب في القدر .
والحاكم (١ / ٣٢ ، ٣٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

٢٢١ - البخاري (١ / ٥٨) ٢ - كتاب الإيمان ٨ - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .
ومسلم (١ / ٦٧) ١ - كتاب الإيمان ١٦ - باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ... إلخ .
والنسائي (٨ / ١١٤) ٤٧ - كتاب الإيمان ١٩ - باب علامة الإيمان .

٢٢٢ - مسلم (٤ / ٢١٧٨) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤ - باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله .

٢٢٣ - البخاري (١ / ٨٢) ٢ - كتاب الإيمان ٢٠ - باب إفشاء السلام من الإسلام .
وأخرجه البغوي في شرح السنة (١ / ٥٢) .

=

الإنصافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ ، وَالإنْفاقُ مِنَ الإقْتارِ .

أخرجه البخاري تعليقاً عن عمار بصيغة الجزم فهو صحيح النسبة له ، ومثله لا يقال من جهة السمع فإذا مااجتمع إلى ذلك رواية البزار التي ترفعه لرسول الله ﷺ فذلك يجعله حديثاً صحيحاً .

٢٢٤ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخدْري رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا رأيتم الرجل يَعتادُ المسجدَ ، فاشْهَدُوا لَهُ بالإيمان ، فإنَّ الله عز وجل يقول : ﴿ إنَّما يَعْمُرُ مساجد اللهِ مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر ... ﴾ الآية [التوبة : ١٧].

٢٢٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن النعمانِ بن بشيرٍ رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم : مثلُ الجسدِ ، إذا اشتكَى منه عُضْوٌ : تُدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهرِ والحُمَّى » .

وفي رواية (١) : « المؤمنون كَرجلٍ واحدٍ ، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهر والحُمى » .

ولمسلم (٢) : « المسلمون كرجلٍ واحد ، إن اشتكى عينُه اشتكى كُلُّه وإن اشتَكَى رأسُه اشتكى كُلُّه » .

= والبزار ـ كشف الأستار (١ / ٢٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٦ ، ٥٧) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن شيخ البزار لم أر من ذكره وهو الحسن بن عبد الله الكوفي . وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه القاسم أبو عبد الرحمن وهو ضعيف .

٢٢٤ ـ الترمذي (٥ / ٢٧٧) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ١٠ ـ باب ومن سورة التوبة . وقال : هذا حديث حسن غريب .

(١) ورواه أحمد (٣ / ٦٨ ، ٧٦) .

(٢) وابن ماجه (٢ / ٢٦٣) .

٢٢٥ ـ البخاري (١٠ / ٤٣٨) ٧٨ ـ كتاب الأدب ٢٧ ـ باب رحمة الناس والبهائم .

ومسلم (٤ / ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ١٧ ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

(١) مسلم (الموضع السابق) .

(٢) مسلم (الموضع السابق) .

(تداعى له) : تداعى البناء : إذا تَبِعَ بعضهُ بعضاً في الانهدام ، كأن أجزاءه قد دَعَا بعضها بعضاً .

٢٢٦ ـ * روى أبو داود عن أوسِ بن أوسٍ رضي الله عنه : قال : قـال رسول الله ﷺ : « إنّ من أَفضلِ أيامِكم يومَ الجُمعةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيـه قُبِضَ ، وفيـه النَّفْخَـةُ ، وفيه الصَّعقَةُ ، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتَكم معْرُوضَةٌ عليَّ » فقـالوا : يـا رسولَ الله ، وكيف تُعرضُ صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ ـ قال : يقولون : بليت ـ [قـال] : « إن الله حرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ » .

٢٢٧ ـ * روى الإمـام أحمـد عن أنسِ بن مـالـكٍ ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « لا يَستقيمُ إيمـانُ عَبْدٍ حتى يَستقيمَ قَلْبُـهُ ولا يَستقيمُ قَلْبُـهُ حتى يَستقيمَ لِسـانُـهُ ولا يَدْخُلُ رَجُلٌ الجنةَ لا يأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ » .

٢٢٨ ـ * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » .

٢٢٩ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَـالَ : « مَنْ كَـانَ يُـؤْمِنُ بِـاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ . وَمَنْ كَـانَ يُؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَاره ومَنْ كَانِ يؤمِن بالله والْيوم الآخِرِ فَلْيُكرمْ ضَيْفَهُ » .

٢٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أَنس بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ : « لاَ يؤْمِنُ أَحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ » (أَوْ قَالَ لِجَارِهِ) « مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

---

٢٢٦ ـ أبو داود (١ / ٢٧٥) كتاب الصلاة ـ باب تفريع أبواب الجمعة .

والنسـائي (٣ / ٩١) ١٤ ـ كتاب الجمعة ٥ ـ إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة .

والحديث إسناده صحيح .

(الصعقة) : الغشي والموت .

(أرمّ الميتُ) : ورمّ : إذا بلي ، والرمّة : العظم البالي ، والفعل الماضي منـه للمتكلم ، أرممْت : بإظهـار التضعيف .

٢٢٧ ـ مسند أحمد (٣ / ١٩٨) .

٢٢٨ ـ مسلم (١ / ٦٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٨ ـ باب تحريم إيذاء الجار .

٢٢٩ ـ مسلم (١ / ٦٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٩ ـ باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت ...إلخ .

٢٣٠ ـ البخاري (١ / ٥٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٧ ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه .

ومسلم (١ / ٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ١٧ ـ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٦٦٧) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ٥٩ ـ باب حدثنا بشر بن هلال ... إلخ .

والنسـائي (٨ / ١١٤) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ١٩ ـ باب علامة الإيمان .

٢٣١ - * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا باللَّعَّانِ ولا الفاحِشِ البَذِيء » .

٢٣٢ - * روى مسلم عن طارقِ بن شهابٍ ، قَـالَ : أَوَّلُ مَنْ بَـدَأَ بِـالْخُطْبَـةِ ، يَوْمَ الْعِيـدِ قَبْلَ الصَّلاةِ ، مَرْوَانُ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ . فَقَـالَ : الصَّلاةُ قَبْلَ الْخُطْبَـةِ فَقَـالَ : قَـدْ تُرِكَ مَـا هُنالِكَ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَمَّا هذَا فقَدْ قَضى مَـاعَلَيْـهِ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرَاً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَـدِهِ . فَـإِنْ لَمْ يَسْتَطِـعْ فَبِلِسَـانِـهِ . فَـإِنْ لَمْ يَسْتَطِـعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

٢٣٣ - * روى مسلم عن عبـد الله بن مسعـود رضي الله عنـه ، عن رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَـالَ « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي ، إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ ، وَأَصْحَـابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِه وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ . ثُمَّ إِنَّها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ . يَقُولُونَ مَـالا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَالاَ يُؤْمَرُونَ . فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَمَنْ جَـاهَـدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مؤْمِنٌ . وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإِيمَـانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » .

٢٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن عديٍّ بن ثابت قـال : سمعت البراءَ بن عـازبٍ قـال :

---

٢٣١ - الترمذي (٤ / ٣٥٠) ٢٨ - كتاب البر والصلة ٤٨ - باب ماجاء في اللعنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه .

(الطعان) : الذي يطعن في أعراض الناس .

(اللعان) : كثير الشَّتْم والسبّ .

(الفاحش) : ذو الفحش في كلامه وفعاله .

(البذيء) : الفاحش في القول .

٢٣٢ - مسلم (١ / ٦٩) ١ - كتاب الإيمان ٢٠ - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ...إلخ .

٢٣٣ - مسلم (١ / ٧٠) الكتاب والباب السابقان .

(الحَوَارِيُّون) : جمع حواري وهم الخاصة والأصحاب والناصرون .

(الخُلوف) : جمع خَلْف : وهو القرن من الناس .

وقد جرت العادة أن تطلق كلمة خَلْف على من يخلف غيره بسوء .

وبعضهم يقول : خَلَف صدقٍ بالتحريك ويسكن الآخر في السوء للتفريق .

وبعضهم جعلها سواء في التحريك والتسكين .

٢٣٤ - البخاري (٧ / ١١٣) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤ - باب حب الأنصار من الإيمان .

قال رسُول اللهِ ﷺ « لا يُحِبُّ الأَنصارَ إلا مؤمنٌ ولا يُبْغِضُهم إلا مُنـافقٌ من أحبهم أحبَّه الله ومن أبغضهم أبغضَه الله » .

٢٣٥ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَة ؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قـال : « لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَـارَ رَجُلٌ يؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ » .

٢٣٦ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قال رَسُولُ الله ﷺ : « لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُـؤمِنُـوا ، وَلاَ تُـؤْمِنُـوا حَتَّى تَحـابُّـوا . أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُـوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ » .

٢٣٧ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ قَـالَ : قَـالَ رسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا أَدَّى الْعَبْـدُ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَاليه كَـانَ لَـهُ أَجْرَانِ » قَـالَ : فَحـدَّثْتُهـا كعبًـا . فَقَـالَ كَعْبٌ : لَيسَ عَلَيْـهِ حِسابٌ . وَلاَ عَلَى مُؤمِن مُزْهِد .

٢٣٨ ـ * روى البخـاري عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قـال : « الـمُؤْمِنُ الـذي يَقرأُ القرآنَ ويَعْمَلُ به كالأُتْرُجَّـةِ طَعْمُهَـا طَيِّبٌ وريحهـا طَيِّب . والمؤمنُ الـذي لايَقْرأُ القرآنَ وَيَعملُ بـه كالتمرةِ طَعْمُها طيِّب ولا ريحَ لهـا ، ومَثَلُ المنـافـق الـذي يقرَأُ القرآن كالريحـانـةِ رِيحُهـا طيبٌ وطعمهـا مرٌّ وَمثـلُ المُنـافـقِ الـذي لا يقرأ القرآن كالحنْظَلَةِ طَعْمُها مُرٌّ أو خبيث وريحها مرٌّ » .

٢٣٩ ـ *روى أحمد والبخـاري ومسلم عن النعمان بن بشير يخطُبُ يقولُ : سمعتُ رسـول

= مسلم (١ / ٨٥) ١ ـ كتـاب الإيمان٣٣ ـ بـاب الـدليـل على أن حب الأنصـار وعلي رضي الله عنهم من الإيمـان ... إلخ .

٢٣٥ ـ مسلم (الموضع السابق) .

٢٣٦ ـ مسلم (١ / ٧٤) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٢ ـ باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ... إلخ .

٢٣٧ ـ مسلم (٣ / ١٢٨٥) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ١١ ـ باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه .

٢٣٨ ـ البخاري (٩ / ١٠٠) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ٢٦ ـ باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فجر به .

٢٣٩ ـ مسند أحمد (٤ / ٢٧٠) بالسياق المذكور .

وهو عند البخاري ومسلم حديثان :

الأول أخرجه البخاري (١٠ / ٤٣٨) ٧٨ ـ كتاب الأدب ٢٧ ـ باب رحمة الناس والبهائم . =

الله ﷺ يقول : « مَثلُ المؤمنينَ في تَوادِّهم وتَعاطُفِهم وتَراحُمِهم مثلُ الجَسَدِ إذا اشتكى منه شيءٌ تداعى له سَائرُ الجسدِ بالسهر والحمى » . وسمعت رسولَ الله ﷺ يَقول : « إن الحلالَ بينٌ والحرامَ بين وبينهما مُشْتَبهات لا يَعلمها كثيرٌ من الناسِ فمن اتقى الشُّبُهات استبرأ فيه لدينه وعرضِهِ ومن واقَعَها واقع الحرامَ كالراعي يَرعى حَولَ الحِمى يُوشِكُ أن يَرتَعَ فيه ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى وإن حمى الله ماحَرَّمَ ألا وإن في الإنسان مُضْغَةً إذا صَلَحَت صَلَح الْجسدُ كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلبُ » .

٢٤٠ ـ * ورووا أيضًا عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَسْرِقُ سارقٌ حين يَسرِقُ وهو مؤمن ولا يزني زان حين يَزني وهو مؤمن ولا يَشْرَبُ الشَّاربُ حينَ يَشرَبُ وهو مؤمنٌ ـ يعني الخمر ـ والذي نفس محمد بيده ولا ينتهب أحدكم نُهبَة ذات شَرَف ويرفَعُ إليه المؤمنون أعيُنَهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن ولا يَغُلُّ أحدُكم حَين يَغُلُّ وهو مؤمن فإياكم إياكم » .

٢٤١ ـ * روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : كان عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ إذا لقي الرجلَ من أصحابه يقول : تعالَ نؤمنْ بربنا ساعةً فقال ذات يوم لرَجلٍ فَغَضِبَ الرجلُ فجاءَ إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ألا ترى إلى ابن رواحةَ يرغبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبي ﷺ « يَرحَمُ اللهُ ابنَ رواحةَ إنه يُحِبُّ المَجالسَ التي تباهي بها الملائكة عليهم السلامُ » .

= ومسلم (٤ / ١٩٩٩) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ١٧ ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .
والثاني أخرجه البخاري (١ / ١٢٦) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٩ ـ باب فضل من استبرأ لدينه .
ومسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ ـ كتاب المساقاة ٢٠ ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات .
(مُضْغَة) : قطعة لحم .

٢٤٠ ـ البخاري (٥ / ١١٩) ٤٦ ـ كتاب المظالم ٣٠ ـ باب النهي بغير إذن صاحبه .
مسلم (١ / ٧٦) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٤ ـ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ... إلخ .
أحمد (٢ / ٣١٧) .

٢٤١ ـ مسند أحمد (٣ / ٢٦٥) . بإسناد حسن .

٢٤٢ - * روى البزار عن أنس رَضِي الله عنـه ، قـالَ : قَـالُوا : يـارَسُـولَ اللهِ إنـا نَكُـونُ عِنْدكَ عَلَى حَالٍ ، حتى إذا فَارقنَاكَ نكُون عَلَى غَيرِهِ قال : « كَيفَ أَنتم وَنَبِيُّكُم » . قَـالُوا أَنْتَ نبينَا فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ قال : « لَيْسَ ذَاكَ النِّفاقَ » .

٢٤٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ ، قال : قـال رسول الله ﷺ : « يقولون الكَرْمُ وإنما الكَرْمُ قلبُ المؤمنِ » .

أقـول : المراد بـالحـديث أن الـذي يستحـق التسميـة بـالكرم هـو قلب المـؤمن وحـــده ، ولا يستحق ذلك شجر العنب .

٢٤٤ - * روى مسلم عن عبد اللهِ بن سفيانَ عن أَبيه قال : يـا رَسُولَ الله أخبرني أمرًا في الإسلام لا أسالُ عنه أحداً بعدك قال : « قلْ آمنتُ بـاللهِ ثم استقِم » قـال يـارسول الله : فأيُّ شيء أَتقي ؟ قال : فأشار بيده إلى لسانه .

٢٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرة ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ يَغَـارُ وَالْمؤمِنُ يَغَارُ ، وغَيْرةُ اللهِ أنْ يأتيَ المؤمِنُ مَاحرَّم عَلَيْهِ » .

٢٤٦ - * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « المؤمنُ يَغارُ ، المؤمن يَغارُ ، المؤمنُ يَغارُ والله أشدُّ غَيْراً » .

---

٢٤٢ - كشف الأستار (١ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٤) وقال : رواه أبو يعلى والبزار إلا أن البزار قال : كيف أنتم وربكم قالوا الله ربنا في السر والعلانية . ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

٢٤٣ - البخاري (١٠ / ٥٦٦) ٧٨ - كتاب الأدب ١٠٢ - باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن » .

ومسلم (٤ / ١٧٦٣) ٤٠ - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ٢ - باب كراهة تسمية العنب كرماً .

ومسند أحمد (٢ / ٢٣٩) .

٢٤٤ - مسلم (١ / ٦٥) ١ - كتاب الإيمان ١٣ - باب جامع أوصاف الإسلام .

مسند أحمد (٣ / ٤١٣) .

٢٤٥ - البخاري (٩ / ٣١٩) ٦٧ - كتاب النكاح ١٠٧ - باب الغيرة .

ومسلم (٤ / ٢١١٤) ٤٩ - كتاب التوبة ٦ - باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش .

والترمذي (٣ / ٤٧١) ١٠ - كتاب الرضاع ١٤ - باب ماجاء في الغيرة .

٢٤٦ - مسند أحمد (٢ / ٢٣٥) .

وعند مسلم بنحوه في الموضع السابق .

٢٤٧ ـ * روى الإمام أحمد عن ابن أبي المُعلّى عن أبيه أن النبي ﷺ خَطَبَ يوماً فقال : « إن رجلاً خَيَّرَه رَبُّهُ عزَّ وجَلَّ بين أن يعيشَ في الدنيا ماشاء أن يعيشَ فيها ويأكلَ في الدنيا ماشاءَ أن يأكلَ فيها وبين لقاء ربه فاختارَ لقاءَ ربه » قال فبكى أبو بكر فقال أصحاب رسول الله ﷺ ألا تعجبون من هذا الشيخ أنْ ذكَرَ رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه عز وجل بين لقاء ربه وبين الدنيا فاختار لقاء ربه وكان أبو بكر أعلَمهم بما قال رسولُ الله ﷺ فقال أبو بكر بل نفديك يارسولَ الله بأموالنا وأبنائنا فقال رسول الله ﷺ : « مامن الناس أحد أمَنَّ عَلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحَافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قُحافَة ولكن ودٌّ وإخاء إيمان ولكن ودّ وإخاءُ إيمانٍ ـ مرتين ـ وإنَّ صَاحِبَكم خليلُ الله عز وجل » .

٢٤٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسٍ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلاوَةَ الإِيمَان ؛ مَنْ كَانَ اللهُ ورسُولُهُ أَحَبَّ إليْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وأَنْ يُحِبَّ الْمَرء لا يُحِبُّهُ إلا للهِ ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ » .

٢٤٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن ابنِ عمرَ أَنَّ رسُول الله ﷺ مَرَّ برجُلٍ مِنَ الأنصارِ وهو يَعِظُ أَخَاه في الحَياء فقال له رسول الله ﷺ « دَعْهُ فإنَّ الحَياءَ من الإيمانِ » .

٢٥٠ ـ * روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

---

٢٤٧ ـ أحمد (٣ / ٤٧٨) . واللفظ له .

وأخرجه البخاري (٧ / ٢٢٧) ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار ٤٥ ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

ومسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ١ ـ باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . كلاهما عن أبي سعيد مع مغايرة في اللفظ .

٢٤٨ ـ البخاري (١ / ٦٠) ٢ ـ كتاب الإيمان ٩ ـ باب حلاوة الإيمان .

مسلم (١ / ٦٦) ١ ـ كتاب الإيمان ١٥ ـ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

٢٤٩ ـ البخاري (١ / ٧٤) ٢ ـ كتاب الإيمان١٦ ـ باب الحياء من الإيمان .

مسلم (١ / ٦٣) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٢ ـ باب بيان عدد شعب الإيمان ...إلخ .

٢٥٠ ـ أحمد(٢ / ٤٧٢) .

أبو داود (٤ / ٢٢٠) كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه . مختصراً .

« أكملُ المؤمنين إيماناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً وخِيارُهم خِيارُهم لِنسائهم » .

٢٥١ - * روى أحمد والترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « إنَّ مِن أكمل المؤمنين إيماناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً وألْطَفُهم بأهله » .

٢٥٢ - * روى البزار عن أنسٍ رضي الله عنه ، قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أكْمَلَ النَّاسِ إيمَاناً أحْسَنُهم خُلُقاً وإنَّ حُسنَ الخُلُقِ لَيبْلُغ دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ » .

٢٥٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال : « لا يُلْدَغُ المؤمن مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين » .

٢٥٤ - * روى أحمد ومسلم عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناسُ إنّ اللهَ طيبٌ لا يقبَلُ إلا طيبا وإنّ الله أمَر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ **يأيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعْملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾ وقال : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم** ﴾ .

٢٥٥ - * روى أحمد ومسلم عن ابنِ عُمرَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « المؤمن يأكلُ في مِعىً واحدٍ والكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمْعاءٍ » .

٢٥٦ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَال : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ

= الترمذي (٣ / ٤٦٦) ١٠ - كتاب الرضاع ١١ - باب ماجاء في حق المرأة على زوجها . وقال : حديث حسن صحيح .

٢٥١ - أحمد (٦ / ٤٧) .

الترمذي (٥ / ٩) ٤١ - كتاب الإيمان ٦ - باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه . وقال هذا حديث صحيح .

٢٥٢ - كشف الأستار (١ / ٢٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٨) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٢٥٣ - البخاري (١٠ / ٥٢٩) ٧٨ - كتاب الأدب ٨٣ - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

مسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٢ - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

٢٥٤ - أحمد (٢ / ٣٢٨) .

مسلم (٢ / ٧٠٣) ١٢ - كتاب الزكاة ١٩ - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

٢٥٥ - أحمد (٢ / ٢١) .

مسلم (٣ / ١٦٣١) ٣٦ - كتاب الأشربة ٣٤ - باب المؤمن يأكل في معىً واحد ... إلخ .

٢٥٦ - مسلم (٢ / ١٠٩١) ١٧ - كتاب الرضاع ١٨ - باب الوصية بالنساء .

الآخِرِ ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّم بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُت . وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ . فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعلاهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» .

٢٥٧ ـ * روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ : « من فارَقَ الجَمَاعةَ وخرجَ من الطاعة فماتَ فميتَتُه جاهليةٌ ومن خرج على أمتي بسيفهِ يَضربُ بَرَّها وفاجرَها لا يُحَاشِي مؤمناً لإيمانه ولا يفي لذي عهد بعهده فليس مِنْ أُمتي » .

٢٥٨ ـ * روى الإمام أحمد عن الحسن ؛ قال : جاء رجل إلى الزبير بن العوَّام فقال : أقتُل لكَ عليًا ؟ قال : لا وكيف تَقْتُله ومعه الجنودُ ؟ قال : ألحق به فأفْتِك به قال : لا إن رسول الله ﷺ قال : « إن الإيمان قَيدُ الفَتْكِ لا يفتِك مُؤمنٌ » .

٢٥٩ ـ * روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن العِرباضِ بنِ ساريةَ ، قال : وعظنا رسول الله ﷺ مَوعِظَةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَتْ منها القلوبُ قلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تَعهدُ إلينا قال : « قد تركْتُكُم على البيضاء ليلُها كَنَهَارِها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يَعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بما عَرفتم من سُنتي وسُنةِ الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن

---

٢٥٧ ـ أحمد (٢ / ٣٠٦) . واللفظ له .

مسلم (٣ / ١٤٧٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ...إلخ .

النسائي (٧ / ١٢٣) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٨ ـ باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية .

٢٥٨ ـ أحمد (١ / ١٦٦) .

وأخرجه أبو داود (٣ / ٨٧) كتاب الجهاد ـ باب العدو يؤتي على غرة ويتشبه بهم . عن أبي هريرة مقتصراً على لفظ الرسول ﷺ فقط . وهو حديث حسن بشواهده .

٢٥٩ ـ أحمد (٤ / ١٢٦) .

أبو داود(٤ / ٢٠٠) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم ١٦ ـ باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .

ابن ماجه (١ / ١٥ ، ١٦) المقدمة ٦ ـ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين .

وهو حديث حسن صحيح .

عبدًا حبشيًا عَضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأَنِفِ حيثما انقيد انقاد » .

٢٦٠ ـ * روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ المؤمنَ غِرٌّ كَريم ، وإنّ الفاجرَ خِبٌّ لئيم » .

٢٦١ ـ * روى الترمذي عن حُذَيْفَةَ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يـذِلَّ نَفْسَـهُ » قَـالُوا وَكَيْفَ يـذِلُّ نَفْسَـهُ ؟ قَـالَ : « يَتَعَرضُ مِنَ البَـلاءِ لِمَـا لا يطيقُ » .

وبعد : فهذه مختارات من شعب الإيمان عطّرنا بها الكتاب ، وسيرى القارئ كثيراً من الشعب في أمكنة كثيرة من هذا الكتاب .

* * *

= (النواجذ) : الضواحك . والمراد هنا : تمسّكوا بالطاعة كما يتمسّك العاضّ بجميع أسنانه .
(الجمل الأنِف) : الجمل الطائع لا يمتنع على قائده . وقيل : الأنف : الذلول .

٢٦٠ ـ أحمد (٢ / ٣٩٤) .
أبو داود (٤ / ٢٥١) كتاب الأدب ـ باب في حسن العشرة .
الترمذي (٤ / ٣٤٤) ٢٨ ـ كتاب البر والصلة ٤١ ـ باب ماجاء في البخيل . وقال : هذا حديث حسن غريب .
(غرّ) : ليس بذي نكر ولا خِدَاع .
(خب) : خَدَّاع .
(لئيم) : الدنيّ الأصل الشحيح النفس .

٢٦١ ـ الترمذي (٤ / ٥٢٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٧ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .
وقال : هذا حديث حسن غريب .

الفصل التاسع
في:

بعض الموازين التي يزن بها المؤمن إيمانه وإسلامه

مقدمة

ليس هناك همّ عند المسلم أعظم من همّه أن يكون مؤمناً مسلماً مقبولاً عند الله . وتحقيق ذلك يقتضي من المسلم أن يكون دائم التفتيش عمّا إذا كان كذلك ، ولا شيء يساعده على معرفة ما إذا كان سائراً في الطريق الصحيح من أن يَعْرِض نفسه على الموازين التي وردت في الكتاب والسنّة والتي تُحدّد صفات أهل الإيمان . من ذلك في القرآن الكريم :

﴿ إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون * الذين يقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ (١) .

﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢) .

ومن ذلك في السنّة :

نصوص

٢٦٢ ـ * روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : أَرأَيْتَ الرجلَ يَعمَلُ من الخير ، ويَحْمَدُه الناسُ عليه ؟ قالَ : « تِلْكَ عاجِلُ بُشرى المؤمن » .

٢٦٣ ـ * روى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رجل للنبي ﷺ : يارسول الله كيف لي أن أعلَم إذا أحْسَنتُ وإذا أسأْتُ فَقال النبي ﷺ : « إذا سَمِعْتَ جيرانَك يقولون قد أحْسَنْتَ فقد أحْسَنْتَ ، وإذا سمعتَهم يقولون قد أسأتَ فقد أسأتَ » .

---

(١) الأنفال : ٢ ، ٣ ، ٤ . (٢) الحجرات : ١٥ .

٢٦٢ ـ مسلم (٤ / ٢٠٣٤) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ٥١ ـ باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره .

٢٦٣ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤١٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٢٥ ـ باب الثناء الحسن .

ورواه الإمام أحمد (١ / ٤٠٢) .

وابن حبان في صحيحه ـ موارد الظمآن (٥٠٣) باب شهادة الجيران .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وهو في المعجم الكبير (١٠ / ٢٢٨) .

٢٦٤ - * روى أحمدُ عن أبي أُمامةَ ، قال رجلٌ : يـارسولَ الله مـاالإيمـانُ ؟ قـال : « إذا سَرَّتْكَ حَسَنتُك وسَاءَتْك سَيِّئَتُكَ فأنتَ مؤمنٌ » .

٢٦٥ - * روى الطبراني عن أبي أُمامةَ قال : قـال رجلٌ : مـاالإثمُ يـارسول الله ؟ قـال : « ماحاك في صدْرِك فدْعه » قال : فما الإيمـان ؟ قـال : « من سَـاءتْـهُ سيئتُـه وسرته حسنتُه فهو مؤمن » .

٢٦٦ - * روى الطبراني في الأوسـط عن ابن عمرَ قـال : بعثَ رسـولُ الله ﷺ معـاذَ بنَ جبلٍ وأبا موسى إلى اليمن فقال : « تسانَدا وتطـاوَعَـا وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا » فَخَطَبَ النـاسَ معـاذٌ فَحثهم على الإسلام والتفقـه والقرآن وقـال أُخبرُكم بـأهل الجنـة وأهـلِ النـار ، إذا ذُكِرَ الرجلُ بخير فهو من أهل الجنةِ وإذا ذكر بشر فهو من أهل النارِ .

٢٦٧ - * روى ابن ماجه عن ابنِ عباسٍ ، قال : قـال رسولُ الله ﷺ : « أَهْلُ الجَنَّـةِ مَنْ مَلأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْراً وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْـهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ » .

٢٦٨ - * روى البزار عن أنسٍ قال : قيل : يارسول الله مَنْ أهل الجنـة ؟ قـال : « من لا يموتُ حتى يملأَ اللهُ مَسامِعَه مما يُحبُّ » قيل فمن أهل النار ؟ قـال : « من لا يموتُ حتى يملأَ اللهُ مِسَامِعَه مما يكرهُ » .

---

٢٦٤ - مسند أحمد (٥ / ٢٥٢) .

أخرجه أيضاً ابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء في المختارة . قال الحاكم : على شرطهما وأقره الذهبي ، قال العراقي في أماليه : حديث صحيح . وقال الهيثمي : رجال الطبراني رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير مدلس وإن كان من رجاله . ورواه أحمد أيضاً عن أبي موسى بإسناد رجاله ثقات لكن فيه انقطاع بلفظ من عمِل حسنة فسر بها ومن عمِل سيئة فساءته فهو مؤمن .

٢٦٥ - المعجم الكبير (٨ / ١٣٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩٤) . وقال : رواه الطبراني وأحمد باختصار عنه ورجال الطبراني رجال الصحيح .

٢٦٦ - مجمع الزوائد (١ / ١٦٥) . وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون .

٢٦٧ - ابن ماجه (٢ / ١٤١٢) . قال محققه : في الزوائد إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

٢٦٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٢) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير العباس بن جعفر وهو ثقة .

٢٦٩ ـ * روى البزار عن سعدِ بن أبي وقاصٍ ، قال سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ بالنباة أو بالنَّبأ يقول : « يُوشِكُ أن تَعْرفوا أهلَ الجنةِ من أهلِ النار » قالوا : بما يارسول الله ؟ قال : « بالثَّناء الحَسَنِ والثَّناء السَّيئ » .

٢٧٠ ـ * روى أحمد والطبراني عن عقبةَ بنِ عامرٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل لَيَعْجَبُ من الشاب ليستْ له صَبْوَةٌ » .

٢٧١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إذا أَحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ : إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيُحِبُّه أهلُ السماء ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ » .

وفي رواية مسلم قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعا جبريلَ ، فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحِبَّه ، قال : فيُحبُّه جبريلُ ، ثم ينادي في السماء ، فيقول : إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيُحبُّه أهلُ السماء ، ثم يوضَعُ له القَبُولُ في الأرض ، وإذ أَبغض عبداً دعا جبريلَ عليه السلام ، فيقول : إني أُبْغِضُ فلاناً فأَبْغِضْه ، قال : فَيُبْغِضُه جبريلُ ، ثم ينادي في أهلِ السماء : إنَّ الله يُبْغِضُ فلاناً فأبغضوه ، ثم تُوضَعُ له البغضاءُ في الأرض » .

وفي رواية له [١] عن سهيل بن أبي صالح ، قال : كُنَّا بعَرَفَةَ ، فمرَّ عمرُ بنُ عبدِ العزيز وهو على المَوْسِم ، فقام الناسُ ينظرون إليه ، فقلتُ لأبي : ياأبتِ ، إني أرى اللهَ يُحِبُّ عمرَ ابنَ عبد العزيز ، قال : وماذاك ؟ قلت : لما لَه من الحبِّ في قلوب الناس ، قال :

---

٢٦٩ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن عرفة وهو ثقة .

(النَّبَاوَة أو النَّبْأَة) : ماارتفع من الأرض ، والمراد بها هنا منطقة في الطائف .

٢٧٠ ـ مسند أحمد (٤ / ١٥١) .

المعجم الكبير (١٧ / ٣٠٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٠) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن .

٢٧١ ـ البخاري (٦ / ٣٠٣) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ٦ ـ باب ذكر الملائكة .

مسلم (٤ / ٢٠٣٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ٨ ـ باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده .

(١) مسلم في الموضع السابق .

فأُنبِّئُك ؟ إني سمعتُ أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ ... ثم ذكر الحديث .

وأخرجه الموطأ مثل الرواية الأولى (١) ، وقال : ولا أحْسِبُهُ إلا قال في البغض مثل ذلك .

وأخرجه الترمذي (٢) مثل مسلم ، وزاد في حديثه في ذِكْر المحبة فذاك قول الله ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

٢٧٢ - * روى أحمدُ والترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ وقفَ على ناسٍ جُلُوسٍ ، فقال : « ألا أُخْبِرُكم بخيركم مِنْ شَرِّكم » ؟ قال :فسكتوا فقال ذلك ثلاثَ مرات ، فقال رجلٌ : بَلَى يارسولَ الله ، أخبرنا بخيرنا من شرِّنا ، فقال : « خيرُكم مَن يُرجَى خيرهُ ، ويُؤمَنُ شَرُّه ، وشرُّكم من لا يُرْجَى خيرهُ ، ولا يُؤمَنُ شرُّه » .

فائدة : لقد رأينا أن مما يُعرف به الخير في الإنسان ثناء أهل الصلاح عليه ومحبتهم له ، هذا لا يتنافى مع ما أدبنا به رسول الله ﷺ من الاحتياط في الثناء على الإنسان وخاصة إذا خشيت عليه الفتنة من سماعه الثناء عليه . وقد ورد في ذلك :

٢٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رُجلاً يُثْني على رَجُلٍ ، ويُطْرِيه في المِدْحَةِ فقال : « أهْلَكتُم - أو قَطعتم - ظَهْرَ الرَّجُلِ » .

٢٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، قال : أثنَى رَجُلٍ على

---

(١) الموطأ (٢ / ٩٥٣) ٥١ - كتاب الشعر ٥ - باب ماجاء في المتحابين في الله .

(٢) الترمذي (٥ / ٣١٧) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٢٠ - باب ومن سورة مريم .

٢٧٢ - الترمذي (٤ / ٢٥٨) ٢٤ - كتاب الفتن ٧٦ - باب حدثنا قتيبة ... إلخ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

مسند أحمد (٢ / ٣٦٨) . ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان .

٢٧٣ - البخاري (١٠ / ٤٧٦) ٧٨ - كتاب الأدب ٥٤ - باب مايكره من التمادح .

مسلم (٤ / ٢٢٩٧) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٤ - باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ... إلخ .

٢٧٤ - البخاري في الموضع السابق .

مسلم (٤ / ٢٢٩٦) نفس الكتاب والباب .

أبو داود (٤ / ٢٥٤) كتاب الأدب - باب في كراهية التمادح .

=

رَجُلٍ عند النبيِّ ﷺ ، فقال : « وَيْلَكَ ، قطعتَ عُنُقَ صَاحِبِك » ـ ثلاثاً ـ ثم قال : « مَنْ كان منكم مادِحًا أخاه لا مَحالةَ ، فلْيَقلْ : أَحْسِبُ فلاناً ، واللهُ حسيبه . ولا يُزَكِّي على الله أحداً ، أَحْسِبُ كذا وكذا إن كان يَعْلَم ذلك منه » .

وفي رواية لمسلم (1) : أن النبيَّ ﷺ ذُكِر عنده رجل ، فقال رجل : يارسولَ الله ، مامِنْ رَجُلٍ بعد رسول الله أفضل منه في كذا ، فقال النبيّ ﷺ : « ويحك قَطَعْتَ عُنُقَ صاحبِك » ـ مراراً يقول ذلك ـ ثم ذكر الحديث نحوه .

٢٧٥ ـ * روى أحمد والطبراني عن أبي أمامةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المِقَةَ من الله عز وجل ـ قال شَرِيكٌ هي المَحَبَّةُ ـ والصيت من السماء فإذا أحبَّ اللهُ عبداً قال لجبريلَ إني أُحبُّ فلاناً فأحِبوه قال فَتُنْزَلُ له المحبةُ في الأرض ، وإذا أبغضَ عبداً قال لجبريلَ : إني أبغِضُ فلاناً فأبغضوه قال فينادي جبريلُ إن ربَّكم يُبغض فلاناً فأبغِضوه قال فيُجري له البغض في الأرض » .

٢٧٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « إن العَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرضَاة الله عزَّ وجَلَّ فلا يزالُ كَذلك فيقول ياجبريلُ إن عبدِي فلاناً يلْتمسُ أن يُرضِيني برِضَائي عليه . قال فيقول جبريلُ ﷺ رحمةُ الله على فلانٍ وتقول حَمَلَةُ العرشِ ويقول الذين يَلونهم حتى يقول أهلُ السمواتِ السبعِ ثم يَهبطُ إلى الأرضِ ثم قال رسول الله ﷺ : وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كِتَابه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ وإن العَبد ليلتمس سَخَطَ اللهِ فيقولُ الله عز وجل ياجبريل إن فلاناً يَسْتَسْخِطُني ألا وإن

= (قطعت عنق صاحبك) : أي : أهلكته بالإطراء والمدح الزائد ، وتعظيمك شأنه عند نفسه ، فإنه يعجب بنفسه ، فيهلك ، كأنك قد قطعت عنقه .

(1) مسلم في الموضع السابق .

٢٧٥ ـ مسند أحمد (٥ / ٢٦٣) .

المعجم الكبير (٨ / ١٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله وثقوا .

أقول : العبرة بحب الصالحين وبغض الصالحين .

٢٧٦ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٧٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

غَضَبِي عليه . فيقولُ جبريلُ غَضَبُ اللهِ على فلانٍ وتقول حملة العرش ويقول من دونهم حتى يقوله أهلُ السمواتِ السبع ثم يهبِطُ إلى الأرض» .

٢٧٧ - * روى ابن ماجه عن أسماءَ بنتِ يزيدَ ، أنها سمِعَتْ رسول الله ﷺ يقول : « ألا أُنبئُكُمْ بخِيَارِكُمْ ؟ » قالُوا : بلَى يَارسُولَ الله ، قالَ : « خِيَارُكُم الذِينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

٢٧٨ - * روى أبو داود عن الشريدِ بنِ سويدٍ الثقفيِّ رضي الله عنه ، قال : إنَّ أمَّه أوصتهُ أن يعتقَ عنها رقَبَةً مُؤمنة ، فأتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يارسولَ الله ، إنَّ أمي أوصت أن أُعْتِقَ عنها رَقَبَة مؤمنة . وعندي جارية سوداءُ نُوبِيَّة ، أفأُعتِقُها ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « ادْعُ بها » . فَدَعوتُها ، فجاءت . فقال لها النبي ﷺ : « من ربُّكِ ؟ » قالت : الله ، قال : « فَمَنْ أنا ؟ » قالت : رسول الله ، قال : « أَعتِقْها ، فإنَّها مؤمنةٌ » .

٢٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَثَلُ المؤمنِ مثلُ الزَّرْعِ ، لا تزالُ الريحُ تُميلُه ، ولا يزالُ المؤمنُ يُصيبُه البلاءُ ، ومثَلُ المنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأرزِ لا تَهتز حتى تسْتَحْصدَ » .

٢٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال :

---

٢٧٧ - ابن ماجه (٢ / ١٣٧٩) ٣٧ - كتاب الزهد ٤ - باب من لا يؤبه له .

قال محققه : في الزوائد هذا إسناد حسن وشهر بن حوشب وسويد بن سعيد مختلف فيهما وباقي رجال الإسناد ثقات .

٢٧٨ - أبو داود (٣ / ٢٣٠) كتاب الأيمان والنذور - باب في الرقبة المؤمنة . وإسناده حسن .

والنسائي (٦ / ٢٥٢) ٣٠ - كتاب الوصايا ٨ - باب فضل الصدقة عن الميت .

وإسناد الحديث حسن .

٢٧٦ - البخاري (١٣ / ٤٤٦) ٩٧ - كتاب التوحيد ٣١ - باب في المشيئة والإرادة .

ومسلم (٤ / ٢١٦٣) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٤ - باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز .

والترمذي (٥ / ١٥٠) ٤٤ - كتاب الأمثال ٤ - ماجاء في مثل المؤمن ... إلخ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٢٨٠ - البخاري (١٠ / ٥٢٩) ٧٨ - كتاب الأدب ٨٣ - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

« المؤمن لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ واحدٍ مرتين » .

وفي رواية « لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرتين ».

(لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مَرَّتين) قال الخطابيُّ : يُروى بضم الغين وكسرها ، فالضم على وجه الخبر ، ومعناه : أن المؤمن هو الكيِّس الحازم الذي لا يؤتَى من جهة الغفلة ، فيخدع مرة بعد أخرى وهو لا يفطن بذلك ولا يشعر به ، والمراد به : الخِداع في أمر الدِّين ، لا في أمر الدنيا ، وأما [الرواية] بالكسر : فعلى وجه النهي ، يقول : لا يُخْدَعَنَّ المؤمن ، ولا يؤتَيَنَّ من ناحية الغفلة فَيقَع في مكروه أو شر وهو لا يَشْعُرُ به ، ولْيَكُنْ فَطِناً حَذِراً ، وهذا التأويلَ يَصْلُح أن يكون لأمر الدِّين والدنيا معاً .

٢٨١ ـ * روى الطبراني عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال : « اتقوا فَرَاسَةَ المؤمنِ فإنه يَنظرُ بنورِ اللهِ » .

٢٨٢ ـ * روى البزار عن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن لله عباداً يَعْرِفون الناسَ بالتَّوَسُّمِ » .

= ومسلم (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ١٢ ـ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .
وأبو داود (٤ / ٢٦٦) كتاب الأدب ـ باب في الحذر من الناس .

٢٨١ ـ المعجم الكبير (٨ / ١٢١) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٨) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

٢٨٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٨) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

الفصل العاشر

في:

فضل الشهادتين وكلمة التوحيد التي هي أصل الإيمان

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعليقات ومسائل

المقدمة

التوحيد هو البداية والنهاية والوسط فمن لم يعرف التوحيد لم يعرف الإسلام ، وإنما حظ المسلم من إسلامه بقدر حظه من كلمة التوحيد .

ويدخل في التوحيد الاعتراف لله تعالى بالوحدانية فهو واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله ، ويدخل في التوحيد اعتقاد أن الله وحده هو أهل العبادة ، والتوجه له بذلك ، ويدخل في التوحيد اعتقاد أن الله عز وجل أهل الطاعة ، والتوجه إليه في ذلك فيما شرع وفي أحكامه كلها ، وعلى هذا ذكر أهل السلوك إلى الله فكرة الإيمان بالأفعال وفكرة الإيمان بالأحكام . فالأول شعور بأنه هو الفاعل الخالق ، والثاني استسلام ظاهري وباطني لشريعته .

ومن آثار التوحيد التوكل عليه والشكر له والاستسلام لقضائه وقدره ، فعلى هذا فالتوحيد يحكم ظاهر الإنسان وباطنه في تصرفاته كلها .

والتوحيد هو أن يشهد المؤمن أن لا إلٰه إلا الله ولا تعرف معاني لا إلٰه إلا الله ومستلزماتها إلا بالإقرار أن محمدًا رسول الله ﷺ ومن ثم كانت الشهادتان هما باب الولوج في الإسلام ، لأن المسلم إذا نطق بالشهادتين فقد أقر بأركان الإيمان ، الإيمان بالله والإيمان بالرسل والإيمان بالواسطة بين الله والرسل ، والإيمان بالوحي الذي أنزل على الرسل .

والإيمان باليوم الآخر وبالقدر إنما هما فرعان عن هذا كله ، ومن آمن بالوحي آمن بالكتاب والسنة ومن آمن بالكتاب والسنة آمن بالإسلام كله ، وما يستلزمه الإيمان بالإسلام ومن هٰهنا كانت الشهادتان هما البداية وهما النهاية وهما الوسط ولذلك نجد التركيز على ذلك في الكتاب والسنة .

وكلمة التوحيد هي كلمة التقوى وهي الشجرة الطيبة فبقدر استقرارها وإشراق القلب بها تخرج ثمراتها وإنما شرعت الأذكار كلها والعبادات من أجل تنوير القلب بها ، والقرآن كله تنوير للقلب بكلمة التوحيد .

قال تعالى : ﴿ ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلا أنا فاتّقون ﴾ [١] . فالوحي كله من أجل توحيد الله وتقواه . ولا يعرف التوحيد والتقوى إلا بواسطة الرسل لذلك تجب طاعتهم :

قال تعالى : ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [٢] .

وهذه نصوص وردت في فضل كلمة التوحيد .

* * *

---

(١) النحل : ٢ .

(٢) نوح : ٣ .

النصوص

٢٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ شَهد أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأن محمدًا عَبْدُه ورسولُهُ وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولهُ وكلمتُه ألقاها إلى مريَمَ وروحٌ منه والجنةُ حق والنارُ حق أدْخَلَهُ اللهُ الجَنة على ما كان من العَمَل » .

وفي رواية (١) : « أدخلَه اللهُ من أبواب الجنة الثمانية أيُّها شاء » .

وللترمذي (٢) : « من شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله حَرَّمَ الله عليه النار » .

٢٨٤ - * روى أحمد عن سهيل بن البيضاء رفعه : « مَنْ شهدَ أن لا إلٰه إلا الله حَرَّمَهُ الله على النار وأوجب له الجنة » .

٢٨٥ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ كنا قعودًا حولَ رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمرُ في نفر ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا ، وخشينا أن يُقْتطعَ دوننا فَفَزِعْنَا فقمنا ، فكنتُ أول من فَزع فخرجتُ أبتغي رسولَ الله ﷺ حتى أتيتُ حائطًا للأنصار لبني النجار ، فدرْتُ هل أجدُ له بابا فلم أجدْ ، فإذا رَبيعٌ يدخُلُ في جوف حائطٍ

---

٢٨٣ - البخاري (٦ / ٤٧٤) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٧ - باب قوله تعالى : ﴿ ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ .

مسلم (١ / ٥٧) - ١ - كتاب الإيمان - ١٠ - باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٣) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٧ - باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

أحمد (٥ / ٢١٨) .

مسلم (١ / ٥٨) ، في الموضع السابق .

٢٨٤ - مسند أحمد (٣ / ٤٥١) .

مجمع الزوائد (١ / ١٥) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ومداره على سعيد بن الصلت . قال ابن أبي حاتم : قد روي عن سهيل بن بيضاء مرسلا ، وابن عباس متصلا .

٢٨٥ - مسلم (١ / ٥٩ ، ٦٠) ، في الموضع السابق .

ربيع : ساقية ماء .

حائط : بستان .

من بئر خارجة فاحْتَفزْتُ فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال : « أبو هريرة ؟ » فقلتُ : نعم يا رسولَ الله . قال « ما شأنُكَ » ؟ قلتُ : كنتَ بين أظْهُرنا فقمتَ فأبطأت علينا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا ، فكنتُ أول من فزع فأتيت هذا الحائطَ فاحتفزت كما يحتفز الثعلبُ فدخلتُ وهؤلاء الناسُ ورائي فقال : « يا أبا هريرة » . وأعطاني نَعليه فقال : « اذهب بنَعْلي هاتين فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله مُسْتيقنا بها قلبهُ فبَشره بالجنة » . فكانَ أول من لقيني عُمَرُ فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ قلت : هاتان نعلا رسول الله ﷺ بَعثَني بها ، من لقيتُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مُسْتيقنا بها قلبه فبشره بالجنة . فضربني عمر بين ثديي فخررتُ لاستي ، فقال : ارجعْ يا أبا هريرة . فرجَعتُ إلى رسول الله ﷺ فأجْهَشْتُ بالبكاء ، ورَكبني عمر وإذا هو على أثَرى فقال رسول الله : « مالك يا أبا هريرة » ؟ قلت : لَقيتُ عمَرَ فأخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثديي ضَربة خررتُ لاستي ، فقال : ارجع . قال رسول الله ﷺ : « يا عمر ما حَمَلكَ على ما فعلت ؟ » قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لَقِي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بَشَّرَهُ بالجنة ؟ قال : « نعم » . قال : فلا تفعلْ فإني أخشى أن يتَّكلَ الناسُ عليها فَخَلِّهم يَعملون . فقال رسول الله ﷺ : « فخلهم » .

٢٨٦ - * روى أحمد عن أبي موسى قال : أتيتُ النبي ﷺ ومَعي نَفَر من قَومي فقال : « أبْشِروا وبَشِّروا مَنْ وراءكم أنه من شَهدَ أن لا إله إلا الله صادقًا بها دَخَلَ الجنة » . فخرجنا من عند رسول الله ﷺ نُبَشرُ الناسَ فاستقبلنا عُمَرُ فرجَعَ بنا إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمرُ : يا رسول الله إذًا يتكِلُ الناسُ . فسكتَ رسولُ الله ﷺ .

= فاحتفزت : استعجلت .

فخررت لاستي : أي سقطت على مقعدتي .

٢٨٦ - مسند أحمد (٤ / ٤٠٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٦) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

ورمز السيوطي لصحته : فيض القدير (١ / ٧٧) .

٢٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل : كنتُ رِدْفَ رسول الله ﷺ على حمار يقال له عُفير فقال : « يا معاذُ هل تدري ما حَقُّ الله على عباده وما حقُّ العباد على الله ؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حقَّ الله على العباد أن يَعبُدُوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركُ به شيئًا » . فقلتُ : يا رسولَ الله أفلا أُبَشِّرُ الناسَ ؟ قال : « لا تبشرهم فيتَّكلوا » . قال أنس : فأخبر بها مُعاذٌ عند موته تأثمًا .

٢٨٨ - * روى مسلم عن جابر رفعه : « ثنتان مُوجِبَتان » . قال رجل : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : « من ماتَ يُشركُ بالله شيئًا دَخَل النارَ ، ومن مات لا يشركُ بالله شيئًا دَخَلَ الجنة » .

٢٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن شهاب قال أخبرني محمودُ بنُ الرَّبيع أنه عَقَلَ رسولَ الله ﷺ وَعَقَلَ مَجَّةً مجها في وجهه من بئرٍ كانت في دارهم ، وزَعَم أنه سَمِعَ عِتْبانَ بنَ مالك الأنصاري وكان ممن شهِدَ بدرًا مع رسول الله ﷺ يقول : كنتُ أصلي لقومي بني سالم وكان يحولُ بيني وبينهم وادٍ إذا جاءَت الأمطار يَشُقُّ عليَّ اجتيازهُ قِبلَ مَسجدِهم ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ له : إني أنكرتُ بَصَري وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يَسيلُ إذا جاءت الأمطار فيشق عليَّ اجتيازه فَوَدِدْتُ أنك تأتي فتصلي في بيتي مكانًا أتخذُه مصلى . فقال رسولُ الله ﷺ : « سأفعل » فغدا عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر بعد ما اشتد النهارُ فاستأذنَ رسولُ الله ﷺ فأذنْتُ له ، فلم يجلس حتى قال : « أين تحبُّ أن أصلي من بيتك ؟ » فأشَرْتُ إلى المكان الذي أحبُّ أن يصليَ فيه ، فقامَ رسول الله ﷺ فكبر فصَفَفْنا وراءه فصلى ركعتين ثم سَلم وَسلمنا حين سلم ، فَحَبَسْتهُ على خَزير يُصْنَعُ له ، فسَمِعَ أهلُ

---

٢٨٧ - البخاري (١٠ / ٢٩٧) - ٧٧ - كتاب اللباس - ١٠١ - باب إرداف الرجل خلف الرجل .

مسلم (١ / ٥٨) - ١ - كتاب الإيمان - ١٠ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

٢٨٨ - مسلم (١ / ٩٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٤٠ - باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ...

٢٨٩ - البخاري (٣ / ٦٠ ، ٦١) - ١٩ - كتاب التهجد - ٣٦ - باب صلاة النوافل جماعة .

مسلم (١ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) - ٥ - كتاب المساجد - ٤٧ - باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر .

عَقَلَ : عرف وتَذَكَّر .   مَجَّ مَجَّةً : دفعة من ماء صبَّها في وجهه من فيه .

خَزِير : طعام يصنع من قطع اللحم مع الماء الكثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق .

=

الدار أن رسولَ الله ﷺ في بيتيَ فثابَ رجال منهم حتى كَثُرَ الرجالُ في البيت ، فقال رجلٌ : ما فعل مالكٌ لا أراه . فقال رجل منهم : ذلك مُنافِقٌ لا يُحبُّ اللهَ ورسولَه . فقال رسول الله ﷺ : « لا تَقُلْ ذلك ، ألا تراه قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله » . فقال : اللهُ أعلم ورسولهُ ، أما نحن فوالله ما نرى وُدَّهُ ولا حديثَهُ إلا إلى المنافقين . فقال رسولُ الله ﷺ : « فإنَّ الله قد حَرَّمَ على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » . قالَ مَحمود : فحدثتها قومًا فيهم أبو أيوبَ صاحبُ رسول الله ﷺ في غزوته التي تُوفي فيها ، ويزيدُ بن معاوية عليهم بأرض الروم ، فأنكرَها عليّ أبو أيوبَ وقال : والله ما أظن رسول الله ﷺ قال ما قلتَ قَط . فَكَبُرَ ذلك عليَّ فجعلتُ لله عليَّ إن سَلمني الله حتى أقفُلَ عن غزوتي أنْ أسألَ عنها عِتْبان بنَ مالك إن وجدتُهُ حيًّا في مَسجد قَومِه . فقَفَلتُ فأهللْتُ بحَجةٍ أو عُمرةٍ ثم سِرتُ حتى قَدِمْتُ المدينة ، فأتيتُ بني سالم فإذا عِتبانُ شيخٌ أعمى يُصلي لقومه ، فلما سلّم من الصلاة سلمتُ عليه وأخبرته من أنا، ثم سألته من ذلك الحديث فحدثنيه كما حدثنيه أول مرة .

٢٩٠ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ ، قلتُ : يا رسولَ الله من أسعدُ الناس بشَفاعتكَ يومَ القيامةِ ؟ قال : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أحدٌ أول منك لما رأيت من حِرْصِكَ على الحديث . أسعدُ الناس بِشَفاعتي يوم القيامةِ من قال : لا إلٰه إلا الله خالصًا مُخْلِصًا من قَلْبه » .

٢٩١ - * روى البخاري عن وهْب بن منبّه ، قيل له : أليس لا إلٰه إلا الله مِفْتاحَ الجنةِ ؟ قالَ : بلى ، ولكن ليس مِفْتاحٌ إلا له أسنانٌ فإن جئتَ بمفتاح له أسنانٌ فتح لكَ وإلا لم يُفتح لكَ .

٢٩٢ - * روى أحمد عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إلٰه إلا الله » .

= قفل : رجع .

٢٩٠ - البخاري (١ / ١٩٣) - ٣ - كتاب العلم - ٣٣ - باب الحرص على الحديث .

٢٩١ - البخاري (٣ / ١٠٩) - ٢٣ - كتاب الجنائز - ١ - باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله .

٢٩٢ - أحمد (٥ / ٢٤٢) .

=

٢٩٣ - * روى الطبراني عن جرير رفعه : « من مات لم يُشركْ بالله شيئًا ولم يَتَنَـدَّ بدم حرامٍ أُدْخِلَ مَنْ أي أبواب الجنة شاء » .

٢٩٤ - * روى أحمد عن رِفاعَة الجُهَني : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديـد - أو قال بقَديد - فجعل رجال يستأذنون إلى أهليهم فيؤذَنُ لهم ، فقام رسول الله ﷺ فَحَمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : « ما بـالُ رجـال يكونُ شِقُّ الشجرة التي تلي رسولَ الله ﷺ أبغضَ إليه من الشِق الآخر » . فلم يَرَ عند ذلك من القوم إلا بـاكيـا ، فقـال رجلٌ : إن الذي يَستأذِنُ بعدَ هذا لسفيهٌ فَحَمدَ الله وقال خيرًا وقال : « أشهدُ عند الله لا يموت عَبْد يشهـد أن لا إلٰـه إلا الله وأني رسـولُ الله صِـدْقًـا من قلبـه ثم يُسـددَ إلا سَلَـكَ في الجنة » . قال : « وقد وعدني ربي عز وجل أن يُـدخِلَ من أمتي الجنـةَ سبعين ألفًـا لا حِسـابَ عليهم ولا عَـذاب وإني لأرجو أن لا يـدخلوهـا حتى تتبـوؤا أنتم ومن صَلَح من آبائِكم وأزواجكم وذرياتكم مساكِنَ في الجنة » .

٢٩٥ - * روى الترمـذي عن ابن عمرو بن العـاص رفعـه : « إن الله سَيُخلِّصُ رجـلاً من أمتي على رؤوس الخَلائقِ يـوم القيـامـة فينشر لـه تسعـةً وتسعين سجِـلاً ، كلّ

= كشف الأستار (١ / ٩) .

مجمع الزوائد (١ / ١٦) . وقال : رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عيـاش روايتـه عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها . ا هـ . ولكن يشهد للحديث ماسبق .

٢٩٣ - المعجم الكبير (٢ / ٣٠٩) .

مجمع الزوائد (١ / ٩) . وقال : رجاله موثقون .

(لم يتندَّ بدم حرام) : لم يصب منه شيئاً ، ولم ينله منه شيء .

٢٩٤ - أحمد (٤ / ١٦) .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٢) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣٤ - باب صفة أمة محمد ﷺ .

مجمع الزوائد (١ / ٢٠) . وقال : رجاله موثقون .

كديد : أو قديد : موضع بين مكّة والمدينة . تتبوّؤا : تنزلوا منازل ، وهنا : تسكنوا مساكن الجنّة .

٢٩٥ - الترمذي (٥ / ٢٤) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٧ - باب ماجاء فمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال : هذا حديث حسن غريب . أحمد (٢ / ٢١٣) .

ابن ماجه (٢ / ١٤٣٧) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣٥ - باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة .

موارد الظمآن (٦٢٥) - ٤٠ - كتاب الزهد - ٣٢ - باب في الخوف والرجاء .

المستدرك (١ / ٦) . وقال : هو صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

السِّجل : الكتاب الكبير ، وجمعه سجلات .

سِجلٍ مثلُ مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظَلَمكَ كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يـارب . فيقول : أفلـكَ عـذر ؟ فيقول : لا يـارب . فيقول تعـالى : بلى ، إن لك عندنا حَسنة فإنه لا ظُلْمَ عليك اليوم . فيخرجُ له بِطاقة فيها أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأشهـدُ أن محمـدًا عبـدُه ورسـولُـه . فيقـول : احْضرْ وَزْنَـكَ . فيقول : يارب ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلات ؟ قال : فإنـك لا تُظلمُ فتوضَعُ السجلاتُ في كَفَّة والبطاقة في كَفَّة فطاشت السّجلاتُ وثَقُلتِ البِطـاقـة ولا يَثْقُلَ مع اسم الله تعالى شيءٌ » .

٢٩٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوب يرفعه : « من قالَ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كل شيءٍ قدير ، عشرًا ، كانت له عَـدْلَ أربعِ رقابٍ من وَلَدِ إسماعيلَ » .

٢٩٧ ـ * روى مسلم عن والد أبي مالكٍ الأشجعي ، يرفعه « من قالَ لا إلـه إلا اللهُ ، وكَفَرَ بما يُعْبَدُ من دون الله ، حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ ، وحِسَابُه على الله عَزَّ وجَلَّ » .

٢٩٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَاري رضي الله عنه قال : خرجتُ ليلةً من الليالي ، فإذا رسولُ الله ﷺ يمشي وحدَه ، ليس معه إنسان . قـال : فظَنَنتُ أنـه يكرَهُ أن يمشيَ معه أحد . قال : فجعلتُ أمشي في ظِل القَمرِ ، فالتفتَ فرآني ، فقال : « مَن هذا؟ » فقلت : أبو ذَرّ ، جَعلني اللهُ فِداكَ . قالَ : « يا أبا ذر ، تَعَالـه » قـال : فَمَشَيتُ معـه سـاعـةً، فقال : « إن المُكْثِرين هم المَقِلّون يوم القيامَـةِ إلا من أعطـاه الله خيرًا ، فنفح فيـه

---

٢٩٦ ـ البخاري (١١ / ٢٠١) ـ ٨٠ ـ كتاب ـ ٦٤ ـ باب فضل التهليل .

ومسلم (٤ / ٢٠٧١) ـ ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ ١٠ ـ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

٢٩٧ ـ مسلم (١ / ٥٣) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ....

أحمد (٣ / ٤٧٢) .

والد أبي مالك هو : طارق بن أَشْيَم بن مسعود الأشجعي ، صحابي له أحاديث .

٢٩٨ ـ البخاري (١١ / ٢٦٠) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ١٣ ـ باب المكثرون هم المقلون .

ومسلم (٢ / ٦٨٨) ـ ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٩ باب الترغيب في الصدقة .

(تعَالَهْ) تعالَ ، أي : أُدْنُ ، والهاء لبيان حركة اللام ، وتسمى هاء السكت .

(فنفح) نفح بيده : إذا أشار بها إلى جهة ، والمراد به هاهنا : أنه فرَّق المال بيديه يمينًا وشمالا . =

عن يمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعَمل فيـه خيرًا » . قـال : فمَشَيْتُ معه ساعة ، فقال لي : « اجْلِسْ هاهنا ، حتى أرْجِعَ إلَيكَ » . قال : فأجْلَسَني في قَـاعٍ حَولَه حِجارةٌ ، فقال لي : « اجْلِسْ هاهنا ، حتى أرْجع إليَكَ » قـال : فـانطلق في الحَرَّة حتى لا أراه ، فَلَبثَ عني ، فـأطـال اللُّبثَ ثم إني سمعتُـه يقول وهو مُقبل : « وإن سَرَقَ ، وإن زَنى ؟ » قـال : فلمـا جـاء لم أصْبِرْ ، فقلت : يـا نبيَّ الله جعلني اللهُ فِـداكَ ، مَنْ تُكَلِّمُ في جانب الحرَّةِ ، ما سمعتُ أحدًا يَرجِعُ إليك شيئًـا ؟ قـال : « ذاك جبريلُ ، عَرَضَ لي في جَانب الحَرَّة ، فقال : بَشِّر أُمَّتَك أنَّه مَن مات لا يُشرك بالله شيئًا دخلَ الجنـة . فقلت : يـا جبريـلُ ، وإن سَرَق ، وإن زَنى ؟ قـــال نعم . قلتُ : يـــا رسـولَ الله وإن سَرَقَ وإن زَنَى ؟ قـال : « نعم » . قـال : قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قـال : « نعم وإن شربَ الخَمرَ » .

٢٩٩ ـ * روى أحمـد عن عثمانَ بن عفَّـانَ رضي الله عنـه قـال : سمعتُ رَسـولَ الله ﷺ يَقول : « إني لأَعْلَمُ كَلِمة لا يَقُولُها عبدٌ حَقًّا مِنْ قَلبِـهِ إلا حُرِّمَ عَلَى النَّـار » . قـالَ عمرُ بنُ الخطَّاب : ألا أُحَدِّثُكَ مَا هي ، هي كلمةُ الإخْلاص التي أَلزَمَها الله تَبـارَكَ وَتعَـالَى مُحَمدًا وأَصْحَابَهُ ، وَهِي كَلِمةُ التَّقوى التي ألاص عَلَيهـا نبيُ اللهِ ﷺ عَمَّـهُ أبا طَـالبٍ عِنْـد المَوتِ شهادة أن لا إله إلا اللهُ .

= (القاع) : الأرض المستوية .

٢٩٩ ـ مسند أحمد (١ / ٦٣) .

مجمع الزوائد (١ /١٥) . وقـال : لعُمَرَ حـديثٌ رواه ابن مـاجـه بغير هـذا السيـاق ورجـالـه ثقـات ، رواه أحمـد .

(ألاص) ألاصه على الشيء : أداره عليه وأراده منه .

تعليقات

إذا عرفت أهمية كلمة التوحيد فإن عليك أن تعرف ماذا يدخل فيها :

إن أول ما يدخل في كلمة التوحيد أن نعتقد أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا ذاته تشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات ولا أفعاله تشبه الأفعال وأن نعتقد أنه وحده المستحق للعبادة فلا يستحق العبادةَ غيرُه وبالتالي فلا يتوجه بأي نوع من أنواع العبادات إلا له .

فمن عرف الله عز وجل حق المعرفة بمعرفة ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ومن عرف له حقوقه جلّ جلاله بالعبادة والعبودية فقد اجتمع له التوحيد .

أما من أعطى غيره حقَ العبادة فليس مُوحّدًا ، ومن لم يعطه العبودية كاملة بأن عرف له حق التشريع وحق الأمر فليس مُوحّدًا ، هذه القضايا هي أول ما يدخل في التوحيد بداهة ، وقد عبر بعضهم عن هذه القضايا تعبيرات كثيرة .

إن هناك أقوالاً وأفعالاً هي من باب العبادات فإذا توجه الإنسان بها لغير الله فقد أشرك : الصلاة والركوع والسجود والطواف والدعاء والنذر والذبح لغير الله بنية القربى .

﴿ يا أيُّها النَّاسُ اعبدوا ربَّكم ﴾ [(١)] ، **﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾** [(٢)] وهناك أفعال وأقوال هي مظنة نوع من الشرك مثل : ما شاء الله وشاء فلان .

وهناك اعتقادات تجعل الإنسان مشركًا من مثل إعطائه ما هو من خصائص الألوهية والربوبية لغير الله ، كاعتقاد أن أحدًا ما أو جهة ما لها حق التشريع المطلق ، أو اعتقادِ أن شيئًا له تأثير في الأمور بغير إرادة الله .

وهناك معانٍ عقلية إذا أخلّ الإنسان بها يُخشى عليه من الشرك ، أما الجانب العاطفي الجِبِليُّ منها فله أحكامه ، فالتوكل والمحبة والخوف والرجاء والشكر والولاية والتقوى والطاعة

---

(١) البقرة : ٢١ . (٢)النحل : ٣٦ .

كل ذلك يجب أن يعتقد المسلم أنها من حق الله أما إذا غلب على قلبه شيء من الاعتماد على المخلوق مع الاعتقاد الصحيح فذلك يكون أحيانًا مباحًا وأحيانًا إثمًا ، ومن منافيات التوحيد الإخلال بمقام العبودية ، والعبودية تقتضي تسليمًا واستسلامًا في الأمر والنهي والقضاء والقدر : ﴿ ألا له الخَلْقُ والأمْرُ ﴾ [١] .

﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ [٢] . ﴿ فللّه الحمدُ ربِ السماوات وربِ الأرض ربِ العالمين ﴾ [٣] .

﴿ قل إن هُدَى الله هو الهدى وأُمرنا لنُسْلِمَ لربِّ العالمين ﴾ [٤]﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين ﴾ [٥] ﴿ قل أغيرَ الله أتخذ وليًّا ﴾ [٦] ، ﴿ قل إني أمرتُ أن أكون أولَ من أسلم ﴾ [٧] .

﴿ ولا تَدْعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرُّك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ﴾ [٨] ، ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [٩] ، ﴿ فإياي فارْهَبون ﴾ [١٠].

* * *

إذا عرفت هذا أدركت محل الشهادتين في الإسلام ، وأن الإسلام كلَّه ينبثق منها ، كما أنها تتضمّنان الإسلام كله والإيمان كله . فشهادة الإسلام تتضمّن الإيمان بالله وبالرسل صراحة ، ومن آمن بالرسل آمن بالوحي فآمن بالملائكة وآمن بالكتب ، والإيمان بالقدر فرع الإيمان بالله ، ومن عرف الله وعرف عدله وعرف الرسل والكتب عرف التكليف وعرف مسؤولية الإنسان فعرف اليوم الآخر . ومن عرف كلمة الإله وما يدخل فيها من معاني العبادة والاستعاذة والتوكل والمحبة والربوبية والمالكية وعرف أن هذه الحقوق لله عز وجل إنما تعرف بواسطة الرسول ﷺ ، عرف ماذا ينبثق عن الشهادتين وعرف أن الالتزام بذلك والتسليم فيه

(١) الأعراف : ٥٤ .
(٢) الفاتحة : ٢ .
(٣) الجاثية : ٣٦ .
(٤) الأنعام : ٧١ .
(٥) الأنعام : ١٦٢ .
(٦) الأنعام : ١٤ .
(٧) الأنعام : ١٤ .
(٨) يونس : ١٠٦ .
(٩) المائدة : ٢٣ .
(١٠) النحل : ٥١ .

وترك ما ينافيه كل ذلك أنه أثر عن الشهادتين .

ومن عرف أن كلمة أشهد : تأتي من الشهادة ومن المشاهدة وتأتي بمعنى أحلف وأن بين ذلك ترابطًا أدرك أن عليه أن يكون جازمًا بالشهادة ، وأن يحاول الارتقاء من الشهود العقلي إلى الشهود القلبي لـ « لا إله إلا الله » ، وأن الشهود القلبي متوقف على كثرة العمل الصالح وكثرة الذكر ، وعلى كثرة العلم ، ومن مثل هذا نعرف لماذا كانت الشهادتان لهما هذا الفضل ، ولماذا كانت المدخلَ إلى الإسلام .

مسائل وفوائد حول الشهادتين وكلمة التوحيد

١ ـ مما يوصف به الإسلام أنه دين الوحدة والتوحيد والوحدانية ، وهذه الكلمات القليلة يدخل فيها ما لا يحصى من المعاني : فنحن نثبت لله عز وجل الوحدة والوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله ونثبت أن الخلق كلهم عبيد لواحدٍ هو الله عزَّ وجلَّ ، وأن الذاتَ الإنسانية ينبغي أن تتوجه بالعبادة والعبودية والطاعة لواحدٍ هو الله عز وجل ، ونثبت أن الذاتَ البشريةَ ينبغي أن تكون موحدة في توجهاتها نحو الخالق ، وأن البشريةَ كلَّها ينبغي أن تكون واحدة في هذا التوجه وفي الخضوع وفي الطاعة وفي الاستسلام لله في دينه ، وإذا لم تتوحَّد البشرية على ذلك فالمستجيبون ينبغي أن يكونوا أمة واحدة وجسدًا واحدًا .

٢ ـ مما يخدش جناب التوحيد عند أهل السنة والجماعة : القول بالقوة المودَعة ولذلك قال صاحب الخريدة :

ومن يقلْ بالقوة المودَعة   فذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تلْتَفِتِ

فالقول بالقوة المودَعَة تعطيل لنصوص كثيرة ، وهو يخدش الفهم الصحيح لأحدية الذات الإلهية وصمديّتها وقيّوميّتها ، فمن عرف أحدية الذات الإلٰهية وصمديتها وقَيُّوميَّتَها كما ورد ذلك في نصوص الكتاب والسنة نفى القوة المودَعَة ، ونفيُ القوة المودعة يقتضي منا أن نعتقد أنَّ كلَّ شيء ابتداء وحالاً واستقبالاً بعلم الله وإرادته وقدرته وإمداده وأنه لا تأثير لشيء من الكائنات في أثرٍ ما إلا بالله ، ومن قال غير ذلك فقد نفى افتقار كل شيء إلى الله ، ويدخل في نفي القوة المودَعَة اعتقاد أن شيئًا من الأشياء يؤثر بطبعه دُوْن أن يكون للقدرة الإلٰهية دخل مباشر في ذلك فكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل مفتقر إلى إيجاده وإمداده ، وهذه المسألة من أهم المسائل التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين المعتزلة من جهة أخرى وهي المسألة المشهورة بمسألة خلق الأفعال . فالنصوص متضافرة على أن كل شيء بفعل الله ابتداءً وانتهاءً . قال تعالى : ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ [1] ، ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ [2] ، ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [3] ، ﴿ **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾ [4] ، ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم**

(١) الزمر : ٦٢ .
(٢) الرحمن : ٢٩ .
(٣) الصافات : ٩٦ .
(٤) الواقعة : ٥٨ ـ ٥٩ .

نحن الزارعون ﴾ (١) ، **﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾** (٢) ، **﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾** (٣) ، **﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾** (٤) ، **﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾** (٥) ، **﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾** (٦) ، **﴿ قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ﴾** (٧) ، **﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾** (٨) . وهذا لا ينفي أن الله عز وجل جعل قوانين وأسبابًا ، ولكن لو قلنا : إن هذه القوانين والأسباب تعمل بالقوة المودعة دون تدخل مباشر للذات الإلهية فكأننا نقول : إن الله لا دخل له بما يجري في هذا الكون وإنما هي أسباب توصل إلى أسباب ، وأين هذا من قوله تعالى : **﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ... ﴾** (٩) ، **﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾** (١٠) . وفي الحديث الذي رواه الحاكم (١١) « إنّ اللهَ خالقُ كُلِّ صانِع وصَنعَتِه » ، فإذا قال قائل كيف نوفق بين التكليف والمحاسبة وبين أن كلَّ شيء فعلُ الله ؟ قلنا : إن قدرة الله تَخْلُق على وفقِ الإرادة ، والإرادة تُخَصِّصُ على وفق العلم ، والعلم كاشفٌ لا مخبرٌ فالله لم يعط أحدًا القدرة على الفعل المستقل وذلك مقتضى كماله ، ولكن أجرى أعمال الإنسان على علم منه بما سيختاره ، ويحاسبه على اختياره المحسوس الذي يحس به كل مكلف فلا منافاة .

وهذا الموضوع مفصل في كتب العقائد والتفسير وشروح السنة ، ويغلط فيه الكثيرون لتأثرهم بالحس ونسيانهم النصوص وعدم دراستهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في كتبها ، مع أن دراستها حفظ للمسلم من الوقوع في ما ذهبت إليه الفرق الضالة .

٣ ـ ومن أراد الدخول في الإسلام فإنه يفترض عليه النطق بالشهادتين بنية الدخول في الإسلام باللغة العربية أو بأي لغة ، أما من نشأ في الإسلام وكان يعتقد بالشهادتين فلا يفترض عليه النطق بها بنية الدخول في الإسلام لكنه يفترض عليه أن ينطق بها في كل

---

(١) الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) الأنفال : ١٧ .
(٣) الكهف : ٣٩ .
(٤) الشعراء : ٨٠ .
(٥) الزمر : ٤٢ .
(٦) الأعراف : ١٥٥ .
(٧) التوبة : ١٤ .
(٨) الفاتحة : ٥ .
(٩) آل عمران : ٦ .
(١٠) آل عمران : ١٦٠ .
(١١) المستدرك (١ / ٣١) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

صلاة أو يسن على خلافٍ بين الفقهاء في فرضية قراءة (التحيات) أو وجوبها أو سنيتها في الصلاة .

ويدخل في شهادة لا إله إلا الله الاعتراف باللسان والاعتقاد بالقلب أنه لا معبود إلا الله .

ويدخل في شهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ الاعتراف باللسان والإذعان بالقلب أنّ محمدًا ﷺ مرسل من عند الله إلى الإنس جميعًا والجن جميعًا وأنه صادق في كل ما بلّغه عن الله عز وجل ، ولا يعتبر مسلمًا إلا من جمع الشهادتين وأقرّ بها وكلّ من ليس مسلمًا فإنه كافر ، ومن شك في كفره أو توقف فهو كافرٌ وقد رأينا فيما مضى حالَ من لم تبلغه الدعوة أو كان غير عاقلٍ أو غير بالغٍ أو فقد منذ الصغر وقبل التبليغ من الحواسّ مالا يستطيع معه إدراك الخطاب .

إنّه لا إيمان ولا إسلام ولا قبول للأعمال الصالحة إلا بالشهادتين ، وليعلمْ أنّ ممّا يخدش جناب التوحيد التوجّه بشيء ممّا هو من حقوق الربوبيّة لغير الله ، وأنّ ممّا يخدش جوانب التوحيد عدم التأدّب مع الذات الإلهية بما ينقض الشهادتين . وهذا بحث سيأتي معنا .

* * *

الفصل الحادي عشر

في:

الإيمان الذوقي وما يقابله

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد

المقدمة

قال تعالى : ﴿ قالتِ الأعرابُ آمنًّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمْنَا ولما يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم ﴾ [١] هٰهنا صورة هي : أن الإيمان لم يدخل بعد إلى القلوب ولكنه على وشك الدخول . وهناك صورة ستتكرر معنا فيما يأتي : صورة الإيمان الذي لا يجاوز الحناجر وسنرى هذه الصورة تفصيلاً أثناء الكلامِ عن الخوارج .

وهناك صورة أخرى وردت في السنة هي صورة أخذ القرآن بلا إيمان .

ولكل من هذه الصور علامات يعرف بها أصحابها :

فالإيمان الذي لا يجاوز الحناجر علامته : سفاهة العقول ، وعدم التمكن في أخلاق الإيمان .

أخذ القرآن بلا إيمان علامته : عدم تدبر القرآن والتأثر به وانسجام السلوك معه .

ومن ههنا كان التركيز على الإيمان الذي يباشر القلوب مهماً ، ومن كلام هرقل كما في الصحيح : (وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشتُه القلوبَ) [٢] .

أما علامات الإيمان القلبي فإنها :

الرضى بربوبية اللهِ ورسالة الرسول ﷺ وبالإسلام دينًا والتوحيد والعبادة ودفع الزكاة ومحبة الله ورسوله أكثر من أي شيء آخر والإخاء في الله وكراهية العودة إلى الكفر ، وفي هذا كله وفيما سبق نقرأ النصوص التالية :

---

(١) الحجرات (١٤) .

(٢) البخاري (١ / ٣١) ١ - كتاب بدء الوحي - الحديث ٧ .

النصوص

٣٠٠ - * روى مسلم عن العباس رفعه : « ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ بالله رَبًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ رسولاً » .

٣٠١ - * روى أبو داود عن عبدِ الله بنِ معاويةَ الغاضِرِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فقدْ طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ : مَنْ عبدَ اللهَ وحدَه ، وعَلِمَ أنه لا إله إلا اللهُ ، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُهُ رافِدَةً عليه كلَّ عامٍ ، ولم يُعطِ الهَرِمَةَ ، ولا الدَّرِنَةَ ولا المَرِيضَةَ ، ولا الشَّرَطَ اللئيمةَ ولكنْ مِن وَسطِ أموالِكم ، فإنَّ الله لم يسألكم خَيْرَهُ ، ولم يأْمُرْكم بشرهِ » .

٣٠٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بهنَّ طَعْمَ الإيمان : مَن كان الله ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سِواهما ، ومَنْ أحبَّ عبدا لا يحبُّهُ إلا لله ، ومَنْ يكْره أن يعود في الكُفر - بعدَ أن أنقذَهُ الله منه - كما يكرهُ أن يُلقى في النَّار» .

---

٣٠٠ - مسلم (١ / ٦٢) -١ - كتاب الإيمان - ١١ - باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن ....

والترمذي (٥ / ١٤) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٠ - باب حدثنا قتيبة ...

وأحمد (١ / ٢٠٨) .

٣٠١ - أبو داود (٢ / ١٠٣) - كتاب الزكاة - باب في زكاة السائمة .

قال الحافظ في التخليص : رواه الطبراني وجوّد إسناده .

(رافدة عليه) الرافدة : الفاعلة من الرِّفد ، وهي العطاء والإعانة ، أي : معينة له على أداء الزكاةِ ، غير مُحدِّثة نفسه بمنعها ، فهي تَرْفُدُهُ وتُعينُهُ .

(الهرمة) : المسنَّة الكبيرة السنّ من كلِّ حيوان .

(الدَّرِنة) : أراد بها الرَّديئة ، فجعل الرَّداءة درنًا ، والدَّرَن : الوسخ .

(الشرَطُ) : الرذيلة من المال كالصغيرة والمسنة والعجفاء ونحو ذلك .

(اللئيمة) : أرْذأُ المال وأرذله .

٣٠٢ - البخاري (١ / ٧٢) - ٢ - كتاب الإيمان - ١٤ - باب من كره أن يعود في الكفر ...

مسلم (١ / ٦٦ / - ١ - كتاب الإيمان - ١٠ - باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

الترمذي (٥ / ١٥) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٠ - باب حدثنا قتيبة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

=

وفي أخرى [١] : « من كان أن يُلقى في النارِ أحبَّ إليهِ من أن يَرْجِعَ يهوديًّا أو نصرانيًّا » .

قال البيضاوي : المراد بالحب هنا ، الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانَهُ إن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه ، فينفر عنه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه إصلاح عاجل ، أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك ، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ويلتذ بذلك التذاذاً عقليًّا ، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك .

ومن النصوص التي تتحدّث عمّا يقابل الإيمان الذّوقي هذه النصوص :

٣٠٣ - * روى الطبراني عن ابن عمرَ : قال : لقد عِشْتُ بُرْهَةً من دَهْري وإنَّ أحَدَنا يُؤتى الإيمانَ قبل القرآنِ وتنزلُ السورةُ على محمد ﷺ فَنتعلمُ حلالَها وحرامَها وما ينبغي أنْ نقفَ عندَهُ منْها كما تَعَلَّمون أنتم القرآنَ ، ثم لقد رأيْتُ رجالاً يُؤتى أحدُهم القرآنَ قبل الإيمانِ فيقرأ ما بين فاتحةِ الكتاب إلى خاتمتهِ ما يدري ما آمِرُهُ ولا زاجِرُهُ وما ينبغي أنْ يَقفَ عندَهُ ، وينثُره نَثْرَ الدَّقَلِ (هو أردأ أنواع التمر) .

٣٠٤ - * روى مسلم عن زيد بن وَهْبٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه أنه كان في الجَيشِ الذينَ كانُوا مع عليٍّ ، الذينَ ساروا إلى الخَوارج ، فقال عليٌّ : أيُّها الناسُ ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَخرجُ قومٌ من أُمَّتي ، يقرؤون القُرْآنَ ، ليس قِراءَتُكُمْ إلى قِراءَتِهم

= النسائي (٨ / ٩٤) - ٤٧ - كتاب الإيمان وشرائعه - ٢ - باب طعم الإيمان .

(١) مسلم (١ / ٦٧) ، في الموضع السابق .

٣٠٣ - مجمع الزوائد (١ / ٦٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

المستدرك (١ / ٣٥) . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(ينثره نثر الدّقل) : يلفظه دون اهتمام .

(والدّقل) : التمر الرديء .

٣٠٤ - مسلم (٢ / ٧٤٨) - ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج .

وأبو داود (٤ / ٢٤٤) - كتاب السنة - باب في قتال الخوارج .

بشيء ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صِيامُكم إلى صِيـامهم بشيء ، يقرؤون القرآنَ يحسبون أنـه لهم وهـو عليهم ، لا تُجـاوِزُ صَـلاتُهم تراقِيَهمْ ، يَمْـرُقُـون من الإسلام كما يمرُق السَّهمُ من الرَّمِيَّة .. » .

مسائل وفوائد

أدنى درجات الإيمان إيمان المقلّدين وهم الذين يأخذون بقول الغير دون دليل فمن كان هذا شأنه في العقائد ووافق إيمانه التقليدي الحقّ فما هو حكمه ؟

بعض علماء العقائد لا يعتبر هذا الإيمان شيئًا ، وبعضهم يعتبره إذا كان جازماً وكان الْمقَلَّدُ معصومًا كالرسل أو كان جازمًا حتى لو رجع الْمُقَلَّدُ عن العقيدة لم يرجعْ المقلِّد ، وهؤلاء أنفسهم يعتبرون المقلِّد الذي أخذ الاعتقادَ الحقّ دون أن يعرف برهانه ولو إجماليًّا يعتبرونه فاسقًا لأنّه مقصّر فيا هو من فروض الأعيان .

والدرجة الثانية في مراتب الإيمان هي الإيمان العقلي القائم على الدليل فهذا إيمان معتبر ، ولكن إذا لم يصل إلى القلب فيتنوّر القلب بنور الإيمان فإن صاحب هذا الإيمان مقصّر ويدخل في دائرة الفسوق لأنّ من تكليفات الإنسان أن يعمل على سلامة قلبه بتنويره بالإيمان وتخليصه من أمراضه وتحقيقه بما كُلّف به ، ومن هٰهنا كانت الدرجة الثالثة في مراتب الإيمان هي الإيمان الذوقي القلبي ، وهذا النوع من الإيمان يتفاوت الناس فيه ، فقلوب الصدّيقين ليست واحدة . ويدخل في هذا النوع من الإيمان إيمان المراقبة وإيمان المشاهدة وذلك كلّه أثر من آثار حياة القلب ويقظته :﴿ **إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾[1] والمرجو من فضل الله أنّ من توجّه لتنوير قلبه وإصلاحه أن يكرمه بذلك أو بالعفو إن مات قبل الوصول فالقلوب بيد الله .

---

(١) ق ٣٧

الفصل الثاني عشر

في:

الجيل الأرقى تحققاً

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

إنه من المناسب بعد أن تحدثنا عن أعمال الإسلام وشعب الإيمان أن نُذَكِّرَ بالجيل الأرقى تحققًا ، والأعلى مقاماً والأكثر أجرًا وهو : جيل الصحابة رضوان الله عنهم . مع أننا تحدثنا عن فضل الصحابة في القسم الأول بمناسبة الكلام عن دوائر شرف حول الرسول ﷺ . وسيمر معنا الكثير عن فضل الصحابة إلا إنه من المناسب أن نشير إلى هذا الموضوع هنا بمناسبة ما مر وبمناسبة ما سيمر عن أن من أسباب الضلال وافتراق الأمة : الموقف من الصحابة رضوان الله عنهم .

لقد وصف الله عز وجل أصحاب رسوله ﷺ بخير الصفات ونعتهم بخير النعوت ، فقال تعالى في أوائل سورة الأنفال ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ [1] .

وقد جاء في أواخر السورة قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ [2] .

فدل ذلك على أن الصحابة قد تحققوا بالإيمان تحققاً كاملاً بشهادة الله لهم ، وقال تعالى ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ [3] فهذه شهادة أخرى من الله للصحابة بكمال التحقق .

وقال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾ [4] .

---

(١) الأنفال : ٢ ـ ٤ .
(٢) الأنفال : ٧٤ .
(٣) الفتح : ٢٦ .
(٤) الفتح : ٢٩ .

وقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٦) .

والآيات في فضل الصحابة كثيرة وكلها تدل عل أنهم الجيل الأرقى مقاماً لأنهم أخذوا عن رسول الله ﷺ مباشرة . وهم الجيل الأكثر أجراً لأن من بعدهم في صحائفهم ، وهم ومن بعدهم في صحيفة رسول الله ﷺ . فالدال على الخير كفاعله . وهم الأكثر تحققاً ، فقد كانوا أكثر خلق الله قياماً بواجب ، ألا ترى قبورهم منتشرة في الأرض وهم يجاهدون لإعلاء كلمة الله ، ولذلك حكم علماء الجرح والتعديل للصحابة بأنهم عدول كلهم ولم يبالوا بالقلة النادرة المكشوفة المعروفة لدى بعض الصحابة بالنفاق ، ولا بالذين التحقوا بالإسلام أخيراً ، فارتد بعضهم فإما قتل أو تاب ، فهؤلاء لا يمثلون خلاصة الصحابة رضوان الله عنهم .

ومع ذلك فإن من ارتدّ من الحواشي ثم عاد ، فإن أمره إلى خير ، ولقد اختلف الصحابة فيما بينهم واقتتلوا وأمرهم إلى خير لأنهم كانوا مجتهدين ، ولكنه قد هلك بهم أناس كثيرون ، فضلوا وأضلوا بسبب الموقف من الصحابة فنشأت فرق ضالة يكفر بعضها بعضاً ويكفر كل من هؤلاء بعض الصحابة ، بل استحل بعضهم دماء بعض الصحابة الكبار ، فياويلهم فيما فعلوا .

ونحن هنا لا نريد أن نستقصي الكلام عن الصحابة ، فالكلام عنهم مفرق في هذا الكتاب بمناسباته وإنما أردنا الإشارة كي لا يخلوَ هذا الباب من الحديث عنهم خاصة وسيأتي فصل نتحدث به عن فرق الضلالة التي ضل بعضها بسبب الموقف من الصحابة وتمشياً مع مبدئنا في هذا الفصل بأن نشير ولا نستوعب لأننا توسعنا في أمكنة أخرى في هذا الكتاب ، فهنا نذكر بعض الأحاديث النبوية التي تذكر للأجيال الأولى فضلها ، رغم كل ما حدث فيها وفيما بينها ، لأنها هي التي حملت الإسلام وأوصلته إلينا ، وقامت بحق الله فيه ، ولقلة الشاذين والمنحرفين بعد جيل الصحابة بالنسبة لمجموع الأمة .

---

(١) الفتح : ١٨ .

(٢) التوبة : ١٠٠ .

النصوص

٣٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يأتي على الناس زمانٌ فَيَغْزُو فِئامٌ من الناس ، فيقولون : فيكم مَنْ صاحبَ رسولَ اللهِ ﷺ ؟ فيقولون لهم : نعم فيُفتَحُ لهم . ثمَّ يأتي على الناسِ زمانٌ فيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيُقالُ : فيكم مَن صاحَبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ فيقولون : نعم فيُفتَحُ لهم . ثمَّ يأتي على الناس زمان فَيَغزو فِئامٌ منَ الناس فيقال : هل فيكم مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيُفتَحُ لهم » .

وفي رواية (١) عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : زَعَمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمُ الْبعْثُ فَيَقُولُونَ : انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكم أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ ؟ فيُوجَدُ الرَّجُلُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ . ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ : هَلْ فِيهِمْ مَنْ رأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ثُمَّ يُبْعَثُ البعْثُ الثَّالِثُ فيُقالُ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ رأَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ ثُمَّ يكُونُ الْبعْثُ الرَّابِعُ فيُقَالُ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْن فيهِمْ أَحَداً رَأَىٰ مَنْ رَأَىٰ أحدًا رَأَىٰ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ ؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ » .

٣٠٦ - * روى البخاري ومسلم عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ رضيَ الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ « خيرُ أُمَّتي قَرني ، ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يَلُونهم - قال عمرانُ : فلا أدري أذكَرَ بعدَ قَرْنِهِ قرنين أو ثلاثًا - ثُمَّ إنَّ بَعدكم قومًا يَشهدون ولا يُستَشهدون ويخونون ولا يُؤْتَمنُونَ ، ويَنذُرون ولا يَفُون ، ويَظهر فيهم السِّمَنُ » .

---

٣٠٥ - البخاري (٦ / ٨٨) - ٥٦ - كتاب الجهاد - ٧٦ - باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب .

مسلم (٤ / ١٩٦٢) - ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥٢ - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

(فئام) : أي جماعة .

(١) مسلم (٤ / ١٩٦٢) ، في الموضع السابق .

٣٠٦ - البخاري (٥ / ٢٥٨) - ٥٢ - كتاب الشهادات - ٩ - باب لا يشهد على شهادة زور إذا أُشهد .

مسلم (٤ / ١٩٦٤) ، في الموضع السابق .

قال الحافظ في الفتح : قوله : « خير أمتي قرني » أي أهل قرني ، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ،ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ، ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين ... [وهناك] ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهود ...

والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة . ا. هـ .

قوله : « يخونون ولا يؤتمنون » ؛ قال النووي : ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة . بخلاف من خان بحقير مرة واحدة ، فإنه يصدق عليه أنه خان ، ولا يخرج به عن الأمانة في بعض المواطن . ا. هـ .

قوله : « يظهر فيهم السمن » ؛ قال النووي : قال جمهور العلماء في معنى هذا الحديث : المراد بالسمن ، هنا ، كثرة اللحم . ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم . وليس معناه أن يتمحضوا سمانا . قالوا : والمذموم منه من يستكسبه . وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل في هذا ، والمتكسب له هو المتوسع في المأكول والمشروب زائدا على المعتاد . ا . هـ .

وفي رواية [1] عن عبدِ الله رضيَ الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « خيرُ النـاسِ قَرنِي ، ثم الذين يَلونَهم ، ثمَّ يجيء قومٌ تَسبِقُ شهادةُ أحدهم يَمينَه ، ويَمينُـه شهـادتَـه » . قال : قال إبراهيم : وكانوا يَضربوننا على الشهادةِ والعهدِ ونحن صغار .

قوله (تسبق شهادةُ أحدِهِم يمِينَهُ ويمِينُهُ شهادَتَهُ) : قال النووي في شرح صحيح مسلم : هذا ذم لمن يشهد ويحلف مع شهادته ،ومعنى الحديث أنه يجمع بين اليمين والشهادة فتارة تسبق هذه وتارة هذه . ا . هـ .

قال الحافظ في الفتح : قوله (قال إبراهيم) ... وإبراهيم هو النخعي .

---

(١) البخاري (٥ / ٢٥٩) ـ ٥٢ ـ كتاب الشهادات ـ ٩ ـ باب لا يُشهد على جور إذا أُشهد .

ومسلم (٤ / ١٩٦٢) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥٢ ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . =

قوله (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد) ...: قال أبو عمر بن عبد البر : معناه عندهم النهي عن مبادرة الرجل بقوله أشهد بالله وعليَّ عهد الله لقد كان كذا ونحو ذلك . وإنما كانوا يضربونهم على ذلك حتى لا يصير لهم به عادة فيحلفوا في كل ما يصلح وما لا يصلح . أ. هـ .

وفي رواية (١) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « الْقَرْنُ الَّذي أَنَا فِيه ، ثُمَّ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّالِثُ » .

٣٠٧ ـ * روى مسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قُلْنا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ ! قَالَ فَجَلَسْنَا ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : « مَازِلْتُمْ هَهُنَا ؟ » قلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ قُلْنَا : نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاء . قَالَ « أَحْسَنْتُم » أو « أَصَبْتُمْ » . قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاء ، وَكَانَ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّماء ، فَقَال : « النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسَّماء . فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ . وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي . فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ . وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي . فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُون » .

٣٠٨ ـ * روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ ؛ أَنَّها سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقولُ ، عِنْدَ حَفْصَةَ : « لا يَدْخُلُ النَّارَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ،مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ ، أَحَدٌ . الَّذِينَ بَايعُوا تَحْتَهَا » . قَالَتْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حفصة :

= (١) مسلم (٤ / ١٩٦٥) ، في الموضع السابق .

(أمنة للسماء) قال العلماء : الأمنة والأمن والأمان بمعنى . ومعنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة ، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت .

(وأنا أمنة لأصحابي) أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب ، واختلاف القلوب ، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا . وقد وقع كل ذلك .

(فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) : معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة ، وغير ذلك . وهذه كلها من معجزاته ﷺ .

٣٠٧ ـ مسلم (٤ / ١٩٦١) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥١ ـ باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة .

٣٠٨ ـ مسلم (٤ / ١٩٤٢) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٣٧ ـ باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم .
=

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُها ﴾ [١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ قَـالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ نُنجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ » [٢] .

٣٠٩ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدْريِّ رضيَ اللهُ عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصحابِي ، فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثْلَ أُحُدٍ ذهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحدِهم ولا نَصيفَه » .

٣١٠ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَـدِهِمْ ، وَلا نَصِيفَهُ » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله (فلو أن أحدكم) فيه إشعار بأن المراد بقوله أولاً « أصحابي » أصحاب مخصوصون ، وإلا فالخطاب كان للصحابة ، وقد قال : « لو أن أحدكم أنفق » ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ [٣] الآية ، ومع ذلك فَنَهْيُ بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجرَ من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب الأولى ، وغفل من قال إن الخطاب بذلك لغير الصحابة وإنما المراد من سيوجد من المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه ، ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق .

[وقد ذكر الحافظ أنه في روايات أخرى ذُكِرَ سببٌ لهذا الحديث وهو ما وقع في أوله قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد ، فذكر الحديث] .

= (١) مريم : ٧١ . (٢) مريم : ٧٢ .

٣٠٩ ـ البخاري (٧ / ٢١) ـ ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥ ـ باب قوله النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلا » .

٣١٠ ـ مسلم (٤ / ١٩٦٧) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥٤ ـ باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم .

(٣) الحديد : ١٠ .

قـولـه (مـد أحـدهم ولا نصيفـه) أي المـد من كل شيء ، والنصيف بـوزن رغيف هـو النصف ...

وقيـل النصيف مكيـال دون المـد ، والمـد بضم الميم مكيـال معروف ... [ويسـاوي ٦٧٥ غراماً] .

قال : والمراد به الفضل والطول ... قال البيضاوي : معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينـال أحـدهم بـإنفـاق مـد الطعـام أو نصيفـه . وسبب التفـاوت مـا يقـارن الأفضل من مزيـد الإخلاص وصـدق النيـة . قلت : [أي ابن حجر] وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه . ا . هـ .

٣١١ ـ *روى مسلم عن هشَام بن عُرْوَة ، عَن أبيه عروة ، قال : قالت لي عائشة يـا ابن أُختي ، أُمِروا أن يستغفِروا لأصحابِ رسول الله ﷺ ، فَسَبُّوهم .

ومن أقوال العلماء في الصحابة :

قال ابن الوزير في الروض الباسم : (إن الأدلـة دلت على مـا ذهب إليـه أهل الحـديث وغيرهم من قبول الصحابة رضي الله عنهم ، المعروف منهم بالعـدالـة ، والمجهول الحـال ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة) . ا . هـ .

وقال الإمام ابن حبان في كتاب المجروحين :

فإن قال قائل : فكيف جرحت من بعد الصحابة ، وأبيت ذلـك في الصحـابـة ، والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله ﷺ ، كما وجد فين بعدهم من المحدثين ؟

يقال لـه : إن الله ـ عز وجل ـ نزه أقـدار أصحـاب رسولـه ، عن ثلب قـادح ، وصـان أقـدارهم عن وقيعـة متنقص ، وجعلهم كالنجوم يقتـدى بهم ، وقـد قـال الله ـ جلّ وعـلا ـ : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم لّلذين اتبعوه وهـذا النبي والـذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ [1]

---

٣١١ ـ مسلم (٤ / ٢٣١٧) ـ ٥٤ ـ كتاب التفسير ـ حديث (١٥) .

(١) آل عمران : ٦٨ .

ثم قال : ﴿ يوم لا يخزي الله النبيّ والذين آمنوا معه ﴾ (١) فمن أخبر الله أنه لا يخزيه يوم القيامة ، وقد شهد له باتباع ملة إبراهيم حنيفاً ، لا يجوز أن يجرح بالكذب ، لأنه يستحيل أن يقول الله ـ جلّ وعلا ـ : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ ثم يقول النبي (٢) ﷺ : « من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . فيطلق النبي ﷺ إيجاب النار لمن أخبر الله ـ جل وعلا ـ أنه لا يخزيه في القيامة ، بل الخطاب وقع على من بعد الصحابة ، وأما من شهد التنزيل ، وصحب الرسول ﷺ ، فالثلب لهم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الإيمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرنا بعد رسول الله ﷺ ، بحكم من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وسلم .

وإن من تولى رسول الله ﷺ إيداعَهم ما ولاه الله بيانه للناس ، لَبالحريّ من أن لا يجرح لأن رسول الله ﷺ لم يُودع أصحابه الرسالة ، وأمرهم أن يبلغ الشاهدُ الغائبَ ، إلا وهم عنده صادقون جائزو الشهادة ، ولو لم يكونوا كذلك ، لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه لأنه لو كان كذلك ، لكان فيه قدح في الرسالة . وكفى بمن عدّله رسول الله ﷺ شرفاً ، وإن من بعد الصحابة ليسوا كذلك ، لأن الصحابي إذا أدى إلى من بعده ، يحتمل أن يكون المبلَّغ إليه منافقاً ، أو مبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه ، ليضل به العالِم من الناس ، فمن أجله فرقنا بينهم وبين الصحابة ، إذ صان الله ـ عز وجل ـ أقدار الصحابة عن البدع والضلال . جمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته ا . هـ .

وقال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ في الكفاية :

كل حديث اتصل إسناده بَيْنَ مَنْ رواه ، وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة ، معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن .

---

(١) التحريم : ٨ .

(٢) مسلم (١ / ١٠) ـ المقدمة ـ ٢ ـ باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ .

قال أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة . ا . هـ .

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث :

ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع ، إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة . ا . هـ .

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب :

قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول .

وقال الخطيب في الكفاية : هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء .

ونقل الإجماع محمد بن الوزير اليماني عن أهل السنة وعن الزيدية والمعتزلة أيضاً وكذا الصنعاني في توضيح الأفكار . ا.هـ

* * *

الفصل الثالث عشر

في:

الوساوس العارضة وفي خفوت نور الإيمان وزيادته وتجديده وإقلاعه

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

هناك وساوس تعرض للقلوب في مراحل حياتية ، هـذا النوع من الوسـاوس لا قيمـة لـه مادام القلب يكرهه ويرفضه لأنه شيء خارجي فهو أشبه بأن يـأتيـك إنسـان ويـدعوك إلى شر وأنت ترفض .

وهنـاك وسـاوس يتجـاوب معهـا القلب وتؤثر فيـه وتحـدث تشكيكات وشبهـات فهـذه خطرة ، وعلى الإنسان أن يجاهدها بالذكر ومجالسة العلماء العاملين ومذاكرتهم : ﴿ ألا بـذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [١] .

« لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصـافحتكم الملائكـة » . أخرجـه مسلم [٢] .

وهنـاك وسـاوس طـارئـة بسبب مـوقفٍ مـا كما في حـادثـة أبيّ بن كعب التي رواهـا مسلم [٣] :

« فسقط في قلبي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية » .

وكما قال ربنـا عز وجل : ﴿ وتظنون بـالله الظنونـا ﴾ [٤] فهـذه علاجهـا الكينونـة مع الصادقين .

وهنـاك حالات من ذبول نور الإيمان سببهـا الاستغراق بـالعمل والانشغـال عن الـذكر ، وكل هذه القضايا تحتاج إلى علاج ، ومن ألزم نفسه بالأوراد اليومية وقراءة القرآن ومجـالسـة العلماء والصالحين وحضر مجالس الذكر والعلم فالمرجو أن يكون إيمانه في تجدد دائم .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٦) ـ ٤٩ ـ كتاب التوبة ـ ٣ ـ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، وجواز ترك ذلك ...

(٣) مسلم (١ / ٥٦٢) ـ ٦ ـ كتـاب صـلاة المسـافرين وقصرهـا ـ ٤٨ ـ بـاب بيـان أن القرآن على سبعـة أحرف وبيـان معناه .

(٤) الأحزاب : ١٠ .

وهناك إيمان عقلي قائم على الأدلة القطعية فهذا الذي لا ينبغي أن ينقص لأن نقصانه شك والشك كفر ، وهناك الإيمان القلبي الذوقي فهذا يزيد بزيادة نور القلب ويزيد بزيادة الطاعة المخلصة وينقص بنقص الطاعة أو بالوقوع في المعصية ، هذا فهمنا لقضية زيادة الإيمان ونقصه ، فقد قال أبو حنيفة : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . وحمل مثل قوله تعالى : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً** ﴾ [1] على زيادة المُؤْمَن به . وفهمي : أنه يريد الإيمان العقلي لأنه ينبغي أن يكون جازماً ، وأن الذين قالوا بزيادة الإيمان أخذاً من النصوص أرادوا زيادة الإيمان القلبي وذلك شيء مُحَسٌّ . وفي أجواء هذه المعاني ننقل النصوص التالية :

---

(١) الأنفال : ٢ .

النُّصُوصُ

٣١٢ ـ * روى أحمد عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ أَحَدَكُم يَأتِيهِ الشَّيطَانُ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَكَ ؟ فَيَقُولُ : الله . فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ الله ؟ فَإذا وَجَدَ أَحَدُكُم ذلِكَ فَلْيَقُل : آمَنْتُ باللهِ وَرَسُولِهِ . فَإنَّ ذَلِكَ يُذهِبُ عَنْهُ » .

٣١٣ ـ * روى البزار عن عمارَةَ بن أبي الحَسَنِ أوْ ابنِ حَسَنٍ عَنْ عَمِّهِ أنَّ النَّاسَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الوَسْوَسَةِ التي يَجِدُها أَحَدُهُم لأنْ يَسْقُطَ مِنْ عِنْدِ الثُّريَّا أَحَبُّ إلَيهِ مِنْ أنْ يَتكلَّم بِهِ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ذَاكَ صَرِيحُ الإيْمانِ ؛ إنَّ الشَّيْطانَ يَأتِي العَبْدَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ فَإذَا عُصِمَ مِنْهُ وَقَعَ فِيما هنَالِكَ » .

٣١٤ ـ * روى مسلم عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الوسوسة ؟ فقال : « تِلْكَ مَحْضُ الإيمانِ » .

وفي رواية [١] عن أبي هريرة ، قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : « وقد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم . قال : « ذاك صريح الإيمان » .

٣١٥ ـ * روى أبو داود عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ : جَاء رجلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ أَحَدَنَا يَجدُ في نفسِهِ ـ يُعَرِّضُ بالشَّيء ـ

---

٣١٢ ـ أحمد (٦ / ٢٥٧) .

كشف الأستار (١ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٢) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله ثقات .

٣١٣ ـ كشف الأستار (١ / ٣٣) .

مجمع الزوائد (١ / ٣٤) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات أئمة .

٣١٤ ـ أخرجه مسلم (١ / ١١٩) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٦٠ ـ باب بيان الوسوسة في الإيمان ومايقوله من وجدها .

الوَسْوَسَة : حديث النفس . محض الإيمان : خالصه .

يَخِرُّ : خَرَّ يَخِرُّ : إذا وقع من موضع عال .

أقول : وإنما كانت هذه الحالة محض الإيمان لأنه قد صاحبتها قمة الكراهية للوسوسة ومضمونها .

(١) مسلم (١ / ١١٩) ، في الموضع السابق .

٣١٥ ـ أبو داود (٤ / ٣٢٩) ـ كتاب الأدب ـ باب في رد الوسوسة .

=

لأن يَكُونَ حَمَمةً أحبُّ إلَيْـهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِـهِ . فَقَـالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أكبرُ ، الحَمدُ للهِ الذي رَدَّ كَيْدَهُ إلى الوَسْوَسَةِ » .

وفـي رِوَايَـةٍ [1] قَالَ أبو زُمَيْل : قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ : مَا شَيءٌ أَجِدُهُ في صَدْري ؟ قَالَ : مَا هُوَ ؟ قُلْتُ : وَاللهِ لا أَتَكلَّمُ بهِ . فقال لِيْ : شَيءٌ مِنْ شكٍّ ؟ وَضحـك ، ثم قَـالَ :مَـا نَجَـا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزلَ الله : ﴿ فَإنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِمَّا أنزَلْنَا إلَيْك فاسْأَلِ الذِينَ يَقْرَؤُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [2] ثُمَّ قَالَ : إذَا وَجَـدْتَ شَيْئـاً مِنْ ذَلِـكَ في نفسـك ، فَقُلْ : هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عليمٌ .

٣١٦ - * روى مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنـه قـال : كنتُ في المسجـد ، فـدخـل رجلٌ يُصَلِّي ، فقرأ قِراءَةً أنكرْتُها ، ثُم دخل آخَر ، فقرأ قراءةً سِـوى قراءةِ صـاحبـهِ ، فلمَّـا قضيْنَا الصلاةَ ، دَخَلْنا جميعاً على رسولِ الله ﷺ ، فقلتُ : إنَّ هذا قرأ قراءةً أنْكَرتُها عليه ، فـدخـل آخر فقرأ سِوى قراءة صـاحبـه ، فـأمَرَهُمَا رسـولُ الله ﷺ فَقَرَآ ، فحَسَّنَ النَّبيُّ ﷺ شأنَهما ، فَسَقِطَ في نفسي مِن التَّكْذِيب ، ولا إذْ كُنْتُ في الجاهلية ، فلمـا رأى رسولُ الله ﷺ ما قد غَشِيَنِي ، ضَرَبَ في صَدْري ، فَفِضْتُ عَرَقاً ، وكأنما أنظرُ إلى الله عز وجل فَرَقاً ، فقـال لي : « يا أُبيُّ ، أُرْسِلَ إليَّ ، أنْ اقْرأِ القرآن على حَرفٍ فَرَدَدْتُ إليـه : أَنْ هَوِّنْ على أُمَّتي ، فردَّ إليَّ الثانية : أن اقْرَأْهُ على حرفين ، فردَدْتُ إليه : أنْ هونْ على أمتي ، فردَّ إليَّ الثالثـة : أن اقرَأْهُ على سَبعـةِ أَحرفٍ ، ولَـكَ بكُلِّ رَدَّةٍ ردَدْتُكَهـا مسـألـةٌ تسـألُنيهـا ، فقلتُ : اللَّهُمَّ اغفر لأُمتي ، اللهمَّ اغفر لأُمتي وأَخَّرْتُ الثـالثـةَ ليـومٍ يرغبُ إليَّ الخَلْقُ كلُّهم حتي إبراهيمُ » .

حَمَمة : الفحمة وجمعها : حُمم . والمعنى لأن يصير فحما .

(١) أبو داود (٤ / ٣٢٩) - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة .
وإسناده حسن .

(٢) يونس : ٩٤ .

٣١٦ - مسلم (١ / ٥٦٢) - ٦ - كتاب المسافرين وقصرها - ٤٨ - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه .
والنسائي (٢ / ١٥٢) - ١١ - كتاب الافتتاح - ٢٧ - جامع ما جاء في القرآن .
والترمذي (٥ / ١٩٣) - ٤٧ - كتاب القراءات - ١١ - باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف .
وقال : هذا حديث حسن صحيح . ولكن رواه عن عمر بلفظ قريب .

أقول : في الحديث نموذج على ما يعرض للقلب من وساوس عارضة بسبب شبهة كما أن فيه ما يدل على الحال الموروث عن رسول الله ﷺ الذي يكون عند أهل القلوب .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل أُبيًّا بضربة على صدره من حال الوسوسة إلى أعلى درجات اليقين ، وأما الأحرف السبعة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي فيها لهجات العرب ثم أجمعت الأمة على الرسم العثماني للمصحف وعلى القراءات العشر ، فالقراءات العشر كلها متفقة على الرسم العثماني وهو على لغة قريش .

والاختلافات في الأداء فيها هي في فهمي بقية الأحرف السبعة وليست هذه القراءات هي الأحرف السبعة .

٣١٧ - * روى مسلم عن أبي ربعي حنْظَلة بن الربيع الأُسَيِّدي الكاتب ، أحد كتَّاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكرٍ رضي الله عنه فقال : كيف أنت ياحَنْظلة ؟ قلتُ : نَافقَ حنظلةُ . قال سبحانَ الله ؟!! ما تقولُ ؟ قلتُ : نكونُ عند رسول الله ﷺ يذكِّرُنا بالجَنَّةِ والنَّارِ ، كأنا رَأْيَ عَيْنٍ ، فإذا خرجْنَا مِنْ عند رسول الله ﷺ عافَسْنَا الأزواجَ والأَوْلادَ والضيْعَاتِ نَسِينا كَثيراً . قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْل هذَا . فانطلقتُ أنا وأبو بكرٍ حتى دخَلْنَا على رسولِ الله ﷺ فقلتُ : نَافَق حنظلةُ يارسول الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلتُ : يارسول الله نكون عندك تُذَكِّرنا بالنَّار والجنَّةِ كأنَّا رَأْيَ الْعَيْن ، فإذا خَرجْنَا مِنْ عِنْدك عافَسْنَا الأَزْوَاج والأَولاد والضَّيعَاتِ نَسِينَا كثيراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إن لَوْ تَدُومون على مَا تكونُونَ عِندي وفي الذِّكْرِ لصَافَحَتْكُمُ المَلائِكةُ على فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، ولكن ياحنْظَلة ساعةً وساعةً » . ثلاثَ مَرَّاتٍ .

أقول : في الحديث إشارة إلى ترقي الإيمان بمجالسة الصالحين وبالذكر ، وفيه إشارة إلى إمكانية الكشف لشيء من عالم الغيب كالملائكة ، وفيه إشارة إلى تغير حال القلب من حال إلى حال ، وفيه إشارة إلى الحال النبوي الذي كان يسري إلى الأصحاب بمجالسته والأخذ

---

٣١٧ - مسلم (٤ / ٢١٠٦) - ٤٩ - كتاب التوبة - ٣ - باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة .....

عنه ، ولذلك كان للصحابة من الفضل ما لا يلحقهم بهم أحد .

٣١٨ ـ * روى أحمد عن أبي هريرة رفعه : « جددوا إيمانكم » . قيل : يا رسول الله كيف نجدِّدُ إيماننا ؟ قال : « أكثروا من قول لا إله إلا الله » .

٣١٩ ـ * روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الإيمانَ ليَخْلَقُ في جَوْفِ أحَدِكُم كما يَخْلَقُ الثَّوْبُ فاسألوا الله أن يُجدِّدَ الإيمان في قلوبِكم » .

أقول في الحديثين إشارة إلى خفوت نور الإيمان وضعفه وطروء أسباب الضعف عليه ، وأنّ علاج ذلك بالدعاء والإكثار من النطق بكلمة التوحيد التي ينبغي أن تكون جزءًا من أوراد المسلم اليومية كما سنرى في جزء الأذكار .

٣٢٠ ـ * روى أبو دواد عن أبي هُرَيْرةَ رَضي الله عنه ، قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « إذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مْنه الإيمانُ ، وكَانَ عَلَيه كالظُّلةِ ، فإذا أَقْلَعَ رَجَعَ إليهِ الإيمانُ » .

---

٣١٨ ـ أحمد (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه أحمد وإسناده جيد ، وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان . وقال (١٠ / ٨٢) : رجاله ثقات . وفي موضع آخر (٢ / ٢١١) : وقال البزار : لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد . قلت : ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ، ضعفه ابن معين وغيره ، وقال مسلم بن إبراهيم : حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقا . ا هـ من مجمع الزوائد .

وقال صاحب فيض القدير (٣ / ٣٤٥) : قال الحاكم : صحيح . فاعترضه الذهبي بأن فيه صدقة بن موسى ؛ ضعفوه . ا هـ .

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٤١٥) : رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد حسن . ا هـ .

قلت : قال في التقريب (١ / ٣٦٦) : صدقة بن موسى صدوق له أوهام . وذكر في تعجيل المنفعة (١٦٩) : أن سمير بن نهار هو شُتَيْر . وقال عنه في التقريب (١ / ٣٣٣) : صدوق . فالحديث حسن إن شاء الله . ويشهد لمعناه الحديث الذي بعده .

٣١٩ ـ المستدرك (١ / ٤) . وقال : رواته ثقات . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (١ / ٥٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

٣٢٠ ـ أبو داود (٤ / ٢٢٢) ـ كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

المستدرك (١ / ٢٢) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

وفي رواية [١] « خَرَجَ مِنْهُ الإيمانُ ؛ وكَانَ فَوْقَ رَأسِهِ كالظُّلَّةِ فَإذَا خَرَجَ مِن ذلك العَمَلِ عَادَ إليه الإيمانُ » .

قال محمد الباقر : تفسيره : يخرجُ منْ الإيمان إلى الإسلام .

٣٢١ - * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يـزْني الـزَّاني حيْن يَـزني وَهـُوَ مُـؤمِنٌ ، وَلا يَشرَبُ الخَمر حِين يشْربُهــا وَهُـوَ مُؤمِنٌ ، ولا يَسْرِقُ حيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ » .

قال ابن عبَّاس[٢] : تَفْسيره : يُنْزَعُ مِنهُ الإيمان ، لأنَّ الإيمانَ نَزِهٌ ، فإذا أذْنَب العَبْدُ فَـارقَـهُ، فإذَا نَزَعَ عَادَ إليه هكذا . وشبَّكَ بيْن أصَابعه ، ثُم فَرَّقَها .

وفي رواية للنسائي [٣] : « ولا يَقْتُل وهو مؤمن » .

٣٢٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبِي هُريْرةَ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَـال : « لا يَزني الـزَّاني حيْنَ يَـزني وَهـُوَ مُـؤمنٌ ، وَلا يَسْرقُ السَّــارقُ حين يسرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ ، وَلا يشرَبُ الخَمر حيْنَ يَشْرَبُها وهُو مؤمِنٌ » . قَالَ - يَعْنِي أَبا بَكْرٍ الرَّاوِي عَنْ أبِي هُرَيْرَة : وكان أبو هريرة يُلحق معهنَّ « ولا ينتهبُ نُهبَـةً ذات شَرفٍ يرفَـعُ النـاسُ إلَيهِ فيها أبْصَارَهُم حين يَنتَهبُها وهو مؤمِنٌ » .

وزاد مسلم [٤] « وَلا يَغُلُّ أحدُكم حِين يَغُلُّ وهوَ مُؤمِنٌ فإيَّاكم إيَّاكُم » .

---

(١) الترمذي (٥ / ١٥) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١١ - باب ماجاء لا يزني الزاني وهو مؤمن .

٣٢١ - البخاري (١٢ / ٨١) - ٨٦ - كتاب الحدود - ٦ - باب السارق حين يسرق .

(٢) البخاري (١٢ / ١١٤) - ٨٦ - كتاب الحدود - ٢٠ - باب إثم الزناة .

(٣) النسائي (٨ / ٦٣ ، ٦٤) - ٤٥ - كتاب القسامة - ٤٨ - باب تأويل قول الله عز وجل : - ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ﴾ .

نزع عن الأمر : إذا أقلع عنه وفارقه .

٣٢٢ - البخاري (١٠ / ٣٠) - ٧٤ - كتاب الأشربة - ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ .

مسلم (١ / ٧٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٢٤ - باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ...

(٤) مسلم (١ / ٧٧) ، في الموضع السابق .

وفي رواية للترمذي [(١)] قال : « لا يَـزْني الـزَّاني وهـو مُـؤمنٌ ، ولا يَسْرِقُ وهـو مؤمنٌ ، ولكنَّ التَّوبَةَ معروضَةٌ » .

وفي رواية للنسائي [(٢)] قال : « لا يَـزْني الـزَّاني وهـو مـؤمنٌ ، ولا يَسرقُ وهـو مؤمنٌ ، ولا يشربُ الخمرَ وهو مؤمنٌ » ـ وذكر رابعةً فنسيتُها ـ « فإذا فَعَلَ ذلـك فقـد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنقِهِ ، فإنْ تابَ تابَ اللهُ عَلَيْهِ » .

٣٢٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن حُذَيفة بن اليَمانِ رضي الله عنه قال : حـدثنـا رسول الله ﷺ حديثين ، قـد رأيتُ أحـدَهـا ، وأنـا أنتظرُ الآخر ، حَـدَّثنـا أنَّ الأمـانَـة نزلت في جَذْرِ قُلوبِ الرِّجـال . ثم نزل القرآنُ فَعلِموا من القرآن ، وعَلِموا من السُّنَّـة . ثمَّ حَـدَّثنـا عن رفع الأمانة ، فقال : « ينامُ الرجلُ النومَةَ ، فَتُقْبض الأمانةُ من قلبه ، فَيظَلُّ أثَرُهـا مِثْلَ أثَرِ الْوَكْت ، ثُمَّ ينامُ النومَةَ فتقْبَضُ الأمانة من قَلبه ، فيظَلُّ أثَرُهـا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْل ، كَجَمْرٍ دَحْرَجتَهُ عَلى رِجْلِكَ فَنَفِطَ ، فَتراهُ مُنْتَبِرًا ، وليس فيه شيءٌ » ـ ثم أخَذَ حصىً فَدَحْرَجَه على رِجْلِه ـ « فَيُصبحُ النَّـاسُ يتبـايعون ، فلا يكادُ أحـدٌ يؤدي

---

(١) الترمذي (٥ / ١٥) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١١ ـ باب ماجاء لا يزني الزاني وهو مؤمن .

(٢) النسائي (٨ / ٦٥) ـ ٤٦ ـ كتاب قطع السارق ـ ١ ـ باب تعظيم السرقة .

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن : قيل : معناه : لا يزني وهو كامل الإيمان ، وقيل معناه : إن الهوى يغطي الإيمان ، فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه ، ولا ينظر إلى إيمانه الناهي له عن ارتكاب الفاحشة ، فكأنَّ الإيمان في تلك الحالة قد عُدِمَ . وقال ابن عباس : الإيمان نَزِهٌ ، فإذا أذنب العبد فارقه ، فإذا نزع عاد إليه .

نُهبَة ذات شَرف : أي : ذات قدر ، فيرفع الناس أبصارهم إليها ينظرونها لعظم قدرها .

رِبْقَة الإسلام : يريد بها عصمته وحكمه ، وأصل الرِّبقة : العُروةُ تكون في الحبل ، يُشَدُّ فيها الجَدْيُ إذا وُلد ، فكأنَّ المسلم الملتزم أحكام الدِّين قد جعل عروة الإسلام في عنقه ، فإذا فعل فعلاً يخرج به عن الإسلام ، فكأنه قد خلع تلك العروة عن رقبته .

٣٢٣ ـ البخاري (١١ / ٣٣٣) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ٣٥ ـ باب رفع الأمانة .

مسلم (١ / ١٢٦) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٦٤ ـ باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ...

الترمذي (٤ / ٤٧٤) ـ ٣٤ ـ كتاب الفتن ـ ١٧ ـ باب ماجاء في رفع الأمانة .

جَـذْر الشيء ، بفتح الجيم وكسرها : أصله .

الوَكْتُ : النُّقْطَةُ في الشيء من غير لونه .

المَجْلُ : غلظُ الجلدِ من أثر العمل ، وقيل : إنما هي النّفاطات في الجلد .

مُنْتَبِرًا : المُنْتَبِرُ : المنتفخ وليس فيه شيء ، وكل شيء رفع شيئًا فقد نَبَرَهُ . ومنه اشتق المنبر . =

الأمـانَـةَ ، حتَّى يقَـالَ : إنَّ في بني فلان رَجُلاً أمينـًا . حتى يقـال للرجـل : مـا أجلَدَه ، ما أظْرفَهَ ، ما أعْقَلَهُ ، وما في قلبه مِثْقال حبـةٍ من خردلٍ من إيمـان » .

ولقد أتى عليَّ زمانٌ ومـا أُبـالي أيُّكُم بـايعتُ ، لئن كان مسلمًـا ليَردَّنه عليَّ دِينُـهُ ، وإنْ كان نَصرانِيًا أو يَهوديا لَيردنَّهُ عليَّ ساعيه ، وأما اليوم فما كنتُ أبايعُ منكم إلا فلاناً وفلانا .

* * *

= ساعيه : السّاعي ، واحد السُّعاة ، وهم الولاة على القوم ، يعني أنَّ المسلمين كانوا مُهْتَمِّين بالإسلام ، فيحتفظون بالصدق والأمانةِ ، والملوكَ ذَوُو عَدْلٍ ، فما كنتُ أبالي مَنْ أُعامِل : إن كان مسلمًا ردَّه إليَّ بالخروج عن الحق عَمَلُهُ بمقتضى الإسلام ، وإن كان غير مُسلِمٍ أنْصفني منه عامله .

الفصل الرابع عشر

في :

الفطرة وحقيقة الإيمان والكفر والنفاق

وفيه :

مقدمة ونصوص

المقدمة

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ﴾ [١] ، فالفطرة هي أصل الخلقة ، وأصل خلقة الإنسان أنه مفطور على العبودية لله ، وبقدر بعد الإنسان عن العبودية يبتعد عن الفطرة :

﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [٢] وما دام الإنسان على الفطرة فهو على هداية ، وإذا جانب الفطرة ضل ، والهداية نور في القلب ـ الله أعلم به ـ يدل على ذلك الحديث [٣] :

« خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » .

فمن سلم له نوره كان هداية ، وما لم ينطفئ نور الفطرة فالأمل في هداية الإنسان لا يزال قائمًا ، ومتى انطفأ أصبح منافقًا خالصًا أو كافرًا لا أمل في هدايته .

وإنما يزداد نور الفطرة بالعمل بالشريعة فكلما ازداد العمل مع الإخلاص ازداد النور حتى يصبح الإنسان كله نورًا ، ولذلك ورد في الدعاء على لسان رسولنا ﷺ [٤] : « واجعلني نورًا » . وكثيرون من الناس يظنون أن مثل هذه الأمور من باب المجاز وهذا غلط فهذه حقائق يتذوقها المؤمنون .

---

(١) الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣) أحمد (٢ / ١٧٦) .

الترمذي (٥ / ٢٦) ـ ٤١ ـ كتاب الإيمان ـ ١٨ ـ باب ماجاء في افتراق هذه الأمة .

وقال : هذا حديث حسن .

المستدرك (١ / ٣٠) .

(٤) مسلم (١ / ٥٢٩) ـ ٦ كتاب صلاة المسافرين ـ ٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

إن هناك شيئًا مُغَيَّبًا عنـا موجودًا في القلب هو نور الفطرة ، وإن هنـاك أنوارًا تـدخل القلب هي أثر الهبة الإلْهية الخالصة أو أثر العمل الصالح ، وكأثر عن ذلك كله يبصر الإنسان الأشياء على حقيقتها ، فلا يرى الزنى على أنه شيء مبهج بل يراه قذرًا مظلمًا ويرى الـدنيـا أنها فتنة ، وإذا ادلهمت الأمور على غيره فهو يرى طريقه بنور الله عز وجل .

المهم أن نعلم أن هذه حقائق لها وجودها الحقيقي :

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شـاهـد منـه** ﴾ [١] . قـال القرطبي : وقيل البينة : معرفة الله التي أشرقت لها القلوب ، والشـاهـد الـذي يتلوه : العقل الذي ركب في دماغـه وأشرق صـدره بنوره ، وانظر إلى قولـه تعـالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثـل نـوره كمشكاة** ﴾ [٢] قـال القرطبي : وكان أبي وابن مسعـود يفسرانهـا : مثـل نوره في قلب المؤمن كمشكاة .

هذا النور في قلب المؤمن تمده شريعة الله :

﴿ **يوقد من شجرة مباركة** ﴾ قال القرطبي : والشجرة المباركة هي الوحي .

وإذن فهناك نور حقيقي في القلب المؤمن وهناك مـدد نوراني يصل إلى القلب كأثر عن العمل الصالح وكأثر عن هذا يتحدد سلوك الإنسـان : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ [٣] .

﴿ **أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في النـاس** ﴾ [٤] .

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [٥] .

﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا** ﴾ [٦] .

﴿ **ويجعل لكم نورًا تمشون به** ﴾ [٧] .

---

(١) هود : ١٧ .
(٢) النور : ٣٥ .
(٣) الزمر : ٢٢ .
(٤) الأنعام : ١٢٢ .
(٥) العنكبوت : ٦٩ .
(٦) الأنفال : ٢٩ .
(٧) الحديد : ٢٨ .

ومن ههنا استعمل أهل السلوك إلى الله فكرة الوارد الذي ينصب في القلب كأثر عن الأوراد والأعمال الصالحة : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ (١) فإذا أصبح القلب نورًا خالصًا فصاحبه هو المؤمن الخالص ، وإذا كان في القلب ظلمة ونور فصاحبه عنده إيمان ونفاق ، وإذا لم يبق في القلب نور مع تظاهر صاحبه في الإسلام فذلك المنافق الخالص ، وإذا لم يكن متظاهرًا في الإسلام بل معلنًا للكفر فهو الكافر الخالص ، والإيمان ينبثق عنه سلوك ، مظهره شعب الإيمان كما رأيناها ، والنفاق ينبثق عنه سلوك ، مظهره شعب النفاق كما سنراها ، والكفر له سلوكياته .

ومن سلوكيات الكفر التي فصّلها القرآن عدم قبول الإنذار ، والانخراط في اللهو واللعب وإتيان الشهوات واستغراق في الدنيا .

وكفر اليهود والنصارى خص بمزيد تفصيل في القرآن لانبثاق أنواع من السلوكيات عن هذا وهذا ، وأما النفاق فشعبه كثيرة ، أهمها الكذب والغدر والفجور في الخصومة ومخالفة الظاهر للباطن في شر والخداع وموالاة الكفر والسعي بالفساد فمتى وجد النفاق فهذه الأشياء تنبثق بشكل تلقائي عنه فإذا ما وجدناها فعلينا أن نعالجها وأن نعالج الأصل .

وهذه الأمور من أهم ما وقعت فيه الغفلة في عصرنا ، وقد نقل القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور منْ ربه ﴾ ما يلي :
روى مُرةً عن ابن مسعود (٢) قال : قلنا يارسول الله ، قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صدرهُ للإسلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبه ﴾ كيف انشرح صدره ؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشَرح وانفتح » . قلنا : يا رسول الله وما علامة ذلك ؟ . قال : « الإنابة إلى

(١) محمد : ١٧ .

(٢) الحديث له طرق عديدة عن ابن مسعود وعن ابن عباس ، وأرسله الحسن البصري وأبو جعفر المدائني ، هذا وقد سكت عنه العراقي في تخريجه على الإحياء .

وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير والحاكم والبيهقي في الشعب وغيرهم ...

وقال ابن كثير عنه : فهذه طرق للحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا ، ومثل هذا قال ابن القيم ووافق ابنَ كثير الشوكانيُّ وجزم به الألوسي .

فالحديث يرتقي للحسن والله أعلم ، وقد ضعفه آخرون .

دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله » ، وأخرجه الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » من حديث ابن عمر [١] : أن رجلا قال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادًا وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع » قالوا : فما آية ذلك يا نبي الله ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » .

ومن هاهنا نفهم أن السلوك هو أثر ما في القلب وأن الإنسان عليه أن يجاهد نفسه سلوكيًا ليستقيم قلبه ، فإذا استقام قلبه استقامت الأطراف :

« إن في الجسد مضغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ألا وهي القلبُ » [٢] .

والنصوص التالية نفهم منها حقيقة الكفر والنفاق والإيمان والفطرة :

---

(١) روى ابن ماجه بعضه : (٢ / ١٤٢٣) - ٣٧ - كتاب الزهد - ٣١ - باب ذكر الموت والاستعداد له .

(٢) مسلم (٣ / ١٢١٩) ٢٢ - كتاب المساقاة - ٢٠ - باب أخذ الحلال وترك المتشابهات .

النصوص

٣٢٤ - * روى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« القلوبُ أربعةٌ : قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السراج يزهر ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافهِ ، وقلبٌ منكوسٌ ، وقلبٌ مصفَّحٌ ، فأما القلبُ الأجردُ ، فقلبُ المؤمن فسراجُه فيه نورُه ، وأما القلبُ الأغلفُ ، فقلبُ الكافر ، وأما القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافق الخالص عَرف ثم أنكر ، وأما القلبُ المصفَّحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاق ، ومَثَلُ الإيمان فيه كَمَثَلِ البقلَةِ يَمدُّها الماءُ الطيب ، وَمَثَلُ النّفاق فيه كَمَثَل القَرحَةِ يَمُدُّها القَيح والدَّم فأي المدَّتين غَلَبَتْ على الأخرى غلبث عليه » .

وهذا الحديث الصحيح المعنى يشهد لصحة معناه العشرون آية الأولى في سورة البقرة كما ذكرنا ذلك في تفسيرنا وهو أصل عظيم في معرفة القلوب وطريق إصلاحها وكيفية فسادها ، وهو دليل لأهل السلوك على فكرة الواردات القلبية التي تنصب في القلب كأثر عن الأعمال الصالحات والمجاهدات . ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [1] . قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن : « والمجاهد من جاهد في ذات الله » [2] .

٣٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما مِن مَوْلودٍ إلا يُولَدُ على الفِطرَة » . ثم يقول : اقرؤوا : ﴿ فِطرةَ الله التي فَطر الناسَ عَليها

---

٣٢٤ - مسند أحمد (٣ / ١٧) .

مجمع الزوائد (١ / ٦٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير وفي إسناده ليث بن أبي سليم ا هـ . وقال ابن كثير : رواه الإمام أحمد بإسناد جيد حسن .

القلب الأجرد : مفسر بالحديث ، ومعنى الأجرد ليس فيه غل ولاغش فهو على أصل الفطرة .

القلب الأغلف : مفسر بالحديث ، والمراد بالأغلف : الذي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله .

القلب المنكوس : مفسر بالحديث ، والمراد بالمنكوس : المقلوب .

القلب المصفح : مفسر بالحديث ، ومن آثار القلب المصفح أنه : يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه .

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) أحمد (٦ / ٢٠) .

الترمذي (٤ / ١٦٥) - ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد - ٢ - باب ماجاء في فضل من مات مرابطا .

٣٢٥ - مسلم (٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨) - ٤٦ - كتاب القدر - ٦ - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار ...

لا تَبديل لخَلقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ ﴾ (١) .

وزاد البخاري (٢) : « فأَبَواهُ يُهَوِّدانِهِ ، أَو يُنَصِّرانِه ، أَو يمجسانِه ، كما تُنْتَجُ البَهيمَة بهيمةً جَمْعاءَ ، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاءَ » .

وفي روايـة (٣) قـال : « مـا من مولودٍ إلا يُـولَـدُ على الفطرةِ ، فـأبـواه يُهَـوِّدانـه ويُنَصِّرانـه ، كما تُنْتِجُونَ الإبلَ ، فهـل تَجـدون فيهـا جَـدْعـاء ، حتى تكـونـوا أَنتم تجدَعونها » . قالوا : يا رسول الله ، أفرأَيت منْ يموت صغيرًا ؟ قـال : « الله أَعْلَمُ بـما كانوا عاملين » .

قوله (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) :

قال ابن الأثير :

« من » زائـدة ، « ومولود » : مبتـدأ ، « ويولـد » خبره ، وتقـديره : مـا مولود يـولـد على أمر إلا على الفطرة ، وهي لغةً : الخِلْقَةُ - والمراد بهـا في أشهر الأقوال : الإسلام ، قـال ابن عبـد البر : وهو المعروف عنـد عـامـة السلف ، وأجمع أهل العلم بـالتـأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ (٤) الإسلام . ا. هـ .

أقول يولد الإنسان وقلبه نور خالص ، فإذا وجد في بيئة إيمانية خـالصـة وتجـاوب معهـا فإن قلبه يبقى نورًا خالصًا وإلا فإنه يتأثَّر ببيئته فيخرج إمّا كافرًا خالصًا أو منافقًا خالصًا أو يخرج وقلبه فيه إيمـان ونفـاق ، فـإذا بلغ فـأصبح مسؤولاً عن نفسـه فعليـه أن يصل إلى الإيمان الخالص وبذلك يكون قد أعاد قلبه إلى أصل الفطرة .

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) البخاري (٣ / ٢١٩) - ٢٣ - كتاب الجنائز - ٧٩ - باب إذا أسلم الصبي هل يُصلى عليه .

تنتج البهيمة : تلد .

الجمعاء : الجمعاء من البهائم وغيرها : التي لم يذهب من بدنها شيء .

الجدعاء : المقطوعة الأذن أو الأنف أو الشَّفة أو اليد وغير ذلك .

(٣) البخاري (١١ / ٤٩٣) - ٨٢ - كتاب القـدر - ٣ - بـاب الله أعلم بمـا كانوا عاملين .

ومسلم (٤ / ٢٠٤٨) ، في الموضع السابق .

(٤) الروم : ٣٠ .

وأمّا قوله عليه الصلاة والسلام عمّن يموت من أبناء الكافرين :

« الله أعلم بما كانوا عاملين » : فقد مر معنا من قبل وأنّ الشارع في هذا المقام علّمنا التفويض في هذا الشأن وأدّبنا إليه وترك لنا نصوصًا أخرى تحدّد مستقبل هؤلاء الأخروي ، ومن القواعد العامّة في الشريعة تعرف أنّهم ناجون لأنّه لا تكليف قبل البلوغ .

* * *

الفصل الخامس عشر

في :

الكفر والشرك والكبائر

وفيه :

مقدمة ونصوص وتحقيقات

المقدمة

إذا كان الخير كله انبثاقًا عن كلمة التوحيد فإن الشر كله أثر من آثار الشرك ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ [1] . فالشرك ليس له جذور في أعماق النفس البشرية ولا يخرج عنه إلا الشر الخبيث ، ويدخل في الشرك أن يتوجه الإنسان لغير الله بمعنىً من معاني العبادة ، ويدخل في الشرك أن يعطي لغير الله ما هو خالص لله ، ويدخل في الشرك أن يعتقد الإنسان أن لغير الله تأثيرًا في الخلق ، وبالجملة : فكل ما يتنافى مع التوحيد فهو شرك ، وهو نوعان : شرك خفي وشرك جلي ، فالشرك الخفي هو أن يتحرك الإنسان حركة مما يُقصَد به وجه الله لغير الله ، ولقد جاء الإسلام لينفي الشرك الخفي والجلي من روح الإنسان ومن قلبه ومن تصرفاته وأحواله ، والشرك أحد أنواع الكفر بل يكاد يدخل في كل نوع منها ، وللكفر وللشرك وللإلحاد سلوكيات وأخلاق فصلها القرآن الكريم ، وكثيرًا ما تذكر في النصوص الكبائر والفواحش بجانب الشرك لأن أجرأ الناس على الفواحش والكبائر هم الكافرون والمشركون ، وإنْ كان المسلم قد يتلبّس ببعض الكبائر من غير الشرك ، وللصلة بين الكفر والفواحش أدخلنا هذه المعاني في فصل واحد ، وأمهات الفواحش هي ما يطلق عليها الموبقات ، وتسمى أحيانًا بالكبائر ، ومع أن الكبائر كثيرة لكن خُصَّ بعضها بالذكر أفحشها أو من أفحشها ، فقد ذكر الكل وأريد به الجزء إشعارًا بأهمية هذا الجزء ، وكل ما سوى الكفر يمكن التجاوز عنه إذا تعلقت مشيئة الله عز وجل بذلك . قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [2] . (فمذهب أهل السنة عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله أو يكن من نواقض الشهادتين . بينما مذهب الخوارج تكفير المسلمين بكل ذنب تمسكًا بظواهر بعض النصوص ـ وقد ردّه علماؤنا ـ ووجدت المرجئة التي تقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ووجد المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة ولكن قالوا بالمنزلة بين المنزلتين : فمرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وحكموا لأهل الكبائر بالخلود بالنار . والخوارج قالوا يخرج من الإيمان

---

(١) إبراهيم ٢٦ . (٢) النساء : ٤٨ .

ويدخل في الكفر ، أما أهل السنة فتفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين . وقد تواترت النصوص الدالة على أنه يخرج من النار مَنْ في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان سبق ذكر بعضها)[1] ا . هـ .

وكذلك دلت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي وعلى أن الإيمان والعمل الصالح يتغايران لأنه قد عطف العمل الصالح على الإيمان ، والعطف يقتضي التغاير ، والأصل أن يجتمعا ، كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾[2] فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعمِلوا الصالحات ﴾[3] فإن أصل العطف للمغايرة ، وكقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾[4] بناء على أن المراد من الظلم المعصية ، فقد اقتضى بمفهومه اجتماع الإيمان مع المعاصي ، وقيل : إن المراد بالظلم الشرك ، لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصّحابة ، وقالوا أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال ﷺ : « ليس كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ »[5] . وعليه فمفهوم الآية من باب ﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾[6] فيكون المراد بالإيمان مطلق التصديق . وكقوله ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القِصَاص في القتلى ﴾[7] فأثبت الإيمان للقاتل وكذلك : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ ، ﴿ إنما المؤمنون إخوة ... ﴾[8] فأثبت الإيمان والأخوة وهي أخوة الإيمان لا ريب . وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[9] هي الآية الأم في هذا الباب وعلى ضوئها تحمل النصوص المخالفة في ظاهرها .

---

(١) شرح الطحاوية بتصرف يوضح المعنى .
(٢) البقرة : ٨٣ .
(٣) البقرة : ٢٧٧ .
(٤) الأنعام : ١٨٢ .
(٥) البخاري (٦ / ٤٦٥) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤١ - باب قول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ... ﴾
(٦) يوسف : ١٠٦ .
(٧) البقرة : ١٧٨ .
(٨) الحجرات : ٩ ، ١٠ .
(٩) النساء : ٤٨ .

النصوص

٣٢٦ - * روى أبو داود عن أمّ الدرداء رضي الله عنها قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت النبيّ ﷺ يقول : « كُلُّ ذَنْبٍ عسى أن يَغْفِرَهُ الله » ـ أو قال : « عَسى الله أنَ يَغْفِرهُ ـ إلا من ماتَ مُشركاً ، أو مُؤمِنٌ قَتَلَ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا » .

٣٢٧ - * روى البزار عن عبادةَ بن الصامتِ عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ ذَنْب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً متعمداً » .

هذا الحديث في ظاهره يدل على أنه لا يغفر للمؤمن الذي قتل مؤمناً متعمداً وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمدًا فجزاؤه جهنم ﴾ [1] . وهذا مذهب ابن عباس ، لكن جمهور السلف وجميع أهل السنة حملوا ماورد من ذلك على من استحل القتل أو على الزجر والتغليظ والتنفير إذ ماعدا الشرك من الكبائر يجوز أن يغفر وإن مات صاحبه بلا توبة . وصحح أهل السنة قبول توبة القاتل كغيره وحملوا قوله ﴿ فجزاؤه جهنم ﴾ أي إن شاء أن يجازيه ، تمسكاً بقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [2] واستدلالاً بحديث الإسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين ثم أتم المائة بقتل الراهب ، فإذا ثبت ذلك لمن قبل هذه الأمة فمثله لهذه الأمة أولى لما خفف الله عليها من الأثقال هذا مع تضافر النصوص على ذلك [3] .

أقول : التحقيق أن في القتل ثلاثة حقوق : حق الله وحق القتيل ، وحق أهل القتيل : فالتوبة والقصاص ، أو التوبة والدية يسقطان حق الله إن شاء وحق أهل القتيل ، ويبقى حق القتيل ، فإن شاء الله أرضاه وإن شاء عذب قاتله إلى أجل .

---

٣٢٦ ـ أبو داود (٤ / ١٠٣) ـ كتاب الفتن والملاحم ـ باب في تعظيم قتل المؤمن . وإسناده حسن .

أحمد (٤ / ٩٩) .

المستدرك (٤ / ٣٥١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

النسائي (٧ / ٨١) ـ ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ١ ـ باب أخبرنا هارون بن محمد ...

وهو في الثلاثة الأخيرة عن معاوية بن أبي سفيان .

٣٢٧ ـ كشف الأستار (٤ / ١٢٤) . ورجاله ثقات .

(١) النساء : ٩٣ .

(٢) النساء : ٤٨ .

(٣) راجع عون المعبود (٤ / ١٦٧) .

٣٢٨ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « الكبائرُ : الإشراكُ بالله ، وعُقوقُ الوالدين ، وقَتْلُ النفس ، واليمينُ الغَمُوسُ » .

وفي رواية (١) : أن أعرابياً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال : يارسول الله ، ماالكبائر ؟ قال : « الإشراكُ بالله » . قال : ثم ماذا ؟ قال : « اليمينُ الغَمُوس » . قلتُ : وما اليمينُ الغَمُوسُ ؟ قال : « الذي يَقْتَطِعُ مالَ امرئٍ مسلم » ـــ يعني : بيمين هو فيها كاذب .

٣٢٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي بكرَة رضي الله عنه قال : كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ فقال : « ألا أُنَبِّئُكم بأكْبَرِ الكَبائر » ـــ ثلاثاً ـــ قلنا : بلى يارسولَ الله . قال : « الإشراكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، ألا وشهادةُ الزور ، وقولُ الزور » وكان متَّكئاً فجلس ـــ فمازال يُكَرِّرها حتى قلنا : ليته سكتَ .

٣٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : ذكر رسولُ الله ﷺ الكبائر ، فقال : « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ـ وقال : ـ ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر ؟ قول الزور ـ أو قال : شهادة الزور » .

وفي رواية (٢) : أن النبيَّ ﷺ قال : « في الكبائر : الشِّركُ بالله ، وعقوقَ

---

٣٢٨ ـ البخاري (١١ / ٥٥٥) ـ ٨٣ ـ كتاب الإيمان والنذور ـ ١٦ ـ باب اليمين الغموس .
الترمذي (٥ / ٢٣٦) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٥ ـ باب (ومن سورة النساء) .
النسائي (٧ / ٨٩) ـ ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٣ ـ باب ذكر الكبائر .
(١) البخاري (١٢ / ٢٦٤) ـ ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ـ ١ ـ باب إثم من أشرك بالله ... .
(الغموس) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة التي تغمس حالفها في الإثم .
(يقتطع) الاقتطاع : الأخذ والانفراد بالشيء .
٣٢٩ ـ البخاري (٥ / ٢٦١) ـ٥٢ ـ كتاب الشهادات ـ ١٠ ـ باب ما قيل في شهادة الزور .
مسلم (١ / ٩١) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٨ ـ باب بيان الكبائر وأكبرها .
الترمذي (٥ / ٢٣٥) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٥ ـ باب (ومن سورة النساء) .
(الكبائر) جمع كبيرة ، وهي الذنوب العظام .
٣٣٠ ـ البخاري (١٠ / ٤٠٥) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ٦ ـ باب عقوق الوالدين من الكبائر .
مسلم (١ / ٩٢) الموضع السابق .
(٢) الترمذي (٥ / ٢٣٥) الموضع السابق .
النسائي (٧ / ٨٩) ـ ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٣ ـ باب ذكر الكبائر .

الوالدين ، وقتلُ النفس ، وشهادةُ الزور » .

٣٣١ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الذنبِ أعظمُ عند الله ؟ قال : « أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خَلَقَكَ » . قلتُ : إنَّ ذلك لعظيمٌ ، ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافةَ أن يَطْعَمَ معكَ » . قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : « أن تُزانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » .

وفي رواية (1) : وتلا هذه الآية ﴿ والذين لا يَدْعُون مع اللهِ إلهاً آخر ولا يَقْتُلون النَّفْس التي حَرَّم اللهُ إلا بالحق ولا يَزْنُونَ ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثاماً * يُضَاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخْلُدْ فيه مُهاناً ﴾ (2) .

* * *

٣٣٢ ـ * روى النسائي عن أبي أيوب الأنصاري أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ جاءَ يعبدُ الله ولا يشركُ به شيئاً ، ويقيمُ الصلاةَ ، ويؤتي الزكاةَ ، ويجتنبُ الكبائر : كان له الجنةُ » . فسألوه عن الكبائر ؟ فقال : « الإشراكُ بالله ، وقتلُ النفسِ المسلمةِ ، والفرارُ يوم الزحف » .

٣٣٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

---

٣٣١ ـ البخاري (٨ / ١٦٣) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٢ ـ باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ .
مسلم (١ / ٩٠) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٧ ـ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده .
الترمذي (٥ / ٣٣٦) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٢٦ ـ باب (ومن سورة الفرقان) .
النسائي (٧ / ٨٩) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٤ ـ باب ذكر أعظم الذنب .
(1) الترمذي (٥ / ٣٣٧) في الموضع السابق .
النسائي (٧ / ٩٠) ، الموضع السابق .
نِدّاً : النِّدُّ : المثل .
حليلةَ جارك : حليلةُ الرجل : زوجته ، والرجل حليل امرأته .
أثاماً : الآثام : الإثم ، وقيل : هو العذاب .
(2) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩ .
٣٣٢ ـ أخرجه النسائي (٧ / ٨٨) ـ ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ـ ٣ ـ ذكر الكبائر .
وإسناده حسن .
٣٣٣ ـ البخاري (٥ / ٣٦٢) ـ ٥٥ ـ كتاب الوصايا ـ ٢٣ ـ باب قول الله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً... ﴾ .
=

« اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ » . قيل يارسول اللهَ ، وماهُنّ ؟ قال : « الشركُ بالله ، والسِّحْرُ ، وقَتْلُ النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ مال اليتيم ، وأكل الرِّبا ، والتولِّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

٣٣٤ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أبايعكم على أن لا تُشركوا بالله شيئاً ولا تقتُلوا النفسَ التي حَرمَ اللهُ إلا بالحقِ ولا تَزْنوا ولا تَسرقوا ولا تشْربوا مُسكراً فمن فعل من ذلك شيئاً فأقيم عليه حدهُ فهو كَفَّارةٌ ومَنْ ستر الله عليه فَحِسَابه على الله عز وجل ومن لم يفعل من ذلك شيئاً ضَمِنْتُ له على الله الجنة » .

٣٣٥ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الكبائر أولهن الإشْراكُ بالله وقتلُ النفسِ بغيرِ حَقها وأكلُ الربا وأكلُ مالِ اليتيمِ وفِرارُ يومِ الزحفِ ورمي المحصنات والانتقالُ إلى الأعراب بعد هجرته » .

٣٣٦ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبدِ الله بنِ أنيس الجُهَني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس » .

٣٣٧ - * روى الطبراني عن سَلَمَةَ بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ « إنما هي

= مسلم (١ / ٩٢) - ١ - كتاب الإيمان - ٣٨ - باب بيان الكبائر وأكبرها .

أبو دواد (٣ / ١١٥) - كتاب الوصايا - باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم .

النسائي (٦ / ٢٥٧) - ٣٠ - كتاب الوصايا - ١٢ - اجتناب أكل مال اليتيم .

الموبقات : جمع موبقة ، وهي : الخَصلة المهلكة .

قذف المحصنات : المحصَناتُ : جمع محصنة ، وهُنَّ العفائف ذوات الأزواج ، وقَذْفُهنَّ : رَمْيُهُنَّ بالزنا . ولفظ المحصنات هنا عام في العفيفات متزوجات وغير متزوجات .

٣٣٤ - مجمع الزوائد (١ / ١٠٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون إلا أنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، اهـ من المجمع . وقد حسنها المحققون .

٣٣٥ - كشف الأستار (١ / ٧٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٣) . وقال : رواه البزار وفيه عمر بن أبي سلمة ضعفه شعبة وغيره ووثقه أبو حاتم وابن حبان وغيرهما اهـ من المجمع . وروى الطبراني نحوه عن سهل بن أبي حثمة عن أبيه (المعجم الكبير : ٦ / ١٠٣) وفيه ابن لهيعة .

٣٣٦ - مجمع الزوائد (١ / ١٠٥) . وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون . اهـ من المجمع .

وروى نحوه الترمذي (٥ / ٢٣٦) . والبخاري (١١ / ٥٥٥) ولكن عنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

٣٣٧ - المعجم الكبير (٧ / ٣٩) . =

أربعٌ » فما أنا بأشحَّ مني عليهن يوم سَمِعْتُهُنَّ من رسول الله ﷺ « لا تُشْركوا بالله شيئاً ولا تَقتلوا النفس التي حرمَ اللهُ إلا بالحق ولا تَزْنوا ولا تَسرِقوا » .

٣٣٨ - * روى البزار عن ابن عباس أن رجلاً قال : يارسول الله ماالكبائرُ ؟ قال : « الشِّركُ بالله والإياسُ من رَوحِ الله والقُنوطُ من رحمةِ الله » .

٣٣٩ - روى الطبراني عن ابنِ مسعود قال : الكبائرُ الإشراكُ بالله والأَمنُ من مَكْرِ الله والقُنوطُ من رحمة اللهِ واليأسُ من رَوْح الله . وفي رواية : أكبرُ الكبائر .

٣٤٠ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بن يزيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يانعايا العرب يانعايا العرب إن أخوف ماأخافُ عليكم الزنا والشهوةُ الخفيةُ » .

٣٤١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن من الكبَائرِ : شَتْمَ الرَّجُل والديه » . قال : وهل يشتِم الرجلُ والديه ؟ قال : « نعم ، يَسُبُّ الرجلُ أبا الرجل وأمَّه ، فَيَسُبّ أباه وأمَّه » .

وفي رواية : [1]« إنَّ من أكبرِ الكبائر : أنْ يَلْعَنَ الرجلُ والديه .. » وذكر الحديث .

= قال في المجمع (١ / ١٠٤) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٣٣٨ - كشف الأستار (١ / ٧١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٤) : رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون .

٣٣٩ - المعجم الكبير (٩ / ١٧١) .

كشف الأستار (١/ ٧١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٤) : إسناده صحيح . وهو حديث حسن .

٣٤٠ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٥٥) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الله بن بديل بن ورقاء وهو ثقة .

يانعايا العرب : نداء للتوبيخ وللتشهير ، ومنه (نعى على قوم شهوتهم) أي عاب عليهم .

الشهوة الخفية : شهوة النساء .

٣٤١ - البخاري (١٠ / ٤٠٣) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤ - باب لا يسب الرجل والديه .

مسلم (١ / ٩٢) - ١ - كتاب الإيمان - ٣٨ - باب بيان الكبائر وأكبرها .

والترمذي (٤ / ٣١٢) - ٢٨ - كتاب البر والصلة - ٤ - باب ما جاء في عقوق الوالدين ولكن عنده عن عبد الرحمن ابن عمرو بن العاص .

(١) أبو داود (٤ / ٣٣٦) - كتاب الأدب - باب في بر الوالدين .

٣٤٢ - * روى البزار عن أبي الدرْداءِ قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطانَ قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ في جزيرة العرب ولكن قد رضي بِمُحَقَّرَاتٍ » .

٣٤٣ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطانَ قد أيس أن يعبد بأرضِكم هذه ولكن قد رضي منكم بالمحقَّراتِ » .

٣٤٤ - * روى أحمد عن ميونةَ زوْجِ النبي ﷺ قالت سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تزالُ أمتي بخير مالم يفشُ فيهم ولدُ الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يَعُمَّهم الله بعذاب » .

ولفظ الطبراني : « لا تزال أمتي بخير مُتَماسِكٌ أمرُها مالم يظهرْ فيهم ولد الزنا ، فإذا ظهروا خشيت أن يعمهم الله بعقاب » .

٣٤٥ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : ذُكر في زمن رسول الله ﷺ خَسْفٌ قِبَلَ المَشْرقِ ، فقال رجل : يارسول يُخْسَفُ بأرض فيها المسلمون ؟ فقال : « نعم إذا كان أَكْثَرُ أَهْلِها الخَبَثَ » .

ماذكر في النصوص السابقة نماذجُ على الكبائر ، وعرّف بعضهم الكبائر بأنّها كلّ معصية رُتِّبَ عليها حدّ أو تُوعِّدَ عليها بالنار واللعنة والغضب وهذا مذهب ابن عباس والحسن البصري .

---

٣٤٢ - كشف الأستار (٤ / ٢٢٢) .

قال في المجمع (١٠ / ٥٤) : رواه البزار وإسناده حسن .

٣٤٣ - كشف الأستار ، الموضع السابق .

قال في المجمع (١٠ / ٥٤) رواه البزار : ورجاله رجال الصحيح .

٣٤٤ - أحمد (٦ / ٣٣٣) .

المعجم الكبير (٢٤ / ٢٣) .

قال في المجمع (٦ / ٢٥٧) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين ، ومحمد بن إسحاق قد صرح بالسماع فالحديث صحيح أو حسن .

٣٤٥ - الروض الداني (١ / ٨٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٩) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

تحقيقات

وفيما يلي تحقيقات لبعض العلماء في موضوع الكبائر :

قال النووي :

وقال أبو حامد الغزالي في البسيط : والضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليه اعتيادا ، فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس أو اللسان وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة . وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في فتاويه : الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبير ووصف بكونه عظيماً على الإطلاق . قال : فهذا حد الكبيرة ثم لها أمارات منها إيجاب الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً ومنها اللعن كلعن الله سبحانه من غيَّر منار الأرض ...

قال العلماء رحمهم الله : والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة ، وروي عَن عمَرَ وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم : لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار . معناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار ، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار . قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في حد الإصرار : هو أن تتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك . قال : وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يُشْعِر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر ا.هـ[١].

وقد حاول سلطان العلماء العز بن عبد السلام أن يعطيك ميزاناً تتعرف من خلاله على الصغائر والكبائر فقال :

إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر ــ أي المنصوص عليها فهي من

---

(١) النووي في شرحه على صحيح مسلم .

الصغائر ، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر ، أو أربت عليها ، فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب أو الرسول ﷺ ، أو استهان بالرسل أو كذب واحداً منهم ... أو ألقى المصحف في القاذورات فهذا من أكبر الكبائر ، ولم يصرح الشرع بأنها كبيرة . وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها ، أو مسلماً لمن يقتله ، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر . وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ، ويسبون حرمهم وأطفالهم ويغتنمون أموالهم ويزنون بنسائهم ويخربون ديارهم ، فإنّ تسببه إلى هذه المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر . وقد نص الشارع على أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر ، فإن وقعا في مال خطير فهذا ظاهر ، وإن وقعا في مال حقير ، فيجوز أن يجعل من الكبائر فطاما عن هذه المفاسد ، كما جعل شرب قطرة من الخمر من جملة الكبائر ، وإن لم يتحقق المفسدة فيه ... والوقوف على تساوي المفاسد وتفاوتها عزة ولا يهتدي إليها إلا من وفقه الله تعالى ، والوقوف على التساوي أعز من الوقوف على التفاوت ، ولا يمكن ضبط المصالح والمفاسد إلا بالتقريب ثم قال : وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن قال : كل ذنب قُرِنَ به وعيد أو حدٌّ أو لَعْنٌ فهو من الكبائر ... فقتل المؤمن كبيرة ، لأنه اقترن به الوعيد واللعن . والمحاربة والزنا والسرقة والقذف كبائر ، لاقتران الحدود بها . وعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو اللعن أو الحد ، أو أكبر من مفسدته فهو كبيرة ا . هـ [1] .

وللغزالي اتجاه في أن بعض الصغائر تصبح كبائر بملابستها لمعان كالتهاون بها والاستمرار عليها دون مبالاة ، كل هذا جعل العلماء يحاولون بناءً على القياس والموازنات أن يكتبوا في الكبائر مضيفين إلى المنصوص عليه ما كان من أمثاله في الفحش من خلال استقراء واسع لنصوص الشريعة ، وممن كتب في الكبائر فخصها بالتأليف : الذهبي في كتابه : « الكبائر » فذكَرَ سبعين كبيرة ، وابن حجر الهيثمي في كتابه : « الزواجر عن اقتراف الكبائر » وقد أوصلها إلى أربعمائة وسبع وستين كبيرة ، منها ما هو محل إجماع بين العلماء ، ومنها ما هو متردد بين كونه صغيرة أو كبيرة ، ومنها ما أصبح ذنباً بحيثياته ، والمسلم إذا عرف الطاعات

---

(١) قواعد الأحكام جـ ١ ص ٢٣ ـ ٢٤ .

والمعاصي فاجتنب المعاصي وأتى بالفرائض وبما استطاع من النوافل فإنه على أبواب الولاية بإذن الله .

والسبب في توسيع دائرة الكبائر أو تصغيرها يرجع إلى اعتبارات متعددة ، ففي الشريعة أوامر ونواه وطاعات ومعاص ، فترك الأوامر والطاعات معاص يصل بعضها إلى أن يكون كبيرة .

والمعاصي منها الظاهر ومنها الباطن ، فمن قاس على ما ورد من كبائر من حيث الخطورة وفداحة الآثار أدخل كثيراً من النواهي والمعاصي في الكبائر ، وهذا الكتاب سيتعرض للطاعات وللمعاصي إذا جاءت مناسبتها فلا نتوسع في هذا الأمر .

وليبق على ذكرٍ منا قولُه تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ [1] .

فأهل السنة والجماعة خالفهم المعتزلة الذين يقولون بوجوب إنفاذ الوعيد ، وأن مرتكب المعصية كائن في النار لا محالة وهو بمنزلة بين المنزلتين فلا هو كافر ولا هو مؤمن . وأهل السنة والجماعة خالفهم الخوارج الذين يكفرون مرتكبي المعاصي .

إن أهل السنة والجماعة قالوا : إن لله أن يعفو عمن لا يشرك به ، ولكن ليس هذا واجباً عليه بل هذا شأنه ، وقالوا إن وعيده لأهل المعاصي لابد واقع على بعضهم على حسب المشيئة وذلك شأنه في المعاملة بالعدل أو بالفضل وذلك شأنه أن يعفو عن بعض أهل المعاصي لقبوله حسناتهم أو لوجود خصوصيات لهم تخفف عنهم الحساب ، والأمر إليه .

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم [2] :

وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ، ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون . فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني ، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة . ولا فرق

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٩٧ .

عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام ، وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أوّلا . وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًا عليها فهو تحت المشيئة ، فإن عُفي عنه دخل أولاً ، وإلا عُذّب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة وأما قوله ﷺ : « وإن زنى وإن سرق » **فهو حجة** لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة . ا . هـ

* * *

الفصل السّادس عشر
في :

النّفاق وعلاماته وشعبه

وفيه :

مقدّمة ونصوص

المقدمة

النفاق في الأصل : إظهار الإسلام وإبطان الكفر ، وقد يكون ابتداءً ، وقد يحدث بعد إيمان ، وقد يكون سببه الشك في الإسلام ، وهناك النفاق الخالص ، وهناك القلوب التي فيها إيمان ونفاق .

وللنفاق علاماته وآثاره في السلوك ، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر علاماته وآثاره في القرآن لخطورة هذا المرض وجاءت السنة لتزيد الأمر تفصيلاً .

وقد ذكر بعض العلماء نوعين من النفاق ، نفاق الاعتقاد ونفاق العمل ، وعلى هذا التقسيم فإن هناك صوراً للنفاق ، فالصورة الأخبث هي نفاق الاعتقاد الذي تصحبه علاماته من كذب وخلف بالوعد ونقض للعهد ، وفجورٍ بالخصومة وإفسادٍ في الأرض ، ومودة للكافرين وولاء لهم إلى غير ذلك .

وهناك صورة أخرى وهي ألا يكون هناك شك في الإسلام ولكن تظهر أخلاقيات النفاق في سلوكيات بعض الناس كأثر عن فساد نية أو فساد بيئة أو جهل أو ظلمة جزئية في القلب . وهناك صورة أخرى وهي وجود الشك والنفاق في القلب ، ولكن يتكلف له صاحبه فلا تظهر على سلوكياته آثار النفاق إلا لماماً .

وأيا كان الأمر فإن علينا أن نطهر قلوبنا وأعمالنا من النفاق وآثاره ، وإذا رأينا النفاق عند أهلِه فلنحذر ولنعالج ، أما الحكم على إنسان بأنه منافق فهذا الذي ينبغي أن نتأنى فيه إلا إذا وضحت الأمور وقامت بينة .

وأكثر صور النفاق في عصرنا تتمثل بموالاة الكافرين الاختيارية ظاهراً وباطناً ، وأخطر مظهر لذلك الانتساب الطوعي المتفاعل لحزب من الأحزاب الكافرة التي لا تؤمن بالإسلام ولا تلتزم به أهدافاً وسلوكاً ، أمثال هؤلاء نستطيع أن نحكم عليهم بالنفاق أو بالردة على حسب مايظهر من أقوالهم وأفعالهم ، وبالتالي فلا نصلي عليه إذا مات ولا نتعامل معه كما نتعامل مع أهل الإيمان .

والأمور في عصرنا مختلطة فهناك اجتهادات تخطر لمسلمين عاديين فيرون أن مصلحة الإسلام أن يكونوا في حزبٍ ما ، ويرون أن الوضع العالمي المعقد يحتاج إلى نوع من المواقف ، والعبرة للفتوى البصيرة من أهلها ، فمن أفتاه إمام من أئمة الفتوى بعد أن يعرض عليه كل شيء ويستكتمه فله أن يفعل على ضوء الفتوى ، ولكن هذه فتوى استثنائية ، وإلا فالأصل أن يكون الإنسان قلباً وقالباً مع الصف المسلم ومع أهل الإيمان ، هذا مع صحة اعتقادٍ ، وسلامة عملٍ ، فذلك هو الإيمان الخالص .

ومن أراد استكمال صورة النفاق والمنافقين فلابد أن يتتبعها في نصوص القرآن وقد أبرزنا هذه الصورة في تفسيرنا وفي كتابنا (جند الله ثقافة وأخلاقاً) ولذلك نقتصر هنا على بعض ماورد في السنة :

النصوص

٣٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كانت فيه خَصلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلَةٌ مِنَ النِّفاق ، حتى يَدَعَهَا : إذا ائْتُمن خَانَ ، وإذا حدَّث كذَبَ ، وإذا عاهَدَ غَدَر ، وإذا خاصم فجر » .

وفي رواية [١] ــ عِوَضُ « إذا ائتُمِنَ خان » : « إذا وعَدَ أخلف » .

قال الترمذي : معنى هذا عند أهل العلم : نفاق العمل ، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسولِ الله ﷺ .

أقول وقد ظهر نفاق التكذيب بعد رسول الله ﷺ مرات وكرات وبصورٍ شتى ، فمثلاً ظهر بالزنادقة والباطنيين وفي كثير من العاملين في الحقل السياسي في عصرنا إلى غير ذلك .

٣٤٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « آيةُ المنافِقِ ثَلاثٌ » ــ زاد مسلم : « وإن صام ، وصلى ، وزعم أنَّه مسلم » ــ ثم اتفقا ــ « إذا حَدَّث كذب ، وإذا وعَدَ أخلف ، وإذا عاهد غَدَر » وفي رواية ثالثة [٢] : « إذا ائتمن خان » .

---

٣٤٦ - البخاري (١ / ٨٩) - ٢ - كتاب الإيمان - ٢٤ - باب علامة المنافق .

مسلم (١ / ٧٨) - ١ - كتاب الإيمان - ٢٥ - باب بيان خصال المنافق .

أبو داود (٤ / ٢٢١) - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

الترمذي (٥ / ١٩) - ٤١ - كتاب الإيمان - ١٤ - باب ما جاء في علامة المنافق .

(١) النسائي (٨ / ١١٦) - ٤٧ - كتاب الإيمان - ٢٠ - باب علامة المنافق .

الفجور : الكذب والفسق ونحوهما ، والمراد به هاهنا : قول الفحش .

٣٤٧ - البخاري ، الموضع السابق .

مسلم ، الموضع السابق .

(٢) مسلم ، الموضع السابق .

الآية : العلامة .

٣٤٨ ـ * روى الطبراني عن ابن مسعود قال : اعتَبِروا المنافقين بثلاثٍ إذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا وَعَدَ أخلَفَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ فأنزل الله عز وجل تَصديقَ ذلك في كتابه ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ﴾ إلى آخر الآية .

والآيات المشار إليها في الأثر :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكوننّ من الصالحين ۔ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون ۔ فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللهَ ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ (١) .

٣٤٩ ـ * روى البزار عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « ثَلاَثٌ من كُنَّ فيه فهو مُنافِقٌ وإن كان فيه خَصْلَةٌ ففيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب وإذا ائتُمِنَ خان وإذا وعد أخلف » .

٣٥٠ ـ * روى النسائي عن عبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه قال : ثلاثٌ من كُنَّ فيه ، فهو منافق : إذا حدَّث كذب ، وإذا ائتُمِنَ خان ، وإذا وعد أخلفَ ، فمن كانت فيه واحدةٌ منهن ، لم تَزَل فيه خَصْلةٌ مِنَ النفاق حتى يَتْرُكَها .

٣٥١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « خَصْلَتَانِ لا تجتمعان في منافق : حُسْن سَمْتٍ ، ولا فِقْهٌ في الدِّين » .

---

٣٤٨ ـ المعجم الكبير (٩ / ٢٥٢) .

قال في الجمع (١ / ١٠٨) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(١) التوبة : ٧٥ ـ ٧٧ .

٣٤٩ ـ كشف الأستار (١ / ٦٢) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٨) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٥٠ ـ النسائي (٨ / ١١٧) ـ ٤٧ ـ كتاب الإيمان ـ ٢٠ ـ باب علامة المنافق .

وإسناده صحيح .

٣٥١ ـ الترمذي (٥ / ٤٩ ، ٥٠) ـ ٤٢ ـ كتاب العلم ـ ١٩ ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة .

وإسناده حسن .

السَّمْت : الطريقة والسَّجِيَّةُ التي تكون للإنسان من خير أو شرٍّ ، وهي الهدي والدَّل بمعنى .

٣٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تَجِدون من شَرِّ الناس عند الله تعالى يومَ القيامة ذا الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ ، وهؤلاء بوجهٍ » .

وفي رواية (١) قال : سمعتُه يقول : « إن شرَّ الناس ذُو الوجهين .. » الحديث .

٣٥٣ - * روى مسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مثلُ المُنافقِ كالشاة العَائِرَة بين الغَنَمين ، تَعِيرُ إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة » .

وزاد النسائي (٢) : « لا تدري : أيها تَتْبَعُ » .

٣٥٤ - * روى البخاري عن زيد بنِ عبدِ اللهِ بن عمر رضي الله عنه قال : قال ناسٌ لابن عمر : إنا لَنَدخلُ إلى سُلْطانِنا أو أمرائنا ، فنقول لهم بخلاف ما نتكلَّم إذا خرجنا من عندهم . فقال : كنا نَعُدُّ هذا نفاقاً على عهد رسولِ الله ﷺ .

٣٥٥ - * روى البخاري عن حذيفَة بنِ اليمان رضي الله عنهما قال : إنَّما كان النفاق على عهد رسولِ الله ﷺ ، فأما اليوم ، فإنه هو الكُفرُ بعدَ الإيمان وفي أخرى (٣) : [فإنما هو] الكفر أو الإيمان .

وفي أخرى (٤) قال : إن المنافقين اليومَ هم شر منهم على عهدِ رسول الله ﷺ ، كانوا يؤمئذ يُسِرُّون ، واليوم يَجهرون .

---

٣٥٢ - البخاري (١٠ / ٤٧٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٥٢ - باب ما قيل في ذي الوجهين .

مسلم (٤ / ٢٠١١) - ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ٢٦ - باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله .

الموطأ (٢ / ٩٩١) - ٥٦ - كتاب الكلام - ٨ - باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

٣٥٣ - مسلم (٤ / ٢١٤٦) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث السابع عشر .

(٢) النسائي (٨ / ١٢٤) - ٤٧ - كتاب الإيمان - ٣١ - باب مثل المنافق .

العائرة : عارت الشاة تعير ، إذا ذهبت كذا وكذا متردِّدَة .

٣٥٤ - البخاري (١٣ / ١٧٠) - ٩٣ - كتاب الأحكام - ٢٧ - باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك .

٣٥٥ - البخاري (١٣ / ٦٨) - ٩٢ - كتاب الفتن - ٢١ - باب إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه .

(٣) البخاري ، الموضع السابق .

(٤) البخاري ، الموضع السابق .

٣٥٦ ـ * روى أحمد عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظِلِّ حُجْرَته قد كان يَقلِصُ منه الظل فقال لأصحابه : « يجيئكم رجل ينظر إليكم بِعينيْ شيطان فإذا رأيتموه فلا تُكلِّموه » . قال : فجاء رجل أزرق فلما رآه النبي ﷺ دعاه قال : « علام تشتمني أنت وأصحابك » ؟ قال : كما أنت حتى آتيك بهم . فذهب فجاء بهم يحلفون بالله ما قالوا ولا فعلوا ، وأنزل الله عز وجل ﴿ يومَ يَبعثهم اللهُ جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ﴾إلى آخر الآية .

وفي رواية الطبراني (١) قال : فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم .

وفي رواية (٢) « يدخل عليكم رجل ينظر بعيني شيطان » . قال : فدخل رجل أزرق فقال : يا محمد علام تَسُبُّني ؟ أو : تَشْتِمُني ؟ أو نحو هذا قال : وجعل يحلف . قال : ونزلت هذه الآية في المجادلة ﴿ ويَحْلِفُون على الكذبِ وهم يعلمون ﴾ والآية الأخرى .

٣٥٧ ـ * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : « ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا » .

قال الليث : كانا رَجُلَين من المُنافقين .

وفي رواية (٣) قالت : دخل النبيُّ ﷺ يومًا ، وقال : « يا عائشةُ ، ما أظنُّ فلانًا وفلانًا يعرفان دِينَنَا الذي نحن عليه » .

أقول : يبدو أن هذين ممن قال الله عز وجل فيهم :

---

٣٥٦ ـ أحمد (١ / ٣٥٠) .

كشف الأستار (٣ / ٧٤) .

(١) المعجم الكبير (١٢ / ٧) .

وباقي رواية الطبراني بنحو ما عند أحمد .

قال في المجمع (٧ / ١٢٢) : ورجال الجميع رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد ، الموضع السابق .

٣٥٧ ـ البخاري (١٠ / ٤٨٥) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ـ ٥٩ ـ باب ما يجوز من الظن .

(٣) البخاري الموضع السابق .

﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ (١) .

٣٥٨ - * روى مسلم عن سَلَمَةَ بنِ الأكوَع رضي الله عنه قال : عُدنا مع رسول الله ﷺ رَجُلاً مَوْعُوكاً . قال : فوضعتُ يدي عليه ، فقلت : والله ما رأيتُ كاليوم رَجُلاً أشدَّ حرًّا . فقال رسولُ الله ﷺ : « ألا أُخبِرُكم بأشدَّ حَرًّا منه يومَ القيامة ؟ هَذَيْنِكَ الرجلين الراكبين المُقَفِّيَيْنِ » . لرجلين حينئذ من أصحابه .

٣٥٩ - * روى البخاري عن الأسودِ بن يزيد النَّخَعِيِّ قال : كُنَّا في حَلْقَةِ عبدِ الله بن مسعودٍ ، فجاء حُذَيْفَةُ ، حتى قام علينا ، فسلَّم ، ثم قال : لقد أُنزل النفاقَ على قومٍ خيرٍ منكم . فقلنا : سبحان الله فإن الله عز وجل يقول : ﴿ إنَّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفل من النار ﴾ (٢) فتبسَّم عبد الله ، وجلس حذيفة في ناحية المسجد ، فقام عبد الله وتفرَّق أصحابه ، فرماني بالحصباء ، فأتيته ، فقال حذيفة : عَجِبْتُ من ضَحِكِه ، وقد عَلِم مَا قلتُ ، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيرًا منكم ، ثم تابوا فتاب الله عليهم .

قال ابن الاثير :

(الدرك الأسفل) : الطبق الأسفل من النار ، والنار دَرَكاتٌ ، لأنها مطبقة بعضها فوق بعض .

لقد أُنزِل النفاق على قوم خير منكم ، ثم تابوا ، فتاب الله عليهم : مقصوده أن جماعة من المنافقين صَلحوا واستقاموا ، وكانوا خيرًا من أولئك التابعين الذين كان يخاطبهم ، لمكان

---

(١) محمد : ١٦ .

٣٥٨ - مسلم (٤ / ٢١٤٦) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث السادس عشر .

الوعك : الحُمَّى ، وقيل : ألمها ، والمراد به المرضُ .

رجل مُقَفٍّ : إذا ولاك ظهره وقفاه ذاهبًا .

قال النووي في « شرح مسلم » : سماهما « من أصحابه » لإظهارهما الإسلام والصحبة ، لا أنهما ممن نال فضيلة الصحبة .

٣٥٩ - البخاري (٨ / ٢٦٦) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - سورة النساء ، ٢٥ - باب إن المنافقين في الدرك الأسفل ﴾ .

(٢) النساء : ١٤٥ .

الصحبة والصلاح ، فمن كان منافقًا وصلح أمره واستقام : مُجَمِّع ، ويزيد ، ابنا جارية بن عامر ، فكأنه أشار بالحديث إلى تقلّب القلوب .

٣٦٠ - * روى مسلم عن جابر بنِ عبد الله رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال لهم : « مَنْ يصعد الثنيَّة ثَنيَّة المُرار ، فإنه يُحطُّ عنه ما حُطَ عن بني إسرائيل » . قال : فكان أول مَنْ صَعِدَها خيلُنا ، خَيْلُ بني الخزرج ، ثم تتامَّ الناسُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « وكلكم مغفور له ، إلا صاحبَ الجمل الأحمر » . فأتيناه ، فقلنا : تَعالَ ، يستغفرْ لك رسولُ الله . فقال : والله ، لأن أجدَ ضالتي أحب إليَّ من أن يستغفرَ لي صاحبُكم . قال : وإذا هو ينشدُ ضَالَّةً له .

٣٦١ - * روى أبو داود عن بريدة بن الحُصَيب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقولوا للمنافق سَيِّد ، فإنه إن يَكُ سيِّدًا فقد أسخطتم اللهَ عَزَّ وجلَّ » .

٣٦٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : مر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أُبَيّ بن سلول وهو في ظِلٍّ فقال : قد غَبَّرَ علينا ابن أبي كَبشة . فقال ابنه عبد الله [أي لرسول الله] : والذي أكرمك وأنزل عليك الكتابَ لئن شئتَ لأتيتَكَ برأسِهِ . فقال النبي ﷺ : « لا ولكن برَّ أباك وأحسن صحبته » .

---

٣٦٠ - مسلم (٤ / ٢١٤٤) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث الثاني عشر .

تَتَامَّ الناس : أي : تتابعوا واحدًا بعد واحدٍ ، وقيل : تتامّوا ، أي : جاءوا كُلُّهم وتَمُّوا ، وهو تَفاعَلُوا من التمام .

٣٦١ - أبو داود (٤ / ٢٩٥) - كتاب الأدب - باب لا يقول المملوك : « ربي » و « ربتي » .

وإسناده صحيح .

قوله : (فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم الله عز وجل) أي : إن يكن سيدًا في قومه فقد أغضبتم الله لأنه يكون تعظيمًا للمنافق ، وهو ممن لا يستحق التعظيم ، فكيف إن لم يكن سيدًا بأحد المعاني ؟ فإنه يكون مع ذلك كذبًا ونفاقًا .

وقيل : إن يكن سيدًا فتجب عليكم طاعته فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم - (عون المعبود : ٤ / ٤٥٣) .

٣٦٢ - مجمع الزوائد (١ / ١٠٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وقال : تفرد به زيد بن بشر الحضرمي . قلت : وثقه ابن حبان وبقية رجاله ثقات . ا هـ من المجمع .

٣٦٣ ـ * روى أحمد عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال : « إن للمنافقين علامات يُعْرَفون بها : تحيتُهم لعنةٌ وطعامُهم نُهبةٌ وغنيمتُهم غُلولٌ ، لا يقربون المساجد إلا هَجْرًا ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرًا مستكبرين لا يَألَفون ولا يُؤلَفون خُشُبٌ بالليل صُخُبٌ بالنهار » وقال يزيد مرة : « سخب بالنهار » .

٣٦٤ ـ * روى البزار عن ابن عباس قال : يقول أحدُهم : أبي صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وكان مع رسول الله ﷺ ، ولَنَعْلٌ خَلِقٌ خيرٌ من أبيه .

أقول هذا الحديث محمول على المنافقين ممن ظاهرهم الصحبة وباطنهم الكفر ، وهم قلة وقد عَرَّفَ رسول الله ﷺ حذيفة عليهم حتى يَكشف حالهم إذا قاموا مقامًا يخشى منهم على الإسلام ، ولذلك فالقول بعدالة الصحابة لا يقدح فيه أن يوجد مثل هؤلاء لهذا الاحتياط الذي احتاطه رسول الله ﷺ .

٣٦٥ ـ * روى أبو يعلىٰ عن أنسٍ بن مالك قال : غدا أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله هلكنا وربِّ الكعبة . قال « وماذاك » قالوا : النفاقَ النفاقَ . قال : « ألستم تشهدون أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأن محمدًا عَبْدُه ورسولُه » . قالوا : بلى . قال : « ليس ذلك النفاق » قال : ثم عادوا الثانية فقالوا : يا رسول الله هلكنا ورب الكعبة . قال : « وما ذاك » . قالوا : النفاق النفاق . قال : « ألستم تشهدون أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله » . قالوا : بلى . قال ، « ليس ذاكَ النفاقَ » . قال : ثم عادوا الثالثة فقالوا : يا رسول الله هلكنا

---

٣٦٣ ـ أحمد (٢ / ٢٩٣) .

كشف الأستار (١ / ٦١) .

قال في المجمع (١ / ١٠٢) : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي وثقه يحي بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره . ا هـ من المجمع . فالحديث حسن على مذهب يحي .

صخب : أي صياحون فيه متجادلون .

٣٦٤ ـ كشف الأستار ، الموضع السابق .

قال في المجمع (١ / ١١٣) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٦٥ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣١٠) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير غسان بن برزين وهو ثقة .ا هـ .

قال في التقريب (٢ / ١٠٥) : صدوق ربما أخطأ .

وربِ الكعبة . قال « وما ذاك » . قالوا : النفاق . قالوا : إنَّا إذا كنا عندك كنا على حال وإذا خرجنا من عندك همتنا الدنيا وأهلونا . قال : « لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على ما أنتم عليه لصافَحَتْكم الملائكة بطرق المدينة » .

٣٦٦ - *روى البزار عن حُذيفةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّما أتخوف عليكم رجلاً قرأَ القرآنَ حتى إذا رُئِيَ عليه بَهجَتُه وكان رديءَ الإسلام اعتزل إلى ما شاء الله وخرج على جاره بسيفه ورماه بالشرك » .

٣٦٧ - * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثر منافقي أمتي قراؤها » .

أقول : هذا الحديث محمول على من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً وعلى من يلبس الحق بالباطل ويكتم الحقَ ، ويوالي الظالمين والكافرين فظاهره عالِم وباطنه منافق .

٣٦٨ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خَلْفٌ بعدَ الستينَ أضاعوا الصلواتِ واتبعوا الشهوات فسوف يَلْقون غيا ثم يكونُ خَلْفٌ يقرؤون القرآن لا يعدو تَراقِيَهم ويقرأ القرآن ثَلاثةٌ : مؤمنٌ ومنافقٌ وفاجر » . قال بشير فقلت للوليدِ ما هؤلاء الثلاثةُ ؟ قال : المنافق كافر به والفَاجر يتأكل به والمؤمن يؤمن به .

٣٦٩ - * روى الطبراني عن عِمْران بن حُصَيْنٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

---

٣٦٦ - كشف الأستار (١ / ٩٩) .

مجمع الزوائد (١ /١٨٧) . وقال : إسناده حسن .

٣٦٧ - أحمد (٢ / ١٧٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٩) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات ، وكذلك رجال أحد إسنادَيْ أحمد ثقات . ورواه أحمد عن عقبة بن عامر بإسناد رجاله ثقات أثبات .

٣٦٨ - أحمد (٣ / ٣٨) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط كذلك .

٣٦٩ - المعجم الكبير (١٨ / ٢٣٧) .

كشف الأستار (١ / ٩٧) .

قال في المجمع (١ / ١٨٧) : رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح .

أخوفَ ما أخافُ عَليكم بعدي كلُّ منافقٍ عليمِ اللسانِ » .

٣٧٠ - * روى أحمد عن عُمَرَ بنِ الخطابِ قال : حَذَّرَنا رسول الله ﷺ كُلَّ منـافِقٍ عليم اللسان .

أقول : في هذه النصوص الخمسة الأخيرة تحذير أي تحـذير لمن يحمل الإسلام ويقرأ القرآن ويكـون من المنـافقين وهـو لا يشعر ﴿ وإذا قيـل لهم لا تفسـدوا في الأرض قـالـوا إنّما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ (١) . وقد أعطانا الحديث الثالث علامة هي : « يقرأون القرآن لا يعـــدو تراقيهم » فهـو لا يصـل إلى قلـوبهم فيتـــدبرون ويتأثرون : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٢) .

٣٧١ - * روى مسلم عن قَيْس بن عُبادٍ رضي الله عنه قال : قلتُ لعمَّـار : أرأيتم صَنِيعَكم هذا الذي صَنَعْتم في أمر عليٍّ ، أرأيًا رأيتموه ، أم شيئًـا عَهِـدَه إليكم رسولُ الله ﷺ ؟ فقـال : مَا عَهِدَ إلينا رسول الله ﷺ شيئًا لم يَعْهَدْه إلى الناس كافَّةً ، ولكن أخبرني حُذيفـةُ أن رسولَ الله ﷺ أعلَمَـهُ اثنَيْ عَشَرَ مُنـافِقًا ، منهم ثمانيـة لا يـدخلون الجنـة حتى يلجَ الجمـلُ في سَمِّ الخياط . وأربعةٌ لم أحفظ ما قال [شُعبة] فيهم .

وفي روايـة (٣) : « ثمـانيــة [منهم] تكفيكَهم الـدُّبَيْلـةُ - سِراجٌ من النـار يظهر في أكتافِهم - حتى يَنْجُمَ في صُدُورهم » .

٣٧٢ - * روى مسلم عن أبي الطُّفَيل رضي الله عنه قال : كان بين رجل من أهل العَقَبـة

---

٣٧٠ - أحمد (٢ / ٢٢) .
كشف الأستار (١ / ٩٧) .
قال في المجمع (١ / ١٨٧) رواه البزار وأحمد وأبو يعلي ورجاله موثقون .
(١) البقرة : ١١ ، ١٢ .
(٢) محمد : ٢٤ .
٣٧١ - مسلم (٤ / ٢١٤٣) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث التاسع .
(٣) مسلم (٤ / ٢١٤٤) ، الموضع السابق : الحديث العاشر .
ينجُم : نجم الشيء ينجم بالضم ، نجومًا : ظهر وطلع .
٣٧٢ - مسلم (٤ / ٢١٤٤) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - الحديث الحادي عشر .
الحَرَّة : الأرض التي يكون فيها حِجارة سودٌ .

وبين حُذيفةَ بعض ما يَكونُ بين الناسِ ، فقال : أنشُدُكَ الله ، كَم كان أصحابُ العَقَبة ؟ قال : فقال له القومُ : أَخْبِره إذْ سَأَلَكَ . فقال : كُنّا نُخْبَرُ أنّهم أربعةَ عَشَرَ ، فإن كنتَ منهم فقد كان القومُ خمسةَ عشَر ، وأَشْهدُ بالله : أن اثني عشر منهم حَرْبٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يَقومُ الأشهادُ ، وعذَر ثلاثةً ، قالوا : ما سَمِعْنا مُنَاديَ رسول الله ﷺ ، ولا عَلِمْنَا بما أراد القومُ ، وقد كان في حَرَّةٍ ، فمشى ، فقال : « إن الماء قليلٌ ، فلا يَسْبِقْني إليه أحدٌ » فَوَجَدَ قومًا قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ .

قال ابن الأثير : قد يَظنُّ بعضُ من لا علْم عنده ، أن أصحابَ العقبة المذكورين في هذا الحديث : هم أصحابُ العقبة الذين بايعوا النّبي ﷺ في أول الإسلام ، وحاشاهم من ذلك ، إنما هؤلاء قوم عَرَضُوا لرسول الله ﷺ في عقبة صَعِدَها لما قَفَلَ مِنْ غزوة تبوك ، وقد كان أمر مناديًا ، فنادى : لا يَطْلُع العقبةَ أحدٌ . فلما أخذها النبيُّ ﷺ عَرَضوا له وهم مُتَلَثِّمُونَ ، لِئَلا يُعرَفوا ، أرادوا به سوءًا ، فلم يُقْدِرهم الله تعالى .

٣٧٣ - * روى أحمد عن أبي الطُّفَيْل ، قال : لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديًا فنادى أنّ رسول الله ﷺ آخذٌ العقبةَ فلا يأخذْها أحدٌ ، فبينا رسول الله ﷺ يقوده عَمار ويسوقه حُذيفةُ إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل ، حتى غَشُوا عمارًا وهو يسوقُ برسول الله ﷺ ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قَدْ قَدْ » . حتى هَبطَ رسولُ الله ﷺ فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ، ورجع عَمارٌ ، فقال : « يا عمارُ هل عرفت القوم » . قال : قد عرفت عامة الرواحِل ، والقومُ متلثمون . قال : « هل تدري ما أرادوا » . قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ ويطرحوه » . قال : فساب عمارٌ رضي الله عنه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : نَشَدتُك بالله ما كان أصحابُ العقبة ؟ قال : أربعة عَشَرَ . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عَشَرَ فعدّ رسولُ الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا : والله ما

= وقصة أهل العقبة هؤلاء ذكرها الهيثمي بسياق أتم .

٣٧٣ - أحمد (٥ / ٤٥٣) .

قال في المجمع (٦ / ١٩٥) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

سمعنا منَادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهادُ . قال أبو الوليد : وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس ، وذكر له أن في الماء قلة فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى لا يرد الماء أحدٌ قبل رسول الله ﷺ ، فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطًا قد وردوه قبله ، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ .

٣٧٤ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد رفعه : « لو أن أحدَكم يعملُ في صَخْرَةٍ صَماءَ ، ليس لها باب ولا كُوَّة ، يَخْرجُ عَمَلُه للناس كائنًا ما كان » .

٣٧٥ ـ * روى البخاري تعليقًا : قال إبراهيمُ التَّيْميُّ : ما عَرَضْتُ قَولي عَلَى عملي إلا خَشِيتُ أنْ أكون مكَذَّبًا . وقال ابن أبي مُلَيكَةَ : أدرَكْتُ ثَلاثينَ مِنْ أصْحاب النبيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخافُ النِّفاقَ على نَفْسِه [ولا يأمن المكر على دينه] ما مِنْهمْ أحَدٌ يَقولُ إنَّهُ عَلَى إيمان جِبْريلَ وَمِيكائيلَ ، وَيُذْكَرُ عَن الحَسَن : ما خافَهُ إلا مؤْمِنٌ ، ولا أَمِنَهُ إلا مُنافِقٌ . وَما يُحَذَّرُ مِنَ الإصْرارِ عَلَى النِّفَاق والعِصْيانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبةٍ ، لقول الله تعالى : ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (١) .

قوله : (وما يحذر من الإصرار) : بعد أن بَيَّن الحسن أن النفاق لا يخافه إلا مؤمن ولا يحذره إلا مؤمن ، بيّن أن حال المؤمن الخوف والحذر من النفاق والخوف من الإصرار على العصيان من دون توبة .

٣٧٦ ـ * روى البخاري عن شُعبةَ قال أخبرني عبدُ الله بنُ عبد الله بن جَبْر قال : سمعتُ أَنسًا عن النبي ﷺ قال : « آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار ، وآيةُ النِّفاق بُغْضُ الأنصار » .

---

٣٧٤ ـ أحمد (٣ / ٢٨) .

المستدرك (٤ / ٣١٤) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن .

٣٧٥ ـ البخاري (١ / ١٠٩) ـ ٢ ـ كتاب الإيمان ـ ٣٦ ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

(١) آل عمران : ١٣٥ .

٣٧٦ ـ البخاري (١ / ٦٢) ـ ٢ ـ كتاب الإيمان ـ ١٠ ـ باب علامة الإيمان حب الأنصار .

٣٧٧ - * روى البخاري ومسلم عن كعبِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ المؤمن : كمثل الخَامَة مِنَ الزَّرع ، تُفيئها الريحُ ، تصرعُها مرةً ، وتَعْدِلُها أُخرى ، حتى تَهيجَ » .

وفي أخرى [1] « حتّى يأتيهُ أَجلهُ ، ومثلُ المنافق : مثلُ الأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ على أَصْلِها ، لا يُفيئُها شيءٌ ، حتّى يكونَ انجعافُها مرَّةً واحدةً » .

٣٧٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رفعه : « من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّثْ به نفسَه مات على شعبة من النفاق » .

٣٧٩ - * روى الطبراني عن ابن عُمرَ قال : كنت عند النبي ﷺ إذ جاء حرملة بن زيد فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله الإيمان هٰهنا - وأشار إلى لسانه - والنفاق هٰهنا - وأشار إلى صدره - ولا يذكر الله إلا قليلاً . فسكت عنه النبيُّ ﷺ فردد ذلك عليه حرملةُ ، فأخذ النبيُّ ﷺ بطَرَف لسانِ حرملة فقال : « اللهم اجعل له لسانا صادقًا وقلبًا شاكرًا وارزقه حُبي وحُب من يُحِبُّني وصَيِّرْ أمره إلى الخير » . فقال حرملةُ : يا رسول الله إن لي إخوانًا منافقين كنت فيهم رأسًا ألا أدلُّك عليهم ؟ فقال النبي ﷺ : « من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن أصر على ذنبه فالله أولى به ، ولا نَخْرِقُ على أحد سترا » .

---

٣٧٧ - البخاري (١٠ / ١٠٣) - ٧٥ - كتاب المرضى - ١ - باب ما جاء في كفارة المرض .

مسلم (٤ / ٢١٦٣) - ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ١٤ - باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز .

(١) مسلم (٤ / ٢١٦٤) ، الموضع السابق .

تَصْرَعُها : أي ترميها وتُلقيها ، من المصارعة .

تهيج : هاج النبات هَيْجًا : إذا أخذَ في الجفاف والاصفرار ، بعد الغضاضة والاخضرار .

المجذية : الثابتة ، يقال : جَذا يجذو ، وأَجْذَى يُجذي ، لغتان .

انجعافُها : الانْجعافُ : الانقلاع ، وهو مطاوع : جعَفْتُ الشيءَ : إذا قلعته .

٣٧٨ - مسلم (٣ / ١٥١٧) - ٣٣ كتاب الإمارة - ٤٧ - باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو .

أبو داود (٣ / ١٠) - كتاب الجهاد - باب كراهية ترك الغزو .

النسائي (٦ / ٨) - ٢٥ - كتاب الجهاد - ٢ - باب التشديد في ترك الجهاد .

٣٧٩ - المعجم الكبير (٤ / ٥) .

قال في المجمع (٩ / ٤١٠) ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السابع عشر

في :

نواقض الشهادتين

وفيه :

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد

المقدمة

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾ [(١)] ، فمن بلغه الإسلام من أهل الأديان وغيرهم فقد تحتم عليهم أن يدخلوا فيه ، ومن لم يدخل في الإسلام فهو الكافر الأصلي ، وأما من دخل في الإسلام في الظاهر ولم يسلم قلبه فهو المنافق وهو من شر أنواع الكفار : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [(٢)] أما من دخل في الإسلام ثم أتى بناقض من نواقض الشهادتين فهو المرتد ، وحكمه أنَّ عليه أنْ يتوب مما أتاه ، وإلا فإنه يستحق القتل .

ونواقض الشهادتين منها القولي ، ومنها النظري ، ومنها الفعلي ؛ فالقولي كأن يتبرأ من الإسلام ، أو يذكر أنه كافر ، أو يسب الإسلام أو القرآن . والنظرى مثل أن يستحل محرمًا قطعيًا ، أو ينفي المعلوم من الدين بالضرورة . والفعلي كأن يسجد لصنم ، أو يصلي صلاة الكافرين ، أو يلقي القرآن في نجاسة .

ويعطى بعض المرتدين فرصة فيناقشون حتى تقوم عليهم الحجة ، وبالتالي يعطون فرصة التوبة والأوبة ويُعْفَى عنهم ، إلا إذا شاء ولي الأمر تعزيرهم ، ولكنّ هناك صورًا لها أحكامها الخاصة ، كأن تتكرر منه الردة ، أو تكون ردته من نوع خاص أو يجتمع مع الردة حق آخر كأنْ سبَّ رسول الله ﷺ ، فهذا ليس أمامه إلا القتل .

وعلى كل الأحوال فقد رتب الشارع أحكامًا بالنسبة للكفار الأصليين ، وبالنسبة للمنافقين ، وبالنسبة للمرتدين ، فالمرتد يستحق القتل إن لم يتب ، ويفرق بينه وبين زوجته ، ولا تحل ذبيحته ولا إنكاحه .

وهناك قضايًا محل إجماع بين أهل العلم ، وهناك قضايا محل اختلاف ، وقضية الردة من أعقد قضايا العصر ، فهناك الآن ذراري المرتدين الذين ارتد آباؤهم وهم على مذاهب هؤلاء الآباء ، فهؤلاء لهم أحكام خاصة ، وهناك المرتدون بسبب وجهات نظر سياسية ،

---

(١) سبأ : ٢٨ .
(٢) النساء : ١٤٥ .

وهنـاك المرتـدون بسبب وجهات نظر فلسفيـة ، والإسلام الآن ضعيف ، والعمل الإسلامي الدعوي البحت لا يشكل عليـه أمر التعـامل مع هؤلاء جميعًـا ، ولكن إذا وصلنـا إلى العمل السياسي من خلال السلطة أو من خارجها فالأمر يصبح في غـايـة التعقيـد ، ولـذلـك فـإن للفتوى من أهلها محلاً في بعض الصور .

ومن تتبع نصوص الكتاب والسنة وجد الكثير ممـا لـه علاقـة بنواقض الشهـادتين ، ومن تتبع كلام العلماء في أبحاث الردة أو في الكتب المؤلفة خاصـة في هـذا الموضوع وجـد مئـات المسائل ، لأن الجهلـة في كل زمـان ومكان يغلب على بعضهم تصورات أو تصرفـات أو أقوال أو أفعـال هي من قبيـل الردة التي تنقض الشهـادتين ولكل جيـل في قطر مسـائلـه ، فـإذا جمعت مسـائل الأقطـار والأجيـال والأزمـان وجـدت الكثير من هـذه النـواقض ، ولعصرنـا خصوصيـاتـه التي اختص بهـا لـذلـك كان الأمر في غـايـة الخطورة ، فعلى كل مسلم أن يحرر نفسه وأن يحاسبها على كلماته وتصرفاته وأفعالـه ، وكان بعض شيوخنـا كثيرًا مـا يستشهـدنـا على تجديد نكاحه بعد أن يأخذ وكالة من زوجته خشية أن يكون قـد خرج على لسـانـه أو تصرف تصرفًا وهو لم يشعر بخطورتـه ، ويكفي أن نتلى الحـديث الشريف الصحيح لنزيـد في مراقبة أنفسنا ومحاسبتها : « إن العبد ليتكلم بـالكلمـة من سخـط الله لا يلقى لهـا بالاً يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفًا » (١) .

فأول ما يدخل في هذا الحديث مثل هذه المعاني التي نتحدث عنها ، قال تعـالى : ﴿ **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين ٭الذين ينقضون عهـد الله من بعد ميثـاقـه ويقطعـون مـا أمر الله بـه أن يـوصـل ويفسـدون في الأرض أولئـك هم الخاسرون** ﴾ (٤) .

---

(١) البخاري (١١ / ٣٠٨) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ٢٣ ـ باب حفظ اللسـان . ومن كان يؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت .

مسلم (٤ / ٢٢٩٠) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ٦ ـ باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار .

الترمذي (٤ / ٥٥٧) ـ ٣٧ ـ كتاب الزهد ـ ١٠ ـ باب فين تكلم بكلمة يضحك بها الناس .

(٢) آل عمران : ٩٠ .

(٣) الصف : ٥ .

(٤) البقرة : ٢٦ ، ٢٧ .

وسنذكر في هذا الفصل بعض نصوص السنة التي تذكر أصل هذا الموضوع وهو نواقض الشهادتين ، ثم نذكر بعض هذه النواقض بإيجاز .

النصوص

٣٨٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: « السلامُ عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لاحقُون، وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا ». قالوا: أولَسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: « أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بَعْدُ ». قالوا: كيف تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يأت بَعْدُ من أمتك يا رسول الله؟ قال: « أرأيْت لو أن رَجُلاً له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألا يعرف خيلَه ». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « فإنهم يأتون غُرًّا مُحجَّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُهم على الحوض، فَلَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي، كما يُذَادُ البَعير الضالُّ، أُناديهم: ألا هَلُمَّ. فيقال: إنهم قد بَدَّلوا بعدَك؟ فأقول: سُحقًا، سُحقًا ».

أقول (التبديل) : تحتمل ههنا البدعة وتحتمل الفسوق العملي وتحتمل الردة، والنص هٰهنا: في الأمة المحمدية عامة وفي هذه الأمة وُجد مبتدعة وفساق ومرتدون.

٣٨١ - * روى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: « إني على الحوض أنظُر مَنْ يَرِدُ عَليَّ منكم، وسيؤخذُ ناس دُوني، فأقول: ياربِّ، مني ومن أُمتي ».

وفي رواية (١) « فأقول: أصحابي. فيقال: هل شَعَرْتَ ما عَمِلوا بعدك؟ والله ما بَرِحوا يَرْجعون على أعقابهم ».

أقول: هناك ناس ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ وقتلوا أو ماتوا على الردة، فالمراد

---

٣٨٠ - مسلم (١ / ٢١٨) - ٢ - كتاب الطهارة - ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الضوء.

بهم: البُهم: جمع بهيم، وهو اللون الواحدُ الذي لا يشاركه فيه لون آخر، أسود كان أو غيره.

ليُذادنَّ: ذدتُ فلانًا عن كذا: إذا دفعتُه عنه، أذوده ذودًا.

سُحْقًا: تقول: سحقًا لفلان، أي: بعدًا له، والسحق: البعد.

٣٨١ - البخاري (١١ / ٤٦٦) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٥٣ - باب في الحوض. وقول الله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾.

مسلم (٤ / ١٧٩٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(١) البخاري ومسلم، الموضع السابق.

بالنص هؤلاء ، والله أعلم . ولم يرتد من الصحابة الحقيقيين أحد ، وإنما ارتد بعض جفاة الأعراب ، ومع ذلك فقد رجع قسم كبير منهم إلى الإسلام فتابوا وحسنت توبتهم ، وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالرجوع : القهقرى ، أي إن البعض تأخر عما كان عليه في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فواقع بعض الناس مالا يستأهلون معه الورود إلى الحوض .

٣٨٢ ـ * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ وهو بين ظَهْرَانَيْ أصحابه : « إني على الحوض أنتظر مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ ، فوالله لَيُقْطَعنَّ دُوني رجالٌ ، فلأقُولَنَّ : أيْ ربِّ ، مِني ومن أُمَّتي . فيقول : إنك لا تدري ما عَمِلوا بعدَك ، مازالوا يرجِعُون على أعقابهم » .

٣٨٣ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَرِدُ عَلَيَّ يومَ القيامة رَهْطٌ من أصحابي » ـ أو قال : « من أُمَّتي ـ فَيُحَلَّؤُون عن الْحَوْضِ ، فأقول : ياربِّ ، أصحابي. فيقول : إنه لا عِلْمَ لك بما أحدثوا بَعدَك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القَهْقَرى » . وفي رواية [1] : « فَيُجْلَوْن » .

الظاهر من هذا النص أن بعض الروايات فين يرد عن الحوض رواها بعضهم بالمعنى ، فذكر أحيانًا الأمة ، وأحيانًا الصحابة ، ورجح بعضهم من خلال الاستقراء أن المراد بهذه النصوص كلها الأمة ولكن تشبث زائغو القلوب بكلمة الأصحاب والصحابة ليطعنوا بالصحابة رضوان الله عنهم ، ونحن نعتقد أن الصحابة كلهم عدول ، وعلى فرض أن المراد ببعض النصوص الصحابة فهؤلاء لا تتوافر فيهم شروط الصحبة في الاصطلاح ؛ لأن من شرط ثبوت الصحبة أن يجتمع برسول الله ﷺ مؤمنًا به ويموت على ذلك ، ومن ارتد فمات كافرًا لا يعتبر من الصحابة ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في الموقف يسميهم صحابة بالنسبة لمعرفته لذلك في الدنيا .

---

٣٨٢ ـ مسلم ، الموضع السابق .

ليقتطعن : الاقتطاع : أخذ طائفة من الشيء ، تقول : اقتطعت طائفة ، من أصحابه : إذا أخذتهم دونه .

٣٨٣ ـ البخاري (١١ / ٤٦٥) ، الموضع السابق

(١) البخاري (١١ / ٤٦٤) ، الموضع السابق .

وإنما أوردنا هذه النصوص في بحث نواقض الشهادتين للإشعار بأن هناك ناسًا يدخلون الإسلام ثم يرتكبون ناقضًا من نواقض الشهادتين .

وللبخاري [١] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « بينا أنا قائم على الحوض ، إذا زُمْرَةٌ ، حتى إذا عَرفْتُهُمْ خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هَلُمَّ فقلتُ : إلى أين ؟ فقال : إلى النار والله . فَقُلْتُ : ما شأنهم ؟ فقال : إنَّهم قد ارتدُّوا على أدبارهم القَهقَرى . ثم إذا زُمرةٌ أخرى ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال لهم : هَلُمَّ . قلتُ : إلى أين ؟ قال : إلى النار والله . قلتُ : ما شأنُهم ؟ قال : إنَّهم قدِ ارتدُّوا على أدبارهم . فلا أراه يخلص منهم إلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَم » .

ولمسلم [٢] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « تَرِدُ عَليَّ أمتي الحوضَ ، وأنا أذُودُ الناس عنه ، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبله » . قالوا : يا نبيَّ الله تَعْرِفُنا ؟ قال : « نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تَرِدُونَ غُرًّا مُحَجَّلين مِن آثار الوضوء ولَيُصَدَّنّ عَني طائفةٌ منكم ، فلا يَصِلون ، فأقول : يارب ، هؤلاء من أصحابي ، فيجيبني مَلَكٌ ، فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ » .

وفي أخرى [٣] قال : « إن حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ من عَدَنٍ ، لَهُوَ أشد بياضًا مِنَ الثلج ، وأحْلَى مِنَ العَسل باللبن ، ولآنيتُهُ أكثر مِنْ عدد النجوم ، وإني لأَصُدُّ الناس [عنه] كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبلَ الناس عن حَوضِه » . قالوا : يارسولَ الله ، أتعرفُنا يومئذ ؟ قال : « نعم ، لكم سِيما ليست لأحدٍ من الأُمَم ، تردُون عَليَّ غُرًّا محَجَّلين

---

(١) البخاري (١١ / ٤٦٥) ، الموضع السابق .

(٢) مسلم (١ / ٢١٧) - ٢ - كتاب الطهارة - ١٢ - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء .

(٣) مسلم ، الموضع السابق .

فَيُحَلَّؤونَ : أي : يُدفعون عن الماء ، ويُطردون عن وروده ، ومن رواه « فَيُجْلَوْنَ » بالجيم ، فهو من الجلاء : النفي عن الوطن ، وهو راجع إلى الطرد .

زمرة الزمرة : الجماعة من الناس .

همَل النعم النَّعَم الهمَل : الإبل الضالة ، والمعنى : أن الناجي منها قليل كهَمَل النَّعم .

لأصدُّ الصَدُّ : المنع .

سيما السِّيما : العلامة .

مِنْ أثر الوضوء » .

• ٣٨٤ - * رَوى البخاري ومسلم عن أبي قِلابَة أن ثابتَ بنَ الضحاك رضي الله عنه أخبَره أنه بايَعَ رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، وأنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَف على يمينٍ بملةٍ غير الإسلام كاذبًا متعمّدا ، فهو كما قال ، وَمَنْ قتل نفسه بشيء عُذِّبَ به يوم القيامة ، ولَيْس على الرجل نَذْرٌ فيما لا يَملِكُ » .

. زاد في رواية (١) : « ولَعْنُ المؤمنِ كقَتْلهِ ، ومَنْ رَمَى مُؤمنًا بكُفْرٍ فهو كقتله ، ومَنْ ذَبَحَ نفْسَهُ بشيء ذُبِحَ به يومَ القيامة » .

وزاد في أخرى (٢) : « ومن ادَّعى دَعوى كاذبةً لِيتكثَّر بها ، لم يَزِدْه اللهُ إلا قِلَّة » .

وفي رواية الترمذي (٣) : أن النبيَّ ﷺ قال : « ليس على المرءِ نذر فيما لا يَمْلِكُ ، ولاعِنُ المؤمن كقاتله ، ومن قَذَفَ مؤْمنًا بكفر فهو كقاتله ، ومَنْ قَتَل نَفسَه بشيء عذَّبه الله بما قتل [به] نفسَهُ يومَ القيامة » .

٣٨٥ - * روى البزار عن عمرانَ بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافرُ فهو كقتله » .

٣٨٦ - * روى البخاري عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يَرمي رَجُلٌ رَجُلاً بالفسوقِ أو بالكُفر ، إلا ارتدَّتْ عليه إن لم يكنْ

---

٣٨٤ - البخاري (١٠ / ٤٦٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

مسلم (١ / ١٠٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٤٧ - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ...

(١) البخاري (١٠ / ٥١٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٧٣ - باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال .

(٢) مسلم ، الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٥ / ٢٢) ٤١ - كتاب الإيمان ١٦ - باب ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٣٨٥ - كشف الأستار (٢ / ٤٣١) .

قال في المجمع (٨ / ٧٣) : رواه البزار ورجاله ثقات .

٣٨٦ - البخاري (١٠ / ٤٦٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

صاحبُه كذلك » .

٣٨٧ ـ * روى أحمد عن أبي ذّر أنـه سَمِع رسـولَ الله ﷺ يقـول : « لا يرمى رجـل رجلاً بالفُسوق ولا يَرمِيه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكنْ صاحبُه كذلك » .

٣٨٨ ـ * روى البخاري عن ابن عباسٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ » .

٣٨٩ ـ * روى أبو داود عن عبدِ اللهِ بن بُرَيْدَةَ ، عن أبيه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ إنِّي بَريءٌ مِنَ الإسلام فَإنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُو كَمَا قالَ ، وَإنْ كانَ صـادقًا لَمْ يَعُدْ إلَيْهِ الإسلامُ سالِمًا » .

٣٩٠ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي مـوسى الأشعري قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « مَنْ حَمَلَ علينا السلاحَ فليس مِنا » .

وسيمر معنا في حد الردة في القسم الخامس نصوص تتعلق بالردة وأحكامها .

---

٣٨٧ ـ أحمد (٥ / ١٨١) . كشف الأستار (٢ / ٤٣١) .

قال في المجمع (٨ / ٧٣) : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

٣٨٨ ـ البخاري (٦ / ١٤٩) ـ ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٤٩ ـ باب لا يُعذِّب بعذاب الله .

أحمد (١ / ٢١٧) .

ابن ماجه (٢ / ٨٤٨) ـ ٢٠ ـ كتاب الحدود ـ ٢ ـ باب المرتد عن دينه .

٣٨٩ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٤ ، ٢٢٥) ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

ابن ماجه (١ / ٦٧٩) ـ ١١ ـ كتاب الكفارات ـ ٣ ـ باب من حلف بملة غير الإسلام .

المستدرك (٤ / ٢٩٨) . وإسناده لا بأس به .

٣٩٠ ـ البخاري (١٣ / ٢٣) ـ ٩٢ ـ كتاب الفتن ـ ٧ ـ باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

مسلم (١ / ٩٨) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٤٢ ـ باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

الترمذي (٤ / ٥٩ ، ٦٠) ـ ١٥ ـ كتاب الحدود ـ ٢٦ ـ باب ما جاء فيمن شهر السلاح .

ابن ماجه (٢ / ٨٦٠) ـ ٢٠ ـ كتاب الحدود ـ ١٩ ـ باب من شهر السلاح .

وهو عند ابن ماجه بلفظ : « من شَهَرَ » .

مسائل وفوائد

في نواقض الشهادتين وتعداد بعضها

١ ـ لقد كُتِبتْ الكتب الكثيرة في المكفرات وفي موجبات الردة ، وندر أن يوجد كتاب فقهي جامع إلا وفيه كلام طويل عن الردة وأحكامها وما يؤدي إلى الردة ، وذكرنا في كتابنا : « الإسلام » حوالي عشرين ناقضًا من نواقض الشهادتين ، وقد اشتطَّ ناسٌ في موضوع التكفير حتى تجاوزوا الحدود العلمية والفقهية في هذا الشأن ، فاقتضى ذلك تنبيهًا ؛ لأن المسارعة إلى التكفير ليست خلق أهل السنة والجماعة ، فأهل السنة والجماعة لا يكفرون إلا بما يوجب التكفير قطعًا ، فالهجوم على التكفير خطر ، إلا فيما كان واضحًا وضوح الشمس لا يحتمل تأويلاً أو ما حكم فيه أهل الفتوى أنه ردة .

ولما كان الإيمان التصديق بجميع ما جاء به الرسول ﷺ بدليل قاطع ، كان الكفر نقيض الإيمان ، فالكفر إذن هو عدم التصديق ولو بشيء مما جاء عن النبي ﷺ ووصل إلينا بطريق يقيني .

قال الرازي في تفسيره : (الكفر عدم تصديق الرسول ﷺ بشيء مما علم بالضرورة مجيئه) .

٢ ـ نواقض الشهادتين على أنواع ، فمنها الاعتقادي ومنها الفعلي ومنها القولي .

فمن النواقض الاعتقادية مما يدخل في باب الألوهيات : إنكار الخالق سبحانه وتعالى ، وإنكار صفة من صفات الكمال ، أو وصفه بما هو منزه عنه ؛ كوصفه بأنه ثالث ثلاثة ، أو أنه جسد ، أو أنه غير محيط علمًا بكل شيء ، أو وصفه بأن له ولدًا أو صاحبةً ، وشريكًا أو معاونًا ، أو وصفه بصفة من صفات النقص كالجهل والعجز والتعب ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ومن النواقض الاعتقادية فيما يتصل بالنبوات : إنكار الأنبياء الذين ورد الخبر القاطع بالإعلام بهم أو إنكار أحدهم ، أو إنكار عموم رسالة محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين .

ومما يدخل في النواقض الاعتقادية مما يتصل بالسمعيات : إنكار البعث والقيامة بالروح والجسد ، أو اعتقاد أن النعيم والعذاب روحاني لا صلة للجسم بذلك ، وأيضًا إنكار الملائكة والجن والكتب السماوية إجمالاً ، أو إنكار القرآن ولو آية من آياته .

ومما يتصل بالنواقض الاعتقادية إنكار الأركان الخمسة من الصلاة والزكاة .

٣ - ومن صور نواقض الشهادتين جحود أمر معلوم من ديننا بالضرورة وهو ما يعرفه عوام المسلمين وخواصّهم ، وهو ما يثبت بالقرآن الكريم وكان قطعي الدلالة ، أو بالسنة المتواترة القطعية الدلالة وليس فيه شبهة ، أو بإجماع جميع الصحابة المتواتر إجماعًا قطعيًا قوليا غير سكوتي ، وكذلك إذا استباح محرمًا مجمعًا على تحريمه معلومًا من الدين بالضرورة .

يقول الإمام النووي : وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئًا مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرا كالصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الزنا والخمر ، ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام ، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا أنكر شيئًا منها جهلاً به لم يكفر .. فأما ما كان الإجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة ، كتحريم نكاح المرأة وعمتها وخالتها ، وأن القاتل عمدا لا يرث ، وأن للجدة السدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة .

٤ - ومن المكفرات القولية أن يقول ما لا يجوز مما يستحيل على الله عز وجل ، كالوصف بالجهل وغير ذلك ، أو الاستهزاء بشيء من أركان الإيمان أو الإسلام أو أن يقول إنه غير مقتنع بجدوى الزكاة أو يقول إنه غير مقتنع بأن الإسلام فيه السعادة للإنسان وأنه يكفي لإقامة الحياة ، وكذلك الاعتراف بالعقائد الكافرة ، وكذلك الاعتراض على عدل الله وقضائه وقدره واتهامه بالجور سبحانه وتعالى .

٥ - ومن المكفرات الفعلية : تعليق شعار الكفر على نفسه من غير اضطرار مع الاستحباب ، أو تمزيق المصحف للإهانة أو رميه في القاذورات أو السجود لصنم .

٦ - ومما ينقض دعوى الشهادتين :

ا - التوكل والاعتماد على غير الله إذا أخذ طابع الاعتقاد : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ (١) .

ب - عدم اعتراف الإنسان بأن كل نعمة هو فيها ظاهرة وباطنة حسية ومعنوية هي من فضل الله ، وأن ما يصيبنا هو من الله وأنه المانع والمعطي .

جـ - إعطاء غير الله حق الأمر والنهي المطلقين والتحليل والتحريم وحق التشريع المطلق : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ (٢) ، ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ (٣) .

د - ومما ينقضها : استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وجعل الدنيا هدفه الوحيد إن كان ذلك عن كفر بالآخرة : ﴿ **وويل للكافرين من عذابٍ شديدٍ * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ (٤) .

هـ - ومما ينقض دعوى الشهادتين تحليل ما حرم الله أو استحلاله ، وتحريم ما أحل الله مما لا خلاف بين أئمة الاجتهاد في حله :﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرآم لتفتروا على الله الكذب ...** ﴾ (٥) .

و - ومما ينقض دعوى الشهادتين موالاة الكفار وأهل النفاق وكراهية أهل الإيمان والتوحيد ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ...** ﴾ (٦)

٧ - ومن صور نقض الشهادتين الحكم بغير ما أنزل الله على تفصيلاتٍ للفقهاء في ذلك ، قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية : وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله

---

(١) المائدة : ٢٣ .
(٢) الأعراف : ٥٤ .
(٣) يوسف : ٦٧ .
(٤) إبراهيم : ٢ ، ٣
(٥) النحل : ١١٦ .
(٦) المائدة : ٥١ .

فهذا كفر أكبر وقـال ابن كثير عنـد تفسير قولـه تعـالى ﴿ **أفحكم الجـاهليـة يبغون** ﴾ [١] : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى مـا سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحـات التي وضعهـا الرجـال ، بلا مستنـد من شريعـة الله ، كما كان أهل الجـاهليـة يحكمون بـه من الضـلالات والجهـالات ، ممـا يضعـونهـا بـآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسـات الملكيـة المـأخوذة عن ملكهم جنكزخـان الـذي وضع لهم (الياسق) ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذهـا من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتـاب الله وسنـة رسول الله ﷺ ، فمن فعل ذلك منهم ، فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسولـه ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ا.هـ .

وموضوع نواقض الشهادتين واسع لو أردنا أن نتوسع فيه لاقتضى ذلك منا مجلدًا ضخمًا ، ولذلـك نكتفي بهـذه الإشـارات ، وطـالب العلم عليـه أن يتتبع هـذا الشـأن ويتوسع فيـه ليستطيع تصحيح عبارات الناس وأفعالهم واعتقاداتهم ، وما أقل من يمتلك الـدقـة العلميـة في الاعتقادات والتصرفات والأقوال في عصرنا ، حتى إنك لتجـد خطبـاء ومحـاضرين ومـدرسين ودعاة يغلب عليهم الخطـأ ، وأحيـانًا يكون الخطأ اعتقاديًا ، نسـأل الله الحفـظ والسلامـة ، وكذلك لابد من دراسة كتب العقائد كما استقر عليه التأليف عند أهل السنة والجماعة .

* * *

---

(١) المائدة : ٥٠ .

الفصل الثامن عشر

في :

الاعتصام بالكتاب والسنة

وفيه :

مقدمة ونصوص

المقدمة

الكتاب والسنة أصلا الإسلام والإيمان ، فهما ركن من أركان الإيمان ، فمن كفر بالكتاب أو بالسنة فقد كفر بالإسلام كله ، فعلى كل مسلم أن يؤمن بالكتاب والسنة وأن يعظمها ويجلها ويخدمها ، قال تعالى : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ [1] فإذا كان هذا شأن تعظيم الشعائر فكيف بكلام الله ؟ فكيف بوحي الله ؟

كما أنه يفترض على كل مسلم أن يعتقد وجوب التزام الكتاب والسنة ، ومن لم ير ذلك فهو كافر ، ولكن السنة منها المتواتر ومنها ما سوى ذلك ، ومنها ما هو قطعي الثبوت وما هو ظني الثبوت ، ومنها ما هو قطعي الدلالة ظني الثبوت ، وظني الدلالة قطعي الثبوت ، وظني الثبوت ظني الدلالة ، والقرآن كله قطعي الثبوت ، ولكن منه ما هو قطعي الدلالة ، ومنه ما هو ظني الدلالة ، فالحكم بالكفر إنما هو على من أنكر وجوب الالتزام بالكتاب أو السنة أصلاً ، ومن أنكر ما هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة ، ثم بعد ذلك توجد تفصيلات ولذلك نقول : إن تفصيل مدلول الالتزام بالكتاب والسنة بالنسبة لكل نص على حدة منوط بتفسير أهل الحق من أئمة الاجتهاد وأئمة العقائد وأئمة التفسير والسنة ، فهم الذين أعطوا هذا المعنى مضمونه التفصيلي ، ومن تكلم في هذا الشأن من غيرهم أو مخالفًا لاجتهاداتهم فإنه يَسِف أو يَضِل أو يُخْطِئ على حسب نوع الكلام الذي يقوله وحكمهم عليه .

وقد توزعت أقوال الأئمة المرتبطة بموضوع الالتزام بالكتاب والسنة في كتب العقائد والفقه وأصول الفقه وأصول علم التفسير وأصول علم الحديث ، والعالِم المحيط بهذه العلوم هو الذي يدرك تفصيلات المراد بالتزام بالكتاب والسنة ، فالالتزام بالكتاب والسنة يعني الالتزام بالإجماع والقياس والعرف الصالح والمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب ، وهناك قواعد تضبط الفهم وتضبط كيفية استنباط الحكم ، وهناك قواعد للترجيح بين الأدلة ، وهذا وغيره من كلام الأئمة كله تفصيل دقيق للمراد بالتزام الكتاب والسنة .

---

(١) الحج : ٣٢ .

ولقد رفع الخوارج شعار « لا حكم إلا لله » ، وهو شعار صحيح ، ثم وصلوا منه إلى ضلال ، وهناك ناس يرفعون شعار العودة إلى الكتاب والسنة ، ولكن رافق دعوة غلاتهم من الخطأ ما يلغي التراث الفقهي والعلمي ، ويشكك بالأمة والأئمة ، فاقتضى ذلك التنبيه .

وقد حضت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة على الالتزام بهما ، فمن آيات القرآن في ذلك :

﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[١] ، ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾[٢] ، ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[٣] ، ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا** ﴾[٤] ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾[٥] ، ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾[٦] ، ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته** ﴾[٧] . قال الحسن : تدبُّر آياته : اتباعه والعمل بعلمه . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾[٨] يعملون به حق عمل به . ومن قوله تعالى : ﴿ **ومن يَعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانًا فهو له قرين** ﴾[٩] ، قيل معناه : من يعرض عن ذكر القرآن وما فيه من الحكم إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم نعاقبه بشيطان نقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينًا له وقوله ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ...** ﴾[١٠]. (شرح السنة) .

فالإسلام في البداية والنهاية هو التسليم للكتاب والسنة ، والكتاب والسنة فيهما بيان كل شيء مما يحتاجه المكلف ، قال تعالى عن القرآن : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾[١١] ، ﴿ **وتفصيل كل شيء** ﴾[١٢] . فالكتاب والسنة وما انبثق عنهما من فهوم

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) آل عمران : ٣٢ .
(٣) الحشر : ٧ .
(٤) آل عمران : ١٠٣ .
(٥) المائدة : ١٥ ، ١٦ .
(٦) الزمر : ٥٥ .
(٧) ص : ٢٩ .
(٨) البقرة : ١٢١ .
(٩) الزخرف : ٣٦ .
(١٠) الأحزاب : ٣٦ .
(١١) النحل : ٨٩ .
(١٢) يوسف : ١١١ .

صحيحة ، وما استنبط منها بطريقٍ صحيحٍ كل ذلك إسلام ، فالإسلام واسع لأنه ما من قضية من قضايا الحياة إلا ولله فيها حكم ، فالإسلام هو الحياة بكل ما فيها : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [١] ، وكان ولا يزال رمز الدخول في الإسلام هو الشّهادتين ، وكان رسول الله ﷺ يدل الداخلين في الإسلام على معالم كبرى من هذا ليبدأوا عهدهم بالإسلام فيها ، ثم لتكون هي البداية في السير على ضوء الكتاب والسنة ، وقد غلط من فهم أن مثل هذه النصوص هي الدين كله ، فَذِكْرُ الخاصّ وإرادةُ العامّ أو ذِكْرُ العامّ وإرادةُ الخاصّ ، وذِكرُ الجزء وإرادةُ الكلّ وذِكرُ الكلّ وإرادةُ الجزء هي بعض أساليب الخطاب التي تعرفها العرب بفطرتها ، والراسخون في العلم يضعون الأمور في مواضعها ، وهذه بعض النصوص التي تحض على التزام الكتاب والسنة .

---

(١) الأنفال : ٢٤ .

النصوص

٣٩١ - * روى البخاري عن ابن مسعودٍ قال : أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسنُ الهَدْيِ هديُ محمد ﷺ وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

٣٩٢ - * روى الترمذي عن المِقْدامِ بنِ مَعْدِ يكَرِب رفعه : « ألا هل عسى رَجُل يَبْلُغُه الحديثُ عني وهو متكئ على أريكَتِه فيقول : بيننا وبينكم كتابُ الله ، فما وجدنا فيه حَلالاً استَحْلَلْناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرّمناه . وإن ما حَرَّمَ رسولُ الله كما حرم الله » .

ولأبي داود (١) : « ألا وإني أوتيت الكتاب ومثلَه معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته » .

٣٩٣ - * روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رفعه : « وايْمُ اللهِ لقد تَرَكْتُكُم على مثلِ البيضاء ليلُها ونهارُها سواءٌ » .

٣٩٤ - * روى مالك بن أنس رحمه الله أنه بَلَغَهُ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « تَرَكْتُ فيكم أمرَيْن لنْ تَضلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بها : كتابَ الله ، وسنةَ رسوله » .

---

٣٩١ - البخاري (١٣ / ٢٤٩) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢ - باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ .

٣٩٢ - الترمذي (٥ / ٣٨) - ٤٢ - كتاب العلم - ١٠ - باب ما نُهِي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ .

وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(١) أبو داود (٤ / ٢٠٠) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .

بنحو ما عند الترمذي .

ابن ماجه (١ / ٦) المقدمة - ٢ - باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه .

ورواية أبي دواد أتم من رواية الترمذي وابن ماجه .

٣٩٣ - ابن ماجه (١ / ٤) - المقدمة - ١ - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

ورجاله ثقات .

٣٩٤ - الموطأ (٢ / ٨٩٩) - ٤٦ - كتاب القدر - ١ - باب النهي عن القول بالقدر .

ويشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (١ / ٩٣) بسند حسن فيتقوى به .

٣٩٥ - * روى الترمذي عن زيد بن أرْقَم رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « إنّي تَارِكٌ فيكم ما إن تَمسَّكْتُمْ به لن تَضِلُّوا بعدي ، أَحدُهما أَعظَمُ من الآخر ، وهو كتابُ الله ، حبلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأَرض ، وعِتْرَتي أَهل بيتي ، لنْ يَفترقا حتى يرِدَا عَلَيَّ الحوضَ ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ؟ » .

٣٩٦ - * روى أبو داود عن عبد الرَّحمن بن عمرو السُّلَمِي وحُجْر بن حُجْر ؛ أتينا العِرباض بن سَارِيَة رضي الله عنه ، وهو مِمَّن نَـزَل فيه ﴿ **ولا عَلَى الذين إذا ما أتوك لِتحملهُم قلتَ لا أجدُ ما أحْمِلكم عليه** ﴾ [1] فَسلمنا ، وقُلنا : أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومُقْتَبِسَيْن ، فقال العِرباضُ : صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ ، ثم أَقبلَ علينا بوجهه ، فوعَظَنا موعظةً بَليغةً ، ذَرَفتْ منها العيون ، وَوجِلتْ منها القلوبُ ، فقال رجل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظةُ مودِّع ، فماذا تَعْهدُ إلينا ؟ قال : « أُوصيكم بتَقْوَى الله . والسَّمْع والطَّاعة ، وإنْ عَبْدًا حبشيًا ، فإنه من يَعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاءِ الراشدينَ المهدِيِّين ، تمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ ،

---

٣٩٥ - الترمذي (٥ / ٦٦٣) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٢ - باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ .
وقال : هذا حديث حسن غريب .
٣٩٦ - أبو داود (٤ / ٢٠١) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .
الترمذي (٥ / ٤٤) - ٤٢ كتاب العلم - ١٦ - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .
وفي آخره تقديم وتأخير .
ورواه أيضًا أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) .
وإسناده صحيح .
(١) التوبة : ٩٢ .
مقتبسَيْن : الاقتباس في الأَصل : أَخْذُ القبس من النار ، وأراد به : الأَخذ من العلم والأَدب .
ذرفت : العينُ تذرفُ : إذا دَمعت .
وَجِلتْ : وَجِل القلبُ يَوجَلُ : إذا خاف وفَزِع ، والوجَلُ : الفزع .
تعهد : عهد إليه بكذا يعهد : إذا أُوصى إليه .
وإنْ عَبْدًا حبشيًا : أي : أَطِعْ صاحبَ الأمر ، واسمع له ، وإن كان عبدًا حبشيًا ، فحذف « كان » وهي مرادة .
الراشدين : الراشد : اسم فاعل من رَشِدَ يَرْشَدُ ، ورَشَد يرْشُد رشدًا ، وهو خلاف الغَيّ ، وأرشدتُه أنا : إذا هديته .
المهديين : المهدي : الذي قد هداه الله إلى الحق ، هداه يَهديه فهو مَهدِيٌّ ، والله هاديه .
وعَضُّوا عليها بالنواجذ : النَّواجذُ : الأَضراس التي بعد الناب ، جمع ناجذ ، وهذا مَثَلٌ في شدَّةِ الاستمساك بالأَمر ، لأن العَضَّ بالنَّواجذ عَضٌّ بمعظم الأسنان التي قبلهاوالتي بعدها .

=

وإياكم ومُحْدَثاتِ الأُمور ، فإنَّ كلَّ مُحْدَثَة بدْعةٌ ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ » .

٣٩٧ ـ * روى البزار عن ابن مسعود قال : عليكم بهذا القرآن فإنه مَأْدُبَةُ الله فمن استطاع منكم أن يأخذ مأدبة الله فليفعلْ فإنما العلم بالتعلم .

٣٩٨ ـ * روى الطبراني عن مَعْقِل بن يسار رفعه : « اعملوا بالقرآن ، وأحِلُّوا حَلاله وحَرِّموا حَرَامَه ، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابَهَ عليكم فردوه إلى الله وإلى ولي الأمر من بعدي كيما يُخْبِرَكم ، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أُوتي النبيون من ربهم ، وليشفيكم القرآنُ وما فيه من البيان فإنه شافع مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّق ولكل آية منه نور إلى يوم القيامة ، أما إني أُعطيتُ سورة البقرة من الذكر ، وأُعطيت طه والطور من ألواح موسى ، وأعطيتُ فاتحةَ الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كَنْزٍ تحتَ العَرش ، وأُعطيتُ المُفَصَّل نافلةً » .

وفي رواية (١) : « فما اشتبه عليكم منه فأسألوا عنه أهل العلم يخبروكم » .

٣٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ به كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتى قَوْمًا ، فَقَالَ : يَاقَوم إنِّي رَأَيْتُ الجيْشَ بعَيْني ، وإني أَنَا النَّذيرُ العُرْيَانُ ، فَالنَّجاءَ ، فأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَومه ، فَأَدْلَجُوا ، فَانْطَلَقوا عَلى مَهْلِهِم ، فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُم الجيْشُ ، فَأَهْلَكَهُمْ واجْتَاحَهُمْ ، فَذَلِك مَثَلُ مَنْ أَطَاعَني ، فَاتَّبَع مَا جِئتُ بِه ، ومَثَلُ مِنْ عَصَاني ، وكَذَّبَ بِما جِئْتُ بِه مِنَ الحَقِّ » .

= محدثات الأمور : ما لم يكن معروفًا في كتاب ولا سنة ولا إجماع .

٣٩٧ ـ كشف الأستار (١ / ٩٢) .

قال في المجمع (١ / ١٢٨) : رجاله موثقون .

٣٩٨ ـ المعجم الكبير (٢٠ / ٢٢٥) .

(١) مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبيد الله بن أبي حميد أجمعوا على ضعفه . ا هـ من المجمع . وهو حسن لتعدد رواياته .

٣٩٩ ـ البخاري (١٣ / ٢٥٠) ـ ٩٦ ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ ٢ ـ باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، وقول الله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٨٨) ـ ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٦ ـ باب شفقته ﷺ على أمته ، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم .

٤٠٠ - * روى أحمد عن يحي بن ميمون الحضرمي أن أبا موسى الغافقي سمع عقبة بن عامر الجهني يحدث على المنبر عن رسول الله ﷺ أحاديثَ ، فقال أبو موسى : إن صَاحبكم هذا لحافظٌ أو هالك إنَّ رسولَ الله ﷺ كان آخرَ مَا عَهدَ إلينا أن قال : « عليكم بكتاب الله ، وستَرْجِعون إلى قوم يُحبون الحديثَ عني ، فمن قال علي ما لم أقلْ فليتبوأْ مَقْعَدَه من النار ومن حفظ شيئًا فليحدِّثْ به » .

٤٠١ - * روى البزار عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحلَّ الله في كتابه فهو حَلالٌ ، وما حَرَّمَ فهو حرامٌ ، وما سكتَ عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا » . ثم تلا ﴿ **وما كان ربك نسيًا** ﴾[1] .

٤٠٢ - * روى مالك عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم : أن تَعْبُدوه ولا تُشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبلِ اللهِ جميعًا ، وأن تُناصِحُوا من ولَّى اللهُ أمرَكم . ويَسخطُ لكم : قيل وقال ، وإضاعةَ المالِ ، وكثرةَ السؤالِ » .

٤٠٣ - * روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري ، قال خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوبٌ فقال : « أطيعوني ما كنت بين أظهُرِكم وعليكم بكتابِ الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه » .

---

٤٠٠ - أحمد (٤ / ٣٣٤) .

كشف الأستار (١ / ١١٧) .

قال في المجمع (١ / ١٤٣ ، ١٤٤) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٤٠١ - كشف الأستار (٢ / ٥٨) .

قال في المجمع (١ / ١٧١) : رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون .

(١) مريم : ٦٤ .

٤٠٢ - الموطأ (٢ / ٩٩٠) - ٥٦ - كتاب الكلام - ٨ - باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين .

وروى مسلم نحوه (٣ / ١٣٤٠) - ٣٠ - كتاب الأقضية - ٥ - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة .

٤٠٣ - مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

٤٠٤ ـ * روى الطبراني عن ابن شَرِيحٍ الخُزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » قالوا : بلى . قال : « إن هذا القرآن طَرَفُهُ بيدِ الله وطَرَفُهُ بأيديكم فَتمسكوا به فإنكم لن تَضلوا ولن تهلِكوا بعده أبدًا » .

* * *

٤٠٤ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٦٩) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

الفصل التاسع عشر
في
التمسك بالسنة
وفيه
التحذير من البدعة وأهلها

النصوص

٤٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة ، رفعته : « مَنْ أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ » .

٤٠٦ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال : اتبعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفيتم .

٤٠٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : ما أتى على الناس عامٌ إلا أحدثوا فيه بدْعة وأماتوا فيه سُنّةً ، حتى تحيا البِدَعُ وتموتَ السُّنَنُ .

٤٠٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حَجَبَ التوبَة عن كل صَاحِبِ بدعَة » .

أقول : أي إن صاحب البدعة لا تقبل توبته حتى يتوب من بدعته .

٤٠٩ - * روى أحمد عن ابنِ مسعودٍ قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا ، ثم قال : « هذا سبيلُ الله » . ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سُبُلٌ على كلّ سبيلٍ مِنها شيطان يدعو إليه » . ثم تلا : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

---

٤٠٥ - البخاري (٥ / ٣٠١) - ٥٣ - كتاب الصلح - ٥ - باب إذا اصطلحوا على صلح جَور فالصلح مردود .

مسلم (٣ / ١٣٤٣) - ٣٠ - كتاب الأقضية - ٨ - باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور .

أبو داود (٤ / ٢٠٠) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .

رد : أي مردود من قبلنا وعلى صاحبه ، وكل ما أجازه الأئمة المجتهدون أو أحدهم لايُعْتَبَرُ بِدْعَةً ، وما عليه الراسخون في العلم مِنْ فَهْمٍ لنصوص الكتاب والسنة لا يُعتَبَرُ بدعة .

٤٠٦ - المعجم الكبير (٩ / ١٦٨) .

قال في المجمع (١ / ١٨١) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

٤٠٧ - المعجم الكبير (١٠ / ٣١٩) .

قال في المجمع (١ / ١٨٨) : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

٤٠٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ١٨٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة .

٤٠٩ - أحمد (١ / ٤٦٥) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢) . وقال : رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف .

المستدرك (٢ / ٣١٨) . وصححه . ووافقه الذهبي .

٤١٠ - * روى أحمد عن مجاهدٍ قال : كنا مع ابن عمر في سفر فمر بمكان فحاد عنه فسئل : لم فعلت ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ فَعَلَ هذا فَفَعَلْتَهُ .

٤١١ - * روى البزار عن مجاهد أن ابن عمر رضي الله عنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فَيَقِيل تحتها ، ويُخْبِرُ أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك .

٤١٢ - * روى أبو داود عن معاذٍ : إنَّ وراءكم فِتَنًا يَكْثُرُ فيها المال ، ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخُذَه المؤمنُ والمُنافقُ ، والرجلُ والمرأةُ ، والعبدُ والحرُّ ، والصغير والكبيرُ ، فَيُوشِكُ قائلٌ أن يقولَ : ما للناس لا يتَّبعوني وقد قرأتُ القرآن ؟ وما هم بِمُتَّبِعِيَّ حتى أبتدعَ لهم غيره ، فإياكم وما ابْتُدع ، فإنما ابتَدَع ضلالةٌ ، وأحذركم زَيْغَةَ الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسانِ الحكيم ، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق ، قال : قلت لمعاذٍ : وما تدري رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالةِ ، وأنَّ المنافق يقول كلمةَ الحق ؟ قال : بلى : اجتنبْ من كلام الحكيم المُشْتَهِراتِ التي يقال : ما هذه ؟ ولا يَثْنِيَنَّك ذلك عنه ، فإنه لعلهُ يُراجع ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سَمِعْتَهُ ، فإنَّ على الحق نورًا .

٤١٣ - * روى أحمد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما أخاف على أمتي الأئمةَ المضلين » .

---

٤١٠ - أحمد (٢ / ٣٢) .

كشف الأستار (١ / ٨١) . وإسناده جيد .

قال في المجمع (١ / ١٧٤) . رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون .

٤١١ - كشف الأستار ، الموضع السابق . وإسناده لا بأس به .

قال في المجمع (١ / ١٧٥) : رواه البزار ورجاله موثقون .

٤١٢ - أبو داود (٤ / ٢٠٢) - كتاب السنة - باب لزوم السنة .

وإسناده صحيح .

زيغة الحكيم : الزَّيغُ ، وأراد به : الميل عن الحق . والحكيم : العالم العارف ، أراد به : الزلل والخطأ الذي يعرض للعالم العارف ، أو يَتَعمَّدُه لقلة دينه .

٤١٣ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

قال في المجمع (٥ / ٢٣٩) : رواه أحمد ورجاله ثقات .

الترمذي (٤ / ٥٠٤) - ٣٤ - كتاب الفتن - ٥١ - باب ما جاء في الأئمة المضلين .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقال عنه السيوطي : حسن .

٤١٤ ـ * روى الطبراني في الصغير عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « يا عائشةُ ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ﴾ (١) هم أصحابُ البدَعِ وأصحابُ الأهواء ليس لهم توبة أنا منهم بريءٌ وهم مني برآء » .

٤١٥ ـ * روى الدارمي عن الحسن وابن سيرين أنها قالا : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم .

٤١٦ ـ * روى الدارمي عن عُمَر بن عبد العزيز قال : سأله رجلٌ عن شيء من الأهواء ، فقال : عليك بدين الأعرابي والغلام في الكُتَّاب والهَ عما سوى ذلك . قال أبو محمد : كَثُر تَنَقُّله أي ينتقل من رأي إلى رأي .

٤١٧ ـ * روى الدارمي عن أبي صادق الأزدي عن ربيعة بن ناجذ قال : قال علي : كونوا في الناس كالنحلة في طيرانها ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناسَ بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالِكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يومَ القيامة مع من أحب .

* * *

---

٤١٤ ـ الروض الداني (١ / ٣٣٨) . وإسناده جيد .

قال في المجمع (١ / ١٨٨) : رواه الطبراني في الصغير و فيه بقية ، ومجالد بن سعيد ، وكلاهما ضعيف .

(١) الأنعام : ١٥٩ .

١٤٥ ـ الدارمي (١ / ١١٠) ـ المقدمة ـ باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة .

وإسناده حسن .

٤١٦ ـ الدارمي (١ / ٩١) ـ المقدمة ـ باب من قال العلم الخشية وتقوى الله .

وإسناده صحيح .

قوله : كَثُرَ تَنَقُّلُهُ : أي من استمع إلى أهل الأهواء فإنه لا يسلم من أن ينتقل من مذهب باطل إلى مذهب باطل آخر .

٤١٧ ـ الدارمي (١ / ٩٢) ـ المقدمة ـ باب في اجتناب الأهواء .

ولا بأس بإسناده .

الفصل العشرون

في :

البدعة

من بـدهيـات الإسلام التمسـك بسنـة رسول الله ﷺ ، كيف لا والله عز وجـل يقـول : ﴿ لقـد كان لكم في رسـول الله أسـوة حسنـة لمن كان يرجـو الله واليـوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [(١)] .

ومن بدهيات الإسلام الحذر من البدعة وكراهيتها ، ولكن هـذين الموضوعين يلبس بها أهل الجهل على المسلمين فاقتضى ذلك تبيينها .

فيا يدخل في التمسك بالسنة : الاقتداء برسول الله ﷺ بـالكليـات والجزئيـات ، وذلـك يقتضي فهم سيرتـه ومعرفـة سننـه ، ولكن درجـات الإلزام في ذلـك يحـددهـا أئمـة الاجتهـاد والفتوى الصحيحة من أهلها ،فهناك سنة عادة وسنة عبادة وسنة دائمة وتشريع مؤقت ، ومـا دام المسلم على فتوى إمام مجتهد أو عالم معتمد فهو على إسلام وعلى سنة وعلى اقتداء برسول الله ﷺ في حده الأدنى أو حده الأعلى ، وما دام المسلم على العقائد الإسلامية كا هي في صريح الكتـاب والسنة وما دام على فهم الراسخين في العلم من الأئمة في المتشابهات فهو على سنـة ، وبـالتـالي لا يعتبر مبتدعًا من كان في المحكات على الكتـاب والسنـة وفي المتشـابهـات والمشتبهـات على مذاهب الراسخين في العلم من أئمة أهل السنـة والجماعـة ، ومن ضلل من تـابع الأئمـة في مثل هذين الأخيرين فقد ضل لأنه يريد أن يلقي بالأمة في أحضـان الجـاهليـة وأن يتهم الأئمـة وحاشاهم .

وأخطر أنواع البدع بدع الاعتقاد التي تخرج الإنسان عن كونـه من الفرقـة النـاجيـة إلى أن يـدخـل في الفرق الثنتين والسبعين التي نص رسـول الله ﷺ على استحقـاقهـا النـار ، ويدخل في الابتداع ابتداع العمل ، ولكن لا نحكم على إنسان في العقائد أنـه مبتـدع مـا دام على فهم الراسخين في العلم للمتشابهات ، قال تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ [(٢)] فالقراءة التي تقف على قوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم ﴾ تفيد إفادة صريحـة كا ذكرناه ، ولا نحكم على عمل أنه بدعه محرمة إلا إذا أجمع أئمـة الاجتهـاد أو أئمـة الفتوى على أنه بدعة ، أما إذا اختلفوا في بدعيته وتحريمه فالأمر واسع بـالنسبـة للعـامي ، وهو أضيق في

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) آل عمران : ٧ .

حق من يعرف مسالك الدليل ، فمن ترجّح لديه أن الدليل الأقوى يوصل إلى البدعية فعليه أن يجتنب ، ولكنه لا يحق له أن يشتد في الإنكار على من يتابع أئمة الاجتهاد أو أئمة الفتوى في مثل هذه الحالة ، فالسير على اجتهاد إمام من أئمة الاجتهاد ، أو على فتوى إمام من الأئمة المعتبرين في الفتوى يخرج صاحبه من إثم الابتداع المحرم أو المكروه ، إلا إذا كان من أهل العلم الذين يعرفون مسالك الأدلة فالأمر في حق مثل هؤلاء أشدُّ ، ولا يصح لواحد منهم أن يشتد على من خالفه مادام على رأي إمام معتمد .

٤١٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بن بشير رضي اللهُ عنهما قالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ ، وإنَّ الحرام بَينٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاس ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبرأَ لِدينِه وعِرْضِه ، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَات وَقَعَ في الحرامِ ، كالرَّاعي يرْعى حَولَ الحِمى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيه . ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمى ، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ . ألا وإنّ في الجَسدِ مُضغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ ، وإذا فَسَدت فَسدَ الجسدُ كُلُّهُ : ألا وهي القَلْبُ » .

دل هذا الحديث على أن بعض مسائل الحرام والحلال مشتبهة لا يعلمها الكثير ، وإذن فالقليل يعلمها وهم الأئمة المجتهدون المستشرفون لنصوص الكتاب والسنة والقادرون على

---

٤١٨ - البخاري (١ / ١٢٦) - ٢ كتاب الإيمان - ٣٩ - باب فضل من استبرأ لدينه .

مسلم (٣ / ١٢١٩) - ٢٢ - كتاب المساقاة - ٢٠ - أخذ الحلال وترك الشبهات .

بين : ظاهر ، وهو ما نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه . وكذلك بالنسبة للحرام .

مشتبهات : مشكلات ، لما فيها من عدم الوضوح في الحل والحرمة بسبب تنازع الأدلة فتشبه مرة الحلال ومرة الحرام .

اتقى الشبهات : أي ابتعد عن المشكلات واجتنبها .

فقد استبرأ لدينه وعرضه : أي طلب البراءة ، أو حصل عليها ، لحفظ دينه من الذم الشرعي ، وعرضه يصونه عن كلام الناس بما يعيبه .

وقع في الشبهات : أي تجرأ عليها وفعلها . وهذا ربما يؤدي به إلى تساهل وجُرْأةٍ يحملانه عادةً على فعل الحرام الظاهر .

الحمى : أي المحمي . وهو المحظور على غير مالكه . وقيل : هو الكلأ الذي يمنعه الحاكم ويتوعد من يرعى فيه .

محارمه : معاصيه التي حرّمها الله تعالى ، وهي الجناية على النفس والعرض والمال وغيرها . كالقتل والسرقة والزنا ... إلخ .

الاستنباط منها ، وعلى هذا فإذا كان أحد العلماء مظنة الاجتهاد وقال قولاً لا يخالف صريح كتاب أو سنة قطعية الثبوت قطعية الدلالة ليس لها معارض ، فللمسلم أن يتابعه ولا حرج ، ولا يكون بذلك مبتدعًا ، فالمبتدع هو من سار في أمر العقائد على غير أقوال الراسخين في العلم ، وفي الفروع على غير أقوال الأئمة المجتهدين ، نفهم ذلك من هذا الحديث في قضايا الحلال والحرام ، ومن قوله تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** ﴾ [١] .

وقد قال الإمام أحمد [٢] عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولو الألباب** ﴾ فقال : « إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عَنَى اللهُ فاحذروهم » .

وفي البخاري [٣] ومسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما يذّكر إلا أولو الألباب** ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم » .

ويدخل في ذلك كل من اتبع المتشابه وترك المحكم .

ويدخل في ذلك فرق الضلال كلّها ، كما سنرى في مباحث لاحقة .

أمّا من تابع الراسخين في العلم من أهل السنّة والجماعة الذين يحملون المتشابه على المحكم فحاشاهم من الابتداع .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) أحمد (٦ / ٤٨) .

(٣) البخاري (٨ / ٢٠٩) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١ باب ﴿ منه آيات محكمات ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٠٥٣) ـ ٤٧ـ كتاب العلم ـ ١ ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ...

أبو داود (٤ / ١٩٨) ـ كتاب السنة ـ باب مجانبة أهل الأهواء .

وقد تشدّد قوم في موضوع البدعة نتيجة لسوء الفهم ، فحكموا على أشياء أجازها أئمة الاجتهاد أو بعضهم على أنّها بدع ضالّة وضللوا أهلها ، وليس لهم ذلك وفهمهم للحديث [1] : « كلّ ما ليس عليه أمرنا فهو رَدّ » فهم مغلوطٌ في هذه الحالة ، فأمْر رسول الله ﷺ هو ما وافق الكتاب والسنّة ، وما أحال عليه الكتابُ والسنّةُ من مسالك الاجتهاد كالقياس والإجماع والاستحسان - عند القائلين به - وتحكيم العرف حيث سكت النصّ - عند القائلين به - وكل ذلك داخل في أمر رسول الله ﷺ ، ولكن لا يحسن كلّ أحد أن يستنبط ما يوافق أمر رسول الله ﷺ إلا من وصل إلى رتبة الاجتهاد أو وصل إلى الإمامة في الفتوى ، أمثال هؤلاء يستطيعون أن يميّزوا بين ماوافق أمر رسول الله ﷺ وأصحابه من اعتقادات وأعمال وما لا يوافق ، وبالتالي ففتوى هؤلاء أو أحدِهم بالموافقة يُخْرِج مَنْ أخذ بفتواه من أن يكون من أهل الابتداع ، وهذا الذي قلناه تشهد له أعمال الصحابة ، فكثيرًا ما حدث أنّ الصحابي كان يقول أو يفعل الفعل بناء على فهمه لشريعة الله ، دون أن يكون هناك نص خاصّ في عمله أو في قوله ، وكان رسول الله ﷺ يعجبه ذلك إن وافق فعلا أمره ، وإلا صحّح وسدّد ، وهذا الذي كان يفعله الصحابة فهمًا من النصوص ، وكان رسول الله ﷺ يقرّه ويعجبه هو الذي يجعلنا نقول : إن كثيرًا من الاجتهادات التي حدثت بعده عليه الصلاة والسلام قد توافق أمره وقد تخالفه ، فمن الذي يحكم عليها ؟ لا شكّ أن أئمة الاجتهاد وأئمة الفتوى المؤهّلين للتمييز بين ما يوافق الأمر وما يخالفه ، فإذا أجمعوا فذلك الذي لايسع مسلمًا أن يخالفه ، وإذا افترقوا فالأمر واسع ، وأحيانًا يحدث فيا بينهم نقاش ثم يستقر الأمر عند الأمّة على شيءٍ متّفق عليه ، فبعد الاتّفاق واستقرار أمر الأمّة على شيء فههنا كذاك لا ينبغي أن يخالف ، ومن خالف كان مبتدعًا .

وقد تتبع بعضهم ما فعله الصحابة ابتداءً دون أمر خاصّ وأقرّهم الرسول - ﷺ - عليه ،

---

(١) البخاري (٥ / ٣٠١) - ٥٣ - كتاب الصلح - ٥ - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود .
مسلم (٣ / ١٣٤٣) - ٣٠ كتاب الأقضية - ٨ - باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور .
أبو داود (٤ / ٢٠٠) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة .
ابن ماجه (١ / ٧) - المقدمة - ٢ - باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه .

وذلك كلّه يشهد لما ذكرناه ، فذكر من ذلك المسائل التالية :

٤١٩ ـ * الحديث الأول : ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبيَّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عِنْد صلاةِ الفجر : « يا بلالُ حَدِّثْني بأرجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسلامِ فإني سمعت دَفَّ نَعْليك في الجنة » . قال : ما عَمِلتُ عَمَلاً أرجى عندي أني لم أتطهّر طَهورًا في ساعة من ليل أو نهار إلا صَليتُ بذلك الطُّهور ما كُتِبَ لي .

وفي حديث الترمذي (١) قاله لبلال : « بِمَ سبقتني إلى الجنة » ؟ قال : ما أَذَّنْتُ قطُّ إلا صليت رَكْعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت ورأيت أن لله علي ركعتين . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « بها نِلْت » . أي تلك المَنْزلةَ .

قال الحافظ ابنُ حجرٍ في الفتح : يُستفاد منه جَوازُ الاجتهاد في توقيتِ العبادة ؛ لأن بلالاً توصل إلى ذكره بالاستنباطِ فصوبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٢) ومثلُ هذا حديثُ خبيب في البخاري وفيه : وهو أول من سنَّ الصلاة لكلِّ مقتول صبرًا رَكْعتين (٣) . فهذه الأحاديثُ صريحةٌ في أن بلالاً وخبيبًا اجتهدا في توقيت العبادة ، ولم يَسْبِقْ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ ولا فعلٌ إلا الطلبُ العام . وإن الصلاة خيرُ موضوعٍ فأقلل منها أو استكثر كما في الحديث ، فلو أن أحدًا أراد إيقاعها في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها لكانت بِدْعَة عند مَنْ يرى عموم النهي ، وغير بدعةٍ عند مَنْ يرى تخصيص النهي بالنفل المطلق ، ومع أن الشافعيةَ رَحِمَهم الله يرون تخصيص النهي بغير المؤقت بذي السبب ، فإنهم اختلفوا في سنة الوضوء فالإمام الغزالي يمنع فِعلَها فيه ، ويقول : يتوضأ

---

٤١٩ ـ البخاري (٣ / ٣٣ ، ٣٤) ـ ١٩ ـ كتاب التهجد ـ ١٧ ـ باب فضل الطهور بالليل والنهار ، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار .

مسلم (٤ / ١٩١٠) ـ ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٢١ ـ باب من فضائل بلال رضي الله عنه .

أحمد (٢ / ٣٣٣) .

(١) الترمذي (٥ / ٦٢٠) ـ ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ١٨ ـ باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال : هذا حديث صحيح غريب .

المستدرك (٣ / ٢٨٥) . وقال : صحيح على شرطهما . وأقره الذهبي .

(٢) فتح الباري جـ ٣ ص ٣٤ .

(٣) فتح الباري : جـ ٧ ص ٣٧٩ .

ليصلي وليس يصلي لأنه توضأ . فليست بذات سبب ، ولكلٍّ نَهْجُهُ وفَهْمُهُ واستدراكه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

٤٢٠ ـ * الحديث الثاني ما رواه البخاري عن رِفاعة بن رافع قال : كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال : « سَمِعَ اللهُ لمن حمده » . قال رجل وراءه ربنا ولك الحَمْدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه . فلما انصرفَ قال : « من المتكلم ؟ » قال : أنا . قال : « رأيت بضْعَةً وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها أيهم يَكْتُبُهَا » .

قال الحافظ في الفتح : يُستَدَلُّ به على جَواز إحداث ذِكْرٍ في الصلاة مأثور إذا كان غير مخالفٍ للمأثور ، وعلى جَواز رفع الصوتِ بالذِّكر ما لم يشوشْ .

ومثله ما رواه الصَّنْعاني عبدُ الرزاق في المصنف [١] عن ابن عمر قال إنَّ رجلاً والناسُ في الصلاة فقال حين وصل إلى الصف : الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحانَ اللهِ بُكْرَةً وأصيلاً . فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته قال : « مَنْ صاحبُ الكلمات ؟ » قال الرجل : أنا يا رسول اللهَ ، والله ما أردتُ بهن إلا الخيرَ . قال : « لقد رأيت أبواب السماء فتحت لهن » . قال ابن عمر . فما تَرَكْتُهن منذ سَمِعْتُهن .

ورواه النسائي [٢] إلا أنه قال : « لقد ابتدرها اثنا عشر ملكًا » . وفي رواية أخرى فيه [٣] قال : « عجبت لها » . وذكر كلمةً معناها : « فتحت لها أبواب السماء » . وفيه قال ابن عمر : ما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله .

---

٤٢٠ ـ البخاري (٢ / ٢٨٤) ـ ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ١٢٦ ـ باب حدثنا معاذ بن فضالة .

(١) المصنف (٢ / ٧٦) .

(٢) النسائي (٢ / ١٢٥) ـ ١١ ـ كتاب الافتتاح ـ ٨ ـ باب القول الذي يفتتح به الصلاة .

(٣) النسائي ، الموضع السابق .

والحديث في مسلم والنسائي وأبي داود عن أنس ، وحديث رفاعة بن رافع الزرقي عند أبي داود أيضًا . وفي أبي داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه قال : عطس شاب من الأنصار خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصلاة فقال : الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركا فيه حتى يرضى ربنا من أمر الدنيا والآخرة فلما انصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من القائل الكلمة » . وفيه : فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فما تناهت دون عرش الرحمن تبارك وتعالى » .

فانظر - وفقنا الله وإياك إلى الحق - كيف أقرّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زيادة ذِكر لم يؤثر عنه في افتتاح الصلاةِ ، وأقرّ فاعِليها بأعلى درجات الإقرار والرضاء ، وذلك لأنّ الموضعين من مواضع الثناء على الله في الصلاة .

والمقصود أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أقر الصحابيين على إحداث أذكار في الصلاة لم تكن مأثورة عنه ، وهذا موضع الاستدلال كما سبق ، وأنه كان اجتهادًا واستنباطًا منهما .

٤٢١ - * الحديث الثالث ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قُبَاء كلما قرأ افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ثم افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلمه أصحابُهُ فقالوا : إنك تَفْتَتِحُ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُكَ حتى تقرأ بأخرى ، فإمّا أن تقرأ بها ، وإما أنْ تدعها وتقرأ بأخرى . فقال : ما أنا بتاركها ، وإن أحببتم أن أؤمّكم فعلت ، وإن كَرِهْتُم تَرَكْتُكم . وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكَرِهوا أن يؤمَّهم غَيْرُه ، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه فقال : « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابُك ، وما يَحمِلُكَ على لزوم هذه السورة في كل رَكْعة » ؟ فقال : إني أُحِبُّها . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « حبك إياها أدخلَكَ الجنةَ » .

قال الحافظ في الفتح : (قوله : ما يَمْنَعُكَ وما يحملك . سأله عن أمرين فأجابه بقوله : إني أحِبُّها . وهو جواب عن السؤال الثاني مستلزمٌ للأول بانضمام شيء آخر إليه وهو إقامة السنةِ المعهودة في الصلاة . فالمانعُ مركب في المحبة والأمر المعهود والحاملُ له على الفعل المحبةُ وحدَها ، ويوحي إلى أن في فِعله زيادةً على فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فدل تبشيره بالجنة على الرضاء بفعله . قال ناصر الدين ابن المنير في هذا الحديث : « إن المقاصد تغَيِّرُ أحكام الفعل لأن الرجل لو قال : إن الحامل له على إعادتها أنه لم يحفظ غيرها . مثلاً ، لأمكن أن يأمره بحفظ غيرها لكنه اعتل بحبها فظهرت صحة قصده فصوبه » .

---

٤٢١ - البخاري (٢ / ٢٥٥) - ١٠ - كتاب الأذان - ١٠٦ - باب الجمع بين السورتين في الركعة .

قال : وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه ولا يُعَدُّ ذلك هجرانًا لغيره ، ومع هذا التقرير من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتبشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بأن فعله هذا سنة ثابتة ، ذلك لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تنبغي المحافظة عليه ، ولكنه يُعطينا الدليل على أن مثل هذا وإن كان في صورته مُخالفةً لفعل الرسول ﷺ في الجملة فإن الامر واسع لا كما يظن البعض ما دام الفعل في إطار المشروع والمطلوب ، [ويدخل في عمومات الشريعة]) .

٤٢٢ ـ * الحديث الرابع روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بعثَ رجلاً على سَريةٍ ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فَيَخْتِمُ بقل هو الله أحد ، فلما رَجَعوا ذَكَروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « سلوه لأي شيء يَصْنَعُ ذلك » . فسألوه ، فقال : لأنها صِفةُ الرحمن وأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أخبروه أن الله يحبه » .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن دقيق العيد : هذا يدل على أنه كان يقرأ بغيرها ثم يقرأها في كل ركعة وهذا هو الظاهر . ويحتمل أن يكون المرادُ أنهُ يختم بها آخِرَ قراءته فيختص بالركعة الأخيرة ا . هـ [1] . أي وكلا الأمرين لم يُعْهَد فعلُهُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك أقره بأعلى درجات الإقرار وهو التبشيرُ بمحبةِ الله له .

ومع كل هذا فلم نعلم أن أحدًا من العلماء قال باستحباب ذلك افتتاحًا كالحديث السابق ، ولا اختتامًا كما هنا ، لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الأفضل ، ولكن إقراره لمثل هذا يُوضحُ سُنَّتَهُ صلى الله عليه وآله وسلم في قبول ما كان مثل ذلك من أوجه الطاعات والعبادات ، ولا يُعتبرُ مثلُهُ حدثًا مذمومًا كما يتسابق المتشددون إلى

---

٤٢٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٤٧) ـ ٩٧ ـ كتاب التوحيد ـ ١ ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى .

مسلم (١ / ٥٥٧) ـ ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ ٤٥ ـ باب فضل قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٥٦) .

التبديع والتضليل في أفعاله . هذا وظاهرٌ من سياق الحديثين (هذا والذي قبله) أنهما قضيتان ، فحديث أنس الأول فيه أن الفاعل لتخصيص هذه السورة إمام قومه في مسجد قباء ، وفي حديث عائشة كان أمير سَريةٍ . وأن هذا كان يختتم بقل هو الله أحد ، وذاك كان يفتتح بها . وهذا بشره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحب الله له ، وذاك بشره بالجنة . فالتعدد فيهما واضح لا يحتمل الجمع ولا التأويل . والأحاديث التي مرت كلها في الصلاة كما ترى ، وهي أهم أعمال العبادات البدنية وفيها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [1] : « صلوا كما رأيتموني أصلي » . ومع ذلك قَبِلَ هذه الاجتهادات لأنها لا تخرجُ عن الهيئة التي حَدَّدَها الشارعُ . [ولأنها داخلة في العمومات التي ندب إلى أصلها الشارع] .فَكلٌّ حَدٌّ لابد من الالتزام به ، وما عدا ذلك فالأمر مُتسِعٌ ما دام داخلاً في الأصل المطلوب . هذه هي سنة الرسول ﷺ وطريقَتُهُ . وهذا في غاية الوضوح . ويؤخذُ منها ما أَصَّلَهُ العلماء أن كل عَمَل يَشْهَدُ له الشرع من الطلب ولم يصادِم نصًّا ولا تترتب عليه مَفْسَدَةٌ فليسَ داخلاً في حدود البدعة ، بل هو من السنة وإن كان غيره أفضل : فالعبادات فيها المفضول وفيها الفاضل ، ولا يعاب ولا يُبَدَّعُ من استروح شيئًا منها مادام الأصلُ عِبادةً . والآن نأتي على شيء من الاجتهادات التي أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غير الصلاة ، لترى كيف أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٤٢٣ ـ *الحديث الخامس : حديثُ الرُّقْيَة . وقد رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رَهْطًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سَفْرَة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبَوا أن يضيفوهم ، فَلُدغَ سيدُ ذلك الحي فسعَوا له بكلِّ شيء ، لا يَنْفَعهُ شيءٌ . فقال بعضُهم : لو أتيتم هؤلاء الرهطَ الذي نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيءٌ فأتوهم فقالوا : ياأيُّها الرهط إن سيدنا لُدغ فسعينا له

---

(١) البخاري (٢ / ١١١) ـ ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ١٨ ـ باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة ...
أحمد (٥ / ٥٣) .
الدارمي (١ / ٢٨٦) ـ كتاب الصلاة ـ باب من أحق بالإقامة .

٤٢٣ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٩) ـ ٧٦ ـ كتاب الطب ـ ٣٩ ـ باب النفث في الرقية .

بكل شيء فهل عند أحدٍ منكم شيءٌ ؟ فقال بعضُهم : نَعم والله إني لراقٍ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلاً فصالحوهم على قطيع مِن الغنمِ ، فانطلقَ فجعل يَتْفُلُ ويقرأ : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . حتى لكأنما نَشِطَ من عِقالٍ فانطلقَ يمشي ما به قَلَبَةٌ . فأَوفَوْهُم جُعْلَهم الذي صَالَحوهم عليه ، فقال بعضُهم : اقْسِموا . وقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَنَذْكُرَ له الذي كان فننظرَ ما يأمُرُنا . فَقَدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال : « وما يُدْريك أنها رُقْيَةٌ . أصبتم اقْسموا واضرِبوا لي معكم بسَهْمٍ » .

قال الحافظ في الفتح في كتاب الإجارَة [١] : قوله « وما يدريك » إلخ هي كلمة تقال عند التعجب من الشيء ، وتستعمَلُ في تعظيم الشيء أيضًا ، وهو لائق هنا . زاد شعبةُ في روايته : ولم يذكر نهيًا . أي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وزاد سليمان بن قتة في روايته بعد قوله : « وما يدريك أنها رُقية » ؟ قلت أُلقي في روعي ا هـ .

وهذا صريح في أن الصحابي لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرُّقْية بالفاتحة ، ولكنه شيء فعله باجتهاده ، ولما لم يكن فيه مخالفةٌ للمشروع أقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن هذه سنتُه وطريقتُه في إقْرار ما كان من الخير ولا تترتبُ عليه مفسدةٌ ، وإنْ لم يكن من عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصًا . وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم بسهم » . كأنه أراد المبالغة في تأنيسهم كما قال الحافظ .

٤٢٤ ـ * الحديث السادس : وقد وقعت للصحابه قصة أخرى في رجل مُصاب في عقله فقرأ عليه بعضُهم فاتحةَ الكتابِ فبرأ .

روى أبو داود من طريق خارجةَ بن الصلت عن عمه : أنه مر بقوم وعندهم رجل مجنون

= الجُعل : هو ما جعل للإنسان من أجر في مقابل شيء .
مابه قَلَبَةٌ : أي مابه أثر من مرض .

(١) فتح الباري (٤ / ٤٥٧) .

٤٢٤ ـ أبو داود (٤ / ١٤) ـ كتاب الطب ـ باب كيف الرقى ؟
وانظر فتح الباري (٤ / ٤٥٥) .

مُوثَقٌ في الحديد ، فقالوا : إنكَ جئتَ من عند هذا بخير ، فارق لنا هذا الرجل . فرقاه بها .

٤٢٥ ـ * **الحديث السابع** : روى أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ على مبتلىً في أذنه فأفاق ، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ما قرأت » ؟ قال : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا ﴾ إلى آخر السورة . فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « لو أن رجلاً موفقًا قرأ بها على جبلٍ لزال » .

وفي الحديث تقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود في قراءته الآيات من آخر سورة المؤمنون على المبتلى ، ولم يكن قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو شيء استنبطه باجتهاده . ولما كان من الخير الذي لا يعارض المشروعَ أقره كصاحب الرُّقيَة عند البخاري ، والتي عند أصحاب السنَن ، وهما قضيتان إحداهما لأبي سعيد الخدري ، والثانية لعم خارجة بن الصلت ، وهذه الثالثة لابن مسعود ، وهناك رابعة عند ابن حبان لعِلاقة بن صُحَار وهي الحديث الثامن .

٤٢٦ ـ * **الحديث الثامن** : روى ابن حبان عن عِلاقة بن صُحَار السليطي التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أقبل راجعًا من عنده فمر على قوم عندهم رجل مُوثق بالحديد ، فقال أهلُهُ : إنه قد حُدِّثْنَا أن صاحبكم قد جاء بخير . فهل عندك شيء ترقيه ؟ فَرَقَيْتُه بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطوني مائة شاة فأتيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « خذها فلعمري لَمَن أكل بُرقْيَة باطلٍ فقد أكلتَه برقية حق » .

٤٢٧ ـ * **الحديث التاسع** : روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ بقل هو الله أحد يُرَدِّدُها ، فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له

---

٤٢٥ ـ مجمع الزوائد (٥ / ١١٥) . وقال : رواه أبو يعلى وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح ، ا هـ من المجمع . ومثله في المطالب العالية للحافظ ابن حجر .

٤٢٦ ـ الإحسان بترتيب ابن حبان (٧ / ٦٣٦) ـ كتاب الرقاء والتمائم ـ باب ذكر بإباحة أخذ الراقي الأجرة على رقيته التي وصفناها .

٤٢٧ ـ البخاري (٩ / ٥٨ ، ٥٩) ـ ١٦ ـ كتاب فضائل القرآن ـ ١٣ ـ باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

ذلك وكأن الرجلَ يتقالُّها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده إنها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن » .

قال الحافظ في الفتح : القارئ هو قتادةُ بن النعمان . أخرجه أحمدُ بنُ طريف بن الهيثم عن أبي سعيد ، قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ لا يزيد عليها . والذي سمعه لعله أخوه لأمه أبو سعيد ، وكانا متجاورين ، وبذلك جزم ابنُ عبد البر . وقد خرج الدارقطني من طريق إسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث بلفظ إن لي جارًا يقوم بالليل فما يقرأ إلا بقل هو الله أحد . ا هـ [1] .

وفي الحديث إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم له على هذا التخصيص والاقتصار على هذه السورة في قيام الليل ، مع ما فيه من التخصيص الذي لم يكن من عمله صلى الله عليه وآله وسلم . وفيه ما في سابقيه برقم ٣ ، ٤ من الدلالة على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار منه ، ولا يعد ذلك هجرانا لغيره . ومع كل هذا فلم نجد من العلماء من قال بأفضلية قيام الليل بها وحدها ، لأن ما كان عليه عمل الرسول ﷺ من القراءة بالقرآن كله أفضل من ذلك ، ولكن عمله وما يشبهه داخل في نطاق السنة ، وليس فيه ما يُذَمُّ ، بل هو محمود على كل حال . وفيه ردّ على المُبَدِّعين [بالباطل] كالأحاديث السابقة والتي ستأتي .

٤٢٨ ـ * **الحديث العاشر** : روى ابن حبان عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجدَ فإذا رجل يصلي يدعو : اللهم إني أسألُكَ بأني أشهد أنكَ أنت الله لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفوًا

---

(١) فتح الباري (٩ / ٥٩ ، ٦٠) .

٤٢٨ ـ ابن حبان (٢ / ١٢٥) ـ كتاب الرقائق ـ باب ذكر البيان بأن دعاء بما وصفنا إنما هو دعاؤه باسم الله الأعظم الذي لا يخيب من سأل ربه به .

أحمد (٥ / ٣٤٩) .

أبو داود (٢ / ٧٩) ـ كتاب الصلاة ـ باب الدعاء .

الترمذي (٥ / ٥١٥) ـ ٤٩ ـ كتاب الدعوات ـ ٦٤ ـ باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ .

ابن ماجه (٢ / ١٢٦٧) ـ ٣٤ ـ كتاب الدعاء ـ ٩ ـ باب اسم الله الأعظم .

ورواه أيضًا النسائي في الكبرى في كتاب التفسير .

أحد . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « والذي نفسي بيده لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب » اهـ وهذا دعاء أنشأه الصحابي فيما يظهر ، ولما كان مطابقًا للمطلوب أقره صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى درجات الإقرار والرضاء ، ولم يُعْلَمْ أن الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم عَلّمَهُ إياه ، فنصوص الشريعة فيها العامُّ المخصوص ، والعامّ الذي أريد به الخصوص ، وفيها الحقيقةُ والمجازُ وما يجب أن يُصارَ إليه عند التعارض ، إلى غير ذلك من القواعد الأصولية حتى قالوا : (ما من عامّ إلا وخُصّصَ) ، ولا يمنعُ وجودُ (كل) من التخصيص كما هو في آيات الكتاب الكريم .

فدل هذا كله على أن إنشاء أمر ما يدخل ضمن عمومات الشرع ، أو يعتبر تفريعًا لأصل من أصوله ، أو يعتبر انبثاقًا عنه ، أو استنباطًا من الكتاب والسنة لا يعتبر بدعة ، ولكن يخشى أن يكون هذا الإنشاء غير مستند استنادًا صحيحًا إلى عام يدخل فيه هذا الخاص إلى هذا النوع ولا يعتبر انبثاقًا صحيحًا من الأصول أو أن هذا الاستنباط خاطئ ولذلك قلنا لابد من موافقة أهل الاجتهاد أو بعضهم لهذا الإنشاء حتى يخرج من البِدْعَة السيئة ليدخل في السُّنة الحسنة .

لقد غلط أناس كثيرون في أمر البدعة ، وإذا صحت نية بعضهم فهم مأجورون ونخشى على بعضهم أن يدخلوا في دائرة الهالكين ، ونخشى على بعضهم أن يدخلوا في دائرة الضالين .

فهناك من هو على بدعة في الاعتقاد أجمع على بدعيتها الراسخون في العلم ولا يُتردد في بدعيتها .

وهناك من هو على بدعة في العمل أجمع على بدعيتها الراسخون في العلم ولا يتردد في بدعيتها .

وهناك من يعتبر بعض القضايا بدعة ضالة ، وهي مما أجمع على جوازه الراسخون في العلم .

وهناك من يعتبر بعض القضايا بدعة ضالة ، ويشتد على أهلها مع إجازة بعض أئمة الاجتهاد أو الفتوى لها ، وكل ذلك غلط كبير إلا في الأخيرة فلا حرج في الإنكار ولكن

دون شدة وغلظة بل بالبيان الرفيق وذكر الدليل وذكر من أفتى بذلك من أئمة الفتوى .

إن ما ذكرناه هو الأمر الجامع وهو الذي ينسجم مع النصوص ومع فعل الصحابة وإجماع أهل الفتوى المعتبرين : ألا ترى إلى إجماع الصحابة على جمع عمر الناس في صلاة التراويح على إمام واحد وجعلها عشرين ، وقول عمر (نعمت البدعة هذه) وكل ذلك قد صح عن عمر وعن الصحابة [١] . ألا ترى أن الذين يضللون عمر والصحابة بسبب ذلك قد دخلوا في دائرة الضلال ، فعمر من الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا بالاقتداء بهم والاقتداء بهديهم ، وأصحاب رسول الله ﷺ كلهم عدول وهم أعمق الناس فهمًا لكتاب الله ، ولم تزل الأمة تفعل ما فعله دون نكير إلا من دخل في دائرة الغلو ولم يستطع الخروج منها .

وهذه نقول عن العلماء توضّح ما ذكرناه وتؤكّده :

قال الإمام الشافعي : البدعة بدعتان محمودةٌ ومذمومةٌ ، فما وافقَ السُّنةَ فهو محمودٌ وما خالفها فهو مذمومٌ .

ويشهد لهذا المعنى حديث جرير عند مسلم [٢] « من سَنَّ في الإسلام سنةً حَسَنةً فَلَهُ أَجْرُها وأجرُ من عَمِلَ بها بعده من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء » ومثلُ هذه الأحاديث أحاديثُ أخرى تدور حولها منها : حديث ابن مسعود عند مسلم [٣] : « من دل على خير فله مثلُ أجرِ فاعله » . وحديث أبي هريرة عند مسلم [٤] : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضَلالة كان عليه من الإثم ... » .

إن ما يُحدَثُ يجبُ أن يُعْرَض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شَهِدَتْ له الشريعةُ بالحُسن فهو حَسنٌ مقبولٌ وما شهدت له الشريعة بالمخالفةِ والقُبحِ فهو المردود وهو البدعةُ

(١) راجع شرح السنة (٤ / ١١٦ - ١٢٥) بتحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط .

(٢) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ - كتاب العلم . ٦ - باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

(٣) مسلم (٣ / ١٥٠٦) ٣٣ - كتاب الإمارة . ٣٨ - باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير .

(٤) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ - كتاب العلم . ٦ - باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

المذمومة . وقد يسمون الأول (بِدْعَةً حسنةً) من حيثُ اللغة باعتباره مُحْدَثاً وإلا فهو في الواقع ليس ببدعةٍ شَرعيةٍ بل هو (سُنَّةٌ مُسْتنبطةٌ) ما دامت شواهد الشريعة تشهد لها بالقبول . وعلى هذه البدعة اللغوية يُحْمَل قولُ سيدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح (نِعْمتِ البدعةُ) .

إن ما شهد له شاهد من الشرع بالطلب خاصا أو عاما ليس من البدعة وإن لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعله بخصوصه أو أمر به أمرًا خاصًا .

قال النووي : [(١)] في قوله صلى الله عليه وآله وسلم [(٢)] : « وكل بِدْعَة ضَلالة » هذا عام مخصوص المرادُ به المُحْدَثاتُ التي ليس في الشريعة ما يشهدُ لها بالصحة فهي المرادة بالبدع . وقال الحافظ أبو بكر بن العربي في شرحه على سنن الترمذي :ـ (السابعة) [(٣)] : « وإياكم ومُحْدَثَات الأمور » اعلموا عَلمكم الله أن المُحْدَثَ على قسمين : مُحْدَثٌ ليس له أصل إلا الشهوةَ والعملَ بمقتضى الإرادة فهذا باطلٌ قطعًا (أي) وهو البدعة الضلالة . ومحدث يَحمل النظير على النظير فهذه سنةُ الخلفاء والأئمة الفضلاء . قال وليس المحدث والبدعة مذمومين .. [لمجرد النظر إليهما] (محدث وَبدعة) ولا لمعناهما فقد قال الله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَث ﴾ [(٤)] وقال عمر [(٥)] (نعمت البدعة) وإنما يذم من البدعة ما خالف السنةَ وَيذم من المحدث ما دعا إلى ضَلالة ا.هـ .

وهكذا نجد الأئمة الذين جاءوا بعد الشافعي مثل سلطان العلماء العز بن عبد السلام من الشافعية والإمام النووي وابن الأثير من الشافعية وابن العربي والقرافي من المالكية

---

(١) راجع حاشية السيوطي على سنن النسائي ص ٢٣٤ جـ ٢ .
(٢) أحمد (٤ / ١٢٦) .
مسلم (٢ / ٥٩٢) ٧ ـ كتاب الجمعة . ١٣ ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة .
أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .
الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم . ١٦ ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٣) المواضع السابقة .
(٤) الأنبياء : ٢ .
(٥) البخاري (٤ / ٢٥٠) ٣١ ـ كتاب صلاة التراويح . ١ ـ باب فضل من قام رمضان .

وغيرهم كثير آخرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني كلهم أقروا تقسيم المحدث إلى محمود ومذموم وأنه قد تعتريه الأحكامُ الخمسةُ بحسب الأصل الذي يبنى عليه والشواهد التي تشهد له أو عليه أو لما يترتب عليه من المصالح أو المفاسد أو مصادمة الشرع أو موافقته .

ومع كل هذا فإن لهم تقسيمًا آخرَ : البدعة المُكَفِّرَةُ والبِدعة المُحَرَّمَةُ والبِدعةُ المكْروهةُ تحريمًا والبِدعَة المكروهة تنزيهًا .

وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم منهم النووي وابن العربي وخاتمة الحفاظ ابن حجر .

* * *

إن البدعةَ المضلةَ الواردة في الحديث الشريف هي المنافية لأمر الشرع والتي ليست هي مما طلبه الشرع بدليل خاص أو عام . وإن كل ما كان من الشرع وشهد له بالطلب دليل خاص أو عام فليس هو بالبدعة الشرعية المرادة في الحديث وإن سمي بدعة باعتباره اللغوي الشامل للحسن والقبيح .

عن عبد الله بن مسعود [١] قال إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ .

ولابن تيميّة كلمة جاءت في سياق كلام في كتابه : (جواب أهل العلم) تدلّ على أنّ ابن تيمية يرى أنّ كلام السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين إذا قالوا قولاً فذلك يكون حجّة يخرج أصحابه من الابتداع . قال رحمه الله : والمقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل واحدا منها عن أحد من السلف أعني الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والورع في الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق لا في زمن أحمد بن حنبل

(١) أحمد (١ / ٣٧٩) .

قال في المجمع (١ / ١٧٧) : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

ولا زمن الشافعي ولا زمن أبي حنيفة ولا قبلهم . ا . هـ [١] .

وقد تحدث الإمام العز بن عبد السلام في مقدمة ردّه على ابن الصّلاح بخصوص صلاة الرغائب ـ عن البدعة وأقسامها فقال : إن البدعة ثلاثة أضرب :

١ ـ ما كان مباحًا كالتوسع في المأكل والمشارب والملابس والمناكح فلا بأس بشيء من ذلك .

٢ ـ ما كان حسنًا ، وهو كل مُبْتَدَع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها كصلاة التراويح ، وبناء الرُّبُط والخانات والمدارس ، وغير ذلك من أنواع البر التي لم تُعْهَدْ في الصدر الأول ، فإنَّه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى ، وكذلك الاشتغال بالعربية فإنه مبتدع ، ولكن لا يتأتى تدبر القرآن ، وفهم معانيه إلا بمعرفة ذلك فكان ابتداعه موافقًا لما أمرنا به من تدبر آيات القرآن وفهم معانيه ، وكذلك الأحاديث وتدوينها وتقسيمها إلى الحسن والصحيح والموضوع والضعيف ، مبتدع حسن ، لما فيه من حفظ كلام رسول الله ﷺ أن يدخله ما ليس فيه ، أو يخرج منه ما هو فيه ، وكذلك تأسيس قواعد الفقه وأصوله وكل ذلك مبتدع حسن ، موافق لأصول الشرع غير مخالف لشيء منها .

٣ ـ ما كان مخالفًا للشرع ، أو ملتزمًا لمخالفة الشرع. اهـ[٢].

وقد كان الإمام حسن البنا رحمه الله يحذر أتباعه من الانشغال بمحاربة البدع الإضافية لأن في محاربة البدع الحقيقية شغلاً ويريد بالبدع الحقيقية ما خالف الدين من المنكرات التي لاخلاف بين العلماء في واحد منها وضررها على الدين وما أكثرها وأخطرها بين المسلمين ومراده بالبدع الإضافية ما اندرج تحت أصل عام في الطلب ولكن صورته غير مأثورة كسائر المسائل المستنبطة ، والمختلف فيها بين الفقهاء وهذا منه إدراك لخطورة البدع الحقيقية وخطورة السكوت عنها والانشغال بغيرها . أما الخلافات المذهبية فهي أمر ضروري

(١) انظر ص ٢٣ في كتاب جواب أهل العلم .

(٢) من كتاب « العز بن عبد السلام وأثره في الفقه الإسلامي » للدكتور على الفقير .

والإجماع على أمر فرعي متعذر . فعلينا أن نعتقد الحق فيما بلغنا ونلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ولا يكون حائلاً بين ترابط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير [١] .

وإليك نقولاً عن أهل العلم تزيد ما قلناه تأكيدًا وتعطيك تصورًا أكمل عما يعتبرونه بِدْعَة:

البِدْعَةُ في اللغة : كلُّ شيءٍ أُحْدِثَ على غير مثال سابق كان محمودًا أو مذمومًا .

والبِدْعُ : الأمر الذي يكون أولاً ومنه قوله تعالى ﴿ **قل ما كنت بِدْعًا من الرسل** ﴾ [٢] أي لست أول من جاء بالوحي ... أو ما كنت مبتدعًا فيما أقوله .

ومن أسمائه تعالى البديع : لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها فيكون بمعنى مُبْدِعٍ أو من بَدَعَ الخَلْقَ أي بَدَأَهُ .

وغالبًا ما تدور مادة بَدَعَ على الإحداث والاختراع .

البدعة في الاصطلاح :

اختلفت أنظار العلماء فيها فمنهم من توسع في تحديدها ومنهم من ضيقها :

١ ـ الإمام الشافعي ـ رحمه الله :

يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة ، أو محمودة ومذمومة . وهي على هذا تشمل كل حادث بعد عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين :

عن حَرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : البِدْعَةُ بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة .. فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم [٣] .

---

(١) من مراجع هذا البحث ، كتاب للسيد عبد الله بن محفوظ باعلوي الحسيني الحضرمي رئيس القضاء الشرعي في حضرموت سابقًا .

(٢) الأحقاف : ٩ .

(٣) الباعث لأبي شامة ص ١٣ ، وفتح الباري جـ ١٧ ص ١٠ ، وقال أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عنه .

وقال الربيع : قال الشافعي رحمه الله تعالى : المُحْدَثاتُ من الأمور ضربان :

أحدهما ما أُحدِثَ يخالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو أثرًا ، فهذه البدعة الضلالةُ .

والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا ، فهي مُحْدَثَةٌ غير مذمومةٍ (١) . وقد استند في كلا التعبيرين إلى قول عمر رضي الله عنه ، في صلاة التراويح : نِعمت البدعة هذه (٢) .

٢ ـ وابن حزم رحمه الله يقول :

البدعة في الدين : كل ما لم يأت في القرآن ، ولا عن رسول الله ﷺ ، إلا أن منها ما يُؤجَر عليه صاحبه ويُعْذَرَ بما قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسنًا ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه (٣) ، وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص . ومنها ما يكون مذمومًا ولا يعذر صاحبه ، وهو ما قامت الحجةُ على فساده ، فتمادى القائل به .

٣ ـ والإمام الغزالي رحمه الله يقول في إحيائه عن الأكل على السفرة :

وما يقال إنه أُبدِعَ بعد رسول الله ﷺ ، فليس كل ما أبدع مَنهيًا عنه بل المنهي ـ عنه ـ بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب (٤) .

٤ ـ وابن الأثير رحمه الله ، يقول :

البدعة بدعتان : بدعةُ هدىً وبدعةُ ضلال .. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، فهوَ في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعًا تحت عموم ماندب الله إليه وحض عليه أو

---

(١) المصدران السابقان ، وذكره السيوطي في الحاوي جـ ١ ص ٥٣٩ .

(٢) البخاري (٤ / ٢٥٠) ٣١ ـ كتاب صلاة التراويح . ١ ـ باب فضل من قام رمضان .

(٣) الموضع السابق .

(٤) الإحياء جـ ٢ ص ٣ ط . عيسى الحلبي .

رسوله ﷺ فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من السخاء والجود وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد في الشرع به ، لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابا فقال « من سَنَّ سُنَّةً حَسنةً كان له أجرهُ وأجرُ من عَمل بها » (١) وقال في ضده « من سنَّ سنة سيئة كان عليه وِزرُها ووزرُ من عمل بها » (٢) .. وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ . ومثلُ البدعة الحسنة يقول عمر في صلاة التراويح : نعمت البدعة . ثم قال : وهي على الحقيقة سنة لقوله ﷺ (٣) : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين » وقوله (٤) : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » .

وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر « كل محدثة بدعة » (٥) على ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة (٦) .

٥ ـ وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في شرح المشْكَاةِ :

اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله ﷺ بدعة ، وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنة ، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة ، وإلى هذا الاتجاه مال الشيخ عز الدين بن عبد السلام والنووي وأبو شامة (٧) .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٠٥٩) ٤٧ ـ كتاب العلم . ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

(٤) أحمد (٥ / ٣٨٥) .

الترمذي (٥ / ٦٠٩) ٥٠ ـ كتاب المناقب . ١٦ ـ باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما .

وقال : حديث حسن .

(٥) أحمد (٤ / ١٢٦) .

مسلم (٢ / ٥٩٢) ٧ ـ كتاب الجمعة . ١٣ ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة .

أبو داود (٤ / ٢٠١) كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة .

الترمذي (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم . ١٦ ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٦) النهاية جـ ١ ص ٧٩ .

(٧) كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ .

٦ ـ ابن رجب الحنبلي يقول :

والمراد بالبدعة : ما أُحْدِث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا ، وإن كان بدعة لغةً [١]

٧ ـ ويقول ابن حجر العسقلاني :

والبدعة : أصلها ما أحدث على غير مثال سابق . وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة ..

ويقول في موضع آخر : والمُحْدَثَاتُ جمع محدثة ـ والمراد بها ـ أي في حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » [٢] ما أحدث وليس له أصل في الشرع ـ ويسمى في عرف الشرع بدعةً ، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة .

٨ ـ ويقول ابن حجر الهيثمي :

وهي ـ أي البدعة ـ لغة : ما كان مخترعًا ... .

وشرعًا : ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام [٣] .

٩ ـ وقال الزركشي :

البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم [٤] .

١٠ ـ وقال الشيخ محمد بخيت في رسالته عن البدعة :

إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة ، وأما البدعة التي قسمها العلماء إلى واجب وحرام ... إلخ فهي البدعة اللغوية ، وهي أعم من الشرعية لأن الشرعية قسم منها .

---

(١) جامع العلوم والحكم .

(٢) البخاري (٥ / ٣٠١) ٥٣ ـ كتاب الصلح . ٥ ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود .
مسلم (٢ / ١٣٤٣) ٣٠ ـ كتاب الأقضية ٨ ـ باب نقض الاحكام الباطلة ورد محدثات الأمور .
أبو داود (٤ / ٢٠٠) كتاب السنة ـ بابٌ في لزوم السنة .

(٣) التبيين بشرح الأربعين ص ٢٢١ .

(٤) الإبداع ص ٢٢ .

١١ ـ وقال الدكتور دراز ما مضمونه :

صارت كلمة البدعة في الاستعمال الشرعي إلى معنى أخص من معناها في الاستعمال اللغوي ، فلا تتناول على حقيقتها الشرعية في الصدر الأول إلا ما هو باطل ، وهو تلك الطرائق المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة أو ما استنبط منها [١] .

---

(١) الميزان بين السنة والبدعة ص ٥ .

تقسيمات البدعة

للبدعة تقسيمات متعددة باعتبارات متنوعة :

أولاً : تقسيم البدعة إلى عادية وتعبدية :

الأمر العادي شرعًا ما يجري بين الناس من التصرفات والمحاولات التي هي وسيلة لاستغلال الدنيا وتحقيق المصلحة فيها : كتنظيم أمور الزراعة والصناعة وشتى أنواع العلاقات الدنيوية بين الناس ، وإن كانت النية الخالصة تحوّل مثل هذه الأمور إلى عبادات لها ثواب .

الأمر التعبدي : ما وضع بالأصل للتقرب إلى الله تعالى بصرف النظر عما يعرض له من عوارض قد تخرج به عما وضع له بالأصل كالذكر والصلاة والحج .

ولا خلاف بين العلماء أن الابتداع يدخل في الأمور التعبدية سواء أكانت من أمور الاعتقاد أو أعمال القلب أو أعمال الجوارح ، واختلف في وقوع الابتداع في الأمور العادية .

ثانيًا : تقسيم البدعة إلى حقيقية وإضافية

قسم الشاطبي البدعة إلى قسمين : حقيقية وإضافية .

وعرف **الحقيقية** بأنها ما لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل ، وإن ادعى مبتدعها ومن تابعه أنها داخلة فيما استنبط من الأدلة ، لأن ما استند إليه شُبه واهية لا قيمة لها . فكأنها هي البدعة حقيقة وما عداها على المجاز ومن أمثلتها :

تحريم الحلال أو تحليل الحرام استنادًا إلى شبه واهية وبدون عذر شرعي أو قصد صحيح واختراع عبادات وإنكار حجية السنة ...

وعرّف البدعة **الإضافية** بأنها ما لها شائبتان :

إحداهما : لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة .

والأخرى : ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية ، أي أنها بالنسبة لإحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل ، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة ، لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل ، أو لأنها غير مستندة إلى شيء .

وسميت إضافية لأنها لم تتخلص لأحد الطرفين « المخالفة الصريحة » أو « الموافقة الصريحة » .

وقسم الشاطبي ـ البدعة الإضافية ـ إلى قسمين :

أحدهما : ما يقرب من الحقيقية حتى تكاد البدعة تعد بدعة حقيقية .

والآخر : ما يبعد منها حتى يكاد يعد سنة محضة [١] .

ثالثًا : تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة

للبدعة كما قدمنا مفهومان : لغوي وشرعي .

أما على مفهومها اللغوي فتشمل كل حادث محمودًا كان أو مذمومًا ، حدث قبل عصر النبوة الكريم أو بعدها ..

وأما على مفهومها الشرعي فقد اختلف العلماء كما قدمنا :

فعلى رأي الشافعي ومن وافقه ، تشمل البدعة كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ حسنًا كان أو سيئًا ..

وقيدها بعضهم بما حدث بعد الرسول ﷺ وخالف سنته .

وقيدها الشاطبي بقصد مضاهاة الشارع فضلاً عن كونها محدثة بل ومخالفة للشارع .

وبالنظر إلى هذه المفاهيم والآراء نتبين أن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة إنما يتمشى مع المعنى اللغوي للفظ البدعة ، ومع ما رآه الشافعي ومن وافقه في معنى البدعة في نظر الشرع .

---

(١) الاعتصام للشاطبي جـ ١ ص ١٧٩ .

وعلى أساس هذا المعنى اللغوي تنقسم البدعة إلى خمسة أقسام :

(١) **واجبة** : وهي ما تناولتها قواعد الوجوب وأدلته من الشريعة ، وتشمل كل ما يرجع لحفظ الدين أو بيان أحكامه ونحو ذلك ، ومن أمثلتها :

جمع المصحف وقصر الناس عليه ، ومواجهة كل محاولات أعداء الدين لتحريف القرآن والقضاء عليها أولاً بأول .

(٢) **محرمة** : وهي ما تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة ، وأمثلتها كثيرة ، وهي البدعة الحقيقية التي اتفق العلماء على أنها مرادة بأدلة التنفير من البدع ، ومن أمثلتها :

- المذاهب والأهواء الفاسدة المخالفة للقرآن والسنة كمذهب الخوارج ، وبعض آراء المعتزلة ، والقول بالتجسيم والتشبيه ، ونحو ذلك .

(٣) **مندوبة** : وهي ما تناولتها قواعد الندب وأدلته من الشريعة ، ومن أمثلتها :

أ - صلاة التراويح جماعة بالمسجد في رمضان .

ب - كل إحسان لم يعهد في العصر الأول وليس مخالفًا للمشروع كتخطيط الطرق ، وتيسير الحياة ببناء المباني المتينة الواسعة ومدها بالمياه والكهرباء وغيره من مرافق الحياة .

جـ - تنظيم التعليم الديني ، واستخدام الوسائل الملائمة لاختيار الأصلح ، كنظام الامتحانات وغير ذلك .

(٤) **مكروهة** : وهي ما تناولتها قواعد الكراهة وأدلتها من الشريعة ، ومن أمثلتها:

الزيادة في المندوبات المحددة شرعًا : كزيادة التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة عن ثلاث وثلاثين لكل واحدة بدون قصد الاستظهار على الشارع والرغبة عن السنة ، لأن في ذلك خروجًا عما حدده الرسول ﷺ ، ولو بقصد حسن وهو أمر مكروه ، لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئًا أن يتوقف عنده ولا ينبغي تجاوزه .

(٥) البدعة المباحة : وهي ما تناولتها قواعد الإباحة وأدلتها من الشريعة ، ومن أمثلتها :

ـ التوسع في الطيبات بما لا يخرج بها إلى حدود المكروه أو الحرام ، كأكل ما تستلذه النفس وتستطيبه من المطاعم ، واستعمال ما يروق لها من الملابس والمساكن ونحو ذلك . والقاعدة في ذلك كما قال القرافي : أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة وأدلتها ، فأي شيء تناولها من القواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما [١] .

رابعًا : تقسيم البدعة إلى فعلية وتَرْكية

والبدعة كما تشمل الفعل المخالف للسنة تشمل الترك المخالف للسنة كذلك ؛ فإذا ما عزم المسلم على ترك مباح من الطيبات لغير سبب مقبول كمرض يزيد بتناوله أو ضرر ينتج عنه ، أو شبهة عرضت له في اكتسابه ، فإن كان تركه لذلك على غير وجه التحريم بحيث لو رغب فيه لتناوله فلا شيء فيه لأن المباح يستوي فيه الفعل والترك .

وإن حرّمه على نفسه ، أو نذر ترك تناوله مطلقاً أو لمدة محدودة ، فهو مبتدع بهذا التحريم ، وبهذا النذر ، وهو داخل فيمن رغب عن السنة ، كما قال الرسول ﷺ لمن همّ أن يصوم فلا يفطر ، ومن هم أن يقوم فلا يفتر ، ومن همّ أن يمتنع عن النساء : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » [٢] . وموقفه في ذلك التحريم ، أو نذر الترك ، هو موقف أبي إسرائيل ، الذي أمره الرسول ﷺ بترك ما هو عليه من معصية بنذره ترك المباح ، ووفائه بهذا النذر ، والبقاء على ما هو عليه من طاعة بالصوم وفاء للنذر .

ومن أظهر مظاهر البدع التركية في عصرنا هذا ترك العمل بأحكام الدين والحكم تبعا لنصوصه ، وترك المسلمين لستر العورة ، وتركهم إخراج الزكاة وترك الحكام جبايتها وتعيين العاملين عليها .

---

(١) الفروق للقرافي جـ ٤ ص ١٩١ .

(٢) البخاري (٩ / ١٠٤) ٦٧ ـ كتاب النكاح . ١ ـ باب الترغيب في النكاح .

مسلم (٢ / ١٠٢٠) ١٦ ـ كتاب النكاح . ١ ـ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم .

هذا فضلاً عن تركهم لكثير من السنن واستبدالهم بها غيرها من البدع . أما عن البدعة الفعلية فهي كثيرة ، ومنها اختراع أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ ، والزيادة في شرع الله ما ليس منه ، كمن يزيد في الصلاة ركعة ، أو يزيد في وقت الصيام المحدد من اليوم ، أو يصلي في أوقات النهي عن الصلاة ، أو يصوم في أوقات النهي عن الصيام ، أو يدخل في الدين ما ليس منه من الآراء أو الأفعال .

خامساً ـ تقسيم البدعة إلى اعتقادية وقولية وعملية

تنقسم البدعة إلى بدعة في الاعتقاد : إذا كانت اعتقادًا للشيء على خلاف ما جاء به الرسول ﷺ كبدعة الجسمة والخوارج ونحوها .

وإلى بدعة في القول : إذا كانت تغييرًا لما ورد عن الرسول ﷺ من الأقوال ، أو كانت قولا مخالفًا للسنة ، كقول المبتدعة في أكثر الفرق المشهورة ، مما هو ظاهر الفساد والقبح .

وإلى بدعة في العمل : العمل الظاهر كصلاة تخالف ما ورد عن الرسول ﷺ ونحو ذلك ، أو العمل الباطن : كمعاملة المؤمنين بالنفاق أو بما ينافي أخوة الإيمان من الحب والإخلاص ونحو ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بدعة الاعتقاد هي أخطر أنواع البدع ، وغالب إطلاقات الشرع في ذم البدعة منصب عليها ، وهي المتبادرة في السبق إلى الذهن من إطلاق اسم البدعة شرعًا ، والمبتدع ، وأهل الأهواء .

سادسًا : تقسيم البدعة إلى كلية وجزئية

تتفاوت البدع فيما بينها من ناحية آثارها ، ومن ناحية الخلل الواقع بسببها في الشريعة .

إذا كانت البدعة لا يقتصر أثرها على المبتدع بل يتعداه إلى غيره ، كانت كلية لسريانها في كثير من الأمور أو بين الكثيرين من الأفراد ، كبدعة التحسين والتقبيح بالعقل بدلاً من الشرع وبدعة إنكار حجية خبر الآحاد أو إنكار وجوب العمل بما يقتضيه ، ونحو ذلك .

أما إذا كانت البدعة قاصرة على المبتدع لا تتعداه إلى غيره فهي بدعة جزئية كرجل التزم مخالفة للسنة على أنها من الأمور الحسنة في نظر الشرع ، ولا يمتد أثر هذه المخالفة لغيره لكونه لا يؤبه له ، وليس ممن يقتدى بهم فيما يرون من آراء أو يؤدون من أعمال .

سابعًا : تقسيم البدعة إلى بسيطة ومركبة

وتكون البدعة بسيطة إذا كانت مجرد مخالفة بسيطة لا تستتبع مخالفات أخرى .

وتكون مركبة إذا اشتملت على عدة بدع تداخلت وصارت كأنها وحدة واحدة .

ونحن إذ توسعنا في بحث البدعة [١] لإخماد حدة بعض المتنطعين فإننا ندعو دائمًا إلى التحقيق على ضوء الكتاب والسنة وسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه .

ونختم الفصل ـ تأكيدًا لما ذكرناه ههنا ـ بهذه النصوص :

كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر وكان في القرآن ، أخبَرَ به ، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ ، أخبر به ، فإن لم يكُن فعن أبي بكرٍ وعمر ، فإن لم يكن قال فيه برأيه [٢] .

وقال أبيُّ بن كعب : إن اقتصادًا في سَبيلٍ وسُنَّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنَّةٍ . ومثله عن ابن مسعود .

وقال ابن عونٍ : ثلاثٌ أحبُّ لنفسي ولإخواني : هذه السنّة أن يتعلموها ، ويَسألوا عنها ، والقرآنَ أن يتفهموه ، ويسألوا عنه ، ويَدَعُوا الناس إلا مِنْ خير .

وقال الأوزاعيُّ : خمسٌ كان عليه أصحاب النبي ﷺ : لزومُ الجماعة ، واتّباعُ السنّة ، وعمارةُ المسجد ، وتلاوة القرآن ، وجهادٌ في سبيل الله .

* * *

---

(١) من مراجع تعريف البدعة وتقسيمها كتاب : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها . للدكتور عزت على عطية .

(٢) الدارمي (١ / ٥٩) المقدمة ـ ١٩ ـ باب الفتيا وما فيه من الشدة .

الفصل الحادي والعشرون

في:

افتراق هذه الأمة افتراق اليهود والنصارى وزيادة

في:

وجوب الكينونة مع الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة واعتزال فرق الضلال

وفيه:

نصوص ووصول

النصوص

٤٢٩ ـ * روى أبو داود عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال : « ألا إنَّ مَنْ كانَ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقُوا على ثنتيْنِ وسَبعينَ مِلَّةً ، وإن هذه الأُمَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ ، ثِنْتانِ وسبعونَ في النارِ ، وواحدةٌ في الجنَّةِ ، وهي الجماعةُ » .

زاد في رواية : « وإنه سيخرجُ في أمَّتي أقْوَامٌ تتجارَى بهم الأهواءُ ، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبِهِ ، لا يبقَى منه عِرْقٌ ولا مفْصَل إلا دَخَلَه » .

٤٣٠ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « تَفرَّقَتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فِرقَةً ، أو اثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك ، وستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

وفي رواية أبي داود [١] قال : « وتفرقتِ النصارى على إحدى وسبعين ، أو اثنتين وسبعين فرقة » .. وذكر الحديث .

٤٣١ ـ * روى الطبراني في الأوسط والكبير عن أبي أمامة قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « تفرقت بنو إسرائيلَ على إحدى وسبعينَ فرقةً ، وتفرقَتِ النصارى على

---

٤٢٩ ـ أبو داود (٤ / ١٩٨) . كتاب السنة ، باب شرح السنة .

وأحمد في مسنده (٤ / ١٠٢) . وإسناده صحيح .

(يتجارى الكَلَب) التجاري ، تفاعل من الجَري ، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة ، والتداعي فيها ، تشبيها بجري الفرس . والكَلَب داءٌ معروف يعرض للكلْب ، إذا عضَّ حيوانًا عَرَض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك .

٤٣٠ ـ الترمذي (٥ / ٢٥) ٤١ ـ كتاب الإيمان ، ١٨ ـ باب : ما جاء في افتراق هذه الأمة .

قال الترمذي : حديث أبي هريرة حسن صحيح . قال محقق الجامع : وهو كما قال ، وفي الباب عن سعد ، وعبد الله ابن عمرو ، وعوف بن مالك .

(١) أبو داود (٤ / ١٩٨) . كتاب السنة ، باب شرح السنة .

٤٣١ ـ المعجم الكبير (٨ / ٣٢١) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٥٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وفيه أبو غالب وثقه ابن معين وغيره ، وبقية رجال الأوسط ثقات وكذلك أحد إسنادي الكبير .

اثنتين وسبعين فرقةً ، وأُمَّتِي تـزيـدُ عليهم فرقــة كلُّهم في النــارِ إلا الســوادَ الأعظم » .

أقول : بناءً على هذه النصوص فسنعقد الوصول التالية :

الوصل الأول : في أشهر فرق اليهود .

الوصل الثاني : في أشهر فرق النصارى .

الوصل الثالث : في افتراق الأمة الإسلامية .

* * *

الوصل الأول
في:
أشهر فرق اليهود

أشهر فرق اليهود

باتفاق المؤرخين ويشهد لذلك كتب اليهود أنفسهم أن التوراة قد ضاعت ثم كتبت أسفار موسى الخمسة بعد الأسر البابلي ، ولذلك نجد الآن عند يهود السامرة ما يسمونه توراة تختلف عن أسفار موسى الخمسة التي يعتبرها يهود اليوم والنصارى توراتهم ، وتذكر أسفار العهد القديم أنه من قبل ضاع سفر التثنية أهم الأسفار ، بل هو مظنة أن يكون بعضه هو التوراة المنزلة على موسى ، وعثر عليه بعد مئات السنين ، وتذكر أسفار العهد القديم كثرة وجود الأنبياء الكذبة وتذكر تسلل عبادات البلدان المجاورة إلى الشعب اليهودي ، وهذا يستتبع كثرة الفرق ، ثم كان التشتت العالمي لليهود وتأثرهم في البيئات التي عاشوا فيها ، وقد أثر هذا على كثرة فرقهم ، ويظهر ذلك في عصرنا إذ نجد كثيرًا من الجاليات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين تختلف مع الأخرى نوع اختلاف ، وكنموذج على تأثر اليهود بالشعوب وجود فرقة « الدونمة » في البلاد العثمانية وفرقة « الفلاشا » في الحبشة ، والعرض التاريخي للفرق اليهودية والفوارق فيما بينها ليس من غرض هذا الكتاب ، لأن الروايات في هذه الشؤون تحتاج إلى تمحيص وتحقيق ، إن كتب العهد الجديد تذكر مثلاً كيف أن اليهود الذين واجهوا عيسى عليه السلام كانوا منقسمين إلى « صدوقيين » و « فريسيين » ، والمدققون في أسفار العهد القديم يذكرون أنها كتبت على مراحل وبأقلام مختلفة ، ومن خلال الروايات الشفهية ، وكل ذلك يستتبع خلافات وتمزقات ، ويذكر مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) عن بعض المؤرخين أنه لا يوجد سوى سفر « أرميا » يمكن أن يقبل اعتماده ، وأرميا نفسه يلعن أقلام النساخ الكذبة .

ومن الأسباب التي أدت إلى كثرة فرق اليهود الموقف من التلمود ومحله بالنسبة للتوراة ، فبعضهم يعتبره أفضل ، وبعضهم يعتبره دون التوراة ، وهكذا نجد عوامل كثيرة أثرت في تفرق اليهود ، وهذه نقول من كتاب الدكتور شلبي عن اليهودية تعرض لبعض الفرق أو تذكر بعض أسباب التفرق :

يقول : وبسبب كثرة الكتّاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه ، ويمكننا أن نعطي منها بعض نماذج :

ـ لم يكن للعدد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم ، فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة ، وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة ، وقد اعترف مفسرو العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم ، وعدد الرجال الذين بلغوا سن العشرين قبيل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر العدد لا يمكن عقلا أن يكون صحيحًا ، فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم مصر سبعين ، ومحال أن يصيروا في مدى قرنين آلافًا كثيرة أو ملايين . وهكذا .

ـ ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع ، وهاك نص العبارة : « مُفْتَقَدٌ إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع » . وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه ، فقد جاء به : « النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بِرُّ البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » وهذا تناقض واضح .

ـ تختلف الأحكام اختلافًا واضحًا وصريحًا من سفر إلى آخر ، ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد ، بالإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال .

ـ في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية « ... لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاذ ملك إسرائيل » ، ولفظ إسرائيل غلط يقينًا لأن آحاذ كان ملكًا ليهوذا لا لإسرائيل ، ومثل هذا الخطأ وقع في الإصحاح الأخير من هذا السفر ، فقد ورد به أن نبوخذ نصر عزل يهوياكين وَملَّكَ بَدله صِدْقِيًا أخاه ، والحقيقة أن صِدْقِيًا كان عمّ يهوياكين لا أخاه ، ولذلك صحح مترجمو العهد القديم هاتين الكلمتين لتتفق الفكرتان مع الحق والتاريخ .

ـ تنص الفقرات السابقة على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل ، ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في أورشليم ، وأمر أن تلقى جثته خارج السور ومنع من دفنها كما ذكر المؤلف اليهودي « يوسيفس » .

ـ وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية

العبارة التالية « لم يعصوا كلامه » . وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا : « قد عصوا كلامه » . وأحدهما خطأ يقينًا وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين .

هذه نماذج قليلة مما في العهد القديم من ... [تناقض] لم نقصد بها الحصر وإنما قصدنا مجرد التمثيل .

... فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كُتِب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م ...

يقرر Wells أن أسفار العهد القديم جُمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ...

ذلك موجز القول عن ظروف تدوين الأسفار ، أما كتّابها فكثيرون ، ويبرز من بين الكتّاب اسم الكاهن عزرا ، مرتبطًا بتدوين التوراة ، ويذكر Hosmer أن عزرا هو الذي ـ في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ـ قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين ، حيث استعاد بها الحياة اليهودية ، وهو الذي أبرز أجزاء كثيرة مما سمي فيما بعد بالعهد القديم ، وقد أكمل الكهنة الذين جاءوا بعد عزرا ما بدأه هذا الكاهن ، وفي عهد المكابين كانت أجزاء العهد القديم قد وجدت تقريبًا ، ولكنها لم تكن وضعت في نظامها المعروف الآن ...

تكثر الفِرَق في اليهودية كثرة بالغة ، وتختلف هذه الفرق في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون ، وإلى ما وراء الكون ، وسنتكلم هنا عن أهم الفرق في اليهودية ، شارحين أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بينها :

(الفرّيسيون) :

أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عُليا ، وأنهم معصومون ، وأن أقوالهم صادرة عن الله ، وأن مخافتهم هي مخافة الله ، ومن قولهم في ذلك : « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال

الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحيّ ، فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس ، فصدّق قوله ولا تُجادله ... » وتبعًا لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين ، وما الحاجة للاجتهاد إذا كان الحاخام مقدسًا ومعصومًا ؟ وعنده لكل سؤال جواب ...

ويقول القس « بوكس » : لقد أسس الفريسيون نظام الفردية في الدين ، ووضعوا طقوسًا روحية بحتة ، وتعمقوا في الاعتقاد في الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ...

(الصدّقيون) :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان ، أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد ...

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا ، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب .

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية « التلمود » ، وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة ، وينكرون الخلود الفردي ، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين ، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه ...

(القراءون) :

كان القرّاءون يمثلون القِلّة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفرّيسيين ، نما فريق القرائين ووَرِث أتباع الفريسيين ونفوذهم .

والقرّاءون لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتابًا مقدسًا ، وليست عندهم روايات شفوية كالتي قيل إن الحاخامات توارثوها الواحد بعد الآخر ، وبالتالي لا يعترف القراءون بالتلمود .

ويقول القراءون بالاجتهاد ، فإذا تبين الخلف خطأ السلف كالخطأ الذي لاحظوه في المحرمات في الزواج ، فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ ، ومن هذه الأخطاء التي لاحظها المتأخرون وصححوها ، خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم .

(الكتبة) :

تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت معتمدة كتابة الشريعة لمن يطلبها ، فهم أشبه شيء بالنُّساخ ...

وكانوا يسمَّوْن أحيانًا بالحكماء ، وأحيانًا السادة « Rabbis » كما كان الواحد منهم يُنادى بلقب « أب » عند المخاطبة ، وقد برز الكتبة كحملة للواء الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي غيرهم من رجال الدين إلى مجاله ، فأصبح هؤلاء حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان ، وأخلوا المجال الديني للكتبة ، فاحتلوه .

وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأَعْلَتْ من قدرهم ، هي أن كل واحد منهم عَنِيَ بإنشاء مدرسة أصبح هو راعيًا لها ومعلمًا بها ، وكان له مريدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ...

(المتعصبون) :

فرقة أخرى من الفرق اليهودية خصص لها (Guignebert) حديثًا ، نورد فيما يلي ترجمة أبرز فقراته :

كان في فلسطين بين الفرق الأخرى فريق وثيق الصلة بالفرّيسيين ، يتفق معهم في أكثر عقائدهم ، كالقول بالمسيح المنتظر ، وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة ، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتُّهموا باللادينية ، أو بقبول الخضوع لغير اليهود ....

ففي بلدة « شيرين » ظهر رجل من اليهود في القرن الثامن الميلادي ، وادعى أنه المسيح المنتظر ، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين ، وفي نفس القرن ظهر فارسي

آخر في بلدة « أصفهان » اسمه أبو عيسى وادعى أنه المسيح ، وقال إن عودة فلسطين لن تتم إلا على أسنة الرماح ، وأعد جيشًا قوامه عشرة آلاف جندي من اليهود ، وواتته فترة الاضطرابات التي كان يعانيها العالم الإسلامي عند سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس ، فعاشت حركة أبي عيسى فترة لأن أبا العباس السفاح انشغل عنها بما صادفه من مشكلات في مطلع الدولة العباسية ، فلما آل السلطان للخليفة المنصور اتجه بضربة قاصمة إلى جيش اليهود فهزمه ، وفر أبو عيسى تجاه الشمال ، ذاكرًا أنه سيتقابل هناك مع أحد قادة اليهود المختفين ليتعاون معه على استعادة فلسطين .

وفي القرن السابع عشر ظهر في « سالونيك » يهودي اسمه سبتاي زيفي ، كان واسع الاطلاع على الثقافة اليهودية مما جعله على صلة بأقوال اليهود حول المسيح المنتظر ، ورأى زيفي ما عاناه اليهود في حرب الثلاثين بأوربا ، فقد أمضى طفولته وشبابه وهذه الحرب مشتعلة ، حيث كان اليهود وقودًا لها ، وساورته نفسه أن يعلن أنه المسيح المنتظر ، فعكف على الصلاة والصوم ، وأخذ يطوف البلاد هنا وهناك ، ويدعو لنفسه ويعلن قرب ظهور المسيح المبارك ، ولما حلّت سنة ١٦٦٦ أعلن زيفي أول رسالة لليهود ، واختار لإعلانها يومًا يمضيه اليهود في صوم وحزن لأنه يرتبط بذكريات أليمة عندهم ، وفي هذه الرسالة يقول :

« من أول ابن الله سبتاي زيفي ، المسيح ، مُخلِّص شعب إسرائيل ، إلى جميع أبناء إسرائيل .... السلام .... لما كان قد قدِّر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الله إلى أبنائه ، فلابُد أن تغيروا أحزانكم فرحًا وصومكم مرحًا ، لأنكم لن تبكوا بعد الآن ، فاستمتعوا وغنُّوا واستبدلوا باليوم الذي كان من قبل يُقضى في حزن وآلام ، يوم عيد ، لأنِّي ظهرت ... » .

وراح سبتاي في حماسة ظاهرة ينتقل هنا وهناك ويواصل دعوته ، ولم يستطع الربانيون أن يوقفوا حركته التي أخذت تنتشر في كل مكان بين اليهود ، حتى أصبح له أتباع في أمستردام وهامبورج ولندن بالإضافة إلى أتباعه بالشرق . وقد بلغ تصديقه مبلغًا عظيمًا حتى إن أتباعه راحوا يبيعون ممتلكاتهم ، ويجمعون ثروتهم ، ويعدون أنفسهم للعودة من المهجر إلى فلسطين خلف « سبتاي » ، وفي فارس توقف العمال اليهود عن طاعة ساداتهم ، ورفضوا أن

يستمروا في فلاحة الأرض ، وبدأ اليهود في كل مكان وكأنما مسهم طائف من الجنون وأصبحوا عبيدًا للأمل الذي جددته دعوة « زيفي » .

وانتشى « زيفي » بالنصر الذي حققه ، فراح يُدخل تعديلات جريئة في التقاليد والنظم اليهودية ، فغيَّر وقت الصوم ومواعيد الأعياد كما جاء في رسالته التي ذكرناها آنفًا ، ووصلت به النشوة إلى أن تخيل نفسه صاحب سلطان شامل ، فأخذ يوزع التيجان على إخوته وأصدقائه المقربين ؛ بعد أن عين كلا منهم ملكًا على منطقة من المناطق التي رأى أن سلطانه سيزحف عليها ، واحتفظ لنفسه بلقب « ملك الملوك » .

ووصل « زيفي » في تجواله إلى القسطنطينية حيث عاصمة الخلافة العثمانية ، ويلاحظ أن الخليفة المسلم لم يتعرض له في المدة السابقة ؛ لأنه فيما يبدو لم يُرِد أن يواجه الحماس والصخب الذي أحاط باسم « سبتاي » في أول أمره ، وهذا التصرف من الخليفة المسلم شجع سبتاي إلى أن يدخل عاصمة الخلافة ؛ وهناك ألقى الخليفة القبض عليه ، وأحكم قيده ، وألقى به في قلعة الدردنيل ، واكتفى الخليفة المسلم بذلك فترة نَعِم خلالها « سبتاي » بالكرم والحفاوة ، وزحف كثير من اليهود إلى القسطنطينية ليروا مصير قائدهم ، ولكن أحد اليهود الربانيين البولنديين أعلن أن « سبتاي » كاذب ، وأن حركته تهدد الأمن والسلام ، وانتهز السلطان محمد الرابع هذا الخلاف ، فأحضر « سبتاي » أمامه في جمع حافل ؛ وأعدّ بعض الجند المهرة لقتله ، ثم أعلن هذا السلطان استعداده ليتحول إلى اليهودية إذا استطاع « سبتاي » ابنُ الله ، والمسيح المنقذ كما يدعي ، أن يمنع الرصاص من الانطلاق ، وفي نفس الوقت منح الخليفة فرصة « لسبتاي » ليُعلن أنه كاذب مُدَّعٍ ، وأن يدخل الإسلام إن كان يعرف أنه لن يستطيع إيقاف الرصاص من الانطلاق ، وسرعان ما اختار « سبتاي » السلامة ، وأعلن أنه كاذب ، واعتنق الإسلام أو لم يجد مناصًا من ذلك ، وسُمِّي محمد أفندي ؛ وانتهت بذلك هذه الزوبعة التي أثارها هذا المدعي ، ولا يزال اليهود حتى الآن ينتظرون المسيح . اهـ شلبي .

* * *

الوصل الثاني
في:
أشهر فرق النصارى

أشهر فرق النصارى

أشهر فرق النصارى في عصرنا الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ، وكلها تتبنى الأناجيل الأربعة ، فهي من آثار مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ، وتعتبر البروتستانتية احتجاجاً على الكنيستين الأخريين ، وكل من الكاثوليك أو الأرثوذكس أو البروتستانت توجد بين كل واحدة من هذه الفرق فرق كثيرة ، ومن قبل أن تستقر المسيحية على أربعة أناجيل كانت هناك أناجيل كثيرة كما سنرى ، وكل فرقة تتبع إنجيلاً ، ولكثرة الخلافات بين فرق المسيحية الأولى عقد مجمع « نيقية » ، ولكثرةالخلافات بين فرق المسيحية الثانية عقدت مجامع أخرى ، وها نحن ننقل لك من كتاب الدكتور شلبي عن النصرانية ومجامعها لتعرف من خلالها كيف كثرت الخلافات بين المسيحيين ، وكيف كان الاضطهاد والقهر ومن قِبَل أعداء المسيحية ابتداء وبين المسيحيين أنفسهم انتهاء عوامل أوجدت فرقًا كثيرة ثم وقفت على فرق كثيرة :

« المجامع » :

والمجامع قسمان : مجامع مسكونية (أي عالمية وكلمة مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة) . ومجامع محلية أو مكانية ، وقد عُقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى ، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها ، وقد عقد من المجامع المسكونية ثمانية ، من أهمها :

مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية ، (ألوهية المسيح وألوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثليث بذلك) .

وأما المجامع المكانية فكثيرة . وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة ، أو رفض بعض العقائد ، أو للنظر في بعض الشئون المحلية .

ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجامع أن نلم إلمامة قصيرة شاملة بأهم المجامع

المسيحية ، مسكونية أو محلية ، وأن نبين ما اتخذته من قرارات ، وفيما يلي هذا الحديث :

١ ـ مجمع نيقية Nicaea سنة ٣٢٥ وكان عَقْدُه ردًّا على الوحدانية التي تزعم « أريوس » القول بها ، ويُعَدُّ مؤتمر نيقية أهم المجامع المسيحية ، إذ اتُّخِذَت فيه أخطر القرارات ، وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير وقد حضره من الآباء الروحانيين ٢٠٤٨ وإن الخلاف اشتد بينهم حول القول بألوهية المسيح ، ووصل الخلاف إلى المعارك ، وتبنَّت الأغلبية الساحقة رأي « أريوس » ، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ، ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه الاجتماع ، واتُّخِذَت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس ، وأهم هذه القرارات ما يلي :

(أ) القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرًا عن خطيئة البشر .

(ب) عدم التصريح لمَن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى . كي يكون كل منهم كما قال بولس الرسول : (بعل امرأة واحدة) .

(جـ) اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل .

أقول : وهكذا انتصرت البوليسية على هَدْيِ حواريِّ المسيح ، وحكمت بالإعدام على الهَدْيِ الصحيح للمسيح ، ومع قوة التوحيد وقتذاك فإنه آل أمر أتباعه إلى العكوف على الذات أو تحمل الاضطهاد بعد أن تبنت الدولة الرومانية رسميًّا ضلالات بولس .

٢ ـ مجمع صور الإقليمي الذي عُقِدَ بعد ذلك ببضع سنوات وقرر وحدانية الله وأن المسيح رسوله ، فكان بذلك تجديدًا لرأي أريوس القائل بالوحدانية ، وهذا المجمع لم يُعْترف به.

٣ ـ مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م وقد قرر هذا المجمع أن روح القدس إله .

٤ ـ مجمع إفسس الأول Ephesus سنة ٤٣١ الذي تقرر فيه أن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وأن العذراء ولدت إلهًا وتدعى لذلك أم الإله ، وكان ذلك ردًّا على نسطور .

٥ ـ مجمع إفسس الثاني سنة ٤٤٩ ، وقد دعا لعقده بطريرك الإسكندرية « ديسقورس » للرد على إحياء آراء « نسطور » التي نادى بها « ثاذوريشوس » أسقف كورش وإيرينا وأسقف صور ، واتخذت فيه قرارات بحرمان هذين الأسقفين . ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع .

٦ ـ مجمع خلقيدونية Chalecodon سنة ٤٥١ م ، وقد أيّد هذا المجمع قرار مجمع إفسس الأول ورفض قرار مجمع إفسس الثاني ، ولعن نسطور وديسقورس وأتباعهما ، وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية ثم انتقل إلى خلقيدونية ، وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول ، حتى إذا كان اليوم الثاني مُنِعَ البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واتخذ المجتمعون قرارًا يقول بالطبيعتين والمشيئتين ، ورفض ديسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار ، فنفاه الإمبراطور بعيدًا عن مصر حيث مات في منفاه ، وقد ظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية .

٧ ـ مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م ، وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقيدونية ، ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح ، وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالا .

٨ ـ مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك ردًا على المذهب الماروني الذي كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة .

٩ ـ مجمع رومة سنة ٨٦٩ وفي هذا المجمع تقرر :

(ا) اعتبار الروح القدس منبثقًا من الأب والابن .

(ب) مَنْ يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما .

(جـ) المسيحيون في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما .

١٠ ـ مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة ٨٧٩ برياسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية ، وفيه تقرر أن انبثاق الروح القدس من الأب فقط ، وبهذا المجمع وسابقه تمّ انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية ، وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتُبْطِل قرارات الأخرى ولا تعترف بها .

١١ ـ مجمع رومة الذي عقد سنة ١٢٢٥ ، وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

١٢ ـ مجمع رومة سنة ١٨٦٩ وفيه أن البابا معصوم . ا هـ شلبي .

* * *

ولكي ندرك كثرة الفرق المسيحيّة يكفي أن ننقل لك ما ذكره فريد وجدي في دائرة معارفه عن المقدّمات التي أوصلت إلى حركة لوثر الذي تعتبر فرقته أكبر فرق البروتستانت :

البروتستانتية :

هو المذهب المسيحي الذي ظهر في القرن الخامس عشر إصلاحًا للكاثوليكية . فكلمة البروتستانتية تعني عند أهلها مجموع العقائد والفرق الدينية التي نجمت من حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ، سواء تكونت هذه الفرق من الكاثوليك الذين احتجوا (عملوا بروتستو) في ذلك العصر على الكنيسة الرومانية باسم الإنجيل والعقل ، أو التي تألفت بعد ذلك في قلب الجماعات البروتستانتية ذاتها .

كانت أوروبا تتهيأ لحركة إصلاح ديني عام ضد إفراط الكنيسة الرومانية منذ القرن الثاني عشر . فكانت الكنيسة كلما أمعنت في الحجر على حرية العقول ، تكون رأي جديد مؤداه أن المسيحية ليست إلا مجموع رسوم صورية تقليدية مجردة عن معانيها الروحية والأخلاقية ، وكانت كلما أغرقت في حفظ سلطانها الدنيوي على الأشباح ، وقهرت الشعوب ودوختهم لصيانة سطوتها الحسية نجمت نواجم التمرد عليها تنازعها الحرية ، وتجاذبها الغلبة ، وهي لا تدري أنها تنحط أمام نظر الأمم من أوج سلطتها الروحانية ، إلى حضيض

المنازعات المادية .

هذه الحركة الفكرية ضد الكنيسة الرومانية لم تكن بنت عالم من العلماء أو جماعة منهم ، بل نشأت في البيئات المختلفة في وقت واحد مما يدل على أن الروح السائقة إليها كانت روحًا عامة ، فنبغ العالم (امالريك دوبين) وتلميذه (داود دو دينان) وحاولا نشر مذهب وحدة الوجود في مدارس باريس . وظهرت في الوقت عينه بين العامة جماعات دينية ، ذات وجهات مختلفة كلها متأثرة بروح الانشقاق على الكنيسة الرومانية نَعُدُّ منها جماعة « الكاثار » التي ظهرت في إيطاليا في القرن الثاني عشر واتخذت لها كنيسة مستقلة وامتدت إلى جنوب فرنسا أيضًا .

وجماعة « تاتشيلم » الذي ادعى أنه إله مساوٍ لعيسى في الدرجة ، فاتبعه خلق كثير فتألبت عليه الحكومة والكنيسة وأمسك في مدينة أنفير وقتل سنة ١١٢٤ .

وجماعة « أودون » الذي ادعى أنه هو عيسى نفسه قد ظهر يرد الناس عن غوايتهم ، ويُبصّرهم من عمايتهم ، فقبض عليه سنة ١١٤٨ م ، وأودع السجن حتى مات فيه .

وجماعة « بييرو دو برويس » الذي قبض عليه وأحرق بالنار حيًّا في مدينة تولوز من فرنسا سنة ١١٢٤ ، لأنه كان لايقر على التعميد ولا يقول بعقيدة حضور الله بذاته في الكنيسة ، ويرفض الرهبنة والصلاة على الموتى ، وعبادة الصليب ، وأمورًا أخرى لا محل لذكرها هنا .

وجماعة « الهنريسيان » الذين كانوا يضمرون لرجال الكنيسة حقدا يصل لحد الجنون ، وتلتحق بهم جماعة الباتاران .

ودون هذه الجماعات فرق البوبليكان والرجال الأطهار إلخ إلخ . ا . هـ فريد وجدي .

* * *

الوصل الثالث

في :

افتراق الأمة الإسلامية

وفي :

أشهر الفرق الضالة التي نشأت في بيئات إسلامية

وفي :

الفرقة الناجية

وفيه :

مقدمة وفقرات ونقول

المقدمة

في :

أسباب انشقاق الفرق الضالة

(١)

مرت معنا بعض النصوص التي تتحدث عن افتراق اليهود والنصارى إلى فرق تزيد على السبعين ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، ولا يهمنا كثيرًا أن نعرف فرق اليهود والنصارى فهذه تلزم المتتبعين ، أما من ناحية الجانب العلمي في ذلك فقد ذكر القرآن الكريم ما فيه الكفاية عن ضلال من ضل من اليهود والنصارى ليجنب ما وقعوا فيه ، وهذا هو الجانب العملي والمهم في الموضوع ، أن المسلم غير مكلف بأن يتتبع ماهية فرق النصارى وآراء كل فرقة منهم من مثل اليعاقبة والديصانية والأريوسية والكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية والإنكليكانية وغيرها ، وما تشعبت عن كل واحدة منها ، وكذلك بالنسبة لليهود ، وإنما هو مكلف أن يتجنب ما وقع فيه هؤلاء من ضلال ، وقد بين القرآن ذلك أوضح بيان .

ولكن المهم بالنسبة للمسلم أن يعرف فرق الضلالة من هذه الأمة كي لا يواطئ واحدة منها على ضلالة ، وإن كان ذلك لا يلزم كفريضة عينية إلا بقدر ، لكنه مكلف أن يعرف من عقائد أهل السنة والجماعة ومن الكتاب والسنة ما يحفظه بإذن الله عن أن يقع في أسر فرقة ضالة ، وإنما تدخل المعرفة التفصيلية لهذه الفرق وأسباب ضلالها في باب فروض الكفايات ، وعلى العالمين بمسارات الفرق الضالة أن يحصنوا المسلمين حيثما كانوا بكل ما يحفظهم من أن يقعوا في أسر دعوة ضالة يخالطون أهلها أو يسمعون من أهلها بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويدخل هذا في فروض العين ويختلف من بيئة لبيئة ، ومن زمان لزمان ، ولعل مهمة العلماء في عصرنا أكثر صعوبة من أي عصر سابق . والمسلمون يواجهون بقايا فرق ضالة أو يواجهون دعوات ضالة في عالم يموج بالمذاهب والفلسفات والأديان مع تقدم وسائل الإعلام والقدرة على الإيهام والتضليل ، وعلى هذا فواجب علماء المسلمين أن يحصنوا المسلم

بـالعقيـدة الصحيحـة ، وأن يحصنوه من الـوقـوع في أسر مـذهب أو فلسفـة أو دين أو فرقـة ضالة ، هذا عدا عن واجبات أخرى تلزم العلماء .

ومن ههنا نقول : إن فروض الكفـايـة تختلف سعـة وعـددًا وكميـة وقـائمين بهـا من زمن لزمن ، ومن مكان لمكان كما أن فروض العين العلميـة والعمليـة في حق المسلم تختلف من زمن لزمن ، ومن مكان لمكان ، بل من شخص لشخص .

والموضوع الذي نحن فيه من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تكون محل اهتمام : وذلك هو افتراق الأمة الإسلامية إلى فرق ، فرقة واحدة منها ناجيـة والبـاقيـة هـالكـة أخرويًّـا ، على تفاوت في الهلاك الأخروي على حسب بعد أو قرب هذه الفرق من الاعتقاد الحق .

ما هي أسباب الضلال ؟ ما هي الفرق التي ذكرتها النصوص بأعيانها ؟ ما هي أهم هـذه الفرق التي كثرت فيها النصوص ؟ ما هي الفرق التي أجمع أهل السنة والجماعـة على تضليلهـا أو تكفيرها ؟ وما هي أهم مقولاتهـا ؟ وبعض هـذه الفرق قـد انقرض ولكنـه قـابل للظهور وبعضهـا لا زال مـوجـودًا ، والأمـة تعـاني منـه ، وبعضهـا قـديم الظهـور وبعضهـا حـديث الظهور ، وبعضهـا يتجـدد ظهـوره في كل جيـل وليس مثـل العلم بعـد هـدايـة الله عـاصمًـا للإنسـان ، والكتب في هذا كله كثيرة منها القديم ومنهـا الحـديث ومنهـا مـا يخص فرقًـا ولا يخلو كتاب بعد القرآن ولا يخلو كلام بعد كلام الله وسنـة رسولـه ﷺ ممـا يمكن أن يؤخـذ عليـه ، ومن أشهر الكتب القـديمـة في هـذة الشؤون : مقـالات الإسـلاميين لأبي الحسن الأشعري ، والفَرْقُ بين الفِرَقِ لعبـد القـاهر البغـدادي ، والمِلَلُ والنِّحَلُ للشهرستـاني ، ومثلـه لابن حـزم ، وقـد كتب المحـدثـون عن فرق ظهرت حـديثًـا كالقُرَّتِيَّـة نسبـة إلى قُرَّةِ العين الإيرانية الإباحية ، والبهائية ، والقاديانية ، وهذا الوصل يضعك على لبابٍ من الأمر .

* * *

(٢)

في تأملات شاملة لما وقعت به الأمم من قبل وخاصـة اليهود والنصـارى الـذين قص الله علينا من أخبارهم نجد أنّ من أبواب الضلال الكبيرة :

أولاً : أمراض القلب وما يتفرع عنها من بغي وحسد واتباع هوى يجر إلى مواقف ظالمة ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ (١) .

ثانيًا : الغلو في الأشخاص والأعمال والمواقف : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم ﴾ (٢) . ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ﴾ (٣) .

ثالثًا : التأويل الجاهل ونسيان بعض الحق : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به ﴾ (٤) .

رابعًا : جعل ما ليس من الوحي وحيًا : ﴿ وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾ (٥) .

خامسًا : ترك المجمع عليه والدخول فيما يناقضه : ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ٭ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (٦) .

سادسًا : الجهل بالله ووصفه بما لا يليق بذاته : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (٧) . ﴿ الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (٨) .

وقد وقعت أمتنا فيما وقعت به الأمم السابقة وقد ذكر ذلك رسول الله ﷺ وذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، فوجد عندنا من يغلو بغير الأنبياء فيثبت لهم العصمة حتى

(١) الشورى : ١٤ .
(٢) التوبة : ٣١ .
(٣) المائدة : ٧٧ .
(٤) المائدة : ١٣ .
(٥) آل عمران : ٧٨ .
(٦) البينة : ٤ ، ٥ .
(٧) المائدة : ٦٤ .
(٨) آل عمران : ١٨١ .

فيا خالفوا به النص كا فعلت طوائف من الشيعة ، ووجد من يُؤَلِّهُ البشر كا فعل النصيرية والدروز والإسماعيليون ، ووجد من يدعي النبوة ويُتَابَع كغلام أحمد القادياني ومسيلمة الكذاب ، ووجد التأويل الجاهل كا فعل المعتزلة ، ووجد التشبيه كا فعل المشبهة ، ووجدت المواقف الغالية كا فعل الخوارج ، ووجد تعطيل العمل كا فعل المرجئة ، ووجد الإباحيون الذين يستحلون المحرمات ، ووجد المعطلون للشريعة كا يفعل العلمانيون .

وسر الأسرار في الزيغ والضلال اتباع المتشابه وترك المحكم .

والمتشابه في هذا المقام نسبي ، فكثير من المتشابهات التي ضل بها أقوام إنما هي متشابهات بالنسبة لمُحْكَمٍ معيّن ، وهذه القضيّة من أخطر القضايا ولابد أن تفهم :

فالقرآن الكريم في حيثيّة من حيثيّاته كلّه محكم . قال تعالى : ﴿ **كتاب أُحكِمَتْ آياتُه ثمّ فصّلتْ من لدن حكيم خبير** ﴾ (١) .

فالإحْكَامُ قدر مشترك في القرآن .

والقرآن من حيثيّة أخرى كلُّه متشابه : ﴿ **الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها** ﴾ (٢) .

فالقرآن يشبه بعضه بعضًا من حيث كونه حقًا ومعجزًا إلى غير ذلك ، ولكن نصوص القرآن منها ما هو قطعي الدلالة ، فهذا محكم بالنسبة لغيره ومنه ما يحتمل أكثر من معنى ، ومن هنا ذكر الأصوليّون أنّ النصوص أقسام فمنها :

المؤوّل وهو ما يَحْتَمِلُ أكثر من وجه أحدها صحيح ، والباقي غير صحيح ، ومن المؤوّل المتشابهُ .

ومنها : النص وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على المعنى الذي سيق له مع احتمال التخصيص إن كان عامًا ، والتأويل إن كان خاصًا .

---

(١) هود : ١ .

(٢) الزمر : ٢٣ .

ومنها : الظـاهر وهو اللفـظ الـذي ظهرت دلالتـه على المعنى الـذي لم يسق لـه واحْتُمِلَ غيره احتمالاً مرجوحًا .

ومنهـا : المُفَسَّرُ وهو اللفـظ الـذي ظهرت دلالتـه على معنـاه الوضعي مع احتمال النسـخ وحده .

ومنها : المُحْكَمُ وهو اللفظ الذي ظهرت دلالته على معناه الوضعي بدون احتمال شيء .

ومن ههنا وجد ما يسمى متشابهًا عند العلماء .

ولكن هناك نصوصًا هي متشابهة في حق الجهلة وبسبب من ذلـك ضل من ضل ، فمثلاً يوجد من يأخذ من قولـه تعـالى : ﴿ والأرض وضعهـا للأنـام ... ﴾[1] أن الأرض لا تُمْلَـكُ لأنها لجميع بني البشر وبالتالي فلا ملكيّـة في الأرض لأحـد ، فهؤلاء تركوا الحكم في الشريعـة الذي يجيز تملّك الأرض وبنوا على متشابه ، ولكن هذا المتشابه متشـابـه في حقّهم وليس هو في الأصل متشابهًا عند العلماء ومن ههنا نقول :

إن أكثر من ضل عن الحق من هذه الأمة إنما ضل بسبب متابعته المتشابـة وحَمْلِ المُحْكَمِ عليـه ، سواء كان متشـابهًـا في الأصل في اصطلاح الفقهـاء أو متشـابهًـا بسبب من الجهـل أو الهوى ، والأصل أن يتابع المسلم المحكم ويحمل المتشابه عليـه سواء كان متشـابهًـا في الأصل لا يدركه إلا الراسخون في العلم أو متشـابهًـا في توهم بعض النـاس ، ومن ههنـا نفرق بين فرقـة ضلت في فهم المتشابه في اصطلاح العلماء كالمعتزلة ، وبين فرقة ضلت لمتابعة الجهل في قضيـة لُبِّسَتْ عليهم كالخوارج والمرجئة وبعض فرق الباطنية .

وهناك ناس كفروا أصلاً ، وحـاولوا أن يُكَفِّروا المسلمين ولكن من خلال التلبيس عليهم ببعض النصوص المتشابهة فهؤلاء كفار يتعمدون الكفر والتكفير .

* * *

---

(١) الرحمن : ١٠ .

(٣)

والعاصم من الوقوع في الضلال : الاعتصام بالكتاب والسنة وما عليه سلفنا الصالح والعلم الصحيح وما عليه السواد الأعظم من علماء الأمة الإسلامية خلال العصور ، ومتابعة الراسخين في العلم من هذا السواد الأعظم ، ولم تخل الأمة في كل عصر من أهل رسوخ في العلم : كالأئمة الأربعة والنووي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والعز بن عبد السلام وأمثال هؤلاء .

* * *

(٤)

وهناك إجماع عند الراسخين في العلم على أن هناك فرقًا دخلت في دائرة الضلال وفرقًا دخلت في دائرة الكفر ، ومن أمهات القضايا التي ضلت بسببها بعض الفرق :

١ ـ ادّعاء أن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر .

٢ ـ الموقف من نصوص السنة أصلاً ثم من إلزاميّتها .

٣ ـ التشبيه .

٤ ـ التأويل الجاهل .

٥ ـ التكفير بالمعصية .

٦ ـ الموقف من الإمامة والخلافة .

٧ ـ التشكيك في الصحابة ، أو سب بعضهم أو تكفيره .

٨ ـ نفي القدر .

٩ ـ الجبر .

١٠ ـ الغلو .

* * *

(٥)

ونحب أن نقف وقفة عند الغلو :

فلم يـزل الغلـو بـابًـا من أبـواب الضـلال والانحراف عن هـدي الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسلام ، قال تعـالى : ﴿ قل يـاأهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [١] ، ﴿ يا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ... ﴾ [٢] .

وللغلو مظاهر منها : الغلو في الأشخاص : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريمَ ﴾ [٣] . ومنها الغلو في تطبيق الدين : وذلك بالتشديـد فيـه بتحريم الحلال واعتقاد فرضية ما ليس فرضًا . ومنهـا : التسرع في التكفير ، ومنهـا الغلو في العمل حتى تحمل النفس فوق طاقتها كالترهب وقد عالج الكتاب والسنة الغلو كله .

٤٣٢ ـ * روى الإمام أحمد عن ابن عبـاس رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « ... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو بالدين » .

٤٣٣ ـ * روى الطبراني عن أبي أمامـة رفعـه : « صنفـان من أمتي لن تَنـالَهما شفـاعتي : إمام ظَلُوم غَشُومٌ وكل غالٍ مارِق » .

* * *

(١) المائدة : ٧٧ .

(٢) النساء : ١٧١ .

(٣) التوبة : ٣١ .

٤٣٢ ـ مسند أحمد (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) .
والنسائي (٥ / ٢٦٨) ٢٤ ـ كتاب المناسك ، ٢١٧ ـ باب التقاط الحصى .
وابن ماجه (٢ / ١٠٠٨) ٢٥ ـ كتاب المناسك ، ٦٣ ـ باب قدر حصى الرمي . وإسناده صحيح .

٤٣٣ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٥) . وهو حسن .
غال : من الغلو وهو مجاوزة الحد ببدعة أو كفر .

(٦)

ومع وضوح النصوص التي تبين الهدى من الضلال ، بحيث لا تغيب عن عالم منصف ماهية الهدى من الضلال ، فقد ذكر الرسول ﷺ ما يحدث في أمته من بعده ، ومن جملة ذلك الاختلاف والتفرق والقتال ، كما ذكر أن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقيات في النار ، وقد أعطانا القرآن الميزان الذي نعرف به فرق الضلالة وذلك هو اتباعهم المتشابه وحمل المحكم عليه بدلاً من اتباع المحكم وحمل المتشابه عليه ، وهذه هي ميزة الفرقة الناجية أنها تعمل بالمحكم وتؤمن بالمتشابه وتحمله على المحكم ، وبهذا الميزان يعرف الإنسان أن أهل السنة والجماعة على حق .

* * *

(٧)

وقد حدث قتال بين الصحابة بين علي من جهة وبين معاوية من جهة أخرى ، وبين علي من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى ، والجميع من أهل السنة والجماعة بشهادة النصوص ، لكن عليا كان على حق وصواب ، والآخرون كانوا على خطأ ، ولضيق هذا المقام وللخوف على العامة أن يسبق إلى قلوبهم ما تزيغ به فقد نهى العلماء عن الخوض في ذلك إذ إن في كلٍ من الفريقين مبشرين بالجنة وإنهم كانوا متأولين ، وكلهم يعتقد أنه على الحق ، وحدث قتال بين علي والخوارج ، والنصوص واضحة أن عليًا على الحق والصواب ، والخوارج كانوا على خطأ وضلال بسبب ما اعتقدوه من تكفير علي وعثمان .

واعتقد ناس أن الحق في الخلافة لآل بيت الرسول ﷺ ونشأ بسبب من ذلك التشيّع ، لكن شيعة آل البيت افترقوا فمنهم غالٍ ومنهم مقتصدٌ ، والنصوص المحكمة حكم على الجميع ، وقد ورد عن علي بن أبي طالب قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إن فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بَهَتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به » ، ألا وإنه يَهْلِكُ فِيَّ اثنان محب مفرط يقرّظني بما ليس فِيَّ ومبغض يحمله شنآني على أن يَبْهَتَنِي ، ألا وإني لست بنبي ، ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله

وسنة نبيه ما استطعت فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم فيما أحببتم وكرهتم [(١)] .

وهكذا وجدت فرقتان رئيسيتان منذ الصدر الأول تفرعت عنهما فرق كثيرة ، وبسبب من التباس الأمر على بعض الناس في الخلاف بين علي وخصومه فقد وجد الإرجاء ، وكان بسيطًا ثم تفلسف وانحرف ، وبسبب من الجنوح في التأويل وجد الاعتزال ، وهكذا وجدت أربع فرق رئيسية ضالة منذ الصدر الأول : الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة . وتَفَرَّعَ عن كلٍّ فِرَقٌ ، ثم ظهرت فرق أخرى كالذين يعتمدون القرآن دون السنة.... أو الذين يرون سقوط التكليف كبعض الصوفية ، ولم تزل الأيام تلد فرقًا جديدة فهذا القرن الماضي ولدت فيه القاديانية والبهائية ، ولا يخفى على العالم البصير ولا على الذين يخالطون أهل الحق ويقرؤون القرآن أن يدركوا الضلال بسرعة ويعرفوا أهله ، والملاحظ أن النصوص في شأن الخوارج كانت أكثر من النصوص التي ذكرت فرقًا أخرى وذلك لِحِكَم :

أولاً : لأنهم أول الفرق ظهورًا والناس لا زالوا على ذكرٍ بأحاديث الرسول ﷺ .

ثانيًا : لأنهم يغرون العامة بسبب تشددهم وغلوهم .

ثالثًا : لأنهم يجتذبون أعدادًا كبيرة من الناس بسبب استعداد العامة للخروج على السلطان .

والخروج على السلطان أنواع ، والبغاة هم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق ، أما سواهم فقد يكونون أهل حق وقد يكونون ظالمين بخروجهم .

* * *

(٨)

وأخيرًا نقول : هناك فرق ضالة أو كافرة مشهورة معروفة عند العامة والخاصة من أهل السنة والجماعة ، وهناك أئمة ضلال معروفون عند أهل العلم خاصة ، وبالتالي فقد لا يعرف

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٣٣) وقال : رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى أتم منه ، وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف . وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف . ا.هـ. قلت : ومع أن في الحديث ما رأيناه من ضعف فإن الحديث صحيح معناه وقد وقع .

غير المختص من المقصودَ بهؤلاء ، وهناك فرق تُذْكَرَ وهي تندرج في فرقة تعتبر أُمًّا لهم :

فالشيخ عبد القاهر البغدادي أوصل الخوارج إلى عشرين فرقة وكلهم فرقة واحدة ، وأوصل المعتزلة إلى عشرين فرقة وكلهم فرقة واحدة ، ونتيجة لذلك فإن بعضهم ذكر في كتب الفرق المؤلفة قديمًا أكثر من سبعين فرقة مع أنه قد وجدت بعد ذلك فرق أخرى ونحن نرى أن الفرق الاثنتين والسبعين الضالة التي ستوجد في هذه الأمة ليس شرطًا أن تكون قد وجدت كلها ، فقد تأتي العصور اللاحقة بجديد ، فالرسول ﷺ تحدث عن ثلاثين مدعيًا للنبوة سيكونون في هذه الأمة وذكر دجالين كثرًا وقد يكون بعض هؤلاء لم يظهروا بعد ، ولذلك فنحن سنعرِّف في هذا الفصل على بعض الفرق مما أجمع أهل السنة والجماعة على تضليل أهلها أو تكفيرهم .

وبعض هذه الفرق لازالت موجودة وبعضها قد انقرض ، والموجودون في عصرنا على أنواع فمنهم من تستطيع تكفيره دون تردد ما دام يؤمن بما هو المعروف عن فرقته ، وبعضهم يمكن أن تتوقف في الحكم عليه حتى تعرف حدود أخذه عن فرقته .

وسنذكر في هذا الوصل الفقرات التالية :

الفقرة الأولى : في ضرورة التعرف على فرق الضلال وفي بعض الملاحظات حول ذلك .

الفقرة الثانية : في نصوص تتحدث عن أعلام في الضلال .

الفقرة الثالثة : في أشهر الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية وهي ليست من أهل السنة والجماعة .

الفقرة الرابعة : في الخوارج خاصة .

الفقرة الخامسة : في ضرورة لزوم الجماعة وفي التعرف على الفرقة الناجية .

* * *

الفقرة الأولى

في :

ضرورة التعرف على فرق الضلال

وبعض الملاحظات حول ذلك

لقد حَدَّثَ رسول الله ﷺ أصحابه عن قائد كل فتنة يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا كما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : والله ما أَدْري أَنَسِيَ أَصْحابي أَمْ تَنـاسَوْا ؟والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا ، يبلغ مَن معه ثلاثمائة فصاعدًا ، إلا قد سَمَّاه لنا باسمِه واسمِ أبيه واسمِ قبيلتِه [١] .

فدل ذلـك على أن التعرف على أئمـة الضلال مما ينبغي أن يعرفـه المسلم ، وأن التعريف على أئمـة الضلالـة من سنن رسول الله ﷺ ، ومن ثم كان قسم كبير من هـذا الوصل في هـذا الشأن .

* * *

الفرق التي خرجت عن الاعتقاد الحق على أنواع ، فمنها : مـا خرج من الإسلام بـالكليـة وإن كانت أصوله إسلامية وادعى أنه يبني على فهمٍ لنصوصٍ ، وهل مثل هـذه الفرق داخلـة في الفرق الثنتين والسبعين أوْ لا ؟ الراجح أنها داخلة بها قياسًا على فرق اليهود والنصـارى ، وبعض الفرق لم يصل إلى حد الكفر المطلق ، وإنما هم ضُلَّالٌ مُبْتَدِعون ، وبعضهم أكثر ضلالاً من بعضهم الآخر ، وبعضهم تعتبر بدعته خفيفة وبعضهم تعتبر بدعته شديدة ، وأفظع أنواع الابتداع ابتداع الاعتقاد ، أما بِدَعُ الأعمال فهذه على أنواع ، فمنها : ما يكره ، ومنها : مـا يحرم، ومنها : ما يجوز . والعبرة فيها للفتوى من أهلها .

* * *

وهناك فرق بدأ ضلالها من غُلُوٍّ في فكرة صحيحـة في الأصل ثم تشعبت من هـذه الفرق

(١) أبو داود (٤ / ٩٥) . كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده صحيح .

فرق أشد غُلُوًّا ، وهكذا من غلو أخفً إلى غلو أشدً وصلت بعض التوجهات إلى مداها المكفر ، فحب آل البيت ابتداء شيء مطلوب شرعًا ، واعتقاد أن عليًّا هو خليفة راشد وأن الحق والصواب كانا معه مدة خلافته ، كل هذه أفكار صحيحة ، فإذا قال قائل بعد ذلك : إنه الأحق بالخلافة من الأئمة الثلاثة الذين كانوا قبله مع التسليم بخلافتهم فهذه بدْعةٌ خفيفة مع أنها تخالف ما التقى عليه الصحابة ، فإذا ما رفض آخرون أن يسلموا بإمامة الشيوخ الثلاثة فقد دخلوا في بدعة ضلالة ، فإذا كفَّروا الأئمة الثلاثة فقد وصلوا إلى الكفر كما ذكر الشيخ عبد القاهر البغدادي : « فإذا ما غلوا بعلي وآل بيته حتى أعطوهم صفة الألوهية فذلك إيغال في الكفر ، فإذا ما اجتمع إلى هذا آراء كفرية أخرى كالقول بالتناسخ وأن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر ، وأن الباطن يستقل بفهمه الإمام ، فإذا بلغهم عمن يدعي الإمامة ما ينقض الشريعة تابعوه فذلك كفر على كفر وظلمات بعضها فوق بعض » .

وكثيرًا ما حدث في تاريخ الفرق أن غلوًا خفيفًا أوصل إلى غلو غليظ ، وأحيانًا يحدث العكس غلو شديد يعدِّل إلى غلو أخف ، فالمعتزلة مثلا عدلوا القول بنفي القدر بالجملة ، وعلى كلٍّ فإنه تتولد عن فرقة أمّ فِرَقٌ مختلفة ، ومن الفرق التي لها وجود فعلي في الأمة : الشيعة الإثنا عشرية ، والإسماعيليون ، والدروز ، والنصيرية ، والجارودية ، واليزيدية عباد الشيطان ، فلهم بقية في سورية والعراق ، والمعتزلة فلم تزل بعض عقائدهم تتسلل إلى كثير من الناس ، والقاديانية ، والبهائية ، والقائلون بإسقاط التكليف ، والمشبهة ، والقائلون بوحدة الوجود ، والعلمانيون القائلون بفصل الدين عن الدولة وهم من المرتدين الذين يشكلون تيارًا عريضًا .

* * *

أما أحكام الفرق الثنتين والسبعين فتختلف من فرقة إلى فرقة ، فبعض الفرق الثنتين والسبعين لهم أحكام المسلمين الدنيوية كاملة ، وبعض أهل هذه الفرق لهم بعض أحكام المسلمين الدنيوية لا كلها ، وبعض هذه الفرق ليس لها أحكام المسلمين أصلاً بل ولا أحكام أهل الكتاب لأنهم مرتدون أو استمرار للمرتدين ، فلهم بذلك أحكام خاصة لأنهم ورثوا الردة ، فهؤلاء المرتدون ومن تابعهم على ردتهم لا يجوز تزويجهم ولا التزوج منهم ولا أكل

ذبائحهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين ولا الصلاة عليهم .

قال عبد القاهر البغدادي :

[فإن كان على بدْعة الباطنية ، أو البَيَانية ، أو المُغيرية ، أو الخَطَّابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها بأن شريعة الإسلام تُنْسَخ في آخر الزمان ، أو أباح ما نص القرآنُ على تحريمه ، أو حَرَّم ما أباحه القرآن نصًّا لا يحتمل التأويل : فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامةَ له . وإن كانت بدعته من جنس بِدَعِ المعتزلة ، أو الخوارج ، أو الرافضة الإمامية ، أو الزيدية ، أو من بدع النجَّارية ، أو الجَهْمية ، أو الضِّرارية ، أو المجسِّمة فهو من الأمة في بعض الأحكام ، وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أن لا يُمنْع حَظُّه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفي أن لا يُمْنَع من الصلاة في المساجد ، وليس من الأمة في أحكام سواها ، وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خَلفَه ، ولا تحلّ ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سُنِّية ، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم . وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج : علينا ثلاث : لا نَبْدَؤكم بقتال ، ولا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَ الله ، ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا] . ا . هـ (الفَرْقُ بين الفِرَقِ) .

والمسألة لها تفصيلات كثيرة ، وللفقهاء اجتهادات متعددة ، وبعض من انتسب في الفرقة قد لا يؤمن بكل ما عليه فرقته فله حكم خاص ، والعبرة في حق كل شخص بما هو عليه ،والفتوى البصيرة من أهلها هي محل العمل .

* * *

وإذ لم يكن هذا الكتاب ملتزمًا بالتفصيل إلا فيما تمس إليه الحاجة ، وإذ كان الكلام عن الفرق يحتاج إلى كتب خاصة بذلك ، فإننا نكتفي بإشارات مع ملاحظة أننا اعتمدنا في التعريف على بعض الفرق على كلام عبد القاهر البغدادي ، وقد كتب كتابه (الفَرق بين

الفِرَق) في القرن الخـامس الهجري وبعض من كتب عنهم واستمروا بعـده ، قـد يكونون بقوا على ما كانوا عليه وقد يكونون ازدادوا غلوًّا وقد يكونون قد خف غلوهم .

* * *

الفقرة الثانية

في :

نصوص تتحدث عن أعلام في الضلال

منذ الصدر الأول ظهرت أربع فرق رئيسية في الأمة الإسلامية هي :

الخوارج والتشيّع الغالي والإرجاء والاعتزال .

فالخارجية غلت في التكفير ، والتشيّع الغالي قام على الغلو بعلي وبآل بيته رضي الله عنهم ، وعلى بغض الكثيرين من الصحابة ، والإرجاء أنواع والضالون من أهله هم الذين يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية . والاعتزال يقوم على عدم إعطاء موضوع الإيمان بالقدر مداه الذي ذكرته النصوص .

ولأن هذه الفرق الأربع ظهورها متجدد في الأمة الإسلامية ، ولأنها ستظهر قريبًا من عهد النبوة فقد خصّت بالذكر في نصوص .

وسنذكر في هذه الفقرة بعض النصوص التي ذكرت هذه الفرق ، ولأنّ أعظم ضلال في عصرنا هو الانطلاق من فكرة العلمانية بمعنى اللادينيّة وإقامة ذلك على فكرة الموضوعيّة بمعنى البحث العقلي المجرّد فسنذكر نصًا في ذلك ، ولأنّ بعض أنواع من الضلال ينتشر بسبب تبنّي مَنْ له السلطانُ فسنذكر نصًا يحدّد موقف أهل الهدى من ذلك ، وللتفريق بين ما هو فتنة قائمة على اجتهاد خاطئ وبين ما هو اجتهاد ضالّ فسنذكر نصّين . وهذه هي النصوص :

٤٣٤ - * روى الطبراني ، عن عوفِ بنِ مالك ، عن النبي ﷺ قال : « تفترق أمتي على بِضْع وسبعين فِرقةً . أعظمها فتنةً على أمتي قوم يَقيسون الأمورَ برأيهم فيُحِلون الحرام ويُحَرمون الحلال » .

لم تزل الأمّة الإسلاميّة تتأثّر بمثل هذا النوع من الناس الذين ذكرهم الحديث

---

٤٣٤ - المعجم الكبير (١٨ / ٥٠) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٩) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

الشريف ، ولكن قد تمرّ على الأمّة الإسلاميّة موجات عاتية بسببٍ من هؤلاء ، وأعتى موجتين هما : الموجة التي أنهاها الغزالي في كتابه : تهافت الفلاسفة ، والموجة التي شاهدها عصرنا في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، إذ ظهرت في هذه الموجة أفكار التقدّميّة والرجعيّة واليمين واليسار والعلمانيّة والعقلانيّة والموضوعيّة والعاطفيّة ، والتفريق بين الدين والدولة ، ومحاولة إظهار العلم والعقل كمتعارضين مع الدين ، وتأثّرت الأمّة الإسلاميّة بهذه الأفكار كثيرًا ولكن أخذت هذه الأفكار تنحسر شيئًا فشيئًا ، وها نحن نشهد في بداية القرن الخامس عشر الهجري بداية النهاية لهذه الأفكار .

وليس المراد من هذا الحديث ما يفهمه منه بعض الجهلة من نفي القياس الشرعي المتعارف عليه في أصول الفقه ، فذلك من الدين ، وهو مما تبنى عليه الأحكام الشرعية .

٤٣٥ - * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : دخل رسولُ الله ﷺ فقال : « يا ابن مسعود » فقلت : لبيك يارسولَ الله . قالها ثلاثًا . قال : « تدري أيُّ الناسِ أفضل ؟ » قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلم . قال : « فإن أفضل الناس أفضلُهم عملا إذا فَقُهوا في دينهم » . ثم قال : « يا ابن مسعود » . قلت : لبيك يارسول الله . قال : « تدري أيُّ الناسِ أعلم ؟ » قلت : اللهُ ورسولُه أعلم . قال : « إن أعلم الناسِ أبصرُهم بالحق إذا اختلفَ الناسُ ، وإن كان مقصرًا في العمل وإن كان يزحف على استه زحفًا . واختلف من كان قبلي على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سَائرُهنّ ، فِرقةٌ وازت الملوكَ وقاتلوهم على دينهم ودين عيسى بنِ مريمَ ، وأخذوهم [أي : أخذ الملوك هؤلاء] وقتلوهم وقطعوهم بالمناشير . وفرقةٌ لم يكنْ لهم طاقةٌ بموازاة الملوك ولا بأن يُقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى الله ودين عيسى بن مريم فساحوا في البلاد وتَرَهبوا » قال : « وهم الذين قال الله عز وجل ﴿ **رهبانيةً ابتَدَعوها ما كَتبناها عليهم إلا ابتغاءَ رضوانِ الله** ﴾ » الآيةَ . فقال النبي ﷺ : « من آمنَ بي

---

٤٣٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٠) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف وثقه أحمد وفيه ضعف . ا . هـ .

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن جرير .

قال ابن حجر : بكير بن معروف صدوق فيه لين . ا . هـ .

وصَدَّقَنِي واتبعني فقد رعاها حقَّ رعايتها ، ومن لم يتبعني فأولئكَ هم الهـالكون » .
وفي روايـة « فِرقـةٌ أقـامت في الملـوك والجبـابرة فـدعت إلى دين عيسى فـأُخِـذَتْ وقُتِلتْ بالمناشير ، وحُرِّقَتْ بالنيرانْ فصَبَرَتْ حتى لَحِقَتْ باللهِ » . والباقي بنحوه .

الملاحـظ أن الرسول ﷺ ذكر ثلاث فرق تنجو ، ثم فصّل فلم يـذكر إلا فرقتين ، فرقـة الآمرين بـالمعروف والنـاهين عن المنكر للملـوك والجبـابرة ، وفرقـة الرهبـان . والظـاهر أن الفرقة الثالثة هم الذين تمسكوا بالحق ولم يكن لهم طاقة على هذا وهذا ، وهم المغيرون للمنكر بقلوبهم . وبـالنسبـة لأمتنـا جعل النـاس على ثـلاثـة أنحـاء كلهم نـاجـون ؛ المغيرون للمنكر بأيديهم إن استطاعوا ، والمغيرون بألسنتهم إن لم يستطيعوا إلا ذلك ، والمغيرون بقلوبهم إن لم يستطيعوا إلا ذلك .

٤٣٦ ـ * روى الطبراني في الأوسـط عن أنسِ بنِ مـالـكٍ قـال : قال رسول الله ﷺ : « القَدَرِيَّةُ والمُرْجِئَةُ مَجوسُ هذه الأمةِ ، فإن مَرِضُوا فلا تَعُودوهم ، وإن مَـاتوا فلا تَشْهَدُوهم » .

المراد بالمجوس في الحديث عبّاد النار من الفرس ومن تابعهم ، وهؤلاء يقولون بوجود إلـه النـور وإلــه الظلمــة فيثبتـون فـاعلين ، والقــدريّــة يثبتـون فـاعـلاً مـع الله ولــذلــك شابهوهم ، والمجوس يعطون للشيطان نوع طاعة ، والمرجئة يطيعون الشيطان بترك التكليف فشابهوهم .

٤٣٧ ـ * روى الترمذي عن ابن عباس وجابر بن عبدِ اللهِ قـالا : قـال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ أَهْلُ الإِرْجَاءِ وَأَهْلُ القَدَرِ » .

---

٤٣٦ ـ الهيثمي (٧ / ٢٠٥) وقال : رواه في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروى ، وهو ثقـة. اهـ.
ورواه عن ابن عمر دون ذكر المرجئة أبو داود (٤ / ٢٢٢) كتاب السنة ، ـ باب في القدر .
المستدرك (١ / ٨٥) . وهو حسن .

٤٣٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٤) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٣ ـ باب من جاء في القدرية .
ابن ماجه (١ / ٢٨) المقدمة ، ٩ ـ باب في الإيمان .

٤٣٨ - * روى الترمذي عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ هَذهِ الأُمَّةِ لَيْسَ لَهُمَا فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ الْمُرجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ » .

٤٣٩ - * روى الطبراني عن ابن عباسٍ قال : كنتُ عند النبي ﷺ وعندَه عليٌّ فقال النبي ﷺ : « ياعلي سيكونُ في أمتي قومٌ ينتحِلون حبَّ أهلِ البيتِ لهم نَبَزٌ يُسَمَّوْنَ الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون » .

٤٤٠ - * روى الحاكم عن عِكْرِمَة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا منه حديثه في شأن الخوارج . فانطلقا فإذا هو في حائط له يصلح ، فلما رآنا أخذ رداءه ثم احتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى علا ذكره في المسجد ، فقال : كنا نحمل لبنةً لبنةً ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فرآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل ينفض التراب عن رأسه ، ويقول : « يا عمارُ ألاَ تحمل لبنةً لبنةً كما يحمل أصحابُك » . قال : إني أريد الأجرَ عند الله . قال : فجعل ينفض ويقول : « ويحَ عمارٍ تقتله الفئة الباغيةُ » . قال : ويقول عمارٌ : أعوذ بالله من الفتن .

فلقد قتلت عمّارًا فئة معاوية ، فدلّ ذلك على أنّ فئة معاوية كانت باغيةً على عليٍّ رضي الله عنه ، وكان عمار مع عليٍّ ، فدل ذلك على أن عَليًّا هو أهل الحقّ والصواب ، ومع هذا فإنّنا نحكم لمعاوية وجنده ولعائشة ومن معها على أنّهم من أهل السنّة والجماعة ، فههنا اجتهاد

---

٤٣٨ - الترمذي (٤ / ٤٥٤) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٣ - باب ما جاء في القدرية .

ابن ماجه (١ / ٢٤) المقدمة ، ٩ - باب في الإيمان .

وقال الترمذي : غريب حسن صحيح . وضعفه والذي قبله بعض العلماء .

٤٣٩ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٤٢) .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٢) وقال : إسناده حسن .

نَبَزٌ : النَّبَزُ اللَّقبُ .

٤٤٠ - المستدرك (٢ / ١٤٩) .وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأخرج نحوه البخاري في الجهاد ٦ / ٣٠ .

(في حائط له) : أي في بستان .

(يحدّثنا حتّى علا ذكره في المسجد) : يظهر أنّ (في) ههنا بمعنى : (عن) لأنّ الحديث كان في البستان ، وكأنّ المراد أنّه حدّثها عن بناء المسجد النبوي وما كان يفعله عمّار وماذا قال له رسول الله ﷺ .

خاطئ لا يجعلُ أهلَهُ من الفرق الضالّة ، ومن ههنا نقول : إنه إذا وجد الاعتقاد الصحيح فقد وجد أهل السنّة والجماعة ،وإن حدث اجتهاد خاطئ ترتّب عليه عمل خاطئ بل حتّى لو وجدت معاصٍ لا تُكَفِّرُ ولا تُضَلِّلُ .

سنرى في فقرة لاحقة من هم الخوارج وأَنّهم فرقة ضالة ، والملاحظ أنّ ابن عباس أرسل عكرمة وابنه للسؤال عن الخوارج فكان حديث أبي سعيد عن عمّار وقتله من قبل الفئة الباغية ، وقد قتلته فئة معاوية ، والبغاة هم الخارجون على الإمام الحقّ بغير الحقّ وهم نوعان : خارجون كأثر عن اعتقاد خاطئ ، وخارجون عن اجتهاد خاطئ ، فالأوّلون هم الخوارج والآخَرون بغاة ، وقد يكونون آثمين ،وقد يكونون مأجورين على حسب نوع اجتهادهم ومبررات خروجهم .

٤٤١ ـ * روى مسلم عَنْ يَحْيَي بْنِ يَعْمَرَ ؛ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِي . فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنا : لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤلاَءِ فِي الْقَدَرِ . فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدَ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ . فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي . أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ

---

٤٤١ ـ مسلم (١ / ٣٦) ـ كتاب الإيمان ١ ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... إلخ .

قال النووي :

(أول من قال بالقدر) : معناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أهل الحق . ويقال القدَر والقدْر ، لغتان مشهورتان .

واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر . ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة . فهي تقع على حسب ما قدّرها سبحانه وتعالى .

(فوفق لنا) : معناه جعل وفقا لنا . وهو من الموافقة التي هي كالالتحام . يقال أتانا لتيفاق الهلال وميفاقه ، أي حين أهلَّ ، لا قبله ولا بعده . وهي لفظة تدل على صدق الاجتماع والالتئام .

(فاكتنفته أنا وصاحبي) : يعني صرنا في ناحيتيه . وكنفا الطائر : جناحاه .

(ويتقفرون العلم) : ومعناه يطلبونه ويتتبعونه . وقيل معناه يجمعونه .

(وذكر من شأنهم) : هذا الكلام من كلام بعض الرواة الذين دون يحي بن يعمر . يعني وذكر ابن يعمر من حال هؤلاء ، ووصفهم بالفضيلة في العلم والاجتهاد في تحصيله والاعتناء به .

(وإن الأمر أنف) : أي مستأنف ، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى . وإنما يعلمه بعد وقوعه . ا . هـ النووي .

وَالآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ . فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلامَ إِلَيَّ . فقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ ! إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ (وذَكَرَ مِنْ شأنهم) وأنهم يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ . وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ . قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أني بَرِيءٌ مِنْهُمْ ، وأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي . وَالَّذي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ! لَوْ أَنَّ لأحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهبًا فَأَنْفَقَهُ ، مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّى يُؤمِنَ بِالْقَدَرِ .

تعليق :

تطلق كلمة القدرية على نفاة القدر ، والقدرية قدريتان :

فالأولى : هي ما ذكرته هذه الرواية ، فهؤلاء ينفون القدر جملة وتفصيلاً ، والظاهر أنهم اندثروا بعد ملاحقة حكام المسلمين لأئمتهم .

وأما القدرية الثانية : فيطلقها أهل السنة والجماعة على المعتزلة القائلين بإثبات القوة المودعة ، والقائلين بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه مما يلزم من قولهم أن ما يجرى في هذا العالم : أسبابًا ومسبباتٍ لا دخل مباشرة للإرادة الإلهية أو القدرة الإلهية فيها ، وذلك نوع نفي للقدر .

فالقدر هو الإيمان بأن كل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن ما حدث وما يحدث مسجل في اللوح المحفوظ .

وسنرى تفصيلات ذلك في الباب الثاني من هذا القسم .

* * *

الفقرة الثالثة

في أشهر الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية وليست من أهل السنة والجماعة

لقد رأينا أنّ رسول الله ﷺ ذكر أنّ هناك ثنتين وسبعين فرقة من فرق الضلال ستظهر في أمته وهناك فرقة واحدة هي الفرقة الناجية وهي ما يطلق عليه اسم : أهل السنّة والجماعة .

وقد ظهر في تاريخ المسلمين فرق كثيرة لم يحكم عليها أهل السنّة والجماعة بالكفر ، وهناك فرق أجمع على كفرها أهل السنّة والجماعة ، وهناك أناس أصولهم إسلاميّة تابعوا مدّعي نبوّة كَذَبَةً وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن ظهور من سيدّعي النبوة في أمته ، وهناك ناس تابعوا مدّعي ألوهية فكل الفرق الكافرة هذه تدخل في الثنتين والسبعين فرقة ، أو أنّ المراد بالاثنتين والسبعين فرقة فرق لا زال لها من الإسلام نصيب على ضلال بقرب أو ببعد عن الحقّ ، وبعض الفرق الرئيسية التي أجمع أهل السنّة والجماعة على ضلالها افترقت على فرق كثيرة كالخوارج والمعتزلة ، فهل تعتبر كل شعبة من هذه الفرق فرقة برأسها ، أو أنّ الجميع يعتبرون فرقة واحدة . لهذه النقاط تجد كتّاب الفرق القدماء يوصلون الفرق التي ظهرت حتّى عصرهم إلى حوالي السبعين ، على أنّه قد ظهرت فرق أخرى بعد ذلك ، ولو أردنا تتبّع من ادّعى الألوهيّة أو ادّعى النبوة وأسماء أئمة الضلالة وبماذا ضلّوا لوجدنا الكثير ، ولطال بنا المقام ، ولخرج البحث عن الحدود التي يحتملها هذا الكتاب ، ومن أراد التتبع فالكتب المؤلفة قديمًا وحديثًا في هذا الشأن كثيرة ، وذكر بعض الأسماء من نافلة القول كمن ادعى النبوّة في الصدر الأوّل كمسيلمة الكذاب وسَجَاح والأسودِ العَنْسي . وتعداد الفِرق التي توالدت عن أصل واحد محلّ الكتب المطوّلة ، وبعض الفرق قد اندثرت وبعضها لازال موجودًا ، ونحن ههنا ذاكرون ما يعتبر نموذجًا أو ما يمكن أن تتسلل أفكاره الضالّة من جديد أو ما يقتضيه تحصين المسلم من ضلال قديم أو جديد يأخذ طابعًا دينيًا ، أمّا ما يعطّل الأديان أصلا أو يلغيها كالشيوعيّة أو العلمانيّة فأمره معروف ولن نتعرض له .

ومن تتبع أصول الضلال أو الكفر وجدها إمّا في ادّعاء ألوهية أو نبوة ، أو في متابعة أهل الأديان الكافرة على تلق من نحلهم ، أو في غلو في آل بيت رسول الله ﷺ ، أو تأويل غير علم ، أو في تشبيه الله عز وجل بخلقه ، أو في غلو في اعتقاد أو عمل يبعد عن مذاهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد أو في الفقه أو في السلوك ، والذي يعرض للفرق مضطر أحيانًا لأن يعرضها من خلال أفكارها أو من خلال أسماء بعض أئمة الضلال ، وأحيانًا يتكرر العرض بمناسبة ذكر إمام ضلالة ، ثم بمناسبة عرضٍ لأفكار فرقةٍ أخذتَ بعضًا أو كلا منه ، نقول هذا اعتذارًا بين يدى ما سنعرضه عن أهم الفرق التي نشأت في بيئات إسلامية .

وهناك ملاحظة أننا قد نذكر بمناسبة تولّد فرقة ضلالة عن فرقة هدى إسم الفرقتين ، فليلاحظ ذلك ، كحديثنا عن زيد بن علي وأتباعه مع أنه مع أئمة الهدى ، فإنه قد تفرعت بعض الفرق الغالية عن شيعته .

والفرقة التي لازال لها وجود واسع من فرق الخوارج هي الإباضية ومؤسس مذهبهم عبد الله ابن إباض التميمي المتوفى عام ٨٠ هـ .

« ومن آرائهم أنهم لا يرون مخالفيهم من المسلمين مشركين وإنما كفار نعمة ، ويحرمون دماء مخالفيهم في السر [أي من خالفهم في السر يسكتون عنه] لا في العلانية ، ودارهم [دار مخالفيهم] دار توحيد إلا معسكر السلطان ، ولا يحل من غنائم مخالفيهم إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة في الحروب ، وتجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث معهم ، وما تزال هذه الفرقة قائمة في بلاد طرابلس الغرب ، وفي زنجبار وعُمَان . وعمدة كتبهم في الفقه : « شرح النيل وشفاء الغليل » للشيخ محمد بن يوسف بن أَطْفَيِّش ، في عشرة مجلدات ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣ هـ . ومصادر فقههم : القرآن والسنة والإجماع والقياس ، إلا أن المراد بالإجماع عندهم هو إجماع طائفتهم ،ومن مخالفاتهم [لأهل السنة والجماعة] : إنكارهم حد الرجم للزاني المحصن وقولهم بجواز الوصية للوارث ، وقولهم بجواز الجمع بين المرأة وعمتها لعدم ذكره في القرآن ، وبأن المحرم من الرضاع هو الأم والأخت فقط . ويقولون بتخليد العصاة في النار : لأن الإيمان عندهم قول وعمل ، وهم الآن يرفضون تسميتهم بالخوارج » من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي .

١ ـ فرق الخوارج

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه : (الفَرْقُ بين الفِرَق) :

وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فِرقة ، وهذه أسماؤها : المُحكِّمة الأولى ، والأزَارِقَة ، ثم النَّجَدَات ، ثم الصُّفْرية ؛ ثم العَجَارِدة .

وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة ، منها الخازمية ، والشعبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والإبراهيمية ، والواقفة .

وافترقت الإباضية منها فِرَقًا : حفصية ، وحارثية ، ويزيدية ، وأصحاب طاعة لا يُرَاد الله بها .

واليزيدية منهم : أتباعُ يزيد بن أبي أُنيسة ، ليست من فِرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تُنْسَخُ في آخر الزمان بنبيٍّ يبعث من العجم .

وكذلك في جملة العَجَارِدة فِرقة يقال لها « الميمونية » ليست من فرق الإسلام ، لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوسُ ...

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها ، فذكر الكعبي في مقالاته أنّ الذي يجمع الخوارج ـ على افتراق مذاهبها ـ إكفار عليٍّ ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل ، وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفارُ بارتكاب الذنوب ، ووجوبُ الخروج على الإمام الجائر .

وقال شيخنا أبو الحسن : الذي يجمعها إكفار عليٍّ ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومن رضي بالتحكيم وصَوَّب الحكمين أو أحدهما ، والخروج على السلطان الجائر ، ولم يرضَ ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب ، والصوابُ ما حكاهُ شيخنا أبو الحسن عنهم ، وقد أخطأ الكعبيُّ في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم . وذلك أن النَّجَدَات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم .

وقد قال قوم من الخوارج : إن التكفير إنما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد

مخصوص ، فأما الـذي فيـه حـدّ أو وعيـد في القرآن فلا يُزَاد صـاحبـه على الاسم الـذي ورد فيه ، مثل تسميته زانيًا ، وسارقًا ، ونحو ذلك .

وقـد قـالت النجـدات : إن صـاحب الكبيرة من موافقيهم كافرُ نعمـةٍ ، وليس فيـه -كُفْرُ دِينٍ .

وفي هذا بيان خطـأ الكعبي في حكايتـه عن جميع الخوارج تكفيرَ أصحـاب الـذنوب كلهم منهم ومن غيرهم .

وإنما الصوابُ فيما يَجمع الخوارجَ كلهـا مـا حكاه شيخُنـا أبو الحسن رحمـه الله من تكفيرهم عليـا ، وعثمان ، وأصحــاب الجمـل ، والحكمين ، ومَنْ صـوبهما أو صَـوَّب أحــدهمــا ، أو رضي بالتحكيم . ا . هـ .

* * *

٢ ـ المعتزلة

قال عبد القاهر البغدادي :

وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كلُّ فرقة منها تكفِّر سائرها ، وهذه أسماء فرقها : الواصلية ، والعَمْروية ، والهُذَلية ، والنَّظّامية ، والمردارية ، والمعمرية ، والثُّمامية ،والجاحظية ، والحَابطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمَرِيسِيَّة ، والكَعْبية ، والجُبّائية ، والبَهْشَمِيَّة المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجُبّائي ، فهي ثنتان وعشرون فرقة ، ثنتان منها ليستا من فرق الإسلام ، وهما : الحابطية ، والحمارية ...

يجمعها كلها في بدعتها أمور ؛ منها : نفيُها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، وقولُها بأنه ليس لله عز وجل علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا صفة أزلية ، وزادوا على هذا بقولهم : إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسمٌ ولاصفة .

ومنها : قولُهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لا يَرَى نفسَه ، ولا يراه غيرُه ، واختلفوا فيه : هل هو رَاءٍ لغيره أم لا ؟ فأجازه قوم منهم، وأباه قوم آخرون منهم.

ومنها : اتفاقُهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل ، وحدوث أمره ونهيه وخبره ، وكلهم يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث ،وأكثرهم اليومَ يسمون كلامه مخلوقًا .

ومنها : قولهم جميعًا بأن الله تعالى غيرُ خالقٍ لأكْسَاب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات ، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صُنْعٌ وتقدير ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية.

ومنها : اتفاقُهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين ، وهي أنه فاسق ، لا مؤمن ولا كافر ، ولأجل هذا سماهم المسلمون « معتزلة » لاعتزالهم قولَ الأمة بأسرها.

ومنها : قولُهم إن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئًا منها . ا . هـ

* * *

٣ ـ المرجئة

قال عبد القاهر البغدادي :

وأما المُرْجِئة فثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإِرْجَاء في الإيمان ، وبالقَدَر على مذاهب القدرية ، فهم معدودون في القدرية والمُرْجِئة ، كأبي شِمْر المُرْجِئ ،ومحمد بن شبيب البصري ، والخالدي .

وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ، ومالوا إلى قول جَهْم في الأعمال والأكْسَاب ، فهم من جملة الجهمية والمرجئة .

وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قَدَر ، وهم خمس فرق : يونسية ، وغسانية ، وثوبانية ، وتومنية ، ومريسية .

ـ وأما النجارية فإنها اليوم بالري [في عصر البغدادي] أكثر من عشر فرق ، ومرجِعُهَا في الأصل إلى ثلاث فرق : برغوثية ، وزعفرانية ، ومستدركة .

ـ وأما البكرية والضرارية فكل واحدة منهما فرقة واحدة ليس لها تبع كثير ، والجَهْمية أيضًا فرقة واحدة .

ـ والكرامية بخُرَاسان ثلاثُ فرق : حقائقية ، وطرائقية ، وإسحاقية ، لكن هذه الفرق الثلاث منها لا يُكَفِّر بعضُها بعضًا ، فعددناها كلها فرقة واحدة .

والمرجئة ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقَدَر على مذاهب القدرية المعتزلة ، كغَيْلان ، وأبي شمر ، ومحمد بن شبيب البصري ، وهؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية ، والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان ، وبالجبر في الأعمال ، على مذهب جهْم بن صَفوان ، فهم إذًا من جملة الجهمية ، والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية ،وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغَسّانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية ، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخَّروا العمل عن الإيمان ، ،والإرجاء بمعنى التأخير ، يقال : أرْجَيْتُه ، وأرْجَأته ، إذا أخرته . وروي

عن النبي ﷺ أنه قال : « لعنت المرجئة على لسان سبْعِين نبيا » قيل : من المرجئة يارسول الله ؟ قال : « الذين يقولون الإيمان كلام » . يعني الذي زعموا أن الإيمان هو الإقرار وَحْدَه دون غيره أ.هـ.

أقول : هناك مرجئة أرجأت الحكم فين اقتتل من الصحابة فهذا إرجاء سني ، ولم يتعرض له الشيخ عبد القاهر رحمه الله لأنه لا يدخل في المذموم ، والمشهور عن المرجئة المذمومة أنهم يقولون إنه لا يضر مع الإيمان ترك العمل ولا فعل المعصية ، بل ذهب بعضهم إلى أن الإيمان قول فقط ولو لم يرافقه تصديق قلبي ، فهؤلاء والذين قبلهم كفروا بهذين المذهبين .

* * *

٤ ـ بعض الفرق الشاذة من الزيدية

وقد ذكر عبد القاهر البغدادي من فرقهم الغالية : الجارودية والسليمانية أو الجريريّة والبتريّة .

قال عبد القاهر : هؤلاء : البترية ، والسليمانية ، من الزيدية كلُّهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية والبترية ؛ لتركهما تكفير أبي بكر وعمر .

وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعرى في مقالته عن قوم من الزيدية يقال لهم اليعقوبية أتباع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ، ولكنهم لا يتبرءون ممن تبرأ منهما .

إنما قيل لهذه الفرق الثلاث وأتباعها « زَيْدِية » لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب في وقته وإمامة ابنه يَحْيَى بن زيد بعد زيد . وكان زيدٌ بن علي قد بايعه على إمامته خمسَة عَشَر ألفَ رجلٍ من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا نَنْصُرُكَ على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظَلَمَا جدَّك عليَّ بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيرًا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا وإنما خرجْتُ على بني أمية الذين قتلوا جدّي الحسينَ ، وأغاروا على المدينة يوم الحَرَّةِ ، ثم رَمَوْا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم « رفضتموني » ومن يومئذٍ سموا رافضة ، وثَبَتَ معه نضر بن خزيمة العنسي ، ومعاوية بن إسحاق بن يزيد بن حارثة في مقدار مائتي رجل ، وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفي حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل زيد ، ثم نبش من قبره وصُلب ، ثم أحرق بعد ذلك .

وهرب ابنُه يحيى بن زيد إلى خراسان ، وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار والي خراسان ، فبعث نصر بن سيار إليه سَلْمَ بن أحوز المازني في ثلاثةِ آلافِ رجلٍ ، فقتلوا يحيى بن زيد ، ومشهدُه بجوزجان معروف .ا . هـ .

٥ ـ فرق الكيسانية

قال عبد القاهر :

هؤلاء أتباع المختار بن أبي عُبَيْد الثقفي الذي قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقَتَل أكثرَ الذين قتلوا حسينا بكَرْبَلاء ، وكان المختار يقال له كَيْسَان . وقيل : إنه أخذ مقالته عن مولى لعلي رضي الله عنه كان اسمه كيسان وافترقت الكيسانية .

وافترقت الكيسانية فرقًا يجمعها شيئان :

أحدهما : قولُهم بإمامة محمد بن الحنفية وإليه كان يدعو المختارُ بن أبي عُبَيد .

والثاني : قولهم بجَوَاز البَدَاء على الله عز وجل ا . هـ .

أقول :

المراد بالبَدَاء على الله عز وجل :

أن الله عز وجل يبدو له الشيء فيكون ، وهذا ينقص العلم القديم ، وفيه تشبيه الله بخلقه ، إذ يظهر لهم الشيء بعد الشيء فيتبعون ما بدا لهم .

* * *

٦ ـ فرق النَّجّاريّة

قال عبد القاهر :

هؤلاء أتباع الحسين بن محمد النجار وقد وافقوا أصحابنَا في أصولٍ ووافقوا القدرية في أصولٍ ، وانفردوا بأصول لهم .

وأما الذي وافقوا فيه القَدَرية فنفيُ علم الله تعالى ، وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته الأزلية وإحالة رؤيته بالأبصار ، والقولُ بحدوث كلام الله تعالى .

وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا ، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية .

وزعم النجار أن الجسم أعراض مجتمعة ، وهي الأعراض التي لا ينفك الجسم عنها ، كاللون ، والطعم والرائحة ، وسائر ما لا يخلو الجسم منه ومن ضده ، فأما الذي يَخْلُو الجسم منه ومن ضده كالعلم والجهل ونحوهما فليس شيء منها بعضًا للجسم .

وزعم أيضًا أن كلام الله تعالى عَرَضٌ إذا قُرئ ، وجسم إذا كُتب ، وأنه لو كتب بالدم صار ذلك الدم المقطع تقطيع حروف الكلام كلامًا لله تعالى بعد أن لم يكن كلاما حين كان دما مَسْفُوحًا ؛ فهذه أصول النَّجّارية .

وافترقوا بعد هذا فيما بينهم في العبارة عن خَلْق القرآن وفي حكم أقوال مخالفيهم فرقًا كثيرة كلُّ فرقةٍ منها تكفر سائرها ، والمشهورون منها ثلاث فرق ، وهي : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة من الزعفرانية . ا . هـ .

* * *

٧ ـ فرق الكَرّامِيّة

قال عبد القاهر :

الكَرَّامية بخرسان ثلاثة أصناف : حقائقية ، وطرائقية وإسحاقية .

وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضُها بعضًا وإن أكْفَرَها سائر الفرق ؛ فلهذا عددناها فرقة واحدة .

وزعيمها المعروف محمد بن كرّام كان مطرودًا من سجستان إلى غرجستان ، وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعًا لا نعدُّها أرباعًا ولا أسباعًا :

فمنها : أن ابن كَرَّام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده

وزعم ابن كرَّام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث .

ومن جهالاتهم في باب النبوة والرسالة قولهم بأن النبوة والرسالة صفتان حالَّتانِ في النبي والرسول ، سوى الوحي إليه ، وسوى معجزاته ، وسوى عصمته عن المعصية . وزعموا أن من فعل فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله ، وفرقوا بين الرسُول والمرسَلِ بأن الرسول من قامت به تلك الصفة ، والمرسَل هو المأمور بأداء الرسالة .

ثم إنهم خاضوا في باب عصمة الأنبياء عليهم السلام ، فقالوا : كلُّ ذنبٍ أسقط العدالة أو أوجب حدًا فهم معصومون منه ، وغير معصومين مما دون ذلك .

ثم إن ابن كرَّام أبدع في الفقه حماقاتٍ لم يُسْبق إليها .

منها : قوله في صلاة المسافر : إنه يكفيه تكبيرتان ، من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهد ولا سلام ا . هـ .

* * *

٨ ـ الإمامية

قال عبد القاهر :

هؤلاء الإمامية المخالفة للزيدية والكَيْسانية والغُلاة : خمسَ عَشْرةَ فرقةً : الكاملية ، والمحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشُّمَيْطية ، والعمَّارية ، والإسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقَطْعية ، والاثنا عشرية ، والهشامية ، والزُّرَارية ، واليونسية ، والشيطانية.اهـ.

أقول : وقد غلب اسم الإمامية في النهاية على الاثنا عشرية ، وأكثر شيعة العالم في عصرنا منهم ، وهم يعتقدون أن الإمام الثاني عشر قد دخل في سرداب في سامراء وهم ينتظرون خروجه ليملأ العالم عدلاً وقسطًا بعد أن ملئ ظلمًا وجورًا ، ويسميهم عبد القاهر : القطعية .

يقول عنهم :

هؤلاء سَاقُوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، وقطعوا بموت موسى ، وزعموا أن الإمامَ بعده سبط محمدِ بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا . ويقال لهم « الاثنا عَشْرِية » أيضًا ؛ لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته ، فمنهم من قال : كان ابنَ أربع سنين ، ومنهم من قال : كان ابنَ ثماني سنين ، واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت ؛ فمنهم من زعم أنه في ذلك الوقت كان إمامًا عالمًا بجميع ما يجب أن يعلمه الإمامُ ، وكان مفروضَ الطاعة على الناس ، ومنهم من قال : كان في ذلك الوقت إمامًا على معنى أن الإمام لا يكون غيره ، وكانت الأحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه ، فلما بلغ تَحَقَّقَتْ إمامتُه ، وَوَجبت طاعته ، وهو الآن الإمامُ الواجبُ طاعتُه وإن كان غائبًا . ا . هـ .

ومن مبادئهم الرئيسية ما ذكره الشيخ حسن أيوب في : رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) قال :

مبادئ الشيعة :

(١) إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبي إغفالها ؛ بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر .

(٢) عين رسول الله ﷺ عليًا للخلافة بنصوص ينقلونها ويؤولونها ، لا يعرفها نقلة الشريعة وأهل الحديث .

ومن هنا نشأت فكرة الوصية ولقب علي بالوصي ، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب ، وقد أوصى علي لمن بعده وهكذا كل إمام وصي مَنْ قبله .

(٣) عليٌّ أفضل الخلق في الدنيا والآخرة بعد رسول الله ﷺ فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله إلا إن ثبتت توبته ومات على حبه . ا . هـ

ومن عقائدهم القول بعصمة الأئمة والتقية .

أقول :

وقد نبش المحدثون كتبهم المعتمدة لديهم فوجدوا فيها مكفرات كثيرة مما دعاهم إلى أن يقولوا : من علم هذه المكفرات واعتقدها منهم فهو كافر ، ومن كان على مذهبهم ولم يعلمها ولم يعتقدها وإنما ألحقه بهم حب آل البيت فأمره إلى الله .

* * *

٩ ـ فرق الباطنيّة

قال عبد القاهر :

اعلموا ـ أسعدكم الله ـ أن ضرر الباطنية على فِرَقِ المسلمين أعْظَمُ مِن ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مَضَرَّة الدهرية وسائر أصناف الكَفَرَةِ عليهم ، بل أعظم من ضرر الدَّجال الذي يظهر في آخر الزمان ؛ لأن الذين ضَلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكْثَرُ من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره ؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يومًا ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْرِ . ا . هـ .

والأصل الأصيل عند جميع فرق الباطنيّة قولهم إنّ للقرآن باطنًا يخالف الظاهر وينقضه ، ومن أشهر فرقهم التي لازال لها في عصرنا وجود :

١ ـ النصيرية .

٢ ـ الإسماعيليّة .

٣ ـ الدروز .

من عقائد النصيرية :

ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مذاهب الإسلاميين) عقائد النصيرية ، وهي :

١ ـ علي بن أبي طالب إله ، أو حلت فيه الألوهية ، وهو يسكن السحاب ، والرعد صوته والبرق ضحكه ، وهم لهذا يعظمون السحاب ، وهو أساس الدور السابع ، ويوصف بأنه « المعنى » غير أننا نعرف أن النصيرية ينقسمون إلى قسمين : الشمالية ، وهم الذين يسكنون السواحل في لواء اللاذقية . والكلازية ، وهم الذين يسكنون الجبال . والشمالية يقولون إن عليا حَالٌ في القمر . والكلازية يذهبون إلى أنه حَالٌ في الشمس .

٢ ـ سلمان الفارسي هو رسول علي . وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع (=

علي) . م (= محمد) . س (= سلمان الفارسي) .

٣ ـ وهم يخفون مقالتهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم . ويرون أنهم على الحق . وأن مقالتهم مقالة أهل التحقيق . ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

٤ ـ « ولهم (اعتقاد) في تعظيم الخمر . ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها » .

٥ ـ ويحبون ابن ملجم . قاتل علي رضي الله عنه . ويقولون إنه خلص اللّاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه .

٦ ـ وقَسَمُهُمْ يُبينُ عن معتقداتهم : وقد أورد نصه ابن فضل الله العمري في « التعريف بالمصطلح الشريف » ونقله عنه القلقشندي في « صبح الأعشى » (جـ ١٣ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١) وهذا نصه : « إنّني وحق العلي الأعلى ، وما أعتقده في المظهر الأسنى . وحق النور وما نشأ منه . والسحاب وساكنه وإلا بَرِئتُ من مولاى « علي » العلي العظيم . وولائي له . ومظاهر الحق . وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبَرِئتُ من دعوة الحجة « نُصَير » وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق . وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها . وكنت مع قابيل على هابيل ،ومع النمرود على إبراهيم . وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه . الى أن ألقى العلي العظيم وهو عَليّ ساخط وأبرأ من قول قنبر وأقول إنه بالنار ما تطهر » .

وهذا القسم إذا حللناه وجدنا :

ا ـ أن عليًّ بن أبي طالب يلقب بلقب « العلي العظيم . وهما من أسماء الله . وإن كان لا يتحدث عن « عبادة » بل عن « ولاء » لعلي . وعلى هذا تكون العلاقة هي علاقة المولى بمن يتولاه . أو بالعبد .

ب ـ أن سلمان الفارسي هو صاحب الحجاب . أي الباب الذي يفضي إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار .

جـ ـ أن الخطاب هو الديانة والدعوة والبلاغ .

د ـ أن مبادئ النصيرية سر مصون لا يجوز إذاعته .

هـ ـ أن شجرة العنب مقدسة عندهم بحيث لا يجوز اقتلاعها . لأن من ثمرها تصنع الخمر وهم يعظمون الخمر كما رأينا .

و ـ وقوله : أبرأ من قول « قنبر » يشير إلى ما قاله علي بن أبي طالب :

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا ... أججت ناري ودعوت قنبرًا

ا . هـ .

ومن كلام ابن تيمية في وصف مذهبهم :

فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين : أن يعلم أن عليًا هو الرب ، ومحمد هو الحجاب . وسلمان هو الباب ـ وذلك على الترتيب . لم يَزَلْ ولا يزال . ومن شعر بعض ضلالهم ـ وكلهم ضلال ـ المشهور عنه قوله الملعون :

أشهد أن لا إله إلا ... علي الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا ... محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا ... سلمان ذو القوة المتين

ا . هـ .

من عقائد الدروز :

١ ـ قولهم : بألوهيّة الحاكم بأمر الله الفاطمي .

٢ ـ قولهم : بالتناسخ والتقمص والحلول ، وهذه العقيدة تسلَّلت إلى بعض الفرق الباطنيّة عن الديانة البرهميّة .

من عقائد الإسماعيليّة :

والإسماعيليّون على أنواع ، ومن أشدّ فرقهم غلوّا الفرقة القائلة بألوهيّة الإنسان وبالتناسخ .

وقد عقد الدكتور محمد أحمد الخطيب مقارنة بين عقائد الدروز النصيريّة والإسماعيليّة في كتابه الحركات الباطنيّة في العالم الإسلامي ذكر فيها :

« من خلال الاستعراض السابق الذي استكملنا فيه دراسة عقائد وأفكار الحركات الباطنية المتواجدة في العالم الإسلامي ، يمكننا أن نرى كثيرًا من أوجه الشبه أو الاختلافات بين عقائد هذه الحركات .

إلا أنه في الوقت نفسه ، يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الحركة الإسماعيلية كانت المغذي الرئيسي لكثير من هذه الحركات ، ولن نتعدى الصواب إذا قلنا : إن الأفكار الرئيسية الموجودة في عقائد الإسماعيلية ، لا تختلف إلا في بعض التفاصيل عن عقائد الفرق الأخرى .

فكافة هذه الفرق اتخذت من الفلسفات الوثنية من إغريقية وإسكندرانية أداة لها في إثبات صحة مزاعمها ، وبالتالي في تشكيك الناس بدينهم وعقيدتهم .

وينبغي أن نلاحظ أن أتباع كل فرقة من هذه الفرق يعتبرون أنفسهم هم (الموحدون) ، أما غيرهم ـ على حسب زعمهم ـ فالمسافة شاسعة بينهم وبين التوحيد ، لذلك فالدروز يطلقون على مذهبهم (مسلك التوحيد) باعتبار أنهم وحدهم سلكوا هذا المسلك ؟ !

ومن الأمثلة الواضحة على أن الإسماعيلية كانت الرائدة في فلسفة كافة الفرق ، نظرية الفيض الأفلاطونية ، فقد كانت الإسماعيلية أول من حاول فرض هذه النظرية على العقائد الإسلامية ، لذا أصبحت علما في هذا الاتجاه .

وإذا تتبعنا أوجه الاتفاق بين الفرق الباطنية ، فإننا نرى أن نظرتهم للألوهية والتوحيد متشابهة رغم بعض الاختلافات في الأسماء والمسميات ، وذلك لانبثاقها عن نظرية الفيض ، فالإسماعيلية ـ حسب زعمها ـ ترى أن الخالق الحقيقي للكون هما (العقل الكلي والنفس الكلية) ، وأنها من جملة الحدود في العالم العلوي ، وهذان الحدان يقابلها ـ على حسب قاعدة المثل والممثول ـ في العالم السفلي حد النبي وحد الإمام أو الوصي ، لذا فإن كل

الألقاب التي تطلق على الله تطلق أيضًا على الوصي والإمام بصفتهما مُمَثّلَي العقل الكلي . وهذه القاعدة تقول بها جميع الفرق الإسماعيلية الأخرى على اختلاف أسمائها .

ولكن الدروز رغم انشقاقهم عن الإسماعيلية ، وأخذهم الكثير من عقائدها ، إلا أنهم رفضوا نظرية المثل والممثول التي تقول بها الإسماعيلية ، وقرروا أن الحدود العلوية الموجودة في العالم العلوي هي ذاتها الموجودة في العالم السفلي ولا اختلاف بينها . وبما أن الدروز انشقوا عن الإسماعيلية لإظهارهم ـ الزعم ـ بألوهية الإمام الإسماعيلي (وهي العقيدة التي حاولت الإسماعيلية إخفاءها خوفًا وتقية) ، فقد أعلنوا جوهر هذه العقيدة وهي : أن الله يتخذ على مر العصور والأزمان حجابًا أو صورة ناسوتية يتجلى فيها لخلقه ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا ـ ، وأن الحجاب الأخير الذي ظهر فيه كان بصورة الحاكم بأمر الله العبيدي ،وبذلك أظهروا عقيدة كانت الإسماعيلية تخفيها ولا تعلنها .

وفي الوقت نفسه أخذوا عن الإسماعيلية نظرية العقول السبعة وطبقوها على ظهورات الله بالصورة الناسوتية ، وزعموا أن عدد هذه الظهورات كانت سبعًا ، آخرها الحاكم .

أما النصيرية ، فتعتبر أن الذات الإلهية متشخصة بالمعنى وهو (علي بن أبي طالب) ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، ولكنها في الوقت نفسه لم تتجاهل نظرية الفيض التي قالت بها الإسماعيلية والدروز ، فزعمت أن العقل الكلي هو (الميم) أي محمد ﷺ ، وأن النفس الكلية هي (السين) أي سلمان الفارسي ، وهو حسب زعمهم الذي خلق السموات والأرض والأيتام الخمسة كذلك .

وجميع الصفات الإلهية التي وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم لا تعترف بها كافة الفرق الباطنية ، فهم ينفون نفيًا مطلقًا هذه الصفات ، إيجابية كانت أم سلبية ، لأنه تعالى ـ على حسب زعمهم ـ فوق متناول العقل ، والعقل عاجز عن إدراك كنهه ، فإثبات هذه الصفات ـ حسب زعمهم ـ يعني عدم التوحيد . ولذلك فهم يزعمون أن هذه الصفات تليق فقط بحدوده وخاصة العقل والنفس ، باعتبارهما من فيضه ومبدعاته .

وثمة وجه آخر من أوجه الشبه بين هذه الفرق ، وهي عقيدة التناسخ ، ورغم أن

الإسماعيلية لا تجاهر أو تصارح بالقول بها ، إلا أن المتتبع لآراء الإسماعيلية يجزم أنها تؤمن بها شأنها شأن الفرق الأخرى ، ولكن هناك بعض الاختلافات بين هذه الفرق ، فالإسماعيلية والنصيرية تؤمنان بوجود عالم روحاني تسكنه الملائكة ، وعالم سفلي هو عالم الكون والفساد . وهم إضافة إلى ذلك يعتقدون بأن الأجساد مصدر الشقاء والآلام ، وأن المؤمن حين موته تذهب نفسه إلى العالم العلوي ، وأما الكافر فيتقلب في الأجساد البشرية وغير البشرية عقابًا له على ما قدم ، وعلى هذا فالإسماعيلية والنصيرية تؤمنان بالمسخ ، أي أن تأتي نفس الكافر عقابًا لها - على حسب زعمهم - بقمصان رديئة كالحيونات ، أو أن تأتي بصورة جامدة من معدن أو حجر فتذوق بذلك عذاب جهنم ؟ !

وهذا الاعتقاد بالنسخ والمسخ ، يخالف اعتقاد الدروز ، الذين ينحصر التناسخ عندهم في الصور البشرية فقط ، ولا يكون في البهائم أو الجمادات ، ولذلك فقد عبروا عن التناسخ بكلمة التقمص ، لأن في انتقال النفس إلى جسم حيوان ظلم لها ، فالثواب والعقاب بني - حسب زعمهم - على قاعدة العدل الإلهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في القمصان البشرية .

وهناك عقيدة أخرى لا يختلفون فيها أبدًا ، وهي عقيدة التَّقِيَّة ، فالتستر والكتمان عند جميع هذه الفرق فرض لا يجوز التهاون فيه ، لأن البوح بأسرار اعتقاداتها إلى غير أهلها تدنيس لها ، لذا فقد طالبت الإسماعيلية والدرزية والنصيرية أتباعها بالاستتار وعدم التظاهر بما يبطنون ، وهكذا فقد أصبحت هذه العقيدة عادة مستحكمة عند جميع أتباع هذه الفرق ، لأنها تعني التظاهر بشيء والإيمان بشيء آخر ، وبالتالي فقد جعلت هذه العقيدة من أتباعها بؤرة للنفاق والخداع يتصفون به جميعهم ، وهذا واضح في تاريخهم .

ويمكن أن يضاف إلى عقيدة التقية أمر آخر مرتبط بها ، وهو أن جميع هذه الحركات تطلب من المستجيبين لها عهودًا وأيمانًا غليظة يجب أن يؤديها حتى يوثق به ، ومع ذلك فإنهم لا يسلمونه كل الأسرار دفعة واحدة ، بل على التدريج وكما هو واضح عند الدروز والنصيرية .

وهناك أيضًا عقائد متشابهة بين الدروز والنصيرية أهمها :

« قضية العاقل والجاهل ، فالعقال يسترون دينهم عن الجهال منهم ، وإذا أراد أحد الجهال أن يدخل في أمور دينهم ، فلا يسلمون الديانة له إلا بالتدريج بعد أن يتتلمذ على أحد مشايخ دينهم ويتخذه والدا دينيا ، ويتفقون معهم أيضًا بقدمية العالم ، وأن العالم قد خلق على ما هو عليه الآن ، وأن عدد البشر كان كما هو الآن لا يزيد ولا ينقص » . وهم يتفقون كذلك بالإضافة إلى الإسماعيلية في تأويل آيات القرآن حسب معتقداتهم ، وأن له ظاهرًا وباطنًا حتى يثبتوا صحة معتقداتهم المناقضة للقرآن الكريم .

ونستنتج مما سبق ، أن نقطة الخلاف والالتقاء الرئيسية بين الإسماعيلية والدروز والنصيرية هي عقيدة الألوهية ، فجميعهم يقرون بإمكانية تجسد الألوهية في صورة إنسان ، ولكن الإسماعيلية تراها في الأئمة الإسماعيليين جميعًا ، بينما الدروز والنصيرية جعلتا لتجسد الألوهية ظهورًا أخيرًا ، فكان عند الدروز بشخص الحاكم ، وعند النصيرية بشخص علي بن أبي طالب ـ تعالى الله عن ذلك ـ أما بقية العقائد فقد يلتقون في شيء منها ، ويختلفون في شيء آخر ، ولكنهم متفقون في جوهرها . ا . هـ .

أقول :

إن من درس واقع الفرق الثلاث في عصرنا يجد زيادات كثيرة على ما ذكر فيما مضى ، فالألوهية عند النصيرية والإسماعيلية لا تزال تتجسد برجالٍ ، ولا يزال يظهر عند النصيرية أنبياء ، والمرأة عند النصيرية لا دين لها ، وقد أسقط أئمة الإسماعيلية في هذا القرن تكاليف الاستتار عن المرأة ، وحاول بعض فلاسفة الدروز المحدثون أن يدخلوا الجديد على العقيدة الدرزية ، والملاحظ أن أبناء هذه الفرق هم أشد الناس غلوًا في فصل الدين عن الدولة ، وكثيرون من رجالهم يقومون بأدوار سياسية خطرة على الإسلام والمسلمين .

* * *

١٠ - في بعض فرق المشبهة

قال عبد القاهر في كتابه الفَرق بين الفِرق :

[اعلموا - أسعدكم الله - أن المُشَبِّهة صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى] .

والمشبهة الذين ضلوا في تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة . وأوَّلُ ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغُلاة .

فمنهم : السَّبَئِية الذين سموا عليا إلهًا ، وشَبَّهوه بذات الإله . ولما أحْرَق قومًا منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله ؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله .

ومنهم : البيانية أتباع بَيان بن سمعان الذي زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه ، وأنه يفنى كله إلا وجهه .

ومنهم : المُغِيرية : أتباع المغيرة بن سعيد العِجْلي الذي زعم أن معبوده ذو أعضاء ، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء .

ومنهم المنصورية : أتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه ، وزعم أنه صعد إلى السماء ، وزعم أيضًا أن الله مسح يده على رأسه ، وقال له : يا بُنَيَّ بلغ عني .

ومنهم : الخطابية الذي قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبي الخطاب الأسدي .

ومنهم : الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر .

ومنهم : الحُلولية الذين قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك .

ومنهم : الحلولية الحلمانية المنسوبة إلى أبي حلمان الدمشقي الذي زعم أن الإله يحل في كل صورة حسنة ، وكان يسجد لكل صورة حسنة .

ومنهم : المقنعية المبيضة بما وراء نهر جَيْحُون في دعواهم أن المُقَنَّع كان إلهًا ، وأنه مصور

في كل زمان بصورة مخصوصة .

ومنهم : العذافرة الذين قالوا بإلهيَّة ابن أبي العذافر المقتول ببغداد .

وهؤلاء الذين ذكرناهم في هذا الفصل كلهم خارجون عن دين الإسلام وإن انتسبوا في الظاهر إليه .

وبعد هذا فرق من المشبهة عَدَّهم المتكلمون في فرق الملة لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن ، وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج عليهم ، وإقرارهم بتحريم المحرمات عليهم ، وإن ضلوا وكفروا في بعض الأصول العقلية .

ومن هذا الصنف هشامية منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي الذي شَبَّه معبوده بالإنسان ، وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض ، عميق ، وذو لَوْنٍ ، وطعم ، ورائحة ، وقد روي عنه أن معبوده كسبيكة الفضة ، وكاللؤلؤة المستديرة ، وروي عنه أنه أشار إلى أن جبل أبي قُبَيْس أَعْظَمُ منه ، وروي عنه أنه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما يراه ، ومقالته في هذا التشبيه على التفصيل الذي ذكرناه في تفصيل أقوال الإمامية قبل هذا .

ومنهم : الهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان ، وأن نصفه الأعلى مُجوَّف ونصفه الأسفل مُصْمَت ، وأن له شعرة سوداء وقلبًا تنبع منه الحكمة .

ومنهم : اليونسية المنسوبة إلى يُونس بن عبد الرحمن القُمِّي الذي زعم أن الله تعالى يحمله حَمَلَةُ عرشه ، وإن كان هو أقوى منهم ، كما أن الكركي تحمله رجلاه ، وهو أقوى من رجليه .

ومنهم : المشبهه المنسوبة إلى داود الجواربي الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية .

ومنهم : الإبراهيمية المنسوبة إلى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وكان من جملة رواة الأخبار

غير أنه ضل في التشبيه ونسب إلى الكذب في كثير من رواياته .

ومنهم : الخابطية من القَدَرية ، وهم منسوبون إلى أحمد بن خابط وكان من المعتزلة المنتسبة إلى النَّظَّام ، ثم إنه شبه عيسى بن مريم بربه ، وزعم أنه الإله الثاني ، وأنه هو الذي يحاسب الخلق في القيامة .

ومنهم : الكرامية في دعواها أن الله تعالى جسم له حد ونهاية وأنه محل الحوادث ، وأنه مماسٌّ لعرشه ، وقد بينا تفصيل مقالاتهم قبل هذا بما فيه كفاية . فهؤلاء مشبهة لله تعالى بخلقه في ذاته .

ـ فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فأصناف :

منهم : الذين شبهوا إرادة الله تعالى بإرادة خَلْقه ، وهذا قولُ المعتزلة البصرية الذين زعموا أن الله عز وجل يريد مُرَاده بإرادة حادثة ، وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا ، ثم ناقضوا هذه الدعوى بأن قالوا : يجوز حدوث إرادة الله عز وجل لا في محل ، ولا يصح حدوث إرادتنا إلا في محل ، وهذا ينقض قولهم : إن إرادته من جنس إرادتنا ؛ لأن الشيئين إذا كانا متماثلين ومن جنس واحد جاز على كل واحد منهما ما يجوز على الآخر ، واستحال من كل واحد منهما ما يستحيل على الآخر .

وزادت الكرامية على المعتزلة البصرية في تشبيه إرادة الله تعالى بإرادات عباده ، وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا ، وأنها حادثة فيه كما تحدث إرادتنا فينا ، وزعموا ـ لأجل ذلك ـ أن الله تعالى محل للحوادث ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

ومنهم : الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه ، فزعموا أن كلام الله تعالى أصوات وحروف من جنس الأصوات والحروف المنسوبة إلى العباد ، وقالوا بحدوث كلامه ، وأحال جمهورهم ـ سوى الجُبَّائي ـ بقاء كلام الله تعالى ، وقال النظام منهم : ليس في نَظْم كلام الله سبحانه إعجاز ، كما ليس في نظم كلام العباد إعجاز ، وزعم أكثر المعتزلة أن الزنج ، والترك ، والخزر قادرون على الإتيان بمثل نَظْم القرآن وبما هو أفصح منه ، وإنما عدموا العلم بتأليف نظمه ، وذلك العلم مما يصح أن يكون مقدورًا لهم .

وشاركت الكرامية المعتزلة في دعواها حدوث قول الله عز وجل . مع فَرْقِها بين القول والكلام في دعواها أن قول الله سبحانه من جنس أصوات العباد وحروفهم ، وأن كلامه قدرته على إحداث القول . وزادت على المعتزلة قولها بحدوث قول الله عز وجل في ذاته ، بناء على أصلهم في جواز كون الإله محلا للحوادث .

ومنهم : الزُّرَارية أتباع زُرَارة بن أعين الرافضي في دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل ،وأنها من جنس صفاتنا ، وزعموا أن الله تعالى لم يكن في الأزل حيًا ، ولا عالمًا ، ولا قادرًا ، ولا مريدًا ، ولا سميعًا ، ولا بصيرًا ، وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلمًا ، وإرادة ، وسمعًا ، وبصرًا ، كما أن الواحد منا يصير حيًا ، قادرًا ، سميعًا ، بصيرًا ، مريدًا عند حدوث الحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والسمع ، والبصر فيه .

ومنهم : الذين قالوا من الروافض بأن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون ، فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا . ا . هـ .

* * *

١١ - في الجهميّة وهم من الجبريّة

قال عبد القاهر عنهم :

أتبـاع جَهْم بن صَفْـوَان ، الـذي قـال بـالإجبـار والاضطرار إلى الأعمـال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تَبيدانِ وتَفْنَيانِ . وزعم أيضًا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وقال : لا فِعْلَ ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشَّمْسُ ، ودارتِ الرَّحَى ، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به . وزعم أيضًا أن علم الله تعالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حَيٌّ أو عالم أو مريد ، وقال : لا أصِفه بوصفٍ يجوز إطلاقُه على غيره كشيء ، وموجود ، وحي ، وعالم ، ومريد ، ونحو ذلك . ووصفه بأنه قادر ، ومُوجِد ، وفاعل ، وخالق ، ومحيي ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده ، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ، ولم يسمِّ الله تعالى متكلمًا به .

وأكفره أصحابنا في جميع ضلاته ، وأكفرته القدرية في قوله بأن الله تعالى خالق أعمال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره .

وكان جَهْم - مع ضلالاته التي ذكرناها - يحمل السلاح ويقاتلُ السلطان ، وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار ، وقتله سلم بن أحوز المازني في آخر زمان بني مروان ا . هـ .

* * *

١٢ ـ الحلوليّون والإباحيّون

الحلوليّون هم الـذين يقولون بحلول ذات الله عز وجل في الإنسـان ـ تعـالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا ـ والإباحيّون هم الذين يقولون بأنّه لا تكليف على الإنسان فكل شيء مبـاحٌ لـه ، ومنهم من يقول : إنّ الإنسان يصل إلى حالة يسقط عنه التكليف وتباح له المحرّمات .

قال عبد القاهر عن الحلوليّة :

الحلوليـة في الجملـة عَشْرَ فرقٍ كلُّهـا كانت في دولـة الإسـلام ، وغرض جميعهـا القصـد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض . ا . هـ .

وقال عن الإباحيين :

فهـؤلاء صنفـان : صنف منهم كانـوا قبـل دولـة الإسـلام كالمَـزْدَكيـة الـذين استبـاحـوا المحرمات ، وزعموا أن الناس شُرَكاءَ في الأموال والنساء ، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان في زمانه .

والصنف الثـاني : الخرمـدينيـة ، ظهروا في دولـة الإسـلام ، وهم فريقـان بَـابَكِيَّـة ، ومازِيَّارِيّة ، وكلتاهما معروفة بالمُحَمِّرة . ا . هـ .

أقول : وبعض غلاة الصوفيّة يقولون بسقوط التكليف إذا وصـل الإنسـان إلى الله ،وقـد ظهروا في عصر الجنيد وقال عنهم : (وصلوا إلى سقر) ولا زالت لهم بقايا حتّى اليوم ، ومـا أعظم فريتهم ، فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا أعظم العارفين بـالله وبقوا محـافظين على القيام بحقّ الله ، قال تعالى : ﴿ **واعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين** ﴾[1] واليقين هنـا : الموت.

* * *

---

(١) الحجر : ٩٩ .

١٣ ـ القائلون بوحدة الوجود

بمعنى أن الكون جزء من الذات الإلهية ، وهذا كفر صريح ، وقال تعالى ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين** ﴾ (١) وقد كان بعض شيوخنا يفرق بين هؤلاء وبين آخرين يذكرون كلمة وحدة الوجود ويريدون بها أن هذا الكون قائم بأمر الله غير مستغن عنه ، فهؤلاء لا يدخلون في الأولين .

أقول : إن على علماء المسلمين أن يصفوا العقائد وأن ينقوها وأن يبتعدوا بأنفسهم عن كل ملتبسٍ ، وأن يقدموا العقائد للناس واضحة جليةً ، وذلك أدب الإسلام في كل شيء ، فقد نهينا عن التعمق والتفيهق وقد كان شيخنا الحامد رحمه الله لا يترك عبارة أو بيت شعر يمكن أن تلتبس على العامة إلا وعدلها وأصلحها أو فسرها التفسير الصحيح ، والمغرمون بالمعميات والألغاز لا يصلحون لإمامة الناس إذا أصبح هذا دأبهم وعادتهم ، فالناس يحتاجون إلى البيان الواضح الجلي قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) الزخرف :١٥ .

(٢) النحل : ٤٤ .

١٤ ـ البابية

ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري ، وهي في الحقيقة دين كفري لا صلة له بالإسلام .

وقد تحدث عنها فريد وجدي في دائرة معارفه . فقال :

« **البابية** » هي الديانة التي أسسها الباب ، والباب هو الميرزا على محمد الشيرازي المولود حوالي سنة ١٨٢٤ مؤسس الفرقة المعروفة في بلاد الفرس وغيرها ، بدأ يدعو لمذهبه سنة ١٨٤٣ وهو ابن تسع عشرة سنة متلقبًا بالسيد إشارة إلى أنه من الأسرة النبوية الكريمة .

قال المسيو « جوبينو » في كتابه المسمى (الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى) المطبوع بباريس سنة ١٨٦٦ ما يأتي :

« كان الميرزا علي محمد مقصورًا على حاله ، مشتغلاً بالعبادة بسيطًا للغاية في أخلاقه ، حلو الشمائل جذابًا ، وكان بحداثة سنة ووسامة وجهه مكسبًا هذه المواهب رونقًا فيه . ولقد كان يؤكد الذين عرفوه أنه لم يحرك شفته حتى يحرك أقصى جهة من فؤاده وكان إذا تكلم عن النبيّ والأئمة تكلم باحترام عظيم يسر أشد المتعلقين بالأمور القديمة ، في حين أنه في محاضراته الخاصة كان يبهج العقول الحادة القلقة إذ لم تصادف فيه أقل خشونة في بث آرائه ، فكانت أحاديثه تفتح لهم كل هذه الآفاق المتنوعة السرية التي لا نهاية لها المبعثرة هنا وهناك تطير بها التصورات ثملا في تلك البلاد » .

قصد الميرزا علي محمد الحج ثم زار مسجد الكوفة وبدا له بعد ذلك تأسيس دين جديد يخلف الإسلام في بلاده ، وهناك وضع كتابين أحدهما في تفسير سورة يوسف والآخر في وصف رحلته . فذهب في تفسيره مذهبًا جديدًا في النظر واستنتج من آيات تلك السورة أصولاً لم يستنتجها أحد قبله فطار ذكره بين الناس واحتاط به الخلق يسمعون منه ، فكان يخطب الناس في المساجد ويوجه أشد الملام والتأنيب إلى قادة الدين ، فأحدث كلامه تأثيرًا سيئًا فيهم وتألبوا عليه لإحباط مساعيه ، فلم ينجحوا لأنه كان يقرعهم بحجة القرآن ، فزاد ذلك في شهرته وانضم إليه رجال من أنصاره فأفضى إليهم بمذهبه الجديد ، فكانوا أشد الناس

نصرة له . وإذ ذاك سمى نفسه بالباب مشيرًا بذلك إلى أنه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل إلى حضرة الخالق عز وجل ، فأطلق عليه أشياعه لقبًا جديدًا وهو (حضرة العَلِي) فلم يسع رجال الدين إلا رفع أمره إلى حكومة طهران لكفه عن نشر مذهبه بالقوة . وفي هذا الوقت أعلن الباب أنه (النقطة) أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله ، وتنازل عن لقب الباب لأحد أشياعه المدعو حسين بسرويه من أهل خراسان وهو الذي طبع البابية بطابع عملي قلبه إلى حزب سياسي شديد الخطورة .

نهض حسين بَسرويه هذا لنشر البابية في أرجاء فارس فأوجد لها أشياعًا في أصفهان وكاشان ثم نزل إلى طهران ولكن الحكومة أعلنته بعدم البقاء فيها .

وفي الوقت نفسه كان رجلان من البابية يطوفان البلاد لنشر الدعوة أحدهما الحاج محمد على بلفروسي اختص بمقاطعة مازندران والأخرى امرأة تدعى (زرين تاج) ثم تلقبت (بقرة العين) وكانت هذه من مدهشات العصر في علمها وحماستها الدينية وفصاحتها المتدفقة وجمالها البارع .

فلما طرد حسين بسرويه من طهران قصد خراسان وكانت الدعوة قد أثرت فيها بعض التأثير .

وبعد حوادث يطول ذكرها قصد حسين المذكور مازندران ومعه جم غفير من أنصاره المسلحين حتى انتهوا إلى قرية (بدخت) وهنالك اجتمع جميع قادة البابية على هيئة مؤتمر وكان من الحاضرين الميرزا يحيى الذي سيخلف (حضرة العلي) في رئاسة المذهب ، وقرة العين فخطبت هذه خطبة بديعة في ذلك المؤتمر كانت سببًا في تقاطر الناس على هذا المذهب الجديد ، فلم يسع حسين بسرويه إلا أن ابتنى له حصنا منيعًا في جبال مازندران وغاباتها واجتمع حوله خلق كثير ليس فيهم واحد يضن بآخر قطرة من حياته في نصرة الدين الجديد فهال هذا الحال حكومة الفرس فأرسلت بعثة عسكرية فحدث بينها وبين أنصار المذهب الجديد قتال أفضى إلى هزيمتها وفقدها كثيرًا من رجالها فعادت بخفي حنين لم تنل منهم منالا فزاد هذا الأمر الحكومة قلقًا فأرسلت إليهم حملة تحت قيادة البرنس مهدي

كولي ميرزا من بيت الملك في فارس ، فلقيت هذه الحملة ما لقيته سابقتها بعد قتال عنيف فعززتها الحكومة بحملة ثالثة فلم تكن أسعد حظا من سابقتيها ولكن أصاب حسين بسرويه جرح مميت في هذه الموقعة مات منه ، فلم يثن ذلك من همة البابية بل استمروا يقاتلون بجلد وصبر عظيمين فلم يسع الحكومة إلا إرسال حملة رابعة معها مدافع ومدمرات من كل نوع فقاومها البابيون مقاومة عنيفة مدة أربعة أشهر حتى فني رجالهم ونفدت ذخائرهم ، فدخلت جنود الشاه إلى معقلهم فأسروا ٢١٤ نفسا من البابيين بين رجال وأطفال ونساء ورغما عن تأمينهم على حياتهم أوغل الجنود فيهم فتكا فبقروا بطونهم وسلوا ألسنتهم ومثلوا بهم أقبح تمثيل .

ولكن كل هذا لم يصد تيار البابية بل زاد في حماستهم وجعلهم يقاومون الحكومة في جهات أخرى مقاومات عنيفة .

فثارت (زندان) عاصمة مقاطعة كامسيه وكان قائد هذه الحركة مشرع مشهور اسمه محمد علي زنجاني فأرسلت الحكومة إليه جنودًا فدحرها وقاوم كل ما أرسل إليه من القوى الحربية أكبر مقاومة ثم انتهى الأمر بعد جهد جهيد بإطفاء هذه الثائرة . ولكن ذلك كله لم يعطل من حركة البابية بل زادها قوة وزاد أشياعها على المناضلة شدة فلم تدر الحكومة ماذا تصنع فعزمت على قتل زعيم البابية الأكبر (حضرة العلي) رغما عن تظاهره بالسكون وعدم التداخل في حركات عدائية ضد الحكومة ، ولكن أنى للحكومة أن تجد مسوغًا لقتله ؟

تذرعت الحكومة لنيل غرضها منه باستدعائه وسؤاله عن أمر دينه الجديد وبنت حكمها بإعدامه على خروجه عن مذهب الجماعة فأمرت بقتله فصلبوه هو وتلميذ له على حائط طويل فسمع الناس تلميذه يقول له على مسمع منهم :

« ألست ممتنا مني أيها الأستاذ » فلم يكد يتمها حتى صوب إليه جندي من الجنود الموكلين بقتلها رصاصة فقتله ، فانقطع الحبل وسقط الباب على الأرض فنهض مهرولا واندس في فصيلة من الجنود ففتكوا به .

قتل (حضرة العلي) فلم يؤثر ذلك بشيء في حركة مذهبه بل زاده أشياعًا وأنصارًا ،

وولى القـوم خليفـة لـه الميرزا يحيى ولقبـوه (حضرة الأزل) فرأى الرئيس الجـديـد أن يترك عاصمة البلاد هربًا من الاضطهاد ويتجول في الجهات ليثبت أشياعه في الإيمان .

ولكن البابيين لم ينسوا ثار رئيسهم الأكبر فأرادوا أن يغتالوا به الملـك نفسـه . فلما كان سنة ١٨٥٢ هجم ثلاثة منهم على الشاه بقصد اغتيالـه فلم يتمكنوا إلا من جرحـه فقبض عليهم الجنود وأذاقوهم ألوان العذاب فاحتملوا كل ذلـك بصبر حَيَّر الألبـاب ، ثم أوغلت الحكومـة في القبض على البابية فأمسكت قرة العين وأمرت بإحراقها حيـة . ثم أمرت الحكومـة بتعـذيب من قبض عليهم من الرجال والنساء والولـدان . وحملت الحمـاسـة بعض رجـال البلاط الملوكي على قتل بعض المقبوض عليه بأيديهم بطرق فظيعة يقشعر منها جلد الإنسـان .

ورأى الناس في سوق طهران منظرا يفتت الأكباد ، ويذيب الأفئـدة ، رأوا أسرابـا من الرجال والنسـاء والأطفـال مقودين بـالحبـال أجسـادهم مجروحـة وقـد وضع الجلادون في كل جرح فتيلـة ملتهبـة ، وهم كيوم ولدتهم أمهاتهم يتلون جميعًـا بصوت مرتفع قولـه تعـالى : ﴿ إنـا لله وإنا إليـه راجعون ﴾ والجنود خلفهم يضربون من يتـأخر أو من يقع منهم بـالسيـاط فـإذا مات طفل في الطريق ألقوه تحت أرجل أبويه فكانا يمران عليه غير ملتفتين إليه .

ثم لاح لأحد الجلادين أن يأتي بطفلين لأحدهم فيذبحها على صدره ففعل ولم يزدد الأب إلا صبرًا وثباتًا ، وقد أظهر الطفلان من آيات البطولة ما خلد ذكرهمـا في التـاريخ إذ كانـا يتسابقان إلى ورد الموت ، ويتزاحمان على حوضه المرير ليقتل أحدهما قبل الآخر .

ثم رميت الجثث بـالأرض تسيل دمـاؤهـا وتجرى مهجـاتهـا ، والكلاب تنوشهـا وترتع في أشلائها .

هـذه الحركـة أثرت على البـابيـة تـأثيرًا مـا فـأضعفت صوتهـا العلني ، ولكنهـا لم تبطـل حركتها السرية ، فـانقلبت إلى مـذهب سِرّي سَرَىٰ في كثير من النـاس واعتنقـه من كان لا يظن فيه أن يصبأ إليه .

(ما هي عقائد البابيين) : عقـائـد البـابيين موجودة في كتبهم وأخصهـا كتـاب البيـان الذي وضعه باللغة العربية الباب نفسه ، ولم نعثر نحن عليه لننقل منه للقراء فنستدرك هـذا

النقص بترجمة عقائدهم عن الفرنسية كما وردت في دائرة معارف القرن التاسع عشر .

في مذهب البابية الخلق مظهر الله ذاته ، فالخالق في الإسلام يخلق لأنه أراد أن يخلق . وعند البابية هو يخلق لأنه لا يُدرَك حيا مؤثرًا إلا بالخلق . وقد صرح البيان بأن مجموع الكائنات هو الله نفسه فإن فيه ما ترجمته :

« الحق ، يامخلوقاتي أنكِ أنا » فإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا في وحدته التي صدروا عنها ،فيتلاشى إذ ذاك كل شيء إلا الطبيعة الإلهية .

فيرى الرائي من هذا أن أساس البابية مذهب وحدة الوجود بعينه .

أما نظرية البابية في خلق الكون فهي : لله سبعة أحرف مقدسة تمثل صفاته الإلهية وهي القوة والقدرة والإرادة والتأثير والكبرياء والوحي ، ولله خصائص أخرى لا تتناهى ولكن هذه الخصائص السبع هي التي استخدمها في خلق الكون المرئي لنا . فالتمثيل المزدوج لهذه الخصائص السبعة القول والكتابة وهي التي منحتنا الخلقة المزدوجة من روح ومادة فباعتبارها قولا هي منبع الأشياء العقلية ، وباعتبارها أحرفا هي مصدر كل الأشياء المادية التي لولاها لم توجد المادة . فالعدد سبعة هو العدد المقدس عند البابية . ولكن يوجد عدد آخر أكبر شأنا عند البابية وهو ١٩ . وذلك أنه فوق العبارات الخالقة يجب وضع كلمة (حي) لأن الحياة هي مصدر وثمرة السبع خصائص المتقدمة في آن واحد . فإذا حسبنا كلمة حي بحساب الجمل وجدنا الحاء بثمانية والياء بعشرة فيكون المجموع ١٨ فيضم إليها ١ لتكون الكلمة (أحْيِ) فيكون المجموع ١٩ هذا العدد قال عنه الباب نفسه إنه المظهر العددي لله ذاته . قال ولا يجوز الشك في ذلك ، فإن كلمة (واحد) التي يعبر بها الله عن نفسه في القرآن لتدل على وحدانيته هي بحساب الجمل (١٩) أيضًا فالواو ستة والألف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة فيكون المجموع ١٩ وعليه فالعدد ١٩ معناه (الواحد الذي يمنح الحياة) أي الله الواحد الخالق ثم إن هذا العدد يحصر العدد سبعة الذي هو جملة الخصائص الإلهية التي خلقت هذا الكون من العدم .

أما الصلاة عند البابية فيكتفى منها بمرة واحدة في كل شهر كما ورد في البيان كتابها المقدس . ولم تعترف بالنجاسة المعنوية التي يرفعها الوضوء فلم تعطه إلا جهة الفائدة العائدة

منه على النظافة والتجمل وأبطلت وجوب القبلة متمسكة بقوله تعالى « أينما تولوا فثم وجه الله » .

أما من الوجهة الأخلاقية فالبابية تهتم قبل كل شيء بتهذيب العواطف النفسية الجميلة كالسخاء ولطف المعاشرة والأدب ، ولا يوجد في عقوبتها المقررة عقوبة الإعدام ولا التعذيب بالضرب ونحوه ، فقد قال البيان في هذا ما ترجمته :

« إن الله قد حرم استخدام الشدة حتى ولو ضربك ضارب بيده على الكتف » .

أما العقوبات المستعملة عند البابيين للتأديب فهي نوعان (أولا) التغريم على حسب شدة الجريمة (ثانيًا) الابتعاد عن مقاربة النساء مدة مناسبة للذنب المقترف ا . هـ .

أقول : إن العرض الذي عرضه فريد وجدي ناقلاً إياه من المصادر الأوروبية كان فيه كثير من الحرارة التي تحوي في طياتها الدفاع عن فكرة المريض المنتن يصل إلى الإباحية في بعض صوره حتى إن قُرَّة العين لم تقتل حتى أباحت المحرمات إلا أن العاطفة الأوروبية تكون دائمًا مع حرية الاعتقاد فتميل للدفاع الحار عن المضطهدين إلا إذا كانوا مسلمين ، لاحظ العبارات الحارة التي مرت معنا في وصف ما حدث للبابية ثم ابحث عن مثلها إذا اضْطُهِدَ المسلمون فإنك لا تجد إلا صمتًا .

* * *

١٥ ـ البهائية

البهائية هي البابية بعد تطويرها . وقد لخص حسن أيوب مذهبهم في رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) فقال :

البهائية :

هم أتباع الميرزا حسين علي الذي لقب نفسه بالبهاء المولود في بلدة نور من ضواحي مازندران سنة ١٢٢٣ هـ قام في أول مرة بخلافة الباب ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوية والرسالة ثم الربوبية والألوهية . وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء .

وقد نزل خليفتهم بمصر سنة ١٨٩٢ م وأسس فيها الدعوة للبهائيين وهلك البهاء في مدينة عكا سنة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ م .

دين البابية والبهائية

(١) إن للوحي تأويلات سامية ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها (الباب) أو البهاء (وما يعلم تأويله إلا الله أي الباب أو البهاء) .

(٢) ادعى البهاء المهدوية ثم الرسالة وأنه نزل عليه كتاب الأقدس الذي نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية ثم ادعى الألوهية وأمر بعبادة البشر .

(٣) القول بموت عيسى صلبًا وعدم عودته بنفسه وإنما تحل روحه في غيره . والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

(٤) إنكار معجزات الأنبياء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

(٥) نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم في عصر التقدم ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود وقد ورد في أحكامه :

إن الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال والآصال . وقد بطلت صلاة الجماعة . والقبلة عكا والحج إليها للرجال دون النساء ، وتحريم الحجاب وإباحة السفور والاختلاط وجعل الحدود عقوبات مادية وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم ا . هـ .

وكل عقيدة من العقائد السابقة مكفرة بنفسها فكيف وهي مجتمعة .

* * *

١٦ ـ القاديانيّة

وقد لخّص مذهبهم الشيخ حسن أيّوب في رسالة عن (رسل الله وكتبه واليوم الآخر) فقال :

هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) مركز بنجاب مديرية كورداسور بالهند سنة ١٢٥٢ هـ . وقد ظلوا فرقة واحدة مدة حياته وأيام خليفته نور الدين . وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف وكان من أثره انقسامهم بعد وفاته إلى شعبتين :

(١) **شعبة قاديان** : ورئيسهم محمود بن غلام أحمد .

(٢) **شعبة لاهور** : وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية .

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد ، والثانية تعتقد أنه مصلح وهذا خلاف ما ورد في كتاب مبتدع النحلة من أنه مهدي ثم نبي مرسل ثم عيسى الموعود به ، وتوفي أحمد بعد حياة حافلة بنبوة تحرم الجهاد وتدعو إلى مساعدة الإنجليز لأنهم أرباب نعمته وأصحاب الفضل عليه في حمايته ونشر دعوته .

مبادئ القاديانية :

(١) القول بعدم ختم النبوة وتأويل ما يدل على ختمها .

(٢) غلام أحمد هو المهدي والنبي المؤيد لشريعة محمد ﷺ وهو المسيح الموعود به .

(٣) باب الوحي مفتوح للناس وقد نزل عليه ويسمعه بعض أتباعه .

(٤) تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة الأمر والإنجليز .

(٥) قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها ، والحج إليها مثل الحج إلى مكة فهي ثالث الأماكن المقدسة .

(٦) تكفير من لا يصدق به من المسلمين وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح (يعني نفسه) في السلسلة المحمدية .

(٧) تفضيله وتفضيل أتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم

(٨) ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركها إلا المسيح القاديـاني ، وإنكارهم أن سنّة الرسول ﷺ أصل في التشريع وهم يدعون الناس عن طريق أنهم مسلمون مصلحون.

والقاديانية والبهائية أخطر أصحاب المذاهب على الأمم الإسلاميـة وأشـد كفرًا من اليهود والنصارى والمجوس ، ويبطل دعوتهم مـا قـدمنـاه من ثبوت عموم رسـالـة النبي ﷺ وختمها للرسالات ، وهم منتشرون في البلاد الإسلامية ويعاونهم الاستعمار بسلطـانه الخفي ومـالـه ؛ لأنهم أعوانه وأداته في إشاعة الفساد بين المسلمين .ا.هـ.

* * *

الفقرة الرابعة
في :
الخوارج خاصة
وفيها :
مقدمة ونصوص
المقدمة

الخارجية اعتقاد وخلق وسلوك ، والخارجية أخطر ما يفرزه المجتمع الإسلامي بشكل مستمر وأقوالها وأفعالها تلتبس لأنها في ظاهرها التطبيق الأرقى للإسلام بسبب من تشددها في المواقف وغلوها في العمل ، لذلك كان من أهم واجبات دعاة الإسلام أن ينبهوا على الخارجية.

والسلوك الخارجي يقوم على المسارعة في التكفير ، والخلق الخارجي يتمثل بكثرة العبادة دون أن يصل أثرها إلى القلوب ويتمثل بسفاهة العقول وتصرفات أحداث الأسنان ولو كبر أهله.

أما العقيدة الخارجية كما استقرت عليه فلها مبادئ :

من مثل تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ، ومن مثل اعتقاد وجوب الخروج على الولاة الذين يخالفونهم في وجهات النظر بصرف النظر عن الموازنات ، ومن مثل تكفير مرتكب الذنب سواء كان صغيرة أو كبيرة ، ومن مثل استحلال دماء وأموال وأعراض من خالفهم .

قد تكون العقيدة الخارجية الآن ليست موجودة إلا في دوائر ضيقة ولكن الخلق والسلوك الخارجي يظهران في كثيرين .

لقد ذكرنا من قبل أن للنفاق صورًا شتى : فهناك صورة النفاق الاعتقادي الذي ينبثق عنه سلوكه ، وهناك النفاق العملي . وكذلك الخارجية : فهناك خارجية الاعتقاد ، وهناك خارجية السلوك وعلى العلماء والمربين أن يحرروا المسلم من كلٍّ .

ولذلك فإن النصوص الآتية ينبغي أن ينظر إليها لا على أنها تصف قضية تاريخية ، بل على أنها تتحدث عن ظاهرة متجددة .

والملاحظ : أن النصوص في الخوارج كثيرة ، وقد عللنا لذلك في بدايات الفصل فليراجع.

النصوص

٤٤٢ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تَمْرُقُ مارقَةٌ عند فُرقة من المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق » .

٤٤٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن سويد بن غفلة ، قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسولِ الله ﷺ حَديثًا ، فوالله لأنْ أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أنْ أكْذِبَ عليه .

وفي رواية (1) : منْ أنْ أقول عليه ما لَم يقُل ، وإذا حَدَّثْتكم فيما بيني وبينكم ، فإن الحرْب خُدعَةٌ ، وإني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « سيخرُجُ قومٌ في آخرِ الزَّمانِ حدَثَاء الأسنانِ ، سفهاءُ الأحلام ، يقولون من قول خَيرِ البَرِيَّة ، يقرؤون القُرآن ، لا يجاوزُ إيمانُهم حَنَاجِرَهُمْ ، يمرقُون من الدِّينِ كما يمْرُقُ السَّهمُ من الرَّميةِ ، فأينما لَقِيتُمُوهم فاقتلُوهُم ، فإنَّ في قَتْلِهم أجْرًا لمن قَتَلَهُم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ » .

٤٤٤ ـ * روى مسلم عن عَبيدةَ بن عمرو السَّلْماني ، عن علي رضي الله عنه ، أنه ذكر الخوارجَ فقال : فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليَدِ ، أو مَثْدُونُ اليد ، أو مُودَنُ اليد ، لولا أن تَبْطَرُوا

---

٤٤٢ ـ مسلم (٢ / ٧٤٥) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٧ ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم .
وأبو داود (٤ / ٢١٧) كتاب السنة ١٣ ـ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة .
(تمرقُ مارقة) : مَرَقَ السهم في الهدَفِ : إذا نَفَذَ منه وخرج ، والمراد : أنه تخرج طائفة من الناس على المسلمين فتحاربهم ، والمارِق : الخارج عن الطاعة المفارق للجماعة وهم الخوارج ، وفي الحديث شهادة لعليّ رضي الله عنه أنه على الحق . وذلك من معجزاته ﷺ .

٤٤٣ ـ البخاري (١٢ / ٢٨٣) ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين ٦ ـ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم .
مسلم (٢ / ٧٤٦) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٨ ـ باب التحريض على قتل الخوارج .
أبو داود (٤ / ٢٤٤) كتاب السنة ـ باب في قتال الخوارج .

(١) مسلم : الموضع السابق .
(أخر) : خرّ من السطح يَخِر : إذا وقع ، وكلُّ من سَقَطَ من موضع عالٍ فقد خرّ .
(حُدثاء الأسنان) : أي شباب لم يكبروا حتى يعرفوا الحق ، وقد يكبرون سنًا ، ويبقون وكأنهم أحداث في تصرفاتهم.
(سفهاء الأحلام) : الأحلام : العقول . السفه : الخِفةُ في العقلِ والجهلُ .

٤٤٤ ـ مسلم (٢ / ٧٤٧) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٨ ـ باب التحريض على قتل الخوارج .
(مثدون اليد) : روي « مثدون اليد » و « مُثْدَن اليد » ومعناهما : صغير اليد مجتمعها ، بمنزلة ثُنْدُوة الثدي ، وأصله : مثند ، فقدّمت الدال على النون . (أو مودَن اليد) : رجل مُودَن ومودون اليد ، أي صغيرها وناقصها .

لَحَدَّثْتُكم بما وعدَ الله الذين يقتلونَهُم على لسان محمدٍ ﷺ . قال : فقلتُ : أنتَ سمعتَ هذا من محمد ﷺ ؟ قال : إي ، وربِّ الكعبة - قالها ثلاثًا -.

٤٤٥ - * روى مسلم عن عبيدِ اللهِ بن رافع - مولى رسولِ الله ﷺ ، أن الحَرُوريَّةَ لما خرجت على عليِّ بن أبي طالب ، فقالوا : لاحكمَ إلا الله ، قال عليٌّ : كلمة حق أُريدَ بها باطلٌ ، إن رسولَ الله ﷺ وصفَ لنا ناسًا ، إني لأعْرِفُ صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحقَّ بألسِنتهم ، لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى حَلْقِهِ - من أبْغَضِ خلق الله إليه ، منهم أسْودُ ، في إحدى يديه طُبْيُ شاة، أو حَلَمَةُ ثدي . فلما قتلهم علي بن أبي طالب ، قال : انظروا . فنظروا ، فلم يجدوا شيئًا ، فقال : ارجعوا ، فوالله ما كذَبتُ ولا كُذِبْتُ - مرتين أو ثلاثاً - ثم وجدوه في خَربةٍ فأتَوا به ، حتى وضَعُوهُ بين يَدَيْه ، قال عبيد الله : وأنا حاضرٌ ذلك من أمرهم وقولِ عليٍّ فيهم . زاد في رواية [(١)] : قال ابن حُنين : رأيتُ ذلك الأسودَ .

٤٤٦ - * روى مسلم عن زيدِ بن وَهبٍ الجُهَني ، رضي الله عنه ، أنه كان في الجَيْشِ الذينَ كانُوا مع عليٍّ ، الذينَ سارُوا إلى الخَوارج ، فقال عليٌّ : أيُّها الناسُ ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَخرجُ قومٌ من أُمَّتي ، يقرؤون القُرْآنَ ، ليس قِراءَتُكُم إلى قِراءَتِهم بشيء ، ولا صلاتُكُم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامُكم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآنَ يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تُجاوزُ صلاتُهم تراقيَهُم ، يَمْرُقُون من الإسلام كما يمرُق السَّهم من الرَّمِيَّة » لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لَنَكَلُوا عن العمل ، وآية ذلك : أن فيهم رجُلاً له عَضد ، ليس له ذراعٌ ، على عَضُدِهِ ، مثلُ حَلَمة الثَّدْي ، عليه شَعرات بيض ، فتذهبون إلى معاويةَ

---

٤٤٥ - مسلم (٢ / ٧٤٩) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(الطُّبْيُ) : لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها ، وقد يكون لذوات الخف .

٤٤٦ - مسلم (٢ / ٧٤٨) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج .

وأبو داود (٤ / ٢٤٤) كتاب السنة - باب قتال الخوارج .

(تراقيهم) : التراقي : جمع تَرْقُوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

(الرمِيَّة) : ما يرمى من صيد أو نحوه .

(نكلت) : عن العَمَل أنكل : إذا فترتَ عنه وجبُنتَ عن فعله .

(وآية ذلك) : الآية : العلامة التي يستدل بها .

=

وأهلِ الشـام ، وتتركون هؤلاء يَخْلُفونكم في ذراريكم وأموالكم ؟ والله إني لأرجـو أن يكـونـوا هؤلاء القومَ ، فإنَّهم قد سفكُوا الدَّمَ الحرامَ ، وأغاروا في سَرْحِ الناسِ ، فَسيروا . قال سلمةُ بن كُهيل : فَنَزَّلني زيـد بن وهب منزلاً ، حتى قـال : مَرَرْنـا على قنطرة ، فلمـا التقينـا ـ وعلى الخوارج يومئـذ : عبـد الله بن وهب الراسبي ـ فقـال لهم : ألقُوا الرِّمـاحَ ، وسُلُّوا سيوفكم من جُفُونها ، فإني أخاف أن يُنـاشِـدوكم ، كما نـاشَـدُوكم يوم حَروراء ، فرجعوا فوحَّشُوا برمـاحِهم وسَلُّوا السُّيُوفَ ، وشَجَرَهمُ الناسُ برماحهم ، قـال : وقُتل بعضهم على بعض ، ومـا أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، فقال عليٌّ : التَمِسُوا فيهم المُخدَج . ، فالتمسوا ، فلم يجدوه ، فقام عليٌّ بنفسـه ، حتى أتى نـاسًـا ، قـد قُتـل بعضهم على بعض ، قـال : أخِّرُوهم ، فـوجـدوه ممـا يَلي الأرضَ ، فكبَّر ثم قال : صدق الله ، وبلَّغ رسولُهُ ، قال : فقام إليه عَبيدةُ السَّلْمانيُّ ، فقـال : ياأمير المؤمنين ، آللهِ الذي لا إله إلا هو ، لَسمعتَ هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟ قـال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استَحْلَفَهُ ثلاثًا وهو يحلف له .

وفي أخرى لأبي داود [1] عن أبي الـوَضِيء قـال : قـال عليٌّ : اطلبـوا المُخْدَج ... فـذكر الحـديث ، واستَخْرَجـوه من تحت قتلَى في الطين ، قـال أبـو الـوضيء : فكأني أنظر إليـه ، حَبَشِي عليه قُريطقٍ له ، إحدى يديه مثْلُ ثَدْي المرأة ، عليهـا شُعَيْراتٌ مثلُ الشُّعَيْراتِ التي تكون على ذنَبِ اليَرْبوع . قـال أبو مريم : إنْ كان ذلـك المخدَج لمعنَـا يـومئـذ في المسجـد ، نُجالسه بالليل والنهار ، وكان فقيرًا ، ورأيته مع المساكين يشهد طعام عليٍّ مع الناس ، وقـد كَسَوتُه بُرنُسا لي . قال أبو مريم : وكان المخدَج يسمَّى نافعًا ، ذا الثُّدَيَّـة ، وكان في يـده مثلُ ثدي المرأة ، على رأسه حَلَمةٌ مثل حَلَمةِ الثدي ، عليه شُعيراتٌ مثلُ سُبالة السِّنَّور .

= (جفون السيوف) : أغمادها .

(وَحَّشْتَ بِسلاحي) : وبثوبي : إذا رميتَ به وألقيته من يدك .

(التشاجر بالرماح) : التطاعن بها ، وشجره برمحه : إذا طعنه .

(المخدَج) : الناقص ، والخِداج : النقص .

(قُريطِق) : تصغير قُرْطَق ، وهو شبيه بالقباء ، فارسي معرب .

(ذو الثُّدَيَّة) : تصغير الثَنْدُوَة .

(السُّبَالَةُ) : الشارب والجمع السِّبال ، والهاء في « سبالة » لتأنيث اللفظة .

(١) أبو داود في الموضع السابق .

قال الخطابي : قد أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، ورأوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأجازوا شهادتهم ، وسُئِل عنهم علي بن أبي طالب ، فقيل : أكفارٌ هُم ؟ قال : مِن الكُفْرِ فرُّوا ، فقيل : فمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا ، قيل : مَنْ هم ؟ قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا وصّموا . قال الخطابي : فمعنى قوله ﷺ : « يمرُقون من الدِّين » أراد بالدِّين : أنهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة ، وينسلخون منها ، والله أعلم .

أقول :

هؤلاء قوم دخلوا في الإسلام وخرجوا منه سريعًا ، ومظهر ذلك أن يقبلوه ثم لا يلتزموا بأحكامه .

أقول :

يلاحظ أنّه ورد في هذه الرواية (لا تجاوز صلاتهم تراقيهم) وفي رواية سويد بن غفلة (لا يجاوز إيمانهم حناجرهم) وفي رواية عبيد الله بن أبي رافع : (يقولون الحقّ لا يجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه) فهذه كلّها علامات عليهم ، ومن ثم فإنّ على المربين في الأمّة الإسلاميّة أن يلحظوا هذا فيركّزوا على الإيمان القلبي وعلى الخشوع القلبي في الصلاة وعلى أن يوافق القول العمل ، وفي الرواية اللاحقة سنرى رواية أبي سعيد الخدري : (يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم) . فقراءة القرآن وتأثّر القلب بها علامة على أن الإنسان ليس من هؤلاء وإلا فالخطر كبير .

٤٤٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، من رواية أبي سلمةَ وعطاء بن يسار ، أنهما أتيَا أبا سعيدٍ الخدري فسألاه عن الحَرُوريَّة ، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكرها ؟ قال : لا أدري مَنِ الحَرُوريةُ ؟ ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

---

٤٤٧ ـ البخاري (١٠ / ٥٥١) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ٩٥ ـ باب ما جاء في قول الرجل « ويلك » .

مسلم (٢ / ٧٤٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ٤٧ ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

=

« يخرج في هـذه الأمَّـةِ - ولم يقل : منها - قومٌ ، تَحْقِرُونَ صَلاتَكُم مـع صـلاتِهم ، يقرؤون القــرآنَ ، لا يجـاوزُ حُلُوقَهم - أو حَنـاجِرَهُم - يمرُقُـونَ من الـدِّينِ مُرُوق السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ، فينظر الرامي إلى سهمِهِ ، إلى نَصْلِه ، إلى رِصَافِهِ ، فيتمـارى في الفُوقَةِ : هل عَلِق بها من الدم شيء؟ » .

وفي رواية أبي سَلَمةَ والضَّحَّاك المَشْداني [1] : أن أبا سعيد الخدري قـال : بينـا نحن عنـد رسولِ الله ﷺ وهـو يَقْسِم قَسْمًا ، أتـاه ذو الخُوَيصِرة - وهـو رجـل من بني تَميم - فقـال : يارسولَ الله ، اعْدِلْ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ويلَكَ ، ومن يَعْـدِلُ إذا لم أعْـدِلْ » ؟ - زاد في رواية : « قد خِبْتَ وخَسِرْتَ إن لم أعْدِلْ » فقال عمر بن الخطاب : ائذن لي فيـه فأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « دَعْهُ ، فإن له أصْحَابًا يَحقِرُ أحَـدُكُم صلاتَـه مع صلاتِهِم ، وصيـامـه مـع صيـامهم » زاد في روايـة : « يقرؤون القرآن لا يُجـاوِزُ تراقِيَهم ، يمرقُـون من الإسـلام » . وفي روايــة : « من الــدِّين - كما يمرق السهمُ من الرَّميةِ ، ينظر أحـدهم إلى نَصلِـه فلا يوجـد فيـه شيء ، ثم ينظر إلى رِصـافـهِ فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجـد فيـه شيءٌ - وهو القِـدْح - ثم ينظر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيءٌ ، سبق الفَرْثَ والـدَّم ، آيتهُمْ : رجلٌ أسودُ ، إحـدى عَضُديه - وفي رواية : إحدى يديه - مثلُ البَضْعة تَدَرْدَرُ ، يخرجون على حين فُرقَـةٍ من النَّاس » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ ، وأشهـد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمرَ بذلك الرجلِ ، فالتُمِسَ فوُجِدَ ، فأُتِيَ به حتى نَظَرتُ إليه

= (الرِّصاف) : العَقِبُ الذي يكون فوق مدخل النصل في السهم ، واحدها : رَصَفَة ، بالتحريك .

(التمارى) : تفاعل من المرية : الشك ، والمراد : الجدال .

(١) مسلم (٢ / ٧٤٤) الكتاب والباب السابقان .

(النَّضِيُّ) : بـالضـاد المعجمـة .. بوزن النقيّ : القِـدْحُ أول مـا يكون قبل أن يعمـل ، ونَضِي السهم : مـا بين الريش والنصل ، ونِضْو السهم : قِـدْحـه ، وهـو مـا جـاوزَ الريش إلى النصـل ، وقيـل : النضي : نَصْـل السهم ، والمراد بـه في الحديث : ما بين الريش والنصل .

(قِدْح) : القِدْح : السهم قبل أن يُعمل فيه الريش والنصل ، وقبل أن يُبْرَى .

(الفَرْثُ) : السِّرجين وما يكون في الكَرِش .

(البَضْعة) : القطعة من اللحم .

(تَدَرْدَرُ) : التدردر : التحرُّك والترجرج مارًّا وجائيًا =

على نَعتِ رسولِ الله ﷺ الذي نعتَ .

وفي أخرى [١] ، قال أبو سعيد : بَعَثَ عليٌّ رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبيِّ ﷺ بذُهَيْبَةٍ في تُربتها ، فَقَسَمَها بين أربعةٍ : الأقرع بن حابس الحنْظَلي : ثم أحدِ بَني مُجاشِع ، وبين عُيَيْنَةَ بن بدر الفزاري ، وبين عَلْقمة بن عُلاثَةَ العامري ، ثم أحدِ بني كلاب ،وبين زيد الخيل الطائي ، ثم أحد بني نَبْهان ، فتغضَّبتْ قريش والأنصار ، فقالوا : يُعطيه صناديدَ أهل نجد ويَدَعُنا ؟ قال [رسولُ الله ﷺ] : « إنما أتألَّفهم » فأقبَلَ رجل غائرُ العينين ، ناتئُ الجبين كَثُّ اللحية ، مشرفُ الوَجْنتين ، محلوق الرأس ، فقال : يا محمد ، اتق الله ، فقال : « فمن يُطيع الله ، إذا عَصَيْتُه ؟ أفيأمَنُني على أهل الأرض ، ولا تأمنوني ؟ » فسأل رجلٌ من القوم قَتْلَهُ ـ أُراه خالد بن الوليد ـ فمنعه ، فلما ولَّى ، قال : « إن من ضِئْضِئِ هذا قومًا يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حَناجِرَهم ، يمرقُون من الإسلام مُروقَ السهم من الرَّمية ، يقتلون أهلَ الإسلام ، ويدَعون أهل الأوثان ، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد » .

ولمسلم نَحْوُهُ بزيادة ألفاظ [٢] ، وفيها : بِذُهَيْبَةٍ في أديم مَقْروظٍ ، لم تُحَصَّل من ترابها ـ وفيها ـ والرابع : إما علقمة بنُ علاثة ، وإما عامر بن الطفيل ـ وفيها ـ « ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء ، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً » ـ وفيها ـ فقال : يارسول الله ، اتقِ الله ، فقال : « ويلك ! أولست أحقَّ أهل الأرض أن يتقيَ الله ؟ » قال : ثم ولَّى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يارسول الله : ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا ، لعلّه أن يكونَ يصلي » قال خالد : وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال

---

(١) مسلم (٢ / ٧٤٢) الكتاب والباب السابقان .

(الصناديد) : جمع صنديد ، وهو السيد الشريف .

(التألُّف) : الإيناس والتحبب ، والمراد : لأحبِّب إليهم الإسلامَ وأزيل نفورَهم منه .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(الذُهَيْبَة) : تصغير الذهب ، وهو في الأصل مؤنث ، والقطعة منه ذهبة ، فلما صُغر أضيف إليه الهاء ، كما يقال في تصغير قوس : قوَيسة ، وفي تصغير قدر قديرة .

(الأديم) : المقروظ المدبوغ بالقَرَظِ .

=

رسول الله ﷺ : « إني لم أُومَرْ أن أُنقِّبَ عن قلوب الناس ، ولا أَشُقَّ بطونهم » ، قال : ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ ، فقال : « إنَّه يخرج من ضِئْضِئِ هؤلاء قوم يتلون كتاب الله رَطْبًا ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقُون من الدين كما يمرق السَّهم من الرمية » قال : أظنه قال : « لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل ثمود » .

وفي رواية [(١)] : فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؟ قال : « لا » فقام إليه خالد سيف الله ، فقال : يارسول الله ، ألا أضرب عنقه ؟ قال : « لا » .

وفي رواية البخاري [(٢)] أنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « يخرج فيكم قوم تَحْقِرون صلاتَكم مع صلاتهم ، وصيامَكم مع صيامهم ، وعملَكم مع عملهم ، ويقرؤون القرآن ، لا يجاوز حَناجرهم ، يمرقُون من الدِّين كما يمرقُ السهم من الرمية ، ينظر في النَّصْل فلا يرى شيئًا ، وينظر في القِدْح فلا يرى شيئًا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ، ويتمارى في الفُوق » .

وللبخاري [(٣)] طرف منه أن النبيَّ ﷺ قال : « يخرج ناس من قِبَل المشرق يقرؤون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقُون من الدِّين كما يمرُق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فُوقه » قيل : ما سِيماهم ؟ قال : « سِيماهم التحليقُ - أو قال : التَّسْبيدُ - » .

ولمسلم في أخرى [(٤)] : أن النبيَّ ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمته ، يخرجون في فُرقة من

= (أُنقِّبُ) : التنقيب : التفتيش .

(مُقَفٍّ) : قفَّى الرجلُ الرجلَ يُقَفِّي ، فهو مقفٍّ : إذا أعطاك قفاه وولى .

(الضِّئْضِئ) : بالهمزة : الأصل ، والمراد : يخرج من صُلبه ونَسله .

(١) مسلم (٢ / ٧٤٣) الكتاب والباب السابقان .

(٢) البخاري (٩ / ٩٩) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ٣٦ - باب إثم من راءى بقراءة القرآن ... إلخ .

(٣) البخاري (١٣ / ٥٣٥) ٩٧ - كتاب التوحيد ٥٧ - باب قراءة الفاجر والمنافق ... إلخ .

(التحليق) والتحالق : حلق الشعر ، وهو تفاعل منه ، كأن بعضهم يحلق بعضًا .

(التسبيد) : حلق الشعر واستئصاله .

(٤) مسلم (٢ / ٧٤٥) الكتاب والباب السابقان . =

النـاس ، سيماهم التحـالـق ، قـال : « هم شرُّ الخلـق - أو من أشرِّ الخلـق - يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » . قـال فَضَرب النبيُّ ﷺ لهم مثلاً - أو قـال قولاً - « الرجل يرمي الرمية - أو قـال : الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر في الفُوق فلا يرى بَصيرة » . قال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق .

أقول : الرميّة الصيد ومروق السهم منها دون أثر عليه يشير إلى الـدخول فيهـا والخروج منهـا بسرعـة دون أن يظهر أثر ضئيل عليـه فهؤلاء دخلوا في الإسلام ولم يلبثوا أن خرجـوا منه باعتقاداتهم الفـاسـدة يقرؤون القرآن يحسبونـه لهم وهو عليهم ، وأخشى أن ينطبق هـذا على بعض مسلمي عصرنا فليحاسب الإنسان نفسه .

٤٤٨ - * روى البخـاري عن عبـدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما ، أنـه ذكر الحَروريَّـة؛ فقال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَمرُقون من الإسلام مُروقَ السَّهْمِ من الرَّمِيّة » .

٤٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن يسيرِ بن عمرو رضي الله عنـه ، قال : قلتُ لسهل بن حُنَيْفٍ : هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول في الخوارج شيئًا ؟ قال : سمعتُهُ يقول :- وأهْوَى بيـده قِبَل العراق - « يخرج منـه قومٌ يقرؤون القـرآنَ ، لا يُجـاوِزُ تَرَاقِيهم ، يمرُقـون من الإسلام مُرُوقَ السَّهمِ من الرَّمِيَّة » .

وفي رواية (١) قال : « يَتِيه قَومٌ قِبل المشرق ، محلّقَةٌ رؤوسهم » .

٤٥٠ - * روى النسـائي عن شَريـكِ بنِ شِهـابٍ ، قـال : كنتُ أتمنى أن ألقَى رجُـلاً من

= (الغرض) : الهدف .

(البَصيرة) : الدليل والحجة الذي يستدل به لأن الدليل يوضح المعنى ويُحقّقه ، فكأن صاحبـه يبصر بـه ، والبصيرة : هو شيء من الدم يستدل به على الرمية .

٤٤٨ - البخاري (١٢ / ٢٨٣) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ٦ - باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم .

٤٤٩ - البخاري (١٢ / ٢٩٠) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين والمعـانـدين وقتـالهم ٧ - بـاب ترك قتـال الخوارج للتـألف ... إلخ .

مسلم (٢ / ٧٥٠) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٩ - باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

(١) مسلم في الموضع السابق .

٤٥٠ - النسائي (٧ / ١١٩) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٢٦ - باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس . =

أصحاب النبيِّ ﷺ ، أسألُه عن الخوارج ، فلَقِيتُ أبا بَرْزَةَ في يوم عيد في نَفَرٍ من أصحابه ، فقلتُ له : هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكر الخوارج ؟ قال : نعم ، سمعتُ رسول الله ﷺ بأُذنيَّ ، ورأيتُهُ بِعَيْنَيَّ ، أُتِيَ رسولُ الله بمالٍ ، فَقَسَمَه ، فأعطى مَنْ عن يمينه ، ومَنْ عن شماله ، ولم يُعطِ مَنْ وراءَه شيئًا ، فقام رجلٌ من ورائه ، فقال : يامحمدُ ، ما عَدَلْتَ في القِسْمة ـ رجل أسودُ مطموم الشَّعر ، عليه ثَوْبانِ أبيضانِ ـ فغَضِب رسولُ الله غضبًا شديدًا وقال : « واللهِ لا تَجِدُون بعدي رجلاً هو أَعْدَلُ مني » ثم قال : « يخرج في آخر الزمان قوم ، كأنَّ هذا منهم ، يقرؤون القرآن ، لا يُجاوِزُ تَراقِيهم ، يمرُقُون من الإسلام كما يَمرُقُ السَّهم من الرمية ، سِيماهُمُ التحليقُ ، لا يزالون يخرجون حتى يخرجَ آخرُهُم مع المسيح الدجال ، فإذا لَقِيتُمُوهم هم شَرُّ الخَلْق والخَلِيقَة » .

قال ابن الأثير : (مطموم الشعر) : كثيره ، قد طَمَّ رأسه ، أي : غطاه ، والطمُّ : الشيء الكثير .

أقول : ويحتمل أن يكون مطموم شعر اللحية حليق الرأس كما في رواية ستأتي معنا عن عامر بن واثلة .

وعلى فهم ابن الأثير أقول تعليقًا : هذا خارجي لم يحلق شعر رأسه فالظاهر أنّ حلق الشعر بعد ذلك كان شعارًا لجميع الخوارج وهو وحده ليس علامة فارقة فلقد حلق رسول الله ﷺ رأسه وكان بعض الصحابة يحلقون رؤوسهم ، ولم يزل بعض صالحي الأمّة يحلقون رؤوسهم وليس فيه نهي أمّا النهي فقد ورد في حلق اللحى ولذلك احتملت أن تشير كلمة (التسبيد) الواردة في بعض النصوص أنّها إشارة إلى خارجية تأتي بعد الخارجية الأولى سيماهم حلق اللحى وهو احتمال لم أر من نصّ عليه ، لكنه احتمال قوي خاصّة مع ورود النهي عن حلق اللحي فما لم يكن هناك عذر من خوف أو نحوه فإن المرجو من حملة الإسلام ألا يتساهلوا في حلق اللحي .

= قال محقق الجامع : وهو حديث حسن .

٤٥١ - * روى مسلم عن أبي ذَرٍّ الغِفَـاريِّ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إنْ بَعْدي من أمَّتي - أو سيكونُ بعدي من أمتي - قوم ، يقرؤون القرآن لايُجاوِزُ حَلاقِيَهم ، يَخرُجون من الدِّين كما يَخرُجُ السهم من الرَّمِيَّـةِ ، ثم لا يعودون فيـه ، هم شرُّ الخَلْق والخَلِيقَةِ » .

قال ابن الصامت : فلقيتُ رافع بنَ عمرو الغفاري [أخا الحكم الغِفاري قلتُ : ما حديثٌ سمعتَهُ من أبي ذر كذا وكذا ؟] فذكرت له هذا الحديث ، فقال : وأنا سمعتُـهُ من رسولِ الله ﷺ .

٤٥٢ - * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما : قال : أتى رجلٌ بالجِعْرَانة - مُنْصَرَفَنا من حُنَيْنٍ - وفي ثوب بلالٍ فِضةٌ ، ورسولُ الله ﷺ يَقْبِضُ منها ويُعطي النـاسَ ، فقال : يامُحمد ، اعْدِلْ ، فقال : « ويلَـكَ ومَنْ يَعْـدِلُ إذا لم أعْـدِلْ ؟ ! لقـد خِبْتُ وخَسِرتُ إن لم أكنْ أعـدِل » فقـال عمرُ بن الخطـاب : دَعْني يـارسولَ الله فـأقتـلَ هـذا المنافقَ ، فقال : « مَعاذَ الله أن يتحدَّث النـاسُ أنَّ محمدًا يقْتُلُ أصحـابـه ، إنَّ هـذا وأصحـابَـه يقرؤون القـرآن لا يُجـاوِزُ حَنـاجِرَهم ، يَمْرُقـون من الـدين كما يَمْرُق السهمُ من الرَّمِيَّةِ » .

وأخرجه البخاري (١) قال : بينا رسول الله ﷺ يَقْسِم غَنيمةً بالجِعْرَانَةِ إذ قال لـه رجل : اعدل ، فقال : « لقد شَقِيتُ إن لم أعْدِلْ » .

٤٥٣ - * روى الترمذي عن عبـد الله بن مسعود رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسولُ الله

---

٤٥١ - مسلم (٢ / ٧٥٠) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٩ - باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

(الخَلْق والخليقة) : اسمان بمعنى : وهم الخلائق كلُّهم . وقيل : الخلق : الناس . والخليقة : الدواب والبهائم .

أقول : المراد بالخلق : المسلمون ، فهم شرّ المسلمين ، لأن المرجو أن يكون مآلهم الجنـة على مـا هم عليـه . إلا من كفر منهم .

وقد رأينا في كلام عبد القاهر أن بعض الخوارج قد حكم عليهم بالكفر .

٤٥٢ - مسلم (٢ / ٧٤٠) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٧ - باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

(١) البخاري (٦ / ٢٣٨) ٥٧ - كتاب فرض الخمس ١٥ - باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ... إلخ .

٤٥٣ - الترمذي (٤ / ٤٨١) ٣٤ - كتاب الفتن - ٢٤ - باب في صفة المارقة . وقال : حسن صحيح . وهو كما قال .

ﷺ : « يخرج في آخر الزمـان قوم أحـداثُ الأسنـان ، سُفهـاء الأحلامِ ، يقرؤون القرآن ، لا يجـاوز تراقيهم ، يقولون من خير قول البريـة ، يمرقُون من الـدين كما يمرَق السهم من الرمية » .

٤٥٤ ـ * روى أبـو داود عن أبي سعيـد الخـدري ، وأنس بن مـالـك رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قـال : « سيكونُ في أمتي اختـلاف وفُرقـة ، وقـومٌ يحسنُـون القيـلَ ، ويُسيئـونَ الفِعْـلَ ، يقرَؤونَ القرْآن ، لا يجـاوز تَراقيهم ، يُمرقُـون من الـدِّين كما يمرُق السهم من الرَّميـة ، ثم لا يَرجِعونَ حتى يَرتـد على فُوقِـهِ ، هُمْ شر الخلـق ، طُـوبى لمن قتلهم وقتلـوه ، يـدعـون إلى كتـاب الله ، وليسـوا منــه في شيء ، مَن قاتَلَهم كان أولى بالله منهم » قالوا : يارسولَ الله ، ما سيماهم ؟ قال : « التحليقُ » .

وفي روايـة عن أنس [1] نحـوه قـال : « سيماهم التحليـق والتسبيـد ، فـإذا رأيتمـوهم فأنيموهم » .

أقول : إن القاعدة عند علماء التفسير أنه ما من وعيد في الكفار إلا وينبغي أن يـأخـذ المسلم منه عبرة ، وأن ينظر مـا إذا كان فيـه شيء من أخلاق الكافرين ليتجنبـه ، فـإذا كان هذا في الكفار فمن باب أولى أن يتخوف المسلم أن يكون على شيء من أخلاق فرقة ضـالـة ، ومن ههنـا ننبـه مسلمي عصرنـا وكل عصر على أن يتـأملوا في أخلاق الخوارج ويتجنبوهـا ، لأن الخارجية كما تفيد النصوص متجددة في الأمة الإسلامية .

ومن الأمثلة على ما ينبغي أن يحذره المسلم من أخلاقية الخوارج ما ورد في هذا النص :

١ ـ إحسان القول وإساءة الفعل .

٢ ـ عدم التأثر القلبي بالقرآن .

---

٤٥٤ ـ أبو داود (٤ / ٢٤٣) كتاب السنة ـ باب في قتال الخوارج . وهو حديث صحيح .

(١) أبو داود (٤ / ٢٤٤) الكتاب والباب السابقان .

(القيل) : هو القول .

(التسبيد) : هو حلق الرأس واستئصال الشعر ، وقيل : ترك التَّدَهُّن وغسلِ الرأس .

(الإنامة) : القتل ، يقال : ضربه فأنامه : إذا قتله .

٣ ـ الخروج السريع من الدين وذلك : كأن يدخل فيه ثم لا يأخذ حظه من العلم والحكة والتزكية ، فيفتي بجهل ويعمل بهوى ويتصرف بسوء خلق ويعتبر ذلك كله دينًا وما هو من الدين .

٤ ـ يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء وذلك أنهم من حيث المبدأ يؤمنون بكتاب الله ويدعون إليه ولكن حظهم من التلاوة والفهم والتدبر والتأثر والحفظ شبه معدوم .

٥ ـ التحليق والتسبيد : لا يبعد أن يكون بعض الخوارج في بعض العصور ممن يحلقون لِحاهم ويسبدون شعور رؤوسهم ، لأن حلق الرأس وحده وإكرام اللحية ليس مأخذًا شرعيًا ، ولذلك احتملنا أن يكون هذا الحديث في نوع من الخوارج يرتكبون منكر حلق اللحية وذلك هو المأخذ الشرعي . فالمسلم وهو يقرأ مثل هذا الحديث عليه أن يحاسب نفسه فيما إذا كان عنده شيء من مثل هذه الأخلاق .

٤٥٥ ـ * روى أحمد عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية قتالهم حق على كل مسلم » .

أقول : إن راوي الحديث وهو الإمام علي رضي الله عنه قد ابتلي بقتال الخوارج الأُوَل ، وقد سَنّ لنا في ذلك سننًا ، والعلماء بنوا أحكامهم في الخوارج على ما سَنّ ، لأنه خليفة راشد ، ونحن مأمورون باتباع سنة الخلفاء الراشدين ، ومما سَنّه الإمام عليٌّ رضي الله عنه ، أنه لم يبدأ الخوارج بالقتال إلا بعد ما قرروا القتال وبدأوه فعلاً . فالحديث محمول على مثل هذا ، وعلماء المسلمين قرروا أنه يجب القتال مع الإمام الحق إذا خرجت عليه طائفة بغير الحق ، فإذًا : لا يصح لأفراد الأمة الإسلامية أن يقتلوا من هو مظنة الخارجية إلا بقضاء إسلامي عادل وبعد تصرفات من الخارجي أو أقوال تبيح قتله ، ثم لابد من ملاحظة أنه : « لا تزر وازرة وزر أخرى » .

---

٤٥٥ ـ مسند أحمد (١ / ١٥٦) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٤٥٦ ـ * روى الحاكم عن عبدِ الله بن عباسٍ قال : لما اعتزلت [الحرورية في] حروراءَ وكانوا في دارٍ على حِدَتِهم قلت لعليٍّ : يا أمير المؤمنين أبرد [في] الصلاة لعلي آتي هؤلاء القومَ فأكلمهم . قال : فإني أتخوفُهم عليك ، قال : قلتُ كلا إن شاء الله . قال : فلبستُ أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة قد خلت على قوم لم أر قومًا قط أشدَّ اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثَفِنُ الإبل ووجوهم مُعْلَبَة من آثار السجود [أي فيها أثر بسبب السجود] ، قال : فدخلت ، فقالوا : مرحبًا بك يا ابنَ عباسٍ ما جاء بك ، قال : جئتُ أحدِّثُكم عن أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه . وقال بعضهم : لنُحدِّثَنَّه ، قال : قلتُ : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به وأصحابُ رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا : نَنْقِمُ عليه ثلاثًا ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حَكَّم الرجال في دين الله وقد قال الله ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [1] قال : قلت وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَمْ ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلَّتْ له أموالُهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حَرُمَتْ عليه دماؤُهم . قال : قلت وماذا ؟ قالوا : ومحا نفسَه من أميرِ المؤمنين فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أميرُ الكافرين . قال : قلت أرأيتم إن قَرأتُ عليكم من كتابِ الله المُحْكَمِ وحدثتكم من سُنة نبيكم ﷺ ما لا تُنْكِرون أتَرجِعون ؟ قالوا نعم ، قال : قلت أما قولكم إنه حكَّم الرجال في دين الله فإنه يقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى قوله ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [2] وقال في المرأة وزوجها ﴿ وإن خفتم شِقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴾ [3] أنشُدُكم الله ، أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم . قال :

---

٤٥٦ ـ المستدرك (٢ / ١٥٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .
وقال الهيثمي : رواه الطبراني وأحمد ورجالها رجال الصحيح . مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٩) .
ثفن : جمع ثفنة وهي ما وَلِيَ الأرض من كل ذات أربع إذا بركت كالركبتين وغيرهما ، ويحصل فيها غلظ من أثر البروك .

(١) يوسف : ٤٠ .
(٢) المائدة : ٩٥ .
(٣) النساء : ٣٥ .

خرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم . أتسبون أمكم [أي عائشة رضي الله عنها] أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن الله عز وجل يقول ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم ؟ أخرجْتُ من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . [قال] : وأما قولكم إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : « اكتب [أي لعلي] هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صَدَدْناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال : « والله إني لرسولُ الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله ﷺ كان أفضلَ من علي . أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

أقول : يلاحظ من خلال النقاش الدائر بين ابن عباس رضي الله عنهما والخوارج أنه قد رجع القسم الأكبر منهم إلى جادة الصواب ، وهذا يفيد أنه بالعلم الصحيح وبالحجة القوية يمكن أن تعالج ظاهرة الخارجية في الأمة الإسلامية ، ومن ههنا أكثرنا من الحض على التعرف على كل أصول الثقافة الإسلامية وفروعها ، لأنه بذلك وحده يوجد العاصم عن الخطأ الاعتقادي ، وتوجد الحصانة ضد الفكر الشاذ ، وشرطنا لهذه الثقافة أن تكون على ضوء فهوم الراسخين في العلم من هذه الأمة ممن شهدت لهم الأمة بالعدالة ، ولم يعرف عنهم شذوذ اعتقادي أو فتوى تخالف إجماعًا .

٤٥٧ ـ * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن علي قال : لقد عَلِمَ أولو العلمِ من آل محمدٍ وعائشةُ بنتُ أبي بكر فاسألوها أن أصحابَ ذي الثُّدَيَّة ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ . وفي رواية أن أصحاب النهروان .

---

٤٥٧ ـ مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٩) . وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات . ا هـ وللحديث شواهد .

٤٥٨ - * روى أبو يعلى عن عبيد الله بن عِياض بن عمرو القاري أنه جاء عبدُ اللهِ بنُ شَداد بن الهادِ فدخل على عائشةَ ونحن عندها جلوسٌ مَرْجِعَهُ من العراق ليالِيَ قُتِلَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه ، فقالت له : يا ابن شداد بن الهاد ، هل أنت صادقي عما أسألك عنه ؟ حدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلَهُم علي قالَ : ومالي لا أصدُقُكِ ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم . قال : فإنّ علي بن أبي طالب لما كاتبَ معاويةَ وحُكِّمَ الحكمان خرج عليه ثمانية آلافِ من قُرّاء الناس فنزلوا بأرض يُقال لها حَرورا من جانب الكوفةِ وإنهم عابوا عليه فقالوا : انسلخت من قميصٍ كساكَهُ الله واسمٍ سَماك اللهُ به ثم انطلقت فحكَّمْتَ في دين اللهَ . فلا حُكْمَ إلا لله . فلما بلغ عليًا ما عابوا عليه وفارقوه عليه فأمرَ مُؤذنًا فأذّنَ أن لا يَدْخُلَ على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن ، فلما امتلأتِ الدارُ من قُراء الناسِ دعا بمصحفٍ إمام عَظيمٍ فوضَعَه بين يديه فجعل يَصُكُّهُ بيده ويقول : أيها المصحفَ حَدِّثْ الناسَ ، فناداه الناسُ : ياأمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مِداد في ورق يتكلمّ بما رأينا منه ، فما يزيد ، قال : أصحابُكم أولئك الذين خرجوا بيني وبينهم كتابُ الله . يقول الله في كتابه في امرأة ورجل ﴿ **وإن خِفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما** ﴾ (١) فأمة محمد ﷺ أعظم حُرمَةً أو ذِمَّةً من رجل وامرأة : ونقموا عليَّ أني كاتبتُ معاويةَ ، وكتبتُ علي بن أبي طالب ، وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . قال : « وكيف نكتب » ؟ قال سهيل : اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ : « فاكتب محمدٌ رسولُ الله » فقال : لو أعلمُ أنك رسولُ الله لم أُخالِفْك . فكتب : هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدِ الله قريشًا . يقول الله في كتابه ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كانَ يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ (٢) فبعث إليهم عبدَ الله بنَ عباسٍ فخرجت معه حتى إذا توسطنا عَسكَرهم قامَ ابنُ الكَوَّا فخطبَ الناس فقال : يا حَمَلَةَ القرآنِ هذا عبدُ الله بنُ عباس فمن لم يكنْ يَعرِفْه فليعْرِفْه فأنا أعرفه من كتاب الله هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿ قومٌ

---

٤٥٨ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٥) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(١) النساء : ٣٥ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

خَصِمون ﴾[1] فَرُدوهُ إلى صاحبه ولا تُواضِعوه كتابَ اللهِ . قال : فقامَ خطباؤهم فقالوا والله لنواضعَنَّه الكتابَ فإن جاءَ بالحقِّ نعرفه لنتَّبِعَنَّهُ وإن جاءَ بباطل لَنُبَكِّتَنَّهُ بباطل ولَنَرُدَّنَّه إلى صاحبه . فواضعوا عبدَ الله بن عباسٍ ثلاثةَ أيام فَرَجع منهم أربعةُ آلاف كلهم تائبٌ فيهم ابن الكوا حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفةَ فبعث عليٌّ إلى بقيتهم قال : قد كان من أمرِنا وأمر الناس ما قد رأيتم فَقِفُوا حيثُ شئتم ، بيننا وبينكم أن لا تسْفِكوا دمًا حرامًا أو تَقْطَعوا سبيلاً أو تَظلِموا ذِمةً فإنكم إن فعلتُم فقد نبذنا إليكم الحربَ على سواءٍ إن الله لا يحب الخائنين قال فقالت له عائشة : ياابنَ شَدادٍ فقد قَتَلهم ، قالَ : فوالله ما بعثَ إليهم حتى قطعوا السبيلَ وسفكوا الدماءَ واستحلوا الذمةَ . فقالت : والله ؟ قال الله الذي لا إله إلا هو لقد كان . قالت : فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه يقولون ذا الثدية مرتين . قال : قد رأيتُه وقمتُ مع علي معه على القتلى فدعا الناسَ فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول رأيتُه في مسجد بني فلان يُصلي ولم يأتوا فيه بِثَبْتٍ يُعرَفُ إلا ذاك . قالت : فما قولُ عليٍّ حين قام عليه كما يَزعُمُ أهلُ العراق ؟ قال : سمعته يقول : صدق اللهُ ورسولُه . قالت : فهل رأيتَه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا . قالت : أجل صدق الله ورسوله يرحم الله عليًا إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله . فيذهبُ أهل العراق فيكذبون عليه ويزيدون في الحديث .

أقول :

الظاهر من الرواية أن عائشة لم تر نسبة قضية ذي الثدية إلى رسول الله ﷺ ولم تكذب عليًا ، والروايات الصحيحة لم تدع مجالاً للشك أن عليًا سمع ذلك من رسول الله ﷺ ، ولا تناقض بين هذه الرواية والتي قبلها ، فقد ذكر الراوي روايتين في الكلمة المنقولة عن علي وأصحاب الثدية أو أصحاب النهروان ، والظاهر أن عائشة لم تنكر قتل أهل حروراء بل ورد على لسانها ما يدل على معرفتها بغلوهم كما في سؤالها للمرأة (أحرورية أنت) .

---

(١) الزخرف : ٥٨ .

٤٥٩ - * روى الطبراني عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ (١) قال : « هم الخوارج » .

٤٦٠ - * روى الطبراني في الكبير والأوسط عن حُميدِ بن هلال قَالَ : غَزَا عُمَارَةُ بنُ قرض الليثي غَزَاةً لَهُ فَمَكثَ فيها مَا شَاء اللهُ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إذا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الأهْوازِ سَمِعَ صَوْتَ الأذَانِ فَقَالَ : وَاللهِ مَالِي عَهْدٌ بِصَلاةٍ بِجَمَاعَةٍ مِنَ المُسْلِمينَ منذ ثلاثٍ . وقَصَدَ نَحْوَ الأذَانِ يُرِيدُ الصَّلاة ، فإذا هو بالأزارقة فقالوا له : ما جَاءَ بكَ ياعَدُوَّ اللهِ فَقَالَ : مَا أنْتم إخْوَانِي ؟ قَالُوا : أنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ لَنَقْتُلَنَّكَ . قال : أَمَا تَرْضَوْنَ مِنِّي بما رَضِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالُوا أيُّ شَيْءٍ رَضِي بِهِ مِنْكَ ؟ قَالَ : أَتَيْتُه وَأَنَا كَافِرٌ ، فَشَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ فَخَلَّى عَنّي فأخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ .

٤٦١ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري ، أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله إني بواد كذا وكذا فإذا رجل مُتَخَشِّعٌ حَسَنُ الهيئةِ يُصلي فقال له النبي ﷺ : « اذهب فاقْتُله » . قال : فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يَقْتُلَهُ فَرَجَعَ إلى رسول الله ﷺ . فقال النبي ﷺ لعمر : « اذهب فاقتله » فذهب عمر فرآه على الحال الذي رآه أبو بكر فيه ، قال فرجع . فقال : يارسول الله إني رأيته يصلي متخشعًا فكرهت أن أقتلَه . قال : ياعلي « اذهب فاقتله » . فذهب علي فلم يَرَه فرجَعَ علي فقال : يارسول الله لم أره . قال : فقال النبي ﷺ : « إن هذا وأصحابَه يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تَراقِيَهم يَمرقُون من الدين كما يَمرقُ السَّهْمُ من الرمية ثم لا

---

٤٥٩ - المعجم الكبير (٨ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٣) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . و (٦ / ٢٢٧) وقال : إسناده جيد .

(١) آل عمران : ١١٨ .

٤٦٠ - مجمع الزوائد (١ / ٢٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(الأزارقة) : من الخوارج نسبوا إلى نافع بنَ الأزرق .

٤٦١ - مسند أحمد (٣ / ١٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٥) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

فوق السهم : موضع الوتر منه .

يعودون فيه حتى يعودَ السهم في فُوقِهِ فاقتُلوهم هم شرُّ البرية » .

أقول : أمر رسول الله ﷺ بقتل هذا الشخص وحيًا ، أمّا نحن فلا يحل لنا أن نقتل إلا على بينة ، وقد رأينا أن عليا لم يقتل الخوارج ولم يقاتلهم إلا بعد أن بدأوا بسفك الدماء المعصومة واستحلال الأموال المعصومة وحيازاتها ، والفقهاء يعتبرون فعل علي في شأن البغاة هو الأصل الذي يرجع إليه لأنّه القدوة فيه فهو الخليفة الراشد .

٤٦٢ - * روى أحمد عن شَريك بن شِهَاب قال : كنتُ أتمنى أن ألقى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يُحَدِّثني عن الخوارج فلَقِيت أبا بَرْزَة في يوم عَرفةَ في نفرٍ من أصحابه فقلت : يا أبا بَرْزَةَ حَدِّثنا بشيء سَمِعتَه من رسول الله ﷺ يقوله في الخوارج قال : أُحَدِّثُك بما سمعتْ أذنايَ ورأت عيناي ، أُتي رسولُ الله ﷺ بدنانير فكان يقسمُها وعنده رجلٌ أسودُ مطمومُ الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثرُ السجود فتَعَرَّضَ لرسولِ الله ﷺ فأتاه من قِبل وجهه فلم يُعطِه شيئًا ، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئًا ، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئًا ، فقال : والله يا محمدُ ما عَدَلْتَ في القِسمة منذ اليوم. فَغَضِبَ رسول الله ﷺ غَضَبًا شديدًا ثم قال : « والله لا تجدون بعدي أحدًا أعْدَلَ عليكم مني » قالها ثلاثًا ، ثم قال : « يخرج من قِبل المشرق رجالٌ كأن هذا منهم ، هديهم هكذا ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون إليه » . ووضعَ يده على صدره « سيماهم التحليقُ لا يزالون يخرجون حتى يخرجَ آخِرُهم مع الدجّال فإذا رأيتموهم فاقتُلُوهم » ، قالها ثلاثًا « شر الخلق والخليقة » قالها ثلاثًا ، وقال حماد : لا يرجعون فيه .

أقول : هذا الحديث يدل على أن الخارجية متجددة الظهور في الأمة الإسلامية . وقوله عليه السلام : « فإذا رأيتموهم فاقتلوهم » : يفيد أن القتل متوقف على رؤية هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات يقينًا ، لأن القتل لا يجوز بالظن ، والمعرفة اليقينية متوقفة على

---

٤٦٢ - مسند أحمد (٤ / ٤٢١) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٨) . وقال : رواه أحمد . والأزرق بن قيس وثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
المستدرك (٢ / ١٤٦) . وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبي .

الحقيقة والآثار ، وحقيقة ما في القلوب مغيبة عنا فلم يبق إلا الآثار التي تبيح القتل ، والأصل : أن نحسن الظن بالمسلم . ولا يخالف هذا الأصل إلا بأدلة تبيح ذلك ، فكيف بالقتل وقد غلب في العصور المتأخرة التسرع في القتل بحجة الخارجية ، والذي نراه لقارئ النصوص الواردة في الخوارج أن يتهم نفسه وأن يحترس في اتهام الآخرين إلا إذا وصل عن طريق العلم الصحيح إلى يقين ، ومع ذلك فإن هذا اليقين لا يكفي للقتل إلا إذا تصرف هؤلاء التصرفات التي تبيح قتلهم وقتالهم ، وقد رأينا تفصيلات ذلك .

٤٦٣ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بن عمرو ، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ « يخرجُ ناسٌ من قِبَل المشْرق يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ تَراقِيَهم كلما قُطِعَ قَرنٌ نشأ قرْنٌ حتى يكونَ مع بقيتهم الدجالُ » .

٤٦٤ - * روى الطبراني عن عامر بنِ واثلةَ قال : لما كان يومُ حُنينٍ أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ مَجْزوزُ الرأسِ أو محلوقُ الرأسِ قال : ما عَدَلْتَ . فقال له رسول الله ﷺ : « فمن يعدِلُ إذا لم أعْدلْ أنا ؟ » قال : فغفل عن الرجل فذهب . فقال : « أينَ الرجل » ؟ فطُلِبَ فلم يُدْرَكْ . فقال : « إنه سيخرج في أمتي قوم سيماهم سيما هذا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قِدْحه فلم يَر شيئًا ، ينظر في رِصافه فلم ير شيئًا ، ينظر في فُوقِه فلم ير شيئًا » .

(القِدْح) : السهم قبل أن يراش ويركب نصله .

أقول : من مظاهر الخارجية : الورع الجاهل والتشدد المنبعث عن قوة نفس لا عن قوة إيمان ، ومن مظاهرها : سوء الأدب مع من يجب لهم التوقير والاحترام كما في فعل هذا : إذ يأمر رسول الله ﷺ بالعدل ، ولقد فشا سوء الأدب ، وهذا مما ينبغي أن يفطن له المربون ولا يعالج هذا الأمر إلا بأن يكون الكبير جديرًا بالاحترام ، وتصرفاته حكيمة وأقواله مستقيمة وأن يربي الصغير على توقير الكبير .

---

٤٦٣ - مجمع الزوائد (٦ / ٢٣٠) . وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . ا هـ وللحديث شواهد .

٤٦٤ - (٦ / ٢٣٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . ا . هـ . وسبق له شاهد نحوه .

٤٦٥ ـ * روى البزار عن عقبةَ بن وساج قال : كان صاحِبٌ لي يحدثني عن عبد الله بن عمرو في شأن الخوارج ، فحجَجْتُ ، فلَقيتُ عبدَ الله بن عمرو ، فقلت : إنك بقيةُ أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد جعلَ الله عندك علمًا ، إن ناسًا يَطْعَنون على أمرائهم ويَشهَدون عليهم بالضَّلالَةِ . قَالَ : على أولئك لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين . أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بسقَاية من ذهب أو فضة فجعل يَقْسِمها بينَ أصحابه فقام رجلٌ من أهل البادية فقال : يا محمدُ لئن كانَ اللهُ أمرَك بالعَدْلِ فلم تعْدِل . فقال : « ويلَكَ فمن يَعدِل عليكم بعدي »؟ فلما أدبر قال رسول الله ﷺ : « إن في أمتي أشباه هذا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم فإنْ خرجوا فاقتلوهم ثم إن خرجوا فاقتلوهم » . قال ذلك ثلاثًا .

أقول : نفهم من كلام ابن عمرو : أن الطعن في الأمراء والحكام من أخلاق الخوارج ، وهذه القضية لها تفصيلاتها . فأمراء العدل تجب علينا طاعتهم ، وتحرم علينا غيبتهم لأن هذا يؤدي إلى خلخلة الثقة ، وفي ذلك ما فيه من إفساد العباد والبلاد ، أما أمراء الجور والكذب والضلال فهؤلاء ننصحهم إن استطعنا أو نجفوهم ، ويصح الكلام فيهم إذا صحت النية وتحققت المصلحة كإبعاد مسلم عن تصديقهم في كذب أو طاعتهم في باطل أو ظلم إلى غير ذلك ، ولا يعرف حدود ذلك إلا عليم حكيم زكي النفس ، ولذلك كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام : تلقين العلم والحكمة وتزكية الأنفس ، والمسلمون بحاجة مستمرة إلى البيئات التي يجتمع لهم فيها تلقن العلم والحكمة وتزكية الأنفس .

٤٦٦ ـ * روى الحاكم عن شداد بن عبد الله أبي عمار قال شهدت أبا أمَامةَ الباهِلي رضي الله عنه وهو واقفٌ على رأسِ الحرورية عند بابِ دمشقَ وهو يقول : كلاب أهل النار ـ قالها ثلاثًا ـ خيرُ قتلى من قَتَلوه . ودَمَعَتْ عيناه . فقال له رجل يا أبا أمامة أرأيت قولك هؤلاء كلابُ النارِ أشيء سمعْتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من رأيك ؟ قال إني إذًا لجريء ، لو لم أسمعه من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا

٤٦٥ ـ كشف الأستار (٢ / ٢٥٩) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٨) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٤٦٦ ـ المستدرك (٢ / ١٤٩) . وصححه الذهبي .

وعدّ سَبع مرا ما حدثتكوه . قال له رجل : إني رأيتُك قد دَمعتْ عيناك قال : إنهم لما كانوا مؤمنين وكفروا بعد إيمانهم ، ثم قرأ ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ (١) الآية فهي لهم مرتين .

أقول : ليس المراد بالكفر هنا الكفر الحقيقي ، فالإمام علي نفسه لم يكفر الخوارج ، وإنما هو كفر نعمة الوحدة والائتلاف ، وقد رأينا أن أهل السنة لم يكفروا من الخوارج إلا بعض فرقهم الذين استحلوا الحرام القطعي .

والملاحظ : أن أبا أمامة حدث عن خوارج خرجوا في العهد الأموي ، ومن موقف أبي أمامة هذا ندرك أن الخروج المسلح على الحكام هو على شفتا خطرٍ إلا إذا وجد الكفر البواح أو وجدت الفتوى البصيرة من أهلها ، والفتوى في هذه الحالة محكومة بموازنات متعددة ، وحتى في حالة الكفر البواح فإن القتال لا تجب مباشرته إلا إذا توافرت شروط ولا يبعد أن تكون مباشرته من فروض الكفاية في بعض الأحوال ، ولكن ذلك كله يخضع للفتوى البصيرة من أهلها ، وما أقل الذين يعرفون الفتوى ، والذين يعرفون أن يفتوا في مثل هذه الشؤون على ضوء فهوم الراسخين في العلم وأئمة الاجتهاد ، وقد ذكر ابن عابدين - من فقهاء الحنفية - في كتاب الجهاد من حاشيته : « أن الجهاد قد يكون فريضة عينية ولا يأثم من لم يباشره » ، وضرب أمثلة على ذلك .

٤٦٧ - * روى ابن ماجه عن أبي أمامة يقول شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أديم السَّماء وَخَيْرُ قَتيلٍ مَنْ قَتَلُوا ، كِلابُ أَهْلِ النَّارِ ، قَدْ كَانَ هَؤُلاء مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا قُلْتُ يَاأَبَا أُمَامَةَ هَذَا شَيء تَقُولُهُ ؟ قال : بَلْ سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

٤٦٨ - * روى الإمام أحمد عن أنس قال : ذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال ولم أسمعه منه:

---

(١) آل عمران : ١٠٥ .

٤٦٧ - ابن ماجه (١ / ٦٢) المقدمة ١٢ - باب ذكر الخوارج .

وإسناده حسن .

٤٦٨ - مسند أحمد (٣ / ١٨٣) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

« إن فيكم قوما يَتعبَدون فَيـدأبون حتى يَعجَبَ بهم النـاسُ وتُعْجِبُهم أنفسُهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » .

٤٦٩ ـ * روى الإمام أحمد عن عبد الملك بن مُلَيْلٍ السَلِيحي قال : كنتُ جالسًا قريبًا من المنبر يوم الجمعة فخرجَ محمد بن أبي حذيفة فاستوى على المنبر فخطب ثم قرأ عليهم سورة من القرآن وكان من أقرأ الناس فقال عقبةُ بنُ عامر : صدق الله ورسوله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليقرأن القرآن رجال لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

أقول : محمد بن أبي حذيفة ممّن خرج على عثان رضي الله عنه ، ولذلك وصفه عقبة بن عامر بما وصف به الخوارج .

٤٧٠ ـ * روى الإمام أحمد عن سعيد بن جُمْهَان قال لقيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمتُ عليه فقال : من أنت؟ قلت : أنا سعيد بن جمهان . قال : ما فعل والدك ؟ قلت : قتلته الأزارقة قال : لعن الله الأزارقة ، حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار . قال : قلت الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها قال : بل الخوارج كلها . قال : قلت : فإنّ السلطانَ يظلم الناسَ ويفعل بهم ويفعل بهم . قال : فتناول يدي فغمزها غمزةً شديدة ثم قال : ويحك ياابن جمهان عليك بالسواد الأعظم ـ مرتين ـ إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه .

أقول : هذا في سلطان يقيم الصلاة ولا يعلن الكفر البواح ، ويقيم في الناس كتاب الله على خلل في العمل أو في التطبيق ، لكن الفقهاء قالوا : إذا فسق السلطان استحق العزل ما لم يكن في عزله فتنة أكبر من إبقائه ، وبعضهم قال : ينعزل الإمام بمجرّد فسوقه ، فلا تجب

---

٤٦٩ ـ مسند أحمد (٤ / ١٤٥) .

المعجم الكبير باختصار (١٧ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٣١) . وقال : رواه أحمد والطبراني باختصار ورجالهما ثقات .

٤٧٠ ـ مسند أحمد (٤ / ٣٨٢) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٠) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

بذلك طاعته شرعًا ، وإن لم يستطع المسلمون عزله فلا عليهم .

٤٧١ ـ * روى الإمام أحمد عن مِقْسَم بن بُجْرة مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجتُ أنا وتَلِيدُ بنُ كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت مُعلِّقًا نعليه بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين قال : نعم ، أقبل رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس فقال : يا محمدُ قد رأيتُ ما صنعتَ منذ اليوم فقال رسول الله ﷺ : « أجل فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عَدَلْتَ قال : فغضب رسول الله ﷺ قال : « ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب رحمه الله : ألا نقتله . قال : « لا ، دعوه فإن له شيعةً يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يجد شيئًا ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سوى الفرث والدم » .

٤٧٢ ـ * روى الحاكم عن أبي بُرْدة قال كنت جالسًا عند عُبَيْد الله بن زياد فأُتِيَ برؤوس الخوارج كلما جاء رأس قلت : إلى النار . فقال عبد الله بن يزيد الأنصاري أو لا تعلم يا ابن أخي أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنَّ عذابَ هذه الأمةِ جعل في دنياها » .

أقول : من المعروف أن عُبَيْد الله بن زياد من عتاة الأمراء ، وهو الذي كان أميرًا على العراق يوم قتل الحسين رضي الله عنه ، فهو الذي أرسل الجيش لقتاله ، وكلام أبي بردة في خوارج خرجوا عليه تتحقق فيهم صفات الخوارج لكن ردّ عبد الله بن يزيد الأنصاري بما يفيد « أن القتل كفارة تمنع من النار » يشير إلى ما ذكره الفقهاء فيما بعد أن البغاة هم

---

٤٧١ ـ مسند أحمد (٢ / ٢١٩) .

مجمع الزوائد (٦ / ٢٢٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني باختصار ، ورجال أحمد ثقات .

قوله : (سوى الفرث والدم) : : إشارة إلى أنه لا يُرى منهم إلا ما قبح ، فأعمالهم سيئة ودعاواهم فارغة وعباداتهم معلولة وإيمانهم لا يصل إلى قلوبهم .

٤٧٢ ـ المستدرك (١ / ٤٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه وله شاهد صحيح . ووافقه الذهبي .

الخارجون على الإمام الحق بغير الحق ، فإذا ما خرج نـاس بـالحق على الإمـام الحق فليسوا ببغـاة. ويجب على الإمام أن يتراجع ، وإذا ما خرج ناس على الإمام غير الحق فليسوا ببغاة ، ولمثل هذه المعاني أراد عبد الله بن يزيد الأنصـاري أن يُشْعِرَ أبـا بردة بـأن هؤلاء ليسوا من كلاب النار ، بل قد يكونون من الناجين عند الله .

* * *

الفقرة الخامسة
في :
ضرورة لزوم الجماعة
وفي :
التعرف على الفرقة الناجية
وفيها :
مقدمة ونصوص ونقول

النصوص كثيرة في المنع عن مفارقة الجماعة وفي الحض على لزومها ، وتأتي الجماعة في اصطلاح الشارع والمراد بها ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن ههنا وجد اصطلاح : (أهل السنة والجماعة) . ولأهل السنة والجماعة عقائدهم ومذاهبهم الأصولية والفقهية ويجمعهم إيمان بالكتاب والسنة وما ينبثق عنهما ، وضوابط في فهم الكتاب والسنة ، وما لم يكن الإنسان هذا شأنه في الاعتقاد فليس من أهل السنة والجماعة ، وإذا لم يوجد أمثال هؤلاء فلا جماعة على أي نوعٍ من الاصطلاح .

وتأتي كلمة الجماعة ، يراد بها أهل الحق والعدل الذين التقوا على إمام راشد قد نفذت أحكامه ، فمن دخل في هؤلاء وكانت عقيدته سليمة فهو في جماعة ، وتأتي كلمة الجماعة ويراد بها التجمع الإسلامي فهي تقابل الانفراد في البادية لأنه من خلال اللصوق بمراكز التجمع تقوم الجمعة والجماعة .

وتأتي الجماعة بمعنى التمسك بالحق ولو كان صاحب ذلك فردًا ، قال تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ [1] وكما قال ابن مسعود في أثر صحيح عنه : (الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك) أخرجه ابن عساكر .

وقال الترمذي : وَتَفْسِيرِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ أهْلِ العلْمِ هُمْ أَهْلُ الفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ ، قَالَ وسَمِعْتُ الْجَارُودَ بْنَ مُعَاذٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ

---

(١) النحل : ١٢٠ .

مَنِ الجَمَاعَةُ ؟ فَقَـالَ : أَبُـو بَكْرٍ وَعُمَرَ قِيـلَ لَـهُ : قَـدْ مَـاتَ أَبُـو بَكْرٍ وَعُمَرَ ، قَـالَ : فُـلانٌ وَفُلانٌ ، قِيلَ لَـهُ قَـدْ مَـاتَ فُلانٌ وَفُلانٌ ، فَقَـالَ عَبْـدُ اللهِ بْنُ المُبَـارَكِ : أَبُو حَمْـزَةَ السُّكَّرِيُّ جَمَاعَةٌ .

قَالَ الترمذي : وَأَبو حَمْزَةَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ ، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا ، وَإِنما قَالَ هذَا في حَيَاتِهِ عِنْدنَا .

وإذا فقدت الخلافة الراشدة أو دولة العدل فههنا قد يختار المسلم ، وعندئذ مـاذا يفعل ؟ أن يكون مع أهل الضلال فـذلـك لا يجوز ، وعليـه إذن إمـا العزلـة وإمـا البحث عن أهل الحق مهما قلّوا ليضـع يـده بيـدهم فيكـون بـذلـك من الطـائفـة التي أخبرت عنهـا النصـوص المتضافرة ، فلكي لا تضيع المعالم بالمرة فقد جعل الله في هذه الأمة طـائفة على الحق مستمرة ، هذه الطائفة تحمل الحق وتجاهد من أجلـه ، وأنواع الجهـاد متعـددة : فمنـه جهـاد اللسـان ، ومنه جهاد المال ، ومنه جهاد اليد . ومن ههنا فإن هذه الطائفـة يـدخل فيهـا المقـاتلون في سبيل الله والدعاة والفقهاء والأولياء والمحدثون ، والذين يمـدون هؤلاء وهؤلاء بـالمـال ، وقـد يلتبس الحال فقد يقاتل ويـدعو من ليس على بصيرة ، ولـذلـك فـإن معرفـة الحق هي التي تدلنا على هذه الطائفة كما قـال علي : (اعْرِفِ الحقَّ تَعْرِفْ أهلَـه) ومن ههنـا كان لابـد من موازين نعرف بهـا هؤلاء ، وأول هـذه الموازين هي سلامـة الاعتقـاد ، وتـوافر شروط الفهم الصحيح ، ومظنة ذلك الربانيون من أهل العلم والولاية .

وقد حاول بعضهم أن يقصر هذه الطائفة على أن المراد بها أهل الحديث فضيقوا واسعًـا ، وهذا منقوض بشيئين :

الأول : أن هذه الطائفة مقرها الشام ، ولا يشـك أحـد بـأن نور الـدين وصلاح الـدين يدخلان في مثل هذه الطائفة .

الثاني : أن بعض النصوص الواردة في هذه الطائفة تذكر القتال والجهاد ، بل إن كثيرين من المحدثين ذكروا حديث الطائفة هذا تحت عنوان الجهاد والقتال .

وإن كان بالإمكان أن نحمل قول ابن المديني أن أهل الطائفة هم أهل الحـديث بمعنى أنهم الذين يسلمون بالسنة النبوية أصلاً من أصول التشريع ويعتبرونها حَكَمًـا في كل مـا اختُلف

فيه ، فيكون المراد بالطائفة هنا هم أهل السنـة والجماعـة ، وعنـدئذ فقَصرُ اسم الطـائفـة على المشتغلين بالحديث يكون خطأً في الفهم ، فالمشتغلون في الحديث من أهل السنة والجماعة هم من الطائفة وليسوا كلها .

ولذلـك بَوب المحـدثون لأحـاديث الطّـائفـة تحت أكثر من عنوان والبخـاري نفسـه بَوب لحديث الطائفة تحت عنوان : « أهل العلم » والمطلوب من المسلم :

١ ـ أن يكون مذاهبه الاعتقادية والأخلاقية والفقهية مذاهب أهل السنة والجماعة .

٢ ـ أن يلازم الجمعة والجماعات فلا يعتزل جمع المسلمين وجماعاتهم في مسـاجـدهم إلا لعـذر قاهر .

٣ ـ أن يلزم الإمام الراشد ومن معه إذا كان للمسلمين خليفة راشد أو سلطان عادل وإلا فليحاول أن يكون من الطائفة حاملاً للحق ، عارفًا به ، عالمًا بـالشريعـة مجـاهـدًا من أجل ذلك بأنواع الجهاد المتاحة .

٤ ـ أن يحـاول المسلم في نفســه في كل الظروف والأحـوال أن يكـون مظهرًا لحـل الحـق اعتقادًا وسلوكًا فيكون بذلك حجة على خلق الله .

٥ ـ وفي كل الأحوال ينبغي أن يكون للمسلم إخـوانٌ في الله يجمعـه وإيـاهم الحب في الله والاجتماع عليه والتزاور فيه والتباذل فيه .

وها نحن نجول بك جولةً فنذكر نصوصًا ، وننقل نقولاً تضعك على لبـاب في بعض هـذه الأمور ، لأن بعضها يـذكر في مواطن أخرى من هـذا الكتـاب ، وسنركز على تعريفـك بمـا يجمع أهل السنة والجماعة وهو عَلَمٌ عليهم .

وابتداء نذكر لك نصوصًا ثلاثة من القرآن الكريم تعرف من خلالها أهل الحق من غيرهم وتعرف بالتالي ما إذا كان عليك أن تعتزل أو أن تصحب .

النص الأول : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِك فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم * إِنَّمَا

وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ ءامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُون * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (المائدة) الآيـات : ٥٤ ـ ٥٦.

النص الثاني : قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَولَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلا يَرغَبُوا بِأَنفُسِهِم عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوطِئًا يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيلاً إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ * وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إلا كُتِبَ لَهُم لِيَجزِيَهُم اللهُ أَحسنَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ * وَمَا كَانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَومَهُم إِذَا رَجَعُوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ ﴾ (التوبة) الآيات : ١١٩ : ١٢٢ .

لقد جاء بعد الأمر كلام عن المجاهدين والعلماء العاملين ، فدل السياق على أن مظنة الصدق الذي ينبغي أن نكون مع أهله هم أهل الجهاد والعلم .

النص الثالث : قوله تعالى :

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيرٌ وَأَبقَىٰ لِلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ * وَالذِينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ * وَالَّذِين إِذَا أَصَابَهُمُ البَغيُ هُم يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثلُهَا فَمَن عَفَا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النَّاسَ وَيَبغُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾ (الشورى) الآيات : ٣٦ ـ ٤٣ .

إن مجيء قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ في سياق هذه الآيات يدل على أن النص يصف الأخلاقية العامة للأمة الإسلامية ، فمن تحقق بها فهو الذي تتمثل به هذه الأمة.

ولننتقل إلى النصوص الحديثية :

النصوص الحديثية

٤٧٣ - * روى البخاري ومسلم عن بُسْرِ بن عبدِ الله قال : قال أبو إدْرِيسَ الخَوْلانيُّ ، أنه سمع حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال : كان النَّاسُ يَسأَلون رسولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسألُهُ عن الشر مخافةَ أن يُدْرِكَني ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، إنَّا كنا في جاهلية وشرٍّ ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قال : « نعم » قلتُ : وهل بعدَ ذلك الشرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قال : « نعم ، وفيه دَخَنٌ » . قلتُ : وما دَخنُهُ ؟ قال : « قومٌ يَسْتَنُّون بغير سُنَّتي ، ويَهْدُون بغير هدْيي تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ » فقلت : فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ ؟ قال : « نعم ، دُعاةٌ على أبوابِ جهنم ، مَنْ أجابَهم إليها قَذَفوه فيها » فقلتُ : يا رسولَ الله ، [صِفْهم لنا ، قال : « نعم من جِلْدتنا ، ويتكلّمون بألسِنَتنَا] » فقلتُ : يا رسول الله فما ترى - وفي رواية : فما تأمُرُني - إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم ؟ » قلتُ : فإن لم يكنْ لهم جماعة ولا إمام قال : « فاعتزل تلك الفِرقَ كُلَّها ، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ ، حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك » .

ولمسلم نحوُه (١) ، وفيه قلتُ : ما دَخنُهُ ؟ قال : « قوم لا يستنُّون بسُنَّتي ، وسيقوم فيهم رِجَالٌ قُلُوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثْمَان إنْسٍ » قلت : كيف أصنع يا رسولَ الله إن أدركتُ ذلك ؟ قال : « تَسْمَع وتُطيع ، وإن ضُرِبَ ظَهرُك ، وأُخذ مالُك ، فاسْمَعْ وأَطِع » .

قال حذيفةُ : تعلَّم أصحابي الخيرَ وتعلَّمت الشرَّ .

وفي روايةِ أبي داود (٢) قال سُبيعُ بنُ خالدٍ : أتيتُ الكوفةَ في زَمَنٍ فُتِحَت تُسْتَرُ ،

---

٤٧٣ - البخاري (٦ / ٦١٥) ٦١ - كتاب المناقب ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .
ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

(١) مسلم (٣ / ١٤٧٦) نفس الكتاب والباب .

(٢) أبو داود (٤ / ٩٥) كتاب الفتن - باب ذكر الفتن ودلائلها .

أَجْلِبُ منها بِغَالاً ، فدخلتُ المسجدَ ، فإذا صَدْعٌ من الرجال ، وإذا رجلٌ جالسٌ ، تعرفُ إذا رأيتَهُ أنَّهُ من رجال الحجاز ، قلتُ : مَنْ هذا ؟ فَتَجَهَّمَني القومُ ، وقالوا : ما تَعْرِفُهُ ؟ هذا حُذيفةُ صاحِبُ رسولِ الله ﷺ ، فَسَمِعتُه يقول : إن الناس كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشر ، فأحدَقَهُ القومُ بأبصارهم ، فقال : إني قد أرى الذي تُنكِرون إني قلتُ : يا رسولَ الله ، أرأيتَ هَذا الخيرَ الذي أعطاناه اللهُ ، أيكون بعده شرٌّ ، كما كان قبلَه ؟ قال : « نعم » قلت : فما العِصْمَة من ذلك ؟ قال : « السيفُ » قلتُ : فهل للسَّيفِ مِنْ تقيَّة ؟ قال « نعم » .

وفي رواية [١] : بعد السيف : « تَقيَّة على أقْذاءٍ ، وهُدْنَةٌ على دَخَنٍ » . قال : قلتُ : يارسولَ الله ، ثم ماذا ؟ قال : « إن كان لله خليفةٌ في الأرض فضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فأطِعْهُ ، وإلا فَمُتْ وأنتَ عاضٌّ بِجِذْل شجرةٍ » : قلت : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يخرج الدجال ، معه نهرٌ ونارٌ ، فمن وقع في ناره ، وجب أجره وحُطَّ وِزْرُهُ ، ومن وقع في نهره وجب وِزْرُهُ ، وحُطَّ أجْرُهُ » قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : : « ثم هي قيامُ الساعة » .

= (الصَّدْعُ) : [بسكون الدال ، وربما حُرِّك] : الخفيف من الرجال الدقيق . وقال الخطابي : هو من الرجال : الشاب المعتدل القناة .

(تَجهَّمت فلانًا) : أي : كَلَحتُ في وجهه ، وتقبَّضتُ عند لقائه .

(فاحدقوه) : يقال : أحدق به الناس ، أي : أطافوا به ، وأحدقوه بأبصارهم ، أي : حقَّقوا النظر إليه ، وجعلوا أبصارهم محيطة به .

(العصمة) ما يعتصم به ، أي يستمسك .

(١) أبو داود (٤ / ٩٦) نفس الكتاب والباب السابقين .

(تَقِيَّةٌ) : التُّقية والتقاة بمعنى ، تقول : اتقى يتقي تُقاةً وتَقية .

(أقذاء) جمع القذى ، والقذاء جمع القذاة ، وهو ما يقع في العين من الأذى ، وفي الشراب والطعام من تراب أو تبن . أو غير ذلك ، والمراد به في الحديث : الفَسَاد الذي يكون في القلوب ، أي : إنهم يتقون بعضهم بعضًا ويظهرون الصلح والاتفاق ، ولكن في باطنهم خلاف ذلك .

(هدنة على دخن) : الهدنة والدخن ، قد ذكرا ، وقد جاء في الحديث تفسير الدخن ، قال : « لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه » وأصل الدَّخن : أن يكون في لون الدابة كُدورة إلى سواد ، ووجه الحديث : أن تكون القلوب كهذا اللون ، لا يصفو بعضها لبعض .

(جذل الشجرة) : أصلها ، وجذل كل شيء أصله .

وفي رواية بهذا الحديث [(١)] ، وقال : « فـإن لم تجد يومئـذ خليفـةً ، فـاهْرُبْ حتى تموت وأنتَ عـاضٌ » ـ وقـال في آخره : قلتُ : فما يكون بعد ذلك ؟ قـال : « لـو أن رَجُلاً نَتَجَ فرسًا لم تُنْتَجْ له حتى تقومَ القيامةُ » .

وفي أخرى له : [(٢)] قال نصرُ بنُ عـاصمٍ الليثي : أتينـا اليَشْكُريَّ في رَهْطٍ من بني ليث ، فقال : مَن القومُ ؟ فقلنا : بنو الليثِ ، أتيناك نَسألُكَ عن حديث حُذيفة ، قـال : أقبلنـا مع أبي موسى قافلين ، وغَلَتِ الدوابُّ بالكوفة ، فسألتُ أبـا موسى أنـا وصـاحبٌ لي ، فـأذِنَ لنا ، فَقَـدِمْنَـا الكوفَـةَ ، فقلتُ لصـاحبي : أنـا دَاخِلٌ المَسْجِدَ ، فـإذا قـامت السُّوقُ خرجتُ إليـك ، قـال : فـدخلتُ المسجدَ ، فـإذا فيـه حَلْقَـةٌ ، كأنما قُطِعَتْ رُؤوسُهم ، يستمعـون إلى حـديثِ رجلٍ ، قـال : فقمتُ عليهم ، فجـاء رجـلٌ ، فقـام إلى جنبي ، فقلتُ : من هـذا ؟ قال : أَبَصْرِي أنتَ ؟ قلت نعم . قال : قد عرفتُ ، ولو كنتَ كوفِيًـا ، لم تسـألْ عن هـذا ، قال : فدنوتُ منه ، فسمعتُ حذَيفَة يقول : كان النـاسُ يسـألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشر ، وعرفتُ أن الخيرَ لن يَسْبِقَني ، قلتُ : يا رسولَ الله ، هل بعـد هـذا الشر خير ؟ قـال : « يـا حـذيفـةُ تعلَّم كتـابَ الله ، واتَّبِعْ مـا فيـه » ـ ثلاث مرات ـ قلتُ : يارسول الله [هل] بعد هذا الخير شرٌّ ؟ قال : « فتنةٌ وشَر » قال : قلتُ : يا رسول الله [هل] بعدَ هـذا الشَّر خيرٌ ؟ قـال : « يـا حـذيفـةُ ، تعلَّمْ كتـابَ الله ، واتَّبع مـا فيه » ـ ثلاث مرات ـ قلتُ : يا رسولَ الله ، [هل] بعد هذا الشَّر خير ؟ قال : « هُـدْنَـةٌ على دَخَن ، وجمـاعـةٌ على أقـذاء فيهـا ، أو فيهم » قلتُ : يـا رسولَ الله ، الهدنـة على الدَخن ما هي ؟ قال : « لاَ تَرْجِعُ قلوبُ أقوام على الذي كانت عليه » قلت : يارسولَ الله هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : « يا حذيفة ، تعَلَّمْ كتاب الله ، واتَّبِعْ مـا فيـه » ـ ثـلاث مرات ـ قلتُ : يـا رسـول الله ، بعـد هـذا الخير شر ؟ قـال : « نعم فِتنْـةٌ عَمْيـاءُ صَمَّاءُ ، عليها دُعَاةٌ على أبواب النار ، فإن مُتَّ يا حذيفةُ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلِ شَجرةٍ خيرٌ لك من أن تَتَّبِعَ أَحدًا منهم » .

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

أقول : للعلماء في تفسير الطائفة التي ورد ذكرها في أحـاديث كثيرة كلام كثير ، ويكاد الجميع يتفقون على : أن أهل العلم من أهل السنة والجماعة يدخلون في هذه الطائفـة وبعضهم لم يدخل معهم غيرهم فيها وبعضهم أدخل معهم غيرها ، ومما يـدل على أن أهل العلم هم هـذه الطائفة أو منها : استعمال كلمة الطائفة في قوله تعالى : ﴿ **ومـا كان المؤمنون لينـفروا كافـة فلـولا نفر من كل فرقـة منهم طـائفـة ليتفقهـوا في الـدين ولينـذروا قـومهم إذا رجعـوا إليهم** ﴾ [1] ومن كلام العلماء في هذه الطائفـة مـا ذكره النووي في شرح مسلم فقـال : (إن هـذه الطائفة مفرقـة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعـان مقـاتلون ، ومنهم محـدثون ومنهم زهـاد ، آمرون بالمعروف ونـاهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض) ا . هـ .

ومن كـلام العلمـاء في هـذه الطـائفـة مـا ذكره البخـاري وعلـق عليـه ابن حجر وهـذا كلامهما :

قال البخاري : (باب وكذلـك جعلنـاكم أمـة وسطًـا ، ومـا أمر النبي ـ ﷺ ـ من لزوم الجماعة وهم أهل العلم) ا . هـ .

قال ابن حجر : (فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجمـاعـة ، وهم أهل العلم الشرعي ، ومن سواهم ولو نسب إلى العلم ، فهي نسبة صورة لا حقيقية) ا . هـ .

٤٧٤ ـ * روى الطبراني في الأوسـط عن زيـد بن ثـابت قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ من سَمِعَ مَقـالتي حتى يُبَلِّغَهـا غيرَه ، ثـلاث لا يُغِـلُّ عليهن قلبُ امرئ مسلم ؛ إخلاص العمل لله ، والنصْحَ لأئمة المسلمين ، واللزوم لجماعتهم ، فإنَّ دُعاءَهم يحيط من ورائهم إنه من تكن الـدنيـا نيتـه يجعل اللهُ فَقرَه بين عينيـه ، ويُشَتِّتُ عليه ضَيعْتَهُ ولا يأتيه منهـا إلا مـا كُتب لـه ، ومن تكن الآخرةُ نيتَـه يجعلِ الله غناه في قلبه ، ويكفيه ضيعته وتأتيه الدنيا وهي راغمة » .

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

٤٧٤ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٧) . وقال : روى ابن ماجه بعضه ـ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا .

وروى القسم الأول منه البزار عن أبي سعيد الخدري [١] والدارمي عن أبي الدرداء [٢] وعن جبير بن مطعم [٣] وأخرجه بنصه عن زيد بن ثابت [٤] .

٤٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أميرِهِ شَيْئًا فَلْيَصبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ من السُّلطانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » .

وفي رواية [٥] : « فَلْيَصبِرْ عليه ، فإنَّه مَنْ فارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فماتَ فَمَيْتَتُه جَاهِلِيَّةٌ » .

٤٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يزالَ ناس من أُمتي ظَاهرين حتى يأتِيَهم أمْرُ الله وهم ظاهرون » .

وفي رواية[٦] « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... » وذكره قال أبو عبد الله : هم أهل العلم .

وفي أخرى [٧] « لن يزالَ قومٌ من أُمتي ظاهرين على الناس ... » وذكره .

---

(١) كشف الأستار (١ / ٨٥) . وهو في مجمع الزوائد (١ / ١٣٧) .

(٢) الدارمي (١ / ٧٦) المقدمة ٢٣ - باب الاقتداء بالعلماء .

(٣) الدارمي (١ / ٧٤) الموضع السابق .

(٤) الدارمي (١/ ٧٥) المقدمة الموضع السابق .

٤٧٥ - البخاري (١٣ / ٥) ٩٢ - كتاب الفتن ٢ - باب قول النبي ﷺ « سترون بعدي أمورا تنكرونها » .

مسلم (٣ / ١٤٧٨) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ... إلخ .

(٥) البخاري ومسلم : نفس الموضعين السابقين .

قال ابن الأثير : ومعنى قوله : « فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ » ، أي : على ما مات عليه أهلُ الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ، من الجهالة والضلالة .

٤٧٦ - البخاري (٦ / ٦٣٢) ٦١ - كتاب المناقب ٢٨ - باب حدثنا محمد بن المثنى ...إلخ .

مسلم (٣ / ١٥٢٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ٥٣ - باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... إلخ .

(٦) البخاري (١٣ / ٢٩٣) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٠ - باب قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ...إلخ .

(٧) البخاري (١٣ / ٤٤٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ .

٤٧٧ ـ * روى أبو داود عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتِلَ آخِرُهم المسيحَ الدَّجالَ » .

٤٧٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيانَ رضي الله عنه ، قال : ـ وهو يَخطُب ـ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تزالُ من أمتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمر اللهِ لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلهم ولا مَن خالَفهم حتى يأتيَ أمر الله وهم على ذلك » .

قال ابنُ يُخامِر : سمعت معاذاً يقول : هم أهل الشام ـ أو بالشام ـ فقال معاوية : هذا مالكُ بنُ يُخامِرَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ معاذًا يقول : وهم بالشام .

وفي روايةٍ (١) قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، ولا تزالُ عِصَابَةٌ من المسلمين يقاتلون على الحق : ظاهرين على من ناوَأَهُمْ إلى يوم القيامة » .

٤٧٩ ـ * روى الطبراني عن عُمَر قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعةُ » .

٤٨٠ ـ * روى الإمام أحمد عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال : نُبِّئْتُ أن النبي ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الدينُ قائماً تقاتلُ عليه عِصابةٌ من المسلمين حتى تقوم الساعةُ » . وفي رواية عن جابر بن سمرة عن مَنْ حدثه عن رسول الله ﷺ فذكره .

---

٤٧٧ ـ أبو داود (٣ / ٤) كتاب الجهاد ـ باب في دوام الجهاد .

وهو حديث صحيح .

٤٧٨ ـ البخاري (٦ / ٦٣٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٨ ـ باب حدثنا محمد بن المثنى ... إلخ .

مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ٥٣ ـ باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين » ...إلخ .

(١) مسلم في الموضع السابق

(ناوأهم) : المناوأة : المعاداة .

٤٧٩ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه الطبراني في الصغير والكبير ورجال الكبير رجال الصحيح .

٤٨٠ ـ مسند أحمد (٥ / ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٤٨١ - * روى البزار عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « لا يزالُ هذا الأمر أو على هذا الأمر عصابةٌ من أمتي لا يضرهم خلافُ منْ خالفهم حتى يأتيهم أمر الله » .

٤٨٢ - * روى الإمام أحمد عن سَلَمَةَ بن نُفَيل قال : إنّه أتى النبي ﷺ فقال : إني سئمتُ الخيلَ ، وألقيتُ السلاحَ ، ووضعتِ الحربُ أوزارَها ، قلت : لا قتالَ ، فقال لـه النبي ﷺ : « الآن جـاء القتـالُ ، لا تـزالُ طـائفـةٌ من أمّتي ظـاهرين على النـاس يرفـعُ اللهُ قلوبَ أقوام يقـاتلونهم ، ويرزقُهم الله منهم حتى يـأتيَ أمرُ الله عـز وجـل وهم على ذلـك ألا إنَّ عُقْرَ دار المؤمنين الشـامُ ، والخيلُ معقـودٌ في نَـوَاصيهـا الخيرُ إلى يـوم القيامة » .

٤٨٣ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « لا تَزَالُ طَائِفَـةٌ مِنْ أُمَّتي قَوَّامَةً على أمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا » .

٤٨٤ - * روى ابن ماجه عن معاويـةَ بن قُرَّةَ عَنْ أَبِيـه ، قـال : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لا يَضُرهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

٤٨٥ - * روى ابن ماجه عن عمرو بن شعيبٍ عن أبيـه ، قـال : قـام معـاويـةُ خطيبًـا فَقَالَ : أيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « لاَ تَقُومُ السَّـاعَـةُ إلا وَطَـائِفَـةٌ مِنْ أُمَّتِيْ ظَاهرونَ عَلَى النَّاسِ لا يُبَالونَ مَنْ خَذَلَهمْ وَلا مَنْ نَصَرَهُمْ » .

٤٨٦ - * روى ابن مـاجـه عن أبي عِنَبَـةَ الخَوْلانِيّ - وَكَـانَ قَـدْ صَلَّى القِبلَتينِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قـالَ : سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ : « لاَ يَـزَالُ اللهُ يَغْرِسُ في هَـذَا الـدِّينِ

---

٤٨١ - كشف الأستار (٤ / ١١١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٨) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير زهير بن محمد بن قمير وهو ثقة .

٤٨٢ - مسند أحمد (٤ / ١٠٤) . وهو حديث صحيح .

٤٨٣ - ابن ماجه (١ / ٥) المقدمة ١ - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

وهو صحيح .

٤٨٤ - السابق . وهو صحيح . وفي رواية : خذلان من خذلهم .

٤٨٥ - السابق . وهو حديث حسن .

٤٨٦ - السابق . وهو حديث حسن .

غَرْسا يَسْتعمِلهم في طَاعَتِهِ » .

٤٨٧ ـ * روى البزار عن فَضَالَة بنِ عُبَيْدٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال « ثلاثةٌ لا يُسألُ عنهم رجلٌ فَارقَ الجماعةَ وعصى إمامَه ومات عاصيًا وأمَةٌ أو عبد أبَقَ من سيده فمات ، وامرأةٌ غاب عنها زوجُها وقد كفاها أمرَ الدنيا فتزوجت [وفي رواية : فتبرجت] بعده . وثلاثة لا يُسألُ عنهم رجل نازعَ الله رداءه ، فإن رداءه الكِبْرياءُ وإزارَه العِزُّ ، ورجل كان في شكٍ من أمرِ الله والقنوطُ من رحمة الله » .

٤٨٨ ـ * روى النسائي عن أسامة بن شريك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أيُّما رَجُلٍ [خَرَجَ] يُفَرِّقُ أُمَّتي فاضْرِبُوا عُنُقَهُ » .

٤٨٩ ـ * روى الإمام أحمد عن رِبعي بنِ حِراش قال : انطلقتُ إلى حذيفة بالمدائنِ ليالي سارَ الناسُ إلى عثمانَ فقال : ياربعي ما فعل قومُك ؟ قال : قلت عن أيهم تسألُ ؟ قال : من خرج منهم إلى هذا الرجل ؟ قال : فسميت رجالا ممن خرج إليه . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من فارقَ الجماعةَ واستذلَّ الإمارة لقيَ الله ولا وجهَ له عنده » .

٤٩٠ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه (رفعه) : « من فارق الجماعةَ شبرًا فقد خلعَ رِبقَةَ الإسلام من عُنقه » .

---

٤٨٧ ـ كشف الأستار (١ / ٦١) وقال : رجاله ثقات .

المعجم الكبير (١٨ / ٣٠٦) .

مجمع الزوائد (١ / ١٠٥) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير فجعلهما حديثين ورجاله ثقات .

٤٨٨ ـ النسائي (٧ / ٩٣) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٦ ـ باب قتل من فارق الجماعة .

وفي سنده زيد بن عطاء بن السائب لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات وللحديث شاهد .

٤٨٩ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٨٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٢٢) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٤٩٠ ـ مسند أحمد (٥ / ١٨٠) .

أبو داود (٤ / ٢٤١) كتاب السنة ـ باب في قتل الخوارج .

المستدرك (١ / ١١٧) . وهو حديث صحيح .

٤٩١ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قـال : « يَدُ اللهِ مع الجماعةِ » .

٤٩٢ - * روى الطبراني عن ابنِ عمَرَ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « لن تَجتمـعَ أمتي على ضلالة فعليكم بالجماعة فإنَّ يدَ الله على الجماعة » .

٤٩٣ - * روى الإمـام أحمـد عن عبـد الله بن عمَرَ رضي الله عنهما ، قـال : خَطَبَنَـا عُمَرُ بالجابية ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، إني قمتُ فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا قـال : « أُوصِيكُم بأصحابي ، ثم الـذين يلُونهم ، [ثمَّ الـذين يلُونهم] ، ثم يفْشو الكـذبُ حتى يَحْلِفَ الرَّجُلُ ولا يُسْتَحْلَفُ ، وَيشهدَ الشاهدُ ولا يُسْتَشهـدُ ، ألا لا يَخْلُونَّ رجلٌ بـامرأةٍ إلا كان ثالِثَهما الشيطانُ ، عليكم بالجمـاعـة ، وإيَّـاكم والفُرْقَـةَ ، فـإن الشيطـانَ مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعدُ ، مَنْ أراد بُحْبُوحَةَ الجنةِ فَلْيَلْزَمِ الجماعةَ ، مَنْ سَرَّتْـهُ حسنتُه ، وسَاءَتْهُ سيِّئَتُه : فذلكم المؤمن » .

٤٩٤ - * روى الحاكم عن ابن عباس يحدث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال : « لا يجَمعُ الله أُمّتي » أو قال : « هذه الأمةَ على الضَّلالَةِ أبدًا ويد الله على الجماعة » .

قال السخاوي في المقاصد تحت حديث : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) متنـه مشهور ولـه أسانيدُ كثيرة ، وشواهدُ عديدةٌ في المرفوع وغيره ، وأورد روايات عديدة نحوه .

---

٤٩١ - الترمذي (٤ / ٤٦٦) ٣٤ - كتاب الفتن ٧ - باب ما جاء في لزوم الجماعة . وقال : هذا حديث حسن غريب .

٤٩٢ - المعجم الكبير (١٢ / ٤٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢١٨) وقال : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقـات رجـال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة .

٤٩٣ - الترمذي (٤ / ٤٦٥) ٣٤ - كتاب الفتن ٧ - بـاب مـا جـاء في لزوم الجـاعـة . وقـال : هـذا حـديث حسن صحيح غريب . قال محقق الجامع : وإسناده حسن .

مسند أحمد (١ / ١٨) .

المستدرك (١ / ١١٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي . والحديث صحيح .

(يفْشُو) : فشَا الشيء : إذا ظهر وانتشر .

(بُحْبُوحَةِ) : بُحبوحة الجنة : وسطها ، وبُحبوحة كل شيء : وَسَطُه وخيارهُ .

٤٩٤ - المستدرك (١ / ١١٦) .

٤٩٥ ـ * روى الطبراني عن الحارثِ بن قيس ، قال : قال لي عبد الله بن مسعود يا حارثَ بنَ قيسٍ أليسَ يَسرُّك أن تسكن وسط الجنة ؟ قال : نعم . قال : فالْزَم جَماعةَ الناسِ .

٤٩٦ ـ * روى الحاكم عن يسير بن عمرو ، أن أبا مسعود لما قتل عثمان احتجب في بيته ، فأتيته فسألته عن أمر الناس ، فقال : عليك بالجماعة فإنَّ الله لم يجمعْ أمةَ محمدٍ ﷺ على ضَلالة ، واصْبِرْ حتى يستريحَ بَرٌّ ويُستراحَ من فاجر . وفي رواية عن يسير قال : لقيت أبا مسعود حين قتل علي فتبعته فقلت له : أَنْشُدُك الله ما سمعتَ من النبي ﷺ في الفِتن ؟ فقال : إنا لا نَكْتُمُ شيئًا ، عليك بتقوى الله والجماعةِ ، وإياك والفُرقةَ فإنها هي الضلالةُ ،وإن الله لم يكن ليجمعَ أمةَ محمدٍ ﷺ على ضلالة .

* * *

---

٤٩٥ ـ مجمع الزوائد (٥ / ٢٢٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٤٩٦ ـ المستدرك (٤ / ٥٠٦) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

المعجم الكبير (١٧ / ٢٣٩) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢١٨) وقال : رواه كله الطبراني ورجال هذه الطريقة الثانية ثقات .

النقول

لقد ذكرنا في بدايات هذا الفصل النصوص التي تتحدث عن افتراق الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وسار بنا الحديث من نقطة إلى نقطة والهدف كله هو : الفرز والتعرف ، نفرز الفرقة الناجية عن غيرها ، وأن نتعرف على الفرقة الناجية وعلاماتها وصور وجود أهلها ، وبعد هذه السياقات كلها فقد آن الآوان لنتعرف على الإطار النظري للفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة ، واخترنا أن يكون هذا التعرف من خلال كلام عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفَرْق بين الفِرَق) لأنه أحد أعلام عصره في هذا العلم .

فقد حاول الشيخ عبد القاهر البغدادي رحمه الله في كتابه المذكور أن يبين أركان التصورات التي تجعل الإنسان من أهل السنة والجماعة ، وذكر أصناف الخلق الذين يدخلون في أهل السنة والجماعة .

ا ـ أركان التصورات التي تجعل الإنسان من أهل السنة والجماعة :

قال الشيخ عبد القاهر البغدادي رحمه الله :

(قد اتفقَ جمهورُ أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كلُّ ركنٍ منها يجب عَلَى كل عاقلٍ بالغ معرفةُ حقيقته ، ولكل ركن منها شُعَب ، وفي شُعَبِها مَسَائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ، وضَلّلُوا مَنْ خالفهم فيها .

(١) وأول الأركان التي رأوها من أصول الدين : إثباتُ الحقائق والعلوم ، على الخصوص والعموم .

(٢) الركن الثاني : هو العلم بحدوث العالم في أقسامه ، من أعراضه وأجسامه .

(٣) والركن الثالث : في معرفة صانع العالم وصفات ذاته .

(٤) والركن الرابع : في معرفة صفاته الأزلية .

(٥) والركن الخامس : في معرفة أسمائه وأوصافه .

(٦) **والركن السادس :** في معرفة عَدْلِه وحكمته .

(٧) **والركن السابع :** في معرفة رسله وأنبيائه .

(٨) **والركن الثامن :** في معرفة معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء .

(٩) **والركن التاسع :** في معرفة ما أجْمَعَت الأمة عليه ، من أركان شريعة الإسلام .

(١٠) **والركن العاشر :** في معرفة أحكام الأمر والنهي ، والتكليف .

(١١) **والركن الحادي عشر :** في معرفة فَناء العباد وأحكامهم في المَعَاد .

(١٢) **والركن الثاني عشر :** الخلافة والإمامة ،وشروطه الزعامة .

(١٣) **والركن الثالث عشر :** في أحكام الإيمان والإسلام في الجملة .

(١٤) **والركن الرابع عشر :** في معرفة أحكام الأولياء ، ومراتب الأئمة الأتقياء .

(١٥) **والركن الخامس عشر :** في معرفة أحكام الأعداء من الكَفَرة وأهل الأهواء فهذه أصول اتفق أهل السنة على قواعدها ، وضللوا منْ خالفهم فيها ، وفي كل ركن منها مسائل أصولٍ ومسائل فروعٍ ، وهم مجمعون على أصولها وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافًا لا يوجب تضليلاً ولا تفسيقًا) . ا . هـ .

وقد تكلم الشيخ عبد القاهر في مضمونات هذه الأركان ، وكتابه كله تفصيل لمذاهب أهل السنة ومن خالفهم ، وقد ترك هذا الكتاب بصماته على كل كتاب أُلِّف بعده في العقائد ، رغم أن بعض كلامه متأثر بثقافة عصره الكونية ، ولذلك حذفنا ما كان من هذا القبيل لأن الحقائق العلمية في عصرنا اتجهت اتجاهًا آخر ، ولكن هذا الكتاب يبقى من أمهات الكتب التي ينبغي لطالب العلم أن يمعن النظر فيها بعد أن يكون قد درس بعض كتب عقائد أهل السنة والجماعة كسلّم يرتقي بها إلى هذا الكتاب .

وقد شرح في أواخر هذا الكتاب الأركان التي تعتبر قاسمًا مشتركًا بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم ، والتي ذكرناها منذ قليل . وهذه مقتطفات من شروحه ، قال في شرحه للركن الأول :

(وقالوا : إن الأخبار التي يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع : تواتر ، وآحاد ومتوسط بينهما مستفيض .

فالخبر المتواتر الذي يستحيل التواطؤ على وَضْعِه يوجبُ العلم الضروريَّ بصحة مخبره ، وبهذا النوع من الأخبار علمنا البُلْدَانَ التي لم ندخلها ، وبها عرفنا الملوك والأنبياء والقُرُون الذين من قبلنا ، وبه يعرف الإنسانُ والديه اللذين هو منسوبٌ إليهما) .

أقول : وقد أكفر أهل السنة كل من أنكر متواترًا أو أوّله على غير الفهم الضروري ، ومن ههنا وغيره أكفروا القاديانية التي نفت نزول المسيح عليه السلام مع التواتر الصريح في نزوله وأولوا ما ورد في ذلك على غير الفهم الضروري وهذه إحدى كفرياتهم .

وقال : (وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادُها وكانت مُتُونُها غير مستحيلة في العقل كانت موجِبَةً للعمل بها ، دون العلم [القطعي الذي يكفر منكره] ، وكانت بمنزلة شهادة العُدُول عند الحاكم في أنه يلزم الحكم بها في الظاهر) .

(وبهذا النوع من الخبر أَثْبَتَ الفقهاء أكْثَرَ فروع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام ، وضللوا مَنْ أسقط وجوبَ العمل بأخبار الآحاد في الجملة ، من الرافضة والخوارج وسائر أهل الأهواء) .

(وأما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فإنه يُشارك التواتر في إيجابه للعلم والعمل ، ويُفارقه من حيث إن العلم الواقع عنه يكون علمًا مكتسبًا نظريًا ، والعلم الواقع عن التواتر يكون ضروريًّا غير مكتسب) .

(وضللوا مَنْ خالف فيها من أهل الأهواء ، كتضليل الخوارج في إنكارها الرجْمَ ، وتضليل مَنْ أنكر من النَّجَدَات حد الخمر ،وتضليل من أنكر المسحَ على الخفين ، وتكفير من أنكر الرؤية ، والحوض ، والشفاعة ، وعذاب القبر .

وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يَدَ السارق في القليل والكثير من الحِرْزِ وغير الحرز ؛ لِرَدِّهم الأخبارَ الصحاحَ في اعتبار النصاب والحِرْزِ في القطع .

وكما ضللوا من رَدَّ الخبر المستفيض ، ضللـوا من ثبت على حكم خبر اتفـق الفقهـاء من فريقي الرأي والحديث على نَسْخِه ، كتضليل الرافضـة في المُتْعَـة التي قـد نُسخت إبـاحَتُها .

واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة : القرآن ،والسنة ، وإجماع السلف) .

(**وأما الركن الثاني** ـ وهو الكلام في حدوث العـالم ـ فقـد أجمعوا على أن العـالم كل شيء هـو غير الله عـز وجـل ، وعلى أن كلَّ مـا هـو غير الله تعـالى وغير صفـاتـه الأزليــة مخلـوق مصنوع ،وعلى أن صانعـه ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ولا هو من جنس العـالم ولا من جنس شيء من أجزاء العالم) .

(وقالوا بإثبات الملائكة والجن والشياطين) .

(**وقالوا في الركن الرابع** ـ وهو الكلام في الصفـات القـائمـة بـالله عز وجل ـ إن علم الله تعالى وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفاتٌ له أزلية ونعوت له أبدية) .

(وقـالوا في الفرق بين الرسول والنبي : إن كلَّ من نزل عليـه الوحْيُ من الله تعـالى على لسان مَلَك من الملائكة وكان مؤيَّدًا بنوع من الكرامـات النـاقضـة للعـادات فهو نبي ، ومَنْ حصلت له هذه الصفة وخُصَّ أيضًا بشرع جـديـد أو بنسخ بعض أحكام شريعـة كانت قبلـه فهو رسول) .

(وقالوا : يجوز ظهور الكرامات على الأولياء ، وجعلوهـا دلالـة على الصـدق في أحوالهم كما كانت معجزات الأنبياء دلالة على صدقهم في دعاويهم .

وقالوا : على صاحب المعجزة إظهارها والتحدّي بها ، وصاحب الكرامات لا يتحدّى بهـا غيره ، وربما كتَمَها ، وصـاحب المعجزة مـأمون العـاقبـة ، وصـاحب الكرامـة لا يـأمن تغير عاقبته كما تغيرت عاقبة بَلْعَم بن باعورا بعد ظهور كراماته)

(وقالوا : أصولُ أحكام الشريعة ، الكتابُ ، والسنـة ، وإجمـاع السلف ، وأكفروا منْ لم ير إجماع الصحـابـة حجـة ، وأكفروا الخوارجَ في ردهم حجج الإجمـاع والسنن ، وأكفروا من قال من الروافض لا حُجَّـة في شيء من ذلك ، وإنما الحجة في قول الإمام الذي ينتظرونـه) .

(**وقالوا في الركن العاشر** - المضاف إلى الأمر والنهيِ - إن أفعال المكلفين خمسة أقسام : واجب ، ومحظور ، ومسنون ، ومكروه ، ومُبَاح .

فالواجب : ما أمَرَ الله تعالى به على وجه اللزوم ، وتاركُه مستحق للعقاب على تركه .

والمحظور : ما نَهَى الله عنه ،وفاعلُه يستحقُّ العقاب على فعله .

والمسنون : ما يُثَاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه . والمكروه : ما يُثاب تاركه ولا يعاقب فاعله) .

أقول : الكراهة التحريمية عند الحنفية كالحرام ، فصاحبها يستحق العقاب .

(والُمباح : ما ليس في فعله ثواب ولا عقاب ، ولا في تركه ثواب ولا عقاب) .

أقول : إلا إذا وجدت في المباح نية صالحة فإنها تنقله إلى أن يكون عبادة يؤجر عليها . (وهذا كله في أفعال المكلفين ، فأما أفعال البهائم والمجانين والأطفال فإنها لا تُوصَفُ بالإباحة والوجوب والحظر بحال) .

(**وقالوا في الركن الثاني عشر** - المضاف إلى الخلافة والإمامة - إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القُضَاةَ والأمناءَ ويضبط ثغورهم ، ويُغْزِي جيوشهم ، ويَقْسِم الفَيءَ بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم .

وقالوا : إن طريق عقد الإمامة للإمام في هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد) .

(**وقالوا في الركن الثالث عشر** - المضاف إلى الإيمان والإسلام - إن أصل الإيمان المعرفة والتصديقُ بالقلب ، وإنما اختلفوا في تسمية الإقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيمانًا ، مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة ، وعلى استحباب النوافل المشروعة) .

(وقالوا : إن اسم الإيمان لا يزول بذنب دون الكفر ، ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمِنٌ وإن فَسَقَ بمعصية .

وقالوا : لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : من رِدَّة ، أو زِنًا بعد إحصان ، أو

قصاص بمقتول هو كفؤه ، وهذا خلاف قول الخوارج في إباحة قتل كل عاص لله تعالى) .

أقول : قضية كفاءة المقتول للقاتل فيها تفصيل وخلاف بين أهل السنة والجماعة .

(**وقالوا في الركن الرابع عشر** ـ المضاف إلى الأولياء والأئمة ـ إن الملائكة معصومون عن الذنوب ، لقول الله تعالى فيهم : ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [الآية ٦ سورة التحريم] .

(وقالوا بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم) .

أقول : وقد كَفَّروا من فضل الأولياء على الأنبياء كبعض الشيعة وبعض الصوفية .

(وقالوا أيضًا بموالاة كل مَنْ مات على دين الإسلام ، ولم يكن قبل موته على بِدْعَة من ضلالات أهل الأهواء الضالة) .

(**وقالوا في الركن الخامس عشر** المضاف إلى أحكام أعداء الدين ـ إن أعداء دين الإسلام صنفان : صنف كانوا قبل ظهور دولة الإسلام ، وصنف ظهروا في دولة الإسلام وتستروا بالإسلام في الظاهر ، وكادوا المسلمين ، وابتغوْا غَوَائِلَهم) .

(وأجمع فقهاء الإسلام على استباحة ذبائح اليهود والسامرة والنصارى ، وعلى جواز نكاح نسائهم ،وعلى جواز قبول الجزية منهم) .

(وأما الكفرة الذين ظهروا في دولة الإسلام ، واسْتَتَرُوا بظاهر الإسلام ، واغتالوا المسلمين في السر ـ كالغُلاة من الرافضة السَّبَئِيَّة ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجَنَاحية ، والخطَّابية ، وسائر الحُلُولية ، والباطنية ، والمقنعية المبيضة بما وراء نهر جَيْحُون ، والمحمرة بأذربيجان ، ومحمرة طبرستان ، والذين قالوا بتناسخ الأرواح من أتباع ابن أبي العَوْجَاء ، ومن قال بقول أحمد بن خابط من المعتزلة ، ومن قال بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الإسلام تنسخ بشرع نبي من العجم ، ومن قال بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين وبنات البنات ، ومن قال بمذاهب العذافرة من أهل بغداد ، أو قال بقول الحلاجية الغُلاة في مذهب الحلوَلية ، أو قال بقول البابكية أو الرزامية

المفرطة في أبي مسلم صاحب دولة بني العباس ، أو قال بقول الكاملية الذين أكفروا الصحابة بتركها بيعة علي ، وأكفروا عليًا بتركه قتالهم - فإن حكم هذه الطوائف التي ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ، ولا تحلّ ذبائحهم ،ولا يحل نكاح المرأة منهم ،ولا يجوز تقريرهم في دار الإسلام بالجزية ، بل يجب استتابتهم فإن تابوا وإلا وجب قتلهم واستغنام أموالهم .

واختلفوا في استرقاق نسائهم وذَرَاريهم ، فأباح ذلك أبو حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي ، ومنهم أبو إسحاق المروزي صاحب ابن سريج ، ومن أباح ذلك استدلَّ بأن خالد ابن الوليد لما قاتل بني حنيفة وفَرَغَ من قتل مُسَيْلمة الكذاب صالح بني حنيفة على الصفراء والبيضاء ، وعلى ربع السبي من النساء والذرية ، وأنفذهم إلى المدينة ، وكان منهم خَوْلَة أم محمد بن الحنفية) .

* * *

(أهْلُ السنة لا يكفِّر بعضهم بعضًا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير . فهم إذَنْ أهلُ الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يَقَعُونَ في تَنَابُذ وتناقض ، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض ، وتبري بعضهم من بعض) .

(وقالوا بموالاة أقوام وردت الأخبار بأنهم من أهل الجنة ، وأن لهم الشفاعة في جماعة من الأمة ، ومنهم أُوَيْس القَرَني ، والخبر فيهم مشهور .

وقالوا بتكفير كل من أكْفَرَ واحدًا من العشرة الذين شهد لهم النبيُّ ﷺ بالجنة .

وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ ، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن) .

أقول : ومن أصول عقائد أهل السنة والجماعة : محبة الصحابة وتعديلهم والاعتذار لما وقع بينهم ، وحمله على أحسن تأويل .

(وقالوا بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كالحسن بن الحسن ، وعبد الله بن الحسن ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، ومحمد بن علي ابن الحسين المعروف بالباقر ، وهو الذي بَلَّغه جابر بن عبد الله الأنصاري سَلامَ رسول الله

ﷺ ، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى الرضا ، وكذلك قولهم في سائر أولاد علي من صُلْبه ، كالعباس ، وعمر ، ومحمد بن الحنفية ، وسائر من دَرَج على سَنَن آبائه الطاهرين ، دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرَّفْض ، ودون من انتسب إليهم وأَسْرَفَ في عدوانه وظلمه كالبرقعي الذي عَدَا على أهل البصرة ظلمًا وعدوانًا ،وأكثر النسابين على أنه كان دَعِيًّا فيهم ولم يكن منهم .

قالوا بموالاة أعلام التابعين للصحابة بإحسان ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ .

وقالوا ذلك في كل مَنْ أظهر أصول أهل السنة .

وإنما تبرءوا من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ، ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الإسلام كالقَدَرية ، والمرجئة ، والرافضة ، والخوارج ، والجَهْمِيّة ، والنجّارية ، والمجسّمة) .

ومن كلام الشيخ عبد القاهر في من يدخل في أهل السنة والجماعة ويعتبر منهم : (اعلموا ـ أسعدكم الله ـ أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس :

(١) **صِنْفٌ منهم** : أحاطوا علمًا بأبواب التوحيد والنبوة ، وأحكام الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، وشروط الاجتهاد ، والإمامة ، والزعامة ، وسلكوا في هذا النوع من العلم طُرُقَ الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل ، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنَّجّارية ، وسائر أهل الأهواء الضالة .

(٢) **والصنف الثاني منهم** : أئمة الفقه من فَريقَي الرأي والحديث ، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهبَ الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية ، وتبرءوا من القَدَر والاعتزال ، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل ، وأثبتوا الْحَشر من القبور ، مع إثبات السؤال في القبر ، ومع إثبات الحَوْض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دونَ الشرك .

(وقالوا : بدَوَامِ نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على الكَفَرَة ، وقالوا : بإمامة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة ، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة ، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المَسْح على الخفين ، ووقوع الطلاق الثلاث ، ورأوا تحريمَ المُتْعَة ، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية .

ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، والثوري ، وأبي حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وأصحاب أبي ثَوْر ، وأصحاب أحمد بن حنبل ، وأهل الظاهر ، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصولَ الصفاتية ، ولم يخلِطوا فقهه بشيء من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة .

(٣) **والصنف الثالث منهم** : هم الذين أحَاطُوا علمًا بِطُرقِ الأخبار والسُّنَن المأثورة عن النبي عليه السلام ، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها ، وعرفوا أسباب الجَرْحِ والتَّعْدِيل ، ولم يخلِطوا علمهم ذلك بشيء من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة .

(٤) **والصنف الرابع منهم** : قوم أحاطوا علمًا بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ، وجَرَوْا على سَمْت أئمة اللغة ، كالخليل ، وأبي عَمْرو بن العلاَء وسِيبَوَيْه ، والفَرَّاء ، والأخفش ، والأصمعي ، والمازني ، وأبي عُبَيد ، وسائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين ، الذين لم يَخلِطوا علمَهم ذلك بشيء من بِدَعِ القَدَرِية أو الرافضة أو الخوارج ، وَمَنْ مال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ، ولا كان قوله حُجَّة في اللغة والنحو .

(٥) **والصنف الخامس منهم** : هُم الذين أحاطُوا علمًا بوجوه قراءات القرآن ، وبوجوه تفسير آيات القرآن ، وتأويلها على وَفق مذاهب أهل السنة ، دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

(٦) **والصنف السادس منهم** : الزهَّاد الصوفية الذين أبْصَرُوا فأقْصَرُوا واختبروا فاعتبروا ، ورضُوا بالمقدر ، وقنعوا بالمَيْسُور ، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

مسئول عن الخير والشر ، ومحاسَبٌ على مثاقيل الذر ، فأعدُّوا خير الإعداد ، ليوم المَعَاد ، وجَرَى كَلامُهم في طريقي العبارة والإشارة على سَمْت أهل الحديث ، دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رِيَاء ، ولا يتركونه حَيَاء ، دينُهم التوحيد ونَفْي التشبيه ، ومذهبهم التفويضُ إلى الله تعالى ، والتوكُّلُ عليه ، والتسليم لأمره ، والقناعة بما رُزِقوا ، والإعراض عن الاعتراض عليه : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

(٧) والصنف السابع منهم : قوم مُرَابطون في ثُغُور المسلمين في وجوه الكَفرَة ، يجاهدون أعداء المسلمين ، ويَحمُون حمى المسلمين ويذبُّونَ عن حريمهم وديارهم ، ويُظْهِرُون في ثُغُورهم مذاهبَ أهل السنة والجماعة ، وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وَالذينَ جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ زادهم الله توفيقًا بفضله ومنه .

(٨) والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التي غَلَبَ فيها شعار أهل السنة دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة . ا . هـ .

* * *

وإنما أردنا بهذا الصنف من العامة الذين اعتقدوا تصويب علماء السنة والجماعة في أبواب العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، ورجعوا إليهم في مَعَالم دينهم ، وقَلَّدوهم في فروع الحلال والحرام ، ولم يعتقدوا شيئًا من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة ، وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية « حَشْو الجنة » .

فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم ، أصحاب الدين القويم ، والصراط المستقيم ، ثَبَّتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، إنه بالإجابة جدير ، وعليها قدير) ا . هـ الشيخ عبد القاهر .

وبعد :

إن الأصل الأصيل أن يُحصِّل الإنسان الاعتقاد الحق والعمل المنسجم مع هذا الاعتقاد ، فإذا حَصَّل ذلك كان من أهل السنة والجماعة ، فإذا كان مظهرًا حقيقيًا لمذاهب أهل الحق واعتقادهم كان عَلَمًا على الجماعة فبهداه يُهتدى ، ومن ههنا كان في هذه الأمة أعلام أجمعت الأمة على اعتبارهم أئمة هدى ، فليحاول المسلم أن يكون كذلك فيكون حجة الله على الخلق وذلك يكون بعلم وعمل وحال وسمت حسن ، ثم إن كان لأهل السنة والجماعة إمام عدل نافذ السلطان يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فليبايع وليلزم وليستقم على ذلك ، فإن لم يوجد خليفة راشد فسلطان راشد ، فإن لم يكونا فليكن مع أهل العلم والجهاد ليكون مع الطائفة الظاهرة على الحق وإنما كانت كذلك لحملها الحق والدعوة له والعمل من أجله على بصيرة ولذلك فسر البخاري المراد بالطائفة بأنهم أهل العلم ، وبعضهم فسر المراد بها بأنهم أهل الحديث ، وبعض النصوص تصف هذه الطائفة بالجهاد ، فمن وجد أحدًا من مظنته أن يكون من هذه الطائفة فليلزم غرزه ولا يتسرع حتى يجتمع له طمأنينة العلم والاستخارة والاستشارة وانشراح الصدر ببرد اليقين ، وإلا فليحب الخير وأهله دون التزام ، وليحذر من جهل الصالحين ، وفسوق العالمين فضلاً عن حذره من جهل الجاهلين وغلط العاملين ، والتمسك بكتاب الله هو العاصم ، فليعمل على بصيرة وليدع على بصيرة ، فإذا لم يكن أمامه إلا عزلة أو متابعة على غير هدى فليعتزل ، والمتابعةُ على غير هدى تكون إذا تابع دعاة كفر أو ضلال أو بدعة أو أهل جهل وهوى :

« إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام » (١) .

وفي حديث حذيفة قال : فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها » (٢) .

---

(١) أبو داود (٤ / ١٢٣) كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي .
الترمذي (٥ / ٢٥٧) ٤٨ - كتاب التفسير ٦ - باب ومن سورة المائدة .
وقال : حسن غريب . وهو حديث حسن بشواهده وطرقه .

(٢) هو جزء من حديث حذيفة أخرجه البخاري (١٣ / ٣٥) ٩٢ - كتاب الفتن ١١ - باب الأمر إذا لم تكن جماعة . =

ولكن قد تتجسد الجماعة بفردٍ فليُلازمه وليعمَلا معًا في نصرة الإسلام .

ومع حبنا لدعاة الإسلام كلهم ، ومع حبنا لكل مسلم ، ومع إعطائنا الولاء والإخاء للمسلمين جميعًا ، فإننا نستشعر أن المحاولات الجادة لاستئناف الحياة الإسلامية الراشدة يتوضع حولها وفي بنائها كثير من الأغاليط التي تحتاج إلى بصيرة نافذة كي لا يكون الإنسان شريكًا فيها أو داخلاً في دوامتها ، ومن ههنا نقول : (اعرف ثم التزم) فلقد قال أحد العارفين لتلميذه : (يابني كن محدثًا صوفيًا ولا تكن صوفيًا محدثًا) فمن تصوف قبل العلم تعصب وتحزب وحمل النصوص على ما يوافق الهوى ولم يحمل الهوى على ما يوافق النصوص وكذلك من التزم بشيء قبل العلم ولم يكن التزامه على ضوء العلم خيف عليه ، وخيف منه على الصف الإسلامي ، ثم إنه في موضوع الالتزام نفسه تغلب أغاليط ، فهناك فارق بين الالتزام بخليفة راشد أو سلطان راشد وبين التزام بإخاء للتعاون على خير ، فهذا له أحكامه وهذا له أحكامه ، وكثيرًا ما رأينا أفرادًا يلتبس عليهم هذا الأمر فيفهمون الالتزام الثاني على أنه الالتزام الأول ، ولا يعطون الالتزام الأول حقوقه فتلتبس الأمور وتختلط المفاهيم وتحدث المشقة التي تستتبع الخلاف والاختلاف والعصيان .

* * *

= ومسلم (٣ / ١٤٧٥) ٢٣ - كتاب الإمارة ١٣ - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

الفصل الثاني والعشرون
في :
الاختلاف الجائز والاختلاف الممنوع
وفـيه :
التقليد الجائز والتقليد الممنوع
مقدمة ونصوص

المقدمة

هذا الفصل فرضه علينا السياق وإلا فمحله مواطن في فنون التأليف ، وسنحاول تفصيله إن شاء الله تعالى في كتاب (الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم) ، وههنا نشير إليه إشارة فنقول :

لقد اختلف أئمة أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل ومن قبلهم اختلف أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاته في كثير من الاجتهادات ، بل إن بعضهم كان يجتهد في القضية الواحدة ثم يغير رأيه ، وهذا كله لا خطر فيه ، لأنه اجتهاد حيث يحتمل الاجتهاد ، واختلاف حيث تحتمل النصوص اختلافًا في الفهم ، أو أنه اختلاف حيث تسكت النصوص ، فهذا النوع من الاختلاف في الفروع إذا كان من أهله فالعذر فيه واضح ولا يؤثر على أصل العقيدة ، فالاختلاف في الأصول هو الذي يدخل صاحبه في دائرة المذموم ، أما الاختلاف في الفروع من أهله فذلك موجود في هذه الأمة .

وعلى هذا نحمل الكلمة المشهورة : (نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيا اختلفنا فيه) ، وإنما اشترطنا في الاختلاف ليكون محمودًا أن يكون من أهله أي مجتهدي أهل السنة والجماعة لأنهم هم الذين يعرفون الأصول التي لا تجوز مخالفتها ويعرفون الإجماع الذي لا تجوز مخالفته ، ويعرفون أن يحملوا النصوص على محاملها الصحيحة ويعرفون روح الشريعة وأسرارها ، فيضعون كل شيء في محله ، فهؤلاء لهم حق الاجتهاد إذا توافرت شروطه فيهم ، وهم في اختلافهم معذورون ، ومن أخذ بفتوى واحد منهم أو بفتوى من يحسن استنباط الفتوى على مذاهبهم فلا عليه من حرج ، أما من اجتهد ولم تتوافر فيه شروط الاجتهاد فهو إمام ضلالة ولا تجوز متابعته فيا شذّ فيه عن أقوال المجتهدين وأئمة الفتوى ، فليس هو معذورًا في خلافه واختلافه ، وليس من تابعه معذورًا في الخلاف والاختلاف .

وههنا تأتي مسألة التقليد المباح أو الواجب أو المحرم : فالأصل الأصيل أن التقليد في الحياة البشرية له محله ، فهذا الذي يأخذ الدواء ولا يعرف عنه إلا أنه وصفة طبيب ، فإنه

مقلد ، والطبيب نفسه مقلّد لشركات الدواء ،والمزارع مقلد في كثير من الأمور ، وهكذا قُلْ في أشياء كثيرة . فإذا أتينا إلى الشريعة ، فالشريعة مبناها على النصوص ، والنصوص مبناها على النقل ، والنقل مبناه على الرجال ، وكثيرون من الذين يشتغلون في الحديث يقلدون في الحكم على الرجال غيرهم من أئمة الجرح والتعديل ، فمن ههنا نعرف أن ما يحاربه بعض المتشددين من أهل الحديث من تقليد الرجال هم أول الواقعين فيه ، ولا ننكر عليهم ذلك ، بل نُنْكِرُ عليهم أن يُنْكِروا على من قلّد أئمة الاجتهاد .

فتقليد أئمة الاجتهاد في المسائل الفقهية شيء عادي ، فما كل إنسان يحسن استخراج الحكم الشرعي في كثير من الأحوال ، ولذلك فإن علماءنا اعتبروا التقليد في الأصول مذمومًا واعتبروه في المسائل المشتبهة التي أشار إليها الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس » واعتبروا التقليد في مثل هذا واجبًا ، فهذا تقليد محمودٌ ، ولقد كتبنا كتابنا (جولات في الفقهين الكبير والأكبر) مناقشين فيه أهل التشدد في هذه الشؤون لأنهم يخالفون البدهيات ، فليس كل مسلم مجتهدًا ، وللاجتهاد شروطه ، وهم يتصدون للاجتهاد وليسوا مؤهلين له ، فلو قلدهم مقلد لم ينكروا عليه ، وإذا قلد أئمة الاجتهاد المعتبرين خطّأوه أو ضللوه ، مع أن أئمة الاجتهاد لم يحرموا حلالاً ولم يحللوا حرامًا ، وإنما بحثوا في المشتبهات ليعطوا حصيلة اجتهادهم على ضوء النصوص ، ولترصيع هذا الفصل ببعض الآثار والنصوص التي لها علاقة فيه نذكر الروايات التالية :

النصوص

٤٩٧ - * روى أبو داود عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ . فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ » .

أقول : إن اتباع أئمة الهدى من العلماء هو اتباع لرسول الله ﷺ في المآل ، إلا أن العلماء غير معصومين ، ولكن أئمة الاجتهاد هم أعرف الخلق بالهدي الإسلامي ولذلك فإن اتباعهم هداية .

٤٩٨ - * روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » .

هذا يدل على أنه لا تخلو الحياة الإسلامية من سؤال وجواب ، وهذا يقتضي أن يوجد العالم الذي يُسأل والجاهل الذي يَسأل .

٤٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن سَهْلِ بن سَعْدٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْه ، أَنَّ النَّبي ﷺ ، قَالَ لِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فوالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ » .

---

٤٩٧ - أبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم - باب الحث على طلب العلم .
الترمذي (٥ / ٤٨) ٤٢ - كتاب العلم ١٩ - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة .
وابن حبان - الإحسان (١ / ١٥١) .
٤٩٨ - أبو داود (٣ / ٣٢١) كتاب العلم - باب كراهية منع العلم .
الترمذي (٥ / ٢٩) ٤٢ - كتاب العلم ٣ - باب ما جاء في كتمان العلم . وقال : حديث حسن .
والحديث إسناده صحيح .
٤٩٩ - البخاري (٦ / ١٤٤) ٥٦ - كتاب الجهاد ١٤٣ - باب فضل من أسلم على يديه رجل .
مسلم (٤ / ١٨٧٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٤ - باب من فضائل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

وهذا يدل على أن هناك دعاة ومدعوين ، وأن لدعاة الحق هداية لمن اهتدى بهم فهو على صراط مستقيم ، ولا شك أن الأئمة المجتهدين من هؤلاء الدعاة المهتدين الذين يهدون إلى ما هداهم الله إليه بثاقب فهمهم وقوة ورعهم .

٥٠٠ ـ * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُص ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا . وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلالَةٍ ،كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهِم شَيْئًا » .

أقول : ههنا تابع للحق ومتبوع بالحق ، وللتابع أجره وللمتبوع أجور من اتبعوه على هدى ، وأئمة الاجتهاد يدخلون في هذا المقام .

٥٠١ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي أمامةَ الباهلي رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما ضَلَّ قوْمٌ بَعْدَ هُدًى كانوا عليه إلا أُوتُوا الجَدَلَ » . ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً بلْ هُم قومٌ خصِمُون ﴾ (١) .

(الجدال والمراء) : المخاصمة والمحاجة ، وطلب المغالبة . والمراد ههنا الجدال بالباطل أو الجدال بأكثر مما تقتضيه إقامة الحجة ، أو الجدال لإقامة الحجة بنية غير صالحة ، أما أصل الجدال لإقامة الحجة بالحق لله فهذا دأب الدعاة . ومن الآية التي وردت في النص ندرك أن الجدال ههنا جدل المشركين الذين يدفعون الحق بالباطل .

---

٥٠٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٦٠) ٤٧ ـ كتاب العلم ٦ ـ باب من سن سنة حسنة أو سيئة ... إلخ .

٥٠١ ـ مسند أحمد (٥ / ٢٥٢) .

الترمذي (٥ / ٣٧٨) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٤٥ ـ باب ومن سورة الزخرف .

وقال : حسن صحيح .

ابن ماجه (١ / ١٩) المقدمة ٧ ـ باب اجتناب البدع والجدل .

وإسناده صحيح .

ورواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٤٨) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(١) الزخرف : ٥٨

٥٠٢ - * روى الإمام أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « المِراءُ في القرآنِ كُفْرٌ » .

قال الخطابي : قال بعضهم : معنى المراء هاهنا : الشك فيه والارتياب به .

وقال بعضهم : أراد الشك في القراءة التي لم يسمعها الإنسان ، وتكون صحيحةً ، فإذا أنكرها جاحدًا لها ، كان متوعَّدًا بالكفر لينتهي عن مثل ذلك .

وقال بعضهم : إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذِكرُ القَدر ونحوه من المعاني ، على مذهب أهل الكلام ، دون ما تضمَّنته من الأحكام وأبواب التحليل والتحريم ، فإن ذلك قد جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم من العلماء ، وليس ذلك محظورًا . والله تعالى أعلم .

أقول : ويمكن أن يراد بالمراء مراءُ أصحاب الأهواء الذين كفروا بأهوائهم ويجادلون بفهمهم الكافرِ أهلَ الحق .

٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن جُنْدَبِ بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قُلُوبكم ، فإذا اختلفتم فيه فقوموا » .

أقول : إذا كان هناك اختلاف في فهم ، ولم يكن هناك مرجع يرجع إليه المختلفون فيحسم الخلاف في الحق فيجب عليهم أن يسكتوا حتى لا يقولوا بغير علم فيقعوا بسبب ذلك في كفر أو ضلال أو فسوق .

---

٥٠٢ - مسند أحمد (٢ / ٢٨٦) .

أبو داود (٤ / ١٩٩) كتاب السنة - باب النهي عن الجدال في القرآن .

وإسناده حسن .

(المراءُ في القرآن كفر) : هو أن يكون في لفظ الآية روايتان مشتهرتان من السبع ، أو في معناها ، وكلاهما صحيح مستقيم ، وحق ظاهر ، فمُنَاكَرَةُ الرّجُلِ صاحبه ومُجاهَدتُهُ إياه في هذا مما يَزِلُّ به إلى الكفر .

٥٠٣ - البخاري (٩ / ١٠١) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ٣٧ - باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم .

مسلم (٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ - كتاب العلم ١ - باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ... إلخ .

٥٠٤ - * روى أبو داود عن أبي أمامةَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنـة لمن ترك المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا ، وببيت في وَسَطِ الجنـة لمن ترك الكَذِبَ وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقه » .

أقول : إنما يترك صاحب الحق الجدال بعد أن يقيم الحجة ، فإذا قـامت الحجـة وسعـه أن يسكت وهو مـأجور ، لأن ضبـط نفسـه عن متـابعـة الجـدال يؤجر بـه فهـو نـوعُ مجـاهـدة للنفس ، لأن النفس قد تبدأ كلامها لله ويستجرها الجدال إلى الرغبة في الغلبة فتجادل لحظ النفس لا لنصرة الدين .

٥٠٥ - * روى البخـاري ومسلم عن عـائشـةَ رضي الله عنهـا ، قـالت : قـال رسـولُ الله ﷺ : « إنَّ أبغض الرجالِ إلى الله تَعالى : الأَلَدُّ الخَصِمُ » .

٥٠٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : هَجَّرْتُ إلى رسولِ الله ﷺ يومًا ، فَسَمِعَ أصواتَ رجلين اخْتَلَفـا في آيـةٍ فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغَضَبُ ، فقال : « إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبلكم باختلافهم في الكتاب » .

٥٠٧ - * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنــه ، قــال : خرج رسـولُ الله ﷺ ونحن نتنــازعُ في القــدر ، فغضب ، حتى كأنَّما فُقِـئَ في وجهــه حبُّ الرُّمَّــانِ حُمْرَةً من الغضب ، فقـال : « أبهـذا أُمرتُم ؟ أم بهـذا أُرسلتُ إليكم ؟ إنَّما أَهْلَـكَ من كان قبلكم

---

٥٠٤ - أبو داود (٤ / ٢٥٣) كتاب الأدب - باب في حسن الخلق .
وإسناده حسن .
ومن رواية أنس عند الترمذي (٤ / ٣٥٨) ٢٨ - كتاب البر والصلة ٥٨ - باب ما جاء في المراء . وقـال : حـديث حسن .

٥٠٥ - البخاري (١٣ / ١٨٠) ٩٣ - كتاب الأحكام ٣٤ - باب الألد الخصم .
مسلم (٤ / ٢٠٥٤) ٤٧ - كتاب العلم ٢ - باب في الألد الخصم .
(الألد الخصم) : الأَلَدُّ : الشديدُ الخصومة ، والخَصِمُ : الذي يَخْصِم أقرانه ويحاجهم بالباطل .

٥٠٦ - مسلم (٤ / ٢٠٥٣) ٤٧ - كتاب العلم - ١ - باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ... إلخ .
(هَجَّرْتُ) : هَجَّرْتُ إليه : بَكَّرْتُ وَقَصَدْتُ ، ويجوزُ أن يكون من الهاجرة ، أي : قصدتُه وقتَ الهاجرة ، وهو شدة الحر.

٥٠٧ - الترمذي (٤ / ٤٤٣) ٣٣ - كتاب القدر ١ - باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .
وقال : حديث غريب . ا . هـ . وللحديث شواهد يرتقي بها إلى رتبة الحسن .

كثرةَ التَّنازع في أمر دينهم ، واختِلافُهم على أنبيائهم » .

وفي روايةٍ : « إنَّما هلكَ مَنْ كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمرِ عزمْتُ عليكم ، عَزَمْتُ عليكم : أن لا تَنازَعُوا فيه » .

٥٠٨ - * روى الدارمي عن مروان بن الحكم ، قال : قال لي عثمان بن عفان : إن عمرَ قال لي : إني قد رأيت في الجَدِّ رأيًا فإن رأيتم أن تَتَّبعوه فاتبعوه . قال عثمان : إن نَتَّبِعْ رأيك فإنه رشد وإن نتبع رأي الشيخ قبلَك فنعم ذو الرأي كان ، قال : وكان أبو بكر يجعله أبا .

أقول : هذا دليل على أنه منذ عصر الصحابة كان يوجد أكثر من اجتهاد في بعض المسائل ، ولا يرون في ذلك حرجًا ولا يرون في الأخذ بأحد الرأيين بأسًا ، ومن ههنا استقرت الأمة في النهاية على أن يتبع الإنسان أي إمام مجتهد بلا حرج .

٥٠٩ - * روى الدارمي عن حُميدٍ ، قال : قيل لعمرَ بنِ عبد العزيز : لو جمعتَ الناس على شيء فقال : ما يَسُرُّني أنهم لم يختلفوا . قال : ثم كتب إلى الآفاق أو إلى الأمصار : لِيَقْضِ كلُّ قومٍ بما اجتمع عليه فقهاؤهم .

٥١٠ - * روى الدارمي عن عونِ بن عبد الله قال : ما أُحِبُّ أن أصحاب النبي ﷺ لم يختلفوا فإنهم لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل تَرَكَ السنةَ ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحدٍ أخذ السنة .

= (عزمتُ) : عزمتُ عليكم ، بمعنى : أقسمتُ عليكم .

٥٠٨ - الدارمي (٢ / ٣٥٤) كتاب الفرائض - باب في قول عمر في الجد . وإسناده صحيح .

٥٠٩ - الدارمي (١ / ١٥١) كتاب العلم - باب اختلاف الفقهاء . وإسناده صحيح .

٥١٠ - الدارمي في الموضع السابق . وفي أحد رواته تفصيل ، والمعنى صحيح فمتابعة أئمة الهدى لا حرج فيها .

الفصل الثالث والعشرون

في:

التحذير من مواطأة الأمم في انحرافاتها

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعقيب

المقدمة

قال تعالى : ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾ (١) .

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين ﴾ (٢) .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين ﴾ (٣) .

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (٤) .

﴿ ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ (٥) .

﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٦) .

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٧) .

إن كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام قد جمعا الخير كله وبينا لنا الشرّ كلّه ، وكما طالبنا ربنا عز وجل في اتباع الخير وأهله فقد نهانا أن نتابع الشرّ وأهله ، وكما أمرنا بالاقتداء بالرسل والأنبياء والصدّيقين والشهداء فقد نهانا عن متابعة أهل الأهواء ، وقد بين لنا انحرافات أمم أنزل عليها وحي فانحرفت عنه ، وبين لنا رفض بعض الأمم لما أنزل عليهم من وحي أصلاً ، ولكنّ الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشريّة تتشابه على مدار الأزمنة والأمكنة والأجيال ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ (٨) ومن ثمّ فإنّ هذه الأمّة على ما أكرمها الله عز وجل من كتاب معصوم معجز ومن سنّة محفوظة باقية سيظهر فيها ما ظهر في الأمم من انحرافات ، فلا عجب والأمر كذلك أن نرى أفرادا أو جماعات من هذه الأمّة تواطئ

---

(١) النساء : ٢٦ .
(٢) النساء : ٦٩ .
(٣) الفاتحة : ٦ ، ٧ .
(٤) المائدة : ٤٨ .
(٥) الجاثية : ١٨ .
(٦) النحل : ٨٩ .
(٧) الأنعام : ٩٠ .
(٨) البقرة : ١١٨ .

انحرافات الأمم وتتخذ من هذه الأمم في انحرافاتها قدوة ، فالنصوص النبوية ذكرت أن هـذا واقع ، وذكرها له تحذير منه ، وعلى الربانيين والمصلحين أن يعملوا ليجـدّدوا حياة الإسلام وحيويته ، ولينقذوا المتأثرين بالفكر الغريب والسلوك المنحرف أو المريب .

إن هناك انحرافات بشريّة فرديّة ، وهناك انحرافات جماعيّة ، وهناك انحرافـات محليّـة ، وانحرافات عالميّة ، وهناك مسرى للانحراف قد يكون فرديًا أو محليًا أو عالميًا ، وقـد تتعـدد مَسريـات الانحراف عنـد الأمم وهنـاك مسرى منحرف لأهـل الأديـانْ البـاطلـة في الجملـة ، وهناك مسرى منحرف خاص بأهل كل دين ، وهناك مسريات منحرفة لمن لا دين له .

والأمّة الإسلاميّة معرّضة لأن يسري إليها ذلك كلّه ، ومن ههنا كان الإسلام بحـاجـة إلى تجديد في كل جيل من أجيال هذه الأمّة ، وكان من رحمة الله بهذه الأمّـة ألا تنقطع سلسلـة المجدّدين .

إنّ المسرى السياسي العام للعالم هو السير نحو العلمانية بألا يكون للدين علاقة في الحيـاة السياسية ، تجد ذلك قاسمًا مشتركًا عند أتباع الأديان الباطلة من بوذية أو كونفوشيوسيـة أو برهميـة أو زرادشتيـة أو يهوديـة أو نصرانيـة أو وثنيـة ، وتجـد أن هـذا المسرى قـد اختطف الكثيرين من أبنـاء الأمـة الإسـلاميـة حتى غلب ولا زال يغلب على الكثير من أقطـارهـا ، وتجد أن بعض أهل الأديان وصلوا إلى إعطـاء أحبـارهم ورهبـانهم صفـة العصمـة ، فتجـد أن ذلك سرى إلى كثير من أبنـاء الأمـة الإسلاميـة ، وأكثر مـا ظهر ذلـك عنـد طوائف الشيعـة وبعض المتصوفة .

وتجد أن اتباع الأهواء وكسب الملذّات والـدعوة إلى حريـة الإنسـان في ذلـك قـد غلبت على العالم وسرى ذلك للكثيرين من أبناء الإسلام .

وهذا وأمثالـه قـد أخبرنـا رســول الله ﷺ عـن وقوعـه وحـذّرنـا منـه وعلّمنـا الله أن ندعوه في كل صلاة أن يجنبنا ذلك ﴿ **اهدنـا الصراط المستقيم ۝ صراط الـذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّـالين** ﴾ (١) والمغضوب عليهم هم اليهود والضّـالون هم النصـارى ،

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧ .

فإذا حذّرنا من متابعة انحرافات هؤلاء وهما الأشهر في الديانة والتدين فمن باب أولى غيرهم ، ولذلك وجب على المسلم أن يفتش في ذاته وفي سلوكه وفي ولاءاته وفي انتاءاته وفي أعماله وأقواله وفي بيته وفي مواقفه عمّا إذا كان يواطئ غير المسلمين في شيء من انحراف عن الإسلام .

لقد كان من سنّة رسول الله ﷺ أن يخالف سنّة اليهود والنصارى والمجوس ليعلّمنا الحذرَ من المواطأة إلا فيا أجازته شريعتنا .

لقد أخبرنا الله عز وجل أنه لم يترك أمة إلا أرسل لها رسولا : ﴿ وإن من أمّة إلا خلا فيها نذير ﴾ (١) .

وقال عليه السلام : « أنتم تتمّون سبعين أمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله » (٢) .

والنصوص لم تصف كل الأمم التي أرسل لها رسل إلا ما ذكر عن بني إسرائيل وعن النصارى وبعض الأقوام ، والديانات المعروفة قديمًا وحديثًا كثيرة :

فهناك النصرانية واليهودية والبوذية والكونفوشيوسية والمجوسية ......

وهناك أديان بادت وانقرضت كالديانات المصرية القديمة والديانات اليونانية ، والمعروف عنها أنّها ديانات شِركيّة ، وهناك الديانات الوثنية والشّركيّة ، وبعضها لا زال موجودًا ، ولئن لم يحدّثنا القرآن عن كل الأديان فقد ذكر لنا ما نعرف به من خلال المذكور ما غاب عنّا ، فلا يغيب عمّن قرأ القرآن وفهمه أن يعرف الهدى من الضلال ، ليس في باب الديانات فحسب بل في باب المذاهب الفلسفية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها سواء في ذلك ما انتهى ودرس أو ما زال موجودًا .

---

(١) فاطر : ٢٤ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٣ ـ باب ومن سورة آل عمران .

وقال : هذا حديث حسن ..

والمستدرك (٤ / ٨٤) . وقال : صحيح الإسناد .

وقال الحافظ عنه : حسن صحيح .

فهناك ديانات اندرست ، فإذا ما قرأ المسلم عنها لا يفوته مواطن الكفر والانحراف فيها كالديانات اليونانية والمصرية والرومانية ، وهناك ديانات لا زالت موجودة لا يغيب عن المسلم أن يعرف مواطن الكفر والضلال فيها كالبوذية والكونفوشيوسية والبرهمية واليهودية والنصرانية والصابئية والمانوية والزرادشتية ، وهناك مذاهب فلسفية واجتماعية ظهرت قديمًا كالفلسفة اليونانية والإباحية المزدكيّة ، وهناك فلسفات معاصرة أو وسيطة ومذاهب اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وكل ذلك لا يغيب عن المسلم العارف بدينه أن يعرف مواطن الكفر والانحراف فيها .

قال تعالى : ﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [1] .

وقد كلّف الله عز وجل الإنسان أن يؤمن بالله وأن يكفر بالطاغوت : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ [2] .

ومن ههنا كان من معالم الإسلام الكبرى ألا يتابع المسلم أحدًا فيما يدخل في باب الديانات . وقد أعطانا الله عز وجل نموذجين تفصيليين على انحرافات أمتين أنزل عليهما وحي وهما اليهود والنصارى ، ولقد استمرّت الانحرافات عند اليهود والنصارى بعد نزول القرآن الكريم حتى وصلوا إلى الإلحاد وإلى اللادينية والإباحية في الفكر الرأسمالي والفكر الشيوعي ، فانحراف يوصل إلى انحراف وهكذا .

ولما كانت هذه الانحرافات أثرًا عن أهواء أو جهل ، ولما كان الإنسان مَظِنَّةَ الجهل والهوى : ﴿ **وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا** ﴾ [3] فإن احتمال أن تسري على أمتنا انحرافات الأمم قائم ، ومن ههنا أخبرنا عنه رسول الله ﷺ ونبّهَنا على ذلك وحذّرنا منه وفيما يلي نصوص في ذلك .

---

(١) النحل : ٨٩ .
(٢) البقرة : ٢٥٦
(٣) الإسراء : ٧٢ .

النصوص

٥١١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وذراعًا بِذِراعٍ حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضبٍّ لَتَبِعْتُموهم » . قلنا : يا رسول الله اليهودَ والنصارى ؟ » قال : « فَمَنْ ؟ » .

٥١٢ - * روى البزار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قَبلَكم شِبرًا بشِبر وذِراعًا بذراع وباعًا بباع ، حتى لو أنَّ أحدَهم دخلَ جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامَعَ أُمَّه لفعلتم » .

٥١٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن المسْتَورِد بن شداد ، أن رسول الله ﷺ قال : « لاَ تَتْرُكُ هذه الأمةُ شيئًا من سَنَنِ الأولين حتى تأتِيَهُ » .

٥١٤ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ ، حتى تَأخذَ أُمَّتي مأخَذَ القُرونِ قَبْلَها شِبْرًا بشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِراعٍ » قيل له : يا رسولَ الله ، كفَارِسَ والرومِ ؟ قال : « مَنِ الناسُ إلا أولئك ؟ » .

٥١٥ - * روى الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ لما خرج

---

٥١١ - البخاري (١٣ / ٣٠٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٤ - باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم » .

ومسلم (٤ / ٢٠٥٤) ٤٧ - كتاب العلم ٣ - باب اتباع سنن اليهود والنصارى .

(جُحْرَ ضبٍّ) : الضَّب : هذا الحيوان المعروف .

(وجُحْرُهُ) : ثُقْبُه الذي يأوى إليه ، يعني لو دخلوا إلى ثقب الضبِّ مبالغةً لدخلتموه .

٥١٢ - كشف الأستار (٤ / ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٦١) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٥١٣ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٦١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

قوله (من سنن الأوّلين) : أي من طرائقهم المنحرفة وسننهم السيئة في الاعتقادات والأقوال والأفعال .

٥١٤ - البخاري (١٣ / ٣٠٠) ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٤ - باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم » .

٥١٥ - الترمذي (٤ / ٤٧٥) ٣٤ - كتاب الفتن ١٨ - باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وإسناده صحيح .

=

إلى غزوة حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ للمشركين كانوا يُعَلِّقُونَ عليها أسلحتَهُمْ ، يقال لها : ذاتُ أَنْواطٍ ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ ، كما لهم ذَاتُ أنواط . فقال رسولُ الله ﷺ : « سبحانَ اللهِ ! هذا كما قال قومُ موسَى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده : لتَركَبُنَّ سَنَنَ مَن كَان قَبْلَكم » .

٥١٦ - * روى الطبراني عن أبي موسى : قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ بني إسرائيل كَتَبُوا كتابًا فاتَّبعُوه وتَرَكوا التَّوْراة » .

أقول : إن بني إسرائيل يعتمدون التلمود أكثر مما يعتمدون أسفار موسى الخمسة التي هي الأسفار الأولى في كتب العهد القديم والتي يطلق عليها بعضهم اسم التوراة ، ويبدو أن التوراة جزء منها ، وقد داخل هذه الأسفار كلها من التحريف والتبديل الكثير ، ومحل التلمود عندهم في العمل أقوى وإن كانت التوراة أقوى في الاعتبار .

٥١٧ - * روى الطبراني عن أبي الزَّعْراء الأزدي قال : قال عبدُ الله بن مسعود : لا تَسألوا أهلَ الكتابِ عن شيء فإنهم لن يَهْدُوكم ، وقد أَضَلُّوا أنفسَهم ، إما أن يُحَدِّثُوكم بصِدْقٍ فتكذِّبوهم أو بباطل فتَصَدَّقُوهم .

* * *

التعقيب :

إن أدب المسلم وهو يقرأ كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ أن يقيم الأمر ويجتنب النهي ، كما أن من آدابه إذا مرّ بآية أو حديث يتحدّث عن كفر أو ضلال أو بدعة أو فسوق أن يتجنب ذلك كي لا يواطئ أهل ذلك في شيء ومن ههنا نهينا عن التشبه ، وسن لنا رسول الله ﷺ مخالفة المشركين والكافرين في كل ما يدخل في باب الديانات ، وقد ضلت الأمم السابقة ابتداءً عن التوحيد والشرائع كما ضلّوا بالتفرق بسبب البغي والابتداع ، ومع الضلال

= (أنواط) : جمع نَوْط ، وهو مصدر نُطْتُ به كذا وكذا أَنُوطُ نَوْطًا : إذا علقته به ، ويسمّى المَنُوط بالنَّوْط .

٥١٦ - مجمع الزوائد (١ / ١٩٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

٥١٧ - المعجم الكبير (٩ / ٤١٣) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩٢) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

عن أصل الـدين والتفرق فيـه والفسوق والغلو والابتـداع فقـد أضـاعوا الوحي أو حرّفـوه أو ألغوه ، وكل ذلك ممّا ينبغي أن يحذره المسلم .

* * *

الفصل الرابع والعشرون

في:

التحذير من الفتن والأهواء وأهلها

وفيه:

مقدمة ونصوص وتعقيب

المقدمة

رأينا أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ومن ههنا فإن أهل الإيمان عليهم أن يحذروا من متابعة فرقة من فرق الضلال ، أو أن يواطؤوها في فكرة من أفكارها الخاطئة ، ومن ههنا اشتد كثير من الأئمة على بعض أهل السنة والجماعة بسبب تخوفهم من فكرة خاطئة سرت إليه أو يمكن أن تسري إليه .

ومع وجوب الحذر من متابعة أهل الأهواء من الفرق الضالة فهناك الفتن التي تعصف في الأمة مما لا يستبان وجه الحق فيها فهذه كذلك يجب على المسلم أن يحذرها .

ومن ههنا فإن على المسلم أن يحذر :

من متابعة أهل الهوى ، ومن المشاركة في فتنة يستعمل فيها السلاح أو اللسان دون أن يكون مُتَبَيِّنًا وجه الحكم الشرعي ، أما إذا استبان له وجه الحكم الشرعي فعندئذ يقدم ولو كان ذلك قتالاً ، وعلى مثل هذا يحمل إقدام الصحابة على القتال في الفتنة : بين علي من جهة ، وبين عائشة وطلحة والزبير ثم معاوية من جهتين أخريين .

والفتنة في اصطلاح الشارع أوسع مدى مما ذكرناه ، فهي على أنواع ، وكل واحدة منها ينبغي أن يكون للمسلم موقف منها . فكلمة الفتنة في اصطلاح الشارع تطلق على الصراعات الداخلية غير المبصرة بين المسلمين ، كما تطلق على نشر الآراء الشاذة ، وتطلق على الاضطهاد الذي يسلطه الكافرون أو الظالمون على المؤمنين ، كما تطلق على الفوضى وعلى الخوض بلا تبين في المعارك السياسية والعصبيات والهجوم والتهجّم بسببها ، وتطلق الفتنة على ما يفتن الإنسان في دينه من مال أو جاه أو خواطر باطنة أو اتجاهات باطلة ، ويدخل في اسم الفتنة التحريش بين الناس ، والتفريق بين المتحابين .

وكل أنواع الفتن ينبغي أن يحذرها المسلم ، وأن يكون له موقفه من كل واحدة منها .

فالمسلم مطالب في الصراعات الداخلية بين المسلمين أن يتبين ، وفي الآراء الشاذة أن يرفضها وأن يتمسك بقول أهل الحق ، والأصل أن يدعو المسلم إلى الله ولا يطالب أن يعرض

نفسه إلى اضطهاد لا يتحمله إلا إذا تعين عليه موقف شرعًا ، فإذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دعا إلى خير فاضطهد أو أوذي ابتداءً بسبب عقيدته فهو بين خيارين : أن يصبر حتى يستشهد أو يأخذ بالرخصة إذا كان الإكراه ملجئًا ، والأصل في المسلم أن يجاهد الكفار وأن يقاتل أهل البغي مع الإمام الحق ، أما إذا وقعت الفوضى فأدبه أن يعتزل حتى يجد مسلكًا صحيحًا فيمضي فيه ، وأما الأهواء السياسية والعصبيات والقبليات فالمسلم منها حَذِر ، وأما ما يعرض على القلوب من فتنة فالمسلم يأباها وبذلك يسلم له قلبه .

وإذ كانت هذه الأمور من الأهمية بمكان ، فقد عقدنا لها هذا الفصل لنذكر فيه بعض النصوص في بعض هذه الشؤون :

٥١٨ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ، لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال : « إنما أخشى عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجكم ومُضلاَّتِ الفِتَنِ » .

وفي رواية : « ومضلاَّت الهوى » .

٥١٩ ـ * روى الإمام أحمد عن كُرْز بن عَلْقَمَةَ الخُزاعي ، قال : قال رجل : يا رسول الله هل للإسلام من منتهى ؟ قال : « نعم أيُّما أهلُ بيتٍ من العربِ أو العجمِ أرادَ اللهُ بهم خيرا أُدخلَ عليهم الإسلام ، ثم تقع الفتن كأنها الظُّلَلُ » قال : كلا والله إنْ شاء الله. قال : « بلى والذي نفسي بيده ، ثم تعودون فيها أساوِدَ صُبًّى يَضرب بعضُكم رِقابَ بعضٍ ».

وفي رواية(١) « فأولُ الناس مُؤمنٌ مُعتزلٌ في شِعْبٍ من الشِّعابِ يتقي ربه تبارك وتعالى ويَدَعُ الناسَ من شَرِّه » .

٥٢٠ ـ * روى البخاري عن خَلَفِ بن حَوْشَبٍ رحمه الله ، قال : كانوا يَسْتَحِبُّونَ أن يَتَمَثَّلوا بهذه الأبيات عند الفِتَن :

الحربُ أولُ ما تكونُ فَتِيَّةً … تَسْعى بزينتها لكلِّ جَهُولِ

حتى إذا اشتَعلتْ وشَبَّ ضِرامُها … وَلَّتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ حَليلِ

---

٥١٨ ـ مسند أحمد (٤ / ٤٢٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٥) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(شهوات الغي) : شهوات الضلال والانهماك في الباطل .

٥١٩ ـ مسند أحمد (٣ / ٤٧٧) .

كشف الأستار (٤ / ١٢٤) .

(١) مسند أحمد : الموضع السابق .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح .

(الأساود الصب) : الحيات السوداء إذا اقتتلت مع بعضها .

٥٢٠ ـ البخاري (١٣ / ٤٧) ٩٢ ـ كتاب الفتن ١٧ ـ باب الفتنة التي تموج كموج البحر . معلقًا .

قال الحافظ في الفتح : وصله البخاري في « التاريخ الصغير » عن عبد الله بن محمد المسندي عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب .

شَمطــاءُ يُنكَـرُ لـونُهـا وتغيَّـرتْ   مكروهـــةً للشَّـمِّ والتَّقْبيــلِ

٥٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أسَامَةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما ، قال : أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطُمٍ من آطَامِ المدينَةِ ، فقَالَ : « هل تَرَوْنَ ما أَرَى ؟ » قَالُوا : لا . قَالَ : « فإني لأرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلالَ بيوتكم كَمَوَاقِعِ القَطْرِ » .

٥٢٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ستَكُونُ فِتَنٌ ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائِمِ ، والقائِمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَها تَسْتَشْرِفْهُ ، ومَنْ وَجدَ مَلْجأً أو مَعاذًا فَلْيَعُذْ به ».

وفي أخرى لمسلم [1] : « تكون فتنةٌ ، النائِمُ فيها خَيْرٌ من اليَقْظانِ ، واليقظانُ فيها خيرٌ من القائِمِ ، والقائِمُ فيها خيرٌ من الساعِي ، فمن وَجَدَ مَلْجأً أومَعاذًا فليَسْتَعِذْ » .

٥٢٣ ـ * روى مسلم عن عثمانَ الشَّحَّام : قال انطلَقْتُ أنا وفَرْقَدٌ السَّبَخي إلى مسلم بن أبي بَكْرَةَ وهو في أرضه ، فدخَلْنا عليه ، فقلت : هل سَمِعتَ أباك يُحدِّث في الفِتن حديثًا ؟ فقال : نعم ، سمعت أبا بَكْرَةَ يحدِّث قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون فِتَنٌ ، ألا

---

٥٢١ ـ البخاري (١٣ / ١١) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٤ ـ باب قول النبي ﷺ : « ويل للعرب من شر قد اقترب » .
ومسلم (٤ / ٢٢١١) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢ ـ باب نزول الفتن كمواقع القطر .
(أشرف على أطم) : أشرف : علا وارتفع ، والأطم : هو القصر والحصن والجمع آطام .
(كمواقع القطر) : التشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم . أي : أنها كثيرة وتعم الناس لا تختص بها طائفة ، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم ، كوقعة الجمل وصفين ، والحرة ومقتل عثمان ومقتل الحسين رضي الله عنهما وغير ذلك ، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ / النووي على مسلم (١٨ / ٧) .

٥٢٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٠) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٩ ـ باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم .
ومسلم (٤ / ٢٢١٢) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٣ ـ باب نزول الفتن كمواقع المطر .
(١) مسلم في الموضع السابق .
(من تشرّف لها تستشرفه) : أي : من تطلع إليها وتعرض لها أتته ، ووقع فيها .
(الملجأ والمعاذ) : أخوان ، وهما الشيء الذي يُحتمى به ويُركَن إليه .

٥٢٣ ـ مسلم في الموضع السابق .

ثُمَّ تكونُ فِتنـةٌ ، القـاعـدُ خيرٌ من المـاشي فيهـا ، والمـاشي فيهـا خيرٌ من السَّـاعي إليها ، ألا فإذا نَزَلَتْ ، أَوْ وَقَعَتْ ، فمن كان له إبل فلْيَلْحَقْ بـإبلـه ، ومن كان لـه غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بغنمه ، ومن كانت لـه أرضٌ فليلحق بـأرضـه » قـال : فقـال رجل : يـا رسولَ الله ، أرأيتَ من لم تكُن له إبلٌ ولا غَنم ولا أرضٌ ؟ قال : « يَعْمِد إلى سيفِهِ فَيَـدُقُّ على حَـدِّه بِحَجَر ثم لِيَنْـجُ إن استطـاع النَّجَـاءَ ، اللهم هـل بَلَّغتُ ؟ اللهم هـل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ » قـال : فقـال رجل يـارسـولَ الله ، أرأيتَ إنْ أُكرِهتُ حتى يُنْطَلَـقَ بي إلى أحـد الصَّفَّيْن ، أو إحـدى الفئتين ، فضربني رجـل بسيفـه ، أو يجيء سَهْمٌ فيقتُلُني ؟ قال : « يبوءُ بإثمه وإثمك ، ويكونُ من أصحاب النار » .

ولـفظ أبـي داود [١] قـال : « إنهـا ستكون فِتْنَـة يكون المضطجعُ فيهـا خيرًا من الجالس ، والجـالسُ خيرًا من القـائم ، والقـائمُ خيرًا من المـاشي ، والمـاشي خيرًا من الساعي » قالوا : يا رسولَ الله ، ما تأمُرنا ؟ قال : « من كانت له إبلٌ فليلحق بإبلـه ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » قال : فمن لم يكن له شيء من ذلك ؟ قال : « يَعْمِدُ إلى سيفه ، فيضرب بحدِّه على حَرَّة ، ثم لِيَنْجُ ما استطاع النجاءَ » .

أقول :

هذا الحديث وأمثاله محمول على ما إذا لم يكن للمسلمين إمام راشد قـائم بـالحق ، أمـا إذا وجد الإمام الراشد القـائم بـالحق فـالأصل أن يجـاهـد الإنسـان معـه وأن يقـاتل أهل البغي الخارجين عليه ، ومع أن الإمام عليًّا كان خليفة راشدًا قائمًا بالحق فإن بعض الصحابة وقفوا ضده لعدم تبينهم أنّه هو الإمام الحق القائم بالحق ، وبعضهم استباح الاعتزال فلم يقاتل أخذًا بظواهر مثل هذه النصوص ، لكن بعضهم ندم على عدم قتاله معه بعـد أن تبين لـه أنـه على الحق والصواب بعد مقتل عمار من قبل فئة معاوية كما حدث لابن عمر رضي الله عنهما .

---

(١) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم - باب في النهي عن السعي في الفتنة .

(الحرة) : الأرض ذات الحجارة السود ، والمراد به هاهنا : نفس الحَجَر ، أي : ضرب حدّ سيفه بحجر يَفُلُّ غَرْبـه لئلا يقاتل .

٥٢٤ ـ * روى الترمذي عن سعدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : عندَ فتنةِ عثمان ابنِ عفانَ ـ أشهدُ أن رسول الله ﷺ قال : « إنها ستكونُ فِتْنةٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائِم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي خيرٌ من السّاعي » . قال : أفرأيتَ إن دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي ، وَبَسَط يَدَهُ إليَّ ليَقْتُلَني . قال : « كنْ كابنِ آدمَ » .

ولفظ أبي داود [١] عن حُسيْنِ بن عبدِ الرحمنِ الأشْجَعي : أنه سَمِع سعدَ بن أبي وقاصٍ عن النبي ﷺ ، في هذا الحديث ، قال : فقلت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن دَخَلَ عليَّ بيتي ، وبسط يَدَه إليَّ ليقتُلَني ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « كن كابْنَيْ آدم » وتلا يزيدُ ـ يعني ابنَ خالدٍ الرملي ـ : ﴿ لئن بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾ الآية [٢] .

٥٢٥ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يُوشِكُ أن يكونَ خيرَ مال المسلم غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال ومواقِعَ القَطْرِ ، يَفرُّ بدِينه من الفتن » .

وللبخاري [٣] قال عبدُ الرحمن بنُ أبي صعصعة : قال لي أبو سعيد : إني أراكَ تُحِبُّ الغنم وتتخِذُها ، فأصْلِحْها وأصلحْ رُعَامَهَا ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « يأتي على

---

٥٢٤ ـ الترمذي (٤ / ٤٨٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٩ ـ باب ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم .
وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

(١) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة .
وهو حديث صحيح .

(٢) المائدة : ٢٨ .

٥٢٥ ـ البخاري (١ / ٦٩) ٢ ـ كتاب الإيمان ١٢ ـ باب من الدين الفرار من الفتن .
والموطأ (٢ / ٩٧٠) ٥٤ ـ كتاب الاستئذان ٦ ـ باب ما جاء في أمر الغنم .
وأبو داود (٤ / ١٠٣) كتاب الفتن ـ باب ما يرخص فيه من البداوة في الفتنة .
والنسائي (٨ / ١٢٣) ٤٧ ـ كتاب الإيمان ٣٠ ـ باب الفرار بالدين من الفتن .
وابن ماجه (٢ / ١٣١٧) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١٣ ـ باب العزلة .

(٣) البخاري (٦ / ٦١١) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الاسلام .
(مواقع القَطْر) : المواضع التي ينزل بها المطر .
(رُعامها) : الرعام : المخاط الذي يسيل من أنف الشاة من داء أصابها والشاة رعوم .

النـاس زمـان تكونُ الغنمُ فيـه خيرَ مـالِ المسلمِ ، يَتْبَعُ بهـا شَعَفَ الجبـال . ومواقع القَطْرِ ، يَفِرُّ بدينه من الفتن » .

٥٢٦ ـ * روى أبـو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قـال : « وَيْـلٌ للعرب من شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، أَفلحَ من كفَّ يدَه » .

٥٢٧ ـ * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال في الفتنـة : « كسِّرُوا فيهـا قِسيَّكُمْ ، وقَطِّعُوا فيهـا أوتـارَكم ، والزمـوا فيهـا أَجْـوافَ بيُوتكم ، وكُونُوا كابنِ آدمَ » .

ورواه أبـــو داودَ بزيـادة في أولـه (١) ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « إن بينَ يَـدَيِ السـاعـةِ فِتَنًـا كقطَعِ الليل المظلم ، يُصبحُ الرجـلُ فيهـا مـؤمِنًـا ، ويُمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويُصْبح كَافِرا ، القاعدُ فيها خيرٌ من القـائم ، والمـاشي فيهـا خيرٌ من السـاعي ، فكَسِّرُوا قِسيَّكُم ، وقطِّعوا أوتـارَكم ، واضربوا سُيُوفكم بـالحجـارة ، فـإن دُخِلَ على أحدٍ منكم فليكن كخير ابْنَيْ آدمَ » .

ورواه أبـو داود (٢) أيضًـا إلى قوله : « خَيرٌ من السَّاعي » قالوا : فما تأمرُنـا ؟ قـال : « كونوا أحلاسَ بُيُوتِكم » .

---

٥٢٦ ـ أبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن ـ باب ذكر الفتن ودلالتها .

وإسناده صحيح .

٥٢٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٩١) ٢٤ ـ كتاب الفتن ٣٣ ـ باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة .

وقال : حسن غريب صحيح .

(١) أبو داود (٤ / ١٠٠) كتاب الفتن ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة .

(٢) أبو داود (٤ / ١٠١) الكتاب والباب السابقان . وهو حديث صحيح .

(قِطَع الليل) : طائفة منه ، أراد : فتنة مظلمة سوداء . تعظيمًا لشأنها .

(كابن آدم) : أراد بقوله : كابن آدم ، وقوله : (كخير ابني آدم) : هو ابن آدم لصلبه هابيل الذي قتله أخوه قابيل ، وما قال الله تعالى في أمرهما : ﴿ لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ وقوله : ﴿ إنّي أُريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمكَ فتكون من أصحاب النار ﴾ .

(أحلاسَ بيوتكم) : فلان حِلْسُ بيته : إذا لَزِمَه لا يُفارِقُه ، مأخوذ من الحِلس ، وهو الكساء الذي يكون على ظهر البعير . أي الزموا بيوتكم .

٥٢٨ ـ * روى ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « تَكُونُ فِتَنٌ عَلَى أبوابها دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ فَأَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُم » .

٥٢٩ ـ * روى الترمذي عن أمِّ مالكٍ البهزية رضي الله عنها ، قالت : ذكر رسول الله ﷺ فِتْنَةً ، فَقَرَّبها ، قالت : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ خَيْرُ الناس فيها ؟ قال : « رجلٌ في ماشيةٍ يُؤَدِّي حَقَّها ، ويَعْبُدُ رَبَّه ، وَرَجُلٌ آخِذٌ برأس فَرَسِهِ يُخيفُ العَدُوَّ ويُخَوِّفُونَه » .

أقول : هكذا شأن المسلم أنه على بصيرة ، فإذا وقعت فتنة بين المسلمين ولم يتبين له وجه الحقّ والصواب فيها فهو إمّا معتزل وإمّا متوجّه لجهاد لا خلاف فيه وهو قتال الكفار .

٥٣٠ ـ * روى البخاري عن ابنِ عَمرٍو قال : شَبَّكَ النبيُّ ﷺ أصابعه ، وقال : « كيفَ أنتَ يا عبدَ الله بنَ عمرٍو ، إذا بَقِيتَ في حُثَالةٍ قد مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم ، واختَلَفُوا فصاروا هكذا » قال : فكيف [أصنع] يارسول الله ؟ قال : « تأخذُ ما تعرفُ ، وتَدَعُ ما تُنْكِرُ ، وتُقْبِلُ على خاصَّتِك ، وتَدَعُهم وعوامَّهم » .

---

٥٢٨ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣١٨) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١٣ ـ باب العزلة . وله متابعات عند البخاري ومسلم وأبي داود يتقوى بها .

(جذل الشجرة) : أصلها .

٥٢٩ ـ الترمذي (٤ / ٤٧٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ١٥ ـ باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة .

وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

قال محقق الجامع :

وفي سنده جهالة ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال أيضًا : وفي الباب عن أم مبشر ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عباس . وقال : وللفقرة الأولى منه شاهد عند البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وللفقرة الثانية منه شاهد عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، فالحديث حسن بشواهده . ا.هـ .

٥٣٠ ـ البخاري (١ / ٥٦٥) ٨ ـ كتاب الصلاة ٨٨ ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره مختصرًا .

وقد عزاه في الفتح للحميدي في الجمع بين الصحيحين .

أبو داود (٤ / ١٢٣ ، ١٢٤) كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي .

(المرج) : الاختلاط والاختلاف ، مرجت عهودهم : إذا اختلفت .

٥٣١ - * روى أبو داود عن أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يـا أبـا ذرٍّ » . قلت : لَبيْـكَ يـارسولَ الله وسَعـدَيْـكَ . قـال : « كيف أنت إذا رأيتَ أحجار الزيت قد غَرِقَتْ بالدَّم ؟ » قلت : مـا خـارَ اللهُ لي ورسولُـه . قـال : « عليـكَ بمن أنتَ منـه » . قلتُ : يـارسول الله ، أفلا آخُـذُ سيفي فـأضَعُـهُ على عـاتقي ؟ قـال : « شاركتَ القومَ إذًا » . قلت: فما تأمُرُني ؟ قال : « تَلْزَمُ بَيْتَـكَ » قلتُ : فـإن دُخِلَ عليَّ بيتي ؟ قال : « إن خَشِيتَ أن يَبْهَرَكَ شُعـاعُ السَّيف ، فـألْقِ ثوبَـك على وجهـك ، يَبُوءُ بإثمِكَ وإثمِه » .

٥٣٢ - * روى أبو داودَ عن سعيدِ بنِ زيدٍ رضي الله عنـه ، قـال : كنَّـا عنـدَ رسول الله ﷺ ، فذكر فتنةً عَظَّمَ أمْرَها ، فقلنا - أو قالوا - يـارسولَ الله لئن أدْرَكتنـا هـذه لَنَهلِكَنَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا إنَّ بِحَسْبِكُم القتلَ » .

قال سعيد : فرأيت إخواني قُتلوا .

قولهم : لئن أدركتنا هذه لنهلكن : هكذا في الجامع وفي الأصل : لَتُهْلِكَنا . قال صـاحب عون المعبود : (أي تهلك تلك الفتنةُ دنيانا وعاقبتنـا) ، ومعنى الحـديث أن هـذه الفتنـة لو أدركتكم يكفيكم فيهـا أنكم مقتولون ، والضرر الـذي يحصـل لكم منهـا ليس إلا القتـل ، وأمـا هلاك عاقبتكم فكلا بل يرحمكم الله ويغفر لكم .

٥٣٣ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ :

---

٥٣١ - أبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن - باب في النهي عن السعي في الفتنة .
وابن ماجه (٢ / ١٣٠٨) ٣٦ - كتاب الفتن ١٠ - باب التثبت في الفتنة .
وهو حديث حسن .
(أحجار الزيت) : موضع بالمدينة .
(عليك بمن أنت منه) : أي أهلك وعشيرتك . وقيل : الإمام الحق الذي بايعته .
(يَبْهَرك) : ضوء باهر : يغلب عينك ويغشى بصرها .
(يبوء) : باء بالإثم يبوء : إذا رَجَعَ به حاملاً له .
٥٣٢ - أبو داود (٤ / ١٠٥) كتاب الفتن - باب ما يرجى في القتل .
وإسناده صحيح .
٥٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٣١) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط السـاعة ١٨ - باب لا تقوم السـاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... إلخ

« لَيأْتينَّ على الناس زمانٌ ، لا يَدري القَـاتِلُ في أيِّ شيء [قَتَلَ] ، ولا يـدري المقتولُ في أي شيء قُتِـل » قيـل : وكيف ؟ قـال : « الهَرْجُ : القَـاتِـلُ والمقتـولُ في النـار ».

أقول : فهذا هو قتال الفتنة ، قتال على غير تبيّن أو اجتهادٍ صحيح من أهله .

٥٣٤ ـ * روى أبو داود عن أبي أميـةَ الشعباني ، قـال : سـألتُ أبـا ثعلبـةَ الخُشَنِيَّ رضي الله عنه قـال : قلتُ : يـا أبـا ثعلبـةَ ، كيف تقول في هـذه الآيـة : ﴿ عَلَيْكُم أنفسكُم ﴾ ؟ [المائدة : ١٠٥] قال : أمَا والله لقد سألتَ عنها خبيرًا سألتُ عنها رسول الله ﷺ ، فقال : « ائتَمِروا بـالمعروفِ ، وانْتَهُـوا عن المُنْكَرِ ، حتى إذا رأيتم شُحًّـا مُطـاعًـا ، وهـوى مُتَّبَعًا ودُنيا مُؤْثَـرَةً ، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه ، فعليكَ بنفسِـكَ ، ودَعْ عَنْـكَ العَوَامَّ ، فإنَّ مِنْ ورائِكم أيامَ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ فيهنَّ مثلُ القَبْضِ على الجَمْرِ، للعـامـلِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رَجُلاً يعملونَ مِثْلَ عَمَلِكُم » .

وفي زيادة لأبي داود : قيل : يـارسول الله ، أجرُ خمسينَ رجلاً منّـا ، أو منهم ؟ قـال : « بل أجرُ خَمسينَ رجلاً مِنكم » .

قوله : (للعامل فيها أجر خمسين يعملون مثل عملكم) : قال صاحب عون المعبود :

قال في فتح الودود : هذا في الأعمال التي يشق فعلها في تلك الأيام لا مطلقًا وقـد جـاءَ « لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » ولأن الصحـابي أفضل من غيره مطلقًا انتهى وقال الشيخ عز الدين بن عبـد السلام ليس هـذا على إطلاقـه بل هو مبني على قاعدتين أحدهما أن الأعمـال تَشْرفُ بثمراتها ، والثـانيـة أن الغريب في آخر الإسلام كالغريب في أوله وبالعكس لقوله عليه السلام : « بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعود غريبًـا كما

---

٥٣٤ ـ أبو داود (٤ / ١٢٣) كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي .

والترمذي (٥ / ٢٥٧) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٦ ـ باب ومن سورة المائدة . وقال : حسن غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٣٣٠) ٣٦ ـ كتاب الفتن ٢١ ـ باب قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ .

وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يتقوى بها .

(الشحّ) : البخل الشديد ، وطاعَتُهُ : أن يتبع الإنسان هوى نفسه لبخله ، وينقاد له .

(دنيا مؤثرة) : أي : محبوبة مشتهاة مقدمة عند أصحابها على ما هو واجب شرعًا .

بدأ فطوبى للغرباء من أمتي » ، يريد المنفردين عن أهل زمانهم . إذا تقرر ذلك فنقول : الإنفاق في أول الإسلام أفضل لقوله عليه السلام لخالد بن الوليد رضي الله عنه : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » أي مُـدَّ الحنطـة والسبب فيـه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرُها وكذلك الجهاد بـالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقـدمين وقلـة أنصـارهم فكان جهـادُهم أفضل ولأن بذلَ النفس مع النصرة ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها ، ولذلك قال عليـه السلام . « أفضل الجهاد كلمـةُ حـقٍّ عند سلطان جائر » جعله أفضل الجهاد ليأسـه من حياته وأما النهي عن المنكر بين ظهور المسلمين وإظهار شعائر الإسلام فإن ذلـك شـاق على المتـأخرين لعـدم المعين وكثرة المنكر فيهم كالمنكر على السلطـان الجـائر ولـذلـك قـال عليـه السلام : « يكون القابضُ على دينه كالقابض على الجمر » لا يستطيع دوام ذلـك لمزيـد المشقة فكذلك المتأخر في حفـظ دينـه ، وأمـا المتقـدمون فليسوا كـذلـك لكثرة المعين وعـدم المنكر فعلى هذا يَنَزَّل الحديثُ انتهى كذا في مرقاة الصعود . ا . هـ .

أقول : قد يؤجر غير الصحابي على عمل ما أكثر من أجر الصحابي في هـذا العمل ، ولكن الخصوصية لا تقتضي الأفضلية ، فـالصحـابـة هم الأفضل لكـال الأداء عنـدهم ، ثم إن كل من جاء بعدهم في صحائفهم والجميع في صحيفةَ رسول الله ﷺ ، وإذا كان هذا شأن الصحابة فمن يلحق بهم ؟!

٥٣٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « سِبابُ المسلم فُسُوقٌ ، وقِتالُه كُفرٌ » .

٥٣٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن عبـد الله بن عُمرَ رضي الله عنهما ، قـال : سمعت

---

٥٣٥ ـ البخاري (١ / ١١٠) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٥ ـ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .
ومسلم (١ / ٨١) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٨ ـ باب بيان قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .
والترمذي (٥ / ٢١) ٤١ ـ كتاب الإيمان ١٥ ـ باب ما جاء سباب المسلم فسوق . وقال : حسن صحيح .
والنسائي (٧ / ١٢١) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٧ ـ باب قتال المسلم .

٥٣٦ ـ البخاري (٦ / ٥٤٠) ٦١ ـ كتاب المناقب ٥ ـ باب حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث ... إلخ .
ومسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٦ ـ باب الفتنة من المشرق ... إلخ .

رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المِنبر : « ألا إن الفِتنـةَ هـاهنـا » ويشيرُ إلى المشْرِق « مِن حيث يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطانِ »

وللبخاري (١) بزيادة في أوله : أن النبي ﷺ قال : « اللهم باركْ لنا في شامِنـا اللهمَّ باركْ لنا في يَمَنِنَا » قالوا : وفي نجدنا ، قـال : « اللهم بـارك لنـا في شـامنـا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : وفي نجـدنـا ؟ قـال : « اللهم بـارك لنـا في شـامنـا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يارسول الله ، وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثـة : « هنـالـك الزلازلُ والفِتنُ ، ومنها يَطْلُعَ قَرْنُ الشيطان » .

وفي أخرى (٢) عن سالم : أنه قال : يـا أهلَ العراقِ ، مـا أسـألَكُمْ عن الصغيرة ، وأركَبَكم للكبيرة ! ! سمعتُ أبي ، عبـدَ الله بنَ عمرَ يقـول : سمعتُ رسـول الله ﷺ يقـول : « إن الفتنةَ تجيء من هاهنا » وأوْمأَ بيده نحو المشْرِق ـ « من حَيْثُ يَطْلُعَ قَرْنَ الشيطـان » وأنتم يَضْربُ بعضكم رقابَ بعض ، وإنمـا قَتَلِ موسى الـذي قَتَلَ من آل فرعون خطـأ ، فقـال الله له : ﴿ وقتلتَ نفسًا فنجّيناك من الغم وفتنّاك فُتونا ﴾ [طه : ٤٠] .

٥٣٧ ـ * روى مسلم عن جُنْدُبِ بن عبـدِ الله رضي الله عنـه ، قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « من قُتِلَ تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ يَدعُو عَصَبيَّةً ، أو يَنْصُر عَصَبيَّةً ، فقِتْلَةٌ جاهِليَّةٌ » .

٥٣٨ ـ * روى النسـائي عن عبـدِ الله بن الزبير ، رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قـال :

---

(١) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ١٦ ـ باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق ... » إلخ .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٩) الكتاب والباب السابقان .

٥٣٧ ـ مسلم (٣ / ١٤٧٨) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ... إلخ .

والنسائي (٧ / ١٢٣) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٨ ـ باب التغليظ فين قاتل تحت راية عمية .

(العِمّيّة) : بتشديدتين : الجهالة والضلالة ،وهي فعيلة من العمى .

(فقِتْلة) : بكسر القاف : حالة القتيل ، أي فقتلُه قتلٌ جاهليٌّ .

(عصبية) : العصبية : الحماية والمدافعة عن الإنسان الـذي يلزمـك أمره ، أو تلتزمـه لغَرضٍ بصرف النظر عن الحق والصواب .

٥٣٨ ـ النسائي (٧ / ١١٧) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٦ ـ باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس .

والمستدرك (٢ / ١٥٩) . وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأقره الذهبي .

وأخرجه النسائي موقوفًا أيضًا . قال ابن حجر : والذي وصله ثقة ا . هـ . وهو حديث صحيح . =

« مَنْ شَهَرَ سَيْفَهُ ثم وَضَعَهُ فدَمُهُ هَدْرٌ » .

٥٣٩ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قال : « من حَمَل علينا السلاحَ فليس مِنَّا » .

٥٤٠ - * روى مسلم عن عبدِ الله بنِ عمرو بن العاصِ رفعه : « إنه لم يَكُنْ نَبيٌّ قبلي ، إلا كان حقا عليه أن يدُلَّ أمته على خيرِ ما يعلمه لهم ، ويُنذِرَهم شَرَّ ما يعْلَمُه لهم وإن أُمَّتكم هذه جُعِل عَافيتُها في أولهـا ، وسيصيبُ آخِرَهـا بلاءٌ وأُمورٌ تُنْكِرُونها ، وتجيء فتنةٌ فَيزْلِقُ بعضُها بعضًا ، وتجيء الفتنـةُ ، فيقولُ المؤمنُ : هـذه مُهْلِكَتي ، ثم تنكشفُ ، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن : هذه هـذه ، فمَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النار ، ويُدْخَلَ الجنة ، فلتأته مَنيَّتُـهُ وهو يؤمن بـالله واليوم الآخر ، وليـأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتَى إليه ، ومن بايَعَ إمامًا فأعطاه صَفْقَةَ يده وثمرةَ قَلْبِهِ ، فليُطِعْهُ ما استطاعَ ، فإن جاء آخرُ ينازعُه فاضربوا عُنُقَ الآخرِ » .

٥٤١ - * روى البخاري عن سعيدِ بن جبيرٍ رحمـه الله قـال : خَرَجَ علينـا عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنه ، فرجَوْنا أن يُحَدثَنا حديثًا حسنًا ، فبادَرنَا إليه رجل يقال لـه : حكيم ، فقال : يا أبا عبدِ الرحمن ، حَـدِّثْنَـا عن القتـال في الفتنـة وعن قولـه تعـالى : ﴿ **وقـاتِلُوهُم حتّى لا تكونَ فِتْنة** ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : وهل تدري ما الفتنةُ ؟ ثَكِلتك أُمُّـكَ ، إنَّما كان محمدٌ ﷺ يقاتلُ المشركينَ ، وكان الدخولُ في دينهم فِتْنَةً ، وليس كقتالكم على المُلْك .

= (ثمّ وضعه) : أي من قاتل به ، ويقال : وضع الشيء من يده : إذا ألقاه فكأنّه ألقاه في الضَّريبة .
(فدمه هدر) : باطل ليس فيه قود ولا عَقْلٌ . أي لم يُدْرك بثأره .

٥٣٩ - البخاري (١٣ / ٢٣) ٩٢ - كتاب الفتن ٧ - باب قول النبي ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .
ومسلم (١ / ٩٨) ١ - كتاب الإيمان ٤٢ - باب قول النبي ﷺ « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

٥٤٠ - مسلم (٣ / ١٤٧٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٠ - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .
والنسائي (٧ / ١٥٢) ٣٩ - كتاب البيعة ٢٤ - باب البيعة فيما يستطيع الإنسان .
(فيزلق) : أزلقتْ بعضها بعضًا : دَفَع بعضها بعضًا ، كأن الثانية تزحم الأولى ، لسرعة ورودها عليها ، ويزلق بعضها بعضًا : يعجّلها ، والإزلاق : الإعجال ، في هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ بما لم يكن ، وهو في علم الله أمر كائن .

٥٤١ - البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ١٦ - باب قول النبي ﷺ « الفتنة من قبل المشرق » .

أقول : يفهم من الأثر أن المشاركة في القتال على الملك المجرّد دون ملحظ ديني أخروي هو من الفتن كما بيّن لنا الحديث معنى الفتنة في الآية : وهي أن يَفْتِن الكافرون المؤمنين عن دينهم ليجعلوهم يرتدّون .

٥٤٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن جريرِ بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ في حَجّةِ الوَداع : « استَنْصِتْ لِيَ النـاسَ » ثم قـال : « لا تَرجِعـوا بعدي كُفّارًا ، يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ » .

٥٤٣ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ » .

٥٤٤ ـ * روى النسائي عن عبـدِ اللهِ بن مَسْعودٍ رَضيَ اللهُ عَنـهُ ، أنْ رسولَ الله ﷺ قالَ : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّـارًا يَضْرِبُ بَعْضُكم رقَـابَ بَعْضٍ ، وَلاَ يُؤخَـذُ الرَّجلُ بجَريرَةِ أبيهِ ، ولاَ جريرةِ أخيهِ » .وفي أُخْرَى : « لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالاً ، يَضْرِبُ بَعْضُكم رِقَابَ بَعْضٍ » .

٥٤٥ ـ * روى الترمـذي عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما ، أنَّ رسـول الله ﷺ

---

٥٤٢ ـ البخاري (١٣ / ٢٦) ٩٢ ـ كتاب الفتن ٨ ـ باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا ... » إلخ .
ومسلم (١ / ٨١) ١ ـ كتاب الإيمان ٢٩ ـ باب بيان معنى قول النبي ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارًا ... » إلخ .
والنسائي (٧ / ١٢٧) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٩ ـ باب تحريم القتل .
(استنصتُ القوم) : إذا قلت لهم : أنصتوا ، أي : اسكتوا لتستمعوا .

٥٤٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٨٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٨ ـ باب ما جاء لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض .
وقال : حسن صحيح .
لا ترجعوا بعدي كُفّارًا : قـال الخطـابي : لـه تـأويلان ، أحـدهمـا : أنـه أراد بـالكفر : المتكفّرين في السلاح ، أي : المستترين فيه ، وأصل الكفر : الستر . وقيل : معناه : لا ترجعواً بعدي فِرقًا مختلفة يقتل بعضكم بعضًا ، فتشبهون الكفار ، يريد أن الكفار يقتل بعضهم بعضًا لعداوتهم ، بخلاف المسلمين فإنهم مأمورون بحقن دمائهم ،وأن لا يقتل بعضهم بعضًا .

٥٤٤ ـ النسائي (٧ / ١٢٦) ٣٧ ـ كتاب تحريم الدم ٢٩ـ باب تحريم القتل .وهو حديث صحيح .
(بجريرة) الجريرة : الجناية والذنب الذي يفعله الإنسان فيطالب به .

٥٤٥ ـ الترمذي (٤ / ٥٢٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٩ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ . وقال : حسن صحيح غريب .
والنسائي (٧ / ١٩٥) ٤٢ ـ كتاب الصيد ٢٤ ـ باب اتباع الصيد .

قال : « مَنْ سَكَنَ الباديةَ جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيدَ غَفَلَ ، ومن أتى أبوابَ السلطـان افْتُتِنَ » .

وعندأبي داود (١) : « ومن أتى السلطان افتُتِنَ » .

وفي أخرى [من حديث أبي هريرة] (٢) : « ومن لَزِمَ السلطانَ افْتُتِنَ ، ومـا ازداد عبدٌ من السلطان دُنُوًّا إلا ازداد من الله بُعْدًا » .

٥٤٦ ـ * روى مسلم عن مَعْقِل بنِ يَسارٍ رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قـال : « العِبَـادَةُ في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ » .

٥٤٧ ـ * روى ابن ماجه عن أبي أمـامـةَ ، أن رسول الله ﷺ قـال : « مِنْ شَرِّ النَّـاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » .

٥٤٨ ـ * روى مسلم وابن ماجه واللفـظ لـه عَنْ ثَوْبَـانَ مَوْلَى رَسُول اللهِ ﷺ ؛ أنَ رسولَ الله ﷺ قـال : « زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَـارِقَهَـا ومَغَـارِبَهَـا . وَأُعْطِيتُ

---

(١) أبو داود (٣ / ١١١) كتاب الصيد ـ باب في اتباع الصيد .

(٢) أبو داود في نفس الموضع .

قال محقق الجامع : وإسناده ضعيف ومع ذلك فقد قال الترمذي : هـذا حـديث غريب ، وقـال المنـاوي « في فيض القدير » له عند البزار سند حسن .

٥٤٦ ـ مسلم (٤ / ٢٢٦٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢٦ ـ باب فضل العبادة في الهرج . .

والترمذي (٤ / ٤٨٩) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٣١ ـ باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه . وقال : حسن صحيح .

٥٤٧ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣١٢) ٣٦ ـ كتاب الفتن ١١ ـ باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما .

قال في الزوائد : هذا إسناد حسن .

٥٤٨ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥ ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

وأبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن ـ باب ذكر الفتن ودلائلها .

والترمـذي (٤ / ٤٧٢) ٣٤ ـ كتـاب الفتن ١٤ ـ بـاب مـا جـاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمتـه . وقـال : حسن صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٤) ٣٦ ـ كتاب الفتن ٩ ـ باب ما يكون من الفتن .

ومسند أحمد (٥ / ٢٧٨) .

(زويت) : أي جمعت وضم بعضها إلى بعض .

(مشارقها) : أي البلاد المشرقة منها ، وكذا مغاربها .

(وأعطيت) : على بناء المفعول . وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح الخزائن المفتوحة على الأمة . =

الكَنْـزَيْن : الأَصْفرَ (أو الأَحْمَرَ) وَالأَبْيضَ (يَعْني الـذَّهَب وَالْفضَّـةَ) وَقيـلَ لِي : إنَّ مُلْكَـك إلَى حَيْثُ زُوِيَ لَـكَ . وإنِّي سـأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَـلَّ ثَـلاَثًـا : أنْ لاَ يُسَلِّـطَ عَلى أُمَّتي جُوعًا فيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً . وأَنْ لاَ يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعضَهُمْ بَأسَ بَعْضٍ . وَإنَّهُ قِيلَ لِي : إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَلاَ مَرَدَّ لَهُ . وَإنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِـكَ جُوعًـا فَيُهْلِكَهُمْ فيـهِ . وَلَنْ أَجْمَـعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَـارِهَـا ، حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًـا ، وَيَقْتُـلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًـا . وَإذَا وُضِـعَ السَّيْفُ في أُمَّتي ، فَلَنْ يُرْفَـعَ عَنْهُم إلى يَـوْمِ القِيَـامَـةِ . وَإنَّ ممَّـا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّـةً مُضِلِّينَ . وَسَتَعْبُـدُ قَبَـائِـلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ . وَسَتَلْحَقُ قَبَـائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِـالْمُشْرِكِينَ . وَإنَّ بَيْنَ يَـدَيِ السَّـاعَـةِ دَجَّـالِينَ كَذَّابِينَ . قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ . كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ . وَلَنْ تَزَالَ طَـائِفَـةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَـقِّ مَنْصُـورِينَ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَـالَفَهُمْ حَتَّى يَـأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ، عَـزَّ وَجَـلَّ ».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : مَا أَهْوَلَهُ !!

٥٤٩ ـ * روى الإمام أحمد عن أم حَبيبَـةَ عَن النبي ﷺ أنـه قـال : « رأيتُ مـا تَلْقَى أُمَّتي بعدي وَسفْكَ بَعْضِهِم [دماءَ بَعض] وَسَبَقَ ذلك من الله عز وجل كما سَبَقَ في الأمم قَبلَهم فسألتُه أن يُوَلِّيَني شفاعةً يومَ القيامة فيهم ففعل » .

٥٥٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ ، قال : « سألتُ ربي

= (الأصفر) : وفي بعض النسخ الأحمر ، والمراد الذهب .
(والأبيض) : أي الفضة .
(به) : أي بالجوع . (عامة) أي حال كون الجوع سنة عامة ، أي شاملة لكل الأمة .
(وأن لا يلبسهم) : لا يخلطهم .
(ويذيق بعضهم بأس بعض) : بالمحاربة : أي لا يجمعهم متحاربين .
(وإذا وضع السيف في أمتي) : أي إذا ظهرت الحرب بينهم تبقى إلى يوم القيامة .

٥٤٩ ـ مسند أحمد (٦ / ٤٢٨) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح .

٥٥٠ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .
ورواه البزار (٤ / ١٠٠) . إلا أنه قال : سألت ربي ثلاثًا .
وللحديث شواهد أخرى بألفاظ مختلفة .

لأمتي أربعَ خِلالٍ فمنعني واحدةً وأعطاني ثلاثًا ؛ سألته أن لا تَكْفُرَ أمتي صفقةً واحدةً فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسَلِّطَ عليهم عدوا من غيرِهم فأعطانيها ، وسألتُهُ أن لا يُعَذِّبَهم بما عَذَّبَ به الأممَ قبلَهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهم بينَهم فمنعنيها » .

٥٥١ ـ * روى أبو يعلى عن عامر الشَّعْبي قال : لما قاتلَ مروانُ الضَّحَاكَ بنَ قيسٍ أرسلَ إلى أيمن بن خُرَيم الأسدي فقال : إنا نحبُّ أن تُقاتلَ معنا فقال : إن أبي وعمي شَهدا بدرًا فعهدا إليّ أن لا أقاتلَ أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله فإن جئتني ببراءة من النار قاتلتُ معك . فقال : اذهب . ووقع فيه وسبه فأنشأ أيمنُ يقول :

ولستُ مُقاتِلا رجلاً يُصلي ... على سُلطانِ آخَرَ مِن قُريشٍ
أُقاتلُ مسلمًا في غيرِ شيءٍ ... فليسَ بنافعي ما عشتُ عيشي
لَهُ سُلطانُهُ وعليَّ إثمي ... معاذَ اللهِ من جَهلٍ وَطَيشٍ

وفي رواية الطبراني أنه قال : لستُ أقاتلُ رجلا يصلي . وقال : معاذَ الله من فَشَلٍ وطَيْشٍ ، وقال : أأقتلُ مسلمًا في غير جُرْمٍ .

٥٥٢ ـ * روى الطبراني عن عِصْمةَ بنِ قيسٍ السُّلَمي صاحب رسول الله ﷺ أنه كان يتعوذُ من فِتنةِ المشْرِق ، قيل له : فكيف فتنة المغرب ؟ قال : « تلكَ أعظمُ وأعظمُ » .

وفي رواية عنده أيضًا [(١)] أنه كان يتعوذ في صلاته من فتنة المغرب .

لقد كان بدء دعوة العبيديين من الباطنية في المغرب العربي ثم اكتسحوا مصر فالشام فغيرها من البلدان فترة من الزمان ونشروا ضلالاتهم .

فهل المراد بهذه الفتنة فتنة المغرب ؟ أو المراد ما هو أوسع من ذلك مما نراه في عصرنا

---

٥٥١ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٦) . وقال : رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى رحمويه وهو ثقة .

٥٥٢ ـ المعجم الكبير (١٧ / ١٨٧) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٠) . وقال : رجاله ثقات .

(١) المصدران السابقان : نفس الموضع .

من تأثر بالفكر الغربي حتى ارتد بذلك خلق كثيرون ؟

٥٥٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن محمدِ بن مَسْلمةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتَ الناسَ يَقْتَتِلون على الدنيا فاعْمِدْ بسيفك على أعظم صَخْرَة في الحَرَّةِ فاضربْه بها حتى يَنْكَسِرَ ثم اجلِسْ في بيتك حتى تأتيكَ يدٌ خَاطئةٌ أو مَنيةٌ قاضيةٌ » ففعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ .

٥٥٤ - * روى الطبراني عن ابن عبـاس أن النبي ﷺ أعطَى محمـد بن مسلمـةَ سيفًـا ، فقال : « قاتلِ المشركينَ ما قُوتِلُوا فـإذا رأيتَ سَيْفَيْنِ اخْتَلَفـا بين المسلمين فـاضربْ حتى يَنْثَلِمَ واقْعُدْ في بيتك حتى تأتيكَ مَنِيّةٌ قاضيةٌ أو يد خاطئةٌ » ثم أتيت ابنَ عمرَ فحذا لي على مثاله عن النبي ﷺ .

٥٥٥ - * روى الإمام أحمد عن أبي عِمْرانَ قال ؛ قلت لِجُنْدُبٍ : إني قـد بـايعت هؤلاء - يعني ابنَ الزبير - وإنهم يريـدونَ أن أخرجَ معهم إلى الشـام . فقـال : أمسـكْ . فقلت : إنهم يأبَوْن . قال : افْتَدِ بمالك . فقلت : إنهم يأبون إلا أن أَضْرِبَ معهم بالسيف . فقال جُنْدَبٌ : حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال : « يجيء المقتولُ بقاتله يومَ القيامةِ فيقول ياربِّ سَلْ هذا فيم قَتَلَني » قال شُعبة وأحسبه قـال : « على مـا قَتلتَـه ؟ فيقول قتلتُـه على مُلْكِ فلان » قال ؛ فقال جندب : فاتّقِها .

أقول :

ابن الزبير هو الخليفة الراشد ، والقتال معه كان هدًى وصوابًا إلا أن الأمر كان ملتبسًا ، ولذلك اعتبره جندب قتالاً على المُلْك وهو قتـال ينـأى المسلم عن المشـاركـة فيـه إلا لِمُلْحَـظٍ

---

٥٥٣ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

٥٥٤ - المعجم الكبير (١٢ / ٢٣٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٥٥ - مسند أحمد (٥ / ٣٦٧) .

المعجم الكبير (٢ / ١٦٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

ديني أخروي .

٥٥٦ - * روى مسلم عن عَرْفَجَــةَ رضي الله عنــه ؛ سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقـول : « ستكونُ هَناتٌ وَهَناتٌ ، فمن أراد أن يُفَرِّقَ أمر هذه الأُمَّة وهي جميعٌ ، فاضْرِبُوهُ بالسيف كائنًا من كان » .

وفي رواية [1] : « فاقْتُلُوه » .

وفي رواية أبي داود [2] : « وَهَنَاتٌ » مَرَّةً أخرى .

ورواه النســائي [3] ، ولــه في أخرى قـــال : رأيتُ النبي ﷺ على المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاس ، فقال : « إنَّها ستكونُ بعدي هَناتٌ وَهَناتٌ ، فمن رأيتموه فَارَقَ الجماعـة - او يريــد أن يُفَرِّقَ أُمَّـةَ محمـدٍ - كائنًـا من كان فـاقتُلـوه ، فـإن يَـدَ الله على الجماعة ،والشيطانُ مع مَنْ فَارق الجماعة يركُضُ » .

٥٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « يَهْلِكُ أُمَّتي هذا الْحَيُّ مِنْ قُرَيشٍ » . قالوا : فما تأمُرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو أن الناسَ اعْتَزَلُوهم ؟ » .

أقول : وذلك إذا تنافسوا على المُلْكِ للمُلْكِ .

٥٥٨ - * روى ابن مـاجـه عن عبـدِ اللهِ بنِ عمرَ قـال : أَقْبَـلَ عَلَينـا رَسُولُ اللهِ ﷺ ،

---

٥٥٦ - مسلم (٣ / ١٤٧٩) ٣٣ - كتاب الإمارة ١٤ - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع .

(١) مسلم :نفس الموضع .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٤٢) كتاب السنة - باب في قتل الخوارج .

(٣) النسـائي (٧ / ٩٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ٦ - باب قتل من فارق الجماعة .

(هَنات) : جمع هَنة ، وهي الخصلة من الشَّرّ ، ولا تقال في الخير .

قال ابن الأثير : (يد الله على الجماعة) : أي سكينته ورحمته مع القوم المتفقين المجتمعين .

(فإذا تفرقوا واختلفوا) : أزال السكينة عنهم وأوقَعَ بأسهم بينهم .

٥٥٧ - البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ - كتاب المناقب ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ١٧ - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

٥٥٨ - ابن ماجه (٢ / ١٣٣٢) ٣٦ - كتاب الفتن ٢٢ - باب العقوبات . =

فَقَـالَ : « يَـا مَعْشَرَ الْمُهَـاجِرِينَ ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُم بِهِنَّ ، وَأَعُـوذُ بِـاللهِ أَنْ تُـدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَـاحِشَـةُ فِي قَوْمٍ قَـطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَـا ، إِلا فَشَـا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا .

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَـالَ وَالْمِيزَان ؛ إِلا أُخِـذُوا بِـالسِّنِينَ وَشِـدَّةِ الْمَئُـونَـةِ وَجَـوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .

وَلَمْ يَمْنَعُـوا زَكَـاةَ أَمْـوَالِهِمْ ، إِلا مُنِعُـوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَـاء ، وَلَـوْلاَ الْبَهَـائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا .

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْـدَ رَسُـولِـهِ ، إِلا سَلَّـطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَـدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَـأَخَـذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

وَمَـا لَمْ تَحْكُم أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَـابِ اللهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّـا أَنْـزَلَ اللهُ ، إِلا جَعَـلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » .

٥٥٩ ـ * روى أبو داودَ عن المِقْدادِ بنِ الأسود رضي الله عنه ، قال : وايْمُ الله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن السعيـدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ » . قـالهـا ثـلاثـا « ولَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ » فَواهًا .

= قـال في الزوائد : هذا حديث صالح للعمل به .

والمستدرك (٤ / ٥٤٠) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(إذا ابتليتم) : على بنـاء المفعول : والجزاء محذوف . أي فـلا خير . أو : حـل بكم من أنواع العـذاب الـذي يـذكر بعده .

(وأعوذ بالله أن تدركوهن) : جملة معترضة .

(لم تظهر الفاحشة) : أي الزنا .

(بالسنين) : أي بالقحط .

(منعوا القطر) : أي المطر .

(عهد الله) : هو ما جرى بينهم وبين أهل الحرب .

٥٥٩ ـ أبو داود (٤ / ١٠٢) كتاب الفتـن ـ باب في النهي عن السعي في الفتنة . وإسناده صحيح .

(فواهًا) : واهًا كلمة يقولها المتأسف على الشيء والمتعجب منه

٥٦٠ ـ * روى أحمد عن أبي سِنان الدُّؤَلي أنه دَخَلَ على عُمَرَ بنِ الخطاب وعنده نفر من المهاجرين الأولين ، فأرسل عمر إلى سَفَطٍ أُتِيَ به من قَلعةٍ ، من العراقِ فكان فيه خَاتَمٌ فأخذَه بعضُ بنيه فأدخله في فيه ، فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر رضي الله عنه ، فقال له من عنده : لِمَ تبكِ وقد فتحَ الله عليكَ وأظهركَ على عَدُوِّك وأقرَّ عينك ؟ فقال عمرُ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تُفتَحُ الدنيا على أحد إلا أَلْقَى اللهُ عز وجل بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة » . وأنا أُشْفِقُ من ذلك .

٥٦١ ـ * روى مسلم عن حُذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه ، قال : كنا عند عمرَ فقال : أيكم سمِع رسولَ الله ﷺ يذكر الفِتَنَ ؟ فقال قوم : نحن سمعناه . فقال : لَعَلَّكم تَعْنُون فتنةَ الرجل في أهله وجاره ؟ قالوا : أجل . قال : تلك يُكَفِّرها الصلاةُ والصيامُ والصدقةُ ، ولكن أيُّكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تَموجُ مَوجَ البَحْرِ ؟ قال حذيفةُ : فأَسْكَتَ القومُ ، فقلت : أنا . قال : أنت ، لله أبوكَ . قال حذيفةُ : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عَودًا عَوْدًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتةٌ سوداءُ ؟ وأيُّ قلب أنكرها نُكِتَ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى تصير على قلبين : أبيضَ مثلِ الصَّفا ، فلا تَضُرُّه فِتنةٌ ، ما دامتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخر : أسود مُرْبادًّا ، كالكوزِ مُجَخِّيًا ، لا يعرِفُ معروفًا ، ولاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هواه » قال : وحدَّثته : أن بينك وبينها بابًا مُغْلَقًا ، يُوشِك أن يُكْسَرَ قال عمر :

---

٥٦٠ ـ مسند أحمد (١ / ١٦) .

كشف الأستار (٤ / ٢٣٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٦) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى في الكبير وإسناده حسن .

٥٦١ ـ مسلم (١ / ١٢٨) ١ ـ كتاب الإيمان ٦٥ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ... إلخ .

(كالحصير عَودًا عودًا) : قال الحميدي : في بعض الروايات « عَرْضَ الحصير » والمعنى فيها : أنه تحيط بالقلوب كالمحصور المحبوس ، يقال : حصره القوم : إذا أحاطوا به ، وضيَّقوا عليه . قال : وقال الليث : حصير الجَنْبِ : عِرْق يمتد معترضًا على الجَنْب إلى ناحية البطن ، شَبَّه إحاطتَها بالقلب بإحاطة هذا العرق بالبطن ، وقوله « عَوْدًا عَوْدًا » أي مرَّة بعد مرة ، تقول : عاد يعودُ عودَةً وعَوْدًا .

(أُشْرِبَها) : أُشْرِب القلب هذا الأمر : إذا دخل فيه وقبِلَهُ وسَكَنَ إليه ، كأنه قد شَرِبه .

(نُكِتَ فيه نكتة سوداء) : أي أثر فيه أثر أسود ، وهو دليل السخط ولذلك قال في حالة الرضا : نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير القلوب على قلبين ، أي على قسمين . =

أكثرًا ؟ لا أبالك ، فلو أنه فُتِحَ ؟ لعله كان يُعاد . قال : لا ، بل يُكْسَرُ . وحدثته أن ذلك الباب رجلٌ يُقْتَلُ أو يموت ، حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال ربعي : فقلت : يا أبا مالك ـ هو سعد بن طارق ـ ما أسودَ مِرباداً ؟ قال : شِدةُ البياضِ في سوادٍ . قلت : فما الكوزُ مُجَخِّيًا ؟ قال : منكوسًا .

قال النووي : قوله « فتنة الرجل في أهله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة » قال أهل اللغة : أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار . قال القاضي : ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء . قال أبو زيد : فتن الرجل يفتن فتونا إذا وقع في الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة ، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه عليهم وشغله بهم عن كثير من الخير كما قال تعالى : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا . فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة ، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ . وقوله (التي تموج كما يموج البحر) أي تضطرب ويدفع بعضها بعضًا ، و شبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها . وقوله (فأسكت القوم) هو بقطع الهمزة المفتوحة ، قال جمهور أهل اللغة : سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت . وقال الأصمعي : سكت صمت وأسكت أطرق . وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة وإنما حفظوا النوع الأول . وقوله : (لله أبوك) كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، ولهذا يقال : بيت الله وناقة الله . قال صاحب التحرير : فإذا وجد من الولد ما يحمد قيل له لله أبوك حيث أتى بمثلك . ا . هـ النووي .

قال النووي : أما الرجل الذي يقتل فقد جاء مبينًا في الصحيح أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقوله : « يقتل أو يموت » : يحتمل أن يكون حذيفة رضي الله عنه سمعه

= (مرباداً) : المِرْبادُّ والمُرْبَدُّ : الذي في لونه رُبْدة ، وهي بين السواد والغُبرة .

(كالكوز مجخيًا) : المُجَخِّي المائل عن الاستقامة والاعتدال ها هنا ، وجَخَّى الرجل في جلوسه : إذا جلس مستوفزًا ، وجَخَّى في صلاته : إذا جافَى عضديه عن جوفه ورفع جوفه عن الأرض وخَوى .

من النبي ﷺ هكذا على الشك والمراد به الإبهام على حذيفة وغيره ، ويحتمل أن يكون حذيفة علم أنه يقتل ولكنه كره أن يخاطب عمر رضي الله عنه بالقتل ، فإن عمر رضي الله عنه كان يعلم أنه هو الباب كما جاء مبينًا في الصحيح أن عمر كان يعلم من الباب كما يعلم أن قبل غد الليلة ، فأتى حذيفة رضي الله عنه بكلام يحصل منه الغرض ، مع أنه ليس إخبارًا لعمر بأنه يقتل . وأما قوله (حديثًا ليس بالأغاليط) فهي جمع أغلوطة وهي التي يغالط بها ، فمعناه حدثته حديثًا صدقًا محققًا ليس هو من صحف الكتابيين ولا من اجتهاد ذي رأي بل من حديث النبي ﷺ . والحاصل أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر رضي الله عنه ، وهو الباب فما دام حيا لا تدخل الفتن فإذا مات دخلت الفتن وكذا كان والله أعلم. اهـ النووي .

٥٦٢ - * روى مسلمٌ عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن عَرْشَ إبليسَ على البحر ، فَيَبعثُ سَرَاياه : فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ ، فأعظمُهم عندَه أعظمُهم فتنةً ، يَجيءُ أحدُهم ، فيقول : فعلتُ كذا وكذا . فيقول : ما صَنَعتَ شيئًا ، ثم يجيءُ أحدُهم ، فيقول : ما تركته حتى فَرَّقتُ بينَه وبين امرأته . فيُدْنيهِ منه ، ويلتزمُه ، يقول : نِعْمَ أنتَ » .

٥٦٣ - * روى الترمذيُّ عن أبي هريرَةَ : قال رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في آخرِ الزمان رجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بالدِّين ، يَلبسُون للناس جُلُودَ الضَّأنِ من اللِّين ، ألسِنَتُهمْ أحْلَى من العسل وقلُوبُهم قلُوبُ الذِّئاب ، يقول الله تعالى : أبي يَغْتَرُّونَ ، أم عليَّ يَجْتَرِئونَ ؟ فبي حَلَفْتُ ، لأبعَثَنَّ على أولئك منهم فِتْنَةً تَدَعُ الحليمَ حَيْرانَ » .

---

٥٦٢ - مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٦ - باب تحريش الشيطان ... إلخ .

قال النووي :

(العرش) : هو سرير الملك ، ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض .

(يلتزمه) : يضمه إلى نفسه ويعانقه .

(نعم أنت) : هي الموضوعة للمدح ، فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرادها .

٥٦٣ - الترمذي (٤ / ٦٠٤) ٣٧ - كتاب الزهد ٥٩ - باب حدثنا سويد ... إلخ .

وروايـة ابن عمرَ أَخْصَرُ من هـذه (١) ، قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « إن الله قـال : لقـد خلقتُ خلقًـا ألسنتُهم أحلَى من العسـل ، وقُلـوبهم أَمَرُّ من الصَّبْرِ ، في حَلَفْتُ ، لأُتِيحَنَّهم فتنةً تَدَعُ الحليمَ منهم حيرانَ ، فبي يَغْتَرونَ ، أم عليَّ يَجترئون ؟ » .

٥٦٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّهـا ستكُونُ بَعْـدِي أَثَرَةٌ وَأُمُور تُنكرُونَهـا » قـالوا : يـارسولَ الله ، كيف تأمرُ مَنْ أدْرَكَ ذلـك مِنّـا ؟ قـال : « تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الـذي عليكم ، وتَسـأَلُون اللهَ الـذي لكم » .

٥٦٥ ـ * روى الطبراني عن أبي ثَوْرٍ الحُدّاني ، قـال : دفعتُ إلى حـذيفـةَ وأبي مسعود في المسجد ، وأبو مسعود يقولُ : واللهِ ما كنتُ أرَى أن تزيد على عَقِبَيْها ولم يُهْرَقْ فيها مَحْجَمَةٌ من دمٍ . فقال حذيفةُ : لكن قد علمتُ أنها لَتزيدُ على عَقِبَيْهـا وأنـه يُهْراق فيهـا محجمـةٌ من دم ، إن الرجـلَ ليصبـحُ مـؤمنًـا ويمسي كافرًا ، ويمسي مـؤمنًـا ويصبـحُ كافرًا فَيَنْكَسُ قلبـهُ فتعلُوه اسْتُه ، يقـاتلُ في الفتنـةِ اليومَ ويقتُلُـه اللهُ غـدًا فقـال أبو مسعودٍ : صَدَقْتَ ، هكـذا حدثَنا رسول الله ﷺ في الفتنة .

أقول :

من هذا الحوار الذي جرى بين صحابيين ندرك أن الشيء الذي يتصور أنه لن يكون لـه عاقبة سيئة قد تكون له عواقب وخيمـة . فما حـدث بسبب مقتل عثمان رضي الله عنـه ترك آثاره في الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة ، وهذا يدعونا للتبصر في كل خطوة عـامـة وفي كل

---

(١) الترمذي في الموضع السابق . وقال : حسن غريب . وهو حديث حسن .

٥٦٤ ـ البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

ومسلم (٣ / ١٤٧٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ١٠ ـ باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول .

والترمذي (٤ / ٤٨٢) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٢٥ ـ باب في الأثرة وما جاء فيه . وقال : حسن صحيح .

(أَثَرَة) : الأَثَرَةُ : اسْمٌ ، من آثَرَ به يُؤْثِرُ إيثارًا : إذا سَمَحَ به لغيره وفضَّله على نفسه ، والمراد : إنكم ستجدون بعـدي قومًا يُفَضِّلُونَ أنفسهم عليكم في الفيء ونحوه .

٥٦٥ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٣) . وقال : رواه الطبراني ورجـالـه رجـال الصحيح غير أبي ثور وهو ثقـة . ا.هـ . وقـال في التقريب : مقبول .

موقف عام .

ولذلك وحتى يبقى راسخًا في الأذهان أنه لا عجب فيما نراه ولنتأنّى في مواقفنا العامة ختمنا الحديث عن الفتن بهذا الحديث والذي بعده .

٥٦٦ - * روى ابن ماجه عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقولُ : « لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلا بَلاءٌ وَفِتْنَةٌ » .

* * *

التعقيب

إن النصوص التي تتحدث عن الفتن كثيرة ، وهي تتحدث عن أنواع من الفتن ، وترسم للمسلم الطريق الأرقى لمواجهة كل نوع من الفتن ، وكثيرون من الناس لا يعرفون أن يضعوا النصوص في مواضعها ولا أن يحددوا الطريق فيما يواجههم من فتن ، وذلك أن بعض النصوص في الفتن تكاد تكون فتوى تنطبق على حالة فردية أو على مرحلة ، أو على توافر شروط قد لا يحسن الإنسان تقدير وجودها ، ثم إن النصوص الواردة في الفتن لابد أن تفهم على ضوء النصوص الأخرى التي تتحدث عن واجبات عينية أو كفائية لا يسع المسلم ولا المسلمين إلا أن يقيموها أو يعملوها بالقدر المتاح الممكن المناسب ، وعلى هذا فإنه لابد من تحديد الفتن وموقف المسلم منها : فهناك فتنة الكافرين للمسلمين في دينهم بالتعذيب فهذه يسع المسلم فيها أن يأخذ بالرخصة التي تنجيه ، والأفضل في حقه أن يصبر حتى يستشهد ، وهناك فتنة الكافرين للمسلمين من خلال الكينونة مع الكافرين بأن تسرى للمسلم أو لذريته أخلاق الكافرين ـ وفقهاء المسلمين قالوا : حيثما خاف المسلم على دينه أو على دين من يرعاهم فقد وجبت عليه الهجرة ، وفقهاء الحنفية يوجبون الهجرة من دار الحرب والبغي أو البدعة أو الردة في كل حال ، وفقهاء الشافعية يستحبون للمسلم أن يقيم في مثل هذه البلدان إذا كان بإمكانه أن يحافظ على دينه ودين أهله ، ويعتبرون إقامتهم عندئذ نوع جهاد ، لأنه حيث أقام توجد دار صغيرة للإسلام .

وهناك فتنة القلوب التي هي أثر عن وساوس الشيطان وهواجس النفس وسماع ما يفتن ومواجهة مواقف تفتن القلب ، فهذه حكم الإسلام فيها أن يجاهد الإنسان هذه الفتن وأن يردها قلبه .

وهناك الفتن التي يثيرها البغاة ضد الخليفة الراشد بغير حق ، فهذه ينبغي أن يكون المسلم فيها مع الخليفة الراشد ، وإذا استنفره لقتال استنفر ، وأما إذا خرج على الإمام الحق بالحق ، فإن على الإمام أن يرجع إلى الحق ، وعلى المسلمين واجب نصحه واعتزال القتال ،

---

٥٦٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣٣٩) ٣٦ ـ كتاب الفتن ٢٤ ـ باب شدة الزمان .

قال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

وههنا تكون موازنات تحتـاج إلى فتوى بصيرة من أهلهـا ، كأن يكون للإمـام اجتهـاد يعـذر به ، أو يكون البغاة يرفعون كلمة حق يراد بها بـاطل ، أو كان الخـارجون لو نجحوا تردَّت إلى مـا هو أسوأ إلى غير ذلـك من احتمالات تحتـاج إلى ترجيـح في المـوقف من خـلال فتـوى صحيحة من أهلها .

وهناك الفتنة التي يتعرض لها المسلم من إمام مسلم ظالم أو من سلطان مسلم ظالم ، فهـذه يجوز للمسلم فيها أن يصبر ويجوز أن ينصح ، وفي حـالـة ظلم الحـاكمين وفسوقهم ، فـإن كان بـالإمكان عزلهم دون أن يترتب على ذلـك شر أكبر من وجودهم فللمسلمين عزلهم ، وإلا جـاز لهم الصبر وندبوا إلى الأمر بالمعروف والنصيحة . وهناك الفتنة التي يسيطر فيهـا أهل الكفر على المسلمين ، فهذه يفترض فرضًا عينيًا على المسلمين أن يواجهوهـا إذا توافرت شروط ذلـك فـإن لم تتوافر الشروط لا يـأثم من لم يبـاشر القتـال ، وعلى المسلمين أن يعملـوا بـالـوسـائـل الصحيحة للخلاص من الكفر ، فإذا لم يجد المسلم إمكانية ولم يجد وسـائل صحيحـة توصل إلى المطلـوب ولم يكن بـإمكانـه أن يفعـل شيئًـا ، صح لـه أن يعتزل ، أمـا إذا وجـد المسلم من يتعاون معه على خير دون أن يترتب وقوع في إثم بسبب آخر غير التعـاون على الخير ، فـإن المطلوب منه أن يضع يده بيد المسلمين الذين يساعدون على إقامـة الخير ، ويفهم بعضهم من الأمر الـوارد في حـديث حـذيفـة « فـاعتزل تلـك الفرق كلهـا » على أن المراد بـه أن يعتزل العاملين بالحق ممن تنطبق عليهم أوصاف الطائفة المذكورة بـالنصوص ، وهـذا خطـأ كبير ، فالمراد اعتزال فرق الضلالة لا اعتزال أهل الحق فيد الله مع الجماعة .

وهناك الفتن التي هي أثر عن صراع بين مسلمين على حكم ، فهذه يتجنب المسلم خوضهـا إلا إذا أكره ، فنيته تشفع له عند الله .

وههنا قد توجد موازنات فقهية من أهلها ترجح شيئًا ، وعندئذ يسع المسلم أن تكون لـه مشاركة أو لا .

وهناك فتنة العصبيات التي لا يتبين فيها وجه الحق فهذه يعتزلها المسلم .

وهنـاك الفتنـة التي هي أثر عن فـوضى شـاملـة ، فهـذه يفر منهـا المسلم إذا استطـاع ، ويعتزلها ما أمكن ، ويهاجر إن تيسر له .

وهناك الابتلاءات التي يبتلي الله عز وجل بها عبده في الموقع الذي هو فيه ، مِن تعامل مع جار أو زوجة أو ولد أو زميل مهنة ، فهذه أدبه فيها إقامة حكم الله .

وهناك الفتنة التي هي أثر عن أمراض نفسية يكثر فيها القيل والقال ، وقد يصل فيها الأمر إلى قتال ، فهذه يعتزلها المسلم ويقبل على إخوانه الذين تجمعهم وإياه أخوة خالصة في الله ، وإن كان عالمًا أقبل على العلم والتعليم وتلقين الحكمة وتزكية الأنفس .

وهناك فتنة الدنيا التي تصرف المسلم عن الآخرة وأعمالها ، فواجب المسلم في هذا الشأن أن لا تصرفه الدنيا عن إقامة واجب ، وعليه أن يحدد عين بصيرته نحو الآخرة .

وعلى المسلم أن يلاحظ أن الفتن والموقف منها لا يصح أن يعطل به كتاب الله ، بل كتاب الله يحكم في الفتن وغيرها ، لذلك فقد مرت معنا رواية حذيفة عند أبي داود عن رسول الله ﷺ : أنه كرر عليه ثلاثًا قوله « تعلَّمْ كتاب الله ، واتبع ما فيه » فكتاب الله لم يترك قضية أصلية أو استثنائية إلا عرف المسلم على الحكم فيها ، قال تعالى : ﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء ﴾ [1] فالعمل بالكتاب لا يعطل في أي حال من الأحوال ، وإنما يكلف المسلم بالعمل قدر الاستطاعة : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴾ [2] فلا يصح بحجة الفتنة أو العزلة مثلا أن يعطل الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يستطيع ذلك ، ولا يصح بحجة الفتن أن يهمل المسلم تربية نفسه وتربية أهله وعياله ، ولا يصح بحجة الفتن أن يترك المسلم المطلوبات العينية منه ، ومن ذلك فروض العصر وفروض الوقت ما دام يستطيعُ شيئًا من ذلك .

والأمر منوط بالاستطاعة ، والاستطاعة تحددها الفتوى المبصرة من أهلها ، فما من حالة للإنسان إلا ولله فيها حكم يعرفه الراسخون في العلم .

وبهذا ننهي الباب الأول من هذا القسم ، قسم العقائد الإسلامية .

فإلى الباب الثاني وهو في الإيمان بالغيب .

* * *

---

(١) النحل : ٨٩ . (٢) البقرة : ٢٨٦ .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

* * *

سعيد حوّى

الأساس في السنة

وفقهها

المجلد الثاني

القسم الثاني

العقائد الإسلاميّة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

الباب الثاني

في:

الإيمان بالغيب

وفيه:

مقدمة وفصول

المقدمة

جعل اللهُ الإيمانَ بالغيب أولَ صفات المتقين ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يُؤمنُون بالغيب ﴾ (١) ، وأول ما يدخل في الإيمان بالغيب أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر » (٢) .

ولكن الإيمان بالغيب أوسع من ذلك ، فالغيب يطلق ويراد به ما يقابل الشهادة ، أي ما يقابل المحسوس فيدخل في ذلك : الملائكة والجن والجنة والنار ، وغير ذلك مما هو مغيب عنا وجاءت النصوص تحدثنا عنه ، والغيب يطلق أحيانًا ويراد به ما غاب عنا من أخبار الماضين وأخبرنا الوحي عنه ودليل ذلك قوله تعالى :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاء الغَيبِ نُوحِيهَا إليكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أنتَ ولا قومُك مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (٣) ، فقد جاءت هذه الآية في سياق قصة نوح عليه السلام ، وتطلق كلمة الغيب ويراد بها المستقبل ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيبِه أحدًا * إلا مَنِ ارتضى مِن رَسُولٍ ﴾ (٤) ، فهنا يدخل في كلمة الغيب ما غاب عن العباد من الحاضر والمستقبل وأخبر عنه الله عز وجل رسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لو كانوا يعلمون الغَيْبَ ما لَبِثُوا في العذابِ المُهِينِ ﴾ (٥) ، وعلى هذا فالإيمان بالغيب يدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور ماضية ومستقبلية ، ويدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور موجودة الآن وهي مغيبة عنا ، والإيمان بالغيب هو الفارق الأول والرئيسي بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، وهذا هو المقتضى الأول للشهادتين ، بل إن الشهادتين هما رمز الاعتراف بالغيب ، ولذلك كانت الشهادتان والإيمان بالغيب إجمالاً أوّلَ ما يطالب به المسلم ، على أنه إذا نظر في هذا المطلوب الأول فإن أول ما يدخل في الطلب هو معرفة الله ، وما تتطلبه ، لأن كل ما يأتي

---

(١) البقرة : ٢ ، ٣ .

(٢) البخاري (١ / ١١٤) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٧ ـ باب سؤال النبي ﷺ ... إلخ عن أبي هريرة بلفظ مغاير . ومسلم في أول صحيحه ، من حديث عمر بلفظه .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) سبأ : ١٤ .

بعد ذلك من إيمان بغيب إلى غيره مبني على معرفة الله .

* * *

إن الإيمان بالغيب هو ركن التقوى ، وأركان هذا الركن أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل الصحيح ، وقد نصت على خمسة منها أكثر من آية ، من ذلك ﴿ ليس البر ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ [1] ، ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [2] ، ﴿ يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذي أَنْزَلَ من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدًا ﴾ [3] ، وإنما لم يُذْكَر الإيمان بالقدر معها لأنه فرع الإيمان بالله عز وجل كما سنرى ، لكنه ذكر في القرآن في أكثر من مكان وفي نصوص السنة متواترًا .

والفصول التي سنذكرها هٰهنا تشمل أركان الإيمان الستة وتشمل بعض ما غاب عن العباد ، وتشمل بعض ما أخبرنا الله عز وجل عنه من أمور سابقة أو لاحقة أو بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أمور سابقة أو لاحقة ، كما سنذكر فصلاً عن القصص التي قصها علينا رسول الله ﷺ لأنها من الغيب ، والإيمان بها جزء من الإيمان بالغيب .

ولقد فصَّل القرآنُ في أمر الغيب تفصيلاً كثيرًا ، ولذلك فإن قارئ القرآن يجد أمر الغيب واضحًا ، فالحديث عن الله والرسل واليوم الآخر والقدر والجن والموت والخلق كل ذلك نجده مفصلاً في القرآن الكريم ، ومن ثم فإن عرضنا لأبحاث الغيب هٰهنا سيكون مختصرًا ؛ لأن غايتَنا في هذا الكتاب عرضُ السُّنة مع ملاحظة أن روايات السنة المتعلقة بهذه الأمور تأتي في سياقات أبحاث أخرى كالذكر والدعاء ؛ ولذلك فسنذكر في كل فصل من فصول هذا الباب الروايات التي هي ألصق بموضوعه تاركين كثيرًا من الروايات لمحلها في سياقاتها .

ويشمل هذا الباب الفصول التالية :

---

(١) البقرة : ١٧٧ .
(٢) البقرة : ٢٨٥ .
(٣) النساء : ١٣٦ .

فصول الباب الثاني

الفصل الأول : في بَدء الخلق .

الفصل الثاني : في معرفة الله والإيمان به .

الفصل الثالث : في الإيمان بالقدر .

الفصل الرابع : في الإيمان بالملائكة .

الفصل الخامس : في الجن والشياطين .

الفصل السادس : في الإيمان بالكتب .

الفصل السابع : في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

الفصل الثامن : في القصص النبوي .

الفصل التاسع : في الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الأول

في:

بَدْءِ الخلق

وفيه:

مقدمة ونصوص وتلخيص

المقدمة

في بَدْء الخلق جانب غيبي سواء في ذلك أصل نشأة الكون ، أو نشأة الحياة على الأرض ، أو نشأة الإنسان عليها ، أو نشأة بعض المخلوقات الأخرى ؛ لأن ذلك لم يشهده الإنسان ، ولأن الله عز وجل أخبرنا عن بعض ذلك أو حدثنا عنه رسول الله ﷺ ، وهو شيء لم نشهده فدخل في حيز الكلام عن الغيب ، هذا مع ملاحظة أن الفكر المجرد يستطيع الوصولَ إلى أن هذا الكونَ مخلوقٌ وأن الحياةَ مخلوقةٌ .

* * *

ولعل أهم جانب من جوانب الصراع الفكري بين الملحدين والمؤمنين هو إثبات الخلق ، فأزلية الكون وإمكانية نشأة الحياة مصادفة هما المرتكزان الرئيسيان للفكر الإلحادي ، مع أنه حتى في حالة أن المسالة كذلك - وذلك مستحيل عقلي - فإن الأدلة على وجود الله لا تنحصر في هذا وهذا .

* * *

وقد لفت القرآن نظر العقل البشري كثيرًا إلى بَدْء الخلق وأصل النشأة للوصول إلى الإيمان لاستقرار العلاقة بينهما في الفطرة :

﴿ **أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده** ﴾ (١) .

﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾ (٢) .

﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء** ﴾ (٣) .

﴿ **خلق الإنسان** ﴾ (٤) .

﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (٥) .

---

(١) العنكبوت : ١٩ .
(٢) العنكبوت : ٢٠ .
(٣) الأعراف : ١٨٥ .
(٤) الرحمن : ٣ .
(٥) الرحمن : ١٤ ، ١٥ .

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (١) .

﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (٢) .

ولوجود ناس يمارون بالبدهيات ويناقشون بالمحسوسات فضلاً عن المغيبات ، وللنزعة الإلحادية في إنكار خلق الله المخلوقات ، وهو شيء أخذ أكثر أبعاده في النظرية الماركسية ، ولغير ذلك من الحكم ، قال الله عز وجل وهو أعلم بما كان ويكون :

﴿ ما أشهدتُهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدًا ﴾ (٣) .

﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾(٤).

* * *

إن من أهم قوانين العقل السببية ، ومن أهم قوانين المادة عدم انفصالها عن الحركة والطاقة والتغير ، والملحدون ينقضون هذا وهذا وهم يزعمون أنهم عقلانيون ، وقد فصّلنا في هذه الأبحاث في كتابنا « الله جلّ جلاله » .

والنصوص قطعية في أن كل ما سوى الله عز وجل مخلوق ، فليس أزليًا إلا الله عز وجل ، فهو الأول . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (٥) : « كان اللهُ ولم يكن قبله شيءٌ » ، وفي حديث آخر (٦) : « أنت الأول فليس قبلك شيءٌ » ، ويكفي قوله تعالى : ﴿ هو الأول ﴾ (٧) ومحض العقل يوصل إلى ذلك بشكل قطعي ، ومما قاله تعالى في شأن الخلق : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشُه على الماء ﴾ (٨)

---

(١) الأنبياء : ٣٠ . (٢) الأنعام : ١ .
(٣) الكهف : ٥١ . (٤) الطور : ٣٥ ، ٣٦ .
(٥) البخاري (١٣ / ٤٠٣) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ٢٢ ـ باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .
(٦) مسلم (٤ / ٢٠٨٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر ١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وعند المضجع .
(٧) الحديد : ٣ . (٨) هود : ٧ .

وليس عندنا نصوص تُفصّل كيف كان عرشه على الماء ، لكن من المعروف أن ذرة الهيدروجين التي تشكل أحد عنصري الماء (الأوكسجين والهيدروجين) هي أصل الذرات جميعًا فبروتونها واحد وإلكترونها واحد والعناصر ما هي إلا توضعات الإلكترونات والبروتونات في كل عنصر بشكل يختلف عنه في العنصر الآخر .

والظاهر من النصوص أنه قد تم خلق العرش ـ وهو مخلوق غيبي ـ وتم خلق أصل المادة وهو الماء ثم انفصلت المادةُ عن بعضها : ﴿ **أولم يرَ الذين كفروا أن السمواتِ والأرضَ كانتا رتقًا ففتقناهما** ﴾ (١) فهذه المجرات والأجرام كلُّها وجدت في هذه المرحلة ، ثم بعد ذلك في مرحلة لاحقة وجدت الأرض المحسوسة والسموات السبع المغيبة : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين ۝ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ۝ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين** ﴾ (٢) فالأرض خلقت قبل السموات السبع المغيبة عنا وهي والسموات السبع وجدتا بعد أن انفصلت المادة عن بعضها وعلى هذا نفهم قوله تعالى : ﴿ **أأنتم أشدُّ خلقًا أم السماء بناها ۝ رفع سمكها فسواها ۝ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ۝ والأرض بعد ذلك دحاها ۝أخرج منها ماءها ومرعاها ۝ والجبال أرساها ۝ متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ (٣) . فالأرض خلقت بعد السماء ، والسموات السبع خلقت بعد الأرض ، ويوم القيامة يعاد الكون كتلة واحدة كما كان : ﴿ **يوم نطوي السماءَ كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ (٤) . وهذا الفهم للنصوص فهم غير متكلَّف وما سواه فهم متكلَّف ، وهو الذي ينسجم مع استقراءات علماء الكون فالظاهر أن تكوّن الأرض على ما هي عليه مسبوق بأشياء أخرى وقد بسطنا هذا الموضوع في التفسير .

وأما نشأة الحياة على الأرض فيبدو أنها متقدمة كثيرًا على نزول أبينا آدم عليه السلام فلقد قالت الملائكة لله عز وجل بعد أن أعلمهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة : ﴿ **أتجعل**

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .
(٢) فصلت : ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٣) النازعات : ٢٧ ـ ٣٣ .
(٤) الأنبياء : ١٠٤ .

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [١] مما يوحي أنهم شاهدوا إفسادًا في الأرض وسفك دماء من قبل ، وقد يكون هذا هو التفسير لرؤية نماذج قديمة لأنواع من الإنسان غير إنساننا الحالي ، وذكر الغراب في قصة ابني آدم هابيل وقابيل تحتمل أن يكون وجود الغراب سابقًا على وجود آدم عليه السلام وفي حديث عند مسلم وأحمد [٢] « ... وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة ... » ، وهذا يدل على أن خلق الدواب سبق خلق آدم عليه السلام وإنما اضطررنا للتعرض لهذه المعاني ملاحظين معارف عصرنا لتكون هذه المعارف نقاط علّام للباحث وحججًا بيد الدارس المختص ، وردًّا على أنواع من المختصين قد يثيرون تساؤلات . ولننتقل إلى عرض بعض نصوص السنة التي لها علاقة بالخلق:

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٠ ـ باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام . ومسند أحمد (٢ / ٣٢٧) .

النصوص

٥٦٧ - * روى البخاري عن طارق بن شهاب قال : سمعت عمرَ بنَ الخطاب يقول : قَام فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً ، فَأخبرَنَا عَنْ بَدْءِ الخلق ، حتى دَخَلَ أهلُ الجنةِ مَنازِلَهم ، وأهلُ النَّار منازِلَهم ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حفظَهُ وَنسيَهُ من نَسِيَهُ .

قال الحافظ في الفتح : قوله : حتى دخل أهل الجنة ... هي غاية قوله : أخبرنا ، أي : أخبرنا عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ، ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفنى ، إلى أن تبعث ، فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد ، وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم .

٥٦٨ - * روى البخاري عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يارسول الله : جئنا لنَتَفَقَّهَ في الدِّين ، ولِنسألَك عن أوَّلِ هذَا الأمرِ : ماكان ؟ قال : « كان اللَّهُ ولم يكن شيء قَبلَهُ وكان عَرْشُهُ على الماء . ثم خَلَقَ السمواتِ والأرضَ ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيء » .

أقول : من مباحث العلماء : هل العرش خلق قبل الماء ؟ أو الماء خلق قبل العرش ؟ وماتفسير بعض النصوص التي تذكر أن شيئاً ما خلق أولاً سوى العرش والماء ؟ وقد ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث فقال :

قوله : (كان الله ولم يكن شيءٌ غيره) في الرواية الآتية في التوحيد « ولم يكن شيء قبله » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل « أنت الأول فليس قبلك شيء » لكن رواية الباب أصرح في العدم ، وفيه دلالة على أنه لم يكن

---

٥٦٧ - البخاري (٦ / ٢٨٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

٥٦٨ - البخاري (١٣ / ٤٠٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٢ - باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .

شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى ، ويكون قوله « وكان عرشه على الماء » معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء ، وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ « كان عرشه على الماء ثم خلق القلم » فقال : اكتب ماهو كائن ، ثم خلق السموات والأرض ومافيهن » فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش . **قوله** (وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو ، ووقع في الرواية التي في التوحيد « ثم خلق السموات والأرض » ، ولم يقع بلفظ « ثم » إلا في ذكر خلق السموات والأرض . وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وهذا الحديث يؤيد رواية من روى « ثم خلق السموات والأرض » باللفظ الدال على الترتيب . (تنبيه) : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كان اللهُ ولا شيء معه ، وهو الآن على ماعليه كان » ، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية ، وهو مُسلَّمٌ في قوله « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « ولا شيء معه » فراوية الباب بلفظ « ولا شيء غيره » بمعناها . ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور « كان الله لا شيءُ غيره » بغير واو . **قوله** (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي : هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء ، ولم يعارضه في الأولية ، لكن أشار بقوله « وكان عرشه على الماء » إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض ، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء . ومحصل الحديث أن مطلق قوله « وكان عرشه على الماء » مقيد بقوله « ولم يكن شيء غيره » والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم . وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً « إن الماء خُلِقَ قبل العرش » وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة « إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء » وأما مارواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أولُ ماخلق اللهُ القلمُ ، ثم قال اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » فيجمع بينه وبين ماقبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ماعدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة ، أي أنه قيل له اكتب أول ماخلق ، وأما حديث « أول

مـاخلق الله العقل » فليس لـه طريق ثبت ، وعلى تقـدير ثبوتـه فهـذا التقـدير الأخير هـو تأويله والله أعلم . وحكى أبو العلاء الهمـداني أن للعلمـاء قولين في أيها خلق أولاً : العرش أو القلم ؟ قال : والأكثر على سبق خلق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعـه الثـاني ، وروى ابن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يَخْلُقَ الخَلْقَ وهو على العرش : اكتب ، فقال ومـاأكتب ؟ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة . ذكره في تفسير سورة سبحان ، وليس فيـه سبق خلق القلم على العرش ، بل فيـه سبق العرش ... قـولـه (وكتب) أي قـدر (في الـذكر) أي في محل الـذكر أي في اللوح المحفوظ (كل شيء) أي من الكائنـات ، وفي الحـديث جواز السؤال عن مبـدأ الأشيـاء والبحث عن ذلـك وجواز جواب العـالم بمـا يستحضره من ذلـك ، وعليـه الكف إن خشي على السائل مايدخل على معتقده . وفيه أن جنس الزمان ونوعـه حـادث ، وأن الله أوجـد هـذه المخلوقـات بعـد أن لم تكن ، لا عن عجـز عن ذلـك بـل مـع القـدرة . واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هـذه القصـة أن الكلام في أصول الـدين وحـدوث العالم مستمران في ذريتهم حتى ظهر ذلـك منهم في أبي الحسن الأشعري ، أشـار إلى ذلـك ابن عساكر » ا . هـ قول ابن حجر .

أقول : دل هذا الحديث على أن الكلام عن أصل النشأة من الفقه في الـدين ، فلقـد كان الحديث إجابة على كلامهم : جئنا لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ماكان ؟

وقد رأينا من خلال تحقيق ابن حجر أن العلماء مختلفون على قولين : في أيها كان أولاً ، الماء أو العرش ؟ ولا يترتب على هذا الاختلاف عمل .

٥٦٩ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : أخـذ رسول الله ﷺ بيـدي ، فقـال : « خَلَقَ الله التربـة يوم السبت ، وخَلَقَ فيهـا الجِبَـالَ يومَ الأحـدِ ، وخَلَـقَ الشَّجَرَ يومَ الإثنين ، وخلقَ المَكرُوهَ يومَ الثُّلاثـاء ، وخلق النُّـورَ يـوم الأربعـاء ، وبثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميس ، وخلق آدَمَ بعـدَ العصرِ يومَ الجُمعَـة في آخرِ الخلق

---

٥٦٩ ـ مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . ١ ـ باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام .
وأحمد (٢ / ٣٢٧) . والنسائي في التفسير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وآخرِ ساعةٍ من النَّهارِ ، فيا بين العصر إلى اللَّيلِ » .

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ ابن كثير بعد إيراده : ٦ / ٦٩ وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم فيه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً ، وقد حرر ذلك البيهقي ، وقال ابن كثير أيضاً : ٣ / ٤٨٨ وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال : ﴿ في ستة أيام ﴾ ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً . وقال أيضاً ٧ / ٣٢٦ : وهو من غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في « التاريخ » فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن كعب الأحبار ، وهو الأصح . وقال المناوي في « فيض القدير » : وقال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض ومافيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن ، لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام ، ثم خلقت السموات في يومين ، وقد سكت عن الحديث النووي في شرح مسلم ، وممن صحح الحديث ، الشوكاني في « فتح القدير » وقد تكلم عليه العلماء من جهة متنه ، ورأوا أنه معارض للقرآن ، ومن صححه كالشوكاني وغيره ، رأوا أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن ، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها في يومين ، والحديث إنما بين أن الله تعالى خلق مافي الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل عند بعض من صححه أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السموات والأرض ، وحينئذ لا تكون معارضة ، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها ، والله تعالى أعلم » ا . هـ .

أقول : من المتعارف عليه عند علماء الطبيعة في عصرنا أن الأرض في ابتداء أمرها كانت كتلة نارية ثم أخذت تبرد فظهرت قشرتها شيئاً فشيئاً ، وعلى هذا فأولُ شيءٍ وُجِدَ التربةُ وبدأت التفاعلات الداخلية والجوية تفعل فعلها فكانت التضاريس والبحار ، فتسلسل الأحوال على الأرض بعد خلقها يصدق مافي الرواية سواء كانت هدياً نبوياً أو من روايات

كعب الأحبار . ولكن هل المراد في الرواية أيام كأيامنا متتابعة متعاقبة ، أو كأيامنا وبأسمائها غير متتابعة ولكن متعاقبة ؟ معارف العصر تؤكد الثاني .

وعلى هذا التأويل للحديث ، وعلى فرض صحته فإن قوله تعالى في سورة فصلت [١٠] : ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها** ﴾ يكون محمولاً على أن الله تعالى قد جعل فيها ذلك حكماً وقد أظهر ذلك فيما بعد .

٥٧٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام ، وطُولُهُ ستُّونَ ذراعاً ، ثم قال : اذْهَبْ فَسَلِّم على أُولَئِكَ ــ نَفَرٍ منَ الملائكة ــ فاسْتَمِعْ مايُحيُّونَكَ ، فإنَّها تَحيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ . فقال : السلامُ عليكم ، فقالوا : السلامُ عليكَ ورحمةُ الله ، فَزَادُوهُ : وَرَحمةُ اللهِ . فَكلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة على صُورَةِ آدَمَ » . قال : « فَلَم يَزَل الخَلْقُ يَنقُصُ حتى الآن » .

وفي رواية (١) « خلق آدَمَ على صورَتِهِ » .

قال محقق الجامع

الضمير في « صورته » : يعود إلى آدم ، كما بينته الرواية الأخرى قبل هذه .

أقول : هل كان طول آدم عندما أهبط إلى الأرض ستين ذراعاً ، أو أن ذلك كان طوله وهو في السماء فلما أهبط إلى الأرض نقص طوله ثم تناقص الخلق بعد ذلك ، أو أنه هبط إلى الأرض بهذا الطول ثم تناقص طول ذريته شيئاً فشيئاً ؟ الظاهر : الثاني . والحفريات تثبت أن الإنسان كان أكبر حجماً منه الآن وكان يعيش في العادة فترة أطول . والقياس العقلي يقتضي ذلك :

---

٥٧٠ ـ البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ١ ـ باب خلق آدم وذريته .
مسلم (٤ / ٢١٨٣) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١١ ـ باب يدخل الجنة أقوام ، أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فالأمراض الحالية والمؤثرات على الأحياء والأعصاب بعد تعقيد الحياة البشرية أصبحت أكثر مما كانت عليه ، وليس مع النصوص كلام لأحد عند أهل الإيمان واليقين ، فأهل اليقين يكفيهم هذا الحديث ويكفيهم قوله تعالى عن نوح : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ (١) .

ولقد جاءت الحفريات لتزيل الغشاوة عن أبصار الشاكّين . فقد ذكر الدكتور حسن زينو وهو اختصاصي جيولوچي في كتابه « التطور والإنسان » مايلي :

إنسان هايدلبرغ

ـ تقع قرية ماور Mauer على بعد ١٠ كلم جنوب غرب هايدلبرغ ، وتتألف المنطقة من الترياسي المغطى أحياناً بدثار من البليستوسين وبالرمال النهرية القديمة لنهر نكار . وقد عثر في مقلع في هذه الرمال عام ١٩٠٧ م على الفك السفلي على عمق ٢٤ م تحت سطح الأرض . وتحوي هذه الرمال على كثير من قواقع الرخويات البرية والنهرية وتشير إلى مناخ أكثر قارية من الآن . وتشمل الثدييات الفيل القديم Elephas antiqus والكركدن Rhinoceros ctruscus وحصاناً انتقالياً بين الحصان البليوسيني Eqws Stenosis والحصان الحالي Eqws cuballus وخنزيراً برياً وأيلا ويحموراً ونوعاً من الوعل وبيزوناً ودببن مشابهين للدب البليوسيني وكلباً وأسداً وهرة وحشية وقندساً . وتعود هذه الحيوانات إلى البليستوسين السفلي ويعتقد أنه يرتبط بالزمن الدافىء الأول بين تجلد فونتس وميندل . فكه كبير وتاجه عريض وليس له بروز ذقني وفمه إنساني وأسنانه أكبر من الإنسان الحالي ، ويوجد اليوم في جامعة هايدلبرغ وقد أطلق عليه شوتنساك O. Schoetensack اسم إنسان هايدلبرغ Homo Heidelbergensis .

ـ عثر كونيفسفالد Von Koenigswald من صيدليات الصين في هونغ كونغ بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ م على ثلاث أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أورانج وستفودون stefodon وتابير Tapir أحد هذه الأسنان البشرية كبير بحيث ينبغي أن يكون فكه

---

(١) العنكبوت : ١٤ .

أكبر بمرتين من فك الأورانج الحالي ، حجم هذا السن ضعف أسنان الغوريلا وست أمثال الإنسان الحالي .

- قرر فايدنرايش Wiedenreich أنه سن بشري... .

... وقد تخيل فايدنرايش شجرة السلالة فافترض أن الإنسان العملاق هذا قد هاجر إلى جاوة ونشأ منه الإنسان الكبير Meganthropus .

... فالإنسان تسلسل إذاً من أشكال عملاقة ذات جمجمة شديدة وبذا تميز تطورنا بالنقص التدريجي في الطول .

الإنسان الكبير

أعلن كونيفسفالد عام ١٩٤١ م عن اكتشافه لقطعة من الفك السفلي في طبقات جتيس في جاوة وهي بشرية وفيها سنان ماقبل الرحويان والرحى الأول وقد درسه بعد ذلك :
F. Weidenreich - Giant early Man from Java and South China (Anthrop. Papers of the American Museum of Natural History, xl, n.1, . 1945).

وتختلف القطعة عن ما عداها بقياساتها الكبيرة إذ يبلغ محيطها في مستوى الحفرة الذقنية ١٣١ مم ، في حين لا يتجاوز ذلك في الغوريلا ١١٥ مم وفي الإنسان الصيني وإنسان النياندرتال ٨٠ مم . وكذلك فإن أبعاد الأسنان كبيرة وشكلها بشرية ولا تشابه أي سنجاب بالإضافة إلى غياب الذقن والشكل المتراجع للوراء للقسم المتقدم من الفك ، ومما صدم كونيفسفالد المحافظ الزائدة الصغيرة المسماة عقدة العبقرة tuberculum geniale في الجانب الداخلي للذقن فكان لدى الإنسان ما يلزم لتحرك اللسان كما في إنسان موجو كرتو وفك هايدلبرغ . وقد أطلق عليها كونيفسفالد اسم الإنسان الكبير الجاوي القديم Meganthropus palaeojavanicus .

ووجد لارسن K. larsen عام ١٩٣٩ م في أفريقيا الشرقية بقايا فك ذي أسنان كبيرة

جداً لكنها إنسانية وقد وصفها فاينرت Weinert عام ١٩٥٠ م ووازنها مع الإنسان الكبير من جاوة حسب كونيفسفالد .

ووجد في سوارتكرانس Swartkrans عام ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ م شبه الإنسان الكبير الأسنان Paranthropus crassidens وقد عثر أولا على فكوك ذات أسنان عملاقة ومقاييسها مثل عملاق جاوة حسب كونيفسفالد . ثم عثر على بقايا جمجمة تدل على عضلات مضغ كبيرة . ا . هـ .

وقد ذكر عباس محمود العقاد في كتابه : « إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام » ما يلي :

« وفي متحف أشمول بانجلترا أسماء الأسر التي حكمت بابل من بعد الطوفان إلى أيام سراجون ، وقد جاء في الألواح التي حفظت أسماءها أن الأسرة الأولى تولى منها الملك ثلاثة وعشرون ملكاً وكانت مدة حكمهم جميعًا أربعة وعشرين ألف سنة وخمسمائة وعشر سنوات» ا.هـ.

أقول : دلت كلمة الدكتور زينو على أن الإنسان كان في مرحلة أضخم منه الآن ، ودلت كلمة العقاد على أن الناس كانوا يعمرون في الماضي كثيراً ، وفي الحديث الشريف الذي مر معنا رد لمزاعم التطوريين : إن الإنسان تطور عن مخلوقات أخرى .

وقد شرح هذا الحديث ابن حجر في الفتح وكان من كلامه :

... « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً » كذا وقع من هذا الوجه ، وعبد الله الراوي عن معمر هو ابن المبارك ، وقد رواه عبد الرزاق عن معمر فقال « خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً » ... والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويًّا من أول ما نفخ فيه الروح ، ثم عقب ذلك بقوله « وطوله ستون ذراعًا » فعاد الضمير أيضًا على آدم ، وقيل معنى قوله « على صورته » أي لم يشاركه في خلقه أحد ، إبطالاً لقول أهل الطبائع . وخص بالذكر تنبيها بالأعلى على الأدنى ، والله أعلم ...

... وروى ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعاً « إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق » . قوله (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي

إن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله ، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . وقال ابن التين : قوله « فلم يزل الخلق ينقص » أي كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين ، فكذلك هذا الحكم في النقص ... ا . هـ .

أقول :

إن كثيرين من الناس يأخذون عن أسفار اليهود تاريخ وجود الإنسان على هذه الأرض ، وهي كتب محرفة فيها أغاليط كثيرة ، والحفريات الحديثة أثبتت أن النوع الإنساني أقدم بكثير مما ذكرته هذه الأسفار ، ونصوص الإسلام ساكتة في هذا الشأن .

فالتحقيق العلمي في هذه الحالة معتبر ، ومع اعتراضنا على أسفار اليهود في ذكر عمر الإنسان فإننا نعترض على التطوريين الذين يجعلون إنساننا الحالي وليدَ تطورٍ عن أنواع من الإنسان أخرى ، ونحن إذ ننكر هذا لا نعترض على وجود مخلوقات شبه إنسانية سبقت أبانا آدم ، فليس في نصوص الإسلام ما يمنع ، بل في كلام بعض الإسلاميين ما يؤيده ، فلقد نقل صاحب السيرة الحلبية شيئاً من ذلك عن بعض المتصوفة : إن آدمنا سبق بآباء كُثُر لأنواع من الإنسان . والمنقول عن بعض أئمة الشيعة أنهم يقولون بمثل ذلك ، ولكن المسلمين مجمعون ــ إلا مَن لا يُعتَد بقوله ــ على أن أبانا آدم خلق خلقاً مباشراً من الله عز وجل .

٥٧١ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لما صَوَّرَ اللهُ عزَّ وجل آدَمَ في الجنة تَرَكَهُ مَاشَاءَ أنْ يَتْرُكَهُ ، فَجَعَلَ إبليسُ يُطِيفُ به ، ويَنظُرُ إليه ، فلما رآه أجوَفَ عَرَف أنَّه خَلْقٌ لا يتمالك » .

٥٧٢ ـ * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : سمعتَ رسولَ الله

٥٧١ ـ مسلم (٤ / ٢٠١٦) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ، ٣١ ـ باب خلق الإنسان خلقًا لايتمالك .

وأحمد : (٣ / ٢٢٩) .

(يُطيفُ بِهِ) أطاف بالشيء : إذا دارَ به وأحاطَ بجوانبه .

(أجوَفُ لا يَتَمالكُ) شيء أجوَف : خالٍ ، وإذا وُصِفَ الإنسانُ بالخفة والطَّيش قيل : لا يتمالك ولا يتماسك .

٥٧٢ ـ أحمد (٤ / ٤٠٦) .

والترمذي (٥ / ٢٠٤) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٣ ـ باب « ومن سورة البقرة » .

ﷺ يقول : « إنَّ الله تباركَ وتعالى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قبضَةٍ قَبضهـا مِنْ جميع الأرضِ ، فجاءَ بنو آدَمَ على قـدر الأرض ، منهم الأحْمَرُ ، والأبيَضُ والأسوَدُ ، وبين ذلـك ، والسَّهلُ والحَزْنُ ، والخَبيث والطَّيِّبُ » .

أقول مؤكدًا ما مرَّ سابقًا :

إن نصوص الكتاب والسنة واضحة وقطعية في أن آدم عليـه الصلاة والسلام خلق ابتـداءً بقدرة الله ، فما يقال عن نشـأة الإنسـان التطوريـة وأنـه نتـاج قفزات تطوريـة حـدثت في الأحياء غير صحيح . فآدم خلق على صورته التي فطره الله عليها ابتـداء دون واسطـة ودون تسلسل ، أمـا التعليل لوجود سلم ارتقـاء للمخلـوقـات واحتمالات أن تكـون بعض المخلـوقـات تولدت عن بعض ، ووجود مخلوقات شبيهة بإنساننا الحالي وتعتبر أسبق منه بالوجود فـذلـك كله له تعليلاته والبحث فيه مفتوح . قال تعالى :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ [1] .

﴿ أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ... ﴾ [2] .

﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكَّرون ﴾ [3] .

إن وجود سلم ارتقاء ليس غريباً على قدرة الله عز وجل وذلك من مظـاهر حكمتـه جل جلاله ، سواء كان ذلك من خلال الخلق المباشر أو من خلال توالـد وقفزات قـديمـة ، إلا أن أبانا آدم خلق ابتداءً على صورته ، وكان ذلـك بـالخلق المبـاشر من الله عز وجل ، ولكن أن تكون هناك مخلوقات تشبـه إنسـاننـا الحـالي فـذلـك يتفق مع اتجـاهـات مـذكورة في كتب الإسلاميين قديماً تقول : إن آدمنـا عليـه السلام ليس هو أول آدم وجـد على الأرض ، ولكن هذا لا يعني أن آدمنا هو ولادة من إنسان آخر . فالنصوص قطعية في ذلك ، ومن عرف أن

= وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

وأبو داود (٤ / ٢٢٢) كتاب السنة ـ باب في القدر .

(١) العنكبوت : ٢٠ .

(٢) العنكبوت : ١٩ .

(٣) الواقعة : ٦٢ .

هـذا الكون كلـه مخلوق بقـدرة الله لا يستنكر على قـدرة الله أن تخلقَ آدم ابتـداءً ، والـذين يشكون في ذلك عليهم أن يراجعوا أصل إيمانهم .

٥٧٣ ـ * روى مسلم عن عـائشـة رضي الله عنهـا ، قـالت : قـال رسـولُ الله ﷺ : « خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ ، وخُلِقَ الجَانُّ من مارج من نَارٍ ، وخُلِقَ آدَمُ مما وُصِفَ لكم » .

٥٧٤ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « لولا بنو إسرائيلَ لَم يَخْنَزِ اللحمُ » وفي روايـة « لم يَخْبُثِ اللحمُ » ـ « ولولا حَوَّاءُ : لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدهرَ » .

أقول :

الظاهر من الحديث أنه قبل أن يخزن بنو إسرائيل اللحم عنـدمـا كانوا في التيـه لم يكن اللحم يخنز ، بمعنى أن الجراثيم والبكتيريـات المؤثرة في ذلـك لم تكن مـوجـودة أو لم تكن مسلطـة على اللحم ، فلمـا فعل بنو إسرائيـل ذلـك عـوقبـوا كما تعـاقب الأقـوام المبتعـدة عن الفطرة بمزيـد من الأمراض كلمـا زاد البعـد عن الفطرة . ولعـل عـدم تـأثر جثث الفراعنـة القدماء التي وصلتنا محنطة أنها وضعت في توابيتها وحنطت قبل هذا التسليط على اللحم .

٥٧٥ ـ * روى البزار عن أبي مـوسى رفعـه ، قـال : « لمـا أخرجَ اللهُ آدمَ من الجنـة زَوَّدَه من ثمار الجنةِ وعلمه صنعةَ كلِّ شيء فثمارُكم هذه من ثمـار الجنـة غير أن هـذه

---

٥٧٣ ـ مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ، ١٠ ـ باب في أحاديث متفرقة . أحمد (٦ / ١٥٣) .
وأحمد (٦ ، ١٥٣) .
(مارج) المارجُ : لَهَبُ النَّار المُختلِطُ بسوادها .

٥٧٤ ـ البخاري (٦ / ٣٦٣) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ١ ـ باب خلق آدم وذريته .
مسلم (٢ / ١٠٩٢) ١٧ ـ كتاب الرضاع ، ١٩ ـ باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر .
(خنِزَ) اللحم يخنَز : إذا أنتن وتغيَّرت ريحه .
(لم تخن أنثى) خيانة حواء آدم : هي ترك النصيحة له في أمر الشجرة ، لا في غيرها .

٥٧٥ ـ كشف الأستار (٣ / ١٠٢)
الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٩٧) . وقال : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات .

تَغَيَّرُ وتلك لا تَغَيَّرُ » .

٥٧٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : القِرَدَةُ والخنازيرُ ؛ هي مما مُسِخَ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله لم يُهْلِكْ قومًا [أو يعذِّب قوماً] فيجعلَ لهم نسلاً ، وإن القِرِدَةَ والخنازيرَ كانت قبل ذلك » .

* * *

= والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٤٣) . وقال : صحيح . ووافقه الذهبي .

٥٧٦ - مسلم (٤ / ٢٠٥١) ٤٦ - كتاب القدر . ٧ - باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر .

التلخيص

ـ كان الله ولا شيء قبله ولا شيء معه ، ثم خلق الماء ــ والله أعلم على أي هيئة كان بجارية أو سائلة ــ ثم خلق العرش ، ثم خلق القلم وكتب مقادير كل شيء وأقدارها ، ثم خلق من الماء هذه السماء بما فيها من مجرات ونجوم وسُدُم ، ثم خلق الأرض والمجموعة الشمسية من سديم من هذه السُّدُم فيما يبدو ، ثم خلق السموات السبع بعد خلقه الأرض وجعل في كل سماء أمرها ، ثم هيأ الأرض لسكنى الإنسان وخلق فيها ماخلق ، وقبل أن يخلق الإنسان كان قد خلق الملائكة والجن وأنواع الحياة على الأرض ، وخلق الجنة والنار ثم خلق آبانا آدم عليه السلام ، ثم أُمَّنا حواء وكانا في الجنة ثم أهبطها وإبليس إلى الأرض ، وبدأت بذلك الحياة البشرية على الأرض .

ـ لا شيء يمنع أن تكون هناك مخلوقات كإنساننا الحالي قبل أبينا آدم ثم انقرضت ، ولكن لم تكن أصلاً لجنسنا البشري الحالي .

ـ البحث في نشأة الحياة على الأرض وأنواعها وسلم تدرجها كل ذلك مفتوح للبحث ، بل مطلوب بنص القرآن فلا حرج فيه ولكن حيثما كان هناك تعليل رباني أو إخبار عن طريق الوحي فهو الفيصل .

ـ واكتشافات عصرنا ونظرياته التي قامت عليها أدلة جاءت مؤكدة لنصوص الكتاب والسنة ، والكتب في هذا كثيرة ، والعلماء غير المغرضين في كل مكان يقدمون بأبحاثهم الأدلة على ذلك .

* * *

الفصل الثاني
في:
معرفة الله والإيمان به
وفيه:
مقدمة ونصوص وتلخيص وأربعة وصول

المقدمة

الملحدون بالله تعالى في هذا العالم قلة حتى في البلدان التي تسيطر عليها سلطة ملحدة كالاتحاد السوفياتي ، لأن الإلحاد يتنافى مع قوانين العقل وأعماق الفطرة ، ولذلك كان أكثر الناس مؤمنين بالله عز وجل نوع إيمان . وإنما الاختلاف بين أهل الحق وغيرهم في الصفات أو فيما ينسب لله عز وجل أو فيما يليق به أو لا يليق أو في حقوق الألوهية ، ولقد جاء الإسلام ليصحح تصورات البشر وعقائدهم وسلوكهم وكان أكثر ما ركزت عليه الرسالة الإسلامية التعريف على الله عز وجل فأعطتنا هذه الرسالة أصفى وصف وأسمى اعتقاد ، اجتمع فيه الحق الخالص الذي يؤيده العقل الراشد والفطرة المستقيمة والعلم الصحيح .

* * *

لقد وصف بعضُ الناس الله عز وجل بما لا يليق بذاته ، فزعموا أن له صاحبه وولداً ، أو أن له شركاء أو أنه لا تَدَخُّلَ له في شؤون الخلق ، أو أن الخلق وُجِدَ بدون إرادة منه جل جلاله أو أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات أو أن هذا الكون جزؤه ، أو أنه لا حق له في التشريع ، وأشياء كثيرة نسبها الخلق لله عز وجل وهو منزه عنها ، وجاء الكتاب والسنة فوضعا الأمور في نصابها فلا أرقى ولا أروع :

﴿ سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلَصين ﴾ (١) .

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ (٢) .

﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) النحل : ٦٠ .

وخلاصة ما جاء به الكتاب والسنة :

أن الله عز وجل موجود يدل على ذلك كلُّ شيء ؛ فظواهر الكون آياته التي تدل عليه ، والقرآن آياته تدل عليه ، ومعجزات الرسل صلى الله عليهم وسلم وكرامات الأولياء آياته التي تدل عليه . وأن الله عز وجل متصف بالحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام :

﴿ هو الحي ﴾ (١) .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (٢) .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ (٣) .

﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ (٤) .

﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ (٥) .

﴿ أنزله بعلمه ﴾ (٦) .

﴿ وكان الله سميعًا بصيرا ﴾ (٧) .

﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ﴾ (٨) .

وأن الله عز وجل متصف بالصفات العليا ومسمى بالأسماء الحسنى :

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه ﴾ (٩) .

وأن هذا الكون خلقه ومايجري فيه أثر مشيئته وقدرته :

﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (١٠) . ﴿ كُلَّ يوم هو في شأن ﴾ (١١) .

---

(١) غافر : ٦٥ .
(٢) يس : ٨٢ .
(٣) الأنعام : ٦١ .
(٤) البقرة : ٢٠ .
(٥) الأحزاب : ٤٠ .
(٦) النساء : ١٦٦ .
(٧) النساء : ١٣٤ .
(٨) التوبة : ٦ .
(٩) الأعراف : ١٨٠ .
(١٠) الزمر : ٦٢ .
(١١) الرحمن : ٢٩ .

وأن هذا الكون بما فيه خلقه ابتداء وهو ـ أي الكون ـ محتاج إليه لاستمراره :

﴿ وخَلَقَ كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (١) .

﴿ إن الله يُمسِك السموات والأرض أن تزولا ﴾ (٢) .

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٣) .

وأن الله عز وجل له صفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ (٤) .

﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٥) .

وأن الله عز وجل متصف بالوحدانية وبالقدم وبالبقاء وبالقيام بالنفس وبالمخالفة للحوادث وذلك مقتضى قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٦) فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله .

وهو الصمد الذي يحتاجه الخلق وهو غير محتاج إليهم :

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (٧) فهو قائم بنفسه ، وغيره قائم به ، وهو الأول الذي ليس قبله شيء ﴿ ولم يولد ﴾ (٨) وهو الباقي ﴿ لم يلد ﴾ (٩) ﴿ الآخر ﴾ (١٠) .

وهو الذي لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء :﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (١١) ، ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١٢) وهو جل جلاله كما وصف ذاته فهو وحده الذي يعلم ذاته وصفاته حق العلم :

---

(١) الفرقان : ٢ .
(٢) فاطر : ٤١ .
(٣) الفاتحة : ٥ .
(٤) النحل : ٦٠ .
(٥) الرحمن : ٢٧ .
(٦) الإخلاص : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٧) البقرة : ٢٥٥ .
(٨)،(٩) الإخلاص : ٣ .
(١٠) الحديد : ٣ .
(١١) الإخلاص : ٤ .
(١٢) الشورى : ١١ .

﴿ **ولا يحيطون به علماً** ﴾ [١] ، ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ [٢] .

وهو جل جلاله له الألوهية والمالكية والربوبية : ﴿ **قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس** ﴾ [٣] ومقتضى ربوبيته ومالكيته وألوهيته أن يقدم له الخلق العبادة والعبودية ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [٤] ، ﴿ **لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبدا لله ولا الملائكةُ المقربون** ﴾ [٥] ، ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ [٦] .

والعبادة تقتضي القيام بالشعائر ، والعبودية تقتضي مع العبادة القيام بالشرائع ، ومن هنا كان لله عز وجل المالكية المطلقة ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ [٧] ﴿ **إن الحكمُ إلا لله** ﴾ [٨] .

فواجب الخلق الاستسلامُ لله عز وجل فيما أخبر ونهى وأمر ، وذلك هو الإسلام الذي بعث به رسلُهُ عليهم الصلاة والسلام وقد حاول المصنفون في العقائد خلال العصور أن يصطلحوا لبعض ماذكرناه :

فسموا صفة الوجود للذات الإلهية صفة نفسية .

وسموا الصفات القائمة بالذات الإلهية الصفات الوجودية أو صفات المعاني وهي الصفات السبع : العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام .

وسموا الصفات التي وردت في سورة الإخلاص وهي التي تميز العقيدة الإسلامية تمييزاً جوهرياً بالصفات السلبية وهي : الوحدانية والقِدَمُ والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث .

وسموا الأسماء التي هي أثر قدرة الله عز وجل بصفات الفعل كالمعز والمذل والمحيي والمميت .

---

(١) طه : ١١٠ .
(٢) الأنعام : ١٠٣ .
(٣) الناس : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٤) الذاريات : ٥٦ .
(٥) النساء : ١٧٢ .
(٦) الإسراء : ١ .
(٧) الأعراف : ٥٤ .
(٨) الأنعام : ٥٧ .

وسموا الأسماء التي تعبر عن الكمال بصفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ [١] وقوله ﷺ « إن الله جميل » أخرجه مسلم والترمذي .

وأثبتوا لله عز وجل الأسماء الحسنى التي سمى بها ذاته ، وعرفنا عليها الكتاب والسنة .

وسموا الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة مما سوى ذلك بالصفات السمعية .

ولا حرج بالاصطلاح إلا إذا أُدخل عليه مايفسده كأن أدى إلى مفسدة أو اقتضى مفسدة .

* * *

وليس هناك شيء أهم بالنسبة للإنسان من معرفة الله عز وجل حق المعرفة والإيمان به والتسليم له ، لما يترتب على ذلك من آثار دنيوية وأخروية على القلب والعقل والسلوك ، لذلك كانت أعظم المعارك الفكرية والعملية وحتى السياسية والعسكرية مرتبطة بموضوع الإيمان بالله ، ونقطة البداية في الهداية المعرفة والإيمان ، قال جل جلاله : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ [٢] .

لذلك ينصبُّ جهد المضلّين والشياطين والكفرة والفاسقين والمنافقين على خلخلة هذا الأصل بشكل مباشر أو غير مباشر .

﴿ **وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا** ﴾ [٣] .

ومن ثم كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو المعتَصَم :

﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** ﴾ [٤] .

* * *

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) التغابن : ١١ .

(٣) سبأ : ٣٢ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

وهناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الأديان والفلسفات حول موضوعات تتعلق بالذات الإلٰهية ، وهناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين الفِرق المنشقة من جهة أخرى ، وهناك معارك بين من يتنازعون على اسم أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع .

* * *

ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان والفلسفات : معركته مع النصرانية ومن واطأها في نسبة الصاحبة والولد للذات الإلٰهية ونفي الأحدية عنه جل جلاله ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان : معركته مع المشركين الذين يشركون مع الله في الألوهية والعبادة حجرًا أو شجرًا أو بشرًا أو مظهرًا ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفة : معركته مع القائلين إن الله عز وجل لا يتدخل في شؤون خلقه أو لم يخلق الخلق باختياره أو إنه لا يعلم إلا الكليات ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفات : معركته مع القائلين بحرية الإنسان في اتباع أهوائه كالوجوديين أو القائلين إن الله ليست له المالكية على البشر في التكليف والتشريع وهم الذين يُسمّوْن بالعلمانيين .

ومن أهم المعارك بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنشقة في باب الألوهية : معركة أهل السنة والجماعة مع المعتزلة من جهة والمشبّهة من جهة أخرى ، ومع القائلين بوحدة الوجود كغلاة الصوفية ، ومع القائلين بتجسد الإلٰه في البشر كالدروز والإسماعيليين والنصيرية

* * *

ونحن هنا سنقتصر على ذكر بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الفصل مع ملاحظة أنه يندر أن يمر باب في السنة إلا وبعض أحاديثه تتعلق بالذات الإلٰهية ، ثم إن القرآن كله حديث عن الذات الإلٰهية في المآل لذلك وصفه الله عز وجل بأنه ذكر : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ [1] .

---

(١) ص : ١ .

النصوص

٥٧٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله تِسْعَةً وتِسعِينَ اسْمًا ، مَن حَفِظَها دَخَلَ الْجَنَّةَ ، واللهُ وِتْرٌ يُحبُّ الوِتْرَ » وفي رواية : « مَن أحصَاهَا » .

وفي أخرى [1] : « لله تِسعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائةٌ إلا واحِدًا ، لا يَحفَظُها أحَدٌ إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وهو وِتْرٌ يُحبُّ الوِتْرَ » . قال البخاري : « أحصَاهَا : حَفِظَها » ، وفي رواية لمسلم نحوه ، وليس فيه ذِكرُ الوِتْرِ .

وفي رواية الترمذي [2] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للهِ تِسعَةً وتِسْعين اسْمًا ،

---

٥٧٧ - مسلم (٤ / ٢٠٦٣) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(١) البخاري (١١ / ٢١٤) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٦٨ - باب لله مائة اسم غير واحدة .

مسلم (٤ / ٢٠٦٢) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(٢) الترمذي (٥ / ٥٣٠) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٨٣ - باب حدثنا يوسف بن حماد البصري .

هذه رواية الترمذي بتفصيل الأسماء ولم يُفَصِّلْهَا غيره ، وقال : حَدَّثَنَا به غير واحدٍ عن صَفوان بن صالح ، ولا نَعرِفُهُ إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث . قال : وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير وجهٍ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ ، لا نَعلَمُ في كثير شيء من الروايات ذِكْرَ الأسماء إلا في هذا الحديث .

قال محقق الجامع :

وقال الترمذي : وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح ، أقول : رواه الترمذي رقم (٣٥٠٢) من حديث صفوان بن صالح قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال : حديث غريب . ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٨٢) موارد الظمآن من طريق صفوان به ، وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨٦١) في الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل ، من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا بنحو مما تقدم بزيادة ونقصان ، قال البوصيري في الزوائد : لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره ، غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب ، وفي إسناد طريق ابن ماجه ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني ، وقال الحافظ في تخريج الأذكار : وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج ، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء ، وزيادة ونقص ، ووقع سرد الأسماء في رواية ثالثة أخرجها الحاكم في المستدرك وجعفر الفريابي في الذكر من طريق عبد العزيز بن الحصين (يعني ابن الترجمان) عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم الطريق التي أخرجه الترمذي بلفظه سواء : أخرجاه في الصحيح بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه ، ولعله عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقه وبطوله وذكر الأسماء فيه ، ولم يذكره غيره لمسلم ، نعم أكثرها =

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة ، هُوَ الله الَّذي لا إِلٰه هو : الرَّحْمٰن ، الرَّحِيمُ ، المَلِكُ ، القُدُّوسُ ، السَّلامُ ، المُؤمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، المُتَكَبِّرُ ، الخَالِقُ ، البَارِئ ، المُصَوِّرُ ، الغَفَّارُ ، القَهَّارُ ، الوهَّابُ ، الرزَّاقُ ، الفَتَّاحُ ، العَليمُ ، القابضُ ، البَاسطُ ، الخَافضُ ، الرَّافعُ ، المُعزُّ ، المُذلُّ ، السَّميعُ ، البَصيرُ ، الْحَكَمُ ، العَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبيرُ ، الحليمُ ، العَظِيمُ ، الغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، العَليُّ ، الكبيرُ ، الْحَفِيظُ ، المُقِيتُ ، الحَسيب ، الجَلِيلُ ، الكريمُ ، الرَّقيبُ ، المُجيبُ ، الواسِعُ ، الحَكيمُ ، الوَدُودُ ، المَجيدُ ،البَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الحَقُّ ، الوَكيلُ ، القَويُّ ، المَتينُ ، الْوَليُّ ، الحَميدُ ، المُحصي ، المُبدِئ ، المُعيدُ ، المُحْيِي ، المُميتُ ، الَحيُّ ، القَيُّومُ ، الوَاجِدُ ، الماجد ، الْوَاحِد ، الأَحَدُ ، الصَّمَدُ ، القَادِرُ ، المُقْتَدِرُ ، المُقَدِّمُ ، المُؤخِّر ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، البَاطِنُ ، الوالي ، المُتَعالِ ، البَرُّ ، التَّوَّابُ ، المُنْتَقِمُ ، العَفُوُّ ، الرَّؤوفُ ، مَالِكُ المُلْكِ ، ذو الجَلالِ والإِكْرامِ ، المُقْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الغَنيُّ ، المُغني ، المَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الهادي ، البَدِيعُ ، البَاقي ، الوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ » .

قال ابن الأثير :

(مَنْ أحصاها) الإحصاءُ : العَدَدُ والحِفْظُ ، والمراد : مَنْ حَفِظَهَا على قلبه ، وقيل : المراد : من استخرجها من كتاب الله تعالى ، وأحاديث رسوله ﷺ ، لأنَّ النبيَّ لم يعدّها لهم ، ولهذا لم تَرِد مَسرودَةً مَعدُودَةً من هذه الكتب السّتة إلا في كتاب الترمذي ، وقيل : المراد : من أخطر بِبَالِهِ عند ذكر معناها ، وتفكَّر في مدلوها : مُعتَبِرًا ، مُتَدبِّرًا ، ذَاكِرًا ، رَاغِبًا ، رَاهبًا ، مُعظمًا لِمُسَمَّاها ، مُقَدّسًا لذات الله تعالى ، وبالجملة : ففي كل اسم يخطر

= في القرآن ، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الاسم ، ومنها ما ليس في القرآن لا بنفسه ولا بورود فعله كالقديم والجليل ونحوهما . ا هـ . وقال ابن كثير في التفسير : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي ، والله أعلم .

يقول المحقق : ومع ذلك كله فقد ذكر الحديثَ ابنُ حبان في صحيحه ، وحسَّنَه النووي في أذكاره . ا . هـ .

بباله الوصفُ الدّالُّ عليه .

(القُدُّوسُ) : الطاهر من العيوب المنزَّهُ عنها .

(السَّلامُ) : ذو السّلام ، أي : الذي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عيب وبَرِئَ مِنْ كُلِّ آفةٍ .

(المُؤمِنُ) الذي يصدق عباده [وعده] ، فهو من الإيمان : التصديق ، أو يُؤمنهم في القيامة من عذابه ، فهو من الأمَان ، ضِدُّ الخوف .

(المُهَيْمِنُ) الشَّهيدُ ، وقيل : الأمين ، فأصله مُؤتَمن ، فقُلبتُ الهمزةُ هاءً ، وقيل : الرّقيب والحَافِظُ .

(العَزيزُ) : الغَالبُ القاهِرُ ، والعِزَّةُ : الغَلَبَةُ .

(الجبَّارُ) : هو الذي أجْبَرَ الخَلْقَ وقهَرهم على ما أرادَ مِنْ أمْرٍ أو نَهْيٍ .

(المُتَكبِّرُ) : المُتَعَالي عن صفات الخلق ، وقيل : الذي يتكبَّرُ على عُتاة خلقه إذا نَازَعُوهُ العَظَمَة فَيَقْصِمُهم ، وقيل : إن المتكبِّرَ من الكبرياء الذي هو عظمة الله تعالى ، لا من الكِبْر الذي هو مذموم .

(البَارِئ) : هو الذيْ خَلَقَ الخَلقَ لا عن مِثَالٍ ، إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تُسْتَعْمَلُ في غير الحيوان ، فيقال : بَرأَ اللهُ النَّسمَةَ ، وخلق السموَاتِ والأرضَ .

(المُصَوِّرُ) هو الذي أنشأ خَلْقَهَ على صُوَر مُخْتَلفة ، ومعنى التَّصوير : التَّخْطيطُ والتَّشكيلُ .

(الغَفَّارُ) : هو الذي يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَاده مَرَّةً بعدَ مرّة ، وأصل الغَفْرِ : السَّتْرُ والتَّغْطِيَةُ ، فالله غَافِرٌ لِذنُوب عِباده سَاتِرٌ لها بترك العُقُوبة عليها .

(الفَتَّاحُ) : هو الحَاكِمُ بين عباده ، يقال : فَتَح الحَاكِمُ بين الخَصْمَيْن : إذا فصل بينهما ، ويقال للحاكِم : الفاتح ، وقيل : هو الذي يَفْتَحُ أبوابَ الرِّزق والرَّحمة لعباده ، والمُنْغَلِقَ

عليهم من أرزاقه .

(البَاسِطُ) : الذي يَبْسُط الرِّزق لعباده ويُوسِّعهُ عليهم بجوده ورحمته .

و (القَابِضُ) : الذي يُمْسِكهُ عنهم بلُطفه ، فهو الجامعُ بين العطاء والمنع .

و (الخَافِض) : الذي يَخْفِضُ الجَبَّارين والفراعِنَةَ ، أي : يَضَعُهُم ويُهينُهم .

و (الرَّافع) : هو الذي يَرفع أولياءَه ويُعزُّهم ، فهو الجامع بين الإعزاز والإذلال .

(الحَكَمُ) : الحاكم ، وحقيقته : الذي سُلِّمَ له الحكْم ورُدَّ إليه .

(العدْلُ) : هو الذي لا يميلُ به الهوى فيجور في الحُكم ، وهو من المصادر التي يُسمى بها .

(اللَّطيفُ) : الذي يُوصِل إليك أَرَبَكَ في رِفْقٍ ، وقيل : هو الذي لَطُفَ عن أنْ يُدْرَك بالكَيْفيَّة .

(الخَبيرُ) : العالِمُ العارف بما كان وما يكون .

(الغَفُور) : من أبْنِيَةِ المبالغة في الغفران .

(الشَّكُورُ) : الذي يُجازي عباده ويُثيبُهم على أفعالهم الصالحة ، فشكر الله لعباده إنما هو مغفرته لهم وقبوله لعبادتهم .

(الكَبيرُ) : هو الموصوف بالجلال وكِبَرِ الشَّأن .

(المُقيتُ) : هو المُقْتَدِرُ ، وقيل : هو الذي يُعطي أقْواتَ الخلائق .

(الحَسيبُ) : الكافي ، هو فَعيلٌ بمعنى : مُفْعِل ، كأليم بمعنى : مُؤلم ، وقيل : هو المحاسب .

(الرَّقيبُ) : هو الحافظ الذي لا يَغيبُ عنه شيء .

(المُجيبُ) : الذي يقبل دعاء عباده ويستجيبُ لهم .

(الوَاسِعُ) : هو الذي وَسِعَ غِناهُ كلَّ فَقْرٍ ، و [وَسِعَتْ] رحمتُهُ كلَّ شيء .

(الْوَدود) : فَعولٌ بمعنى : مَفْعُول من الْوُدِّ ، فـالله تعـالى مَودود ، أي : محبوبٌ في قلوب أوليائه ، أو هو فَعولٌ بمعنى : فاعل ، أي : أن الله تعالى يَوَدُّ عباده الصالحين ، بمعنى : يرضى عنهم .

(المَجيدُ) : هو الواسِعُ الكَرَم ، وقيل : هو الشَّرِيف .

(البَاعِثُ) : هو الذي يَبْعَثُ الخلقَ بعد الموت يوم القيامة .

(الشَّهيدُ) : هو الذي لا يغيبُ عنه شيء ، يقال : شاهدٌ وشَهيدٌ ، كعالمٍ وعَليم ، أي أنه حاضرٌ يشاهد الأشياء ويراها .

(الحَقُّ) : هو المُتَحَقِّقُ كَوْنُهُ ووجُوده .

(الْوَكِيلُ) : هو الكفيلُ بـأرزاق العبـاد ، وحقيقتُـهُ : أنـه الـذي يَسْتَقِلُّ بـأمر الموكـول إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعمَ الوَكيلُ ﴾[آل عمران : ١٧٣] .

(القَويُّ) : القادر ، وقيل : التَّامُّ القُدرة والقوَّة ، الذي لا يُعْجِزُهُ شيء .

(المَتينُ) : هو الشديد القويُّ الذي لا تَلْحَقُهُ في أفعاله مَشَقَّةٌ .

(الْوَلِيُّ) : النَّاصرُ ، وقيل : المُتولِّي للأمور القائم بها كَولي اليتيم .

(الحَميدُ) : المحمود الذي استَحَقَّ الحمد بفعله ، وهو فعيلٌ بمعنى مفعول .

(المُحْصِي) : هـو الـذي أحصى كلَّ شيء بعلمـه ، فـلا يفـوتـه شيء من الأشيـاء ، دَقَّ أو جلَّ .

(المُبدِئ) : الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً .

و (المُعيدُ) : هو الذي يُعيدُ الخلقَ بعد الحياة إلى المات ، وبعد المات إلى الحياة .

(الْوَاجدُ) : هو الغني الذي لا يفتقر ، وهو من الجِدَة : الغِنَى .

(الْوَاحِدُ) : هو الفرد الـذي لم يزل وحـده ، ولم يكن معـه آخرُ ، وقيل : هو منقطِعُ القرين والشَّريك .

(الأَحَدُ) : الفَردُ ، والفرق بينه وبين الواحد : أن « أَحدًا » بُنِيَ لِنَفي ما يُذْكَرُ معه من العدد ، فهو يقع على المذكر والمؤنث ، يقال : ما جاءني أحد ، أي : ذكر ولا أنثى ، وأما « الواحد » فإنه وُضِعَ لِمُفْتَتِحِ العدد ، تقول : جاءني واحدٌ من الناس ، ولا تقول فيه : جاءني أحدٌ من الناس ، والواحد : بُنِيَ على انقطاع النظير والمِثْل ، والأحد : بُني على الانفراد والوحدة عن الأصحاب ، فالواحدُ مُنْفَرِدٌ بالذات ، والأحد منفرد بالمعنى .

(الصَّمَدُ) : هو السيد الذي يَصمِدُ إليه الخلقُ في حَوائجهم ، أي : يَقْصِدُونه .

(المُقْتَدِرُ) : مُفتَعِلٌ من القدرة ، وهو أبلغ من قادر .

(المُقَدِّمُ) : الذي يُقدِّمُ الأشياء فيضعها في مواضعها .

(المُؤَخِّرُ) الذي يؤخِّرُها إلى أماكنها ، فمن اسْتَحَقَّ التقديم قَدَّمَهُ ، ومن استحق التأخير أخَّرهُ .

(الأوَّل) : هو السَّابِقُ للأشياء كلِّها . و(الآخر) : الباقي .

(الظَّاهِرُ) : هو الذي ظهر فوق كل شيء وَعَلاهُ .

و (البَاطِنُ) : هو المُحْتَجِب عن أبصار الخلائق .

(الوالي) : مالكُ الأشياء ، المتصرِّفُ فيها .

(المُتَعَالي) : هو المتنزِّه عن صفات المخلوقين ، تعالى أن يوصف بها وجَلَّ .

(البَرُّ) : هو العَطوف على عباده ببرِّه ولُطْفِهِ .

(المُنْتَقِمُ) : هو المبالغُ في العقوبة لمن يشاء .

(العَفُوُّ) : فعول من العفو ، بناء مبالغة ، وهو الصَّفُوح عن الذنوب .

(الرَّؤوفُ) : هو الرحيمُ العاطِفُ برأفته على عباده .

(ذُو الجَلالِ) : الجَلالُ : مصدر الجليل ، تقول : جليلٌ بيِّن الجلالة والجلال .

(المُقْسِطُ) : العَادِلُ في حكمه ، أقسط الرجلُ : إذا عَدَلَ ، فهو مُقْسِطٌ ، وقَسطَ : إذا جار ، فهو قاسِطٌ .

(الجَامِعُ) : هو الذي يَجْمَعُ الخلائق ليوم الحساب .

(المانِعُ) : هو الناصرُ الذي يمنع أولياءَه أن يؤذيَهم أحدٌ .

(النُّور) : هو الذي يُبصر بنوره ذو العَماية ، ويَرشُدُ بهُداه ذو الغواية .

(الوارِثُ) : هو الباقي بعد فناء الخلائق .

(الرَّشيدُ) : هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم ، فَعِيل بمعنى مُفْعِل .

(الصَّبُور) : هو الذي لا يُعاجِل العُصاةَ بالانتقام منهم ، بل يُؤخِّرُ ذلك إلى أجل مُسمَّى ، فمعنى الصَّبور في صفة الله تعالى قريب من معنى الحليم ، إلا أن الفرق بين الأمرين : أنهم لاَ يأْمَنُون العُقُوبةَ في صفة الصَّبورِ ، كما يأمنون منها في صفة الحليم .

٥٧٨ - * روى الترمذي عن بريدة رضيَ الله عنه ، أن رسول الله ﷺ : سَمِع رَجُلاً يقول : اللَّهمَّ إنِّي أسألُك بأنِّي أشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ اللهُ ، لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحَدُ الصَّمَدُ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ بهِ أعْطى » .

وفي رواية أبي داود [1] : « بَاسْمِه الذي إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب » .

٥٧٩ - * روى أبو داود عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه ، أنَّهُ كان مَعَ رسولِ الله ﷺ

---

٥٧٨ - الترمذي (٥ / ٥١٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٦٤ - باب حدثنا جعفر بن محمد بن عمران . وقال : حسن غريب .

أبو داود (٢ / ٧٩) كتاب الصلاة - باب الدعاء . وإسناده صحيح .

والحديث رواه أيضًا : أحمد (٥ / ٣٤٩) ، وابن حبان (موارد الظمآن : ٥٩٢) .

٥٧٩ - أبو داود (٢ / ٧٩) كتاب الصلاة - باب الدعاء .

والترمذي (٥ / ٥٥٠) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة .

والنسائي (٣ / ٥٢) ١٣ - كتاب السهو ، ٥٨ - باب الدعاء بعد الذكر .

جَالِسًا ، ورجلٌ يُصَلِّي ، ثُمَّ دَعَا الرَّجلُ فقال : اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحَمدَ ، لا إلهَ إلا أنتَ ، المنَّانُ ، بَديعُ السَّمواتِ والأرضِ ، ذو الجَلالِ والإكرَامِ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ . فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : « أتَدرونَ بِمَ دَعَا » ؟ قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم . قال : « والذي نفسي بيده ، لَقَدْ دَعا الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ بهِ أعْطى » .

٥٨٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ينادِي منادٍ في النار يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ » .

٥٨١ ـ * روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اسْمُ اللهِ الأعظَم في هَاتَيْنِ الآيتين ﴿ وإلهُكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ ﴾ [1] وفَاتِحةُ سُورَةِ آل عِمْرَان ﴿ الٓمٓ * اللهُ لا إله إلا هُو الحيُّ القَيُّومُ ﴾ [2] .

٥٨٢ ـ * روى أبو داود عن مِحْجن بن الأدْرَع الثقفي رضي الله عنه قال : دَخَلَ رسولُ

وابن حبان (موارد الظمآن : ٥٩٢) .

(المنَّان) فعَّال من المِنَّة ، وهو المبالغ فيها .

(بَديعُ) البديع : المُبدِعُ ، وهو الخالق المخترع لا عن مِثالٍ سابق .

(قَيُّومُ) القَيُّوم : القائم بذاته ولا يقوم غيره إلا به . فهو مستغنٍ عن خلقه ، وخلقه محتاجون إليه في وجودهم واستمرارهم .

٥٨٠ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

٥٨١ ـ أبو داود (٢ / ٨٠) كتاب الصلاة ـ باب الدعاء .

والترمذي (٥ / ٥١٧) ٤٩ ـ كتاب الدعوات . ٦٥ ـ باب حدثنا قتيبة .

وابن ماجه (٢ / ١٢٦٧) ٣٤ ـ كتاب الدعاء . ٩ ـ باب اسم الله الأعظم .

والدارمي (٢ / ٤٥٠) كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي .

قال محقق الجامع :

وفي سنده عبيد الله بن أبي زياد القداح المكي أبو الحصين ، وهو ليس بالقوي ، كما قال الحافظ في التقريب . وفيه أيضًا شهر بن حوشب ، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي بها إلى درجة الحسن ، ولذلك حسنه الترمذي . ا . هـ .

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) آل عمران : ١ ، ٢ .

٥٨٢ ـ أبو داود (١ / ٢٥٩) كتاب الصلاة ـ باب ما يقول بعد التشهد .

الله ﷺ المسجد ، فإذا هو برجلٍ قد قضى صَلاتَهُ وهو يَتَشَهَّدُ ، ويقولُ : اللهم إني أسألُكَ باسمِكَ الأحَدِ الصَّمَدِ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحدٌ : أن تَغْفِرَ لي ذُنُوبي ، إنَّكَ أنت الغَفورُ الرَّحيمُ ، قال : فقال : « قَدْ غُفِرَ له ، قَد غُفِرَ له ، قد غُفِرَ له » .

٥٨٣ ـ * روى البزار عن نُعَيْم بن هَمَّار : أن رسول الله ﷺ قال : « الميزانُ بيدِ الرَّحمن يَرفَعُ أقوامًا ويَضعُ آخَرِينَ » .

٥٨٤ ـ * روى الطبراني عن نُعَيْم بن هَمّار الغَطَفاني ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من آدمي إلا وقلبُه بين أصبعين من أصابع الرحمنْ إن شاء أن يُزيغَه أزاغه وإن شاء أنْ يُقيمه أقامَهُ وكلَّ يومٍ الميزانُ بيد الله يرفعُ أقوامًا ويضعُ آخرين إلى يوم القيامة » .

٥٨٥ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقولَ : « يامُقَلِّبَ القلوب ثبِّتْ قلبي على دِينِكَ » . فقلتُ : يا رسولَ الله ، قد آمنّا بكَ ، وبما جئتَ به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يُقلِّبها كيف يشاء » .

٥٨٦ ـ * روى مسلم عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :« إن قُلُوبَ بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفهُ حيث شاء » . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّف القلوب ثَبِّت قلوبَنا على طاعتك » .

= والنسائي (٣ / ٥٢) ١٣ ـ كتاب السهو ، ٥٨ ـ باب الدعاء بعد الذكر .

وأحمد (٤ / ٣٣٨) . والحديث إسناده حسن .

٥٨٣ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٢) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٩) كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران . وهو صحيح .

٥٨٤ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢١١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٨٥ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٨) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٧ ـ باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن . وقال : هذا حديث حسن .

قال : وفي الباب عن النواس بن سمعان ، وأم سلمة وعائشة وأبي ذرّ ا . هـ والحديث إسناده حسن .

٥٨٦ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٣ ـ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

٥٨٧ ـ * روى مالك عن عمرو بن دينار رحمه الله ، قال : سمعتُ ابنَ الزبير يقول في خطبته : إن الله هو الهادي والفاتن .

٥٨٨ ـ * روى البزار عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله كُلَّ صانع وصَنْعَتَهُ » .

٥٨٩ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغيضُها شَيء سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهار ، وَبِيَدِهِ الأُخْرى الْمِيزَانُ ، يرفع القِسْطَ وَيَخْفِضُ » . قال : « أَرَأَيْتَ مَا أَنفَقَ مُنذُ خَلَقَ اللهُ السَّموات وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُص مِمَّا فِي يَدَيهِ شَيْئًا » .

٥٩٠ ـ * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : « إن الله لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، يَخْفِض القِسْطَ ويَرْفَعُه ، يُرفَعُ إليه عملُ الليل قَبْلَ عَمَلِ النَّهار ، وعملُ النَّهار قَبْل عمل

---

٥٨٧ ـ الموطأ (٢ / ٩٠٠) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب النهي عن القول بالقدر .

وإسناده صحيح .

٥٨٨ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٨) .

وقال الهيثمي (٧ / ١٩٧) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين ابن الكردي وهو ثقة . اهـ .

والمستدرك (١ / ٣١) ، وقال : على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

٥٨٩ ـ ابن ماجه (١ / ٧١) المقدمة ١٣ ـ باب فيما أنكرت الجهمية .

وأخرج البخاري نحوه (٨ / ٣٥٢) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .

وكذا مسلم (٢ / ٦٩١) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ١١ ـ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

٥٩٠ ـ مسلم (١ / ١٦١) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٩ ـ باب في قوله عليه السلام : إن الله لا ينام . وفي قوله : حجابه النور ... إلخ .

قال محقق الجامع :

أي : يخفض الله الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ، ويوزن من أرزاقهم النازلة . معنى سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه .

الليل ، حِجَابُه النُّور - وفي رواية : النارُ - « لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه » .

٥٩١ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا أحدٌ أَغْيَرَ من الله ، من أجل ذلك حرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطَن ، ولا أحدٌ أحبُّ إليه المدْح من الله تعالى ، من أجل ذلك مَدَحَ نَفْسَهُ » .

وفي رواية (١) نحوه ، ولم يذكر « ما ظهر وما بطن » وزاد : « وليس أحدٌ أحبَّ إليه العُذْرُ من الله ، من أجل ذلك أنزلَ الكتابَ وأرسلَ الرُّسُلَ » .

٥٩٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قيل للنبي ﷺ : أما تَغار ؟ قال : « والله إني لأغارُ والله أغيرُ مني ، ومن غَيْرَته نهى عن الفواحش » .

٥٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يَغَارُ ، وإن المؤمن يغار ، وإن غَيْرَةَ الله أن يأتيَ المؤمنُ ما حرم الله عليه » .

وفي رواية مسلم (٢) قال : « المؤمن يَغَارُ ، والله أشدُّ غَيْرًا » .

٥٩٤ - * روى مسلم عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله ﷺ :

---

٥٩١ - البخاري (٨ / ٣٠١) ٦٥ - كتاب التفسير ١٠ - باب : ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١١٣) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٦ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .

(١) مسلم (٢ / ١١٣٦) ١٩ - كتاب اللعان ، الحديث السابع عشر .

٥٩٢ - أحمد (٢ / ٣٢٦) .

ومجمع الزوائد (٦ / ٢٥٤) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٥٩٣ - البخاري (٩ / ٣١٩) ٦٧ - كتاب التوبة ، ١٠٧ - باب الغيرة .

مسلم (٤ / ٢١١٤) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٦ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .

(٢) مسلم : (٤ / ٢١١٥) الموضع السابق .

٥٩٤ - مسلم : (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قوله عليه السلام : نور أنّى أراه . وفي قوله : رأيت نورًا.

هل رأيتَ ربَّك ؟ قال : « نورٌ ، أنَّى أراه ؟ » .

وفي رواية الترمذي [1] عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيتَ رسولَ الله ﷺ [لسألتُه . فقال : عَمَّ كنتَ تسألُه ؟ قلت] : كنتُ أسألُه : هل رأيت ربَّك ؟ فقال أبو ذر : قد سألتُه ، فقال : « نورٌ ، أنَّى أراه ؟ » .

٥٩٥ - * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ شَقِيق ، قال : قُلْتُ لأبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَسَأَلْتُهُ . فَقَالَ : عَنْ أي شَيْءٍ كُنتَ تَسأَلُهُ ؟ قال : كُنت أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيتَ رَبَّكَ ؟ قالَ أبُو ذر : قد سألتُ فَقَال : « رَأَيْتُ نُورًا » .

٥٩٦ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : كَذَّبني ابنُ آدمَ ، ولم يكن لـه ذلـك ، وشَتَمني ، ولم يكُنْ لـه ذلـك ، فأمَّا تكذيبُهُ إيَّاي ، فزَعَمَ أنّي لا أقدرُ أنْ أُعيدَهُ كما كان ، وأمَّا شَتْمُهُ إياي ، فقوله : لي وَلَدٌ ، فَسُبْحاني أنْ أتَّخذَ صاحِبةً أو وَلَدًا » .

٥٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن مَسْروق بن الأجدع رحمه الله قال : قلتُ لعائشة :

---

(١) الترمذي (٥ / ٢٩٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٥٤ - باب « ومن سورة والنجم » .

قال النووي :

(نور أنى أراه) هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات . ومعناه : حجابه النور فكيف أراه ؟ قال الإمام أبو عبد الله المازريّ رحمه الله : الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى . ومعناه : أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوارِ الأبصار ، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه .

٥٩٥ - مسلم (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه ، وفي قوله : رأيت نورًا .

قال النووي : (رأيت نورًا) معناه : رأيت النور فحسب ، ولم أر غيره .

٥٩٦ - البخاري (٨ / ١٦٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ .

قال الكرماني : التكذيب نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع ، والشتم : توصيف الشخص بما هو إزراء ونقص فيه ، وإثبات الولد له كذلك ، لأنه قول بما يستلزم الإمكان والحدوث ، فسبحانه ما أحلمه وما أرحمهُ : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ . وهذا من الأحاديث القدسية .

٥٩٧ - البخاري (٨ / ٦٠٦) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب حدثنا يحي .

يا أُمَّتاه ، هل رأى محمدٌ ربَّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شَعرِي مما قُلْتَ ، أَيْنَ أنت من ثلاثٍ مَنْ حدَّثَكَهُنَّ فقد كَذَب ؛ من حدَّثك أنَّ محمدًا رأى ربَّه فقد كَذَب ، ثم قرأتْ : ﴿ لا تُدْرِكُه الأبصار وهو يُدْرِكُ الأبصار وهو اللطيفُ الخبير ﴾ (١) ، ﴿ وما كان لبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وحيًا أو مِنْ وراء حجاب أو يرسلَ رسولاً ﴾ (٢) . ومن حدَّثك أنه يعلم ما في غدٍ ، فقد كذَب ، ثم قرأت : ﴿ وما تدري نَفْسٌ ماذا تكسبُ غدًا ﴾ (٣) . ومن حدَّثك أنه كتم فقد كذبَ ، ثم قرأت : ﴿ يا أيها الرسول بلِّغْ ما أُنزِلَ إليك من ربك ... ﴾ (٤) الآية ، ولكنَّه رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين .

وفي رواية (٥) قال : قلتُ لعائشةَ : فأين قوله : ﴿ ثم دنا فتدلَّى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٦) ؟ قالت : ذاك جبريلُ عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجلِ ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته ، التي هي صورته ، فسَدَّ الأفق .

وفي أخرى (٧) : ومن حدَّثك أنَّه يعلم الغيب فقد كذَب ، وهو يقول : لا يعلم الغيبَ إلا الله .

وفي أخرى (٨) : أن مسروقًا قال : كنتُ متَّكئًا عند عائشة ، فقالت : ياأبا عائشةَ ثلاثٌ من تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعْظَمَ على الله الفِرْيَةَ ... وذكرت نحوَ الرواية الأولى .

وزاد في رواية (٩) : ولو كان محمدٌ ﷺ كاتمًا شيئًا مما أُنْزِلَ عليه لكتم هذه الآيةَ : ﴿ وإذ

= مسلم (١ / ١٦٠) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟

(١) الأنعام : ١٠٣ .
(٢) الشورى : ٥١ .
(٣) لقمان : ٣٤ .
(٤) المائدة : ٦٧ .
(٥) مسلم : الموضع السابق .
(٦) النجم : ٨ ـ ٩ .
(٧) البخاري (١٣ / ٣٦١) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ﴾ .
(٨) مسلم (١ / ١٥٩) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ .
(قفَّ شعري) قفَّ الشعرُ : إذا قام في منابته ، وأكثر ما يعرض عند سماع ما يخافه الإنسان أو يهابه ويعاينه .
(الفرية) : اختلاق الكذب .
(٩) مسلم (١ / ١٦٠) الكتاب والباب السابقان .

تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمْسكْ عليك زَوجَك واتَّق الله وتُخفي في نفسك ما اللهُ مبديه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه ﴾ (١) .

وللبخاري (٢) طَرفٌ منه عن القاسم عن عائشة قالت : من زعم أن محمدًا رأى ربَّه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريلَ في صورته وخَلْقِهِ سادًّا ما بين الأفق .

٥٩٨ ـ * روى مسلم عَنِ ابنِ عباسٍ ؛ قَالَ : ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى ﴾ (٣) ﴿ وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ (٤) قَالَ : رآهُ بفُؤادِه مرَّتَيْن .

أقول : مذهب ابن عباس أن رسول الله ﷺ قد رأى ربَّه يوم المعراج ورجَّح ذلك النووي ، لأن عائشة تنفي وابن عباس يثبت . وكلام المُثْبِت مقدم لأن فيه زيادة علم ، وذلك من الخصوصية لرسول الله ﷺ ، فمن ادَّعى أنه رأى الله يقظة في الدنيا ببصره فقد كفر .

وها نحن ننقل لك جزءاً من تحقيق النووي في إثبات الرؤيا لرسول الله ﷺ .

قال النووي : وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية قال والحجج في هذه المسئلة وإن كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ . وعن عكرمة : سئل ابن عباس رضي الله عنهما ؛ هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه ؟ قال : نعم . وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنسٍ رضي الله عنه قال : رأى محمد ﷺ ربه . وكان الحسن يحلف : لقد رأى محمد ﷺ ربه . والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فأخبره أنه رآه . ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ؛

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) البخاري (٦ / ٣١٣) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٧ ـ باب إذا قال أحدكم آمين ... إلخ .

٥٩٨ ـ مسلم (١ / ١٥٨) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ .

(٣) النجم : ١١ . (٤) النجم : ١٣ .

لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول لم أر ربي ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا** ﴾ ولقول الله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ ، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قولُه حجةً ، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصيرُ إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يُتَلَقَّى بالسماع، ولا يستجيز أحد أن يَظُنَّ بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس . ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي . هذا كلام صاحب التحرير . فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربَّه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ . هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ، ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات » ا . هـ كلام النووي .

وأجاب النووي عن استنباطات عائشة رضي الله عنها .

٥٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رفعه) : « يَضْحَكُ الله إلى رجلين ، يَقتلُ أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتلُ هذا في سبيل الله فيُقتل ، ثم يتوب الله على القاتلِ فَيَسْلِمَ ، فيقاتلُ في سبيل الله فيُسْتَشهدُ » .

أقول : الضحك في حقه تعالى (ليس كمثله شيء) ككل صفاته جل جلاله .

٦٠٠ ـ * روى البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكَلْتُم » أحْسَبُهُ قال : « عليها » .

---

٥٩٩ ـ البخاري : (٦ / ٣٩) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٢٨ ـ باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيُسَدِّدُ بعد ويقتل .
مسلم (٣ / ١٥٠٤) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٣٥ ـ باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة .
وابن ماجه (١ / ٦٨) المقدمة ، ١٣ ـ باب فيما أنكرت الجهمية .

٦٠٠ ـ كشف الأستار (٤ / ٨٥) .

=

٦٠١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « إنَّ للهِ مائَةَ رَحْمةٍ قسم منْها رحمة بَيْن جميع الخلائِق فبهَا يَتَراحَمُونَ وَبها يَتَعَاطَفُونَ وَبها تَعْطِفُ الوحشُ عَلَى أَوْلادِهَا وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بها عِبَادَهُ يَومَ القيامة ».

٦٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله ﷺ :« خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَومَ خَلَق السَّموات وَالارْضَ مِائَةَ رَحمَةٍ فَجَعَلَ فِي الأرض منْهَا رَحمة فَبِها تَعْطِفُ الْوالِدَةُ عَلَى وَلَدها والبهائمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض وَالطيْرُ وَأَخَّر تِسْعَةً وَتِسْعينَ إلى يَوم القِيَامَةِ فَإذَا كَانَ يَومَ القيَامةِ أكْمَلَها اللهُ بهَذهِ الرَّحْمة » .

٦٠٣ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل خلق مائةَ رحمةٍ ، رحمةً منها قسمها بين الخلائق وتسعةً وتسعين إلى يوم القيامة » .

٦٠٤ - * روى أحمد عن أنس قال : مَرَّ النبي ﷺ ونفرٌ من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمُّ الصَّبيِّ القومَ خَشِيَتْ على ولدها أنْ يُوطأ فأقبلَتْ تسعى وتقول : ابني ابني . وسَعَتْ فأخذته ، فقال القومُ : يا رسول الله ما كانت هذه لِتُلْقِيَ ابنها في النار . قال : فَخَفَّضَهم النبي ﷺ ، وقال : « ولا الله لا يُلقي حبيبَه في النار» .

= قال الهيثمي (١٠ / ٢١٣) : رواه البزار وإسناده حسن .

٦٠١ - البخاري (١٠ / ٤٣١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .
مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه .
وابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

٦٠٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) الكتاب والباب السابقان .
وابن ماجه : الموضع السابق .

٦٠٣ - الطبراني (١١ / ٣٧٤) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٤) كتاب التوبة - باب منه في رحمة الله تعالى .
وقال : رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن .

٦٠٤ - أحمد (٣ / ١٠٤) .
وكشف الأستار (٤ / ١٧٤) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٣) . وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .
(فخفّضهم) : أي سكّنهم وهوّن عليهم .

٦٠٥ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « كان رجلٌ يُصَلي فأتاه رجل فَوطِئَ على رَقَبَتِه فقال الذي تحتَه : والله لا يغفر اللهُ لك أبدًا . فقال الله عز وجل : تألى عليَّ عبدي أن لا أغفر لعبدي فإني قَد غفرت له ».

أقول : هذا الحديث أصل من الأصول التي اعتمدها الأصوليون لاعتماد فكرة ما هو الواجب العقلي لله ، والمستحيل العقلي لله ، والجائز العقلي في حقه تعالى ، وما هي الواجبات والمستحيلات والجائزات الشرعية . وهو موضوع دقيق جرت على ذكره كتب العقائد خلال العصور ، وجدير بكل مسلمٍ أن يفهمه بأن يقرأه في كتب عقائد أهل السنة والجماعة على عالم رباني متقن .

٦٠٦ - * روى أبو يعلى عن عائشةَ رضي الله عنها رفعته « لا تقولوا ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمدٌ ، وقولوا ما شاءَ اللهُ وحدَه » .

٦٠٧ - * روى أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء اللهُ ، وشاء فلان ، ولكنْ قولوا : ما شاء الله ، ثم شاءَ فلانٌ » .

٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة لارضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائةَ جُزءٍ ، فأَمسَكَ عنده تسعَةً وتسعين ، وأنزل في الأرض جُزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تَتَراحَمُ الخَلائق ، حتى تَرفعَ الدابةُ حافِرها عن ولدها خشيةَ أن تُصيبَه » .

وللبخاري [1] : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله خلق الرحمة يومَ خَلَقها مائة

---

٦٠٥ - الطبراني (١٠ / ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٤ / ٨٦) وقال : رجاله رجال الصحيح .

٦٠٦ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٨) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .

٦٠٧ - أبو داود (٤ / ٢٩٥) كتاب الأدب - باب لا يقال خبثت نفسي .

أحمد (٥ / ٣٨٤) .

٦٠٨ - البخاري (١٠ / ٤٣١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .

مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(١) البخاري (١١ / ٣٠١) ٨١ كتاب الرقاق . ١٩ - باب الرجاء مع الخوف .

رحمةٍ ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين رحمةً ، وأرسل في خلقه كلّهم رحمةً واحدةً ، فلو يعلمُ الكافر بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم يَيْأسْ من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » .

ولمسلم [١] قال : « إن لله مائةَ رحمةٍ ، أنزل منها رحمة واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تَعْطفُ الوَحْشُ على ولدها ، وأَخَّرَ الله تسعًا وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة » .

٦٠٩ - * روى الطبراني في الأوسط عن ثوبانَ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أُحِبُّ أن ليَ الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تَقْنطوا من رحمة الله** ﴾ » الآية .

٦١٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق » وعند مسلم : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كَتَبَهُ ، فهو عنده فوقَ العرش : إنَّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضبي » .

وعند البخاري : « غلبتْ غضبي » .

وللبخاري أيضًا [٢] : « إن الله لما قضى الخلقَ كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

وله في أخرى [٣] ، قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده على العرش : إن رحمتي تَغْلِبُ غضبي » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

٦٠٩ - الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٠٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وأحمد بنحوه وقال « إلا من أشرك » ثلاث مرات ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن .

٦١٠ - البخاري (١٣ / ٥٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٥ - باب قوله تعالى : ﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ .
مسلم (٤ / ٢١٠٧) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٢) البخاري (١٣ / ٤٠٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٢ - باب وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم .

(٣) البخاري (١٣ / ٣٨٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ .

وفي أخرى (١) : « إن الله كتب كتابًا ، قبل أن يخلق الخلق : إنَّ رحمتي سبقت غضبي . فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش » .

ولمسلم أيضًا (٢) : أن النبيَّ ﷺ قال : « قال الله عز وجل : سبقت رحمتي غضبي » .

وله في أخرى (٣) : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : إنَّ رحمتي تغلب غضبي » .

وأخرجه ابن ماجه قال (٤) : « إنَّ الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إنَّ رحمتي تغلب غضبي » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله : (لما قضى الله الخلق) أي خلق الخلق كقوله تعالى : ﴿ **فقضاهن سبع سموات** ﴾ أو المراد أوجد جنسه ، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى . قوله (كتب في كتابه) أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، وقد تقدم في حديث عبادة بن الصامت قريبًا : « فقال للقلم اكتب ، فجرى بما هو كائن » ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي** ﴾ ... قوله (غلبت) في رواية شعيب عن أبي الزناد في التوحيد « سبقت » بدل غلبت ، والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ، أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب . لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث ، بهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن ، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها . وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول ، وتقول: غلب على فلان الكرم ، أي أكثر

(١) البخاري (١٣ / ٥٢٢) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٥٥ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ ـ كتاب التوبة ، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) ابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٥ ـ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

أفعاله ، وهذا كله بنـاء على أن الرحمـة والغضب من صفـات الـذات ، وقـال بعض العلمـاء : الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات . ولا مـانع من تقـديم بعض الأفعـال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً ، ومقابلها مـا وقع من إخراجه منها . وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمـة في خلقهم بـالتوسيع عليهم من الرزق وغيره ، ثم يقـع بهم العـذاب على كفرهم . وأمـا مـا أشكل مِنْ أمْرِ مَنْ يعـذب من الموحدين فالرحمة سابقـة في حقهم أيضًـا ، ولولا وجودهـا لخلـدوا أبـدًا . وقـال الطيبي : في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنـالهم من غير استحقـاق وأن الغضب لا ينـالهم إلا بـاستحقـاق ، فـالرحمـة تشمل الشخص جنينـا ورضيعًـا وفطيمًا وناشئا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعـة ، ولا يلحقـه الغضب إلا بعـد أن يصـدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك » ا . هـ كلام ابن حجر .

٦١١ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « قلت : يا جبريل أيصلي ربُّك جل ذكره ؟ قال : نعم . قلت : ما صلاته ؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي » .

٦١٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « لو يَعلمُ المُؤمنُ ما عِنْدَ الله من العُقوبةَ مَا طَمِعَ بجنَّتـهِ ، ولو يَعْلَمُ الكافِرُ مـا عنـد الله من الرَّحمة مَا قَنِطَ من جَنَّتِه » .

وللترمذي في رواية أخرى (١) ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو يعلمُ المؤمن ما عند الله من العَقُوبة ما طمع في الجنة أحدٌ ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنِطَ من الجنة أحدٌ » .

---

٦١١ - الروض الداني (١ / ٤٩) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٣) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

٦١٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

وأحمد (٢ / ٣٩٧) .

(١) الترمذي (٥ / ٥٤٩) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة . وقال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة .

٦١٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بِسَبْيٍ ، فإذا امرأةٌ من السَّبي تَسعى ، قد تَحَلَّبَ ثَديُها ، إذا وجدت صَبيًّا في السَّبي أَخَذَتْه ، فأَلْزَقَتْه ببطنها فأرضعتْه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَتَرَون هذه المرأةَ طارِحةً ولدَها في النار » ؟ قلنا : لا والله . فقال رسولُ الله ﷺ : « الله أَرْحَمُ بعباده من هذه المرأة بولدها » .

* * *

٦١٣ ـ البخاري (١٠ / ٤٢٧) ٧٨ ـ كتاب الأدب ، ١٨ ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته .
مسلم : (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ ـ كتاب التوبة ، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

التلخيص

ـ يدخل في الإيمان بالله الإيمان بوجوده وصفاته العليا وأسمائه الحسنى وأفعاله ، وأنه لا فاعل إلا هو ولا خالق إلا هو ، وأنه له المالكية والربوبية والألوهية والحاكمية ، ولذلك فإن المكلفين من الإنس والجن مطالبون بالعبادة والعبودية على مقتضى الوحي الذي جاءنا به رسل الله عن الله ، وكان خاتمة ذلك رسالة نبينا محمد ﷺ التي نُسخت بها الشرائع السابقة إلا ما أقرته منها ، وقد جاءتنا مبينة واضحة في الكتاب والسنة ، فعرفتنا رسالة نبينا ﷺ على الله وصفاته وأسمائه وحقوقه ، وعلى واجباتنا تجاهه ففصلت لنا العبادة والعبودية .

ـ هناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الفلسفات والأديان المعاصرة حول المعرفة الحق لله عز وجل ، وبتأمل بسيط يدرك من عرف العقيدة الإسلامية في باب الألوهية أنها قدمت الحق مصفى وأن ما سواها مما خالفها لا يقوم عليه دليل من عقل أو نقل .

ـ هناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة وبين الفِرق المنشقة عن جسم الأمة الإسلامية حول الذات الإلٰهية وصفاتها وما ينسب إليها وحول حقوقها وما لا يصح إلا لها وما يليق وما لا يليق ، وقد فَصَّل في ذلك كله الحكم من كتاب الله ، وقامت الحجة على هذه الفِرق بفهم الراسخين في العلم من جماهير من ينتسب إلى الإسلام ، وكان من فضل الله على هذه الأمة أنه لم يزل أكثريتها وأكثرية علمائها على الفهم الحق ، ولم تتشكل فرقة ضالة في يوم من الأيام إن في عامتها أو في علمائها كثرة كاثرة ، وكانت أعظم معاركنا الفكرية مع المعتزلة .

ـ هناك اختلافات بين بَعض أهل الرواية وبين أهل الدراية ممن ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة ، وتتلخص هذه الاختلافات في الموقف من الصفات السمعية مع اتفاق الجميع على نفي التشبيه ، وفي بعض ما يخدش التوحيد ، وفي الموقف من تقليد الأئمة في الفروع ، وفي ما يدخل في دائرة البدعة المكفرة أو المضللة أو المحرمة . وفهوم الراسخين في العلم ممن تواطأت أكثرية علماء الأمة على التسليم لهم كالبيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني والعز

ابن عبد السلام والسيوطي يشهد لأهل الدراية .

ـ كل ما مضى يجعلنا نذكر المسلم بضرورة قراءة كُتب أهل السنة والجماعة من أهل الدراية في العقائد ، فلكلام المختصين من الراسخين في العلم وزن ليس لكلام غيرهم .

فائدة : إن المعرفة الإلهية لا تتعمق بشيء كقراءة القرآن والإكثار من الأذكار المأثورة والدعوات التي وردت في الصلوات وغيرها ، وسنخصص جزءًا في القسم الثالث للتلاوة كما سنخصص جزءًا للدعوات والأذكار في القسم نفسه ، وستمر معنا من الدعوات والأذكار في مناسبات متعددة ، فمثل هذا يعمق الاعتقاد الحق وهو في الوقت نفسه من أرقى أنواع العبادة في الإسلام ، والصلاة وأذكارها ودعواتها هي الأرقى في هذا المرتقى .

وكثيرون من الناس بدلاً من أن يفطنوا إلى الجانب العملي في بعض النصوص ، يدخلون في أنواع الجدل ، فبدلاً من أن يفطنوا إلى الخشوع الذي يجب أن يفطن له من حديث « نصب الله وجهه لعبده في الصلاة » ، وبدلاً من أن يفطنوا لرقابة الله إياهم في قوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أين ما كنتم** ﴾ [1] وبدلاً من أن يفطنوا لضرورة الدعوات في الثلث الآخر من الليل أخذًا من حديث النزول ، يدخلون في جدل عقيم لا يتابعون فيه الراسخين في العلم ولا يلحظون ما يترتب على كلامهم من تشبيه وإيجاد تعارض بين النصوص ، ولو أنهم سلموا للنصوص مع التنزيه أو تابعوا الراسخين في العلم على تأويلهم لكان أسلم لهم : ﴿ **سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلَصين** ﴾ [2] . ﴿ **وما يعلم تأويلَه إلا اللهُ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ [3] .

ـ وإن من أقبل على الله بالعمل والإخلاص فتح الله على قلبه من ميادين المعرفة الإلهية ما لا يذوقه أهل الجدل الذي جعل الله عز وجل أهله مظنة ضلال ، « ما ضلَّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجَدَلَ » [4] .

---

(١) الحديد : ٤ .

(٢) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) آل عمران : ٧ .

(٤) الترمذي (٥ / ٣٧٨) ٤٨ ـ كتاب التفسير ... من سورة الزخرف . وقال : حسن صحيح . وأحمد (٥ / ٢٥٢) . والحديث إسناده حسن .

الوصل الأول

في:

الوثنية في التاريخ

وفيه:

مقدمة وتعريف عن الوثنية

المقدمة

قال تعالى عن الأصنام على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس** ﴾ (١) .

جاء هذا النص في سياق كلام إبراهيم عليه السلام في القرآن عن الأصنام : ﴿ **واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ (٢) .

فمن المعروف أن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بعثا في بلاد مابين الرافدين دجلة والفرات ، وأنهما بعثا وعبادة الأصنام منتشرة ، وقول إبراهيم عليه السلام الذي صدّرنا به هذا الوصل يشير إلى كثرة من ضل بسبب الأصنام ، وذلك أن الإنسان إذا جانب ماتوصل إليه العقول والنقول انحصر في خيالاته ، وكلما ابتعد عن قضايا العقول والنقول أوصلته خيالاته إلى التمثيل فالتجسيد الرمزي فالوثنية والشرك ، لذلك نجد أن الوثنية تسربت إلى كثير من أهل الأديان السماوية فضلاً عن غيرهم ، ولذلك نلاحظ أن الإسلام حضّ المسلم في كثير من النصوص على التسبيح في الصلاة وغيرها لاحتياج القلب البشرى إلى التغذية بالتنزيه بشكل دائم ، ولذلك كان للإسلام موقف من التصوير نعرف تفصيلاته في غير هذا المكان .

ولقد حدثتنا نصوص العهد القديم عند اليهود في أكثر من مكان عن تسرب عبادة البعل إلى اليهود ، وذَكَرَ ذلك القرآنُ على لسانِ إلياس عليه السلام : ﴿ **أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين** ﴾ (٣) ، وكان البعل هو الصنم الذي تنسب إليه مدينة بعلبك في بلاد الشام ، ومن بلاد الشام أخذ عمرو بن لحي عبادة الأصنام وأدخلها إلى مكة ، ومنها انتشرت في جزيرة العرب .

والديانة البرهمية انقلبت إلى ديانة وثنية ، والديانة البوذية انقلبت إلى ديانة وثنية ، وغلبت الوثنية في أكثر أدوار التاريخ على بلاد مابين الرافدَيْن ، وغلبت الوثنية وتأليه الإنسان على الديانات المصرية القديمة ، وكانت ديانةُ الرومان الذين سيطروا على أكثر العالم

---

(١) إبراهيم : ٣٦ .
(٢) إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) الصافات : ١٢٥ .

القديم وثنيـة ، وكـذلـك اليونـان الـذين سيطروا بقيـادة الإسكنـدر المكـدوني على كثير من منـاطق العـالم القـديم كانوا وثنيين ، والوثنيـة هي الأصل في إفريقيـا لـولا دخـول الأديـان السماوية إليها ، ولقد دخلت الوثنية زائدة على تـأليـه المسيح ـ عليـه السلام ـ على الـديـانـة النصرانية في صور كثيرة : في صور الأيقونات ، وتقـديم شيء من العبـادات لتماثيل من أنواع شتى ، وفي صورة عبادة الصليب ، ولذلـك فـإن على المسلم أن يحْـذر طُرُوءَ شيء من الوثنيـة إليه بأن يحذر ابتـدءًا من تخيلاتـه في شـأن الـذات الإلهيـة ، فكل مـا خطر ببـالـك فـالله خلاف ذلك :﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]، وليحذر انتهاءً من التماثيل وأن يدخلها بيتـه.

إن في العـالم ديـانـات تواجـه الإسلام ، وبعض هـذه الـديـانـات أصولهـا سماويـة قطعـاً كاليهودية والنصرانية ، وبعضها ليست سماوية جزمـاً كالسيخيـة ، وبعضهـا لا نستطيع الجزم بشيء عن أصولها لكنا نؤمن أن الله عز وجل لم يترك أمة بلا رسالة ، قال تعالى :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [2] .

﴿ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [3] .

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [4] .

قال عليه الصلاة والسلام :«ألا إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمهـا على الله »[5].

فنحن نجزم أنـه قـد أرسل إلى كل أمـة رسولٌ ثم ختمت الرسـالات بمحمـد ﷺ ، وكانت رسالة عامة للعالمين : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [6] ، ﴿ وما أرسلنـاك إلا رحمـة للعالمين ﴾ [7] .

ولكنا لا نستطيع الجزم بشيء عن أصول بعض الديانـات إلا إذا جـاءنـا شيء في كتـاب ربنا أو سنة رسولنا عليـه الصلاة والسلام في شـأنـه ، وهـاك تعريفـاً مختصراً عن الوثنيـة في بعض الأديان :

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) النحل : ٣٦ .

(٣) فاطر : ٢٤ .

(٤) إبراهيم : ٤ .

(٥) مسند أحمد (٤ / ٤٤٧) .

(٦) الأحزاب : ٤٠ .

(٧) الأنبياء : ١٠٧ .

تعريف عن الوثنية في بعض الأديان

١ ـ الوثنية في الديانات المصرية القديمة

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) :

« فكل مدينة كانت لها آلهتها . فكان موطن أوزيريس في أبيدوس ، وفتاح في ممفيس ، وآمون في طيبة ، وهوروس في إدفو ، وهاتور في دندرة ، إلخ ... » ا .هـ .

ثم تحدث أبو زهرة عن أسطورة أوزيريس وإيزيس وتوت وهوروس وسيت ، ثم تحدث عن مينا الأول الذي وَحَّدَ مصر تحت سلطانه وأعلن تأليه نفسه بحلول هوروس وسيت فيه .

٢ ـ وثنية الرومان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن وثنية الرومان :

« عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التي تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهناك رب ينبت البذر ، وآخر يحمي الحقل ، وثالث يحرس الثار وهكذا ، ولكل رب اسمه وجنسه وعمله ، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبتر وإله الحرب مارس وإله الشجاعة هوكوليس ، وهو مايسمى عند اليونان هركليس ؛ وقد قبسوا أيضاً بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء ، فعندهم إيزيس إله القمر وأوزيريس إله الزراعة ومراميس إله الشفاء ، وكلها أسماء مصرية لآلهة مصرية ، وإن الأرباب قد تعددت عند الرومان جدًّا ، فلكل مظهر من مظاهر الحياة رب ، ولكل قوة في الإنسان رب ، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق ، وربة تعلمه الشرب ، وأخرى تقوي عظامه ، وربان يرافقانه إلى المدرسة ، وآخران يرجعان به . ويعتقدون أن هناك أرباباً للمدينة ، وللكتابة وللجبل ، ولكل نهر ، ولكل نبع ، ولكل شجرة رب خاص ، ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة صالحة : « إن بلادنا غاصة بالأرباب ، بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها ربًّا من أن تصادف رجلاً » .

ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه تلك الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل ، بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة لكل إله ، فلم يكن في رومية في ذلك العهد صنم ، ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولا ، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان » ا . هـ .

٢ - وثنية اليونان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن اليونان :

« ألّهوا السماء والأرض والبحر ، والشمس ، والزمن ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل لحظوا بعد ذلك الصفات الأدبية في الأحياء ، وفنونهم ، ومايؤثر فيهم فجعلوا لكل واحد منها إلهاً أو آلهة ، ومن هذه الآلهة هيرا ربة القوة المنتجة في الطبيعة وآريس أو المريخ إله الحرب ، وأبولون إله الموسيقى والنور ، وهراميس رسول الآلهة وربُ الفصاحة والبيان ، وأثينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الحب الجميل ، وديونيسوس رب الخمر والتمثيل و « لتيراجيني » أو المحزن .

وكان لكل مدينة أربابها الخاصة بها ، ومعبودات لها كثيرة ؛ وإن اتحدت في الاسم مع أرباب المدينة الأخرى فالمسمى يختلف ، فأبولون في مدينة ليس هو أبولون في مدينة أخرى ، وإن اتحد الاسمين ، ولكن مع هذا الاختلاف كانت هناك أرباب كثيرة أجمع اليونان في الجملة على عبادتها وتقديسها كالسماء والأرض والبحر ، ولها في كل مكان معبد خاص بها ، أو مزار يتقرب فيه إليها ؛ وإن الأرباب التي يشترك اليونان في تقديسها كثيرة جداً ، وكلها يمثل أعظم القوى الطبيعية تأثيراً في الكون ، ومن هذه زيوس المشترى ، وهيرا وأثينا وأرتيمس وهرميس (عطارد) وأريس (المريخ) وأفروديت (الزهرة) وكرنوس (زحل) وهكذا .

ولقد صوروا لكل رب من هذه الأرباب تمثالاً يعبد ، ولقد كان للتماثيل الكبيرة مَحَالٌ خاصة بها يزعمون أن الآلهة توحي إليهم فيها على لسان الكهنة ، ويتقربون في تلك المحال للآلهة بالقرابين والنذور ، وأشهرها معبد (دلفي) لأبولون بمدينة (فوكيس) » . ا . هـ

٤ ـ وثنية الهندوس

يقول محمد فريد وجدي في (دائرة معارفه) عن البرهمية :

« للبراهمة صنم اسمه برهما له أربعة أوجه وأربعة أيد ، في يده الأولى كتابهم المقدس (الفيدا) وفي يده الثانية ملعقة ، وفي يده الثالثة سبحة ، وفي يده الرابعة إناء فيه ماء .

ولديهم صنم ثان للإله فيشنو ابن برهما ، وله أربعة أيد ، في الأولى بوق من الصدف ، وفي الثانية حلقة عند إدارتها تخرج منها نار لا يستطيع أحد مقاومتها فيا يقولون، وفي الثالثة هراوة . وفي الرابعة غصن من الزهر .

ولديهم صنم ثالث للإله سيفا ، وله أربع أيد ، في الأولى صولجان ، وفي الثانية حبل يشد به المذنبين ، أما يداه الأخريان فلا شيء فيهما ، وله عين ثالثة في جبهته وقلادة في عنقه من رءوس البشر .

والبراهمة يقدسون البقر ويحرمون ذبحها معتقدين آن الأرواح الطاهرة تحل أجسادها ، وكثيراً ما نشأ من هذه العقيدة معارك بينهم وبين مسلمي الهند في عيد الأضحى .

وهم يقدسون الثعابين والتماسيح وغيرها ، ويعتبرون نهر الغانج مقدساً وأن الانغماس فيه يطهر الذنوب ، ولذا يحج إليه في كل عام ملايين منهم » ا . هـ .

ويقول أبو الحسن الندوي في كتابه : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) عن وثنية الديانة البرهمية :

« قد بلغت الوثنية أوْجَها في القرن السادس ، فقد كان عدد الآلهة في « ويد » ثلاثة وثلاثين ، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون . وقد أصبح كلُّ شيء رائعٍ وكلُّ شيء جذّابٍ وكلُّ مرفقٍ من مرافق الحياةِ إلهًا يُعْبَدُ . وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصرَ ، وأربت على العد ، فمنها أشخاص تاريخية ، وأبطال تمثل فيهم الله ـ كما زعموا ـ في عهود وحوادث معروفة ، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله ، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس « مهاديو » الإله ،

ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل ، وحيوانات أعظمها البقرة ، والأجرام الفلكية ، وغير ذلك » . ا . هـ .

٥ ـ وثنية الصين

تسود الصين ثلاث ديانات : الديانة الطاوية ، ومؤسسها لوتس فقد انقلبت إلى ديانة وثنية في عهد قريب من عهد مؤسسها ، والديانة الكونفوشوسية وقد مرت عهود على أتباعها كانوا لا يعتقدون بإله معين بل كانوا يعبدون ما شاءوا من الأشجار والأنهار ، والبوذية انقلبت إلى وثنية كما سنرى (راجع : ماذا خسر العالم) .

٦ ـ الوثنية في الديانة البوذية

لقد ذابت البوذية في البرهمية ما عدا خروجها عليها في نظام الطبقات وأشياء أخرى واعتقد البوذيون ألوهية بوذا فنصبوا له التماثيل في كل مكان حلت فيه دياناتهم وتقدموا له بالعبادة .

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (أديان الهند الكبرى) :

« ولكن البوذية بدأت تنكمش بعد بوذا ، وقد سبق أن ذكرنا أن من أهم أسباب إنكماشها أنها لم تعن بالكلام عن الإله ، وبعبارة أخرى تركت فراغًا كبيرًا في نفوس أتباعها ، وبمرور الزمن ملأ أتباعُها هذا الفراغ بآلهة الهندوس أو بعبادة بوذا نفسه واتخاذه إلها ، ويتصل بهذا أيضًا أن بوذا لم يبن معابد ، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة ، وبسبب هذا لجأ أتباع بوذا إلى معابد الهندوس فوضعوا فيها تمثال بوذا ، وأصبح كل ما زاد هو إله جديد أُضيف إلى آلهة الهندوس المتعددة ، والعقل الهندي يرحب بمزيد من الآلهة . وهكذا أخذت البوذية تتلاشى في الهندوسية ، وأخذت الهندوسية تمتصها أو تمتص أتباعها يومًا بعد يوم » ا . هـ .

٧ ـ وثنية العرب

أما وثنية العرب فقد وصفها الأستاذ الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وكان من كلامه :

« وهكذا انغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها ، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص ، بل كان لكل بيت صنم خصوصي . قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به . وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضًا . واسْتُهْتِرَتِ العرب في عبادة الأصنام ، فمنهم من اتخذ بيتًا ، ومنهم من اتخذ صنمًا ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرًا أمام الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب . وكان في جوف الكعبة ـ البيت الذي بني لعبادة الله وحده ـ وفي فنائها ثلثمائة وستون صنمًا ، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة .

روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا ، جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به .

وقال الكلبي : كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًا ، وجعل ثلاث أثافي لِقِدرِهِ ، وإذا ارتحل تركه .

وكان للعرب ـ شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان .. آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب ، فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله ، فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله ويعبدونهم ، ويتوسلون بهم عند الله ، واتخذوا كذلك من الجن شركاء لله وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم .

قال الكلبي : كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن ، وقال صاعد : كانت حِمْيَر تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدَّبَران ، ولخم وجذام المشترى ، وطيئ سهيلاً ، وقيس

الشِّعرى العَبور ، وأسد عطاردًا » ا . هـ .

هذه بعض مظاهر الوثنية في تاريخ العالم وكثير منها لازال مستمرًا ، والإلحاد في عصرنا لا يخرج عن كونه نوعًا من أنواع الوثنية ، إذ يخلع الملحدون على الكون كله صفات الألوهية من خلق وإبداع وإحياء وإماتة فتأمل حال الإنسان في وثنيتِه لتدرك مِنَّةَ الله على الإنسان في إرساله محمدًا ﷺ بالتوحيد الذي يجعل الإنسان سيد الأكوان ويقيمه عبدًا لله وحده ، بينما الوثنية تجعل الإنسان عبدًا لشجرٍ أو حجرٍ أو قمرٍ أو شمسٍ أو كوكبٍ أو إنسانٍ أو الكونِ كُلِّهِ .

قال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسون ورجلاً سَلَمًا لرجل هل يستويان مثلاً** ﴾ [(١)] ، إنه شتان بين أن يتوجه الإنسان إلى خالقه الأوحد وإلى المنعم عليه بالعبادة مشاركًا هذا الوجود كله في التوجه إلى الله : ﴿ **وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّح بحمدِه** ﴾ [(٢)] ، وبين ذلك الإنسان الذي يتوجه إلى أنواع من المخلوقات بالعبادة محتارًا في أيها يقدم ولأيها يتقرب ، فَيَالِانْتِكاسَةِ العقل ويالسفاهة الأحلام ، إنه من خلال هذا وحده يدرك سر قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين** ﴾ [(٣)] . وإننا نلفت نظر بعض المتهوسين الذين لا هَمَّ لهم إلا أن يرموا أهل الإسلام بالشرك دون مستندٍ قطعي من كتاب أو سنة ، فنراهم يفهمون النصوص على غير فهم الراسخين في العلم فيقذفون هذا بنوع من الشرك ، ويقذفون هذا بنوع آخر .

---

(١) الزمر : ٢٩ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) الأنبياء : ١٠٧ .

الوصل الثاني

في:

التثليث ونسبة الولد إلى الله

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا

قال تعالى : ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ (١) .

ورد هذا النص في سياق قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ (١) .

فالآية تشير إلى أن نسبة الولد إلى الله كانت موجودة في ديانات سابقة ، ومن تأمل هذه النِّحلة وما يلزم عليها من لوازم النقص على الله من تشبيهه بالحوادث وما يحيط بها من نقص الاحتياج إلى الزوجة والولد ، ومن اتصافه بصفات الحوادث من تجزئة وتبعيض وشوق وشهوة أدرك مقدار الزلل في العقل البشري ، إذ يصف الله عز وجل بهذا الوصف ، فيعرفَ المكلَّف نعمة الله على البشرية ببعثة محمد ﷺ ليرجع الناس إلى التنزيه والتوحيد :

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه وتنشق الأرض وَتَخِرُّ الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا ﴾ (٢) .

﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين ﴾ (٣) .

ومن أشهر الأديان القديمة التي قالت بالبنوة لله ـ تعالى عن ذلك ـ البرهمية والبوذية والديانات المصرية القديمة ، فَأَنْ يَذْكُرَ اللهُ عزّ وجلّ قولَ اليهودِ في عزيرٍ وقولَ النصارى في المسيحِ مُضَاهَاةً لقولِ الذين كفروا مِن قَبْلُ ، فتلك من معجزاتِ القرآنِ الكبرى .

إن البراهمة يقولون بالتثليث مع قولهم بالتعدد الكثير ، فأكبر آلهتهم في زعمهم « براهما » ثم « سيفا » أو « سيو » ثم « ويشنو » ويعتقدون أن « ويشنو » هو الابن « لبراهما » ، ويعتقذون أن « ويشنو » الابن حل في أحد رجالاتهم المسمى « كرشنة » ، ويعتقدون فيه ما يعتقده المسيحيون في المسيح .

يقول فريد وجدي في دائرة معارفه : « حدثت في الهند عقيدة التثليث فتغلبت على توحيدهم السابق فرأيناهم يعبدون إلٰهًا واحدًا ذا ثلاثةِ أصولٍ (برهما وفيشنو وسيفا) ، وقد

(١) التوبة : ٣٠ .
(٢) مريم : ٨٨ - ٩٢ .
(٣) الزخرف : ١٥ .

خلف فيشنو أباه برهما في نظر الهنود فصاروا لايوجهون عبادتهم إلا إليه ، أما برهما فتركوه في راحة زاعمين أنه أدى وظيفته وانتهى دوره »ا . هـ .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ما يلي : (كرشنة : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس » .

قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنة ابن الله . وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة) ا . هـ .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب دوّان وكتاب الملاك المسيح عن بوذا :(كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا) .

(لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة) .

(وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرًا وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا) ا . هـ .

ولقد قال المصريون القدامى بالتثليث : « أوزيريس » - « إيزيس » زوجته ومنهما جاء « هوروس » ، ومن اعتقاداتهم - كما في كتاب (مقارنات بين الأديان) - :

(إن روح الإله هوروس ذات ثلاث شعب أولاها : الروح الدنيا ، وهي التي تحل في فرعون الزمان ، ثم تنتقل إلى من يليه ، وتفيض عليه بقدسيتها ، والثانية : الروح العليا الحاكمة في السموات والأرضين ، والثالثة : روح تبقى في جسد فرعون الميت ، وتقوم بالنصح لفرعون الحي . ولا تبقى هذه الروح إلا إذا بقي الجسم متماسكًا ، ولذا أعملوا الحيلة لذلك ، وبنوا الأهرام وشيدوها لتكون حفاظًا للجسم) ا . هـ .

أقول : وهكذا نجد إحدى الأباطيل الكبرى تنتقل من أمة إلى أمة في باب الإلهية حتى بعث الله محمدًا ﷺ بالدين الحق فوضع الأمر في نصابه ، قال تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا

من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١) .

لقد تأقلم أهل الكتاب على الكفر ، وتأقلم المشركون على الشرك واستمروا عليه ودأبوا فيه ولم يكونوا لينفكوا عنه ، فأرسل الله محمدًا ﷺ ليكسر هذا الاستمرار على الباطل ويرجع الناس إلى الدين الحق بكتابٍ آياتُه ظاهراتٌ بيناتٌ واضحاتٌ . فالحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) البينة : ١ ـ ٥ .

الوصل الثالث

في:

« إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ »

إن من عرف الله عز وجل وعرف أنه متصف بالعلم والإرادة والقدرة وغير ذلك من الصفات الوجودية ، وعرف أنه متصف بالقيومية والوحدانية وغير ذلك من الصفات السلبية ، وعرف أنه الرب والمالك والإله ، وأن من مقتضيات ذلك أن تكون له المالكية والحاكية ، ومن عرف أنه متصف بالرحمة والعدل والهداية ، إن من عرف هذا كله لم يستغرب أن يبعث الله رسلاً يبينون لمن يدركون الخطاب من المخلوقات وهم الإنس والجن الدينَ الحقَّ والعبادة الحق والشريعة الحق .

وقد جرت سنته جل جلاله أن يرسل الرسل إلى الأمم ، وختم رسالاته برسالة محمد ﷺ وجعلها عامة للإنس والجن وباقية خالدة ، فالإنس والجن مكلفون بها إلى يوم القيامة .

وقد بعث الله رسله جميعًا مطالبين الخلق بالإسلام لله رب العالمين ، فذلك هو دينه الذي لا يقبل سواه . وبعد أن طرأ على الرسالات السماوية القديمة ما طرأ ، بعث الله محمدًا ﷺ بالقرآن المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان القرآن بيانًا لدينه الإسلام الحق مصدقًا لما بين يديه من الحق وناسخًا للباطل ، كما أنه ناسخ لكل ما خالفه وحاكم على كل ما عداه ، وبيَّن جل جلاله فيه أنه قد أكد هذا الدين وأنه لن يقبل من أحدٍ دينًا سواه :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ (١) .

﴿ ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقْبَلَ منه ﴾ (٢) ، **﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾** (٣) ، **﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾** (٤) .

وكتاب هذا الدين هو القرآن ، والشارح المعصوم له هو السنة ، فنصوص الكتاب والسنة هي نصوص هذا الدين ، وقد جعل الله كتابه : **﴿ تبيانًا لكل شيء ﴾** (٥) ، وفصَّل

---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥) النحل : ٨٩ .

رسول الله ﷺ بقوله وعمله وحاله وتقريره كل ما يحتاج إلى مزيد من التفصيل والبيان ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [1] .

* * *

وقد جاء الإسلام وهناك أديان قائمة ، منها ما أصوله سماوية ثم حُرِّفت ، ومنها ما هو غير ذلك ، وأهل كل دين متمسكون بما هم عليه ، وأهل الأديان هؤلاء أنفسهم متفرقون وكل فرقة متمسكة بما هي عليه من الهوى ، وبعث الله محمدًا ﷺ بالقرآن المعجزة الكبرى التي تضمنت معجزات كثيرة ليقيم الحجة على الخلق جميعًا وليكسر هذا الاستمرار على الباطل .

ومن قبل بعثته ﷺ كانت توجد بجانب الأديان فلسفات وشرائع ومذاهب وضعية ، فهناك فلسفة اليونان وشرائع الرومان ومذاهب الدهريين والملحدين ، وقد جاء الإسلام بالحق في كل شيء وكان الحاكم على كل شيء ، فأبطل ما كان باطلاً وأقر ما كان حقًّا .

* * *

وبعد مسيرة طويلة للإسلام صارع فيها الإسلامُ كل الأباطيل ، وتوسع فيها على حساب كل الدّيانات والمذاهب والفلسفات والشرائع ولازال ينتشر ويتوسع ، ومع وضوح حججه وأنه دين الفطرة فإنه مازال كثير من الناس مستمرين على ديانات باطلة ورثوها وتعتبر استمرارًا لأديان كانت موجودة قبل الإسلام : كالكونفوشوسية والبوذية والبرهمية والجينية والمجوسية واليهودية والنصرانية وبقايا الوثنية ، وهناك شرائع غير دينية أثرت في التشريعات العالمية كالتشريعات الرومانية ، ونشأت بعد الإسلام ديانات باطلة كالسيخية ، وبعض هذه الديانات الباطلة أنشأها أناس أصولهم مسلمون لكن ارتدوا كالقاديانية والبهائية كما رأينا ، وقد نشأت قديمًا وحديثًا مذاهب وفلسفات أصبحت عند أهلها تشكل بديلاً عن الأديان ، أو تحجمها كالشيوعية والعلمانية ، وكل ذلك يدخل في صراع مباشر مع الإسلام .

ولقد تأثر بعض المسلمين بفكر أديان أخرى ، ووجدت عند بعضهم اجتهادات خاطئة أو فهوم باطلة ، فنشأت بسبب ذلك فِرَقٌ : بعضهًا قريب من الإسلام الصافي ، وبعضها ابتعد

(١) النحل : ٤٤ .

حتى ضل ضلالاً بعيدًا ، وبعضها كفر ولم يبق له في الإسلام نصيب . وقد مر معنا شيء من ذلك .

وكل ذلك أثَرٌ عن الجهل بالله الذي يستتبع الجهل بأن الدّين عند الله هو الإسلام ، فمن عرف الله أسلم له بدينه الذي ارتضاه وكلّف به الإنس والجن وأقام الحجة على الخلق به ، وهو الإسلام كما جاءت به نصوص القرآن وبينته السُّنة المطهرة . فعلى الفِرق التي انشقت عن جسم الأمة الإسلامية أن تعيد النظر في مواقفها على ضوء الكتاب والسنة ، وعلى أهل الأديان أن يدخلوا في الإسلام الحق ، وعلى أهل المذاهب الفكرية والفلسفية والسياسية أن يدخلوا في الإسلام وينبذوا ما عداه ، وعلى الذين تأثروا بالفكر الغريب عن الإسلام من أبناء المسلمين حكامًا ومحكومين أن يتوبوا إلى الله وأن يثوبوا إلى الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة وصراطًا مستقيمًا . وبدون ذلك فإن أحدًا لا يعرف الله حق المعرفة ولا يعطي هذه المعرفة مقتضياتها وحقوقها .

وأهم الأديان التي يواجهها الإسلام في عصرنا : اليهودية والنصرانية وبقايا الأديان الفارسية والديانات ذات المنشأ الهندي كالبرهمية والجينية والبوذية والسيخية ، وهناك بقايا الوثنية المحضة وهناك الديانة الكونفوشوسية . وأهم المذاهب الفلسفية السياسية التي يواجهها الإسلام : الفلسفة الشيوعية والفلسفة العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة في كثير من بلدان العالم ، ونجحت في أن تعطل شريعة الإسلام في كثير من أفكار المسلمين ، وتتبناها أحزاب قومية وأحزاب وطنية ، وبعض هذه الجهات تحاول أن تظهر وكأنها مسالمة للإسلام ولكنها في واقع الأمر تعطله . ومن المذاهب المعاصرة التي يواجهها الإسلام المذاهب الفلسفية والحياتية المتعددة الصور في الفقه والتاريخ والاجتماع .

ومما يواجهه الإسلام الفكر الوجودي ومذاهبه العملية التي تقوم على فكرة الانطلاق كما تشاء الأهواء :

﴿ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ [1] .

---

(١) المؤمنون : ٧١ .

ومما يواجهه الإسلام في عصرنا جهات متعددة كل منها أخذ على عاتقه أن يهدم جزءاً من الثقافة الإسلامية أو يوجه الدراسات توجيهًا مخربًا ، ودائرتا اللغة العربية والتاريخ والمحاولات الكثيرة للتهديم وللتوجيه فيهما نموذجان . وإن البشر ليسيئون إلى أنفسهم في الدنيا والآخرة إذ يرفضون الدخول في الإسلام أو ينحرفون عنه ، قال تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ [1] .

* * *

(١) طه : ١٢٤ .

الوصل الرابع

في:

"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه"

وفيه:

مقدمة ونقول

المقدمة

إنه مع قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (١) ، فقد وُجِدَ من يزعم أنه من أسلم لله من خلال الفلسفة أو من خلال دين من الأديان القديمة ، فإنه يكون قد أدى حق الله عليه، وقد قطع الله عز وجل الطريق على أمثال هذه الأوهام فقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعُروة الوثقى ﴾ (٣) . وإنه من يعرف الأديان التي عليها الناس اليوم ويقارنها بالإسلام يعرف نعمة الله عز وجل إذ طالبنا بالإسلام وحده ولم يقبل منا غيره ، فقد آل أمر الأديان إلى ما لا يطاق عقلاً أو عملاً .

ولَعل دراسة بسيطة لبعض الأديان التي كانت زمن إرسال رسول الله ﷺ ترينا عمليًا أنها لا تستحق أن يستمر عليها الإنسان وترينا نعمة الله على البشرية إذ أرسل لها محمدًا ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٤) ، لقد بُعث محمد ﷺ ليقطع استمرارية الناس على ما هم فيه من كفر وشرك ، وها نحن نجول بك جولة تأخذ بها تصورًا سريعًا عن بعض هذه الشؤون :

إن الرحمة العظمى ببعثة محمد ﷺ تظهر في صور كثيرة ؛ من ذلك هدى الله عز وجل إلى معرفته الحق وإلى عبادته الحق وإلى صراطه الحق وجعل كتابه معجزة تحوي معجزات وذلك من مظاهر الرحمة ، قال تعالى : ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾(٥). ومن تأمل ضلال الخلق إلى جهلهم بالله وعدم قيامهم بحقوق عبادته وعبوديته وما يترتب على ذلك من انحراف وظلم ومظالم وأمراض وحروب عرف بعض مظاهر الرحمة الإلهية ببعثة محمد ﷺ .

ومن تأمل حال أهل الأديان المعروفة الآن في العالم وقارنها بالإسلام عرف رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ۝ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي

---

(١) آل عمران : ١٩ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .
(٤) الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) المائدة : ١٦ .

يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾[1] ، إن هذه الآية فصلت في مظاهر رحمة الله ببعثة محمد ﷺ :

إذ دلَّهم به على تقوى الله وعلى التكافل بين البشر بالزكاة وعلى الإيمان بآيات الله ، ودلهم على القدوة الحق وهو رسول الله ﷺ ، ودلهم على ما هو خير وعلى ما هو منكر ووضع عنهم الأثقال والأغلال التي تحملها أصحاب الديانات ، ودلهم على الجهة التي يجب أن ينصروها ويناصروها ، ودلهم على ما يجب عليهم أن يفعلوه وما يصلحهم في أمر دنياهم وأخراهم ، فهذا كله من مظاهر رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ للعالمين .

ومن تأمل الأديان التي عليها الناس اليوم عرف عظمة هذه الرحمة وقيمتها :

فالديانة الكونفوشيوسية في الصين آلت إلى الوثنية والشرك فأتباع كونفوشيوس يعبدون السماء والملائكة وأرواح الآباء ويعتقدون أن السماء عالم حي متحرك ، والبقية الباقية عندهم شيء من حكم سياسية أو اجتماعية فليس فيها هداية لله ولا لتعاليه ولا لعبادته الحق .

والديانة الطاوية في الصين آلت إلى وثنية وسلبية ، والسلبية فيها كافية للقضاء على متبعيها ؛ فالزهد المطلق والتسامح المطلق وعدم رد العدوان كائنًا ما كان كل ذلك كافٍ لخراب العالم .

والديانة البرهمية في الهند تقوم على الوثنية وتأليه كل شيء ، كما تقوم على مبدأ الطبقات ونظامه القاسي ؛ فهناك منبوذون وهناك حرفيون وهناك المحاربون وهناك البراهمة المقدسون ، وتقوم على فكرة التناسخ الخرافية التي تدعي أن الروح تنتقل من الإنسان إلى مخلوق أحط منه إن أساء إلا إذا دخل في رياضات تعذيبية لجسده ، لو أن كل إنسان طبقها لكانت كافية لخراب هذا العالم . ومن عاداتهم القديمة التي أبطلها الإنجليز أن المرأة تحرق نفسها إذا مات زوجها ، ومن عبادات البرهمي أن يمسح جبينه ببول البقر صباحًا ومساءً ، والفأر عندهم لا يجوز قتله والبقرة مقدسة .

---

(١) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

والديانة البوذية آلت إلى الوثنية وتعذيب الجسد . ولو أن البوذيين طبقوا ما آلت إليه البوذية تطبيقًا حرفيًا لانتهوا وفنوا ، فدين هذا شأنه مآل العالم على يديه إلى الهلاك .

والديانة الجينية في الهند تقوم على تعذيب الجسد واحتقار الرأي العام .

والديانة السيخية وهي ديانة حديثة النشوء لا تؤمن بالأنبياء أصلاً فمن أين يعرف الإنسان هداية الله أصلاً .

والديانة اليهودية استقرت على الحقد والكبرياء وعلى أحكام لا تقبل التطبيق ، ولذلك فإنه مع قيام دولة لليهود فإنها تقوم في أكثر قوانينها على العلمانية رغم شدة حرصهم على إبراز الهوية الدينية .

والديانة النصرانية استقرت على التثليث وعبادة الرسوم والأشكال والتماثيل ، وعلى صور من التعذيب للجسد وعلى محاربة الفطرة مما يكفي - لو أن طبق ما يعتبر الأفضل عندهم - إلى خراب العالم ، لذلك آلت دول العالم النصراني إلى العلمانية .

والديانة المجوسية آلت إلى عبادة إلهين : أحدهما الشيطان ، وإلى عبادة النيران ونكاح الأخت وتقديس الأكاسرة .

من هذا الاستعراض السريع ندرك حكمة الله عز وجل ورحمته بالخلق إذ بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وندرك حكمة من الحكم : لماذا لا يقبل الله دينًا غير دين الإسلام .

تعرّف على الإسلام وانظر ماذا يكون لو استجاب له كل إنسان ، وتعرف على الأديان وانظر كيف يؤول إليه أمر العالم لو استجاب العالم لأي دين منها ، فإنك تجد رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة** ﴾ (١) .

وهاك نقولاً تصف لك صورًا عما في بعض الأديان المعاصرة لتعرف رحمة الله على العالمين ببعثته محمدًا ﷺ وتعرف حكمة من حكم قوله تعالى :

﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾ (٢) .

---

(١) البينة : ١ - ٣ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

النقول

١ ـ نُقولٌ عن البرهمية

بعد أن ذكر أبو الحسن الندوي كثرة آلهة البراهمة قال :

زد إلى ذلك عبادتهم لآلةِ التناسل لإلههم الأكبر « مهاديو » ، وتصويرها في صورة بشعة ، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات ، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة ، وكان كهنة المعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن .

وقال أبو الحسن عن نظام الطبقات : يقسم هذا القانون أهلَ البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي : البراهمة ، طبقة الكهنة ورجال الدين ، شتري رجال الحرب ، ويش رجال الزراعة والتجارة ، شودر رجال الخدمة .

(وقد منح هذا القانون طبقةَ البراهمة امتيازات وحقوقًا ألحقتهم بالآلهة فقد قال : إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض ، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر ـ من غير جريرة ـ ما شاءوا ؛ لأن العبد لا يملك شيئًا وكل مالِهِ لسيده .

وإن البرهمي الذي يحفظ رك ويد « الكتاب المقدس » هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله ، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية أو يأخذ منهم إتاوة ، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعًا ، وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه ، أما غيره فيقتل .

أما الشتري فإنهم وإن كانوا فوق الطبقتين ، « ويش وشودر » ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول « منو » : إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشتري الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده .

المنبوذون الأشقياء : أما شودر « المنبوذون » فكانوا في المجتمع الهندي ـ بنص هذا القانون المدني الديني ـ أحطَّ من البهائم وأذلَّ من الكلاب ، فيصرح القانون بأن « من سعادة شودر

أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزًا فإن ذلك يؤذي البراهمة ، وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدًا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله ، وإذاهَمّ أحد من المنبوذين أن يجالس برهميًا فعلى الملك أن يكوي اسْتَهُ وينفيه من البلاد . وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتًا فائرًا ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء » ا.هـ (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) .

٢ - نُقولٌ عن الجينية وهي إحدى الديانات الهندية

قال الدكتور شلبي في كتابه : « أديان الهند » :

(وللوصول للنجاة يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان ، وعليه أن يدرك أن احترام الحياة أقدس ما عني به مهاويرا ، وعلى هذا يحرم عليه قتل الحيوان وبالتالي أكل اللحوم) .

(ولا بد للنجاة كذلك من قهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات ، ومؤدّى هذا ألا يحس الراهب بحب أو كره ، ولا بسرور أو حزن ، ولا بحرٍّ أو برد ، ولا بخوف أو حياء ، ولا بجوع أو عطش ، ولا بخير أو شر . والجيني بذلك يصل إلى حالة من الجمود والخمود والذهول فلا يشعر بما حوله ، ودليل ذلك أن يتعرى فلا يحس بحياء ويُنْتَف شعره فلا يتألم ، لأنه لو أحس بما في الحياة من خير وشر أو نُظُمٍ متَّفَقٍ عليها ، فمعنى هذا أنه لا يزال متعلقًا بها خاضعًا لمقاييسها ، وهذا يبعده عن النجاة . ولما كان أبرز ما في هذا التنظيم هو العري ، والجوع حتى الموت ، سميت الجينية دين العري ودين الانتحار .

العري والانتحار في الجينية :

وعن فكرة العري يقول أحد علماء الجينية في محاضرة له عنها :

يعيش الرهبان الجينيون عراة ، لأن الجينية تقول : مادام المرء يرى في العري ما نراه نحن ، فإنه لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاة مادام يتذكر العار ، فعلى المرء أن ينسى ذلك بتاتًا ليتمكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، فطالما تذكر الإنسان أنهُ يُوجد خيرٌ

أو شر ، حَسُنَ أو قبح فمعناه أنه لا يزال متعلقًا بالدنيا وبما فيهـا فلا يفوز بـ « موشكا » أي النجاة .

(ويرى الجينيون أن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم ، وعلى العكس من ذلـك فعـدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم وذلك زيادة في النقاء ، فعلى كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريًا ، ويتخذ من الهواء والسماء لباسًا له .

أمـا الانتحـار فقـد كان نتيجـةً للتخلي عن كل عمل ، وترك كل مـا يغـذي الجسم لعـدم الإحساس بالجوع ، ولقطع الروابط بالحياة ، وللتدليل على أن الراهب أو الراهبة لم يبق لـه اهتمام بهذا الجسد الفاني ، فهو يجيعـه ، وينتف شعره ، ويعرضـه لظواهر الطبيعـة القـاسيـة حتى الموت . وقد انتشر الانتحار بالجوع بين رهبان الجينيين قديمًا) ا . هـ شلبي .

ومن المعروف عند علماء الأديان :

أن مهاڤيرا مؤسس الجينيـة عـاش قبل أن يبـدأ دعوتـه في وسـط الرخـاء وطيب العيش حيث انحدر من طبقة الكاشتريا طبقة الملوك والقواد والحكماء في الهندوسية .

وكان وهو صغير يحب الجلوس إلى الرهبـان والنسـاك ، فتـأثر بفلسفتهم وعزف عن المتع ومال إلى الرهبنة والزهد ونذر أن لا يتكلم اثني عشر عامًا ، قضاها بالتـأمل والتفكير وخرج بعدها ليعلن مذهبه للناس .

وعندهم مـا يعرف بـالأصول السبعـة لتطهير الروح : مثل أخـذ العهود والمواثيق بوجوب التمسك بالخلق الحميد والتقليل من الحركات البدنية ، والتحلي بالفضائل ، والتفكير بالحقـائق الأسـاسيـة ، والسيطرة على متـاعب الحيـاة التي تنشـأ من الأعراض الجسمانيـة التي تنشـأ من الجوع والبرد ، والقناعة الكاملة ، والطمأنينة .

ولم يعترفـوا بـالله وذلـك حتى لا ينشـأ طبقـة جـديـدة من البراهمـة ، ولكن خـوفًـا من الهندوسية اعترفوا بآلهة الهندوس .

ويقـول مهـاڤيرا بـالتنـاسـخ لأن تخليص الروح من جسمهـا المـادي لا يتم إلا بـالتقشف والحرمان من الملذات فإذا انتهت روحه من ماديتها يرجع روحًا خالدًا .

٣ ـ نُقولٌ عن البوذية

قال أبو زهرة في كتابه « مقارنات الأديان » بعد أن ذكر الوصايا العشر عند البوذيين :

(هذه هي الوصايا العشر التي يأخذ بها البوذي ليروض إرادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحثون على عدم أخذ الذهب والفضة ، كأنها الأمر الذي تضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله المطامع وكأنها مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بها في اجتراع اللذات ، واجترار الشهوات ، ولهذا النهي عن اقتناء الذهب والفضة قالَ العلماء : إن البوذية تحث على عدم الملك ، وتطالب البوذي أن لا يملك شيئًا ولا يقتني شيئًا . فهو يطلب طعامه يومًا بعد يوم ، ولا يدخر من يومه إلى غده .

ولقد كان هذا سببًا في أن ينقسم البوذيون إلى قسمين :

أحدهما : البوذيون الدينيون الذين أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يحيدون عنها قيد أنملة ، وقيدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ، ويحرمون كل شيء غيرها ، ولا يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا جَشْبَ [1] العيش ، لما راضوا أنفسهم عليه ، من ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهريًا ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها .

أما الفرقة الثانية : فهي الفرقة التي تركت هذه التعاليم ولكن رأت أن عليها واجب كفالة الفرقة التي ذكرناها .

والمهم أنْ نعرف أنّ التعاليم التي آلت إليها البوذية لو أنها طبقت حرفيًا لفنت البشرية) . اهـ (مقارنات الأديان) .

ويعرف بعض علماء مقارنة الأديان البوذية بأنها :

ديانة التأمل في الباطن والرحمة وإنكار الذات ، ويبدو مما ألف عن بوذا أنه كان وديع المعاملة رقيق الكلام رحيمًا شفوقًا مما حببه إلى الناس وسبب لدعوته النجاح .

وخلاصة الوصايا التي أوصى بها بوذا :

---

(١) جَشَبَ : جَشْبًا ؛ غلُظ وخَشُنَ فهو جَشْبٌ ومِجْشابٌ . كذا في الوسيط .

١ـ لا تزهق روحًا ، ٢ ـ لا تأخذ ما لا تستحق ، ٣ ـ لا تزن ، ٤ ـ لا تكذب ولا تغش ، ٥ ـ لا تسكر ، ٦ ـ كُلْ باعتدال ، ٧ ـ لا تشهد رقصًا ولا تسمع غناءً أو تمثيلاً ، ٨ ـ لا تلبس حليًا ولا تتعطر ولا تتخذ زينة ، ٩ ـ لا تنم في فراش باذخ ، ١٠ ـ لا تقبل ذهبًا ولا فضة .

وهذه الوصايا قريبة إلى وصايا الأنبياء ، ومن هنا قيل إنه كان نبيًا أوحي إليه ، وقد حرفت ديانته بعده كما حدث لبقية الأديان ، ولا نستطيع الجزم بذلك ؛ لأن الجزم بذلك يحتاج إلى نص من كتاب أو سنة ، وليس هناك من نص إلا أن الله عز وجل أخبرنا أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ، قال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [1] .

وأهم كتب بوذا هي التي تحفظ أحاديثه وأقواله وأمثاله وينسبونها إلى بوذا ولا يدعون نزولها من السماء .

والمشهور أنه لم تكن على زمن بوذا طقوس معينة ولكن بعد وفاته أضيفت بعض الطقوس فيصلون أمام تمثال بوذا ويصومون بأوقات معينة بالامتناع عن الطعام والشراب عدا الحليب من نصف النهار حتى فجر اليوم التالي .

ويحجون بالذهاب إلى الهند ونيبال لزيارة الأماكن الأربعة المقدسة عندهم وهي : مكان ولادة بوذا ، والمكان الذي أشرقت فيه الحقيقة تحت الشجرة ، والمكان الذي بدأ دعوته منه ، ومكان وفاته ، ولا موسم للحج عندهم .

٤ ـ نُقولٌ عن ديانات الفرس

قال أبو الحسن الندوي في كتابه : « ماذا خسر العالم » :

(ولم تزل الحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش ، حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها ، وإن بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجًا بأخته .

يقول البروفسور « أرتهر كرستن سين » أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبنهاجن

---

(١) فاطر : ٢٤ .

بالدنمارك المتخصص في تاريخ إيران في كتابه (إيران في عهد الساسانيين) :

« إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل (جاتهياس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج الإيرانيين بالمحرمات ، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذا الزواج ، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبل أن يتنصر بالمحرمات ولم يكن يعد هذا الزواج معصية عند الإيرانيين ، بل كان عملاً صالحًا يتقربون به إلى الله ، ولعل الرحالة الصيني (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله : إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء » .

ظهر « ماني » في القرن الثالث المسيحي ، وكان ظهوره رد فعل عنيف غير طبعي ضد النزعة الشهوية السائدة في البلاد ، ونتيجة منافسة النور والظلمة الوهمية ، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر من العالم ، وأعلن أن امتزاج النور بالظلمة شر يجب الخلاص منه ، فحرَّم النكاح استعجالاً للفناء وانتصارًا للنور على الظلمة بقطع النسل ، وقتله بهرام سنة ٢٧٦ م قائلاً : إن هذا خرج داعيًا إلى تخريب العالم ، فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء من مراده . ولكن تعاليمه لم تمت بموته بل عاشت إلى ما بعد الفتح الإسلامي .

ثم ثارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة ، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٨٧ م ، فأعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم ، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم ، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك ، قال الشهرستاني : « أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ » . وحظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين وصادفت من قلوبهم هوى ، وسعدت كذلك بحماية البلاط ، فأخذ قباذ يناصرها ونشط في نشرها وتأييدها ، حتى انغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات ، قال الطبري : « افترص السّفلة ذلك واغتنموا وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتلي الناس بهم ، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك شيئًا مما يتسع به » إلى أن قال : « ولم يزل قباذ من خيار ملوكهم ، حتى حمله مزدك على ما حمله عليه ، فانتشرت الأطراف وفسدت الثغور) ا.هـ .

٥ ـ نُقولٌ عن اليهودية

قال الدكتور شلبي في كتابه عن اليهودية :

(تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه [زعموا] . ويقول التلمود بالتناسخ ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي) .

(ويُلزِمُ التلمود بني إسرائيل أن يغشوا سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهرًا مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين ....

ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود) .

(ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء في التلمود : محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحدَ الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال « ميمانود » : الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي ، فإذا رأيته واقعًا في نهر أو مهددًا بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه ؛ لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعًا لم يُقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض ، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين .

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أمي لأنه بذلك يقرِّب قربانًا إلى الله) .

المرأة في التلمود :

قال موسى : لا تشته امرأةَ قريبك ، فمَنْ يزنِ بامرأة قريبه يستحق الموت . ولا يعتبر التلمود القريب إلا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات الأجانب جائز ، واستنتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي ، لأن كل عقْدِ نكاحٍ عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد

مع البهائم وما شاكلها ، وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّما إذ أتى امرأة مسيحية ، وقال (ميانود) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات) ا.هـ .

ومن هذه النقول ندرك الفارق بين الإسلام وغيره ، ونعرف نعمة الله عز وجل بإرساله محمدًا ﷺ بشيرًا للعالمين ونذيرًا ومعلمًا ومربيًا ومزكيًا . ونعرف سرًا من أسرار قوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾ (١) .

* * *

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

الفصل الثالث

في:

الإيمان بالقدر

وفيه:

مقدمة ومسائل ونصوص وتلخيص

المقدمة

ذكرنا الإيمان بالقدر ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله لأنه في الحقيقة فرع الإيمان بالله وفرع معرفته ، فمن عرف الله حق المعرفة وعرف صفاته من إرادة وقدرة وعلم آمن بالقدر ضرورةً ، ولذلك قدمناه هنا .

والنصوص كثيرة وواضحة في إثبات القدر ، لكن القرآن ذكر أركان الإيمان الخمسة مجتمعة مع بعضها ، وذكر القدر منفردًا لأنه كما قلنا فرع الإيمان بالله ، أما السنة ذكرت الأركان الستة مع بعضها كما ورد في حديث جبريل عليه السلام : « قال [أي جبريل] : فأخبرني عن الإيمان . قال [أي رسول الله ﷺ] : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى . قال [أي جبريل] : صدقت . قال [الراوي] : فعجبنا له يسأله ويصدقه » .

لقد ذُكِرتْ أركان خمسةٌ من أركان الإيمان في القرآن بجانب بعضها ، قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ (١) .

وجاء ذكر القدر في أكثر من مكان : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ (٢) ، ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ (٣) ، ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب** ﴾ (٤) ، ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ (٥) .

* * *

إن عقيدة القضاء والقدر هي التحقيق لمعان متعددة تشمل :

معرفة الله والعبودية له والاستسلام والتسليم والتوكل ، وهي تأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن كل شيء بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وهي لا تنفي الاختيار ولا تعني الجبر .

إن هناك مشيئة نافذة وقدرًا تمضي عليه أمور هذا العالم ، وهذا لابد منه ؛ لأن هذا

---

(١) النساء : ١٣٦ .
(٢) القمر : ٤٩ .
(٣) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) الرعد : ٣٩ .
(٥) الزخرف : ٤ .

العالم مظهر لأسماء الله ومظهر للتعرف على الله .

فاقتضت حكمة الله أن يكون الجزء الاختياري الذي تقوم به الحجة على الخلق موجودًا ومحسوسًا ، ولكن بدلاً من أن يكون ذلك على طريقة القوة المودعة كما تقول المعتزلة كان ذلك بالإمداد المباشر ، ومن سوء الفهم لهذه الحقيقة وقع الخلط والخبط ، فالمعتزلة لم يتصوروا الاختيار إلا من خلال القوة المودعة ، والجبرية رأوا واقع الحال أن كل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته ، فقالوا بالجبر المحض ، وأهل السنة والجماعة رأو أن الاختيار أصل ، فقدرة الله تعمل على وفق مشيئته ، ومشيئته تعمل على وفق علمه ، والعلم كاشف لا مجبر ، ولكنَ أبى الله أن يكون معه فاعل يستقل بخلق شيء ، ومن ههنا كان الإيمان بالقدر هو فرع الإيمان بالله ، فمن عرف علم الله وإرادته وقدرته آمن بالقدر ، فالله يعلم الأشياء كلها أزلاً وخصص أزلاً ما أراد وجوده منها بالوجود ، وأبرزت قدرته ما أراد ، وسجل ذلك كله في اللوح المحفوظ وذلك هو القدر . فالقضاء والقدر يتضمنان الإيمان بعلم الله وإرادته وقدرته ، كما يتضمنان الإيمان باللوح المحفوظ لأن الله أخبرنا عن ذلك :

فالقدر : هو علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات كلها في المستقبل .

والقضاء : هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه الأزلي وإرادته .

وبعضهم عكس التعريف .

هذا وقد تطلق كلمة القدر على النظام المحكم الذي أقام الله عليه أمر الوجود وذلك داخل في القدر بمعناه الأشمل : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ (١) ، على أحد وجهين في التفسير : ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم** ﴾ (٢) ، ﴿ **وكل شيء عنده بمقدار** ﴾ (٣) .

إن الناس بالنسبة للخلق والخالق أقسام :

١ ـ الماديون الذين يؤمنون بالمادة ويلحدون بالله عز وجل .

٢ ـ القائلون بقدم المادة مع الإيمان بالله عز وجل .

---

(١) القمر : ٤٩ .
(٢) الحجر : ٢١ .
(٣) الرعد : ٨ .

٣ ـ القائلون بالخلق مع الإيمان بعدم التدخل وإنما هي أسباب وقوانين ولا دخل للإرادة الإلهية أو القدرة الإلهية .

وهذه الفرق الثلاثة كافرة بإجماع أهل السنة والجماعة .

٤ ـ القائلون بالخلق مع الإيمان بالقوة المودعة والتدخل الجزئي .

وقد اختلف أهل السنة والجماعة في هؤلاء فمِنْ مُكَفِّرٍ ومِن مُضَلِّل .

٥ ـ القائلون بالخلق واحتياج هذا الخلق إلى إمداد مستمر ، وأن كل شيء ابتداء إنما كان بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن الإمداد الإلهي مستمر ، فكل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته بدءًا واستمرارًا .

هؤلاء القائلون بمسألة خلق العبد وأفعاله وكل شيء ابتداءً وانتهاءً واستمرارًا هم أهل السنة والجماعة . ولهذه العقيدة تشهد النصوص . وبعض العلماء الذين لم يتلقوا عقائد أهل السنة والجماعة يغلطون في هذا الأمر ويغلِّطون ، وهم على مذهب المعتزلة ولا يشعرون ، وما ذلك إلا لغلبة الحس عليهم ؛ لأن المسألة تدور بين صور :

١ ـ علم الله أزلاً فأراد فأبرز بقدرته .

٢ ـ أو علم الله ولم يرد وحدث شيء غصبًا عنه .

٣ ـ أو علم ولم يرد وأعطى الخلق قدرة .

٤ ـ أو علم ولم يرد وأبرز بقدرته .

٥ ـ أو علم ولم يرد ولم يبرز بقدرته .

الصورة الأولى هي التي تتفق وجلال الربوبية ، والإيمان بها هو الذي يتحقق معه التكليف بالعبودية ، وتنسجم مع فكرتَيْ التوكل والدعاء ، وهي مظهر كال الله الأرق والأعلى ، وذلك يتفق مع قوله تعالى : ﴿ لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون ﴾ [1] ، والصورة الأولى هي التي تحقق الإيمان بالقدر .

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

المسائل

أولاً : يجب على العبد أن يصدق بالقدر ، وأن يستسلم لله عز وجل فيما قدره له .

ثانيًا : أن التسليم فيما يقع يجب أن يرافقه شكر على الطاعة وتوبة عن المعصية .

ثالثًا : أن يعتقد المسلم أنه مختار فيما يستقبل من الزمن في الأمور التكليفية ، ويتصرف على أنه مختار .

رابعًا : أن يسلم لله حكمه في شأن القدر وألا تدخل عليه الوسوسة في كيفية الجمع بين الاختيار والكسب وبين أن كل شيء بإرادة الله وقدرته ، فالله علم ما كان وما يكون فأراده فأبرزه بقدرته وههنا حد لا يسأل عنه : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ (١) .

خامسًا : هناك فارق بين المشيئة الإلهية من جهة وبين الأمر والرضا من جهة أخرى ، فكل شيء كان ويكون بإرادته ولكن ليس كل شيء كان ويكون بأمره التشريعي أو رضاه ، فكفر الكافر ومعصية العاصي ليست بأمره التشريعي ولا برضاه لكنهما بإرادته : ﴿ **إن الله لا يأمر بالفحشاء** ﴾ (٢) ، ﴿ **يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ (٣) .

سادسًا : لا يصح احتجاج الكافر والضال والفاسق بالمشيئة على الكفر والمعصية والضلال .

سابعًا : الخوض بالقدر من علامة اضطراب القلب وعدم طمأنينته ، ولذلك فقد كُرِه البحث في القدر ؛ لأن الكلام غير الدقيق فيه قد يؤدي إلى التشويش .

ثامنًا : نفت بعض الفرق الإسلامية القدر خشية أن تنسب إلى الله الظلم في فهمها فوقعت في ظلم أشد لأنها نفت عن الله عز وجل شمول الإرادة وشمول القدرة وشمول العلم .

والخلاصة :

إن الإيمان بالقدر هو المظهر الأعلى لمعرفة الله ولمعرفة صفاته وأفعاله . وهو الذي

(١) الأنبياء : ٢٣ .
(٢) الأعراف : ٢٨ .
(٣) فاطر : ٨ .

يناسب مقام الإنسان في العبودية .وهو الذي يتفق وافتقار الإنسان . وهو الذي يسبغ على الإنسان رضًا وسعادة . وهو الذي يعطي الإنسان شجاعة وإقدامًا . والإيمان بالقدر هو مفتاح التوكل على الله . وهذه وغيرها إيجابيات عقيدة القدر . فنحن مكلفون بآن واحد بأشياء : نحن مكلفون بالإيمان بالقدر ، ومكلفون في الوقت نفسه بالتوكل ، ومكلفون بالعمل والأخذ بالأسباب . فالمعرفة والإيمان والتسليم والعمل هي آداب المسلم في هذا المقام : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ (١) .

* * *

لقد اختلف أهل السنة والجماعة مع المعتزلة في مسائل :

منها خلق أفعال العباد ، ومنها شمول تعلق صِفَتَيْ الإرادة والقدرة بكل ما يجري في هذا العالم .

قال المعتزلة بأن العبد يخلق أفعال نفسه ، وقالوا بالقوة المودعة ؛ فالله عز وجل جعل الأسباب تعمل على وفق ما أودعها فيه دون أن تكون لإرادته وقدرته تدخل مباشر فيما يجري ، وهذا وهذا من عقائد المعتزلة يتنافى مع النصوص ، فالله عز وجل قال : ﴿ **الله خالق كُلِّ شيء** ﴾ (٢) ، ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم** ﴾ (٣) ، ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ (٤) ، ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ (٥) ، ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون** ﴾ (٦) ، ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ (٧) . ومن أذكار الإسلام : « لا حول ولا قوة إلا بالله » . ومن أسماء الله : القيوم ، وذلك يقتضي أن كل شيء لا يقوم إلا به ، ومن أسماء الله : الصمد ، وهذا يقتضي أن الخلق دائمو الاحتياج إلى الله ، ومن أسمائه : المعز والمذل والقابض والباسط والمقدم والمؤخر والمحيي والمميت ، وذلك يدل على أنّ كُلَّ ما يجرى فِعْلَهُ قد خَلَقَه اللهُ جل جلاله ، قال تعالى : ﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾ (٨) ، وهذا

---

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٦٢ .
(٣) التوبة : ١٤ .
(٤) الأنفال : ١٧ .
(٥) الشعراء : ٨٠ .
(٦) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .
(٧) الأعراف : ١٥٥ .
(٨) الرحمن : ٢٩ .

يتنافى مع القول بخلق الإنسان أفعالَ نَفْسِهِ ومع القول بالقوة المودَعة ، لأن القول بهاتين الفكرتين يؤدي إلى القول بأن الله عز وجل خلق الأسباب والمسببات وتركها تجري بما أودعه فيها دون أن يكون له تدخل مباشر فيا يجري ، وأين هذا من فكرة الدعاء وفكرة التوكل ؟ وأين هذا من النصوص وما أكثرها ؟ لو أنك تأملت فاتحة الكتاب وحدها لرأيت فيها أكثر من دليل على مذهب أهل السنة والجماعة ، فقوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [1] يفيد أن كل أنواع الحمد لله لأنه هو الفاعل على الحقيقة فهو المستحق للحمد ، وأي حمد إنما ينبغي أن يكون له ، فإذا حمدت إنسانًا على شيء فإن هذا الشيء بالله ومن الله ، فالله هو المستحق للحمد وحده ، وهذا يشهد لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [2] فيه دليل لأهل السنة والجماعة ، فكيف نستعين به على العبادة إذا لم يكن له تدخل فيا يجري ، وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [3] دليل لأهل السنة والجماعة فيا ذهبوا إليه ، فلو لم تكن الهداية بيده فكيف تطلبها منه في اليوم كذا مرة ، إن نصوص الكتاب والسنة تشهدان لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة : أن كل شيء مفتقر إلى الله وأن كل ما يجري بإمداد الله وبفعله . ولكون القول بأن الإنسان يخلق أفعالَ نفسه ، ولكون القول بالقوة المودعة يخدش الإيمان بالقَدَرِ فقد سَمَّى أهلُ السنة والجماعة المعتزلةَ « بالقدرية » أي نفاة القدر واعتبروهم امتدادًا لنفاة القدر بالكامل .

فالإيمان بالقدر يدخل فيه الإيمان بأن الله عز وجل علم أزلاً فأراد أزلاً فأبرز بقدرته وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وما يجري الآن وما سيجري كل ذلك أثر علمه وإرادته وقدرته وعلى مقتضى ما سجله في اللوح المحفوظ .

وإذ كان موضوع القدر تتفرع عنه مسائل كثيرة ، وينبثق عن أصول كبيرة ، والدخول في تفصيلاته يدخلنا في هذه المسائل والأصول ، وليس كل إنسان مؤهلاً للخوض في ذلك والوصول إلى شاطئ السلامة في هذا الشأن ؛ فقد كُرِهَ الخوض في القَدَر إلا بالقَدْر الذي

---

(1) الفاتحة : ٢ .
(2) الفاتحة : ٥ .
(3) الفاتحة : ٦ .

يقرره وينفي الشبهة عنه ، لقد سئل الإمام أحمد عن القدر فقال : « القدر قدرة الرحمن » . وقال الطحاوي : « وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره » .

تأمل قول هذين العالمين ، وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل :

٦١٤ - * روى الترمذي عن أبي خُزَامَةَ عن أبيه قال : قلتُ : يا رسول الله أرأيتَ رُقَاةً نستَرقي بها ، ودَوَاءً نَتَداوَى به ، وتُقاةً نَتَّقيها ، هل ترُدُّ من قَدَرِ الله شيئًا ؟ قال : « هو مِن قَدَرِ الله » .

وتأمل قوله عليه السلام لمن سأله : أيترك ناقته بلا عقل ويتوكل ؟ فقال : « اعْقِلْها وتوكل » .

لتعلم أن القدر ترتبط فيه مسائل كثيرة ، فهو مجمع أسرار العقيدة الإسلامية في باب الألوهية ، ولذلك كان الإيمان بالقدر والقيام بالتكليف مع الأخذ بالأسباب هي من علامات التوفيق الرباني .

وهذه نصوص في القدر :

---

٦١٤ - الترمذي (٤ / ٣٩٩) ٢٩ - كتاب الطب ٢١ - باب ما جاء في الرقى والأدوية .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(تُقاةً) : التُّقاةُ : ما يُتَّقى ويُحْذَر .

النصوص

٦١٥ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدمَ حين خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَه اليمنى فأخرج ذُرِّيَّةً بيضا كأنهم الذَّرُّ ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذُرِّيَّةً سودا كأنهم الحُمَمُ ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كَفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي » .

٦١٦ - * روى أحمد عن عبد الرحمن بن قتادةَ السُّلَمِيِّ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل خلق آدمَ ثم أخذ الخلقَ من ظهره فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فقال قائل : يا رسول الله فعلام ذا نعمل ؟ قال : « على مواقع القدر » .

٦١٧ - * روى البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في القبضتين : « هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه » . قال : فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر .

٦١٨ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمةٍ ، فألقى عليهم من نُوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضَلَّ ، فلذلك أقول : جَفَّ القَلَمُ على عِلْم الله » .

---

٦١٥ - أحمد (٦ / ٤٤١) .
وكشف الأستار (٣ / ٢١) .
مجمع الزوائد (٧ / ١٨٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح .
(الحُمَم) : الفحم .
٦١٦ - أحمد (٤ / ١٨٦) .
والحاكم (١ / ٣١) . وقال : هذا حديث صحيح . وهو صحيح .
٦١٧ - كشف الأستار (٣ / ٢٠) .
والروض الداني (١ / ٢٢٥) .
قال الهيثمي (٧ / ١٨٦) : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح .
٦١٨ - الترمذي (٥ / ٢٦) ٤١ - كتاب الإيمان ١٨ - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة . وقال : هذا حديث حسن .
وأحمد (٢ / ١٧٦) .

=

٦١٩ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه عن النبيِّ ﷺ قـال : « حـاجَّ آدمَ مُوسى ، فقـال [مـوسى] : أنت الـذي أخرجتَ النـاس من الجنـة بـذنبـك وأشقيتَهم » ؟ قال : « فقال آدمُ لموسى : أنت الذي اصطفاك اللهُ برسالاتـه وبكلامـه أتَلُـومُني على أمْرٍ كَتَبَـهُ الله عليَّ قَبْـلَ أن يَخْلُقَني ؟ أو قـدَّرَهُ عَلَيَّ قبـل أن يَخْلُقَني ؟ » قال رسولُ الله ﷺ : « فحجَّ آدمُ مُوسى » .

وفي روايـة [(١)] قـال : « احْتَجَّ آدم ومـوسى ، فقـال مـوسى : يـاآدمُ ، أنتَ أبـونـا خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة . فقال لـه آدمُ : أنتَ موسى اصطفـاكَ الله بكلامـه ، وَخَطَّ لكَ بيده ، أتَلُومُني على أمرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قبل أن يَخلُقني بأربعين عامًا ؟ » قال النبي ﷺ : « فَحَجَّ آدمُ موسى ، [فَحجَّ آدمُ موسى] » .

وفي أخرى [(٢)] قال : قال رسول الله ﷺ : « احتَجَّ آدمُ وموسى ، فقـال لـه موسى : أنت آدمُ الذي أخْرَجَتْكَ خطيئَتُكَ من الجنة ؟ » .

وفي رواية [(٣)] : « أخْرَجْتَنا وذريتَكَ من الجنة ، قـال : أنت موسى ؟ أليس الله اصطفاك برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قد قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أن أُخْلَقَ ؟ » .

وفي أخرى [(٤)] قـال النبيُّ ﷺ : « التقى آدمُ ومـوسى ، قـال مـوسى : أنت الـذي أشقيتَ النـاس ، وأخرجْتَهم من الجنـة ؟ قـال آدمُ : أنتَ الـذي اصطفـاك الله برسـالاتـه واصْطَنَعكَ لنفسـه ، وأنـزل عليـك التـوراةَ ؟ قـال : نعم ، قـال : فوجدْتَها ، كتب عَلَيَّ قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم ، فحجَّ آدم موسى » .

= والإحسان بترتيب ابن حبان (٨ / ١٦) كتاب التاريخ ـ باب بدء الخلق . والحديث إسناده حسن .

٦١٩ ـ البخاري (٨ / ٤٢٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ .

مسلـم (٤ / ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) البخاري (٦ / ٤٤١) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٣١ ـ باب وفاة موسى .

(٣) البخاري (١٣ / ٤٧٧) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٣٧ ـ باب ما جاء في قوله عز وجل : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ .

(٤) البخاري (٨ / ٤٢٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ .

ولمسلم (١) : أن النبيَّ ﷺ قال : « تحاجَّ آدَمُ وموسى ، فقال له موسى : أنت آدمُ الذي أغْوَيتَ الناسَ ، وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنتَ الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه برسالاته ؟ قال : نعم . قال : فَتَلُومُني على أمر قُدِّر عَليَّ قبل أن أُخْلَق ؟ » .

وفي أخرى (٢) له قال : « احتجَّ آدم وموسى عند ربهما ، فحجَّ آدم موسى ؛ قال موسى : أنتَ آدمُ الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسْجَدَ ملائكتَه وأسكنكَ في جَنَّتِهِ ، ثم أهْبَطْتَ الناسَ بخطيئتِكَ إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تِبْيَانُ كُلِّ شيء ، وقرَّبَك نَجيًّا ؟ فَبِكَمْ وَجدْتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلَقَ ؟ قال موسى : بأربعين عامًا . قال آدم : فهل وجَدْت فيها : ﴿ وعصى آدمُ ربَّه فغوى ﴾ (٣) ؟ قال : نعم . قال : أفتلُومُني على أن عَمِلتُ عملاً كتَبَه الله عَليَّ أنْ أعمله قبل أن يَخْلُقني بأربعين سنةً ؟ » قال رسولُ الله ﷺ : « فحجَّ آدمُ موسى عليهما السلام » .

وفي رواية الترمذي (٤) قال : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : ياآدم ، أنت الذي خَلقكَ الله بيده ، ونَفَخَ فيك مِن رُوحِه ، وأغْوَيت الناسَ وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه أتلومني على عمل عملتُه

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) طه : ١٢١ .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٤٤) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(المحاجة) : المجادلة والمخاصمة ، حاججت فلانًا فحججته ، أي : جادلتُه فغلبتُه .

(نجيًّا) النجيُّ : المناجي ، وهو المشاور والمحادث ، وقوله : « اصطنعك لنفسه » تمثيل لما أعطاه الله من منزلة التقريب والتكريم ، مثَّل حاله بحال من يراه بعض الملوك ـ بجوامع خصال فيه وخصائص ـ أهلاً لئلا يكون أحدٌ أقربَ منزلةً منه إليه ، ولا ألطف محلاً ، فيوليه من الكرامة ويستخلصه لنفسه ، والاصطناع : افتعال من الصنيعة ، وهي العطية والكرامة والإحسان .

(الإغواء) : الإضلال ، غَوَى الرجل يغوي وأغوى غيره .

(تبيان) : التبيان : الإيضاح ، وكشفُ الشيء ليظهر ويتبين .

كتبه الله عَليَّ قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ » قال : « فحجَّ آدم موسى » .

٦٢٠ ـ * روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ موسى عليه السلام قال : يارب ، أرنا آدمَ الذي أخرجَنَا ونَفْسَهُ من الجنة . فأراه الله آدمَ ، فقال له : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدمُ : نعم ، قال : أنت الذي نفخَ اللهُ فيك من روحه ، وعلَّمك الأسماءَ ، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك ؟ قال : فما حَمَلَكَ على أن أخرجتَنَا ونَفْسَك من الجنة ؟ قال له آدمُ :وَمَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : أنت الذي » ـ وذكر نحو حديث أبي هريرة وأتمّ منه ـ قال فيه : « أنت نبيُّ بني إسرائيل الذي كلَّمَكَ الله من وراء الحجاب ، ولم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه ؟ قال : نعم . قال : فما وجدتَ أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أُخلَقَ ؟ قال : نعم . قال : فلِمَ تلومني في شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي ؟ » قال رسولُ الله ﷺ عند ذلك : « فحجَّ آدمُ موسى » .

أقول : الملاحظ أنّ آدم عليه السلام عندما وقع في الذنب تاب واستغفر ولم يحتج على الله بالقدر ، وذلك منه قيام بحق التكليف فقال : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [(١)] ، ولكن عندما انتقل من دائرة التكليف بوفاته وانتقاله احتج بقدره على موسى عليه السلام ، ومن ههنا نعرف أدب المسلم أنه في هذه الدار يؤمن بالقدر ويقوم بالتكليف ، وإذا واقع المعصية تاب إلى الله وأناب ، وفي كل الأحوال في الدنيا والآخرة لا يفعل مما يفعله المشركون بأن يحتجوا على صحة ما هم فيه من الكفر والشرك والمعاصي بمشيئة الله فذلك فعل الكافرين : ﴿ **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حَرَّمْنَا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين** ﴾ [(٢)] .

٦٢١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجَ رسولُ الله ﷺ ونحن

---

٦٢٠ ـ أبو داود (٤ / ٢٢٦) كتاب السنة ـ باب في القدر . وإسناده حسن .

(١) الأعراف : ٢٣ . (٢) النحل : ٣٥ .

٦٢١ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٣) ٣٣ـ كتاب القدر ١ ـ باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

نَتَنَـازَعُ في القَـدَرِ ، فَغَضِبَ ، حتى كأنَّما فُقِئ في وجهِـهِ حَبُّ الرُّمَّـانِ حُمْرَةً من الغَضَب ، فقـال : « أبهـذا أُمِرْتُم ؟ أم بهـذا أُرسلتُ إليكم ؟ إنَّما أهلَـكَ من كان قبلَكم كَثْرَةُ التَّنازُعِ في أمْرِ دينهمْ ، واخْتِلافُهمْ على أنبيائهم » .

وفي روايـة (١) : « إنَّما هَلَـكَ مَنْ كان قبلَكُم حين تنـازعوا في الأمرِ ، عَـزَمْتُ عليكم ، عَزَمْتُ عليكم : أن لا تَنازعُوا فيه » .

٦٢٢ ـ * روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لا يؤمنُ عبدٌ ، حتى يؤمنَ بالقدر خَيرِه وشَرِّه من الله ، وحتى يعلم أنَّ مـا أصابه لم يكن ليُخطئَه ، وأن ما أخطأه لم يكن لِيُصيبَهُ » .

٦٢٣ ـ * روى الطبراني عن عمرو بن العاصي قـال : خرج رسول الله ﷺ فوقف عليهم فقال : « إنما هلك من كان قبلَكم بسؤالهم أنبياءهم واختلافِهم عليهم ولن يؤمِن أحدٌ حتى يؤمِنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه » .

(القدر والقضاء) قال الخطابي رحمه الله : قد يحسبُ كثيرٌ من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء : معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وما قدَّره ، وليس كذلك .

وإنما معناه : الإخبار عن تقدُّم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم ، وصدورها عن تقدير منه ، وخَلْقٍ لها خيرها وشرِّها . والقدر : اسم لما صدر مُقَدَّرًا عن فعل القـادر ، كالهدم ، والنشر ، والقبض ؛ أسماء لما صـدر من فعل الهـادم ، والنـاشر ، والقـابض ، يقـال : قَدَرت الشيء ، وقـدَّرتـه ـ خفيفـة وثقيلـة ـ بمعنى واحـد . والقضـاء في هـذا معنـاه الخلق ، كقـولـه تعـالى : ﴿ فقضـاهنَّ سبـع سمـوات في يـومين ﴾ (٢) ، أي : خلقهن . وإذا كان

= وقال : هذا حديث غريب . وهو حسن بشواهده .

(فُقِئ) : فُقِصَ وبُخِصَ ، ومنه : فقأتَ عَينَهُ ، أي : بَخَصْتَها .

(عزمتُ) : عزمتُ عليكم ، بمعنى : أقسمتُ عليكم .

(١) الترمذي : الموضع السابق .

٦٢٢ ـ الترمذي (٤ / ٤٥١) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٠ ـ باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن

٦٢٣ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٩) . وقال : رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات .

(٢) فصلت : ١٢ .

الأمركذلك ، فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم : أفعالهم واكتسابهم ، ومباشرتهم تلك الأمور ، وملابستهم إياها عن قصد وتعمُّدٍ ، وتقدُّم إرادة واختيار . فالحجة إنما تلزمهم بها ، واللائمة تلحقهم عليها . وجماع القول في هذا : أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر : بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما ، فقد رام هدمَ البناء ونقضه .

٦٢٤ ـ * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « لكل شيءٍ حقيقةٌ ، وما بلغ عبد حقيقةَ الإيمانِ حتى يَعْلَمَ أن ما أصابَهُ لم يكن لِيُخطِئَهُ وما أخطأَهُ لم يكن ليصيبَهُ » .

٦٢٥ ـ * روى أبو داود عن ابن الدَّيْلَمِيِّ رحمه الله ، قال : أتيتُ أُبيَّ بنَ كعبٍ ، فقلتُ له : قد وقعَ في نفسي شيء من القَدَر ، فَحَدِّثْني ، لَعَلَّ اللهَ أنْ يُذْهِبَه من قلبي . فقال : لو أن الله عَذَّبَ أهْلَ سَمَاواتِهِ وأهْلَ أرضِهِ عَذَّبَهمْ وهو غيرُ ظالمٍ لهم ، ولو رَحِمَهُمْ كانتْ رحْمَتُهُ خيرًا لَهُمْ مِنْ أعْمالِهِمْ ، ولو أنفَقْتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قَبِلَه اللهُ منك حتى تؤمِنَ بالقَدَرِ ، وتعلم أن ما أصابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَك ، وأن ما أخطأكَ لم يكن لِيُصيبكَ ، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلتَ النار . قال : ثم أتيتُ عبدَ الله بنَ مسعود ، فقال مثلَ ذلك . قال : ثم أتيتُ حُذيفةَ بنَ اليمان ، فقال مثلَ ذلك ، ثم أتيتُ زيدَ بن ثابت ، فحدَّثني عن النبي ﷺ مثلَ ذلك .

٦٢٦ ـ * روى الترمذي عن نافع ـ مولى ابن عمر ـ أن رَجلاً جاءَ ابنَ عمرَ ، فقال : إن فلانا يقرأُ عليك السلام . فقال ابنُ عُمَرَ : إنه بلغني أنه قد أحدَثَ التكذيبَ بالقدرِ ، فإن

٦٢٤ ـ أحمد (٦ / ٤٤١) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

٦٢٥ ـ أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ـ باب في القدر .

وابن ماجه (١ / ٢٩) المقدمة ١٠ ـ باب في القدر . وإسناده حسن .

٦٢٦ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٦) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٦ ـ باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

ورواه أحمد (٢ / ١٣٦) .

والحاكم(١ / ٨٤) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

كان قد أحدثَ فلا تُقرئْهُ مني السلام ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يكون في هذه الأمّة ، أو في أمّتي » ـ الشك منه ـ « خسفٌ ومَسْخٌ ، وذلك في المكذبين بالقَدَر » .

وفي رواية أبي داود [١] قال : كان لابن عمر صديقٌ من أهل الشام يُكاتِبُهُ ، فكتب إليه عبدُ الله بنُ عمر : إنه بلغني أنّك تكلّمْتَ في شيء من القدر ، فإياك أن تكْتُبَ إليّ ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « سيكون في أمتي أقْوَامٌ يُكذّبون بالقدر » .

وفي رواية الترمذي [٢] نحو الأولى ، وفيها قال : بلغني أنه قد أحدث فإن كان قد أحدث ... وذكر الحديث ، وقال في آخره : « خَسْفٌ ومَسْخٌ ، أو قَذف في أهل القدر ».

٦٢٧ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون النبي ﷺ في القدر فنزلت هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٣] .

٦٢٨ ـ * روى الطبراني عن سعيد بن جُبَيْر قال : كنت في حَلْقَةٍ فيها ابن عباس فذكرنا القَدَر فَغَضِب ابن عباس غضبًا شديدًا وقال : لو أعلم أن في القوم أحدًا منهم لأخذتُه ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بعثَ الله نبيًّا قط ثم قَبَضَه إلا جعل

---

(١) أبو داود (٤ / ٢٠٤) كتاب السنة ـ باب لزوم السنة .

(٢) الترمذي : الموضع السابق .

٦٢٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٤ ـ باب كل شيء بقدر .
وأحمد (٢ / ٤٤٤) .
والترمذي (٤ / ٤٥٩) ٣٣ ـ كتاب القدر . ١٩ ـ باب أبو كريب محمد بن العلاء .
وقال : هذا حديث صحيح .
وابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ ـ باب في القدر .

(٣) القمر : ٤٨ ، ٤٩ .

٦٢٨ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٧٣) .
وكشف الأستار (٣ / ٢٧) . وزاد : « وهم القدرية » .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة ، ورواه البزار وزاد : « هم القدرية » .

بعده فترةً وملأ من تلك الفترة جهنم » .

٦٢٩ ـ * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أمر هذه الأمة مواتيا أو مقاربًا » ـ أو كلمة تشبهها ـ « ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » .

٦٣٠ ـ * روى البزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أُخِّرَ الكلامُ في القدر لشرار هذه الأمة » .

٦٣١ ـ * روى أحمد عن ابن عون قال : أنا رأيتُ غَيْلان يعني القَدَرِيَّ مَصلوبًا على باب دمشق . (أي الذي قال بنفي القدر) .

٦٣٢ ـ * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجِبْتُ من قضاء الله سبحانه للمؤمن ؛ إنْ أصابه خيرٌ حَمِدَ رَبَّه وشكرَ ، وإن أصابَتْهُ مُصيبةٌ حمدَ ربه وصبرَ . المؤمن يؤجر في كل شيء » .

٦٣٣ ـ * روى أحمد عن أبي العلاء بنِ الشِّخِّير قال : حدثني أَحَدُ بَنِي سليم ـ ولا أَحْسِبُه إلا قد رأى النبي ﷺ ـ أن اللهَ عز وجل يبتلي عبدَه بما أعطاه ، فمن رضي بما قسم الله له بارك اللهُ فيه ووسَّعَهُ ، ومن لم يرضَ لم يبارِكْ له .

---

٦٢٩ ـ المعجم الكبير (١٢ / ١٦٢) .
وكشف الأستار (٣ / ٣٦) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح .
٦٣٠ ـ كشف الأستار (٣ / ٣٥) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط وزاد : « لشرار أمتي في آخر الزمان » . ورجال البزار في أحد الإسنادين رجال الصحيح غير عمر بن أبي خليفة وهو ثقة .
٦٣١ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .
٦٣٢ ـ مسند أحمد (١ / ١٧٣) .
وروى مسلم نحوه عن صهيب (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ١٣ ـ باب المؤمن أمره كله خير .
٦٣٣ ـ مسند أحمد (٥ / ٢٤) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٦٣٤ - * روى أحمد عن علي قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : بِاللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْقَدَرِ » .

٦٣٥ - * روى مسلم عن جابر بن عبدِ الله رضي الله عنهما قال : جاء سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، فقال : يا رسولَ الله ، بَيِّن لنا دِينَنَا كأنَّا خُلِقنا الآن ، فيم العملُ اليوم ، فيما جَفَّتْ به الأقلامَ وَجَرتْ به المقاديرُ ، أم فيما نستقبلُ ؟ قال : « لا ، بل فيما جَفَّتْ به الأقلام ، وجرت به المقادير » . قال : ففيم العَمَلُ ؟ قال : « اعْمَلُوا ، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ، وكلٌّ عاملٌ بعَمَلِهِ » .

٦٣٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال عمر : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه ، أمرٌ مُبتدَعٌ - أو مبتدأ - أو فيما قد فُرِغَ منه ؟ فقال : « فيما قد فُرِغَ منه يا ابنَ الخطاب ، ، وكلٌّ مُيَسَّرٌ ، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادة ، فإنه يَعْمَلُ للسعادة ، وأمَّا من كان من أهلِ الشَّقاء فإنه يعمل للشقاء » .

وفي رواية [(1)] ، قال : لما نزلت : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] سألتُ رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يا نَبيَّ الله ، فعلامَ نعمل ، على شيء قد فُرِغَ منه ، أو على شيء لم يُفْرَغْ منه ؟ قال : « بل على شيء قد فُرِغَ منه وَجَرَت به الأقلامُ يا عمرُ ، ولكنْ كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له » .

٦٣٧ - * روى أبو يعلى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « أراد الله أن

---

٦٣٤ - مسند أحمد (١ / ٩٧) .
والترمذي (٤ / ٤٥٢) ٣٣ - كتاب القدر ١٠ - باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .
وابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ - باب في القدر .
والمستدرك (١ / ٣٣) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

٦٣٥ - مسلم (٤ / ٢٠٤٠) ٤٦ - كتاب القدر ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

٦٣٦ - الترمذي (٤ / ٤٤٥) ٣٣ - كتاب القدر ٣ - باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .
(1) الترمذي (٥ / ٢٨٩) ٤٨ - كتاب التفسير ١٢ - باب ومن سورة هود . وقال : حسن غريب . وهو حديث صحيح .

٦٣٧ - كشف الأستار (٣ / ٢٣) .

يَخْلُقَ نَسَمَةً قال مَلَكُ الأرحام مُعْرِضًا : أي رب أذَكَرٌ أم أنثى ؟ فيقضي الله ، فيقول : أي رب أشَقيٌّ أم سعيدٌ فيَقْضي الله أمره . ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النَّكْبة يُنْكَبُها » .

٦٣٨ ـ * روى البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الشقي من شقِي في بطن أمه والسعيد من سَعِدَ في بطنها » .

٦٣٩ ـ * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جل ذكرُه يحيى بنَ زكريا في بطن أمه مؤمنًا وخلق فرعونَ في بطن أمه كافرًا » .

٦٤٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « وَكَّلَ اللهُ بالرَّحِم مَلَكًا ، فيقول · أي ربِّ نطفةٌ ؟ أي ربِّ عَلَقَةٌ ؟ أي ربِّ مُضْغَةٌ ؟ فإذا أراد أن يقضيَ خَلْقَها ، قال : يارب ، أذَكَرٌ أم أنثى ؟ أشقيٌّ ، أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيُكتب ذلك في بطن أمِّه » .

٦٤١ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إنَّ خَلْقَ أحَدِكم يُجْمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعين يومًا ، ثم يكون عَلَقةً مثل ذلك ، ثم يكونَ مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يَبْعَثُ الله إليه مَلَكًا

= مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

٦٣٨ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح .

٦٣٩ ـ المعجم الكبير (١٠ / ٢٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

٦٤٠ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) ٨٢ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك .

مسلم (٤ / ٢٠٣٨) ٤٦ ـ كتاب القدر ١٠ ـ باب كيفية الخلق الآدمي .

٦٤١ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) الكتاب والباب السابقان .

مسلم (٤ / ٢٠٣٦) الكتاب والباب السابقان .

وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة باب في القدر .

والترمذي (٤ / ٤٤٦) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٤ ـ باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : حسن صحيح .

بأربعِ كلماتٍ : بِكَتْبِ رزقِهِ وأجلِهِ وعملِهِ ، وشَقيٌّ أو سعيدٌ ، ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ ، فوالذي لا إله غيره ، إنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ فَيَعْمَلُ بعمل أهل النار فيدخُلُها ، وإن أحدَكم لَيَعْمَلُ بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلُها » .

٦٤٢ - * روى مسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعدي ؛ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فيما يَبْدُو للنَّاسِ ، وَهُوَ من أَهْلِ النَّارِ . وَإنَّ الرَّجُل لَيَعْمَل عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فيما يَبْدُو للنَّاس ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

أقول : قوله ﷺ : « فيما يبدو للناس » ، في هذه الرواية يقيد الروايات السابقة ، فمع إيماننا بأن مشيئة الله مطلقة فإننا نؤمن بأن رحمة الله عز وجل سبقت غضبه ، وأن من سنة الله أن من تقرب إليه شبرًا تقرب إليه ذراعًا ، وحسن الظن بالله يقتضي أنْ نؤمن أنَّ من أقبل على الله بصدق بعمل أهل الجنة واعتقادهم فإن الله عز وجل يزيد من بركاته ويختم له بالخير ، وإنّما نتصور المسألة بأنْ يوجد إنسان يعمل في الظاهر بعمل أهل الجنة ، وعنده عقائد فاسدة أو رياء أو أمراض قلبية ، أو يفعل ذنوبًا خفية ، فهو في الظاهر يعمل بعمل أهل الجنة وبالباطن يعمل بعمل أهل النار ، فمثل هذا عاقبته سيئة إلا إذا تجاوز الله عنه فيما سوى الشرك الأكبر .

٦٤٣ - * روى مسلم عن عامر بن واثلة رحمه الله أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول : الشقيُّ من شَقيَ في بَطن أمِّه ، والسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره . فأتى رجلاً من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقال له : حُذيفةُ بنُ أَسيد الغِفاري ، فحدَّثهُ بذلك من قول ابن مسعود ، فقال له : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتَعْجَبُ من ذلك ؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا مَرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعثَ اللهُ إليها ملكًا

---

٦٤٢ - مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ

٦٤٣ - مسلم (٤ / ٢٠٣٧) الكتاب والباب السابقان .

فصوَّرهَا ، وخلَقَ سَمعَها ، وبصرَها ، وجلِدَها ، ولحمها ، وعِظامها ، ثم قال : يا رب ، أذكرٌ ، أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ المَلَكُ ، ثم يقول : يارب ، أجلُه ؟ فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملك ، ثم يقول : يارب رِزْقُهُ ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج المَلَكُ بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على [ما] أمر ولا يَنْقُصُ » .

وفي رواية (١) قال : دخَلْتُ على أبي سَرِيحَةَ ، حُذَيفة بن أسيد الغفاري فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ بأذنيَّ هاتين يقول : « إنَّ النطفةَ تقع في الرَّحِمِ أربعين ليلةً ، ثم يَتَصوَّرُ عليها المَلَكُ » - قال زهير أبو خيثمة : حَسِبْتُهُ قال : « الذي يخلقها - فيقول : ياربِّ ، أذكَر ، أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى ، ثم يقول : يارب ، أسَويٌّ ، أو غيرُ سَويٍّ ؟ ثم يقول : [ياربِّ] ما رِزقُهُ ، ما أجلُهُ ، ما خُلُقُهُ ؟ ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا » .

وفي أخرى (٢) رفع الحديث إلى النبي ﷺ : « أن ملكًا مُوكَّلاً بالرحم ، إذا أراد الله عز وجل أن يَخلُقَ شيئًا ، بإذنِ الله لِبضْعٍ وأربعين ليلةً ... » ثم ذكر نحوه .

قال النووي حول هذه الأحاديث : (ثم يرسل الملك) ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يومًا ، وفي الرواية التي بعد هذه : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أم سعيد ؟ وفي الرواية الثالثة : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها . وفي رواية حذيفة بن أسيد : إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك . وفي رواية : أن ملكًا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئًا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة ، وذكر الحديث . وفي رواية أنس : أن الله قد وكل بالرحم ملكًا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة . قال العلماء : طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول : (يارب هذه علقة هذه مضغة) في

---

(١) مسلم (٤ / ٢٠٣٨) الكتاب والباب السابقان .

(٢) مسلم : في الموضع السابق .

أوقاتها ، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم سبحانه ، ولكلام الملك وتصرفه أوقات ؛ أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد ...

... وأما قوله في إحدى الروايات : فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، وذكر رزقه ...

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلّا بعد أربعة أشهر ، ووقع في رواية للبخاري : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات : فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه . فقوله : ثم يبعث « بحرف ثم » يقتضي تأخيرَ كَتْبِ الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ، والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى . وجوابه أن قوله : (ثم يبعث إليه الملك فيؤذن فيكتب) معطوف على قوله : (يجمع في بطن أمه) ومتعلق به لا بما قبله وهو قوله : (ثم يكون مضغة مثله) ، ويكون قوله : (ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله) معترضًا بين المعطوف والمعطوف عليه ، وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب . قال القاضي وغيره : والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال ، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول : يارب نطفة يارب علقة . قال القاضي : وقوله في حديث أنس : (وإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال يارب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ؟) لا يخالف ما قدمناه ، ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة ، بل ابتداء للكلام وإخبار عن حالة أخرى ، فأخبر أولاً بحال الملك مع النطفة ، ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد إظهار خلق النطفة علقة كان كذا وكذا » . ا . هـ النووي .

وهناك اتجاهات أخرى لم يذكرها النووي .

أقول : مما مر معنا من كلام النووي ندرك أن هناك خلافًا في فهم النصوص حول الزمن

الذي يكون فيه التصوير الكامل لخلق الإنسان في رحم أمه ، وهي قضية أصبح بإمكان علم الأجنة الحالي أن يبتّ فيها ، فما بتّ فيه علم الأجنة في هذا الشأن - وهو لا يخرج عما ذكرته النصوص وفهمه العلماء من قبل - فإنه هو الذي يُرجَّح على غيره .

٦٤٤ - * روى البزار عن عائشةَ عن النبي ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى حين يريدُ أن يَخْلُقَ الخَلْقَ يبعثُ مَلَكًا ، فيدخُلُ الرَّحِمَ فيقول : يارَبِّ ماذا ؟ فيقول : غلامٌ أو جارية أو ما أرادَ أن يَخلُقَ في الرَّحِمِ . فيقول : يارب شقي أم سعيد ؟ فيقول يارب ما أجلُه ؟ ما خلائقُه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما رزقُه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما خُلُقُه ؟ ما خلائقه ؟ فما من شيء إلا وهو يُخْلَقُ معه في الرَّحِمِ » .

٦٤٥ - * روى البزار عن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن أول شيء خَلَقَهُ اللهُ القلمُ وأمَرَهُ أنْ يَكتُبَ كُلَّ شيءٍ » .

أقول : الأولية هنا أولية نسبية ، وإلا فقد مرّ معنا أن العرش والماء خلقا قبل ذلك ..

٦٤٦ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ : قال : « لما خلق الله القلم قال له : اكْتُبْ . فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة » .

٦٤٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل لَيَعْمَلُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهل الجنة ، ثم يُخْتَمُ له عملُه بعملِ أهلِ النار ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعملِ أهلِ النارِ ثم يُختمُ له عملُه بعملِ أهلِ الجنةِ » .

---

٦٤٤ - كشف الأستار (٣ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٥ - مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٦ - المعجم الكبير (١٢ / ٦٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٦٤٧ - مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

٦٤٨ - * روى أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال لابنه عند الموت : يا بُنيّ إنك لن تجدَ طَعْمَ حقيقةِ الإيمانِ حتى تعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ ، قال له : اكتب . قال : يارب ، وماذا أكتب ؟ قال : اُكتبْ مقاديرَ كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بنيُّ ، إنّي سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية للترمذي (١) : قال عبد الواحد بن سُلَيم : قَدِمْتُ مَكَّةَ فلقيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح ، فقلتُ له : يا أبا محمدٍ ، إنَّ بالبصرة قومًا يقولون : لا قدر . فقال : يا بُنيَّ ، أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقال : فاقرأ (الزخرف) فقرأتَ : ﴿ حم والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون * وإنّه في أم الكتاب لدينا لَعَليٌّ حكيم ﴾ ثم قال : أتدري ما أمُّ الكتاب ؟ قلت : لا . قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ ، فيه : إن فرعون من أهل النار ، فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أبي لهبٍ وتَبَّ ﴾ . قال عطاء : ولقد لقيتُ الوليدَ بنَ عُبَادةَ بنِ الصامت ، صاحبَ رسول الله ﷺ فسألته : ما كانت وصيةُ أبيك لك عندَ الموت ؟ فقال لي : دعاني فقال لي : يا بني ، اتقِ الله ، واعلم أنك لن تَتَّقيَ الله حتى تؤمن بالله ، وتؤمن بالقدر كلّه خيرِهِ وشَرِّه ، وإن متَّ على غير هذا دخلتَ النار ، إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلق الله القلمَ ، فقال له : اُكتب . قال : ما أُكتب ؟ قال : اكتب القَدَرَ . فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

٦٤٩ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان ، فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا :

---

٦٤٨ - أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٧) ٣٣ - كتاب القدر ١٧ - باب حدثنا قتيبة ... إلخ . وقال : غريب من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٣١٧) . وهو حديث صحيح .

٦٤٩ - الترمذي (٤ / ٤٤٩) ٣٣ - كتاب القدر ، ٨ - باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار . وقال : حسن غريب صحيح .

مسند أحمد (٢ / ١٦٧) . والحديث إسناده حسن .

=

لا يـارسـول الله ، إلا أن تُخْبِرَنـا . فقـال للـذي في يـده اليمنى : « هـذا كتـابٌ من رب العالمين فيـه أسماءَ أهلِ الجنـة ، وأسماءُ آبـائهم وقبـائلهم ، ثم أجملَ على آخرهم ، فلا يُزَاد فيهم ولا يُنقص منهم أبدًا » . ثم قـال للـذي في شمالـه : « هـذا كتـاب من رب العالمين ، فيه أسماءُ أهلِ النارِ ، وأسماءُ آبـائهم وقبـائلهم ، ثم أجملَ على آخرهم ، فلا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا » قال أصحابه : ففيم العملُ يا رسولَ الله إن كان أمرٌ قـد فُرِغ منه ؟ فقال : « سَدِّدُوا وقاربوا ، فإن صاحبَ الجنةِ يُخْتَم لـه بعمل أهل الجنـة وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ ، وإن صاحب النارِ يُختم له بعمل أهل النـار وإنْ عَمِل أيَّ عملٍ » . ثم قـال رسول الله ﷺ بيـديـه ، فنبـذهمـا ، ثم قـال : « فَرَغَ ربكم من العبـاد ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير » .

٦٥٠ ـ * روى مسلم عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنه قـال : قـال رجل : يـارسـول الله ، أعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » . قال : ففيم يعمل العـاملون ؟ قـال : « كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له » .

وفي روايـة للبخـاري (١) ، أيُعرَف أهلُ الجنـة من النـار ؟ قـال : « نعم » . قـال : فَلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : « كلٌّ يعمل لما خُلِق له » أو « لما يُسِّر له » .

ولمسلم (٢) من رواية أبي الأسود الدِّيلي ، قـال : قـال لي عِمْرانُ بنُ حُصَيْن : أرأيتَ مـا يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيـه ، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى عليهم مِنْ قَـدَرٍ قـد سبق ، أو فيما يستقبلـون بـه ممـا أتـاهم بـه نَبِيُّهُمْ وثَبَتَتِ الحجَّـةُ عليهم ؟ فقلت : بـل شيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى عليهم . قال : أفلا يكون ظُلْمًا ؟ قال : فَفَزِعتُ من ذلك فزعًا شديدًا ، وقلت : كلُّ شيءٍ خَلْقُ الله ومِلْكُ يده ، فلا يُسأل عَمَّا يفعل وهم يُسألون . فقال لي : يَرْحَمُكَ الله ، إني

= (سددوا وقاربوا) السداد : الصواب في القول والعمل ، والمقاربة : القصد فيهما .

(أجمل على آخرهم) أجملتُ الحسابَ : إذا جمعتَه وكملتُ أفراده ، أي : جمعوا ، يعني أهل الجنة وأهل النار عن آخرهم ، وعُقدت جملتهم ، فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان .

٦٥٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤١) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) البخاري (١١ / ٤٩١) ٨٢ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب جف القلم على علم الله .

(٢) مسلم : في الموضع السابق .

=

لم أُرِدْ بما سألتُكَ إلا لأحْزُرَ عقْلَكَ ، وإن رجلين من مُزَيْنَةَ أتيا رسولَ الله ﷺ فقالا : يا رسولَ الله ، أرأيتَ ما يَعمَلُ الناسُ اليوم ، ويَكْدَحون فيه ، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ [قد] سَبَقَ ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم [به] نبيُّهم ، وثبتت الحُجَّةُ عليهم ؟ فقال : « لا ، بل شيء قضِيَ عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ » [الشمس : ٧ ، ٨] .

٦٥١ - * روى الترمذي عن ابن عباس : كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ فقال لي : « يا غلام إني أعلمك كلمات ، احْفَظِ الله يَحْفَظْك ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعنْ بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأقلام وجفت الصحف » .

٦٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جَنَازَةٍ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ ، فأتانا رسولُ الله ﷺ ، فَقَعَدَ ، وَقَعَدنا حَولَهُ ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَنَكَسَ ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ، ثم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعدُه من النار ، ومقعدُه من الجنة » . فقالوا : يا رسول الله أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا ؟ فقال : « اعْمَلوا ، فَكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ، أمَّا مَنْ كان من أهلِ السعادة ، فسيصيرُ لعمل أهل السعادة ، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء ، فسيصير لعمل [أهل] الشقاء » ثم

= (لأحزر عقلك) : قال النووي : لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .

٦٥١ - الترمذي (٤ / ٦٦٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٥٩ - باب حدثنا بشر .... إلخ وقال : حسن صحيح . وهو كما قال .

(خلف النبي) : خلف النبي على دابته .

(احفظ الله) : بملازمة تقواه واجتناب نواهيه .

(تجده تجاهك) : تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة .

(رفعت الأقلام) : تُرِكَت الكتابة بها .

(جفت الصحف) : كناية عن تقدم كتابة المقادير والفراغ منها من أمد بعيد .

٦٥٢ - البخاري (١١ / ٤٩٤) ٨٢ - كتاب القدر ، ٤ - باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا .

مسلم (٤ / ٢٠٣٩) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي .... إلخ .

قرأ : ﴿ فأمَّا مَنْ أعطى واتَّقَى * وصدَّق بالحسنى * فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرى ﴾ . [الليل : ٥ - ٧] .

وفي رواية الترمذي (١) قال : كُنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ ، فأتى رسولُ الله ﷺ ، فَقَعَدَ ، وقعدنا حَوْلَهُ ومعه مِخْصَرَةٌ ، فجَعَلَ ينْكُتُ بها ثم قال : « ما منكم من أحد » - أو - « [ما] من نَفْسٍ مَنْفُوسةٍ ، إلا وقد كتَبَ الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كُتِبَتْ شَقِيَّةً أو سعيدةً » . فقال رجل : يا رسولَ الله أفلاَ نَمكُثُ على كتابنا وَنَدَعُ العمل ؟ فمن كان مِنَّا من أهل السعادة ، لَيَكونَنَّ إلى أهل السعادة ، ومن كان مِنَّا من أهل الشَّقاوة ، ليكُونَن إلى أهل الشقاوة ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « بل اعْمَلوا ، فكلٌّ مُيَسَّر ، فأمَّا أهل السعادة فَيُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فَيُيَسَّرُون لعمل أهل الشقاوة » ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وَصدَّق بالحسنى * فَسَنُيَسِّره لِلْيُسْرَى * وأما من بَخِلَ واستغنى * وكذَّب بالحُسنى * فسنُيَسِّره للعسرى ﴾ [الليل : ٥ - ١٠] .

وفي أخرى للترمذي (٢) قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ وهو يَنْكُتُ [في] الأرض ، إذ رفع رأسه إلى السماء ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا قد عُلِم » - وفي رواية : « إلا قد كُتِبَ - مقعدُهُ من النار ، ومقعده من الجنة » . قالوا : أفلا نتَّكلُ يا رسولَ الله ؟ قال : « لا ، اعملوا ، فَكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له » .

٦٥٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قَبْلَ أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة » . قال : « وعرشه على الماء » .

---

(١) الترمذي : (٥ / ٤٤١) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٨١ - باب ومن سورة : ﴿والليل إذا يغشى﴾ . وقال : حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٤٥) ٣٣ - كتاب القدر ، ٣ - باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .

(مِخْصَرَة) كالسوط ونحوه مما يمسكه الإنسان بيده من عصيّ ونحوها .

(فَنَكَسَ) : أي خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة المهموم .

٦٥٣ - مسلم (٤ / ٢٠٤٤) ٤٦ - كتاب القدر ، ٢ - باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

وفي رواية الترمذي (١) : « قدَّر الله المقاديرَ قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضينَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ » .

قال النووي : (كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء : المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره ، لا أصل التقدير ، فإن ذلك أزليّ لا أول له .

(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض .

أقول : وقبل أن يخلق من الماء مجرات هذا الكون .

٦٥٤ - * روى الطبراني عن أسامة بن زيد : قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جُعِلَتْ منِيَّةُ عبدٍ بأرضٍ إلا جُعِلَ له فيها حاجةٌ » .

٦٥٥ - * روى مسلم عن طاوس اليماني قال : أدركتُ ناسًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقولون : كلُّ شيء بقدَر . قال : وسمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العَجْزُ والكَيْسُ » .

٦٥٦ - * روى أحمد عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فَرَغَ الله إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره ومَضْجَعِهِ » وفي رواية : « وعمله » .

٦٥٧ - * روى الترمذي عن سعد رفعه : « من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم سَخَطُهُ بما قضى الله له » .

---

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٨) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٨ - باب حدثنا إبراهيم ... وقال : حسن صحيح غريب .

٦٥٤ - المعجم الكبير (١ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٦) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٦٥٥ - مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ - كتاب القدر ، ٤ - باب كل شيء بقدر .

والموطأ (٢ / ٨٩٩) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب النهي عن القول بالقدر .

(الكيس) : العقل .

٦٥٦ - مسند أحمد (٥ / ١٩٧) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات .

٦٥٧ - الترمذي (٤ / ٤٥٥) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٥ - باب ما جاء في الرضا بالقضاء . =

٦٥٨ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنُ القويُّ خيْرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ ، احْرِصْ على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تَعْجِزْ ، وإن أصابك شيء فلا تَقُلْ : لو أنِّي فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّر اللهُ وما شاءَ فَعَلَ ، فإنَّ [لو] تفتحُ عَمَلَ الشيطان » .

* * *

= قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس بالقوي . وقال في الميزان : ضعفوه . قال ابن حجر : وأورده أحمد باللفظ المذكور عن سعد وسنده حسن .

٦٥٨ ـ مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٨ ـ باب في الأمر بالقوة وترك العجز ...

التلخيص

ـ القدر هو سرُّ الأسرار في العقيدة الإسلامية ، ولذلك فإن من المستحسن عرضه من خلال النصوص فذلك أقرب إلى الإيمان والفهم والتسليم ، وإنما كان سر الأسرار لارتباطه بصفات الذات الإلهية وارتباطه بمقام العبودية وارتباطه بتقرير فكرتي الكسب والاختيار مع التسليم أنَّ كل شيء فِعْلُ الله وارتباطه بمعان كبيرة أخرى .

ـ القدرية المذمومون عند أهل السنة والجماعة قدريتان : أولى ؛ انقرضت قبل انتهاء القرن الثاني الهجري وهي التي تنفي القدر وتقول : (إن الله لم يقدر الأمور أزلاً وإن الله يستأنف الأمر علمًا حال وقوعه) وهؤلاء كفار قطعًا ، والقدرية الثانية ؛ هم المعتزلة الذين ينسبون أفعال العباد إلى قدراتهم وهؤلاء مبتدعة إذا لم يجتمع لهم مع البدعة مُكَفِّر ، قال صاحب الخريدة :

ومن يقل بالقوة المودعةِ   فذاك بِدْعِيٌّ فلا تلتفتِ

هناك إيمان بالقضاء والقدر وتسليم لله فيهما وأن كل ما قضاه وقدره ففيه الحكمة جل جلاله ، وهناك المقضي والمقدر على الإنسان ، ومن هذا المعصيةُ ، والواجب فيها : التوبة على أصحابها والإنكار من غيرهم . ومنه الطاعة ، والواجب فيها من أهلها : الشكر عليها . ومنه الابتلاءات فالواجب فيها : الصبر والرضا عن الله والتسليم له . ومنه الإنعام بصنوف النعم ، فواجب العبد فيها : الشكر .

الإيمان بالقضاء والقدر لا ينفي الاختيار ؛ ولذلك لا يجوز للعبد أن يحتج بالقدر قبل الوقوع توصلا إليه ، كأن يقول : (قدَّر الله عليَّ الزنا) وغرضه الوقوع فيه أو الاحتجاج به بعد الوقوع تخلصًا من الحد .

والإيمان بالقضاء والقدر جزء من التكليف ، والعبد مطالب بالإيمان بالقضاء والقدر ، ومطالب بالعمل ، وحال رسول الله ﷺ وأصحابه حجة في ذلك ، ومن ربط بين الإيمان والقدر والخمول وترك العمل فقد ضَلَّ وأَضَلَّ .

آثار الإيمان بالقضاء والقدر محمودة كلها ، فمن آثاره الشجاعة والجرأة والإقدام والصبر والتسليم والرضا من الله والتوكل وإنما يُؤْتَى الجاهلُ مِن قِبَلِ جَهْلِهِ .

الفصل الرابع

في:

الإيمان بالملائكة

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

الإيمان بالملائكة يأتي في ترتيب الأركان الستة كما وردت في الحديث الصحيح الركن الثاني ، وهذا يشعر بأهميته بالنسبة لأركان الإيمان عند الذين يرون أن الواو لا تقتضي مطلق الجمع ، وعند الذين يعتبرون التقديم مُشْعِرًا بالأهمية أو بالفضل .

* * *

وأركان الإيمان كلُّها فصَّلها القرآن تفصيلاً كاملاً حتى لا يبقى لبس في شأنها ، ومن ههنا كان للتفصيل القرآني حول الملائكة ما يكفي ويشفي ، ومع ذلك فقد جاء في السُّنة كثير من التفصيلات عن الملائكة وبعض وظائفهم .

* * *

وإذا عرفنا أن كل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المكلفون به على الله عز وجل ، فإنه من المناسب أن نعرف بعض الحِكَم في خَلْقِهِ جل جلاله الملائكةَ .

وأول هذه الحكم : أن يعرف الخلق مظاهر قدرته جلَّ جلاله ، فالله قادر على أن يخلق : ما هو خير ولا يفعل إلا خيرًا كالملائكة . وقادر على أن يخلق : ما هو شرٌّ ولا يفعل إلا شرًّا كالشياطين . وقادر على أن يخلق : ما هو قابل لفعل الخير والشر كالإنسان، وفي ذلك كله أنت تتعرف على الله عز وجل .

وثاني هذه الحكم : أن يعرف المكلفون عظمةَ مُلْكِه ومَمْلَكَتِه ، وكثرةَ جنوده ، الذين من أعظمهم وأكثرهم الملائكة : ﴿ وما يعلم جنودَ ربِّك إلا هو ﴾ [1] ، ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ [2] .

وثالث هذه الحكم : أن يعرف المكلفون لله تعالى الترتيب والطاعة والنظام فيتطلعون للارتقاء والاقتداء .

ورابع هذه الحكم : أن يعرف المكلفون استغناء الخالق عن طاعتهم فإنَّه مهما عصى من

---

(١) المدثر : ٣١ . (٢) الفتح : ٤ .

عصى فإن هناك من يطيع .

وخامس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون رعاية الله عز وجل لأهل الإيمان ولأهل الأرض من خلال معرفتهم لوظائف بعض الملائكة .

وسادس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون جلال الربوبية وعظمة الإلهية .

هذا بالإضافة إلى حِكَمٍ كثيرة في السموات والأرض والدنيا والآخرة والتكليف والمكلفين تعرفها من خلال النصوص .

ونصوص القرآن التي تحدثت عن الملائكة أو عن بعضهم كثيرة ، ونصوص السنة كذلك كثيرة تجدها في أبواب متعددة ؛ ففي سياق الطهارة والذكر والصلاة والدعاء وقراءة القرآن والجهاد والإنفاق والسفر والصور والبيوت والليل والنهار والفلك والملكوت والموت والجنائز ، وغير ذلك تجد كلامًا عن الملائكة ، ولذلك خص بعض المؤلفين هذا الركن من أركان الإيمان بالتأليف ، ولو أراد الإنسان أن يجمع نصوص الكتاب والسنة مع تعليقات وتحقيقات العُلماء في شأن الملائكة لجمع الكثير الذي يحتاج إلى أكثر من مجلد ، وقد اعتمدنا في هذا الكتاب أن نضع في كل فصل من فصوله ما هو ألصق بمضمون الفصل دون استقصاء ، تاركين كثيرًا من الأمور لسياقها في مواطن أخرى ومن قرأ هذه السلسلة كلها لا يفوته التكامل في الموضوعات وإن فاته الجمع تحتَ العنوان الواحد .

وفي هذا الفصل سننقل بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة ثم نتبع ذلك بذكر بعض النصوص من السنة .

* * *

(١)

بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة

ا ـ ذكر القرآن أنه مما ينبغي أن يؤمن به المؤمن الملائكة فقال تعالى :

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدًا ﴾(١).

ب ـ وقد نصّ القرآن على أنواع من الضلال وقعت به بعض الأمم أو بعض الناس في شأن الملائكة كوصف بعضهم الملائكة بأنهم إناث ، ووصف بعضهم الملائكة بأنهم بنات الله ، وتوجه بعضهم إلى الملائكة بالعبادة ، وكلها مكفرات وضلالات :

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسَمُّون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم بذلك من علم ﴾ (٢) .

﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشَهِدُوا خلقهم ستُكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ (٣) .

﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنّةِ نسبًا ﴾ (٤) .

بأن زعم بعض المشركين بأن بعض الجن تزوج ببعض الملائكةَ وزعموا أن الملائكَة بناتُ الله.

﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهٰؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم ﴾ (٥) .

فهذه كلها كفريات وقع فيها أفراد أو أمم في شأن الملائكة وهناك من يقول أقوالاً أو يتصرف تصرفات تشي بهذه العقيدة . قال الشيخ وهبي سليمان في كتابه « أركان الإيمان » :

(لذا قرر علماء التوحيد أن مَنْ نَسَبَ الملائكةَ إلى الأنوثة كَفَر ؛ لأنه كَذّبَ صريحَ القرآن ، ومن نسبهم إلى الذكورة فَسَقَ ؛ لأنه نسب إليهم ما لم يأت به عن الله تعالى

---

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) النجم : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الزخرف : ١٩ .

(٤) الصافات : ١٥٨ .

(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١ .

ورسوا ﷺ شيء .

وعلى هذا يقال : مَنْ اعْتَقَدَ في صور البنات والنساء الجميلات على أطرافها أجنحة - والتي تباع في الأسواق ويتبادل بها بعض المسلمين التهاني في الأفراح والعيدين - أنها تُشْبِهُ صُوَرَ الملائكة كَفَرَ لظاهر نسبة الملائكة إلى الأنوثة .

ومن اعتقد في صوت المرأة أنه ملائكي ، أو في صورة الممرضة أنها صورة ملاك الرحمة كفر كذلك ؛ لما ذكرنا) ا . هـ .

جـ - وقد نص القرآن على معرفة الملائكة بالله عز وجل وطاعتهم وعبادتهم وخوفهم منه جل جلاله وأدبهم الرفيع معه فقال الله تعالى :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط ﴾ [(١)] .

﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [(٢)] .

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [(٣)] .

﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [(٤)] .

﴿ فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ [(٥)] .

﴿ لا يعصون اللهَ ما أمرهم ﴾ [(٦)] .

﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفتُرُون ﴾ [(٧)] .

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [(٨)] .

ومن هذه النصوص ندرك أن القصة التي سرت إلى بعضهم في شأن هاروت وماروت وأنها ملكان عصيا الله تعالىٰ بعد أن ركِّب فيهما الشهوة قصة لا أصل لها ، وقد عرضنا لذلك

---

(١) آل عمران : ١٨ .
(٢) الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) النحل : ٥٠ .
(٤) الأنبياء : ٢٨ .
(٥) فصلت : ٣٨ .
(٦) التحريم : ٦ .
(٧) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ .
(٨) النساء : ١٧٢ .

في التفسير ، فإن كان لابد من فهم الآية على أنها في ملكين أنزلا من السماء إلى الأرض ، فإنها ملكان مكلفان مطيعان يعلّمان الناس السحر ليفرقوا بينه وبين المعجزة ، كما نَعْلَمُ خطأ مَنْ يظن أن السؤال الذي ذكره الله على لسانهم سؤال اعتراض في قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ (١) ؛ فسؤالهم كان سؤالاً عن الحكمة وليس اعتراضًا ، وحاشاهم .

د ـ وكما أن البشر متفاضلون عند الله ، وأكرمهم عنده الرسل وهم عنده متفاضلون ، فكذلك الملائكة ؛ قال تعالى :

﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ (٢) .

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (٣) .

ومظاهر هذه الرسالة كثيرة ؛ أولها الرسالة بالوحي : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٤) ، والرسالة بالبُشرى أو بالإنذار : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (٥) ، ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (٦) ، ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ (٧) . ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطًا سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعًا ﴾ (٨) . وهناك الرسالة بالمهات ومن ذلكُ قبض الأرواح : ﴿ توفته رسلنا ﴾ (٩) ، فأي ملك كلِّف بمهمة في حق غيره فإنه رسول من الله إلى ذلك الغير .

هـ ـ وأهل الإيمان يحبون الملائكة جميعًا : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على

---

(١) البقرة : ٣٠ .
(٢) الحج : ٧٥ .
(٣) فاطر : ١ .
(٤) الشعراء : ١٩٣ .
(٥) آل عمران : ٣٩ .
(٦) آل عمران : ٤٢ .
(٧) آل عمران : ٤٥ .
(٨) هود : ٧٧ .
(٩) الانعام : ٦١ .

قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ [١] . ﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [٢] . الملائكة مخلوقات نورانية خلقت من نور لكن عندهم قابلية للتشكل بالصور الشريفة وقد ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها ﴾ [أي إلى مريم] ﴿ روحنا ﴾ [أي جبريل] ﴿ فتمثل لها بشرًا سويًّا ﴾ [٤] . ونصوص السنة كثيرة في موضوع تشكل الملائكة بصورة البشر .

ز ـ وقد حدثنا القرآن عن بعض الملائكة وعن بعض وظائفهم :

١ ـ من ذلك حملة العرش ومن حوله :

فقال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ [٥] .

٢ ـ ومن ذلك جبريل وميكال :

﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [٦] .

﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك ﴾ [٧] . ﴿ وأيدناه ﴾ [أي عيسى] ﴿ بروح القدس ﴾ [٨] [أي جبريل] .

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ [٩] . والمراد بالروح جبريل عليه السلام .

﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك

---

(١) البقرة : ٩٧ .
(٢) البقرة : ٩٨ .
(٣) هود : ٦٩ ، ٧٠ .
(٤) مريم : ١٧ .
(٥) غافر : ٧ .
(٦) البقرة : ٩٨ .
(٧) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٨) البقرة : ٢٥٣ .
(٩) القدر : ٤ .

ظهير ﴾ (١) .

﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَمّ أمين ﴾ (٢) .

﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٣) .

٣ ـ ومن ذلك إسرافيل الذي ينفخ في الصور :

﴿ ونُفخَ في الصور فصعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللهُ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٤) فالنافخ إسرافيل عليه السلام .

٤ ـ ومن ذلك ملك الموت وأعوانه :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ﴾ (٥) ، ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (٦) ، ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٧) ، ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السَّلَمَ ما كنا نعمل من سوء ﴾ (٨) ، ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخْرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (٩) .

٥ ـ ومن ذلك زبانية جهنم وعلى رأسهم مالك :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ (١٠) .

---

(١) التحريم : ٤ .
(٢) التكوير : ١٩ ـ ٢١ .
(٣) النجم : ٥ ـ ٩ .
(٤) الزمر : ٦٨ .
(٥) السجدة : ١١ .
(٦) الأنعام : ٦١ .
(٧) الأنفال : ٥٠ .
(٨) النحل : ٢٨ .
(٩) الأنعام : ٩٣ .
(١٠) التحريم : ٦ .

﴿ عليها تسعة عشر * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ [١] .

﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ [٢] .

﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل ﴾ [٣] .

﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ [٤] .

٦ ـ ومن ذلك خزنة الجنة والقائمون على تدبير شؤونها والمُطَمْئِنُون لأهل الإيمان في الآخرة :

﴿ لا يَحْزُنُهُم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [٥] .

﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ [٦] ، ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [٧] .

٧ ـ حملة العرش والحافون له يوم القيامة :

﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ [٨] ، ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [٩] .

٨ ـ ومن ذلك حفظة الإنسان :

﴿ له مُعقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [١٠] .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ [١١] ، ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ [١٢] .

---

(١) المدثر : ٣٠ ، ٣١ .
(٢) الزخرف : ٧٧ .
(٣) الزمر : ٧١ .
(٤) غافر : ٤٩ .
(٥) الأنبياء : ١٠٣ .
(٦) الزمر : ٧٣ .
(٧) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .
(٨) الحاقة : ١٧ .
(٩) الزمر : ٧٥ .
(١٠) الرعد : ١١ .
(١١) الأنعام : ٦١ .
(١٢) الطارق : ٤ .

٩ - ومن ذلك رقيب وعتيد ، وهما وصفان للملكين اللذين يكتبان أعمال الناس :

﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (١) .

﴿ وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾ (٢) ، ﴿ أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ (٣) .

١٠ - ومن ذلك المبشرون للمؤمنين عند الاحتضار :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (٤) .

١١ - ومن ذلك تثبيت المؤمنين :

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبِّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (٥) .

﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزَلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾ (٦) .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُرْدِفين ﴾ (٧) .

١٢ - ومن ذلك الذين يشفعون لبعض المؤمنين يوم القيامة :

﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ (٨) .

١٣ - ومن ذلك الدعاء والاستغفار للرسول وأهل الإيمان :

---

(١) قٓ : ١٧ ، ١٨ .
(٢) الانفطار : ١٠ - ١٢ .
(٣) الزخرف : ٨٠ .
(٤) فصلت : ٣٠ ، ٣١ .
(٥) الأنفال : ١٢ .
(٦) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٧) الأنفال : ٩ .
(٨) الأنبياء : ٢٨ .

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾ [١] .

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ [٢] .

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [٣] .

﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ [٤] .

ولننتقل إلى ذكر بعض النصوص النبوية في شأن الملائكة وأعمالها وصفاتها وما إلى ذلك :

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢) الأحزاب : ٤٣ .
(٣) غافر : ٧ .
(٤) الشورى : ٥ .

(٢)

بعض النصوص النبوية

٦٥٩ ـ * روى البخاري عن جابر بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « ثمَّ فَتَرَ عنِّي الوَحيُ فترةً ، فبَينا أنا أمشي سمعتُ صوتًا منَ السماء ، فرفعتُ بَصري قِبَلَ السماء فإذا المَلكُ الذي جاءني بحِراءَ قاعدٌ على كُرسيٍّ بينَ السماء والأرض ، فَجُئِثْتُ منه حتَّى هَوَيتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهلي فقلت : زَمِّلوني زَمِّلوني ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ ياأيها المدَّثر قم فأنذر ﴾ [1] إلى قوله ﴿ والرُّجزَ فاهجر ﴾ » [2] . قال أبو سلمة : والرجزُ الأوثان .

٦٦٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضيَ الله عنها أنَّ الحارثَ بن هِشامٍ سأل النبيَّ ﷺ : كيفَ يأتيكَ الوَحي ؟ قال : « كلُّ ذلك ؛ يأتيني المَلَكُ أحيانًا في مثل صَلْصَلةِ الجرَس ، فَيَفصمُ عني وقد وَعَيْتُ ما قالَ ، وهوَ أشَدُّه عليَّ ، ويَتمثَّلُ لي المَلَكُ أحيانًا رجُلاً فَيُكَلِّمُني ، فأَعي ما يقول » .

٦٦١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ عن مالكِ بن صَعْصَعَةَ رضيَ الله عنهما قال : قال النبيُّ ﷺ : « بَينا أنا عندَ البيت بين النائم واليَقْظان ـ وذكرَ يعني رجلاً بينَ الرَّجلَين ـ فأُتيتُ بطِستٍ من ذَهَبٍ مَلآن حِكْمةً وإيمانًا ، فشقَّ منَ النَّحْرِ إلى مَراقِّ البطنِ ، ثم غُسِل البطنُ بماء زَمْزَم ، ثمَّ مُلِئَ حكمةً وإيمانًا . وأتيتُ بدابَّةٍ

---

٦٥٩ ـ البخاري (٨ / ٦٧٦) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب حدثني يحيى ... إلخ

(١) المدثر : ١ .

(٢) المدثر : ٥ .

(جُئِثْتُ منه) : فَزِعْتُ وخِفْتُ .

وقال الحربي : أراد : جُئِثت ، فجعل مكان الهمزة ثاء .

٦٦٠ ـ البخاري (١ / ١٨) ، ١ ـ كتاب بدء الوحي ، ٢ ـ باب حدثنا عبد الله بن يوسف .

مسلم (٤ / ١٨١٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٢٣ ـ باب عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي .

٦٦١ ـ البخاري (٦ / ٣٠٢) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٦ ـ باب ذكر الملائكة .

مسلم (١ / ١٤٩) ١ ـ كتاب الإيمان . ٧٤ باب الإسراء برسول ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات .

وأحمد (٤ / ٢٠٧) .

أبيضَ دُونَ البغلِ وفَوقَ الحمارِ البُراقُ ، فانطلَقْتُ معَ جبريلَ ، حتى أتينا السماء الدُّنيا ، قيلَ : من هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : من معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أرسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرحبًا بهِ ؛ ولنِعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على آدمَ فسلمتُ عليه فقال : مَرحبًا بك مِن ابنٍ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثانية ، قيلَ : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : مَن معكَ ؟ قال : محمدٌ ﷺ . قيل : أُرسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرحبًا به ولنِعمَ المَجيء جاء . فأتيتُ على عيسى ويحيى ، فقالا : مَرحبًا بك مِن أخٍ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيلَ : جبريلُ . قيلَ : مَن معكَ ؟ قال : محمد . قيلَ وقد أرسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيلَ : مرحبًا به ، ولنِعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على يوسفَ فسلمتُ ، فقال : مرحبًا بكَ من أخٍ ونبيّ . فأتَينا السماءالرابعةَ ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيلَ : من معك؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أُرسلَ إليه؟ قال : نعم . قيل : مَرحبا بهِ ، وَلنِعم المجيءُ جاءَ . فأتيتُ على إدريس فسلَّمتُ عليه فقال : مَرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا السماءَ الخامسة ، قيلَ : من هذا؟ قيل : جبريلُ . قيلَ : ومن معكَ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أُرسلَ إليه؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به وَلَنِعْمَ المجيءُ جاء . فأتينا على هارون ، فسلمتُ عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا على السماء السادسةِ ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريلُ . قيل : من معك ؟ قيل : محمدٌ ﷺ . قيل : وقد أُرسِلَ إليه ؟ مَرحَبًا بهِ ، نِعمَ المجيءُ جاء. فأتيتُ عَلى موسىٰ فسلمت عليه فقال : مَرحبًا بكَ من أخٍ ونبيٍّ . فلما جاوَزتُ بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب ، هذا الغلامُ الذى بُعِثَ بعدي يَدخلُ الجنةَ من أُمَّتهِ أفضلُ مما يدخلُ من أمَّتي . فأتينا السماءَ السابعَة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسلَ إليه ؟ مَرحبًا بهِ وَلَنعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على إبراهيمَ فسلَّمتُ عليه فقال : مَرحبًا بكَ من ابنٍ ونبيٍّ . فرُفِعَ لي البيتُ المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيتُ المعمور ، يُصلي فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلك ، إذا خَرَجوا لم يعودوا إليه آخرَ ما عليهم . ورُفعتْ لي سِدْرَةُ المنتهى ، فإذا نَبقُها كأنهُ قِلالُ هَجر ، ووَرقُها

كأنه آذانُ الفُيول ، في أصلِها أربعةُ أنهارٍ : نَهْرَانِ باطِنانِ ونهرانِ ظاهران . فسألتُ جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنَّة ، وأما الظاهرانِ النيلُ والفرات . ثمَّ فُرِضَتْ عليَّ خمسونَ صلاةً ، فأقبلتُ حتى جئتُ موسىٰ فقال : ما صَنَعتَ ؟ قلتُ : فُرِضت عليَّ خمسون صلاة . قال : أنا أعلمُ بالناسِ منكَ ، عالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة ، وإنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطيق ، فارْجِعْ إلى ربِّكَ فسَلْهُ . فرجعتُ فسألتهُ ، فجعلَها أربعين ، ثم مثلَهُ ثمَّ ثلاثين ، ثمَّ مثله فجعلَ عشرين ، ثمَّ مثله فجعلَ عَشرًا . فأتيتُ موسىٰ فقال مثله،فجعلها خمسًا . فأتيتُ موسىٰ فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ : جعلَها خمسًا . فقال مثلَهُ . قلتُ فسلَّمت . فنودي : إني قد أمضيتُ فريضتي . وخففتُ عن عبادي ، وأجْزِي الحسنَةَ عَشْرًا » .

أقول : حاول بعض العلماء أن يؤولوا هذا الحديث فأولوه تأويلات شتى ، والظاهر أنّ من أنهار الجنة الفرات والنيل ، فأهل الجنة يختار لهم من مُتَمِّياتِ ما عرفوا في الدنيا ما يزدادون به أُنسًا . وهناك اتجاهٌ إلى أن سيحان وجيحان والفرات والنيل التي ورد ذكرها مجتمعة في بعض النصوص قد شرفت بأن نسبت إلى الجنة في الدنيا إشارة إلى أنها ستكون من أنهار المسلمين في الدنيا فلها فضلها ، ويمكن أن يكون في المسألة جانب غيبي يقتضي منا التسليم ، فقد ذهب القاضي عياض إلى أنِ أصول سدرة المنتهى في الأرض بدليل أننا نشهد أن النيل والفرات ينبعان من الأرض ، وقد ذكرنا أن السموات السبع والجنة والنار مغيبة عنا . هذا ولم نذكر قول عياض مؤيدين له إنما ذكرناه كنموذج لاحتمال أن يكون في المسألة جانب غيبي يجب التسليم فيه دون البحث عنه . وقال القرطبي : (... وقيل إنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهًا لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة . وعلى هذا فالنيل والفرات المذكوران في الحديث نهران موجودان في الجنة وهما غير الفرات والنيل الموجودين على الأرض ، وفي ذلك إيناس لأهل الجنة وتشريف للنيل والفرات الأرضيين) .

٦٦٢ - * روى البخاريُّ ومسلم عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما - عن النبيِّ ﷺ قال :

٦٦٢ - البخاري (٦ / ٣١٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين .

=

« رأيتَ ليلةَ أُسري بي موسى رجُلاً آدمَ طوالاً جَعْدًا كأنه من رجالِ شَنوءةَ - ورأيتُ عيسىٰ رجُلاً مَربوعًا ، مربوعَ الخَلْقِ إلى الحُمرةِ والبياضِ ، سَبْطَ الرأس . ورأيتُ مالكًا خازنَ النار ، والدَّجّالَ في آيات أراهُنَّ اللهُ إياه ، فلا تَكُنْ في مِرْيةٍ من لقائه » . قال أنسٌ وأبو بكرة عن النبي ﷺ : « تحرسُ الملائكةُ المدينةَ مِن الدَّجال » .

أقول : ويبدو أنهم كانوا متميزين بشيء ما في الجسد أو الملبس حتى أصبح يشبه بهم بعض الناس .

٦٦٣ - * روى مسلمٌ عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قال أَبُو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُم ؟ قَالَ : فَقِيلَ : نَعَمْ . فَقَالَ : وَاللاَّتِ والعُزَّىٰ ! لَئِن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّراب . قَالَ : فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي . زَعَمَ لِيطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ . قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيتَّقِي بِيَدَيْهِ . قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَالكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا » .

٦٦٤ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمدًا يُصلي عندَ الكعبةِ لأَطأَنَّ على عُنُقِه . فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال : « لو فَعلَهُ لأَخَذَتْهُ الملائكة » . تابَعه عَمرو بن خالد عن عبيد الله عن عبدِ الكريم .

٦٦٥ - * روى البخاري عن عروةَ أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زَوْجَ النبي ﷺ حدَّثَتْهُ أنها

= مسلم (١ / ١٥١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(شَنوءة) : قبيلة معروفة ويقال : أَزْد شنؤة : وهم حي من اليمن . وسميت بذلك من قولك : رجل فيه شنوءة : شنؤة أي : تقزز ، وقال الجوهري التقزز : التباعد من الأدناس .

٦٦٣ - مسلم (٤ / ٢١٥٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٦ - باب قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ .

٦٦٤ - البخاري (٨ / ٧٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٤ - باب : ﴿ كلا لنسفعنْ بالناصية ... ﴾ .

٦٦٥ - البخاري (٦ / ٣١٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة ... إلخ . =

قالت للنبيِّ ﷺ : هل أتىٰ عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحُدٍ ؟ قال : « لقد لَقِيتُ من قومكِ ما لقيتُ ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبةِ إذ عَرضتُ نفسي علىٰ ابنِ عبدِ يَاليل بن عبد كُلال فلم يُجبْني إلى ما أردْت . فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ ، على وَجهي ، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بقَرنِ الثَّعالبِ ، فرَفَعتُ رأسي ، فإذا أنا بِسَحابةٍ قد أظلَّتني ، فنظرْتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني فقال : إنَّ الله قد سمعَ قولَ قومِك لك وما رَدُّوا عليك ، وقد بعث اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لِتأمُرَهُ بما شئتَ فيهم ، فناداني مَلَكُ الجبال فسلم عليَّ ثم قال : يا محمدُ ، فقال : ذلكَ فيما شئتَ ، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشَبَيْنِ » . فقال النبيُّ ﷺ : « بل ، أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ الله وحدَهُ لا يُشركُ به شيئًا » .

٦٦٦ ـ * روى البخاري عن معاذ بن رِفاعة بن رافع الزُّرَقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال : ما تَعدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم ؟ قال : « مِن أفضل المسلمين » . أو كلمةً نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

٦٦٧ ـ * روى مسلم عن عائشةَ أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالسًا كاشفًا عن فخذه فاستأذنَ أبو بكر فأذنَ له وهو على حاله ، ثم استأذن عمرُ فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمانُ فأرخى عليه ثيابَهُ ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله ، استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذِنتَ لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك . فقال : « يا عائِشةُ ، ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه » .

قال النووي : هذا الحديث مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن يقول : (ليست الفخذ عورة) . ولا حجة فيه ؛ لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان ، فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ ، وفي هذا الحديث جواز تدلل العالم والفاضل بحضرةِ مَنْ يُدِلُّ

= (الأخشبين) : جبلا مكة : أبو قُبَيْسٍ والأحمرُ وجبلا مِنىً . ومنه الأخشب : الجبل العظيم الخشن .

٦٦٦ ـ البخاري (٧ / ١١٣) ٦٤ ـ كتاب المغازي ، ١١ ـ باب شهود الملائكة بدرًا .

٦٦٧ ـ مسلم (٤ / ١٨٦٦) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٣ ـ باب من فضائل عثمان رضي الله عنه .
وأحمد (٦ / ٦٢) .

عليه من فضلاء أصحابه ، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحى منه . ا.هـ.

٦٦٨ - * روى أحمد عن حُذَيفَةَ قال : سألتني أمي : منذ متى عهدك بالنبي ﷺ ؟ قال : فقلت لها : منذ كذا وكذا . قال : فنالت مني وسبَّتني . قال : فقلت لها : دعيني فإني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغربَ ثم لا أدعَهُ حتى يستغفر لي ولك . قال : فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب ، فصلى النبي ﷺ العشاء ثم انفتل ، فَتَبِعْتُه فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فاتبعتُه فسمع صوتي فقال : « من هذا » ؟ فقلت : حذيفة . قال : « مالك » ؟ فحدثته بالأمر ، فقال : « غفر الله لك ولأمك » . ثم قال : « أما رأيتَ العارضَ الذي عرض لي قُبَيْلُ » . قال : قلت : بلى . قال : « ملك من الملائكة لم يَهبط الأرضَ قَبْلَ هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلِّم عليّ ويبشرني أن الحسنَ والحسين سيدا شبابِ أهلِ الجنة وأن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة » رضي الله عنهم .

٦٦٩ - * روى أحمد عن وَكيع أنه قال : حدثني عبدُ الله بن سعيد عن أبيه ، عن عائشةَ أو أم سلمةَ ، قال وكيعٌ : شكَّ هو - يعني عبد الله بن سعيد - أنّ النبي ﷺ قال لإحداهما : « لقد دخل عليَّ البيتَ مَلَكٌ لم يدخل علي قبلها فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئتَ أريْتُكَ مِن تربةِ الأرض التي يُقتلُ بها » قال : « فأخرج تربة حمراء » .

٦٧٠ - * روى أحمدُ عن عائشة ، قالت : خرجْتُ يومَ الخَنْدَقِ أقفو آثار الناس . قالت : فسمعتُ وئيدَ الأرض ورائي . [يعني مَسَّ الأرض] . قالت : فالتفتُّ فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابنُ أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجنَّةً . قالت : فجلست إلى الأرض فمرّ سعد وعليه دِرْعٌ من حديد ، قد خَرَجَتْ منها أطرافُه ، فأنا أتخوّفُ على أطرافِ سعد . قالت : وكان سعدٌ من أعظمِ الناس وأطولهم . قالت : فمر وهو يرتجز ويقول :

---

٦٦٨ - أحمد (٥ / ٣٩١) وإسناده حسن .

٦٦٩ - أحمد (٦ / ٢٩٤) .

مجمع الزوائد (٩ / ١٨٧) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٧٠ - أحمد (٦ / ١٤١) .

مجمع الزوائد (٦ / ١٣٦) . وقال : في الصحيح بعض هذا الحديث عن عائشة متصل الإسناد . =

لَبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجَا جَمَلْ   مَا أحسنَ الموت إذا حان الأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقةً فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه سَبغَة له [يعني مِغْفَرًا] فقال عمر : ما جاء بكِ ؟ لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوّز . قالت : فما زال يَلومُني حتى تمنيتُ أنّ الأرضَ انشقّتْ لي ساعتئذٍ فدخلت فيها . قالت : فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طَلحة بنُ عُبيدِ الله ، فقال : ياعمرُ ! ويحك إنك قد أكثرتَ منذُ اليوم ، وأين التحوّز أو الفرارُ إلا إلى الله عز وجل . قالت : ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين يُقال له ابنُ العَرَقَة بسهم له ، فقال له ، (خُذْهَا وأنا ابن العَرَقَة) فأصاب أكْحَلَهُ فقطعَه ، فدعا اللهَ عز وجل سعدٌ فقال : اللهم لا تُمتني حتى تَقَرّ عيني من قُريظةَ . قالت : وكانوا حلفاءه ومَوَاليَه في الجاهلية . قالت : فَرَقِئَ كَلْمُه وبعث الله عز وجل الرِّيحَ على المشركين ، فكفى الله عز وجل المؤمنين القتالَ وكان الله قويًا عزيزًا ، فلحق أبو سفيانَ ومن معه بتهامةَ ، ولَحِقَ عيينةُ بنُ بدرٍ ومن معه بنجدٍ ، ورَجعتْ بنو قريظة فتحصنوا في صَياصيهم ، ورَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، فوضَعَ السلاحَ وأمر بُقبّةٍ من أدم فَضُرِبَتْ على سَعدٍ في المسجد . قالت : فجاءه جبريلُ عليه السلام وإن على ثناياه لنقعَ الغُبارِ ، فقال : أقد وضعتَ السلاحَ ، والله ما وضعت الملائكةُ بعد السلاحَ ، اخْرُجْ إلى بني قُريظة فقاتِلْهم .

٦٧١ - * روى مسلم عن عبدِ اللهِ بن عَبّاسٍ قال : حدَّثني عُمَرُ بنُ الخَطّاب قالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رجُلاً ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هذهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهلِ الإِسْلامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ » . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ ، مادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ،

= (سَبغَة) : السابغة الدرع الواسعة .

(فرَقِئَ) : رقأ الدم من باب قطع ، أي : انقطع سيلان الدم من الجرح .

٦٧١ - مسلم (٣ / ١٣٨٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ، ١٨ - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

وَقَالَ : يا نَبِيَّ الله [كَفَاكَ] مُناشَدَتُكَ رَبَّكَ ، فإنهُ سَيُنْجِزُ لَكَ ما وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١) . فأمَدَّهُ اللهُ بالملائكةِ .

٦٧٢ ـ * روى البخاري عن جابرِ بنِ عبدِ الله يقول : جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نائمٌ فقال بعضُهم : إنه نائم . وقال بعضُهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ . فقالوا : إن لصاحِبِكم هذا مثلاً . قال : فاضربوا له مثلاً . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان . فقالوا : مَثَلُهُ كمثل رجلٍ بَنَى داراً وجَعَلَ فيها مَأْدُبَةً وبَعثَ داعياً ؛ فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ وأكل من المأدُبةِ ، ومن لم يُجِبِ الداعيَ لم يَدخُلِ الدار ولم يأكل من المأدُبةِ . فقالوا : أَوِّلُوها له يَفْقَهْهَا . فقال بعضهم :إنه نائم . وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ . فقالوا : فالدار الجنةُ والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاعَ محمداً ﷺ فقد أطاعَ الله ، ومن عصىٰ محمداً ﷺ فقد عصىٰ الله ، ومحمدٌ فَرْقٌ بينَ الناس » .

٦٧٣ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله ﷺ الشفاعة فقال : « إن الناسَ يُعْرَضون على جِسْرِ جَهنَّمَ وعليه حَسَكٌ وكلاليبُ يُخطَفُ الناسُ، وبِجَنْبَتَيْهِ الملائكة يقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ » .

٦٧٤ ـ * روى مسلم عن عَبْدِ الله ، قَالَ : قَالَ رسُولُ الله ﷺ : « يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُون أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » .

---

(١) الأنفال : ٩ .

٦٧٢ ـ البخاري (١٣ / ٢٤٩) ٩٦ ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ٢ ـ باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

(محمد فَرْقٌ بين الناس) : يَفْرُق بين المؤمنين والكافرين بتصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين له ، أو يَفْرُق بين الحق والباطل .

٦٧٣ ـ أحمد (٣ / ٢٦) .

وهو في البخاري مطولاً عن أبي هريرة (١١ / ٤٤٤) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٢ ـ باب الصراط جسر جهنم .

وفي مسلم مطولاً عن أبي سعيد (١ / ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨١ ـ معرفة طريق الرؤية .

٦٧٤ ـ مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها ، ١٢ ـ باب في شدة حر جهنم .

والترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١ ـ باب ما جاء في صفة النار .

٦٧٥ - * روى أحمد عن عُقْبَةَ بن صَهْبَانَ قال : سمعتُ أبا بَكْرَةَ عن النبي ﷺ قال : « يُحْمَلُ الناسُ على الصراطِ يومَ القيامة فتقادع بِهم جَنَبَةُ الصِّراطِ تَقادُعَ الفَراشِ في النارِ » قال : « فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء » . قال : « ثم يُؤْذَن للملائكة والنبيين والشهداء أن يَشْفَعوا فَيَشْفعون وَيُخْرِجون ويَشْفعون ويُخْرِجُون ويشفعون ويخرجون » . وزاد عفان مرة فقال أيضًا : « ويشفعون ويُخْرِجُون مَن كان في قلبه ما يزن ذرةً من إيمان » .

٦٧٦ - * ووى البخاري عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زَوْجِ النبيِّ ﷺ أنها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ الملائكةَ تنزلُ في العَنان » - وهو السحابُ - « فتذكر الأمرَ قُضِيَ في السماء ، فَتَسْتَرِقُ الشياطينُ السَّمْعَ فتسمَعُهُ فتوحيهِ إلى الكُهّانِ ، فَيَكْذِبُونَ منها مِائة كِذْبَةٍ مِن عِنْدِ أنفسهم » .

٦٧٧ - * روى البخاري عن أبي هَريرةَ يَبْلُغ به النبيَّ ﷺ قال : « إذا قَضَى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجْنِحتها خُضْعانًا لقوله ، كأنه سلسلةٌ على صَفوان » ، قال عليٌّ وقال غيره : « صَفوانٍ يَنْفُذُهم ذلك . فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبير ... » .

٦٧٨ - * روى أبو داود عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تكلَّم اللهُ بالْوَحْيِ سَمِعَ أهلُ السماء صَلْصَلَةً كجرِّ السِّلْسِلَةِ على الصَّفَا ، فَيُصْعَقُونَ ،

---

٦٧٥ - أحمد (٥ / ٤٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضًا ، ورجاله رجال الصحيح .

(تقادع بهم) : تميل .

٦٧٦ - البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٦٧٧ - البخاري (٨ / ٣٨٠) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب : ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

(فُزِّعَ عن قلوبهم) : كُشِف عنها الفزع .

٦٧٨ - أبو داود (٤ / ٢٣٥) كتاب السنة باب في القرآن .

والبخاري (١٣ / ٤٥٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٢ - باب قول الله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ .

وهو عنده موقوف على ابن عباس .

(صلْصلة) الصلصلة : صوت الأجرام الصلبة بعضها على بعض .

فلا يَزَالونَ كذلك ، حتَّى يأْتِيهُمْ جبريلُ ، فإذا جاء فُزع عن قُلوبهم ، فيقولون : يا جبريلُ ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحقّ . فيقولونَ : الحقَّ الحقَّ » .

٦٧٩ - * روى الترمذي عن ابن عباس ، أنه قال : لمانزلت آيةُ الدَّيْنِ قال رسول ﷺ : « إن أولَ مَن جَحَدَ آدمُ عليه السلام » أو « أولُ من جحد آدمُ ، إن الله عز وجل لما خَلق آدمَ مسح ظهره فأخرج منه ما هو من ذَراريٌّ إلى يوم القيامة فجعل [أي : اللهُ] يَعْرِضُ ذُريتَه عليه فرأى فيهم رجلاً يَـزْهَرُ فقال : أي ربِّ ! من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أي ربِّ كم عُمُرُهُ ؟ قال : ستون عامًا . قال : ربِّ زد في عمره . قال : لا ، إلا أن أزيدَه من عمرك . وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عامًا . فكتب الله عزوجل عليه بذلك كتابًا وأشهَدَ عليه الملائكةَ فلما احْتُضِرَ آدمُ وأتته الملائكة ، لِتَقْبِضَهُ قال : إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا . فقيل : إنك قد وهبتها لابنك داودَ . قال : ما فعلتُ . وأبرز الله عز وجل عليه الكتابَ وشَهِدَت عليه الملائكةُ » .

٦٨٠ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ اللهِ من حَمَلَةِ العرْشِ : أنَّ ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِه إلى عَاتِقهِ ، مَسيرةُ سَبْعِمائة عَام » .

٦٨١ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُذِنَ لي أنْ أحدث عن مَلَك من حملة العرشِ ، رجلاهُ في الأرضِ السفلى ، وعلى

---

٦٧٩ - الترمذي (٥ / ٢٦٧) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ومن سورة الأعراف .
وأحمد (١ / ٢٥١) .
والمستدرك (٢ / ٥٨٦) . وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .
(يزهر) الأزهر : النير ، ورجلٌ أَزْهَرُ : أبيضُ مشرقٌ .

٦٨٠ - أبو داود (٤ / ٢٣٢) كتاب السنة ، باب في الجهمية . وإسناده صحيح .
ومجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه أبو داود خلا قوله « سبعين عامًا » ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . ورواه الضياء في المختارة .

٦٨١ - مجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وقال : (تفرد به عبد الله بن المنكدر) . قلت : هو وأبوه ضعيفان .

قرنهِ العرشُ ، وبينَ شحمةِ أُذنيهِ وعاتقِهِ خفقانُ الطيرِ سَبْعَمائَـةِ عـامٍ ، يقولُ ذلـكَ الملكُ : سبحانكَ حيثُ كنتَ » .

٦٨٢ ـ * روى أحمد عن صفوان بن عسال رضي الله عنه (رفعه) : « إنَّ الملائكـةَ لَتَضَعُ أَجْنِحتَهَا لِطَالِب العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُب » .

٦٨٣ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس قـال : قـال رسول الله ﷺ : « لا تَقْرَبُ الملائكةُ عِيـرًا فيها جَرَسٌ ولا بيتًا فيه جرس » .

٦٨٤ ـ * روى مسلمٌ عن عائشةَ رضي الله عنها قـالت : وَاعَـدَ رسولَ اللهِ ﷺ جبْرِيلُ في سَاعةٍ أن يَأْتِيَهُ ، فَجاءَتْ تِلْكَ السَّاعةُ ، وَلَمْ يأْتِهِ . قَالَتْ : وَكَانَ بِيَدِهِ عصًا ، فَطرَحَهَا مِنْ يَدِهِ ، وَهُو يَقُول : « ما يُخْلِفُ اللهُ وَعـدَهُ ، وَلا رُسُلُـهُ » . ثُمَّ التفتَ ، فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيْرٍ ، فَقَالَ : « مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ ؟ » فَقُلتُ : وَاللهِ ما دَرَيْتُ بهِ . فأَمَرَ بهِ فَأُخْرِجَ ، فَجَـاءَهُ جِبْرِيـلُ ، فَقَـالَ لَـهُ رَسُولُ الله ﷺ : « وَعَـدْتَني فَجَلَسْتُ لَـكَ ، وَلَمْ تَأْتِني » ؟ فَقَال : مَنَعَني الكَلْبُ الذي كَـانَ في بَيْتِـكَ ، إِنَّـا لاَ نَـدْخُلُ بَيْتًـا فِيـهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ .

٦٨٥ ـ * روى البخاري عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : وَعَـدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيْـلُ أَنْ يَـأْتِيَـهُ ، فَرَاثَ عَلَيْـهِ ، حَتَّى اشْتَـدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَخَرَجَ ، فَلَقِيَـهُ جِبْرِيلُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيْهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ .

---

٦٨٢ ـ أحمد (٤ / ٢٣٩) .
وأبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٣ ـ مجمع الزوائد (٥ / ١٧٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
وأحمد (٤ / ٢٣٩) .
وأبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٤ ـ مسلم (٣ / ١٦٦٤) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

٦٨٥ ـ البخاري (١٠ / ٣٩١) ٧٧ ـ كتاب اللباس ، ٩٤ ـ باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة .
(فَرَاثَ) رَاثَ عليه : إذا أبطأ .

٦٨٦ ـ * روى مسلم عن ميمونة ـ زَوْجِ النبيِّ ﷺ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَصْبَحَ عِنْدَهَا يَوْمًا وَاجِمًا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدِ اسْتَنْكَرْتُ هيئتَك مُنْذُ اليوم . فقالَ : « إنَّ جبريلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي ، فَلَمْ يَلْقَنِي ، أَمَا واللهِ ما أَخْلَفَنِي » . فَظَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَه ذلك عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تحت فُسْطَاطٍ لَنَا ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، ثُمَّ أَخَذَ [بيَدِهِ] مَاءً ، فَنَضَحَ مَكَانَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [له] : « كنت وعَدْتَنِي البَارِحَةَ ؟ » قَالَ : أَجَلْ ، وَلكِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ . فأَصْبَحَ فأَمَرَ بِقَتْلِ الكلاب يومئذ ، حتّى إِنَّه يأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الحَائِطِ الصَّغِيرِ ، وَيَترُكُ كَلْبَ الحَائِطِ الكَبِيرِ .

وللنسائي [1] أيضًا في أُخْرَى قَالَتْ : إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ ، فأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، فأَمَرَ بِقَتْلِ الكلاب ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْمُرُ بِقَتْلِ الكَلْبِ الصَّغِيرِ .

٦٨٧ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال : سمعتُ أبا طلحة يقول : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « لا تدخُلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةُ تماثيلَ » .

٦٨٨ ـ * روى أبوداود عن عمار رضي الله عنه قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تَشَقَّقَتْ يداي ، فضمَّخوني بالزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ ، فسلمتُ عليه فلم يَرُدَّ عليّ ولم يُرَحِّبْ بي فقال : « اغسل هذا » . قال : فذهبتُ فغسلتُه ، ثم جئت وقد بَقِيَ عليّ منه

---

٦٨٦ ـ مسلم (٣ / ١٦٦٤) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
والنسائي (٧ / ١٨٦) ٤٢ ـ كتاب الصيد والذبائح ، ١١ ـ باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب .
(١) النسائي (٧ / ١٨٤) ٤٢ ـ كتاب الصيد والذبائح ، ٩ ـ باب الأمر بقتل الكلاب .
(واجمًا) الواجمُ : المطرِقُ المُفكِّرُ مِنْ شِدَّةِ الحُزنِ . (فسطاط) الفُسطاطُ : بيتٌ من شعر .
٦٨٧ ـ البخاري (٦ / ٣١٢) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٧ ـ باب إذ قال أحدكم « آمين » والملائكة ... إلخ .
مسلم (٣ / ١٦٦٥) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
وأحمد (٤ / ٢٨) .
والترمذي (٥ / ١١٤) ٤٤ ـ كتاب الأدب ، ٤٤ ـ باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب .
٦٨٨ ـ أبو داود (٤ / ٧٩) كتاب الترجل ، باب في الخَلُوق للرجال .
وأحمد (٤ / ٣٢) .

شيءٌ فسلمتُ عليه ، فلم يرد عليّ ولم يرحب بي ، وقال : « اغسل هذا عنك » . فذهبت فغسلته ، ثم جئت فسلمت عليه فرد عليّ ورَحَّبَ بِي وقال : « إن الملائكة لا تَحْضَرُ جنازَةَ الكافرِ ولا المُتَضَمِّخَ بزعفرانٍ ولا الجُنُبَ » ورخَّص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .

٦٨٩ - * روى أبو داود عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب به العبدُ يومَ القيامةِ صلاتُه ، فإنْ كان أتمَّ ، كُتِبَتْ له تامَّةً ، وإنْ لم يكنْ أتمَّ ، قال اللهُ لملائكتِه : انظُروا هل تجِدونَ لعَبدي مِنْ تطوُّعٍ فتُكَمِّلُونَ بها فريضتَهُ ؟ ثمَّ الزكاةُ كذلكَ ، ثم تُؤخذُ الأعمالُ على حسب ذلكَ » .

٦٩٠ - * روى أحمد عن عبدِ الله بنِ عامرِ الأَلْهاني ، قال : دخل المسجد حابسُ بنُ سعدٍ الطَّائي منَ السَّحَرِ - وقد أدركَ النبي ﷺ - فرأى الناسَ يصلون في مُقَدَّمِ المسجد فقال : مُراؤون وربِ الكعبة ، أَرْعِبُوهم فمن أرعبهم فقد أطاع الله ورَسُولَه . فأتاهم الناس فأخرجوهم . قال : فقال : إن الملائكة يصلون من السحر في مقدم المسجد .

٦٩١ - * روى أبو داود عن أبي بن كعب رضي الله عنه قالَ : صَلى بنَا أو صَلَّى لنا رَسُولُ الله ﷺ صَلاَةَ الغَدَاةِ ، ثُمَّ قَالَ :« أشاهِدٌ فلانٌ ؟ » مرَّتَيْنِ . قُلْنَا : نَعَمْ ، وَلَمْ يَشْهَدِ الصَّلاَةَ . ثُمَّ قَالَ :« أَشَاهِدٌ فُلانٌ ؟» قُلْنَا : نَعَمْ ، ولَمْ يَشْهَدِ الصَّلاَةَ . قَالَ : « إنَّ أَثْقَلَ الصَّلاَةِ عَلى المُنَافِقِيْنَ صَلاَةُ العِشَاءِ وَصلاةُ الفَجْرِ ، ولَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهما مِنَ

---

٦٨٩ - أبو داود (١ / ٢٢٩) كتاب الصلاة - باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يتمها صاحبها ... » .
وأحمد (٤ / ٣٢٠) .
وابن ماجه (١ / ٤٥٨) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٠٢ - باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد .
والمستدرك (١ / ٢٦٢) .

٦٩٠ - أحمد (٤ / ١٠٥) .
مجمع الزوائد (٢ / ١٦) . وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه عبد الله بن عامر الألهاني ولم أجد من ذكره .

٦٩١ - أبو داود (١ / ١٥١) كتاب الصلاة ، باب في فضل صلاة الجماعة .
والنسائي (٢ / ١٠٤) ١٠ - كتاب الإمامة ، ٤٥ - باب الجماعة إذا كانوا اثنين .
وأحمد (٥ / ١٤٠) .
والمستدرك (١ / ٢٤٦) .

الرَّغَائبِ لأَتَيْتُموهُما ، ولَوْ حَبْوًا ، وإنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلى مِثْلِ صَفِّ المَلائِكَةِ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُموه ، وإنَّ صَلاتَكَ مَعَ رَجُلٍ أَزْكَى مِنْ صَلاتِكَ وَحْدَكَ ، وإنَّ صَلاتَكَ مَعَ رجلين أزكى من صلاتك مع رجلٍ ،وما أكثرت فهو أحب إلى الله » .

٦٩٢ - * روى البخاريِ ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبي ﷺ : « الملائكةُ يَتعاقَبون : ملائكةٌ بالليلِ وَملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعون في صلاةِ الفجر وفي صلاةِ العصر ، ثمَّ يَعرُجُ إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا : تركناهم يُصَلُّون ، وأتيناهم يُصَلُّون » .

٦٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إذا قال الإمامُ : سمعَ اللهُ لمن حَمِدَه . فقالوا : اللهمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ . فإنه من وافق قولُهُ قولَ الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدمَ من ذَنبِهِ » .

٦٩٤ - * روى أحمد عن أبي عبد الرحمن قال سمعت عليًا رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلت عليه الملائكةُ ، وصلاتُهم عليه : اللهمَّ اغْفِرْ له ، اللهم ارحمه . وإن جلس ينتظرُ الصلاة صلت عليه الملائكةُ ، وصلاتُهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » .

٦٩٥ - * روى ابن ماجه عن مُطَرِّفِ بن عبدِ الله بنِ الشِّخِّير أن نوفًا وعبدَ الله بنَ عمرو

٦٩٢ - البخاري (٢ / ٣٣) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ١٦ - باب فضل صلاة العصر .
مسلم (١ / ٤٣٩) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٧ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر .
والنسائي (١ / ٢٤٠) ٥ - كتاب الصلاة ، ٢١ - باب فضل صلاة الجماعة .
والموطأ (١ / ١٧٠) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر ، ٢٤ - باب جامع الصلاة .
٦٩٣ - البخاري (٢ / ٢٨٣) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٢٥ - باب فضل « اللهم ربنا لك الحمد » .
مسلم (١ / ٣٠٦) ٤ - كتاب الصلاة ، ١٨ - باب التسميع والتحميد والتأمين .
والموطأ (١ / ٨٨) ٣ - كتاب الصلاة ، ١١ - باب ما جاء في التأمين خلف الإمام .
٦٩٤ - أحمد (١ / ١٤٤) .
مجمع الزوائد (٢ / ٣٦) . وقال : رواه أحمد ، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، لكنه اختلط آخر عمره .
وروى البخاري نحوه عن أبي هريرة (١ / ٥٦٤) ٨ - كتاب الصلاة ، ٨٧ - باب الصلاة في مسجد السوق .
٦٩٥ - ابن ماجه (١ / ٢٦٢) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ١٩ - باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة . وهو صحيح . =

اجتمعا ، فقال نوفٌ : فذكر الحديثَ ، فقال عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص : وأنا أُحَدِّثُكَ عَن النبي ﷺ ؛ قال : صلينا مع النبي ﷺ ذاتَ ليلةٍ فعقَّبَ من عَقَّبَ ، وَرَجَع من رَجَع ، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يثورَ الناسُ لصلاة العشاء ، فجاء وقد حَفَزَهُ النَّفَسُ رافعًا أصبعه هكذا ، وعقدَ تسعًا وعشرين وأشار بأصبعه السبابة إلى السماء وهو يقول : « أبشروا معشرَ المسلمين ، هذا ربُّكم عز وجلَّ قد فتح بابًا من أبواب السماء يُبَاهِي بكم الملائكةَ ، يقول : ملائكتي ، انظروا إلى عبادي أدوا فريضةً وهم ينتظرون أخرى » .

٦٩٦ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا كان يوم الجمعةِ كان على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجد الملائكةُ يَكْتُبون الأوَّلَ فالأول ، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوْا الصحفَ وجاءوا يستمعون الذِّكْرَ » .

٦٩٧ - * روى البخاري ومسلمٌ عن سَالِمٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَىٰ رُؤْيَا قَصَّها عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ رُؤْيَا أَقصُّها عَلَى النبيِّ ﷺ . قَالَ : وَكُنْتُ غُلامًا شَابًا عَزَبًا ، وَكُنْتُ أَنامُ فِي المَسْجِدِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ . فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ . وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَي الْبِئْرِ ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتَهُم . فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي : لَمْ تُرَعْ . فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نِعْمَ الرَّجلُ عَبْدُ اللهِ ! لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » .

= وأحمد (٢ / ١٨٦) .

(عقَّبَ) أي : بقي في المسجد حتى صلى الصلاة اللاحقة .

(حَفَزَه) : أعْجَلَهُ .

٦٩٦ - البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦ - باب ذكر الملائكة .

٦٩٧ - البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩١ - كتاب التعبير ، ٣٦ - باب الأخذ على اليمين في النوم .

مسلم (٤ / ١٩٢٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣١ - باب فضائل عبد الله بن عمر .

وأحمد (٢ / ١٤٦) .

قَالَ سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللهِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، لاَ يَنَامُ مِن اللَّيْلِ إلاَّ قَلِيلاً .

٦٩٨ - * روى البخاري عن أُسَيْدِ بنِ حُضَيرٍ ، قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البَقَرَةِ وفَرَسه مَرْبوطٌ عنده إذ جالَتِ الفَرَسُ ، فسَكتَ فسَكَنَتْ ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ، ثم قرأ فجالتِ الفرس ، فانصرفَ . وكان ابنُهُ يحيى قريبًا منها فأشفق أن تُصيبَهُ ، فلما اجْتَرَّهُ رفَع رأسَه إلى السماء حتَّى ما يراها ، فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ فقال له : « اقرأ يا ابنَ حُضَير ، اقرأ يا ابن حضير » قال : فأشفقتُ يارسولَ الله أن تَطأ يحيى ، وكان منها قريبًا ، فرفَعْتُ رأسي فانصرَفْتُ إليه ، فرفعْتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظُلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ ، فخرَجْتُ حتى لا أراها . قال : « وتَدري ما ذاك ؟ » قال : لا . قال : « تلكَ الملائكةُ دَنَتْ لصوتك ، ولَوْ قَرأْتَ لأصبَحَتْ ينظُرُ الناسُ إليها ، لا تتوارى منهم » .

٦٩٩ - * روى أحمد عن أنسٍ أو غيره أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بنِ عبادةَ ، فقال : « السلام عليكم ورحمة الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ، ولم يُسْمِعِ النبيَّ ﷺ ، حتى سلم ثلاثًا وردّ عليه سعد ثلاثًا ، ولم يُسمعْهُ فرجع النبي ﷺ واتبعه سعد فقال : يارسول الله بأبي أنت وأمي ما سلمتَ تسليمةً إلا هي بأذُني ، ولقد رددتُ عليك ولم أُسْمِعْك ، أحببتُ أن أستَكْثِرَ من سلامِكَ ومن البركة ، ثم أدخلَه البيتَ فَقَرَّبَ له زبيبًا ، فأكل نبي الله ﷺ فلما فَرَغَ قال : « أكلَ طعامَكم الأبرارُ وَصَلَّتْ عليكم الملائكةُ وأفطرَ عِندَكم الصائمون » .

وفي رواية لأحمد وأبي داود (١) عن أنس بن مالك ، قال : كان النبي ﷺ إذا أفطر عند أهل بيت قال : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرارُ وتَنَزَّلَتْ عليكم الملائكةُ » .

---

٦٩٨ - البخاري (٩ / ٦٣) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ، ١٥ - باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

٦٩٩ - أحمد (٣ / ١٣٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٣٤) .

(١) أحمد (٣/ ٢٠١) .

أبو داود (٣ / ٣٦٧) كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام .

٧٠٠ ـ * روى مسلم عن صفوانَ بنِ عبدِ الله بن صفوانَ قال : أتيتُ الشامَ ، فدخلت على أبي الدرداء فلم أجدْه ووجدتُ أمَّ الدرداء فقالتْ : تريد الحجَّ العامَ . قال : قلت : نعم . فقالت : فادعُ لنا بخيرٍ فإن النبيَّ ﷺ كان يقول : « إن دعوةَ المسلم مُستَجابةٌ لأخيه بظهرِ الغيبِ عند رأسه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال : آمين ، ولك بمثلٍ » .

٧٠١ ـ * روى مسلم عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي أُمُّ الدَّرْدَاءِ ، قَالَتْ : حَدَّثَنِي سَيِّدِي ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ » .

٧٠٢ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِي ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ . فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا . فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تريدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها ؟ قَالَ : لاَ . غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ : بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

٧٠٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا . ويَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

٧٠٤ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ

---

٧٠٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٩٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ٢٣ ـ باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب .
وأحمد (٥ / ١٩٥) .

٧٠١ ـ مسلم ، الموضع السابق .

٧٠٢ ـ مسلم (٤ / ١٩٨٨) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ١٢ ـ باب في فضل الحب في الله .
(تربها) : أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك .

٧٠٣ ـ البخاري (٣ / ٣٠٤) ٢٤ ـ كتاب الزكاة ، ٢٧ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ .
مسلم (٢ / ٧٠٠) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ١٧ ـ باب في المنفق والممسك .

٧٠٤ ـ مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ١١ ـ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَبِ يَوم الْقِيَامةِ . وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ . ومنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَترهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ . وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كان العبدُ في عون أخيه . ومَنْ سَلَكَ طريقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا اجْتَمَعَ قومٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيتَدارسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إلا نَزَلَتْ عَلَيْهمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وحفَّتْهمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدهُ . وَمَنْ بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

٧٠٥ ـ * روى أحمد عن أبي المُدِلَّة مولى أم المؤمنين ، سمع أبا هريرةَ يقول : قلنا : يا رسولَ الله إنا إذا رأيناك رَقَّتْ قلوبُنا وكنّا أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشَمَمْنا النِّساء والأولاد قال : « لو تكونون » أو قال : « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصَافَحتْكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تُذْنِبوا لجاءَ اللهُ بقَوْمٍ يُذنِبون كي يَغْفِرَ لهم » .

٧٠٦ ـ * روى الترمذي عنْ أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليه وَسَلّم ، قَالَ : « مَنِ ابْتَغَى القَضَاءَ ، وَسأَلَ فيه شُفَعَاءَ ، وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ . وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ » .

٧٠٧ ـ * روى مالك عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّب ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اختصم إِلَيْهِ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ ، فَرأَى عُمَرُ أَنَّ الْحَقَّ للْيَهُودِيِّ فَقَضَى لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : وَاللهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ . فَضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخطّاب بالدِّرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : إِنَّا نَجِدُ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، إِلا كَانَ عَنْ يَمِينِه مَلَكٌ وَعَن شِمَالِهِ مَلَكٌ ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُوَفِّقَانِه لِلْحَقِّ ـ مادامَ مَعَ الْحَقِّ ـ فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرجَا وتَرَكَاهُ .

---

٧٠٥ ـ أحمد (٢ / ٣٠٤) . وإسناده لا بأس به .

٧٠٦ ـ الترمذي (٣ / ٦١٤) ١٣ ـ كتاب الأحكام ، ١ ـ باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وهو أصح من حديث إسرائيل عن عبد الأعلى .

قال الحافظ في فتح الباري : وله طرق وقد ضعفه بعضهم .

٧٠٧ ـ الموطأ (٢ / ٧١٩) ٣٦ ـ كتاب الأقضية ، ١ ـ باب الترغيب في القضاء بالحق .

٧٠٨ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما جلس قومٌ يذكرونَ الله ، إلا حفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمة ، ونَزَلَتْ عَليهِمُ السَّكِينة ، وذَكرهُم اللهُ فيمن عِنْدَهُ » .

٧٠٩ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إذا سَمِعتم صِياحَ الدِّيكةِ فاسألوا اللهَ من فضلهِ ؛ فإنها رأتْ مَلَكًا ، وإذا سمعتم نهيقَ الحمار فتعوَّذوا باللهِ مِنَ الشيطان ، فإنه رأى شيطانًا » .

٧١٠ ـ * روى مسلمٌ عن أبي ذرٍّ أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ سُئِلَ : أيُّ الْكَلَامِ أفْضَلُ ؟ قالَ : « مَا اصْطَفَى اللهُ لِملائِكَتِهِ أوْ لعبَادِهِ : سُبحَانَ اللهِ وَبحَمْدِهِ » .

٧١١ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تُفتَحُ أبوابُ الجنة في كل اثنين وخميسَ » ـ قال مَعْمَر وقال غيرُ سهيل ـ « وتعوضُ الأعمالُ في كل اثنين وخميس فيغفِر الله عز وجل لكل عبد لا يُشْرِكُ به شيئًا إلا المتشاحِنَيْنِ ، يقول اللهُ للملائكة : ذَروهما حتى يَصْطَلِحا » .

٧١٢ ـ * روى مسلم عن ابن سيرينَ : سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ أبُو الْقَاسِمِ ﷺ : « مَنْ أشَارَ إلَىٰ أخيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإنَّ الْملائِكَةَ تَلْعَنُهُ ، حَتَّىٰ وإنْ كَانَ أخَاهُ لأبيهِ وَأُمِّهِ » .

---

٧٠٨ ـ مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ١١ ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .
وأحمد (٣ / ٤٩) .
والإحسان بترتيب ابن حبان (٢ / ١٠٨) .
٧٠٩ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنمٌ ... إلخ .
٧١٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٩٣) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ٢٢ ـ باب فضل سبحان الله وبحمده .
٧١١ ـ مسلم (٤ / ١٩٨٧) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ١١ ـ باب النهي عن الشحناء .
وأحمد (٢ / ٤٠٠) .
والموطأ (٢ / ٩٠٨) ٤٧ ـ كتاب حسن الخلق ، ٤ ـ باب ما جاء في المهاجرة .
(المُتَشاحِنَين) المُتَعادِيَيْن . والمُشاحِن : المُعادي .
٧١٢ ـ مسلم (٤ / ٢٠٢٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ٣٥ ـ باب النهي عن الإشارة بالسلاح .
والترمذي (٤ / ٤٦٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٤ ـ باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح .

٧١٣ ـ * روى أبو داود عن أبي هريرة ؛ أنَّ رجلاً شَتمَ أبا بكر والنبيُّ ﷺ جالسٌ ، فجعل النبي ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ ، فلما أَكْثَرَ رَدَّ عليه بعضَ قوله ، فَغَضِبَ النبيُّ ﷺ وقام ، فلَحِقَه أبو بكر فقال : يا رسولَ الله كان يشتُمُني وأنت جالسٌ ، فلما رددتُ عليه بعضَ قولِهِ غضبتَ وقُمتَ . قال : « إنه كان معك مَلَكٌ يَرُدُّ عنك ، فلما رَدَدْتَ عليه بعضَ قوله وقع الشيطان فلم أكُنْ لأَقْعُدَ مع الشيطان » .

٧١٤ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الله بنِ نافع ، قال : عاد أبو موسى الأشعرى الحَسَنَ بنَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له عليّ رضي الله عنه : أعائدًا جئتَ أم زائرًا ؟ قال : لا ، بل جئتُ عائدًا . قال عليٌّ رضي الله عنه : أما إنه ما من مسلم يَعُودُ مريضًا إلا خرجَ معه سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، كلُّهم يَسْتَغْفِرُ له إن كان مصبحًا حتى يمسي ، وكان له خريفٌ في الجنة ، وإن كان ممسيًا خرج معه سبعون ألف ملك ، كلهم يستغفر له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

٧١٥ ـ * روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أرى مالا ترونَ ، وأسمعُ مالا تسمعونَ ، أَطَّتِ السَّماءُ ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ، ما فيها

---

٧١٣ ـ أبو داود (٤ / ٢٧٤) كتاب الأدب ، باب في الانتصار .

وفيه محمد بن عجلان صدوق لكن اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . ورواه أبو داود مرسلاً أيضًا . وذكرهما البخاري في تاريخه وقال : المرسل أصحّ .

وأحمد (٢ / ٤٣٦) .

٧١٤ ـ أبو داود (٣ / ٨٥) كتاب الجنائز ، باب في فضل العبادة على وضوء .

وأحمد (١/ ٨١) .

والمستدرك (١ / ٣٥٠) . وهو صحيح .

قوله (وكان له خريف في الجنة) : قال في النهاية : « المخارف جمْع مَخْرَف بالفتح وهو الحائط من النخل : أي أنْ العائد فيما يجوز من الثَّواب كأنه على نخل الجنة يخْترفُ ثمارها . وقيل : المخارف جمع مَخْرَفة ، وهي سكّةٌ بين صفَّيْن من نخل يخْترف من أيّهما شاء : أي يجْتَني . وقيل : المخرفة الطريق ، أي أنه على طريق تؤدّيه إلى طريق الجنة » ا . هـ .

٧١٥ ـ الترمذي (٤ / ٥٥٦) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٩ ـ باب في قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم ... » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٠٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ١٩ ـ باب الحزن والبكاء .

وأحمد (٥ / ١٧٣) .

والمستدرك (٢ / ٥١٠) . وهو حديث حسن . =

موضعُ أربعِ أصابعَ ، إلا وَمَلكٌ واضِعٌ جَبهتَهُ للهِ تعالى ساجدًا ، واللهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ لَضَحِكْتُم قليلاً ، ولَبَكَيْتُم كثيرًا ، وما تَلَذَّذْتُمْ بالنساء على الفُرُشِ ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجأرون إلى الله » .

٧١٦ - * روى الترمذي عن زيدِ بن ثابتٍ رضي الله عنه قال : بَيْنَا نحن عندَ رسولِ اللهِ ﷺ نؤلفُ القرآن من الرِقاعِ إذ قال : « طُوبَى للشام » . قيلَ : ولِمَ ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : « إن ملائكةَ الرحمن باسِطةٌ أجْنِحَتَها عليه » .

٧١٧ - * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ماتَ وَلَدُ العبدِ قالَ اللهُ تعالى لملائكتهِ : قبضتم ولدَ عبدي ؟ فيقولونَ : نعمْ ، فيقولُ : قَبَضْتُم ثمرةَ فؤادهِ ؟ فيقولونَ : نعمْ . فيقولُ : ماذا قال عبدي ؟ فيقولونَ : حَمِدَكَ واسْتَرْجَع ، فيقولُ اللهُ تعالى : ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسَمُّوهُ بيتَ الحمدِ » .

٧١٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تصلي الملائكة على نائحة ولا على مُرِنَّةٍ » .

٧١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

= (الصُّعُدات) : الطُّرُق ، وهي جمع ، وصُعُد : جمع صَعِيد . كطريق وطُرُقٍ وطُرُقاتٍ .

٧١٦ - الترمذي (٥ / ٧٣٤) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٧٥ - باب في فضل الشأم واليمن .

وأحمد (٥ / ١٨٥) .

والمستدرك (٢ / ٢٢٩) . وهو صحيح .

٧١٧ - الترمذي (٣ / ٣٤١) ٨ - كتاب الجنائز ، ٣٦ - باب فضل المصيبة إذا احتسب .

وهو حديث حسن .

وأحمد (٤ / ٤١٥) .

٧١٨ - أحمد (٢ / ٣٦٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ١٣) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه أبو مرانة ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقية رجاله ثقات .

(المرنَّة) المُصوتة .

٧١٩ - البخاري (٦ / ٣١٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم « آمين » .

مسلم (٢ / ١٠٦٠) ١٦ - كتاب النكاح ، ٢٠ - باب تحريم امتناعها من فراش زوجها .

=

« إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلى فراشهِ فأبَتْ ، فباتَ غضبانَ عليها ، لعنَتْها الملائكةُ حتى تُصبحَ » .

٧٢٠ ـ * روى أحمد عن عُقبةَ بن عامر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس من عمل يوم إلا وهو يُخْتَمُ عليه ، فإذا مَرضَ المؤمن قالت الملائكةُ : يارَبَّنَا ، عبدُكَ فلان قد حَبَسْتَه . فيقول الرب عز وجل : اخْتِمُوا له على مِثْل عملهِ حتى يبرأ أو يموت » .

٧٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لا . فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ . فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوتُ . فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُالْعَذَابِ ؛ فَقَالَتْ مَلائِكَةُالرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَىاللهِ . وَقَالَتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ . فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ ؛ فَإِلَى أَيَّتِهِما كَانَ أَدْنَى ، فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ » .

= وأحمد (٢ / ١٢٦) .

٧٢٠ ـ أحمد (٤ / ١٤٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٨٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٠٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام .

والمستدرك (٤ / ٣٠٨) .

٧٢١ ـ البخاري (٦ / ٥١٢) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٥٤ ـ باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٤ / ٢١١٨) ٤٩ ـ كتاب التوبة ، ٨ ـ باب قبول توبة القاتل .

٧٢٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّهُ حدَّثهم أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه ـ وإنَّهُ ليَسْمَعُ قَرْعَ نعالِهم ـ أتاهُ مَلَكانِ فَيقعدانِه فيقولان : ما كنت تقولُ في هذا الرجُلِ ؟ لمحمد ﷺ . فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولُهُ . فيقال له : انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ منَ النَّارِ ، قد أبدَلَكَ اللهُ به مقعدًا منَ الجنةِ ، فيراهُما جميعًا .

قال قتادةُ : وذُكِرَ لنا أنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ في قَبرِهِ . ثم رَجَعَ إلى حديثِ أنس قال : « وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ : ما كُنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ ؟ فيقول : لا أدري ، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ . فيُقال : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيتَ . ويُضربُ بمَطارِقَ من حَديد ضَرْبةً ، فيصيحُ صيحةً يَسْمَعُها مَن يَليهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ » .

٧٢٣ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَة فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يعْملْ . فإذَا عمِلَها فَأَنَا أَكْتُبُهَا بعَشْرِ أَمْثَالِهَا . وَإذَا تَحَدَّثَ بأَنْ يَعْمَل سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفرُها لَهُ مَالَم يعْمَلْها . فإذَا عَمِلَها فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا » .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « قَالَتِ الْمَلائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يريدُ أَنْ يعْمل سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ : ارْقُبُوهُ . فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بمثْلها . وإنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً . إنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ » .

٧٢٤ ـ * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة يأتيها الدجال فيجدُ الملائكةَ يحرسُونَها فلا يقْرَبُها الدجَّالُ ولا الطَّاعون إن شاء الله » .

---

٧٢٢ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ما جاء في عذاب القبر .
مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة .
وأحمد (٣ / ١٢٦) .
٧٢٣ ـ مسلم (١ / ١١٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٥٩ ـ باب إذا هم العبد بحسنة .
٧٢٤ ـ البخاري (١٣ / ١٠١) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٧ ـ باب لا يدخل الدجال المدينة .

٧٢٥ ـ * روى البخاري عن أبي بَكْرَةَ عن النبي ﷺ قال : « لا يَدخلُ المدينـةَ رُعبُ المسيحِ الدجالِ ، ولها يومئذٍ سبعة أبوابٍ على كلِّ بابٍ مَلَكان » .

وبعد فـإن مـا مر معنـا من النصوص كافٍ ليعرفنـا على أن الملائكـة مخلوقـات نورانيـة متميزة ، فلا هم ذكور ولا هم إناث ولا هم خناثى . وهم مستغرقون في العبادة والطاعـة ، ولهم وظائفهم المتعددة . ومن معرفة ماوصف به الملائكة ومن معرفة وظائفهم نعرف دقـة الترتيب في المملكـة الإلهيـة ، فزيـادة على هـذا الترتيب الكـوني المـدهش وعلى هـذا النظـام الكـوني البديع ، فهنـاك عـالم الملائكـة ، وهو جزء قـائم بشؤون كثيرة من أمر مملكـة الله في الـدنيـا والآخرة ، ولعـل مـا مر معنـا وسير تفصيـل لأشيـاء كثيرة نتعرف بهـا على الله ومملكتـه ومالكيته ، فلننتقل إلى فصل آخر من فصول الغيب لنرى عالمًا آخر مغيبًا عنا وهو عالم الجن والشياطين .

* * *

---

٧٢٥ ـ البخاري (١٣ / ٩٠) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٦ ـ باب ذكر الدجّال .

الفصل الخامس

في:

الجن والشياطين

وفيه:

مقدمة ونصوص وتلخيص ونقول ووصلان

المقدمة

نعقد هذا الفصل ههنا لأن الجن والشياطين من أمر الغيب ، واخترنا أن نذكر هذا الفصل هنا ؛ لأن الشياطين وهم جزء من الجن على القول الراجح هم الجهة المقابلة للملائكة من بعض الحيثيات ؛ فالملائكة تفعل الخير وتأمر به وتثبّت عليه ، والشياطين تفعل الشر وتأمر به وتثبّت عليه .

ومن ملاحظات السيد عبد الرزاق نوفل : (فإن لفظ الملائكة قد تكرر في القرآن الكريم ٦٨ مرة وهو نفس العدد تمامًا الذي تكرَّر فيه لفظ الشيطان ، وأن عدد ما ورد في الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكا وملكني وملائكة هو ٨٨ مرة ، وهو نفس العدد تمامًا أيضًا الذي تكرر فيه مختلف صور لفظ الشيطان كالشياطين وشيطانًا وشياطينهم) ا.هـ .(الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل) .

والجن مكلفون كالإنسان ، وبالتالي فعندهم قدرة على إدراك الخطاب ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [1] ، ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [2] .

وقد ذكرت بعض كتب العقائد أن الجن يكلفون من لحظة الولادة ؛ لأنهم مؤهلون لإدراك الخطاب منذ اللحظة الأولى .

ومن آثارهم التي يستأنس بها على وجودهم الصرع الذي لم يزل موجودًا ، وَتَكَلُّمُ الجان على لسان شخص يتلبس به ، وظهورهم لبعض الناس ومخاطبتهم إياهم بالوساوس التي يحسها الإنسان في قلبه كأثر منهم .

* * *

وعالم الجن فيه الكافر والمؤمن والفاسق ، قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنّا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا ﴾ [3] : أي أديانًا مختلفة .

(١) الذاريات : ٥٦ . (٢) الأنعام : ١٣٠ .
(٣) الجن : ١١ .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ [١] : أي الجائرون .

وهل الكافرون منهم هم الشياطين ، أو الشياطين جنس آخر ؟ فالجن مخلوقات هوائية والشياطين مخلوقات نارية : قولان للعلماء ، والراجح أن الشياطين هم كفرة الجن .

ولا خلاف أن رسول الله محمدًا ﷺ أرسل إلى الإنس والجن ، وأنه بلغ الرسالة للإنس والجن ، وقد ذكر القرآن ذلك في أكثر من سورة ، ولكن هل كان الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام يُرسَلون إلى الإنس والجن حيث أرسلوا ، أو أنه قبل محمد عليه الصلاة والسلام كانت تُرسَل رسل من الجن ؟

قولان للعلماء في ذلك ؛ فابن عباس وآخرون يرون أنه لم يبعث الله رسولاً من الجن ؛ وقال الضحاك وابن حزم وآخرون : إنه قد ابتعث الله من الجن أنبياء ورسلاً ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ [١] .

* * *

وقد أُلِّفَ أكثر من كتاب في الجن وأحكامها ، منها القديم ومنها الحديث ، عدا ما قاله المفسرون وشُراح السنة بمناسبة ورود شيء من ذلك في سياقه ، عدا ما تذكره كتب العقائد في الحديث عنهم على اعتبار أن الجن جزء من عالم الغيب ، والإيمان بوجودهم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر منكرها ، وممن أفرد التآليف عن الجن قديمًا : ابن القيم في كتابه : « لقط المرجان في أحكام الجان » . والقاضي بدر الدين الشبلي الحنفي في كتابه : « آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان » . وقد حاول عبد الرزاق نوفل في كتابه عن « الجن والملائكة » أن يستأنس في بحثه ببعض معطيات عصرنا التي تشير إلى عالم الجن والشياطين ، فاستأنس بكلام بعض علماء النفس الذين تحدثوا عن الدوافع الخفية التي تدفع الإنسان إلى اتجاهات معينة ، وبكلام بعض علماء الطب بمناسبة العلاج الروحي والنفسي لبعض الأمراض ، وتكلم عن معطيات أخرى ، وربط الشيخ حسن أيوب بين ما

---

(٢) الجن : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٣٠ .

يجرى في عمليات تحضير الأرواح وعالم الجن .

وعلماء الإسلام سلفًا وخلفًا يذكرون حوادثَ يقينية كان للجن حضورهم فيها ، وهناك أعلام من العلماء تتلمذ عليهم أفراد من الجن ، ولابن عابدين ـ من فقهاء الحنفية ـ رسالة في تلمذة الجن على شيخه مولانا الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله . وإنه لموضوع حَرِي أن يُتتَبّع وتُتَتَبّعَ أخباره في الشرق والغرب ، وفي الكتب القديمة والحديثة ، فذلك يدحض فرية افتراءات الماديين ويلقم الحجرَ للمشركين ، ويكفي المسلم أن يعرف النصوص الواردة في ذلك وأن يفهمها حق الفهم وأن يؤمن بها ، وهذا الكتاب مقصور على مثل هذا .

ونحن سنذكر بعض نصوص القرآن في الجن ، ثم نعقّب ذلك بذكر بعض النصوص النبوية في هذا الشأن ، مع شرح ما لابد من شرحه وبعض التعليقات المختصرة ، ثم نعقب ذلك بتلخيص إجمالي لهذا الموضوع ، ثم بنقل بعض أقوال العلماء .

* * *

(١)

بعض نصوص القرآن في الجن والشياطين

يقرر القرآن أن الجن خُلقوا من نار ، قال تعالى :

﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾(١)، والمارج : هو اللهب الأزرق الخالي من الدخان.

﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السَّموم** ﴾ (٢) ، ونار السَّموم : هي المرتفعة الحرارة التي تنفذ حرارتها إلى الأجسام .

ويقرر القرآن أن إبليس من الجن ، فالجن خلقت قبل أبينا آدم عليه السلام :

﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ (٣) .

ويذكر القرآن قصة إبليس مع أبينا آدم وما ترتب على ذلك من إهباط كلٌّ من إبليس وآدم ، وحواء إلى الأرض ، والبواعث التي بعثت إبليس على هذا الموقف ، ومن ذلك : الكِبْرَ والحسد ، ويحذرنا الله عز وجل أن نستجيب لوسوسة إبليس وجنوده أو لاتّباع خطواته ، ويعرفنا القرآن على مآتي الشيطان للإنسان وعلى أنواع إضلاله ، وذلك يستغرق حيزًا كبيرًا من القرآن الكريم ومن ذلك :

﴿ **لآتِيَنَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ (٤) .

﴿ **يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهُمَا سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ (٥) .

﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأَجْلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلِك وشاركهم في**

(١) الرحمن : ١٥ .
(٢) الحجر : ٢٧ .
(٣) الكهف : ٥٠ .
(٤) الأعراف : ١٧ .
(٥) الأعراف : ٢٧ .

الأموال والأولاد وعِدْهُمْ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (١) .

﴿ ولأضلنهم ولأُمَنِّيَنّهم ولآمرنهم فَلَيُبَتِّكُنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فَلَيُغَيِّرُنّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (٢) .

وتقرر السنة النبوية أنه ما من إنسان إلا وله قرين من الشياطين ، ويذكر القرآن موضوع القرين في أكثر من مكان :

﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ (٣) .

﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾(٤) .

﴿ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين ﴾ (٥) .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾(٦)، أي مَحَلّ أمنيته وهم أفراد أمته .

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ (٧) .

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ (٨) .

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ (٩) .

﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ (١٠) .

---

(١) الإسراء : ٦٤ .
(٢) النساء : ١١٩ .
(٣) قٓ : ٢٧ .
(٤) النساء : ٣٨ .
(٥) الزخرف : ٣٦ .
(٦) الحج : ٥٢ .
(٧) الحشر : ١٦ .
(٨) الحج : ٣ .
(٩) الأنعام : ١٢١ .
(١٠) المائدة : ٩٠ .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ (١) .

﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يَنْزَغُ بينهم ﴾ (٢) .

﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ (٣) .

﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّف أولياءه ﴾ أي يخوفكم أولياءه ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾(٤).

﴿ الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنَّة والناس ﴾ (٥) .

﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ (٦) .

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (٧) .

﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ (٨) .

﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ (٩) .

﴿ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١٠) .

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (١١) .

ويقرر القرآن أن الشيطان يمكن أن يمس الإنسان فيصيبه بالصرع :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (١٢) .

---

(١) المائدة : ٩١ .
(٢) الإسراء : ٥٣ .
(٣) يوسف : ١٠٠ .
(٤) آل عمران : ١٧٥ .
(٥) الناس : ٥ ، ٦ .
(٦) النور : ٢١ .
(٧) البقرة : ٢٦٨ .
(٨) العنكبوت : ٣٨ .
(٩) الأنعام : ٤٣ .
(١٠) الأنعام : ٦٨ .
(١١) المجادلة : ١٩ .
(١٢) البقرة : ٢٧٥ .

ويقرر القرآن أن للشيطان ذرية ، وهذا يقتضي أن عالم الشياطين فيه تزاوج وتناسل ؛ ففيه الذكر والأنثى :

﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ (١) .

﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ (٢) .

وعالم الشياطين جزء من عالم الجن على القول الراجح ، والجن كلهم مكلفون ومحاسبون ومجزيون بالجنة أو بالنار :

﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ (٣) .

﴿ قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (٤) .

﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِدَدًا ﴾ (٥) .

﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ (٦) .

﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ﴾ (٧) .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ (٨) ، أي الجائرون .

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٩) .

فالجن مكلفون ، ومحمد ﷺ قد أرسل إلى الإنس والجن بإجماع ، وهل أرسل قبل محمد إلى الجن رسل منهم ، أو أنّ رسلَ الإنس رسلٌ للجن في الوقت نفسه ؟ قولان للعلماء : والراجح أنه لم يكن في الجن نبوة ولا رسالة وعلى كل الأحوال فالحجة قائمة عليهم :

---

(١) الكهف : ٥٠ .
(٢) الرحمن : ٥٦ .
(٣) الأعراف : ٣٨ .
(٤) الجن : ١ ، ٢ .
(٥) الجن : ١١ .
(٦) الجن : ١٣ .
(٧) الأحقاف : ٢٩ .
(٨) الجن : ١٤ .
(٩) الذاريات : ٥٦ .

﴿ يـامعشر الجن والإنس ألم يـأتكم رسـل منكم يقصـون عليكم آيـاتي وينـذرونكم لقـاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ (١) .

وللجن عامة قدرات :

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ (٢) .

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (٣) .

وقال تعالى على لسان الجن :

﴿ وأنا لمسنـا السماء فوجدنـاها ملئت حرسا شـديدًا وشهبًا ۞ وأنـا كنـا نقعـد منهـا مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ (٤) .

ومن قدراتهم ما ذكره القرآن الكريم بقوله :

﴿ قـال يـاأيها الملأ أيكم يـأتيني بعرشها قبـل أن يـأتـوني مسلمين ۞ قـال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ (٥) .

﴿ يعملون له ما يشاء من محـاريب وتمـاثيل وجفـان كالجواب وقـدور راسيـات ﴾ (٦) .

﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ (٧) .

وينفي القرآن عن الجن معرفة الغيب :

﴿ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ (٨) .

* * *

(١) الأنعام : ١٣٠ .
(٢) النمل : ١٧ .
(٣) الرحمن : ٣٣ .
(٤) الجن : ٨ ، ٩ .
(٥) النمل : ٣٨ ، ٣٩ .
(٦) سبأ : ١٣ .
(٧) الأنبياء : ٨٢ .
(٨) سبأ : ١٤ .

(٢) النصوص النبوية

٧٢٦ ـ * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قال اسْتَتْبَعَني رَسُولُ اللهِ ﷺ . قال : فانطَلَقنا حتى أتينا مَكانَ كذا وكذا فخطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطَّةً فقالَ : « كُنْ بَيْنَ ظَهْرَيْ هذهِ لا تَخْرُجْ مِنْهَا ، فإنَّكَ إنْ خَرَجْتَ مِنْهَا هَلَكْتَ » . قالَ : فَكُنت فيها . قالَ : فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَقَّ أَوْ أَبْعَدَ شَيْئًا . أَوْ كَمَا قالَ . ثُمَّ إنَّهُ ذَكَرَ هنينا كأنَّهم الزُّطُّ ـ قالَ : أو كَمَا قالَ عفَّانُ إن شاءَ اللهُ ـ عَلَيْهِم ثِيَابٌ وَلا أرَى سوءاتِهم ، طِوَالٌ ، قليلٌ لَحْمُهُم . قالَ : فأَتَوا فجَعَلُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ . قالَ : وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْهِم . قالَ : وَجَعَلُوا يأتُونَ فَيَخْتَلِونَ حَوْلي ويعرِضُونَ . قالَ عبدُ اللهِ : فأُرْعِبْتُ مِنْهُم رُعْبًا شَدِيدًا . قال : فَجَلَستُ ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ فَلَمَّا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ جَعَلُوا يَذْهَبون ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ثَقِيلا وَجِعًا أَوْ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ وَجِعًا مِمَّا رَكِبوهُ ، قَالَ : « إنِّي أَجِدُني ثَقِيلاً » أَوْ كَمَا قَالَ . قَالَ : ثُمَّ إنَّ هنينا أَتَوْا عَلَيْهِم ثِيابٌ بيض طِوَالٌ ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ وَقَدْ أُغْفِي رسُولُ اللهِ ﷺ . قَالَ عَبْدُ اللهِ: فأُرْعِبْتُ أَشَدَّ مِمَّا أُرْعِبْتُ في المرَّةِ الأُولَى . قَالَ عَارِمٌ فِي حَدِيثِه : فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعضٍ : هَلُمَّ فَلنَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً ، أَوْ كَمَا قَالُوا . قَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ : اضْرِبُوا لَهُمْ مَثَلاً وَنُوَلِّي نَحْنُ أو نَضْرِبُ نَحْنُ ، وتوَلُّونَ أَنْتُم . فَقَالَ بَعْضُهُم : مَثَلُهُ كَمَثَلِ سَيِّدٍ بَنَى بنيانًا حَصِينًا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ بطعَامٍ ـ أَوْ كَمَا قَالَ ـ فَمَنْ لَمْ يَأْتِ طَعَامَهُ (أَوْ قَالَ لَمْ يَتْبَعْهُ) عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا (أَوْ كَمَا قَالَ الآخَرُونَ) أَمَّا السَّيِّدُ فَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ ، وَأَمَّا البُنْيَانُ فَهُوَ الإسْلام ، وَالطَّعَامُ الجَنَّةُ وهُوَ الدَّاعِي ، فمن اتبَعَهُ كَانَ في الجَنَّةِ ـ قَالَ عَارِمٌ في حديثِه : أَوْ كَمَا قَالُوا ـ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْه عُذِّبَ أَوْ كَمَا قَالَ . ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَا رَأَيتَ يا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ ؟ » . قَالَ عَبْدُ اللهِ : رَأَيْتُ كَذَا وكَذا . فَقَالَ نبيُّ اللهِ ﷺ : « مَا

---

٧٢٦ ـ الترمذي (٥ / ١٤٥) ٤٥ ـ كتاب الأمثال ، ١ ـ باب ما جاء في مثل الله لعباده .

وروايته له مختصرة . وقال : حسن صحيح غريب .

ومسند أحمد (١ / ٣٩٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٠) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالي وذكره العجلي في ثقات التابعين وابن حبان وغيره في الصحابة .

خَفِيَ عَلَيَّ شيءٌ مِمَّا قَالُوا » . قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « هُمْ نَفَرٌ مِنَ الملائِكَةِ » . أَوْ قَالَ : « هُمْ مِنَ الملائِكَةِ » . أو كما شاءَ اللهُ .

٧٢٧ - * روى مسلم عن علقمة رَحِمَهُ اللهُ ، قال : قلتُ لابنِ مسعودٍ : هل صَحِبَ النبيَّ ﷺ ليلةَ الجنِّ منكم أحدٌ ؟ قال : ما صحبه منَّا أحدٌ ، ولكنَّا كُنَّا مع رسول الله ﷺ ذاتَ ليْلَةٍ ففقدناهُ ، فالتمسناه في الأَودية والشِّعاب ، فقُلْنا : استُطِيرَ ، أو اغْتِيلَ . فبِتْنا بشرِّ ليْلَةٍ باتَ بها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هُو جاءٍ مِن قِبل حِراءَ . قال : فقُلْنا : يا رسولَ الله ، فَقَدْناكَ ، فطلبناك ، فلم نَجِدْكَ ، فبِتْنَا بشرِّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ . قال : « أتاني داعِي الجنِّ ، فذهَبْتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآن » . قال : فانطَلَقَ بنا ، فأرانا آثارَهم ، وآثارَ نيرانِهِم وسألُوهُ الزَّادَ ، فقال : « لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه يَقَعُ في أيديكم أوفَرَ ما يكونُ لَحْمًا ، وكلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لدوابِّكم » . فقال رسولُ الله ﷺ : « فلا تستَنْجوا بها ، فإنها طعامُ إخوانِكم » .

وفي رواية [(١)] بعد قوله : « وآثار نِيرانهم » ، قال الشعبيُّ : وسألُوهُ الزَّادَ ؟ وكانُوا من جِنِّ الجزيرةِ - إلى آخر الحديث ،من قول الشَّعْبِي مفصَّلاً من حديث عبد الله .

ورواه الترمذي [(٢)] ، وذكر فيه قول الشعبي ، كما سبق في هذه الرواية الآخرة ، وزاد فيه : « أو رَوْثَةٍ » .

---

٧٢٧ - مسلم (١ / ٣٣٢) ٤ - كتاب الصلاة ، ٣٣ - باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٨٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤٧ - باب ومن سورة الأحقاف . وقال : حسن صحيح .

قال النووي : قال الدارقطني : انتهى حديث ابن مسعود عند قوله : « فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم » وما بعده قول الشعبي ، كذا رواه أصحاب داود الراوي عن الشعبي ، وابن علية ، وابن زريع ، وابن أبي زائدة ، وابن إدريس وغيرهم . هكذا قاله الدارقطني وغيره . ومعنى قوله : إنه من كلام الشعبي ، أنه ليس مرويًا عن ابن مسعود بهذا الإسناد ، وإلا فالشعبي لا يقول هذا الكلام إلا بتوقيف عن النبي ﷺ .

(استطير) أي : طارت به الجن .

(اغتيل) : قتل سرًا ، والغيلة : بكسر الغين ، هي القتل خفية .

قوله : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه) : قال بعض العلماء : هذا لمؤمنيهم ، وأما غيرهم : فجاء في حديث آخر « أن طعامهم : ما لم يذكر اسم الله عليه » .

وفي رواية لمسلم [(١)] أنّ ابنَ مسعود قال : لم أكن ليلةَ الجنّ مع رسول الله ﷺ ، وَوَدِدْتُ أنّي كنتُ معَهُ . لم يزد على هذا .

وروى أبو داود [(٢)] منه طرفًا ، قال : قلتُ لعبد الله بنِ مسعودٍ : مَنْ كان منكم ليْلَةَ الجن مع النبيِّ ﷺ ؟ فقال : ما كان معه منَّا أَحَدٌ . لم يَزِدْ على هذا .

٧٢٨ ـ * روى الطبراني عن الزبير بن العوام قال : صلى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ في مسجدِ المدينة فلما انصرف قال : « أيكم يَتْبَعُني إلى وَفْدِ الجنّ الليلةَ ؟ » فأسكت القومُ فلم يتكلم منهم أحدٌ ، قال ذلك ثلاثًا ، فمر بي يمشي فأخذ بيدي ، فجعلت أمشي معه حتى خَنَسَتْ عنا جبالُ المدينة كلُّها ، وأفضينا إلى أرض بَراز فإذا رجالٌ طوال كأنهم الرماح مُسْتذفِري ثيابهم من بين أرْجُلِهم ، فلما رأيتُهم غَشِيَتْني رِعدةٌ شَديدةٌ حتى ما تُمسِكُني رِجلاي من الفَرَقِ ، فلما دنونا منهم خطَّ لي رسول الله ﷺ بإبهام رجله في الأرض خطًّا ، فقال لي : « اقعُدْ في وسطه » . فلما جلستُ ذهبَ عني كلُّ شيء كنتُ أجِدُهُ من ريبة ، ومضى النبي ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآنًا رفيعًا حتى طلعَ الفجرُ ، ثم أقبلَ حتى مر بي فقال لي : « الحَق » . فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد فقال لي : « التَفِتْ فانظُرْ هل ترى حيثُ كان أولئك من أحد ؟ » . قلت : يارسولَ الله أرى سوادًا كثيرًا . فَخَفَض رسولُ الله ﷺ رأْسَه إلى الأرض فَنَظَم عظمًا بروثة ثم رمى به إليهم ، ثم قال : « رَشَدٌ . أولئك مني ، وفدُ قوم هم وفدُ نصيبين سألوني الزادَ فجعلتُ لهم كل عَظْم وروثة » . قال الزبيرُ : فلا يحل لأحد أن يستنجي بعظم ولا روثة أبدًا .

---

(١) مسلم (١ / ٣٣٣) نفس الكتاب والباب السابقين .

(٢) أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الطهارة ، باب الوضوء بالنبيذ .

٧٢٨ ـ المعجم الكبير (١ / ١٢٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٢٠٩) . وقال : إسناده حسن ، ليس فيه غير بقية وقد صرح بالتحديث .

(خنست) خنس عنه : تأخر ، وبابه دخل ونصر .

(براز) البراز : الفضاء الواسع .

٧٢٩ - * روى مسلم عَن عَـائِشَـةَ ، قَـالَتْ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « خُلِقَتِ الْمَـلائِكَـةُ مِنْ نُورٍ . وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .

٧٣٠ - * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْـدَةَ فَسَجَـدَ اعْتَـزَلَ الشَّيْطَـانُ يَبْكِي ، يَقُـولُ : يَـاوَيْلَـهُ (وفي رِوَايَـةِ أَبِي كُرَيْبٍ : يَـاوَيْلِي) أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِـالسُّجُـودِ فَسَجَـدَ فَلَـهُ الْجَنَّـةُ ، وَأُمِرْتُ بِـالسُّجُـودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » .

٧٣١ - * روى البخـاري عن عـائشـةَ رضيَ الله عنهـا زَوْجِ النبيِّ ﷺ أنهـا سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقـول : « إنَّ المـلائكـةَ تنزلُ في العَنـان » وهـو السحـابُ - « فتـذكر الأمرَ قُضِيَ في السماء ، فتَسْتَرِقُ الشيـاطينُ السمـعَ فتسمعـهُ فتـوحيـهِ إلى الكُهَّـانِ ، فَيكذبونَ منها مائةَ كذبةٍ من عِند أنفُسِهم » .

٧٣٢ - * روى البخـاري : قـال ابن عبَّـاس رضي الله عنهما : صـارتِ الأوثـان التي كانت في قـوم نُـوح في العرب بعد ، أمـا وَدٌّ فكانت لكَلْبٍ بدُوْمَـةِ الجنْـدل . وأمَّـا سُواعٌ فكانتْ لهُذَيلٍ . وأمّا يَغوثُ فكانت لمُرادٍ ، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبـأ . وأمَّـا يَعوقَ فكانت لهَمْدانَ . وأمَّـا نَسْرٌ فكانت لحِميرَ ، لآل ذِي الكَلاع . أسماءُ رِجـالٍ صـالحين من قـوم نـوحٍ . فلمَّـا هَلكوا أوْحَىٰ الشَّيطـانُ إلى قومهم أنِ انْصِبُوا إلى مَجَـالِسِهِم التي كانـوا يَجْلِسـونَ أنصـابًا وسَمُّـوهـا بـأسمائهم فَفَعَلـوا ، فلم تُعْبَـدْ ، حتى إذا هَلَـكَ أولئـك وَتَنَسَّـخ العِلْم عُبِـدت.

---

٧٢٩ - مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، ١٠ - باب في أحاديث متفرقة .
وأحمد (٦ / ١٥٣) .

٧٣٠ - مسلم (١ / ٨٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٣٥ - باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة .
وأحمد (٢ / ٤٤٣) بلفظ مقارب .
وابن ماجه (١ / ٣٣٤) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ٧٠ - باب سجود القرآن .

٧٣١ - البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦ - باب ذكر الملائكة .

٧٣٢ - البخاري (٨ / ٦٦٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب : (ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق) .
(دُومة) : بضم الدال ، اسم موضع .
قال في لسان العرب : ويسميه أهل الحديث دومة بالفتح وهو خطأ .
وقال ابن الأثير : وقد وردت في الحديث ، وتضم دالها وتفتح .

٧٣٣ - * روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ . فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ . فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ . فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً . فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ . ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ . ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ . وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ (يَعْنِي ظِئْرَهُ) فَقَالوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ . قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ » .

٧٣٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمرَ قال : ما سمعتُ عمرَ لشيء قطُّ يقول : إني لأظنُّه كذا إلا كان كما يَظنّ . بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رَجلٌ جميلٌ فقال عمرُ : لقد أخطأ ظَني ، أو إنَّ هذا على دِينِه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنَهم ، عليَّ الرَّجُلَ . فدُعي لهُ ، فقال لهُ ذلك . فقال : ما رأيتُ كاليوم استُقبِلَ بهِ رجلٌ مسلم . قال : فإني أعزِمُ عليكَ إلا ما أخبرتَني . قال : كنتُ كاهنَهم في الجاهلية . قال : فما أعجبُ ما جاءتكَ به جِنِّيَّتُك ؟ قال : بَينما أنا يومًا في السوقِ ، جاءَتني أعرفُ فيها الفَزَعَ فقالت : ألم تَرَ الجنَّ وإبْلاسَها ، وَيأْسَها من بعدِ إنكاسِها ، ولحوقَها بالقِلاصِ وأحلاسِها . قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عندَ آلهتِهم ، إذ جاء رجلٌ بعجلٍ فذبحَهُ ، فصرَخَ به صارخٌ لم أسْمَع صارخًا قطُّ أشدَّ صوتًا منه يقول : ياجَليح ، أمرٌ نَجيح ، رجلٌ فَصيح ، يقول : لا إله إلا أنت . فَوَثبَ القومُ . قلتُ : لا أَبرَحُ حتى أعلَمَ ما وراءَ هذا . ثم نادَى : ياجَليح ، أمرٌ نَجيح ، رجُل فصيح ، يقول : لا إلهَ إلا الله . فقمتُ

---

٧٣٣ - مسلم (١ / ١٤٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .
وأحمد (٣ / ١٤٩) .

٧٣٤ - البخاري (٧ / ١٧٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ، ٣٥ - باب إسلام عمر بن الخطاب .
(إبلاسها) : الإبلاس : التحير والدهش .
(يأسها) : كأن الجن يأست مما كانت تدركه من بعثة النبي ﷺ .
(إنكاسها) : انقلابها عن أمرها .
(القلاص) : جمع القلوص وهي الناقة الشابة .
(أحلاسها) : الحلس : الكساء الذي يكون على ظهر البعير .
(جليح) : اسم رجل .
(نجيح) : النجيح : السريع ، أو هو الظفر بالمطلوب من النجاح .

فما نَشِبْنا أن قيلَ : هذا نبيٌّ .

٧٣٥ ـ * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَـا مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ إلا وَقَـدْ وكِّـلَ بِـهِ قَرِينَـهُ مِنَ الجِنِّ » . قَـالُوا : وَإِيَّـاكَ ؟ يَـارَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « وَإِيَّايَ . إلا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلا يَأْمُرُني إلا بِخَيْرٍ » .

غَيْرَ أَنَّ فِي حَـدِيثِ سُفْيَـانَ « وَقَـدْ وُكِّـلَ بِـهِ قَرِينَـهُ مِنَ الجِنِّ ، وَقَرِينَـهُ مِنَ المَلائِكَةِ » .

٧٣٦ ـ * روى مسلم : قَـال عروةُ : إنَّ عَـائِشَـةَ ، زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ حَـدَّثَتْـهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهـا لَيْـلاً . قَـالَتْ : فَغِرْتُ عَلَيْـهِ ، فَجَـاءَ فَرَأَى مَـا أَصْنَـعُ . فقالَ : « مَالَكِ ؟ يا عَائِشَةُ ! أَغِرْتِ ؟ » فقلتُ : ومالي لا يَغارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَـالَ ﷺ : « أَقَـد جَـاءَكِ شَيْطَـانُـكِ ؟ » قَـالَتْ : يـارَسُولَ اللهِ أَوَ مَعِيَ شَيْطَـانٌ ؟ قَـالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : وَمَعَ كُلِ إِنْسَانٍ ؟ قَالَ : « نَعَم » قُلْتُ : وَمَعَكَ ؟ يَـا رَسُولَ اللهِ ! قَـالَ : « نَعَمْ . وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عليه حَتَّىٰ أَسْلَمَ » .

٧٣٧ ـ * روى البخـاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَـالَ : « إِذَا اسْتَيْقَـظَ أَحَـدُكُمْ مِنْ مَنَـامِـهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَـإِنَّ الشَّيْطَـانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ » .

٧٣٨ ـ * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ ؛ قَـالَ : ذُكِرَ عِنْـدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُـلٌ نَـامَ لَيْلَـةً حَتَّى أَصْبَحَ . قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْـه » . أَوْ قَـالَ : « فِي أُذُنِـهِ » .

= (نشبنا) : أي لبثنا .

٧٣٥ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان .... إلخ
وأحمد (١ / ٣٨٥) .

٧٣٦ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٨) الموضع السابق .

٧٣٧ ـ البخاري (٦ / ٣٣٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .
مسلم (١ / ٢١٢) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٨ ـ باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار .
والنسائي : (١ / ٦٧) ١ ـ كتاب الطهارة ، ٧٣ ـ باب الأمر بالاستنثار عند الاستيقاظ من النوم .

٧٣٨ ـ مسلم (١ / ٥٣٧) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ ـ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .

قال النووي :

(بال الشيطان في أذنيه) اختلفوا في معناه . فقال ابن قتيبة : معناه أفسده . وقال المهلب والطحاويّ وآخرون : هو استعارة وإشارة إلى انقياده للشيطان وتحكمه فيه ، وعقده على قافية رأسه : عليك ليلٌ طويل . وإذلاله له ، وقيل : معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه . يقال : لمن استخف بإنسان وخدعه : بال في أذنه . وأصل ذلك في دابة تفعل ذلك بالأسد ، إذلالا له . وقال الحربيّ : معناه ظهر عليه وسخر منه . قال القاضي عياض : ولا يبعد أن يكون على ظاهره قال : وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه . ا . هـ .

٧٣٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال : « التثاؤبُ منَ الشيطان ، فإذا تَثاءبَ أحدُكم فلْيَرُدَّهُ ما استطاع ، فإنَّ أحدَكم إذا قال : ها ضحِكَ الشيطان » .

٧٤٠ ـ * روى مسلم عن سُهَيْل بْنِ أبي صَالِحٍ ، قَالَ : سَمِعتُ ابْنًا لأبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي يُحَدِّثُ أبي عَنْ أبيه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إذَا تَثَاوَبَ أحَدُكُمْ ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ . فإنَّ الشيْطَانَ يَدْخُلُ » .

٧٤١ ـ * روى مسلم عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ . إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .

٧٤٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال : قَالَ النبيُّ ﷺ :

---

٧٣٩ ـ البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

مسلم (٤ / ٢٢٩٣) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ، ٩ ـ باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب .

٧٤٠ ـ مسلم : الموضع السابق .

٧٤١ ـ مسلم (١ / ٥٣٩) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٩ ـ باب استحباب صلاة النافلة ....

والترمذي (٥ / ١٥٧) ٤٦ ـ كتاب فضائل القرآن ، ٢ ـ باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

وقال : حديث حسن صحيح .

وأحمد (٢ / ٢٨٤) .

٧٤٢ ـ البخاري (٢ / ٨٤) ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٤ ـ باب فضل التأذين .

« إذا نُودِيَ بالصلاة أَدْبَر الشيطانُ وله ضُراط ، فَإذا قُضِيَ أَقبلَ ، فإذا ثُوِّبَ بها أدبر ، فإذا قُضِيَ أقبل حتَّى يَخْطِر بين الإنسانِ وقلبهِ فيقولُ : اذكُرْ كذا وكذا . حتى لا يَدري أثلاثًا صلَّى أم أرْبعًا ، فإذا لم يَدرِ ثلاثًا صلَّى أو أربعًا سَجَدَ سَجدتَي السَّهْوِ » .

٧٤٣ ـ * روى البخارى عن عبدِ اللهِ بنِ عبد الرحْمن بن أبي صَعْصَعَةَ الأنصاريِّ عن أبيهِ أنهُ أخبرَهُ أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْريَّ رضي اللهُ عنه قال له : « إنِّي أراكَ تُحِبُّ الغَنَم والبادية ، فإذا كنتَ في غَنَمِكَ وباديتكَ فأذَّنت بالصلاةِ فارفعْ صَوتَكَ بالنداء ، فإنه لاَ يَسمعُ مَدَى صَوتِ المؤذِّن جنٌ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شَهِدَ له يومَ القيامة » . قال أبو سعيد : سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ .

٧٤٤ ـ * روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رُصُّوا صفوفَكم وقارِبُوا بينها وحاذُوا بالأعناقِ ، فوَالذي نفسي بيده إنِّي لأَرَى الشيَاطينَ تدخُلُ مِنْ خَلَلِ الصُّفُوفِ كأنَّها الحذَفُ » .

٧٤٥ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أنهُ صلَّى صلاةً فقال : « إن الشيطانَ عَرَضَ لي فشدَّ عليَّ يَقْطَعُ الصلاةَ عليَّ ، فأمْكَنَني اللهُ منه » .

٧٤٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ : « إنَّ عفريتًا منَ الجنِّ تَفَلَّتَ البارحةَ ليَقطَعَ عليَّ صلاتي ، فأمْكَنَني اللهُ منه ، فأخَذْتُهُ ، فأردتُ أن

= مسلم (١ / ٢٩١) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ٨ ـ باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .
ومالك (١ / ٦٩) ٣ ـ كتاب الصلاة ، ١ ـ باب ما جاء في النداء للصلاة .

٧٤٣ ـ البخاري (٢ / ٨٧) ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٥ ـ باب رفع الصوت بالنداء .

٧٤٤ ـ ابو داود (١ / ١٧٩) كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف .
والنَّسائي (٢ / ٩٢) ١٠ ـ كتاب الإمامة ، ٢٨ ـ باب حث الإمام على رصّ الصفوف والمقاربة بينها .
وأحمد (٣ / ٢٨٣) .
وابن حبان (٣ / ٢٩٨) كتاب الصلاة ـ باب فرض متابعة الإمام . وهو حديث صحيح .
(الحذَف) : بفتحتين ، غنم سود صغار من غنم الحجاز .

٧٤٥ ـ البخاري (٣ / ٨٠) ٢١ ـ كتاب العمل في الصلاة ، ١٠ ـ ما يجوز من العمل في الصلاة .

٧٤٦ ـ البخاري (١ / ٥٥٤) ٨ ـ كتاب الصلاة ، ٧٥ ـ باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد .

أربطَـهُ على سـاريـةٍ من سَواري المسجـدِ حتى تَنظروا إليـهِ كلُّكم ، فـذكرتُ دَعوةَ أخي سليـانَ : ﴿ ربِّ اغْفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكًـا لا ينبغي لأحـدٍ مِن بعـدي ﴾ فردَدْتُـهُ خاسئًا » .

٧٤٧ - * روى البزار عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ أن النبيَّ ﷺ قال : « إن الشيطانَ عَرَضَ لي فجعل يُلْقي عَلَيَّ شَرَرَ النارِ فلولا دعوةُ أخي سليمانَ لأخذتُه » .

(دعوة سليمان) : قوله تعالى على لسانه : ﴿ قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ (١) .

٧٤٨ - * روى الطبراني عن جابر عن النبي ﷺ قال : « دخلتُ البيتَ فإذا شيطـانٌ خلفَ البابِ فَخَنَقْتُهُ حتى وجدت بَرْدَ لِسانِه على يـدي ، فلولا دعوةُ العبدِ الصـالح لأصبحَ مربوطًا يراه الناسُ » .

٧٤٩ - * روى أحمد عن عياض قال : قلت لأبي سعيد الخدري : أحدنا يصلي فلا يدري كم صلى . فقال : قـال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحـدكم فلا يـدري كم صلى فليسجـد سجدتين وهو جالس ، وإذا جاء أحدكم الشيطان فقال : إنك قد أحدثت فَلْيَقُل : كذبت . إلا ما وجدَ ريحَه بأنفه أو سمع صوتَهُ بأُذُنِهِ » .

= مسلم (١ / ٣٨٤) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٨ - باب جواز لعن الشيطان .
وأحمد (٢ / ٢٩٨) .
(عفريتٌ) : مُتَمَرِّدٌ من إنس أو جانٍّ .
٧٤٧ - كشف الأستار : (٣ / ١٣١) .
مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٩) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .
(١) ص : ٣٥ .
٧٤٨ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٩) .
٧٤٩ - أحمد (٣ / ٥١ ، ٥٣) .
وأبو داود (١ / ٢٧٠) كتاب الصلاة ، - باب من قال يتم على أكبر ظنه .
والترمذي (٢ / ٢٤٣) أبواب الصلاة ، ٢٩١ - باب ما جاء في الرجل يصلي فيشك ... إلخ .
وقال : حديث حسن .

٧٥٠ ـ * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا مرَّ بينَ أحَدِكم شيء وهو يُصلي فَلْيمنعْهُ ، فإنْ أبى فَلْيَمْنَعْهُ فإن أبيْ فَلْيُقَاتِلْهُ ، فإنما هوَ شيطانٌ » .

٧٥١ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضيَ الله عنها : سألتُ النبيَّ ﷺ عنِ التفاتِ الرجلِ في الصلاةِ فقال : « هو اختِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ من صلاةِ أحدكم » .

٧٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم عَنْ أبي هُريرةَ ، يَبْلغُ بِهِ النَّبيِّ ﷺ : « يَعْقِدُ الشيطانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أَحَدِكُم ثَلاثَ عُقَدٍ إذَا نَامَ . بكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طويلاً . فَإذَا اسْتَيْقَظَ ، فَذَكَرَ اللهَ . انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإذَا تَوَضَّأَ ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ . فَإذَا صلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ . فَأَصْبَحَ نشيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ . وإلا أَصْبَحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ » .

٧٥٣ ـ * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : لا يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ للشَّيْطَانِ مِنْ نَفْسِهِ جزءًا ،

---

٧٥٠ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥١ ـ البخاري (٢ / ٢٣٤) ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٩٣ ـ باب الالتفات في الصلاة .
وأبو داود (١ / ٢٣٩) كتاب الصلاة ، باب الالتفات في الصلاة .
والنسائي (٣ / ٨) ١٣ ـ كتاب السهو ، ١٠ ـ باب التشديد في الالتفات في الصلاة .
وأحمد (٦ / ١٠٦) .

٧٥٢ ـ البخاري (٣ / ٢٤) ١٩ ـ كتاب التهجد ، ١٢ ـ باب عقد الشيطان على قافية الرأس ...
مسلم (١ / ٥٣٨) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ ـ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .
وأحمد (٢ / ٢٤٣) .
قال النووي :
(قافية رأس أحدكم) : القافية آخر الرأس . وقافية كل شيء آخره . ومنه قافية الشِّعر .
(عليك ليلا طويلا) : هكذا هو في معظم نسخ بلادنا ، بصحيح مسلم . وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين : عليك ليلا طويلاً ، بالنصب على الإغراء . ورواه بعضهم : عليك ليل طويل ، بالرفع . أي بقي عليك ليل طويل . واختلف العلماء في هذه العقد . فقيل : هو عقد حقيقيّ بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام . قال الله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ . فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر . وقيل : يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد . وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه . فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلا طويلاً ، فتأخر عن القيام . وقيل : هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل .

٧٥٣ ـ مسلم (١ / ٤٩٢) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٧ ـ باب جواز الانصراف من الصلاة .... =

لا يرىٰ إلا أنَّ حَقًّا عَلَيْـهِ أنْ لا يَنْصَرِفَ إلا عَنْ يَمِينِـه . أكْثَرُ مَـا رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ .

٧٥٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا دخَـل شهرُ رَمضـانَ فُتِحَتْ أبـوابُ السماء ، وغُلِّقتْ أبـوابُ جهنَّم ، وسُلسِلَتِ الشَّياطينُ » .

٧٥٥ ـ * روى الترمـذي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قـال : قـالَ رَسول الله ﷺ : « إذَا كانَ أوَّلُ لَيْلَة مِنْ شهْرِ رَمَضَـانَ صُفِّـدَتِ الشيـاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أبْواب النَّـارِ فَلَمْ يُفتَحْ مِنْها بَابٌ ، وَفُتِّحت أبْوَابُ الجَنَّـةِ فَلَم يُغْلَقْ مِنْهـا بَـابٌ ، وَيُنَـادِي مُنَـادٍ : يَـابَـاغِيَ الْخَيْرِ أقبل ، ويـا باغيَ الشَّرِّ أقْصِرْ ، وَلله عُتَقَـاءُ مِن النَّـار . وَذَلـكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » .

٧٥٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : وَكَّلَني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاة رمضَانَ ؛ فأتاني آتٍ فجعلَ يَحْثُو مِنَ الطعامِ ، فأخذْتُهُ فقلتُ : لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ ـ فذكرَ الحديثَ ـ فقال : إذا أوَيت إلى فِراشِكَ فاقرأ آية الكرسيِّ ، لن يَزال عليْك منَ الله حافظ ، ولا يَقْرَبُكَ شيطان حتى تُصْبح . فقال النبيُّ ﷺ : « صَدَقَكَ وهو كَذوب ، ذاك شيطان » .

٧٥٧ ـ * روى البخاري عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال : كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ

قوله : (ينصرف عن شماله) أي : من الصلاة .

٧٥٤ ـ البخاري (٤ / ١١٢) ٣٠ ـ كتاب الصوم ، ٥ ـ باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ...

مسلم (٢ / ٧٥٨) ١٣ ـ كتاب الصيام ، ١ ـ باب فضل شهر رمضان .

وأحمد (٢ / ٢٨١) .

٧٥٥ ـ الترمذي (٣ / ٦٦) ٦ ـ كتاب الصوم ، ١ ـ باب ما جاء في فضل شهر رمضان .

وابن ماجه (١ / ٥٢٦) ٧ ـ كتاب الصيام ، ٢ ـ باب ما جاء في فضل شهر رمضان .

وابن حبان (٥ / ١٨٣) كتاب الصوم ـ باب فضل رمضان .

والمستدرك (١ / ٤٢١) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . وهو حديث حسن .

٧٥٦ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥٧ ـ البخاري (٦ / ٤٠٨) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ١٠ ـ باب حدثنا موسى ... .

والحسينَ ويقول : « إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامّة ، من كلِّ شيطانٍ وهامّة ، ومن كل عينٍ لامّة » .

٧٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عبّاس رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قال : « أما إنَّ أحدَكم إذا أتى أهْلَهُ وقال : بسمِ الله ، اللّهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ مارزَقتنا ، فُرزِقَا ولدًا ، لم يَضُرَّهُ الشيطانُ » .

٧٥٩ - * روى البخاري ؛ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رَسولُ اللهِ ﷺ : « يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول : من خَلَقَ كذا ؟ مَن خَلَقَ كذا ؟ حتى يقول : مَن خَلَقَ ربَّك ؟ فإذا بَلَغَهُ فلْيَستَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ » .

٧٦٠ - * روى مالك في الموطأ عن خَالدِ بنِ الْوليدِ ؛ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : إِنِّي أُرَوَّعُ فِي مَنَامي . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ . مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبادِهِ . ومِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين . وَأَنْ يَحْضُرُونِ » .

٧٦١ - * روى مالك عن يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيد ؛ أَنَّهُ قَالَ : أُسْرِيَ بِرَسُول الله ﷺ فَرَأَى عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ ، يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ ، كُلَّمَا الْتَفَتَ رَسُول اللهِ ﷺ رَآهُ . فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَفَلا أُعلِّمُكَ كَلِماتٍ تَقُولُهنَّ . إذا قُلْتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُهُ ، وَخَرَّ لِفِيهِ ؟ فَقَالَ رَسول الله ﷺ : « بَلَى » . فَقَالَ جِبْرِيلُ : فَقُلْ : أَعُوذُ بِوجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ ، وَبِكَلِمَات الله

---

٧٥٨ - البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

مسلم (٢ / ١٠٥٨) ١٦ - كتاب النكاح ، ١٨ - باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع .

وأحمد (١ / ٢١٧) .

٧٥٩ - البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٦٠ - الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ - كتاب الشعر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ . وهو مرسل إلا أنه حسن بشواهده .

(أرَوَّع) : أي يحصل لي روع ، أي فزع .

(التامة) : أي الفاضلة التي لا يدخلها نقص .

(همزات الشياطين) : نزغاتهم بما يوسوسون به .

(وأن يحضرون) : أي أن يصيبوني بسوء ويكونوا معي في مكان ؛ لأنهم إنما يحضرون بالسوء .

٧٦١ - الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ - كتاب الشعر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ . مرسلاً .

وأحمد (٣ / ٤١٩) بمعناه . موصولاً بسند حسن .

التَّامَّاتِ اللاَّتِي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَـا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَـاء وَشَرِّ مَـا يَعْرُجُ فِيهـا ، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْض وَشَرِّ مَـا يَخْرُجُ مِنْهـا ، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهـار ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهار ، إلا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .

٧٦٢ - * روى البخـاري عن عبـدِ اللهِ بن أبي قتَـادةَ عن أبيـهِ قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « الرؤيا الصالحـة منَ الله ، والْحُلُمُ منَ الشيطان ، فإذا حَلِمَ أحـدُكم حُلُمًا يَخـافُـهُ فلْيَبصُق عن يَسارِهِ ولْيتعوَّذْ باللهِ من شرِّها ، فإنها لاتَضُرُّه » .

٧٦٣ - * روى مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ رسُولِ الله ﷺ ؛ أَنَّهُ قَالَ : « الرُّؤيَا الصَّالِحَـةُ مِنَ اللهِ . وَالرُّؤيَا السَّوْء مِنَ الشَّيْطَانِ . فَمَنْ رَأَىٰ رُؤيَا فكَرِهَ مِنْها شَيْئًـا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ، وَلْيَتعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَـانِ ، لاَتَضُرُّهُ . وَلا يُخْبِرْ بهـا أحـدًا . فَإِن رَأَىٰ رُؤيَا حَسَنَةً فَلْيُبشِرْ . وَلا يُخْبِرُ إلا مَنْ يُحبُّ » .

٧٦٤ - * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ، عن النَّبِي ﷺ ، قَـالَ « إذا اقْتربَ الـزَّمَـانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا الْمُسْلم تكْذِبُ . وَأَصْدَقكم رؤيا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا . وَرُؤيَـا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ . وَالرُّؤيَا ثَلاثَةٌ : [فالرؤيا] الصَّالِحة بُشْرَى مِنَ الله . ورؤيا تحزينٌ من الشيطانِ . وَرُؤيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ ، وَلاَ يُحدِّث بِهَا النَّاسَ » .

٧٦٥ - * روى مسلم عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : إنْ كُنتُ لأَرَى الرُّؤيَا تُمْرِضُنِي . قال : فلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ ، فقَـالَ : وأَنَـا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤيَـا فتُمْرِضُنِي حَتَّىٰ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « الرُّؤيَا الصَّالِحَـةُ مِنَ اللهِ . فَـإذَا رَأَىٰ أَحَـدُكُمْ مَـا يُحبُّ فَلا يُحَـدِّثْ بهَـا إلا مَنْ يُحِبُّ . وَإِنْ رَأَىٰ مَـا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُـلْ عَنْ يَسَـارِهِ ثَـلاثًـا ، وَلْيَتعَـوَّذْ بـاللهِ مِنْ شَرِّ الشيْطَانِ وشَرِّهَا . وَلا يُحدِّثْ بِهَا أَحَدًا ، فَإِنَّها لَنْ تَضُرَّهُ » .

---

٧٦٢ - البخاري (١٢ / ٣٩٣) ٩١ - كتاب التعبير ، ١٤ - باب الحلم من الشيطان ..... .

٧٦٣ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٣ - وحدثني أبو الطاهر ... .

٧٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٧٣) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٦ - وحدثني محمد ... .

٧٦٥ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٤ - حدثنا أبو بكر ... .

٧٦٦ - * روى البخاري في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناسُ إن وَعْدَ اللهِ حقٌّ فلا تَغرَّنَّكمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يَغرَّنَّكم باللهِ الغَرور * إن الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتخذوهُ عدوًّا إنما يَدعو حِزْبَهُ ليكونوا مِن أصحاب السَّعير ﴾[فاطر : ٥ ، ٦] . جمعُهُ : سُعُر . قال مجاهد : الغَرورُ الشيطان .

٧٦٧ - * روى مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْمُؤمِنُ الْقَويُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِن المؤمنِ الضَّعيفِ . وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ . احْرِصْ عَلَى مَا ينفعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ . وَلاتَعْجِزْ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللهِ ، وَمَا شَاء فَعَلَ . فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ » .

٧٦٨ - * روى البخاري ومسلم عن صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ ، قالت : « كان رسولُ اللهِ ﷺ مُعتكفًا ، فأتيتُهُ أزورُه ليلاً فحدّثْتُهُ ثُمَّ قمتُ فانقلبْتُ ، فقامَ معي لِيَقْلِبَني - وكان سكنُها في دار أُسامَةَ بنِ زيدٍ - فمرَّ رجُلانِ مِنَ الأنصار ، فلما رأيا النبيَّ ﷺ أسرعا فقال النبيُّ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكُما ، إنها صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ » . فقالا : سبحانَ اللهِ يارسول اللهِ . قال : « إن الشيطانَ يجري منَ الإنسانِ مَجرَى الدمِ ، وإني خَشِيتُ أن يَقذِفَ في

---

٧٦٦ - البخاري (١١ / ٢٤٩) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٨ - باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق ﴾ .

٧٦٧ - مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ - كتاب القدر ، ٨ - باب الأمر بالقوة وترك العجز ...

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

قال النووي :

(المؤمن القوي خير) : المرادُ بالقوة ، هنا ، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة . فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدوّ في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه . وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والصبر على الأذى في كل ذلك . واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ، ونحو ذلك .

(وفي كل خير) : معناه في كل من القوي والضعيف خير ، لاشتراكهما في الإيمان ، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات .

(احرص على ما ينفعك) : معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده ، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن الإعانة . ا . هـ النووي .

قوله (قَدَرُ الله) : يحفظها بعضهم بتشديد الدال : قَدَّرَ الله .

٧٦٨ - البخاري (١٣ / ١٥٨) ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٢١ - الشهادة تكون عند الحاكم ...

مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٩ - باب بيان أنه يستحب لمن رُئِيَ خاليا ... .

قلوبكما سوءًا » ـ أو قال ـ : « شيئًا » .

٧٦٩ ـ * روى مسلم عَنْ جَابِر ؛ أَنَّ رَسول الله ﷺ رَأى امْرَأةً . فَأتى امْرَأتَه زَيْنَبَ ، وَهي تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا . فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِه فَقَالَ : « إِنَّ المَرْأَةَ تُقبلُ في صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ . فَإنَّ ذٰلكَ يَرُدُّ مَا في نَفْسِهِ » .

٧٧٠ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي اللهُ عنهما قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشيرُ إلى المشرقِ فقال : « ها إنَّ الفتنة هاهنا ، إنَّ الفتنة هاهُنا ، مِن حيثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطان » .

٧٧١ ـ * روى البخاري عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا طَلَعَ حاجبُ الشمس فدَعوا الصلاةَ حتَّى تبرُزَ ، وإذا غابَ حاجبُ الشمسِ فدَعوا الصلاةَ حتَّى تَغيب ولا تَحيَّنوا بصلاتِكمْ طلوعَ الشمسِ ولا غُروبَها ، فإنها تطلُعُ بينَ قَرنَيْ شيطان » . أو « الشيطان » . لا أدري أيَّ ذٰلكَ قال هشام [أحد الرواة] .

٧٧٢ ـ * روى البخاري عن عُقبةَ بنِ عمرو أبي مَسعود قال : أشارَ رسولُ اللهِ ﷺ بيده نحوَ اليمن فقال : « الإيمانُ يَمانٍ هاهُنا ، ألا إنَّ القَسْوَة وغِلَظَ القلوبِ في الفَدَّادينَ عندَ أصولِ أذنابِ الإبلِ حيثُ يَطلُعُ قَرنا الشيطان في ربيعةَ ومُضَر » .

٧٧٣ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال : أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجل قد شربَ ، قال : « اضْرِبُوه » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمنَّا الضاربُ بيدهِ والضاربُ

---

٧٦٩ ـ مسلم (٢ / ١٠٢١) ١٦ ـ كتاب النكاح ، ٢ ـ باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه .... .
(تمعس منيئةً) : تَدْبغ إهابًا ، والإهاب : الجلد . وأصل المَعْس : المَعْكُ والدَّلْكُ .
وأحمد (٣ / ٣٣٠) .

٧٧٠ ـ البخاري (٩ / ٤٣٦) ٦٨ ـ كتاب الطلاق ، ٢٤ ـ باب الإشارة في الطلاق والأمور .

٧٧١ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٢ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال .
(الفدّادين) : أهل الوبر .

٧٧٣ ـ البخاري (١٢ / ٦٦) ٨٦ ـ كتاب الحدود ، ٤ ـ باب الضرب بالجريد والنعال .

بنعله والضاربُ بثوبه . فلما انصرفَ قال : بعض القوم : أخزاك الله . قال : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطانَ » .

٧٧٤ ـ * روى البخاري عن سعدِ بن أبي وقاصٍ قال : « استأذنَ عمرُ على رسول الله ﷺ وعندهُ نساءٌ من قريشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَستكثرنَهُ عاليةً أصواتُهنَّ ، فلما استأذنَ عمرُ قمنَ يبتَدِرْنَ الحجابَ ، فأذنَ له رسولُ الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ يضْحَكُ ، فقال عمرُ : أضحَكَ اللهُ سِنَّك يا رسولَ الله . قال : « عَجِبتُ مِنْ هؤلاء اللائي كنَّ عندي ، فلما سمعنَ صَوتَكَ ابتدرنَ الحجابَ » . قال عمرُ : فأنتَ يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقَّ أن يَهَبْنَ . ثم قال : أي عدواتِ أنفسهن ، أتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ الله ﷺ ؟ قلنَ : نعم ، أنتَ أفظُّ وأغلظ من رسولِ اللهِ ﷺ . قال رسولُ اللهِ ﷺ : « والذي نفسي بيدهِ ، ما لَقِيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكًا فجًّا إلا سَلكَ فجًّا غيرَ فجك » .

٧٧٥ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : لما كان يومُ أحدٍ هُزِمَ المشركون ، فصاح إبليسُ : أي عبادَ اللهِ ، أخراكم ، فرَجعَت أولاهم فاجتَلَدت هي وأخراهم ، فنظرَ حُذَيفةُ فإذا هو بأبيهِ اليمانِ ، فقال : أي عبادَ اللهِ ، أبي أبي . فوالله ما احتَجزوا حتى قَتَلوه ، فقال حُذيفة : غَفَرَ اللهُ لكم . قال عُروةُ : فمازالت في حذيفة منه بقيةُ خير حتى لَحِقَ بالله » .

٧٧٦ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خط خطوطًا عن يَمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سُبُلٌ » قالَ يزيد : « متفرقة على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه » . ثم قرأ :﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ﴾ .

---

٧٧٤ ـ البخاري (٦ / ٣٣٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٥ ـ البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٦ ـ أحمد (١ / ٤٦٥) .

والمستدرك (٢ / ٣١٨) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢) . وقال : رواه أحمد والبزار ، وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف .

٧٧٧ - * روى النسائي عن محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « على ظهر كل بعير شيطانٌ فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم » .

٧٧٨ - * روى أبو داود عن قَطن بن قَبيصَة عن أبيه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « العِيافَةُ والطِّيَرَةُ والطَّرْقُ من الجِبْت » .

٧٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَة عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَذَكَرَ أحاديثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إلىٰ أَخِيهِ بِالسِّلاحِ . فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ » .

٧٨٠ - * روى أحمد عن عياض بن حِمَار ، قال : قلتُ : يا رسول الله رجل من قومي يَشْتُمني وهو دوني ، عليَّ بأس أن أنتصر منه ؟ قال : « المُسْتَبَّانِ شيطانان يتهاذيان ويتكاذَبان » .

٧٨١ - * روى البخاري ومسلم عن هشام بن عامر أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر مُسلما فوق ثلاثِ ليالٍ ، فإنهما ناكبانِ عن الحق ما داما

---

٧٧٧ - النسائي في اليوم والليلة . وهو صحيح .
وأحمد (٢ / ٤٩٤) .

٧٧٨ - أبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، باب في الخط وزجر الطير . وهو حديث حسن .
وأحمد (٣ / ٤٧٧) .
قال عوف : العيافة زجر الطير ، والطرق : الخط يخط في الأرض ، والجبت : قال الحسن : إنه الشيطان .
(العيافة) : زجرُ الطير والتفاؤل بها ، كما كانت العرب تفعله ، عافَ الطيرَ يَعيفُه : إذا زَجَرَه .
(الطَّرقُ) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخطُّ في الرمل ، كما يفعله المنجم لاستخراج الضمير ونحوه ، وقد جاء في كتاب أبي داود : « أن الطَّرق : الزَّجر ، والعيافة : الخط » .
(الجِبْتُ) : كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

٧٧٩ - البخاري (١٢ / ٢٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٧ - باب قول النبي ﷺ : « من حمل ... » .
مسلم (٤ / ٢٠٢٠) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٣٥ - باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ...
وأحمد (٢ / ٣١٧) .

٧٨٠ - أحمد (٤ / ١٦٢) .

٧٨١ - البخاري (١٠ / ٤٩٢) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٦٢ - باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ : « لا يحل لرجل .... » .
مسلم (٤ / ١٩٨٤) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٨ - باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي . =

على صِرامِها ، وأولهما فيئًا يكون سبقُه بالفيء كفارةً له ، وإنْ سلَّم فلم يقبل وردّ عليه سلامه ردَّتْ عليه الملائكةُ ، وَرَدَّ عَلَى الآخرِ الشيطانُ ، وإن ماتا على صِرامِها لم يدخلا الجنةَ جميعًا أبدًا » .

٧٨٢ - * روى البخاري عن سليمان بنَ صُرَدٍ قال : « كنتُ جالسًا معَ النبيِّ ﷺ ورجُلان يَسْتَبَّان ، فأحدُهما احمرّ وَجهُهُ وانتفخت أوداجُه ، فقال النبيُّ ﷺ : « إني لأعلم كلمةً لو قَالَها ذَهب عنه ما يجدُ ، لو قال : أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطان ذَهب عنه ما يجدُ » . فقالوا له : إنَّ النبيَّ ﷺ قال : « تَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشيطان » . فقال : وهل بي جُنُون » ؟

أقول : إن الغضب يجر الإنسان من وضع سيئ إلى وضع أسوأ ، فهذا إنسان أحدث فيه الغضب ما أحدث ، ثم استجره الغضب لأن يرد كلام رسول الله ﷺ جهلاً منه ، لأنه ربط بين الاستعاذة والجنون ، والأمر ليس كذلك ، فالاستعاذة من الشيطان مطلوبة في أحوال منها : حالات الغضب ؛ لأن للشيطان دوره في الغضب من ناحية ، ولأنه بالغضب يستجر الشيطانُ الإنسانَ إلى مواقف لا تحمد عقباها دينًا ودُنْيا .

٧٨٣ - * روى مسلم عَنْ عُبَيْد بْن عُميرٍ ، قَالَ : قَالتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : غَرِيبٌ وَفِي أرضِ غُرْبةٍ ، لأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحدَّثُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكاء عَلَيْه إذْ أَقْبَلت امْرأَةٌ مِنَ الصَّعيد تُريدُ أَنْ تُسْعدَنِي فَاسْتَقْبَلها رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ : « أتريدينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيطَانَ بيتًا أَخرَجَهُ اللهُ منه » مرتين ، فَكَفَفْتُ عَنِ الْبكَاء فَلَمْ أَبْك .

٧٨٤ - * روى مسلم عن جَابر ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ

وأحمد (٤ / ٢٠) .

٧٨٢ - البخاري (١٠ / ٤٦٥) ٧٨ - كتاب الأدب . ٤٤ - باب ما ينهى عن السباب واللعن .

٧٨٣ - مسلم (٢ / ٦٣٥) ١١ - كتاب الجنائز ، ٦ - باب البكاء على الميت .

(إن تسعدني) : أي تساعدها على النياحة .

٧٨٤ - مسلم (٤ / ١٦٠٦) كتاب الأشربة ، ١٨ - باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ...

قال النووي :

(لا تدرون في أيه البركة) : معناه ، والله أعلم ، أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة . ولا يدري أن تلك

أَحَدكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا ، فَلْيُمِطْ ما كَانَ بها مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلا يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ . وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي في أيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » .

٧٨٥ ـ * روى مسلم عن أبي عثمانَ ، عن سلمان ، قال : لا تكونَنَّ إنِ استطَعْتَ ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا . فَإِنَّها مَعْرَكَةُ الشَّيْطَان ، وَبِها يَنْصِبُ رَايَتَهُ .

٧٨٦ ـ * روى مسلم عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسولُ الله ﷺ : « إنَّ إبليس يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاء . ثُم يَبْعَثُ سَرَايَاهُ . فَأَدْنَاهمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً . يَجيء أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . فَيقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا » . قَالَ : « ثُمَّ يَجيء أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرأَتِه » قَالَ : « فَيُدْنِيه مِنْهُ ويقول : نعْم أَنْت » .

٧٨٧ ـ * روى مسلم عن حُذَيْفَة بْنِ الْيَمانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! إنَّا كُنَّا بِشرٍّ فَجَاء اللهُ بخَير ، فَنَحْنُ فِيهِ . فَهلْ مِنْ وَرَاء هٰذا الْخَير شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعْم » . قلْتُ : هَلْ وَراء ذٰلكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : فَهَلَ وراءَ ذٰلكَ الخَير شَرٌّ ؟ قَال : « نَعَمْ » . قُلْتُ : كيف ؟ قَال : « يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بهُدَايَ ، وَلا يسْتَنُّونَ بِسُنَّتي . وَسَيَقُومُ فيهم رِجَالٌ قُلُوبُهمْ قُلُوبُ الشَّيَاطين فِي جُثْمَانِ إِنسٍ » . قَالَ : قُلْتُ : كَيفُ

= البركة فيا أكله أو فيا بقي على أصابعه ، أو فيا بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة . فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة . وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به . والمراد هنا ، والله أعلم ، ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ، ويقوي على طاعة الله تعالى ، وغير ذلك .

(فليمط) : معناه يُزيل ويُمحي . قال الجوهريّ : حكى أبو عبيد : ماطه وأماطه نحاه ، وقال الأصمعيّ : أماطه ، لا غير . ومنه : إماطة الأذى . ومطت أنا عنه ، أي تنحيت .

(أذى) : المراد بالأذى ، هنا المستقذر من غبار وتراب وقذى ونحو ذلك .

(بالمنديل) : معروف . قال ابن فارس في المجمل : لعله مأخوذ من الندل وهو النقل . قال أهل اللغة : يقال : تندلت بالمنديل . قال الجوهريّ : ويقال أيضًا : تمندلت . قال : وأنكر الكسائي تمندلت ا . هـ .

٧٨٥ ـ مسلم (٤ / ١٩٠٦) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ١٦ ـ باب من فضائل أم سلمة ...

٧٨٦ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه .... .

٧٨٧ ـ مسلم (٣ / ١٤٧٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .... .

أَصْنَعُ يَا رَسول الله ! إنْ أَدْرَكْتَ ذٰلِكَ ؟ قَالَ : « تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ . وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ . وأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ » .

٧٨٨ ـ * روى البخاري عن المغيرة عن إبراهيم عن عَلقمةَ ، قال قَدِمتُ الشامَ ، قالوا : أبو الدرداء ، قال : أفيكم الذي أجارهُ اللهُ من الشيطانِ على لسانِ نبيهِ ﷺ وقال : الذي أجارهُ اللهُ على لسانِ نبيهِ ﷺ ، يعني عمَّارًا .

٧٨٩ ـ * روى مسلم عَنِ المِقْدَاد . قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وأَبْصارُنا مِنَ الْجَهد . فَجَعَلنا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا ، فَأَتَينَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَىٰ أَهْلِهِ . فَإِذَا ثَلاثَةُ أَعْنُزٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « احْتَلِبُوا هٰذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا » . قَال : فَكُنَّا نَحتَلِبُ فَيَشْرِبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ ، ونَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ . قَال : فَيَجِيء مِنَ اللَّيْل فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا . وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ . قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فيصَلِّي ، ثُمَّ يأْتِي شرابهُ فَيَشْرِبُ . فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَقَدْ شَرِبتُ نَصِيبِي ، فَقَالَ : مُحَمَّدٌ يأْتِي الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُم ، مَا بِهِ حَاجَةٌ إلىٰ هٰذه الْجُرْعَة . فَأَتيتُها فَشَرِبْتُها . فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ في بطْنِي ، وَعلمتُ أَنَّهُ لَيْس إليْها سَبيلٌ . قَالَ : نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ . فقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا صَنَعْتَ ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحمَّدٍ ؟ فَيجِيء فَلاَ يَجِدُهُ فَيدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ ، فَتذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخرتُكَ . وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إذا وَضَعْتُها عَلَىٰ قَدَمَيَّ خَرَجَ رأْسِي ، وَإذَا وَضَعْتُهَا عَلَىٰ رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ . وَجَعَل لا يَجيئني النَّوْمُ ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعا مَا صَنَعْتُ . قَالَ : فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ . ثُمَّ أَتَىٰ شَرَابَهُ فَكَشفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَرَفعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ

---

٧٨٨ ـ البخاري (٧ / ٩٠) ٦٢ ـ فضائل الصحابة ، ٢٠ ـ مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما .

(قالوا : أبو الدرداء) أي أنه سأل من هذا ، فقالوا : فلان . كما وضحت رواية أخرى ، وسأل أبو الدرداء علقمة من أين ؟ فقال : من الكوفة . فقال له : أفيكم .... .

٧٨٩ ـ مسلم (٣ / ١٦٢٥) ٣٦ ـ كتاب الأشربة ، ٣٢ ـ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(الجهد) : بفتح الجيم ، هو الجوع والمشقة .

(فليس أحد منهم يقبلنا) : هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به .

(ما به حاجة إلى هذه الجرعة) : هي بضم الجيم وفتحها ، حكاهما ابن السكيت وغيره . والفعل منه جَرِعتُ .

(وغلت في بطني) : أي دخلت وتمكنت منه .

السَّماء . فَقُلْتُ : الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مَنْ أَطعَمَني . وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَاني » . قَالَ : فَعَمَدتُ إلى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُها عَلَيَّ . وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقتُ إلى الأَعْنُزِ أَيُّها أَسمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرسُولِ الله ﷺ ، فَإذَا هِي حَافِلَةٌ ، وَإذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ . فَعَمَدْتُ إلىٰ إنَاءٍ لآلِ مُحمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبوا فِيهِ . قَالَ : فَحَلَبْتُ فِيه حَتَّىٰ عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إلىٰ رَسول الله ﷺ فَقَالَ : « أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُول الله ! اشْرَبْ . فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَني ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَ ! اشْرَبْ . فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَني . فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ ، وَأَصَبْتُ دَعوَتَهُ ، ضَحِكْتُ حَتَّىٰ أُلْقِيتُ إلَى الأَرْض . قَالَ : فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « إحْدَىٰ سَوْآتِك يَا مِقْدَادُ » . فَقُلْتُ : يَا رَسول الله ! كَانَ مِنْ أَمري كَذَا وَكَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا . فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَا هٰذِهِ إلا رَحْمَةٌ مِنَ الله . أَفَلا كُنْتَ آذَنْتَني ، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا » . قَالَ : فقُلتُ : وَالَّذي بَعَثَكَ بِالْحقِّ ! مَا أُبَالي إذا أصبتَها وأَصَبْتُهَا مَعَكَ ، مَنْ أَصَابَها مِنَ النَّاس .

٧٩٠ ـ * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الشيَّطانَ قد أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المصلُّونَ ، ولكن في التحريش بينهم » .

٧٩١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدم » .

٧٩٢ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن مَسعود رضي الله عنه ، قال : إنَّ الشيطان لَيَتَمَثَّلُ في صورة الرجل ، فيأتي القوم فَيُحَدِّثُهم بالحديث من الكذب ، فَيَتَفَرَّقُون ، فيقول الرجلُ

---

٧٩٠ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٦) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان ....
وأحمد (٣ / ٣٥٤) .
وزاد مسلم : « في جزيرة العرب » .
(ولكن في التحريش بينهم) : التحريش : الإغراء بين النـاس بعضهم ببعض ، أي : ولكنـه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها .

٧٩١ ـ البخاري (١٣ / ١٥٨) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ، ٢١ ـ باب الشهادة تكون عند الحاكم ...
مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٩ ـ باب بيان أنه يستحب لمن رُئِيَ خاليا بامرأة ....
وأبو داود (٢ / ٣٣٣) كتاب الصوم ، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته . وإسناده صحيح .

٧٩٢ ـ مسلم (١ / ١٢) المقدمة ، ٤ ـ باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

منهم : سمعتُ رجلاً أعرف وجهَهُ ، ولا أعرفُ اسمَهُ ، يحدّث كذا وكذا .

٧٩٣ ـ * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الشيطان لعنه الله لن يسلم مني صاحبُ المال من إحدى ثلاث ، أغدو عليه بهن وأروحُ بهن : أخذَهُ من غير حِلّه ، وإنفاقَهُ في غير حقِّه ، وأُحَبِّبُهُ إليه فيمنعُهُ من حقِّه » .

٧٩٤ ـ * روى ابن ماجه عن عثمان بن أبي العاص ، قال : لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهُ ﷺ عَلَى الطَّائفِ جَعَلَ يَعْرِض لِي شَيء فِي صَلاتِي حَتَّى مَا أدْرِي مَا أُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « ابْنَ أبِي العَاص » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَارَسُولَ الله قَالَ : « مَا جاء بِكَ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَرَضَ لِي شَيء فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أدْرِي مَا أُصَلِّي . قال : « ذَاكَ الشَّيْطَانُ ، ادْنُ » فَدَنَوتُ مِنْهُ فَجَلستُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ قَالَ : فَضَرَبَ صَدْرِي بِيدِهِ وَتَفَلَ فِي فَمي وَقَالَ : « اخْرُجْ عَدُوَّ الله » . فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَال : « الْحَقْ بِعمَلِكَ » . قَالَ : فَقَالَ عُثْمَانُ : فَلَعَمْرِي مَا أحْسَبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ .

٧٩٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال « الْجَرَسُ مِزْمَارُ الشيطان » .

٧٩٦ ـ * روى البخاري عن جابر رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « إذا اسْتَجْنَحَ الليلُ » ـ أو « كان جُنحُ الليل ـ فكفُّوا صبيانكم فإنَّ الشياطينَ تَنْتَشِرُ حينَئذٍ ، فإذا ذَهبَ ساعةٌ منَ العشاء فَخَلُّوهم ، وأغلِقْ بابَكَ واذْكُرِ اسْمَ اللهِ ، وأطفئ مصباحَك واذكر اسْمَ اللهِ ، وأوْكِ سِقَاءَكَ واذكُر اسم الله ، وخَمِّرْ إناءك واذكر اسم الله » .

---

٧٩٣ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٥) . وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن.

٧٩٤ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٧٤) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٤٦ ـ باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . ورواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

٧٩٥ ـ مسلم (٣ / ١٦٧٢) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٧ ـ باب كراهة الكلب والجرس في السفر .

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

٧٩٦ ـ البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٩٧ ـ * روى البخاري عن جابر بن عبدِ الله رضي اللهُ عنهما ـ رَفَعَهُ ـ قـال : « خَمِّروا الآنية ، وأوكوا الأسْقِيَةَ ، وأجيفُوا الأبوابَ ، وأكفئوا صِبيـانكم عنـدَ المسـاء ، فـإنَّ للجنّ انتشارًا وخَطْفَةً ، وأطفئوا المصابيحَ عند الرُّقـادِ فـإنَّ الفُوَيسِقَـةَ ربَّما اجترَّت الفتيلةَ فأحرَقتْ أهلَ البيت » .

٧٩٨ ـ * روى أحمد عن جابر رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم نِباحَ الكلبِ ونَهيقَ الحمارِ بالليل فتَعَوذُوا بالله فإنهم يرون ما لا ترون » .

* * *

---

٧٩٧ ـ البخاري (٦ / ٣٥٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٦ ـ باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ... .

(خمروا) : أي غطوا .

(الفويسقة) : أي الفأرة .

٧٩٨ ـ أحمد (٣ / ٣٥٥) .

وأخرجه البخاري في الأدب . وهو صحيح .

التلخيص

الجن مخلوقات غيبية ، ودليل ثبوت وجودهم : الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، وهم مكلفون كالإنس ومُجازَوْنَ مثلهم ، وهم مكلفون منذ النشأة لوجود الإدراك عندهم منذ النشأة ، وقد ذكر ابن عبد البر أن الجن عند أهل اللغة على مراتب : فإن ذكروا الجن خالصًا قالوا جني ، فإن كان مِمَّن يسكن مع الناس سمي عامرًا والجمع عُمّار ، فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فإن خبث وتمرد قالوا شيطان ، فإن زاد على ذلك قالوا مارد ، فإن زاد على ذلك وقوي قالوا عفريت والجمع عفاريت ، وهناك من ذهب إلى أن الشياطين والجن جنس واحد . فالشياطين منهم مَنْ خبث وتمرد وهذا هو الرأي الراجح ، ومن العلماء من ذهب إلى أن الجن مخلوقات هوائية ، والشياطين مخلوقات نارية ، وقد استنبط العلماء من مجموع النصوص أن الجن يتشكلونَ على خلاف بين العلماء ؛ هل يتشكلون بالصور الشريفة كاملة كصورة الإنسان ، أو لا يستطيعون التشكل إلا بصورة إنسان فيه نوع نقص أو بصورة مخلوقات أخرى ؟ والراجح الأول ؛ فهم يتشكلون بالأشكال الحسنة والقبيحة ، ويأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويتناسلون ، والشياطين منهم يوسوسون لبني آدم ويحاولون إغواءهم ، فما من أحد من الإنس ذكرًا أو أنثى إلا وله قرين من الشياطين ، وقد يصاب الإنسان بسببهم بنوع من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج ، وقد يصلون إلى بعض الناس بنوع من الأذى ، ومن الظواهر المشهورة أنهم قد يتلبسون أجسام بعض الناس وينطقون على ألسنتهم ، ولعل بعض مظاهر تحضير الأرواح تكون من ذلك ، وقد سَخَّر الله عز وجل عالم الجن لسليمان عليه السلام فكان ذلك خصوصية له ، وهم لا يعلمون شيئًا عن المستقبل ، لكن قد يعرفون بواسطة بعضهم بعضًا ما جرى وما يجري ، فلا عجب أن يستطيع بعض من لهم صلة بالجن أن يكتشفوا سرقة أو يعرفوا ما جرى في أمكنة بعيدة ، فليس ذلك من علم الغيب .

والتوقي من الجن والشياطين يكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن والصلاة ، ومن أصيب بسبب من الجن فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوِّذات وآية الكرسي وقراءة سورة البقرة ، ويصح التداوي بكل شيء تجيزه الفتوى ، والجن في الجملة وإن كانوا مكلفين فهم في

الكرامة أدنى من بني الإنسان ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولقد كَرَّمْنا بني آدم ﴾ (١) ، والجن يستطيعون الصعود إلى طبقات الجو العليا ويرصدون خبر السماء ، قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا ﴾ (٢) ومعنى لمسنا : قصدنا كما فسرها العلماء ، وللجن قدرات خارقة نتعرف عليها مما ورد في قصة سليمان عليه السلام في القرآن ، ولو أن المتتبعين لبعض الظواهر الأرضية نظروا بعين الإنصاف لوجدوا أن كثيرًا من هذه الظواهر لا تُعَلَّلُ إلا إذا أعطينا للجن دورًا في صنعها ، فقد قرأت مرة عن منطقة عُبِّدَتْ وصِيغَتْ صِياغَةً لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كانت هنالك جهة تشرف عليها إشرافًا علويًا ، وَتُوَجِّهُ العاملين على الأرض ، ومثل هذا لا تفسير له في الماضي إلا أن يكون للجن صلة بهذا الموضوع ، وقصة سليمان عليه السلام في القرآن تعطينا دليلاً قطعيًا على أن للجن دخلاً في بعض الأوابد التي أنشأها سليمان عليه السلام ، وبالجملة فإنني أميل إلى أن بعض الأوابد الحاضرة التي لا تعلل بطاقة الإنسان قديمًا ، ولا بإمكاناته العلمية ، يمكن أن يكون للجن دخل فيها .

ولم تزل البشرية ولا تزال تحدثنا عن ظواهر ليس لها تعليل إلا بوجود عالم من الجن ، ولم يزل أفراد يوجدون في كل مكان لهم صلة بالجن ، ولم يزل هناك أفراد يَشْكُونَ من حالات لا تعلل إلا بوجود الجن .

فائدة :

حاول بعض العلماء المربين في هذه الأمة أن يوجدوا قواعد وضوابط لتخريج الوارث الكامل أو الولي المرشد ، وقد كتب كثير من العلماء في شروط المرشد الكامل ، وما يجب أن يتوافر فيه من كمالات وصفات ومعارف ، ولقد كان من رأي أحد شيوخنا أنه لا يكمل المرشد ـ حتى يكون صالحًا للإرشاد ـ إلا بمعرفته لآلية عمل الشيطان ؛ فإن الذي يعرف أخلاق الشيطان وخطواته ومداخله على النفس البشرية هو الذي يستطيع أن يجنب نفسه وإخوانه مداخل الشيطان ، ومثل هذا المرشد هو الذي يعرف الكمالات الإنسانية التي إذا تحقق بها

---

(١) الإسراء : ٧٠ .
(٢) الجن : ٨ .

الإنسان خرج من أثر الشيطان وكيف يوصل إليها ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [1] .

إن فقه مداخل الشيطان على الأنفس من أعظم أنواع الفقه ، فإنما يصرف الإنسان عن الله واليوم الآخر الشيطان والنفس والهوى والدنيا .

والشيطان حادي ركب أهل النار .

ولقد حاول شيخنا الذي أشرت إلى فكرته أن يضع سلمًا لمسيرة الإنسان من الحضيض إلى الكمال ، ومما ذكره أن الإنسان غير المعصوم إنْ استوفى كمالاته لم يبق للشيطان عليه مدخل إلا من قبَل شهواته الحسية أو المعنوية .

ومن الشهوات المعنوية حب الجاه الدنيوي والتصدر الدنيوي والرئاسة التي لا يقصد بها وجه الله واليوم الآخر .

* * *

---

(١) الأعراف : ٢٠١ .

نُقولٌ في ما قاله بعض العلماء في الجن

لم تزل أخبار الجن وقصصهم والحديث عنهم ومباشرتهم لخطاب بعض الناس تملأ الكثير من الكتب ؛ ففي كتب العهد القديم والجديد وفي كتب الطب القديمة والحديثة وفي كتب العلماء والمحققين وعند أهل الأديان عامة كلام كثير عن هذا الموضوع ، وقد جاءتنا نصوص الكتاب والسنة بالخبر اليقين .

لقد كتب عباس محمود العقاد كتابًا أسماه « إبليس » ، والعقاد بشكل عام متأثر في بعض كتبه - ومنها هذا الكتاب - بالدراسات المقارنة ، وهي دراسات تخبط في تيه وضياع وتتراوح وجهات النظر فيها كثيرًا بين طرفي الزاوية . وأهم جوانب الكتاب أنه يعطينا تصورًا عن تصورات الأمم عن الشيطان كما وصلت إلينا ؛ فهو يحدثنا عن الشيطان في الحضارة المصرية والحضارة الهندية ، وحضارات ما بين النهرين ، وحضارة اليونان ، وعن الشيطان في الديانة اليهودية والديانة النصرانية .

- ومن كلامه عن الشيطان في الحضارة المصرية .

(وقد شغل « سيت » وظيفة ضرورية في عهود الأزمات التي تنهزم فيها الدولة وتنضب الثروة ويختل نظام الحكم وتضطرب مرافق المعيشة . فقد كان « سيت » يبوء وحده بجريرة ذلك كله ، وكانت عليه وحده تبعة كل آفة لا يستطاع دفعها ، ومن هذه الآفات ريح السموم وعوارض الجفاف والقحط وأوبئة المرض ، وسائر الأمراض التي كانت تنسب من قديم الزمن إلى الجان والعفاريت ، وقد كانت عليه التبعة أيضًا في بقاء السحر الخبيث ؛ لأنه كان على علم واسع بفنونه ، ولم يكن في وسع الكهان والسحرة أن يعالجوا شروره ويبرئوا المرضى من آفاته بغير وسائله وأسراره ، ولهذا كثرت عندهم التمائم والتعاويذ ، ومنها ما بقي إلى اليوم في صور الجعل والحشرات والأساور والقلائد التي لا تصنع للزينة ولكنها تقرن بالأدوية والعقاقير طلبا للشفاء ، ويقول الأطباء الذين كانوا يشتغلون بالطب والسحر : إن الدواء هو الذي يشفي ويبرئ من المرض ، ولكن التمائم والتعاويذ هي التي تمنع « العكوس » من فعل أرواح الشر وأطياف الظلام .

وقد كان الفراعنة أنفسهم يلجأون إلى السحر لمغالبة الأرواح الخفية ، فاستعان رمسيس الثاني بأصحاب التمائم والتعاويذ على مداواة أهل بيته ، ولم يفعل ذلك جهلاً منه بالطب ولا تعظيما منه لقدر السحر ، ولكنه فعله إيمانًا بضرورة اختيار الترياق من جنس المرض ، ولكل شيء آفة من جنسه كما قيل من قبل ، ويقال في كل زمان) .

- ومن كلام العقاد عن الشيطان في الحضارة الهندية :

(ومن ذلك في هذا الباب عقيدتهم في العفاريت الخبيثة أو العابثة التي يسمونها بالـ « راكشا » وينسبون إليها أعمالاً كأعمال الشياطين في الديانات الأخرى ... فالشياطين في صورة « الراكشا » هم « الشر » الذي أبغضه الآريون وصوروه لأبنائهم في الصورة التي تنفرهم منه وتحذرهم من كيده ...

وليس في الديانة الهندية وفروعها المتشعبة شخصية واحدة تشبه شخصية الشيطان غير الرب الذي يسمونه « المارا » من الموت ...

وهذا الـ « المارا » هو الذي قيل في قصة « بوذا » إنه وسوس له وألح في وسواسه ليشغله عن النسك ويصرفه عن مسلكه من الحكمة وهو مسلك الزهد والاعتدال) . اهـ .

- ومن كلام العقاد عن الشيطان في حضارة ما بين النهرين دجلة والفرات وما جاورهما: تحدث عن « الثنوية » التي تفر من باهرمان وهو الروح الخبيث ، وتحدث عن « الزرادشتية » التي تؤمن بـ (يامة) الذي امتلأت نفسه بالخيلاء فسولت له نفسه أن يناظر الإله ... وأن يكاذب نفسه بخيلائه .

- إن قضية الشيطان تعتبر قاسمًا مشتركًا في الثقافة الإنسانية وهي من بقايا الحق الذي تحدث عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولما حرفت ديانات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الجهل والهوى والغلو فلقد كان من جملة ما دخل عليه التحريف قضية الشيطان ، ونحن لا يهمنا من الدراسات المقارنة إلا إثبات أن هناك قضايا لها أصولها ، وأن القرآن جاءنا بالحق اليقين في الأصول والفروع وأعطانا الحق واليقين والصواب مفصلاً في كل شيء .

- وقد كتب عبد الرزاق نوفل عن الجن والشياطين ، وكان من كلامه :

وتروي النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى قد أخرج الشيطان من كثير من المرضى الذين كان المس قد أصابهم بحالات مرضية وبجنون أيضًا ففي ، إنجيل متى نجد النص :

(وفيا هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل . أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين) .

وفي إنجيل مرقس نجد النص :

(وكان في مجمعهم رجل به روح نجس : فصرخ قائلاً آه ما لنا لك يا يسوع الناصري : أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلاً : اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه) .

وفي إنجيل لوقا نجد نصًا يشير إلى أن الإنسان قد يمسه أكثر من شيطان إذ يقول :

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التي تُدْعَى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين) .

ويمكن أن يستمر مس الشيطان للإنسان سنوات عديدة ففي إنجيل لوقا أن امرأة كان بها روح أضعفها وكانت منحنية بسببها ولم تقدر أن تنتصب ألبتة ثمانية عشرة عاما فوضع سيدنا عيسى يده عليها فاستقامت وقال : (هذه هي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت ...

فنجد أبوقراط الذي عرف بأبي الطب يهتم بوسائل العرافة والسحر ومحاربة الشياطين وهو الذي قال عن الصرع الذي وصفوه بأنه المرض المقدس : إنه خال من القداسة .. ثم جالين أمير الأطباء حيث يهتم باتخاذ الجديد من طرق طرد الشياطين ، ثم كرامر واسبرنجر وقد ذاع في زمانها أنهما قاتلا أكثر من سبعين أميرًا من الشياطين وسبعة ملايين وأربعمائة

وخمسة آلاف وأكثر من الشياطين الأقل درجة منهم .. ولقد كانت الفكرة السائدة والتي ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هي المسيطرة على كل وسائل العلاج .. تلك التي كانت تقول بضرب الشيطان لإخراجه من جسد المريض بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويليز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الرَّكْل والقيد . ولذلك كان البروفسور كالين ينادي بأن معظم حالات الاضطرابات والتي لا سبب عضوي لها لا تشفى إلا بشدة الوثاق والضرب ، وقد نادى الدكتور ريل الألماني والأخصائي في الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعذيبي الذي لا يضر .

ويقول العالم كارنجتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتابه « الظواهر الروحية الحديثة » عن حالة المس : (واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعدُ أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها . وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكاديمية فقط بل لأن مئات من الناس وألوفًا يعانون كثيرًا في الوقت الحاضر من هذه الحالة ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري . وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والحذق والجلد) .

وفي كتاب « تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة » يقول الدكتور بل: (لدينا الكثير الذي يصح أن نميط عنه اللثام ، وعلى الأخص ما كان متعلقًا بحالة المس الروحي باعتباره عاملاً مسببًا للأمراض النفسية والعصبية ولقد ظهر لنا أن المس الروحي أكثر تعقيدًا مما كان يظن أولاً . ولا تتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولا من عقله وإرادته فقط بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة . والشخصية الماسة المركزية وهي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص الممسوس وهي على وجه العموم قليلة المقاومة لإيحاءات الغير ، ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون في الاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها إلا في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أو بعضها، وبمضي الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص الممسوس الذي يعمل إلى مثل هذه الحال

تلاشيًا تامًا .. ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هي : قاعدة المخ ومنطقة الضفيرة الشمسية والمركز المهين على أعضاء التناسل ، وأما الضجة التي لابد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص الممسوس فيمكن دراستها في مستشفيات الأمراض العقلية .. ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف) .

ويقول الدكتور جيمس هايسلوب في كتابه عن المس : (إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه ولا يمكن إنكار مكنة حدوث المس) ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطرابًا واختلالا في اهتزازاته وأنه بالكهربائية الاستاتيكية تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له .

ولذلك فقد اهتم العلمُ الحديثُ بوسائل علاج مثل هذه الحالات وإن اختلفت الألفاظ واللغات التي وردت فيها طرق العلاج من المس فإنها كلها تتفق في الجوهر والأصل ، فالدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينابوليس بأمريكا يقول في بيان هذا العلاج : كنت في أيام شبابي أضحك ساخرًا مستهزئًا بذلك الرأي القائل بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث في ظروف خاصة اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس ، وكنت أحمل في إحدى يدي كتاب بوخنر المسمى: القوة والمادة ، وفي اليد الأخرى كتاب هكل المسمى: لغز الكون ، وأسخر من الرأي القائل بأن أي روح ابتداء من يسوع المسيح إلى العمة ماريا تستطيع أن تساعد على إزالة بقايا الثوب الطيني الرث البالي الذي نرتديه الآن أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحي الذي يحول التفاعلات العقلية إلى هذيان الأبله المعتوه أو إلى خبل الجنون القاتل أو إلى يأس المالنخوليا المفجع . ولا يستطيع شخص ذكي أن ينكر أن هناك سببًا لمعظم الأمراض التي تصيب الإنسان وآه لو يعرف هذا السبب » ا.هـ من كتاب الجنّ والملائكة .

- ولابن عابدين الفقيه الحنفي المشهور - صاحب حاشية ابن عابدين المسماة :« رد المحتار على الدر المختار » وهي أعظم مرجع في فقه الحنفية كتبه المتأخرون - رسالة مطبوعة مع رسائل أخرى طبعت تحت اسم « رسائل ابن عابدين » تحدث فيها عن تلمذة بعض الجن على شيخه خالد الحضرة رحمه الله واسم الرسالة « سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي » ، ومن كلامه في هذه الرسالة :

(في الطبقات الكبرى عن حرملة أنه قال : سمعت الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقوله تعالى : ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ (١) إلا أن يكون الزاعم نبيًّا انتهى .. لكن هذا ينافي مامر عن شرح المقاصد من حكاية مشاهدتهم عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات ، فإن المتبادر أن المراد المشاهدة بدون تشكل إلا أن يكون ذلك من باب الكرامة ، فإن ما صح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي على مامر فيه من الكلام مبسوطا وكلام الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في غير أصحاب الكرامات عند عدم التشكل ، وإلا فلا وجه لمنع رؤيتهم لكل أحد عند التشكل .

وصح عن الأعمش أنه قال : تروّح إلينا جنيّ فقلت له : ما أحب الطعامَ إليكم ؟ قال : الأرز . قال : فأتيناهم به فجعلت أرى اللقمَ ترفع ولا أرى أحدا... وفي آثار وأخبار أخرى أن مؤمنيهم يصلون ويصومون ويحجون ويطوفون ويقرؤن القرآن ويتعلمون العلوم ويأخذونها عن الإنس وإن لم يشعروا بهم وكذا رواية الحديث .

تنبيه: قد تَحصّل مما ذكرنا سابقًا ولاحقا جواز رؤية الجن بعد التشكل لكل أحد ، وكذا بدون تشكل لمن شاء الله تعالى من عباده فضلا عن حضورهم في مجالس الذكر وسماع أصواتهم » اهـ .

وقال الشيخ حسن أيوب :

(وذكر صاحب كتاب « آكام المرجان » حكاية عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

---

(١) الأعراف : ٢٧ .

هي أن المتوكل أنفذ إليه صاحبًا لـه يعلمـه أن جـاريـة بها صرع وسـألـه أن يـدعو الله لها بالعافية . فأخرج له أحمـد نعلي خشب بشراك ـ أي ربـاط ـ من خوص للوضوء فـدفعـه إلى صاحب له وقال له : تمضي إلى دار أمير المؤمنين ، وتجلس عند رأس هذه الجاريـة وتقول لـه (يعني الجني) قال لك أحمـد : أيُّما أحبُّ إليـك ، تخرج من هـذه الجـاريـة ، أو تصفع بهـذه النعل سبعين ؟ فمضى إليه وقال له مِثْلَ مـا قـال لـه الإمـام أحمـد . فقـال المـارد على لسـان الجارية : السمع والطاعة . لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا بـه . إنـه أطـاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء . وخرج من الجارية . وهـدأت ورزقت أولادًا) ا.هـ . « الإيمـان بالرسل والكتب واليوم الآخر » .

ـ وذكر الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في كتـابـه : « عقيـدة المؤمن » حـادثـة وقعت في بيت أهله ، قال :

إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى « سعدية » وكنا يوما ونحن صغـار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل يربط بـه القِنْو (العرجون) ونسحبـه إلى السطح ونحن فوقـه ، فحصل أن أختي سعـديـة جرت الحبـل ، فضعفت عنـه ، فغلبهـا فـوقعت على الأرض على أحد الجنون [1] ، فكأنها بوقوعها عليه آذته أذىً شديـدًا ، فـانتقم منهـا فكان يـأتيهـا عنـد نومهـا في كل أسبوع مرتين أو ثـلاثًـا ، أو أكثر فيخنقهـا ، فترفس المسكينـة برجليهـا ، وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميتة ، ونطق مرةً على لسـانها مصرحًا بأنه يفعل بها هذا لأنها آذته يوم كذا في مكان كذا .. ومازال يأتيها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق ، فصرعهـا ليلةً على عادته فما زالت ترفس برجليهـا وتضطرب حتى مـاتت ، غفر الله لهـا ، ورحمهـا .. آمين .

هذه الحادثة عشتها ، وبعيني رأيتها ، وما راءٍ كمن سمع !!! » ا.هـ .

---

(١) يعني واحدًا من الجنّ .

الوصل الأول

في:

ظاهرة ابن صيَّاد

وفيه:

مقدمة ونقول ونصوص

المقدمة

إنما ذكرنا هذا الفصل هنا لارتباطه بصلة الشيطان بالإنسان ، فابنُ صياد رجل يهودي الأصل ثم أسلم بعد ذلك في الظاهر ، وكان تجري على لسانه كلمات كُفْرِيَّة ، وكانت له صلة بعالم الجن ، فهو يمثل ظاهرة الوحي الشيطاني للإنسان ، وقد اشتبه أمره على بعض الصحابة حتى ظنوه المسيح الدجال وليس هو يقينًا لكنه يشبهه وكان أمره ملتبسًا ، ولأن هذا اللبس لا يترتب عليه عمل ولا خطر ولا خطأ ، فإن رسول الله ﷺ أبقى هذا الاحتمال مفتوحًا لحكمة يعلمها هو عليه الصلاة والسلام ، ونتوقع أن رسول الله ﷺ أراد بذلك أن يفتح لأمته باب الاجتهاد في فهم الأخبار المستقبلية التي أخبر عنها أنها كائنة بعده إذا وجد المجتهد ما يدعوه لذلك الاجتهاد ، وكان النص أو الأمر يحتمل ذلك .

قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [1] . وإيحاء الشياطين يظهر بمظاهر شتى منها الوسوسة التي يوسوس القرين - إلا من عصم الله - وهذه يحس بها أهل القلوب وأكثر الخلق عنها غافلون ، وإن كان الإنسان لا يخلو عن شعور باطني بدوافع داخلية شريرة ، ولذلك تكلم بعض علماء النفس عن أنواع من الدوافع الغريبة التي تلح عليها هذه الدوافع ، وقد يأخذ إيحاء الشياطين مظهرًا أكثر انكشافًا لدي صاحبه ، وظاهرة ابن صياد تمثل هذا الوضع .

وقد رأينا في البحث السابق أن الجنْ يمكن أن يتلبسوا جسم الإنسان فيتكلموا على لسانه وهي ظاهرة مرئية مشاهدة ، كما رأينا كيف أن بعض الإنس يكون لهم اتصال بعالم الجن ، وظاهرة ابن صياد تدخل في هذا الموضوع فهو على اتصال بعالم الشياطين من عالم الجن .

يظهر اضطراب بعض أهل التحقيق في تفسير هذه الظاهرة ، وهل ابن صياد هو الدجال الذي يظهر في آخر الزمان أو هو دجال من الدجاجلة ؟ والذي نجزم به قطعًا أنه دجال من الدجاجلة أبقى الرسول ﷺ الباب مفتوحًا للتعليل والتحليل في شأنه ، فهو ظاهرة مهمة تظهر في الحياة البشرية بأجزاء من هذه الظاهرة أو بها كلها .

وهاك تحقيقًا للإمام النووي حول ابن صياد ننقله من شرحه على صحيح مسلم :

---

(١) الأنعام : ١٢١ .

النقول

قال الإمام النووي رحمه الله :

يقال له ابن صياد وابن صائد وسمي بهما في هذه الأحاديث واسمه صاف ، قال العلماء : وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه : هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة . قال العلماء : وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يُوْحَ إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : « إن يكن هو فلن تستطيع قتله » وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو ، وأن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه ؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض . ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين : قوله للنبي ﷺ :(أتشهد أني رسول الله) ، ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشًا فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال ، وأنه يعرف موضعه ، وقوله : إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة ، وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال . قال الخطابي : واختلف السلف في أمره بعد كبره فروي عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا قال : وكان ابن عمر وجابر فيما رُوي عنهما يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر : إنه أسلم فقال : وإن أسلم . فقيل : إنه دخل مكة وكان في المدينة ، فقال : وإن دخل . وروى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن جابر قال : فقدنا ابن صياد يوم الحرة . وهذا يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلي عليه . وقد روى مسلم أن جابر بن عبد الله حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال وأنه سمع عمر رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ . وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول : والله ، ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال . قال البيهقي في كتابه « البعث والنشور » : اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا هل هو

الدجال ؟ قال : ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة قال : ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن . وليس كما قال وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها . قال : وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف في أمره ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم . هذا كلام البيهقي ، وقد اختار أنه غيره وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضي الله عنهم أنه الدجال والله أعلم . فإن قيل : كيف لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادَّعى بحضرته النبوة ؟ فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره ، أحدهما : أنه كان غير بالغ ، واختار القاضي عياض هذا الجواب ، والثاني : أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم، وجزم الخطابي في معالم السنن بهذا الجواب الثاني ، قال : لأن النبي ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب صلح على أن لا يهاجوا ويتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فيهم . قال الخطابي : وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة فامتحنه بإضمار قول الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ [١] وقال : « خبأت لك خبيئًا » فقال : هو الدخ أي الدخان وهي لغة فيه فقال له النبي ﷺ : « اخسأْ فلن تعدو قدرك » أي لا تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي فيكون واضحًا كاملاً ، وبخلاف ما يلهمه الله الأولياء من الكرامات والله أعلم . ا.هـ .

* * *

(١) الدخان : ١٠ .

النصوص النبوية في ابن صياد

٧٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، قال : إنّ عمَرَ ابن الخطاب انطلق مع رسولِ الله ﷺ في رَهْطٍ من أصحابه قِبَلَ ابن صياد ، حتى وجده يَلْعَبُ مع الصّبيان عند أُطُمِ بني مَغالةَ ، وقد قَاربَ ابنُ صياد يومئذ الحُلُمَ ، فلم يَشْعُر حتى ضرب رسولُ الله ﷺ ظَهْرَهُ بيده ، ثم قال رسولُ الله ﷺ لابن صياد : « أتشهد أنّي رسولُ الله » ؟ فنظر إليه ابنُ صياد ، فقال : أشهدُ أنّك رسولُ الأُميين . فقال ابنُ صياد لرسول الله ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضَهُ رسولُ الله ﷺ ، وقال : « آمنتُ بالله وبرُسُلِهِ » . ثم قال له رسولُ الله ﷺ : « ماذا ترى » ؟ قال ابنُ صياد : يأتيني صادق وكاذب . فقال له رسولُ الله ﷺ : « خُلِّطَ عليك الأمر » . ثم قال له رسولُ الله ﷺ : « إني قدْ خَبَأْتُ لَكَ خبيئًا » . فقال ابن صياد : هو الدُّخُّ . فقال له رسولُ الله ﷺ : « اخْسأْ ، فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ » فقال عمر بن الخطاب : ذرني يارسول الله أضربْ عُنُقَهَ ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنْ يَكُنْه فَلَنْ تُسلَّطَ عليه ، وإن لم يَكُنْهُ ، فلا خَيْرَ لك في قَتْلِهِ » .

وقال سالم : سمعتُ ابنَ عمر يقول : انطلق بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأُبيُّ بنُ كعبٍ الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد ، حتى إذا دخَل رسولُ الله ﷺ النخلَ طَفِقَ يتّقي بجذوع النخل ، وهو يَخْتِلُ أن يَسمعَ من ابن صيادٍ شيئًا قبل أن يراه ابنُ صياد ، فرآه رسولُ الله ﷺ وهو مُضْطَجعٌ على فراشٍ في قطيفة له فيها رَمْرَمَة أو زَمْزَمة ، فرأت أُمُّ ابن صياد رسولَ الله ﷺ وهو يتّقي بجذوع النخل ، فقالت لابن صياد : يا صاف ـ وهو اسمُ ابن صياد ـ هذا محمد ، فثار ابنُ صياد ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لو تَرَكَتْهُ بَيَّنَ » .

قال سالم : قال عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ : فقام رسولُ الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو له أهلٌ ، ثم ذكر الدجالَ ، فقال : « إني لأُنذِرُكُموه ، ما من نبيٍّ إلا قد أَنْذَرَهُ قومه ،

---

٧٩٩ ـ البخاري (١٠ / ٥٦٠ ، ٥٦١) ٧٨ ـ كتاب الأدب ، ٩٧ ـ باب قول الرجل للرجل : اخسأ .

مسلم (٤ / ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ١٩ ـ باب ذكر ابن صياد .

(يختل) : الختل : الأخذ عن طريق خفي .

لقد أَنْذَرَه نوحٌ قومَـه ، ولكن أقولُ لكم فيـه قولاً لم يقلـه نبي لقومـه : تعلَّموا أنَّـه أعور ، وإنَّ اللهَ تبارك وتعالى ليس بأعورَ » .

وزاد مسلم (١) : قـال ابن شهـاب : وأخبرني عمرُ بن ثـابت الأنصـاريُّ : أنَّـه أخبَره بعضُ أصحـاب رسول الله ﷺ قـال ـ يوم حَـذَّرَ النـاس الـدَّجـال ـ : « إنـه مكتوب بين عينيـه كافرٌ ، يقْرؤه كلُّ من كره عَمَلَهُ أو ـ يقرؤه كلُّ مؤمن » ـ وقـال : « تعلَّموا أنَّـه لَن يَرَى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت » .

وفي رواية الترمذي (٢) ، أن رسول الله ﷺ مَرَّ بابن صَيَّاد في نَفَرٍ من أصحابـه ـ منهم : عمرُ بنُ الخطاب ـ وهو يلعبُ مع الغلمان ، عند أُطُم بني مَغَالَـة ـ وهو غلامٌ ـ فلم يشعر حتى ضربَ رسولُ الله ﷺ ظَهَره بيده .. وذكر الحـديث إلى قولـه : « خُلِّـطَ عليـك الأمر » . وقال : ثم قال رسول الله ﷺ : « إني قَدْ خَبَأْت خبيئًا » . وخبـأ لـه ﴿ يوم تـأتي السماء بـدخـان مبين ﴾ [الـدخـان : ١٠] فقـال ابن صيـاد : هو الـدُّخُ . فقـال رسـولُ الله ﷺ : « اخسأ ، فلن تَعْدُوَ قَدْرك » . قال عمرُ : يـا رسولُ الله ائـذنْ لي فـأُضرب عُنُقَـه . فقـال رسولُ الله ﷺ : « إن يَكُ حقًا فَلَنْ تُسلَّط عليـه ، وإن لا يَـكُ ، فلا خير لـك في قتله » .

وفي رواية لأبي داود (٣) : زاد بعد قوله : « فَلَنْ تُسلَّط عليه » . قال : يعني الدَّجالَ .

٨٠٠ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قـال لابن صيـاد : « مـا ترى » ؟ قال : أرى عرشًا على البحر وحوله الحيتان . قال رسول الله ﷺ : « ترى عرش إبليس » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٥) ، في الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٥١٩) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٣ ـ باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

(٣) أبو دواد (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

(الأطم) : البناء المرتفع .

(اخسأ) : خسأتَ الكلبَ : إذا طردته .

٨٠٠ ـ مسند أحمد (٣ / ٦٦ ، ٩٧ ، ٣٨٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) . وقال : رواه أحمد ، وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

٨٠١ - * روى البخاري ومسلم عن محمد بن المنكَدِر، قال: رأيتُ جابرَ بنَ عبد الله رضي الله عنهما يحلف بالله: أنَّ ابنَ صيَّادٍ الدجالُ، قال: قلتُ أتحلف بالله؟ قال: فإني سمعتُ عمر يحلف بالله على ذلك عندَ رسول الله ﷺ، فلا يُنْكِرُهُ.

وفي رواية لأبي داود بسند حسن [1]: أنه قيل لجابر رضي الله عنه:

إنه أسلم. فقال: وإن أسلم. فقيل: إنه دخل مكة وكان بالمدينة. فقال: وإن دخل مكة.

٨٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ لابن صياد: «ما تُرْبةُ الجنة»؟ قال: دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ ياأبا القاسم. قال: «صدقت».

وفي رواية [2]: أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تُربة الجنة؟ فقال: «دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ خالصٌ».

والجمع بين الروايتين بأن رسول الله ﷺ أخبره ابتداءً ثم امتحنه بالسؤال ليعرف مدى حافظته.

ونقل القاضي عياض: إن بعض أهل النظر قالوا: الرواية الثانية أظهر.

٨٠٣ - * روى مسلم عن نافع - مولى عبدِ الله بنِ عُمرَ - رضي الله عنهما، قال: لَقي ابنُ عمر ابنَ صائد في بعضِ طرقِ المدينة، فقال له قولاً أغضَبَهُ، فانتفخَ حتى ملأَ السِّكَّةَ،

---

٨٠١ - البخاري (١٣ / ٣٢٣) ٩٦ - كتاب الاعتصام، ٢٣ - باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة ...

مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن، ١٩ - باب ذكر ابن صياد.

وأبو داود (٤ / ١٢١) كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة.

(١) أبو داود (٤ / ١١٩، ١٢٠) كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة.

٨٠٢ - مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن، ١٩ - باب ذكر ابن صياد.

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن، ١٩ - باب ذكر ابن صياد.

(درمكة بيضاء مسك): معناه أنها في البياض درمكة وفي الطيب مسك، والدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض.

٨٠٣ - مسلم: (٤ / ٢٢٤٦) ٥٢ - كتاب الفتن، ١٩ - باب ذكر ابن صياد.

فدخل ابنُ عمر على حَفْصةَ ـ وقد بلغها ـ فقالت له : رَحِمَك الله ، ما أردتَ من ابن صياد ؟ أما علمتْ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنما يخرج [أي الدجال] من غَضْبَةٍ يَغْضَبُها ؟ » .

وفي رواية (١) : كان نافعٌ يقولُ : ابنُ صياد قال : قال ابنُ عمرَ : لقيته مرتين ، فلقيته مع قومه ، فقلت لبعضهم : هل تُحدِّثون أنه هو ؟ قالوا : لا والله . قال : قلتُ : كَذَبْتُمُوني ، والله لقد أخبرني بعضُكم أنه لن يموتَ حتى يكونَ أكثرَكم مالاً وولدًا ، وكذلك هو زعموا اليومَ ، قال : فتحدَّثنا ، ثم فارقتُه . قال : فلقيتُهُ لَقْيَة أخرى ، وقد نفرت عينُه . قال : فقلتُ : متى فَعَلتْ عَيْنُك ما أرى ؟ قال : لا أدري . قلت : لا تدري وهي في رأسك ؟ قال : إن شاء الله خلقها في عصاك هذه . قال : فنخر كأشدِّ نَخيرِ حمار سمعتُ . قال : فزعم بعض أصحابي أني ضربْتُهُ بعصًا كانتْ مَعي حتى تكسَّرتْ ، وأما أنا : فوالله ما شَعرتُ . قالوا : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين ، فحدَّثها ، فقالت : ما تريد إليه ؟ ألم تعلم أنه قد قال : « إنَّ أوَّل ما يبعثه على الناس غَضْبَةٌ يغضبها ؟ » .

٨٠٤ ـ * روى أبو داود ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : فقدنا ابن صَيَّاد يوم الحرَّة .

٨٠٥ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : صَحِبْتُ ابنَ صياد إلى مكة ، فقال لي : أما قد لقيتُ من الناس ، يَزعُمُون أني الدجال ؟ ألستَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « إنه لا يولد له » ؟ قال : قلت : بلى . قال : فقد وُلِدَ لي ، أوَليس سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخُلُ المدينةَ ولا مكةَ » ؟ قال : قلت : بلى . قال : فقد وُلِدْتُ بالمدينة ، وها أنا ذا أريدُ مكةَ . ثم قال في آخر قوله : أما والله إني لأعْلَمُ مَولدَهُ ومكانَه ، وأين هو . قال : فلَبَسني .

= مسلم (٤ / ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧) في الموضع السابق .

٨٠٤ ـ أبو داود (٤ / ١٢١) كتاب الملاحم ، بابٌ في خبر ابن صياد .

وإسناده صحيح . وصحح الحافظ في الفتح إسناده وقال : وهذا يضعف ما تقدم أنه مات بالمدينة ، وأنهم صلّوا عليه وكشفوا ع وجهه .

٨٠٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ١٩ ـ باب ذكر ابن صياد .

وفي رواية [١] : قال : قال لي ابن صائد ـ وأخذتني منه ذَمامة ـ هذا عَذَرتُ الناسَ ، مالي ولكم يا أصحابَ محمد ؟ ألم يقل نَبيُّ الله : « إنّه يهودي » . وقد أسلمتُ . وقال : « لا يولَد له » . وقدَ وُلدَ لي . وقال : « إنَّ الله حَرَّم عليه مكة » . وقدْ حَجَجْتُ ؟ قال : فمازال حتى كاد أن يأخذ فيَّ قولُهُ . قال : فقال له : أما والله إني لأعْلَمُ الآن حيث هو ، وأعرف أباه وأمه . قال : وقيل له : أيَسُرُّك أنك ذاك الرجلُ ؟ قال : فقال : لو عُرِضَ عليَّ ما كَرْهِتُ .

وفي رواية [٢] قال : خرجنا حُجّاجًا ـ أو عُمّارًا ـ ومعنا ابن صائد ، قال : فنزلنا منزلاً ، فتفرّق الناس ، وبقيتُ أنا وهو ، فاستوحشتُ منه وحشة شديدة مما يقال عليه ، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي ، فقلتُ : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، فلو وضعتَه تحت تلك الشَّجَرةِ ؟ قال : ففعل . قال : فَرُفِعتْ لنا غنم فانطلق فجاء بِعُسّ ، فقال : اشْرَبْ أبا سعيد . فقلت : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، واللبنَ حارٌ ، ما بي إلا أني أكْرَهُ أن أشربَ عن يده ـ أو قال : آخذ عن يده ـ فقال : أبا سعيد ، لقد هممتُ أن آخذ حَبْلاً فأعلّقه بشجرة ثم أخْتَنِقَ مما يقولُ لي الناسُ ، يا أبا سعيد ، مَنْ خَفي عليه حديثُ رسول الله ﷺ ما خَفيَ عليكم مَعشَرَ الأنصار ، ألستَ من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر » ؟ وأنا مسلم . أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو عقيم لا يولَدُ له ولد » . وقد تركتُ ولدي بالمدينة ؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل المدينةَ ولا مكة » . وقد أقبلتُ من المدينة ، وأنا أريدُ مكة ؟ قال أبو سعيد : حتى كِدْتُ أن أعْذِرهُ ، ثم قال : أما والله إني لأعرفُهُ ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن ؟ قال : قلتُ له : تَبًّا لك سائر اليوم .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٢) في الموضع السابق .

(ذَمامة) : الذَّمامة ، بالذال المعجمة : الحياء والإشفاق من الذم ، والمذمّة : العار ، وبالدال المهملة : قبح الوجه ، والمراد الأول .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣) في الموضع السابق .

(العُسّ) : قدح ضخم يشرب فيه .

(التبّ) : الخسار والهلاك .

٨٠٦ ـ * وروى الترمذي الرواية الآخرة إلى قوله : وقد تركتُ ولدي بالمدينة . وقال : ألم يقل رسول الله ﷺ : « إنَّه لا تحلّ له مكة » ؟ ألستُ من أهل المدينة ، وهو ذا أنطلقُ معكَ إلى مكةَ ؟ قال : فوالله ما زال يَجيءُ بهذا ، حتى قلتُ : فلعله مكذوبٌ عليه . ثم قال : يا أبا سعيد ، والله لأُخْبِرنَّك خَبَرًا حقًّا ، والله إني لأعرفه ، وأعرف والدَهُ ، وأين هو الساعةَ (أي : الآن) من الأرض ؟ فقلتُ له : تبًّا لك سائر اليوم .

٨٠٧ ـ * روى أبو داود عن نافع ـ مولى عبد الله بن عمر ـ أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنهما كان يقول : والله ما أَشُكُّ أن المسيحَ الدَّجالَ ابنُ صَيَّاد .

٨٠٨ ـ * وروى أحمدُ عن أبي ذرٍّ ، أنه كان يقول ـ في ابن صياد ـ هو الدَّجال . وقال : قالت أمه : حملتُه اثنى عشر شهرًا ، فلما وقع ، صاح صياح ابن شهرين ، وكان يَشِبُّ في اليوم الواحد شبابَ الصبي لشهرٍ .

روى الطبراني [1] عن أبي ذر ؛ لأن أَحْلفَ عَشْرَ مراتٍ أن ابنَ صائد هو الدجال أحب إلى من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس به .

أقول : وعلى الفرض أن ابن صياد هو الدجال ، فهذه الفترة التي قضاها تمثل ظاهرة لها صلة بالجن والشياطين ، لأنها فترة ما قبل خروجه . وإنما جزمت بأن ابن صياد غير الدجال لحديث تميم الداري الذي سير معنا والذي فيه أنه رأى الدجال في جزيرة من الجزر ، فكيف يجتمع ذلك مع أن ابن صياد الدجال ، خاصة وقد أقر الرسول ﷺ تميمًا الداري على رؤيته ؟ .

---

٨٠٦ ـ الترمذي (٤ / ٥١٦ ، ٥١٧) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٣ ـ باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

٨٠٧ ـ أبو داود (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

وإسناده صحيح .

٨٠٨ ـ مسند أحمد (٥ / ١٤٨) . وسنده حسن .

(١) المعجم الكبير (١٠ / ١٣٤) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) وقال : إسناده حسن .

وصححه الحافظ في الفتح . وقال : ومن حديث ابن مسعود نحوه لكن قال : سبعًا . بدل : عشر مرات .

قال ابن كثير في النهاية :

(قال بعض العلماء : إن ابن صياد كان بعض الصحابة يظنه الدجال وهو ليس به إنما كان رجلا صغيرًا) .

(وقد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله ويقال صاف وقد جاء هذا وهذا وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمَّى لما أسلم بابن عبد الله وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين وروى عنه مالك وغيره وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته) .

(والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة ، وفي بعضها التوقف في أمره هل هو الدجال أو لا ؟ فالله أعلم ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يُوحَى إلى رسول الله ﷺ في شأن الدجال وتعيينه ، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك وهو فاصل في هذا المقام) .

[وقال :] (وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صياد والله تعالى أعلم وأحكم) .

(والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعًا وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام والله أعلم) ا . هـ من النهاية .

* * *

الوصل الثاني

في

تحضير الأرواح

أخذت ظاهرة تحضير الأرواح حيزًا كبيرًا من تفكير النـاس في عصرنـا وفي القرن المـاضي وذلـك أن النـاس أرادوا أن يتعلقوا بشيء غيبي بعـد أن وصلت موجـة الـدعـوة المـاديـة إلى ذروتها وموجة التشكيك إلى غايتهـا ، ولو أن النـاس عرفوا حقيقـة النبوة والرسـالـة وعرفوا القرآن والسّنة وما فيهما من معجزات وعرفوا الولاية لأهل الولايـة لمـا احتـاجوا إلى التمسـك بالظنيات والوهميات ولكن وضع العصر وما جرى فيه جعل الكثيرين يهتمون بـالظواهر التي تدحض فرية المادية ومن ههنا أقبلوا على تتبع ظاهرة التّلْبَـاثي وظـاهرة التنويم المغنـاطيسي وظـاهرة الأحلام وظـاهرة تحضير الأرواح ، وكلهـا ظواهر تثبت أن في الإنسـان وفي الكـون خفايا غيبية وإن اختلفت في الناس منازع التحليل والتعليل . والـذين تحـدثوا عن ظـاهرة تحضير الأرواح اختلفوا فمنهم : من نفاها كلية واعتبروها شعوذة وكذبًـا ، ومنهم : من أثبتهـا وأخـذ يتلقى عنهـا وكأنهـا وحي معصوم ، وهؤلاء وهؤلاء أفرطوا فمن أعطى العصمـة في أمر الغيب لغير الأنبيـاء والرسـل عليهم الصـلاة والسـلام فقـد كفر ، ومن اعتبر أن هنـاك جهـة يتلقى عنها تشريعًا غير الوحي وما بني عليه باجتهاد من أهله فقد كفر . والظاهر أن مجموع ما يجري في حوادث تحضير الأرواح يثبت أن هناك شيئًا غير عـادي يحـدث فما هو التعليل الصحيح ؟ .

يذهب الشيخ حسن أيوب في رسالته : « مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر » أن كل مـا يظهر من ظـواهر في عمليـات تحضير الأرواح يمكن أن تُعلـل بـأنهـا من آثـار عمـل الجن والشياطين وينفي إمكانية أن تكون روح من أرواح الإنس يمكن أن يكون لهـا علاقـة بهـذا الشأن ، والذي ذهب إليه هو الذي ترتاح له النفس ويطمئن القلب ، ومن كلامه :

(يمكن للجني أن يقلـد أيـة شخصيـة حيـة أو ميتـة بعـد موتهـا ، لأن أعمـار الجن تصل أحيانًـا إلى مئـات السنين ، كـما ثبت ذلـك في بعض الأحـاديث والآثـار ، كما أن تكليم الجني للإنسان على لسان إنسان آخر أمر ثابت وتحريك الجني لقلم يكتب ، أو سلسلة ترسم بوساطة قلم ، أو لأثاث حجرة ليكسر أو لغير ذلك ممـا نسمع عنـه أمر ممكن وواقع فيما مَضى ويقع الآن كثيرًا ، والمتتبع لهذا الأمر يجد الغرائب التي لا شك فيها) ا . هـ .

ومن كلام الشيخ سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات عن تحضير الأرواح :

(وكما أن في النّـاس أشرارًا دأبهم الكـذب والتلاعب بعقـول النـاس ، فـإن في الجن أيضًـا كذلك ، فمن أين لك أن الذي ينـاجيـك أو يكتب لـك جواب أسئلتـك من قـاع السلـة ، ليس شيطانًا مريدًا جاء ليلبس عليك دينك ويلهو بمخادعتك ويلتذ بالكـذب عليـك ؟ أو لم تقرأ أن أكثر أسباب الحماقة في المنحرفين أو المجانين الذين ادعوا أنهم أنبياء أو عظماء إنما هو هواجس من هؤلاء الشياطين ، إذ هتفوا في أعماق أفئدتهم أو على طبلـة آذانهم أنهم أحبـاء الله وعظماؤه .. وأن الله قـد أكرمهم بإسقـاط تكاليفـه عنهم ، فَرَبَـا الغرورُ في أوداجهم وثقلت رؤوسهم الفارغة بالخديعة وراحت تهتز منهم الأعطاف) .اهـ.

* * *

الفصل السادس

في:

الإيمان بالكتب

وفيه:

مقدمة ووصل

المقدمة

ـ الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، والكتب التي أنزلها الله عز وجل غير محصورة بعدد معروف ، لكن القرآن الكريم نص على أربعة منها ، ونص على صحف إبراهيم وموسى ، فكما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام غير محصورين بعدد على القول الراجح ، لكنه ـ أي القرآن ـ حدثنا عن خمسة وعشرين منهم تفصيلاً فكذلك الكتب ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كان النّاسُ أمةً واحدةً فبعثَ اللهُ النّبيينَ مبشرين ومنذرينَ وأنزل معهُمُ الكتابَ بالحقّ ليحكم بينَ النّاسِ فيما اختلفُوا فيه ﴾ [1] .

قال الفخر الرازي عند هذه الآية نقلاً عن القاضي : (ظاهر الآية يدل على أنه لا نبي إلا معه كتاب منزل فيه بيان الحق طال ذلك الكتاب أم قصر ، ودُوِّنَ ذلك الكتاب أم لم يُدَوَّنْ ، وكان ذلك الكتابُ مُعْجِزاً أم لم يكن ، كذلك لأن كون الكتاب منزلاً معهم لا يقتضي شيئاً من ذلك) . ا.هـ.

وقال تعالى : ﴿ لقدْ أرسلنَا رُسُلَنَا بالبيناتِ ﴾ ـ أي بالمعجزات على القول الراجح ـ ﴿ وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ النّاسُ بالقسط ﴾ [2] . وأخبرنا جل جلاله عن المسيح عليه السلام : ﴿ وإذْ علّمْتُكَ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ ﴾ [3] ، فسر بعض العلماء الكتاب في الآية الأخيرة بالكتابة والخط واحتمل لها تفسيراً آخر أنه المفروض ؛ أخذاً من قوله تعالى : ﴿ إنّ الصلاةَ كانتْ على المؤمنيْن كتاباً موقوتاً ﴾ [4] : أي فريضة مؤقتة بوقت ، فالكتاب يأتي بمعنى المكتوب وهو المفروض ، والحكمة معناها وضع الأمور في مواضعها ، فقد آتى الله عز وجل المسيح علم المفروضات على العباد ، وأوتي الحكمة في الأقوال والأفعال ، وأوتي التوراة حفظاً وفهماً ، وأنزل عليه الإنجيل كتاباً متميزاً .

والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم يعرفون فرائض الله بتعريف الله إياهم ،

---

(١) البقرة : ٢١٣ .
(٢) الحديد : ٢٥ .
(٣) المائدة : ١١٠ .
(٤) النساء : ١٠٣ .

وكذلك كتابهم سواء دُوِّنْ أو لم يُدَوَّنْ ، كبيرًا كان أو صغيرًا ، نقل إلى النّاس باللفظ والمعنى أو بالمعنى دون اللفظ .

لكنَ القرآن خص بالذكر التوارة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى ؛ فهذه لفظها ومعناها من الله عز وجل ، وخص القرآن من بينها بأنه معجز ، كما خُصَّ بخصائص أخرى ، منها أن الله تولى حفظه : ﴿ إنَّا نحنُ نزَّلنا الذكرَ وإنَّا لهُ لحافِظُونَ ﴾ [1] . وقامت هذه الأمة بتوفيق الله لها بحفظ كتابها ، بينما كلف أهل الكتب الأخرى بأن يتولوا حفظها فلم يقوموا بحق الله عز وجل : ﴿ بِما استُحْفِظُوا من كتابِ اللهِ وكانوا عليهِ شهداءَ ﴾ [2]

ـ والظاهر أن الأسفار الخمسة الأولى من أسفار العهد القديم ـ وهي تعتبر عند اليهود التوراة ـ قد اختلطت فيها صحف موسى مع التوراة مع السيرة الذاتية لموسى عليه السلام مع قومه ومع فرعون ، وهذا واضح من أدنى قراءة لهذه الأسفار ، هذا مع التبديل والتحريف والزيادة والنقص مما تدل عليه أدلة كثيرة ، وفي كتابنا الرسول ﷺ ، وفي تفسيرنا بَرْهَنَّا على ذلك من خلال نصوص هذه الأسفار ، ويكفينا ماشهد به القرآن عنهم : ﴿ يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ﴾ [3] ، ﴿ يُحرفونَ الكَلِمَ من بعدِ مواضِعِهِ ﴾ [4] ، ﴿ فويْلٌ للذينَ يكتُبونَ الكتابَ بأيْديهم ثمَّ يقولون هذا من عندِ اللهِ ليشتَروا بهِ ثمناً قليلاً ﴾ [5] وهناك شيء آخر غير التوراة أنزل بمناسبات أخرى .

ـ والظاهر أن الأناجيلَ الحالية قد اختلط فيها كذلك ماهو من الإنجيل وماهو سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام مع التحريف والتبديل ، فالأناجيل المعتمدة عند نصارى اليوم مكتوبة بأقلام مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ، وهناك أناجيل أخرى لم تُعتمد واندرست ، وكل ماوصلنا مما يسمى إنجيلاً نجده وكأنه سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام فيه مقاطع ؛ نُحسُّ بأنه بالإمكان أن تكون من الإنجيل ، ولكننا لا نستطيع الجزم .

(١) الحجر : ٩ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) النساء : ٤٦ .
(٤) المائدة : ٤١ .
(٥) البقرة : ٧٩ .

ـ والظاهر أن الزبور الحالي قد اختلط فيه ما هو وحي رباني بما هو إنشاد لداود بما هو قصائد أخرى قالها غير داود ، يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فهنا مزامير لا تُذكر نسبتها وهناك مزامير تذكر أن داود قالها بمناسبات ، وهناك مزامير أخرى تُنسب لقائليها .

ـ والراجح أن هناك بقية من صحف موسى في الأسفار الخمسة مخلوطة بغيرها .

ومن هٰهنا نعرف رحمة الله عز وجل إذ خص محمداً ﷺ بكتابه الحاكم والمهين والمعجز والمحفوظ لتفيء البشرية إليه ، ويكون حجة على المكلفين ، وجعل فيه من الخصائص مالا يحاط به .

وتوجد عند أمَمٍ كثيرة غير اليهود والنصارى أسفار دينية قد تكون بعض أصولها مروية عن الأنبياء ، ولكن ذلك لا نستطيع الجزم به ، وإن كنا نجزم أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها من يبلغها دعوة الله : ﴿ وإنْ من أمَّةٍ إلا خَلا فيها نذيرٌ ﴾ (١) . وهؤلاء الرسل جميعًا بعثوا بتبيان المفروض على الناس ، وتعليم الحكمة في التعامل مع الخالق والمخلوق ، وبعثوا بتزكية الأنفس : ﴿ هَل لكَ إلى أنْ تَزَكَّىٰ * وأَهْدِيَكَ إلى ربِّكَ فتَخْشَى ﴾ (٢) ، ﴿ وابْعَثْ فيهم رسُولاً منهُم يتلو عليهم آياتِك ويُعَلِّمُهُم الكتابَ والحِكمَةَ ويزَكِّيهم ﴾ (٣) .

وهذا كله يتم عبر تبليغ الوحي ؛ سواء أشبه هذا الوحي الأحاديث القدسية في شريعتنا ، أو أشبه السُّنة النبوية ثم سجله الناس عن أنبيائهم وحرفوه فيما بعد ، ويحتمل أن يكون الله عز وجل قد أنزل كتبًا أخرى غير الذي ذكره لنا ؛ فقد قال الله عز وجل : ﴿ فبعثَ اللهُ النبيينَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكتابَ ﴾ (٤) ، قال الفخر الرازي : (وللوحي خصائص وللكتب السماوية خصائص وسمات وخُصَّ القرآنُ بمزيد من هذه الخصائص والسمات) ، وقد ذكرت في القرآن الكريم خصائصه وصفاته فهو : محكم ، مثاني ، حق ، عدل ، مفصل ، يفرق بين الحق والباطل ، يبين كلَّ شيء يحتاجه المكلف في أمر دنياه وأخراه وفيه الهداية والرحمة ، وآياته على نوعين : محكمة ومتشابهة ، وفيه عرض لآيات الله في الكون والنفس ، وفيه علم الساعة ، وهو أعلى كتاب ، وأحكم كتاب ، وفيه الإنذار

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) النازعات : ١٨ ، ١٩ .
(٣) البقرة : ١٢٩ .
(٤) البقرة : ٢١٣ .

والتبشير ، وهو الحكم الفصل لكل ما اختلف فيه الناس ، وهو شفاء لما في الصدور من أمراض وشكوك وأسئلة وحَيْرةٍ ، وهذا وغيره تجده في القرآن الكريم مما وصف الله عز وجل كتابه ، كما سنرى ذلك .

وكلمة الإنجيل تعني البشارة ، والنصوص القرآنية تذكر أن عيسى عليه السلام جاء مبشراً برسول اسمه أحمد ، وقد وصف الله عز وجل رسالة عيسى بصفات تنطبق ضرورةً على الإنجيل ، كما وصف الإنجيل بصفات ، ومن خلال ذلك تتحدد معالم الإنجيل : ﴿ وإذْ قالَ عِيسى ابنُ مريمَ يابني إسْرَائيلَ إنِّي رسولُ اللهِ إليكُم مصدّقًا لما بينَ يَدَيَّ من التوراةِ ومُبشرًا برسُولٍ يأتي من بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ ﴾ [١] ، ﴿ وآتيناهُ الإنجيلَ فِيه هُدًى ونورٌ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يديهِ من التوراة وهُدًى ومَوعِظَةً للمُتَّقينَ ﴾ [٢] ، ﴿ أنّي قدْ جِئْتُكُم بآيَةٍ من رَبِّكُمْ ﴾ [٣] .

وأما الزبور فلم يأت له وصف قرآني ولكن اسمه يوحي بأنه أقرب إلى الأنشودة والتذكير ، قال ﷺ : « لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود » [٤] . والمراد بالمزمار هنا : الصوت الحسن .

﴿ ولقدْ كَتَبْنا في الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أنّ الأرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [٥] .

والمزامير الموجودة الآن في العهد القديم منها ما هو منسوب لداود ومنها ما هو منسوب لغيره ، ويظهر من قراءتها وكأن بعضها عليه طابع الوحي ، وبعضها نشيد لداود ، نفسه وبعضها نشيد لغيره ، والله أعلم .

---

(١) الصف : ٦ . (٢) المائدة : ٤٦ .
(٣) آل عمران : ٤٩ .
(٤) البخاري (٩ / ٩٢) ـ ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ـ ٣١ ـ باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن .
ومسلم (١ / ٥٤٦) ـ ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ ٣٤ ـ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .
والترمذي (٥ / ٦٩٣) ـ ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٥٦ ـ باب في مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
وقال : هذا حديث غريب .
والنسائي : (٢ / ١٨٠) ـ ١١ ـ كتاب الافتتاح ـ ٨٣ ـ باب تزيين القرآن بالصوت .
(٥) الأنبياء : ١٠٥ .

وأما التوراة فقد وصفت في القرآن بأوصاف جامعة :

﴿ إنّا أنزَلْنا التوراةَ فِيهَا هُدًى ونورٌ يحكُم بِهَا النّبِيُّونَ الذينَ أسْلَمُوا للّذِينَ هَادُوا والربّانِيُّونَ والأحبارُ ﴾ (١) ، ﴿ وكَتَبْنَا لهُ في الألْواحِ مِن كُلِّ شيءٍ مَوعِظةً وتَفْصيلاً لكلِّ شيءٍ فَخُذْهَا بِقُوّةٍ وأْمُر قَومكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِهَا ﴾ (٢) .

وأما صحف إبراهيم وموسى فقد ذُكِرَ بعضُ ما فيها بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أفْلحَ من تَزَكّى * وذَكَر اسْمَ رَبّه فَصَلّى * بل تُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنْيَا * والآخرةُ خيرٌ وأبْقَى * إنّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إبْراهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٣) .

وقد وردت إشارة إلى بعض ما في صحف إبراهيم بقوله تعالى : ﴿ وإبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى * ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... ﴾ (٤) .

ولم تصلنا كل أخبار الرسل السابقين وما أنزل عليهم وما بلغوه أقوامهم إلا ما جاء في القرآن والسنة ، أما ماسوى ذلك فالأدلة الواضحات والتحقيقات القاطعات تشهد على التحريف والتبديل ، ومن هٰهنا تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم ليبقى الحجة القطعية على الخلق في كل مابعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد تضمن ذلك كله الآيات والفروض والحكة وتزكية النفس وزاد على ذلك ، وقد جعله الله معجزاً لتقوم به الحجة على الخلق جميعاً : ﴿ وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحقّ مُصَدّقًا لِمَا بينَ يَدَيْه من الكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيه ﴾ (٥) .

وقد جاء بالأحكام التي تسع الزمان والمكان وخفف فيه عن المكلفين ماشدد على أمم سابقة عقوبة لهم : ﴿ الذينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيَّ الأُمّيَّ الذي يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُم في التّوراة والإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَاهُم عَنِ المُنْكَر ويُحِلُّ لهم الطّيّبَاتِ ويُحَرّمُ عليهمُ الخَبَائِثَ ويَضَعُ عَنْهُم إصْرَهُم والأَغْلالَ التي كَانَتْ عَلَيْهِم ﴾ (٦) .

* * *

(١) المائدة : ٤٤ .
(٢) الأعراف : ١٤٥ .
(٣) الأعلى : ١٤ ـ ١٩ .
(٤) النجم : ٣٧ ، ٣٨ .
(٥) المائدة : ٤٨ .
(٦) الأعراف : ١٥٧ .

والإيمان بالقرآن يدخل فيه الإيمان بحروفه وقراءاته ومضمونه ، ويدخل فيه الإيمان بالسنة شارحة الكتاب : ﴿ وأنزلنا إليكَ الذكرَ لتبينَ للناسِ ما نُزِّلَ إليهم ولعلَّهم يتفكَّرون ﴾ [١] .

ـ وأسهل طريقة لنتعرف على خصائص القرآن أن نعرف ماوصف الله عز وجل به كتابه ، أو ماسماه به ، أو ماوصف به رسولُ ﷺ الله كتابَ الله وسماه به ، وقد أحصى الإمام الزركشي في كتابه (البرهان) ثمانية وأربعين اسمًا ؛ من ذلك أنه روح : ﴿ وكذلِكَ أوْحَيْنَا إليكَ رُوحًا مِنْ أمرِنَا ﴾ [٢] ، ومن ذلك النور : ﴿ قدْ جَاءَكُم من اللهِ نُورٌ وكِتابٌ مُبِينٌ ﴾ [٣] ، ومن ذلك الذكر : ﴿ إنَّا نحنُ نَزَّلْنَا الذكْرَ وإنَّا له لحَافِظُون ﴾ [٤] ، ﴿ ومن أعرضَ عن ذِكْري فإنَّ له معيشةً ضَنكًا ﴾ [٥] ، ومن ذلك الهدى : ﴿ إنَّ هذا القُرْآنَ يَهْدِي للتي هِيَ أقْومُ ﴾ [٦] ، ومن ذلك حبل الله : ﴿ واعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله جَمِيعًا ولا تفرَّقُوا ﴾ [٧] ، ومن ذلك الحق : ﴿ والذِي أُنْزِلَ إليكَ من ربِّكَ الحقُّ ﴾ [٨] ، ﴿ لا يأْتِيه البَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِه ﴾ [٩] ومن ذلك الشفاء : ﴿ قُلْ هُو للَّذينَ آمنُوا هُدًى وشِفَاءٌ ﴾ [١٠]، ومن ذلك الموعظة والرحمة : ﴿ قد جَاءَتْكُم مَوعِظَةٌ من ربِّكم وشِفَاءٌ لما في الصُّدُورِ وهدًى ورحمةٌ للمُؤمِنِينَ ﴾ [١١]، ومن ذلك المبين : ﴿ قد جَاءَكُم مِن اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٢]، ﴿ ونَزَّلنَا عَليكَ الكِتابَ تِبيَانًا لِكُلِّ شيءٍ ﴾ [١٣] ومن ذلك أحسن الحديث : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ كِتابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ منهُ جُلودُ الذين يَخْشَونَ رَبَّهُم ثمَّ تلينُ جُلُودُهُم وقلُوبُهم إلى ذِكْرِ الله ذلكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ من يَشَاءُ ﴾ [١٤]، ومن ذلك الحكم : ﴿ كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثمَّ فُصِّلَتْ من لَدُنْ حَكِيمٍ

---

(١) النحل : ٤٤ .
(٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) المائدة : ١٥ .
(٤) الحجر : ٩ .
(٥) طه : ١٢٤ .
(٦) الإسراء : ٩ .
(٧) آل عمران : ١٠٣ .
(٨) الرعد : ١ .
(٩) فصلت : ٤٢ .
(١٠) فصلت : ٤٤ .
(١١) يونس : ٥٧ .
(١٢) المائدة : ١٥ .
(١٣) النحل : ٨٩ .
(١٤) الزمر : ٢٣ .

خَبِيرٍ ﴾ (١) . فكتاب اجتمعت فيه هذه الخصائص وغيرها مع عجز البشر أن يأتوا بأقصر سورة من سوره أو ثلاث آيات من آياته ففيه دليل أنه من الله عزوجل .

ـ إنك عندما تنظر إلى القرآن ككل تجده مدهشًا بما اجتمع فيه من تناسق وتوافق وتكامل وبما فيه من كمال في الأسلوب والفصاحة والمعاني : ﴿ أفلا يَتَدبَّرُونَ القرآنَ ولو كانَ من عندِ غيرِ اللهِ لوجَدُوا فيه اختِلافًا كَثيرًا ﴾ (٢) .

ـ والقرآن فيه إعجاز ومعجزات ، فإعجازه قدر مشترك فيه ، وذلك وحده معجزة محسة قامت بها الحجة على العالمين ، إذ عجز المخاطبون وهم عاجزون إلى الأبد أن يأتوا بسورة من مثله : ﴿ وإنْ كُنتم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءكُم مِن دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ * فَإِنْ لَم تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النَّارَ التِي وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارةُ أُعِدَّتْ للكَافِرين ﴾(٣) . فالعجز عن الإتيان بأدنى سورة من سوره هو مظهر إعجازه ، وهناك زيادة على الإعجاز معجزات تظهر حيثما وجدت شيئًا يستحيل أن يكون مصدره بشريًا كالآيات التي تتحدث عن كونيات لم يكتشفها الإنسان إلا مؤخرًا ، وكإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة ، وأسرار وحدته إلى غير ذلك من أمور أطنب الكتّاب في شرحها وتحدثنا عن بعضها في كتابنا (الرسول) ﷺ وفصلنا الكثير منها في التفسير .

ـ والحديث عن أسباب الإعجاز يطول وقد لا يدرك كل إنسان هذه الأسباب ولكن الحجة قائمة على البشر بالعجز وفي ذلك الكفاية ، والأسهل على الخلق أن يتعرفوا على معجزاته ، فقيام الحجة بها على العرب والعجم وكل مكلف لا يتمارى فيه ، فمن معجزاته أنه قدم للمكلفين هداية كاملة في العقائد والعبادات والتشريع والأخلاق والآداب ومن معجزاته أنه قدم تصوراً عجيبًا عن الكون والحياة وعن الزمان والمكان بما لم تعرف أبعاده إلا في عصرنا : ﴿ وإنَّ يومًا عند ربِّك كَألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون ﴾ (٤) ، ﴿ والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنَّا

---

(١) هود : ١ .

(٢) النساء : ٨٢ .

(٣) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) الحج : ٤٧ .

لَمُوسِعُون ﴾ (١) ، ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لَقَسَمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ (٢) ، ﴿ أولم يَرَ الذينَ كفَرُوا أنَّ السماواتِ والأرضَ كانتا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (٣) ومن معجزاته ما حدثنا به عن كونيات لم تعرف إلا في عصرنا ، ومن معجزاته ما أخبر به عن مستقبلٍ ووقع ، ومن معجزاته ما أخبر به عن أمم سالفة ولم يكن العرب يعرفونها ، ومن معجزاته تَضَمُّنُه لكل ما في كتب أهل الكتاب من معان مع أن محمدًا ﷺ كان أُمِّيا ، ومن معجزاته التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف فيه ، ومن معجزاته وفاؤه بحاجات البشر في الهداية في كل شيء ، ومن معجزاته التصرف في الأمثال والتصوير مما لا يخطر على قلب بشر : ﴿ قُل لو كانَ البَحْرُ مِدَادًا لكلماتِ ربِّي لَنَفِدَ البحرُ قبل أن تَنْفَدَ كلماتُ ربِّي ولو جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (٤) .

- ولا شك أن لمعاني القرآن دخلاً في إعجازه ، ومع المعاني اجتمعت فصاحة لا مثيل لها ، وبلاغة لا مثيل لها ، وأسلوب لا مثيل له ، ونظم لا مثيل له ، وجزالة لا تصح من مخلوق بحال ، وحسن بيان بالغ ذروة الكمال ، وتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق على إصابته في وضع كل كلمة وكل حرف في موضعه ، هذا مع ما اجتمع فيه من خصائص وصفات مع ما وجد فيه من روح وحياة كل ذلك عوامل في الإعجاز ، والأمر أوسع من ذلك .

وبعد ، فالإيمان بالكتب يشمل :

- الإيمان الإجمالي بكل كتاب أنزله الله عز وجل على كل نبي ورسول ، والإيمان التفصيلي بما سماه الله عز وجل لنا وذكره ، وهي : القرآن وهو أفضلها ثم التوراة وهي تالية له بالفضل ثم الإنجيل ثم الزبور ثم صحف إبراهيم وموسى .

- ومقتضى الإيمان بالكتب الاعتقاد بأنها وحي من الله عز وجل للرسل الذين أنزلت عليهم هذه الكتب .

---

(١) الذاريات : ٤٧ .
(٢) الواقعة : ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الأنبياء : ٣٠ .
(٤) الكهف : ١٠٩ .

ـ وأن الكتب السـابقـة على القرآن ضـاعت أو حُرِّفَت أو بُـدِّلَتْ أو غُيِّرَتْ أو اختلطت بغيرها وجاء القرآن مؤكدًا لثوابتها وذاكرًا التكليفات المستمرة وناسخًا للأحكام الخاصة .

﴿ وأنزلْنا إليكَ الكِتابَ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ من الكِتابِ ومُهَيمِنًا عَلَيْه ﴾ (١) .

﴿ ولقَدْ وَصَّيْنَا الذينَ أُوتُوا الكِتابَ من قَبْلِكُم وإيّاكُم أنِ اتَّقُوا الله ﴾ (٢) .

﴿ الـذين يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الـذي يجِدُونَـه مكْتُـوبًا عِنْـدَهُم في التـوراةِ والإنجِيـلِ يـأمُرُهُم بـالمعْرُوفِ وَيَنْهـاهُم عن المُنْكَرِ ويُحِـلُّ لهم الطَّيِّبـاتِ ويُحَرِّمُ عليهمُ الخَبَائِثَ ويَضَعُ عنهُم إصْرَهُم والأَغلالَ التي كَانَتْ عَلَيْهِم ﴾ (٣) .

ـ الإيمان بـالقرآن يقتضي الإيمـانَ بعموم الخطـاب فيـه للمكلفين من الإنس والجن جميعًـا ويقتضي الإيمان بخلود هـذا الخطـاب وأن المكلفين من الإنـس والجن مخـاطبون بـه حتى يرث الله الأرض ومن عليهـا وأنـه شـامل كامل ، وأنـه الكتـاب الـوحيـد الـذي لم يـداخلـه تغيير ولا تبديل ، وأنه حاكم وناسخ لكل كتاب سابق .

هذا وقد مرت معنا نصوص في القسم الأول من هذا الكتاب عن القرآن وستـأتي نصوص في أقسام لاحقة في سياقاتها فلْنكتفِ بما ذكرنـاه هنـا كي لا يخلو هـذا القسم من تـذكير بكل مايلزم في باب العقائد .

* * *

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) النساء : ١٣١ .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

الوصـــــل

في:

التعريف على كتب بعض أهل الأديان

وفيه:

مقدمة وتعريفات ونصوص

المقدمة

لقد رأينا فيما مر اتجاهًا نقله الفخر الرازي رحمه الله يفيد أنه ما من رسول إلا وأنزل معه كتاب ، وذلك قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً فبعثَ اللهُ النَّبيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزلَ معهُم الكِتابَ بالحقِّ ليحكُم بينَ النَّاسِ فِيما اخْتَلفُوا فيه ﴾ [1] .

كما أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ لقدْ أرسَلنا رُسُلَنا بالبيناتِ وأنزلنا معهُمُ الكتابَ والميزانَ ليقومَ النَّاسُ بالقسطِ ﴾ [2] ؛ فإذا أخذنا بظاهر هذا القول وعرفنا أنه مامن أمة إلا وقد أرسل لها رسول أو أكثر ، فالمفروض أن تكون هناك كتب كثيرة ذات أصل سماوي ، وقد خص القرآن بالذكر التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى ، فكان القول الذي ذكره الفخر الرازي ،إن تخصيص هؤلاء بالذكر لا ينفي أن تكون هناك كتب أخرى ، هذا مع أن الآيتين اللتين صدَّرنا بها هذا الوصل يمكن أن يحملا على محامل أخرى ، كأن يراد بالكتاب المكتوب بمعنى المفروض ، فيكون المعنى : وأنزل معهم المفروضات على أممهم ، إلا أن المتتبع للدراسات المقارنة الحديثة يرجح أن تكون هناك كتب أخرى ذات أصول سماوية ، ولكنَّ هل هي كتبٌ أنزلت من السماء ككتب ، أو أنها الوحي الذي أنزل على رسل جمعه أقوامهم في كتب ، فيكون المعنى الثاني هو المراد ؟ الأمر يحتمل .

وأيا كان الأمر فليس هناك كتاب ديني في العالم يستطيع أصحابه أن يدّعوا أنه منقول تواتراً من هذا العصر إلى صاحب رسالة إلا القرآن الكريم ، ومن هٰهنا كان القرآن هو الحجة على كل التراث المنسوب إلى الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

ولا شك أن كل كتاب قام عليه دين بعد القرآن الكريم فإنه مكذوب على الله عز وجل لأن محمدًا ﷺ خاتمَ النّبيين بنص القرآن : ﴿ ولَكِنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتَم النَّبِيينَ ﴾ [3] ، وإذ جعل الله عزّ وجلّ القرآن مفصلاً لكل شيء ، ومصدقًا للوحي الحق الذي سبقه ، ومهيمنًا عليه ، فإنّه يغني عن كل كتاب سابق ، ويشهد ببطلان كل ماخالفه من أخبار ، وينسخ

(١) البقرة : ٢١٣ .
(٢) الحديد : ٢٥ .
(٣) الأحزاب : ٤٠ .

كل تشريع لم يقره ، أما الأخبار التي لا تعارضه فليس على المسلم أن يصدقها أو يكذبها إذا كان مما يدخل في دائرة إمكانية القبول ، أما التشريعات السّابقة على تشريعنا حتى ولو صحت نسبتها إلى نبي ـ وأنّى يكونُ ذلك ـ فلا تدخل ضمن دائرة التكليف ولو سكت عنها شرعنا ، إلا إذا نص عليها ، وحتى في ذلك فإن الأصوليين مختلفون فيا لو قَصَّ الله علينا شرع غيرنا دون أن ينسخه ، هل يعتبر شرعًا لنا أو لا ؟ والقول المشهور أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخه شرعنا ولكن بشرط أن يأتينا عن طريق الوحي المنزل على رسولنا عليه الصلاة والسلام .

ولكي يكون عند المسلم تصور عن الكتب الدينية القديمة فإننا نذكر شيئًا عنها :

ا ـ التعريف بكتب الهند الدينية

١ ـ كتب « الفيدا » وهي أقدم الكتب الدينية عند اليهود ، وهي أربعة كتب : (الريج فيدا) و (الياجور ڤيدا) و (الساما فيدا) و (أنار فيدا) وهذه الكتب هي أصول الديانة الهندوسية ، ولا يعرف من وضعها ، وهذا نموذج مترجم عن السنسكريتية من الكتاب الأول يتحدث عن الإله الأعلى :

(هو الأعلى من كل شيء وهو الأسنى إله الآلهة ذو القوة العليا الذي أمام قدرته الغالبة ترتعد الأرض والسماوات العالية أيها الناس استمعوا لشعري إنما هو إندرا إله الكون . هو الذي قهر الشياطين في السحاب ، وأجرى الأقمار السبعة الصافية الكبار ، واقتحم كهوف الكآبة والأكدار ، وأخرج البقرات الجميلة من الأرحام ، وأضاء النار القديمة من البرق في الغمام . ذلك هو إندرا البطل الجسور الجيّش المتقدم للهيجاء يناديه للنصرة يومَ الحرب الأعزاءُ بصيته الذائع يهتفون ، والأذلاءُ يذكرون اسمه بشفاههم ويهمسون . وقائد الجيش على العجلة الحربية يدعو ويستنصر إندرا إله الحرب . الأرضُ والسماءُ تعترفان بسلطانه وكماله ، والجبال المرتعدة تَخرُّ له وتسجد لجلاله . هو الذي يرسل صواعق السماء على أعدائه فلتَهْدِ إليه السكائب المقدسة فإنه يقبل هذه الخمر : خمر سوما ويستمع للشعر وأغاني الولاء له . البقرات وأفراس الوغي له القرَى والمساكن وعجلات الحرب هو يرفع الشمس بيده

اليمنى ويفتح الأبواب الحمر من شفق الفجر فيزق السحاب الأحمر تمزيقاً ويرسل شآبيب المطر لنصدق به تصديقاً) [١] ا . هـ .

ويعتقد الباحثون أن « الڤيـدا » جـاءت مع الشعوب الآريـة التي غزت الهنـد ، وهنـاك خلاف بين الباحثين حول منشأ الآريين الغزاة للهند ، هل هو تركستان أو أوربـا، وفي كلا الحالتين فإن الاحتال الأكبر أن تكون الأصول السماوية الصحيحة للڤيدا قـد نزلت على هـذه الشعوب ثم حملتها إلى الهند ثم تتابع إرسال الرسل إلى الهند ، وإن كنا لا نستطيع التحـديـد الجازم فين هو رسول وفيا هو وحي سماوي .

٢ ـ (قوانين مـانو) وهي التي سجل فيهـا أقسى نظـام طبقي في العـالم ، وهـذا نَسَفَـهُ « بوذا » بعد ذلك في ديانته .

٣ ـ (المهابهارتا) وهي قصيدة طويلة ، ومؤلفها شخص اسمه « ويـاس » ، وهي أشبـه بالإلياذة والأوديسة عند اليونان .

٤ ـ (كينا) وهو منسوب إلى رجل اسمه « كرشنة » وكرشنة عنـد الهنود كالمسيح عنـد المسيحيين بعد تحريف ديانتهم ، حتى إن كثيراً مما وصف به المسيح عليه السلام موصوف بـه كرشنة مما يعتقد معه أن أحد الجانبين أخذ من الآخر ، ومن كلام كرشنة في هذا الكتاب :

« لقد أَضَلَّت كلمات ويدا عقلك ، فصرت لا تفهم قيمة الفرض ومـا يتبعـه من الواجبـات، والذين يتمسكون بـألفـاظ ويـدا وحـدهـا ، ويرونهـا كل شيء ، يركبون شططـاً ، إنهم إنمـا يجرون وراء أهوائهم النفسيـة . يمنون أنفسهم بـالجنـة ، لأنهم حريصون على لـذائـذ الحيـاة ، فيقـومـون بطقـوس يرونهـا تضمن لهم الجنـة ، ولـذلـك تبلبلت عقـولهم ، وتشعبت سُبُلُهم ، وضلت أعمـالهم ، فهم في حيرة وارتبـاك ، يجرون وراء شهـواتهم ، ولا يستطيعـون حصر أفكارهم في نقطة واحدة » .

« أما أنت ، فكن فوق القشور الويدية . لا تقلقك أفكار الراحة أو التعب ، النجـاح أو الخيبـة ، بل كن مطمئناً منشرحاً في روحـك ، والعـاقل الـذي وصل إلى الحقيقـة ، ليست

(١) « أديان الهند الكبرى » للدكتور / أحمد شلبي .

الكتب الويدية له إلا كبرًا في مكان ذي أنهار ، فعليك أن تقوم بواجبك ، لأنه واجب عليك ، واجمع عقلك على هذه النقطة وحدها .. » .

« اعلم أن أشد أعداء الإنسان اثنتان : الشهوة والغضب. وهما اللذان يدفعانه إلى الذنوب ، وكما يغطي الدخان النار ، ويكدر الغبار صفاء المرآة ؛ كذلك الشهوة والغضب يغطيان عقل الإنسان ، فعلى الإنسان أن يقتل هذين العدوين » .

« والذي يقوم بواجبه كما قلت ، يبزغ نور العرفان في داخله كما تبزغ الشمس في السماء ، فيرى ربه بعين قلبه ، ويسعد بالنجاة بعد أن تذهب ذنوبه وتحل محلها الحسنات » ا. هـ [١]

٥ ـ (بوجاواسفسها) ولا يعرف مؤلف هذا الكتاب ، وهو منظومة شعرية تحتوي على أربعة وسبعين ألفًا من الأبيات .

٦ ـ (رامابانا) ولا يعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه ، وهو أقرب إلى أن يكون كتابا في أنظمة الحكم . هذه هي أهم كتب الديانة الهندوسية [٢] .

أما الديانة البوذية ، فالمعروف أنها لم تسجل في حياة بوذا ، وقد ظهر الاختلاف الكبير بين أتباعه فعقدوا مجلسًا كبيرًا بعد زمن من وفاته عام (٤٨٣ ق‌م) ، وطلبوا من ثلاثة من أكبر تلامذته أن يتحدثوا عن موضوع رئيسي من تعاليم بوذا ، فتحدث أحدهم عن العقائد وآخر عن الشريعة وآخر عن الحكايات ،وهي مع ذلك بقيت تتناقل شفهيًا حتى عهد الإمبراطور آسوكا عام (٢٤٢ ق‌م) ومن ههنا فإننا لا نستطيع الثقة بما سجل بعد هذه السنين الطويلة ، وكان التحريف والتبديل والجهل عوامل انتقلت بالبوذيين من إعتبار بوذا حكيمًا ابتداءً إلى تأليهه في النهاية ، فحدث عندهم ما حدث عند النصارى بينما يروي أتباعه عنه هذه الحكاية : (أن أحد تلاميذه قال له مرة : إنني أيها السيد أُؤمِنُ بكل قلبي أنه لم يوجد قط ، ولا يوجد الآن ، ولن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدرًا وأكثر عقلا من مرشدنا المبارك .

---

(١) « أديان الهند الكبرى » للدكتور / أحمد شلبي .

(٢) راجع « أديان الهند الكبرى » لأحمد شلبي .

فأجاب بوذا : هل أنت قد عرفت كل العارفين الذين سبقوني ؟ وهل عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدي ؟

فأجاب التلميذ : لا ياسيدي فلم يتيسر لي ذلك .

قال بوذا : هل عرفتني كل المعرفة ؟ وتوغلت في نفسي كل التوغل ؟

فقال التلميذ : لا ياسيدي وكيف لي ذلك ؟

فقال بوذا : فَلِمَ إذًا أسرفت في قولك وجعلتني خير الناس وأنت لا تعرفني ولا تعرف الناس ؟) [1] ا .هـ .

ب ـ التعريف ببعض كتب الصين الدينية

لانعرف شيئًا عن أديان الصين القديمة إلا عن دينين لازالا موجودين حتى الآن : الطاوية المنسوبة لـ (لوتس) والكونفوشيوسية المنسوبة « لكونفوشيوس » ، وقد جُمِعَت آراء لوتس وأحاديثه في كتاب اسمه « كتاب الأخلاق » وهو يدعو إلى القناعة والزهد والتسامح المطلق ومقابلة السيئة بالحسنة ، وقد اجتمع به كونفوشيوس في أُخريات حياته ، ويدعي أنه لم يوافقه على بعض آرائه ، والكونفوشيوسية أكثر انتشارًا وقد جمع تلاميذ كونفوشيوس آراءه في كتاب « الحوار » وهو مترجم إلى اللغة العربية .

والمعروف عنه أنه لخص كثيرًا من الكتب الصينية القديمة ، ولا نعرف أنه تُرْجِمَ منها شيءٌ إلى اللغة العربية ، فلربما استطاع الدارس أن يلمح فيها شيئًا يوصل إلى استئناس في شأن أديان الصين القديمة .

جـ ـ التعريف ببعض كتب الفرس الدينية

المشهور من كتب الفرس الدينية كتاب « الزندافستا » المنسوب إلى « زرادشت » ، ويذكر أبو الكلام أزاد في رسالته عن ذي القرنين أن الرواية الفارسية تذكر أن صحيفة زرادشت

---

(١) المرجع السابق .

الـدينيـة دونت في جلود اثني عشر ألف ثـور بجبر من الـذهب ، واحترقت أيـام حرب الإسكندر ، فيقول أبو الكلام :

(ولما تأسست الإمبراطورية الساسانية بعد خمسائة سنة من الإسكندر ، حاول الفرسُ لَمَّ شعث الدين الزرادشتي من جديد ، فكما جمع عزرا التوراة بعد أسر بابل ، كذلـك يقـال إن أردشيربايكان أمر بجمع كتاب أوستا من جديد إلا أن خصوصيات الدين الحقيقية كانت قد تحرفت بتغيرات وإضافات كثيرة ، ومسخت حقيقتها ، فالدين الزرادشتي في شكله الجديد ، لم يكن دينا خالصا ، بل أصبح خليطا من المجوسية القديمة ، واليونانية ، والزردشتية . وقـد زاد الطين بلة الموبذون والمفسرون بحواشيهم وشروحهم وتفاسيرهم التي ذهبت بـالـدين بعيـدًا عن أصله) [١] . ا هـ .

ويقول البستـاني في دائرة معـارفـه : «ولـزرادشت كتـاب آخر في الرؤيـا صنعتـه علمـاء القرن الثاني والأول قبل الميلاد » . ا هـ .

أقول : وفيا تبقى من « الزندافستا » الحالية بشارة واضحة برسولنا عليـه الصلاة والسلام ذكرها العقاد في كتابه مطلع النور ونقلناها في كتابنا (الرسول ﷺ) وهذا يشهد لرسـالـة زرادشت والله أعلم .

د ـ التعريف ببعض الكتب اليهودية الدينية

الكتب الدينية لليهود قبل المسيح عليه السلام تتألف من قسمين رئيسيين :

أولاً : أسفار العهد القديم .

ثانيًا : التلمود ، وتختلط في أسفار العهـد القـديم السير الـذاتيـة للأنبيـاء بنصوص الوحي بالتـاريخ اليهودي . ويكاد المؤرخون والمحققون يجمعون أن أكثر أسفـار العهـد القـديم كتبت بعد مئات السنين من تـاريخ أحـداثها أو وجودهـا يقول (ويل ديورانت) : « ويبـدو أن أسفار التوراة الخمسة قد أخذت صورتها الحاضرة حوالي عـام ٣٠٠ ق ـ م » ، ويقرر (ويلز)

---

(١) رسالة ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ﴾ .

« أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد » .

وقد جمعت هذه الأسفار من الروايات الشفهية المتوارثة ولذلك داخلها الخلط والخبط وأكبر مثال على ذلك أنك تجد زبور داود مختلطًا بما هو وحي ليس منسوبًا لأحد وبما هو قصائد منسوبة لداود قالها في مناسبات وبما هو قصائد منسوبة لغير داود .

وأما التلمود فهو الروايات الشفهية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل وقد ابتدأ تدوين التلمود بعد مائة وخمسين سنة من عهد المسيح ثم تكامل تدوينه من بعد ويعتبره بعض اليهود أقوى إلزامًا من التوراة ومن هذا كله ندرك صعوبة معرفة ما هو وحي صحيح من مجموع هذا التراث [1] .

هـ - التعريف ببعض كتب النصارى الدينية

أنزل الله على المسيح عليه السلام إنجيلاً واحدًا ، وكان للمسيح عليه السلام سيرة ذاتية ، والأناجيل الحالية المعتمدة عند النصارى يختلط فيها ما هو سيرة ذاتية للمسيح بعظاته بما يمكن أن يعتبر من الإنجيل بما زاده المحرفون وكل ذلك من خلال رواية مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح واختلف مع الحواريين وخالفهم ولم يكن هو من تلاميذ المسيح عليه السلام . وهذه الأناجيل الأربعة كتبت بعد سنة ٦٣ ميلادية ، وكانت هناك أناجيل أخرى ورسائل للحواريين وكل ذلك ألغاه مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية حيث تغلب فكر بولس ومدرسته القائلَيْن بألوهية المسيح ، جاء في كتاب المسيحية لأحمد شلبي عن أسفار العهد الجديد بما في ذلك الأناجيل الأربعة :

(إن هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتّاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أيٌّ من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحانيٍّ ومعهم عشرات الأناجيل

---

(١) راجع « اليهودية » لأحمد شلبي .

ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تمّ انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً وتمّ انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها ، حتى عمل بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب : أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعًا ولا تشير إليها » [١] ا .هـ .

و ـ التعريف ببعض كتب الصابئة الدينية

وعند صابئة العراق الحاليين كتاب يتكتمون عليه ويدعون نسبته إلى شيث بن آدم وإدريس عليهم السلام .

هذا العرض السريع لبعض الكتب الدينية المعروفة في العالم ترينا أنه لا يوجد غير القرآن كتابًا إلهيًا قطعي النسبة إلى الله ومنقول لنا نقلاً قطعيًا ، قال تعالى عن القرآن : ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [٢] فقد تعهد جل جلاله بحفظ القرآن وكلف بحفظه المسلمين ، أما غير القرآن فقد كلف أصحابه بحفظه ولم يتعهد بحفظه فقصر أصحاب ذلك بالحفظ بل بدلوا وغيروا .

فائدة :

ذكر القرآن الكريم صحف إبراهيم عليه السلام وقد تعرض لذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكة في كتابه العقيدة الإسلامية فذكر ما يلي :

(لقد أخبرنا القرآن بأخباره الصريحة عن الصحف الأولى وذكر منها صحف إبراهيم عليه

---

(١) « المسيحية » للدكتور أحمد شلبي .

(٢) الحجر : ٩ .

السلام ولكن هذه الصحف مفقودة فلا يعرف منها شيء إلا بعض حقائق في الدين ، أشار القرآن إلى أنها مما تضمنته هذه الصحف .

ا ـ فمن ذلك قوله تعالى في سورة (النجم) :

﴿ أم لم يُنَبَّأ بِمَا في صُحُفِ مُوسَى * وَإبراهِيمَ الَّذِي وَفَّى * ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرى * وَأن لَيْسَ للإنسانِ إلا مَا سَعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى * ثُمَّ يُجزاه الجَزَاءَ الأوفَى * وَأنَّ إلَى رَبِّكَ المُنتَهَى * وأنَّهُ هُوَ أضحَكَ وَأبْكَى * وأنَّهُ هُوَ أماتَ وأحْيَا * وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثَى * من نُطفَةٍ إذا تُمنَى * وأنَّ عَلَيْهِ النَّشأةَ الأُخرى * وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وَأقْنَى * وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرى * وَأنَّه أهْلَكَ عَادًا الأُولى * وَثَمُود فما أبقى * وقوم نُوحٍ من قبل إنهم كانوا هُم أظلم وأطغى * والمؤتفِكة أهوى * فغشَّاها ما غَشَّى ﴾ [1] .

أقنى : أعطى من الرزق والأموال ما يُقتنى ويدخر . الشِّعرى : نجم وضَّاء يقال له : مِرْزَم الجوزاء ، ويسمى الشعرى العَبُور ، وقد عبدته طائفة من العرب . المؤتفكة : هي قرى قوم لوط ، وسميت هذه القرى مؤتفكة لأنها ائتفكت بأهلها ، أي انقلبت . أهوى : أي أوقعها وأسقطها ـ بعد رفعها عن أماكنها ـ من الأرض إلى الفضاء .

فهذه الحقائق الدينية التي أعلنتها هذه الآيات مما أنزله الله في صحف إبراهيم وموسى ؛ كما هو ظاهر في مدلول الآيات .

ب ـ ومن ذلك قوله تعالى في سورة (الأعلى) :

﴿ قد أفلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسمَ رَبِّه فَصَلَّى * بَل تُؤثِرونَ الحَيَاة الدُّنيَا * والآخِرَةُ خَيرٌ وأبْقَى * إنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إبراهِيمَ وَمُوسى ﴾ [2] .

وننهي هذا الوصل بذكر نصوص تحدد الموقف من روايات اليهود والنصارى ومن باب أولى غيرهم ونذكر فيها بأدب المسلم في التمسك بالقرآن الكريم وإهمال ما عداه إلا لضرورة الخدمة الإسلامية :

---

(١) النجم : ٣٦ ـ ٥٤ .
(٢) الأعلى : ١٤ ـ ١٩ .

(النصوص)

٨٠٩ - * روى البخـاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال : « لا تُصَـدِّقوا أهل الكتـاب بمـا يُحَـدِّثونكم عن الكتـاب ، ولا تُكَـذِّبوهم ، وقولوا : آمَنَّا بالله وما أُنزل إلينا ، لأن الله تعالى أخبر أنَّهُمْ كَتَبوا بأيـديهم ، وقـالوا : هـذا من عند الله » .

وفي رواية (١) قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعِبْرانية ، ويفسّرونها بالعربيـة لأهل الإسلام ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب .. » وذكر الحديث .

٨١٠ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال : يا مَعْشَرَ المسلمين ، كيف تسـألونَ أهلَ الكتـابِ عن شيءٍ ؟ وكتـابُكم الـذي أنزل الله على نَبيِّكم أحْـدَثُ الكُتُبِ باللهِ ، تقرؤونـه مَحْضًا لم يُشَبْ ، وقـد حَـدَّثكم اللهُ أن أهـلَ الكتـاب بَـدَّلـوا كتـابَ الله ، وغَيَّرُوه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هذا من عند الله ، ليشتروا بـه ثمنًـا قليلاً ؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مَسألتِهم ؟ ولا والله ، ما رأينا مِنْهُمْ رجلاً قطُّ يسألكم عَنِ الذي أُنزل عليكم .

٨١١ - * روى البخاري عن حُمَيْـدِ بنِ عبـدِ الرحمنِ رحمـه الله ، قـال : سمعتُ معـاويـة رضي الله عنه يحدِّثُ رَهْطًا من قريش بالمدينة - وذكر كَعْبَ الأحبـار - فقـال : إن كان لِمنْ أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يُحدِّثونَ عن الكتاب ، وإنْ كُنَّا مع ذلكَ لَنَبْلُو عليهِ الكَذِبَ .

أقول : إن كعبًا من الثقات إلا أن الكذب يطرأ على رواياتـه عن أهل الكتـاب بسبب كذبهم هم . لا أنه كان يتعمد الكذب عليهم أو على غيرهم .

---

٨٠٩ - البخاري (١٣ / ٣٣٣) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

(١) البخاري (٨ / ١٧٠) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١١ - باب ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ .

٨١٠ - البخاري (١٣ / ٣٣٣) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

٨١١ - البخاري ، الموضع السابق .

٨١٢ - * روى أحمد عن ابن أبي نَمْلَةَ الأنصاري ، أن أباه أبا نملة الأنصاري أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَاءَه رجلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، ومُرَّ بِجِنَازَةٍ ، فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَـذِهِ الجِنَـازَةُ ؟ فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللهُ أَعْلَمُ » . فَقَـالَ الْيَهُـودِيُّ : إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَـا حَـدَّثَكُمْ أَهْـلُ الكِتَـابِ ، فَـلا تُصَـدِّقُوهُمْ ، ولا تُكَذِّبُوهُمْ ، وقُولُوا : آمَنَّا بالله و كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، فَإِنْ كانَ بـاطِلاً لَمْ تُصَـدِّقُوه ، وإِنْ كانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ » .

قـال البغوي : وهـذا أصل في وجوب التوقف عما يشكل من الأمـور والعلـوم . فـلا يُقضى فيه بجواز ولا بُطلان ، وعلى هذا كان السلف . اهـ.

٨١٣ - * روى أحمد عن جابر بن عبـد الله عَنْ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أَتَـاهُ عُمَرُ ، فَقَـالَ : إِنَّـا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مَنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا ، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا . فَقَالَ : « أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَـا تَهَـوَّكَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى ، لَقَـدْ جِئْتُكُمْ بِهـا بَيْضَـاءَ نَقِيَّـةً ، ولَوْ كانَ مُوسَى حَيًّـا مَا وَسِعَهُ إلا اتِّبَاعِي » .

قـال البغوي : قولـه : « أَمُتَهَـوِّكُـونَ » أي : متحيِّرون أنتم في الإسـلام ، لا تعرفـون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى !!

وقوله : « بيضاءَ نَقِيَّةً » أراد المِلَّةَ ، لذلـك جـاء بـالتـأنيث ، كقولـه سبحـانـه وتعـالى :

---

٨١٢ - أحمد (٤ / ١٣٦) .

وأبو داود (٣ / ٣١٨) - كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب .

وشرح السنة (١ / ٢٦٨) .

قال الشيخ شعيب محقق شرح السنة :

(وابن أبي نملة ، وثّقـه ابن حبـان ، وأخرج حـديثـه في « صحيحـه : رقم (١١٠) موارد ، ويشهـد لـه حـديث أبي هريرة عند البخاري [الذي سبق] فيتقوى به . ا .هـ .

٨١٣ - أحمد (٣ / ٢٨٧) .

وشرح السنة (١ / ٢٧٠) .

قال الشيخ شعيب محقق شرح السنة : حديث حسن ... [وفيـه] مجـالـد ضعيف ، ولـه شـاهـد بنحوه من حـديث عبد الله بن شداد عند أحمد ٣ / ٤٧٠ ، ٤٧١ وفي سنده جابر الجعفي ، وآخر من حـديث عمر عنـد أبي يعلى ، وفيـه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ، وهو ضعيف ، وانظر « مجمع الزوائد » ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ . ا .هـ .

﴿ وذلك دِينُ القَيِّمة ﴾ (١) أي : تفسير المِلَّة القَيِّمة الحنيفية .

ورُوِيَ (٢) أنّ كعب الأحبار جاءَ إلى عُمَرَ بمُصْحَف ، فقال : ياأميرَ المؤمنين في هذا التَّوراة ، أفأقرؤها ؟ فقال : إن كنتَ تعلمُ أنها التَّوراة التي أُنزلتْ على موسى يوم طُور سيناء فاقرَأها ، وإلا فلا .

أقول :

لم ننقل هاهنا كثيرًا من النصوص الحديثية المتعلقة بالقرآن لأنها ستأتي معنا في القسم اللاحق : قسم العبادات الرئيسية أثناء الكلام عن تلاوة القرآن وتفسيره فلتراجع هناك .

* * *

---

(١) البينة : ٥ .

(٢) شرح السنة (١ / ٢٧١) .

الفصل السابع

في:

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد وصلات

المقدمة

معرفة الرسل هي التي تتحقق بها معرفة الله عز وجل فمالم يعرف الإنسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ويؤمن بهم ويسلم لهم ويطيعهم فإنه لا يعرف الله عز وجل ، ولا يقوم بحقوقه ، ولذلك نجد آية في كتاب الله أقامت بيعة الرسول مقام بيعة الله ، كما نجد آية أخرى أقامت طاعة الرسول ﷺ مقام طاعة الله : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾ (١) . ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (٢) .

لقد ذكرنا أن الله عز وجل له الصفات العليا والأسماء الحسنى وله الربوبية والألوهية والمالكية ولا نعرف مقتضيات وتفصيلات حقوق هذه المعاني إلا من خلال الرسل عليهم الصلاة والسلام :

فالعبادة والعبودية ، والتشريع ، والطريق إلى رضوان الله تعالى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالرسل عليهم الصلاة والسلام :

﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ (٣) .

﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾(٤) .

ومن هنا وغيره فإن الذين لا يؤمنون برسل الله ليسوا مؤمنين ، بل الكفر بواحد من الرسل كفر بالله وكفر بالرسل بآن واحد :

﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقًا** ﴾(٥) .

ولذلك كان الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان وكان الدخول في الإسلام بالنطق بمجموع الشهادتين ، وإنما يعرف الرسول ﷺ بصفاته وبالمعجزات التي يظهرها الله

(١) الفتح : ١٠ .
(٢) النساء : ٨٠ .
(٣) النحل : ٢ .
(٤) الأنبياء : ٢٥ .
(٥) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .

على يديه والتي قد يكون منها النبوءات التي تتحقق ، وبالثمرات الطيبة الخيرة ، ورسولنا ﷺ كان له من الصفات أرقاها ومن المعجزات أكثرها وأخلدها وأظهرها ومن النبوءات ما يتحقق في الجيل بعد الجيل ومن الثمرات أحلاها وأطيبها وأعذبها ، وقد بشرت به الرسل السابقون وقد تعرضنا لذلك تفصيلا في كتابنا« الرسول » صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وقد أعطانا القرآن الكريم تصوراً كاملاً عن موضوع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ـ مما ذكره أن النبوة والرسالة قائمة على الاصطفاء فليس للكسب فيها مدخل ، وإنْ كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصفى الناس قلبًا وأعلاهم استعداداً قال تعالى : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾[١] ، ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** ﴾[٢] ، ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أنْ أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ [٣] . وقال في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : ﴿ **وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار** ﴾ [٤] وقال في حق إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ [٥] ، وقال في حق موسى عليه السلام : ﴿ **إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي** ﴾ [٦] ﴿ **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى** ﴾ [٧] .

ـ ومما ذكره القرآن أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ [٨] ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ [٩] ، ﴿ **وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ [١٠] ، ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ [١١] .

---

(١) الأنعام : ١٢٤ .
(٢) الحج : ٧٥ .
(٣) النحل : ٢ .
(٤) ص : ٤٧ .
(٥) البقرة : ١٣٠ .
(٦) الأعراف : ١٤٤ .
(٧) طه : ١٣ .
(٨) النحل : ٣٦ .
(٩) فاطر : ٢٤ .
(١٠) القصص : ٥٩ .
(١١) إبراهيم : ٤ .

وقد ختم الله النبوة والرسالة بمحمد ﷺ وجعله رسولاً للعالمين من الإنس والجن ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [١] ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾[٢] ، وكما أنه رسول الله إلى كافة الإنس فهو رسول إلى الجن : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ [٣] ﴿ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾ [٤] ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ [٥] ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [٦] .

ـ ومما ذكره القرآن أنه لم يقصص علينا نبأ المرسلين فقال : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ [٧] .

﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [٨] .

والقول الراجح عند العلماء أن عدد الرسل الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون على خلاف في ذي الكفل والراجح أنه رسول .

والرسل الذين ذكرهم القرآن هم :

آدم ـ إدريس ـ نوح ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ لوط ـ إسماعيل ـ إسحاق ـ يعقوب ـ يوسف ـ أيوب ـ شعيب ـ موسى ـ هارون ـ يونس ـ داود ـ سليمان ـ إلياس ـ اليسع ـ ذو الكفل ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى ـ محمد ـ عليهم الصلاة والسلام جميعًا .

ـ وصف القرآن بعض الرسل بأنهم أولوا عزم لكثرة ماصبروا وتحملوا وماقاموا به قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ [٩] وهم المخصوصون بالذكر في سورة الأحزاب : ﴿ ولقد أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .
(٢) سبأ : ٢٨ .
(٣) الأحقاف : ٢٩ .
(٤) التكوير : ٢٧ .
(٥) الأعراف : ١٥٨ .
(٦) آل عمران : ٨٥ .
(٧) غافر : ٧٨ .
(٨) النساء : ١٦٤ .
(٩) الأحقاف : ٣٥ .

ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [١] .

وهم في الفضل عند أهل العلم على الترتيب التالي :

محمد ـ إبراهيم ـ موسى ـ عيسى ـ نوح عليهم الصلاة والسلام .

ومما ميز الله به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الوحي :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ [٢] .

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ [٣] .

﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ [٤] .

ـ والوحي الذي خص به النبيون والمرسلون هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه مخاطبًا به ذلك النبي بأنه نبي ، وطرائق ذلك ماذكره القرآن : ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء ﴾ [٥] ، فهناك الإلقاء المباشر في قلب الرسول ﷺ وهناك الكلام المباشر من الله عز وجل من وراء حجاب وهناك الوحي بواسطة المَلَك ، وصور المَلَك بالوحي كثيرة والرسول الرئيسي المكلف بالوحي هو جبريل عليه السلام : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [٦] .

ـ والعقل والنقل متضافران على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يتصفوا بأربع صفات رئيسية : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة .

والصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، قال تعالى : ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ [٧] .

وقال : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [٨] .

---

(١) الأحزاب : ٧ .
(٢) الكهف : ١١٠ .
(٣) النساء : ١٦٣ .
(٤) الأنبياء : ٧ .
(٥) الشورى : ٥١ .
(٦) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٧) الأحزاب : ٢٢ .
(٨) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧ .

﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ [١] .

وأما الأمانة فهي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمعصية فهي في اصطلاح العلماء القيام بالتكليف وهو الأمانة بمعناها العام : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ [٢] .

واتصافهم بالأمانة هو مقتضى التكليف الإلهي باتباعهم والاقتداء بهم :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [٣] .

﴿ وماأرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [٤] .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [٥] .

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ [٦] .

﴿ وماأريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [٧] .

﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ [٨] .

ومعنى الفطانة القدرة على إقامة الحجة ومايستتبع ذلك من وفور عقل وقوة فهم وسرعة بديهة لأن مهمتهم إقامة الحجة بدين الله على المكلفين من خلق الله :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [٩] .

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ [١٠] .

﴿ يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ [١١] .

---

(١) الأنعام : ٣٣ .
(٢) الأحزاب : ٧٢ .
(٣) آل عمران : ٣١ .
(٤) النساء : ٦٤ .
(٥) الأحزاب : ٢١ .
(٦) الممتحنة : ٤ .
(٧) هود : ٨٨ .
(٨) الأنبياء : ٩٠ .
(٩) النساء : ١٦٥ .
(١٠) الأنعام : ٨٣ .
(١١) هود : ٣٢ .

ومعنى التبليغ إيصال رسالات الله إلى من أمروا بتبليغهم إياها :

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله ﴾ [(١)] .

﴿ يأأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [(٢)] .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [(٣)] .

ـ ومن قوله تعالى : ﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ [(٤)] أخذ العلماء أنه لم تكن نبوة ولا رسالة في جنس الإناث ، أما خطاب الملائكة لمريم عليها السلام فلم يكن بوصف النبوة بل كان كرامة لها من الله بوصف الصديقية ، قال تعالى : ﴿ وأمُّه صدِّيقة ﴾ [(٥)] ، وأما قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ [(٦)] ؛ فيحتمل أنه إلهام أو خطاب بواسطة مَلَك ولكن ليس بوصف النبوة بل هو كرامة وولاية .

ـ وقد جعل الله عز وجل العلامة على صدق الرسول هي المعجزة الخارقة للعادة التي يعجز المخاطبون عن الإتيان بمثلها قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ [(٧)] فما من رسول إلا وقد أوتي معجزة تقوم بها الحجة على المخاطبين برسالته وقد يكون للرسول معجزة واحدة وقد تكون له معجزات كثيرة ، والمعجزة الرئيسية لرسولنا ﷺ هي القرآن ، وهي معجزة فيها معجزات ، ولكنه مع القرآن أُوتي معجزات أخرى كثيرة عليه الصلاة والسلام .

ومن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام :

١ ـ إقامة العدل : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [(٨)] .

٢ ـ الدعوة إلى الله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [(٩)] .

---

(١) الأحزاب : ٣٩ .
(٢) المائدة : ٦٧ .
(٣) النحل : ١٢٥ .
(٤) الأنبياء : ٧ .
(٥) المائدة : ٧٥ .
(٦) القصص : ٧ .
(٧) الحديد : ٢٥ .
(٨) الحديد : ٢٥ .
(٩) يوسف : ١٠٨ .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) .

٣ ـ تعليم الكتاب والحكمة وتزكية الأنفس وتعليم الناس مالا يعلمونه إلا بواسطة الوحي مما يحتاجون إليه :

﴿ وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾(٢).

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (٣) .

ـ شرح الكتاب للناس :

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ (٤) .

٥ ـ التبشير والإنذار :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٥) .

ـ والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون عند الله ، قال تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ (٦) .

﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ (٧) .

ـ كما أن أمم المرسلين تتفاضل : فقد فضل الله بني إسرائيل على عالم زمانهم :

﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (٨) .

ـ وقد جعل الله عز وجل أمة محمد خير الأمم :

---

(١) النحل : ١٢٥ .
(٢) البقرة : ١٢٩ .
(٣) البقرة : ١٥١ .
(٤) النحل : ٤٤ .
(٥) النساء : ١٦٥ .
(٦) البقرة : ٢٥٣ .
(٧) الإسراء : ٥٥ .
(٨) الدخان : ٣٢ .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) .

- وببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تقوم الحجة على المكلفين فيطالبون بالأصول والفروع ويستحقون العذاب في الدنيا والآخرة إذا عاندوا :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٢) .

﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ (٣) .

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ (٤) .

- ومن قوله تعالى :

﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * وماجعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ (٥) .

وأمثال ذلك بحث العلماء موضوع مايجوز على الرسل عليهم الصلاة والسلام من أحكام البشرية :

﴿ وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ (٦) .

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ (٧) .

- ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة هي الدعوة إلى التوحيد والعبادة والعبودية والاستسلام لله عز وجل فيما أوحاه إلى أنبيائه .

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (٨) .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) النساء : ١٦٥ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) طه : ١٣٤ .
(٥) الأنبياء : ٧ ، ٨ .
(٦) الفرقان : ٢٠ .
(٧) الرعد : ٣٨ .
(٨) الشورى : ١٣ .

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١) .

﴿ وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ (٣) .

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ (٤) .

ولكن تفصيلات العبودية لله قد تختلف من شريعة إلى شريعة والشريعة الخاتمة والناسخة لما خالفها هي شريعة محمد ﷺ :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ... ﴾ (٥) .

وأعظم مظاهر الرحمة الإلهية إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وأعظم ماتمثلت به هذه الرحمة بعثته لمحمد ﷺ :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٦) .

ومن مظاهر هذه الرحمة تخليص الإنسان من عبودية غير الله وتعريفه للناس كيف يتعاملون وتعريفه للناس على الحق والعدل ومكارم الأخلاق وتعريفه للناس على مايصلحهم ويذرون ما يضرهم وتعريفه للإنسان على مكانته وعلى ظواهر الوجود وبواطنه وعلى ما غاب عنه وتحقيقه بما يستأهل به الجنة ويقيه عذاب النار وبمحمد ﷺ وجدت القدوة الكاملة للإنسان .

ـ ونصوص الكتاب والسنة التي تتحدث عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة

---

(١) البينة : ٥ .
(٢) الأنبياء : ٢٥ .
(٣) يوسف : ٣٨ .
(٤) يوسف : ٤٠ .
(٥) المائدة : ٤٨ .
(٦) الأنبياء : ١٠٧ .

وهي تأتي في سياقات متعددة وقد ذكرنا لك أمهات من معاني القرآن وهانحن نعرض عليـك بعض نصوص السنة الواردة في الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهناك نصوص أخرى تـأتي في سياقاتها من هذا الكتاب .

* * *

النصوص النبوية في ذكر الأنبياء

٨١٤ - * روى أحمد عن أبي ذَر قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : « يا أبا ذر هل صليتَ ؟ » فقلت : لا . قال : « قم فصل » . قال : فقمت فصليت ثم جلست . فقال : « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » . قال : قلت : يارسول الله للإنس شياطينٌ ؟ قال : « نعم » . قلت : يا رسول الله الصلاة ؟ قال : « خيرٌ موضوعٌ ، من شاء أقل ومن شاء أكثر » . قال : قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال : « فرضٌ مَجْزِيٌّ وعند الله مَزِيدٌ » . قلت : يا رسول الله فالصدقة ؟ قالَ : « أضعافٌ مُضاعفةٌ » . قال : قلت : فأيها أفضلُ ؟ قال : « جُهْدٌ من مُقِلٍّ أو سرٌّ إلى فقير » . قلت ؟ يا رسول الله : أيُّ الأنبياء كان أولَ ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : « نعم نبي مُكَلَّمٌ » . قلتُ : يارسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشَرَ جما غفيرًا » . أو قال مرة : « خمسة عشر » . قلت : يا رسول الله ، آدم نبي ؟ قال : « نعم مكلم » . قال : قلت يارسول الله ! أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : « آيةُ الكُرسِيِّ ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ » [(١)] .

٨١٥ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أنبيًّا كان آدم ؟

---

٨١٤ - أحمد (٥ / ١٧٨) .

وروى النسائي صَدْرَهُ (٨ / ٢٧٥) - ٥٠ - كتاب الاستعاذة - ٤٨ - باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس .

وموارد الظمآن (٥٠٨) - ٣٤ - كتاب علامات النبوة - ١ - باب في عدد الأنبياء والمرسلين وما نزل من الكتب .

وذكره مطولاً الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٩٧) . وسكت عنه . قال الذهبي : فيه السعدي وليس بثقة .

أقول : وإخراج الحاكم وابن حبان للحديث يفيد تصحيحها للحديث ، لكن الذهبي تعقب الحاكم وذكر أن أحد رواة الحديث ليس بثقة ، ومن العلماء من حكم بضعف الحديث وبعضهم حكم بوضعه . والقول الراجح عند العلماء أن تؤمن بالأنبياء والمرسلين دون تقييد ذلك بعدد حتى لا تخرج أحدًا منهم أو تدخل أحدًا فيهم بسبب التقييد مادام ثبوت النصوص الواردة في ذلك محل خلاف .

(١) البقرة : ٢٥٥ .

٨١٥ - المعجم الكبير (٨ / ١٣٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢١٠) . وقال : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة . قلت : ورواه ابن حبان (٢٠٨٥) ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١ / ١٠١) : وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه . وقال في المجمع (١ / ١٩٦) : ورجاله رجال الصحيح . بعد أن نسبه إلى الأوسط . ا .هـ .

قال : « نعم » . قال : كم كان بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرةُ قرونٍ » . قال : كم كان بين نوحٍ وإبراهيمَ ؟ قال : « عشرة قرون » . قال : يا رسولَ الله كم كانت الرسلُ ؟ قال : « ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عَشَرَ » .

أقول : هذا حديث آحاد ، لا يكفي لتحديد ما أطلقه المتواتر أو سكت عنه ، سواء في ذلك عدد الرسل ، أو الزمن بين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والقرن قد يراد به الجيل وقد يراد به مئة سنة ، والظاهر أن المراد بالقرن هنا هو الجيل ، لأن الناس كانوا يعمرون كثيرًا في أول حياة البشرية كما رأينا من قبل ، لذلك - وعلى كل حال - فالذي رجَّحه أئمة علماء العقائد وهم أئمة هذا الشأن أنه لا يحد الرسل ولا الأنبياء بعدد ، كي لا نرتكب خطيئة إدخال أحدٍ من الرسل ليس منهم ، أو إخراج أحدٍ وهو منهم بحديث آحاد قد يكون وهم راويه أو نسي إلى غير ذلك مما يحتمل في حديث الآحاد .

٨١٦ - * روى البزار عن أبي موسى رفعه : « لما أخرج الله آدمَ من الجنة زوّدَه من ثمار الجنة ، وعلَّمه صنعةَ كلِّ شيء ، فثماركم هذه من ثمارِ الجنة غير أن هذه تَغَيَّرُ ، وتلك لا تغير » .

٨١٧ - * روى الطبراني عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ وسَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ أن النبي ﷺ قال : « وَلَدُ نوحٍ ثلاثةٌ ؛ فسامٌ أبو العربِ ، وحامٌ أبو الحبشةِ ، ويافثُ أبو الرومِ » .

٨١٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « اختَتَنَ إبراهيمُ بالقَدُّومِ » . وقال بعضهم : مُخَفَّفًا ، وقال أبو الزِّناد : « القَدُّوم » مشددة : موضع .

---

٨١٦ - كشف الأستار (٣ / ١٠٢) . قال في المجمع (٨ / ١٩٧) : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات .

٨١٧ - الطبراني (١٨ /١٤٥) . قال في المجمع (١ / ١٩٣) : رجاله موثقون .

والمستدرك (٢ / ٥٤٦) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وضعفه بعضهم .

٨١٨ - البخاري (١١ / ٨٨) - ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٥١ - باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط .

مسلم (٤ / ١٨٣٩) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤١ - باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ .

(بالقَدُوم) : القَدُومُ - بالتخفيف -: آلة النُّجار معروفة ، وبالتشديد : اسمُ موضِع ، وقيل : هو بالتخفيف أيضًا

وزاد في رواية [١] ، قال : « اختتن إبراهيمُ وهو ابنُ ثمانين سنةً » .

٨١٩ ـ * روى البزار عن أبي هريرةَ رفعه : « إن في الجنـة قصرًا من دُرَّةٍ ، لاصـدعَ فيه ولا وهن ، أعده الله لخليله إبراهيمَ نزلاً » .

٨٢٠ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قـال : « إن إبراهيمَ عليه السلام يرى أباه يومَ القيـامـةِ ، عليـه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ » .

وفي رواية [٢] : قال : « يَلْقى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَ القيامـة وعلى وجـهِ آزرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ، فيقولُ لـه إبراهيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لـك : لا تَعْصِني ؟ فيقولُ لـه أبوه : فـاليـومَ لا أعْصِيكَ ، فيقولُ إبراهيمُ : يـاربِّ ، إنـك وعـدتَني أن لا تُخْزِيَني يوم يُبْعَثُون ، فأيُّ خِزْيٍ أَخْزَى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله : إني حَرَّمتُ الجنـةَ على الكافرين ، ثم يقالُ : يا إبراهيمُ ، ما تحتَ رجْلَيْكَ ؟ فنظر ، فإذا هو بِذِيخٍ مُتلطِّخ ، فيؤخذُ بقوائمهِ ، فَيُلْقَى في النار» .

٨٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا ، لَقَدْ كان يأْوي إلى رُكنٍ شديدٍ ، ولو لَبِثْتُ في السجنِ مـا لَبِثَ يوسفُ ، ثم أَتاني الداعي ، لأَجَبْتُ » .

وللبخاري[٣] أيضًا أنه ﷺ قال : « يغفِرُ الله للُوطِ ، إنْ كان ليَأْوِي إلى رُكنٍ شديـد».

---

(١) البخاري : الموضع السابق .

٨١٩ ـ كشف الأستار (٣ / ١٠٢) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، ورجالهما رجال الصحيح .

٨٢٠ ـ البخاري (٨ / ٤٩٩) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١ ـ باب ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ .

(٢) البخاري (٦ / ٣٨٧) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٨ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ .

(القَتَرة) : غبرة معها سواد .

(بذيخ) الذِّيخ : ذَكَر الضباع ، والأنثى : ذِيخة .

٨٢١ ـ البخاري (٦ / ٤١٨) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ١٩ ـ باب قول الله تعالى :﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين ﴾ .

مسلم (١ / ١٣٣) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٦٩ ـ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة .

(٣) البخاري (٦ / ٤١٥) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ١٥ ـ باب ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ .

=

٨٢٢ ـ * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود ، قال أُعطي يوسفُ وأمه ثُلُثَي حسنِ الناسِ في الوجه والبياض وغيرِ ذلك . فكانت المرأة إذا أتته غطى وجهه مخافةَ أنْ تَفْتَتِنَ .

٨٢٣ ـ * روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة إن الله عز وجل أخبر موسى عليه السلام بما صنع قَومُه في العِجْل فلم يلق الألواحَ فلما عاين ما صَنَعوا ألقى الألواحَ فانكسرت » .

٨٢٤ ـ * روى البخاري عن أُبيِّ بنِ كعبٍ أنهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن موسى عليه السلام قال لفتاهُ : آتنا غَداءنا . قالَ : أرأيت إذ أَوَينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحُوتَ وما أنسانيهِ إلا الشيطانُ أن أذكُرَه . ولم يجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوَزَ المكانَ الذي أمرَ اللهُ به » .

٨٢٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُرْسِلَ مَلَكُ الموت إلى موسى ، فلما جاءه صَكَّهُ فَفَقَأَ عينَه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أَرْسَلْتَني إلى عبدٍ لا يريد الموتَ ، فردَّ الله إليه عينَه ، فقال : ارْجِعْ إليه ، فقل له : يضعْ يده على مَتْنِ ثَوْرٍ فله بكل ما غطَّتْ يدُه من شعرةٍ سَنَةٌ ، قال :

= والترمذي نحوه (٥ / ٢٩٣) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ١٣ ـ باب « ومن سورة يوسف ».

٨٢٢ ـ المعجم الكبير (٩ / ١١١) .

قال في المجمع (٨ / ٢٠٣) : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح .

٨٢٣ ـ أحمد (١ / ٢٧١) .

وكشف الأستار (١ / ١١١) .

مجمع الزوائد (١ / ١٥٣) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه ابن حبان .

٨٢٤ ـ البخاري (٦ / ٣٣٦) ـ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ـ ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

(النصب) : التعب .

٨٢٥ ـ البخاري (٣ / ٢٠٦) ـ ٢٣ ـ كتاب الجنائز ـ ٦٨ ـ باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها .

مسلم (٤ / ١٨٤٢) ـ ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٤٢ ـ باب من فضائل موسى ﷺ .

والنسائي (٤ / ١١٨) ـ ٢١ ـ كتاب الجنائز ـ ١٢١ ـ باب نوع آخر .

(الصَّك) : الضرب باليد ، كاللَّطم ونحوه .

(فقأ) : عيْنَهُ : إذا بَخَصَهَا وقَلَعها .

=

أيْ ربِّ ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت ، قال : فالآن ، فسأل الله أنْ يُدْنِيَه من الأرضِ المقدسة رَمْيةً بحَجرٍ » . قال رسولُ الله ﷺ : « فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكم قبَره إلى جانب الطريق عند الكَثِيبِ الأحمر » .

ولمسلم (١) قال : « جاء مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، فقال له : أَجِبْ ربَّك ، قال : فلطم عينَ مَلَكِ الموت ، ففقأها .... » ثم ذكر معناه .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن خزيمة : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وقالوا : إن كان موسى عرفه فقد استخف به ، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه ، والجواب أن الله تعالى لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه اختبارًا ، وإنما لطم موسى ملك الموت ، لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ا . هـ وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » .

٨٢٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنما سُمي الخَضِر ، لأنه جلس على فَرْوَةٍ بَيْضاءَ ، فإذا هي تَهْتَزُّ من خَلْفِه خضراءَ » .

أقول :

ذكرنا هذه الرواية هنا لأن هناك من يذهب إلى أن الخضر عليه السلام كان نبيًا ، والخلاف في شأنه معروف ، فهناك من رجَّح ولايته وهناك من رجح نبوته وهناك من يرى أنه لا زال حيًا وهناك من يرى أنه لا تصح هذه الدعوة والبخاري من هؤلاء وبنى ذلك على بعض النصوص العامة التي تنفي بقاء أحدٍ ممن على وجه الأرض بعد فترة حددها

= (الكثيب) : المجتمع من الرَّمْلِ .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

٨٢٦ ـ البخاري (٦ / ٤٣٣) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ٢٧ ـ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

والترمذي (٥ / ٣١٣) ـ ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ١٩ ـ باب « ومن سورة الكهف » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(فروة) : الفروة : قطعة نبات مجتمعة يابسة .

رسول الله ﷺ .

٨٢٧ - * روى البزار عن أبي الدَّرْدَاء قال وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داودَ ﷺ قال : « كان أعبدَ البشرِ » .

٨٢٨ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « خُفِّفَ على داودَ القرآنُ ، فكان يَأمُرُ بِدَوَابِّهِ أن تُسرَجَ ، فيقرؤه قبل أن تُسرجَ دوابُّه ، ولا يأكل إلا من عَمَل يديه » .

وفي رواية[1] مختصرًا قال : « إنَّ داودَ عليه السلام كان لا يأكلُ إلا من عمل يديه » .

قوله (خفف على داود القرآن) : قال ابن حجر :

قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور وقيل التوراة ، وقراءة كلِّ نبيٍّ تطلق على كتابه الذي أوحي إليه ،... وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة . قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره . وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير ا.هـ « الفتح » .

(لا يأكل إلا من عمل يده) : دليل على أنه أفضل المكاسب ، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك .

٨٢٩ - * روى الطبراني عن أبي الدَّرْدَاء أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لقد قبض

---

٨٢٧ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٦) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، وإسناده حسن .

٨٢٨ - البخاري (٦ / ٤٥٣) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٣٧ - باب قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ .

(١) البخاري (٤ / ٣٠٣) - ٣٤ - كتاب البيوع - ١٥ - باب كسب الرجل وعمله بيده .

٨٢٩ - مجمع الزوائد (١ / ١٩١) وقال : رواه الطبراني ورجاله موثقون .

الله روح داود عليه السلام من بين أصحابه فما فُتِنوا ولا بَدَّلوا ولقد مَكَثَ أصحابُ المسيح على سننِه وهديه مائتي سنةٍ » .

أقول :

قوله : (من بين أصحابه) لا يشترط فيها أنه أثناء القبض كان أصحابه حوله بل يفيد أن أصحابه لم يغيروا بعد أن قبض من بينهم .

وقوله (مكث أصحاب المسيح على سننه وهديه مائتي سنة) : هذا يفيد أن الغلبة بقيت للدين الصحيح للمسيح عليه السلام عند المنتسبين إليه مائتي سنة بعد رفعه إلى السماء ثم بعد ذلك تغلبت مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ومن يومها حتى الآن فإن الغلبة لمدرسة بولس ، وقد فرضت ديانة بولس من خلال أباطرة الرومان على النصارى فرضًا ..

ولاحقوا مخالفيها حتى لم يبق منهم إلا القليل وقد لقي سلمان الفارسي آخرهم قبل أن يأتي إلى المدينة المنورة .

٨٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضي الله عنهُ أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئبُ فذهبَ بابن إحداهُما ، فقالت هذه لصاحِبتها : إنما ذهبَ بابنكِ . وقالت الأخرى : إنما ذهَبَ بابنكِ . فتحاكمتا إلى داودَ ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمانَ بن داودَ ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسِّكّين أشُقُّه بينهما . فقالتِ الصغرى : لا تفعل رَحِمَكَ اللهُ ، هو ابنُها . فقضى به للصغرى » .

قال أبو هريرة : والله إنْ سمعتُ بالسِّكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المُدْيَةَ .

٨٣١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال :

---

٨٣٠ ـ البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٤٠ ـ باب قوله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان ﴾ .

مسلم (٣ / ١٣٤٤) ـ ٣٠ ـ كتاب الأقضية ـ ١٠ ـ باب بيان اختلاف المجتهدين .

والنسائي (٨ / ٢٣٤) ٤٩ ـ كتاب القضاة ـ ١٤ ـ باب حكم الحاكم بعلمه .

٨٣١ ـ البخاري (٦ / ٤٥١) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ٣٥ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ . =

« قال الله تعالى : لا ينبغي لعبدٍ لي » - وفي رواية : « لعبدي أن يقول : أنا خيرٌ من يونُسَ بنِ متَّى » .

وللبخاري [١] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من قال : أنا خيرٌ من يونس بن متَّى . فقد كَذَبَ » .

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ...** ﴾ يخبر تعالى أنه فَضَّل بعضَ الرسل على بعض ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله** ﴾ يعني موسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه ﴿ **ورفع بعضهم درجات** ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فإن قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث ؟ وعلى محمد ﷺ ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم فقال رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ؟ فلا تفضلوني على الأنبياء » . وفي رواية : « لا تفضلوا بين الأنبياء » . فالجواب من وجوه (أحدها) : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر . (الثاني) : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع . (الثالث) : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكوا فيها عند التخاصم والتشاجر . (الرابع) : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية . (الخامس) : ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به) . ا . هـ (تفسير القرآن العظيم) .

= مسلم (٤ / ١٨٤٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٣ - باب في ذكر يونس عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢٦٧) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٢٦ - باب ﴿ إنا أوحينا إليك ... ﴾ .

٨٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ : بينما يهودي يعرضُ سلعته أُعطي بها شيئًا كَرِهَهُ ، فقالَ : لا والذي اصطفى موسى على البشر . فسمعَهُ رجلٌ من الأنصار فقام فلطَم وجْهَهُ ، وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر ، والنبي ﷺ بين أظهُرنا ؟ فذهبَ إليه فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذِمةً وعهدًا ، فما بالُ فلانٍ لَطَمني ؟ فقال : « لِمَ لطَمْتَ وجهه » ؟ فذكره ، فغضب ﷺ حتى رُئيَ في وجهه ، ثم قال : « لا تُفَضِّلوا بين أنبياء اللهِ ، فإنه ينفَخُ في الصور فَيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاءَ الله ، ثم يُنفَخُ فيه أخرى ، فأكونُ أولَ من يُبعَثُ ، فإذا موسى آخذٌ بالعرش ، فلا أدري أُحوسِبَ بصعقة الطور أم بُعِثَ قبلي ؟ ولا أقولُ إن أحدًا أفضلُ من يونسَ بن متى » .

قال ابن كثير في النهاية : (فقوله أم جوزي [وفي رواية : أحوسب وهي عندنا] بصعقة الطور يدل على أن هذا الصعق الذي يحصل للناس يوم القيامة ، سببه تجلي الرب تعالى لعباده لفصل القضاء ؛ فيصعق الناس من العظمة والجلال ، كما صعق موسى يوم الطور . حين سأل الرؤية . ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا﴾ ؛ فموسى عليه الصلاة والسلام يوم القيامة إذا صعق الناس ، إما أن يكون جُوزي بتلك الصعقة الأولى فما صعق عند هذا التجلي ، وإما أن يكون صعق أخف من غيره ، فأفاق قبل الناس كلهم . والله أعلم .) ا .هـ .

٨٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بينما أيوبُ يغتسِلُ عُرْيانًا خَرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ من ذهب ، فجعل يَحْثِي في

---

٨٣٢ - البخاري (١١ / ٣٦٧) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٤٣ - باب نفخ الصور .
مسلم (٤ / ١٨٤٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ .
وأبو داود (٤ / ٢١٧) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء . .
والترمذي (٥ /٣٧٣) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٤١ - باب « ومن سورة الزمر » .
٨٣٣ - البخاري (٦ / ٤٢٠) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٢٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ .
والنسائي (١ / ٢٠١) - ٤ - كتاب الغسل - ٧ - باب الاستتار عند الاغتسال .
(خرّ) : إذا سقط من فوق .
(رِجْل جَرَادٍ) : الرِّجْل : القطيع من الجراد .
(يحثي) : : يجمع .

ثوبه ، فناداه ربُّه : يا أيوبُ ، ألم أكن أغْنَيْتُك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكنْ لا غِنى لي عن بَرَكَتِكَ » .

٨٣٤ - * روى البزار ، عن أنس بن مالكٍ أن رسول الله ﷺ قال : « إن نبيَّ الله أيوبَ كان في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلان من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه . فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنبَ ذنبًا ما أذنبه أحدٌ . قال صاحبُه وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يَرحَمْهُ اللهُ فيكشف اللهُ عنه . فلما راحا إليه لم يَصْبِر الرجل حتى ذكرَ ذلك له . قال أيوبُ : ما أدري ما تقول إلا أن الله يعلم كنت أمُرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرْجعُ إلى بيتي فأُكَفِّر عنهما كراهية أن يُذكرَ اللهُ إلا في حقٍّ ». قال : « وكان يخرجُ إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكتِ امرأتُهُ بيده حتى يَبلُغَ . فلما كان ذات يومٍ أبطأ عليها وأوحي إلى أيوبَ في مكانه أن ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب** ﴾ فاستَبْطأَتْه فتلقتْه تنظرُ وأقبلَ عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسنِ ما كان ، فلما رأتْه قالت : أي باركَ اللهُ فيك هل رأيتَ نبي الله هذا المبتلى ، والله على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبه به منذ كان صحيحًا منك . قال : فإني أنا هو . وكان له أَنْدَرَانِ أَنْدَرُ القمحِ وأَنْدَرُ الشعيرِ ، فبعثَ الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أَنْدَرِ القمح فَرَّغَت فيه الذهبَ حتى فاضَ وأفْرغَت الأخرى على أنْدَرِ الشعيرِ الورِقَ حتى فاض » .

٨٣٥ - * روى أبو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا أدري : تُبَّعٌ ألَعِينٌ هو ؟ » - وفي نسخة : « اللعين هو - أم لا ؟ ولا أدري عُزيرٌ نبيٌّ هو ، أم لا ؟ » .

---

٨٣٤ - كشف الأستار (٣ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٨) - وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

(الأَنْدَرُ) : البَيْدَرُ . وهو المكان الذي يفصل فيه الحب عن قشه بواسطة الدياس قديمًا .

(الورق) : الفضة .

٨٣٥ - أبو داود (٤ / ٢١٨) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء وسنده صحيح .

وبما نسبه ابن الأثير في جامعه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هذا القول ـ الذي يدخل تحت قوله جل جلاله : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ـ :

(إنَّ أهلَ فارسَ لما ماتَ نبيُّهم : كتبَ لهم إبليسُ المجوسيةَ) .

وقد نسب ابن الأثير في جامعه هذا النص لأبي داود والظاهر أنه موجود في نسخة من نسخ كتاب أبي داود ولا يوجد في كل نسخه .

٨٣٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما من بني آدمَ من مولودٍ إلا نَخَسَهُ الشيطان حين يولَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صارخًا من نَخْسِهِ إيَّاه ، إلا مريمَ وابنَها » .

وفي رواية [1] : « إلا والشيطان يمسه حين يولَد ، فيستهلُّ صارخًا من مسِّ الشيطان إياه ، إلا مريمَ وابنَها » . ثم يقول أبو هريرةَ : اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وذُرِّيتهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [2] .

وللبخاري [3] قال : « كلُّ ابن آدم يَطْعُنُ الشيطانُ في جَنْبَيهِ بإِصْبَعَيْهِ حين يولَد ، غيرَ عيسى ابنِ مريم ، ذهب يَطْعُنُ فطعن في الحجاب » .

ولمسلم[4] قال : « كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمه ، إلا مريمَ وابنَها » .

٨٣٧ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يُلَقَّى عيسى حُجَّتَه ، لَقَّاه

---

٨٣٦ ـ البخاري (٦ / ٤٦٩) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٤٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٣٨) ـ ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٤٠ ـ باب فضائل عيسى عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢١٢) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ سورة آل عمران ؛ ٢ ـ باب ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها ... ﴾ .

مسلم ، الموضع السابق .

(٢) آل عمران : ٣٦ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٧) ـ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ـ ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

(٤) مسلم ، الموضع السابق .

(فيستهِلُّ صارخًا) : : الاستهلال : صياح المولود عند الولادة ، والصّراخ : الصّياح والبُكاء .

وقوله: « فطعن في الحجاب » أي : في المشيمة ، وهي التي يكون فيها المولود .

٨٣٧ ـ الترمذي (٥ / ٢٦٠) ـ ٤٨ ـ كتاب التفسير ـ ٦ ـ باب « ومن سورة المائدة » وهو حديث حسن صحيح .

الله في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريم ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « فَلَقَّاهُ الله ﴿ سُبْحَانَكَ ما يكون لي أنْ أقولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾» الآية كُلُّها [(١)] .

٨٣٨ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ » فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذا رَجُلٌ » حَسِبْتُه قَالَ : « مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ . كَأَنَّـهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ » . قَالَ : « وَلَقِيتُ عِيسى » فَنَعَتَـهُ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيَمَاسٍ » (يَعْنِي حَمَّامًا) قَالَ : « وَرَأَيْت إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ . وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ » . قَالَ : « فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ . فَقِيلَ لِي : خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ . فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُـهُ . فَقَالَ : هُدِيتَ الْفِطْرَةَ » أَوْ « أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ » .

٨٣٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا واللهِ ، ما قال النبيُّ ﷺ لعيسى أحمرُ ، ولكن قال : « بينما أنا نائمٌ أطوفُ بالكعبة ، فإذا رجل آدمُ سَبِطُ الشعر يُهادَى بينَ رجُلَين يَنطِفُ رأسه ماءً » أو « يُهراقُ رأسهُ ماءً ـ فقلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : ابنُ مريم . فذهبتُ فإذا رجُلٌ أحمرُ جسيمٌ جَعدُ الرأسِ أعوَرُ عَينهِ اليمنى كأنَّ عينَهُ عِنبةٌ طافية ، قلت : مَن هذا ؟ قالوا : هذا الدجال . وأقرَبُ الناسِ بهِ شَبَهًا ابنُ قَطَن » . قال الزُّهريُّ : رجُلٌ من خُزاعة هلكَ في الجاهلية .

---

(١) المائدة : ١١٦ .

٨٣٨ ـ مسلم (١ / ١٥٤) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٧٤ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(مضطرب) : هومفتعل من الضرب . صرّح به ابن الأثير في النهاية .

(رجل الرأس) : أي رجل الشعر أي قد سرحه ودهنه .

قوله : (فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من دياس) :

قال النووي : أما الربعة فيقال : رجل ربعة ومربوع أي بين الطويل والقصير . وأما الدياس فقال الجوهري في صحاحه في هذا الحديث : قوله خرج من دياس ، يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كِنٍّ . لأنه قال في وصفه : كأن رأسه يقطر ماء . ا .هـ .

٨٣٩ ـ البخاري (١٢ / ٤١٧) ـ ٩١ ـ كتاب التعبير ـ ٣٣ ـ باب الطواف بالكعبة في المنام .

مسلم (١ / ١٥٦) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٧٥ ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

قال ابن حجر : قوله (رجل الشعر) بكسر الجيم أي قد سرحه ودهنه ، وفي رواية مالك « له لمة قد رَجَّلَها فهي تقطر ماء » وقد تقدم أنه يحتمل أن يريد أنها تقطر من الماء الذي سرحها به أو المراد الاستنارة وكنى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة ، ووقع في رواية سالم الآتية في نعت عيسى « أنه آدم سبط الشعر » وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى « أنه جعد » والجعد ضد السبط فيمكن أن يجمع بينها بأنه سبط الشعر ووصفه لجعودة في جسمه لا شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه ، وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمر ، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة ، والآدم الأسمر ، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر ، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر فظهر أن ابن عمر أنكر شيئًا حفظه غيره ، وأما قول الداودي إن رواية من قال « آدم » أثبت فلا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر . وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى « أنه مربوع إلى الحمرة والبياض » . والله أعلم .... .

قوله : (لا والله ماقال رسول الله ﷺ لعيسى أحمر) اللام في قوله « لعيسى » بمعنى عن وهي كقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ماسبقونا إليه ﴾ وقد تقدم بيان الجمع بين ماأنكره ابن عمر وأثبته غيره ، وفيه جواز اليمين على غلبة الظن لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال لا عيسى ، وق... ذلك أن كلا منهما يقال له المسيح وهي صفة مدح لعيسى وصفة ذم للدجال كما تقدم ، وكأن ابن عمر قد سمع سماعاً جزماً في وصف عيسى أنه آدم فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر واهم . ا . هـ .

٨٤٠ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ ، وَقُرَيْشٌ تَسأَلُني عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْني عَنْ أَشْيَاءَ

---

٨٤٠ - البخاري (٨ / ٣٩١) - ٦٥ - كتاب التفسير - ٣ - باب ﴿ أسرى بعبده ليلاً ﴾ .
ولفظه مختصر عن جابر .
مسلم (١ / ١٥٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال . واللفظ له .

مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ » . قَالَ : « فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ . مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِياءِ . فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي . فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ . وَإِذَا إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ » (يَعْنِي نَفْسَهُ) « فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ . فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَامُحَمَّدُ ! هَذا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ ».

٨٤١ - * روى البخاري ومسلم ، عن ابنِ عبّاسٍ رضي اللهُ عنهما قال : قال النبيُّ ﷺ : « رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ ، فأما عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عَريضُ الصدرِ ، وأما موسى فآدَمُ جَسيمٌ سبطٌ كأنه مِن رجالِ الزُّطِّ » .

٨٤٢ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيدهِ ليوشِكَنَّ أنْ يَنزلَ فيكم ابن مريمَ حَكماً مُقسِطًا ، وإمامًا عدلاً ، فيَكسرَ الصليبَ ، ويقتُلَ الخِنزيرَ ، ويضعَ الجزيةَ ، ويَفيضَ المالُ حتى لا يقبلَهُ أحدٌ ، وحتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيرًا منَ الدنيا وما فيها » .

٨٤٣ - * روى الطبراني ، عن أبي هُرَيْرةَ أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل عيسى ابن مريم فيمكثُ في الناس أربعين سنة » .

٨٤٤ - * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال « إني لأرجو إن طال بِيَ

---

٨٤١ - البخاري (٦ - ٤٧٧) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .
مسلم (١ / ١٥٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .
والرواية في مسلم مختلفة ، وليس فيها ذكر عيسى عليه السلام .
(الزُّطُّ) : جيل أسمَر من السند ، له خصائص مميزة عن البشر .
٨٤٢ - البخاري (٤ / ٤١٤) - ٣٤ - كتاب البيوع - ١٠٢ - باب قتل الخنزير .
مسلم (١ / ١٣٥) - كتاب الإيمان - ٧١ - باب نزول عيسى ابن مريم .
٨٤٣ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
٨٤٤ - أحمد (٢ / ٢٩٨) .

عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابن مريم ﷺ فإن عجل بي موتٌ فمن لقيه منكم فلْيُقرِئْهُ مني السلام».

٨٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا أوْلَى الناسِ بابنِ مريمَ في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نَبِيٌّ ، والأنبياءُ إِخْوَةٌ ، أبناءُ عَلاتٍ ، أُمَّهاتُهم شَتَّى ودِينُهم واحدٌ » .

٨٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رفعه : « لا تُخَيِّروا بين الأنبياء » .

أقول :

الإجماع منعقد على أن محمداً ﷺ أفضل النبيين والمرسلين ، والنصوص في ذلك كثيرة والقرآن نص على تفضيل بعض المرسلين على بعض : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا ﴾ (1) . وما ورد في المنع من ذلك فهو محمول على التواضع وهضم النفس أو على ما يفهم من انتقاص المفضل عليه أو على ما يفهم من عصبية للمفضل على المفضل عليه، أو عندما لا يكون هناك نص يذكر التفضيل أو مايوهم نقص مرتبة المفضل عليه .

٨٤٧ - * روى البزار عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلون » .

= مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ، ورجالها رجال الصحيح .

٨٤٥ - البخاري (٦ / ٤٧٨) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .
مسلم (٤ / ١٨٣٧) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٠ - باب فضائل عيسى عليه السلام .
وأبو داود (٤ / ٢١٩) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء .
وهو عنده مختصر .
(أبناء علات) : إذا كان الإخوة لأب واحدٍ ، وأمهاتٍ شتى ، كانوا أبناءَ علاتٍ ، وإذا كانوا لأم واحدة وآباءٍ شتّى ، فهم أبناءُ أخياف . وإذا كانوا لأب واحد ، وأم واحدة ، فهم أعيان .

٨٤٦ - البخاري (١٢ / ٢٦٣) - ٨٧ - كتاب الدّيات - ٣٢ - باب إذا لطم المسلم يهوديًا .
مسلم (٤ / ١٨٤٥) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى
وأبو داود (٤ / ٢١٧) ، الموضع السابق .
وهو عنده مختصر .

(1) الإسراء : ٥٥ .

٨٤٧ - كشف الأستار (٣ / ١٠٠) .
مجمع الزوائد (٨ / ٢١١) وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى ثقات . =

المسائل والفوائد

ـ بعض العلماء يعتبر مقام الرسالة والنبوة واحداً ، فكل نبي رسول وكل رسول نبي ، وبعضهم جعل وصف الرسالة فيه معنى زائد على معنى النبوة فالنبوة تحصل بمجرد الوحي على إنسان اصطفاه الله عز وجل للنبوة وأعلمه أنه نبي أما الرسالة فتكون بعد الأمر بالإنذار والتبليغ وهل هناك أنبياء يقتصر تكليفهم على أنفسهم ؟ هناك من جوز ذلك . وهناك تعريفات أخرى تحدد صفات من ينطبق عليه وصف النبوة والرسالة بآن واحد فيتصف بالنبوة من كان تابعًا لرسول ولم يأت بإنذار جديد أو تبليغ جديد ولو نزل عليه وحي ، فالنبي مهمته العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له .

ـ الوحي الذي تثبت به النبوة هو ماكان خطابًا مباشرًا من الملك أو من الله عز وجل في حالة اليقظة أما ماكان من رؤى أو إلهامات قبل ذلك فلا تثبت به النبوة وأما بعد النبوة فالرؤى والإلهامات من جملة الوحي .

ـ من مباحث علماء التوحيد : مايجب للرسل ومايستحيل في حقهم ومايجوز عليهم .

ويخصون بالذكر مما يجب عليهم : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ، ويخصون بالذكر مما يستحيل عليهم أضداد الصفات الكذب والمعصية والكتمان والغفلة والبلادة ، ويذكرون من الجائزات في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، مما لا يخالف شرعاً ولا مروءة معتبرة شرعًا ولا مما يتناقض مع مقامهم ، فيجوز في حقهم الأكل والشرب وإتيان النساء الحلال والنوم بعيونهم لا بقلوبهم والأمراض غير المنفرة ، ومما مر ندرك أن المراد بالأمانة العصمة عن التلبس بمنهيٍّ عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأَوْلى فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب وهم قبل النبوة معصومون عن كل ماينفر عنهم ، فهم معصومون عن الكبائر وعن المنفرات .

ـ من شروط النبوة والرسالة : الحرية فلم يعرف أن الله ابتعث نبيًّا غير حر ـــ والذكورة والبشرية : فلم يبعث الله عز وجل رسلاً من الجن لا للبشر ولا للجن ولم يبعث رسولاً من الملائكة إلى البشر ليعيش معهم كما يشترط أن يكون النبي أو الرسول خاليًا من

الأمراض المنفرة لأن وجود هذه أو هذه يمنع من الإفادة منه ويمنع من القربى منه وذلك يتناقض مع الحكمة من إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يصح أن تتلّبس امرأة نبي أو رسول بالزنى ، وما ورد من اسرائيليات في حق أيوب تصفه بالمرض المنفر فذلك غير صحيح ، ومن شروط الرسالة أن يكون الرسول أعلم من جميع من بعث إليهم بأحكام الشريعة المبعوث بها أصلية أو فرعية :

﴿ يايحيىٰ خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًّا ﴾ [١] ، ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [٢] .

ـ وإرسال الرسل ليس واجبا على الله كما زعم قوم ولا مستحيلاً كما زعم قوم ، بل هو جائز في حقه وقد اختار أن يرسل فأرسل فوجب الإيمان .

ـ وما ورد في الكتاب والسنة من كلام حول مؤاخذة الله الرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض أعمال عملوها أو تصرفات فعلوها ، فبعضها محمول على أنه كان قبل النبوة ، وبعضها محمول على أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وبعضها محمول على أنه كان اجتهادًا منهم حيث جاز لهم الاجتهاد ولم يوافقوا الصواب عند الله عز وجل ، فأخبرهم الله عز وجل بما هو الصواب عنده ، وعلى هذا فالمسلم مكلف أن ينفي المعصية عن الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعنى الذي تحمل عليه في بقية الخلق ، وأن يفهم النصوص على ضوء ذلك .

ـ قد يخص بعض الأنبياء بخصوصية لا تقتضي أفضلية ، وقد يخصون بخصوصية مع الأفضلية ، ومما خص به رسولنا عليه الصلاة والسلام أفضليته على جميع الخلق ، وعموم رسالته إلى الإنس والجن ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين ، وأن شريعته مهينة وحاكمة على الشرائع قبلها وناسخة لكل ما ناقضها ، ومما خصه الله به نصره بالرعب مسيرة شهر بسير الإبل ، وجعله الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً ، وحل الغنائم له ولأمته وإعطاؤه الشفاعة العظمى يوم القيامة .

ـ نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان لا يتناقض مع ختم النبوة بمحمد ﷺ ؛ لأنه

(١) مريم : ١٢ . (٢) آل عمران : ٤٨ .

عليه الصلاة والسلام يأتي تابعاً لشريعة محمد ﷺ ، فهو من هذه الحيثية واحد من أمته ، ومن أهم الكتب التي ألفت في نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للشيخ أنور الكشميري جمع فيه الشيخ « ٧٥ » حديثًا في رفع عيسى ونزوله ، وأضاف محققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عشرة أحاديث سكت عنها المؤلف وخمسة وعشرين أثراً عن الصحابة ، فمن أنكر نزوله عليه الصلاة والسلام فقد كفر لأن نزوله متواتر .

ـ التحقيق أن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة بإطلاق بن في ذلك رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان ... .

ـ المعجزة هي التي تثبت صدق الرسول ومن تعريفات العلماء للمعجزة :

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عن تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله فحقيقة الإعجاز إثبات العجز .

وقال الشيخ أبو الحسن : هي فعل من الله أو قائمة مقام الفعل يقصد بمثله التصديق .

فخرج بذلك السحر والكهانة والشعوذة والعاديات العجيبة لأنها من عالم الأسباب وخرج بذلك الكرامة للأولياء ، والمعونة للعوام والاستدارج للفساق ، والإهانة وهي ما يظهر على يد الفاسق أو الكافر تكذيبًا له ، ويخرج بذلك الخارقة التي لا توافق دعوى النبوة بل ترافقها دعوى واضحة البطلان كما يحدث للدجال ، ومن أخطاء أهل العصر وصف ما يجري على يد غير الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات .

ـ المعجزة الرئيسية لرسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن وله معجزات أخرى كثيرة منها : نبع الماء من بين أصابعه ، وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وتكثير الطعام القليل ، وشفاء المرضى والمصابين واستجابة الدعاء والإخبار عن مغيبات كثيرة وقعت ومنها إسراؤه ومعراجه ، ومعجزات أخرى كثيرة ذكرنا بعضها في قسم السيرة من هذا الكتاب وكثير منها مثبوت في هذا الكتاب أثناء سياقات أبحاثه فقد كانت أدلة رسالته وأعلام نبوته ظاهرة في أموره كلها عليه الصلاة والسلام .

الوصل الأول

في:

رفع خطأ التوهم بأن الرسل لم يبعثوا إلا في بقعة من الأرض وإلى بعض الأمم

وفيه:

مقدمة ونقول

المقدمة

قال تعالى : ﴿ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (١) .

لقد ذكرت الآية التي صدرنا بها هذا البحث أنه ما من أمة إلا بعث الله لها رسولاً ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (٣) .

فدل هذا على أن الأمة ذات اللسان الواحد أرسل لها رسول بلسانها ثم ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ الذي أرسله إلى الناس كافة بهذا القرآن المعجز ليكون حجة الله على العالمين ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (٤) ، ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾(٥) ، بعض هؤلاء الرسل قص الله علينا من أخبارهم وبعضهم لم يقصص علينا من أخبارهم ، قال تعالى : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾(٦).

والأمم التي أرسل لها رسلٌ كثيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم تُتِمُّون سَبعينَ أمةً أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله » (٧) وعلم الآثار والحفريات الحديثة ودراسة التاريخ القديم والتعرف على الأديان البائدة والباقية كشف لنا عن بقايا من أديانِ حقٍ اختلط بها باطل كثير وضلال كثير .

وليس عندنا ميزان نتعرف به على الحق في الأديان البائدة أو الباقية إلا هذا القرآن وإلا السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فالقرآن منقول عن رسولنا تواتراً ينقله جيل عن جيل ، وقد تولى الله حفظه ، والسنة النبوية الثابتة منقولة لنا بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول ﷺ دون انقطاع مع دقة في التحقيق تشمل السند والمتن ، لذلك عرفوا

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) إبراهيم : ٤ .
(٤) الأحزاب : ٤٠ .
(٥) إبراهيم : ١ .
(٦) غافر : ٧٨ .
(٧) أحمد (٥ / ٣) .
والترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ ـ كتاب التفسير ٤ ـ باب : ومن سورة آل عمران .
ابن ماجه (٢ / ١٤٣٣) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٣٤ ـ باب صفة محمد ﷺ . وهو حديث حسن .

الحديث الصحيح بأنه : ماااتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول الله ﷺ ، وسَلِمَ من الشذوذ والعلة . والشذوذ : هو أن يخالف الثقة من هو أوثق منه أو أن يخالف الثقة الثقات ، والعلة هي عيب خفي يدركه الحذاق في الرواية وذلك شيء انفرد به دين محمد ﷺ بأن نصوصه محفوظة منقوله بأسانيد متصلة ، بينما لا يستطيع أهل أي دين أن يثبتوا أن لهم أسانيد متصلة إلى المصدر الأول لدياناتهم . فمن المعروف تاريخياً أن اليهود أعادوا كتابة كتبهم من مروياتهم الشفهية بعد السبي إلى بابل ، وأن الأناجيل المعتمدة عند النصارى لا يوجد منه واحد متصل السند إلى المسيح عليه السلام ، وأن آثار بوذا سجلت حوالي سنة « ٣٥٠ » قبل الميلاد ، بينما كان ميلاد بوذا على القول الراجح حوالي سنة « ٥٦٠ » قبلَ الميلاد (أبو زهرة ـ مقارنات الأديان) .

والمعروف أن آثار زرادشت أحرقها الإسكندر المقدوني : (دائرة معارف البستاني) ، وليس عند البراهمة أسانيد متصلة إلى رسول ، وهكذا قلّ في كل دين من الأديان ، ومن هنا نقول : إن الميزان الذي نعرف به ماإذا كان هناك بقية من حق في دين من الأديان إنما هو القرآن والسنة النبوية ، ووجود شيء من ذلك في دينٍ لا يعني بالضرورة أن هذا الدين أصوله سماوية بل قد يكون تسلل إليه من دين سماوي ، والملاحظ أن الدراسة المتعمقة لكثير من نصوص الديانات المندثرة أو الباقية تثبت وجود بعض الموافقات لبعض معاني القرآن والسنة وهذا يؤكد شيئين :

الشيء الأول : أن أصول هذه الديانات كانت سماوية .

والشيء الثاني : أن كل أمة قد أرسل لها رسول ، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم برسالة أحد ونبوته إلا إذا جاءنا ذلك عن طريق الكتاب والسنة ، وذلك لاحتالات أن يكون بعض من نسب إليهم بقايا الحق هذه من المجددين أو من المتأثرين بآثار الأنبياء أو من أهل الباطل الذين حاولوا إنشاء ديانات هي مزيج من أفكار ومن بقايا أديان متوارثة قديمة .

ومن أجل أن يكون عندك تصور ماعن بقايا حق توافق بعض نصوص الكتاب والسنة في بعض الديانات المندثرة أو الباقية ، فإننا ننقل لك بعض النقول عن الديانات المصرية والهندية والفارسية والصينية ، أما النصرانية واليهودية فقد أكثرنا من أمثال هذه النقول عن كتبها في التفسير :

النقول

١ ـ الديانات المصرية القديمة

نجد في الديانات المصرية القديمة فكرة الروح وخلودها وعودتها إلى الجسد مرة أخرى وفكرة اليوم الآخر والحساب .

ومن كلام أحد المتتبعين لتاريخ الديانات المصرية القديمة وهو « ماسيبرو » :

« وكان إله المصريين واحداً فرداً ، كاملاً ، عالماً ، بصيراً ، لا يدرك بالحس ، قائماً بنفسه ، حيًّا ، له الملك في السموات والأرض ، لا يحتويه شيء ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ، لا يفنى ، ولا يغيب يملأ الدنيا ، ليس كمثله شيء ، ويوجد في كل مكان » اهـ (مقارنات الأديات للإمام أبي زهرة) .

ومما ورد في كتاب الموتى وهو كتاب مقدس عند المصريين القدماء : « ... إنني حامل الحقيقة ، إنني لم أخن أحداً ، ولم أغدر بأحد ، ولم أجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضنك ، ولم أقم بدنية في موئل الحقيقة ، ولم أمازج عملي بشر قط ، وجافيت الضر والأذى ، ولم أعمل باعتباري رئيس أسرة ماليس من عمل ربها ، ولم أكن سبباً في خوف خائف ، ولا إعواز معوز ، ولا ألم متألم ، ولا بؤس بائس ، لم أقدم على مالا يليق بالآلهة فلم أجع أحداً ، ولم أبك أحدًا ، ولم أقتل نفسًا ، وماحرضت أحداً على قتل أو خيانة ، ولم أكذب ، ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومياء طعامها . ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن في كهنوته ، ولم أغل في الأسعار ولم أطفف الكيل والميزان ، ولم أسرق الماشية من مرعاها ، ولم أصد طير الآلهة ، ولم أدفع الماء في عهد الفيضانات ، ولم أحول مجرى ترعة ، ولم أطفئ الشعلة في ساعتها ، ولم أخدع الآلهة في قرابينها المختارة ، فأنا نقي ، أنا نقي ، أنا نقي » اهـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول : لاشك أن بعض الكلام الذي مر معنا عن الديانة المصرية القديمة لا يتفق مع الكتاب والسنة ، ولكن قسمًا منه يتفق مع نصوص الكتاب والسنة من حيث المعنى ، وهذا كافٍ للتدليل على ماذكرناه ولقد حدثنا القرآن عن رسالتين في مصر : رسالة يوسف ورسالة

موسى عليهما السلام ، ومما قال في يوسف عليه السلام على لسان مؤمن آل فرعون : .

﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ [1] راجع (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

وواضح من نصوص القرآن أن الوثنية والشرك وادعاء الألوهية من قبل بعض حكام مصر كان موجوداً وواضح من الدراسات التاريخية والآثار وجود الشرك والوثنية في الديانات المصرية القديمة كما مرّ معنا من قبل ، ولكن ماذكرناه من موافقات مع نصوص الكتاب والسنة في الآثار المصرية ومانسب إلى « أخناتون » من كلمات توحيدية يُشير إلى ماذكرناه من وجود رسالات سماوية خوطبت بها مصر .

٢ ـ بعض الديانات الهندية

ا ـ الديانة البرهمية :

أقدم الديانات الهندية المعروفة ذات النصوص هي : « الديانة البرهمية » التي ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وفي أحد كتبها وهو « الساماڤيدا » بشارة برسولنا محمد ﷺ كما حقق ذلك « عبد الحق فديارتي » في كتابه : « محمد في الأسفار الدينية العالمية » ونقله « العقاد » في كتابه : « مطلع النور » ونقلناه في كتابنا : « الرسول ﷺ » .

ومن أشهر من تتبع الديانة البرهمية بحق وفهم ودراسةٍ لنصوصها : « أبو الريحان البيروني » من المؤرخين المسلمين وهو حجة بإجماعٍ فيها ، ومن تحقيقاته عن أصول الديانة البرهمية قبل أن يطرأ عليها ماطرأ ماذكره بقوله :

« واعتقاد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي ، من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحيي المدبر . المنفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء ، ولنورد لك شيئًا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط ، قال السائل في كتاب باتنجل من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته ؟ .

---

(١) غافر : ٣٤ .

قال المجيب : هو المستغني بأزليته ووحدانيته عن فعل ، لمكافأة عليه براحة تؤمل وترجى ، أو شدة تخاف وتتقى ، والبريء عن الأفكار ، لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ، والعالم بذاته سرمداً ، إذ العلم الطارئ يكون ما لم يكن بمعلوم ، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال ، ثم يقول السائل بعد ذلك : فهل له من الصفات غير ماذكرت ؟ فيقول المجيب : العلو التام في القدر لا المكان ، فإنه يجل عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود ، وهو العلم الخالص عن دنس الهوى والجهل . قال السائل : أفتصفه بالكلام ، أم لا ؟ قال المجيب : إذا كان عالماً فهو لا محالة متكلم .

قال السائل : فإن كان متكلمًا لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم ، فكلامهم وإفادتهم في زمان ، إذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال ، فالله سبحانه وتعالى عالم متكلم في الأزل ، وهو الذي كلم براهم وغيره من الأوائل على أنحاء شتى ، فمنهم من ألقى إليه كتابا ، ومنهم من فتح له بواسطة بابًا ، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ماأفاض عليه . قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال المجيب : علمه على حاله في الأزل ، وإذ لم يجهل قط فذاته عالمة ، لم تكتسب علمًا لم يكن له ، كما قال في « بيذ » الذي أنزل على براهم : احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ ، وكان قبل بيذ .

قال السائل : كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس ؟ قال المجيب : تسميته تثبت أنيته فالخبر لا يكون إلا عن شيء ، والاسم لا يكون إلا لمسمى ، وهو إن غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس ، وأحاطت بصفاته الفكرة .

وهذه هي عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة . » . ا . هـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول :

إن الكلام الذي مرّ معنا فيه مايُعتَرَض عليه ، ولكن فيه الكثير مما يوافق الكتاب

والسنة ، وفيه مايدل على أن براهما قد أنزل عليه كتاب ، فإذا صحّ النقل فإن براهما يكون رسولاً قد غلا فيه قومه ، ألهوه كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم عليه السلام .

ويؤكد « فريد وجدي » في دائرة معارفه ماذكره « البيروني » مستدلا بذلك على أن فكرة التثليث الموجودة حاليًا عند البراهمة ليس لها وجود في الكتب البرهمية القديمة .

ب ـ الديانة البوذية :

ومن الديانات الهندية القديمة : « الديانة البوذية » التي جاءت كما يبدو لتصحيح ماحدث من انحراف في الديانة البرهمية ، والمتكلمون عن بوذا يصفونه بصفات الأنبياء ابتداء بنزول الوحي عليه ، ثم يغلون فيه غلو النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام حتى إن أبا زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) أثبت التوافق بين كثير من عبارات البوذيين في بوذا وعبارات النصارى في المسيح ابن مريم ولا نستطيع أن نعتمد على الروايات المأثورة عن بوذا لأنها كما قلنا سجلت بعد وفاته بفترة طويلة ولا نستطيع أن نجزم بشيء في أمره لكن بعض مانسب إليه يتفق مع الوحي الذي أنزله الله عز وجل على رسولنا ومن ذلك مثلاً :

أن من تعاليم بوذا : أن على الإنسان أن يكون مقيداً نفسه بثمانية أمور : .

(أ) الاتجاه الصحيح المستقيم : بأن يتجه إلى أي أمر يريده اتجاهًا صحيحًا مستقيًا خاليًا من كل سلطان للشهوة واللذة وماتبعثه من أماني وأحلام فاسدة ، فيجتهد عند الاتجاه إلى أي أمر في أن يخلص إرادته من شائبة اللذات أو الشهوات ، ومايتصل بها من آمال تبعثها وأحلام تثيرها ، وفي الجملة ينقي نفسه من كل مايتصل باللذة عند الاتجاه .

(ب) الإشراق الصحيح المستقيم : وذلك أن الإنسان عند الاتجاه إلى أمر من الأمور اتجاها مستقيًا خاليًا من شوائب اللذات ، تعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء من غير أن يرنق نظره أي درن من أدران اللذة ، ولا يرين على عقله ماتثيره من أهواء .

(ج) التفكير الصحيح المستقيم : وذلك أن العقل إن خلا من شوائب اللذة ، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيًا ، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير في

هـذا الأمر مستقيمـة لا تـؤثر فيهـا نـزعـة هـوى ، ولا جمـوح شهـوة ، ولا اضطراب الأمـاني والأحلام في قلبه .

(د) ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقـة : الاتجـاه المستقيم والإشراق المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليهـا أمر رابع مستقيم ، وهـو اطمئنـان العقـل والقلب إلى فكرة خاصة من بين مايعرض لهـا من الأفكار والآراء والأنظـار . وذلـك هو الإيمـان المستقيم ، أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبـه ارتيـاح واطمئنـان ، وبـه يصير القلب في روح وريحـان من النعيم المعنوي .

(هـ) والذي يتم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكره مطابقاً تمام المطابقة لاعتقاده ، ولما ارتاح إليه ، وعمر قلبه بـالسرور به .

(و) السلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذي لابد منـه لسلوك الممر الوسـط ، والسلوك المستقيم مايكون مطـابقـاً لكل مـاقـام بـالقلب من اعتقـاد فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينهما ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منهما مؤكداً للآخر أو متماً له .

(ز) الحيـاة الصحيحـة : بـأن يكون قوامهـا هجر اللذات هجراً تـامـاً وأن يكون كل مايجري فيها متطابقـاً مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ، ولا يشـذ فيهـا شيء عن مقتضى هذا السلوك وأحكامه .

(ح) الجهد الصحيح : وذلك بـأن تكون كل الجهود التي يبـذلهـا الإنسـان في سبيل أن تكـون الحيـاة مستقيمـة سـائرة على مقتضى السلـوك ، والعلم والحق ، ومنـع كل مـالـه صلـة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها . ويحفز إليها .

هذه هي الأمور التي لو تمت على وجـه مستقيم سـار الشخص على الجـادة ، وسلـك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خاليـة من الآلام خلوهـا من دواعيهـا ، وهي الشهوات واللذات . اهـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

ومن وصايا بوذا :

(ا) لا تقتل أحدا ؛ ولا تقض على حياة حي .

(ب) لا تأخذ مالاً لا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تغضب .

(جـ) لا تكذب ، ولا تقل قولاً غير صحيح .

(د) لا تشرب خمراً ، ولا تتناول مسكراً ما .

(هـ) لا تزن ، ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .

(و) لا ترقص ، ولا تحضر مرقصًا ولا حفل غناء . ا . هـ (مقارنات الأديان - لأبي زهرة) .

ومن الروايات عنه كما نقل ذلك فريد وجدي في دائرة معارفه :

« كما أنه لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير كذلك لا فرق بين روحيهما كل منهما أهل لإدراك الحقيقة والانتفاع بها في تخليص نفسه ... » .

« ومما يريك مذهب البوذية في صورته الحقيقية ما حدث من المحاورة بينه وبين أحد تلامذته ، وكان ذلك التلميذ أراد التحول إلى قبيلة « سرونا بارنتا » للمكث بين ظهرانيهم ودعوتهم للبوذية ، فعلم البوذة أن تلك القبيلة المشهورة بالشراسة وسوء الجوار لا يلينها إلا الثابت الضليع فأراد أن يحول تلميذه عن عزمه ، فقال له :

إن رجال قبيلة « سرونا بارانتا » الذين تود أن تسكن بين ظهرانيهم متحمسون قساة سريعو الغضب ، وأهل حمية وجحود ، فإذا اتفق يابورنا ووجه إليك أولئك الناس ألفاظًا بذيئة خشنة وقحة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت قائلاً ؟

فأجابه : أقول لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجموني بالأحجار .

فقال البوذة : وإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالأحجار فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف .

فقال البوذة : وإن ضربوك بالعصي والسيوف فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائيًا .

فقال البوذة : وإن حرموك الحياة فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبير ألم .

فقال له البوذة عند ذلك : أحسنت يابورنا إنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة سرونا باراتنا فاذهب إليهم يابورنا ! وكما تخلصت فخلصهم وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك . وكما تعزيت فعزهم معك وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب بورنا إليهم وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذة واتبعوا مذهبه » . اهـ وجدي .

أقول : وقد خالط الديانة البوذية ماخالطها ولكن الشذرات التي نقلناها توحي بأن لهذه التعاليم صلة برسالة سماوية .

٣ - الديانة الزرادشتية

يرجح « أبو الكلام أزاد » في كتابه عن « ذي القرنين » أن زرادشت قد عاصر ذا القرنين الذي يرجح أنه (قورش) الفاتح الفارسي المشهور ، وأن قورش كان على ديانة زرادشت ، وعلى هذا فإن ظهور زرادشت يكون في القرن السادس قبل الميلاد ، ويفرق أبو الكلام أزاد بين الزرادشتية والمجوسية فالمجوسية أقدم من الزرادشتية ، وقد جاء زرادشت ليخرج الناس من ضلالها ، ولكنها في النهاية امتزجت مع الديانة الزرادشتية وأفسدتها ، ويذكر أبو الكلام أزاد أن أساس الدين الزرادشتي :

« صدق النية وصدق القول وصدق العمل » وذلك يتفق مع الوحي الذي أنزله الله على

رسولنا عليه الصلاة والسلام ومما يذكره أبو الكلام أزاد عن الدين الزرادشتي : الإيمان باليوم الآخر ، ويذكر أبو الكلام شهادة المؤرخين على بعد الزرادشتية عن الوثنية ، ويؤكد أبو الكلام أن الزرادشتية لا تقول بألوهية اثنين بل تقول بألوهية الله وتحارب الشيطان أما الثنوية فطرأت طروءاً بعد ذلك على الديانة الفارسية .

وقد نقل أبو الكلام بعض الكتابات المنحوتة في الصخر والتي لا زالت موجودة حتى الآن والتي سجلها دارايوش خليفة قورش وابن عمه والذي يعتقد أنه كان على دين زرادشت الصحيح مانصه :

« إن الإله العلي ، أهورامزدا ، هو الذي خلق الأرض ، ورفع السماء ، وفتح سبل السعادة على البشر ، وهو الذي أقام دارايوش وحده حاكمًا على الكثيرين ، وجعله واضع الشرائع لهم » .

ويقول في كتابة أخرى : « يعلن دارايوش للناس قاطبة بأن أهورا مزدا ، قد وهبني الملك بفضله ورحمته ، وقد نجحت بتوفيقه تعالى في تدعيم الأمن والسلام في الأرض ، وإني أبتهل إلى أهورامزدا إلهي ، أن يرعاني أنا ، وأسرتي ، وجميع البلاد التي جعلني حاكماً عليها . يارب ، أهورامزدا ، اسمع دعائي واستجبه ! » .

الدعوة إلى الصراط المستقيم :

وكذلك يقول الملك :

« يأيها الإنسان ، أمرك أهورامزدا ألا تخوض قط في الشر ، ولا تحيد عن الصراط المستقيم أبداً ، واحذر الإثم في جميع الأحوال » . ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ويدلل أبو الكلام على أن أصول الزرادشتية سماوية : أن المسلمين عاملوا المجوس معاملة أهل الكتاب باستثناء الزواج منهم وأكل ذبائحهم .

٤ـ الديانات الصينية

لا تزال في الصين ديانتان رئيسيتان هما الكونفوشيوسية والطاوية والكونفوشوسية نسبة إلى كونفوشيوس ، والطاوية ؛ نسبة إلى لوتس الذي أدركه كونفوشيوس في أخريات حياته ولا نستطيع الجزم بشيء حول الرجلين هل هما تابعان لرسالة سابقة أو لهما دور آخر ، ولكن الثابت أن كثيراً مما روي عن كونفوشيوس يتفق مع معان إسلامية فهل كان ذلك أثراً عن دين سماوي استفاد منه كونفوشيوس أو كان هو له وضع ما ؟ لا نستطيع الجزم بشيء ، والمعروف من سيرته تجواله لنشر دعوته والتزامه بالعبادة وتمسكه بالعدل والفضيلة ... وقد دون تلاميذه آراءه ولا ندري هل السند متصل أو لا ، أو كانت هذه كل آرائه ، وهل كان النقل دقيقاً وقد ترجم أهم الكتب التي تدون آراءه تحت اسم الحوار إلى اللغة العربية ، ترجمه محمد مكين ، والمعروف أن كونفوشيوس لخص كثيراً من الكتب السابقة عليه التي تمثل معارف الصين ، ومما نسب إلى كونفوشيوس :

« انصرفت إلى طلب العلم ، وأنا في الخامسة عشرة من سني ، وفي الثلاثين التزمت جادة الفضيلة ، وفي الأربعين لم يكن في نفسي أي ريب في حقائق الأشياء وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين ، وأصغت أذني إلى كل الحق عارفاً فاهمًا له وأنا في الستين ، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا في السبعين » .

« السياسة هي الإصلاح فإن جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيتك ، فمن الذي يجترئ على الفساد » ؟ .

« إن أخلاق الرؤساء كالريح ، وأخلاق المرءوسين كالعشب ، وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب » .

« من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ؛ ومن يولع بطلبه دون من يطمئن إليه دائماً » فالمراتب عنده ثلاث :

(١) معرفة للحق مجردة (٢) وشوق إلى الحق ومحبة له (٣) وعمل به وارتياح النفس إلى العمل به ، مهما يكتنفها في العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس بالنسبة للمعرفة

إلى أربع درجات : الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة ، وأوتي الإلهام ، وهي أعلى الدرجات ، والثانية درجة رجل لم يؤت إلهاما ولكن فيه ذكاء ؛ فتعلم ووصل إلى أقصى مايتعلمه من لم يؤت إلهامًا ، والدرجة الثالثة درجة الرجل الذي لم يؤت ذكاء ، بل فيه غباء ، يطلب المعرفة ، وينال منها بمقدار طاقته ، والدرجة الدنيا وهي الدرك الأسفل . رجل حائر بائر فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفة » .

« الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ؛ والرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ، والرجل الكامل الخلق يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ، والرجل النَاقص يفكر في كسب المنافع ... والرجل الكامل الخلق واقف على البر ، والرجل الناقص الخلق واقف على الربح ».

« الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى في الفاقة أو الثروة طويلاً ، أما ذو الفضيلة فهو مستريح في فضيلته ، حريص عليها » .

« ذو الفضيلة يستبشر بالماء الجاري ؛ وذو الفضيلة يستبشر بالجبل الراسي ؛ وذو الفضيلة نشيط ، ورزين ، ومعمر . فالفضيلة عنده روضة فيها الراح والريحان ، والسر والاطمئنان ، أما ذو الرذيلة فهو في شقاء وبلبال مستمر ؛ وينزل عليه غضب السماء جزاء ماقدمت يداه واقترفت نفسه ؛ ولذا يقول : « يولد الإنسان مستقيما فمن فقد الاستقامة واستمر حيا ؛ فنجاته من الموت من حسن حظه » .

« انظر إلى أعمال الناس ، ولاحظ بواعثها ، وراقب ما إليه يستريحون فأين يخفي الناس سرائرهم ! ! أين يخفي الناس سرائرهم !! .. » .

ولقد قال أحد تلاميذه : « أراقب نفسي وأسائلها كل يوم هل خانت عندما تولت شئون الناس ؟ هل كذبت عندما عاملت ؟ هل كانت غافلة عن العمل بما تلقته من العلوم ؟ » .

« إذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السليمة وهو يأبى الملبس الخَلِق ، والمطعم الجَشِب فهو غير خليق بأن يُحاضَرَ » .

« ... ثمرة الآداب حسن العشرة ، وإنما تستحسن سنة السلف الصالح لاشتمالها على هذه

الصفـة التي تراعى في جميع الشئون صغيرهـا وكبيرهـا ، ولكن لو روعي حسن المعـاشرة من غير أن يضبط بالفضيلة ما استقامت الأمور » .

« الرجل الفاضل لا يتحيز ، والرجل الفاضل لا يتعصب » .

« واجبُ الـولـد البرِّ بـأبـويـه إذا كان داخـلَ المنزل ، والاحترامُ لـذوي الأسنـان إذا كان خارجه ، والصدق في أقواله ، والرحمة بالناس في كل أفعـالـه ، وأن يتقرب إلى الفضلاء وإذا كان لديه فراغ من الوقت زجاه في كتب الأخلاق » .

« من الناس من نستطيع محادثتـه في العلم ، ولا يمكن أن نحملـه على السير معنـا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكـونـوا ذوي قـدم ثـابتـة فيهـا ، منهم من يكـون ذا خلـق قـويم شـديـد التمسـك بـالفطرة والكمـال الإنسـاني ، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشئون » .

« ... يقول في وصف آراء أستاذه وأثرهـا في نفسـه : « إذا رفعتُ إلى آراء الأستـاذ النظرَ رأيتها أعلى مما كنت أعتقد ، وهي ملء نفسي ، وتحيط بي ، وتستغرق كل حسي ، والأستـاذ يرشد الناس بالتـدريج إرشـادًا حسنًـا ، وقـد وسع بـالعلوم مجـال فكري . وضبـط بـالآداب سلوكي ، حتى أني لو رغبت في ترك آرائه ماطاوعتني نفسي » .

« أتظنون أني أخفي عليكم شيئًا ، مامن أمر أعمله إلا فيه إرشـادكم ، وهـذه هي طريقتي في التربية » .

« لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ، فلو لم أعاشر هذه الأمة ، فمن الـذي أعـاشره ؟ لو كانت البلاد تحت سيادة عادلة ماكنت في حاجة إلى محاولة لإعادة نظامها » .

« إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف ، فمن الذي يبقى في المدن يعمرها ، وفي الأرض يفلحها ويزرعها ، وفي الصنائع يمهر فيهـا ، ومن الـذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عـامراً ببني الإنسـان ؟ وإذا كان الاعتزال مقصـوراً على الحكمـاء والفضلاء فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد » .

« إن في الفصل بين المتخاصمين كفيري من النـاس ، ولكن السيـاسـة الحكيمـة أن تهـذب الرعية ، حتى لا تكون مخاصمة » .

« إن الحاكم إذا شغف بالآداب الفاضلة لا يجترئ أحد من رعيتـه على إهـانـة غيره ، وإذا شغف بالصـدق لا يجترئ أحـد على الكـذب ، ومن هـذه حـالـه أقبل عليـه النـاس حـاملين أولادهم على ظهورهم » .

« إن كان سلوك الرئيس مستقيمًـا أطـاعـه المرءوسون من غير أن يـأمرهم ، وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم ... » .

« الرعية إذا قدتها بالأحكام الصارمة والعقوبـات الزاجرة فستحـاول التخلص منهـا وهي غير مستحية من مخالفتها ، وإذا قـدتهـا بـالفضـائل وأصلحتهـا بـالآداب تستحيي من ارتكاب الجرائم وهي صالحة » .

سأله أحد تلاميذه عن ضروريات السياسة فقـال : « من ضروريـات السيـاسـة الأقوات الكافية وذخائر الحرب الواقية ، وثقة الرعية » .

فقال التلميذ « لو اضطررنا إلى حذف واحد من هذه الثلاثة فبـأيهـا نبتـدئ بـالحـذف ؟ قال : « احذفوا ذخائر الحرب » قال : « لو اضطررنا إلى حذف أحـد هـذين الأمرين فـأيهما تحذف ؟ وأيهما تبقي ؟ » .

قال : « احـذفوا الأقوات ، فـإن الموت حـظ الإنسـان منـذ الغـابر من الأزمـان ؛ ولكن السياسة لا تقوم إلا بثقة الرعية » .

سـألـه أحـد تلاميـذه قـائـلاً : كيف يجعـل الحـاكم رعيتـه يجلـونـه ويثقـون بـه مخلصين ويتواصون بالخير فيما بينهم ؟ .

فقال مجيبًا : « إذا قابلهم بالسمت والوقار أجلوه . وإذا كان بارا بوالديه شفيقًا على قومه أخلصوا له ، وإذا رفع الصالحين وأعان العاجزين تواصوا بالخير » .

ولقد سأله أمير مقاطعته قائلاً : « كيف تكتسب طاعة الرعية ؟ » فأجابه بقولـه : « إذا أُعلي الصالحون وأبعـد الطـالحون أطـاعت الرعيـة ، وإذا أُقصي الصـالحون ، وأدني الطـالحون

عصت الرعية ... » .

« ... لو تداولت أيدي الصالحين شئون الدولة لمدة قرن واحد لتهذب الظالمون جميعًا ، ولاستغنى الحاكم عن عقوبة الإعدام ... » .

« آمن بالحق ، وأحب العلم ، واتبع الفطرة ، ولا تقم في مملكة سادتها الفوضى واطلب المنصب إذا كانت البلاد محكومة بسياسة حكيمة ، واعتزل إذا كانت تحت سياسة غاشمة ، فمن العار أن تفتقر وتبتعد ، والبلاد تحت سياسة عادلة ، ومن العار أن تغنى وتعتز والبلاد تحت سياسة غاشمة » .

« لا يكن همك أن تتولى المنصب ، بل ليكن همك مايؤهلك لهذا المنصب ، ولا تهتم بجهل الناس قدرك ، بل اهتم بالفضل الذي تريد أن يعرفوك به » .

« من يخدم الأمراء فليجعل العناية بأداء الواجب في المحل الأول ، وأمر الراتب في المحل الثاني » .

ذكر أحد تلاميذه أن وزيراً من الوزراء تولّى رياسة الوزارة ثلاث مرات ، فلم يظهر على وجهه أمارة الابتهاج في واحدة منها ، واستقال ثلاث مرات ، فلم يبد في واحدة منها على وجهه الاكتئاب بل كان يخبر الوزير الجديد بجميع ماحصل في شئون الدولة في عهده ، فقال كونفوشيوس : « قد كان مخلصًا » .

ناقشته تلاميذه في اعتزاله مناصب الدولة قال لهم : « لماذا يهمكم أن يفقد أستاذكم منصبه !! إن البلاد قد خلت من العدل والاستقامة من زمن بعيد ، وستتخذ السماء أستاذكم ناقوساً لها ... » .

قال فيه أحد تلاميذه : « إن رتبة الأستاذ « كونفوشيوس » لا يمكن أن يصل إليها أحدكما ، إن السماء لا يمكن أن يصعد إليها أحد : لو كان للأستاذ حظ من الإمارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل : إن أقام الرعية قاموا سراعا وإن هداهم سارعوا وإن أراحهم آووا منه إلى ظل وارف وإن عاش عاش جليلاً وإن مات لقيت بموته النفوس حسرات فكيف يمكن أن يصل إلى رتبته غيره !! » اهـ . (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

٥ ـ ديانات مابين الرافدين

لقد بعث نوح عليه السلام في بلاد مابين الرافدين ، وبعث إبراهيم عليه السلام في مدينة أور من بلاد الرافدين ثم هاجر إلى بلاد الشام ، وقد بعث يونس عليه السلام في الموصل من بلاد مابين الرافدين ، ولا زال في بلاد مابين الرافدين أصحاب دين يسمون الصابئة ، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إلى إدريس عليه السلام ، وإدريس كان قبل نوح عليه السلام ولذلك فإنه من المستبعد أن تسلم لهم هذه النسبة ، على أن القرآن ذكر الصابئة القدماء في جملة أهل الأديان السماوية ابتداء ، قال تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [1] .

على أن علماء التفسير مختلفون هل المراد بالصابئة هنا قدماء صابئة أهل العراق ممن كانوا على دين صحيح ، أو المراد بهم كل من ترك الدين الباطل إلى الدين الحق ، ولعله من المفيد استكمالاً لأخذ تصور عام أن نذكر شيئًا عما قدمته الحفريات الأثرية عن رسالة نوح عليه السلام وعن بعض ماقيل في الصابئة كأهل دين :

أ ـ بعض ماتذكره الحفريات عن نوح عليه السلام وقصة الطوفان :

إن كثيرًا من الكتب الدينية السابقة قد تحدثت عن قصة نوح عليه السلام وقصة الطوفان ، كما أن قصة الطوفان ذكرت في كثير من الألواح التي عثر عليها أثناء التنقيب عن الآثار ولا زالت المحاولات حتى يومنا هذا جادة في محاولة العثور على بقايا سفينة نوح على جبل أرارات .

ولكن الألواح التي تحدثت عن الطوفان كتبت بعد آلاف السنين من حادثة الطوفان . وقد رأينا أن الحفريات تثبت أن بين ساراجون الملك ونوح عليه السلام قد حكمت بعض الأسر في بلاد الرافدين خمسة وعشرين ألفًا من السنين ، ومع عدم الثقة في دقة ماتقدمه لنا ألواح الحفريات ، فإن هناك قاسمًا مشتركًا بينهما وهو إثبات حادثة الطوفان ، وكنموذج على ذلك ننقل ماكتبه العقاد في كتابه إبراهيم عليه السلام قال :

---

(١) البقرة : ٦٢ .

(وتؤلف قصة الطوفان البابلية من اثني عشر فصلا على حسب البروج : وراوي القصة يسمى (اسدبار) وقد عبر بحر الموت ليصعد إلى السماء ويلقى زستور الذي ارتفع إليها بعد نجاته من الطوفان ، والباقي من ألواح هذه القصة في المتحف البريطاني يحكيها على هذا المثال :

« ابنِ بيتاً واصنع سفينة تحفظ النبات والحيوان ، واخزن البذور واخزن معها بذور الحياة من كل نوع تحمله السفينة ، وليكن طولها ستمائة قدم في ستين عرضا .. وتدخل السفينة وتحكم إغلاقها ، وتضع في وسطها الحبوب والمتاع والأزواد والخدم والجند ، وتضع فيها كذلك أجناس الوحش لتحفظ ذريتها .. .

... وقال الله ليلا : إني سأرسل السماء مدرارا ، فادخل إلى جوف السفينة ، وأغلق عليك بابها . وتغطى وجه الأرض وهلك كل ماعليه من الأحياء ، وفار الماء حتى بلغ السماء ، ولم ينتظر أخ أخاه ولم يعرف جار جاره . ستة أيام وست ليال ، والريح تعصف والأنواء تطغى ، ثم كان اليوم السابع فانقطع المطر وسكنت العاصفة التي ماجت كموج الزلزال . سكنت العاصفة وانحسر البحر وانتهى الطوفان ، وعج البحر بعد ذلك عجيجة ، واستحال الناس طينا وطفت أجسادهم على وجه الماء .

ثم استوت السفينة على جبل نيزار .. وأرسلت أنا الحمامة فذهبت وعادت ولم تجد من مقر تهبط عليه ، فأرسلت عصفور السمانة فعاد وماهبط على مكان ، وأرسلت الغراب فراح ينهش الجثث الطافية ولم يرجع ، ثم أطلقت الحيوانات في الجهات الأربع وبنيت على رأس الجبل مذبحا فقربت لديه قربانا وفرقته في آنية سبعة وفرشت حوله الريحان .. » .

وقد علم المنقبون أن هذه القصة منسوخة من مصدر قديم أقدم منها ، فهذه الألواح لا يقل تاريخها عن ألفين وخمسمائة سنة ، والمصدر الذي نقلت منه يرجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد .

وعلم المنقبون في جميع آثار الأرض التي كشفت في العالم القديم أو العالم الجديد أن قصة الطوفان عامة لا تنفرد بها الآثار البابلية ، ولا يقل تاريخها في القدم عن تاريخه) اهـ . العقاد (إبراهيم أبو الأنبياء) .

ب ـ الصابئة :

حاول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة أن يعطينا تصورًا عن صائبة العراق في كتابه : « العقيدة الإسلامية » فقال :

(يقول المؤرخون : إن أمة السريان أقدم الأمم ، وملتهم هي ملة الصابئين ـ نسبة لصابي أحد أولاد شيث ـ ، ويذكر الصابئون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ، وأن لهم كتابًا يعزونه إلى شيث ويسمونه : « صحف شيث » ، ويتضمن هذا الكتاب على مايذكرون الأمر بمحاسن الأخلاق ، والنهي عن الرذائل .

وأصل دينهم التوحيد وعبادة الخالق جل وعلا . وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ، والحض على الزهد في الدنيا ، والعمل بالعدل .

قالوا : وللصابئين عبادات منها : سبع صلوات في اليوم والليلة : خمس صلوات منهنَّ توافق صلوات المسلمين ، والسادسة صلاة الضحى ، والسابعة صلاة يكون وقتها في الساعة السادسة من الليل . وصلاتهم تشبه صلاة المسلمين من حيث النية وعدم خلطها بشيء من غيرها .

ولهم صلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود .

وعندهم صيام شهر قمري من السنة ، ويصومون من ربع الليل الأخير حتى غروب قرص الشمس .

ويعظمون بيت مكة .

قال ابن حزم : والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر ، وقد كان الغالبَ على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث) ا . هـ (العقيدة الإسلامية) .

وقد تحدث العقاد في كتابه : « إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام » عن الصابئة ، وكان من كلامه :

تدين بعقائد الصابئة ملة يبلغ عدد أبنائها ستة آلاف بين رجل وامرأة وطفل ، ولا يجاوز بها المبالغ في عددها عشرة آلاف .

وهي على قلة عددها تستقل بلغة « مقدسة » خاصة ، [عندهم] ولها كتابة أبجدية خاصة ، وأحكام دينية في معيشتها لا تشبه في جملتها دينًا واحداً ولكنها تشبه في بعض

أجزائها كل دين .

ومن ثم كان لها شأنها في الدراسات الدينية .

ففيها ولا شك عقائد سابقة لجميع الأديان الكتابية ، وعقائد سابقة لدين الخليل . بل فيها ـ على رأي بعض الباحثين ـ بقية من الديانتين المختلفتين في عصر الخليل ، لأن الصابئة يدينون بمذاهب مختلفة يرد بعضها على بعض ، ولا سيما مذاهب الكواكب والأصنام ، مما تواترت الأخبار بالاختلاف عليه بين قوم إبراهيم ومَن حاربوهم واضطروهم إلى الهجرة من بلادهم .. .

ويقول رايت Wright صاحب كتاب المطالعة العربية إن حروفهم الأبجدية تشبه الحروف النبطية ، وإن لغتهم تشبه لغة التلمود الذي كتب في بابل ، ويقولون هم إن لغتهم الأولى سريانية وإنهم كانوا بمصر على عهد الفراعنة الأول وتلقوا ديانتهم الأولى عن أحبارهم ثم هجروها حين تحول أهلها عن الدين القويم .

والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم ، لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، لم ينشأ في عصر حديث ولهذا يفهم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتابتهم يؤدي إلى جلاء الغوامض عن كثير من تاريخ الكلدان في الزمن الذي قام فيه الخليل بدعوته ، ويؤكد هذا الفهم أن هؤلاء الصابئة يقيمون في الأقاليم الجنوبية من العراق حيث أقام الخليل في رواية العهد القديم ، ومنهم فئة تحج إلى حاران التي هاجر إليها ، وينسب إليها الصابئة الحرانيون . .

ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر .. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والأورفيين أصحاب النحل السرية ، كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين ، أو كما يشبهون الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات .

وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع .

فمن مشابهتهم للبراهمة أنهم يتحرجون من ملامسة غيرهم ، ويتطهرون إذا لمسوا غريبًا في

حالة من حالات العبادة .

ومن مشابهتهم لأصحاب العقائد الأورفية - أو السرية - أنهم يكتمون كتبهم أشد الكتمان ، ولا يباشرون شعائرهم مع الغرباء ، ويتقاسمون الخبز المقدس علامة على الأخوة الروحية ، ويعتقدون أن الكون كونان وأن الخلق خلقان . فالكون الظاهر غير الكون الباطن ، ولكل مخلوق في العلانية صورة محجوبة في عالم الغيب .. حتى آدم وبنوه منهم أهل ظاهر وأهل باطن لا يراهم من يعيشون في العلانية .

ومن مشابهتهم للمجوس أنهم يتوجهون إلى قطب الشمال وإلى الكواكب عامة ، ولكنهم لا يعبدونها ، بل يحسبونها من مظاهر الروحانيات التي لا تبرز للعيان . .

ومن مشابهتهم للمسيحيين أنهم يدينون بالعماد ، ويبجلون يوحنا المعمدان أو يحي المغتسل . ولكن التعميد أعم عندهم من التعميد في المسيحية ، وينـدر منهم من يسكن بعيدا من الأنهار لحاجتهم كل يوم إلى العماد ، وإلى التطهر بالماء .

ومن مشابهتهم للمسلمين أنهم يقيمون الصلاة مرات في اليوم ، ويقولون إنها فرضت عليهم سبعًا ثم أسقطها يوحنا عنهم وأدخل بعضها في بعض واكتفى منها بثلاث ، ولكنهم لا يسجدون في صلاتهم بل يكتفون بالقيام والركوع ، وهم يتوضأون قبل الصلاة ويغتسلون من الجنابة ويعرفون نواقض الوضوء ولكنهم يغالون فيها .

وعندهم ذبائح كذبائح اليهود ، ويوم في ختام السنة كيوم اليهود . ولكنهم يحرمون الختان ولا يبنون لهم هيكلاً قائمًا ، بل يبنون الهيكل من القصب كما تبنى الخيام ، موقوتاً عند الحاجة إليه في الأعياد . فكأنها بقية أو أصل لعيد الظلال وللهيكل المنقول .

ومنهم مَن يحرم الطعام الذي حرمه أتباع فيثاغورس كالبصل ، ويضيفون إليه أنواعًا من الخضر كالكرنب ولحوم الحيوان ذي الذنب ، لأنهم يستوحون الغيب في الرؤيا ، وهذه الأطعمة تمنع الرؤيا الصادقة .

والمشهور عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة ، ويعتقدون أنها من بناء هرمس أو إدريس عليه السلام ، وأنها بيت زحل أعلى الكواكب السيارة ، وينقل عنهم عارفوهم أنهم قرأوا صفة محمد عليه السلام في كتبهم ، ويسمونه عندهم ملك العرب ، لأن الشائع فيهم أنهم

لا يؤمنون بالأنبياء إلا فرقة واحدة تذكر شيثًا وإدريس وإبراهيم ويحيى المغتسل ، ويحسبونهم تارة من الأنبياء وتارة من عباد الله الخلص الذين وصلوا بالرياضة والعبادة إلى مقام الزلفى والإلهام .

وقد كان الباحثون يعجبون لتنويه القرآن الكريم بهذه الملة مع قلة عددها وخفاء أمرها ، ولكن الدراسات الحديثة بينت للباحثين العصريين شأن هذه الملة في دراسات الأديان كافة ، فعادوا يبحثون عن عقائدها الآن وعقائدها في عصر الدعوة الإسلامية ، وثبت لهم أنها تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتؤمن بالحساب والعقاب ، وأن الأبرار يذهبون بعد الموت إلى عالم النور « آلمي دنهورو » وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام « آلمي دهشوخا » ويلبثون فيه زمنًا على حسب ذنوبهم ، ثم ينقلون منه إلى عالم النور ..

ولهم كتاب يسمونه (كنزة) ولعله من مادة الكنز التي تفيد معنى النفاسة والكتمان ، لأنهم يقدسونه ويخفونه فلا يطلعون أحدا على أسراره . .

إلا أن المتفق عليه أن اللغة التي كتب بها كتاب الكنزة وغيره من الكتب المقدسة عندهم هي لغة سامية الأصل قريبة من السريانية ، وتكفي نظرة في مصطلحاتهم للجزم بهذه الصلة الوثيقة بين لغتهم واللغة العربية الحديثة فضلاً عن القديمة المهجورة .

ولم يتيسر حتى اليوم كشف الستار عن بواطن معتقداتهم وشعائرهم ، لأنهم يصطنعون التقية ويوجبونها ، ومن ذاك أنهم يحرمون الصيام باطنًا كما اشتهر عنهم ، ولكنهم يصومون جهراً ، ويروي ابن النديم في الفهرست أنهم يصومون ثلاثين يوماً مفرقة على أشهر السنة ، وقد يتنفلون بصيام أيام النسيء الخمسة ، ويروي عنهم أيضا أنهم يصومون خمسة أسابيع يأكلون فيها الطعام نهارا وليلا ويجتنبون أكل اللحوم المباحة لهم وهي غير ذات الذنب ، ويقال إن الصيام بنوعيه قديم عندهم يرجع إلى أيام البابليين . ا هـ . (إبراهيم أبو الأنبياء) .

وبعد :

لقد ذكرنا هذا الوصل ليكون القارئ على بصيرة في فهم موضوع الرسالة ، فلقد غلب على بعض الناس فهمٌ أن الرسالات لم تكن إلا في منطقتنا من هذا العالم ، وهذا غلط ، كما أن هناك ناسًا قد يسارعون في نسبة النبوة والرسالة إلى أحد دون تحقيق ودون عرض على

النصوص ، كما أن هناك ناسًا يغالطون ويغلطون فيذكرون أن عقيدة التوحيد كانت نتيجة تطور ، وهم بذلك ينفون رسالات الله إلى الأمم ، وينسون أن أول رسول هو آدم عليه الصلاة والسلام ، فالتوحيد هو الأصل دائمًا ثم يحدث الانحراف .

ومما يذكر في هذا الوصل وغيره ، ندرك رحمة الله ونعمته على البشرية إذ أرسل محمداً ﷺ بهذا الكتاب ، وبهذا الدين الكامل الذي أخرج الناس جميعًا بما في ذلك بقايا أهل الأديان من الظلمات إلى النور .

قال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا أولئك في ضلال بعيد** ﴾ (١) .

لقد قلنا من قبل : إن الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ ليكسر استمرارية أهل الأديان وغيرهم على الكفر ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة** ﴾ (٢) .

ومع هذا الإرسال وقيام الحجة به بهذا القرآن الخالد المعجز فإن الكثيرين لازالوا مستمرين على ما ورثوه من كفر وضلال ، ولذلك حكمته .

ومن حكمته : أن الله عز وجل خلق النار وخلق لها أهلها ، وقال تعالى : ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ (٣) .

ومن حكمته : أن يزداد أهل الإيمان يقينًا عندما يقارنون ويدرسون ويكتشفون أن حقائق القرآن هي التي ترجع الناس إلى فطرهم وحقائق أديانهم قبل التحريف والتبديل .

ولكن إذا كان في استمرارية أهل الكفر على كفرهم حِكَم فهذا شيء ، وأن نقوم بحق الله في الدعوة إلى دينه الحق شيء آخر ، فقد أوجب الله عز وجل علينا أن ندعو وأن نبلغ ،

---

(١) إبراهيم : ١ - ٣ .
(٢) البينة : ١ - ٣ .
(٣) السجدة : ١٣ .

وأعلمنا أن أهل الكتاب في شك من أمرهم ولذلك فإن علينا أن ندعوهم ونقيم الحجة عليهم ، والشأن شأنهم أن يختاروا الجنة على النار ، أو النار على الجنة . قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالذي أوحَيْنَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّينا بِهِ إبراهيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المشركِينَ مَاتَدعُوهُم إِليهِ اللهُ يَجتَبي إِليهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيَ إِلَيهِ مَن يُنيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِن بَعدِ مَاجَاءهُمُ العِلمُ بَغيا بينهم وَلَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّك إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمي لَّقُضِيَ بَينَهُم وَإِنَّ الذينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِن بَعدِهِم لَفِي شَكٍّ مِّنهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلكَ فَادعُ واستَقِم كَمَا أُمِرتَ وَلا تَتَّبِع أَهْوَاءهُم وَقُل آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرتُ لأَعدِلَ بَينَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم لَنَا أَعمَالُنَا وَلَكُم أَعمَالُكُم لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَينَكُمُ اللهُ يَجمَعُ بَيْنَنَا وإِلَيهِ المَصيرُ ﴾[1] .

* * *

(١) الشورى : ١٣ ـ ١٥ .

الوصل الثاني
في:
دلائة الأنبياء وكرامات الأولياء
وفيه:
مقدمة ونصوص

المقدمة

إن قلب المؤمن يحتاج إلى تثبيت مستمر ، ولقد قال الله عزّ وجل : ﴿ وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ (١) ، قال الله تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك ﴾ (٢) . وتثبيت فؤاد المؤمن إنما يكون بملازمة الذكر والطاعات ، وبالاجتماع على القرآن والذكر ، والكينونة مع أهل العلم والصدق ، وتلقي الهداية على الأولياء المرشدين ، ورؤية كرامات الأولياء وسيما الصالحين والانتساب لأهل الحق والعدل ، إلى غير ذلك من وسائل جعلها الله أسباباً لتثبيت أفئدة المتقين .

ومن أهم مايصلح به حال الإنسان ويقوم به دين الله أن يوجد الورّاث الكاملون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين اجتمع لهم علم وولاية وإرشاد ، قال الله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً ﴾ (٤) . فهذه الآية تدل على أن الغاية في الهداية هو الولي المرشد ، فإذا ماوجد الوارث الكامل أصبح بالإمكان أن يتخرج على يديه النماذج العليا من البشر وهم الصدّيقون والشهداء والصالحون ، وفي هذا الجو توجد الكرامات والمعونات وتوجد الأجواء الإسلامية الصافية ، ومن هٰهنا كان من أهم مايحرص عليه المسلم أن يكون وارثًا نبويًّا كاملا ، بأن يكون عالمًا وليًّا مرشدًا ، ومن أهم مايحرص عليه المسلم أن يتتلمذ على أمثال هؤلاء ، وأن يعيش في أجوائهم وأن يحبهم هو وإخوانهم في الله ، وقد حسّن الهيثمي الحديث الذي يقول : « كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًّا ولا تكن الخامسة فتهلك : أن تبغض العلم وأهله » (٥) .

إن النبوة قد انقطعت وإنما يصلح حال البشر بوجود ورّاث الأنبياء وكرامات الأولياء ، فبذلك تستمر أحوال الأنبياء ظاهرة في الأمة ، وعن ذلك ينبثق كل خير ، وبقدر مايتولى ورّاث الأنبياء قيادة الأمة وريادتها وتلقين الناس آيات الله وتفهيمهم إياها ، وتلقينهم

---

(١) الفرقان : ٣٢ .
(٢) هود : ١٢٠ .
(٣) آل عمران : ٧٩ .
(٤) الكهف : ١٧ .
(٥) مجمع الزوائد (١ / ١٢٢) .

الحكمة ، لأنفس الناس وتعليم الناس الفقهين الكبير والأكبر فإن الأمر يكون مستقيمًا .

أما إذا آل أمر الدعوة والتعليم والإرشاد إلى من ليس له في الوراثة الكاملة قَدَمٌ فإنّ أمر الإسلام ينقص بقدر نقصان مقام الوراثة ، والوراثة الكاملة كما قلنا علم وولاية وإرشاد .

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن تجدد أمر الإسلام في حياتها وفي أنفسها وعلى كل مستوى ، ومن تجديد أمر الإسلام أن نجدد حياة وحيوية كثير من المعاني التي ذكرها القرآن ، ومفتاح ذلك كله هو وجود الوارث الكامل . فكما حدثنا القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعن معجزاتهم فقد حدثنا عن الصفوة المختارة من أتباعهم ، فحدثنا عن الرّبّانيين وعن الرِّبِّيين وعن الحواريِّين والسابقين ، وعن أهل اليمين وعن الصديقين والشهداء والصالحين ، وعن الأولياء المرشدين وعن الأولياء عامة ، وعن المؤمنين والمتقين والمحسنين والشاكرين ، كما حدثنا عن كرامات تجري لهؤلاء أو على أيديهم ، وبالكلام عن هؤلاء تستكمل الصورة المضيئة الوضيئة للحياة البشرية ولحياة القدوة والصفوة .

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وماستكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ (١) .

﴿ ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرُسُون ﴾ (٢) .

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (٣) .

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ (٤) .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٢) آل عمران : ٧٩.

(٣) المائدة : ٤٤ .

(٤) النساء : ٦٩ .

﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ (١) .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ (٢) .

﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ﴾ (٣) .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (٤).

﴿ إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ماآتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل مايهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (٥) .

﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴾ (٦) .

﴿ فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ (٧) .

﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (٨) .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ (٩) .

إن من علامات الإسلام وحيويته أن يوجد أمثال هؤلاء الذين ذكرتهم هذه الآيات ، وكما قلنا من قبل فإن مفتاح وجودهم هو الوارث الكامل الذي اجتمع له علم وولاية وإرشاد ، فعلم بلا ولاية ولا إرشاد لا يفترق فيه صاحبه كثيراً عن علماء القانون وهواة الدارسين إلا إذا صحت نيته فإنه مأجور ، وعلم وإرشاد بلا ولاية مفيد ولكن لا تحيا به القلوب ، وإرشاد بلا علم وولاية ضلال وتضليل ، وولاية وعلم بلا إرشاد ولاية قاصرة إن كان

(١) الحديد : ١٩ .
(٢) العنكبوت : ٩ .
(٣) الكهف : ١٧ .
(٤) يونس : ٦٢ ، ٦٣ .
(٥) الذاريات : ١٥ ـ ١٩ .
(٦) الواقعة : ١٠ ـ ١٢ .
(٧) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .
(٨) المؤمنون : ٥٧ ـ ٦١ .
(٩) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

لصاحبها عذر في ترك الإرشاد ، وإلا فلا ولاية في هذه الحالة .

ومقامُ الولاية مقامٌ ذكره القرآن وذكرته السنة ولعله من المناسب أن نقف وقفة نتحدث فيها عن الأولياء ـ نفعنا الله بهم ـ وكراماتهم ، والأولياء هم الذين تحققوا بسلامة اعتقاد وحسن عمل على ضوء علم صحيح واتباع صحيح .

وفي الحديث الذي رواه البخاري (١) : « مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ ، وماتَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليه ، ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بهِ وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها ، ولَئِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ » . فالذي يقوم بالفرائض الظاهرة والباطنة ويكثر من النوافل هو مظنة استجابة الدعاء وتلبية الحاجات ومَظِنَّة أن يعاقب مؤذيه في الدنيا والآخرة ، وهو مظنة تنزل الرحمات عليه وعلى من يحيط به قال تعالى : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (٢) ، ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي** ﴾ (٣) ، وهم مكرمون بالبشارات ومؤيدون بالرؤى المبشرات ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ (٤) .

روى الطبراني ، عن حذيفة بن أَسِيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي إلا المبشرات : الرؤيا الصالحة يراها الرَّجُل أو ترى له » (٥) .

وفي رواية لابن ماجه (٦) : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » .

وليس كل من ظهرت على يده خوارق العادة أو استجيب دعاؤه وليًّا ، فقد يستجيب

---

(١) البخاري (١١ / ٣٤٠) ـ ٨١ ـ كتاب الرقاق ـ ٣٨ ـ باب التواضع .

(٢) الأعراف : ٥٦ . (٣) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) يونس : ٦٢ ـ ٦٤ .

(٥) المعجم الكبير (٣ / ١٧٩) . وهو حديث حسن .

مجمع الزوائد (٧ / ١٧٣) . وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني ثقات .

(٦) ابن ماجه (٢ / ١٢٨٣) ـ ٣٥ ـ كتاب تعبير الرؤيا ـ ١ ـ باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

وهو عنده عن أم كُرْز .

الله لكافر أو فاسق : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [١] ، ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ [٢] ، وإنما نصف بالكرامة من اجتمع له صلاح واستقامة ، فعندئذ إذا ظهرت على يده خارقة أو حدث توفيق خاص أو استجيب دعاؤه فذلك في حقه كرامة ، فوصف الكرامة يتحقق إذا اجتمع بصاحبها صفات معينة ولذلك قالوا في تعريفها : (الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح يلتزم بمتابعة النبي ﷺ مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح) .

والمعونة عندهم صفة لتوفيق إلهي أو تفريج كرب أو خرق لعادة إذا ظهرت على يد عبد مستور الحال ، فإذا ما ظهرت الخارقة على يد فاسق أو كافر فهي استدراج ، فالعبرة للموصوف في إعطاء الصفة للخارقة . وقد حدث لبس في موضوع الولاية ، فإذا ظهرت خارقة على يد إنسان فهناك من يعطيه صفة الولاية ، ويرتب عليها عصمة وطاعة ومتابعة بصرف النظر عن الالتزام الشرعي أو العلم بالشريعة ، ولذلك نجد كثيراً من الناس طمحت أبصارهم ليُعْرَفوا بالولاية فيكون لهم احترام وتصدر جاه واتباع ، فالتبس الأمر على العامة ، مع أنه في الأصل قد يكون الإنسان وليًّا وليس كاملاً من كل الجهات ، وقد يكون وليًّا ولكن لا يُتجاوز به مقامه في العلم والمتابعة ، ألا ترى إلى مالكٍ رحمه الله يقول : « إن من شيوخي من أستسقي الله به ولا أقبل حديثه » .

وقال ابن عطاء : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه .

فالولاية ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ولكن من هو الولي ؟ .

إنه الذي يتولى الله في العبادة والطاعة من غير تخلل معصية ، مع جوازها عليه ، ويتولاه الله بالرعاية والعناية ، فهو عارف بالله وصفاته ، مواظب على الطاعات مجتنب للمعاصي ، غير منهمك باللذات والشهوات المباحة ، وإذا ارتكب معصية أو حدثت له غفلة أحدث توبة .

والكرامة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ، فهذا القرآن يذكر لنا عن مريم عليها السلام :

---

(١) النمل : ٦٢ .　　(٢) الإسراء : ٦٧ .

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ (١) .

ويذكر قصة صاحب سليمانَ إذ أتى بعرش بلقيسَ قبل أن يرتد طرف سليمانَ إليه ، ويذكر قصة أصحاب الكهف ونومتهم الطويلة وبقاء حياتهم بلا طعام ولا شراب ، وهذه السنة الثابتة تذكر حادثة عمر مع سارية ، وإضاءة العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ، ومارزق الله خبيباً من الرزق وهو أسير بمكة ، ولكن لا نصف أحدًا بالكرامة إلا إذا كان مَظْهَرًا للاستقامة .

ومع وجود الكرامة والولاية فلا يُتَجَاوَزُ بالولي مقامه ومؤهلاته ، فإن كان أهلاً للإمامة قُدِّمَ ، وإن كان أهلاً للعلم أُخِذَ منه ، ومايظهر منه أو له يوزن بميزان الشريعة . فالشريعة معصومة ، ومَنْ سوى الأنبياء فليس بمعصوم : **﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾** (٢) .

لقد كان للخَضِر مقامه العظيم في الولاية على رأي من يقول بولايته ، ولكن الإمامة والرسالة كانت لموسى عليه الصلاة والسلام ، فهو الذي طولب تومُه باتباعه والتلقي عنه والأخذ منه ، وهذا شيء ، وأن نُقَدِّم لمن عرفناه بالولاية أو من هو مظنتها الاحترام والأدب والتوقير شيء آخر ، فأدبنا مع أمثال هؤلاء مؤكد واحترامنا لهم مطلوب ، والمسلم الحكيم يضع كل شيء في محله .

وإذا فمما نعرف به الولي : استقامته وظهور الكرامة على يده ، وشيء آخر هو حب أهل الصلاح له وثناؤهم عليه .

ولنعد إلى مابدأنا به هذا الوصل : فالمطلوب هو الوارث الكامل ، الذي من صفاته الولاية ، ومن صفاته الأخرى العلم والإرشاد ، والقيام بمهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبذلك تستقيم الحياة البشرية .

---

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) الجاثية : ١٨ .

النصوص

٨٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الرحمٰنِ بن أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : إنَّ أصحابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فُقَراءَ ، وإنَّ النبيَّ ﷺ قال مرَّة : « مَنْ كَانَ عنده طعامُ اثنين فليَذْهَبْ بثَالثٍ ، وَمَنْ كَان عِنْدهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ ، فَلْيَذهَبْ بخَامِسٍ ، بسَادِسٍ » - أَوْ كَمَا قَالَ - وإنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بثَلاثَةٍ ، وانطلَق النبيُّ ﷺ بعَشْرَةٍ ، قال : فَهُوَ أنا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلا أدري هَلْ قَالَ : وامْرَأَتي - وخادم [بين] بيتنا وَبيتِ أَبي بَكْرٍ ، وَإنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، ثُمَّ لَبِثَ حتى صَلَّى العشَاءَ ، ثُمَّ رجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ - وفي روَايةٍ : حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - فَجَاءَ بَعْدَ مَامَضى منَ الليلِ ماشَاءَ اللهُ ، قَالَت لَهُ امْرأَتُهُ : ماحَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ - أو قالت : ضَيفِكَ - ؟ فقال أَوَ مَاعَشَّيْتيهم ؟ قَالَتْ : أَبَوْا حَتَّى تَجيءَ ، وقَدْ عَرَضُوا عَلَيهم [فَغَلَبُوهُم] . قَالَ : فَذَهَبْتُ أنا فاخْتَبأْتُ ، فقَالَ : يَاغُنْثَر . فَجَدَّعَ وسَبَّ ، وَقَالَ : كُلُوا ، لا هَنِيئًا . وَقَال : والله لا أطعمُهُ أَبَدًا . قَالَ : وايمُ اللهِ ، ماكُنَّا نأخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا ، حَتَّى شَبِعُوا ، وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذلك ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَإِذَا هِي كَمَا هِيَ ، أَوْ أَكْثَرُ ، فَقَال لامْرَأَتِهِ : ياأُخْتَ بني فِراس ، مَاهَذا ؟ قَالَتْ : لا ، وقُرَّةِ عَيْنِي ، لهِي الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِك بثَلاثِ مَرَّاتٍ . فأكل منهَا أبو بَكْرٍ وَقَال : إنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشَّيطَانِ - يعْنِي يَمينَهُ - . ثُم أكَل مِنْهَا لُقْمَةً ، ثُمَّ حَمَلَهَا إلى النبيِّ ﷺ ، فأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ . قَالَ : وَكَانَ بَيْنَنَا وَبيْنَ قَوْم عَهْدٌ ، فَمَضَى الأجَل فَتَفَرَّقْنَا اثْني عَشَر رَجُلاً ، مَعَ كُلِّ رجلٍ مِنْهُم أُنَاسٌ - واللهُ أعلم كَم مع كلِّ رَجُل ؟ - فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ . أَوْ كَمَا قَالَ .

---

٨٤٨ - البخاري (٢ / ٧٥) - ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ٤١ - باب السمر مع الضيف .

مسلم (٣ / ١٦٢٧ ، ١٦٢٨) - ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(غُنْثَر) : روي بضم الغين وفتحها ، وهو من الغثارة ، وهي الجهل .

وقيل : هو من الغَنْثَرة ، وهي شرب الماء من غير عطش ، وذلك من الحمق ، وقيل : « غنثر » كلمة يقولها الغَضِبُ إذا ضاق صدره من شيء جرى على غير ما أراده ، قال بعض أهل اللغة : أحسبه الثقيل الوخم .

وقد ذكر الزمخشري : إنها رويت بالعين المهملة مفتوحة والتاء المعجمة بنقطتين ؛ وهو الذباب الأزرق ، شبهه به تحقيرًا له ، ويجوز أن يكون شبّهه به لكثرة أذه » .

(فجدّع) : المجادعة : المخاصمة .

(ربا) : الشيء يربو : إذا زاد وارتفع .

وفي رواية (١) قال : جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بضَيْفٍ لَهُ - أو أضياف له - فَأَمْسَى عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، فَلَمَّا جَاءَ ، قَالَتْ لَهُ أُمِّي : احتُبِسْتَ عَنْ ضَيفك - أوْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ . فَقَالَ : أما عَشَّيْتِيهِمْ ؟ فَقَالَتْ : عَرَضْنَا عَلَيْه - أَوْ عليهم - فَأَبَوْا . (أو أَبَى) . فغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَبَّ وجَدَّع ، وحَلَفَ لا يَطْعَمُه ، فَاخْتَبَأتُ أنَا فَقَال : يَاغُنْثَر ، فَحَلفتْ المرْأَةُ لا تَطعَمُهُ ، فَحَلَفَ الضَّيفُ - أَوِ الأَضْيَافُ - أَنْ لاَ يَطْعَمَهُ - أَوْ لا يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هذه مِن الشَّيْطَانِ . فَدعا بالطَّعَام فَأَكَلَ وَأَكَلُوا ، فَجَعلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إلا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أكثرَ مِنْها ، فَقَالَ : يَاأُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ ، مَاهَذا ؟ فَقَالَتْ : وقُرَّة عيني إنَّهـا الآن لأكْثر [منها] قَبْلَ أَنْ نأْكُلَ . فأَكَلُوا ، وبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فذكر أنّه أَكَلَ مِنْها .

وَفِي أُخرَى (٢) : أنَّ أَبَا بَكْرٍ تَضَيَّفَ رَهْطًا ، فَقَال لعَبْدِ الرحمٰن : دُونك أَضْيافَك ، فَإِنِي منطَلِقٌ إلَى النبيِّ ﷺ ، فافْرُغْ مِنْ قِراهُم قَبْلَ أن أَجِيءَ . فانْطَلَق عَبْدُ الرحمٰنِ ، فَأَتَاهُم بِما عِنْدَهُ ، فَقَال : اطْعَمُوا . فقَالُوا : أين ربُّ منزلِنَا ؟ قَال : اطعَمُوا . قَالوا : مَانَحْنُ بآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا . قَالَ : اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُم ، فَإِنَّهُ إنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لنَلْقَيَنَّ مِنْه . فَأَبَوْا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عليَّ ، فَلَمَّا جَاء تَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، قَالَ : مَاصَنَعْتُم ؟ فَأَخْبَرُوه ، فقَالَ : يَاعَبْدَ الرحمنِ فسَكَتُّ ، فَقَالَ : يَاغُنْثَر ، أَقْسَمْتُ عَلَيكَ إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لما جِئْتَ . فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ : سَلْ أضْيَافَكَ . فَقَالُوا : صَدَق ، أَتَانَا بِه . فَقَالَ : إنَّمَا انْتَظَرتُمُوني ، واللهِ لا أطعَمُهُ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ الآخرونَ : وَاللهِ لا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : لَمْ أَرَ في الشَّر كاللَّيْلَةِ ، وَيْلَكُم ، مَالكُم لا تَقْبلُون عنَّا قِراكُم ؟ هَاتِ طَعَامَكَ . فَجَاءَ بِه فَوضَعَ يَدَهُ ، فَقَالَ : بسم الله ، الأُولى للشَّيْطَانِ . فَأَكَلَ وَأَكَلُوا .

زادَ في رِوَايةٍ : (٣) فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدا عَلَى النبيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، بَرُّوا وحَنِثْتُ . قَال : وأَخْبرهُ ، فَقَالَ : « بَلْ أَنْتَ أَبَرُّهم وَأَخْيَرُهم » قَالَ : وَلَمْ تَبلغني كَفَّارَةٌ .

---

(١) البخاري (١٠ / ٥٣٥) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٨٨ - باب قول الضيف لصاحبه : والله لا آكل حتى تأكل .

(٢) البخاري (١٠ / ٥٣٤) - ٧٨ - كتاب الأدب - ٨٧ - باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف .
ومسلم (٣ / ١٦٢٩) - ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف .

(٣) مسلم : الموضع السابق .
(بَرَّ) : الرَّجُلُ فهو بارٌّ : إذا صَدَق .
(حَنِثَ) : في اليمين : إذا نقض ما حلف عليه وخالفه .

وفي رِوايَة أَبي دَاوُدَ[١] قَالَ : نَزَلَ بِنَا أَضْيَافٌ لَنَا ، وكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَتَحَدَّثُ عِنْدَ رَسُولَ الله ﷺ ، فقال : لا أَرْجعنَّ إليك حتى تَفْرُغَ من ضِيَافَةِ هٰؤلاء ، وَمِنْ قِراهُم . فأَتَاهُم بِقَراهُم ، فقالوا : لا نَطْعَمُه حتى يأتي أَبُو بكْرٍ . فَجَاءَ فَقَالَ: مَافَعَلَ أَضْيَافكُم ؟ أَفرغْتُم مِنْ قِرَاهُم ؟ قَالُوا : لا . قُلْتُ : قَدْ أَتَيْتُهمْ بِقِراهُم ، فَقَالُوا : لا نَطْعَمُهُ حتَّى يجيء . فَقَالُوا : صَدَقَ ، قَدْ أَتَانَا بِهِ ، فَأَبَيْنَا حَتَّى تَجيءَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكُم ؟ قَالُوا : مَكَانُكَ . قَالَ : فَوالله لا أَطْعَمُهُ الليْلَةَ . قَالَ : فَقَالُوا : ونَحْنُ ، والله لأَنْطعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : مَارَأَيْتُ فِي الشَّرِّ كالليْلةِ قَطُّ . قَالَ : قَرِّبُوا طَعَامَكُم . قَالَ : فَقَرَّبَ طَعَامَهُم ، ثُمَّ قَالَ : بِسم اللهِ. فطعِم وطعِموا ، فأُخْبِرتُ أَنَّه أَصْبَحَ ، فَغَدا عَلَى النبيِّ ﷺ ، فأَخْبَرَهُ بالذي صَنَعَ وصَنَعُوا ، فَقالَ : « بل أَنْتَ أَبَرُّهُم وَأَصْدَقُهُم » .

زاد في رواية [٢] قال : ولم يَبْلغني كفَّارة .

* * *

(١) أبو داود (٣ / ٢٢٧) - كتاب الأيمان والنذور- باب فين حلف على طعام .

(٢) مسلم (٣ / ١٦٣٠) : الموضع السابق .

الفصل الثامن

في:

القصص النبوي

وفيه:

مقدمة وفقرتان

المقـدمة

مناسبة هذا الفصل للـذي قبلـه واضحـة ، وأمـا منـاسبتـه لبـاب الإيمـان بـالغيب فلأن القصص النبوي يشبه القصص القرآني والله عز وجل قال عن قصـة نوح في القرآن : ﴿ تلـك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمهـا أنت ولا قومـك من قبل هـذا ﴾ (١) ، وقـال تعالى عن قصة الاقتراع على كفالة مريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيـه إليـك ومـا كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ (٢) فـا قصـه الله عز وجل من أنبـاء الأولين هو من فصول الإيمان بالغيب ، وكذلك ما قصَّهُ علينـا رسول الله ﷺ ، وكما أن القصص القرآني تجتمع فيـه الحقيقـة والتربيـة والتثبيت والقـدوة : ﴿ وكُـلا نقص عليـك من أنبـاء الرسـل ما نثبت به فؤادك ﴾ (٣) ، فإن القصص النبوي تجتمع فيه هذه المعاني كلها .

وسنذكر في هذا الفصل فقرتين :

الفقرة الأولى : في الموقف من القصص بإطلاق وما يراد به .

الفقرة الثانية : في القصص النبوي .

---

(١) هود : ٤٩ .

(٢) آل عمران : ٤٤ .

(٣) هود : ١٢٠ .

الفِقْرة الأولى

في :

الموقف من القصص بإطلاق و مّايراد به

وفيـه :

مقدمة ونصوص

المقـدمة

تطلق كلمة القَصَص ويراد بها قَصُّ القصة أي التحديث بها ، وهـذا لا حرج فيـه ، قـال تعـالى : ﴿ **نحن نَقُصُّ عليـك أحسن القصص بمـا أوحينـا إليـك هـذا القرآن** ﴾ [١] وهنـاك خلاف بين الفقهاء حول جواز قراءة القصص المخترع ، فقـد أجـاز فقهـاء الحنفيـة قراءة قصـة عنترة وأشبـاههـا ، وتطلق كلمـة القصص في الاصطلاح الشرعي ويراد بهـا الوعـظ ، وتطلق ويراد بهـا التوجيـه مطلقًـا ، وتطلق ويراد بهـا خطبـة الجمعـة ، وتطلق ويراد بهـا التصـدر للفتوى لأنها تستتبع محادثة وقصة .

ولا شك أن ضبط القصص بالمعاني الأربعـة الأخيرة مطلوب شرعًـا لمـا يترتب عليـه من آثار حسنة أو سيئة ، فقد يعظ الناس من هو مبتدع ، وقد يوجه إنسـان النـاس إلى مـا هو فتنة ، وخطبة الجمعة قد يقوم بهـا مبتـدع أو خطيب فتنـة ، وإذا لم يتعين الخطيب ، فقـد يؤدي ذلك إلى الفوضى ، والتصدر لإفتاء النـاس من غير أهلـه قـد يؤدي إلى إضلالهم ، وكل ذلك يجب أن يُحتاط له ومن هٰهنا أوجب الشارع ألا يقص بهذه المعاني الأربعة إلا صـاحب الحق في ذلك ، وهو الأمير بحق أو من أمّره الأمير بحقّ .

والأصل في الإمرة في الإسلام أن تكون عن فقه ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنـه : تفقهوا قبل أن تسودوا .

فـإذا انفصلت الإمرة عن الفقـه فَمَن الأمير حكمًـا ؟ هـل هـو الفقيـه ؟ أم ولي الأمر الجاهل ؟

---

(١) يوسف : ٣ .

مذهب ابن عباس : أن أولي الأمر في الأمة الإسلامية حكمًا هم الفقهاء .

ولذلك نقول بمناسبة موضوعنا : إنه إذا وَلِّيَ الأمرَ العالمُ الفقيه العادل ، فإنه هو الذي يضبط أمر الوعظ والتوجيه وخطب الجمعة ، والتصدر للإفتاء ، يضبط ذلك : بأن يقوم هو بنفسه في هذه الشؤون أو يعيِّن لها من يقوم بها ، فإذا لم يوجد مثل هذا الأمير ، فالأصل أن يقوم العلماء المجازون عن أشياخهم بهذا الشأن ، ومن ثَمَّ فقد وجدت الإجازة عند العلماء وهي بمثابة الأمر لمن يأخذها بالقيام بالوعظ والتوجيه ، والخطبة والإفتاء ، ومنذ فقدت الخلافة الراشدة تنازع هذا الحق أولياء الأمور والعلماء ، فولي الأمر يعتبر أن من حقه التدخل في هذه الشؤون بسيف السلطة ، والعلماء يعتبرون أن هذا الحق لهم بسيف الحق .

والذي نراه من وجهة النظر الشرعية أنه حيثما كان تدخل ولي الأمر في هذه الشؤون بالعدل والحق فهو نافذ الأمر ، ولمن عيَّنَه أن يقوم بهذه الشؤون مبرورًا مأجورًا .

ولمن أجيز من أشياخ الحق والعدل والعلم والعمل أن يقوم بهذه الشؤون إذا فتح لهم طريق بذلك ، وإجازتهم له تكون من باب الأمر له من أهله .

وبذلك يدخل في الحديث : « لا يَقُصُّ على الناس إلا أمير أو مأمور » [1] ، فهو بعد الإجازة من شيوخه أمير ومأمور معًا .

وأما فيما سوى هذه الشؤون الأربعة فكل مسلم مجاز من الشارع نفسه ، بل مأمور أن يعلم ما تعلمه من الحق ، وأن يبلغ عن الشارع ولو آية ، وأن يدعو إلى الله على بصيرة ، وأن يأمر بمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الخير ، فهذا كله مطلوب من المسلم لا يحتاج فيه إلى إذن ولا استئذان .

وحصر حق القصص بمعانيه الأربعة بالأمير والمأمور في كل من المعاني التي ذكرناها نوع من التأديب للمجتمع الإسلامي ، فلا يَتَطاول إنسان لغير مقامه فيسيء الأدب ، ويعرف كل إنسان حدوده ، وتَنْضَبط الأنفس فلا تدفعها نوازع الهوى إلى الكلام وما يجره ذلك من رغبة في التصدر والرياء ، ويحال بذلك بين الغلط وتسربه إلى الناس .

---

(١) أبو داود (٣ / ٣٢٣) ـ كتاب العلم ـ باب في القصص .

وابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) ٣٣ ـ كتاب الأدب ـ ٤٠ ـ باب القصص .

النصوص

٨٤٩ ـ * روى أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يَقُصُّ إلا أميرٌ ، أو مأمور ، أو مختال » .

قال ابن الأثير : (لايقصُّ إلا أمير أو مأمور إلخ) أراد بهذا الخُطَب ، وذلك : أن الأمراء كانوا يتولَّونها بأنفسهم ، فيقصُّون فيها على الناس ويعظونهم ، فأما المأمور : فهو من يقيمه الأمير ويختاره الأئمة ، فينصبونه لذلك ، ولا يكادون يختارون إلا رضيًّا من الناس ، فاضلاً ، وما سوى ذلك فلا يكاد ينتدب له من الناس إلا مُراءٍ مختال ، فإن المختال ينصب نفسه لذلك من غير أن يأمره أحدٌ من أولي الأمر ، طلبًا للرياسة ، فهو يرائي بذلك ويختال وقيل : أراد به الفتوى في الأحكام . اهـ .

أقول : لقد قال الله عز وجل : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم** ﴾ (١) فهذا يدل على أنّ مَنْ فَقُهَ عليه أنْ يُفَقِّهَ ، ولا يحتاج ذلك إلى إذن ، ويدل عليه حديث الأشعريين الذي يأتي في جزء العلم : «.ما بالُ أقوامٍ لا يُفَقِّهون جيرانَهم ... » (٢) كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ (٣) . فقد أخذ الله العهد على العالم أن يعلم ، وعلى الجاهل أن يتعلم وهذا لا يحتاج إلى إذن أحد ، وقد يحتاج إلى إجازة من العلماء من أجل أن يُعْرَفَ أن القائم بذلك ثقة مأمون ، وكما أن العلم والتعليم من أهلهما لا يحتاجان إلى إذن فإن الدعوة إلى الله لا تحتاج إلى إذن من أحد ، قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ (٤) ، وقال رسول الله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » (٥) ، ولذلك فإن الكثير من شراح الحديث خصصوا هذا

---

٨٤٩ ـ أبو داود (٣ / ٣٢٣) ـ كتاب العلم ـ باب في القصص .

وهو حديث صحيح .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) مجمع الزوائد (١ / ١٦٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه بكير بن معروف ؛ قال البخاري : ارم به . ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به .

(٣) آل عمران : ١٨٧ . (٤) آل عمران : ١٠٤ .

(٥) البخاري (٦ / ٤٩٦) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٥٠ ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل

والترمذي (٥ / ٤٠) ـ ٤٢ ـ كتاب العلم ـ ١٣ ـ باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل .

الحديث بأن المراد به خطبة الجمعة أو التصدر للفتوى . أقول : وهذا التخصيص يحتاج إلى تخصيصٍ ؛ لأن ذلك إنما يكون عندما تكون حكومة إسلامية راشدة وعدلٌ وقسطٌ ورغبة في تعميم الإسلام صافيًا نقيًا ، أما إذا اختلط الأمر فحتى هذا التخصيص يجب أن يُنْقَلَ إلى ورثة الأنبياء من العلماء فعنهم تؤخذ الإجازة وعنهم يتلقى الأمر ، لكن هذا قد يحدث فوضى ، فما جاء من قبل السلطة الرسمية مما يدخل في باب المعروف الأصل أن نقبله ، وما كان فيه شذوذ أو باطل أو دعوة إلى ضلالة وأمكن لعلماء الإسلام أن يقولوا كلمة الحق فهم أصحاب الأمر والإجازة في كل شيء ، ومع أننا نرى أن العلم والدعوة لا يحتاجان إلى إذن بشر فإننا نفضل إحياء سنة العلماء في الإجازة فلا يتصدر أحد لعلم أو تربية أو دعوة أو إفتاء أو خطبة إلا بإجازة من عالم ثقة ، ولا يدخل في ذلك الحالات العفوية والطارئة واليومية العابرة وحالات الضرورة وحالات وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحالات وجوب التبليغ ، فالواجب لا يحتاج إلى إذن أو إجازة من أحد .

٨٥٠ - * روى الطبراني : عن عبادةَ بن الصامتِ عن النبي ﷺ قال : « لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُتكلفٌ » .

٨٥١ - * روى أحمد عن عبدِ الجبارِ الخَولاني ، قال : دخلَ رجلٌ من أصحابِ النبي ﷺ المسجد فإذا كعبٌ يقصُّ ، قال : من هذا ؟ قالوا : كعب يقص . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقص إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُختالٌ » . قال : فبلغ ذلك كعبًا فما رُئِيَ بعد يقصُّ .

أقول : كعب عالم ومن حقه أن يقصّ ولكن ترك اجتهاده خوف اللبس .

٨٥٢ - * روى ابن ماجه عن ابن عمر قال : لَمْ يَكُنِ القَصَصُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَلا زَمَنِ عُمَرَ .

---

٨٥٠ - مجمع الزوائد (١ / ١٩٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

٨٥١ - أحمد (٤ / ٢٣٣) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩٠) . وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

٨٥٢ - ابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) - ٣٣ - كتاب الأدب - ٤٠ - باب القصص .

وإسناده حسن .

(القصص) المراد بالقصص هنا : الوعظ ، فكأن مجالس الوعظ لم تكن في تلك العهود إلا ما كان يقوم به رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده من توجيه .

٨٥٣ - * روى البخاري عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي معتمدًا فليتبوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النار » .

٨٥٤ - * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : لا تُمِلُّوا الناسَ فيَمَلُّوا الذِّكْرَ .

٨٥٥ - * روى أحمد ، عن الشَّعبي قال ؛ قالتْ عائشةُ لابن أبي السائب قاصّ أهلِ المدينة :ثلاثًا لَتُتابِعَنِّي عليهن أو لأُناجِزَنَّكَ . قال : وما هنَّ ، بل أتابعُك أنا يا أمَّ المؤمنين . قالت : اجْتَنِبِ السَّجْعَ في الدعاء ، فإن رسولَ الله ﷺ وأصحابَه كانوا لا يفعلون ذلك . وقُصَّ على الناس في كل جُمُعةٍ مرة ، فإن أبيتَ فثنتين ، فإن أبيتَ فثلاثٍ ولا تُمِلَّن الناسَ هذا الكتابَ ولا أُلْفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثهم فتقطعَ حديثَهم ، ولكن اتركهم فإذا حَدَوْكَ عليه وأمروك به فَحَدِّثْهم .

---

٨٥٣ - البخاري (٦ / ٤٩٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

٨٥٤ - المعجم الكبير (٩ / ١٣٥) .

مجمع الزوائد(١ / ١٩١) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده صحيح .

٨٥٥ - أحمد (٦ / ٢١٧) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩١) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى بنحوه .

(قاصُّ أهل المدينة) : المراد بقاصّ المدينة هنا : واعظها .

الفِقْرة الثانية

في :

القصص النبوي

وفيها :

نصـوص

٨٥٦ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال : كان نبيُّ الله ﷺ يحدِّثنا عن بني إسرائيل حتى يصبحَ ، ما يقوم إلا إلى عُظْمِ صلاةٍ .

٨٥٧ ـ * روى أحمد عن عِمرانَ بنِ حصينٍ قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عامَّة ليلِه عَن بَني إِسْرائيل لا يَقُومُ إلا إلى عُظْمِ صَلَاة .

ورواه ابن خزيمة وقال : « فالنبي ﷺ قد كان يحدثهم بعد العِشاء عن بني إسرائيلَ ليتعظوا مما قد نالَهم من العقوبة في الدنيا مع ما أعد الله لهم من العقاب في الآخرة لما عصوا رسلهم ولم يؤمنوا ، فجائز للمرء أن يحدث بكل ما يعلم أن السامع ينتفع به من أمر دينه بعد العشاء ، إذ النبي ﷺ قد كان يَسْمُرُ بعد العشاء في الأمر من أُمور المسلمين مما يرجع إلى منفعتهم عاجلاً وآجلاً ، دينًا ودنيا ، وكان يحدث أصحابه عن بني إسرائيل لينتفعوا بحديثه ، فدل فعله ﷺ على أن كراهة الحديث بعد العشاء بما لا منفعة فيه دينًا ولا دنيا ، ويخطر ببالي أن كراهته ﷺ الاشتغال بالسمر لأن ذلك يُثبط عن قيام الليل ، لأنه إذا اشتغل أول الليل بالسمر ثقل عليه النوم آخر الليل فلم يستيقظ ، وإن استيقظ لم ينشط للقيام » ا هـ .

٨٥٨ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « قال سليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام : لأَطُوفنَّ الليلةَ بمائةِ امرأةٍ ، تَلِدُ كلُّ امرأةٍ غلامًا يُقاتلُ في سبيل الله . فقال له المَلَكُ : قُل إن شاءَالله . فلم يَقُلْ ونَسِيَ ، فأَطافَ بِهِنَّ ، ولم تَلِدْ

---

٨٥٦ ـ أبو داود (٣ / ٣٢٢) ـ كتاب العلم ـ باب الحديث عن بني إسرائيل .

٨٥٧ ـ أحمد (٤ / ٤٣٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٤) . قال : وفي رواية يعني الفريضة المكتوبة . رواه أحمد وإسناده حسن .

٨٥٨ ـ البخاري (٩ / ٣٣٩) ـ ٦٧ ـ كتاب النكاح ١١١ ـ باب قول الرجل : لأطوفنَّ .

منهُن إلا امرأةٌ نِصفَ إنسان » .

قال النبيُّ ﷺ : « لو قال إن شاءَاللهُ لم يَحْنَثْ ، وكان أرْجَى لحاجَتِهِ » .

٨٥٩ ـ * روى مسلم عن صهيبٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحِرٌ ، فلما كَبِرَ قال للملك : إني قد كَبِرْتُ ، فابعثْ إليَّ غلامًا أُعلِّمه السحرَ . فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه ، وكان في طريقه إذا سَلَك راهبٌ ، فقعد إليه وسمع كلامه ، فكان إذا أتى السَّاحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيتَ الساحر فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيتَ أهلك ، فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذْ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حبستِ الناسَ ، فقال : اليومَ أعلَمُ : السَّاحرُ أفضل ، أم الراهبُ أفضل ؟ فأخذ حجرًا ، فقال : اللَّهمَّ إنْ كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتلْ هذه الدَّابة ، حتى يمضيَ الناسُ . فرماها ، فقتَلها ، ومضى الناسُ ، فأتى الراهبَ فأخبره ، فقال له الراهب : أيْ بُنَيَّ ، أنتَ اليومَ أفضلُ مني ، وقد بلغ من أمْرِك ما أرى ، وإنَّك ستُبْتَلى ، فإن ابتُليتَ فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلامُ يُبرئ الأكْمَهَ والأبرصَ ، ويداوي الناسَ من سائر الأدْواء ، فسمع جليسٌ للملك ـ كان قد عمي ـ فأتاه بهدايا كثيرةٍ ، فقال : ما هاهنا لك أجمعُ إنْ أنت شَفَيتَني . قال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عز وجل ، فإن آمَنْتَ بالله دعوتُ الله فشفاك . فآمَنَ به ، فشفاه الله ، فأتى الملك ، فجلسَ إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : مَن رَدَّ عليك بَصرَك ؟ قال : ربي . قال : ولك رَبٌّ غيري ؟ قال : ربي وربُّك الله . فأخذه ، فلم يزلْ يعذِّبهُ ، حتى دلَّ على الغلام ، فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بُنَيَّ ، قد بلغ من سحْرِكَ ما تُبْرئ الأكْمهَ والأبرصَ ، وتفعلَ وتفعلُ ؟ قال : فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله . فأخذه ، فلم يزلْ يعذِّبه ، حتى دَلَّ على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دِينِكَ . فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوضَع المنشار على مَفْرِق رأسه ، فشقَّه به حتى وقع شِقَّاهُ ، ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع

---

٨٥٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٩٩) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقاق ـ ١٧ ـ باب قصة أصحاب الأخدود .

(بالمنشار) أشَرْتُ الخشبة بالمنشار : إذا شققتُها ، ووشرتُها بالميشار ـ غير مهموز ـ لغة فيه ـ والميشار والمنشار سواء. =

عن دِينك . فـأبى ، فَوضَع المنشـار في مَفرق رأسـه ، فشقّـه بـه حتى وقع شقـاه ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينِكَ ، فأبى ، فدفعه إلى نَفَر من أصحابـه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعَـدوا بـه الجبل ، فـإذا بلغتم ذِرْوتَـه ، فإن رجع عن دِينه ، وإلا فاطرحوه . فذهبوا بـه ، فصَعِـدوا بـه الجبل ، فقـال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ ، فرجف بهم الجبلُ فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحـابـه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُورٍ ، وتوسّطوا بـه البحر ، فـإن رَجعَ عن دِينـه ، وإلا فـاقـذفـوه . فـذهبـوا بـه ، فقـال : اللهم اكفنيهم بمـا شئتَ . فـانكفـأَتْ بهم السفينةُ ، فغَرِقُوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : مـا فعل أصحـابـك ؟ قال : كفانيهم الله . فقال للملـك : إنـكَ لستَ بقـاتلي حتى تفعلَ مـا آمرك بـه . قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ ، وتصلُبُني على جِذْع ، ثم خـذْ سَهْمًـا من كِنـانتي ، ثم ضع السهم في كَبِـدِ القوس ، ثم قل : بسم الله ربِّ الغلام ، ثم ارمِ ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني : فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ ، وصلبه على جذع ، وأخذ سهمًا من كنـانتـه ، ثم وضع السهم في كَبِـدِ القوس ، ثم قـال : بسم الله ربِّ الغلام . ثم رمـاه ، فوقع السهم في صـدغِـهِ ، فوضع يـده في صُدغـه ، في موضِع السهم ، فمات فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلام . آمنَّا بربِّ الغلام ، آمنَّا بربِّ الغلام ، فـأُتِيَ الملـك ، فقيل لـه : أرأيتَ مـا كنت تحـذر ؟ قَـدْ والله نـزل بـك حَذَرُك ، قد آمن الناسُ . فأمر بالأخدود بأفواه السكك ، فخُـدَّتْ ، وأَضرَم فيهـا النيرانَ ، وقـال : من لم يرجع عن دينـه فـأقحمـوه فيهـا ـ أو قيـل لـه : اقْتَحِم .

= (قُرقُور) القرقُور : سَفينة صغيرة .

(فانكفأت) السفينة ، أي: انقلبت ، ومنه : كفأتُ القدر : إذا كببتُها .

(الصعيد) : وجه الأرض ، وأراد : أنه جمعهم في أرض واحدة منبسطةٍ ليشاهدوه .

(من كنانتي) الكنانة : الجعبة التي يكون فيها النشاب .

(كبد القوس) : : وسطها ، والمراد به : موضع السهم من الوَتَرِ والقوس .

(بالأخدود) الأُخدود : الشق في الأرض ، وجمعه الأخاديد .

(السكك) : جمع سِكة ،وهي الطريق .

(أضرَمتَ) : النار : إذا أوقدتها وأثرتها .

(اقتحم) : الاقتحام : الوقوع في الشيء من غير روية ولا تَثَبُّتٍ .

=

ففعلوا ، حتى جاءت امرأةٌ ، ومعها صبيٌّ لها ، فتقاعَسَت أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمّه ، اصبري ، فإنكِ على الحق » .

وفي رواية الترمذي (١) قال : كان رسولُ الله ﷺ : إذا صلى العصر هَمَسَ ـ والهمس في بعض قولهم : تَحرُّك شفتيه ، كأنه يتكلم ـ فقيل له : يا رسول الله ، إنك إذا صلَّيتَ العصر همستَ ؟ قال : « إن نَبيًّا من الأنبياء كان أُعجِبَ بأُمّتِه ، قال : مَنْ يقوم لهؤلاء ؟ فأوحى الله إليه : أن خَيِّرْهُمْ بين أن أنتقِمَ منهم ، وبين أن أسَلِّطَ عليهم عَدُوَّهم . فاختاروا النِّقمة ، فسَلَّطَ اللهُ عليهم الموتَ ، فماتَ في يومٍ سبعون ألفًا » .

وكان إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث بهذا الحديث الآخر ، قال : « كان ملك من الملوكِ ، وكان لذلك الملك كاهنٌ يَكْهَنُ له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلامًا فَهِمًا ـ أو قال : فَطِنًا ـ لَقِنًا فأُعلِّمه عِلْمي هذا ، فإني أخاف أن أموتَ ، فَيَنْقَطِعَ منكم هذا العلم ، ولا يكونَ فيكمْ مَنْ يَعْلَمُهُ » . قال : « فنظروا له على ما وَصفَ ، فأمروه أن يَحْضُرَ ذلك الكاهن ، وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صَوْمَعَةٍ » قال معمر [أحد رواة الحديث] : أحْسِبُ أنَّ أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين ـ قال : « فجعل الغلامُ يسأل ذلك الراهبَ كلَّما مرَّ به ، فلم يزل حتى أخبره ، فقال : إنما أعْبُدُ الله » . قال : « فجعل الغلام يمكثُ عند الراهب ، ويبطئ عن الكاهن ، فأرسل الكاهنُ إلى أهل الغلام : أنه لا يكادُ يحضُرني . فأخبر الغلامُ الراهبَ بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن : أين كنتَ ؟ فقل : عند أهلي . وإذا قال لك أهلُكَ : أين كنتَ ؟ فأخبرهم أنَّكَ كنتَ عند الكاهنِ » . قال : « فبينما الغلام على ذلك ، إذ مَرَّ بجماعة من الناس كثيرٍ ، قد حَبَسَتْهُمْ دابةٌ ـ فقال بعضهم : إن تلكَ الدابةَ كانت أسَدًا ـ فأخذ الغلامُ حَجَرًا ، فقال : اللهمَّ إن كان ما يقول الراهب حقًّا فأسألك أن أقْتُلَهُ . ثم رَمَى به ، فقتل الدابة ، فقال الناس : مَنْ قتلها ؟ فقالوا : الغلام . ففزع الناسُ ،

= (فتقاعست) التقاعس : التأخُّر والمشي إلى وراء .

(١) الترمذي (٥ / ٤٣٧) ـ ٤٨ ـ كتاب التفسير ـ ٧٧ ـ باب « ومن سورة البروج » .

(الهمس) : الكلام الخفيُّ الذى لا يكاد يسمع .

(اللقِن) : الرجل الفَهِم الذكي .

=

وقالوا : قد عَلِمَ هذا الغلامُ علماً لم يعلمْه أحدٌ » . قال : « فسمع به أعمى ، فقال له : إن أنتَ رددتَ بصري ، فلك كذا وكذا . قال : لا أُريد منك هذا ، ولكن أرأيتَ إن رَجَعَ إليك بصرُك أتؤمنُ بالذي ردَّه عليك ؟ قال : نعم » . قال : « فدعا الله ، فردَّ عليه بَصَرَهُ ، فآمَنَ الأَعْمى ، فبلغ الملكَ أمْرُهم ، فدعاهم ، فأُتِيَ بهم ، فقال : لأقتُلَنَّ كُلَّ واحدٍ منكم قِتْلةً لا أقتُلُ بها صاحبه . فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرِق أحدهما فقتله ، وقَتل الآخر بقِتْلَةٍ أخرى ، ثم أمَرَ بالغلام ، فقال : انطلِقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوهُ من رأسه . فانْطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتَهوْا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يُلقُوهُ منه ، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويَتَرَدَّوْنَ ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع ، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فغرّق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنَّكَ لا تقتلني حتى تصلُبَني وترميَني ، وتقول إذا رميتني : بسم الله ربِّ هذا الغلام . قال : فأمر به فصُلب ، ثم رماه فقال : بسم الله ربِّ هذا الغلام » . قال : « فوضع الغلام يده على صُدغِه حين رُمِيَ ، ثم مات ، فقال الناسُ ، لقد عَلِمَ هذا الغلامُ علمًا ما علمه أحدٌ ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام » . قال : « فقيل للملك : أَجَزِعْتَ أن خالَفَكَ ثلاثةٌ ؟ فهذا العالَمُ كلُّهم قد خالَفُوكَ » . قال : « فخَدَّ أُخدُودًا ثم أَلقى فيها الحطبَ والنارَ ، ثم جمع الناسَ ، فقال : مَنْ رَجعَ عن دِينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في النار . فجعل يُلقيهم في تلك الأخدود » قال : « يقول الله تبارك وتعالي : ﴿ قُتِلَ أصحابُ الأخدود * النارِ ذاتِ الوَقُودِ ﴾ » حتى بلغ - ﴿ العزيز الحميد ﴾[1] . قال « فأما الغلام : فإنه دُفن » . قال : فَيُذْكَر أنه أُخْرِجَ في زَمن عمر بن الخطاب وإصبَعُهُ على صُدْغِهِ ، كما وضعها حين قُتِل .

أقول : قوله : « إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر » ؛ يفيد أنه في حالة قسوة الظروف وفي الأحوال الصعبة

(التهافت) : الوقوعُ في الشيء مثل التساقط .

(١) البروج : ٤ - ٨ .

الاستثنائية يَتَوَسَّع في الكلام ليحمي الإنسان نفسه . وقوله : « فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب » ، مع أن الراهب أوصاه ألا يدل عليه ، يفيد : أنه تحت العذاب يمكن أن يفشي أصدق الصديقين الأسرارَ المؤتمن عليها بما يؤدي إلى قتل الأولياء ، وهو في ذلك معذور ، بدليل أن الغلام لم ينقص مقامه عند الله فبقيتْ الكرامات تجري على يده بعد ذلك .

وفي الحديث عبر كثيرة مهمة في فقه الدعوة خاصة في مثل الظروف والأوضاع الموجودة في كثير من البلدان . اهـ .

٨٦٠ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « لم يتكلَّمْ في المهد إلا ثلاثةٌ : عيسى بنُ مريم ، وصاحبُ جُرَيج ، وكان جريجٌ رَجُلاً عابدًا ، فاتخذ صومعةً ، فكان فيها ، فأتته أُمُّهُ وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : يارِبِّ ، أُمِّي وصلاتي . فأقبل على صَلاَتِه ، فانْصرفَتْ ، فلما كان من الغَدِ ، أتته وهو يُصَلِّي ، فقالتْ : يا جريج . فقال : يارِبِّ ، أُمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فانصرفَتْ ، فلما كان من الغَدِ أتته وهو يصلِّي ، فقالت : ياجريج . فقال : يارِبِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فقالت : اللَّهمَّ لا تُمِتْهُ حتى ينظرَ إلى وجوه المومِساتِ . فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادَتَه ، وكانت امرأةٌ بغيٌّ يُتمثَّل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفْتِنَنَّهُ [لكم] » . قال : « فتعرَّضَتْ له ، فلم يَلْتَفِتْ إليها ، فأتت رَاعيًا كان يأوي إلى صومعتِهِ ، فأمكنَتْهُ من نفسها ، فوقع عليها ، فحَمَلَتْ ، فلما ولَدَتْ قالت : هُوَ مِنْ جُرَيجٍ . فأَتَوْهُ ، فاستنزلوه ، وهدَمُوا صومَعتَهُ ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : زنيتَ بهذه البغيِّ ، فَوَلَدَتْ منك . فقال : أين الصبيُّ ؟ فجاءوا به ، فقال : دعُوني أُصَلِّي . فصلَّى ، فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعنَ في بطنه ، وقال : ياغُلاَم ، مَنْ أبوك ؟ فقال : فلانٌ الراعي » . قال : « فأقبلوا على جريج يُقبِّلُونه ، ويتَمَسَّحُون به ،

---

٨٦٠ - مسلم (٤ / ١٩٧٦) - ٤٥ - كتاب البر والصلة - ٢ - باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها .

(المومسات) : الزواني : جمع مومسة ، وهي الفاجرة ، والمياميس كذلك .

(والبغيُّ) : الزانية أيضًا .

(يُتمثَّل بحسنها) : أي يعجب به ، ويقال : لكل من يستحسن : هذا مثل فلانة في الحسن .

=

وقالوا : نبني صومعتَكَ من ذَهَب . قال : لا ، أعيدوها من لَبِنٍ كما كانت . ففعلوا وبينا صَبِيٌّ يَرضَعُ من أُمِّـهِ ، فمرَّ رَجُلٌ راكب على دابَّةٍ فَـارِهَـةٍ وشـارةٍ حَسَنَـةٍ ، فقالت أُمُّه : اللهم اجعل ابني مثل هذا . فترك الثديَ وأَقْبَلَ إليـه ، فنظر إليـه ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثـديـه ، فجعل يرتضع » ـ قـال : فكأني أنظر إلى رسولِ الله ﷺ وهـو يحكي ارتضـاعـه بإصبعـه السبـابـة في فيـه ، فجعـل يَمَصُّهـا قال : « ومَرُّوا بجاريـة وهم يضربونهـا ، ويقولون : زنيتِ ، سَرَقْتِ . وهي تقول : حسبي الله ، ونعم الـوكيـل . فقـالت أُمُّـه : اللهم لا تجعـل ابني مثلهـا . فترك الرضـاع ونظر إليهـا ، فقـال : اللهم اجعلني مثلهـا. فهنـاك تراجعـا الحـديث ، فقـالت : حَلْقَىٰ ! مَرَّ رَجُـلٌ حَسَنُ الهيئَـة ، فقلتُ : اللهم اجعـل ابني مثلَـه . فقلتَ : اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَـه . ومَرُّوا بهـذه الأمـة وهم يضربـونهـا ، ويقـولـون : زنيتِ ، سرقْتِ ، فقلتُ : اللهمَّ لا تَجْعَـل ابني مثلهـا . فقلتَ : اللهمَّ اجعلني مثلها ! فقال : إن ذلك الرجل كان جبارًا ، فقلتُ : اللهمَّ لا تجعلني مثلَـه . وإنَّ هذه يقولون لهـا : زنيتِ ، ولم تزن . وسرقتِ ، ولم تسرق . فقلت : اللهم اجعلني مثلها » .

٨٦١ ـ * روى أحمـد عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : « كان ببني إسرائيـلَ تـاجر وكانَ يَنْقُصُ مرة ويـزيـدُ أخرَى ، فقـال : مـا في هـذه التجـارة خير ، لأَلْتَمِسَنَّ تجارة هي خيرٌ من هذه . فبنى صومعة وترهب فيها » .

٨٦٢ ـ * روى الترمذي عن أبي وائل رحمـه الله عن رجل من ربيعـةَ ـ وهو الحـارثُ بن يزيدِ البكري ـ قال : قدِمتُ المدينةَ ، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ والمسجدُ غاصٌّ بـأهلـه ،

= (والشارة الحسنة) : جمال الظاهر في الهيئة والملبَس والمركب ونحو ذلك .

قولـه : (فقـالت : حَلْقَى) : أي أنها خطبت نفسها داعيـة أن يصيبها بوجع في حلقها : أي هي حلقى ، وليس المراد الدعاء وإنما هو التقديم لمساءلة ابنها .

(الجبّار) : العاتي المتكبِّر القاهر للناس .

٨٦١ ـ أحمد (٢ / ٤٣٤) . مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦) .

٨٦٢ ـ الترمذي (٥ / ٣٩١) ـ ٤٨ ـ كتاب التفسير ـ ٥٢ ـ باب « ومن سورة الذاريات » .

وهو حديث حسن .

وإذا رايـاتٌ سُودٌ تَخْفِقُ ، وإذا بلالٌ مُتَقلِّدٌ السيفَ بين يَدَيْ رسول الله ﷺ ، فقلت : ما شأنُ النـاسِ ؟ قـالـوا : رسـولُ الله ﷺ يريـدُ أن يبعث عَمْرَو بنَ العـاصِ نحو ربيعـةَ ، فقلتُ : أعوذُ بالله أن أكُونَ مثلَ وافد عادٍ . فقال رسولُ الله ﷺ : « وما وافـد عـاد ؟ » فقلت : على الخبير سَقطْتَ ، إن عـادًا لمـا أُقْحِطَتْ بعثتْ قَيْلاً يستسقي لهـا ، فنزل على بَكْرِ ابن معاويةَ ، فسقاه الخمر ، وغَنَّتْهُ الجَرادتان ، ثم خرج يريد جبال مَهْرَة ، فقـال : اللهم إني لم آتك لمرضٍ فأداويَهُ ، ولا لأسيرٍ فأُفاديَهُ فاسقِ عبـدك مـا كنتَ مُسقيَـهُ ، واسقِ معـه بكرَ ابنَ معاويـة - يشكر لـه الخمر الـذي سقـاه - . فرُفِعَ لـه ثـلاثُ سحـائب : حمراءَ وبيضـاءَ ، وسوداءَ ، فقيل له : اختر إحداهن ، فاختار السوداءَ منهن ، فقيل له : خُذها رَمَـادًا رِمْـدِدًا لا تَذَرُ من عادٍ أحدًا . فقـال رسولُ الله ﷺ : « إنـه لم يُرسَلْ [من الريح] إلا مقـدارُ هٰذه الحلقةِ » يعني حلقةَ الخاتم . ثم قرأ : ﴿ وفي عـادٍ إذْ أرسلنـا عليهم الريحَ العقيمَ * ما تـذرُ من شيءٍ أتت عليه ﴾ الآية [١] .

٨٦٣ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسولَ الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيلَ ، سأل بعضَ بني إسرائيل أنْ يُسلِفَه ألفَ دينارٍ ، فقال : ائتني بالشهداء أُشْهِدُهم . فقـال : كفى بـالله شهيـدًا . قـال : فـائتني بـالكفيـل . قـال : كفى بـالله كفيـلاً . قـال : صدقتَ . فدفعها إليه إلى أجل مسمًّى ، فخرج في البحر ، فقضى حـاجَتَـهُ ، ثم التمس مركَبًـا يَركَبُه يقدَم عليه للأجلِ الذي أجَّلَهُ ، فلم يجد مَرْكَبًا ، فاتخذ خشَبَةً فنقرهـا ، فـأدخلَ فيهـا ألفَ دينار ، وصحيفةً منه إلى صاحبه ، ثم زجّج موضِعَهـا ، ثم أتى بهـا البحرَ ، فقـال : اللهم إنك تعلم أنّي تَسَلَّفْتُ فلانًا ألفَ دينـار ، فسـألني كفيلاً . فقلتُ : كفى بـالله كفيلاً ، فرضي

= (خفقت) الرايات : إذا حركها الهواء وجاء صوتها .

(قحطت) القحط : الغلاء ، وأصله من انقطاع المطر ، وهو سبب الغلاء .

(رمادًا) : الرماد معروف ، (والرِّمْدِدُ) : أدق مايكون منه ، ويقال : رمـاد رِمْـدِدٌ ، أي : هـالـك ، جعلوه صفـة له .

(الريح العقيم) هي التي لا تلقح الشجر ، ولا تأتي بالمطر .

(١) الذاريات : ٤١ ، ٤٢ .

٨٦٣ - البخاري (٤ / ٤٦٩) - ٣٩ - كتاب الكفالة - ١ - باب الكفالة في القرض .

(زجّج) : موضعها : أي ، سوّى موضع النَّقْر وأصلحه ، من تزجيج الحواجب ، وهو حـذف زوائـد الشعر ، ويحتمل أن يكون مأخوذًا من الزج بأن يكون النقر في طرف الخشبة ، فيشد عليه زجًا ليمسكه ويحفظ ما في جوفه .

بك ، وسألني شهيدًا . فقلتُ : كفى بالله شهيدًا ، فرضي بك ، وإني جَهدتُ أن أجدَ مركبًا أبعث إليه الذي له ، فلم أقْدِرْ ، وإني استودعتكَها . فرمى بها في البحرِ حتى وَلَجت فيه ، ثم انصرفَ ، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرجُ إلى بلده ، فخرجَ الرجلُ الذي كان أسلَفَهُ ينظرُ لَعَلَّ مركبًا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدمَ الذي كان أسلَفَهُ ، وأتى بألفِ دينار ، فقال : واللهِ مازلتُ جاهدًا في طلب مَركَبٍ لآتيَك بمالِك ، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي جئتُ به . قال : فإن الله قد أدّى عنك الذي بعثْتَهُ في الخشبة ، فانصَرِفْ بالألفِ دينار راشدًا .

٨٦٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « انطلقَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ ، فدخلوه ، فانحدرتْ صَخْرَةٌ من الجبل ، فَسدت عليهم الغارَ ، فقالوا : إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا اللهَ بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لا أَغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلبُ شجَرٍ يومًا ، فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما ، فَحَلَبْتُ لهما غَبوقَهُما ، فوجدتهما نائمين ، فكَرِهتُ أن أَغْبِقَ قبلهما أهلاً أو مالاً ، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما ، حتى بَرَقَ الفَجْر » ـ زاد بعض الرواة : « والصِّبيَةُ يَتضاغَوْنَ عند قدَميَّ ـ فاستيقظا فشربا غَبوقَهُما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرَجتْ شيئًا لا يستطيعون الخروج » . قال النبي ﷺ : « قال الآخر : اللهم كانت لي ابنةُ عمٍّ ، كانت أحبَّ الناس إليَّ فأردتُها على نفسها ، وامتنعت مني ، حتى أَلمتْ بها سَنَةٌ من السنين ، فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار ، على أن تُخلِّيَ بيني وبين نفسها ،

---

٨٦٤ ـ البخاري (٤ / ٤٤٩) ـ ٣٧ ـ كتاب الإجارة ١٢ ـ باب من استأجر أجيرًا ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٠٩٩) ـ ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ـ ٢٧ ـ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة .

(الغَبُوق) : شراب آخر النهار ، والمراد : إنني ما كنت أقدّم عليهما في شراب حظّهما من اللبن أحدًا .

(يتضاغون) : أي : يضجون ويصيحون من الجوع .

(السَّنة) : الجدب والقحط .

(ألمتْ بها) : بها : إذا قرب منها ودنا الجدب .

(فأردتها) : أي راودتها وطلبت منها أن تمكّنني من نفسها .

=

ففعلت حتى إذا قَدَرْتُ عليها ، قـالت : لا أُحِلُّ لَـكَ أن تَفُضَّ الخـاتَمَ إلا بحقـه . فتحَرَّجْتُ من الـوقـوع عليهـا ، فـانصرفتُ عنهـا وهي أحبُّ النـاس إليَّ وتركتُ الذهب الـذي أعطيتهـا ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلـك ابتغـاءَ وجهـك فـافْرُج عنـا مـا نحن فيـه . فـانفرَجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منهـا » . قـال النبي ﷺ : « وقال الثالث : اللهم استأجرْتُ أُجَرَاءَ ، وأعطيتُهم أجرَهم ، غير رجُلٍ واحدٍ ، تَرَكَ الذي لـه وذهب ، فَثَمَّرتُ أجرَهُ حتى كَثُرَتْ منـه الأموال ، فجـاءني بعد حين فقال : يـا عبـد الله ، أدِّ إليَّ أجري . فقلتُ : كلُّ مـا ترى من أجْرِكَ ، من الإبـل ، والبقر والغنم ، والرقيـق . فقـال : يـا عبـد الله ، لا تستهـزئ بي . فقلتُ : إني لا أستهزئ بك . فأخذه كلَّه ، فاسْتاقه ، فلم يتركْ منـه شيئًـا ، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه . فانفرجتِ الصخرة ، فخرجوا يمشون » .

وفي روايـة [1] : أن رسولَ الله ﷺ قـال : « بينمـا ثلاثـة نَفَر ممن قبلكم يمشون ، إذ أصابهم مَطَرٌ ، فـأوَوْا إلى غـارٍ ، فـانطبق عليهم ، فقـال بعضهم لبعض : إنـه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدقُ ، فليَدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدَقَ فيه . فقـال أحـدهم : اللهم إن كنتَ تعلم أنـه كان لي أُجيرٌ عَمِل لي على فَرَقٍ من أرُزٍّ ، فـذهب وتركـه ، وإني عَمَـدْتُ إلى ذلـك الفَرَق فزرعتـه ، فصـار من أمره إلى أن اشتريتُ منه بقرًا ، وإنه أتاني يطلب أجره ، فقلت لـه : اعْمِـدْ إلى تلـك البقر ، فَسُقْها . فقال لي : إنما لي عندك فَرَق من أرُزٍّ . فقلت له : اعمد إلى تلـك البقر ، فإنها من ذلك الفَرَق . فساقها ، فإن كنت تَعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنا . فانساحت عنهم الصخرة ... » .

وذكر باقي الحديث بقريب من معنى ما سبق .

= (تفض الخاتم) : كناية عن الجماع والوطء .

(التحرّج) : الهرب من الحرج ، وهو الإثم والضيق .

(١) البخاري (٦ / ٥٠٥) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٣ - باب حديث الغار .

(فَرَق) : الفَرَق : مكيال يسع ستة عَشَرَ رِطْلاً . أي حوالي خمسة كيلو غرامات ونيفًا .

(فانساحت) بالحاء المهملة ، أي : انفسحت وتنحّت .

ولها روايات بنحو ذلك .

ورواه أبو داود (١) مجملاً ، وهذا لفظه ؛ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَنِ استطاع منكم أن يكون مثلَ صاحب فرَقِ الأرزِّ فليكن مثله » . قالوا : ومَنْ صاحب فرق الأرُزّ يا رسول الله ؟ ... فذكر حديث الغار حين سقط عليهم الجبل ، « فقال كلُّ واحد منهم : اذكروا أحْسَنَ عملكم » . قال : « فقال الثالث : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيرًا بفَرَقِ أرُزٍّ ، فلما أمْسَيْتُ عرضتُ عليه حقه ، فأبى أن يأخذَهُ ، وذَهَبَ فثمرْتُه له ، حتى جمعتُ له بَقَرًا ورعاءها ، فلقيني ، فقال : أعطني حقِّي . فقلتُ : اذهب إلى تلك البقر ورعائها ، فخذها . فذهب فاستاقها » .

٨٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن ثلاثةً من بني إسرائيل : أبرصَ ، وأقرعَ ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليَهم ، فبعث إليهم ملَكًا ، فأتى الأبرَصَ ، فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : لَونٌ حَسَنٌ ، وجِلْدٌ حسنٌ ، ويَذهَبُ عنى الذي قد قَذِرني الناسُ » . قال : « فمسحه فذهب عنه قَذَرُه ، وأُعطِيَ لونًا حسنًا ، وجلدًا حسنًا . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليكَ ؟ قال : الإبل » - أو قال : « البقر » شك إسحاق ؛ إلا أن الأبرصَ والأقرع قال أحدهما : الإبل . وقال الآخر : البقر - قال : « فأُعْطِيَ ناقةً عُشَراءَ ، فقال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأقرعَ ، فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : شعرٌ حَسَنٌ ، ويذهب عني هذا الذي قد قذِرَني الناسُ » . قال : « فمسحه فذهب عنه » . قال : « وأُعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر . فأُعطي بقرةً حاملاً ، قال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : أن يَرُدَّ الله إليَّ بصري فأبصرَ

---

(١) أبو داود (٣ / ٢٥٦) - كتاب البيوع - باب في الرجل يتجر في مال الرجل .
والحديث في روايته مختصر .

٨٦٥ - البخاري (٦ / ٥٠٠) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥١ - باب حديث أبرص وأعمى وأقرع .
مسلم (٤ / ٢٢٧٥) - ٥٣ - كتاب الزهد - ١٠ - باب حدثنا شيبان بن فرّوخ ... إلخ .
(ناقةً عشراء) إذا كانت حاملا ، وقيل : إذا أتى عليها لحملها عشرة أشهر .

به الناسَ » . قال : « فمسحه فردَّ اللهُ إليه بصره ، قال : فأيُّ المال أحبُّ إليكَ ؟ قال : الغنم . فأُعطِيَ شاةً والدًا ، فأُنْتِجَ هذان، وَوَلَّدَ هذا ، فكان لهذا وَادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم » . قال : « ثم إنه أتى الأبْرَصَ في صورته وهَيئته ، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، قد انقطعت بي الحِبال ، في سفري ، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بكَ ، أسألكَ بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بَعيرًا أَتَبَلَّغُ به في سفري . فقال : الحقوقُ كثيرةٌ . فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرصَ يَقْذَرك الناس ، فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما وَرِثْتُ هذا المال كابرًا عن كابر . فقال : إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ » . قال : « وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثلما قال لهذا ، فَرَدَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا ، فقال : إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ » . قال : « وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري . فقال : قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري ، فخذ ما شئتَ ، ودَع ماشئتَ ، فوالله لا أجهَدك اليوم بشيء أخذتَه لله . فقال : أمْسِكْ مالكَ ، فإنما ابتُليتُم ، فقد رُضِيَ عنك ، وسُخِطَ على صاحبيك » .

٨٦٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « اشْتَرى رجلٌ من رجلٍ عَقارًا له ، فوَجدَ الرجلُ الذي اشتَرى العَقار في عَقاره

(شاة والدا) الشاة الوالد : هي التي قد عُرِف منها كثرة الولد والنتاج .

(فأنتج) أنتجها ، أي : افتقدها عند الولادة - هكذا جاء لفظ الحديث « أنتج » - وإنما يقال : نَتَجْتُ الناقة أنتِجُها ، والناتج للنوق كالقابلة للنساء، وقوله : « ووَلَّد هذا » أي فعل في شاته كما فعل ذلك في إبله وبقره .

(الحبال) : جمع حَبْل ، وهو العهد والذِّمام والأمان والوسيلة ، وكل ما يرجو منه خيرًا أو فرَجًا ، أو يستدفع به ضررًا ، والحبل : السبب ، فكأنه قال : انقطعت بي الأسباب .

(فلا بلاغ) : أي ليس لي ما أبلغ به غرضي .

(كابرًا عن كَابر) : أي : ورِثته عن آبائي وأجدادي .

(لا أجهَدك) : أى : لا أشق عليك في الأخذ والامتنان .

٨٦٦ - البخاري (٦ / ٥١٢) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٤ - باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٣ / ١٣٤٥) - ٣٠ - كتاب الأقضية - ١١ - باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين .

وابن ماجه (٢ / ٨٣٩) ١٨ - كتاب اللقطة ، ٤ - باب من أصاب ركازًا .

جَرَّةً فيها ذهب ؛ فقال له الذي اشترى العَقَار : خُذ ذَهبَك منِّي ، إنما اشتريتُ منكَ الأرضَ ولم أبْتَعْ منك الذهب . وقال الذي له الأرضُ : إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها . فتحَاكما إلى رجلٍ ، فقال الذي تَحاكما إليه : ألَكُما وَلدٌ ؟ قال أحدهما : لي غُلامٌ . وقال الآخَرُ : لي جاريةٌ . قال : أنكِحوا الغُلامَ الجاريةَ ، وأنفِقوا على أنفُسِهما منه ، وتَصدَّقا » .

٨٦٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بني إسرائيل ، لا يُدرىَ ما فَعَلَتْ ؟ وإني لا أُراها إلا الفأرَ ، ألا تَرَوْنَها إذا وُضِعَ لها ألبانُ الإبل لم تشرب ، وإذا وضع لها ألبانُ الشاء شربت ؟ » قال أبو هريرة : فَحدَّثتُ كعبًا بهذا ، فقال : أنت سمعتَ النبيَّ ﷺ يقوله ؟ قلتُ : نعم . فقال لي مرارًا ، فقلت : أأقرأُ التوراة ؟

قال ابن حجر :

« قوله : (وإني لا أراها إلا الفأر) بإسكان الهمزة ، وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين بلفظ « الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ، ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تشربه » .

قوله : (فحدثت كعبًا) قائل ذلك هو أبو هريرة ، ووقع في رواية مسلم : فقال له كعب أنت سمعت هذا .

قوله : (فقلت : أفأقرأ التوراة) هو استفهام إنكار ، وفي رواية مسلم : أفأنزلت عليَّ التوراة . وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب ، وأن الصحابي الذي يكون كذلك إذا أخبر بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع ، وفي سكوت كعب عن الرد على أبي هريرة دلالة على تورعه ، وكأنهما جميعًا لم يبلغهما حديث ابن مسعود ، قال : وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال : « إن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » . وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لاأراها إلا الفأر » . وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي » اهـ .

---

٨٦٧ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ـ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ـ ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم .
مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ١١ ـ باب في الفأر وأنه مسخ .

أقول : وحديث ابن مسعود صحيح ، فإن الله لم يمسخ أمة إلا أماتها بعد ذلك ، فأنواع الحيوانات كلها أمم بعينها ليس منها شيء ممسوخ ؛ وبعد أن تبين هذا عن رسول الله ﷺ فإنه يدل على أنه جاءه اليقين بأن الفأرة وغيرها ليست ممسوخة ، لأن كلامه في الأصل مبني على قياس واجتهاد منه عليه الصلاة والسلام .

٨٦٨ - * روى أحمد عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ عن النبي ﷺ قال : « انتسب رجلان من بني إسرائيل على عهد موسى ﷺ أحدُهما مسلمٌ والآخَرُ مشركٌ ، فانتسبَ المشركُ فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ . حتى عَدَّ تسعةَ آباءٍ ، ثم قال لصاحبِهِ : انتسبْ لا أمَّ لكَ . فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ وأنا بريء مما وراء ذلك . فنادى موسى في الناس فَجمعَهم ثم قال : قد قُضي بينكما ، أما أنت الذي انتسبت إلى تسعة آباءٍ فإنك تُوفِيهم العاشرَ في النار ، وأما أنت الذي انتسبَ إلى أبويه فأنت امرؤ من أهل الإسلام » .

٨٦٩ - * روى عبد الله بن أحمد عن أُبَيٍّ بن كعبٍ قال : انتسبَ رجلان على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقال أحدُهما : أنا فلانُ بنُ فلانٍ فمن أنت لا أم لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « انتسبَ رجلانِ على عهدِ موسى ﷺ فقال أحدُهما : أنا فلانُ بن فلانٍ - حتى عَدَّ تِسعةً - فمن أنتَ لا أم لك ؟ فقال : أنا فلانُ بنُ فلان ابنُ الإسلام » قال : « فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ : إن هذين المُنتَسِبَيْنِ أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنتَ عاشِرُهم ، وأما أنتَ يا هذا المنتسبُ إلى اثنين في الجنةِ فأنت ثالثُهما في الجنةِ » .

٨٧٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كانَ رجُلانِ في بني إسرائيلَ مُتَواخِيانِ ، وكانَ أحَدُهُما مُذنبًا ، والآخَرُ مجتهدًا في

---

٨٦٨ - أحمد (٥ / ٢٤١) .

والمعجم الكبير (٢٠ / ١٣٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني ، وأحمد موقوفًا على معاذ ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وكذلك رجال أحمد .

٨٦٩ - أحمد (٥ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه عبد الله بن أحمد . ورجاله الصحيح ، غير يزيد بن زياد بن أبي الجعد وهو ثقة.

٨٧٠ - أحمد (٢ / ٣٢٣) . =

العِبادةِ ، وكانَ لا يزالُ المجتهدُ يَرَى الآخَرَ على الذَّنْب ، فيقولُ : أَقْصِرْ . فوَجَدَهُ يومًا على ذنْبٍ ، فقالَ لهُ : أَقْصِرْ . فقالَ : خلِّني وربِّي ، أبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا ؟! فقالَ : واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ ، أوْ لا يُدخِلُكَ اللهُ الجنةَ . فقُبِضَ رُوحُهُما ، فاجتَمعا عندَ ربِّ العالَمينَ ، فقالَ لهذا المجتهدِ : أكُنتَ بي عالمًا ، أوْ كُنتَ على ما في يدِي قادرًا ؟ ! وقالَ للمُذْنِبِ : اذهبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ برحمتي ، وقالَ للآخرِ : اذهبوا بهِ إلى النارِ » .

أقول : إنما عُذِّب المجتهد لأنه تألّى على الله وليس لأنه أنكر على المذنب ، فالإنكار عليه واجب ، ومن هنا نأخذ أدبًا أن ننكر على المذنب ولا نفتات على الله بما سيفعله .

٨٧١ - * روى البخاري عن خبّاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كانَ الرَّجُلُ قَبْلَكم يُؤخَذُ فَيُحفَرُ لهُ في الأرض ، فيُجعَلُ فيه ، فيُجاءُ بالمِنشارِ فيوضَعُ على رأسِه ، فيُشَقُّ باثنتين ، ما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دينِه ، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لَحمِهِ مِنْ عَظْمٍ أو عصَبٍ ، ما يَصُدُّه ذلكَ عن دينِه ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ ، حتى يَسيرَ الرَّاكبُ مِنْ صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ، لا يَخافُ إلا اللهَ ، والذِّئبَ على غنمِه ، ولكنَّكم تَستعجِلونَ » .

٨٧٢ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ أن رجلاً لم يَعْمَلْ من الخير شيئًا قط إلا التوحيدَ فلما حَضَرَتْه الوفاةُ قال لأهله : إذا أنا متُّ فخذوني فاحرقوني حتى تدعوني حُمَمَةً ثم اطحنوني ثم ذُرُّوني في البحر في يومٍ راحٍ . قال : ففعلوا به ذلك ، فإذا هو في قَبضةِ الله عز وجل . فقال اللهُ عز وجل : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ . قال : مَخافتُكَ . قال : فغفر الله عز وجل له .

= وأبو داود (٤ / ٢٧٥) - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي .
وهو صحيح .

٨٧١ - البخاري (٦ / ٦١٩) - ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة .
وأحمد (٥ / ١٠٩) .

٨٧٢ - أحمد (١ / ٣٩٨) .
مجمع الزوائد (١٠ / ١٩٤) . وقال : رواه أحمد ، وإسناد ابن مسعود حسن .
(حُمَمَة) : فحمة .
(يوم راح) : أي ذي ريح .

أقول : وقد روي هذا الحديث روايات متعددة ، وبعض رواياته عند مسلم ، وللعلماء كلام كثير في هذا الحديث ؛ والظاهر أن هذا الرجل لم يبلغه من هدي الأنبياء على الكمال والتمام ما تقوم به حجة كاملة عليه ، بل بلغه من بقايا هدي الأنبياء ما جعله يتوهم في حق الله عز وجل ما لا يصح ، معَ وجود أصل الإيمان بالله ، فغفر الله عز وجل له توهمه بسبب من حسن نيته في الخوف من الله وبسببٍ مِنْ أنه لم يبلغه شرع الله عز وجل كاملاً عن طريق صحيح ، والله أعلم . وبعض روايات الحديث لا تدل على التوهم ، فليس فيها إشكال.

٨٧٣ - * روى أبو يعلى عن عبدِ اللهِ قال : كان رجل كثيرَ المال لما حضَره الموتُ قال لأهله : إن فعلتم ما أمَرْتُكم به أورثْتُكم مالاً كثيرًا . قالوا : نعم . قال : إذا مِتُّ فاحرقوني ثم اطْحَنوني ، فإذا كان يومُ ريحٍ فارتقوا فوق قُلَّة جَبلٍ فاذْروني ، فإن اللهَ إن قَدَرَ علي لم يَغْفِر لي . فَفَعِل ذلكَ به ، فاجتمع في يدي الله فقال : ما حملكَ على ما صنعت . قال : يارب مَخافَتُك . قال : فاذهب فقد غَفَرتُ لك . وفي رواية : كان الرجلُ نبَّاشًا فَغُفِرَ له لخوفه .

أقول : إن قول الرجل وفعله يدلان على جهلٍ بالله ، فلعله كان من أهل فترة عنده بقايا من دين صحيح ، فعامله الله عز وجل برحمته على ما عنده من بقايا خيرٍ ، وهو خوفه من الله عز وجل .

٨٧٤ - * روى البزار عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ عن النبي ﷺ : « إن بني إسرائيلَ استخْلَفُوا خليفةً عليهم بعد موسى ﷺ فقامَ يصلي ذات ليلةٍ فوقَ بيت المقدس في القمر ، فذكَرَ أمورًا كان صَنَعَها ، فخرجَ فتدلَّى بسبب ، فأصبحَ السببُ معلقًا في المسجد وقد ذهبَ » . قال : « فانطلقَ حتى أتى قومًا على شطِّ البحر ، فوجدَهم يَضْرِبونَ لَبِنًا ، فسألهم : كيفَ تأخذونَ على هذا اللَّبِنِ ؟ » قال : « فأخبروه فلَبَّنَ

---

٨٧٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ١١٤) . وقال : رواه أبو يعلى بسندين ، ورجالهما رجال الصحيح .
أحمد (٥ / ٣٨٣) وهو عنده عن معاوية بن حَيْدَة . ورجاله ثقات .
(قُلَّة جبلٍ) : أعلاه .

٨٧٤ - كشف الأستار (٤ / ٢٦٧) .
والمعجم الكبير (١٠ / ٢١٦) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير ، وإسناده حسن .
(تدلى بسبب) : تدلى بحبل .

=

معهم ، فكانَ يأكُل من عَمَلِ يده ، فإذا كان حينَ الصلاةِ قامَ يُصَلي ، فرفَعَ ذلك العمالُ إلى دُهْقَانِهم ، أن فينا رجلاً يفعلُ كذا وكذا ، فأرسلَ إليه ، فأبى أن يأتيَهُ ثلاثَ مراتٍ ، ثم إنه جَاء » [أي : الدُّهقان] « يَسيرُ على دابَّتِهِ ، فلما رآه فَرَّ » [أي : الملك] « فاتَّبَعَهُ فَسَبَقَهُ ، فقال : أَنْظِرْني أُكَلِّمْكَ » . قال : « فقامَ حتى كلَّمَهُ . فأخْبَرَه خَبَرَه ، فلما أخبره أنه كان مَلِكًا وأنه فَرَّ من رَهْبَةِ ربِّهِ قال : إني لأَظُنُّني لاحقًا بكِ » . قال : « فاتَّبَعَهُ ، فَعَبَدا اللهَ ، حتى ماتا برُميلةِ مِصرَ » . قال عبدُ الله : لو أني كنتُ ثَمَّ لاهتديتُ إلى قبريهما بصفة رسول الله ﷺ التي وصف لنا .

٨٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كانَ في بَني إسرائيل رجُلٌ قتَلَ تِسعةً وتسْعينَ إنسانًا ، ثُمَّ خرَجَ يَسألُ ، فأتى راهبًا فسألهُ ، فقالَ لَهُ : ألي تَوْبةٌ ؟ قالَ : لا . فَقَتَلَهُ ، فجعَلَ يَسألُ ، فقالَ لهُ رجلٌ : ائتِ قَرْيَةَ كذَا وكذا ، فأدرَكَهُ المَوْتُ فنأى بصَدرهِ نحوَها ، فاختصَمت فيهِ ملائكةُ الرَّحمةِ ، وملائكةُ العذاب ، فأوْحى اللهُ إلى هذهِ : أنْ تقرَّبي ، وأوحَى اللهُ إلى هذهِ : أنْ تَباعَدِي ، وقالَ : قِيسُوا ما بَيْنَهما ، فوَجداهُ إلى هذهِ أقْرَب بشبرٍ ، فغُفِرَ لهُ » .

٨٧٦ - * روى الطبراني عن أبي عبدِ ربٍّ أنه سمعَ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ على المِنْبَرِ يُحَدِّثُ أنه سمعَ رسول الله ﷺ يقول : « إن رجلاً أسرفَ على نفسِه فلقيَ رجلاً فقال : إن الآخَرَ قتل تسعًا وتسعين نفسًا كلُّهم ظلمًا فهل لي من توبةٍ ؟ قال : لا . فقتله وأتى آخر فقالَ : إن الآخر قتلَ مائةَ نفسٍ كلَّها ظلمًا فهل تَجِدُ لي من تَوبةٍ ؟ فقال : إنْ حَدَّثْتُكَ على أن الله لا يتوبُ على من تاب كَذَبْتُكَ . هٰهنا قومٌ يَتَعَبَّدون فائتهم تَعبُدُ اللهَ معهم . فتوجَّهَ إليهم فماتَ على ذلك . فاجتمعتْ ملائكة الرحمةِ وملائكةُ العذاب ، فبعَثَ الله إليهم مَلَكًا فقال : قِيسوا ما بينَ

= (دهقانهم) : الدُّهقان رئيس القرية .

٨٧٥ - البخاري (٦ / ٥١٢) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٤ - باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٤)٢١١٩ - ٤٩ - كتاب التوبة - ٨ - باب قبول توبة القاتل .

٨٧٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١١) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير أبي عبد رب وهو ثقة ، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك .

المكَانين فأيُّهم كان أقربَ فهو منهم . فوجدوه أقربَ إلى دَيْرِ التَّوابين بـأُنْمُلَـةٍ فَغَفِرَ له » .

أقول : ينبغي في كل حـال أن يكـون للمسلم إخـوانـه في الله ، وأن يكـون لـه انتسـاب للعلماء الأوليـاء الصادقين لتتم لـه فضيلـة الأخوة الخـالصـة في الله والكينونـة مع أهل الله ، ويتأكد هذا المعنى حين غلبـة الشر ، وكثرة الفتن ، فعلىٰ المسلم في هـذه الحـالـة أن يلجـأ إلى البيئات الفاضلة العابدة ، فـذلـك هو معتصمـه بعـد الله ، وليحـذر أن يختلـط عليـه الأمر ، فيلجأ إلى بيئة يظنها عابدة صالحة وهي على شـذوذ في الاعتقـاد أو على بـدعـة في العمل أو على فتور في العبادة أو على دعوى عريضة في اللسان ويكذب ذلك أفعالها .

* * *

الفصل التاسع

في:

الإيمان باليوم الآخر

وفيه:

مقدمة ووصول

المقدمة

في الإسلام تنبثق الفروع عن أصول ، والأصول نفسها ترجع إلى أصول أجمع وأكثر كلية ، وهكذا فرجع الإسلام كله إلى الشهادتين ، فالشهادتان تنطوي فيهما أركان الإيمان وعنهما ينبثق الإسلام ، ويمكن أن نرجع الإسلام والإيمان إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، فمن عرف الله عرف أنه عادل ، ومن تمام عدله أن يكون هناك يوم آخر ، ومن تمام عدله ألا يحاسب ويعاقب إلا على شيء قد تقدم به إلى الناس ، ومن ههنا يأتي الوحي والرسالة ، والوحي والرسالة تتنزل بها الملائكة .

وهكذا نجد أن فروع الإسلام ترجع في النهاية إلى أصول قليلة ، ولكن ينبثق عن هذه الأصول ما لا يعد من فروع وشعب للفروع .

والتركيز على الإيمان بالله واليوم الآخر هو باب الإيمان والتقوى والإحسان والشكر والعمل ، فهذان الركنان هما محل التركيز المستمر في هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك كان الحديث عنهما في الكتاب والسنة كثيرًا ، بينما قل الحديث عنهما في كلام الناس في عصرنا مما ينبغي أن يتلافى .

إنه عن الإيمان بالله واليوم الآخر ينبثق الإخلاص والتوكل والزهد والمحبة والصدق ، كما أن الإيمان باليوم الآخر يستدعي المحاسبة والتأمل والتفكر والاعتبار والخوف والرجاء .

وعن الغفلة عن الله واليوم الآخر يتفرع الخبث كله من كفر ونفاق ومعصية وخيانة وحسد وعجب وكبر ورياء .

إنك إذا تأملت القرآن الحكيم فإنك لا تجد صفحات إلا وفيها حديث عن الله عز وجل أو عن اليوم الآخر أو عن الله واليوم الآخر ، وعندما ندرس نصوص السنة نجد كثرة النصوص المرتبطة بهذا أو بهذا ؛ لأن ذلك هو محور الرسالة ، قال تعالى : ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ (١) .

---

(١) العنكبوت : ٣٦ .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (١) . والطريقة الأساسية للرسل في البلاغ هي التبشير والإنذار : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٢) .

والتبشير والإنذار إنما هما تبشير برضوان الله الذي ينال أهله الجنة ، وإنذار بسخط الله الذي يستأهل أهله النار ، ولو أنك تأملت النصوص ثم تأملت الواقع لرأيت أنه لا صلاح للنفس البشرية ولا للحياة البشرية ولا لهذا العالم إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر وأن تظهر ثمرة ذلك على السلوك . وتأمل هذه النصوص :

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾ (٣) .

﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (٤) .

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ (٥)

﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ (٦) .

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ (٧) .

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ (٨) .

وتتوضع حول الإيمان باليوم الآخر موضوعات كثيرة تتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر ، منها :

---

(١) الأحزاب ٢١ .
(٢) النساء : ١٦٥ .
(٣) الماعون : ١ ـ ٣ .
(٤) المجادلة : ٢٢ .
(٥) التوبة : ١٨ .
(٦) التوبة: ٤٤.
(٧) الأنعام : ٩٢ .
(٨) ص : ٤٥ ، ٤٦ .

الإيمان بالموت وبالحياة البرزخية ، والساعة وأشراطها ، وما يكون بعد الساعة من حشر ونشر وحساب وجنة ونار إلى غير ذلك ، ويرتبط بهذا كله موضوعات متعددة كثيرة وكلها مرتبطة بالإيمان بالغيب .

* * *

وقد تولى القرآن الكريم مناقشة الكافرين باليوم الآخر والشاكين فيه بما لا مزيد عليه ، ولا ينبغي للمؤمن أن يمر عليه يوم دون أن يطالع كتاب الله عز وجل لكي يتزكى قلبه فيمتلىء يقينًا ويتأمل ، ويتذكر حين يمر على هذه المعاني وقد كررها القرآن كثيرًا لتثبت وتستقر كدأب القرآن في عرضه للقضايا الأكثر أهمية فهو يكرر القضية بحسب احتياج القلب البشري إليها .

وموضوع اليوم الآخر يحتاجه القلب كثيرًا ولذلك فإن القرآن يكاد يكون كله وصفًا لليوم الآخر حتى إن بعضهم فسر (الضمير) في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ [1] بالقرآن ، أي : وإن القرآن علم للساعة .

ـ إن أدلة وجود الله أكثر من أن تحصى ، ومن عرف الله عز وجل وعرف صفاته العليا وأسماءه الحسنى آمن باليوم الآخر وعرف حقيقة وجوده واستغرب إنكاره ، فمن عرف قدرة الله عز وجل لم يستغرب أن يقيم الله عز وجل القيامة وأن يعيد خلق الإنسان وغيره مما شاء ، ومن عرف علم الله لا يستغرب الإعادة مع تفرق الأجزاء ، ومن عرف عدل الله آمن بما أخبر عن وجود يوم ودار يكون فيهما الحساب والجزاء .

ـ ومن عرف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعرف صدقهم وكمالاتهم ومعجزاتهم ، وعرف أنهم أخبروا وبشروا وأنذروا باليوم الآخر أعطاه ذلك يقينًا .

ـ ومن عرف ما في القرآن من إعجاز ومعجزات ، وعرف أن هذا القرآن أخبر عن الساعة وما يكون بعدها من حشر ونشر ، أيقن باليوم الآخر .

---

(١) الزخرف : ٦١ .

- ومن عرف أن رسول الله ﷺ أخبر عن مئات الأحداث التي ستقع بعده ، وأن قسمًا كبيرًا مما أخبر عنه قد وقع ، عرف أن ما لم يقع واقع لا محالة ، ومن ذلك ما يكون بين يدي الساعة وما يكون بعدها .

- ومن عرف قصة أهل الكهف وأن الحكمة في فعل الله بأصحابها إثبات البعث زاده ذلك يقينًا .

- ومن تأمل كثرة البشارات والإنذارات في بقايا الوحي الإلهي الذي نقل لنا عن الرسل السابقين - على ما خالطه من تغيير وتبديل - أدرك أن التبشير باليوم الآخر ، والإنذار مما يكون فيه كان قاسمًا مشتركًا في هداية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

- ولو أنك تأملت سورة الروم في القرآن لوجدت أن الله عز وجل يدلل على صدق موعوده بغلبة الروم على الفرس بصدق موعوده بأن اليوم الآخر كائن ، وهذا يجعلنا نفطن لأهمية ما أخبرنا به رسول الله ﷺ عن واقعات ستقع بعده وقد وقعت لنتحقق بذلك أن ما أخبرنا عنه واقع ، سواء في ذلك ما يكون من أحداث قبل قيام الساعة أو ما يكون بعدها ، ومن ههنا سيكون الوصل الأول في هذا الفصل في الحديث عن بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أحداث بين يدي الساعة ، قد وقع بعضها ، وبعضها لم يقع وهو واقع لإخبار الله في كتابه أو لإخبار الرسول ﷺ في سنته أو لورود الخبر في الكتاب والسنة معًا ، وسيكون الوصل الثاني في هذا الفصل عن الموت والحياة البرزخية ، وسيكون الوصل الثالث عن الساعة وعما سيكون بعدها .

* * *

الوصـــول

الوصل الأول : **بين يدي الساعة**

الوصل الثاني : **الموت والحياة البرزخية**

الوصل الثالث : **الساعة وما يأتي بعدها**

الوصل الأول

بين يدي السّاعة

وفيه:

مقدمة وفقرات

المقدمة

تحدث رسول الله ﷺ عما يكون بين يدي الساعة من أحداث كبرى وأحيانًا عن أحداث صغيرة لكنها مهمة ، وذلك من معجزاته المتجددة على مدى القرون ، فما من عصر تقريبًا إلا ولرسول الله ﷺ أخبار عن غيب تراه هذه الأمة فيه ، فيكون معجزة له وعاملاً من عوامل تجديد الإيمان وتعميق اليقين وتثبيت الأفئدة .

إن بعض الأحداث التي مرت أو ستمر في تاريخ العالم أو على الأمة الإسلامية تزلزل القلوب من هولها وفظاعتها ، فعندما يكون عند المسلم علم عنها فإنه يتلقاها باليقين بدلاً من أن تكون سببًا لزعزعة هذا اليقين .

وفي ذكر بعض الأحداث إيجاد نوع من الجاهزية عند المسلم للتعامل مع هذه الأحداث إذا وقعت ، ثم إن بعض هذه الأحداث لها أحكام شرعية فاقتضى ذلك بيانًا ، وبعض هذه الأحكام يقاس عليه أشباهه ، وفي ذلك إغناء للشريعة وتنوير للمسلم .

وهناك الدعوات الكافرة أو الضالة التي يدعو إليها مرتدون أو كافرون أو ضالون ، وبعض هذه الدعوات تستند إلى شُبَهٍ في زعمهم ، فأنْ تَجيء في أهلها نصوص فذلك قطع لدابر التردد في شأنها عند أهل الإنصاف والهدى .

وفي كثير من الأحيان تأتي حوادث ظالمة مظلمة يظن الناس أنها أبدية ، فتأتي النصوص لتوضح جليتها أو توقيتها فيكون ذلك باعثًا على الأمل والعمل .

وهناك حالات ينبغي أن تقطع الدعاوى في شأنها فأن يدعي معمّر من المعمّرين أنه رأى رسول الله ﷺ ، ذلك يترتب عليه ما يترتب ، فجاءت النصوص لتحدد عمر الجيل الذي عايش رسول الله ﷺ ورآه .

ثم إن قيام القيامة الذي يعني نهاية نظام هذا العالم هو أعظم الأحداث بعد خلق العالم ، فما هي مقدماته الكبرى أو الصغرى ليعرف ذلك المسلمون ويبنوا عليه ما ينبغي البناء .

هذه بعض الحكم في ذكر ما يحدث بين يدي الساعة بواسطة الوحي .

* * *

إن النصوص التي تتحدث عما يكون بين يدي الساعة على أنواع : فمنها ما يتحدث عن دعوات الكفر أو الضلال والفرق التي ستنشق عن جسم الأمة الإسلامية بكفر أو ابتداع .

ومنها ما يتحدث عن بشارات وانتصارات لهذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن أحوال ضعف تعتري هذه الأمة . ومنها مايتحدث عن حالات مرضية تصيب بعض أجيال هذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن صراعات كبرى تخوضها هذه الأمة تُغْلَبُ فيها أو تَغْلِبُ . ومنها نصوص تتحدث عن أشخاص بأعيانهم أو أحداث بأعيانها . ومنها النصوص التي تتحدث عن أشراط الساعة الكبرى التي تكون بين يدي الساعة مباشرة .

* * *

وقسم من هذه الشؤون قد مرَّ معنا من قبل أو سيمر معنا في سياقات موضوعات هذا الكتاب ، فقد ذكرنا بابا في قسم السيرة عن بعض ماأخبرنا عنه رسول الله ﷺ من غيوب وقعت . ومرّ معنا أثناء الكلام عن الفرق الإسلامية بعض مما له علاقة بهذا الموضوع . ومرّ معنا أثناء الكلام عن الصحابة كثير مما أخبر به ﷺ ووقع . وستمرّ معنا بعض النصوص بمناسبة الكلام عن مكة والمدينة ، أو أثناء الكلام عن الخلافة . وقد نضطر في هذه الشئون لشيء من التكرار ، وفي كتابنا الرسول ﷺ تحدثنا عن عدد من الحوادث المستقبلية التي ستقع بعده وقد وقعت ومنها الذي وقع في عصرنا فليراجع .

* * *

لقد ركز رسول الله ﷺ بوحي من الله على معانٍ كثيرة فيما يأتي بعده ، فتحدث عن الشقاق والخلاف والنزاع والقتال والفتن التي تكون بين أبناء الأمة الإسلامية ، وذلك ليعرفها المسلمون فلا يشاركوا في الخطأ ، وليتوبوا إذا شاركوا وليعتبروا فلا يكرروا .

وبشر رسول الله ﷺ بالفتوحات التي ستكون بعده لينـدفع المسلمون في عملية الفتح ، وليعرفوا أن ذلك من الله فيشكروا ، وإذا حدثت انتكاسة فلا ييأسون ولا يستسلمون .

وركز رسول الله ﷺ على الدعوات الباطلة بعده ، سواء جاءت من مدعي نبوة كاذبين أو دعاة ضلالة ليحذر المسلمون وليجتنبوا . وركز على ضعف الالتزام وأنواع من الانحرافات

سيقع فيهـا بعض المسلمين ؛ ليعرفهـا الصـالحون فيعـالجوهـا ويتجنبوهـا ، وليتخـذوا المـوقف الصحيح من أهلها إذا وقعت . وركز على علامات الساعة الصغرى ليستأنس المسلمون بذلـك فيعرفوا المرحلة التي هم فيها ، فعلى ضوء الأحـداث التي لم تقع بعـد ممـا أخبر عنـه رسول الله ﷺ يستطيع المسلمون أن يعملوا ويخططـوا ، وفي الأصـل فقـد ربّـانـا رسـول الله ﷺ على العمل حتى لو علمنا أن الساعة مصبحة أو ممسية .

وركز على أشراط الساعة الكبرى كأهم شيء يتقدم تغيير نظام هذا العالم .

وركز على أن الساعة تقوم على شرار الخلق ليُعْرَفَ للمسلم فضله وفضيلة وجوده ، فما دام في الأرض مسلم صالح فلا تقوم الساعة ، فوجود المسلم أمانٌ لأهل الأرض جميعًا .

* * *

الفقرات

الفقرة الأولى في : أنّ رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة .

الفقرة الثانية في : قرب الساعة نسبيًا .

الفقرة الثالثة في : مدة قرن النبوة .

الفقرة الرابعة في : بعض أحداث المرحلتين الراشدة والأموية مما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه كائن بين يدي الساعة .

الفقرة الخامسة في : حديث جامع .

الفقرة السادسة في : فتح القسطنطينية الأولى .

الفقرة السابعة في : قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم .

الفقرة الثامنة في : تمزقات الأمة الإسلامية وصراعاتها .

الفقرة التاسعة في : التجديد والمجدّدين .

الفقرة العاشرة في : نار الحجاز .

الفقرة الحادية عشرة في : استقلال أقطار الأمة الإسلامية عن بعضها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية .

الفقرة الثانية عشرة في : غربة الإسلام .

الفقرة الثالثة عشرة في : مدّعي النبوة والدجالين .

الفقرة الرابعة عشرة في : أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة وقد وقعت .

الفقرة الخامسة عشرة في : أشراط صغرى لم تقع بعد .

الفقرة السادسة عشرة في : انحسار الفرات عن جبل من ذهب .

الفقرة السابعة عشرة في : أشراط الساعة الكبرى .

الفقرة الثامنة عشرة في : المهدي عليه السلام .

الفقرة التاسعة عشرة في : الدجال .

الفقرة العشرون في : صفة المسيح بن مريم عليه السلام ونزوله .

الفقرة الحادية والعشرون في : يأجوج ومأجوج .

الفقرة الثانية والعشرون في : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق .

الفقرة الثالثة والعشرون في : نار عدن .

الفقرة الأولى

في :

أن رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة

٨٧٧ - * روى مسلم عن عَمْرو بن أخطبَ الأنصاري رضي الله عنه ، قال : صَلَّى رسول الله ﷺ يومًا الفجرَ ، وصَعِدَ على المِنْبَرِ ، فَخَطَبَنَا حتى حَضَرَتِ الظهرُ ، فنزلَ فصلى ، ثم صَعِدَ المنبر ، فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ ، ثم نزل فصلى ، ثم صَعِدَ المنبر حتى غَرَبَتِ الشمسُ ، فأخبرَنا بما [كان ، وبما] هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : فأعلمُنا أحفظُنا .

٨٧٨ - * روى أبو داود عن حُذيفَة بن اليمانِ رضي الله عنهما ، قال : والله ما أدْري أنَسي أصحابي ، أم تناسَوْا ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائدِ فتنةٍ إلى انقضاء الدنيا ، يَبلغُ مَن معه ثلاثَمائة فصاعدًا ، إلا قد سمَّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

٨٧٩ - * روى مسلم عن أبي إدريس الخولاني قال : قال حذيفةُ رضي الله عنه : والله إني لأعْلَمُ الناسِ بكلِّ فِتْنَةٍ هي كائنةٌ فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أَسَرَّ إليَّ في ذلك شيئًا لم يُحَدِّثْهُ غيري ، ولكنْ رسول الله ﷺ قال يومًا - وهو في مجلسٍ يَتَحَدَّثُ فيه عَنِ الفتن ويَعُدُّهُنَّ - : « منها ثلاثٌ لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئًا ، ومنها فِتَنٌ كرياحِ الصيفِ ، منها صغارٌ ، ومنها كِبارٌ » فذهب أولئك الرَّهْطُ الذين سَمِعُوه معي كلُّهم غيري .

* * *

---

٨٧٧ - مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

٨٧٨ - أبو داود (٤ / ٩٥) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده حسن .

٨٧٩ - مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

(كرياح الصيف) : يريد أن فيها بعض الشدة ، وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى .

الفقرة الثانية

في :

قرب الساعة نسبيًّا

٨٨٠ ـ * روى الطبراني في الثلاثة عن ابنِ عمرَان أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنما أجَلُكم فيما خَلا من الأمم كما بين صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ » .

٨٨١ ـ * روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إني لأرجو أن لا يُعجِزَ اللهُ أُمَّتي عند ربِّها : أن يُؤَخِّرَهم نِصفَ يوم » .

قيل لسعدٍ : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسُمائة سنةٍ .

أقول : في الحديث إشارة إلى أن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم الزمن المحدد لقيام الساعة ، وكان يعلم قربها لذلك رجا الزمن المذكور وقد بارك الله لهذه الأمة أجلها ليكثر أتباع رسول الله ﷺ ، والمرجو أن يبارك فيما يأتي فلم تزل كثير من إخبارات رسول الله ﷺ عما هو كائن قبيل الساعة لم تقع .

٨٨٢ ـ * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْتَرَبَتِ الساعَةُ ولا تَزْدادُ منهم إلا بعدًا » .

---

٨٨٠ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٣٣٨) .

والروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني (١ / ٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الكبير : كنا جلوسا عند النبي ﷺ والشمسُ على قُعَيْقِعَانَ بعدَ العصرِ فقال : « ما أعمارُكم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه » . ورجال الصغير والأوسط رجال الصحيح ، وفي أحد إسنادي الكبير شريك وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(قُعَيْقِعَان) : جبل بمكة ، سُمِّي بذلك لأن جُرْهُمًا لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك .

٨٨١ ـ أبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة . وإسناده صحيح .

٨٨٢ ـ المعجم الكبير (١٠ / ١٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني وهو ثقة ثبت .

أقول :

قوله : (ولا تزداد منهم إلا بعدًا) : إشارة إلى غفلة الناس عن الساعة كلما تقارب وقوعها .

٨٨٣ ـ * روى أحمد عن بريدةَ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « بعثتُ أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبِقُني » .

٨٨٤ ـ * روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « مَثَلُ المسلمين واليهود والنصارى ، كمثلِ رجلٍ استأجَرَ قومًا يعملون له عملاً إلى الليلِ على أجْرٍ مَعلومٍ ، فعَمِلوا له إلى نِصفِ النَّهارِ ، فقالوا : لا حاجةَ لنا إلى أجْرِك الذي شَرَطْتَ لنا ، وما عَمِلْنا باطلٌ . فقال : لا تفعلوا ، أكملوا بقيةَ عَمَلِكم ، وخُذوا أجْرَكم كاملاً . فَأَبَوْا وتَرَكُوا ، واستأجَرَ آخَرين بعدَهم ، فقال : أكْمِلوا بقيةَ يومِكم ، ولكم الذي شَرَطْتُ لهم من الأَجْرِ . فَعَمِلوا حتى إذا كان حين صَلاةِ العصرِ ، قالوا : لك ما عَمِلْنا باطلٌ ، ولك الأجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا . فقال : أَكْمِلُوا بقيةَ عَملِكم ، فإنَّ ما بَقِيَ من النهار شيءٌ يسير . فأَبَوْا ، فاسْتأجَرَ قوما أن يَعْمَلُوا بَقِيَّةَ يومِهم ، فعمِلوا بقيةَ يومِهم ، حتى غابَتِ الشمسُ ، فاسْتَكْمَلوا أجْرَ الفَرِيقَينِ كِلَيهما ، فذلك مَثَلُهم ومَثَلُ ما قَبِلوا من هذا النُّورِ » .

٨٨٥ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائمٌ على المِنبرِ يقول : « إنما بَقاؤكم فيمن سَلَفَ قَبلَكم من الأُمم ، كما بين صلاةِ العصرِ إلى غُروب الشمسِ ، أُوتِيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا بها حتى انتصفَ النهارُ ، ثم عَجَزوا ، فأُعْطوا قِيراطًا قِيراطًا . ثم أُوتِيَ أهلُ الإنجيل الإنجيلَ ، فعملوا

---

٨٨٣ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٤٨) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضَم أصبُعَيه السَّبَّابَة والوسطى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٨٨٤ ـ البخاري (٤ / ٤٤٧) ٣٧ ـ كتاب الإجارة ١١ ـ باب الإجارة من العصر إلى الليل .

٨٨٥ ـ البخاري (١٣ / ٤٤٦) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ـ ٣١ ـ باب في المشيئة والإرادة .

إلى صلاة العصر فعَجَزوا ، فأُعْطُوا قِيراطًا قيراطًا . ثم أُوتينـا القرآن ، فَعمِلْنـا إلى غُروبِ الشمسِ ، فـأُعطينـا قِيراطين قِيراطين . فقـال أهـلُ الكتـابين : أيْ ربَّنـا ، أعطيتَ هـؤلاء قِيراطين قِيراطين ، وأعطيتَنـا قيراطًـا قيراطًـا ، ونحن كُنَّـا أكثرَ عمـلاً ؟ ! قـال الله عـز وجـلَّ : هـل ظَلَمْتُكم من أجْرِكم من شيءٍ ؟ قـالـوا : لا . قال : فهو فَضلي أُوتِيه مَن أشاء » .

وفي رواية [١] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلُكم وَمَثَلُ أهلِ الكِتـابَين كمَثلِ رجل استـأجَر أُجَرَاء ، فقـال : مَنْ يَعْمَـلُ لي من غَـدْوَةٍ إلى نصفِ النهـارِ على قِيراطٍ ؟ فعملَتِ اليهـودُ . ثم قـال : مَنْ يَعْمَـلُ لي من نصفِ النهـارِ إلى صـلاةِ العصرِ على قِيراطٍ ؟ فعَمِلت النصـارى . ثم قـال : مَنْ يَعْمَـلُ لي من العصرِ إلى أن تغيبَ الشمسُ على قِيراطين ؟ فأنتم هم ، فَغَضِبَتِ اليهود والنصارى ، فقالوا : مـالنـا أكثرُ عَمَلاً ، وأقلُّ عطاءً ؟ قال : هل نَقَصْتُكم من حَقِّكم ؟ قالوا : لا . قال : فـذلـك فَضْلي أُوتيه مَنْ أشاءُ » .

وفي أخرى [٢] قـال : « إنمـا أجلُكم في أجَـلِ مَن خـلا من الأمم ، كما بين صـلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنمـا مثلُكم ومثلُ اليهود والنصـارى ، كرجل استعمل عُمَّالا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ... » فـذكر نحوه ، وفي آخره : « ألا فـأنتم الـذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، ألا لكم الأجْرُ مرتين ، فغضِبَتِ اليهود والنصارى » ... وذكر نحو ما قبله .

* * *

(١) البخاري (٤ / ٤٤٥) ٣٧ ـ كتاب الإجارة ٨ ـ باب الإجارة إلى نصف النهار .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩٥) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

الفقرة الثالثة

في :

مدة قرن النبوة

٨٨٦ - * روى مسلم عن أبي الزُّبَيْرِ ، أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول - قبل أن يموتَ بشهرٍ -: « تسألوني عن الساعة ؟ وإنّما علمُها عند الله ، وأُقسِمُ باللهِ ماعلى الأرضِ من نَفْسٍ منفوسةٍ اليومَ يأتي عليها مائةُ سنةٍ وهي حَيّةٌ يومئذ » . قال : فَسَّرها عبدُ الرحمن صاحبُ السِّقايةِ ، قال بعضُهم : هو نَقْصُ العُمُرِ .

وفي رواية للترمذي [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِنْ نفسٍ منفوسةٍ تبلُغُ مائةَ سنةٍ » - قال سَالِمُ بنُ أبي الجَعْدِ وتذاكرنا ذلك عنده - : إنما هي نفسٌ مخلوقةٌ يومئذٍ .

ولهما وللبخاري وأبي داود عن ابن عمر بنحوه [2] ، وفيه : يريد بذلك أنْ ينخرم ذلك القرن .

٨٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : كان الأعرابُ إذا قَدِموا على رسولِ الله ﷺ سألوه عن الساعة ، متى الساعة ؟ فينظرُ إلى أحْدَثِ إنسانٍ

---

٨٨٦ - مسلم (٤ / ١٩٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٥٣ - باب قوله ﷺ « لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » .

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٠) ٣٤ - كتاب الفتن ٦٤ - باب حدثنا هناد . وقال : حسن .

(٢) مسلم (٤ / ١٩٦٥) نفس الكتاب والباب السابقين .

الترمذي : في الموضع السابق

والبخاري (٢ / ٧٤) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ٤٠ - باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء .

وأبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة .

(نفس منفوسة) النفس المنفوسه : هي المولودة ، نفست المرأة - بفتح النون وضمها - إذا ولدت ، والمعنى في الحديث : أن كل من هو موجود الآن ، يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين : يكونون قد ماتوا ؛ ولا بقي منهم على الأرض أحد ، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت .

أقول : وعلى هذا الحديث استدلّ البخاري وغيره ، أنّ الخَضِرَ ليس حيًّا بعد تلك المئة .

٨٨٧ - البخاري (١١ / ٣٦١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ - باب سكرات الموت .

مسلم (٤ / ٢٢٦٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

منهم ، فيقولُ : « إن يَعِشْ هذا : لَم يُدرِكْه الهرَمُ ، حتى قامتْ عليكم الساعةُ » . قالَ هشامٌ : يعني موتَهم .

٨٨٨ - * روى مسلم عن أَنَسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ : متى الساعةُ ؟ فَسَكتَ رسولُ الله ﷺ هُنَيْهَةً ، ثم نظر إلى غُلام بين يديه من أَزْدِ شَنُوءة ، فقال : « إنْ عُمِّرَ هذا الغلامُ : لم يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حتى تقومَ الساعةُ » . قال أنسٌ : وذلك الغلامُ من أترابي يومئذ .

وفي رواية[1] : وعنده غلامٌ من الأنصار ، يقال له : محمد ... وذكر الحديث .

أقول :

قوله : لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة : أي ساعة المخاطَبين : أي موتهم . وذلك من التذكير للمُخاطَبِ بالأهم في حقه .

قال ابن كثير في النهاية :

وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة ؛ فعالم البرزخ قريب من عالم يوم القيامة . وفيه من الدنيا أيضًا ، ولكن هو أشبه بالآخرة ، ثم إذا تناهت المدة المضروبة للدنيا ، أمر الله بقيام الساعة . فيُجمع الأولون والآخرون لميقات يوم معلوم . ا .هـ .

* * *

٨٨٨ - مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة، ٢٧ - باب قرب الساعة .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٩) نفس الكتاب والباب السابقين

الفقرة الرابعة

في :

بعض أحداث المرحلتين : الراشِدة والأموية

مما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه كائن بين يدي الساعة

٨٨٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليَمانِ رضي الله عنهما ، قال : كنا عند عُمرَ ، فقال : أيُّكم يَحفظُ حديثَ رسولِ الله ﷺ في الفتنة ؟ فقلت : أنا أحْفَظُهُ كما قال . قال : هاتِ ، إنكَ لَجَرِيءٌ ، وكيف قال ؟ قلتُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « فِتْنَةُ الرجل في أهلِه ومالِه ونفسِه وولدِه وجارِه ، يكفِّرها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ ، والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ » . فقال عمرُ : ليسَ هذا أريدُ ، إنما أريدُ التي تموجُ كموج البحرِ .قال : قلتُ : مالكَ ولها يا أميرَ المؤمنين ؟ إن بينك وبينها بابًا مُغْلَقًا . قال : فيُكْسَرُ الباب أو يفتح ؟ قال : قلتُ : لا ، بل يُكْسَرُ ، قال : ذاك أحْرَى أن لا يُغْلَقَ أبدًا . قال : فقلنا لحذيفةَ : هل كان عمر يَعْلَمُ مَنِ البابُ ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دُون غَدٍ الليلة ، إني حَدَّثْتُه حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال : فَهِبْنا أن نسألَ حذيفةَ : مَنِ البابُ ؟ فقلنا لمسروقٍ : سَلْهُ . فسألَهُ ، فقال : عمرُ .

ورواه الترمذي[1] إلى قوله : بل يُكْسَرُ . قال : إذًا لا يُغْلَق إلى يوم القيامة . قال أبو وائل : فقلت لمسروق ، سَلْ حذيفَة عن البابِ . فسألَه فقالَ : عُمرُ .

أقول : هذا الحديث من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، إذ فيه تصريح باستشهاد عمر وما سيحدث بعد ذلك من فتن .

---

٨٨٩ ـ البخاري (٢ / ٨) ٩ ـ كتاب مواقيت الصلاة ، ٤ ـ باب الصلاة كفارة .

مسلم (١ / ١٢٨) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦٥ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ...

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٤) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٧١ ـ باب حدثنا محمود بن غيلان ...

وقال : هذا حديث صحيح .

(لجريء) الجرأة : الإقدام على الأمر العظيم .

(بالأغاليط) جمع أغلوطة ، وهي المسائل التي يغلَّط بها ، والأحاديث التي تذكر للتكذيب .

٨٩٠ - * روى الحاكم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فاستوْصُوا بالقِبْطِ » . وفي رواية : « فَاستَوصُوا بِأهلِهَا خَيْرًا فَإنَّ لهم ذمة وَرَحِمًا » .

٨٩١ - * روى مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ : « إنكم سَتَفْتَحُونَ أرضًا يُذكَرُ فيها القِيراطُ فاسْتَوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا » .

وقال ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين (١) : « إذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعده وإذا هلك كِسْرَى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لَتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل اللهِ » .

أقول : استؤصلت دولة الأكاسرة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ولم تعد ولن تعود بإذن الله تعالى ، واستؤصلت دولة القياصرة بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله ، فبعد أن سقط كسرى لم يظهر كسرى بعده ، وبعد أن سقط قيصر لم يظهر قيصر بعده .

٨٩٢ - * روى مسلم عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ : كتبتُ إلى جابرِ بنِ سَمُرةَ مع غلامي نافعٍ : أن أخبرني بشيءٍ سمعتَهُ من رسول الله ﷺ . فكتب إليَّ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يوم جمعة ، عَشيّةَ رُجِمَ الأسلميُّ ، قال : « لا يزال الدِّين قائمًا حتى تقومَ الساعةُ ، أو يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً ؛ كُلُّهم من قُريشٍ » . وسمعته يقول : « عُصَيبة من المسلمين يفتتحون البيتَ الأبيضَ : بيتَ كِسرى - أو آل كِسرى » . وسمعتُه يقول : « إنَّ بين يدي الساعة كذّابين ، فاحذروهم » . وسمعته يقول : « إذا أعطى اللهُ

---

٨٩٠ - المستدرك (٢ / ٥٥٣) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٣) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح .

(ذمة) : الحق والحرمة ، وهي هنا بمعنى الذمام .

(رَحِما) الرَّحِم : لكون هاجر أم إسماعيل منهم .

وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

٨٩١ - مسلم (٤ / ١٩٧٠) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٥٦ - باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .

(١) البخاري (٦ / ٦٢٥) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

مسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٧ - باب لا تقوم الساعة ...

٨٩٢ - مسلم (٣ / ١٤٥٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ١ - باب الناس تبع لقريش ...

=

أحدَكم خَيْرًا فليبدأْ بنفسِه وأهلِ بيته » . وسمعته يقول : « أنا الفَرَطُ على الحوضِ » .

وفي رواية سِماكِ بنِ حرب[1] عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ من المسلمين أو المؤمنين كنزَ آلِ كِسرَى الذي في الأبيض » .

وفي رواية أخرى[2] قال : « لَنْ يَبْرَحَ هذا الدِّين قائمًا يقاتِل عليه عِصابةٌ من المسلمين حتى تقومَ الساعةُ » .

أقول : قد وجد من خلفاء أمته القرشيين الكثير ، فالخلفاء الراشدون والخلفاء الأمويون والخلفاء العباسيون كلهم قرشيون ، وتخصيص الاثنى عشر خليفة بالذكر إشارة إلى خلفاء يكون لقيام الدين في عصرهم شأن خاص ، فإذا كان المراد بالحديث الاثنى عشر خليفةً الأولَ في تاريخ الأمة الإسلامية ، والذين يستكلمون بعمر بن عبد العزيز رحمَهُ الله ، فالمرادُ بذلك قيامُ الدينِ بسبب من قوة اليقين عند الصحابة وكبارِ التابعين ، وفي الرواية أكثرُ من مُعجزَةٍ وقَعتْ كفتحِ المدائن وبعضُها قائمٌ ، وهو أن هذا الدين لا تزال طائفة تحمله .

٨٩٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنهُ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى تَقْتَتِل فِئَتَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقتلةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » .

أقول : الظاهر أن في الحديث إشارة إلى ما وقع بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى ، فكل من الجهتين كانت دعواه نصرة الحق ، فالجهتان مجتهدتان والصواب مع علي رضي الله عنه ، أو ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ؛

= (الفَرَط) : الذي يتقدّم الورّاد ، فيهيئ لهم الحبال والدّلاء والحياض ويستقي لهم ، وهو فَعَل بمعنى فاعل ، يقال : رجل فَرَطٌ ، وقوم فرط .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٥٣ ـ باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. » إلخ.

٨٩٣ ـ البخاري (١٣ / ٨١) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٥ ـ باب حدثنا مسدد حدثنا يحيى ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢١٤) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٤ ـ باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

فكلاهما كان يدعي نصرة الحق ، والصواب كان مع علي ، وما جرى بين علي والآخرين وردت فيه نصوص كثيرة وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكرناها في القسم الأول من هذا الكتاب .

٨٩٤ ـ * روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تَقْتُلُوا إمَامكم ، وتَجتَلِدُوا بأَسْيَافكم ، ويَرِثَ دُنياكم شِرارُكم » .

أقول : في الحديث إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه ، وقد وردت في ذلك نصوص صريحة ذكرناها في القسم الأول ، وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٨٩٥ ـ * روى أبو داود عن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه ، قال : كنَّا عندَ رسول الله ﷺ ، فذكر فتنةً عَظَّمَ أمْرَها ، فقلنا ـ أو قالوا ـ: يا رسولَ الله ، لئن أدْرَكَتْنا هذه لَتُهْلِكنّ . فقال رسولُ الله ﷺ : « كَلاَّ إنَّ بحَسْبِكم القتل » .

قال سعيد : فرأيت إخواني قُتلوا .

٨٩٦ ـ * روى أبو يعلى عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « تَزْعُمون أني مِن آخِرِكم وفاةً ألا وإني من أولكم وفاة وَلَتَتَّبِعُنِي أفنادًا يَضربُ بعضُكم رقابَ بعض » .

وفي لفظ الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : كنا جلوسا في المسجد إذ خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال : « إنكم تتحدثون أني من آخركم وفاة ألا وإني من أولكم وفاة ولَتَتَّبِعُنِي أفنادا يفني بعضكم بعضًا » . ثم نزَعَ بهذه الآية ﴿ قُل هو القادرُ على أن

---

٨٩٤ ـ الترمذي (٤ / ٤٦٨) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٩ ـ باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال : هذا حديث حسن .

وابن ماجه (٢ / ١٣٤٢) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٢٥ ـ باب أشراط الساعة .

٨٩٥ ـ أبو داود (٤ / ١٠٥) ـ كتاب الفتن والملاحم ، باب ما يرجى في القتل . ـ إسناده صحيح .

(بحسْبِكم القتلَ) أي : إنَّ القتلَ كافيكم ومقنعُكم .

٨٩٦ ـ مجمع الزوائد : (٧ / ٣٠٦) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والكبير ولفظه فيه عن معاوية ...، ورجالهما ثقات .

(أفنادًا) : جماعات متفرقين قومًا بعد قوم .

يَبعثَ عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجُلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون ﴾ [1] . ثم قال : « لا تبرح عِصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يبالون خُذلان من خَذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله على ذلك » . ثم نَزَعَ بهذه الآية : **﴿ يا عيسى إني مُتوفِّيك ورافِعُكَ إليَّ ومُطهرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾** [2] .

٨٩٧ - * روى مسلم عن نافع بن عتبة أن رسول الله ﷺ قال : « تغزون جزيرة العرب فيفتحُها الله ثم فارسَ فيفتحها الله ثم تغزون الرومَ فيفتحها اللهُ ثم تغزون الدجالَ فيفتحه الله » .

أقول : في الحديث أكثر من معجزة ، منها الإشارة إلى فتح قبرص ، وقد كان ذلك ، وافتتحها المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه .

٨٩٨ - * روى البخاري عن سعيد بن المسيَّب رحمه الله قال : وَقَعَتِ الفِتْنَةُ الأولى - يعني مقتلَ عثمانَ - فلم يبقَ من أصحابِ بدرٍ أحدٌ ، ثم وقعت الفتنةُ الثانية - يعني الحرةَ - فلم يبق من أصحاب الحديبية أحدٌ ، ثم وقعت الفتنة الثالثةُ ، فلم ترتفعْ وبالناس طَبَاخٌ .

٨٩٩ - * روى أحمد عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال : « تَدُورُ رَحَى الإسلام لخمسٍ وثلاثين - أو ستٍّ وثلاثين ، أو سبعٍ وثلاثين - فإن يَهْلِكُوا

---

(١) الأنعام : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .　　(٢) آل عمران : ٥٥ .

٨٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٢ - باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

٨٩٨ - البخاري (٧ / ٣٢٣) ٦٤ - كتاب المغازي ، ١٢ - باب حدثني خليفةُ حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري .... إلخ .

(طَبَاخ) أصل الطَّبَاخ : القوّة والسِّمَنُ ، ثم استعمل في غيره ، فقيل : فلان لا طَباخ له ، أي : لا عقل له ولا خير عنده ، المراد : أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحدًا .

٨٩٩ - أحمد (١ / ٣٩٠) .

وأبو داود (٤ / ٩٨) - أول كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده صحيح .

وابن حبان (٨ / ٢٣١) .

وصححه في المستدرك (٤ / ٥٢١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

فسبيلُ مَنْ هَلَكَ ، وإن يَقُم لهم دِينُهم : يَقُمْ لهم سَبعين عامًا » . قال : قلت : أَمِمَّا بقي ، أو مما مضى ؟ قال : « مما مضى ».

قال ابن الأثير :

تدور رَحى الإسلام ، يقال : دارت رَحى الحرب : إذا قامت على ساقها ، والمعنى فيما قيل : إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة ، والبعد من أحداث الظَّلَمة إلى أن تنقضيَ هذه المدة التي ذكرها وهي خمس وثلاثون سنة ، ووجهه : أن يكون قاله وقد بقي من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين ، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين - وهي ثلاثون سنة - كانت بالغة ذلك المبلغ ، وإن كان أراد :سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان ، وإن كانت سنة ست وثلاثين ، ففيها كانت وَقْعَةُ الجمل ، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ، ففيها كانت وَقْعة صِفِّين . ا .هـ

أقول :

وأما قوله : (يقم لهم سبعين عامًا) : فقد يكون المراد به قيام الدين على سنن الاستقامة ، وغلبة أهل الحق على أهل الأهواء والبدع ، حتى تقوم الحجة وتوجد الأسس التي يستمر بها الدين الحق على كثرة أهل الضلال والمنحرفين .

٩٠٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من رأس السَّبعينَ ومن إمارةِ الصبيانِ » . وقال : « لا تذهبُ الدنيا حتى تصيرَ لِلُكَعِ ابنِ لُكَعٍ ».

أقول :

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يستعيذ من أن تدركه سنة ستين وإمرة الصبيان ، وسنة ستين هي السنة التي تأمَّرَ فيها يزيد بن معاوية ، وبعد وفاته أمّر ابنه معاوية وكان صغيرًا

---

٩٠٠ - أحمد (٢ / ٣٢٦) . ورجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة وقال في التقريب : صدوق يخطئ .
وكشف الأستار (٤ / ١٢٦) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٠) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة .
وقال في التقريب : صدوق يخطئ .
(اللُّكَعُ) : العبد ، واستعمل في الحق والذم .

لكنه استقال واعتزل ، ثم كانت الفتنة والقتال بين ابن الزبير وبني أمية ، فسنة سبعين كانت سنة سبقتها إمرة الصبيان .

٩٠١ - * روى ابن ماجه عن أبي مُوسى ؛ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لَهَرْجًا » . قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ الله ، مَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : « الْقَتْلُ » . فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّا نَقْتُلُ الآنَ فِي الْعامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « ليسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ » . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ، ذلِكَ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لاَ . تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ . وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لاَ عُقُولَ لَهُمْ » .

ثُمَّ قَالَ الأَشْعَرِيُّ : وَايْمُ اللهِ ، إِنِّي لأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ . وَايْمُ اللهِ ، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ ، إِلاَّ أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيها .

أقول : في الحديث إشارة إلى وقعة الحرة ، وما بعدها من قتال على الملك والعصبية دون تعقل . والله أعلم .

٩٠٢ - * روى ابن ماجه عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنتَ يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ ؟ » . (يَعْنِي الْقَبْرَ) .

---

٩٠١ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة . والحديث صحيح .
ونحوه أحمد (٢ / ٣٩٤) .
(لا) أي لا عقل معكم ذلك اليوم ، ثم بيّن ذلك بقوله : تنزع : أي لا يكون ذلك مع عقولكم بل تنزع عقول أكثر ذلك الزمان ، لشدة الحرص والجهل .
(هباء) الهباء الذرات التي تظهر في الكوة بشعاع الشمس . والمراد : الحثالة من الناس .
(إني لأظنها) أي تلك الحالة .
٩٠٢ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٨) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة .
وأبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حسن .
(حتى يقوّم) : من التقويم ، أي يقوم البيت بالوصيف .
(بالوصيف) : المراد بالبيت القبر ، وبالوصيف الخادم والعبد . أي يكون العبد قيمة القبر بسبب كثرة الأموات .
وقيل : المراد بالبيت المتعارف . والمعنى أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها ، فيباع البيت بعبد . =

قُلْتُ : مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ - (أَوْ قَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) . قَالَ : « تَصَبَّرْ » . قَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ حتىً تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ ، وَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . (أَوْ مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ) . قَالَ : « عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ » . ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ وَقَتْلاً يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالدَّمِ ؟ » قُلْتُ : مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُه . قَالَ : « الحَقْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ » . قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ الله ، أَفَلا آخُذُ بسيْفِي فَأَضْرِب بِهِ مَنْ فَعَل ذٰلِكَ ؟ قَالَ : « شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذًا . وَلٰكِن ادْخَلْ بَيْتَكَ » قُلْتُ : يَارَسُولَ الله ! فَإِنْ دَخلَ بَيْتِي ؟ قَالَ : « إِنْ خَشِيت أَنْ يَبْهَرك شُعَاعُ السَّيْفِ ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَىوجْهِكَ فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .

أقول : في الحديث إشارة إلى الطاعون الذي أصاب جيش الصحابة في الشام ، وفيه إشارة إلى المجاعة التي حدثت في زمن عمر وسمي عامها عام الرمادة ، وفيه إشارة إلى وقعة الحرة . وكل ذلك قد وقع ، ففي الحديث معجزات متعددة وفي الحديث التالي ذكر لبعض ما مر في هذا الحديث .

٩٠٣ - * روى أبو داود عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذرٍّ » . قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسول الله وسعديك ... فذكر الحديث . كذا قال أبو داود ، ولم يذكر لفظه ، وقال فيه : « كيف أنت إذا أصابَ الناسَ موتٌ يكون البيت فيه بالوَصيف؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم - أو قال : ما خارَ اللهُ لي ورسوله - قال : « عليكَ بالصبر » - أو قال : « تَصَبَّرْ » - ثم قال لي : « يا أبا ذرٍّ » . قلت : لبيك

= (حجارة الزيت) موضع بالمدينة في الحرة سمي بها لسواد الحجارة . كأنها طليت بالزيت ، أي الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى وهذا إشارة إلى وقعة الحرّة التي كانت زمن يزيد .

(بمن أنت منه) أي بأهلك وعشيرتك .

(إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف) أي إن غلبك ضوء السيف وبريقه ، فغط وجهك حتى يقتلك .

(يبوء) باء بالإثم يبوء : إذا رجع به حاملاً له .

٩٠٣ - أبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حديث حسن .

وسعديك . قال : « كيفَ أنتَ إذا رأيتَ أحجارَ الزيت قد غَرِقَتْ بالدَّم؟ » قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : « عليكَ بمن أنتَ منه » . قلت : يا رسول الله ، أفلا آخذُ سيفي فأضَعَهُ على عاتقي ؟ قال : « شاركتَ القوم إذًا » . قلت : فما تأمُرُني ؟ قال : « تَلْزَمُ بَيْتَك » . قلت : فإن دَخل عليَّ بيتي ؟ قال : « إن خشيت أن يَبْهَرَكَ شعاعُ السيف ، فألقِ ثوبك على وجهك ، يبوء بإثمكَ وإثْمِهِ » .

٩٠٤ ـ * روى البخاري عن سعيد بن عَمْرو بنِ سعيدِ بن العاص ، قال : كنتُ مع مَرْوَانَ وأبي هريرةَ في مسجد النبيِّ ﷺ ، فسمعتُ أبا هريرة يقول : سمعتُ الصادقَ المصدوقَ يقول : « هَلاكُ أُمَّتي على يَدَيْ أُغَيْلِمةٍ من قريش » . فقال مروان : غِلْمَةٌ . قال أبو هريرةَ : إن شئتَ أن أُسَمِّيَهم بني فلانٍ وبني فلان .

وفي روايةٍ[1] : قال عمرو بنُ يَحيى بنِ سعيدٍ : أخبرني جَدِّي قال : كنتُ جالسًا مع أبي هريرةَ في مسجدِ رسول الله ﷺ بالمدينة ومَعنا مروانُ ، فقال أبو هريرةَ : سمعتُ الصادقَ المصدوقَ يقول : « هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَيْ غِلمةٍ من قُرَيْشٍ » . قال مروانُ : لعنةُ الله عليهم غِلْمةً ؟ فقال أبو هريرة : لو شئتُ أن أقولَ : بنو فلانٍ لَفَعَلْتُ . قال : فكنتُ أخْرُجُ مع جدي سعيد إلى الشام ، حين مَلَكَهُ بنو مروانَ ، فإذا رآهم غِلْمانًا أحداثًا ، قال لنا : عسى هؤلاء الذين عَنى أبو هريرةَ ، فقلت : أنتَ أعلمُ .

٩٠٥ ـ * روى الطبراني عن عُمَير بنِ سعيدٍ ، قال : كنا جلوسًا مع ابنِ مسعودٍ ، وأبو موسى عندَه ، وأخذ الوالي رجلا فضَرَبَهُ وحَمَلَهُ على جَمَلٍ . فجعل الناسُ يقولون الجملُ الجملُ . فقال رجلٌ : يا أبا عبدِ الرحمن هذا الجملُ الذي كنا نسمعُ . قال : فأينَ البَارِقَةُ .

---

٩٠٤ ـ البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

(الصادق المصدوق) : هو النبي ﷺ ، صَدَقَ في قوله وما أخبر به ، وَصُدِّقَ فيما جيء به إليه من الوحي .

(أُغَيْلِمة) تصغير : أغلمة في التقدير .

(1) البخاري (١٣ / ٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٣ ـ باب قول النبي ﷺ : « هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء » .

٩٠٥ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٧) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

أقول :

تشير الرواية إلى أن الصحابة كان عندهم علم عن رسولهم عليه الصلاة والسلام بأن أمراءَ سيستعملون أنواعًا من العقوبات ؛ منها عقوبة التشهير بإركاب المعاقب على جمل والتشهير به . والبارقة : السيوف .

٩٠٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « في ثَقِيفٍ كذَّابٌ ومُبِيرٌ» .

قال الترمذي : ويقال : الكذاب : المختارُ بنُ أبي عبيد ، والمبير : الحجاجُ بنُ يوسفَ .

٩٠٧ - * روى البخاري عن الزبير بن عدي ، قال : دَخَلْنا على أنس بن مالك فشَكَوْنا إليه ما نَلْقى من الحَجّاجِ ، فقال : « اصْبِرُوا ، لا يأتي عليكمْ زمانٌ إلا الذي بعدَه شَرٌّ منه ، حتى تَلْقَوْا ربَّكم » . سمعتُ هذا من نبيكم .

أقول :

قوله : « حتى تلقوا ربكم » : هل المراد جيل الصحابة أو المراد الأمة الإسلامية بإطلاق ؟ أرجح الأول للحديث الحسن : « أُمَّتي كالمطر لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره » .

وقد حمله بعضهم على العموم ، واعتبر ما يحدث من تجديد في القرون ، وما يحدث من انتعاشات وانتصارات للإسلام لا يتنافى مع إطلاق الحديث ، فالحديث لا ينفي أنه لا يوجد خير بعد الزمن الأول ، ولكن الخيرية نسبية فهي تتضاءل بمجموعها في الزمن اللاحق بالنسبة للزمن السابق . وأرجح أن الحديث خاص بجيل الصحابة .

---

٩٠٦ - الترمذي (٤ / ٤٩٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٤ - باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير . وهو حديث صحيح .
(المبير) : المهلك ، من البوار : الهلاك .

٩٠٧ - البخاري (١٣ / ١٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٦ - باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه .
والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب « منه » . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٠٨ ـ * روى أحمد عن الشعبي قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستند إلى الكعبة ، وهو يقول : ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله ﷺ فلانًا وما ولد من صلبه .

أقول :

اللعنة تنصب على الكافرين من أبناء الحكم ، وهذا التخصيص لابد منه ؛ لأن من أسلم من ذرية الحكم لا تنصب عليه اللعنة إلا إذا كان في قلبه نفاق أو عمل أعمالاً يستحق بها اللعنة .

٩٠٩ ـ * روى البزار عن عبدِ الله البَهيّ مولى الزبيرِ قال : كنتُ في المسجدِ ومروانُ يَخطُبُ فقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ : واللهِ ما استخلفَ [أي رسول الله ﷺ] أحدًا من أهله . فقال مروان : أنت الذي نزلَتْ فيك : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما ﴾[1] . فقال عبدُ الرحمنِ : كَذَبْتَ ولكنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ أباك .

٩١٠ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ وقد ذهب عمرو بن العاصي يلبس ثيابه ليلحقني فقال ونحن عنده : « ليدخلن عليكم رجل لعين » . فوالله مازلت وجلا أتشوف خارجًا وداخلا حتى دخل فلان (يعني الحكم) .

وعن أبي هريرةَ [2] أنّ النبيّ ﷺ رأى في منامِهِ كأنّ بني الحكم يَنْزُونَ على مِنْبَرِهِ

٩٠٨ ـ أحمد (٤ / ٥) .
وكشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .
والمعجم الكبير (٤ / ٤٨١) .
مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه ﷺ ، والطبراني بنحوه وعنده رواية كرواية أحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
٩٠٩ ـ كشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .
مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه البزار وإسناده حسن .
(١) الأحقاف : ١٧ .
٩١٠ ـ أحمد (٢ / ١٦٣) .
وكشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .
مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : دخل الحكم بن أبي العاصي ، والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح .
(٢) مجمع الزوائد (٥ / ٢٤٣) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة.

ويَنزِلون ، فَأصبحَ كالْمُتَغَيِّظِ ، وقال : « مالي رأيتَ بني الحَكَمِ يَنْزُونَ على منبري نُزُوَّ القِرَدَةِ » . فما رأيته ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا بعدَ ذلك حتى ماتَ .

٩١١ ـ * روى الترمذي عن هشام بن حسان ، قال : أُحْصِيَ ما قَتَلَ الحجاجُ صَبْرًا ، فَوُجِدَ مائةَ ألفٍ وعشرين ألفًا .

٩١٢ ـ * روى أحمد عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ قال : وُلِدَ لأخي أم سلمةَ زوج النبي ﷺ غلامٌ فسَمَّوْه الوليدَ فقال النبي ﷺ : « سميتُموه باسم فَراعِنَتِكم لَيَكونَنَّ في هذه الأمة رجل يقال له الوليدُ لهو أشرُّ على هذه الأمةِ من فرعونَ لقومِهِ » .

أقول : لعل المراد بالحديث هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان من شأنه أن استغرق باللهو وظهرت عليه أمارات الجبروت ، وقد قتله بنو أمية أخيرًا .

وكان الأوزاعي يحمل هذا الحديث على ما ذكرناه كما أورده ابن حجر في الفتح . وذكر له ابن حجر شاهدًا عن أم سلمة أخرجه إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » من رواية محمد ابن إسحق عن محمد بن عمرو عن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت : دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد ، فقال : « من هذا ؟ » قلت : الوليد ، قال : « قد اتخذتم الوليد حنانا ، غيروا اسمه فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » [1] .

= (يَنزَون) : يُقال نَزَوْتَ على الشيء أنْزُو نَزْوًا ، إذا وَثَبْتَ عليه .
ويقال : نَزَا يَنْزُو نَزْوًا ونُزَاءً ونُزُوًّا وَنَزَوَانًا .

٩١١ ـ الترمذي (٤ / ٤٩٩) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٤٤ ـ باب ما جاء في ثقيف .. إلخ . وإسناد الترمذي إلى هشام بن حسان صحيح .
(صبرًا) قتلته صَبْرًا : إذا حبسته على القتل ، فكل من قتل في غير حرب ولا اختلاس ـ كن يضرب عنقه ، أو يُحبَس إلى أن يموت ، أو يصلب ، أو نحو ذلك من هيئات القتل ـ فهو مقتول صبرًا .

٩١٢ ـ أحمد (١ / ١٨) .
مجمع الزوائد (٧ / ٣١٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(١) انظر فتح الباري (١٠ / ٥٨٠ ، ٥٨١) .

٩١٣ ـ * روى أحمد عَنْ أَبي بُرْدَةَ ؛ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إنَّها سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلافٌ . فَإذَا كَانَ كَذٰلِكَ ، فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا ، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ . ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ » .

فقَدْ وَقَعَتْ . وفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

أقول : ما أخبر عنه رسول الله ﷺ قد وقع وشارك بعض الصحابةِ في القتال مجتهدين وبعضهم اعتزل ، وكان ممن اعتزل محمد بن مسلمة ، والسؤال كيف لم يعتزل بقية الصحابة مع وجود مثل هذه الروايات ؟ والجواب أنه بالإمكان حمل مثل هذه الرواية على أنها فتوى خاصة لأناس مخصوصين .

٩١٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المِنبر : « ألا إن الفتنةَ هاهنا » يُشيرُ إلى المَشرقِ . « من حيثُ يطلُعُ قَرْنُ الشيطان » وفي رواية قال ـ وهو مستقبل المشرق ـ « هَا ، إن الفتنة هاهنا » ثلاثًا ـ وذكره . وفي أخرى (١) أنه سمعَ النبيَّ ﷺ ـ وهو مستقبل المشرق ـ يقول : « ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلعُ قرن الشيطان » .

وللبخاري (٢) قال : قام النَّبي ﷺ خطيبًا ، فأشار نحو مَسْكَنِ عائشةَ ، فقال : « هنا الفتنة ـ ثلاثًا ـ من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وللبخاري (٣) بزيادةٍ في أوله : أن النَبي ﷺ قال . « اللهم بارِكْ لنا في شامِنا ، اللهم بارك لنا في يَمننا » . قالوا : وفي نَجْدِنا ، قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ،

---

٩١٣ ـ أحمد (٣ / ٤٩٣) .

وابن ماجه (٢ / ١٣١٠) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ١٠ ـ باب التثبت في الفتنة . وهو حديث صحيح .

٩١٤ ـ البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ١٦ ـ باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ، ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٦ ـ باب الفتنة من المشرق ...

(١) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ١٦ ـ باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

(٢) البخاري (٦ / ٢١٠) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ، ٤ ـ باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ...

(٣) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ١٦ ـ باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة : « هنالك الزَّلازلُ والفِتَنُ ، ومنها يطلُعُ قَرنُ الشَّيطانِ » . وقد اختُلف على ابن عَوْنٍ فيه ، فروي عنه مسندًا ، وروي عنه موقوفًا على ابن عمر من قوله .

وله في أخرى (١) قال : رأيتُ النبي ﷺ يشير إلى المشرق ، ويقول : « ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان » .

ولمسلم (٢) قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشةَ ، فقال : « رأسُ الكُفْرِ من هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وفي أخرى له (٣) عن سالم : أنه قال : يا أهل العراق ، ما أسْألَكُمْ عن الصغيرةِ ، وأرْكَبَكم للكبيرةِ !! سمعتُ أبي عبدَ الله بنَ عمرَ يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنةَ تجيء من هاهنا » ـ وأومأ بيده نحو المشرقِ ـ « من حيث يطلُعُ قَرْنُ الشيطانِ » . وأنتم يَضْرِبُ بعضكم رقابَ بعضٍ ، وإنما قَتل موسى الذي قَتَلَ من آلِ فرعون خطأً ، فقال الله له : ﴿ وقتلتَ نفسًا فنجّيناك من الغَمّ وفَتَنّاك فُتونا ﴾ طه : ٤٠ .

وفي أخرى (٤) له أن رسول الله ﷺ قام عند بابِ حفصةَ ـ وقال بعض الرواة : عند بابِ عائشةَ ـ فقال بيده ، نحو المشرق : « الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » ـ قالها مرتين أو ثلاثًا .

٩١٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشرقِ ، والفخرُ والْخُيَلاءُ في أهلِ الخَيلِ والإبِلِ : الفَدَّادينَ

---

(١) البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس ، وجنوده .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٦ ـ باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

٩١٥ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال .

مسلم (١ / ٧٢) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٢١ـ باب تفاضل أهل الإيمان .

=

أهْلِ الوبَرِ ، والسكينةُ في أهل الغَنم » .

ولمسلم [1] أنه قال : « الإيمانُ يمانٍ ، والكفرُ قِبَلَ المشرق ، والسكينةُ في أهل الغنم ، والفخرُ والرياءُ في الفدّادين أهلِ الخيل والوبر » .

٩١٦ ـ * روى البخاري عن أبي مسعودٍ البَدْري رضي الله عنه ، يبلُغُ به النبي ﷺ قال : « من هاهنا جاءتِ الفِتَنُ نحو المَشرقِ ، والجَفاءُ والقَسْوَةُ وغِلَظُ القلوبِ في الفَدّادينَ ، أهلِ الوبَر عند أصولِ أذناب الإبل والبقر ، في ربيعةَ ومُضَرَ » .

أقول : في النصوص التي مرت آنفًا ذكر المشرق بإطلاق ، وذكرت نجد والعراق : إن كان المراد بنجد نجدًا المعروفة ففي النص إشارة إلى مسيلمة الكذاب وفتنة القرامطة وأمثال ذلك ، وأما العراق فقد ظهرت فيها الخارجية وفتنة الحجاج ، وعلى كل الأحوال ففي النصوص معجزة وقعت .

تعقيب : لقد كثرت الأحاديث التي تتحدث عما سيكون بعده عليه الصلاة والسلام في جيل الصحابة ، وعن مرحلة الخلافة الراشدة والأموية ، فإنك تجد مئات المعجزات أخبر رسول الله ﷺ أنها كائنة ووقعت .

ولقد مَرّ معنا في هذا القسم الكثير منها أثناء الكلام عن الفرق والفتن خاصة فتنة الخوارج ، أما القسم الأكبر منها فقد مرَّ معنا في قسم السيرة النبوية أثناء الكلام عن النبوءات وعن تراجم الأزواج والآل والخلفاء الراشدين وبعض الصحابة مما يعتبر كله جزءًا من هذه الفقرة ، فليراجع . ولو أن ذلك كله جُمع في رسالة مفردة لكان ما فيها كافيًا للتدليل على رسالته عليه الصلاة والسلام ، فكيف وأعلام رسالته أكثر من أن يحاط بها .

* * *

= والموطأ (٢ / ٩٧٠) ٥٤ ـ كتاب الاستئذان ، ٦ ـ باب ما جاء في أمر الغنم .

(١) مسلم (١ / ٧٢) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٢١ ـ باب تفاضل أهل الإيمان .

٩١٦ ـ البخاري (٦ / ٥٢٦) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾.

(الجفاء) : الغلظة والقسوة والصلابة .

الفقرة الخامسة

حديث جامع

٩١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعةُ حتى يَقْتَتِلَ فِئتانِ عَظيمتانِ ، يكون بينهما مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ دعواهما واحدةٌ ، وحتى يُبْعَثَ دجَّالُون كذَّابون ، قريبٌ من ثلاثين ، كلُّهم يزعُمُ أنَّه رسولُ الله ، وحتى يُقْبَضَ العلمُ ، وتَكثُرَ الزلازلُ ، ويتَقَاربَ الزمانُ ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ » - وهو القَتْلُ القَتْلُ - « وحتى يَكْثُرَ فيكُمُ المالُ فَيفيضَ حتى يُهِمَّ ربَّ المالِ مَن يَقْبَلُ صَدقَتَهُ ، وحتى يَعْرِضَهُ ، فيقولَ الذي عَرَضَه عليه : لا أَرَبَ لي فيه ، وحتى يَتَطَاولَ الناسُ في البُنْيَانِ ، وحتى يَمُرَّ الرجلُ بقبرِالرجلِ ، فيقولَ : يا ليتني مَكَانَهُ . وحتى تَطلُعَ الشمسُ من مَغربِها ، فإذا طَلَعَتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون ، فذلك حينَ لا ينفعُ نَفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قَبلُ ، أوكَسَبَتْ في إيمانِها خيرًا ، وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثَوبَهما بينهما ، فلا يَتبايَعانه ، ولا يَطويانه ، ولَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لِقْحَتِه ، فلا يَطْعَمُهُ ، ولتقومنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضَهُ فلا يَسقي فيه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه ، فلا يَطْعَمُها » .

ولمسلم [1] في رواية : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتى يَخرُجَ قريبٌ من ثلاثين كذّابين دجّالين ، كلُّهم يقول : إنه نبيٌّ . ولا تقوم الساعةُ حتى تطلُعَ الشمس من مغربها ، ويؤمن الناس أجمعون ، فيومئذ لا ينفع نفْسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قَبلُ أو كَسَبتْ في إيمانِها خيرًا ، ولا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا اليهودَ ، فيفرُّ اليهوديُّ وراء الحجرِ ، فيقولُ : يا عبدَ الله ، يا مسلم ، هذا يهوديٌّ ورائي .

---

٩١٧ - البخاري (٦ / ٦١٦) ٦١ - كتاب المناقب . ٢٥ - باب علامات النبوة .

مسلم (٤ / ٢٢١٤) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٤ - باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ...

(يليطه) : لاط حوضَه يليطه ويلوطه لَيْطًا ولوْطًا : إذا لطخه بالطين وأصلحه به .

(أكلته) : الأُكلة بضم الهمزة : اللقمة .

ولا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا نِعَالهم الشَّعَرُ » .

وله (١) في أخرى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى يكثُرَ فيكم المالُ ويَفيضَ ، وحتى يَخْرُجَ الرجل بزكاةِ ماله ، فلا يجدُ أحدًا يَقْبَلُها منه ، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مُرُوجًا وأنهارًا » .

وفي أخرى (٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَكْثُرَ فيكم المالُ ويَفيضَ ، حتى يُهِمَّ ربَّ المال مَنْ يَقْبَلُهُ منه صدقةً ، ويدعو إليه الرجلَ ، فيقول : لا أَرَبَ لي فيه » .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة ففيه شيء رأته الأمة وفيه شيء نراه الآن . ومما نرى بداياته الآن : قوله عليه الصلاة والسلام : « وحتى تعود بلاد العرب مروجًا وأنهارًا » .

فنحن الآن نشهد بدايات ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « حتى تعود » إشارة إلى أنها كانت كذلك ، وهذا الذي تدل عليه الدراسات الحديثة كما يدل عليه وجود البترول . ففي هذه العبارة وحدها معجزتان من معجزاته ، وعصرنا يشهد كثرة الزلازل ، وشهد الحربين العالميتين ، ولا زال يشهد كثرة القتل ، كما يشهد عصرنا تطاول الناس في البنيان بأكثر مما شهده أي عصر سابق .

* * *

(١) مسلم (٢ / ٧٠١) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ١٨ ـ باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

الفقرة السادسة

في :

فتح القسطنطينية الأول

٩١٨ ـ * روى الدارمي عن عبدِ اللهِ بنِ عمروِ بنِ العاص قال : بينما نحن عند النبي ﷺ نكتب ، إذْ سُئِلَ : أي المدينتين تُفْتَحُ أولاً : قسطنطينيةَ أو روميةَ ؟ فقال : « لا بل مدينةُ هرَقْلَ أولاً » .

أقول : في هذا الحديث بشارتان : بشارة بفتح القسطنطينية وبشارة بفتح روما ، وقد فتحنا القسطنطينية ولم نفتح روما . وفي ذلك مايعطينا أنه لا زال بيننا وبين الساعة أمدٌ نسبيًا . فهناك أمور أخبرنا رسول الله ﷺ عن حدوثها قبل قيام الساعة لم تقع بعد ، من جملتها : ظهور الإسلام على العالم كله تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث :

٩١٩ ـ * روى أحمد عن المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمةَ الإسلام بعزِّ عزيزٍ أو ذلِّ ذليلٍ إما يُعِزُّهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يُذِلُّهم فيَدِينون لها » .

وفي رواية لأحمد أيضًا [1] : عن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعِزِّ عزيز أو بِذُلِّ ذليل عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلامَ وَذُلا يُذِلُّ الله به الكُفْرَ » . وكان تميم الداري يقولُ : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذُّلَّ والصغار والجزية .

فهذا الحديث يشير إلى أنّ هذا الظهور يكون قبل نزول المسيح عليه السلام ؛ لأن

---

٩١٨ ـ الدارمي (١ / ١٢٦) المقدمة ، ٤٢ ـ باب من رخص في كتابة العلم . وهو حديث صحيح .

٩١٩ ـ أحمد (٦ / ٤) . وهو حديث صحيح .

(١) أحمد (٤ / ١٠٣) .

المسيح لا يقبل الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الجزية ، وسنرى أن هناك نصوصًا تتحدث عن فتح آخر للقسطنطينية يكون بين يدي ظهور الدجال مباشرة ، وأنّ القائمين بذلك من غير العرب ، وسنرى نصوصًا تتحدث عن أنّ العرب يوم ظهور الدجال يكونون قليلين ، وأن الخلافة الإسلامية حين ظهور المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم تكون بالقدس ، والقول المشهور عند العلماء إن المهدي عليه السلام يكون في زمن عيسى عليه السلام ، وكل ذلك يشير إلى أن بيننا وبين علامات الساعة الكبرى أمدًا نسبيًا . والله أعلم .

كما أن هذه النصوص فيها إشارات ضمنية من جملة إشاراتٍ كثيرة نجدها متفرقة في النصوص ، تدل على أن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين وقامت لهم دولة في عصرنا ليسوا هم اليهود الذين يقاتلهم المسلمون عند نزول المسيح عليه السلام ، إنما هم الذين يفدون مع المسيح الدجال . فعاصمة الخلافة وقت ذاك تكون القدس ، وقبل ذلك ستكون دولة إسلامية عالمية ، وكل ذلك يتنافى مع بقاء السلطان الحالي لليهود في فلسطين .

* * *

الفقرة السابعة

في :

قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم

٩٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ ، أنّ النبيّ ﷺ قـالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعالُهم الشَّعَرُ ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُم المجَانُّ الْمُطْرَقَةُ » .

قَالَ سُفْيَانُ : زَادَ فِيْهِ في رِوَايَةٍ(١) : « صِغارَ الأَعْيُنِ ، ذُلْفَ الأُنُوفِ ، كأَنَّ وجوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ » .

وفي رواية قال : (٢) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ قَوْمًا نعَالُهُمُ الشَّعَرُ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المطْرَقَةُ ، حُمْرُ الوجُوهِ ، صِغَارُ الأَعْيُنِ » .

وللبخاري (٣) عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قال : أتينا أبا هريرةَ ، فقال : صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنينَ ، لم أكنْ في سِنِّي أحرصَ على أن أعِيَ الحديثَ مِنِّي فيهنّ ، سمِعتُه يقول - وقال هكذا بيده - : « بين يدي الساعةِ تقاتلون قوماً نعالهم الشعر ، وهو هذا البارزُ » . قال سفيانُ مرة : وهم أهلُ البارزِ ، ويعني بأهل البازر أهلَ فارس ، كذا هو بلغتهم .

وللبخاري أيضاً (٤) : وزاد في آخره « وتجدون خيرَ الناس أشدَّهم كراهيةً لهذا الأمر ، حتى يقعَ فيه ، والناسُ معادنُ ، خِيارُهم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام ،

---

٩٢٠ - البخاري (٦ / ١٠٤) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٦ - باب قتال الذين ينتعلون الشعر .

مسلم (٤ / ٢٢٣٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .. إلخ .

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٣٤) : الموضع السابق .

(٣) البخاري (٦ / ٦٠٤) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة في الإسلام .

(والبازر سوق الفسوق الذي لهم) .

(٤) البخاري : الموضع السابق . .

إذا فَقِهُوا ، ولَيأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لأنْ يراني أحبُّ إليه من أن يكون له مثلَ أهلِه ومالِه » .

وله أيضًا (١) : قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا خُوزاً وكِرْمانَ من الأعاجم ، حُمْرَ الوجوه ، فُطْسَ الأنوفِ ، صِغارَ الأعين ، وجوهُهم المَجانُّ المطرقة ، نعالهم الشعر » .

ولمسلم (٢) : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتِلَ المسلمون التُّرْكَ ، قومًا وجوههم كَالمجانِّ المطرَقة ، يَلْبَسون الشعر ، ويمشون في الشعر » .

أقول : المراد من الترك هنا : ما هو أعم من الشعب التركي بدليل الأوصاف ، فكأن المراد : الترك ومن وراءهم من المغول والتتار الذين تنطبق عليهم الأوصاف التي وردت في الحديث .

٩٢١ - * روى البخاري عن عَمْرو بن تَغلِبَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : قَالَ رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ أشْراطِ السَّاعَةِ : أنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُون نِعَالَ الشَّعَرِ ، وَإنَّ من أشْرَاطِ السَّاعَةِ : أن تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الوجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المطرَقَةُ » .

قال في الفتح : قوله (ينتعلون نعال الشعر) ... [الظاهر من الحديث] :

أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك . وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد

---

(١)البخاري : الموضع السابق .

(٢)مسلم (٤ / ٢٢٣٣) : الموضع السابق .

(المجانّ المطرقة) : المجانّ جمع مجنّ ، وهو الترس . والمطرقة ، بإسكان الطاء وتخفيف الراء ، من أطرق . هذا هو الفصيح المشهور في الرواية وفي كتب اللغة والغريب . وحكي فتح الطاء وتشديد الراء ، من طَرَّق ، والمعروف الأول .

قال العلماء : هي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة . قالوا : ومعناه تشبيه وجوه الترك في عرضها وتلوّن وجناتها بالترسة المطرقة .

(ذلف الأنوف) : جمع أذلف ، كأحمر . ومعناه فطس الأنوف ، قصارها مع انبطاح . وقيل : هو غلظ في أرنبة الأنف . وقيل : تطامن فيها . وكله متقارب .

(يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) : معناه ينتعلون الشعر . كما صرح به في الرواية الأخرى : نعالهم الشعر .

٩٢١ - البخاري (٦ / ١٠٣ ، ١٠٤) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٥ - باب قتال الترك .

قال : بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر . قلت [أي ابن حجر] : بابك بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقال له الخُرَّمي بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة ، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون ، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري ، إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم ، وكان خروجه في سنة إحدى ومائتين أو قبلها ، وقتله في سنة اثنتين وعشرين » .ا . هـ ابن حجر .

أقول : لقد قاتل المسلمون زنادقة انطلقوا من بلاد فارس ، وقاتلوا قبائل انطلقوا من أرض الترك ، وقاتلوا الأتراك قبل دخولهم في الإسلام ، وقاتلوا قبائل انطلقوا مما وراء بلاد الترك كالمغول والتتار ، وفي أحاديث هذه الفقرة مايشير إلى ذلك كلّه ، وذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٢ - * روى أحمد عن بريدة قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : « إن أمتي يسوقُها قومٌ عِراض الوجوه صِغَار الأعين كأن وجوهَهُم الجَحَفُ ثلاث مرات حتىَ يُلْحِقوكم بجزيرة العَرَب ؛ أما السائقةُ الأولى فينجو مَنْ هَرَبَ منهم ، وأما الثانية فينجو بعضٌ ويَهْلِكُ بعضٌ ، وأما الثالثةُ فَيَصْطَلِمون من بقي منهم » . قالوا : يارسول الله من هم ؟ قال : « الترك ، أما والذي نفسي بيده لَيَربُطُنَّ خيولَهم إلى سَوارِي مساجد المسلمين » . قال : وكان بريدةُ لا يُفارقُه بعيران أو ثلاثةٌ ومتاعُ السفر والأسقيةُ ، يُعِدّ ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من الترك .

أقول : هذا الحديث أشبه بأن يكون محمولاً على قتال التتار والمغول ، والظاهر أن كلمة الترك تطلق في النصوص بأوسع مما هو متعارف عليه الآن في تعريف الأتراك ، ولذلك حمل

---

٩٢٢ - أحمد (٥ / ٣٤٨) .
وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .
مجمع الزوائد (٧ / ٣١١) وقال : رواه أحمد والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح .
(الجَحَفُ) : بمعنى الترس .
(يَصْطَلِمُونَ) : يقْطَعون .

شرّاح السنّة بعض الروايات المذكورة في هذه الفقرة على المأساة التي وقعت للمسلمين على يدي المغول والتتار .

قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود (المجلد الرابع) :

قال النووي : معناه ينتعلون الشعر كما صرح به في الرواية الأخرى نعالهم الشعر ، وقد وجدوا في زماننا هكذا ـ انتهى . قلت : رواية مسلم بلفظ يلبسون الشعر ويمشون في الشعر تدل دلالة واضحة على أنه يكون لباسهم أيضًا من الشعر ، كما أن نعالهم تكون من الشعر ، وهو الظاهر لما في بلادهم من ثلج عظيم لا يكون في غيرها على ماقال ابن دحية وغيره .

فقد قال القرطبي في التذكرة : والحديث الأول ، أي حديث أحمد على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك على نحو ماأخبر ﷺ ، فخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يُحصيهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج ، فخرج منهم في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وست مائة جيش من الترك يقال له الططر [أي التتر] عظم في قتله الخطب والخطر ، وقُضِي له في قتل النفوس المؤمنة الوَطَر ، فقتلوا ماوراء النهر وما دونه من جميع بلاد خراسان ومحوا رسوم ملك بني ساسان ، وخربوا مدينة نشاور [أي بشاور] وأطلقوا فيها النيران ، وحاد عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبى في المغارات والكهفان ، حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان وأطلقوا الماء على المدينة من نهر جيحان ، فغرق منها مباني الدار والأركان ثم وصلوا إلى بلاد نهشان ، فخربوا مدينة الري وقزوين ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسي بلاد أذربيجان وغير ذلك ، واستأصلوا ساقة من هٰذه البلاد من العلماء والأعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ، ثم وصلوا إلى العراق الثاني وأعظم مدنه مدينة أصبهان وَدُورٌ سورها أربعون ألف ذراع في غاية الارتفاع والإتقان ، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن وأنزل عليهم موادّ التأييد والإحسان فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان ، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان واجتمع فيها مائة ألف إنسان وأبرز الططر [أي التتار] القتل في مضاجعهم وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم ، فمرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمي ففروا منهم فرار الشيطان في يوم بدر وله حصاص ورأوا أنهم إن وقفوا لم يكن لهم

من الملاك خلاص ، ووصلوا السير بالسير إلى أن صعدوا جبل أربد فقتلوا جميع من فيه من صلحاء المسلمين وخربوا ما فيه من الجنات والبساتين ، وكانت استطالتهم على ثلثي بلاد المشرق الأعلى وقتلوا من الخلائق ما لا يحصى وقتلوا في العراق الثاني عدةً يبعد أن تحصى ، وربطوا خيولهم إلى سواري المساجد والجوامع كما جاء في الحديث المنذر بخروجهم - إلى أن قال - : وقطعوا السبيل وأخافوها وجاسوا خلال الديار وطافوها ، وملأوا قلوب المسلمين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبا ، ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الأخيرة منها . قال القرطبي : فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق قتلتهم وقتالهم فخرجوا عن العراق الثاني والأول كما ذكرنا ، وخرجوا من هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد ، واستباحوا جميع من فيها من المسلمين وعبروا الفلاة إلى حلب وقتلوا جميع من فيها وخربوا إلى أن تركوها خالية ، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام وفلقوا بسيوفهم الرؤس والهام ، ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحوق بالديار الأخروية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بظفر رضي الله عنه بجميع من معه من العساكر وقد بلغت القلوب الحناجر ، إلى أن التقى بهم بعين جالوت فكأن له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت ، فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وارتحلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان للإسلام وعدوا الفرات منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين ، وراحوا خائبين وخاسئين مدحورين أذلاء صاغرين .. انتهى كلام القرطبي باختصار . وقال الإمام ابن الأثير في الكامل : حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها ، عمّت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : (إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها) لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .. انتهى . وقال الذهبي : وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها .. انتهى .

قال النووي في شرح مسلم : وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين انتهى مختصرًا . اهـ.

نقلاً عن (عون المعبود) .

فائدة : يلاحظ أن النصوص التي تتحدث عن خوز وكرمان وعن الترك ، تتحدث عن أقوام لهم صفات واحدة وهي الصفات التي تنطبق على المغول والتتار ، وذلك أنه جرت العادة أن يطلق اسم الترك على الشعوب التي تقطن وراء جبال القفقاس ، وقد قاتل المسلمون بعض هذه الشعوب على أرضها ، وأسلمت بعض هذه الشعوب ، وبعض هذه الشعوب هربت أمام موجات التتار والمغول وهي مسلمة ، فجاءت إلى الشرق كبني عثمان ، والظاهر أن النصوص التي تصف الأقوام الغازية بأنهم من خوز وكرمان وترك إنما تريد التتار والمغول ، بل إن ابن كثير يذهب في كتابه « النهاية » إلى أن يأجوج ومأجوج هم من الترك كما سنرى ، وذلك كما قلنا أَخْذٌ من الاصطلاح الذي أشرنا إليه ، وينقل ابن كثير في مقطع من كتابه « النهاية » ثلاثة نصوص ، نصًا يتحدث عن قتال الترك ويصفهم ، ونصًا يتحدث عن خوز وكرمان ويصفهم ، ونصًا مطلقًا يذكر بعض الأوصاف ، ثم يعلق على ذلك بما يفيد أن هؤلاء جميعًا هم الترك .

وأقول : إن المراد بالترك هنا عندهم هم أهل منطقة ماوراء جبال القفقاس مع أن وراء هذه المنطقة شعوبًا متعددة ، والذين تنطبق عليهم الأوصاف التي وردت في الأحاديث هم المغول والتتار وهم الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل ، بينما نجد شعوبًا أخرى ممن يطلق عليهم اسم الترك دخلوا في الإسلام وحملوه . صحيح أن المسلمين قاتلوا ابتداء هذه الشعوب ، لكن لم يدم ذلك طويلاً ، وعلى ضوء ماقلناه ، فلنفهم هذه الصفحة من كلام ابن كثير في « النهاية » ومرادنا من نقلها لنثبت ماذكرنا آنفًا .

قال ابن كثير في النهاية : عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر » أخرجه الجماعة سوى النسائي .

عن أبي هريرة فذكر نحوه . قال سفيان بن عيينة : وهم أهل البارز - كذا يقول سفيان - ولعل البارز هو سوق الفسوق الذي لهم . وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة » . ورواه البخاري من حديث جرير بن حازم ، والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم ، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة ، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريبا ، فقد يكون هذا أيضا واقعا مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم ، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريبًا منها ، فإنها تكون مما يقع في الجملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب) . ا . هـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

* * *

الفقرة الثامنة

في :

تمزقات الأمة الإسلامية وصراعاتها

٩٢٣ - * روى الترمذي عن خَبَّاب بن الأَرَتّ رضي الله عنه قال : صلّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةً فأطالَها ، فقالوا : يارسول الله ، صلَّيْتَ صلاةً لم تكن تُصلِّيها ؟ قال : « أجلّ ؛ إنها صلاةُ رَغْبَةٍ ورَهبَةٍ ، إني سألت الله فيها ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدةً ، سألتُه أنه لا يُهلك أُمتي بِسَنَةٍ ، فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسَلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأسَ بعض ، فمنعنيها » .

وفي رواية النسائي (١) ؛ أن خبابًا رَقَب رسول الله ﷺ في ليلة صلاَّها ، فلما فَرَغَ من صلاته جاءه خبابٌ ، فقال : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، لقد صلَّيتَ الليلةَ صلاةً مارأيتك صلَّيتَ نحوها ؟ قال رسول الله ﷺ : « أجل ؛ إنها صلاةُ رَغَبٍ ورَهَب ، سألتُ ربي عز وجل ثلاثَ خِصَال ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً ، سألتُ ربي : أن لا يُهلِكَنا بما أَهلَكَ به الأُمَمَ ، فأعطانيها ، وسألتُ ربي : أن لا يظهر علينا عدوًّا من غيرنا ، فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يَلبسَنا شِيَعًا ، فَمَنَعَنِيها » .

أقول : لقد بدأ الصراع بين المسلمين منذ الفتنة الكبرى التي وقعت زمن عثمان رضي الله عنه وأدّت إلى قتله ، ومن يومها حتّى يومنا لم تهدأ الصراعات بين المسلمين ، وفي عصرنا نجد

---

٩٢٣ - الترمذي (٤ / ٤٧١) ٣٤ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته .

وقال : حديث حسن صحيح ، قال محقق الجامع : وهو كما قال .

(١) النسائي (٣ / ٢١٦) ٢٠ - كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، ١٦ - باب إحياء الليل .

(رغبة) : الرَّغَب : الرغْبَة ، وهو حبُّ الشيء وإيثاره .

(والرَّهَب) : الرهبة ، وهو الخوف .

(يلبسنا) : أي يختلط أمرنا خلط اضطراب واختلافَ أهواءٍ .

(شِيَعًا) : الشيع : الفِرق جمع شيعة .

ذلك على أشدّه ، فما ذكرته نصوص هذه الفقرة من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٤ ـ * روى الطبراني عن نافعِ بنِ خالدِ الخُزَاعِيّ عن أبيه قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى والناسُ حوله صلى صلاةً خفيفةً تامةَ الركوعِ والسجودِ ، فجلسَ يومًا فأطالَ السجودَ حتى أومأ بعضنا إلى بعض أن اسكُتوا فإن رَسول الله ﷺ يوحى إليه . فلما فَرَغَ قال بعضُ القوم : يارسولَ الله أطلْتَ الجلوسَ حتى أومأ بعضنا إلى بعض أنّهُ يُنزَلُ عليك . قال : « لا ، ولكنها صلاةُ رغبة ورَهْبةٍ سألتُ اللهَ فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا يُعَذِّبَكم بعذابٍ عَذَّبَ به من كان قبلكُم ، وسألته أن لا يُسلِّطَ على عامتِكم عدوا يَستبيحُها فأعطانيها ، وسألته أن لا يَلْبِسَكُم شيعًا ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ فمنعنيها » . قلتُ له : أبوك سَمِعَها من رسولِ الله ﷺ . قال : نعم ، سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي هذه العشرِ الأصابع .

٩٢٥ ـ * روى مسلم عن عامر بن سعد أبي وقاص رحمه الله عن أبيه ، أنه أقْبلَ مع النبيّ ﷺ ذاتَ يومٍ من العَاليةِ ، حتى إذا مرَّ بمسجدِ بني معاويةَ دَخَلَ فركعَ فيه رَكْعتين ، وصلَّيْنا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرفَ إلينا ، فقال : « سألتُ ربي ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدةً ، سألتُ ربي أن لا يُهلِكَ أمتي بالسَّنة فأعْطانيها ، وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرَق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بَأْسَهم بينهم ، فَمَنَعَنيها » .

أقول : الغرق الجزئي لأجزاء في الأرض الإسلامية لا يدخل في الحديث ، وكذلك المجاعة الجزئية فالمنفي هو استئصال الأمة الإسلامية كلها بغرق أو مجاعة أو غير ذلك ، وكذلك التسليط على الأمة الإسلاميّة من غيرها لا يكون شاملاً ، أمّا التسليط الجزئي فغير منفي في النصوص ، ولو أنك تأمّلت أشدّ مراحل الضعف التي مرّت بها الأمة الإسلامية

---

٩٢٤ ـ المعجم (٤ / ١٩٣) .

وكشف الأستار (٤ / ٩١) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢ ، ٢٢٣) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد ورواه البزار .

٩٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٦ ـ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

فإنك لا تجد مرحلة تسلط بها الكافرون على كل شبر من الأرض الإسلامية ، ففي موجة التتار بقيت أقطار إسلاميّة كمصر وماوراءها والجزيرة العربية بعيدة عن سيطرتهم ، وفي الحروب الصليبية لم تستعمر إلا أقطار محدودة ، وفي مرحلة الاستعمار الحديث بقيت أقطار إسلامية لم يستعمرها الكافرون كاليمن والحجاز ونجد . ففي النصوص بشارة وهي من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٦ ـ * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زَوَى لي الأرضَ ، فرأيتُ مشَارِقَها ومَغَارِبَها ، وإن أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها مازويَ لي منهـا ، وأُعْطِيتُ الكَنْـزَين الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألت ربي لأمتي ؛ أن لا يُهلِكَها بِسَنَةٍ عامَّةٍ ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم ، فيستبيحَ بَيْضَتَهم ، وإن ربي قال : يامحمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرَدُّ ، وإني أعطيتك لأمتك : أن لا أُهلِكَهم بِسَنَةٍ عامَّةٍ ، ولا أسلِّطَ عليهم عدوًّا [من] سوى أنفسهم يستبيحُ بيضتَهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها ـ أو قال : مَن بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يُهلِك بعضًا ، ويَسبي بعضهم بعضًا » .

وفي رواية (١) : أنّ النبيَّ ﷺ قال : « إن الله زَوَى لي الأرض حتى رأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وأعطاني الكنزين : الأحمرَ والأبيض » ثم ذكر نحوه .

---

٩٢٦ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٥ ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

قال ابن الأثير :

(بسَنَةٍ عامّةٍ) السَّنَةُ : الجَدْبُ والشِّدَّة . والعامّةُ : التي تَعُمُّ الكُلَّ .

(زُوِيَ لي) : زَويت الشيء لفلانٍ ، أي : جمعته له وضممته إليه ، وقوله : « وإن ملك أمّتي سيبلغ مازُوِيَ لي منها » من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشارق والمغارب كثيرًا واسعًا .

وأما جهة الجنوب وجهة الشمال : فلم يبلغ ملك الأمة الإسلامية فيها كثيرًا مبلَغَه في جِهَتي الشرق والغرب ، فكان هذا منه ﷺ إخبارًا عما يقع في المستقبل .

(بَيْضَةُ الناس) : مجتمعهم ومعظمهم ، وبيضَةُ البلد ، وسطُه ومعظمه ، و « استباحهم » : جعلهم مُبَاحًا ، يأخذهم أسرًا وقتلاً ، ويتصرّف فيهم كيف شاء . اهـ . ابن الأثير (جامع الأصول) .

(١) مسلم : الموضع السابق .

وزاد أبو داود : [١] « وإنما أخاف على أُمتي الأئمـةَ المضِلّين ، وإذا وُضِعَ السيفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعـةُ حتى تَلْتَحِقَ قبـائِلُ من أُمَّتي بالمشركين ، وحتى تَعْبُدَ قبائلُ من أُمَّتي الأَوْثـانَ ، وإنـه سيكون في أُمَّتي كَـذَّابون ثلاثون ، كُلُّهم يزعُمُ أنه نبي ، وأنا خـاتم النبيين ، لا نبي بعـدي ولا تزالُ طـائفـةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يَضُرُّهم من خالفهم حتى يأتِيَ أمرُ الله » .

وقد روى مسلم [٢] بعض هذه الزيادة عن ثوبانَ ، وهي قوله : « لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين .. » إلى آخرها .

وروى الترمـذي [٣] الزيادة كلها مفردة .

أقول : إنّ أعظم منابع الثروة في العالم موجود في العـالم الإسلامي ، وفي الحـديث إشـارة إلى ذلك ، وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث بشـارة بـاستمرار وجود من يحمل الإسلام كما وقع وذلك من أعلام نبوته عليـه الصلاة والسلام ، وفي الحـديث بشـارة بالتوسع المطرد للإسلام وهو حاصل ، ونحن الآن نشهد بداية مـدٍّ إسلامي جـديـد نرجو أن يكون مآله سيطرة الإسلام على العالم تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ هو الـذي أرسـل رسـولـه بـالهـدى ودين الحـقّ ليظهره على الـدين كلّـه ﴾ ، وتحقيقـاً لبشاراته عليه الصلاة والسلام بذلك .

٩٢٧ - * روى أحمـد عن شـداد بن أوسٍ أن النبي ﷺ قـال : « إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مَشـارِقَها وَمَغَـارِبَهـا وإني أعطيتُ الكَنزين : الأبيضَ والأحمرَ ،

---

(١) أبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٢٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٥٣ - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... » .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٠٤) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥١ - باب ما جاء في الأئمة المضلين . وقال : حديث صحيح .

٩٢٧ - أحمد (٥ / ٢٨٤) .

وكشف الأستار (٤ / ١٠٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢١) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(زوى) : جمع .

=

وإني سألتُ ربي عز وجل : أن لاَ يهلِكَ أمتي بسَنة بعامـةٍ ، وأن لا يُسلِّطَ عليهم عـدوًّا فَيُهلِكَهم بعـامـة ، وأن لايَلْبِسَهم شِيَعـا وأن لا يـذيقَ بعضَهم بـأسَ بعضٍ . فقـال : يـامحمـدُ إني إذا قَضيتُ قضـاءً لا يُرَدُّ ، وإني قـد أعطيتُـك لأمتـك أن لا أهلِكَهم بسنةٍ بعامةٍ ، وأن لا أسلِّطَ عليهم عدوًّا بعامـةٍ فيُهلِكوهم بعَـامـةٍ ، حتى يكونَ بعضُهم يُهْلِـكُ بعضًا وبعضُهم يَقتُلُ بعضًا وبعضهم يَسْبِي بعضًا » . قـال : وقـال رسـول الله ﷺ : « إني لا أخـافُ على أمتي إلا الأئمـةَ المُضِلين . وإذا وُضِـعَ السيفُ في أمتي لا يُرْفَعُ عنهم إلى يومِ القيامة » .

٩٢٨ - * روى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سألت ربي لأمتي أربع خِـلال فمنعني واحـدةً وأعطـاني ثـلاثًـا : سـألتـهُ أن لا تَكْفُرَ أمتي صَفقـةً واحـدةً فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسلِّط عليهم عدوًّا من غيرِهم فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُعذِّبَهم بما عَذَّبَ بـه الأُمَمَ قَبْلَهم فـأعطـانيهـا ، وسـألتُـه أن لا يجعلَ بـأسهم بينهم فمنعنيها » .

٩٢٩ - * روى الطبراني عن أبي بُرْدَةَ قال : خرجت من عند عُبَيْدِ الله بن زيـاد فرأيتـهُ يعاقِبُ عقوبةً شـديـدةً ، فجلست إلى رجل من أصحـاب النبي ﷺ فقـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « عقوبةُ هذه الأمةِ بالسيفِ » .

٩٣٠ - * روى أبو داود عنْ عوفِ بنِ مالـكٍ رضي الله عنـه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال : « لَنْ يَجْمَعَ اللهُ على هذه الأُمَّة سيفين : سَيْفًا منها ، وسَيْفًا من عدوِّها » .

أقول : في الحديث إشارة وبشارة ، فعندما يكون المسلمون قائمين بالجهاد يقـاتلون عـدوًّا أو يقاتلهم عدو فيتَّحِدون وتتوجّه قلوبهم لجهاد غيرهم ، فـإذا ركـد سوق الجهـاد لأعـداء الله

= (بسنة) : السنة : القحط والمجاعة .

(بعامة) : العامة : التي تعم الكل .

٩٢٨ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . ورواه البزار إلا أنـه قـال : سـألت ربي ثلاثًـا . وكشف الأستار (٤ / ٩٦) .

٩٢٩ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٣٠ - أبو داود (٤ / ١١٢) كتاب الملاحم ، باب ارتفاع الفتنة في الملاحم . وإسناده حسن .

قاتلوا بعضهم .

ومن فقه أبي بكر رضي الله عنه أنّه بعد أن أنهى الردّة حرّك المسلمين باتّجاه فارس والروم ، وكذلك فعل عمر ، فلمّا خفّت المشاركة بالجهاد زمن عثمان على كثرة الفتوح وقعت الفتنة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

التجديد والمجدّدين

٩٣١ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائةِ سَنةٍ من يُجَدِّد لها دينَها » .

قال ابن الأثير : (من يجدّدُ لها دينَها) قد تكلَّم العلماءُ في تأويل هذا الحديث ، كُلٌّ واحد في زمانه ، وأشاروا إلى القائم الذي يجدّد للناس دينَهم على رأس كلّ مائةِ سنةٍ ، وكأنَّ كل قائل قد مال إلى مذهبه ، وحمل تأويل الحديث عليه ، والأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كُلِّ مائة سنةٍ مَنْ يجدِّد لها دينَها » ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحدًا ، وإنما قد يكون واحدًا ، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظة « من » تقع على الواحد والجمع ، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث : الفقهاء خاصة ، كما ذهب إليه بعض العلماء ، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء ، وإن كان نفعًا عامًا في أمور الدين ، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضًا كثير مثل أولي الأمر ، وأصحاب الحديث والقرّاء والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزّهاد ، فإن كل قوم ينفعون بفنّ لا ينفع به الآخر ، إذ الأصل في حِفْظِ الدِّين حفظُ قانون السياسة ، وبثّ العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكّن من إقامة قوانين الشرع ، وهذا وظيفة أُولي الأمر ، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع ، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات ، والزهّاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا ، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر ، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة : رجلاً مشهوراً معروفاً ، مشاراً إليه في كل فن من هذه الفنون ، فإذا حُمِلَ تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى ، وأبعدَ من التهمة ، وأشبه بالحكمة ، فإن اختلاف الأئمة رحمة ، وتقرير أقوال المجتهدين متعيّن ، فإذا ذهبنا إلى تخصيص

---

٩٣١ - أبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة . وإسناده صحيح .
والمستدرك (٤ / ٥٢٢) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

القول على أحد المذاهب ، وأوّلنا الحديث عليه ، بقيت المذاهب الأخرى خارجةً عن احتمال الحديث لها ، وكان ذلك طعنًا فيها .

فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائةِ سَنَةٍ ، يجدّدون للناس دِينَهم ، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها مجتهديهم وأئمتهم . اهـ . (جامع الأصول) .

أقول : رأس القرن أوله ، والظاهر المتبادر من الحديث أنّ القائم بالتجديد في كل قرن واحد ، وهو الذي يغلب على كلام العلماء ، ولكن كلام ابن الأثير وجيه ، والموضوع يحتاج إلى تحقيق من خلال الواقع ، وهذا بحث يستأهل أن يتفرغ له ، فتحديد الذين أثّروا في تاريخ الإسلام مجددين للهدى وعلى الهدى يضع بيد الأمة ثروة هائلة من القدوة والسوابق ، وإذا كان التحديد لا يحتمل المقام هاهنا لكثرة الاختلاف في أهل التجديد ، فإننا نكتفي بالقول ؛ إن تجديد الاسلام قائم وحاصل يدل على ذلك : وصول هذا الدين إلينا نقيًا صافيًا ، وانتشاره في الأرض طولاً وعرضًا على كثرة الكوارث والأعداء ، ونحب أن نلفت نظر الراغبين في التجديد في هذا القرن إلى بعض الملاحظات :

إن على القائمين بالدعوة إلى الله أن يلحظوا مايحتاجه كل قرن من تجديد ، فتجديد كل قرن على حسبه ، ولكل قرن جديده الذي يحتاج إلى عمل مكافئ ومناسب ، فهناك تجديد علوم الإسلام وهناك التجديد في أساليب العمل لإحياء أسهم الإسلام ومقاماته ومفاهيمه وقيمه ، وهناك التجديد الذي تحتاجه المستجدّات ، فإقامة الجهاد في عصرنا تحتاج من الوسائل والأساليب مافرضته مستجدّات العصر ، وإقامة فروض العين وفروض الكفاية تحتاج من الجهد والأساليب والإحاطة والتعبئة ماتقتضيه مستجدّات كلّ عصر ، وكثيرون من الناس يسيرون على معالم تجديد المجدّدين في قرون سابقة دون أن يلحظوا المتغيّرات والمستجدّات والزمان والمكان والبيئة والمعطيات والمتغيّرات ونفسيّات الناس .

وبعد هذه الملاحظات لابد من الإشارة إلى أن في الحديث معجزة ظاهرة ، فلم يزل على رأس كل قرن يظهر من نوابغ الإسلام ومن الحركات الإسلامية والتحركات الجادّة لنصرة الإسلام بتأييد الحق والرد على أهل الباطل وإضعافهم ماهو ظاهر واضح ، ولكثرة ظهور

هذا الأمر في كثيرين ، تجد العلماء يختلفون من هو المجدّد الأول أو الأقوى أو الأوحد في كل قرن وماكان الاختلاف إلا بسبب الوجود ، ومذهب ابن الأثير يقلّلَ من الخلاف حتى يجعله في حده الأدنى .

* * *

الفقرة العاشرة

في :

نار الحجاز

٩٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ : قَال رسول الله ﷺ : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرى » .

قال الحافظ ابن حجر : « قوله (حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قال القرطبي في « التذكرة » : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلةً عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجالاً يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام ، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى . وقال النووي : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام . وقال أبو شامة في « ذيل الروضتين » : وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كُتُبٌ من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين ، فذكر هذا الحديث ، قال : فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب ، فمن الكتب .. فذكر نحو ماتقدم ، ومن ذلك أن في بعض الكتب : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة في شرقي المدينة نار

---

٩٣٢ - البخاري (١٣ / ٧٨) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٤ - باب خروج النار .

مسلم (٤ / ٢٢٢٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٤ - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز .

عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد . وفي كتاب آخر : انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد المدينة وهي برأي العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال يجري على وجه الأرض ويخرج منه مهاد وجبال صغار . وفي كتاب آخر : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة ، قال ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوي . قال أبو شامة : ونظم الناس في هذا أشعاراً ، ودام أمرها أشهرا ، ثم خمدت . والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره ، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى . وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي ، فقام في أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك في قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى في « كتاب الجماجم » وأوردها الحاكم في « المستدرك » من طريق يعلى بن مهدي عن أبي عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه إني أطفي عنكم نار الحدثان فذكر القصة وفيها فانطلق وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فذكر القصة في دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فضربها بعصاه حتى أدخلها وخرج . وقد أوردت لهذه القصة طرفًا من ترجمته في كتابي في الصحابة . قوله (تضيء أعناق الإبل ببصرى) قال ابن التين : يعني من آخرها يبلغ ضوؤها إلى الإبل التي تكون ببصرى وهي من أرض الشام .

وبصرى بضم الموحدة وسكون المهملة مقصور بلد بالشام وهي حوران . وقال أبو البقاء: أعناق بالنصب على أن تضيء متعد ، والفاعل النار أي تجعل على أعناق الإبل ضوءاً ، قال : ولو روي بالرفع لكان متجهًا أي تضيء أعناق الإبل به كما جاء في حديث آخر « أضاءت له قصور الشام » وقد وردت في هذا الحديث زيادة من وجه آخر أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق عمر بن سعيد التنوخي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب يرفعه : « لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الإبل ببصرى » وعمر ذكره ابن حبان في الثقات ولينه

ابن عدي والدارقطني ، وهذا ينطبق على النار المذكورة التي ظهرت في المائة السابعة . وأخرج أيضًا الطبراني في آخر حديث حذيفة بن أسيد الذي مضى التنبيه عليه : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان أو ركوبة تضيء منها أعناق الإبل ببصرى » قلت : وركوبة ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام مر بها النبي ﷺ في غزوة تبوك ذكره البكري ، ورومان لم يذكره البكري ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ، فجمع في هذا الحديث بين النارين وأن إحداهما تقع قبل قيام الساعة مع جملة الأمور التي أخبر بها الصادق ﷺ ؛ والأخرى هي التي يعقبها قيام الساعة بغير تخلل شيء آخر ، وتقدم الثانية على الأولى في الذكر لا يضر والله أعلم » اهـ . (فتح الباري : ١٣ / ٧٩) .

أقول : المراد بالنار الثانية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ هي النار التي تخرج من حضرموت ، وسيأتي الكلام عنها في فقرة لاحقة .

* * *

الفقرة الحادية عشر

في :

استقلاليّة أقطار الأمّة الإسلاميّة عن بعضها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية

٩٣٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنَعَتِ العراقُ دِرْهَمَها وقَفيزَها ، ومنعتِ الشّامُ مُدْيَها ودِينارَها ، ومنعت مصر إرْدَبَّها ودينارَها ، وعدتم من حيثُ بَدأتُم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم » . شَهِدَ على ذلك لَحْمُ أبي هريرةَ ودَمُهُ .

وفي رواية أبي داود [1] قال : « منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشام مُديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبّها ودينارها ، ثم عدتم من حيث بدأتم » ثم قالها زهير ثلاث مرات ، شهد على ذلك لحمُ أبي هريرة ودمُه .

قال ابن الأثير : « (منعت) وأما قوله : « مَنَعَتْ » فله معنيان ، أحدهما : أن النبيّ ﷺ أخبر أنهم سيسلمون وسيسقط ماوظّفَ عليهم بإسلامهم ، فصاروا بإسلامهم مانعين ماكان عليهم من الوظائف ، واستدل على هذا بقوله : « وعدتم من حيث بدأتم » لأن بدءَهم في علم الله وفي قضائه وقدره : أنهم سيسلمون ، فعادوا من حيث بدؤوا ، والوجه الثاني : أنهم يرجعون عن الطاعة ، ويعضده الحديث الذي أورده البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة قال : كيف أنتم إذا لم تَجْبوا ديناراً ولا درهمًا ؟ فقيل : كيف تُرى ذلك كائنًا ؟ قال : إي والذي نفسي بيده عن قول الصادق المصدوق قيل : عمّ ذاك ؟ قال : تُهتك حرمة الله ، وذمة رسوله فَيَشُدّ الله على قلوب أهل الذمة فيمنعون مافي أيديهم » . اهـ

أقول : في الحديث إشارة إلى ماجدّ في زماننا حيث عادت الدعوة الإسلاميّة إلى بداياتها بعد الردّة الهائلة وبعد أن لم تعد للمسلمين خلافة مركزية يخضعون لها وتقودهم وتسوسهم .

---

٩٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٢٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسر ... إلخ .

(١) أبو داود (٣ / ١٦٦) كتاب الإمارة ، باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة .

٩٣٤ - * روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : يُوشِكُ أهلُ العراق أن لا يُجْبى إليهم قَفِيزٌ ولا دِرْهم ، قال أبو نَضْرَة : قلنا : من أينَ ذاك ؟ قالَ : من قِبَلِ العَجم يمنعون ذاك ، ثم قال : يوشكُ أهلُ الشام أن لا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُدْيٌ ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبَل الرُّوم ، ثم سكت هُنيَّة ، ثم قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يكون في آخر أمتي خليفة يَحْثي المال حَثْياً ، لايعُدُّه عدّاً » قال : قلت لأبي نضرة ، وأبي العلاء : أتَرَيان أنه عُمرُ بن عبدِ العزيزِ ؟ قالا : لا .

أقول : لقد كان العراق حاضرة الأمّة الإسلاميّة وعاصمتها أكثر من مرة واستعصت عليه جهات كثيرة من العجم ، ولقد كان الشام حاضرة للأمّة الإسلاميّة وعاصمتها واستعصى عليه الروم الجيران الشماليون له وقتذاك أكثر من مرة ومنعوه الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الخلافة الراشدة في آخر الزمان والتي تكون بعد المُلْك الجَبري كما نصّت على ذلك نصوص منها :

٩٣٥ - * روى أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تكونُ النُّبوةُ فيكم ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يَرْفَعُها الله إذا شاء أن يَرفَعَها ، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ ، فتكونُ ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفَعَها ، ثم تكونُ مُلْكاً عاضًا فيكون ماشاءَ اللهُ أن تكونَ ، ثم يَرفعُها إذا شاءَ اللهُ أن يرفَعَها ، ثم تكون مُلْكاً جَبْرِيًا فتكونُ ماشاءَ اللهُ أن تكونَ ، ثمَ يرفعُها إذا شاءَ

---

٩٣٤ - مسلم (٤ / ٢٢٣٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ..

(المُدْيُ) : مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رطلاً ، و « القفيز » لأهل العراق ثمانية مكاكيك ، و « الإردَبُّ » لأهل مصر أربعة وستون مَنًّا وأربعة وعشرون صاعًا على أن الصاع خمسة أرطال وثلث .

(الصاع) = ٢٧٥١ غم على رأي الشافعية .

(ويساوي أيضًا) = ٢٨٠٠ غم على رأي الأحناف .

(القفيز) = ١٢ صاع .

(المُدْيُ) = ٥ ر ٢٢ صاع .

(الإردبّ) = ٢٤ صاع و = ٦٤ منًّا .

(المن) : = رطلان . والرطل البغدادي ٤٠٨ غم .

٩٣٥ - أحمد (٤ / ٢٧٣) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٣١) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٨٨) وقال : رواه أحمد في ترجمة النعمان والبزار أتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات.

أن يَرفعَها ، ثم تكونُ خِلافةٌ على مِنْهاجِ النّبوةِ » ثم سَكَتَ .

أقول : إنّ أحاديث هذه الفقرة قد وقعت وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وعصرنا يشهد استقلاليّة الأقطار الإسلامية عن بعضها وذلك خلاف الأصل ، فلابد أن تكون للمسلمين وحدتهم وخليفتهم ، وعلى علماء المسلمين أن يعملوا لذلك بالقدر المتاح والممكن ، وأن يقترحوا الصيغ الأكثر تطويراً لتحسين العلاقات وتمتين أواصر الأخوة والوحدة وذلك من واجبات العصر .

* * *

الفقرة الثانية عشرة

في :

غربة الإسلام

٩٣٦ ـ * روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الإسلامَ بَدأ غَريباً ، وسيعودُ غريباً كما بدأ ، وهو يَـأرِزُ بينَ المسجـدينِ كما تَـأرِزُ الحيـةُ في جُحرها » .

٩٣٧ ـ * روى الطبراني عن سهل بنِ سعد السَّاعِدي قال : قال رسول الله ﷺ : « بـدأ الإسلامُ غريبًـا وسيعود غريبًـا كما بـدأ فطوبى للغربـاء » . قـالـوا يـارسـول الله ومن الغرباء ؟ قال : « الذين يُصْلِحُون عند فسادِ النَّاسِ » .

٩٣٨ ـ * روى أحمد عن سعدِ بنِ أبي وقـاص قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الإيمان بدأ غريبـاً وسيعود غريبـاً كما بـدأ فطوبى يومئـذ للغربـاء إذ فَسَـدَ النـاسُ والذي نفس أبي القاسم بيده لَيأرِزَنَّ الإيمان إلى بين هذين المسجدين كما تأرز الحية إلى جُحْرِها » .

٩٣٩ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (رفعه) : « إنَّ الإسلامَ بَدأ غَريبـاً وسيعودُ غريباً كما بَدأ فطوبى للغُرباء » .

---

٩٣٦ ـ مسلم (١ / ١٣١) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦٥ ـ باب بيـان أن الإسلام بـدأ غريبًـا وسيعود غريبًـا ، وإنـه يـأرز بين المسجدين .

٩٣٧ ـ المعجم الكبير (٦ / ١٦٤) .

والروض الداني (١ / ١٨٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٨) وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة .

٩٣٨ ـ أحمد (١ / ١٨٤) .

(ليأرِزَنّ) : أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض .

وكشف الأستار (٤ / ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٧) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح .

٩٣٩ ـ مسلم (١ / ١٣١) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦٥ ـ باب بيـان أن الإسلام بـدأ غريبًـا وسيعود غريبًـا ، وإنـه يـأرز بين المسجدين .

=

أقول : هذه الأحاديث من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام ، ولقد شهدنا غربة الإسلام في عصرنا وماسبقه ، وكانت مظاهر غربة الإسلام كثيرة ، فقد طغت على أرض الإسلام الأفكار العلمانيّة والإلحاد وكثرت الأحزاب الكافرة والفلسفات والأفكار الفاسدة وظهرت أنواع من المؤسسات تنشر الكفر والتشكيك ، ومرّت فترات كنت لا تجد في الجامعات والمدارس من يصلّي وإذا صلّى صلّى مستخفيًا حتّى لا يُهزأ به أو يشكّك في عقله ، ونحن نشهد الآن في بداية القرن الخامس عشر الهجري شيئًا من التحسّن في بعض الأقطار واستشراء للردّة في أقطار أخرى ، والمرجو من فضل الله وكرمه أن تنتهي موجة غربة الإسلام .

* * *

= وابن ماجه (٢ / ١٣٢٠) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٥ - باب بدأ الإسلام غريبًا .

الفقرة الثالثة عشرة

في :

مدّعي النُّبوة والدّجّالين

٩٤٠ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعة حتى يُبعثَ كذّابون دَجالون ، قريبًا من ثلاثين ، كُلُّهم يَزْعُمُ أنه رسولُ الله » .

وفي روايةِ أبي داود (١) : « حتى يخرجَ ثلاثونَ دجالون كلُّهم يزعم أنه رسولُ الله » .

وفي أخرى (٢) « حتى يَخرجَ ثلاثون كذَّاباً دجالاً ، كُلُّهم يَكْذِبُ على اللهِ وعلى رسوله » .

وفي رواية عَبيدةَ السَّلْماني بهذا الخبر (٣) .. ، فقلت له : أترى هذا منهم؟ يعني : المختار - فقال عَبيدَةُ : أمَا إنَّه من الرؤوس .

قال محقق الجامع : ليس المراد بالبعث الإرسال المقارن للنبوة ، بل هو كقوله تعالى : **﴿ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾**(٤) وليس المراد أيضًا من ادعى النبوة مطلقًا ، فإنهم لا يحصون كثرة ، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت لهم شبهة . اهـ .

٩٤١ - * روى مسلم عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إن بين يدي الساعةِ كذّابينَ » . وفي رواية : « فاحذروهم »(٥) .

---

٩٤٠ - الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٣ - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) أبو داود : (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

(٣) أبو داود : الموضع السابق . (٤) مريم : ٨٣ .

٩٤١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... .
وأحمد (٥ / ٨٦) .

(٥) مسلم : الموضع السابق .

٩٤٢ - * روى أحمد عن حذيفة أن نبي الله ﷺ قال: « في أمتي كذابون ودجالون سَبعة وعشرون منهم أربعُ نسوةٍ وإني خَاتَمُ النبيين لا نبيَّ بعدي ».

٩٤٣ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « سَيَكُونُ في آخر أُمَّتي أُناسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم ».

وفي روايةٍ: (١) « يكونُ في آخر الزمانِ دَجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإيَّاهُمْ، لا يضِلُّونكم ولا يَفْتِنونكم ».

٩٤٤ - * روى أحمد عن أبي بَكْرَةَ قال: أَكْثَرَ الناسُ في شأنِ مُسَيْلِمَةَ قبل أن يقولَ رسولُ الله ﷺ فيه شيئًا فقام رسول الله ﷺ خَطيبًا فقال: « أما بعد ففي شأنِ هذا الرجلِ الذي قد أكثرْتُم فيه وإنه كذابٌ من ثلاثين كذابًا يخرجون بين يدي الساعة وإنه ليس من بلد إلا يَبْلُغُها رُعْبُ المسيح ».

أقول: إنّ هذه الأحاديث من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام فقد ابتدأت سلسلة مدّعي النبوة بمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وآخر من ظهرت له فتنة منتشرة منهم غلام أحمد القادياني الذي ادّعى النبوّة وأعلن نسخ الشريعة المحمدية.

٩٤٥ - * روى أبو يعلى عن أبي الجُلاسِ قال: سمعتُ عليًا يقول لعبدِ الله السَّبَئي: ويلك واللهِ ما أَفْضَى إليَّ بشيءٍ كَتَمَهُ أحداً من الناس ولكن سمعتُه يقول: « إن بين يدي

---

٩٤٢ - أحمد (٥ / ٣٩٦).
والمعجم الكبير (٣ / ١٦٩).
وكشف الأستار (٤ / ١٣٢).
مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٢). وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار. ورجال البزار رجال الصحيح.
٩٤٣ - مسلم (١ / ١٢) المقدمة، ٤ - باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.
(١) مسلم: الموضع السابق.
٩٤٤ - أحمد (٥ / ٤١).
مجمع الزوائد: (٧ / ٣٣٢). وقال: رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح.
(المسيح): المراد بالمسيح هنا: المسيح الدجال.
٩٤٥ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٣). وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

الساعة ثلاثينَ كَذاباً » . وإنك لأحدهم .

أقول : عبد الله السَّبَئِي هو المشهور بابن السوداء ، وهو يهودي أظهر الإسلام وقاد الفتنة الكبرى فكريًا وتخطيطًا ودعويًا ضدّ عثمان ، ولم يزل يلقي بالأفكار المكفرة تحت شعار محبّة علي رضيَ الله عنه ، وتعتبر أفكار غلاة الشيعة والباطنيين منهم خاصة امتدادًا لأفكاره ، والرواية التي مرّت معنا تحدّثنا عن موقف علي رضي الله عنه منه ، وتشير الرواية إلى أنّ فهم عليّ رضي الله عنه لقضيّة الكذّابين والدجّالين أنّه لا يشترط حتّى يطلق على واحد منهم هذا اللقب أن يدّعي النبوّة ، وما أكثر الدجّالين والكذّابين في عصورنا المتأخرة الذين يدّعون أنّهم مسلمون ويدعون إلى الكفر البواح .

* * *

الفقرة الرابعة عشرة

في :

أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة وقد وقعت

٩٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ قال : « لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقتربَ ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه » وحلّق بإصبَعِه الإبهام والتي تليها ، فقلتُ : يارسولَ الله : أَنَهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع هذا بموجتي التتار والمغول وما أحدثاه من آثار مدمّرة في الأرض الإسلاميّة عامّة والأرض العربيّة خاصّة ، وكارثة بغداد معروفة .

٩٤٧ - * روى الترمذي عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « في هذه الأمةِ خَسْفٌ ومَسْخٌ وقَذفٌ » . فقال له رجلٌ من المسلمين : يارسول الله ، ومتى ذلك ؟ قال : « إذا ظهرتِ القِيَانُ والمَعازف وشُرِبتِ الخمورُ» .

٩٤٨ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في آخر هذه الأُمّةِ خَسفٌ ومَسخٌ وقَذْفٌ » قالت : قلتُ : يارسولَ الله ، أَنَهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا ظَهَرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع بعض هذا في الأمّة ، وأشهر أحداث الخسف في عصرنا خسف أغادير في المغرب إذ خسف بها كاملة خلال أربع ثوان ، وماحدث في منطقة الأصنام في الجزائر وماحدث في منطقة ذمار في اليمن وأشهر أحداث القذف في عصرنا ماحدث في بعض القرى

---

٩٤٦ - البخاري (١٣ / ١١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٤ - باب قول النبي ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب
مسلم (٤ / ٢٢٠٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

٩٤٧ - الترمذي (٤ / ٤٩٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٨ - باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده .

٩٤٨ - الترمذي (٤ / ٤٧٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

التركيّة إذ جاءها عذاب من فوقها ومن تحتها .

أما المسخ الباطني فما أكثره فلقد شهدنا قلوب الشياطين في جثمان إنس ، وقلوب الذئاب في لبوس الضأن ، وكلها معان تحدثت عنها النصوص .

٩٤٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنسٍ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال - عند قُرب وفاته - : ألا أُحدِّثكم حديثًا عن رسولِ الله ﷺ ، لا يحدِّثكم به أحدٌ عنه بعدي ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تقومُ الساعةُ » - أو قال : « إن من أشراطِ الساعةِ - : أن يُرفعَ العلم ، ويَظهرَ الجهلُ ، ويُشربَ الخمر ، ويفشو الزنا ، ويذهب الرجالُ ، ويبقى النساءُ حتى يكون لخمسين امرأةً قَيِّمٌ واحد » .

وفي رواية(١) : « يظهرَ الزنا ، ويقلُّ الرجال ، ويكثر النساء » .

أقول : قوله عليه الصلاة السلام (أن يرفع العلم) : يفسره الحديث الذي يذكر أن رفع العلم يكون بموت العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهّالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وقد ظهر مثل هذا في عصرنا والمراد بالعلم : العلم الشرعي ، ولكن المرجو أن نكون على أبواب نهضة علمية يتلافى فيها مثل هذا ، وقد يتكرر ظهور مثل هذا الشأن .

وقوله عليه الصلاة والسلام (حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد) : ذكرنا أن مثل هذا وقع في بعض الأقطار أثناء الحرب العالمية الأولى ويحتمل أن ذلك كائن فيما بعد .

وقد قلت بمناسبةِ هذا الحديث بمناسبةِ مايلي : لقد أصبح الخمر في أكثر بلدان الإسلام مرخصًا به من أكثر الحكومات وأصبحت قوانين أكثر البلدان الإسلامية تعتَبرُ الزنا جريمة من النوع الثالث أو الرابع ، وأصبح الزنا بالتراضي كثيراً شائعًا ، بل وجد المتخصصون في المتاجرة بالزنا .

---

٩٤٩ - البخاري (١ / ١٧٨) ٣ - كتاب العلم ، ٢١ - باب رفع العلم وظهور الجهل .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

والترمذي : (٤ / ٤٩١) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٤ - ما جاء في أشراط الساعة . وقال حديث : حسن صحيح .

(قَيِّمٌ واحد) قيم المرأة : زوجها ، لأنه يقوم بأمرها ، وبما تحتاج إليه من نفقة وغيرها .

(١) البخاري (١٢ / ١١٣ ، ١١٤) ٨٦ - كتاب الحدود ، ٢٠ - باب إثم الزناة .

وفي الحرب العالمية الأولى لم يبق إلا القليل من الرجال في كثير من بلدان العالم الإسلامي حيث سحب الرجال إلى الحرب وشهدت تلك الفترة نفسها ندرة العلم حتى إنك لا تجد في الحي الواحد من يحسن الكتابة ، ولا زالت الأمية بالإسلام وانتشار الزنا وشرب الخمر وفشو الربا مما نعاني منه حتى كتابة هذه السطور .

٩٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بين يدي الساعةِ أيامًا ينزلُ فيها الجهلُ ، ويُرفَعُ فيها العلمُ ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ ، والهرْج : القتل » .

وللبخاري (١) ، أن أبا موسى قال لعبد الله : أتعْلَمُ الأيامَ التي ذكر فيها النبيُّ ﷺ أيام الهرج ؟ ... فذكر نحوه .

وقال عبد الله : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول ... .

ورواه الترمذي (٢) عن أبي موسى وحده قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ من ورائِكم أيامًا يُرفَعُ فيها العلم ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ » قالوا : يارسولَ الله ، وما الهَرْجُ ؟ قال : « القَتْلُ » .

أقول : قوله عليه الصلاة السلام (ويكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل) : قد مر منه كثيراً ، وفي كل عام تسمع عن مذابح المسلمين ، لقد ذهب في عصرنا في الجزائر حوالي مليون شهيد ، وفي أفغانستان لا نعرف إلى أي حدٍّ سيبلغ عدد القتلى ، ومذبحة حماة وغيرها من المدن السورية ومذابح لبنان عامة وطرابلس خاصة ، ومذابح الصراع في المغرب ، ومن قبل صراعات المسلمين الكثيرة فيا بينهم ، ومذابح التتار والصليبيّين والمستعمرين .

٩٥١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

---

٩٥٠ - البخاري (١٣ / ١٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٥ - باب ظهور الفتن .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وقبضته وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

(١) البخاري (١٣ / ١٤) : الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٨٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣١ - باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه . وقال : حديث صحيح .

٩٥١ - البخاري (٢ / ٥٢١) - ١٥ - كتاب الاستسقاء ، ٢٧ - باب ما قيل في الزلازل والآيات . =

« إنَّ من أشراطِ الساعةِ أن يتقاربَ الزمانُ ، ويَنْقصَ العِلْمُ ، وتَظْهَرَ الفِتَنَ ، ويُلْقَى الشُّحُّ ، ويكثر الهرجُ » قالوا : يارسولَ الله ، وما الهَرْجُ ؟ قال : « القَتلُ القَتلُ » .

وفي رواية (١) « أن يُرفع العلم ، ويثبت الجهل » - أو قال : « ويظهر الجهل » .

وفي رواية أبي داود (٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويُلْقَى الشحُّ ، ويكثر الهرجُ » قيل : يارسول الله أيْمَ هو ؟ قال : « القَتْلُ ، القَتْلُ » .

أقول : قوله عليه السلام (يتقارب الزمان) : قد يكون فيه إشارة إلى المواصلات الحديثة ووسائل الاتصال حتى ليقضى في الزمن القليل ماكان يحتاج إلى أزمنه متطاولة .

٩٥٢ - * روى الطبراني عن أبي أُمَيَّةَ الجُمَحِي رفعه : « إن منْ أشراطِ الساعةِ أن يُلتَمَسَ العِلْمَ عندَ الأصاغرِ » .

أقول : إن جيلنا شهد حالة عجيبة وهي أنه قد غلب اليأس على كثير من العلماء فلم يعودوا يتصدرون للدعوة والإرشاد والتعليم ، ونشط للدعوة الشباب فأصبحوا هم الذين يتصدرون لمثل هذه الشؤون ، والتف الكثيرون حولهم حتى إذا ما جلس كبار العلماء لم يجدوا من يسمع منهم ، وللمسألة استثناءاتها .

٩٥٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال له رسولُ الله ﷺ : « يوشِكُ إن طالَتْ بك مدةٌ أن ترى قومًا في أيديهم مثلُ أذناب البَقَر يَغْدُون في غَضَب الله ، ويَرُوحُونَ في سَخَط الله » .

= مسلم (٤ / ٢٠٥٧) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن ، في آخر الزمان .

(١) مسلم (٤ / ٢٠٥٦) : الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

٩٥٢ - مجمع الزوائد (١ / ١٣٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

٩٥٣ - مسلم (٤ / ٢١٩٣) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء .

وفي رواية :(١) « إن طالت بك مُدَّةٌ أوشكْتَ أن ترى قومًا يَغْدُون في سخطِ اللهِ ويروحون في لَعْنَتِهِ ، في أيديهم مثل أذنابِ البقرِ » .

أقول : إن من عرف مايجري في دوائر المخابرات في كثير من بلدان العالم الإسلامي عرف مضمون هذا الحديث .

٩٥٤ - * روى أحمد عن طارق بنِ شهاب قال : كنا عند عبدِ الله بنِ مسعودٍ جُلوسًا فجاءَ رجُلٌ فقال : قد أُقيمَتِ الصلاةُ ، فقام وقمنا معه فلما دخلْنا المسجدَ رأينا الناسَ ركوعًا في مُقَدَّمِ المسجدِ فكبر ورَكَعَ ورَكَعْنا ومشينا وصنعنا مثل الذي صنعَ ، فمر رجل يُسرِعُ فقال : عَليك السلام أبا عبدِ الرحمن فقال : صدقَ اللهُ ورسولُه وبلَّغَتْ رُسُلُهُ . فلما صَلينا ورجعْنا ودخل إلى أهله جَلَسْنا فقالَ بعضنا : أما سمعتُم رَدَّهُ على الرجل : صدقَ اللهُ ورسولهُ وبلغت رسلُه أيُّكم يسألُهُ ؟ فقال طارق : أنا أسألُه فسألَهُ حين خرجَ ، فذكر عن النبي ﷺ : « إن بين يدي الساعة تسليمَ الخاصة وفُشُوَّ التجارة حين تعيّنُ المرأةُ زوجَها وقطع الأرحام وشهادةَ الزور وكتمانَ شهادةِ الحقِّ وظهورَ العلم » .

وفي رواية(٢) قال رسول الله ﷺ : «إن من أشراط الساعة أن يُسلِّمَ الرجلُ لا يُسَلِّمُ إلا للمعرفة » . والبزار(٣) ببعضه وزاد « وأن يجتازَ الرجلُ بالمسجد فلا يصلي فيه » والطبراني(٤) إلا أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ السلامُ على المعرفةِ » وإنَّ هذا عَرَفَني من بينكم فسلَّمَ علي « وحتى تُتخذَ المساجدُ طُرقًا فلا يُسْجَدُ للهِ فيها وحتى يبعثَ الغلامُ الشيخَ بريدًا بين الأفقين وحتى يَبلُغَ التاجرُ بين الأفقين فلا يَجِدُ رِبحًا » وفي رواية(٥) عنده : « وأن تَغْلُو النساءُ والخيلُ ثم تَرْخُصَ فلا تغلوا إلى يوم القيامة وأن يَتَّجِرَ الرجل والمرأة جميعًا » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٣) : الموضع السابق .

٩٥٤ - أحمد (١ / ٤٠٧) .

(٢) أحمد : الموضع السابق .

(٣) كشف الأستار (٤ / ١٤٧) .

(٤)، (٥) مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٩) . وقال : رواه أحمد ، والبزار ببعض والطبراني إلا أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة ... » وفي رواية عنده « وأن تغلو النساء ... » . ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة منها : (حتّى يبعث الغلامَ الشيخَ بريداً بين الأفقين) وكأنّ في ذلك إشارة إلى الطيران واستخدام الأصغر سنّا من هو أكبر منه .

ومنها :

(وفشو التجارة حين تعين المرأة زوجها) .

(وأن يتجر الرجل والمرأة جميعًا) .

ومن رأى في عصرنا كثرة المحلات التي تشارك في أعمالها المرأة رأى مصداق ذلك .

٩٥٥ - * روى أحمد عن ثوبانَ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عِصابتان من أمتي أحرزَهما الله من النارِ عِصابةٌ تغزو الهندَ وعِصابة تكونُ مع عيسى ابنِ مريم » .

أقول : وقد غزا المسلمون الهند وحكموها حوالي ثمانمائة سنة وهاهي دولة باكستان ودولة البنغال قائمتان والمسلمون في الهند كثيرون والحمد لله .

٩٥٦ - * روى البزار عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة سنين خَدّاعَةً يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ ويُكذَّب فيها الصادقُ ويؤتمن فيها الخائِنُ ويُخوَّن فيها الأمينُ ويَنْطِقُ فيها الرُّويبضة » قيل : يا رسول الله وما الرويبضة ؟ قال : « الامرُؤ التافهُ يتكَلَّمُ في أمرِ العامة » قال ابنُ إسحاقَ وحدثني عبدُ اللهِ بنُ دينارٍ عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال بنحوه .

أقول : وهذا عصرنا يشهد ماذكره رسول الله ﷺ تفصيلاً .

---

٩٥٥ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

والنسائي (٦ / ٤٢) كتاب الجهاد ، ٤١ - باب غزوة الهند .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٨٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وسقط تابعيه والظاهر أنه راشد بن سعد ، وبقية رجاله ثقات .

٩٥٦ - كشف الأستار (٤ / ١٣٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) . وقال : رواه البزار . وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار وبقية رجاله ثقات.

٩٥٧ - * روى الطبراني عن أبي هريرةَ أن النبي ﷺ قـال : « إذا مشتْ أمتي المُطَيطاءَ وخَدَمتْهم فارسُ والرومِ تَسلط بعضهم على بعض » .

٩٥٨ - * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيل المُظْلِمِ يُصْبحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمسي مُؤمِنًا وَيُصْبحُ كَافِرًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي ، والْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسِيكُمْ وَقَطِّعُوا أوتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا بسُيُوفِكُمُ الحِجَارَةَ فَإنْ دَخلَ عَلَى أحَدِكُم فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ » .

أقول : إن دقة الوصف في هذا الحديث لمعجزة ، فقد مرّتْ عصور في الماضي كان الرجل يمسي مؤمنًا ويصبح كافراً بسبب كثرة دعاة الباطل كالزنادقة والقرامطة والباطنية ، ولقد شهد عصرنا كذلك مثل هذه المرحلة إذ تجد المسلم يصبح على إسلام ويمسي على مذهب حزب كافر وفكرة كافرة ، وقد مَرَّ معنا من قبل موقف المسلم من الفتن ، فالأحاديث التي تطالب المسلم بالاستسلام لقاتله أو بالعزلة الكاملة محمولة على أوضاع لها خصوصياتها كأن يكون القاتل مسلمًا ، والفتنة تدفعه إلى القتل .

أما إذا غزيت دار الإسلام فقد وجب على المسلم القتال ، وعلى كل الأحوال فالمسلم تحكمه الفتوى البصيرة من أهلها في كل ظروفه وأحواله ، فلا يصح لمسلم أن يعتمد على بعض النصوص العامة ، فيعطل واجبًا تفرضه الفتوى من أهلها .

٩٥٩ - * روى الطبراني عن عبد الله بن يزيد الخَطْمِيّ قال : قال رسول الله ﷺ : « عذاب أمتي في دنياها » .

---

٩٥٧ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(المُطَيْطاء) : هي مشية بتبختر ومد اليدين ، ومططت بمعنى : مددت .

أقول : وقد خدمَتْ هذه الأمةَ فارسُ والرومُ ، ووقعَتِ الحروب فيا بين هذه الأمة .

٩٥٨ - أحمد (٤ / ٤٠٨) .

وأبو داود (٤ / ١٠٠) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة .

وابن ماجه (٢ / ١٣١٠) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة .

والمستدرك (٤/ ٤٤٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يخرجاه .

٩٥٩ - الروض الداني (٢ / ١٢٣) .

٩٦٠ ـ * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اقتراب الساعة أن ترفعَ الأشرارُ ويُوضَعَ الأخيارُ وَيَقْبُحَ القولُ ويَخْزُنَ العملُ وتُتْلى في القوم المَثْنَاةُ » . قلت : وماالمَثْنَاةُ ؟ قال : « ماكُتِبَ سِوى كتابِ اللهِ » .

قال ابن الأثير في النهاية :

(المَثْنَاةُ) : قيل : هي أنّ أحبار بني إسرائيل وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله . ا . هـ .

أقول : والمعروف أن عند اليهود أكثر من كتاب ضم كلام علمائهم وأشهر هذه الكتب هو التلمود .

وقد ذكر العقاد في كتابه : « إبراهيم عليه السلام » أن أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة هي كتب المشنا القديمة . ومن المشنا التلمود في نشأته الأولى .

وأصل مادة الكلمة من شنا : أي كَرّرَ . وهي تقابل في العربية مادة ثَنّي أي : أعاد ثانية [1] .

أقول : وفي الحديث أكثر من معجزة يشهدها عصرنا من علو الأشرار على الأخيار ، ومن عرف مايدعو إليه التقدميون عرف بعض مضمونات هذه المعجزة ، ومن عرف دَساتير الأحزاب الكافرة والمواثيق السياسية المحاربة للإسلام وكثرة الكتب المضلّلة التي تَنْتَشر في أرض الإسلام رأى مصداق ماورد في الرواية :

وما المَثْنَاةُ ؟ قال : ماكتب سوى كتاب الله .

= والمستدرك (/ ١ / ٥٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٤) . وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات .

٩٦٠ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٦) ولفظه « ... ويحسن العمل وتفري في القوم المساءة » قلت وما المساءة ؟ قال : « ما كتب سوى كتاب الله » . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) انظر : كتاب (إبراهيم أبو الأنبياء) ص : ٣٦ .

٩٦١ ـ * روى أحمد عن حذيفة قال : ذُكرَ الدَّجالُ عند رسول الله ﷺ فقال : « لأَنَا لِفتنةِ بعضِكم أخوفُ عندي من فتنة الدجالِ ولنْ ينجو أحدٌ مما قبلَها إلا نجا منها ، وماصُنِعَتْ فتنةٌ منذ كانت الدنيا صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا لفتنةِ الدَّجالِ » .

٩٦٢ ـ * روى البزار عن سَمُرَةَ أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ لنا : « إنكم تُوشِكُونَ أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام ولا يَصْلُحُ الطعام إلا بالملح » .

٩٦٣ ـ * روى الترمذي عن حذيفة بن اليمانِ رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ أسعدَ الناسِ بالدنيا لُكَع بنُ لُكَعٍ » .

٩٦٤ ـ * روى الطبراني عن معاويةَ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « لا يَزْدادُ الأمْرُ إلا شدةً ولا يزدادُ الناسُ إلا شُحًا ولا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الناسِ » .

٩٦٥ ـ * روى البخاري عن واقدِ بن محمدٍ رحمه الله عَنْ أبيه عن ابن عُمَرَ ـ أو ابنِ عَمرو ـ قال : شَبَّكَ النبيُّ ﷺ أصابعه ، وقال : « كيف أنت ياعبدَ الله بنَ عمرو ، إذا بقيتَ في حُثالة قد مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم ، واخْتَلَفُوا فصاروا هكذا » ، قال : فكيفَ أصنعُ يارسولَ الله ؟ قال : « تأخذُ ماتعرِفُ ، وتَدَعُ ماتُنْكِرُ ، وتُقبل على خاصَّتِك ، وتَدَعُهم وَعوامَّهم » .

---

٩٦١ ـ أحمد (٥ / ٣٨٩) .

وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٥) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٢ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٩١) .

والمعجم الكبير (٧ / ٢٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني وإسناد الطبراني حسن .

٩٦٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٩٣) ـ ٣٤ كتاب الفتن ، ٣٧ ـ بابٌ مِنْهُ . وقال : حديث حسن غريب .

(لُكَع بنُ لُكَع) : الحقير التافه ، وهي في الأصل : العَبد أو اللئيم أو القذِر .

٩٦٤ ـ مجمع الزوائد (٨ / ١٣ ، ١٤) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٥ ـ البخاري (١ / ٥٦٤) ٨ ـ كتاب الصلاة ، ٨٨ ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .

قال ابن حجر .. « وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود ، وزاد هو « قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا » . وهذه الزيادة ليست في أحاديث الباب .

وفي [١] حديث عاصم بنِ محمدِ بن زيدٍ قال : سمعتُ هـذا من أبي ، فلم أحْفَظْـهُ ، فَقَوَّمَـهُ لي واقِـدٌ عن أبيـه ، قـال : سمعْتُ أبي وهو يقولُ : قـال عبـد الله : قـال رسـولُ الله ﷺ : « ياعبدَ الله بنَ عمرو ، كيف أنت إذا بقيت » .. وذكر الحديث .

وفي رواية أوردها رزين[٢] ، أن رسول الله ﷺ قـال : « كيف بكم وبزمـان تُغَرْبَلُ الناس فيه غَرْبلة ، ثم تبقى حُثَـالَـةٌ من النـاسِ قَـدْ مَرِجَتْ عُهُودُهم وأمـانـاتُهم ، واختلفوا هكذا » ـ وشبك بين أصابعه ـ قالوا : كيف بنا يارسولَ الله ؟ قال : « تأخذونَ مـاتعرِفـون ، وتـذَرون مـاتُنكِرون ، وتُقْبِلـون على أمرِ خـاصَّتكم ، وتـذَرون أمرَ عامتكم » .

وفي أخرى[٣] ، بينما نَحْنُ جُلُوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ، إذ ذَكر الفتنـة ، فقـال : « إذا رأيتم النـاسَ مَرِجَتْ عهـودهم ، وخَفَّت أمـانـاتهم ، وكانـوا هكـذا » ـ وشبَّـك بين أصابعه ـ قال ابنُ عمرو : فقمْتُ إليه ، فقلتُ : كيف أفعلُ عند ذلـك ، جعلني الله فـداك ؟ قال : « الزَمْ بيتَـك ، وامْلِـكْ عليـك لسَـانَـكَ ، وخـذ مـاتعرف ، ودَعْ مـاتُنكِرُ ، وعليك بأمرِ خاصَّةِ نَفْسِكَ ودَعْ عَنْكَ أمرَ العامة » .

٩٦٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت ياعبدَ الله بنَ عمروٍ وإذا كنت في حُثَالَةٍ مِنَ الناسِ » قال : فـذاك مـا هو يـارسولَ الله ؟

---

(١) البخاري : (١ / ٥٦٤) الموضع السابق .

قال محقق الجامع : قال الحافظ في الفتح : وصلة إبراهيم الحربي في غريب الحديث له ، أقول : [أي المحقق] واللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد في المسند وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(حُثالة) : الحثالة : مـا يسقـط من قشر الشعير والأرز والتمر ، وكل ذي قشرٍ إذا نُقي ، وحثـالـة الـدهن ، وكأنـه الرديء من كل شيء .

(المرج) : الاختلاط والاختلاف ، مرِجت عهودهم : إذا اختلفَتْ .

(غربلة) : الناس : إماتة الأخيار ، وبقاء الأشرار ، كما ينقِّي الغربال من حثالة مايغربله ورديئه .

(٢) قال محقق الجامع : هذه الرواية عند ابن ماجه ورواه أيضًا أحمد في المسند . وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(٣) قال محقق الجامع : هذه الرواية رواها أبو داود وأحمد والحاكم وصححها ووافقه الذهبي وهو كما قالا . ا . هـ .

٩٦٦ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٣) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٧) ـ ٣٦ كتاب الفتن ـ ١٠ باب التثبت في الفتنة .. وهو عنده بلفظ « كيفَ بكم وبزمـان ..» والباقي نحوه .

قال : « ذاك إذا مَرِجَتْ أماناتهم وعهودُهُم فصاروا هكذا » وشبك بين أصابعه ، قال : كيف أصنع يارسولَ الله ؟ قال : « تعمل بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع عوام الناس » .

أقول :

في عصرنا كل حزب يأخذ عهداً ومن يتصدر لإمرة الجماعات الإسلامية والمشيخة يأخذون عهوداً ، وكل حكم جديد يأخذ عهداً وتختلط العهود ويصبح العهد وكأنه لا قيمة له ، ففي الأحاديث معجزة وقعت وتقع ، وفيها تعريف للمسلم كيف يتصرّف في مثل هذه الأحوال وعلى علماء المسلمين أن يكثروا دائرة الخواص ، وأن يكون فيما بينهم تواصٍ وتواصل وتشاور فيما ينبغي .

٩٦٧ - * روى البزار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللهُ اللهُ ، وحتى يُمَطَرَ الناسُ مطراً ولا تُنْبتَ الأرض وحتى يكونَ للخمسين امرأة القيمُ الواحدُ وحتى تمرَّ المرأةُ بالنعل فتقول لقد كان لهما مرَّةً رجلٌ » .

أقول :

القسم الأول من الحديث يكون بعد وفاة المسيح عليه الصلاة والسلام ووفاة المؤمنين جميعًا ، ولقد مرت على بعض المسلمين في الحرب العالمية الأولى الصورة التي ذكرتها تتمة الحديث إذ حشر الرجال للحرب ولم يبق إلا النساء . وقوله عليه السلام : (وحتى تمر المرأة بالنعل) : معناه أن المرأة ترى نعال الرجال ولا تجد أصحابها فتتذكر أن هذه النعال كان يلبسها ناس ذهبوا .

٩٦٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ :

---

٩٦٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٠) .

مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١) . وقال : في الصحيح بعضه . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٨ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - ١٥ - باب سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة .

« ليستِ السَّنَةُ بأن لا تُمطَرُوا ، ولكن السَّنَةُ أن تُمْطَرُوا وتُمْطَرُوا ، ولا تُنْبِتَ الأرضُ شيئًا » .

أقول : من المظاهر التي شهدناها أن ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ثم ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ، فلا تستفيد الأرضون من هذا المطر .

٩٦٩ ـ * روى أحمد عن حُذيفةَ قالَ : سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن الساعة ، قال : « عِلْمُها عِندَ ربي ولا يُجلِّيها لوقتها إلا هو ولكنْ أُخْبِرُك بمشاريطها وما يكون بين يديها إن بين يديها فتنةً وهَرْجاً » قالوا يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال : « بلسان الحبشة القتل » قال : « وَيُلقى بين الناسِ التناكُرُ فلا يكادُ أحَد يعرف أحداً » .

أقول : من مظاهر التناكر في عصرنا أنك تجد أصحاب البناية الواحدة لا يعرف بعضهم بعضًا ولا يزور بعضهم بعضًا .

٩٧٠ ـ * روى مسلم عن عبد الرحمن بن عبدِ ربِّ الكعبةِ قال : دَخَلْتُ المسجدَ ، فإذا عبدُ الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما جالسٌ في ظل الكعبةِ ، والناسُ مجتمعون إليه ، فأتيتُهم ، فجلستُ إليه ، فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ ، فنزلنا منزلاً ، فمنَّا من يُصْلِحُ خِبَاءَه ، ومِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ ، ومنا مَنْ هو في جَشَرِه ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاةَ جامعةً ، فاجتمعنا إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : « إنه لم يَكُنْ نَبيٌّ قبلي ، إلا كان حقًّا عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ مايَعْلَمُهُ لهم ، ويُنذرَهم شَرَّ مايعلمه لهم ، وإن أُمَّتَكم هذه جُعِلَ عَافيتُها في أولها ، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمورٌ تُنْكِرونها ، وتجيءُ فتنة فَيُرَقِّقُ بعضُها بعضًا ، وتجيء الفتنةُ ، فيقول المؤمنُ : هذه مُهلِكَتي ، ثم تَنْكَشِفُ ، وتجيء الفتنةُ ، فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحبَّ أن يُزَحزَحَ

= (السَّنة) : الجَدْبُ والقحط .

٩٦٩ ـ أحمد (٥ / ٣٨٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٩٧٠ ـ مسلم (٣ / ١٤٧٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ١٠ ـ باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، الأول فالأول .

عن النار ، ويُدْخَلَ الجنة ، فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم والآخر ، وليأتِ إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتَى إليه ، ومن بايَعَ إماماً فأعطاه صَفْقَةَ يده وثمرةَ قَلْبِهِ ، فليُطِعْهُ ما استطاعَ ، فإن جاء آخَرُ ينازعه فاضربوا عُنُقَ الآخرِ » قال : فدَنَوْتُ منه ، فقلتُ : أَنْشُدُكَ الله ، أنتَ سَمِعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ فأهْوَى إلى أُذُنَيه وقلبه بيديه ، وقال : سَمِعَتْهُ أذنايَ ، ووعاهُ قلبي ، فقلت له : هذا ابن عَمِّك معاوية يأمُرُنا أن نأكلَ أموالَنا بيننا بالباطلِ ونقتلَ أنْفُسَنا ، والله تعالى يقول : ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكونَ تجارةً عن تَرَاضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسَكم إنَّ الله كان بكم رحيماً ﴾ [النساء : ٢٩]فسَكَتَ عني ساعةً ، ثم قال : أَطِعهُ في طاعة الله ، واعصِه في معصية الله .

(يَنْتَضِلُ) الانتضال : الرمي بالسهام .

(جَشَره) الجشر : المال.من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار ، وقال : « جَشَرٌ يرعى في مكانه لا يراجع إلى أهله » يقال : جَشَرنا دَوابَّنا : أخرجناها إلى المرعى نجشرها جشراً ، ولا نروح إلى أهلنا .

(فيزلق) أزلَقتُ بعضها بعضًا : دَفَع بعضها بعضًا ، كأن الثانية تزحم الأُولى ، لسرعة ورودها عليها ، ويزلق بعضها بعضًا : يعجّلها ، والإزلاق : الإعجال . اهـ .

٩٧١ ـ * روى أبو داود عن أبي البَخْتَري رحمه الله قال : أَخبَرني مَنْ سَمِعَ النبيَّ ﷺ ـ وفي رواية : حدثني رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لَنْ يَهْلِكَ الناسُ ، أو يُعذِروا من أنفسهم » .

٩٧٢ ـ * روى ابن ماجه عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ . فَقَالَ « آلْفَقْرَ تخَافونَ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ

---

٩٧١ ـ أبو داود (٤ / ١٢٥) ـ كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي . وإسناده حسن . وفيه : « لن يهلك الناس حتى يَعْذِروا أوْ يُعْذِروا مِنْ أنفسهم » .

٩٧٢ ـ ابن ماجه (١ / ٤) المقدمة ، ١ ـ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

(نتخوفه) : أي نظهر الخوف . (آلفقر) بمد الهمزة على الاستفهام . وهو مفعول مقدم .

=

عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إلا هِيَهْ ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ » .

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء : صَدَقَ ، واللهِ ، رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرَكَنَا ، وَاللهِ ، عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ .

٩٧٣ ـ * روى البزار عن بريدةَ قَالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « مانقضَ قومٌ العهدَ إلا كان القتلُ بينهم ، ولا ظهرتْ فاحِشةٌ في قومٍ إلا سلطَ اللهُ عليهم الموتَ ، ولا منعَ قومٌ قطُّ الزكاةَ إلا حَبَسَ اللهُ عنهم القَطْرَ » .

٩٧٤ ـ * روى أحمد عن سَمُرَةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يوشِكُ أن يملأَ اللهُ عز وجل أَيْدِيَكُم من العجم ثم يكونون أسداً لا يفرون ، فيقتلونَ مُقاتِلَتَكم ويأكلون فَيْئَكُم » .

أقول :

لقد حدث هذا بعد موجات كثيرة من الفتح ، يظهر ذلك في مثل معركة بواتيه التي قتل فيها عبد الرحمن الغافقي رحمه الله ، وفي استعصاء أوروبا على الغزو العثماني ، ثم مقاومة هذا الغزو حتى انحسر ، ثم انتقال الكافرين من دور الدفاع إلى الهجوم فأخذوا إسبانيا ، واستولوا على أقسام من الأرض في موجات ، نشهد في هذا العصر منها الكثير .

٩٧٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال فِتناً كَقِطَعِ الليْلِ المظلمِ ، يُصْبِحُ الرجُلُ مؤمِنًا ويُمْسِي كافِراً ، ويُمْسِي

(إلا هِيَهْ) : هي ، ضمير الدنيا . والهاء في آخره للسكت . أي لا يُميل قلبَ أحدكم إلا الدنيا .

(على مثل البيضاء): المعنى : على قلوب بيضاء نقية عن الميل إلى الباطل ، لا يميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء.

٩٧٣ ـ كشف الأستار (٤ / ١٠٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٩) . وقال : رواه البزار . ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد ، وهو ثقة .

٩٧٤ ـ أحمد (٥ / ١١) .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني . ورجال أحمد رجال الصحيح .

٩٧٥ ـ مسلم (١ / ١١٠) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٥١ ـ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن .

مُؤمِنًا ويُصْبِحُ كافِراً ، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِن الدُّنْيا » .

٩٧٦ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون بين يدي الساعة فِتَنٌ كَقِطَعِ الليل المظلم ، يُصبح الرجلُ مؤمنًا ، ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمنًا ، ويُصبحُ كافراً ، يبيع أقوام دِينَهم بِعرَضٍ من الدنيا » .

أقول :

إنّ ظهور ماورد في هاتين الروايتين في عصرنا بيّن فإنك تجد الإنسان مؤمنًا في الصباح ويمسي على شيوعية أو وجودية أو قومية جاهلية أو حزبية كافرة أو ولاء كافر أو انتساب لأنواع من الكفر وأهله ، ونجده مؤمنًا في المساء ويصبح على شيء مما ذكرناه في الصباح من أجل مصلحة أو منفعة لا تساويان شيئًا .

٩٧٧ ـ * روى البزار عن نَهيك بن صُرَيْم السكوني قال : قالَ رسول الله ﷺ : « لَتقاتِلُنَّ المشركين حتى يُقاتِلَ بقيتُكم الدجال على نهرِ الأردن أنتم شَرْقِيّه وهم غَرْبِيّه ولا أدري أين الأردنُّ يومئذٍ » .

أقول : الظاهر أن الدجال الوارد في هذا الحديث ليس هو الدجال الأكبر ، لأن الدُّجال الأكبر يقتله المسيح في باب لد بفلسطين نفسها وتكون القدس عاصمة الخلافة فلا يتصور وقتذاك أن يكون المسلمون شرقي النهر والدجال غربيه ، فالحديث فيه إشارة إلى الوضع الحالي للمسلمين حيث سيطر اليهود وهم جند الدجاجلة على فلسطين فأصبحوا غرب النهر والمسلمون شرقيّة ، وقد حدثت معركة الكرامة بين المسلمين واليهود عندما تجاوز اليهود النهر واندحروا .

= والترمذي (٤ / ٤٨٧) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٣٠ ـ باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٧٦ ـ الترمذي (٤ / ٤٨٨) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٣٠ ـ باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث غريب.

(كقطع) : قطع الليل : طائفة منه .

٩٧٧ ـ كشف الأستار (٤ / ١٣٨) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٨) . وقال : رواه الطبراني والبزار ورجال البزار ثقات .

٩٧٨ - * روى أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها » فقال قائل : ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال : « بل أنتم يومئذٍ كثير ، ولكنَّكم غُثَاءٌ كغثاء السَّيْلِ ، ولَيَنْزِعنَّ اللهُ مِنْ صدور عدوِّكم المهابة منكم ، ولَيَقْذِفَنَّ في قُلُوبكم الوَهْنَ » قيل : وماالوهْنُ يارسولَ الله ؟ قال : « حُبُّ الدُّنيا ، وكراهية الموت » .

٩٧٩ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف بك ياثوبانُ إذا تداعَتْ عليكم الأممُ كتداعيكم على قَصعةِ الطعامِ تُصيبون منه » . قال ثوبان : بأبي أنت وأمي يارسولَ الله أمِنْ قِلَّةٍ بنا ؟ قال : « لا أنتم يومئذٍ كَثيرٌ ولكن يُلقى في قلوبِكُم الوَهْنُ » قالوا : وماالوهنُ يارسول الله ؟ قال : « حُبُّكم الدنيا وكراهيتُكم القتالَ » .

أقول : في هذا الحديث معجزة كبرى من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، ومن عرف مرحلة وقوع العالم الإسلامي في براثن الاستعمار حتى أصبحت لكثير من الدول الكافرة مستعمراتها ، ولا زالت بعض البلدان الإسلامية مستعمرة ، ومن عرف موقف الدول الكافرة مما أسمي بمسألة الرجل المريض ويريدون بذلك الدولة العثمانية أدرك مصداق ذلك ، وقد ذكر الحديث العلاج ، فالعلاج للخلاص من الغثائية : العلم والذكر والخصائص والتخصص ، ومن أهم الخصائص الزهد في الدنيا وحب الشهادة في سبيل الله .

٩٨٠ - * روى أحمد عن أبي مُوَيْهِبَةَ مولى رسولِ الله ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال : « ياأبا مويهبةَ إني قد أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل البقيعِ فانطلقْ معي » ،

---

٩٧٨ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

وأبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام . وهو حديث صحيح .

(تداعى) : التداعي : التتابع ، أي : يدعو بعضها بعضًا فتجيب .

(الأَكَلَة) : جمع آكل .

(غثاء) : الغُثَاء : مايلقيه السيل .

٩٧٩ - أحمد (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه . وإسناد أحمد جيد .

٩٨٠ - أحمد (٣ / ٤٨٩) .

فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قالَ : « السلامُ عليكم ياأهلَ المقابر لِيَهْنِكُمْ ماأصبحْتم فيه مما أصبحَ الناسُ فيه لو تعلمون مَانجَّاكم الله منه ، أقبلت الفتن كقطعِ الليل المظلِم يَتْبَعُ آخرُها أولَها الآخرة شرٌّ من الأولى » . ثم أقبل علي فقال : « ياأبا مويهبة : إني قد أوتيت خزائنَ الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنةِ » قال : قلت بأبي أنت وأمي فخُذْ مفاتيحَ الدنيا والخلدَ فيها ثم الجنة قال : « لا والله ياأبا مويهبة : لقد اخترت لقاء ربي ثم الجنة » ثم استغفَر لأهل البقيعِ ثم انصرفَ ، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قَبَضَهُ اللهُ عز وجَلّ حين أصبح وفي رواية [1] عنه أيضًا قال : أمرَ رسول الله ﷺ أن يُصليَ على أهل البقيع فصلى عليهم رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلما كانت الثالثة قال : « ياأبا مويهبة أسْرِجْ لي دابتي » قال فركب ومشيت حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته وأمسكتُ الدابة .

٩٨١ ـ * روى مسلم عن حذيفة بن اليَمان رضي الله عنهما ، قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقومَ الساعة ، فما منه شيء إلا وقد سألته إلا أني لم أسأله : مايُخرجَ أهلَ المدينة من المدينة ؟

أقول : لقد جلا أهل المدينة المنورة عنها في الحرب العالمية الأولى .

٩٨٢ ـ * روى الطبراني عن ميمونةَ قالتْ قالَ نبيُّ الله ﷺ لنا ذات يوم : « ماأنتم إذا مَرِجَ الدينُ وسُفِكَ الدماءُ وظهرتِ الزينةُ وشَرُفَ البنيانُ واخْتَلَفَ الإخوانُ وحُرِقَ البيتُ العتيقُ » وفي رواية : « واختلف الأحبار » بدلَ الإخوانِ .

= (١) أحمد الموضع نفسه .
مجمع الزوائد : (٩ / ٢٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة ، والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة .

٩٨١ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ ٦ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

٩٨٢ ـ المعجم الكبير (٢٤ / ١٠) .
مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

أقول :

إن بعضًا مما ورد في الحديث نراه في عصرنا عيانًا . وقد رمي البيت العتيق يوم حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير .

٩٨٣ - * روى أبو داود عن عبد اللهِ بن عمَرَ رضي الله عنهما قال : كنا قُعوداً عنـدَ رسول الله ﷺ ، فذكرَ الفِتنَ ، فأكثر في ذِكرها ، حتى ذكر فتنةَ الأَحلاس ، فقالَ قائلٌ : يـارَسولَ الله ، ومافِتنـةُ الأَحْلاسِ ؟ قـال : « هي هَرَبٌ وَحَرَبٌ ، ثم فِتْنَـةُ السَّراء ، دَخَنُهـا من تحت قَـدَمَيْ رَجُـلٍ من أهـل بيتي ، يَـزْعُمُ أنـه مني ، وليس مني ، وإنمـا أوليـائي المتقون ، ثم يَصْطَلِحُ النـاسُ على رجـلٍ كَـوَرِكٍ على ضِلَـعٍ ، ثم فِتنـةُ الـدُّهَيْمَـاء ، لا تَدَعُ أحداً مِنْ هذه الأمةِ إلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً ، فإذا قيل : انْقَضَتْ تمادتْ ، يُصْبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويمسي كافراً ، حتى يَصيرَ الناسُ إلى فُسطاطين ، فُسطاطِ إيمانٍ لانِفاقَ فيه وفُسطاط نفاقٍ لا إيمان فيـه ، فـإذا كان ذَاكُمْ فـانتظروا الـدَّجَّـال من يومِه ، أو من غَدِهِ » .

أقول : (الدُّهَيْماءُ) : تصغير الدّهْماء ، وقد أصبحت تطلق كلمة الـدهمـاء على العـامـة ، وبين كلمة العامة والدهماء صلة واضحة ، فلم تزل كلمة سواد الناس تطلق على العامة .

الظاهر أن فتنة الدهماء هو مانحن فيه ، فإنها هي الفتنة التي لم يسلم أحد من ضربـة من

---

٩٨٣ - أبو داود (٤ / ٩٤) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(الأحلاس) : قال ابن الأثير في النهاية : الأحلاس : جمع حِلْس ، وهو الكساء الذي يَلِي ظهر البعير تحت القَتَب ، شبهها به للزومها ودوامها . ا . هـ .

(وحَرَب) : الحَرَب بفتح الراء : ذهاب المال والأهل ، يقال : حَرِبَ الرجل ، فهو حريب : إذا سُلِبَ أهله وماله .

(دَخَنها) : إثارتُها وهَيْجُها ، شبهها بالـدخـان الـذي يرتفع ، أي أن أصل ظهورهـا من هـذا الرجل . وقولـه « من تحت قدمي رجل » يعني : أنه يكون سبب إثارتها .

(كورك على ضِلع) : مَثَلٌ ، أي أنه لا يستقل بالملك ، ولا يلائمه ، كما أن الورك لا تلائم الضلع .

(فتنة الدهيماء) : أراد بالدهيماء : السوداء المظلمة .

(فسطاطين) : الفُسطاط : الخيمة الكبيرة ، وتسمى مدينة مصر : الفسطاط ، والمراد بـه في هـذا الحـديث : الفرقـة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى ، تشبيهاً بـانفراد الخيمـة عن الأخرى ، أو تشبيهـاً بـانفراد المـدينـة عن الأخرى ، حملاً على تسمية مصر بالفسطاط ، ويروى بضم الفاء وكسرها .

ضرباتها بشكل من الأشكال ، إما فكريًا وإما روحيًا وإما اقتصاديًا وإما سياسيًا ، وإما أخلاقيًا وإما اضطهادًا إلى آخر مايحسه كل فرد من أفراد هذه الأمة في هذا العصر أنه قد ضرب ضربة من هذه الفتنة . ولكن بعض الناس تكون ضربتهم مميتة وبعضهم تكون ضربتهم طويلة ، وبعضهم يصحو بسرعة . وإني لأعرف خيارًا من الناس قد فتنوا بشيء ما ، ثم فاؤوا .

ولم أذكر شيئًا عن فتنة السراء مع غلبة الظن أنها وقعت ، لأن تعيين القائم بها مختلف فيه . فقد كان شيخنا الحامد رحمه الله يعينه ، وكنت أرى رأيًا آخر ، وكلا الرأيين أحتفظ به لأسباب شتى .

٩٨٤ ـ * روى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ: « ماتركتُ بعدي فِتنَةً هي أَضرُّ على الرجال من النساء » .

أقول :

لم تظهر فتنة النساء كما ظهرت في عصرنا ، إذ ظهرت النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللواتي ذكرهن الحديث الصحيح الذي هو من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٨٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنفَانِ من أهل النارِ ، لم أرهما : قومٌ معهم سِياط كأذناب البقر ، يَضْرِبُون بها الناس ، ونساءٌ كاسيات عاريـاتٌ ، مُميلات مائلات ، رؤوسهن كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخُلْنَ الجنة ، ولا يَجِدْنَ رِيحها ، وإن رِيحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

---

٩٨٤ ـ البخاري (٩ / ١٣٧) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١٧ ـ باب ما يتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم ﴾ .
مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ ـ باب بيان أكثر أهل الجنة ..... إلخ.
والترمذي (٥ / ١٠٣) ٤٤ ـ كتاب الأدب ، ٣١ ـ باب ما جاء في تحذير فتنة النساء . وقال : حديث حسن صحيح.
٩٨٥ ـ مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٣٤ ـ باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات .

قال ابن الأثير : **(كاسيات عاريات)** : المعنى : أنهن يكشفن بعض أجسامهن ، ويسدلن الخُمُر من ورائهن ، فيكشفن صدورهن ، فهن كاسيات عاريات ، إذ بعض ذلك منكشف ، وقيل : هو أن يَلْبسْنَ ثيابًا رِقاقًا تصف ماتحتها ، فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مميلات) : مائلات ، أي : زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج ، ومميلات : يعلمن غيرهن : الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أي : متبخترات في مشيهن ، مميلات ، أي : يُمِلْنَ أعطافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشّر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

(رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ) : أراد تشبيه رؤوسهن بأسنمة البخت بما يُكَبِّرْنَ رؤوسهن به من المقانع والخُمُر والعمائم، أو بصِلَة الشعور . ا . هـ .

أقول :

ماذكرناه من شرح للحديث هو بعض ماشرحه به ابن الأثير رحمه الله ، ولكن الشرح الحقيقي للحديث هو مانراه في عصرنا هذا ، سواء في ذلك وجود رجال مهمتهم تعذيب خلق الله بالباطل ووجود نساء يتصفن بما ذكره رسول الله ﷺ في الحديث حتى إن دقة الوصف في الحديث لما نشاهده عند كثير من نساء عصرنا لهو وحده معجزة من أكبر المعجزات فلقد تفنَّنَ كثير من النساء بأنواع من اللباس يظهر معه عريُ الجميل من الجسد ، كما تفنَّنَّ في أنواع تسريحات الشعر وتقليعات الرؤوس ، حتى إن بعض التقليعات سميت في عصرنا بتسريحة السد العالي إشارة إلى نوع من تسريحات الشعور يرتفع بها شعر المرأة فوق رأسها كسنام الجمل ، وكل ذلك تفعله الكثيرات وتخرج به أو تظهر به أمام أجهزة الإعلام .

أما المَشَاهِد الأكثر ابتذالاً من ظهور المرأة « بالمايوه » الذي يكشف ماسوى السوأتين في كثير من الأحوال وعرض ذلك في وسائل الإعلام فحدث عنه ولا حرج ، فالواقع : الأمر أكبر من أن يصور بالكلمة .

٩٨٦ ـ * روى مسلم عن أبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وإنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاء » .

٩٨٧ ـ * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن بُسْرٍ قال : لقد سمعت حديثًا منذ زمان إذا كنت في قومٍ عشرين رجلا أو أقلَّ أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم ترَ فيهم رجلاً يُهابُ في اللهِ عز وجل فاعلم أن الأمر قدْ رَقَّ .

٩٨٨ ـ * روى أحمد عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قالَ : « لَتُنْتَقَضَنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروة فكلما انْتُقِضَتْ عُروةٌ تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها وأولُهن نقضًا الحُكْمُ وآخِرُهن الصلاةُ » .

٩٨٩ ـ * روى أحمد عن سَلَمَةَ بن نُفَيْلٍ السَّكوني قال : كنا جلوسًا عندَ رسول الله ﷺ إذ قالَ قائِلٌ : يا رسول الله هل أُتيتَ بطعامٍ منَ السماء ؟ قال : « نعم ، أُنْزِلَ عليَّ طعام في مِسْخَنَة » . قال : فهل كان فيها فضلٌ عنك ؟ قال : « نعم » . قال : فما فُعل به قال : « رُفِعَ وهو يُوحى إلي أني مَكْفوتٌ غيرُ لابثٍ فيكم ولستم لابثين بعدي إلا

---

٩٨٦ ـ مسلم (٤ / ٢٠٩٨) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ ٢٦ باب أكثر أهل الجنة الفقراء ... إلخ .
وابن ماجه (٢ / ١٣٢٥) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ١٩ ـ باب فتنة النساء .
(مستخلفكم فيها) : أي : جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعلمون بطاعته ، أم بمعصيته وشهواتكم . (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) : أي احذروا الافتتان بها .

٩٨٧ ـ أحمد (٤ / ١٨٨) .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد جيد .

٩٨٨ ـ أحمد (٥ / ٢٥١) . ورجاله رجال الصحيح .
مجمع الزوائد (٧ / ٢٨١) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح ، إلا أن في الأصل عن حبيب بن سليمان عن أبي أمامة وصوابه سليمان بن حبيب المحاربي فإنه روى عن أبي أمامة وروى عنه عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله .

٩٨٩ ـ أحمد (٤ / ١٠٤) .
والمستدرك (٤ / ٤٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : لم يخرجا لأرطأة وهو ثبت والخبر من غرائب الصحاح .
مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٦) وقال : رواه أحمد والطبراني والبزّار وأبو يعلى ورجاله ثقات .
(مِسْخَنَة) : قِدر كالتور ، يُسخَّن فيها الطعام ـ والتور : إناء يشرب فيه .

قليلاً حتى تقولوا متى وستأتوني أفنادًا يفني بعضكم بعضًا وبين يدي الساعة مُوتَانٌ شَديدٌ وبعده سنوات الزلازل » .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (بين يدي الساعة مُوتان شديد وبعده سنوات الزلازل) يحتمل أن يكون فيه إشارة إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية ومـاأعقبهما من كثرة الزلازل حتّى إنّك كثيراً ماتسمع عن وقوع زلزلة في مكان ما ، وقد يكون فيه إشارة إلى حرب عالمية أخرى يكثر فيها الفناء والبلاء والاحتمال الأكبر إذا وقعت حرب عالمية ثالثة ألا يبقى في الأرض أحد إلا قليلاً .

٩٩٠ - * روى أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَقومُ السّاعَةُ حَتى يَتَبَاهَى الناسُ في المساجِدِ » .

٩٩١ - * روى أبو داود عن يزيد بن عَميرةَ ، وكان من أصحاب مُعاذِ بن جبل رضِيَ الله عنه أنّه قَال : كان لا يجلس مجلساً للذِّكْرِ ، إلا قال حِينَ يَجْلِسُ : اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ ، هلَك المرتابُون ، فَقال معاذُ بنُ جَبلٍ يَوْماً : إنّ وراءكم فِتَنًا يَكثُرُ فيها المالُ ، ويُفتَح فيها القرآنُ حَتّى يأخذَه المؤمنُ والمنافقُ ، والرّجُلُ والمرْأةُ ، والعَبْدُ والحُرُّ ، والصَّغيرُ والكَبيرُ ، فيُوشِكُ قائلٌ أن يَقُول : ماللنّاسِ لا يتّبِعُوني وَقَدْ قَرأتُ القُرْآنَ ؟ وَمَاهُمْ بِمُتّبِعيّ حَتّى أبْتَدِعَ لَهُم غيرَه ، فإيّاكُم وَمَا ابْتُدِع ، فإنّما ابتُدِع ضَلالَةٌ ، وأحذِّرُكم زَيغةَ الحكيم ، فإنّ الشّيْطَان قدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضّلاَلَةِ على لِسَانِ الحكيمِ ، وقَدْ يَقُولُ المُنَافِقُ كلمةَ الحقِّ ، قَالَ : قُلْتُ لمُعَاذٍ : وَمَاتَدْرِي رَحمكَ الله أنّ الحكيمَ قَدْ يَقُولُ كلمةَ الضّلاَلَةِ ، وأنّ المنافِقَ يقولَ كَلمةَ

= (مُوتان) : بضم الميم ، مُوتَانٌ على وزن بُطلان ، : وهو الموت الكثير الوقوع .

٩٩٠ - أحمد (٣ / ١٣٤) .

وابن ماجه (١ / ٢٤٤) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ٢ - باب تشييد المساجد . والحديث صحيح .

٩٩١ - أبو داود (٤ / ٢٠٢) كتاب السنة ، باب لزوم السنة .

(القِسط) : العدل .

(زيغة الحكيم) : الزَّيغ ، وأراد به : الميل عن الحق ، والحكيم : العالم العارف ، أراد به : الزلل والخطأ الذي يعرض للعالم العارف ، أو يتعمّده لقلة دينه .

الحَقّ ؟ قَالَ : بَلَى ، اجتنِبْ مِن كَلامِ الحكيمِ المشْتَهِرات التي يقَالُ : مَاهذِهِ ؟ وَلاَ يُثْنِيَنَّك ذلكَ عَنْهُ ، فَإِنَّه لَعَلَّه يُراجِعُ ، وتَلَقَّ الحق إذا سَمِعْتَهُ ، فإِنَّ عَلَى الحق نُورًا .

وفي أُخْرَى قَالَ : بَلَى ، مَاتَشابَهَ عَلَيكَ من قَوْلِ الحَكِيمِ ، حَتَّى تقُولَ : مَاأَرَادَ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ ؟

٩٩٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينا رسولُ الله ﷺ في مجلس يحدِّثُ القومَ ، إذ جاءه أعرابي ، فقال ؛ متى الساعةُ ؟ فمضى رسولُ الله ﷺ في حديثه ، فقال بعضُ القوم : سَمِعَ ماقال ، فكَرِهَ ماقالَ ، وقال بعضُهم : بل لم يَسمعْ ، حتى إذا قضى حديثَه ، قال : « أين السائلُ عن الساعة ؟ » قال : هاأنا ذا يارسولَ الله ، قال : « إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ » قال : وكيف إضاعتُها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهله فانتظر الساعة » .

٩٩٣ - * روى البخاري عن أبي مالك - أو أبي عامر - الأشعريين رضي الله عنهما قال عبدُ الرحمنِ بن غَنْم الأشعري : حَدَّثني أبو عامر - أو أبو مالك الأشعري - والله ماكَذَبني ، سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ يستَحِلُّون الحِرَّ وَالحريرَ والخمر والمعازف ، ولَيَنزلَنَّ أقوَامٌ إلى جنب عَلَم تروح عليهم سارحةٌ لهم ، فيأتيهم رجل لحاجة ، فيقولون : ارْجِعْ إلينا غداً ، فيُبيِّتُهم اللهُ ، ويَضَع العَلَمَ ، ويَمْسَخُ آخَرينَ قِرَدَةً وخنازيرَ إلى يوم القيامة » .

وفي رواية أبي داود [1] : أنه سمعَ رسول الله ﷺ يقول : « ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ يستحلون الحِرَّ والحرير » .. وذكر كلامًا ، قال : « يَمسَخُ منهم آخرين قردةَ

---

٩٩٢ - البخاري (١ / ١٤٢) ٣ - كتاب العلم ، ٢ - باب من سئل علمًا وهو مشتغل .... إلخ .

(وُسِّد الأمر إلى غير أهله) : إذا أسند إليه ، هذا كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه وهو غير أهل لذلك .

٩٩٣ - البخاري (١٠ / ٥١) ٧٤ - كتاب اللباس ، ٦ - باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه .

(الحِرّ) : الفرج .

(العَلَم) : الجبل ومايُهتدى به في البرية ، من بناءٍ أو جُدار أو غير ذلك .

(١) أبو داود (٤ / ٤٦) كتاب اللباس ، باب ماجاء في الخز . وهو حديث صحيح ، ومن ضعفه كابن حزم في المحلى وغيره فما أصاب .

وخنازيرَ إلى يوم القيامة » .

أقول :

لقد ظهر استحلال الفروج والحرير والخمر والمعازف في هذه الأمة بأكثر من صورة ، فالقائلون بسقوط التكليف يستحلون ذلك ، وبعض طوائف الباطنية يستحلون ذلك ، وكثير من العامة لا يبالون في ارتكاب هذه المحظورات ، وبعضهم يتكلم كلام المستحل .

أما ماورد من تهديد لأمثال هؤلاء فلا نعرف أنه وقع حتى الآن ، وإن كان المسخ المعنوي حاصلاً .

٩٩٤ - * روى الطبراني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمانٌ يَتَمَنَّون فيه الدجال » . قلت يارسولَ الله بأبي وأمي ممَّ ذاك قال : « مما يَلْقون من العَناء والعَناء » .

أقول : لقد مرت على الأمة الإسلامية أحداث ولا زالت تمر تجعل المسلم يتمنى قيام الساعة ، ولا تقوم الساعة قبل أن يظهر الدجال لذلك يتمنّون ظهور الدجال ومايكون بين يديه من ظهور المهدي عليه السلام ومايعقب ظهوره من نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وهانحن اليوم نجد كثيراً من المسلمين يتطلعون إلى ظهور المهدي عليه السلام كمخرج للإنقاذ ، ولكن الظاهر من النصوص أن بيننا وبين ظهوره أمداً كما سنرى والله أعلم .

٩٩٥ - * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وَقَعَتِ المَلاحِمُ بَعَثَ اللهُ بَعْثًا مِنَ الموالي هُمْ أَكْرَمُ العَرَبِ فَرَسًا وَأَجْوَدُهُ سِلاحًا يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ » .

---

٩٩٤ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات . وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

٩٩٥ - ابن ماجه (٢ / ١٣٦٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب الملاحم .

وفي الزوائد : إسناده حسن ، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه .

والمستدرك (٤ / ٥٤٨) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، وقال الذهبي : على شرط مسلم وضعفه بعضهم وفي رواية الحاكم : « بعثًا من الموالي من دمشق » .

أقول :

الظاهر أن المراد بالملاحم هنا ماحدث من غزو الصليبيين والتتار ، فلقد قام أيام هذه الملاحم وبعدها بنصرة الإسلام شعوب غير عربية كالأكراد والأتراك والبربر فيوسف بن تاشفين بربري وصلاح الدين كردي ونور الدين الشهيد تركي ، ثم ظهرت دولة آل عثمان فقامت بدور كبير ، وهؤلاء وأمثالهم قاموا بحق الله عليهم وبعضهم كان مقره دمشق وبعضهم كان مقره في غيرها ، ولا ننسى أن قطزاً صاحب معركة عين جالوت وبيبرس الذي كان له دور كبير في الجهاد من الموالي، ولا ننسى أن دمشق كانت حاضرة لنور الدين وصلاح الدين وبيبرس.

٩٩٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَبْلُغُ المساكنُ إهَابَ أو يَهَابَ » .

قال زهير : قلت لسهيل وكم ذلك من المدينة قال : كذا وكذا مثلاً .

٩٩٧ - * روى مسلم عن موسى بن علي عن أبيه ، قال : قال المُسْتَوْرِدِ القُرَشِيُّ عِنْدَ عمرو ابن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثَرُ الناس » فقال له عمرو : أبْصِرْ ما تقولُ قال : أقُولُ مَاسمعتُ من رسول الله ﷺ : قال لئِنْ قلتَ ذَاك فإن فِيهِم لخصَالاً أرْبَعاً : إنَّهم لأحكَمُ الناس عند فتنةٍ ، وأسرعُهم إفَاقَةً بعد مصيبة ؛ وأوشكهم كرةً بعد فَرةٍ ، وخيرهُم لِمِسْكينٍ ويتيم وضعيفٍ وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظُلْمِ الملوك .

أقول : تطلق كلمة الروم ويراد بها النصارى ، والمعروف أن روسيا القيصرية وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية كلها واستراليا كلها نصارى ، ولا زالت خريطة العالم فيها أكثرية من الروم إذا اعتبرنا سكان أوروبا والقسم الآسيوي من الاتحاد السوفياتي وأمريكا الشمالية والجنوبية يشكلون بالنسبة للعالم حجمًا لا بأس به .

---

٩٩٦ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٥ - باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة .

(إهاب) : اسم مكان قريب من المدينة .

أقول : ومن رأى النهضة العمرانية الموجودة في زمننا في المدينة المنورة ، وامتداد العمران المتصاعد فيها رأى مصداق الحديث .

٩٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٢) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٠ - باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس .

الفقرة الخامسة عشرة

في :
أشراط صغرى لم تقع بعد

٩٩٨ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تقومُ الساعةُ حتى تُكَلِّمَ السباعُ الإنْسَ ، وحتى تُكَلِّمَ الرجلَ عَذَبَةُ سَوطه وشِراكُ نَعله ، وتُخْبِرَهُ فَخِذُه بما أحدثَ أهلُهُ بَعْدَهُ » .

أقول : شهد عصرنا إمكانية تسجيل ما يجري من أحاديث بوسائل كهربائية دقيقة قد يبلغ حجمها حجم عَذَبَةِ السوطِ أو أقل ، وأصبح بالإمكان التنصت على ما يجري داخل الأبواب وفي الاجتماعات بوسائل دقيقة جدًّا ومع ذلك لا نستطيع حمل هذا الحديث على هذا الذي يجري لأن الظاهر أن ما أخبر عنه الحديث سيكون بشكل خارق للعادة والله أعلم .

٩٩٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقومَ رجلٌ من قَحطانَ يَسوقُ الناسَ بعصاه » .

أقول : يجمع النّسّاب العرب على أن الأكراد أصولهن عربية قحطانيّة ، وممن حكم من الأكراد ودان له الناس السلطان صلاح الدين الأيوبي العالم المجاهد العابد، فهل هو المراد بالحديث أو غيره ؟ الله أعلم .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الحديث لم يقع وإنما وقوعه قبيل قيام الساعة بعد وفاة المسيح عليه السلام .

---

٩٩٨ ـ الترمذي (٤ / ٤٧٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ١٩ ـ باب ماجاء في كلام السباع . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(عذبة سوطه) : السير المعلق في طرفه .

٩٩٩ ـ البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٢ ـ باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ..

مسلم (٤ / ٢٢٣٢) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... إلخ .

(يسوق الناس بعصاه) : لم يرد العصا نفسها ، وإنما ضربها مثلاً لطاعتهم ، واستيلائه عليهم .

١٠٠٠ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تمرُّ الدنيا حتى يَمُرَّ الرجلُ بالقبر فيتمرَّغ عليه ، ويقول : ياليتني مكانَ صاحبِ هذا القبرِ ، وليس به الدِّيْنُ ، مابه إلا البلاءُ » .

وفي رواية(١) : قال : « لا تقوم الساعة حتى يَمُرّ الرجل بقبر الرجل ، فيقول: ياليتني مكانه » .

١٠٠١ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهبُ الليالي والأيامُ حتى يَمْلِكَ رجلٌ من الموالي ، يقالُ له : الجَهْجاه » وفي نسخة : الجَهْجَلُ .

١٠٠٢ ـ * روى مسلم عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . يَارَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاق فَإِذَا جَاؤُهَا نَزَلُوا . فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا : لا إِلَهَ إلا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ . فَيَسْقُط أَحَدُ جَانِبَيْهَا » .

قَالَ ثَوْرٌ : لاَ أَعْلَمُهُ إلا قَالَ : « الَّذِي فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيُفَرَّجُ لَهُمْ . فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا . فَبَيْنَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ . فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْء ، وَيَرْجِعُونَ » .

أقول : في هذا الحديث كلام عن الفتح الثاني للقسطنطينية ، وأن هذا الفتح سيكون

١٠٠٠ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣١) : الموضع السابق .

(١) البخاري (١٣ / ٧٤) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ١٢ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور .

ومسلم (٤ / ٢٢٣١) : الموضع السابق .

١٠٠١ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣٣) : الموضع السابق .

١٠٠٢ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣٨) : الموضع السابق .

بخارق للعادة ، وأن القائمين ليسوا عربًا في أصولهم بل أصولهم من بني إسحاق ، والمعروف أن إسحاق له أكثر من ولد ، فله غير يعقوب جد بني إسرائيل . وحول قوله من بني إسحاق قال القاضي :

كذا هو في جميع أصول مسلم : « من بني إسحاق » . قال : قال بعضهم : المعروف المحفوظ : « من بني إسماعيل » ، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب ، وهذه المدينة هي القسطنطينية . ا . هـ .

١٠٠٣ - * روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنكم ستفتحون مدينة هرقل أو قيصر وتقتسمون أموالَها بالتِّرَسَةِ ويُسْمِعُهم الصريخُ أن الدجالَ قد خلفهم في أهاليهم فَيُلْقون مامعهم ويَخْرُجُون فيقاتلون » .

أقول :

لقد مّر معنا إخبار رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية قبل روما ، وقد حدث هذا الفتح ، وههنا تشير النصوص إلى فتح آخر للقسطنطينية يكون قبل الدجال مباشرة ، وهذا يفيد تغيُّر ماسيطرأ على الوضع الدولي قبيل ظهور المسيح الدجال ، تكون القسطنطينية فيه دار كفر ، وكون القسطنطينية اليوم لا يحكمها الروم فذلك من جملة العلامات على أن بيننا وبين المهدي زمنًا ، لأن المهدي يجتمع والمسيح ابن مريم عليه السلام .

١٠٠٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَنزِلَ الرومُ بالأعماق - أو بدابِقَ - فيخرج إليهم جيشٌ من المدينةِ من خيارِ أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافُّوا ، قالت الروم : خَلُّوا بيننا وبين الذين سَبَوا مِنَّا نقاتِلْهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، كيف نُخَلّي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ؟ فينهزمُ ثُلُثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً ، ويُقتَل ثُلُثُهم

١٠٠٣ - مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

(التِّرَسَةُ) : جمع تُرْس .

١٠٠٤ - مسلم (٤ / ٢٢٢١) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

أفضـــلُ الشهـــداء عنـــد الله ، ويَفتَتِـــحُ الثلثُ ، لا يفتَنـــون أبـــداً ، فَيفتَتحـــونَ قسطنطينيةَ ، فبينما هم يَقْتَسِمون الغنائم ، قـد علَّقُوا سُيوفَهُمْ بـالزيتون ، إذ صـاحَ فيهم الشيطـانُ : إنَّ المسيحَ الـدَّجَّـالَ قـد خَلَفكم في أهـاليكم ، فيخرجون ، وذلـك باطل ، فإذا جاءوا الشامَ خرج ، فبينما هم يُعِـدُّون للقتـال ، يُسَوُّون صفوفهم ، إذ أقيمتِ الصلاةُ ، فينزل عيسى ابنُ مريم ، فأمَّهم ، فإذا رآه عدو الله ذابَ كما يـذوبُ المِلْحُ في المـاء فلـو تركَـهُ لانْـذَابَ حتى يَهْلِـكَ ، ولكن يَقتُلُـهُ اللهُ بيـده - يعني المسيح - فيُريهم دَمَهَ في حربته » .

قوله : (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق) قـال الشيخ عبـد الفتـاح أبو غدة :

(الشك من الراوي . قال العلامة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : « الأعماقُ جـاء بلفـظ الجمـع ، والمرادُ بـه العَمْـقُ ، وهي كـورة - أي نـاحيـة - قُربَ دابـق بين حلب وأنطاكية » . ثم قال : « دابق : قريةٌ قُرْبَ حلب من أعمال عَزَاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ») . ا . هـ (التصـريح بما تواتر في نزول المسيح) .

(خَلَفَكم) خلفت الرجـلَ في أهلـه : إذا قمت فيهم مقـامـه ، وخلفهم العـدو : إذا طرقهم وهم غائبون عنهم .

قوله : (فإذا جاءوا الشام خرج) : قال الشيخ عبد الفتاح أبو غـدة : (أي إذا جـاءوا من قسطنطينيـة إلى بـلاد الشـام ودخلـوا القـدس - كما في روايـة - خرج حينئـذ المسيحُ الدجّال . ا.هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

قولـه عليـه السلام (قـد علقوا سيوفهم بـالزيتون) : يحتمل أن يكون المراد بـالسيـوف : الأسلحة ، كما سيذكر نصّاً في روايـة ستـأتي بعـد قليل ، ومن المعروف أن البنـدقيـة الحـاليـة وهي أداة المقـاتل الرئيسيـة لا تنفـك عن الحربـة التي هي سيف مصغر ، ويحتمل أن يكـون المراد بالسيوف : السيوف المعروفة ، وهـذا يقتضي أن طوارئ ستطرأ على الأوضـاع الحـاليـة

للحضارة يرجع الناس فيها إلى أدوات القتال المعروفة قديمًا ، ومن المعلوم أن كثيرين من العسكريين يتوقعون إذا قامت حرب عالمية ثالثة أن تفنى هذه الحضارة وأن توجد معطيات جديدة ، وفي الحديث إجمال ستفصله نصوص أخرى ، فالمسيح عليه السلام ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق ثم يذهب إلى القدس ، وتكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية وقتذاك ، وعلى أرض فلسطين يقتل المسيح عليه السلامَ المسيح الدجال ، ويقتل المسلمون اليهود الذين يأتون مع المسيح الدجال ، وعلى هذا يحمل الحديث : « ... إن الحجر والشجر يقولان : ياعبد الله ياعبد الرحمن هذا يهودي فاقتله » . وهذا كله يدل على أن دولة اليهود القائمة الآن وجودها عارض .

١٠٠٥ - * روى مسلم عن يسير بن جابر - أو أسير - رضي الله عنه ، قال : هاجَتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هِجِّيرى إلا : ياعبدَ الله بنَ مسعودٍ ، جاءت الساعة ، قال : فقعد - وكان متكئاً - فقال : إنَّ الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقْسَم ميراثٌ ، ولا يُفْرَحُ بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا - ونَحَّاها نحو الشام - فقالَ : عدوٌ يجمعون لأهل الإسلام ، ويجمع لهم أهلُ الإسلام ، قلتُ : الرومَ تعني ؟ قال : نعم ، ويكون عند ذلكم القتال رِدَّةٌ شديدةٌ ، فيتشرَّطُ المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجعُ إلا غالبةً ، فَيقتتلون حتى يَحْجُزَ بينهم الليلُ ، فَيفِيءُ هؤلاء وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتَفْنَى الشُّرْطة ، ثم يتشرَّط المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجع إلا غالبةً ، فيقتتلون حتى يَحْجُز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء ، وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتفنى الشُّرْطة ، ثم يتشرطُ المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجع إلا غالبةً ، فيقتتلون حتى يُمْسُوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتفنى الشُّرْطةُ ، فإذا كان اليومُ الرابعُ نَهَدَ إليهم بقيةُ أهلِ الإسلام ، فيجعل الله الدائرة عليهم ، فيقتتلون مقتلةً - إما قال : لا يُرى مثلُها ، وإما قال : لم يُرَ مثلُها - حتى إن الطائر لَيَمُرُّ بجنباتهم ، فما يُخَلِّفُهم

١٠٠٥ - مسلم (٤ / ٢٢٢٣) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١١ - باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال .

(هِجِّيرى) : هجيراه ، أي : عادته وديدنه .

(شرطة) : الشُّرْطة : أول طائفة من الجيش يشهد الوقعة ، والتشرُّط : تَفَعُّلٌ منه .

(نهد) : الجيش لقتال العدو : إذا نهضوا إليه .

حتى يَخِرَّ مَيتًا ، فيتعادُّ بنو الأم كانوا مائة فلا يجدونه بقِي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأيِّ غنيمة يُفرَح ، أو أي ميراث يُقْسَمُ ؟ فبينما هم كذلك إذ سَمِعُوا ببأسٍ هوَ أكبرُ من ذلك ، فجاءهم الصَّريخُ : إنَّ الدجالَ قد خَلَفَهم في ذَراريِّهم ، فَيَرْفُضُون ما بأيديهم ، ويُقبِلون ، فيبعَثُون عَشَرة فوارسَ طَليعةً ، قالَ رسولِ الله ﷺ : « إني لأعرفُ أسماءَهم ، وأسماءَ آبائهم ، وألوانَ خيولِهم ، هم خير فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ » أو قال : « من خير فوارسَ » .

أقول :

في هذا الحديث تفصيل للملحمة التي تكون بين يدي الساعة ، وكلمة الروم تطلق على النصارى في عصر النبوة ، فالملحمة الكبرى ستكون بين النصارى والمسلمين ويكون النصر للمسلمين ثم يتابعون النصر فيفتحون القسطنطينية التي تكون وقتذاك بيد النصارى مرة ثانية ـ والذي يبدو أن ذلك سيكون بعد قيام دولة الإسلام العالمية التي تحدثنا عنها من قبل ـ ثم يظهر الدجال وينزل عيسى بن مريم فيقتله في فلسطين عند باب لد الشرقي .

١٠٠٦ ـ * روى البخاري عن عَوْف بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزوةِ تَبُوكٍ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ أَدَمٍ ، فَقَالَ : « أُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : مَوْتي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ ، ثُمَّ مُوتانٌ يَأْخُذُ فِيكُم ، كَقُعَاصِ الغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ ، حَتَّى يُعطَى الرجلُ مائةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثم فتنةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلا دَخَلَتْه ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُم وبَيْنَ بَنِي الأَصْفَر ، فَيَغْدِرون ، فيَأْتُونَكُم تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَر أَلْفًا » .

= (فيتعادُّ) : التعادُّ : تفاعل من العدّ ، أي يعدُّ بعضهم بعضًا .

(البأس) : الخوف والشدة .

١٠٠٦ ـ البخاري (٦ / ٢٧٧) ٥٨ ـ كتاب الجزية والموادعة ، ١٥ ـ باب مايحذر من الغدر .

(مُوتَان) : المُوتَان بضم الميم : وهو الموت الكثير الوقوع .

(القُعَاصُ) : داء يأخذ الغنم ، لا يُلبثها أن تموت ، وقد حدث هذا في الطاعون الذي وقع في بلاد الشام زمن عمر رضي الله عنه .

(غاية) : الغاية : بالغين المعجمة : الراية ، ومنه غاية الخمّار ، وهي خرقة يرفعها على بابه ، ومن رواه بالباء : =

أقول :

بعض ماورد في هذا النص وقع ، وبعضه لم يقع ، ومنه الفتنة التي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، والتي سيكون بعدها قيام دار العدل يلجأ إليها المسلمون ، وهذه الدار تكون في هدنة مع النصارى ، ويبدو كما سنرى في نص آخر أنه يعقب ذلك تحالف مع النصارى على قتال عدو ولا يبعد أن تكون هذا العدو هو الشيوعيين ، فينتصر المسلمون والنصارى عليهم ثم يغدر النصارى ويكون النصر للمسلمين في المآل فيتابعون الحرب حتى تفتح لهم القسطنطينية .

١٠٠٧ - * روى مسلم عن جابر بن سَمُرَةَ . عن نافع بن عُتبة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ ثُمَّ فَارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ ، فَيفتَحُهُ اللهُ » قَالَ فَقَالَ نَافِعٌ : يَاجَابِرُ لا تَرَى الدَّجَّال يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ .

أقول :

هذا الحديث يوضح مامرّ معنا من قبل أن ردة ستقوم يقضي عليها أهل الإسلام وعلى رأسهم خليفة المسلمين في بيت المقدس ، والظاهر أنه المهدي عليه السلام فإن مركز الخلافة أيام هذه الأحداث هو القدس كما سيمرّ معنا .

١٠٠٨ - * روى أحمد عن ذي مِخْبَرٍ (رفعه) : « ستصالحون الرومَ صُلحًا آمِنًا فتغزون أنتم وهم عدوًا منْ ورائِهِمْ ، فتَسْلَمُونَ وتغْنَمُونَ ، ثمّ تنزلون بِمَرْجٍ ذِي تُلول فيقومُ رجُلٌ منَ الرُّومِ فيرفعُ الصَّليبَ ، ويقولُ : غلبَ الصَّليبُ ! فيقومُ إليهِ رجُلٌ منَ المُسْلِمِينَ فيقْتُلُهُ ، فيغدرُ القوْمُ ، وتكونُ الملاحِمُ » .

= فإنه أراد الأجمة : شبه كثرة رماح العسكر بها .

١٠٠٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١١ - باب مايكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

١٠٠٨ - أحمد (٤ / ٩١) .

وأبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر من ملاحم الروم .

وابن ماجه (٢ / ١٣٦٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب الملاحم . وهو حديث صحيح .

وفي روايـة (١) : « ويثـور المسلـمون إلى أسلحتهم فَيَقْتَتِلُونَ ، فَيُكْرِمُ اللهُ تلـك العصابةَ بالشهادة » .

أقول : هذا النص هو الـذي أشرنـا إليـه من قبل من أن المسلمين يكونون في هـدنـة مع النصارى ثم في تحالف على قتال عدو ثم في صراع مع المسلمين ثم يكون الـدجـال ، كما أنـه هو الحديث الذي يذكر كلمة (الأسلحة) وهو الذي جعلنـا نحتمل أن كلمـة السيوف التي وردت في حديث مسلم يمكن أن يراد بها الأسلحة .

١٠٠٩ ـ * روى أبـو داود عن أبي الـدرداء ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « إن فسْطَـاطَ المسلمين يَومَ الْمَلْحَمَةِ بالْغُوطَةِ إلى جانب مدينةٍ يقـال لهـا دمشق من خير مـدائنِ الشام » .

١٠١٠ ـ * روى أبـو داود عن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قـال : قـالَ رسـول الله ﷺ : « يُوشِـكُ المسلمون أن يحـاصَرُوا إلى المـدينـةِ ، حتى يكونَ أَبعـدَ مَسـالحهم : سِلاحٌ » قال الزهري : سلاح قريب من خيبر .

(مسـالحهم) : المسـالـح جمع مَسْلَحـة ، وهم قـوم ذوو سلاح ، والمسلحـة أيضًا كالثغر والمرقَب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم ، فإذا رأوه : أعلموا أصحـابهم ليتـأهَّبُوا لـه .

١٠١١ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أُمِّ الْمُـؤمِنِينَ أُمِّ عَبْـدِ اللهِ عَـائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا قَالَتْ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَـةَ فَـإِذَا كَـانُوا بِبَيْـدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ » . قَالَتْ ، قُلْتُ : يَـارَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِـأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وفيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِـأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِم ، ثُمَّ يُبْعَثُون عَلَى نِيَّاتِهِمْ » .

---

(١) أبو داود : (٤ / ١١٠) الموضع السابق .

١٠٠٩ ـ أبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في المعقل من الملاحم . وهو صحيح .

١٠١٠ ـ أبو داود : الموضع السابق . وهو صحيح .

١٠١١ ـ البخاري (٤ / ٣٣٨) ٣٤ ـ كتاب البيوع ، ٤٩ ـ باب ما ذكر في الأسواق . واللفظ له .

مسلم (٤ / ٢٢٠٩) . ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢ ـ باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت .

١٠١٢ - * روى أبو داود عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « عمرانُ بيتِ المقدِسِ خرابُ يثرب ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ؛ وفتح القسطنطينية خروج الدجال » قال : ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال : « إن هَـذَا لَحَقٌ مِثْلَ مَاإنَّك هَاهُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ » .

١٠١٣ - * روى ابن ماجه عَنْ حُذَيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ؛ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ « يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ . حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلاَ صَلاَةٌ وَلاَ نُسُك وَلا صَدَقَةٌ . وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِي لَيْلَةٍ . فَلاَ يَبْقَى فِي الأَرضِ مِنْهُ آيَةٌ . وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ . يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هذِهِ الْكَلِمَةِ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ . فَنَحْنُ نَقُولُهَا » فَقَالَ لَهُ صِلَةُ : مَاتُغْنِي عَنْهُمْ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ وَلا صِيَامٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَة ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاَثًا . كُلَّ ذلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ ، فَقَالَ : يَاصِلَةُ ! تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ . ثَلاثًا .

أقول :

الظاهر أن هذا سيكون بعد نزول المسيح عليه السلام .

* * *

١٠١٢ - أبو داود (٤ / ١١٠) كتاب الملاحم باب في أمارات الملاحم . والحديث رواه أبو داود عن عباس العنبري عن أبي النضر هاشم بن القاسم به ، وقال : هذا إسناد جيد وحديث حسن .

١٠١٣ - ابن ماجه (٢ / ١٣٤٤) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ذهاب القرآن والعلم .

وفي الزوائد : إسناده صحيح . ورجاله ثقات .

والمستدرك (٤ / ٤٧٣) وقال : إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(يدرس الإسلام) : من درس الرسم دروسًا ، إذا عفا وهلك . ومن درس الثوب درسًا إذا صار عتيقًا .

(وشي الثوب) نقشه .

(وليسرى على كتاب الله) أي يذهب بالليل .

الفقرة السادسة عشرة

في :

انحسار الفرات عن جبل من ذهب

١٠١٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى يَحْسِرَ الفُراتُ عنْ جبلٍ من ذهب يقْتَتِلُ الناسُ عليه فَيُقْتَلُ من كل مائة تسعة وتسعون ، فيقولُ كلُّ رجلٍ منهم : لَعلِّي أكون أنا أنجو » .

وفي رواية : [١] قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ الفُرات أن يَحْسِر عن كَنْزٍ من ذَهَبٍ ، فمن حَضَرَهُ فلا يأخذْ منه شيئًا » .

وفي رواية لأبي داود [٢] مثل الثانية وقال : « عن جَبَلٍ من ذهب » .

١٠١٥ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه ، قال : كنتُ واقفًا مع أُبَي بنِ كعبٍ ، فقالَ : لا يزالُ الناسُ مختلفةً أعناقُهم في طلب الدنيا ، قلتُ : أجلْ ، قالَ : فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُوشِكُ الفُراتُ أن يَحْسِرَ عن جبلِ ذهبٍ ، فإذا سَمِعَ به الناسُ ساروا إليه ، فيقول مَنْ عِنده : لئن تَرَكْنا الناسَ يأخذون منه ليُذْهَبَنَّ به كُلِّهِ » قال : « فيقتتلون عليه ، فيُقتَلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعون » .

١٠١٤ ـ البخاري (١٣ / ٧٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب خروج النار .

مسلم (٤ / ٢٢١٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٠) الموضع السابق .

وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب الملاحم ، باب حسر الفرات عن كنز .

والترمذي (٤ / ٦٩٨) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢٦ ـ باب حدثنا أبو سعيد الأشج ..

وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

١٠١٥ ـ مسلم : الموضع السابق .

وفي رواية : وقفت أنا وأُبيّ بنُ كعب في ظل أُطُمِ حَسّانَ .

أقول :

لقد مرّ معنا أنّ الملحمة الكبرى يقتل فيها من المسلمين من كلّ مائة تسعة وتسعون وههنا ترد النصوص لتذكر أنّه بسبب ظهور ذهب الفرات يقتل من كلّ مائة تسعة وتسعون فهل لذهب الفرات علاقة بغدر النصارى وهو عامل في طمعهم وقتالهم أو المسلمين أنفسهم يقتتلون على ذهب الفرات حتى يفني بعضهم بعضًا ويكون ذلك سابقًا على مرحلة الملحمة الكبرى كأنْ تتنازع الدول التي يمرّ فيها الفرات على مايظهر في مجراه ؟ الأمر محتمل .

* * *

الفقرة السابعة عشرة

في :

أشراط الساعة الكبرى إجمالاً

وفي :

بعض أشراط أخرى تكون بين يدي الساعة

المقدمة

إنّ تغيُّرَ النظام الكوني ووجود نظام آخر حدثٌ يعدِلُ حدثَ خلق العالم أول مرة ، ولذلك تسبقه أحداث كبرى خارقة للعادة تكون كالمقدمة له ، منها : الدخان ، قال تعالى : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ (١) . ومنها : خروج دابة الأرض ، قال تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ (٢) . ومنها خروج الدجال الذي وردت فيه أحاديث جعلت خروجه من باب المتواتر المعنوي الذي يكفر منكره . ومنها : نزول المسيح عليه السلام الذي أشارت إلى نزوله آيات قرآنية ثلاث : قال تعالى : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ (٣) ، ﴿ **وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنّ به قبل موته** ﴾ (٤) ، ﴿ **إني متوفيك ورافعك إليّ** ﴾ (٥) ، وقد فسرها بعضهم بأن الوفاة تكون بعد الرفع والنزول .

وقد ورد فيه من الأحاديث أكثر من ثمانين حديثًا ومن الآثار عن الصحابة أكثر من أربعين أثراً ومن الكتب التي ألفت فيه (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) فمنكر نزوله كافر .

---

(١) الدخان : ١٠ .

(٢) النمل : ٨٢ .

(٣) الزخرف : ٦١ .

(٤) النساء : ١٥٩ .

(٥) آل عمران : ٥٥ .

ومن علامات السـاعـة الكبرى : ظهور يـأجوج ومـأجـوج ، ومنهـا خروج الشمس من مغربها ، وقد أشارت إلى ذلك الآية : ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل** ﴾[1] .

ومما يحدث بين يدي الساعة : هدم الكعبة وإلقاء أحجـارهـا في البحر ، ومنهـا : هبوب ريح تقبض روح كل مؤمن ، فلا تقوم الساعة إلا على كافر .

ومن أشراط الساعة الكبرى : خروج نار من عدن تسوق النـاس إلى أرض الحشر بشكل خارق ، وقبل ذلك كله تنزل الخلافة الأرض المقدسة فتكون عاصمة المسلمين القـدس ويظهر المهدي عليه السلام وكل ذلك يكون بين يدي الحدث الأكبر وهو قيام الساعة ومايكون فيه ويكون بعده .

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

النصوص

١٠١٦ - * روى أحمد عن عبدِ الله بنِ عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « الآياتُ كَخَرزاتٍ مَنْظوماتٍ في سِلْكٍ فانقطعَ السِّلْكُ فَتَبِعَ بعضُها بعضًا » . وقد ضَعَّفَ عامةُ المحدثين عليَّ بن زيد إلا أن معنى الحديث يشهد له الحديث الذي بعده ، فالمعنى صحيح . والحديث إن لم يكن حسن بذاته فهو حسن بشواهده .

١٠١٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خروجُ الآياتِ بعضُها على أثرِ بعضٍ يَتَتَابَعْنَ كما تَتَابَعُ الخَرَزُ في النظام » .

١٠١٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد (أراه رفعه) : « تَخْرُجُ الدابةُ من أعظم المساجدِ ، فبينما هم كذلك إذ رَبَتِ الأرضُ ، فبينما هم كذلك إذ تَصَدَّعَتْ » . قال ابن عيينة : تخرج حين يسير الإمامُ من جمعٍ ، وإنما جعل سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج .

١٠١٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما ، قال : حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسَهُ بَعدُ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أَوَّلَ الآياتِ خروجًا : طلوعُ الشمس من مَغْرِبِها ، وخروج الدابةِ على الناسِ ضُحى ، وأيُّهما ما كانت قبل صاحِبَتِها ، فالأخرى على إثرِها قريبًا » .

وفي روايةٍ (١) جَلَس إلى مروانَ بنِ الحكمِ بالمدينةِ ثلاثةُ نَفَرٍ من المسلمين فسَمِعوه وهو يحدِّث عن الآيات : أنَّ أوَّلَها خروجًا : الدجالُ ، فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرو : لم يقل مروانُ

١٠١٦ - أحمد (٢ / ٢١٩) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٢١) . وقال : رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث .

١٠١٧ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٢١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط . ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني ، وكلاهما ثقة .

١٠١٨ - مجمع الزوائد (٨ / ٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٠١٩ - مسلم (٤ / ٢٢٦٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٣ - باب في خروج الدجال .... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٠) . الموضع السابق .

شيئًا ، قدَ حَفِظْتُ مِن رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد ، سمعته يقول : « أولُ الآياتِ خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج الدابةِ على الناس ضُحى ، وأيَّتُهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا » .

وروى أبو داود نحو الثانية (١) ، وقال في آخرها : قال عبد الله : وكان يقرأُ الكتب، وأظنُّ أوَّلَها خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها .

١٠٢٠ - * روى الترمذي عن أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه ، قال : دخلتُ المسجدَ حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالِسٌ ، فقال : « ياأبا ذرٍّ ، أين تذهب هذه ؟ » قال : قلتُ : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : « فإنها تَذْهَبُ تَسْتَأذِنُ في السجودِ ، فيؤذَنُ لها ، وكأنَّها قد قيل لها : اطْلُعِي من حيثُ جئتِ ، فتَطلعُ من مغربها » قال : ثم قرأ (وذلك مستقرٌ لها) يس : ٣٨ . وقال : وذلك في قراءة عبد الله بن مسعود .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (أين تذهب هذه ؟) : فيه من الحكمة النبوية مالا يحاط به فالشمس كما هو مقرر الآن تدور حول نفسها ، وهي جزء من مجرتها تدور بدورتها ، ودورة المجرة تستغرق ملايين السنين ، والشمس مع مجموعتها من الكواكب تسير نحو كوكبة الجاثي بسرعة هائلة ، فإذا تأملنا هذا وتأملنا قراءة ابن مسعود التي تعتبر تفسيرًا للحالة التي تسبق خروج الشمس من مغربها : « وذلك مستقر لها » ، فبالإمكان أن نحتمل أن نقطةً مافي الفضاء لن تتجاوزها الشمس في سيرها ثم تؤمر بالرجوع فيحدث نتيجة لذلك هذا الحدث الضخم الذي من آثاره أن تظهر الشمس من مغربها ثم يعود الأمر إلى ماكان ، وعلى مقتضى مانعرفه الآن من دوران الأرض ، فالظاهر أن الأرض نفسها سيحدث لها شيء ما لفترة محدودة بأن ترجع إلى الوراء فتظهر الشمس وكأنها تشرق من المغرب ثم يعود الأمر إلى ماكان . وذلك نقوله بناءً على معطيات عصرنا في أن الأرض تدور حول نفسها وأنها تدور

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

١٠٢٠ - الترمذي (٥ / ٣٦٤) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٣٧ - باب ومن سورة يس . وقال : حديث حسن صحيح .
قال ابن الأثير : وقد أخرج البخاري ومسلم هذا المعنى بأطول منه .

حول الشمس ، إلا أنّا لا نجزم بشيء في هذا الموضوع إلا ماذكره النص ، وكيفية ذلك عند الله علمها ، وإنما نضطر أحيانًا لذكر بعض المعاني من باب تقريب الأمور لأنواع من الدارسين ، وفي مسألتنا هذه ماأسهل على الله عز وجل أن يرجع الله دورة الكرة الأرضية إلى الوراء فتظهر الشمس من مغربها ، إلا أنّا ذكرنا الاحتمال الآخر ، لأنه يجري على مقتضى عالم الأسباب ، فبعض علماء الكون يذكرون احتمالاً أن تصل الشمس إلى نقطة مافي سيرها نحو كوكبة الجاثي ثم لا تتجاوزها .

وإنما شجعنا على أن نحاول هذه المحاولة في فهم النص أن للعلماء أكثر من اتجاه في فهمه . وكنموذج على تعدد الآراء فيه نذكر ماقاله النووي رحمه الله في شرح مسلم .

قال النووي :

هذا مما اختلف المفسرون فيه . قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدي وعلى هذا القول إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها . وقال قتادة ومقاتل : معناه تجري إلى وقت لها وأجل لا تتعداه قال الواحدي : وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا . وهذا اختيار الزجاج وقال الكلبي تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها واختار ابن قتيبة هذا القول والله أعلم . وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك بخلق الله تعالى فيها . ا . هـ

١٠٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ مِنْ مَغرِبِها ، فإذا رآها الناسُ آمن مَنْ عليها » .

وفي رواية (١) : « فإذا طلعت ورآها الناسُ ، آمنوا أجمعون ، فذلك حين

١٠٢١ - البخاري (٨ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٦ - سورة الأنعام ، ٩ - باب ﴿ قل هلم شهداءكم ﴾ .

مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٢ - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان .

وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(١) البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٠ - باب حدثنا أبو اليمان .

ومسلم : الموضع السابق .

لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمَنَتْ من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً » .

١٠٢٢ - * روى ابن ماجه عن صفوان بن عسال قال : قـال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلا يَزَالُ ذَلِكَ البَـابُ مَفْتُوحًـا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا » .

١٠٢٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال سِتًّا : طلوعَ الشمسِ مِنْ مَغربِها ، أو الدخانَ ، أو الدجالَ ، أو الـدابـةَ ، أو خاصَّةَ أحدِكم ، أو أمرَ العامة » .

وفي رواية مثله [1] ، والجميع بواو العطف ، وفي آخره : « وخُوَيْصَةَ أحدكم » .

(خُوَيْصَة) : خُوَيْصَة تصغير خاصَّة الإنسان ، وهي مايخصه دون غيره .

أقول :

لاحظ قولـه عليـه السلام : (وأمر العـامـة) وتـأمل مـايجري في عصرنـا حيث يراد ألا يكون للعلماء أي دور في توجيـه أمور العـامـة ، والأمر خطـط لـه أو يخطـط بحيث يكون الأمر بيد العامة .

١٠٢٤ - * روى مسلم عن حذيفة بن أَسيد الغِفاري رضي الله عنـه ، قـال : اطَّلَعَ رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تَذاكَرون ؟ » قلنا : نذكر الساعـةَ . قـال : « إنهـا لن تقومَ حتى تَرَوْا قبلَها عَشْرَ آياتٍ » فذكرَ الـدُّخـانَ ، والـدَّجّـالَ ، والـدَّابَّـةَ ، وطلوعَ الشمس من مغربها ، ونزولَ عيسى ابن مريمَ ، ويأجوجَ ومـأجوج ، وثلاثـةَ خسوف : خَسْفَ

١٠٢٢ - ابن ماجه (٢ / ١٣٥٣) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٣٢ - باب طلوع الشمس من مغربها .

١٠٢٣ - مسلم (٢ / ٢٢٦٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٧) الموضع نفسه .

(خُوَيْصة) : خويصة تصغير خاصة الإنسان ، وهي ما يخصه دون غيره .

١٠٢٤ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٣ - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

بالمشرق وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، وآخِر ذلك : نارٌ تَطْرُد الناس إلى مَحْشَرِهم .

وفي رواية (١) قال : كان النبيُّ ﷺ في غُرفَةٍ ونحن أسفلَ منه ، فاطّلع إلينا .. وذكر نحوه .

وفي أخرى (٢) نحوه وقال أحدهما في العاشرة : نزول عيسى ابن مريم ، وقال الآخر : وريح تُلقي الناسَ في البحر .

وفي رواية أبي داود (٣) ، قال : كُنّا قعوداً في ظِلّ غُرْفَةٍ لرسول الله ﷺ، فذكرنا الساعةَ ، فارتفعت أصواتُنا ، فقال رسول الله ﷺ : « لن تكون - أو لن تقومَ - حتى يكونَ قبلَها عَشْرُ آيات : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابة ، وخروجُ يأجوج ومأجوجَ ، والدَّجالُ ، وعيسى ابنُ مريم ، والدُّخانُ ، وثلاث خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخِرُ ذلك : تَخْرُجُ نارٌ من اليمن ، من قَعْرِ عَدَن ، تسوق الناس إلى المَحْشَر » .

وفي رواية الترمذي (٤) نحو الأولى ، وزاد في ذكر النار قال : « ونار تخرج من قعر عَدن ، تسوق الناس - أو تحشر الناس - فَتَبيتُ معهم حيثُ باتوا ، وتَقِيلُ معهم حيث قالوا » .

أقول :

قوله عليه السلام في هذا الحديث (والدخان) وقول الراوي (فذكر الدخان) وقوله في الحديث السابق الذي رواه مسلم (أو الدخان) حمله بعض العلماء على دخان يكون بين يدي الساعة ويعتبر من أشراطها الكبرى . وعلى ذلك فسروا قوله تعالى ﴿ فارتقب يوم

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع نفسه .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع نفسه .

(٣) أبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٧٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف . وقال : حديث حسن صحيح .

تـأتي السماء بـدخـانٍ مبين ﴾ . وقـد ذكر بعضهم أنـه أول أشراط السـاعـة الكبرى ظهـوراً ، وهناك اتجاهات أخرى في تفسير الـدخـان في الآيـة منهـا مـاذكره البخـاري عن ابن مسعود أنه : ماأصـاب قريشًـا من قحـطٍ جـاءوا معـه فجعل الرجل ينظُر إلى السماء فيرى مـابينـه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، والقول الراجح عند العلماء أن الدخان من أشراط السـاعـة الكبرى وأنـه لم يجئ بعـد ، والظـاهر أنـه يعم العـالم ، ومن عرف الأسلحـة الـذريـة اليـوم واحتالات تفجيرهـا وأنّ سحـابهـا يمكن أن يغطي العـالم احتمل أن تكون النصوص تشير إلى مثل ذلك ، لكن ظاهر النصوص يشير إلى أنه عقوبـة ربـانيـة مبـاشرة ، وقـد ذكر الألوسي رواية تنص على أنه يبقى أربعين يومًا أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة ، وأمـا الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنـه ودبره ، ومع أن القول الراجح عنـد العلمـاء التوقف والتفويض في تسلسل وقـوع بعض أشراط السـاعـة الكبرى ، إلا أنّ تسلسـل بعضهـا يقيني ، لكنّ بعضهم رجّح من خلال الاستقراء أن التسلسل يكـون على الشكل التـالي : الـدخـان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يـأجوج ومـأجوج ثم خروج الـدابـة ثم طلوع الشمس من مغربهـا ثم ريح تقبض روح كل مـؤمن فـلا يبقى إلا كافر ، ثم نـار تخرج من عدن تسوق الناس جميعًا إلى أرض الحشر أي أرض الشام ثم تكون القيامة .

أما الخسوف فلا يشترط أن يكون بعد ذلـك لأن حرف العطف (الواو) يقتضي مطلق الجمع ، وقد شهدنا في عصرنا خسف مدينة أغـادير في المغرب حيث إن أحـد فنـادقهـا الـذي يبلغ أكثر من عشرين طابقًا لم يبق منه على وجه الأرض إلا لافِتَتُهُ التي كانت منصوبـة على الطابق الأخير ، وقد عرفنا خسفًـا وقع في عصرنـا في إيران ، ولكن هل المراد بـأمثـال هـذه الخسوف هو ماذكرته النصوص أو المراد خسوف أخرى . وعلى كل فتسلسل علامات السـاعـة التي وردت في الحـديث لا يـؤخـذ من نص الحـديث لأن الـواو في العربيـة لمطلـق الجمع لا للترتيب ، والـذين تكلفوا ذكر التسلسل أخـذوه من استقراءات شـاملـة للنصـوص لا من لفظ الحديث نفسه .

١٠٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « ثلاثٌ

١٠٢٥ - مسلم (١ / ١٣٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٢ - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان .

إذا خَرجْنَ لا ينْفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ : طُلوعُ الشَّمْسِ من مغربها ، والدَّجّالُ ، ودابّة الأرض » .

أقول :

هذا محمول على من بلغته الدعوة وكان عاقلاً بالغًا واختار الكفر وظهرت له واحدة من هذه الأشراط الثلاثة لأنه في حكم من انكشف له الغيب ، فالمعروف أن المحتضر متى انكشف له شيء من أمر الغيب عند خروج روحه لم تعد تنفعه توبة ولا يقبل منه إيمان ، وكذلك من رأى شرطًا من هذه الأشراط الثلاثة .

ويمكن أن يحمل الحديث على أن المراد بذلك الإخبار بالنسبة للدابة والدجال بمعنى أنه متى ظهر الدجال أو الدابة فالكافر مستمر على كفره لا بمعنى أنه لا يقبل إسلام من أسلم ، قال تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا** ﴾ [1] . فأما بالنسبة للشمس فلا شك أنه بعد ظهورها من المغرب ﴿ **لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل** ﴾ ، أما بالنسبة للدجال والدابة فظاهر النص الذي بين أيدينا أن الأمر كذلك ولكن الاحتمال الثاني يبقى قائمًا لكثرة النصوص في موضوع الشمس وقلتها بالنسبة للدجال والدابة في موضوع عدم قبول الإيمان .

قال الألوسي رحمه الله بعد أن ذكر أن من علامات الساعة الكبرى : خروج الدابة وظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها أن بعض المفسرين فسر قوله تعالى : ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك** ﴾ [1] . بهذه الآيات الثلاث ، وعلى هذا القول فإن أيًا من هذه الآيات الثلاث إذا خرجت لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل . لكنه ذكر أن هذا القول قد استشكل ولذلك فنحن في تعليقنا راعينا هذا الإشكال فذكرنا احتمالين للنص الذي رواه الإمام مسلم .

= والترمذي : (٥ / ٢٦٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٧ ـ باب ومن سورة الأنعام .
وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الأنعام : ١٥٨ .

وفيما يلي كلام الألوسي رحمه الله :

وبيعضها على ماقيل : الدجال . والدابة . وطلوع الشمس من مغربها وهو المراد بالبعض أيضًا في قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ [1] وروى مسلم . وأحمد . والترمذي . وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعًا ماهو صريح في ذلك : واستشكل ذلك بأن خروج عيسى عليه السلام بعد الدجال عليه اللعنة وهو عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان ويقبله منهم وفي زمنه خير كثير دنيوي وأخروي ، وأجيب عنه بمالا يخلو عن نظر . والحق أن المراد بهذا البعض الذي لا ينفع الإيمان عنده طلوع الشمس من مغربها » ا . هـ (روح المعاني) .

١٠٢٦ ـ * روى أحمد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « تخرجُ الدابَّةُ ، فتسِمُ الناسَ على خَرَاطِيمِهِمْ ، ثُمَّ يُعَمَّرونَ فيكم ، حتَّى يشتري الرجلُ الدابةَ ، فيقالُ : مِمَّن اشتريتَ ؟ فيقولُ : مِنَ الرجلِ المخطَّمِ » .

فائدة :

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن الدابة :

هي المَعْنِيةُ بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وإذا وقع القولُ عليهم أخرَجْنَا لهم دابَّةً من الأرض تُكَلِّمُهُم أنَّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقِنُون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ٣٧٤ : « هذه الدابَّةُ تخرجُ في آخر الزمان عند فساد الناس ، وَتَرْكِهِم أوامِرَ الله ، وتبديلهم الدينَ الحقّ ! يُخرجُ الله لهم دابَّةً من الأرض فتُكَلِّمُ الناسَ على ذلك » . قال الألوسيُّ في « روح المعاني » ٦ : ٣١٤ : « أي تُكَلِّمُهم بأنهم لا يَتيقَّنُون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبَاديها ، أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات . وقُصارَى ـ أي غايةُ ـ ماأقولُ في هذه الدابَّة أنها دابَّةٌ عظيمة ذات قوائم ،

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

١٠٢٦ ـ أحمد (٥ / ٢٦٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٦) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة .

ليست من نوع الإنسان أصلاً ، يُخرجها اللهُ تعالى آخرَ الزمان من الأرض ، وتَخرُجُ وفي الناس مؤمن وكافر .

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ص ٣٣٤ ، وأحمدُ في « مسنده » ٢ : ٢٩٥ و ٤٩١ ، والترمذيُّ في « سننه » ١٢ : ٦٣ وحَسَّنَهُ ، وابنُ ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٥١ واللفظُ له ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تَخرُجُ الدابَّةُ ومعها خاتَمُ سليمان بن داود ، وعَصَا موسى بن عِمران ، عليهما السلام ، فتَجْلُو وَجْهَ المؤمن - أي تُنَوِّرُهُ وتُبَيِّضُهُ - بالعَصَا ، وتَخطِمُ أَنْفَ الكافر - أي تَسِمُهُ وتَجعَلُ عليه علامةً - بالخاتم ، حتى إنَّ أهلَ الخِواء - أي أهلَ الحي الذين يَجمعهم ماءٌ يَستقون منه - لَيَجتمعون ، فيقولُ هذا : يامؤمن ، ويقولُ هذا : يا كافر» . ثم قال الألوسي : وهذا الخبرُ أقربُ الأخبار المذكورة في الدابّةِ للقبول » . انتهى .

واستظهر الحاكمُ أبو عبد الله النيسابوري أنَّ طلوع الشمس من مغربها يَسبقُ خروجَ الدابّة ، ثم تَخرجُ الدابّة في ذلك اليوم أو الذي يَقرُبُ منه . قال الحافظ ابن حجر بعد نقلِهِ قولَ الحاكم في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٤ : « والحكمةُ في ذلك أنَّ عند طلوعِ الشمس من المغرب يُغلَقَ بابُ التوبة فتَخرُج الدابّةُ تميِّزُ المؤمنَ من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة » . انتهى . ففي المسألة قولان ، رجَّح الحافظُ ابن حجر منهما أسبقيةَ طلوع الشمس من مغربها . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

مرّ معنا حديث مسلم الذي يذكر أن الدابة والدجال والشمس إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها فإذا كانت الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها فلا إشكال أما إذا كانت قبل ذلك فعندئذ يكون لحديث مسلم الاحتمالان اللذان ذكرناهما هناك ، وأما الحديث الذي أورده الشيخ عبد الفتاح في فائدته فبعض فقراته لها شواهد وبعض فقراته ضعفها بعضهم ، والحديث وَجدَ مَنْ حَسَّنَهُ ووَجدَ من ضَعَّفَه .

الفقرة الثامنة عشرة

في :

المهدي عليه السلام

مقدمة

- تزيد الروايات الواردة بالتبشير بخليفة راشد يكون من بيت النبوة على العشرين ، وهذا يجعلنا نقطع بورود هذا المعنى عن رسولنا عليه الصلاة والسلام .

- وهناك نصّ صحيح يذكر عودة الخلافة الراشدة بعد الملك الجبري .

- وهناك نصّ عند مسلم يتحدث عن خليفة في آخر الزمان يحثي المال حثيًا ولا يعدّه عدًّا ، وهناك روايات متعددة تذكر خليفة من آل بيت النّبوّة .

- وهناك روايات تذكر أن الخلافة إذا نزلت الأرض المقدّسة فقد دنت الزلازل والفتن .

- وهناك روايات تذكر أنّ المسيح ينزل وللمسلمين إمام في القدس ، فهل هذا الإمام هو المهدي ؟ يرى بعضهم ذلك والأمر محتمل .

- ولكن إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يكون في زمن المسيح عليه السلام ، فهل الخلافة الإسلامية لا توجد إلا به ؟ الظاهر من النصوص أنه إذا كان المهدي سيكون في زمن المسيح عليه السلام فهناك خلافة تسبق ذلك بدليل النصوص التي تذكر فتح رُوما وتشير إلى قيام دولة عالمية للإسلام ، بينما الخلافة التي تسبق نزول عيسى بن مريم تفتح القسطنطينيّة الفتح الثاني وتدخل في معركة لاهبة مع النصارى على الأرض الإسلامية نفسها ويكون فسطاط المسلمين يوم الملحمة في الغوطة قرب دمشق كما ورد في بعض الروايات ، أمّا إذا كان المهدي ليس هو الخليفة الذي يكون في زمن عيسى عليه السلام فالأمر عندئذ يحتمل أن يكون أوّل الخلفاء أو أحد الخلفاء الذين يقودون الأمة الإسلامية في طريق الظفر والنصر للسيطرة على العالم .

- وقد وقع كثير من المسلمين في أغلاط بسبب قضية المهدي :

ـ فالشيعة الإماميّة استقر الأمر عندهم على أن محمدا الحجّة الذي اختفى بزعمهم في سرداب في سامرّاء هو المهدي وهم ينتظرون خروجه .

ـ وبعض المسلمين علّقوا فكرة العمل للخلافة على ظهور المهدي مع أنّ العمل لإيجاد خليفة للمسلمين فريضة شرعية ، فلا يصح أن يعلق العمل لها حتّى يظهر شخص ما .

ـ وبعض المسلمين ادّعى المهدوية وتابعه ناس ، ولا زلنا نسمع بين الفينة والفينة من يدّعي المهدويّة .

ـ وأغلب الذين ينتظرون خروج المهدي يعتبرونه كائنًا بين يدي نزول المسيح عليه السلام ويتوقعون مع هذا أن ظهوره أصبح قريبًا مع أن ظواهر النصوص تشير إلى أنّ بيننا وبين نزول المسيح عليه السلام أمداً ، ففلسطين لا تكون وقتذاك مقرًّا لليهود بل اليهود الذين يأتون إليها وقتذاك يأتون مع المسيح الدجال كما رأينا وتكون فلسطين وقتذاك مقرا للخلافة الراشدة ، وهذا يدل على أنّ دولة اليهود الحالية ستنتهي .

وإذن فمع إيماننا بظهور المهدي بالصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ فلا يصح لنا أن نعلق إقامة الفرائض المطلوبة منا شرعًا سواء كانت فروضًا عينية أو كفائية على ظهوره ، لكننا ننوي أنّه إذا ظهر وعرفناه بصفاته أن نكون من جنده وأنصاره بإذن الله .

وهذه بعض النصوص والتعليقات والمسائل والفوائد التي لها علاقة بهذا الشأن :

النصوص

١٠٢٧ ـ * روى أبو داود عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « المهديُّ مني ، أجلى الجبهةِ ، أقنى الأنف ، يملأُ الأرضَ قسطًا وعدْلا ، كما مُلئتْ جَورا وظُلْمًا ، ويملك سبع سنين » .

وفي رواية الترمذي (١) قال : خشينا أنْ يكونَ بعدَ نبيِّنا حَدَثٌ ، فسألنا نبيَّ الله ﷺ ، فقال : « إنَّ في أمَّتي المهديَّ يخرج ، يعيش خمسًا ، أو سبعًا ، أو تسعًا » ـ زيدٌ العَمّيُّ الشّاكُّ ـ قال : قلنا : وماذاك ؟ قال : « سنين » قال : « فيجيء إليه الرجل فيقول : يامهدي ، أعطني ، أعطني » . قال : « فيَحْثي له في ثوبه مااستطاع أن يحمله » .

١٠٢٨ ـ * روى أبو داود ، عن عبدِ اللهِ بن زُغْب الإياديِّ قالَ : نزل عَليَّ عبدَ الله بنَ حَوالةَ الأزديُّ ، فقال لي : بَعَثَنا رسول الله ﷺ لِنَغْنَم على أقدامنا ، فرَجعْنا لم نَغْنَم شيئًا ، وعَرَفَ الْجَهْدَ في وجوهِنا ، فقامَ فينا ، فقال : « اللهم لاَ تكِلْهُم إليَّ فأضعُف عنهم ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسِهم فيعْجِزوا عنها ، ولا تَكِلْهُم إلى الناسِ فيستأثِروا عليهم » . ثم وضعَ يَدَه على رأسي ـ أو قال : على هامَتي ـ ثم قالَ : « يابنَ حَوالةَ ، إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نزلتِ الأرضَ المقدسةَ ، فقد دنَتِ الزلازلُ ، والبلابلُ ، والأمورُ العِظامُ ، والساعةُ يومئذٍ أقربُ من الناسِ من يَدي هذه من رَأسِكَ » .

١٠٢٧ ـ أبو داود (٤ / ١٠٧) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

(١) الترمذي (٤ / ٥٠٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، باب ٥٣ ـ حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .

وهو في مسند أحمد (٣ / ٢١) .

وابن ماجه (٢ / ١٣٦٦ ، ١٣٦٧) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٣٤ ـ باب خروج المهدي .

وفي سنده زيد بن الحواري العمي ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ .

(أجلى الجبهة) : يقال : رجل أجلى : إذا ذهب شعر رأسه إلى نصفه .

(أقنى الأنف) : القنا : احْدِيداب في الأنف .

١٠٢٨ ـ أبو داود (٣ / ١٩) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة .

قال محقق الجامع : عبد الله بن زغب الإيادي مختلف في صحبته ، وساق له أبو نعيم عن الطبراني حديث من كذب عليّ متعمدًا ، صرح فيه بسماعه من النبي ﷺ . قال الحافظ ابن حجر في « التهذيب » : والإسناد لا بأس به . اهـ .

أقول : قوله عليه السلام : « إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك » : الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس ، وإلى القدس يذهب المسيح عليه السلام بعد نزوله في دمشق ، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين ، وأن دولة اليهود الحالية ذاهبة منتهية فإذا كان المراد في الحديث خلافة المهدي وهو الاتجاه الأقوى عند العلماء فهذا يدل على أن بيننا وبين المهدي عليه السلام أمداً . والدليل على أن المراد بالحديث خلافة مقرها فلسطين وعاصمتها القدس أن القرآن الكريم وصف فلسطين بالأرض المقدسة ، فقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ **ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** ﴾ (١) . والمعروف أن الأرض التي رفضوا دخولها هي فلسطين ، وأن يوشع بن نون عليه السلام خليفة موسى عندما بدأ تنفيذ أمر موسى كان ذلك بدخوله أرض فلسطين . وبلاد الشام إنما تأخذ قدسيتها من كونها محيطة بالمسجد الأقصى ، قال تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ (٢) . فالبركة مقرها المسجد الأقصى وكل ماقرب منه فهو أكثر قدسية ، ولذلك حملنا الحديث على أن المراد به خلافة تكون عاصمتها القدس وقاعدتها أرض فلسطين ، ومثل هذا لم يحدث من قبل ، والظاهر أن ذلك سابق على نزول المسيح عليه السلام ، لأن المسيح يأتي إلى القدس وهي بيد المسلمين ويخرج منها إلى الدجال فيقتله بباب لدّ ، وأكثر جند الدجال من اليهود القادمين معه من الخارج بدليل الحديث الصحيح : « يخرج مع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصفهان عليهم الطيالسة » . فهؤلاء اليهود الآتون من الخارج هم الذين يقتلهم المسلمون ويدلُّ الحجر والشجر عليهم لأن الوقت وقت خوارق تكون بين يديّ الساعة ، فهذا كلّه وغيره كثير يدلّنا على أنّ دولة اليهود الحاليّة غير مستمرّة إلى وقت نزول المسيح ، لا كما يظنّ كثيرون ومما يدّل على ذلك أنّ الحديث الصحيح يبشّر بفتح روما ولم تفتح روما حتّى الآن ممّا يدلّ على أنّ دولة عالميّة للإسلام ستقوم وهذا لم يحدث ووجودها يتنافى مع بقاء دولة اليهود الحاليّة في قلب أقطار الأمّة الإسلاميّة والأمر

---

(١) المائدة : ٢١ .   (٢) الإسراء : ١ .

كلّه بيد الله ، وإذا أراد الله شيئًا هيّأ أسبابه . أمّا متى تكون هذه الأمور فغيب لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ .

أقول : وإنّما ذكرنا هذا الحديث هنا لأنّ الاتجاه الأقوى عند العلماء أن المهديّ عاصمته القدس ، وعندما ينزل عيسى عليه السلام يكون هو خليفة المسلمين ، فرأينا أن نذكر هذا الحديث في هذه الفقرة لهذا السبب .

١٠٢٩ - * روى أبو داود ، عن أم سلَمَة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « المهدِيُّ من عِترتي من ولدِ فاطمةَ » .

١٠٣٠ - * روى مسلم ، عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال : « يكون خليفةٌ من خلفائكم في آخرِ الزمان ، يحثو المالَ ولاَ يَعُدُّه » .

وفي رواية (١) : « يُعطي الناسَ بغيرِ عددٍ » .

١٠٣١ - * روى أبو داود عن ابن مسعود ، يرفعه : « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعثَ اللهُ فِيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرضَ قسطًا وعدْلا ، كما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَورا » .

١٠٣٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « يكونُ في أُمتي المهديُّ إن قَصُرَ فسبعٌ وإلا فثمان وإلا فتسعٌ تَنْعمُ أمتي فيها نِعمةً لم ينعموا مثلَها ، يُرسِلُ السماء عليهم مدْرارا ولا تَدَّخِرُ الأرضُ شيئًا من النباتِ والمالُ كُدُوس يقومُ الرّجلُ يقول : يامهديُّ أعطني فيقولُ خُذْ » .

١٠٢٩ - أبو داود (٤ / ١٠٧) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

١٠٣٠ - مسلم (٤ / ٢٢٣٥) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٠٣١ - أبو داود (٤ / ١٠٦) كتاب المهدي ، باب من حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٥٠٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٢ - باب ما جاء في المهدي . وقال الترمذي : حسن صحيح .

١٠٣٢ - مجمع الزوائد (٧ / ٣١٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط رجاله ثقات .

١٠٣٣ ـ * روى مسلم عن أبي نَضْرَةَ قالَ : كنّا عنـد جـابرِ بنِ عبـدِ اللهِ فقـالَ : يُوشِـكُ أهلُ العراق أن لا يُجبَى إليهم قَفيزٌ ولا دِرهمٌ قلنا : من أين ذاك ؟ قـال : من قِبَل العجم ، يمنعون ذاك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُـدْيٌ قلنـا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبل الروم . ثم سكت هُنَيَّةً ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يكونُ في آخرِ أمتي خليفةٌ يَحْثِي المال حَثْيـا ، ولا يَعُـدُّه عـددا » . قـالَ : قلتُ لأبي نضرةَ وأبي العلاء : أترِيان أنه عُمَرُ بنُ عبد العزيز ؟ فقالا : لاَ .

قال النووي : والحثو هو الحفن باليدين وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه .

١٠٣٤ ـ * روى الحاكم ، عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : « يخْرج في آخر أمتي المَهْديُّ يَسقيه اللهُ الغَيثَ وتُخَرجُ الأرضُ نَباتَها ويُعطي المالَ صَحاحًا وتكثُر الماشية وتَعْظُمُ الأمةُ يَعيش سبْعًا أو ثمانيًا » يعني حِجَجا .

وفي رواية [١] أحمد عن أبي سعيد : قال له رجل : ما صَحاحًا ؟ قال : « بالسويـة بين الناس » .

١٠٣٥ ـ * روى الترمـذي ، عن عبـد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قـال : « يلي رَجُلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمـه اسمي » . قـال عـاصم : أخبرنـا أبـو صـالـح عن أبي هريرة ، قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يَلِي .

١٠٣٣ ـ مسلم (٤ / ٢٢٣٤) ٥٢ ـ كتاب الفتن ١٨ ـ باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

ومسند أحمد (٣ / ٣١٧) .

(مُدْيٌ) : مكيال للشام ،ومصر = ٢٢,٥ صاعًا ،و الصاع = ٢٧٥١ غم عند الشافعي وعند أبي حنيفـة الصـاع = ٣٨٠٠ غم .

(القَفيزُ) : مكيال = ١٢ صاعًا .

١٠٣٤ ـ المستدرك (٤ / ٥٥٨) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح .

(١) مسند أحمد (٣ / ٣٧) .

(حِجَجًا) : الحِجَجُ كذا بالنسبة للسنة ، والمفرد منها حِجَّةٌ .

١٠٣٥ ـ الترمذي (٤ / ٥٠٥) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٢ ـ باب ما جاء في المهدي . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٣٦ ـ * روى الترمذي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهبُ الدنيا حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسْمُه اسمي » .

قوله : (حتى يملك العرب) :

« قال الطيبي : لم يذكر العجم وهم مرادون أيضًا ، لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يدًا واحدة قهروا سائر الأمم ، ويؤيده حديث أم سلمة يعني المذكور في المشكاة في الفصل الثاني من باب أشراط الساعة وفيه : ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجِرَانِهِ في الأرض فيَلْبَثُ سبعَ سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » ا . هـ .

١٠٣٧ ـ * روى الحاكم ، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : ستكون فتنةٌ يُحَصَّلُ الناسُ منها كما يحصل الذهبُ في المعدن فلا تَسبُّوا أهلَ الشام وسبُّوا ظَلَمَتَهم ، فإن فيهم الأبدالَ وسيرسلُ الله إليهم سَيْبًا من السماء فيُغْرِقُهم حتى لو قاتَلَهم الثعالبُ غَلَبَتْهم ، ثم يَبعثُ اللهُ عند ذلك رجلا من عِتْرَةِ الرسول ﷺ في اثني عشرَ ألفًا إن قلُّوا أو خمسةَ عشر ألفًا إن كَثُرُوا ، أمارَتُهم أو عَلاَمَتُهم أَمِتْ أَمِتْ على ثلاثِ راياتٍ يُقاتِلُهم أهلُ سبعِ راياتٍ ، ليس من صاحبِ راية إلا وهو يَطْمَعُ بالمُلْكِ فيَقْتَتِلونَ ويُهْزَمون ثم يَظهرُ الهاشميُّ فيَردُّ اللهُ إلى الناس أُلْفَتَهم ونعمتَهم فيكونون على ذلك حتى يَخْرُجَ الدجال .

١٠٣٦ ـ الترمذي : في الموضع السابق .

وقال الترمذي : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة وهذا حسن صحيح . ا . هـ .

(بجِرانِه) : ضرب الحق بجرانه : أي قَرَّ قَراره واستقام وأصل الجرّان باطن العنق .

١٠٣٧ ـ المستدرك (٤ / ٥٥٣) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال الذهبي : صحيح .

(سَيبًا) : يقال ساب الماء فهو سائب إذا سال .

المسائل والفوائد

ـ الأحاديث التي وردت في المهدي كثيرة ولذلك فقد صرح كثير من العلماء بتواترها . وهذه نُقولٌ عن أهل العلم في ذلك :

ذكر العلامة الشوكاني في كتابه « التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر ، والدجال ، والمسيح » :

« والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على مادونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول . وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك » اهـ.

وقال العلامة الشوكاني أيضًا بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك :

(فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدّجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة) . اهـ .

وقال المحدث أبو الطيب صديق بن حسن الحسيني البخاري القنّوجي في كتاب « الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة » :

« والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا تبلغ حد التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد » اهـ .

وقال أيضاً بعد كلام له :

« وأحاديث المهدي بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار » . هـ .

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » :

(وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجّال وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام) ا . هـ .

ـ هناك أكثر من اتجاه في المرحلة التي يوجد فيها المهدي ، فهناك من ذهب إلى أنه يكون بين يدي المسيح عليه السلام فينزل عيسى وهو خليفة المسلمين . وهناك اتجاه إلى أنه يكون قبل ذلك ، وإمام المسلمين الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام رجل صالح ، فهو أحد المهديين وليس هو بالمهدي الذي تحدثت عنه النصوص . وعلى كل من هذين الاتجاهين فإن عاصمة الخلافة زمن نزول عيسى عليه السلام تكون في القدس .

وقد نقل كثير من العلماء نصوصًا وسكتوا عنها تفيد أن نزول المسيح في زمن المهدي ، وهذا الذي جعل هذا الأمر ينطبع في أذهان كثير من العلماء : أن المهدي مرتبط زمانه بزمان المسيح عليه السلام ، فإن صح هذا الاتجاه فهذا يفيد أنه سيكون قبل ذلك خلافة على منهاج النبوة ، تكتسح الأرض كلها . وستفتح الأمة الإسلامية العالم ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز وذل ذليل ، ومظهر الذلة دفع الجزية ، بينما المسيح عليه السلام لا يقبلها .

وسنرى أثناء كلامنا عن عيسى عليه السلام أن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، مؤلف كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) ـ الذي علق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ يرى أن المسيح عليه السلام لا تكون له سيطرة على العالم كله ، لأنه لم يؤثر في النصوص أن له مثل هذا التحرك . وممن ذهب إلى أن المهدي يكون بين يدي نزول المسيح عليه السلام مباشرة عدد من العلماء وهذه نقول في هذا الشأن :

قال المباركفوري في شرح تحفة الأحوذي لصحيح جامع الترمذي :

« اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال ومابعده من أشراط

الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال وينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته » ا . هـ .

وقال ابن حجر في شرح الحديث الذي أورده البخاري في باب نزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام - والذي يقول فيه ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم » الفتح جـ ٦ ص ٤٩١ .

قال : « وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى « وإذا هم بعيسى فيقال تقدم ياروح الله ، فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم » . ولابن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال : « وكلهم - أي المسلمون - ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم ، إذا نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت » وقال أبو الحسن الخسعي الآبدي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه ، ذكر ذلك ردا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه « ولا مهديٌّ إلا عيسى » اهـ . (الفتح جـ ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤) .

بل إن ابن ماجه قد أورد عددا من الأحاديث الصحيحة التي تبشر بالمهدي .

أقول : هذا تتمة الكلام في الرد على رواية لابن ماجه : « ولا مهدي إلا عيسى » وذلك أنه هو يروي روايات تذكر أن المهدي غير عيسى ابن مريم .

١٠٣٨ - * روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تَهْلِكَ أُمّةٌ أنا في أوَّلِها ، وعيسى ابنُ مريمَ في آخِرِها ، والمَهْدِيُّ في وَسَطِها » .

قال الشيخ عبد الفتاح : « المراد بالوسط ماقبل الآخر لأنَّ نزول عيسى عليه السلام لقتل الدجّال يكون في زمن المهدي ، ويصلي سيدنا عيسى خلفه كما جاءت به الأخبار » .

وإليك بعض النصوص والآثار التي سكت عنها المحدثون نقلها الشيخ عبد الفتاح في

١٠٣٨ - رواه النسائي ، وأبو نُعيم في « أخبار المهدي » والحاكم وابن عساكر في « تاريخيهما » ، وهو حديث حسن كما في « السراج المنير بشرح الجامع الصغير » للعزيزي .

كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » وتفيد أن في عهد المهدي ينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

١٠٣٩ ـ * روى أبو نُعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيقول أميرُهم المَهديُّ : تعالَ صَلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضَكم على بعض أُمَراءُ تكرمةَ الله لهذه الأُمَّةِ » .

١٠٤٠ ـ * روى أبو عمرو الداني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي تقاتِلُ على الحقِّ حتى يَنزلَ عيسى ابنُ مريمَ عند طُلوعِ الفجر ببيت المقدس ، يَنزِلُ على المهديِّ فيقال : تقدَّمْ يانبيَّ الله فصَلِّ بنا ، فيقول : هذه الأُمَّةُ أُمراءُ بعضُهم على بعض » .

١٠٤١ ـ * روى أبو عمرو الداني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلتفت المهديُّ وقد نَزَلَ عيسى ابن مريم ، كأنَّما يَقْطُرُ من شعره الماءُ ، فيقول المهدىُّ : تقدَّمْ صَلِّ بالناس ، فيقول عيسى : إنما أُقيمَتِ الصَّلاةُ لك فيُصلِّي خَلْفَ رجلٍ من وَلَدي » الحديث .

١٠٤٢ ـ * روى نعيم بن حمّاد عن عبد الله بن عَمْرو أيضًا قال : المَهديُّ ينزل عليه عيسى ابنُ مريم ، ويُصلِّي خَلْفَه عيسى .

١٠٤٣ ـ * روى ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : المَهديُّ من هذه الأُمَّة وهو الذي يَؤمُّ عيسى ابنَ مريم عليهما السلام .

أقول : من خلال مامرَّ نرى أن أهل التحقيق لا يختلفون في أن خليفة من آل بيت

١٠٣٩ ـ أخرجه أبو نُعَيم في « أخبار المهدي » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي في أخبار المَهْدي » ٢ : ٦٤ .

١٠٤٠ ـ أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨٣ .

١٠٤١ ـ أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي »٢ : ٨١ .

١٠٤٢ ـ أخرجه نُعَيم بن حمّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي كما في « رسالة العَرْف الوَرْدي في أخبار المهدي » ٢ : ٧٨ .

١٠٤٣ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في « المُصنَّف » . كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٦٥ .

النبوة يكون في آخر الزمان ، وهذا الذي اتفقوا عليه هو الذي درج التعبير عنه على لسان العامة والخاصة بأنه المهدي ، وقد انطبع في أذهان الكثير من العلماء بسبب نصوص تحتاج إلى تحقيق في أسانيدها ولكنها كثيرة أن المهديّ ينزلُ في عهده عيسى عليه الصلاة والسلام فإذا كان الأمر كذلك ، فالأمد بيننا وبين المهدي بحسب الظاهر من نصوص أخرى لا زال فسيحًا ، لأن هناك بعضَ ماأخبر عنه رسول الله ﷺ لم يقع ، فمثلا بين يدي نزول المسيح عليه السلام يفتح المسلمون القسطنطينية فتحًا ثانيًا ، وتكون القسطنطينية وقت ذاك بيد النصارى ، وهي الآن مسلمة وبيد المسلمين ، والبشارة بفتح روما مرتبطة في الظاهر بفتوحات عالمية وانتصار عالمي للإسلام ، والنصوص الواردة في المهدي وعيسى عليهما السلام لا تدل على مثل هذا كما سنرى من تحقيقات الشيخ أنور الكشميري نفسه .

هذا الكلام كله مبني على أن المهدي يعاصر نزول المسيح ابن مريم عليهم السلام ، إلا أن النصوص الواردة في معاصرة المهدي للمسيح تحتاج إلى تحقيق وهناك نصوص في المهدي تحتاج إلى تحقيق كذلك ، وبعضها من باب الضعيف ، يفهم منها أنه لا ارتباط بين نزول المسيح عليه السلام والمهدي ، فعلى هذا الاتجاه يمكن أن نتصور أن الخلافة التي تكون على منهاج النبوة والتي تأتي بعد الملك الجبري كما ورد في بعض النصوص الصحيحة يمكن أن تبدأ بالمهدي أو يكون المهدي واحدا من سلسلة خلفائها ، وقد تكون هذه الخلافة التي تأتي بعد الملك الجبري هي التي يحصل بها انتصار عالمي للإسلام كما ورد في أكثر من حديث كما مرّ معنا .

وفي كل الأحوال لابد أن ننبه على قضايا :

أولاً : أن دولة اليهود الحالية على كل الاتجاهات في الفهم للنصوص ستنتهي ، وليست نهايتها معلقة بنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأن النصوص الواردة في أن الحجر والشجر يدلان المسلم على اليهودي ليقتله ليست واردة في هؤلاء اليهود بل في يهود يقدمون مع الدجال .

ثانيًا : أن العمل من أجل استئناف وجود الخلافة الراشدة فريضة إسلامية شرعية يجب على كل مسلم أن يعمل لها ، وتتأكد الفرضية في حق القادرين على ذلك من حكام وعلماء ودعاة ، ولا يعجز المسلمون إذا صدق حكامهم وعلماؤهم ودعاتهم أن يوجدوا الصيغ التي

تناسب واقع المسلمين وأحوال العصر بحيث تقام الخلافة فتكون بركة على الجميع ، ولا تسبب ضررا لأحد ولا ينتقض بوجودها سلطان أحد ممن بيده السلطان إذا كانوا مسلمين حقًا .

فنحن إذن نؤمن بخليفة سيظهر له مواصفات معينة وننوي ـ ونسأل الله أن يعيننا على تحقيق النية ـ أن نكون من جنده إذا ظهر ، ولكنا لا نعلق العمل لنصرة الإسلام وإقامة الخلافة على ظهوره ، لأنه إن كان من خلافة كان أحد الخلفاء الذين يسبق وجودهم نزول عيسى ابن مريم بزمن ، فلا يشترط أن يكون أول الخلفاء ، وإن كان هو الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام فلا يجوز أن نعطل العمل لإقامة فريضة شرعية انتظاراً لشيء أخبرنا الله عز وجل عنه ، فكما أن الصلاة لا نؤخرها عن وقتها فكذلك فرائض العصر لا نؤخر العمل لها تعليقًا على شيء لم يكلفنا الله عز وجل أن نعلق عملاً مفروضًا حتى ظهوره .

* * *

الفقرة التاسعة عشرة

في :

الدّجّال

مقدمة

هناك دجّالون كثيرون يظهرون في تاريخ البشريّة عامّة وفي تـاريخ الأمّـة الإسلاميّـة خاصّة، ولكن الدّجال الأكبر الذي يعتبر ظهوره من علامات الساعة الكبرى هو أعظم فتنـة تحدث على وجه الأرض وذلك أنّ هذا الخبيث يدّعى الألوهيّة وتظهر على يـده من الخوارق مـا يفتن أكثر الخلق ، ولكن حكمـة الله اقتضت أن يكون هـذا الخبيث ظـاهر النقص بـأنّـه أعور لتقوم الحجة على العامّة والخاصّة أنّه كذّاب في دعواه ، والخـاصّـة يعرفون كـذب دعواه بما عندهم من العلم بالله وصفاته وأنّه منزّه عن صفات المخلوقين وبما عنـدهم من العلم عن رسول الله ﷺ في شـأنـه ، والظّـاهر من بعض الرّوايـات أنـه يخرج من منطقـة إيران الحـاليـة والنّصوص تـذكر أنـه يتبعـه من يهود أصفهـان سبعون ألفًا ، والظّـاهر أنّ ظهوره يكون في زمن خلافة المهدي عليه السلام ، وأنّ عاصمة الخلافة وقتذاك هي القدس ، والنّصوص تـذكر أن خروجه يكون بعد الفتح الثاني للقسطنطينيّة وبعد قتال مرير مع النّصـارى وأنّ العرب حين ظهوره يكونون قليلين وهذا كلّه يجعلنـا نستـأنس أنّ بيننـا وبينـه أمـدًا ، فـالأوضـاع الحالية لعصرنا وما فيـه لا تشير إلى قرب ظهوره ، فـاليهود الآن يتجمّعون في فلسطين ولهم فيها دولة ويصرون على أن تكون عاصمتهم القدس بينمـا النّصوص تـذكر أنّ عـاصمـة الخلافـة حين ظهوره تكون في القـدس ، ومع أنّنـا لم نستقص كل مـا ورد في المسيـح الـدّجّـال فـإنّ الروايات التي سنذكرها من الكثرة بمكان ما يدلّ على أهميّة هذا الحـدث وعلى كثرة مـا ركّز عليه رسول الله ﷺ في شأنه وهذا يلقي مسؤولية كبيرة على العلمـاء والوعّـاظ والـدّعـاة أن يعطوا إظهار هذا الأمر ما يقتضيه من الأهمّيّة .

نصـوص

١٠٤٤ ـ * روى مسلم ، عن النَّواسِ بن سَمعانَ رضي الله عنه ، قال : ذكَرَ رسولُ الله ﷺ الدَّجال ذاتَ غَداةٍ ، فخفَّض فيه ورَفَّع ، حتى ظننناه في طائفة النخل ، فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسول الله ، ذكرتَ الدجال الغداةَ ، فَخَفَّضْتَ فيه ، ورفَّعتَ ، حتى ظننناه في طائفة النخل ، فقال : « غيرُ الدجال أخوفُني عليكم ، إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم ، وإن يخرجْ ولست فيكم فامروءٌ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شابٌّ قَطَطٌ ، عينُه طافئة ، كأني أُشَبِّهه بـ « عبد العُزّى بن قَطَن » ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف) ، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا ، وعاث شمالا ، يا عبادَ الله ، فاثْبُتوا » . قلنا : يا رسولَ الله ، وما لَبْثُه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا : يومٌ كسنَة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » . قلنا : يا رسول الله ، فذاك اليوم الذي كسنةٍ : أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، اقدرُوا له قَدْرَه » . قلنا : يا رسول الله ، وما إسراعُه في الأرض ؟ قال : « كالغَيثِ استدبرَته الريحُ ، فيأتي على القَوم ، فيدْعوهم فيؤمنون به ، ويَستجيبون له ، فيأمر السماء فتُمْطرُ ، والأَرضَ فتُنْبتُ ، فَتروحُ عليهم سارِحتُهم أطولَ ما كانت دَرًّا ، وأسْبَغَهُ ضُروعًا ، وأمَدَّه خَواصِرَ ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم ، فيردُّون عليه قولَه ، فينصَرِفُ

١٠٤٤ ـ مسلم (٤ / ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ـ باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

(طائفة النخل) ناحيته وجانبه ، والطائفة : القطعة من الشيء .

(الحجيج) : المحاجج ، وهو المجادل والمخاصم الذي يطلب الحجة ، وهي الدليل .

(القطط) : الشعر الجعد .

(طافئة) : الحبة الطافئة من العنب هي التي قد خرجت عن حدّ نباتِ أخواتها في العنقود ونتأت ، قال الخطابي : مرّ عليّ زمان وأنا أعتقد أن معنى قوله : « كأنها عِنَبةٌ طافئة » أنه الحبة من العنب التي تسقط في الماء فيدخلها الماء ، فتنتفخ فتطفو على الماء ، إلى أن وقفت عليه في موضع أنه الحبة التي تخرج عن حَد أخواتها .
قوله : « إنه خارج خلة » أي : أنه يخرج قصدًا وطريقًا بين الجهتين والتخلُّل : الدخول في الشيء .

(فعاثَ) العيث : أشد الفساد .

(سارحتهم) السارحة : الماشية ، لأنها تسرح إلى المرعى .

(درًّا) الدَّر : اللبن ، وإنما يكثر بالخصب وكثرة المرعى .

عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين ، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخَرِبة ، فيقول لها : أخرِجي كنوزَكِ فَتَتْبَعُه كنوزُها كيعاسيبِ النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا ، فَيَضْربه بالسيف فَيَقْطَعُه جِزْلَتين ، رَمْيَةَ الغَرَضِ ، ثم يدعوه فَيُقْبِلُ ، ويَتَهَلَّلُ وجهُهُ يضحكُ ، فبينما هو كذلك ، إذ بعثَ اللهُ المسيحَ ابن مَريَمَ عليه السلام ، فينزلُ عند المنارةِ البيضاء شَرقيَّ دمشقَ ، بين مَهْرُودَتين ، واضعًا كَفَّيه على أجنحة مَلَكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَر ، وإذا رَفَعَهُ تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يَحِل لكافرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِه إلا مات ، ونَفَسُهُ ينتهي حيثُ ينتهي طَرْفُه ، فيطلُبُه حتى يُدْرِكَهُ بباب لُدّ ، فَيَقْتُلَهُ ، ثم يأتي عيسى ابنَ مريَم قومٌ قد عَصَمَهم اللهُ منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريَمَ : إني قد أخرجْتُ عبادًا لي ، لا يدانِ لأحد بقتالهم ، فحرِّزْ عبادي إلى الطور ، ويَبْعَثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيمرُّ أوائلُهم على بحيرة طَبَرِيَّةَ فيشربون ما فيها ، ويمرُّ آخِرُهم فيقولون : لقد كان بهذه مرَّة ماءٌ ، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ حتى يكونَ رأسُ الثورِ لأحدِهم خيرًا من مائة دينارٍ ، فَيَرْغَبُ

(الممحل) : الذي قد أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسماره .

(يعاسيب) : جمع يعسوب ، وهو فحل النحل ورئيسها .

(جزلتين) : الجزلة بالكسر : القطعة .

(الغَرض) : الهدف الذي يُرمى بالنشاب .

(مهرودتين) رويت هذه اللفظة بالدال والذال ، يقال : إن الثوب إذا صبغ بالورس ثم بالزعفران ، جاء لونه مثل زهرة الحوذانة ، فذلك الثوب مهرود ، وقيل : أراد بالمهرود : الثوب المصبوغ بالمُرْد ، وهو صبْغ أصفر ، قيل : إنه الكُرْكم ، وقيل أراد في شُقَّتين من الهرد ، وهو القطع .

(جُمان) جمع جمانة ، وهي حبة تؤخذ من النقرة ، كاللؤلؤة ، وقد يُطلق على اللؤلؤ مجازا . وشبه في الحديث عرقه بالجمان .

(لايدَانِ لأحَدٍ بقتالهم) : يقال : مالي بهذا الأمر يدان ، أي : لا أقدر عليه وأنا عاجز عنه ، كما يقال : لا طاقة لي به ، لأن المباشرة والدفاع إنما يكون باليد ، فكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه .

(فحرِّز) : أي : احرز واحفظ واجعلهم في الحرز .

(الحدَب) : الأكمة والمرتفع من الأرض . وينسلون أي يسرعون .

نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ ، فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ في رقابهم ، فيُصْبحون فَرْسَى ، كموتِ نَفْسٍ واحدةٍ ، ثم يَهبِطُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ إلى الأرضِ ، فلا يجدون في الأرض موضعَ شِبْرٍ إلا ملأهُ زَهَمُهم ونَتْنُهم ، فيرغَبُ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيُرسِلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ البُخْتِ ، فَتَحْمِلُهم فتطْرحُهم حيثما شاء الله ، ثم يُرسِلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ، فيغسِلُ الأرضَ حتى يَتْرُكَهَا كالزَّلَفَةِ ، ثم يقالُ للأرض : أنْبتي ثَمَرَتَكِ ، ورُدِّي بَرَكَتَكِ ، فيومئذٍ تأكلُ العصابةُ من الرُّمَّانة ، ويستظلُّون بقِحْفِها ، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ ، حتى إن اللِّقْحةَ من الإبل لتكفي الفِئامَ من الناسِ ، واللِّقْحةَ من البقر لتكفي القبيلةَ من الناس ، واللِّقْحةَ من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعثَ اللهُ ريحًا طيبةً ، فتأخُذُهم تحتَ آباطهم ، فتقبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمنٍ ومسلم ، ويبقى شِرارُ الناس ، يَتهارَجون فيها تَهارُجَ الْحُمُر ، فعليهم تقومُ الساعةُ » .

وفي رواية [1]نحوه ، وزاد بعد قوله : « لقد كان بهذه مرة ماءٌ » : « ثم يسيرونَ حتى

= (النغف) : دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدها : نَغَفَة .
(فَرْسَى) : جمع فريس ، وهو القتيل .
(الزهمة) : الريح المنتنة ، والزهَم : مصدر زهَمتْ يده من ريح اللحم .
(المدر) : طين قد استحجر ، والمراد به : البيوت المبنيَّةُ دون الخيام .
(الزَّلفة) : المرآة ، وجمعها زُلَف ، وقيل : هي المَصْنَعَةُ من الماء ، فمن شبهها بالمرآة : أراد لاستوائها ونظافتها ، ومن شبهها بالمصنعة : أراد امتلاءها من الماء ، والأول أشبه لسياق الحديث .
(العصابة) : الجماعة من الناس قبل أن يبلغوا أربعين .
(القِحْفُ) : للرأس معروف. والمراد به في الحديث : قشر الرّمانة .
(رِسْل) : الرِّسْل بكسر الراء : اللَّبَنُ .
(لِقحة) : اللقحة الناقة التي يكون لها لبن .
(الفئام) : الجماعة من الناس .
(الفخذ) : من الناس دون القبيلة .
(التهارج) : الاختلاف والاختلاط ، وأصله ، القتلُ .

(١) مسلم (٤ /٢٢٥٥) ، في الموضع السابق .

ينتهوا إلى جبل الْخَمَرِ ـ وهو جبل بيت المقدس ـ فيقولون : لقد قَتَلْنَا من في الأرض ، هَلُمَّ فَلنقتُلْ مَنْ في السماء ، فيرمون بنُشَّابهم إلى السماء ، فيردُّ الله عليهم نُشَّابَهم مخضوبةً دَمًا » .

ورواه الترمذي [١] ، وزاد في أوله بعد قوله : « في طائفةِ النخلِ » قال : « فانصرفنا من عندِ رسولِ الله ﷺ ، ثم رُحْنا إليه » وقال فيه « عينه قائمة » بدل « طافئة » ولم يقل : « خَلَّةً » وقال : « فيأتي القومَ فيدعُوَهم ، فيكذِّبونه ويردُّون عليه قولَه ، فينصَرِفُ عنهم فتتبَعُه أموالُهُم ، ويُصبحون ليس بأيديهم شيءٌ ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيستجيبون له ويُصَدِّقونه ، فيأمرُ السماء أن تُمطِر فَتُمْطِرَ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، فتروحُ عليهم سارحتُهم كأطول ما كانت ذرًّا ، وأمَدِّه خَوَاصِرَ ، وأدَرِّه ضُروعًا ، ثم يأتي الخَربةَ ، فيقولِ لها : أخرجي كنوزَكِ ، فينصرفُ عنها ، فتتبَعُهُ كيعاسيب النحل .. » وذكر الحديث بنحو ما سبق إلى قوله : « لقد كان بهذه مرةً ماءٌ » . وقال : « ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قَتَلنا من في الأرض ، فَهَلُمَّ فلنقتلْ من في السماء ، فيرمونَ بنُشَّابِهم إلى السماء ، فيردُّ الله عليهم نُشَّابَهم مُحْمَرًّا دَمًا ، ويُحَاصر عيسى ابنُ مريمَ وأصحابُهُ حتى يكونَ رأسُ الثور يومئذ خيرًا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم ... » . وذكر الحديث ، وقال : « قد ملأتْه زَهَمَتُهم ونَتْنُهم ودِماؤهم » قال : « فيرغب عيسى إلى الله وأصحابُه فيُرْسِلُ الله عليهم طيرًا كأعناقِ البُخْتِ ، فَتحمِلُهم فتطرَحُهم بالمَهْبَلِ ، ويستوقِدُ المسلمون من قِسِيِّهم ونُشَّابِهم وجِعابِهم سَبْعَ سنين ، ويرسلُ اللهُ عليهم مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت وبر ولا مدرٍ ، فَيَغْسِلُ الأرضَ فيتركُها كالزَّلَفة » قال : « ثم يُقالُ للأرض : أخرجي ثمرتَك ، وردِّي بركتكِ ، فيومئذ تأكل العصابة الرُّمَّانة ، ويستظلُّون بقِحفِها ، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حتى إنَّ الفئام من الناس ليكتفون باللِّقحة من الإبل ، وإن القبيلةَ ليكتفون باللقحةِ من

= (إلى جَبَل الخَمَر) : الخَمَرُ هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه وفسر في الحديث أنه جبل بيت المقدس لكثرة شجره .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٠ ـ ٥١٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٩ ـ باب ماجاء في فتنة الدجال .

البقر ، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم ريحًا ، فقبضت روح كل مؤمن ، ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » .

« فخَفَّضَ فيه ورَفَّعَ » : قال الشيخ عبد الفتاح : (قال النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٣ في معناه قولان :

الأول : أن معنى« خَفَّضَ فيه » : حقّره ، ومعنى « رفَّع » فيه : عظّمه وفخّمه ، فمن تحقيره ، قولُه ﷺ : إنه أعورُ العين ، وإنه أهوَنُ على الله من ذلك ، وإنه لا يَقْدرُ على قتلِ أحدٍ إلا ذلك الرجل ثم يَعْجزُ عنه ، وإنه يَضْمحِلُّ أمرُه ويُقتَلُ بعدَ ذلك . ومن تفخيمه وتعظيمِ فتنتِه قولُه ﷺ : « ليس بين يدَي السَّاعةِ خَلقٌ أعظمُ من الدجال ، ومامِن نبيّ إلا وقد أنذَر أُمّتَه الأعورَ الكذَّاب » . وتلك الأمورُ الخارقة للعادة التي تقع له .

القولُ الثاني : في معنى « خفَّضَ فيه ورفَّع » : أنه خفَّض مِن صوتِه لكثرةِ ماتكلَّم في شأن الدجال ، فخفَّض بعدَ طولِ الكلام والتَّعَب ليستريح ، ثم رَفَّعَ ليَبْلغ صوتُهُ كلَّ أحد » . انتهى . اهـ . من (التصريح)

أقول : إن أشراط الساعة ومايكون بعدها تفسيرها وقوعها : قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [1] ومع ذلك فقد تشتبه على بعض الناس بعض النصوص فاقتضى ذلك كلامًا ، ومما قد يشتبه على بعض الناس هذا الجزء من الحديث السابق :

(قلنا يارسول الله ومالبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيّامه كأيّامكم » قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره ») .

وسبب الإشكال أنّه إذا كان يوم كسنة فهذا يقتضي ـ إلا إذا كان الحديث له تفسير غير المتبادر إلى الأذهان ـ أن يكون هناك ليل طويل يقابل هذه السنة في مكان آخر من

---

(١) الأعراف : ٥٣ .

الأرض ، والمعروف أنّ هذه الحالة لا تكون إلا عند طلوع الشمس من مغربها ، ولذلك فإننّا نحمل هذا الحديث على أنّ المراد باليوم الذي كسنة واليوم الذي كشهر واليوم الذي كجمعة بأنّها كذلك في الشّدة والبلاء بدليل أنّ هناك روايات تذكر أنّ مكثه في الأرض أربعون سنة وإنّما هي أربعون سنة في الشدّة والبلاء وإلا فمكثه أربعون يومًا .

قال ابن حجر في الفتح

« وقع في حديث جابر : « يسيح في الأرض أربعين يومًا يرد كلّ بلدة غير هاتين البلدتين مكة والمدينة حرمها الله تعالى عليه ، يوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه » . أخرجه الطبراني وهو عند أحمد بنحوه بسند جيد ولفظه « تطوى له الأرض في أربعين يومًا إلا ماكان من طيبة » ... الحديث وأصله عند مسلم من حديث النواس بن سمعان بلفظ : قلنا يارسول الله فما لبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا » . فذكره وزاد : قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كالسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره » . قلنا : يارسول الله ومإسراعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح » . وله عن عبد الله بن عمرو : « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهراً أو أربعين عامًا » . الحديث ، والجزم بأنها أربعون يومًا مقدم على هذا الترديد ، فقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بلفظ : « يخرج ـ يعني الدجال ـ فيمكث في الأرض أربعين صباحا يرد فيها كل منهل إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس » . الحديث ووقع في حديث سمرة .. « يظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس فيَحصُرَ المؤمنين فيه ثم يهلكه الله » [قوله عليه السلام : « فيحصر المؤمنين في بيت المقدس » علق عليه الشيخ عبد الفتاح : « كذا في رواية الإمام أحمد في « المسند » ٥ : ١٦ . وجاء في « مجمع الزوائد » للهيثمي ٧ : ٣٤١ هكذا : (وإنه يُحصَرُ المؤمنون) . أي بالبناء للمجهول للفعل وبرفع مابعده ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)] .

وفي حديث جنادة بن أبي أمية : أتينا رجلا من الأنصار من الصحابة قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « أنذركم المسيح » .... الحديث وفيه « يمكث في الأرض أربعين

صباحًا ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرسول ومسجد الأقصى والطور » أخرجه أحمد ورجاله ثقات . ا . هـ (فتح الباري) .

فهذا الذي حملنا على أن نفسّر اليوم كسنة بأنّه سنة في الشدّة ، ولما فهم الصحابة الحديث على ظاهره أعطاهم الرسول ﷺ حكمًا فقهيًا للحالات التي يكون فيها اليوم طويلاً كأيّام القطب الشمالي والجنوبي حيث يكون النهار ستّة أشهر والليل ستّة أشهر .

وأمّا قوله عليه السلام : « ثمّ يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمّانة ويستظلّون بقحفها ويبارك في الرِّسْل حتّى إنّ الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل » .

فيه إشارة إلى ماطرأ على الأرض وعلى البركة بسبب الفساد في الأرض : ﴿ **ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس** ﴾ (١) . وقد ذكر كتابٌ ظهر عن « القطب » حيث المعاصي معدومة أنّ بعض المزروعات تنمو أضعافًا مضاعفة عنها في العالم المعروف فذلك نموذج على بركة الأرض حيث لم تتلوث بمعاصي بني آدم .

وقد علق الشيخ عبد الفتاح على هذا القسم من الحديث بما يلي :

« وقال الحافظ ابن القيم في كتابه « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ص ٨٣ ـ ٨٦، في الفصل ـ ٢٦ ـ من فصول الكتاب :

« فصل : ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تُحدِثُ في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن ، قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَتْ أيدي الناسِ لِيُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجِعون** ﴾ .

قال بعض السلف : كلما أحدثتُم ذنبًا ، أحدَثَ الله لكم من سُلطانِه عقوبة . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الفساد ـ المشارَ إليه في الآية ـ المراد به الذنوبُ ومُوجباتُها ، ويَدُلُّ عليه قولُه تعالى : ﴿ **ليُذِيقَهم بعضَ الذي عَمِلوا** ﴾ . فهذا حالُنا ، وإنما أذاقنا الشيءَ اليسيرَ من أعمالنا ، فلو أذاقنا كلَّ أعمالنا ، لما تَرَك على ظهرها من دابّة !

(٢) الروم : ٤١ .

ومن تـأثير معـاصي الله تعـالى في الأرض ، مـا يَحُلُّ بها من الخَسْف والزلازل ، ويَمْحَقُ بركتَها ، وقد مَرَّ رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمَنَعَهم من دخول ديارهم إلا وهم بـاكون ، ومن شُرْبِ مياههم ، ومن الاستسقاء من آبـارهم ، حتى أمَرَ أن لا يُعلَف العجينُ الـذي عُجِنَ بمياههم لنواضح الإبل ، لتأثير شُؤم المعصية في الماء .

وكذلك شؤمُ تأثير الذنوب في نقص الثمار وما يُرَى بها من الآفات ، وقد ذكَر الإمام أحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٦ ، في ضمن حديثٍ قال : وُجِدَتْ في خزائن بعض بني أميـة حِنْطَـةٌ ، الحَبّةُ بقَدْرِ نَوَاةِ التَمْرة ، وهي في صُرَّةٍ مكتوب عليها : كان هذا يَنْبُتُ في زَمَنِ العَدْل .

وكثيرٍ من هذه الآفات أحدَثها الله سبحـانـه وتعـالى ، بمـا أحـدَث العبـادُ من الـذنوب . وأخبرني جمـاعـةٌ من شيوخ الصحراء أنهم كانـوا يَعْهَـدون الثمارَ أكبرَ ممـا هي الآن ، وكثير من هذه الآفات التي تُصيبها ، لم يكونوا يعرفونها ، وإنما حَدَثَتْ منْ قُرب .

وأما تأثيرُ الذنوب في الصُّوَر والخَلْق ، فقد رَوَى الترمـذي في « جـامعـه » عن النبي ﷺ أنـه قـال : « خَلَق الله آدَمَ وطُولُـه في السماء ستون ذراعًـا ، ولم يَـزَل الخَلْـقُ يَنْقُصُ حتى الآن » .

فإذا أراد الله أن يُطهِّرَ الأرضَ من الظَّلَمةِ والخَوَنَة والفَجَرة ، يُخرجُ عبـدا من عبـاده ، من أهل بيت نبيِّـه ﷺ ، فيَمـلأ الأرضَ قِسطًـا كما مُلِئَتْ جَوْرا ، ويَقتُـلُ المسيحُ : اليهودَ والنصـارى ، ويُقيمُ الـدين الـذي بَعثَ الله بـه رسولَـه ، وتُخرِجُ الأرضُ بركاتِهـا ، وتَعُـودَ كما كانت ، حتى إن العصابة من الناس ، ليأكلون الرُّمّانـةَ ويستظلون بقِحْفِهـا ، ويكون العنقُودُ من العِنَب وِقْرَ بعير ، ولَبَنُ اللِّقْحـةِ الـواحـدةِ ـ أي النـاقـةِ ذاتِ اللّبن ـ يكفي الفِئـامَ من الناس ـ أي الجماعة من الناس ـ .

وهذا لأن الأرض لما طَهَرَتْ من المعاصي ، ظَهَرَتْ فيها آثارُ البركـة من الله تعـالى ، التي مَحَقَتْها الـذنوبُ والكفر . ولا ريب أن العقوبـات التي أنزلهـا الله في الأرض ، بقيـةُ آثـارهـا ساريةٌ في الأرض ، تطلُبُ ما يُشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلـك الجرائم التي عُـذِّبت بهـا الأمم ، فهذه الآثار في الأرض ، من آثار العقوبات ، كما أن هذه المعاصي من آثـار الجرائم » . انتهى كلام الحافظ ابن القيم .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٥ : ٣٦٤ ، عند قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ظَهَر الفَسَادُ في البَرِّ والبَحْرِ بما كسَبَتْ أيدِي النّاس لِيُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجعُون ﴾ :

« المرادُ بالبَرّ هنا : الفَيَافي ، وبالبحر : الأمصار والقُرَى . ومعنى قوله تعالى : ﴿ ظَهَر الفسادُ في البَرّ والبحر بما كسَبَتْ أيدي الناس ﴾ أي إنّ النّقْصَ في الزروع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عَصَى الله في الأرض ، فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « لَحَدٌّ يُقامُ في الأرض أحَبُّ إلى أهلِها من أن يُمطَروا أربعين صباحًا » .

والسببُ في هذا أن الحدود إذا أُقيمت ، انكف الناسُ أو أكثرُهم أو كثيرٌ منهم عن تعاطي المُحرمات ، وإذا تُركَت المعاصي ، كان ذلك سببًا في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نَزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام في آخر الزمان ، يَحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قَتْلِ الخنزير ، وكسرِ الصليب ، ووضعِ الجزية وهو تَرْكُها ، فلا يَقْبَلُ إلا الإسلامَ أو السيف ، فإذا أهلَك الله في زمانه الدجّال وأتباعه ، ويأجوجَ ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بركَتَكِ ، فيأكلُ من الرُّمّانة الفِئامُ من الناس ، ويَستظلون بقِحْفِها ، ويكفي لَبَنُ اللِّقْحة الجماعةَ من الناس .

وماذاك إلا ببركةِ تنفيذ شريعة محمد ﷺ ، فكلما أُقيم العدل كَثُرَت البركاتُ والخير ، ولهذا ثبَتَ في « الصحيحين » : « أن الفاجر إذا مات يَستريحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحُسَين . قالا : حدثنا عوف ، عن أبي قَحْذَم ، قال : وجَدَ رجلٌ في زمانِ زياد ـ بن أبيه المتوفى سنة ٥٣ ـ ، أو ابن زياد ـ عُبَيدِ الله ابن زياد بن أبيه المتوفى سنة ٦٧ ـ : صُرةً فيها حَبٌّ ، يعني من بُرٍّ أمثالِ النَّوَى،

مكتـوبٌ فيهـا ـ أي في الصُّرَّة ـ : هـذا نَبَتَ في زمـانٍ كان يُعمَـلُ فيـه بـالعَـدْل . انتهى . اهـ (التصريح) .

أقول : وفي الحديث الـذي مرّ معنـا إشـارة إلى الريح التي تقبض نفس كل مؤمن ، وقـد يظن قارئ الحديث أن ذلك كائن زمن المسيح عليه الصلاة والسلام ، والأمر ليس كذلـك ، فهي تأتي بعد نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، والناس لا زالوا يعيشون في آثار من بركة وجوده عليه الصلاة والسلام .

١٠٤٥ ـ * روى أبـو داود ، عن عبـادة بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنـه أنَّ رسـول الله ﷺ قال : « إني حدَّثْتُكم عن الدجالِ ، حتى خَشيتُ أن لا تعقِلُوا ، إنَّ المسيحَ الدجـالَ قصيرٌ أفحَـجُ ، جَعْـدٌ أعـوَرُ ، مطمـوسُ العين ، ليست بنـاتئـةٍ ولا جَحْراءَ ، فـإن التبِسَ عليكم ، فاعلموا أنَّ ربَّكم ليس بأعورَ » .

١٠٤٦ ـ * روى مسلم ، عن عبـــدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما أن رســول الله ﷺ ذكرَ الدجالَ بين ظَهْرانَي النـاسِ ، فقـال : « إن اللهَ ليس بـأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الـدَّجـالَ أعْوَرُ العين اليمنى ، كأنَّ عينَه عِنَبةٌ طافِئةٌ » .

وفي رواية الترمذي [١] : أن النبي ﷺ سُئل عن الدجال ؟ فقـال: « ألا إنَّ رَّبكم ليس بأعورَ ، ألا وإنـه أعورُ ، عَيْنُه اليمنى كأنهاعِنَبَةٌ طافِئةٌ » .

وفي رواية البخـاري [٢] : أن المسيح ذُكِرَ بين ظهراني النـاس ، فقـال النبيُّ ﷺ : « إنَّ اللهَ ليس بأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الدجالَ أعورُ عينِ اليمنى ، كأنَّها عِنبةٌ طافئةٌ » .

١٠٤٥ ـ أبو داود (٤ / ١١٦ ، ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده حسن .

(الفحج) : تباعد مابين الفخذين ، والرجل أفحج .

(عين جحراء) : أي غـائرة مختفيـة ، كأنهـا قـد انجحرت ، أي : دخلت في جحر ، وهـو الثقب ، قـال الهروي : وأقرأنيه الأزهري جَخْراء ـ بـالجيم والخـاء المعجمـة ـ وأنكره بـالحـاء المهملـة ، قـال : معنـاه : الضيقـة فيهـا رَمَص وغَمَصٌ .

١٠٤٦ ـ مسلم (٤ / ٢٢٤٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٤) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٠ ـ باب ماجاء في صفة الدجال .

(٢) البخاري (١٣ / ٣٨٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ١٧ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

وفي أخرى له ولمسلم [١] : أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال : « إنَّه أعورُ عينِ اليمنى ، كأنها عنبة طافئة » .

وفي رواية أبي داود [٢] قال : قام رسولُ الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ... فذكر الدجال ، فقال : « إني لأُنذِرُكموه ، ومامن نبي إلا وقد أنْذَرَهُ قومَه ، ولقد أنذره نوحٌ قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يَقُلْه نبيٌّ لقومه ، تعلمون أنَّه أعورُ ، وأنَّ الله ليس بأعورَ » .

وفي أخرى للترمذي [٣] : قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ... ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأُنْذِرُكموه ، ومامن نبي إلا وقد أنْذَرَ قومهُ ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكني سأقولُ فيه قولاً لم يقله نبي لقومِه : تعلمون أنَّه أعورُ ، وإنَّ الله ليس بأعور » .

قال الزهري : فأخبرني عمرُ بنُ ثابتٍ الأنصاري : أنه أخبره بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذِّرهم فِتنَتَهُ : « تعلمون أنَّه ليس يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموتَ ، وأنَّه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كلُّ من كَرِهَ عَمَلَه » .

قوله عليه السلام : « إنه أعورُ العينِ اليمنى » : قال النووي : « وأما قوله ﷺ : « أعور العين اليمنى كأنها عِنبة طافية » فروي بالهمز وبغير همز فمن همز معناه ذهب ضوؤها ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى وجاء في رواية أخرى أعور العين اليسرى وقد ذكرهما جميعًا مسلم في آخِر الكتاب ، وكلاهما صحيح قال القاضي عياض رحمه الله : روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز وهو الذي صححه أكثرهم قال : وهو الذي ذهب إليه الأخفش ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها قال :

---

(١) البخاري (٨ / ١٠٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ، ٧٧ ـ باب حجة الوداع .
مسلم (١ / ١٥٥) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٥ ـ باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٤١) كتاب السنة ، باب في الدجال .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٠٨) ٢٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٦ ـ باب ماجاء في علامة الدجال .

وضبطه بعض شيوخنا بالهمز وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره ، وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها وهذا يصحح رواية الهمز . وأما ماجاء في الأحاديث الأُخَر جاحظ العين وكأنها كوكب وفي رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط فتصحح رواية ترك الهمزة ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز وهي العين اليمنى كما جاء هنا وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه . وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما مايختص بالعين وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها والأخرى بعيبها . هذا آخر كلام القاضي وهو في نهاية من الحسن والله أعلم » . ا . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٠٤٧ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن رِبعي بن حِراش : انطلقتُ أنا وعقبةُ ابنُ عمرو إلى حُذيفةَ ، فقال عُقبة : حدّثني بما سمعتَ من رسول الله ﷺ في الدجال ، فقال : سمعتُه يقول : « إنَّ مع الدجال إذا خرج ماء ونارا ، فأما الذي يرى الناسُ أنه نارٌ : فماءٌ باردٌ ، وأما الذي يرى الناسُ أنه ماءٌ : فنارٌ تَحرقُ ، فمن أدركَ ذلك منكم فليقعْ في الذي يرى أنه نارٌ ، فإنَّه ماءٌ عذبٌ باردٌ » . قال حُذيفة : وسمعتُه يقول : « إنَّ رجُلا ممَّن كان قبلَكم أتاه المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فقالَ : هل عَمِلْتَ من خير ؟ قال : ما أعْلَمُ ، قيل له : انظر ، قال : ماأعلم شيئًا ، غير أني كنتُ أبايعُ الناسَ في الدنيا ، فأُنْظِرُ الموسِرَ ، وأتجاوزُ عن المُعسِر ، فأدخلَه اللهُ الجنةَ » . وسمعتُه يقول : « إن رجلا حضَره الموتُ ، فلما يئسَ من الحياة ، أوصى أهله : إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حَطَبًا كثيرا ، جَزْلا ، ثم أوقِدوا فيه ناراً حتى إذا أكلتْ لحمي ،

١٠٤٧ ـ البخاري (٦ / ٤٩٤) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٥٠ ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل .
مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .
(إنظار المعسر) : تأخير ماعليه من الدَّين إلى حال يساره .
(جزلاً) : الحطب الجزْلُ : القوي الغليظ .

وخلصتْ إلى عظمي ، وامتُحِشْتُ ، فخذوها فَـاطحَنُوهَـا ، ثم انظروا يومًـا راحـا فـاذْرُوه في اليَمّ ، ففعلوا ، فجمعـه الله عز وجل إليـه ، فقـال : لِمَ فعلتَ ذلـك ؟ قال : من خَشْيَتك » . قال : « فغفر الله له » . فقال عقبـةُ : وأنـا سمعتُـه يقول ذلـك ، وكان نَبّاشًا .

وفي رواية [١] عن حذيفة مختصرا : أنه عليه السلام قال في الـدجـال : « إنَّ معـه مـاءً وناراً ، فناره ماءٌ بارد ، وماؤه نار ، فلا تَهْلِكوا » .

قال أبو مسعود : وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ .

ولمسلم [٢] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لأنا أعلمُ بما مع الدجـال منـه ، معـه نهران يجريان ، أحدهما : رأيَ العينِ ماءٌ أبيضُ ، والآخرُ : رأيِ العينِ نارٌ تأجَّجُ ، فـإمـا أدركَنَّ أحَدٌ فليأت النهرَ الذي يراه ناراً ، وليُغَمِّضْ ، ثمّ ليُطَـأْطِئ رأسَـهُ فليشربْ منه ، فإنه ماءٌ باردٌ ، وإن الدجالَ ممسوحُ العينِ ، عليهـا ظَفَرَةٌ غليظـةٌ ، مكتوبٌ بين عينيه كافر ، يقرؤه كلُّ مؤمن ، كاتِب وغير كاتبٍ » .

وفي روايـة لمسلم [٣] قـال : قـال رسول الله ﷺ : « الـدجـالُ أعورُ العين اليُسرَى ، جُفالُ الشَّعَر ، معه جَنَّةٌ ونارٌ ، فنارُه جَنَّةٌ ، وجنَّتُه نارٌ » .

وفي رواية أبي داود [٤] قال : اجتمع حذيفةُ ، وأبو مسعود ، فقال حذيفـة : لأنـا بمـا مع

(الامتحاش) : الاحتراق ، امتحشت النار العظم : إذا أحرقَتْهُ .

(راحًا) : يوم راح : كثير الريح شديده .

(فاذروه في اليم) : أي : فرّقوه في البحر وألقوه فيه ، كما يذرى الطعام ، واليمُّ : البحر .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٩) ، في الموضع السابق .

(٢) المصدر السابق .

(تأجج) النار : اتّقادها .

(ظَفَرَة) : الظفرة ـ بالتحريـك ـ جُلَيـدة تغشى العين نـاتئـة من الجـانب الـذي يلي الأنف على بيـاض العين إلى سوادها .

(٣) المصدر السابق .

(شعر جفال) : كثير ملتفّ .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٥ ، ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

الدجال أعلمُ منه ، إنّ معهُ بحراً من ماء ، ونهراً من نار ، فالذي ترون أنه نار مـاءٌ ، والـذي ترون أنه ماء نارٌ ، فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماءَ فليشرب من الذي يرى أنّه نـارٌ ، فـإنـه سيجده ماء قال أبو مسعود : هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول .

١٠٤٨ ـ * روى مسلم عن أنس بن مـالـك رضي الله عنـه أن النبيَّ ﷺ قـال : « يَتْبَـعُ الدَّجالَ من يهودِ أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطَّيالِسةُ » . قال النووي في شرح مسلم : وأصبهان بفتح الهمزة وكسرها وبالباء وبالفاء . ا . هـ .

أقول : في الحديث إشعار لأهل عصرنـا بـأكثر من معنى ، فهؤلاء اليهود الـذين يتـابعون الدجّال ويأتون معه يوم ظهوره إلى القدس حيث تكون عاصمة الخلافة الإسلاميّـة هم الـذين تتحدّث عنهم النصوص أنّ الحجر والشجر يدلاّن المسلم على مكان الواحد منهم ليقتله ماعـدا شجر الغرقد .

وكون الخلافة الإسلاميّة عاصمتها القدس وقتذاك فذلك يشير إلى أنّ دولة اليهود الحاليّـة لن تستمرّ في فلسطين ، وكون هذا العدد الكبير من اليهود سيخرج من أصبهان فـذلـك يشير إلى هجرة لليهود لبلاد إيران من جديد ، وفي ذلك كلّه إشارة إلى أنّ هناك بعداً نسبيّا بيننـا وبين ظهور الدجّال ونزول عيسى ابن مريم وظهور المهدي إذا كان المهدي سيظهر بين يـدي نزول المسيح عيسى ابن مريم .

١٠٤٩ ـ * روى مسلم عن أبي الـزبير رحمـه الله سمـعَ جـابرَ بنَ عبـدِ الله رضي الله عنـه يقـول : أخْبَرَتْني أم شَريـك : أنهـا سَمِعَتْ رسـول الله ﷺ يقـول : « لَيَفِرَّنَّ النـاسُ من الدَّجّال في الجبال » .

قالت أم شَريك : قلتُ : يارسولَ الله ، فأيْنَ العربُ يومئذ ؟ قال : « هم قليلٌ » .

أقول : في هذا الحديث إشارة أخرى إلى أنّ بيننا وبين ظهور الدجّال بعدًا نسبيّا فالعرب

١٠٤٨ ـ مسلم (٤ / ٢٢٦٦) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٥ ـ باب في بقية من أحاديث الدجال .

١٠٤٩ ـ مسلم ، في الموضع السابق .

والترمذي (٥ / ٧٢٣) ٥٠ ـ كتاب المناقب ، ٧٠ ـ باب مناقب في فضل العرب .

اليوم كثير وهـذا يجعلنـا نستشعر خطورة الأحـداث العـالميّـة والمحليّـة على العرب بين يـدي الساعة .

١٠٥٠ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قـال : قـال رسول الله ﷺ : « ألا أُحدِّثُكم حديثًا عن الدّجال ماحدَّث به نبيّ قومَـه ؟ إنَّـه أعورُ ، وإنـه يَجيءُ بمثال الجنةِ والنار ، فـالّتي يقول : إنها الجنـةُ : هي النـار ، وإني أُنـذِرُكُم به ، كما أَنْذَرَ به نوحٌ قومَه » .

١٠٥١ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قـال : حـدَّثنـا رسول الله ﷺ حديثًا طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حَدَّثنا به أن قال : « يأتي الـدجـالُ وهو محرَّم عليه أن يدْخُلَ نِقاب المدينة ، فينتهي إلى بعضِ السِباخ التي بالمدينـة ، فيخرج إليه يومئذ رجل هُوَ خَيْرُ الناس ـ أو مِنْ خيرِ الناسِ ـ فيقول : أشهدُ أنَّك الدَّجالُ الذي حدَّثنا عنكَ رسولُ الله ﷺ حـديثَـه . فيقول الـدَّجـال : أرأيتم إن قتَلْتُ هـذا ، ثم أحيَيْتـهُ ، هَـلْ تَشكُّـون في الأمر ؟ فيقـولـون : لا . فيقتُلُـه ، ثم يُحييـهِ ، فيقول حين يحييـه : واللهِ مـا كنتُ قَـطُّ أشـدَّ بصيرةً مني اليوم . فيقـول الدجال : اقْتُلْه . ولا يُسَلَّطُ عليه » .

ولمسلم [1] قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الـدجـالُ ، فيتوجَّـهُ قِبَلَـه رجُلٌ من المؤمنين ، فَتَلْقاه الْمَسَالِحُ ـ مَسَالِحُ الدَّجال ـ فيقولون لـه : أين تَعْمِـدُ ؟ فقـال :

١٠٥٠ ـ البخـاري (٦ / ٣٧٠ ، ٣٧١) ٦٠ ـ كتـاب الأنبيـاء ، ٣ ـ بـاب قـول الله عـز وجـل : ﴿ ولقـد أرسلنـا نـوحًـا إلى قومه ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

١٠٥١ ـ البخاري (٤ / ٩٥ ، ٩٦) ٢٩ ـ كتاب فضائل المدينة ، ٩ ـ باب لا يدخل الدجال المدينة .

مسلم (٤ / ٢٢٥٦) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢١ ـ باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧) ، في الموضع السابق .

(السباخ) : الأراضي التي لا تُنبتُ المرعى .

(بصيرة) البصيرة : المعرفة واليقين .

(المسالح) : جمع مسلحة ، وهم قوم معهم سلاح ، والمسلحـة : كالثغـر والمرقَب وهو الـذي يكون فيـه قوم يرْقُبُون العدو ، لئلا يهجم عليهم ، ويسمى بالأعجمية : اليَزَك . =

أعمِدُ إلى هذا الذي خرج ». قال : « فيقولون له : أوَمَا تؤمِنُ بربِّنا ؟ فيقول : مابربِّنا خفاءٌ . فيقولون : اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض : أليسَ نهاكم رَبّكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ » قال : « فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : ياأيُّها الناسُ ، هذا الدجال الذي ذكرَ رسولُ الله ﷺ » . قال : « فيأمُرُ الدجالُ به فَيُشَجُّ ، فيقول : خذوه وشُجُّوه . فيوسَعُ ظَهْرُهُ وبطنه ضربًا » . قال : « فيقول : أما تؤمنُ بي ؟ فيقول : أنت المسيحُ الكذّابُ ؟ » قال : « فيؤمَرُ به ، فيؤشَرُ بالمئشار من مَفْرِقِه حتى يُفَرَّقَ بين رجليه » . قال : « ثم يمشي الدجالُ بين القطعتين » . قال : « ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا » . قال : « ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ماازددت فيكَ إلا بصيرةً ؟ » قال : « ثم يقول : ياأيها الناس : إنه لا يُفْعَل بعدي بأحدٍ من الناس » . قال : « فيأخذه الدجال ليذبَحَه ، فَيُجعَلُ مابين رَقَبَتِهِ إلى تَرقُوَتِهِ نُحَاسًا ، فلا يستطيعُ إليه سبيلاً » . قال : « فيأخُذُ بيديه ورجليه فَيقذِفُ به ، فيحسَبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلْقي في الجنة » . فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادةً عند ربِّ العالمين » .

١٠٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن نبي إلا وقد أنذرَ أُمَّته الأعورَ الكذّابَ ، ألا إنه أعورُ ، وإنَّ ربَّكم عز وجل ليس بأعورَ ، مكتوبٌ بين عينيه (ك ف ر) » .

وفي رواية لمسلم (١) : أنّ نَبيَّ الله ﷺ قال : « الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر » .

وفي أخرى(٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ :« الدجال ممسوح العين مكتوبٌ بين عينيه

= (فيؤشر) : أشرته بالمئشار ، وشرته : إذا شققته به .

١٠٥٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٨٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ١٧ ـ باب قول الله تعالى ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

والترمذي (٤ / ٥١٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٢ ـ باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وأبو داود (٤ / ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال .... إلخ .

(٢) المرجع السابق .

(كافر) » . ثم تهجّاها « (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم » .

وفي رواية لأبي داود (١) « بين عينيه كافر » .

وفي أخرى (٢) « يقرؤه كل مسلم » .

١٠٥٣ ـ * روى البخاري ، عن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كُنَّا نَتَحدَّثُ عَنْ حَجة الوَدَاعِ ، والنبيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَلاَ نَدْرِي مَاحَجَّةُ الوداعِ ، حَتَّى حَمِدَ اللهَ رسول الله ﷺ وأثنى عَلَيهِ ، ثمَّ ذَكَرَ المسيحَ الدَّجالَ ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : « مَابَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إلا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ : أَنْذَرَهُ نُوحٌ والنَّبيونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّه يَخْرُجُ فِيكُم ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُم مِنْ شَأْنهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُم ، إنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنه عِنَبَة طَافِيَةٌ ، أَلا إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُم دمَاءَكم وَأَمْوَالكم ، كحرْمَة يَوْمِكُم هَذا ، في بَلَدِكُم هَذَا ، أَلاَ هَلْ بَلَّغتُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثَلاثًا ـ « ويلكُم » ـ أو « ويْحَكُمْ ـ انْظُرُوا ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بَعْضُكم رِقَابَ بعض » .

وروى مُسْلِم طَرَفًا مِنْه (٣) ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « ويْحَكُم » أوْ قَالَ : « وَيْلَكُمْ ـ لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يضْرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ » .

قال البخاري (٤) : وقال هشام بنُ الغاز : عن نافعٍ عن ابن عمر : وَقَفَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجمَراتِ في الحجَّةِ التي حَجَّ فيها ، وقال : « أيُّ يومٍ هذا ؟ » ـ وذكر نحو ماسبق أولاً ـ وقال : « هذا يومُ الحَجِّ الأكبرِ » . فطَفِق النبيُّ ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . ثُمَّ وَدَّعَ النَّاسَ ، فقالوا : هذه حَجَّةُ الوَداعِ » .

أقول : (ويحكم ـ أو قال : ويلكم ـ) : قال القاضي : هما كلمتان استعملتها العرب بمعنى

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(٢) المرجع السابق .

١٠٥٣ ـ البخاري (٨ / ١٠٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ، ٧٧ ـ باب حجة الوداع .

(٣) مسلم (١ / ٨٢) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٢٩ ـ باب بيان معنى قول النبي ﷺ ..... إلخ .

(٤) البخاري (٣ / ٥٧٤) ٢٥ ـ كتاب الحج ، ١٣٢ ـ باب الخطبة أيام منى .

التعجب والتوجع . قال سيبويه : ويل : كلمة لمن وقع في هلكة . وويح : ترحم . وحكي عنه : ويح : زجر لمن أشرف على الهلكة .

١٠٥٤ ـ * روى أحمد عن عائشةَ أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ جَهدًا يكون بين يدي الدجال فقالوا : أيُّ المالِ خيرٌ يومئذ ؟ قال : « غلامٌ شديدٌ يَسقي أهلَه الماءَ وأما الطعامُ فليس » . قالوا : فما طعام المؤمنين يومئذ ؟ قال : « التسبيحُ والتكبيرُ والتهليلُ » . قالت عائشةُ : فأين العربُ يومئذ ؟ قال : « العربُ يومئذ قليلٌ » .

١٠٥٥ ـ * روى أحمد ، عن أبي بَكرةَ قال : قال رسول الله ﷺ « الدجالُ أعور عينِ الشمالِ بين عينيه مكتوبٌ كافرٌ يقرؤه الأميُّ والكاتبُ » .

١٠٥٦ ـ * روى أبو داود ، عن عِمران بنِ حُصَين رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّال فَلْيَنْأَ منه ، فوالله : إن الرجلَ ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنه مؤمن ، فيتبعُه ، مما يَبْعَثُ به من الشبهات ، أو لما يَبعَثُ به من الشبهاتِ » .

١٠٥٧ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن المغيرةِ بنِ شُعبةَ رضي الله عنه ، قال : ماسأل أحدٌ رسول الله ﷺ عن الدجال أكثرَ مما سألتُه ، وإنَّه قال لي : « مايَضُرُّكَ منه ؟ » قلتُ : إنَّهم يقولون : إنَّ معه جَبَلَ خُبزٍ ، ونهرَ ماءٍ . قال : « هو أهْوَنُ على الله من ذلك » .

وفي رواية (١) : قال لي : « يابُنَيَّ ، ومايُنْصِبُكَ منه ؟ إنه لن يضُرَّك » . قال :

١٠٥٤ ـ مسند أحمد (٦ / ٧٥ ، ٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

١٠٥٥ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٥٦ ـ أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده صحيح .

١٠٥٧ ـ البخاري (١٣ / ٨٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٦ ـ باب ذكر الدجال .

مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٢ ـ باب في الدجال ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨) ، في الموضع السابق .

(ماينصبك) : النَّصَب : التعب ، أي مايتعبك منه .

قلتُ : إنهم يَزْعُمون أنّ معه أنهارَ الماء ، وجبالَ الخبز . قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

وفي أخرى [1] : إنهم يقولون : إنّ معه جبالَ خبز ولحم ، ونهرَ ماءٍ قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

علق ابن حجر على قوله عليه الصلاة والسلام: « هو أهون على الله من ذلك » :

« قال عِياض : معناه هو أهون من أن يجعل مايخلقه على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوب الموقنين ، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويرتاب الذين في قلوبهم مرض فهو مثل قول الذي يقتله ماكنت أشد بصيرة مني فيك ، لا أن قوله « هو أهون على الله من ذلك » أنه ليس شيء من ذلك معه ، بل المراد أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه ، ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه مِنْ حَدَثِهِ ونَقْصِه . قلت : الحامل على هذا التأويل أنه ورد في حديث آخر مرفوع « ومعه جبل من خبز ونهر من ماء » أخرجه أحمد والبيهقي في البعث من طريق جُنادة بن أبي أمية عن مجاهد قال : انطلقنا إلى رجل من الأنصار فقلنا حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثنا عن غيره . فذكر حديثًا فيه « تمطر الأرض ولا ينبت الشجر ، ومعه جنة ونار فناره جنة وجنته نار ومعه جبل خبز ... » الحديث بطوله ورجاله ثقات ، ولأحمد من وجه آخر عن جنادة عن رجل من الأنصار : « معه جبال الخبز وأنهار الماء » ولأحمد من حديث جابر : « معه جبال من خبز والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران » الحديث ، فدل ماثبت من ذلك على أن قوله : « هو أهون على الله من ذلك » ليس المراد به ظاهره وأنه لا يجعل على يديه شيئًا من ذلك ، بل هو على التأويل المذكور » اهـ (فتح الباري) .

١٠٥٨ ـ * روى الترمذي ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : حدّثنا رسول الله ﷺ قال : « الدجالُ يخرج من أرض بالمشرق يقال لها : خُراسان يتّبعُه أقوامٌ كأن

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ، في الموضع السابق .

١٠٥٨ ـ الترمذي (٤ / ٥٠٩) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٧ ـ باب ماجاء من أين يخرج الدجال .

وجوهَهم المجانُّ المطْرَقةُ » .

١٠٥٩ ـ * روى مسلم ، عن عامرِ بنِ شُراحيلَ الشعبي رحمه الله ، أنه سأل فاطمةَ بنتَ قيسٍ أُخْتَ الضحاكِ بنِ قيسٍ ـ وكانت من المهاجرات الأُوَل ـ فقال : حَدِّثيني حديثًا سمعتيه من رسول الله ﷺ ، لا تُسنديه إلى أحدٍ غيره . فقالتْ : لئن شئتَ لأَفْعَلَنَّ . فقال : أجل حدِّثيني . فقالت : نكحتُ ابن المغيرةِ وهو من خِيار شباب قريشٍ يومئذ ، فأُصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلما تأيَّمتُ خطبني عبدُ الرحمن بنُ عوف في نَفَر من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاهُ أُسامةَ بنِ زيدٍ ، وكنتُ قد حُدِّثْتُ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من أَحَبَّني فليُحبَّ أسامةَ » . فلما كلَّمني رسول الله ﷺ قلتُ أمري بيدكَ فأَنكحْني مَنْ شئتَ . فقال : « انتقلي إلى أم شريك » . وأُمُّ شريك امرأةٌ غنيّة من الأنصار ، عظيمةُ النفقةِ في سبيل الله ، ينزل عليها الضِّيفان ، فقلتُ : سأفعلُ . قال : « لا تفعلي ، إنَّ أمَّ شريك كثيرةُ الضيفان ، فإني أكره أن يَسقُطَ عنكِ خِمارُك ، أو يَنْكَشِفَ الثوبُ عن ساقَيكِ ، فيرى القومُ منكِ بعضَ ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمِّكِ عبد الله بن عمرو بن أمِّ مكتوم » . وهْو رجل من بني فِهْر ـ فهر قريش ـ وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلتُ إليه ، فلما انقضتْ عِدَّتي سمعتُ نداء المنادي ـ منادي رسول الله ﷺ ـ ينادي : الصلاةَ جامعةً . فخرجتُ إلى المسجد ، فصلَّيتُ مع رسول الله ﷺ ، فكنتُ في النساء التي تَلي ظهورَ القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يَضْحَكُ ، فقالَ : « لِيَلْزَمْ كلُّ إنسانٍ مُصَلاه » . ثم قال : « أتدرون لِمَ جَمَعْتُكم ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « إني والله ما جَمَعْتُكم لِرَغْبَةٍ ، ولا لِرَهْبَةٍ ، ولكن جمعتُكم لأن تَميمًا الداريَّ كان رجلاً نصرانيًا ، فجاء فبايَعَ وأسلم ، وحدَّثني حديثًا وافَقَ الذي كنتُ أُحدِّثكم عن المسيح

= وهو حديث حسن . وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

(المجان المطرقة) : المجان جمع مِجَنّة ـ وهو الترس ، والمُطْرَقة ـ التي ضوعف عليها العَقبُ وأُلبسته شيئًا فوق شيء ، يقال : أطرقْتُ التُّرسَ : إذا فعلت به ذلك ، وطارقت النعل : إذا جعلتها طبَقًا فوق طبق وخصفتها .

١٠٥٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٦١ ـ ٢٢٦٤) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب قصة الجساسة .

(تأيمت) : المرأة : مات زوجها ، أو فارقها .

(المسيح الدجال) : الدَّجال : الكذَّاب ، وهو اسم لهذا الرجل المشار إليه في الشرائع ، وقيل سمي به لتوييهه على =

الدجال ، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينـة بَحريَّـة مع ثلاثينَ رَجُلاً من لَخْم وجُـذام ، فلعب بهم المـوجُ شهراً في البحر ، ثم أرْفَـؤُوا إلى جـزيرة في البحر حتى مَغْرِبِ الشمس ، فجلسوا في أَقْرُبِ السفينة ، فدخلوا الجزيرةَ ، فَلَقِيَتْهم دابةٌ أَهْلَبُ ، كثيرُ الشَّعْر ، لا يدرون مـاقُبُلـه من دُبُرِه ، فقـالوا : ويْلَـكِ ، مـاأنتِ ؟ قـالت : أنـا الجسَّاسةُ . قالوا : ومـاالجسَّـاسـةُ ؟ قـالت : أيُّهـا القوم : انطلقوا إلى هـذا الرجل الذي في الدَّيْر ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سَمّت لنا رجلاً ، فَرِقنا منهـا أن تكون شيطانةً . قال : فانطلقنـا سِراعًـا حتى دَخَلْنـا الـدَّيْرَ ، فـإذا فيـه أعظمُ إنسان رأيناه قَطُّ خَلْقًا ، وأشَدُّه وِثاقًا ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، مابين ركبتيـه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ماأنت ؟ قال : قد قـدرتُم على خبري ، فـأخبروني : ماأنتم ؟ قالوا : نحن أناسٌ من العرب ، رَكِبنا في سفينةٍ بحريـة ، فصـادَفْنـا البحرَ حين اغْتَلَم ، فلعب بنـا الموجُ شهراً ، ثم أرفـأنـا إلى جزيرتِـك هـذه ، فجلسنـا في أَقْرُبِها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتْنا دابةٌ أَهْلَبُ ، كثيرُ الشَّعْر ، لا نـدري مـاقُبُلـه من دبره من كثرة الشَّعَر ، فقلنـا : ويلـك مـاأنتِ ؟ فقـالت : أنـا الجسـاسـةُ قلنـا : ومالجساسةُ ؟ قالت : اعمـدُوا إلى هـذا الرجل الـذي في الـدَّيْر ، فـإنـه إلى خَبَرِكم بالأشواق . فأقبلنا إليك سِرَاعًا ، وفَزِعنـا منهـا ، ولم نَـأْمَنْ أن تكون شَيطـانـة .

= الناس وتلبيسه ، يقال : دَجّلَ : إذا لبّس ومَوّه ، وإنما سُمِيَ مَسِيحًا ، لأن إحـدى عينيـه ممسوحـة لا يُبْصِر بهـا ، والأعور يسمى مسيحًا ، وأما تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح ، فقيل : لمسح زكريا عليـه السلام إيـاه ، وقيل : لأنه يمسح الأرض ، أي يقطعها ، وقيل : لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وقيل : المسيح الصّدّيق .

(أرفأت) : السفينة : قرّبتها إلى الشط وأدنيتها من البر ، وذلك الموضع مرفأ .

(أقرُب) : القـارب : سفينـة صغيرة تكون إلى جـانب السفن البحريـة يستعجلون بهـا حوائجهم من البرّ ، وتكون معهم خوفًا من غرق المركب فيلجؤون إليها ، فأما « أقرب » فلعله جمع قارب . قـال الخطـابي : إنّه جمع على غير قياس .

(أهلَب) : الهلَب : ماغلُظ من الشَّعْر ، والأهلَب : الغليظ الشَّعْر الخشِن .

(الجسّاسة) : فعّالة من التجسس ، وهو الفحص عن بواطن الأمور ، وأكثر مايقال ذلك في الشر .

قال النووي : « سميت بذلك لتجسسها الأخبار للـدجـال ، وجـاء عن عبـد الرحمن بن عمرو بن العـاص أنهـا دابـة الأرض المذكورة في القرآن » اهـ .

(فرِقنا) : خفنا .

(اغتلام) : البحر : اضطراب أمواجه واهتياجه . =

فقال : أخبروني عن نخل بَيْسانَ . قلنا : عن أيِّ شأنها تَسْتَخْبِرُ ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يُثْمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنَّه يوشِكُ أن لا تُثْمِرَ ، قال : أخبروني عن بُحيرة الطَّبرية . قلنا : عن أيِّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماءٌ ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهبَ ، قال : أخبروني عن عين زُغَر . قالوا : عن أيِّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماءٌ ، وهل يَزْرَعُ أهلُها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرةُ الماء ، وأهلُها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبيِّ الأُمِّيين ، مافَعَل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يَثْرِبَ . قال : أقاتَلَهُ العربُ ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صَنعَ بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظَهَرَ على من يليه من العرب ، وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إنَّ ذاكَ خَيْرٌ لهم أن يُطيعوه ، وإني مُخْبِرُكم عني ، أنا المسيح ، وإني أوشِكُ أن يُؤذَنَ لي في الخروجِ ، فأَخْرُجَ فأسيرَ في الأرض ، فلا أدَعُ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلةً ، غيرَ مكةَ وطيبةَ ، فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردتُ أن أدخلَ واحدةً ، أو واحداً منهما ، استقبلني مَلَك بيده السيفُ صَلْتاً يَصُدُّني عنها ، وإنَّ على كل نَقْب منها ملائكةً يَحرسونها » . قالت : قال رسول الله ﷺ - وطعن بمخْصرته في المنبر - : « هذه طَيبةُ ، هذه طَيْبَةُ » - يعني : المدينة - « ألا هل كنتُ حدَّثتكم عن ذلك ؟ » فقال الناس : نعم . قال : « فإنه أعجبني حديث تميم : أنَّه وافق الذي كنتُ أُحدِّثكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ ، ألا إنَّه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قِبَل المشرق ، ماهو من قبل المشرق ، ماهو » . وأوما بيده إلى المشرق . قالت : فحفِظْتُ هذا من رسولِ الله ﷺ .

= (عين زغر) : بلدة في الجانب القبلي من الشام .

(الأمي) : الذي لا يعرف الكتابة ، وكذلك كانت العرب ، وسُمِّي رسولُ الله ﷺ أميًا لذلك ، وكأنه في الأصل منسوب إلى أمه ، أي على حالته التي ولدته أمُّه عليها .

(صَلْتًا) : الصلت : المسلول من غمده ، المهيَّأ للضرب به .

(أنقابها) : النقب : الطريق في الجبل ، وجمعه : أنقاب ونقاب .

(المِخصَرَةُ) : عصا ، أو قضيب ، أو سوط ، كانت تكون بيد الخطيب أو الملكِ إذا تكلم .

(لا ، بل من قبل المشرق ماهو) : « ما » زائدة ، لا نافية ، والمراد : إثبات أنه في جهة المشرق .

وفي رواية (١) : ثم قالت : فنودي في النـاس : إنَّ الصلاةَ جـامعـة . قـالت : فـانطلقت فيمن انطلق من النـاس . قـالت : فكنتُ في الصف المقـدَّم من النسـاء ، وهو يلي المؤخَّرَ من الرجـال . قـالت : فسمعتُ النبيَّ ﷺ وهـو على المنبر يخطُبُ ، فقـال : « إن بني عَمّ لتميم الداريِّ رَكِبوا في البحر .. » وساق الحديث ، وفيه : قـالت : فكأنمـا أنظر إلى النبيِّ ﷺ وأهوى بمخصرته إلى الأرض ، وقال : « هذه طَيْبَةُ » يعني المدينةَ .

وفي رواية (٢) قالت : قَدِمَ على رسول الله ﷺ تميمٌ الداريُّ ، فأخبر رسولَ الله ﷺ : أنَّهُ رَكِبَ البحرَ ، فتـاهَتْ بـه سفينتـه ، فسقـطَ إلى جـزيرة ، فخرج إليهـا يلتمسُ المـاء ، فلقي إنسانًا يَجُرُّ شعره ... واقتص الحديث ، وفيه : ثم قال : أما إنَّه لو قد أُذن لي في الخروج قـد وطئتُ البلادَ كلَّها غيرَ طيبةَ . فأخرجه رسولُ الله ﷺ إلى النّاس فحدَّثهم ، وقـال : « هـذه طَيبة ، وذاك الدجال » .

وفي أخرى (٣) : أنَّ رسول الله ﷺ قعدَ على المنبر ، فقـال : « أيُّهـا النـاسُ ، حـدَّثني تميم الـداريُّ : أن أُنَـاسًـا من قومـه كانـوا في البحر في سفينـةٍ لهم فـانكسرت بهم ، فركب بعضهم على لوح من ألـواح السفينـة ، فخرجـوا إلى جـزيرة في البحر ... » وساق الحديث .

وفي روايـة أبي داود (٤) : قـالت : سمعتُ منـادي رسـولِ الله ﷺ ينـادي : إن الصـلاةَ جامعة ... وساق الحديث ، نحو مسلم إلى قوله : « مجموعـة يـداه إلى عنقـه » . ثم قـال ... فذكر الحديث ، وسـألهم عن نخل بَيْسـان ، وعن عيون زُغَرَ ، وعن النبيِّ الأُمي ، قـال : إني أنـا المسيـح ، وأنَّـه يـوشِـك أن يـؤذَنَ لي في الخروج ، قـال النبيُّ ﷺ : « وإنَّـه في بحر الشـام ، أو بحر اليمن ، لا ، بـل من قبـل المشرق ، مـا هـو » ـ مرتين ـ وقـالتْ : حفظتُ هذا من رسولِ الله ﷺ ... وساق الحديث .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥) ، ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب قصة الجساسة .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٦٥) ، في الموضع السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٨ ، ١١٩) كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة .

ولـه في أخرى [1] قـال الشعبيُّ : أُخبرتْني فـاطمـةُ بنت قيسٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ صلّى الظهر ، ثم صَعِـد المنبر ، وكان لا يصعَـدُ عليه إلا يوم الجمعة قبلَ يـومئـذ ... ثم ذكر هـذه القصة .

وله في أخرى [2] : أنّ رسول الله ﷺ أخّرَ العشاءَ الآخرةَ ذاتَ ليلةٍ ، ثم خرج ، فقال : « إنـه حَبَسني حـديثٌ كان يُحَـدِّثُنيـه تميمٌ الـداريُّ عن رجل كان في جـزيرة من جزائر البحر ، فإذا بامرأة تجُرُّ شعرها ، فقال : ماأنتِ ؟ قـالت : أنـا الجسَّـاسَـةُ ، اذهب إلى هذا القصر . فأتيته ، فإذا رجل يجرُّ شعره ، مسلسلٌ في الأغلال ، ينْزُو فيما بين السماء والأرض ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ قـال : أنـا الـدجـال ، خرج نبي الأمِّيين بعـدُ ؟ قلت : نعم . قـال : أطـاعوه ، أم عصَوهُ ؟ قلت : بل أطـاعـوه . قال : ذلك خير لهم » .

وَرواه الترمـذي [3] ، وهـذا لفظـه : قـالت : إن نبيَّ الله ﷺ صَعِـدَ المنبر ، فضحـك، فقال : « إن تميمًا الداريَّ حدَّثني بحديثٍ ، ففرحت ، فأحببتُ أن أحدِّثكم . إن ناسًا من أهل فِلَسْطين ركبوا سفينة في البحر ، فجالت بهم حتى قـذفتهم في جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هُمْ بدابّة لَبَّاسة ناشرة شعرها ، فقالوا : ماأنتِ ؟ قـالت : أنـا الجساسة . قالوا : فأخبرينـا . قـالت : لا أخبركم ولا أستخبركم ، ولكن ائتوا أقصى القرية ، فإنَّ ثَمَّ من يخبركم ويستخبركم . فـأتينـا أقصى القريـة ، فـإذا رجلٌ موثَق بسلسلة ، فقال : أخبرُوني عن عين زُغَر . قلنا : ملأى تَدْفُقُ . قال : أخبروني عن نخـل بيسـان الـذي بين الأردنّ وفلسطين ، هـل أطعَمَ ؟ قلنـا : نعَم . قـال : أخبروني عن النبيّ ﷺ ، هل بُعث ؟ قلنا : نعم . قال : أخبروني ، كيف النـاس إليه ؟ قلنا : سِراعٌ . فنزا نَزْوةً ، حتى كاد ، قلنا . فما أنت ؟ قال : أنا الدجال . وإنَّه يدخل الأمصار كلَّها ، إلا طيبةَ » . وطَيبةُ : المدينةُ .

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٩) ، في الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ١١٨) ، في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٢١ ، ٥٢٢) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٦ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .

=

أقول : ورد في الحديث قول الدجال : (وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة) يؤيد ماذكرناه أن مكثه في الأرض أربعون يومًا عادية ، لكن لشدة الهول والبلاء والفتنة بخروجه يكون اليوم الأول على الناس كسنة واليوم الثاني كشهر واليوم الثالث كجمعة في الشدة ثم بعد ذلك يألف الناس الحدث وتذهب عنهم شدة الصدمة ، ومما يستأنس به لما ذهبنا إليه حديث لابن ماجه ، يذكر أن مكثه في الأرض أربعون سنة فهذه الرواية يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة - التي تذكر أن مكثه أربعون يومًا - بأن المراد أربعون سنة في الشدة وهي أربعون يومًا في المدة

١٠٦٠ - * روى مسلم ، عن حميدِ بن هلالٍ ، رضي الله عنه ، عن رَهْطٍ - منهم أبو الدهماء وأبو قتادةَ - قالوا : كُنّا نَمرُّ على هشامِ بنِ عامرٍ ، نأتي عِمرانَ بنَ حُصينٍ ، فقالَ ذات يوم : إنّكم لتجاوزوني إلى رجال ماكانوا بأحْضَرَ لرسول الله ﷺ مِنّي ، ولا أعْلَمَ بحديثه مني ، سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « مابين خَلْقِ آدمَ إلى قِيام الساعة خلقٌ أكْبَرُ من الدَّجّال » .

وفي رواية (١) : « أمرٌ أكبرُ من الدجال » .

١٠٦١ - * روى الترمذي ، عن مُجَمِّعِ بنِ جاريةَ الأنصاري رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَقتلُ ابنُ مريمَ الدَّجالَ بباب لُدٍّ » .

١٠٦٢ - * روى أحمد ، عن عبدِ اللهِ بنِ حوالةَ أن رسول الله ﷺ قال : « من نجا من

= (النَّزْو) : الوثوب : نزا ينزو نَزواً ، والنَّزْوة : المرة الواحدة .

(حتى كاد) : أي : أن يتخلص من الوثاق .

١٠٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم : (٤ / ٢٢٦٧) ، في الموضع السابق .

١٠٦١ - الترمذي (٤ / ٥١٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٢ - باب ماجاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٦٢ - مسند أحمد (٤ / ١١٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة .

ثلاثٍ فقد نجا » ثلاثَ مراتٍ « موتي والدجالُ وقتلُ خليفةٍ مُصْطَبِر بالحقِّ يُعْطيه » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « وقتل خليفةٍ مُصْطَبِرٍ بالحق يعطيه » . إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه فمن نجا من المشاركة في قتله أو الرضا في قتله فإنه يكون قد نجا من مهلكة من المهلكات ، اللهم انّا نبرأ إليك من قتله ومن قتلته ، وفي النص معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

١٠٦٣ - * روى أحمد ، عن عائشةَ قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال : « مايُبكيك ؟ » قلت : يارسولَ الله ، ذَكرتُ الدجالَ فبكيتُ . فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يَخرج وأنا فيكم كُفيتُموه وإن يخرجْ بعدي فإن ربَّكم عز وجل ليس بأعورَ إنه يخرج من يهوديةِ أصبهان حتى يأتيَ المدينةَ فينزل ناحيتَها ولها يومئذ سبعةُ أبوابٍ على كل نَقْبٍ منها ملكان فيخرج إليه شِرار أهلِها حتى يأتيَ الشامَ مدينةَ فلسطينَ بباب لد فينزل عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام فيقتُله ويَمكُث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا » .

١٠٦٤ - * روى أحمد ، عن ابنِ عباسٍ عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال : « أعورُ هِجَانٌ أَزْهَرُ كأنّ رأسَهُ أَصَلَةٌ أشبهُ الناسِ بعبدِ العُزَّى بن قَطَنٍ فإما هَلَكَ الهُلَّكُ فإن رَبَّكم تبارك وتعالى ليس بأعورَ » .

١٠٦٣ - مسند أحمد (٦ / ٧٥) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٨) . وقال : رواه أحمد ورجال رجاله الصحيح غير الحضرمي بن لاحق ، وهو ثقة .

١٠٦٤ - مسند أحمد (١ / ٢٤٠) .

والمعجم الكبير (١١ / ٣٣٧) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه : أحمد والطبراني ، ورجالها رجال الصحيح .

(هِجَان) : الهجان : الأبيض .

(أزهر) : أي أبيض .

(الأَصَلَة) : الحية العظيمة ، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية .

(هُلَّك) : بالضم والتشديد جمع هالك ، أي فإن هلك به ناس جاهلون وضلوا فاعلموا أن الله ليس بأعور فكأنه قال فكيفما كان الأمر فإن ربكم ليس بأعور ، أي منزه عن النقائص والعيوب .

وفي رواية (١) عند الطبراني عن النبي ﷺ قال : « رأيت الدّجالَ هِجَانًا ضَخْمًا فَيْلَمَانِيًّا كأن شعرَه أغصانُ شجرةٍ أعورُ كأنَّ إحدى عينيه كوكب الصُّبحِ أشبهُ بعبدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ رجلٍ مِنْ خُزاعةَ » .

١٠٦٥ ـ * روى أحمد ، عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجالَ فقال : « إحدى عَينيهِ كأنها زُجَاجَةٌ خَضْراءُ وَتَعَوذُوا بالله من عذابِ القبرِ » .

١٠٦٦ ـ * روى أحمد ، عن جُنَادَةَ بنِ أبي أميةَ قال : أتينا رجلاً من الأنصارِ من أصحاب النبي ﷺ فدخلنا عليه فقلنا : حدثنا ماسمعتَ من رسول الله ﷺ ولا تُحدِّثنا ماسمعتَ من الناسِ فَشَدَّدنا عليه ، فقال : قامَ رسول الله ﷺ فينا فقال « أُنْذِرُكم المسيحَ وهو مَمْسوحُ العين » أحْسَبُهُ قال العينَ اليسرى ـ « تسيرُ معه جبالُ الخبزِ وأنهارُ الماء علامَتُه يَمْكُثُ في الأرضِ أربعين صباحًا ، يَبْلُغُ سلطَانُهُ كلَّ مَنْهَلٍ ، لا يأتي أربعةَ مساجدَ الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى والطُّور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعورَ » قال ابنُ عونٍ أحسَبُهُ قال : « يُسَلَّطُ على رجل فَيقتُلُه ثم يُحييه ولا يُسَلَّطُ على غيره » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « يمكث في الأرض أربعين صباحًا : يؤيد ماذكرناه عن أن أيامه أيام عادية ، لكن بعضها يُشْعِرُ بطوله لشدة البلاء وقوة الصدمة .

وأما قوله : « ولا يسلَّطُ على غيره » أي : ثم لا يسلط على غيره .

---

(١) المعجم الكبير (١١ / ٣١٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(فيلمانيًا) : الفَيْلَم من الرجال العظيم ، وقيل : عظيم الجمة .

١٠٦٥ ـ مسند أحمد (٥ / ١٢٣ ، ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٦٦ ـ مسند أحمد (٥ / ٤٣٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٧ ـ * روى أحمد ، عن أبي قِلابة قال : رأيتُ رجلاً بالمدينة قد أطافَ الناسُ بهِ وهو يقولُ : قالَ رسول الله ﷺ ـ فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ ـ قال : فسمعته وهو يقولُ : « إن بعدَكُم الكذّابَ المضلَّ وإنّ رأسَه من ورائه حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ وإنه سيقولُ : أنا رَبُّكم . فَمَنْ قال : لستَ بربنا ولكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شَرِّكَ ، لم يكنْ لهُ عليهِ سُلْطان » .

١٠٦٨ ـ * روى أحمد ، عن مِحْجَن بنِ الأَدْرَع أن رسول الله ﷺ قال : « يومُ الخَلاصِ وما يومُ الخلاص ، يومُ الخلاص وما يومُ الخَلاص » . ثلاثًا ، فقيلَ له : وما يومُ الخلاص ؟ قال : « يَجيء الدجالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فيقولُ لأصحابه : أترون هذا القصرَ الأبيضَ ، هذا مسجدُ أحمدَ ثم يأتي المدينةَ فيجدُ بكل نَقْبٍ منها مَلَكًا مُصْلِتًا فيأتي سَبْخَةَ الجرف فيضربُ رواقَه ثم تَرْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رَجَفاتٍ فلا يبقى مُنافقٌ ولا مُنافقةٌ ولا فاسقٌ ولا فاسقةٌ إلا خرجَ إليه فذلك يومُ الخلاصِ » .

١٠٦٩ ـ * روى البزار ، عن الفلتان بن عاصم قال قالَ رَسولُ الله ﷺ : « أُريتُ ليلةَ القَدْرِ ثم أُنْسيتُها ورأيتُ مسيحَ الضَّلالة فإذا رجلان في أَنْدَر فلانٍ يتلاحيان فحجزتُ بينهما ، فأُنْسيتُها ، فاطْلُبوها في العشر الأواخِر ، وأما مَسيحُ الضَّلالةِ فرجلٌ أجْلى الجبهةِ ممسوحُ العينِ اليسرى عريضُ النَّحْرِ كأنهُ عبدُ العُزّى بنُ قَطنٍ » .

١٠٧٠ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنّ النبيَّ ﷺ قال : « لَتُقاتِلُنَّ اليهودَ ، فلَتقْتُلُنَّهم ، حتى يقولَ الحجرُ : يامسلم ، هذا يهوديٌّ

١٠٦٧ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٧٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(حُبُكٌ) : أي شعر رأسه متكسر من الجعودة .

١٠٦٨ ـ مسند أحمد (٤ / ٣٣٨) .

مجمع الزوائد (٣ / ٣٠٨) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٨) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٠٧٠ ـ البخاري (٦ / ١٠٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٩٤ ـ باب قتال اليهود .

=

فتعالَ فاقتلْهُ » .

وفي أخرى [١] قال : « تَقْتَتِلون أنتم ويهودُ ، حتى يقولَ الحجرُ : يامسْلِمُ ، هذا يهوديٌّ ورائي ، تعالَ فاقتله » .

وفي أخرى [٢] : « تقاتلُكم اليهودُ فتُسَلَّطُون عليهم ... » الحديث .

١٠٧١ - * روى مسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ ، فيقتُلُهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجَر والشجر ، فيقول الحجرُ أو الشجرُ : يامسلم ، ياعبدَ الله ، هذا يهودِيٌّ خَلْفي ، تعال فاقْتُلْه . إلا الغَرْقَدَ ، فإنه من شجر اليهود » .

وفي رواية [٣] أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا اليهودَ ، حتى يقولَ الحجرُ وراءَه اليهوديُّ : يامسلم ، هذا يهوديٌّ ورائي ، فاقْتُلْهُ » .

أقول : الظاهر أن هذين الحديثين ينطبقان على اليهود الذين يأتون مع الدجال كما ورد في روايات أخرى ، قد مرّت معنا ، وليسا في اليهود الذين يحتلّون فلسطين الآن ، فهؤلاء سينتهون ويخرجون . والله أعلم .

١٠٧٢ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَيَنْزِلَنَّ الدجالُ بخُوزانَ وكِرْمَانَ في سبعينَ ألفًا وجُوهُهُم كالمَجَانِّ المُطْرَقَةِ » .

= مسلم (٤ / ٢٢٣٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .
والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ماجاء في علامة الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(٢) البخاري (٦ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة ... إلخ .
ومسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .
والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ما جاء في علامة الدجال .

١٠٧١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ..... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ١٠٣) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٤ - باب قتال اليهود .

١٠٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) . قال ابن كثير : إسناده جيد قوي حسن . =

١٠٧٣ - * روى أحمد ، عن جابر بن عبدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَخرُجُ الدجَّالُ في خِفَّةٍ من الدِّين ، وإدبارٍ من العِلم ، وله أربعون يومًا يَسيحُها في الأرض اليومُ منها كالسَّنَة ، واليومُ منها كالشَّهر ، واليومُ منها كالجُمُعة ، ثم سائرُ أيَّامِه كأيَّامِكم هذه وله حمارٌ يَرْكَبُه ، عَرْضُ مابين أُذُنَيْه أربعون ذِراعًا فيقولُ للناسِ : أنا رَبُّكم . وهو أعوَرُ . وإنَّ رَبَّكم ليس بأعورَ . مكتوبٌ بين عَينيهِ : (كافر) ، ك ف ر ، مُهَجَّاةً ، يَقرؤه كلُّ مؤمنٍ كاتب وغير كاتب يَرِدُ كلَّ ماءٍ ومَنْهَلٍ إلا المدينةَ ومكَّةَ حَرَّمهما الله تعالى عليه ، وقامَتِ الملائكةُ بأبوابها . ومعه جبالٌ من خُبْز ، والناسُ في جَهْدٍ إلا مَنْ تَبِعَه . ومعَه نَهْرانِ أنا أعلم بهما منه . نَهْرٌ يقولُ : الجنَّةُ . ونَهْرٌ يقولُ : النارُ . فمن أُدخِلَ الذي يُسميه الجنَّةَ فهو النارُ ، ومن أُدخِلَ الذي يُسميه النارَ فهو الجنَّة ويَبْعَثُ اللهُ معه شياطينَ تُكلِّمُ الناسَ ومعَهُ فِتنةٌ عظيمةٌ : يأمرُ السماءَ فتُمطِرُ فيما يَرى الناسُ ، ويقتُلُ نَفْسًا ثم يُحييها فيما يَرى الناسُ ، لا يُسلَّطُ على غيرها من الناس . ويقولُ : ياأيُّها النَّاسُ هل يَفعَلُ مثلَ هذا إلا الرَّبُّ عزَّ وجلَّ ؟ فيَفِرُّ المسلمون إلى جَبَل الدُّخَان بالشام ، فيَأتيهم فيُحاصِرهُم فيَشتدُّ حِصارُهم ، ويَجْهَدُهم جَهْدًا شديداً .

ثم يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم مِنَ السَّحَر ، فيقول : ياأيها النَّاسُ مايَمنَعكم أن تَخرُجُوا إلى الكذَّابِ الخبيث ؟ فيقولون : هذا رَجُل جِنّي . فَينطلقون فإذا هُمْ بعيسى ابنِ مريمَ عليه السلام ، فتُقامُ الصلاة ، فيقال له : تَقدَّم ياروحَ الله .

= مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالهما ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس . ورواه البزار أتم .

١٠٧٣ - مسند أحمد (٣ / ٣٦٧ ، ٣٦٨) .

والمستدرك (٤ / ٥٣٠) . وصححه ورجاله ثقات .

قال الشيخ عبد الفتاح : (وقال الذهبي في « تلخيص المستدرك » ٤ : ٥٣٠ « هو على شرط مسلم » ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٤ وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، رجالُ أحدهما رجالُ الصحيح ») . انتهى . (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قال الشيخ عبد الفتاح : قوله (في خفة من الدين) : أي في حالِ ضعفٍ من الدين وقلَّة أهله .

(اليوم منها كالسنة) : هذا كناية عن شدَّة أذاه . =

فيقولُ : لِيَتَقدَّمْ إمامُكم فلْيُصَلِّ بكم . فإذا صَلَّى صلاةَ الصُّبح خَرَجُوا إليه . فحينَ يَراهُ الكذَّابُ يَنْماثُ كما يَنْماثُ المِلْحُ في الماء فَيمشي إليه فيَقْتُلُه ، حتى إن الشَّجَرَ والحَجَر يُنادي ياروحَ الله هذا اليهوديّ ، فلا يَترُكُ ممن كان يَتْبَعُه أحدًا إلا قَتَله » .

١٠٧٤ ـ * روى الحاكم عن حُذَيفَة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمُ بما مع الدجَّال منه ، معه نَهْرانِ أحدُهُما : نارٌ تأجَّجُ في عينِ من رَآه ، والآخَرُ ماء أبيضُ ، فإن أدركَه أحَدٌ منكم فليُغَمِّضْ . وليَشرَبْ من الذي يَراهُ نارًا فإنه ماء بارد ، وإياكم والآخَرَ فإنه الفِتْنَة واعلموا أنه مكتوبٌ بين عينيه (كافر) ، يقرأه مَن يَكتُبُ ومَنْ لا يَكْتُب ، وإنَّ إحدى عَيْنيه ممسوحةٌ ، عليها ظَفَرَةٌ ، إنَّهُ يَطْلُعُ مِن آخر أمره على بَطْنِ الأُردُنّ على ثَنِيَّةِ أَفِيقٍ ، وكلُّ واحدٍ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ بِبَطْنِ الأُردُنّ ، وإنَّهُ يَقتُلُ من المسلمين ثُلُثًا ، ويَهزِمُ ثُلُثًا ، ويُبقِي ثُلُثًا . ويَجُنُّ عليهم الليلُ فيقولُ بعضُ المؤمنين لبعض : ماتَنْتَظِرُون أن تَلْحقوا بإخوانِكم في مَرْضاةِ رَبِّكم ؟ مَنْ كان عنده فَضْلُ طعام

= (يَنْماثُ) : أي يختفي ويتوارى كما يذوب الملح في الماء . اهـ (التصريح) .

١٠٧٤ ـ المستدرك (٤ / ٤٩٠ ـ ٤٩٢) . وقال : صحيح على شرط مسلم .

ورواه ابن عساكر كما في « كنز العمال » .

ورواه مسلم مختصراً (٤ / ٢٢٤٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري .

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(نار تأجَّجُ) : أي تتوقَّدُ .

(ظَفَرَة) : الظَّفَرَةُ : لحمة تنبت عند موق العين وقد تمتد إلى سواد العين فتغشّيه .

قوله : (إنه يَطلُعُ مِن آخِرِ أمْرِه على بَطْنِ الأُرْدُنّ) : هو بمعنى قوله في الحديث السابق (ثم يسيرُ حتى يأتيَ الشام) : إذ الأردنُّ من الشام .

(ثنية أفيق) : الثَّنِيَّةُ هنا معناها : العَقَبَة ، وهي المرتفَعُ العالي من الأرض . فيكون (ثَنِيَّةُ أفيق) بمعنى (عقَبَةُ أفيق) . قال العلامة ياقوت في « معجم البلدان » عند ذكر (أفيق) :

« هي قرية من حَوْران في طريق الغَوْر في أوّل العقبة المعروفة بعقبة أفيق تَنْزِلُ في هذه العقبة إلى الغَوْر وهو الأُرْدُنُّ وهي عقبة طويلة نحو ميلين » .

قوله : (وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببَطْنِ الأردنّ) : يعني : تَجَمُّع المسلمين في أرض الشام يَومئذٍ .

(ويجن عليهم الليل) : أي : يَسترهم الليل بسواده . =

فلْيعُدْ بـهِ على أخيـه ، صَلُّـوا حِينَ يَنْفَجِرُ الفجرُ ، وعَجِّلُـوا الصـلاة ثم أقبلُـوا على عَدُوِّكم فلمَّا قاموا يُصَلُّون نَزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام أمامَهم فصَلَّى بهم ، فلما انصرف قال : هكذا أفْرِجُوا بيني وبين عَـدُوِّ الله » . قـال أبو حـازم : قـال أبو هريرة رضي الله عنه : فَيَـذُوبُ كما تَـذُوبُ الإهـالَـةُ في الشمسِ . وقـال عَبـدُ الله بن عَمْرو رضي الله عنـه : كما يـذوبُ المِلْـحُ في المـاء . « ويُسلِّـطُ اللهُ عليهم المسلمين فيَقْتُلُـونَهم ، حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ لَيُنادِي : ياعَبْد الله ياعَبْـدَ الرحمنِ يـامُسْلِمُ هـذا يهودي فـاقْتُلْـه . فيفنِيهم اللهُ تعـالى ويَظْهَرُ المسلمـون ، فيَكسِرون الصَّليبَ ، ويَقْتلـون الخنزيرَ ، ويَضَعُون الجِزْيَة فبينما هم كذلـك إذْ أخرجَ اللهُ يـأجوجَ ومـأجوجَ ، فيَشْرَبُ أوَّلُهم البُحَيْرَةَ ، ويجيءُ آخرُهم وقد انتشَفُوه فما يَـدَعُونَ فيـه قَطْرةً ، فيقولون : قـد كان هاهنا أثَرُ ماءٍ .

فَيجيءُ نبيُّ الله وأصحابُه وراءه حتى يَدْخُلُوا مَدِينةً مِن مدائنِ فِلَسْطِين يُقـالُ لهـا : لُـدّ . فيقولون : ظَهَرنـا على مَنْ في الأرض فتعـالَوْا نُقـاتِـلْ منْ في السَّماء ! فيَدْعُو الله نَبيَّهُ عند ذلك ، فيَبْعَثُ اللهَ قَرْحـةً في حُلوقِهم ، فلا يَبْقَى منهم بَشَرٌ ، فتُؤذي رِيحُهُم المسلمين ، فيدعو عيسى ـ صلواتُ الله عليه وسلامهُ ـ عليهم فيُرْسِلُ اللهُ عليهم رِيحًا فتَقْذِفُهم في البحرِ أجمعين » .

١٠٧٥ ـ * روى ابن ماجه عَنْ أبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ؛ قَالَ : خَطَبَنَا رسول الله ﷺ فَكَـانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّال . وَحَذَّرَنَاهُ . فَكَـانَ مِنْ قَوْلِـهِ أَنْ قَـالَ : « إِنَّـهُ لَمْ

= (فليعد به على أخيه) : أي : فليقدّمه إلى أخيه .

قولـه : (فصلى بهم) : أي صَلَّى معهم مقتديًا بإمامهم . ومجيءُ البـاء بمعنى (مع) شائع في لغة العرب ، قـال تعالى : « يانوحُ اهْبطْ بسلامٍ منّا » أي : مع سلامٍ منا .

وهذا التأويل موافق للحديث : « وإمامُكم منكم » ، وموافق للأحاديث التي أفادتْ أنَّ سيدنا عيسى يقتدي بإمام تلك الصلاة التي أُقيمت ، وهي صلاة الفجر .

قوله (قال : هكذا أفرجوا بيني وبين عدو الله) أي أشار بيده قائلاً : أخلُوا بيني وبينه .

(الإهالةُ) : كلُّ دُهْنٍ يُؤْتدمُ به .

(فيشرب أولهم البحيرة) : أي بُحَيْرة طبريَّة .

(انْتَشفُوه) : أي شربوا الماء كلَّـه . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

١٠٧٥ ـ ابن مـاجـه (٢ / ١٣٥٩ ـ ١٣٦٣) ، ٣٦ ـ كتـاب الفتن ، ٣٣ ـ بـاب فتنـة الـدجـال وخروج عيسى ابن مريم . =

تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرض ، مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ . وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إلا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ . وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاء . وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ . وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لا مَحَالَةَ . وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي ، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ . واللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنَّهُ يَخْرجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالاً . يَاعِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا . فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاه نَبِي قَبْلِي . إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ : أَنَا نَبِي وَلا نَبِيَّ بَعْدِي . ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَلا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتى تَمُوتُوا . وَإِنَّه أَعْوَرُ . وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْه : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِه أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ . فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الكَهْفِ . فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا . كَما كَانَت النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَته أَن يَقُولَ ، لأعْرَابِيٍّ : أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وأُمِّهِ . فَيَقُولانِ : يَابُنَيَّ اتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ . وَإِن مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ،

= وإسناده قوي .

وساق أبو داود سنده ـ وهو سند صحيح ـ إلى أبي أمامة عن النبي ﷺ ثم قال : « نحوه ، وذكَرَ الصلوات مثلَ معناه » يعني نحو حديث النَّوَّاس بن سمعان .

وحديث النواس بن سمعان رواه أبو داود (٤ / ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

وصحّحه ابن خزيمة .

ورواه الحاكم : المستدرك (٤ / ٣٥٦ ، ٥٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأقره الذهبي .

وأورد الحافظ ابن حجر جُمَلاً منه في « فتح الباري » مستشهدًا بها ، فهو عنده حديث صحيح أو حسن .

قال الشيخ عبد الفتاح (قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨١ بعد أن ساق الحديث من رواية ابن ماجه بكامله : « هذا حديثٌ غريبٌ جدًا من هذا الوجه ، ولبعضه شواهدُ من أحاديث أخر ، ثم ساق رحمه الله تعالى شواهدَ لبعضه من « صحيح مسلم » اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قوله : (وإن من فتنته أنّ معه جنةً ونارًا ، فنارُه جنةٌ وجنتُه نارٌ) :

قال الشيخ عبد الفتاح : (قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٨٨ : وهذا يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ، فإمّا أن يكون الدجّال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه ، وإمّا أن يجعل اللهُ باطن الجنة التي يُسخِّرها الدجالُ نارًا ، وباطنَ النارِ جنّة ،وهذا الراجحُ) اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

فَيَقْتُلَهَا ، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ . ثُمَّ يَقُولَ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هـذَا . فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي . فَيَبْعَثُهُ اللهُ . وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللهُ ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللهِ . أَنْتَ الدَّجَّالُ . واللهِ مَاكُنْتُ ، بَعْدُ ، أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ » .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ : فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ . ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : « ذلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ » .

قَالَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَاللهِ ! مَاكُنَّا نُرَى ذلِكَ الرَّجُلَ إلا عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّاب . حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ .

قال الْمُحَارِبِيُّ : ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ ، فَلا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إلا هَلَكَتْ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ ، فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ ، مِنْ يَوْمِهِم ذلِكَ ، أَسْمَنَ مَاكَانَتْ وَأَعْظَمَهُ ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا . وَإِنَّهُ لاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إلا وَطِئَهُ وظَهَرَ عَلَيْهِ ، إلا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، لا يأتيها مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إلا لَقِيَتْهُ الْمَلائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الأَحْمَرِ ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاثَ رَجَفَاتٍ . فَلا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلا مُنَافِقَةٌ إلا خَرَجَ إِلَيْهِ . فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ . وَيُدْعَى ذلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلاصِ » .

= (نقب) : هو طريق بين جبلين .

(صلتة) : أي مجردة . يقال : أصلت السيف ، إذا جرّده من غمده . وضربه بالسيف صَلْتًا وصُلْتًا .

(الظريب) : تصغير ظرب ، بوزن كتف . والظراب الجبال الصغار .

(السبخة) : هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

(ترجف) : أصل الرجف الحركة والاضطراب . أي تتزلزل وتضطرب .

(الخبث) : هو ماتلقيه النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا . =

فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ : يَارَسُولَ اللهِ ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ . وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقدِسِ . وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ ، فَرَجَعَ ذلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ ، يَمْشِي الْقَهْقَرى ، لِيَتَقَدَّمَ عِيسى يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَيَضَعُ عِيسى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَت . فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : افْتَحُوا الْبَابَ . فَيُفْتَحُ ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفِ يَهُودِيٍّ ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا . وَيقُولُ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبقَنِي بهَا . فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ ، فَلا يَبْقَى شَيءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يهودِيٌّ إِلا أَنْطَقَ اللهُ ذلِكَ الشَّيءَ ، لا حَجَرَ وَلا شَجَرَ وَلا حَائِطَ وَلا دَابَّةَ (إِلا الْغَرْقَدَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ ، لا تَنْطِقُ) إِلا قَالَ : يَاعَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ ! هَذَا يَهُودِي فَتَعَالَ اقْتُلْهُ » .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً . السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ . والسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ . وآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ . يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَلا يَبْلُغُ بَابَهَا الآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ » . فَقِيلَ لَهُ : يَارَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْقِصَارِ ؟ قالَ : « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الطِّوَالِ ، ثُمَّ صَلُّوا » . قَالَ رسول الله ﷺ : « فَيَكُونُ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ

(ينكص) : النكوص الرجوع إلى الوراء . وهو القهقرى .

(وساج) : الساج هو الطيلسان الأخضر . وقيل : الطيلسان المقوّر ، ينسج كذلك .

(لن تسبقني بها) : أي لن تفوتها علي .

(باب اللدّ) : في النهاية : لدّ موضع بالشام ، وقيل بفلسطين .

(الغرقدة) : هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك .

(كالشررة) : واحدة الشرر . وهو مايتطاير من النار .

فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلاً ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا . يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ ، فَلا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلا بَعِيرٍ . وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ ، فَلا تَضُرُّهُ . وَتُفِرُّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ ، فَلا يَضُرُّهَا . وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا . وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلأُ الإِنَاءُ مِنْ الْمَاءِ . وَتَكُونَ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً ، فَلا يُعْبَدُ إِلا اللهُ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا . وَتَكُونَ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ . حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ . وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فتشبعُهُمْ . وَيَكُون الثورُ بِكَذَا وَكَذَا ، مِنَ الْمَالِ . وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ » قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ ! وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ ؟ قَالَ : « لا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا » قِيلَ لَهُ : فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ ؟ قَالَ : « تُحْرَثُ الأَرْضُ كُلُّهَا . وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ . يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نبَاتِها . ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا . ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ

= (حكمًا) : أي حاكمًا بين الناس .

(مقسطًا) : أي عادلاً في الحكم .

(يدق الصليب) : أي يكسره بحيث لايبقى من جنس الصليب شيء .

(ويذبح الخنازير) : أي يحرم أكله ، أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد والحاصلُ أنه يبطل دين النصارى .

(ويضع الجزية) : أي لا يقبلها من أحد من الكفرة ، بل يدعوهم إلى الإسلام .

(ويترك الصدقة) : أي الزكاة ، لكثرة الأموال .

(فلا يسعى) : قال في النهاية : أن يترك زكاتها فلا يكون لها ساع .

(حمة) : بالتخفيف السّمّ . ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة ، لأن السمّ منها يخرج .

(تُفِرّ) : أي تحمله على الفرار .

(وتُسْلَبُ قُرَيشٌ مُلْكَها) : أي : تستردُّه من أيدي الكفرة والظلمة ، لأن المهديّ من قريش .

(كفاثور الفضة) : : الفاثور : الخوان . وقيل : هو طست أوجام من فضة أو ذهب .

(القِطْف) : المنقود . وهو اسم لكل مايقطف كالذّبح والطّحن . =

السَّماءَ ، فِي السَّنَـةِ الثَّـالِثَـةِ ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَـا كُلَّـهُ ، فَلا تَقْطُـرُ قَطْرَةٌ ، وَيَـأْمُرُ الأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ نَبَـاتَهَـا كُلَّـهُ ، فَـلا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ . فَـلا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكَتْ إلا مَاشَاءَ اللهُ » . قِيلَ : فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذٰلِكَ الزَّمَـانِ ؟ قَـالَ : « التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَيُجْرَى ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ » .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَـافِسِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْـدَ الرَّحْمٰنِ الْمُحَـارِبِيَّ يَقُولُ : يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هذَا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصِّبْيَانَ فِي الْكُتَّابِ .

١٠٧٦ ـ * روى الحاكم عن حُـذَيفـةَ بنِ أَسِيـدٍ رضي الله عنـه ، قـال أبو الطُّفَيلِ الليثيُّ : كنتُ بالكوفة ، فقيل : قد خَرَجَ الدَّجَّالُ ! فأتينا حُذَيفَةَ بنَ أَسِيَد ، فقلتُ : هـذا الـدجَّـالُ قدْ خرَجَ ! فقال : اجلِسْ فجلستُ ، فنُودِيَ إنَّهُ كَذِبَةُ صَبَّاغ .

فقال حُذَيفة : إنَّ الدجَّالَ لو خَرَجَ في زمانِكم لرمَتْهُ الصِّبيانُ بالخَذَف ، ولكنه يَخرجُ في نَقْصٍ من الناس ، وخِفَّةٍ من الدّين ، وسُوء ذاتِ بَيْنٍ ، فيَرِدُ كلَّ مَنْهَلٍ ، وتُطْوَى لَـه الأرضُ طيَّ فَرْوَةِ الكَبْش حتى يأتي المدينةَ فيَغلِبَ على خارجِهـا ، ويُمنَعَ داخِلَهـا ، ثم جَبَلَ إيليـاء فيُحاصِرَ عصابةً من المسلمين .

فيقولُ لهم الذي عليهم : ماتَنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تَلْحقوا بـالله أو يُفتَحَ

= (فلا تقطر قطرة) : في المصباح : يتعدى ولا يتعدى . هـذا قول الأصمعيّ . وقـال أبو زيـد : لا يتعـدى بنفسـه . بل بالألف .

(الظِّلف) : في المنجد : هو لما اجترّ من الحيوانات كالبقرة والظبي ، بمنزلة الحافر للفرس .

١٠٧٦ ـ المستدرك (٤ / ٥٢٩ ، ٥٣٠) . وقال : هـذا حـديث صحيح الإسنـاد وأقره الـذهبي . والحـديث موقوف لفظًـا ، مرفوع حكمًا .

قال الشيخ عبد الفتاح .

(كذبة صَبَّاغ) أي كَذِبَةُ كذَّاب . وأطلقوا لفظ الصبَّاغ على الكذّاب لأنـه يصْبُغُ الحـديث ، أي يُلوّنـه ويُغيِّره كما يَفْعَلُ الصبَّاغ بالثياب .

(الخَذَفُ) : صِغَارُ الحَصَى .

(وسُوء ذاتِ بَيْنٍ) : أي يخرجُ والعداواتُ متأجّجةٌ بين الناس : الأقاربِ والأباعد .

(مَنْهَل) : المنهل : مَوْرِدُ الماء الذي يُشرَبُ منه .

(فَرْوَة الكَبْش) : أي جِلْدِ الكبش من الغنم . وهذا كناية عن سُرعة سيره في قطع المسافات .

(إيلياء) : مدينة بيت المقدس . ويعني بجَبَلها : جَبَلَ الطُّور .

=

لكم ؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيُصبحون ومعهم عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الدجّالَ ، ويَهزِمُ أصحابَه . حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ والمَدَرَ يقولُ : يامؤمنُ هذا يهودي عندي فاقْتُلْه .

قـال : وفيـه ثلاثُ علامـات ، هو أعور . وربُّكم ليس بـأعـور . ومكتـوبٌ بين عَينيـهِ : (كافر) ، يَقرأه كلُّ مؤمنٍ أُمّي وكاتبٍ ولا يُسخَّر له من المطايا إلا الحمـار ، فهو رِجْسٌ على رِجْس .

ثم قال : أنا لَغَيْرُ الدجّـالِ أخوفُ عليَّ وعليكم ! فقلنـا : مـاهو ؟ قـال : فِتَنٌ كأنهـا قِطَعُ الليل المُظْلِم . قال : فقلنـا : أيُّ النـاسِ فيهـا شَرٌّ ؟ قـال : كلُّ خطيبٍ مِصْقَعٍ ، وكلُّ راكبٍ مُوْضِع . قال : فقلنـا : أيُّ النـاس فيهـا خير ؟ قـال : كلُّ غنيّ خفي . قـال : فقلتُ مـاأنـا بالغنيّ ولا بالخفيّ ، قال : فكُنْ كابنِ اللَّبُون : لا ظَهْرَ فيُركَب ، ولا ضَرْعَ فيُحْلَب .

١٠٧٧ ـ * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ذُكِرَ عنده الدجّالُ فقال : يَفترق الناسُ عندَ خُروجه ثلاثَ فِرقٍ : فِرقـةٌ تَتْبَعُـه ، وفرقـةٌ تَلْحَقُ بـأرض آبـائهـا بمنـابتِ الشّيح ، وفِرقةٌ تأخُـذُ شَـطَّ الفُرات فيُقـاتِلُهم ويُقـاتِلُونـه حتى يَجتمع المؤمنون بقُرَى الشّـام ، فيَبعثون إليه طَليعةً فيهم فـارسٌ على فَرَسٍ أشقرَ أو أبلَق ، فيَقْتَلُون لا يَرجِعُ منهم أحَـدٌ . ثم إنَّ المَسيحَ عليه السلام يَنزِلُ فيَقْتُلُهُ .

= (فهو رِجْسٌ على رِجْس) : أي فهو قَذرٌ على قَذرٍ .

(خَطيب مِصْقَع) : أي كلُّ خطيبٍ بليغ اللسـان . ويريـد بـه الخطيبَ البليغ الـذي يَخْدَعُ ببلاغتـه وفصـاحتـه العقولَ والألباب ، فيُريها الباطل حقًا والحقَّ باطلاً .

(راكبٌ مُوضِعٌ) : أي مُسْرِع . ويريد به مَنْ يَخفُّ ويُسرِعُ في الفِتنة ونُصرة الباطل وتأييد دُعاته .

(كل غنيّ خَفيّ) : أي كلُّ غنيّ النَّفْس معتزلٍ عن الناس ، مُختفٍ عليهم مكانُه منقطعٍ إلى العبـادة والشغل بـأمور نفسه أيامَ الفِتَن والأهواء .

(اللبون) : الناقة ذاتُ اللَّبَن تُرضِعُهُ ولدَها . وابنُ اللَّبون هو ولدُهـا الصغير الـذي مـايزال يَرْضَعُ لبنَ أُمِّـه . فهو لصغره لا يُمكِن أن يُركَبَ عليه لقتال ونحوه ، ولا أن يكون فيـه لبنٌ ليُحلَب فيُتغـذّى بلبنـه . فيَبْقى بعيـداً عن أن يُستعانَ به في أمرٍ من أمور الفتنة . اهـ . من التصريح بما تواتر في نزول المسيح .

١٠٧٧ ـ المستدرك (٤ / ٤٩٦ ـ ٤٩٨) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ولم يتكلم عليه الذهبي بشيءٍ سوى أنه من رواية أبي الزَّعْراء عبـدِ الله بن هـانئ . انتهى . ولا شـكَّ أن أبـا الزعراء ثقةٌ ، كما صَرّح به في « التهذيب » وغيره ، فعدمُ تخريجها عنه لا يَضُرُّ بصحّةِ الحديث .

= قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

ثم يَخرجَ يأجوجَ ومأجوج فيَمُوجون في الأرض فيُفسدون فيها ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ﴾ (١) . ثم يَبْعَثُ اللهُ عليهم دابّةً مثلَ النَّغَف ، فتَدْخُلُ في أسماعِهم ومَنَاخِرِهم فيموتون منها ، فتُنتنُ الأرضُ منهم ، فيَجأرُ أهلُ الأرض إلى الله ، فيرسلُ اللهُ ماءً فيُطَهِّرُ الأرضَ منهم ، ثم يَبْعَثُ الله ريحًا فيها زمهريرٌ باردة ، فلا تَدَعُ على وجه الأرض مؤمنًا إلا كفَأَتْهُ تلك الريحُ . ثم تقوم السّاعةُ على شِرارِ النّاس .

ثم يقومُ مَلَكُ الصُّور بين السّماء والأرض ، فيَنْفُخُ فيه فلا يَبقَى خَلْقٌ لله في السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربُّك . ثم يكون بين النَّفختين ماشاء الله أن يكون ، فليس من بَني آدم خَلْقٌ إلا وفي الأرض منه شيء . ثم يُرسِلُ الله ماءً من تحتِ العَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَال ، فتَنْبُتُ جُسْمانُهم ولُحْمانُهم من ذلك الماء ، كما تَنْبُتُ الأرضُ من الرّي ، ثم قرأ عبدُ الله: ﴿ اللهُ الذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحَابًا فسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فأحيَيْنَا به الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ ﴾ (٢) .

ثم يقومُ مَلَكٌ بالصُّورِ بين السّماء والأرض ، فيَنْفُخُ فيه فتَنْطَلِقُ كلُّ نَفْسٍ إلى جَسَدِها حتى تَدخُلَ فيه ، فيقومون فيُجَبُّون تَجْبِيَةَ رَجُلٍ واحدٍ قيامًا لِربِّ العالمين . ثم يَتمثَّلُ اللهُ تعالى للخَلْقِ فيَلْقاهم ، فليس أحَدٌ مِن الخَلْقِ يَعْبُدُ مِن دونِ اللهِ شيئًا إلا وهو مرفوعٌ له يَتْبَعُه .

= تعليق الذهبي هذا على كلام الحاكم إنما علّقه على سياقة الحاكم هذه في كتاب الأهوال من « المستدرك » ٤ : ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ، ولكنّ الحاكم ساقه قبلَ ذلك في موضعين من كتاب الفتن ، ومن طريق أبي الزَّعْراء أيضًا ، مطوّلاً كسياقة كتاب الأهوال في ٤ : ٤٩٦ ـ ٤٩٨ ، ومختصراً في ٤ : ٥٥٦ ، وقال في كلا الموضعين : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وأقرّه الذهبي فرمز إلى أنه على شرطهما ، فكأنّ الذهبي جنَح في هذين الموطنين إلى إقرار الحاكم ذهابًا منه إلى أن أبا الزَّعْراء ثقة فهو على شرطهما من حيث كونه ثقة وإن لم يُخرجا له .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٠ بعد ذكره طرفًا من الحديث من رواية البيهقي من طريق أبي الزَّعْراء : ورواتُهُ ثقات إلا أنه موقوف » . اهـ (التصريح) .

والمعجم الكبير (٩ / ٤١٣ ـ ٤١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٨ ـ ٣٣٠) . وقال : رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح وقول النبي ﷺ : « أنا أول شافع » .

ورواه ابن أبي شيبة ، وعبْدُ بن حُميد ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في « البعث والنشور » : الدر المنثور ـ تفسير سورة القلم(٦ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(١) الأنبياء : ٩٦ . (٢) فاطر : ٩ .

فيَلْقى اليهودَ فيقول : ماكنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ عُزَيرًا ، فيقول : هل يَسرُّكم الماء ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنم كهيئةِ السَّراب ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وعَرَضْنَا جَهنَّمَ يومئذٍ للكافرين عَرْضًا ﴾ (١) .

ثم يَلْقى النَّصارىٰ فيقول : ماكنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : المَسيحَ ، فيقول : هل يَسرُّكم الماء ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنَّم كهيئة السَّراب .

ثم كذلك كلُّ مَنْ كان يَعْبدُ مِن دونِ الله شيئًا ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وقِفُوهم إنَّهم مَسْئُولون ﴾ (٢) .

ثم يَتمثَّلُ اللهُ تعالى للخَلْقِ حتى يَبْقَى المسلمون فيَلْقَاهم ، فيقول : مَنْ تَعْبُدُون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئًا ، فَيَنْتَهِرُهم مَرَّتين أو ثلاثًا فيقولُ : مَنْ تعبدون ؟ فيقولون : نعبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئًا ، فيقول : هل تَعرفون ربَّكم ؟ فيقولون : سبحانه إذ تَعرَّفَ لنا عَرَفناه ، فعند ذلك يُكشفُ عن ساق ، فلا يبقى مؤمنٌ إلا خَرَّ لله ساجدًا ، ويَبقى المنافقون ظُهورُهم طَبَقٌ واحدٌ ، كأنَّما فيها السَّفافيد ، فيقولون : رَبَّنا ! فيقول : قد كنتُم تُدْعَون إلى السُّجود وأنتم سالمون .

ثم يأمُرُ اللهُ سبحانه بالصراط ، فيُضرَبُ على جهنَّمَ ، فيَمرُّ الناسُ بقَدْرِ أعمالِهم زُمَرًا ، أوائلُهم كلَمْحِ البَرْق ، ثم كَمَرِّ الرِّيح ، ثم كَمَرِّ الطَّير ، ثم كأسرعِ البهائم ، ثم كذلك حتى يَمُرَّ الرجلُ سَعْيًا ، حتى يَمُرَّ الرجلُ مَشْيًا ، حتى يَجيءَ آخِرُهم رَجُلٌ يَتلَبَّطُ على بَطْنِه ، فيقول : يارَبِّ لِمَ أبطأتَ بي ؟ فيقول : لم أُبْطِئ بك ، إنما أبطأ بك عَمَلُك !

ثم يَأْذَنُ اللهُ تعالى في الشَّفاعة ، فيكون أوَّلُ شافع رُوح القُدُسِ جبريلَ ، ثم إبراهيمَ خليلَ الله ، ثم موسى ، أو قال : عيسى ، ثم يقومُ نبيُّكم رابعًا ، لا يَشفَعُ أحَدٌ بعده فيما يَشفعُ فيه وهو المقامُ المحمود الذي وعَدَه الله تعالى : ﴿ عَسَى أنْ يَبْعَثَك ربُّك مَقامًا محمودًا ﴾ (٣) .

فليس من نَفْسٍ إلا وهي تَنْظُرُ إلى بَيْتٍ في الجَنَّة ، وبَيْتٍ في النَّار ، وهو يومُ الحَسْرَة !

---

(١) الكهف : ١٠٠ .
(٢) الصافات : ٢٤ .
(٣) الإسراء : ٧٩ .

فيَرى أهلُ النار البيتَ الذي في الجنَّة فيقـال : لو عمِلتُم ؟ ! فتـأخُـذهم الحَسْرة ! ويُرَى أهلُ الجنَّة البيتَ الذي في النَّار فيقال : لولا أنْ مَنَّ الله عليكم .

ثم يَشفَعُ الملائكةُ والنَّبيُّون والشُّهداءُ والصالحون والمؤمنون فيُشَفِّعُهم اللهُ تعالى .

ثم يقـول الله : أنـا أرحَمُ الراحمين . فيُخرِجُ من النَّـار أكثَرَ ممـا أخرَجَ من جميـع الخلـق برحمته ، حتى لا يَترُكَ فيها أحدًا فيه خير . ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ ما سَلَككم في سَقَر * قـالوا لم نَكُ من المُصلِّين * ولم نَكُ نُطعِمُ المِسكينَ * وكُنَّـا نَخُوضُ مع الخـائضين * وكُنَّـا نُكذِّبُ بيوم الدِّيْنِ ﴾ [١] . فَعَقَدَ عبدُ الله بيده أربعًا ثم قال : هل تَرَوْنَ في هؤلاء أحـدًا فيـه خير ؟ لا ، وما يُتْرَكُ فيها أحَدٌ فيه خير !

فإذا أراد اللهُ أن لا يُخرِجَ منها أحدًا غَيَّر وجوهَهم وألوانهم ، فَيجيءُ الرَّجُلُ من المؤمنين فيَشفَع ، فيُقـالُ لـه : من عَرَفَ أحـدًا فلْيُخرِجْـهُ . فيَجيءُ الرجلُ فَيَنظُرُ فلا يَعرِف أحـدًا ، فيُنـاديـه الرجلُ فيقولُ : يـافلانُ أنـا فلان . فيقول : مـاأعْرِفُـك . فعنـد ذلـك يقـولـون : ﴿ رَبَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنَّـا ظـالمون ﴾ [٢] . فيقول عنـد ذلـك : ﴿ اخسَئُوا فيهـا ولا تُكَلِّمون ﴾ [٣] . فإذا قال ذلك أُطبِقَتْ عليهم فلا يَخرُجُ منهم أحَدٌ !

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(**الشّيح**) : يعني : البادية ، إذ الشِّيحُ : نَبْتٌ يَخرجُ في البادية .

(**الطَّليعةُ**) : جماعة يتقدَّمون الجيش ليكشفوا أحوال العدوّ .

(**أبلق**) : أي فيه سواد وبياض .

(**النغف**) : هو دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم .

(**يجأرون**) : أي يتضرَّعون إلى الله بالدُّعاء .

(**الزمهرير**) : شدَّةُ البرد ، ووَصْفُهُ بالباردة نظراً لمعناه وإشارة إلى بـالغ برودتـه . وفي

---

(١) المدثر : ٤٢ ـ ٤٦ .
(٢) المؤمنون : ١٠٧ .
(٣) المؤمنون : ١٠٨ .

رواية للحاكم : ٤ : ٥٥٦ ، « زمهريرٌ بارد » .

(كفأته) : أي أمالَتْهُ مَيتًا بلُطفٍ وراحة .

(الصُّور) : هو القَرْنُ الذي ينفخ فيه إسرافيلُ عليه السلام .

قوله : ﴿ فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء ﴾ :

« أي ليس من بني آدم مخلوقٌ إلا وفي الأرض جزءٌ منه . وهذا الجزء كما قال سفيان الثوري : « عَجْبُ الذَّنب » كما في « تذكرة القرطبي » و « مختصرها » للشعراني ص ٤٠ . وعَجْبُ الذَّنب ـ ويقال : عَجْمُ الذَّنب بالميم ـ : هو عَظْمٌ لطيف كَحبَّةِ الخردل في أصل الصُّلب ، وهو رأسُ العُصْعُص بين الأليتين ، وهو مكانُ الذَّنَب من الحيوانات ذوات الأربع ، كما قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٨ : ٤٢٤ .

وقد روى البخاري ٨ : ٤٢٤ ، ومسلم ١٨ : ٩٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كلُّ ابنِ آدم يأكُلُه التُّراب إلا عَجْبَ الذَّنَب ، ومنهُ خُلِقَ ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة » .

قال الحافظ ابن حجر : « قال الشيخ ابنُ عَقيل الحنبلي : لله عزَّ وجلَّ في هذا سِرٌّ لا نعلمه ، لأنَّ من يُظهِرُ الوجودَ من العَدَم لا يَحتاجُ إلى شيء يَبني عليه » . انتهى .

(كمَني الرجال) : أي من حَيْثُ شكلُه وصُورتُه ، لا من حيث الحقيقة . ويقالُ لذلك الماء : ماءُ الحياة ، ومَطَرُ الحياة .

(جسمانهم ولحمانهم) : أي أجسادُهم ولُحومُهم .

(من الرِّيِّ) : أي من ارتوائها بالماء . وفي رواية « من الثَّرى » أي التُّراب النَّديّ .

(فيُجبّون) : أي يَضعون أيديَهم على رُكَبِهم وهم قائمون . كما في « النهاية » .

(يتمثل الله تعالى للخلق) : أي يتجلَّى لهم سبحانه .

(السَّرابُ) : ماتراه في شِدَّة الحَرّ على وجه الأرض كالماء .

تعليقًا على قوله : (من كان يعبد من دون الله شيئًا) :

« وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ١٣ : ٣٥٧ ومسلم ٣ : ١٨ قوله ﷺ : « يَجمَعَ اللهُ الناس يوم القيامة فيقول : من كان يَعْبُدُ شيئًا فليَتْبَعْهُ ، فَيتْبَعُ من كان يعبدُ الشمسَ الشمس ، ويَتْبَعُ من كان يَعبُدُ القمرَ القمرَ ، ويَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطواغيت الطواغيت ، وتَبْقَى هذه الأُمّةُ فيها شافعوها » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري ١٣ : ٣٥٨ ، ومسلم ٣ : ٢٦ قوله ﷺ : « ثم ينادي منادٍ : لِيَذْهَبْ كلُّ قومٍ إلى ماكانوا يعبدون ، فيذهب أصحابُ الصّليب مع صليبهم ، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، فلا يَبقَى أحَدٌ كان يَعبُدُ غيرَ الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار » .

(إذا تعرّف لنا عرفناه) :

« أي إذا ظهر لنا على وجه لا يشبه المخلوقين ، في مُلكٍ لا ينبغي لغيره ، وعظمةٍ لا تشبه شيئًا من مخلوقاته : عرفناه أنه رَبُّنا سبحانه فيتجلّى لهم سبحانه ، فإذا تجلّى فلا يَبقَى مؤمنٌ إلا خرَّ لله ساجداً » .

تعليقًا على قوله : (فيكشف عن ساق) :

« وفي « صحيح مسلم » ٣ : ٢٧ ـ ٢٨ من حديث أبي سعيد الخدري قوله ﷺ : « فيُكشَف عن ساقٍ ، فلا يَبْقَى من كان يسْجُدُ لله من تلقاء نفسه إلا أذِنَ اللهُ له بالسجود ـ أي سَهّلَ له وهَوّنَ عليه ـ ولا يَبقَى مَنْ كان يَسجُدُ اتقاءً ورياءً إلا جَعَلَ اللهُ ظهرَهُ طبقةً واحدةً ، كلّما أراد أن يَسجُدَ خرَّ على قَفَاه » .

(**الطَّبقُ**) : جمعُ طَبَقةِ فقَارِ الظهر أي تستوي فقارُ ظهرهم فتصيرُ كالفَقارةِ الواحدة فلا تَنْثني ظهورُهم ولا يقدرون على السجود .

(**السفافيد**) : هي جمعُ سَفُّود ، وهو الحديدة التي يُشوَى فيها اللّحم .

(**يأمر الله سبحانه بالصراط**) : أي يأمر اللهُ سبحانه أن يُضرَبَ الجِسْرُ على جهنّم ليَعْبُرَ

المؤمنون عليه إلى الجنّة . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ١٣ : ٣٥٩ ومسلم ٣ : ٢٩ قلنا : يا رسول الله وكا الجسرُ ! قال : « مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ - أي تزْلَقُ عليه الأقدام وتَزِلُّ - عليه خَطَاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ - شَوْكٌ صُلبٌ من حديد - لها شوكة عَقيفَة - ملتوية - فيَمُرُّ المؤمنون عليه كطَرْفِ العين ، وكالبَرْق ، وكالرِّيح ، وكالطَّير ، وكأجاويد الخيل والرِّكاب ، فناجٍ مُسلَّمٌ ، ومَخْدُوشٌ مُرسَلٌ - أي مُطْلَقٌ من العذاب بعد أن أصابه - ومكدوسٌ - مدفوع مصروع - في نار جهنّم » .

(زمراً) : أي جماعات .

(سعيًا) : أي ركضًا .

(يتلبّط) : أي يتقلب على بطنه .

تعليقًا على قوله : (ثم يقوم نبيّكم رابعًا) :

قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٣٣٠ هذا مخالف للحديث الصحيح وقولِ النبي ﷺ : « أنا أوّل شافع » .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٦٩ عقب حديث ابن مسعود : وهذا الحديث لم يُصرَّح برفعه ، وقد ضعّفه البخاري وقال : المشهورُ قولُه ﷺ : « أنا أوّل شافع » . ثم قال الحافظ ابن حجر : وعلى تقدير ثبوته فليس في طُرُقه التصريحُ بأنه المقامُ المحمود . انتهى .

قلت : في السياقة المذكورة التصريحُ بذكر المقام المحمود ، فالحقُّ ماقاله الإمام البخاري والحافظ الهيثمي .

تعليقًا على قوله : (فيُرى أهل النار البيت الذي في الجنة ... ويُرى أهل الجنة البيت الذي في النار) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ أحَدٌ الجنّةَ إلا أُرِيَ مقْعَدَهُ من النّار - لو أساء - ليزداد شكرًا . ولا يَدْخُلُ النارَ أحَدٌ إلا أُرِيَ مَقعدَهُ من الجنّة -

لو أحْسَن ـ ليكون عليه حسرة » رواه البخاري ١١ : ٣٨٤ .

(فيه خير) : أي إيمان ولو كحبَّة خردل . يَعني : يُخرج اللهُ من النار ـ بعد خروج الذين عُذِّبوا فيها من المؤمنين بشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين ... ـ كلَّ من كان في قلبه إيمانٌ بالله ولو كحبَّة خردل ، ولكن بعد أن يُصيبَه من عذاب جهنَّمَ ما يُصيبه ! اهـ. (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

رأينا ملاحظة ابن حجر على بعض ماورد في حديث ابن مسعود الأخير وموافقة الشيخ عبد الفتاح له ، والحديث بشكل عام يعرض علينا مشاهد مما يكون قبل القيامة ومما يكون بعدها ، وكثير من مشاهده تحتاج إلى وضعها في الإطار الكلي لما يكون بين يدي الساعة ومابعدها ، وقد مرَّ معنا وسير معنا مايوضح هذا الإطار الكلي ، ونعرف محل كل جزء من الحديث بالنسبة للإطار الكلي .

والمشهور عند العلماء أن المقام المحمود هو الشفاعة لفصل الخطاب ثم الشفاعة لعبور الصراط ، ثم الشفاعة لدخول الجنة ، والحديث وصف المقام المحمود بغير ذلك ، وهو محمول على مقام محمود لرسول الله ﷺ عامة وليس المراد به المقام المحمود المخصوص بالذكر في النصوص ، ولا مانع أن تكون هناك شفاعة من الشفاعات يكون البادئ فيها جبريل عليه السلام ويكون رسولنا عليه الصلاة والسلام هو الرابع ، وهذه غير الشفاعة التي يكون فيها رسولنا عليه الصلاة والسلام هو أول الشافعين .

فوائد ومسائل

(١)

قال ابن كثير في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) :

وقد سأل سائل سؤالًا فقال :

ماالحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعواه الربوبية وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء وقد حذر منه جميع الأنبياء لم يذكر في القرآن ويحذر منه ويصرح باسمه وينوه بكذبه وعناده ؟

والجواب : من وجوه ، أحدها : أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [١] الآية .

قال أبو عيسى الترمذي [١] عند تفسيرها حدثنا عبد بن حميد حدثنا يعلى بن عبيد عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لم يَنْفَعْ نَفْسًا إيمَانُهَا لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أو كسبتْ في إيمانها خَيْرًا : الدجالُ والدابةُ وطلوعُ الشمسِ من المغربِ أو من مغربها » .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

الثاني : أن عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما تقدم وكما سيأتي وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى :

﴿ وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ومَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ من علم إلا اتباعَ الظن وَمَاقَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيمًا * وإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلا

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

(١) الترمذي (٥ / ٢٦٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٧ ـ باب « ومن سورة الأنعام » .

لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [١] .

وقد قررنا في التفسير أن الضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى أي سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافًا متباينًا ؛ فمن مدعي الإلهية كالنصارى ، ومن قائل فيه قولًا عظيمًا وهو أنه ولد ريبة وهم اليهود ، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء ...

وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال وهو ضد مسيح الهدى ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر كما هو مقرر في موضعه .

الثالث : أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له حيث يدعي الإلهية وهو ليس ينافي حالة جلال الرب وعظمتة وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر وأصغر وأدخر من أن يحكى عن أمر دعواه ويحذر ؛ ولكن انتصر الرسل بجناب الرب عز وجل فكشفوا لأممهم عن أمره وحذروهم مامعه من الفتن المضلة والخوارق المضمحلة فاكْتُفِيَ بإخبار الأنبياء ، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم ؛ ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم . ا . هـ (النهاية) .

(٢)

مرّ معنا حديث المغيرة بن شعبة والذي فيه عن الدجال : « وهو أهون على الله من ذلك » . وقد علق ابن كثير في النهاية على هذا الحديث فذكر رواية مسلم ، وذكر أن البخاري رواه أيضًا ، ومن كلامه :

عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، قال وما سؤالك ؟ قال : إنهم يقولون : إن معه جبالًا من خبز ولحم ونهرًا من ماء ؟ قال :

« هو أهون على الله من ذلك » .

---

(١) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩ .

وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار وناره ماء بارد وإنما ذلك في رأي العين ، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال مخرق مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء .

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم.والأرض فتنبت لهم زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سمانًا ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات . وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل . ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه . وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان فيضل به كثيرًا ويهدي به كثيراً ، يكفر المرتابون ، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا . وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث :

« هو أهون على الله من ذلك » .

أي هو أقل من أن يكون معه مايضل به عباده المؤمنين . وماذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم ، وإن كان معه مامعه من الخوراق . اهـ (النهاية) .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح أبوغدة :

وقد بيّنَ سيدُنا رسولُ الله ﷺ أوصافَ هذا الدجّال وأحوالَه.وأفعالَه ونهايتَه أوفى بيان ، ...

وإليك بعضَ أحوالِهِ كما ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٦ و ٨٩ ـ ٩٠ مما رواه ـ خاصّةً ـ الصحابيُّ الجليل أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه ، قال : إنّ النبي ﷺ قال:

« إنه يهودي ، وإنه لا يُولَد له ولد ، وإنه لا يَدْخُلُ المدينة ولا مكّة » . رواه

مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٥٠ ، « وإنَّ عينَه اليُمنَى عوراءُ ، جاحظة ، لا تَخفَى ، كأنها نُخاعةٌ ـ أي نُخامة ـ في حائطٍ مُجَصَّص ، وعينُه اليُسْرَى كأنها كوكبٌ دُريّ ـ يعني شِدَّةَ اتقادها ـ معه من كلِّ لِسان ، ومعه صُورةُ الجنَّةِ خضراءَ تَجري فيها الماء ، وصورةُ النارِ سوداءَ » . رواه أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٩ ، « وبَيْنَ يديه رَجُلانِ يُنذِرانِ أهلَ القُرَى ، كلما خَرَجَا من قرية دخَلَ أوائلُهُ » . رواه أبو يَعْلَى والبزّار .

وذكرَ الحافظُ ابن حجر موطنَ خروجه فقال في « فتح الباري » أيضًا ١٣ : ٧٩ : وسيكون خُروجُه مِن قِبلِ المشرق جزمًا ، ثم جاء في رواية أنه يَخرجُ مِن خُراسان ، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر ، وفي رواية أخرى : أنه يَخرجُ من أصبهان ، أخرجها مسلم . ويَخرجُ أولاً فيدَّعي الإيمانَ والصَّلاح ، ثم يدَّعي النُّبُوَّة ، ثم يدَّعي الإلهية !

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى في « فتح الباري » ١٣ : ٩١ - ٩٣ « قال الخَطّابي : فإنْ قيل : كيف يجوزُ أن يُجريَ اللهُ الآيةَ على يد الكافر ؟ فإنَّ إحياء الموتى آيةٌ عظيمةٌ من آياتِ الأنبياء ، فكيف ينالُها الدجّالُ وهو كذّابٌ مُفْتَرٍ يدَّعِي الربوبيّة ؟

فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعبّاد ، إذْ كان عندهم مايَدُلُّ على أنه مُبْطِلٌ غيرُ مُحقٍّ في دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوبٌ على جبهته : كافر ، يقرأه كلُّ مسلم . فدعواه داحضةٌ مع وَسْمِ الكفر ، ونقصِ الذاتِ والقَدْر ، إذ لو كان إلهًا لأزالَ ذلك عن وجهه وآياتُ الأنبياء سالمةٌ من المُعارَضة ، فلا يَشتبهان » .

ثم قال الحافظ ابن حجر بعد كلام الخطابي هذا : وفي الدجّال دلالةٌ بيِّنةٌ ـ لمن عقلَ ـ على كذبه ، لأنه ذو أجزاءٍ مؤلَّفة ، وتأثيرُ الصَّنْعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عَوَرِ عَيْنيه ، ـ أي عيبها ـ فإذا دعا النَّاسَ إلى أنه ربُّهم ، فأسْوأُ حال مَنْ يَراه مِن ذوي العقول أن يَعلم أنه لم يكن لِيُسَوِّيَ خَلْقَ غيره ويُعدِّلَه ويُحسِّنَه ولا يَدفعَ النقصَ عن نفسه . فأقلُّ مايجب أنْ يقول : يامَنْ يزعُمُ أنه خالقُ السماء والأرض ، صَوِّرْ نَفْسَك وعَدِّلْها ، وأزِلْ عنها العاهةَ ! فإن زعمت أن الرَّبَّ لا يُحدِثُ في نفسه شيئًا فأزِلْ ماهو مكتوب بين عينيك!

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : وقال القاضي عِيَاض : في هذه الأحاديث حُجّةٌ لأهلِ

السُّنَّة في صِحَّةِ وجود الدَّجال ، وأنه شخصٌ معيَّن ، يَبتلي اللهُ به العباد ، ويُقدِرُه على أشياءَ كإحياء الميت الذي يقتله ، وظهورِ الخِصب ، والأنهارِ ، والجنة والنار ، واتِّباعِ كنوز الأرض له فتَنبت ، وكلٌّ ذلك بمشيئة الله تعالى ، ثم يُعجِزُه اللهُ فلا يَقْدِرُ على قتل ذلك الرجلِ ولا غيرِهِ ، ثم يُبطِلُ أمرَه ، ويقتلُه عيسى ابنُ مريم عليه الصلاةُ والسلام .

وقال الشيخ أبو بكر بن العربي : الذي يَظهرُ على يَدِ الدَّجال من الآيات : من إنزالِ المطر والخِصب على من يُصَدِّقُه ،والجَدْبِ على من يُكذِّبُه ، واتِّباعِ كنوز الأرض له ، ومامعه من جنةٍ ونار ، ومياهٍ تَجري ، كلٌّ ذلك مِحْنةٌ من الله واختبار ، ليَهلك المرتاب ، وينجو المتيقن ، وذلك كلُّه أمرٌ مَخُوف ، ولهذا قال ﷺ : لا فِتْنَة أعظمُ من فتنةِ الدجَّال . وكان ﷺ يَستعيذُ منها في صلاته تشريعًا لأُمَّتهِ ﷺ .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٥٨ - ٥٩ ، بعدَ ذكر أحاديثِ الدَّجال ... [وبعد ذكر كلام القاضي عياض السابق ذكره] :

هذا مذهبُ أهل السنة والجماعة وجميع المحدِّثين والفقهاء والنُظّار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهْمية وبعضِ المعتزلة ... اهـ (التصريح)

أقول :

وقد ذهب بعض أهل العصر إلى مقولة لم يقلها أحد من قبل ، فأوَّلَ أحاديث الدجال بأن المراد بها الحضارة الغربية لأنها حضارة عوراء وهو تأويل يكفر به من يعتقد أن النصوص لا تحتمل ذلك بحال من الأحوال ، وهي نصوص متواترة والإجماع منعقد على أنها تصف شخصًا بعينه ، وهناك فارق بين مايحتمل التأويل وبين ما لا يحتمله ، وهذا الفارق لا يعرفه إلا الراسخون في العلم ، فإذا تنطع له من ليس مظنة العلم والاستقامة ضَلَّ وأَضَلَّ .

وهل الفرق الباطنية المجمع على كفرها إلا أصحاب التأويل الفاسد الذي يخرج قطعيات الشريعة إلى معانٍ أخرى ؟!

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح تعليقًا على قوله عليه الصلاة والسلام : « يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ... » :

(وقال العلامة ابنُ مَلَك : « وهذا القولُ في تفسير امتداد الأيام الثلاثة جارٍ على حقيقته ، ولا امتناعَ فيه ، لأن الله قادر على أن يزيد كلَّ جزء من أجزاء اليوم الأوّلِ حتى يصير مقدارَ سنة ، خارقًا للعادة ، كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم » .

قال العلامة علي القاري في المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ١٩٥ بعد نقلِه كلامَ ابنِ مَلَكٍ المذكور : وهذا القولُ الذي قررهُ لا يَفيد إلا بسطَ الزمان كما وقع له ﷺ في قصة الإسراء مع زيادةٍ على المكان .

لكن لا يخفى أن سببَ وجوب كلِّ صلاةٍ إنما هو وقتُها المقدَّر من طلوعِ صبحٍ ، وزوالِ شمس ، وغروبها ، وغيبوبةِ شفقها ، وهذا لا يُتَصَوَّرُ إلا بتحقُّق تعدُّدِ الأيام والليالي على وجه الحقيقة ، وهو مفقود .

فنقول ـ وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق ـ قد تَبَيَّن لنا بإخبار الصادق المصدوق صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه أنَّ الدجّال يَبْعَثُ معه مِن المُشَبِّهات ويَفيضُ على يديه من التمويهات . مايَسلُبُ عن ذوي العقول عقولَهم ، ويَخطَفُ من ذوي الأبصار أبصارَهم ، فمن ذلك تسخيرُ الشياطين له ، ومجيئُه بجنّةٍ ونار ، وإحياءُ الميت على مايدّعيه ، وتقويتُه على من يُريدُ إضلالَه تارةً بالمطر والعُشْب ، وتارةً بالأزْمة والجَدْب .

ثم لا خفاءَ أنه أسحَرُ الناس ، فلم يستقم لنا تأويلُ هذا القول إلا أن نقول : إنه يأخُذُ بأسماعِ الناس وأبصارِهم ، حتى يُخيَّلَ إليهم أن الزمان قد استمرَّ على حالةٍ واحدة : إسفارٌ بلا ظلام ، وصَباحٌ بلا مساء ، يحسبون أنَّ الليل لا يَمُدُّ عليهم رِواقَه ، وأنَّ الشمس لا تَطوي عنهم ضياءَها ، فيَبْقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ، ويَدْخل عليهم دواخلُ باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار ، فأمَرَهم ﷺ أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ، ويُقدِّروا لكل صلاةٍ قدْرَها ، إلى أن يَكشِفَ اللهُ عنهم تلك الغُمّة . هذا الذّي اهتدينا إليه من

التأويل ، والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل . انتهى) اهـ (التصريح) .

أقول :

الذي ذهبت إليه أثناء العرض للنصوص أن اليوم الأول كسنة في الشّدّة واليوم الثاني كشهر في الشّدّة واليوم الثالث كأسبوع في الشّدّة . وبكلام فضيلة الشيخ عبد الفتاح أصبح أمامك اتجاهان يمكن أن يحمل عليها النص ، ولا يبعد أن يكون هناك سبب وراء ذلك الطول في تلك الأيام ، فالذي دعانا إلى حمل هذه النصوص على غير ظاهرها نصوص أخرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بقاء يوم مستمر سنة كاملة قبل طلوع الشمس من مغربها لا يستغرب معه أن تطلع الشمس من مغربها بعد ذلك ، مع أن الشارع رتب على هذه القضية مارتب ، ثم إذا لم تكن المسألةُ محمولةً على شيءٍ مالا نستطيع تصوره فإن اليوم الذي كسنة في حق بعض الناس سيكون منيراً في حقهم مظلمًا بحق ناس آخرين بسبب كروية الأرض ، فهذه الأشياء وأمثالها دعت إلى التأويل أو إلى التفسير مع احتمال أن يكون للمسألة سرها الذي يُعرف في إبانه ، ولذلك فمع أننا ذهبنا إلى ماذهبنا إليه ونقلنا مانقلناه فإننا نرجح التسليم خاصةً وسياق النصوص ليس لصالح التأويل .

(٥)

تعليقًا على قوله عليه الصلاة والسلام : « وآخر أيامه كالشررة » . الوارد في حديث ابن ماجه عن أبي أمامة قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

هذا يخالف ماتقدم في حديثِ النوّاس بن سمعان ، فقد جاء فيه أن إقامة الدجّال في الأرض : « أربعون يومًا ، يومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويومٌ كجمعة ، وسائرُ أيامِهِ كأيامكم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد كما تقدّم . وحديثُ أبي أمامة هذا ـ على صِحته ـ في سَنَدِه مقال فيُقدَّمُ عليه الحديثُ الصحيحُ الذي لا كلامَ في سنده .

والظاهرُ أن ماوقع في هذا الحديث من مغايرة للحديث الصحيح في مُدّة مُكْثِ الدّجال في الأرض : إنما هو مِن اشتباه بعضِ الرواة وتَصرُّفاتهم ، كما قرّرهُ المؤلِّفُ الإمام الكشميري

رحمه الله تعالى في قاعدة له تراها في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري » (٤ : ٤٤-٤٧).

وبعد ما استظهرتُ هذا الاستظهار رأيتُ حديثَ أبي أُمامة في « مستدرك الحاكم » ٤ : ٥٣٦ - ٥٣٧ ، وقد جاء فيه تحديدُ مُكثِ الدجّالِ موافقًا لما جاء في « صحيح مسلم » ، ولفظُهُ : « وإنّ أيامه أربعون ، فيومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، ويوم كالأيام ، وآخِرُ أيامه كالسَّراب ، يُصبحُ الرجلُ عند باب المدينة فيُمسي قبل أن يَبلغ بابها الآخر » . فجَزَمْتُ بأن الرواية الواقعة في « سنن ابن ماجه » وقع فيها اشتباهٌ وتصرفٌ من بعضِ الرواة ، كما قرَّرهُ شيخُ شيوخنا المؤلِّفُ إمام العصر الكشميري في قاعدته المشار إليها ، فرحمةُ الله عليه ورضوانُه العظيم ، وجَزَى الله خيرَ الجزاء أستاذَنا العلامة المفيد الشيخ محمد بَدْر عالَم على تبسيطه قاعدة شيخه المؤلف الإمام الكشميري فيما علَّقه عليها .

وعلى فَرْضِ قبولِ هذه الرواية في التحديد لإقامة الدجّال قال العلامة على القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢١١ « ولعلّ وجة الجمع بين الروايتين اختلافُ الكميّة والكيفيَّة ، كما يشيرُ إليه قولُه : السَّنةُ كشهر . فإنه محمول على سرعة الانقضاء ، كما أن ما سبق من قوله : يومٌ كسنةٍ . محمولٌ على أنّ الشّدة في غاية الاستقصاء ، على أنه يمكن اختلافُه باختلاف الأحوال والرجال . انتهى . اهـ (التصريح) .

أقول :

ماذكره الشيخ ملا علي القاري يمكن أن نستأنس به لما ذهبنا إليه أن اليوم الأول كسنة في الشدة ، وهكذا ، ومن المعروف أن استغراق الإنسان في أمر ما ينسيه الوقت فلا يحس به ، ولذلك كان الشعور بالوقت نسبيًا ، فمن كان في شدة أحس بطول الوقت ومن كان في لذة لم يشعر بالوقت ، ومن كان مستغرقًا في أمر لم يحس بمرور الزمن ، فلعل المراد هو ذلك.

(٦)

قال الشيخ عبد الفتاح في السؤال والجواب الواردين : « ما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ... » :

(وفي رواية « الدر المنثور » للسيوطي ٤ : ٣٣٧ « كالغيثِ يَشتـدُّ بـه الريحُ » . والمرادُ بالغيث هنا : الغيمُ ، إطلاقًا للمُسَبَّب على السبب ، أي يُسرِعُ في الأرض إسراعَ الغَيْمُ تسوقُه الريحُ بقوَّة وعُنف . وإنما يُسرعُ هذا الإسراع كي لا يَتأمَّلَ الرِّعاعُ المغترُّون به حالَـهُ ودلائلَ نقصِه وعيوبِه ، فينكشفَ لهم دَجَلُه ، ويتَّضحَ لهم كذبُه ، وتَبطُلَ عنـدهم دعـاويـه البـاطلـةُ المزوَّرة .) . اهـ (التصريح) .

(٧)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

وقد عقدَ العلامـة السَّفَّـارينيُّ المتوفَّى سنـة ١١٨٨ رحمـه الله تعـالى في شرح منظومتـه في العقيدة المسمَّى « لوامع الأسرار البهيـة » ٢ : ١٠٦ تنبيهـاتٍ ، وقـال : التنبيـهُ الثـالثُ : مما ينبغي لكلِّ عالِمٍ : أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجَّال بين الأولاد والنساء والرجال ، وقد قال الإمامُ ابن ماجه : سمعتُ الطَّنافسي يقول : سمعتُ المُحاربيَّ يقول : ينبغي أن يُدفَعَ هـذا الحـديثُ يعني حديثَ الدجَّال إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيان في الكُتَّاب . وقد وَرَدَ أنَّ من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر . وقد أخرج الإمام أحمد وابن خُزَيمة وأبو يَعْلَى والحـاكم عن جـابر بن عبـد الله مرفوعـًا : « يَخرجُ الـدجَّـالُ في خِفـةٍ من الـدين ، وإدبـارٍ من العلم » . فينبغي لكلِّ عالم التذكيرَ به ولا سيما في زماننا هذا الـذي اشرَأَبَّتْ فيـه الفِتَن ، وكَثُرَتْ فيـه المِحَن ، واندرسَتْ فيه معالمُ السُّنَن ، وصارت السُّنَّةُ فيه كالبِدَع ، والبِـدعَـةُ شَرْعٌ يُتَّبَع !) . اهـ (التصريح) .

(٨)

الدجال في سطور

تأليف العلامة الشيخ محمد شفيع ، وننقله هنا من التصريح مع شيء من الحذف :

* **خروج الدجال قبل نزول عيسى عليه السلام :**

ـ يخرج الدجال من بين الشام والعراق .

* **أمارات الدجال وأوصافه :**

- مكتوب بين عينيه كافر بشكل ك ف ر .

- يكون أعور العين اليسرى .

- بعينه اليمنى ظفرة غليظة .

- يدور في جميع أنحاء العالم .

- ولا يبقى على وجه الأرض موضع محفوظ من شره إلا مكة والمدينة .

- يحرس الملائكة أبوابها ولا يستطيع الدجال أن يدخلها .

- ويقيم حيث تنتهي السبخة من الظريب الأحمر بعدما يدفعه الملائكة من الحرمين .

- ويأخذ أرض المدينة زلازل تخرج المنافقين من المدينة ، ويلتحق المنافقون رجالهم ونساؤهم بالدجال .

- يكون معه نهران يقول لأحدهما : إنه جنة . ولثانيهما : إنه نار . فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة .

- يركب حماراً عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا .

- يكون معه شياطين تكلم الناس .

* **أحوال الدجال الأكبر :**

- يأمر السحاب فيمطر .

- وتجدب الأرض متى شاء .

- يبرئ الأكمه والأبرص .

- يأمر كنوز الأرض فتخرج وتتبعه .

- يقتل شابًا ويقطعه بالسيف نصفين ثم يدعوه فيأتي حيًا ضاحكًا .

ـ يكون معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج .

ـ يفترق الناس ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها ، وفرقة تقاتله على شاطىء الفرات .

ـ يجتمع المسلمون بقرى الشام فيبعثون إليه طليعة .

ـ يكون في هذه الطليعة فارس على فرس أشقر أو أبلق فيقتلون ولا يرجع منهم أحد .

ـ حينما ينظر الدجال إلى المسيح عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء .

ـ وحينئذ ينهزم جميع اليهود .

اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

الفهرس

سعيد حوّى

الأساس في السنة وفقهها

المجلد الثالث

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

الفقرة العشرون

في :

صفة المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله

مقدمة

قال تعالى : ﴿ إذ قال الله ياعيسى إنّي متوَفّيك ورافعُك إليّ ﴾ (١) والتوفّي هو : القبض ، أي قابضك من الدنيا ورافِعُك إليّ ، وقد رفعه الله إلى السماء الثانية وهناك رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، وقد غلط غلطًا كبيرًا من فسّر الوفاة بالآية بالموت لأنّ ذلك يتعارض مع فكرة نزوله مرّة ثانية إلى الأرض كما هو متواتر ، فالمراد بالوفاة التنويم أو القبض أو أن الآية تشير إلى أنّه معصوم من القتل فهو سيرفع إلى السماء ثمّ سينزل إلى الأرض ويتوفّى وفاة لا كما زُعِم أنّه قتل وصلب .

قال تعالى : ﴿ وماقتلوه وماصلبوه ولكن شُبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه مالهم به من علم إلا اتّباعَ الظنّ وماقتلوه يقينًا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا * وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا ﴾ (٢) . فالذي قتل رجل ألقي عليه شبهه ، ومن تأمل الروايات النصرانية التي تذكر القتل والصلب يعرف أنه يستحيل أن تصدر من المسيح عليه السلام التصرفات التي ظهرت من القتيل المصلوب يوم ذاك ، وفي قوله تعالى : ﴿ ليؤمنن به قبل موته ﴾ . دليل على أن المسيح لم يمت وأنه سينزل في آخر الزمان ، وأن النصارى سيؤمنون به وقتذاك .

وقال تعالى : ﴿ وإنّه لَعِلْمٌ للساعة ﴾ (٣) . وفي قراءة : (وإنّه لَعَلَمٌ للساعة) . وقد فسر أكثر العلماء الآية بأن نزول المسيح من أعلام الساعة ، وجاءت النصوص المتواترة بنزوله وقد جمعت أكثر هذه النصوص في كتاب : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشيخ محمد أنور الكشميري ، وقد حققه الشيخ عبد الفتّاح أبو غدة ، وأضاف إليه وعلّق

---

(١) آل عمران : ٥٥ .
(٢) النساء : ١٥٧ - ١٥٩ .
(٣) الزخرف : ٦١ .

عليه مازاد به الكتاب قيمة على قيمته وفضلاً على فضله ، وقد ذكر في الكتاب حوالي خمسة وثمانين حديثًا عن رسول الله ﷺ وآثاراً كثيرة عن الصحابة ، فنزول المسيح عليه السلام قضيّة متواترة يكفر منكرها ، وهو عليه السلام ينزل حاكمًا بشريعة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فلا يتناقض نزوله مع فكرة ختم النبوّة ، فهو عليه السلام ينزل تابعًا لمحمد ﷺ ، أخرج أحمد [1] عن رسول الله ﷺ : « لو كان موسى حيّا ماوسعه إلا اتباعي » .

وأحاديث نزول المسيح عليه السلام مرتبطة بأحاديث ظهور الدجال وأحاديث خروج يأجوج ومأجوج وقد ذكرنا الكثير عنها في هاتين الفقرتين ، ومع ذلك خصصنا هذه الفقرة لها .

---

(١) مسند أحمد (٣ / ٣٨٧) .

نصوص

١٠٧٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ليوشِكَنَّ أنْ ينزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَمًا مُقْسِطًا ، فيكسرُ الصليبَ ، ويقتلُ الخِنْزيرَ ، ويَضعُ الجِزية ، ويَفيضُ المالُ حتى لا يقبَلَه أحدٌ » .

زاد في رواية [١] : « وحتى تكونَ السَّجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا ومافيها » . ثم يقولُ أبو هريرةَ : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وإنْ مِنْ أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ بهِ قَبْلَ موته ... ﴾ الآية . [النساء : ١٥٩] .

وفي أخرى [٢] قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذ نزل ابنُ مريمَ فيكم ، وإمامُكم منكم ؟ » .

وفي رواية [٣] : « فأمَّكم » . وفي أخرى [٤] : « فأمَّكم منكم » . قال ابنُ أبي ذئب : تدري . ماأمَّكم منكم ؟ قلت : تخبرُني . قال : فأمَّكم بكتابِ رَبِّكم عز وجل وسُنَّةِ نبيِّكم ﷺ .

وفي أخرى [٥] قال : قال رسول الله ﷺ : « واللهِ لينزِلَنَّ ابنُ مريمَ حكَمًا عادلاً ، فلَيَكسِرَنَّ الصليب ، وليَقْتُلَنَّ الخنزيرَ ، ولَيَضَعَنَّ الجِزية ، ولتُترَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسْعَى عليها ، ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتباغضُ والتحاسدُ ، وليُدْعَوُنَّ إلى المالِ فلا يقْبَلُه أحدٌ » .

١٠٧٨ - البخاري (٤ / ٤١٤) ٣٤ - كتاب البيوع ، ١٠٢ - باب قتل الخنزير ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٥) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .

(١) البخاري (٦ / ٤٩٠ ، ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ابن مريم ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٥ ، ١٣٦) في الموضع السابق .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ... إلخ .
مسلم (١ / ١٣٦) في الموضع السابق .

(٣) مسلم : في الموضع السابق .

(٤) مسلم (١ / ١٣٧) في الموضع السابق .

(٥) مسلم (١ / ١٣٦) ، في الموضع السابق .

وفي روايـة أبي داود (١) : أنّ رسـول الله ﷺ قـال : « ليس بيني وبينـه » - يعني عيسى - « نبي ، وإنـه نـازلٌ ، فـإذا رأيتُموه فـاعرِفـوه ، فـإنـه رجـل مربـوعٌ ، إلى الحُمرةِ والبيـاضِ ، ويَنزلُ بين مُمَصَّرتين ، كأن رأسَـه يقطُر وإن لم يُصبْـه بللٌ ، فيقـاتِلُ الناسَ على الإسلام ، فيَدُقُّ الصليب ، ويقتلُ الخنزير ، ويَضعُ الجِزيةَ ويُهْلكُ اللهُ في زمانـه المِلَلَ كلَّهـا إلا الإسلامَ ، ويُهلـكُ المسيحَ الـدجـال ، ثم يمكثُ في الأرض أربعين سنةً ثم يُتَوفي ، ويُصلِّي عليه المسلمون » .

(الحكَم) : الحاكِم الذي يقضي بين الناس ، والأمير الذي يلي أمورهم .

(مقسطًا) : المقسط : العادل ، والقاسط : الجائر .

(فيكسر الصليب) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« قـال الحـافـظ ابن حجر : أي يُبطِـلُ دينَ النصرانيـة ، بـأن يَكْسِرَ الصليبَ حقيقـةً ، ويُبطِلَ ماتزعمه النصارى من تعظيمه » ا . هـ (التصريح) .

(ويقتل الخنزير) : قال الشيخ عبد الفتاح :

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري : ٤ / ٣٤٣ » : أي يأمُرَ بإعدامِ الخِنزير ، مُبالغةً في تحريم أكلِه . وفيـه توبيخٌ عظيمٌ للنصـارى الـذين يَـدَّعون أنهم على طريقـة عيسى عليـه السلام ، ثم يَستحلُّون أكلَ الخنزير ، ويُبالغون في محبته . اهـ (التصريح) .

(وضع الجزية) هو إسقـاطهـا عن أهل الكتـاب ، وإلزامهم بـالإسلام ، ولا يقبل منهم غيره ، فذلك معنى وَضْعِها .

(حكمًا عادلًا) : قال الشيخ عبد الفتاح :

أي حاكمًا عادلًا . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٦ « والمعنى أنـه عليـه السلام يَنزلُ حاكمًا بهذه الشريعة ، فإنّ هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكمًا من حُكّام هذه الأمّـةِ . وعنـد الإمـام أحمـد من حـديث عـائشـة : « وَيَمْكُثُ

(١) أبو داود (٤ / ١١٧ ، ١١٨) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

عيسى في الأرض أربعين سنـة » . وللطبراني من حـديث عبـد الله بن مُغفَّل : « ينزلُ عيسى ابنُ مريم مُصَدِّقًا بمحمَّدٍ على مِلّته » . انتهى .

وقال القرطبي في « التذكرة بـأحوال الآخرة » ص ٦٧٨ عنـد ذكره لنزول سيـدنـا عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان :

قال العلماء رضي الله عنهم : وإذا نَزَل عيسى عليه السلام في آخر الزمـان ، يكون مقرِّرًا لشريعة محمد ﷺ ومجدِّدًا لها ، لأنه لا نبي بعد رسولِ الله ﷺ يحكمُ بشريعةٍ غير شريعة محمد ﷺ ، لأنهـا آخِـرُ الشرائع ، ونبيهـا خـاتمُ النبيين . فيكون عيسى حَكَمًا مُقْسطًا ، لأنـه لا سلطـان يـومئـذ للمسلمين ، ولا إمـامَ ولا قـاضي ولامفتيَ لهم ، وقـد قَبَض الله العلمَ وخـلا النَّاسُ منه .

فَينزِلُ وقد عَلِمَ بأمر الله تعالى لـه في السماء قبلَ أن يَنزل ، مـايحتـاج إليـه من علم هـذه الشريعة ، ليَحكُمَ به بين الناس . وليعمل به في نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلـك ويحكِّمونـه على أنفسهم ، إذْ لا أحَدَ يَصلُح لذلك غيرُه ، ولأن تعطيلَ الحكم غير جائز ، وأيضًا فإنْ بقـاء الدنيا إنما يكون بالتكليف ، فلا يزال التكليف قـائمًـا إلى أن لا يَبْقى على وجـه الأرض من يقول : الله ، الله . انتهى من « مختصر تذكرة القرطبي » للشَّعْراني ص ١٧٩ ـ ١٨٠ من طبعة القاهرة سنة ١٣٠٨ .

وجاء في « صحيح مسلم » ١٥ : ١٧٤ : عن سعد بن أبي وقـاص رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » .

قال الإمام النووي في شرحه ١٥ : ١٧٤ « قـال العلمـاء : في هـذا الحـديث دليلٌ على أن عيسى ابن مريم ﷺ ، إذا نـزل في آخر الـزمـان نَـزَل حَكَمًـا من حُكّام هـذه الأمـة ، يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ، ولا يَنزِلُ نبيّا ... » . اهـ (التصريح) .

(القلاص) : جمع قلوص ، وهي الناقة .

(الشحناء : العداوة .

(مُمَصَّرتين) ثوب مُمصّر : إذا كان فيه صُفرة خفيفة يسيرة .

(ويهلك الله في زمانه المِلَلَ كلها إلا الإسلام) :

قال الشيخ عبد الفتاح « يعلق على قوله : (فيُهلِك الله في زمانه المِلَلَ كلَّها إلا الإسلام) بما يلي :

... هذا النص في الحديث ، يفيد شمولَ طهارة الأرض من الشرك والكفر ، وانبساطَ الإسلام عليها ، وهو يخالف ماذهب إليه المؤلف الكشميري في كتابه « فيض الباري » ٣ : ١٩٥ ، وأنقلُه ليُنظَر فيه .

قال رحمه الله تعالى : « ما اشتهر على الألسنة أن دين الإسلام يُبْسَطُ في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام على البسيطة كلها ، ليس في الأحاديث ، والذي فيها أنه لا يَقْبَلُ اليهوديةَ والنصرانيةَ بعدَ نزوله ، فيُنقِذُ نفسَه من أسلم ، ويُقْتَلُ من أبىٰ . وهذا أيضًا حيثُ يغزو نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام .

وملخصُ الأحاديث : أن اليوم تَجري الأديانُ الثلاثة ، فإذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لا يَقْبَلُ إلا الإسلام ، وحينئذ يكون الدينُ كلُّه لله .

فهذا بيانٌ للمسألة ، لا إخبارٌ بما يكون في الخارج ، فيجوز أن يَبْقى الكفرُ والكُفّارُ أيضًا ، لكن إنْ يَبلُغ إليهم عيسى عليه الصلاة والسلام ، لا يقبل منهم إلا دين الإسلام ، لا الجِزية ، كما هو اليوم .

ويُستفاد من الأحاديث أن الغلبةَ المعهودة ، إنما تكون في الشام ونواحيه ، حيث ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفسادُ يأجوج ومأجوج في هذه الأطراف ، والجزيرةُ طَبَرِيّةُ : أيضًا نحو الشام .

وبالجملة : لم نجد في حديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام أيضًا يدور في الأرض كدور الدَّجال ، فلا تكون غلبةٌ موعودة إلا في موضع نزوله ، أما سائر البلاد فسكوت عنها ، والله تعالى أعلم بما يكون فيها . انتهى .

وقال المؤلف الكشميري أيضًا في كتابه « فيض الباري » ١ : ١٧٢ ، عند حديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون » : « أي لا يخلو زمان إلا وتوجد فيه تلك الطائفة القائمة على الحق ، لا أنهم يكثرون في كل زمان ، ولا أنهم يغلبون على من سِواهم ، كما سَبق إلى بعض الأفهام .

حتى إنَّ غلبةَ الدِّين في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام عندي ليس كما اشتهر على الألسنة ، بل الموعودُ هو الغلبة ، حيث يَظْهَرُ عليه الصلاة والسلام.فيما حَوَالَيْه ، أما فيما وراءَ ذلك فلم يتعرضْ إليه الحديثُ ، والعموماتُ كلها واردةٌ في البلاد التي يظهر فيها ، ولا تتجاوز فيما وراءها ، وإنما هو من بداهة الوهم والسبق إلى ما اشتهر بين الأنام » . انتهى كلام الشيخ الكشميري ، فتأمل . اهـ . (التصريح) .

أقول :

إذا صحّ ما ذكره الشيخ الكشميري في تفسيره لهلاك الملل فهذا يرجح ماذهبنا إليه أنّ بيننا وبين نزول المسيح عليه الصلاة والسلام أمدًا تقوم به دولة عالمية للإسلام كما ورد في مضمون بعض النصوص التي وردت معنا ، ثم يحدث انحسار بالإسلام لدرجة أن القسطنطينية نفسها يحكمها النصارى من جديد ويفتحها المسلمون مرة أخرى ، وبعد الفتح الثاني يظهر الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، ولاشك أن ماذكره الكشميري في عدم وجود نصوص تدل على تحرك عالمي للمسيح حق ، ولكن إذا عرفنا أن يأجوج ومأجوج وهم الذين يسيطرون على العالم وقتذاك يهلكون في زمن المسيح عليه السلام ، وأن المسيح عليه السلام يقتل اليهود الذين يكونون مع الدجال ، ولا يقبل من يهودي أو نصراني جزية فإن هذا يدل على هلاك للملل التي تكون في دائرة وجوده وسلطانه ، وهل يعم ذلك العالم كله أو لا ؟ الأمر محتمل وتفسيره وقوعه .

(ثم يمكث في الأرض أربعين سنة) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« يعلق على قوله : (ثم يمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة) بما يلي :

هذه الأداة العاطفة (ثم) للترتيب الذكري لا الزمني ، إذ مكثُه عليه السلام في الأرض

كلُّه أربعون سنة منذ نزوله حتى وفاته ، وليس ابتداؤها بعدَ قتلِه الدجال ، كما هو ظاهر العبارة . قاله العلامة الشيخ ناجي أبو صالح حفظه الله تعالى » . اهـ (التصريح) .

١٠٧٩ ـ * روى أحمد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل ابْنُ مَرْيَمَ إمَامًا عَادِلاً وَحَكَمًا مُقْسِطًا فيكسر الصليبَ ويَقْتل الخنزيرَ ويَرْجِع السَّلْمَ ويَتَّخِذُ السُّيوفَ مَناجل ويُذْهِبُ حُمَةَ كلِّ ذاتِ حُمَةٍ . وَيَنْزِلُ مِنَ السَّماء رزقُها ، وَتَخْرُجُ مِنَ الأَرض بَرَكَتُها ، حَتَّى يَلعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبانِ وَلا يَضُرُّه ، وَتَرْعَى الْغَنَمُ والذِّئبُ وَلا يَضُرُّها ، وَيرعى الأَسَدُ وَالبَقَرَ وَلا يَضُرُّها » .

١٠٨٠ ـ * روى الترمذي عن مُجَمِّع بنِ جاريَةَ الأنصاري رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يَقْتُلُ ابنُ مريم الدجَّال بباب لُدّ » .

١٠٨١ ـ * روى الطبراني ، عن أوسِ بن أوسٍ عن النبي ﷺ قال : « ينزلُ عيسى بن مريم عند المنارةِ البيضاء فِي دمشق » .

١٠٨٢ ـ * روى مسلم ، عن يعقوبَ بنِ عاصمِ بنِ عُروةَ بنِ مسعودٍ الثَّقفيّ قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرو رضي الله عنه ـ وجاءه رجل ـ فقال : ماهذا الحديث الذي تُحَدِّثُ به الناسَ ؟ تقولُ : إنَّ الساعةَ تقوم إلى كذا وكذا ، فقالَ : سبحانَ اللهِ ! ـ أو لا إله إلا الله ، أو كلمةً نحوها ـ لقد هممت أن لا أُحدِّثَ أحدًا شيئًا أبدًا ، إنما قلتُ : إنكم سَتَروْنَ بعدَ قليلٍ أمرًا عظيمًا ؛ يُحرَّقُ البيتُ ، ويكونُ ويكونُ . ثم سمعتُه يقول : قال رسول الله ﷺ :

١٠٧٩ ـ مسند أحمد (٢ / ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

قال ابن كثير في النهاية : تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي صالح .

١٠٨٠ ـ الترمذي (٤ / ٥١٥) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٢ ـ باب ماجاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث صحيح .

وأحمد (٣ / ٤٢٠) . وفي بعض طرقه : « إلى جانب باب لُدّ » .

(لُدّ) : بلدةٌ في فلسطين قريبةٌ من بيت المقدس .

١٠٨١ ـ المعجم الكبير (١ / ٢١٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

١٠٨٢ ـ مسلم (٤ / ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٣ ـ باب في خروج الدجال ومكثه ... إلخ .

مسند أحمد (٢ / ١٦٦) .

=

« يخرج الدجال في أُمَّتي ، فيمكث أربعين » . لا أدري - وفي رواية قال ابن عمرو : لا أدري أربعين يومًا ، أو شهراً ، أو عامًا - « فيبعَثُ اللهُ عيسى بنَ مريم ، كأنه عروةُ ابنُ مسعودٍ ، فَيَطْلُبُه فيُهْلِكُه ، ثم يَمكُثُ الناسُ سبعَ سنين ، ليس بين اثنين عداوةٌ ، ثم يُرسِلُ الله عز وجل ريحًا باردةً من قِبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذَرَّة من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ ، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كَبدِ جبلٍ لدخلتْ عليه حتى تَقْبِضَه » . قال : سمعتُها من رسول الله ﷺ . قال : « فيبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّة الطير ، وأحلامِ السِّباعِ ، لا يعرفون معروفًا ، ولا يُنكرون مُنْكَرًا ، فيَتَمثَّلُ لهم الشيطانُ ، فيقول : ألا تَسْتَجيبون ؟ فيقولون : فما تَأْمُرُنا ؟ فيأمُرُهم بعبادةِ الأوثانِ ، وهم في ذلك دارٌّ رِزقُهم ، حَسَنٌ عَيشُهم ، ثم يُنفخُ في الصور ، فلا يَسْمَعُهُ أحدٌ إلا أصغى لِيتاً ، ورَفَع لِيتًا ، فأولُ من يَسْمَعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبلِه » قال : « فيَصْعَق ، ويُصْعَقُ الناسُ » . قال : « ثم يُرسِلُ الله » - أو قال : « يُنزلُ اللهُ مطرًا كأنه الطَّلُّ ، أو الظِّلُّ » - نُعمانُ [أحد رواة الحديث] يشك - « فَيَنْبُتُ منه أجسادُ الناسِ ، ثم يُنْفَخُ فيه أُخرى فإذا هم قيامٌ يَنْظُرون ، ثم يقالُ : ياأيها الناسُ ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكم ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ثم يقال لهم : أَخْرِجوا بعثَ النار ، فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين » قال : « فذاك يومَ يجعلُ الولدان شيبًا ، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساق » .

أقول : كثيراً مايحدث أثناء الكلام عن الساعة وأشراطها وعما يكون بعدها أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد ، أو يفهم بعض الرواة عن المحدثين فهمًا فيصوغه بعبارته ، فيحدُثُ لبسٌ أو وهم ، فمثلاً : ورد في هذا النص قول ابن عمرو : (ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى

= (كبد جَبَل) : كبد الجبل : استعارة ، والمراد : ما غمض من بواطنه .

(أصغى ليتًا) : اللِّيت : صفحة العنق ، وإصغاؤه : إمالته .

(يُصعق) : يغشى عليه ويموت .

(الطَّل) : النَّدى الذي ينزل من السماء في الصحو .

على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته) فهذه الرواية تفهم :

أن بعد سبع سنين من قتل الدجال يبعث الله هذه الريح ويصفها أنها تأتي من قبل الشام مع أن المعروف المشهور : أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة ، وبعد وفاته يبقى الناس على فترة من الزمان على خير ، ثم تأتي ريح من قبل اليمن فتقبض روح أهل الإيمان . فالحديث يحتاج إلى توجيه ومن ثَمَّ قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله معقبًا على رواية عبد الله بن عمرو : (ثم يمكث الناسُ سبع سنين) بما يلي :

« هكذا جاء في جميع نُسَخ « صحيح مسلم » التي رجعتُ إليها وهي مختلفة الطبعات ، وهكذا جاء في « المسند » و « الدر المنثور » و « المستدرك » في جميعها بلفظ (ثم يمكث الناسُ سَبْعَ سنين) برفع (الناس) على الفاعلية ، وهي رواية صحيحة واضحة ، ومعناها عندي ـ والله أعلم ـ أن الناس يعيشون متحابين ليس بينهم عداوة ولا بغضاء سنينَ طويلة ، وهي أربعون سنةً كما بيَّنَتْها روايةُ أبي داود وأحمد المتقدّمةُ في ص ٩٦ ، ونصُّها : « فَيمكثُ ـ أي سيدُنا عيسى ـ في الأرض أربعين سنة ، ثم يُتَوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون » . ويكون ذكْرُ (سبع سنين) هنا رمزاً للكثرة لا للحصر كقوله تعالى : ﴿ كمَثَلِ حَبَّةٍ أنبتَتْ سَبْعَ سنابل في كلّ سُنبُلَةٍ مائةُ حبَّةٍ ﴾ إذ التمثيلُ فيها للتكثير لا للحصر ، وكقوله سبحانه : ﴿ والبَحْرُ يَمُدُّه مِن بَعدهِ سبعةُ أبْحُرٍ ﴾ . قال الألوسي في « تفسيره » ٦ : ٤٨٦ عند هذه الآية « المراد بالسبعة الكثرةُ بحيث تشمَلُ المائةَ والألفَ مثلًا ، لا خصوصَ العدد المعروف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنُ يأكلُ في مِعًى واحدٍ والكافرُ يأكلُ في سبعة أمعاء » . انتهى .

أما الروايةُ التي وقعت قديمًا في بعض نُسَخ « صحيح مسلم » بلفظ « ثم يمكثُ في الناس سَبْعَ سنين » كما جاء منقولاً عن « صحيح مسلم » بهذا اللفظ في « مشكاة المصابيح » من طبعة الهند ص ٤٨١ ومن طبعة دمشق ٣ : ٥١ وفي نسخة « المرقاة شرح المشكاة » للعلامة على القاري ٥ : ٢٢٧ فتَحتاجُ إلى تأويل ، إذ الضميرُ فيها في «يمكثُ سبعَ سنين » عائدٌ إلى سيدنا عيسى ، فلهذا علَّق عليها كلٌّ من الحافظِ ابن كثير والحافظِ ابن حجر رحمهما الله تعالى .

قال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨٣ « جاء في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكثُ في الأرض بعدَ نزوله أربعين سنة . رواه الإمام أحمد ، وفي حديث عبد الله بن عَمرو عند مسلم أنه يمكث سَبْعَ سنين . فيُحتَملُ والله أعلم أن يكون المرادُ بلَبْثِه في الأرض أربعين سنة مجموعَ إقامته فيها قَبْل رفعه وبَعْدَ نزوله ، فإنه رُفِعَ وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح » . انتهى .

قلتُ : لكنَّ الحافظَ ابن حجر لم يَرتضِ هذا الجمع ، فلذا حَطَّ كلامُه على أن مدة إقامته بعد نزوله عليه السلام أربعين سنة إذ ذكرَ رواية « سبع سنين » ثم أعقبها بروايات صحيحة فيها ذكْرُ « أربعين سنة » وسكت عليها مرتضيًا لها ، وهذه عبارته في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٧ « روى مسلم من حديث ابن عَمْرو في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سَبْعُ سنين . وروى نُعيم بن حمَّاد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يَتزوَّجُ في الأرض ويُقيم بها تِسْعَ عشرةَ سنةً ، وبإسنادٍ فيه راوٍ مُبْهَم عن أبي هريرة يقيمُ بها أربعين سنة ، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : فيَمكثُ - أي عيسى - في الأرض أربعين سنة » . انتهى . فليكن هو المعوَّلَ عليه ، والله تعالى أعلم . » اهـ (من التصريح) .

١٠٨٣ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي ، يُقاتِلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة » . قال : « فَينزلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام فيَقُولُ أميرُهم : تَعَالَ فصَلِّ فيقول : لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أُمراء ، تَكرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ » .

فسر بعضهم أحاديث الطائفة بأنهم أهل الشام وممن فسرها بذلك قتادة ، وعلق الشيخ عبد الفتاح على تفسير قتادة بقوله :

« هذا التفسير من قتادة لـ (العصابة) هو أحَدُ أقوال عشرة لخَّصَها شيخنا عبد الله الغُماري في « إقامة البرهان » ص ٣٠ ، وحَكَى أن الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم »

١٠٨٣ - مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى بن مريم ... إلخ .
وأحمد (٣ / ٣٨٤) .

١٢ : ٦٣ ارتاحَ إلى أن هذه العصابة عامّة مفرّقة بين أنواع المؤمنين ، فمنهم علماء محدّثون ، ومنهم فُقَهاء ، ومنهم زُهّاد ، ومنهم مجاهدون مقاتلون ، ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إلى غير ذلك من أنواع الخير ، ولا يلزمُ أن يكونوا مجتمعين في بلدٍ واحد أو قطرٍ واحد » اهـ (التصريح) .

١٠٨٤ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا نَزَل ابنُ مَرْيَمَ فيكم وإمامُكم منكم ؟ » وفي رواية لمسلم [١] : « فَأَمَّكُم » . وفي رواية أُخرى [٢] : « فأمَّكم مِنكم » .

ورواه أحمدُ [٣] ؛ قال : « كيف بكم إذا نَزَل ... ؟ » .

قال الشيخ عبد الفتاح :

« قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٣٥٨ : « وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجّال ونزولِ عيسى : « وإذا هُمْ بعيسى ، فيُقالُ : تَقَدَّمْ ياروحَ الله ، فيقولُ : لِيتقدَّمْ إمامُكم فليُصَلِّ بكم » . ولابنِ ماجه في حديث أبي أُمامة :

« وكلُّهم - أي المسلمون - ببيت المقدس ، وإمامُهم رجلٌ صالحٌ ، قد تَقدَّمَ ليصلّي بهم ، إذ نَزَل عيسى ، فرَجَعَ الإمامُ يَنْكُصُ لِيَتقدَّمَ عيسى ، فيَقِفُ عيسى بين كتفيه ثم يقول : تَقَدَّمْ فإنها لك أُقيمَتْ » . وعند مسلم من حديث جابر : « فيقال له : صلِّ لنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعض أُمراء تكْرِمةً لهذه الأمّة » .

قال الحافظ ابن حجر بعد هذه الأحاديث : « وفي صلاة عيسى خَلْفَ رجلٍ من هذه

١٠٨٤ - البخاري (٦ / ٤٩١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٩ - باب نزول عيسى ... إلخ .

مسلم (١ / ١٣٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٧١ - باب نزول عيسى ... إلخ .

(١) مسلم (١ / ١٣٦) في الموضع السابق .

(٢) مسلم (١ / ١٣٧) ، في الموضع السابق .

(٣) مسند أحمد (٢ / ٢٧٢) .

وذكره البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » ، وعزاه البخاري ومسلم ، ولفظه : « إذا نزل ابنُ مريم من السَّماء فيكم ، وإمامكم منكم » .

الأُمّة مع كونِه في آخرِ الزمان وقُرْبِ قيام الساعة : دلالةٌ للصحيح من الأقوال أنّ الأرضَ لا تخلو عن قائمٍ لله بحُجّة ، والله أعلم » . انتهى . وقيل . في معنى (وإمامُكم منكم) : وهو منكم أي عيسى ، فوُضِعَ الاسمُ المُظهَر موضعَ الاسم المضمرِ تعظيمًا له وتربيةً للمهابة في النفوس » . اهـ (التصريح) .

١٠٨٥ ـ * روى مسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نَفْسِي بيده : لَيُهِلَّنَّ ابنُ مَرْيَم بفجِّ الرَّوْحَاء حاجًّا أو مُعتمِراً ، أو لَيَثْنِيَنَّهما » .

وأخرجه أحمد في مسنده (١) ولفظه : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الخِنزيرَ ، ويمحو الصَّليبَ ، وتُجْمَعُ له الصلاة ، ويُعطِي المالَ حتى لا يُقْبَل ، ويَضَعُ الخراجَ ، ويَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ ، فيَحُجُّ مِنها أو يَعْتَمِرُ أو يَجْمَعُهُمَا » . وتلا أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤمِنَنَّ بهِ قَبلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيدًا ﴾ . فزَعَمَ حنظلةُ أنّ أبا هريرة قال : يؤمِنُ به قَبْلَ موتِ عيسى ، فلا أدري هذا كُلُّه حديثُ النبي ﷺ ؟ أو شيءٌ قاله أبو هريرة ؟

وأخرجه الحاكم (٢) وصححه كما في الدر المنثور ولفظه : « لَيَهْبِطَنَّ ابنُ مَرْيَم حَكَمًا عدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا ، ولَيَسْلُكَنَّ فَجّا حاجًّا أو مُعتَمِرًا ، ولَيَأْتِيَنَّ قبري حتى يُسَلِّم عليّ ، وَلأَرُدَّنَّ عليه » . يقولُ أبو هريرة : أيْ بَنِي أخي ! إنْ رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يُقرِئُك السّلام .

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

« معنى (لَيُهِلَّنَّ) : لَيَرْفَعَنَّ صوتَه بالتلبية قائلاً : لبَّيْك اللَّهمَّ لبَّيْك ، مُحْرِمًا بحجٍ أو بعُمْرة . ومعنى (أو ليَثْنِيَنَّهما) : أو ليجْمَعَنَّ بين الحجّ والعُمْرة . وفَجُّ الرَّوحاء : مكانٌ في طريق النبي ﷺ من المدينة إلى بَدْر . قيل يبعد عن المدينة ستة أميال .

١٠٨٥ ـ مسلم (٢ / ٩١٥) ١٥ ـ كتاب الحج ، ٢٤ ـ باب إهلال النبي ﷺ وهديه .

(١) مسند أحمد (٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٢) المستدرك (٢ / ٥٩٥) ، وقال صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

(وتجمع له الصلاة) : أي يصيرُ هو الإمامَ في الصلاة مع قيامِهِ بأعباء الإمامة العُظمى . وإمامتُه بالصلاة إنما تكون بعد صلاته الصبح فورَ نزوله مؤتمًّا بإمام المسلمين إظهاراً لكرامةِ هذه الأُمَّة وفضلِها .

(لزعم حنظلة) : هو حنظلة الأسْلَميُّ المَدَني ، تابعيٌ روى هذا الحديث عن أبي هريرة . ومعنى (زَعَمَ) : قال صادقًا . فإنَّ الزعم كما يُطلَق على القول الكذب أو المشكوكِ فيه ، يُطلَق أيضًا على القولِ المحقِّقِ والصدقِ الذي لا شكَّ فيه » . اهـ (التصريح) .

١٠٨٦ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن عبدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : لا واللهِ ما قال النبيُّ ﷺ لعيسى : « أحمرُ » ولكن قال : « بَيْنما أنَا نَائِمٌ أطُوفُ بالبَيْتِ ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبِطُ الشَّعَرِ ، يُهادَى بين رجلَين ، يَنطُفُ رأسُهُ ماء » أو « يُهْرَاقُ رأسُهُ ماءً » ، « فقلتُ : مَنْ هَذا ؟ قالوا : ابْنُ مَرْيَمَ ، فَذَهَبت أَلْتَفتُ ، فإذَا رَجُلٌ أحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ ، أعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمنى ، كأنَّ عَينَهُ اليمنى عِنَبةٌ طافيَةٌ ، قلتُ : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : هذا الدَّجالُ ، وأقْرَبُ النَّاس بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ » . قال الزهري : رجلٌ من خُزَاعَةَ هَلَكَ في الجاهليَّةِ ، ليس عند مسلم قول الزهري .

وفي رواية [1] قال : ذكر رسولُ الله ﷺ يومًا بَينَ ظَهرَانَي النَّاس المَسيحَ الدَّجالَ ، فقال : « إنَّ الله تَبَارَكَ وتعالى ليس بأعوَرَ ، ألا إنَّ المسيح الدَّجَّال أعْوَرُ عَيْنِ اليُمنى ، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيةٌ » . قال : وقال رسول الله ﷺ « أراني اللَّيلَةَ في المنامِ عند الكَعْبَةِ ، فإذا رَجلٌ آدَمُ ، كأحسَنِ ماتَرى مِنْ أُدْمِ الرِّجال ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بين مَنْكِبَيْهِ ، رَجِلُ الشَّعَرِ ، يَقْطُرُ رأسُهُ ماءً ، وَاضِعًا يديهِ على مَنكبي رَجُلين ، هو بينهما ، يطوفُ بالبيت . فقلت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : المسيحُ ابْنُ مَريَمَ ، ورأيتُ

١٠٨٦ ـ البخاري (١٢ / ٤١٧) ٩١ ـ كتاب التعبير ، ٣٣ ـ باب الطواف بالكعبة في المنام .
مسلم (١ / ١٥٦) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٥ ـ باب في ذكر المسيح ابن مريم ... إلخ .
والموطأ (٢ / ٩٢٠) ٤٩ ـ كتاب صفة النبي ﷺ ، ٢ ـ باب ماجاء في صفة عيسى ... إلخ .
(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٤٨ ـ باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ .
مسلم (١ / ١٥٥) في الموضع السابق .
والموطأ : في الموضع السابق .

ورَاءَهُ رَجُلاً جَعْدًا قططَا ، أعْورَ عَيْنِ اليُمنى ، كأشْبَهِ مَن رأَيتُ من النَّاسِ بابْنِ قَطنٍ ، واضعًا يَديه على منكبي رَجُلَيْن ، يَطوفُ بالبَيْت ، فقلتُ : مَن هذَا ؟ فقالوا : هذا المسيحُ الدَّجَّالُ » .

وفي رواية (١) قال : قال النبيُّ ﷺ : « رَأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ عليهم السلام ، فَأمَّا عيسى : فأحمرُ جَعْدٌ ، عَريضُ الصَّدْر ، وأمَّا مُوسى : فآدَمُ جَسيمٌ سَبْطٌ ، كأنَّهُ من رِجالِ الزُّطِّ » .

(آدَمُ) : رجلٌ آدم : شديدُ السُّمْرة .

(يُهادى) : تَهادى الرجل في مِشيته : إذا تمايَلَ ، ورأيتُ فلانًا يُهادَى بين رجلين : إذا كان يمشي مُتكئًا [عليهما] من ضَعفٍ وتَمايُلٍ .

(يَنْطِفُ) : أي : يَقْطُر .

(عِنَبةٌ طافِيَةٌ) : إذا كانت خارجة القَدِّ والسَّمْت عن أخواتها في العنقُودِ .

(لِمّتهُ) : اللِّمَّةُ : شعر الرأسِ .

(رَجِلُ الشَّعَر) : شَعَرٌ رَجِلٌ ، أي : مُسَرَّحٌ غيرُ شَعِثٍ .

(قَطِطًا) : شَعَرٌ قَطِطٌ : مُتناهي الْجُعُودَةِ .

(الزط) : جيل من الهند والسودان ، معرب « جت » .

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ في الفتح : اللام في قوله : « لعيسى » بمعنى « عن » وهي كقوله تعالى :

---

(١) البخاري (٦ / ٤٧٧) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ... ﴾ .

هكذا في كتاب البخاري ، وليس فيه ذِكْرُ إبراهيم .

وقد ذكره البرقانيُّ فيما حكاه الحميديُّ ، فقيل له : فإبراهيم ؟ قال : « شبيه صاحبكم » . قال الحميديُّ : قال أبو مسعود [الدمشقي] : كذا في البخاري في سائر النسخ ، عن مجاهد عن ابن عمر ، وإنما رواه الناس عن محمد بن كثير ، فقالوا : مجاهد عن ابن عباس ، وعلى روايتهم اعتمد أبو بكر البرقاني ، فأخرجه في مسند ابن عباس .

﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ماسبقونا إليه ﴾ قال : وفيه جواز اليمين على غلبة الظن ، لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي ، وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال ، لا عيسى ، وقرب ذلك أن كلا منهما يقال له : المسيح ، وهي صفة مدح لعيسى ، وصفة ذم للدجال ، قال : وكان ابن عمر قد سمع سماعًا جزمًا في وصف عيسى أنه آدم ، فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر واهم » . اهـ .

أقول :

لقد مرت معنا رواية تصف المسيح عليه الصلاة والسلام بالحمرة والبياض ، فليس ماردة ابن عمر في وصف المسيح صحيحًا ، بل هو الحق ، ولذلك استعمل ابن حجر تعبير الوهم أثناء الكلام عن موقف ابن عمر في وصفه المسيح بالسمرة ونفيه الحمرة عنه .

قال محقق الجامع :

« ابن قطن : رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ، قال الحافظ في « الفتح » : اسمه : عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطلق ، وأمه هالة بنت خويلد ، أفاده الدمياطي ، قال : وقال ذلك أيضًا عن أكثم بن أبي الجون ، وأنه قال : يارسول الله هل يضرني شبهه ؟ قال : « لا ، أنت مسلم وهو كافر » . حكاه عن ابن سعد ، والمعروف في الذي شبه به ﷺ أكثم بن عمرو بن لحي جد خزاعة ، لا الدجال ، كذلك أخرجه أحمد وغيره ، وفيه دلالة على أن قوله ﷺ : « إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة » . أي في زمن خروجه ، ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي ، والله أعلم » . ا . هـ .

١٠٨٧ - * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « إني لأرجو إنْ طالَ بي عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابنَ مريمَ ﷺ ، فإن عَجّلَ بي موتٌ فمن لقيه منكم فليُقرِئْهُ مني السلام » .

١٠٨٧ - مسند أحمد (٢ / ٢٩٨) .

مجمع الزوائد : (٨ / ٥) وقال رواه أحمد بإسنادين ، مرفوع وهو هذا ، وموقوف ، ورجالهما رجال الصحيح .

١٠٨٨ ـ * روى أبو سعيد النَّقَّاش ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طُوبى لِعَيْشٍ بعدَ المسيح ، يُؤذَنَ للسَّماء في القطْر ، ويُؤذَنَ للأرض في النَّبات ، حتى لو بَذَرْتَ حَبَّكَ على الصَّفَا لنبَت ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ على الأسدِ فلا يَضُرَّهُ ، ويَطأ على الحَيَّةِ فلا تَضُرَّه ، ولا تَشَاحَّ ، ولا تحاسد ، ولا تَباغُض » .

أقول :

هذا دليل على أن بعد وفاة عيسى عليه السلام يبقى الخير ويستمر السلام والبركة ، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين كما سيّمر معنا تكون بعد ذلك ، وهذا النص يؤكد أن النص المروي عن ابن عمرو الذي علقنا عليه وعلق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قد حصل فيه وهم أو لبس أو اختصار مخلٌ من أحد الرواة .

١٠٨٨ ـ فوائد العراقيين .

ورواه عنه أبو نُعَيم كما في « كنز العمال » . ورمز السيوطي إلى حُسْنه ، وقوّى الغُماري إسناده .

وقال المناوي (فيض القدير ٤ / ٢٧٥) : ظاهر عدول المصنف للنقاش أنه لم يره مخرجًا لأحدٍ من المشاهير ، وهو غفلة فقد خرجه أبو نعيم والديلمي وغيرهما .

(طوبى) : طُوبَى من الطِّيْب ، ومعناها هنا : فَرَحٌ وقُرَّةُ عَيْن وقد يُطلق لفظُ (طوبى) ويرادُ به الجنَّةُ أو شجرةٌ فيها .

(الصفا) : أي الحَجَر الأملس الأصمّ .

مسائل وفوائد

(١)

من أعظم الكتب التي ألفت في نزول المسيح عليه السلام كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » الذي حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ، فقد ذكر فيه مؤلف الكتاب الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ستة وسبعين حديثًا في نزول المسيح ، وأضاف إليها الشيخ عبد الفتاح حفظه الله عشرة أحاديث استدركها على الشيخ فأصبحت الأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام ستة وثمانين ، ثم ذكر الشيخ أنور من الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وعشرين أثراً ، واستدرك عليه الشيخ عشرة آثار فبلغت الآثار عن الصحابة والتابعين خمسة وثلاثين ، فيكون مجموع الوارد في نزول المسيح ما بين خبر وأثر (١٢١) ، فدل ذلك على أن هذه المسألة من القطعيات في الشريعة من أنكرها فقد كفر .

وفي سياق هذه الآثار والأخبار تمرّ نصوص كثيرة لها علاقة بالدجال ويأجوج ومأجوج والمهدي عليه السلام وأشراط الساعة ، مما يضاف على ما ورد من أحاديث مفردة في بعض هذه الشؤون ليقويها ، ومن ها هنا كانت أحاديث الدجال متواترةً وكذلك أحاديث المهدي عليه السلام . وفي الكتاب من الفوائد مالو وزن الكتاب بالذهب لكان قليلاً في حقه .

(٢)

ورد في القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وهي :

١ - ﴿ إذْ قالَت المَلائكةُ يامَرْيَمُ إنّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بكَلِمةٍ منه اسْمُهُ المَسيحُ عيسى ابنُ مريم وَجيهًا في الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقرَّبينَ * ويُكلمُ النّاسَ في المَهْدِ وكَهْلًا ومِنَ الصّالحين ﴾ [١] .

٢ - ﴿ إذْ قالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عليكَ وعلى والدَتِكَ إذ أيَّدْتُكَ برُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلًا ﴾ [٢] .

---

(١) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦ .   (٢) المائدة : ١١٠ .

٣ ـ ﴿ وقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وماقَتَلُوهُ وماصَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الذين اخْتَلَفُوا فيه لَفِي شَك منه ما لَهُمْ به مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وماقَتَلُوهُ يَقِينًا * بل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وكان اللهُ عزيزًا حكيمًا * وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلا لَيُؤمِنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ويَوْمَ القِيامَةِ يكونُ عَلَيْهِم شَهِيدًا ﴾ (١) .

٤ ـ ﴿ ولما ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إذَا قَوْمُكَ منه يَصِدُّونَ ﴾ (٢) . ﴿ إنْ هو إلا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيهِ وجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَني إسْرائيل ﴾ (٣) . ﴿ وإنَّه لَعِلمٌ للسَّاعَةِ فلا تَمْتَرُنَّ بها واتَّبِعُونِ هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم ﴾ (٤) .

أشارت الآية الأولى والثانية إلى نزوله بتكليمه الناس كهلاً والصحيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين والكهولة فوق هذه السن .

وأشارت الآية الثالثة إلى نزوله بإيمان أهل الكتاب به إيمانًا صحيحًا قبل أن يموت وذلك بعد نزوله .

وأشارت الآية الرابعة إلى أن المسيح عَلَمٌ للساعة على قراءةٍ : أي علامة ، و (عِلْمٌ) في قراءةٍ ، فهو في كل الأحوال يدلّ بنزوله على أنّ الساعة أصبحت قريبة .

روى ابن حبّان (٥) ، عن أبي يحيى مولى ابن عفراء ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ) قال : « نُزولُ عيسى ابنِ مريم قبلَ يوم القيامة » .

وعن ابن عباس (٦) رضي الله عنه في قوله تعالى : (وإنه لَعَلَمٌ للساعة) قال : خروج عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة) .

---

(١) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩ .
(٢) الزخرف : ٥٧ .
(٣) الزخرف : ٥٩ .
(٤) الزخرف : ٦١ .
(٥) الإحسان بترتيب ابن حبان (٨ / ٢٨٨) .
(٦) مجمع الزوائد (٧ / ١٠٤) وقال : رواه أحمد والطبراني بنحوه .
وأخرجه ابن جرير .

قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي إنّ سيدنا عيسى عليه السلام ـ والمرادُ نزولُه ـ أمارَةٌ وعلامةٌ على قُربِ وقوعِ الساعة . والآية المذكورة من سورة الزُّخْرُف : ٦١ . وهذه قراءةُ ابن عباس وأبي هريرة وأبي العالية وأبي مالك وعِكرِمة والحسن وقتادة والضحَّاك وغيرهم كا في « تفسير ابن كثير » ٤ : ١٣٢ ، وهي قراءة الأعمش من القُرَّاء أصحاب القراءات كا في « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي ص ٣٨٦ . وقراءةُ الجمهور : ﴿ وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعة ﴾ . وفي هذه القراءة أيضًا الضميرُ عائد إلى عيسى عليه السلام . والمرادُ أن عيسى عليه السلام بحُدوثِه من غير أب وبإحيائِه الموتى : يكفي دليلاً على صحَّة البَعْث وإعادة الخلق يوم القيامة ، وهو عليه السلام أيضًا عِلْمٌ للساعة أي تُعْلَمُ بنزوله ، فهو أمارةٌ وعلامةٌ عليها ، قال الزمخشري في « الكشاف » ٣ : ٤٢٤ ﴿ وإنه لَعِلْمٌ للساعة ﴾ أي إنّ عيسى عليه السلام شرطٌ ـ علامة ـ من أشراطِها تُعْلَمُ به ، فسُمّي الشَّرَطُ عِلمًا لحصول العِلْم به . انتهى وهكذا فسَّر الآية أبو حيان الأندلسي في تفسيره « البحر » ٨ : ٢٦ وابن قتيبة في « غريب القرآن » ص ٤٠٠ وغيرُهم من المفسّرين ، وتكون الآيةُ بقراءتيها ناطقةً أن عيسى عليه السلام عِلْم وعلامة على الساعة بنزوله من السماء قبل قيامها » . اهـ (التصريح) .

وروى ابن جرير [(١)] ، عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ يكلّم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ . قال : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلّمهم إذا قتل الدجّال وهو يومئذٍ كَهْل .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم [(٢)] ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وإنْ مِن أهلِ الكتاب إلا لَيُؤْمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ﴾ قال : قبلَ موتِ عيسى .

---

(١) الدر المنثور : تفسير آل عمران (٢ / ٢٥) .

(٢) الدر المنثور : تفسير النساء (٢ / ٢٤١) .

وأشار إليه ابن حجر وصحح إسناده في الفتح : ٦ / ٤٩٢ (٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٤٩ ـ باب نزول عيسى) .

(٣)

صرّح جماعة من الراسخين في العلم أن الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام متواترة ، فقال العلامة السيِّد محمود الآلوسيّ في تفسيره : « رُوح المعاني » : « ولا يَقْدَحُ في ذلك - أي في خَتْم النُّبوّة - ماأَجْمَعَتْ الأُمَّةُ عليه ، واشتهرَتْ فيه الأخبار - ولعلّها بَلَغَتْ مبلغَ التواترِ المعنوي - ونَطَق به الكتابُ - على قولٍ - ووجَبَ الإيمانُ به . وأُكْفِرَ مُنكِرُه كالفلاسفة : من نُزُولِ عيسى عليه السلام آخِرَ الزمان ، لأنه كان نَبيًا قبلَ تحلّي نبينا ﷺ بالنُّبوّة في هذه النشأة » . اهـ .

وقال العلاّمة الألوسيّ في تفسيره بعد هذا : « ثم إنّ عيسى عليه السلام حين يَنْزِلُ باقٍ على نُبوّته السابقة لم يُعزَلْ عنها بحال ، لكنه لا يتَعبَّدُ بها لِنَسْخها في حَقّهِ وحقّ غيره ، وتكليفهِ بأحكام هذه الشريعة أصلاً وفرعًا ، فلا يكون إليه عليه السلام وحيٌ ولا نَصْبُ أحكام ، بل يكونُ خليفةً لرسول الله ﷺ ، وحاكمًا من حُكّام مِلّته بين أُمّته بما عَلِمه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار » . ا . هـ .

وبه صرّح الحافظ عِمادُ الدين ابنُ كَثير ، حيث قال في « تفسيره » في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى : ﴿ وإنه لَعِلْمٌ للساعة ﴾ : « وقد تواتَرَت الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ أنه أَخبرَ بنزولِ عيسى عليه السلام قبلَ يوم القيامة « إمامًا عادلاً ، وحَكَمًا مُقْسِطًا » ا . هـ . وصَرّح به في تفسير سورة النساء أيضًا .

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

« [ومنهم]: الإمامُ ابنُ جَرِير الطبري في « تفسيره » عند قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إني مُتَوفِّيك ورَافِعُك إليّ ﴾ ٣ : ٢٠٣ ، فقد قال بعد أن ذكَرَ الأقوالَ في معنى التَّوَفّي : « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال معنى ذلك : أنّي قابِضُك من الأرض ورافِعُك إليّ . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريم فَيَقْتُلُ الدجّالَ ... » .

قال شيخنا الإمام الكوثريّ رحمه الله تعالى في كتابه : « نظرة عابرة في مزاعم من يُنكِرُ

نـزولَ عيسى عليــه الســلام قبــلَ الآخرة » ص ٣١ : « وليس في قــول الإمــام ابن جرير الطبري : (وأولى الأقوال بالصحة) مايُحتَجُّ به أنَّ تلـك الأقوالَ مشتركَـةٌ في أصلِ الصحـة ، وكيف وقد ذَكَرَ بينها ماهو مَعْزُوٌّ إلى النَّصارى ؟ ولا يُتَصَوَّرُ أنْ يَصِحَّ ذلـك في نظره ، بل كلامُهُ هذا مِنَ قَبيلِ مايُقال : فلانٌ أذكى من حمار ، وأفقهُ من جدار ، كَمَا يظهر من عـادة ابن جرير في « تفسيره » عند نَقْلِهِ لرواياتٍ مختلفـةٍ ، كائنـة مـاكانَتْ قيمتُهـا العلميـة ، وقـد يكون بينها ماهو باطلٌ حتمًا ، فلا يكونُ لأحدٍ إمكانُ التمسُّكِ بمثلِ تلك العبـارةِ في تقويـةِ الروايات المردودة » .

قلتُ : وهذه قاعدة وفائدةٌ تستفادُ لفهمِ كلامِ ابن جرير في « تفسيره » فـاعْلَمْهـا واشـدُدْ عليها بيديك ، فإنها من العلم المكنون .

ومنهم : الإمـامُ المفسِّر ابنُ عطيــة الغَرنــاطي الأنــدلسي ، فقــد قــال في « تفسيره » : « وأجمعتِ الأُمَّةُ على مـاتضمَّنـهُ الحـديثُ المتواترُ من أنَّ عيسى في السماء حيّ ، وأنـه يَنزِلُ في آخرِ الزمان فيَقْتُلُ الخنزير ، ويَكسِرُ الصَّليب ، ويَقْتُلُ الـدجَّـال ، ويُفيضُ العَـدْل ، وتظهرُ به مِلَّةُ محمد ﷺ ، ويَحُجُّ البيتَ ، ويَعتمِرُ » . انتهى .

ومنهم : العلامةُ الشوكاني اليمنى ، قال في كتابه : « التوضيح في تواتر مـاجـاء في المنتظر والدجَّال والمسيح » بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك : « فتقرَّرَ أنَّ الأحاديث الواردة في المَهْدِيِّ المنتظر متواترة ، والأحاديثَ الواردةَ في الدجَّال متواترة ، والأحـاديث الواردة في نزولِ عيسى ابنِ مريم متواترة » . كما نقله عنه أستاذُنا العلامـة الشيخ عبـد الله ابن الصـدِّيق الغُمَاري فرَّج الله عنه في كتـابـه : « عقيـدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليـه السلام » ص ١١

ومنهم : شيخُ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيـدي محمدُ بنُ جعفر الكَتّـاني رحمـه الله تعالى في كتابه : « نَظْم المتناثر من الحديث المتواتِر » : ص ١٤٧ حيث قـال : « وقـد ذكَرُوا أنَّ نزولَ سيدنا عيسى عليه السلام ثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قـال : والحـاصِلُ أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَهْدِيِّ المنتظر متواترة ، وكذا الواردَةُ في الدجَّـالِ وفي نزول عيسى ابنِ مريم عليه السلام » . اهـ (التصريح) .

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله:

(تواردتِ النصوصُ المتواترةُ على نزول سيدنا عيسى عليه السلام ، ولكن لا توقيت فيها لزمن نزوله بالتحديد والتعيين ، وإنما التوقيت فيها بالأمارات والعلامات الدالة على نزوله .

قال الإمام ابن جرير الطبري في مقدمة « تفسيره » : ١ : ٧٤ و ٩٢ : « تأويلُ جميع القرآن على أوجه ثلاثة : أحدُها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو ما لا يَعلم تأويلَه إلا اللهُ الواحدُ القهار ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحَجَب علمَه عن جميع خلقه ، وذلك ما فيه من الخبر عن آجالِ حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزولِ عيسى ابن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وماأشبه ذلك .

فإن تلك أوقاتٌ لا يَعلم أحدٌ حُدودَها ، ولا يَعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه ، وبذلك أنزَل ربُّنا محكَمَ كتابه، فقال : ﴿ يَسألونك عن الساعة أيّانَ مُرْساها قلْ إنما علمها عند ربي لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هو ثَقُلَتْ في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بَغْتَةً يَسألونك كأنك حفِيٌّ عنها قل إنما عِلمُها عند الله ولكن أكثرَ الناسِ لا يَعلمون ﴾ (١) .

وكان نبينا محمد ﷺ إذا ذَكَر شيئًا من ذلك ، لم يَدُلَّ عليه إلا بأشراطه ، دون تحديده بوقته ، كالذي رُوي عنه ﷺ أنه قال لأصحابه ، إذْ ذَكَرَ الدجّال : « إنْ يَخرج وأنا فيكم ، فأنا حَجيجُه ، وإن يَخرجْ بعدي ، فاللهُ خليفتي عليكم » . وماأشبَهَ ذلك من الأخبار الدالّة على أنه ﷺ ، لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما عرَّفه مجيئَه بأشراطه ، ووَقَّتَه بأدلته ») اهـ (التصريح) .

---

(١) الأعراف : ١٨٧ .

(٥)

جدول ماثبت بالقرآن والسنة من أمارات المسيح عيسى عليه السلام

تأليف العلامة المحقق الجليل الشيخ محمد شفيع

مفتي باكستان حفظه الله تعالى

ننقلها مع شيء من الحذف :

- اسمه السامي : عيسى ، يدل عليه ما لا يحصى من الآيات والأحاديث .

- كنيته : ابن مريم ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ مريم : ٣٤ .

- لقبه : المسيح .

- و : كلمة الله .

- و : روح منه ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ النساء : ١٧١ .

- والدته : مريم ، يدل عليه مالا يحصى من الآيات والأحاديث .

- نفي الوالد : ولد عيسى من غير أب بمحض قدرة الله تعالى .

- والد أمه : عمران عليه السلام ﴿ ومريم ابنة عمران ﴾ التحريم : ١٢ .

- خاله : هارون ﴿ ياأخت هارون ﴾ مريم : ٢٨ .

- والدة أمه : امرأة عمران - حنة - ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ آل عمران : ٣٥ .

- نذر جدته حملها للوقف على بيت المقدس : ﴿ إني نذرت لك مافي بطني محررًا ﴾ آل عمران : ٣٥ .

- ولادة حملها أنثى : ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ آل عمران : ٣٦ .

- اعتذارها في حضرة الله بأنها وضعتها أنثى وهي لا تليق أن تخدم بيت المقدس :

﴿ قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ آل عمران : ٣٦.

ـ تسميتها مريم : ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ آل عمران : ٣٦ .

بعض ماورد من أحوال أمه عليها السلام

ـ استعاذتها : من مس الشيطان : ﴿ أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ آل عمران : ٣٦ . وقد نص الحديث النبوي بأن هذا مما خص الله به مريم عليها السلام كما في صحيحي البخاري ومسلم .

ـ اختصام مجاوري بيت المقدس في تربية مريم وكفالة زكريا عليه السلام لها : ﴿ وماكنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيهم يَكْفُل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون ﴾ آل عمران : ٤٤ .

ـ إقامتها بالمحراب ورزقها من الغيب : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يامريم أنى لك هذا ﴾ آل عمران : ٣٧ .

ـ سؤال زكريا عن الرزق وجوابها أنه من عند الله : ﴿ قالت هو من عند الله ﴾ آل عمران : ٣٧ .

ـ مخاطبة الملائكة إياها : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها مقبولة عند الله : ﴿ اصطفاك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها طاهرة من الحيض : ﴿ وطهرك ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ كونها أفضل نساء زمنها : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ آل عمران : ٤٢ .

ـ ذهابها إلى زاوية : ﴿ إذ انتبذت من أهلها ﴾ مريم : ١٦ .

ـ كون الزاوية في جانب شرقي : ﴿ مكانًا شرقيًا ﴾ مريم : ١٦ .

ـ اتخاذها حجابًا : ﴿ فاتَّخذت من دونهم حجابًا ﴾ مريم : ١٧ .

ـ وجاءها ملك بشكل إنسان ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ﴾ مريم : ١٧ .

- استعاذتها : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك ﴾ مريم : ١٨ .

- ثم بشرها الملك بولادة عيسى عليه السلام : ﴿ لأهب لك غلامًا زكيًا ﴾ مريم : ١٩ .

- تعجبها بهذا الخبر ﴿ أنى يكون لي غلام ﴾ مريم : ٢٠ .

- إخبار الملك بأن ذلك ليس بصعب على الله ﴿ قال ربك هو عليّ هين ﴾مريم : ٢١ .

- حملها عيسى بمحض قدرة الله من غير أن يمسها رجل : ﴿ فحملته ﴾ مريم : ٢٢ .

- ذهابها إلى جذع نخلةٍ وقت المخاض : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلةِ ﴾ مريم : ٢٣ .

وقال العلماء : إن كل ماحصل لمريم عليها السلام من خوارق العادة كان في الأصل إرهاصات تبشر بنبوة عيسى عليه السلام .

محل ولادته عليه السلام وكيفية ذلك

- ولد في زاوية بستان بعيد من العمارة : ﴿ فانتبذت به مكانًا قصيًا ﴾ مريم : ٢٢ .

- كانت متكئة إلى جذع نخلة : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ مريم : ٢٣ .

أحوال مريم بعد ولادته عليه السلام

- اضطرابها حياء وخوفًا من تهمة الناس : ﴿ قالت ياليتني مت قبل هذا ﴾ مريم : ٢٣ .

- نداء الملك من تحت الشجرة أن لا تحزني فقد منحك الله ابنًا من سادة الناس : ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ مريم : ٢٤ .

- رزقها الله تعالى رطبًا جنيًا : ﴿ تساقط عليك رطبًا جنيًا ﴾ مريم : ٢٥ .

- إتيانها قومها بعيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ مريم : ٢٧ .

- تهمة القوم للسيدة مريم : ﴿ يامريم لقد جئت شيئًا فريًا ﴾ مريم : ٢٧ .

- كلام سيدنا عيسى عليه السلام في حجرها : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾ : مريم : ٣٠ .

وجاهة عيسى عليه السلام

- ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ﴾ آل عمران : ٤٥ .

- قامته معتدلة .

- لونه أبيض مشرب بالحمرة .

- شعر رأسه ممتد إلى منكبيه .

- شعره أسود كأنه يقطر وإن لم يصبه بلل .

- شعره جعد ، في بعض الروايات أنه سبط ، ويمكن أن هذا الاختلاف باختلاف الأوقات .

- نظيره في الحلية : يشابهه من الصحابة عروة بن مسعود رضي الله عنه .

خصائص عيسى المسيح عليه السلام

- إحياؤه الموتى بإذن الله ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- إبراء الأكمه بإذن الله : ﴿ وأبرئ الأكمه ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- إبراء الأبرص بإذن الله : ﴿ وأبرئ الأكمه والأبرص ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- النفخ في تراب حتى يصير طيرًا ﴿ فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- الإخبار بما أكله الناس وما ادخروه في بيوتهم : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ آل عمران : ٤٩ .

- عزم بني إسرائيل على قتله ، وحفظ الله تعالى له : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ آل عمران : ٥٤ .

- رفع الله تعالى له إلى السماء حيا : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ آل عمران : ٥٥ .

- نزوله عليه السلام من السماء إلى الدنيا ثانيًا في قرب من يوم القيامة .

حليته عليه السلام وقت نزوله

- يلبس ثوبين أصفرين .
- على رأسه قلنسوة طويلة .
- يلبس درعاً .

بعض أحواله عليه السلام وقت نزوله

- ينزل واضعًا يديه على أجنحة ملكين .
- في يده حربة يقتل بها الدجال .
- لا يجد كافر ريح نفسه إلا ويموت .
- يبلغ نفسه إلى ما يبلغ طرفه .

محل نزوله عليه السلام ووقت نزوله

- ينزل في الشام .
- ينزل في الجانب الشرقي من دمشق .
- ينزل عند المنارة البيضاء .
- وقت نزوله : عند صلاة الفجر .

أحوال الحاضرين في المسجد وقت نزوله عليه السلام

- جماعة من المسلمين يقودهم المهدي يجتمعون لقتال الدجال .
- يؤمهم الإمام المهدي .

بعض أحواله بعد نزوله عليه السلام

- يدعوه الإمام المهدي لإمامة الصلاة بالناس فيأبى .

ـ حينما يريد الإمام المهدي أن يتخلف يضع عيسى عليه السلام يده على ظهره ولا يرضى إلا أن يكون المهدي إمامًا .

ـ ثم يتقدم الإمام المهدي ويصلي بهم .

ـ إقامته في الدنيا بعد نزوله أربعين سنة .

ـ نكاحه بعد النزول وأولاده : يتزوج عيسى عليه السلام بعد النزول .

ـ يتزوج عيسى بامرأة من قوم شعيب عليهما السلام .

ـ يولد له بعد نزوله أولاد .

المشروعات التي يقوم بها بعد نزوله عليه السلام

ـ يكسر الصليب ويستأصل عبادته ولا يُبْقِي في الدنيا من النصرانية شيئًا .

ـ يقتل الخنازير .

ـ يفتح باب المسجد بعد الفراغ من الصلاة فيرى وراءه الدجال وقومًا من اليهود .

ـ يقاتل عليه السلام الدجال وأعوانه من اليهود .

ـ يقتل الدجال .

ـ يقتل عليه السلام الدجال في أرض فلسطين عند باب لد .

ـ ثم يقتل عليه السلام مابقي من اليهود .

ـ ولا يجد يهودي ملجأ .

ـ حتى تشهد الحجارة والأشجار على أن وراءها يهوديًا .

ـ ومن أجل ذلك لا يبقى حكم الجزية .

ـ ويعم عليه السلام الناس بالمال حتى لا يبقى من يقبل الصدقات .

- ويؤم عليه السلام الناس بعد صلاة الفجر الأولى التي صلاها مقتديًا بالإمام المهدي .

- يسافر إلى موضع فج الروحاء .

- يحج أو يعتمر أو يؤدي كلا النسكين .

- يسافر إلى روضة سيد الأنبياء ﷺ .

- ويرد على سلامه سيِّد الأنبياء ﷺ .

- مذهبه الذي يدعو إليه الناس : يعمل بالقرآن والسنة ويحث الناس عليه .

البركات الظاهرة والباطنة في زمنه عليه السلام

- تنزل في زمنه بركات دينية ودنيوية من كل نوع .

- ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس .

- يكون الرمان في زمانه كبيرًا حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس .

- ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس .

- ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة .

- وتنزع الحمة من كل ذيّ حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره .

- وتكشف الوليدة عن أسنان الأسد فلا يضرها .

- ويكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها .

- وتمتلئ الأرض من السلم كما يمتلئ الإناء من الماء .

- ولا يوجد فقير وتترك الصدقة .

أحوال العرب في ذلك الزمان

- العرب يومئذ قليل وأكثرهم ببيت المقدس .

ـ يجتمع المسلمون بجبل أفيق حذرًا من الدجال .

ـ ويصيب المسلمين بؤس ومجاعة شديدة حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه ويأكله .

ـ ثم ينادي مناد : يأأيها الناس أتاكم الغوث .

ـ فيتعجب منه الناس ويقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان .

وفاته عليه السلام وبعض الأحوال قبل وفاته

ـ ويأمر المسيح عليه السلام بأن يستخلفوا بعده رجلاً من بني تميم اسمه : المقعد .

ـ ثم يتوفاه الله تعالى .

ـ قبره عليه السلام : ويدفن في روضة النبي ﷺ بجنب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

أحوال المسلمين بعد وفاته عليه السلام

ـ ويستخلف الناس (المقعد) كما أمرهم المسيح عليه السلام .

اهـ من (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

الفقرة الحادية والعشرون

في :

يأجوج ومأجوج

مقدمة

ـ ذكر الله عز وجل يأجوج ومأجوج في موضعين من كتابه ، مرة في سياق بناء السد الذي بناه ذو القرنين ليحمي به أقوامًا من إفسادهم : ﴿ **قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا * قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا * فما اسطاعوا أن يظهروه وماستطاعوا له نقبًا ...** ﴾ (١) .

وذكرهم القرآن مرة أخرى في سورة الأنبياء (٢) :

﴿ **حتّى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون * واقترب الوعد الحقّ** ﴾ .

وقد أخذ الكلام عن يأجوج ومأجوج وعن ذي القرنين وعن السدّ الذي بناه كلّ مأخذ وتَشَتَّتَتْ بالمفسّرين المذاهب والافتراضات والحدّ الذي لا خلاف عليه هو أنّ مجيء يأجوج ومأجوج إلى بلاد الشام زمن عيسى ابن مريم ومايحدث لهم هو من اشراط الساعة الكبرى .

ـ ونقطة البداية الصحيحة في البحث هو أنّ الذي توجّه بالسؤال عن ذي القرنين هم اليهود أو قريش بإيحاء من اليهود وكان السؤال امتحانًا لنبوّة رسول الله ﷺ فيكون الجواب الصحيح من أعلام النبّوة ومعجزاتها ، وهذا لا يتحقّق إلا إذا كان الجواب معروفًا عند السائلين أو الدافعين للسؤال ، وبالجواب الصحيح تقوم الحجّة عليهم وتثبت بذلك الحجيّة برسالة محمد ﷺ على أهل السؤال وغيرهم ، وقد انطلق من هذا العلامّة الهندي الكبير أبو الكلام

---

(١) الكهف : ٩٤ ـ ٩٧ .

(٢) الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

أزاد في بحثه الذي نشر تحت عنوان (يسألونك عن ذي القرنين) فأتى به بما يثبت المعجزة ويقيم الحجّة ، وقد استغرق البحث مائة وثلاث صفحات تحدّث فيه عن شخصيّة ذي القرنين كما ذكرها القرآن ثمّ تحدّث فيه عن حيرة المفسّرين في تعيين شخصه ثمّ وصل إلى أنّ المفروض أن تكون نقطة البداية في البحث هي في كتب العهد القديم على اعتبار أنّ السائلين أو الدافعين للسؤال هم اليهود فعثر على نقطة البداية في سفر دانيال وهذه هي :

« في السنة الثالثة لجلوس بيلش فر الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال عيلام على شاطىء النهر أولائي ، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية ، رأيت كبشًا واقفًا على شاطىء النهر له قرنان عاليان . وكان الواحد منهما منحرفًا إلى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربًا وشرقًا وجنوبًا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرًا جدًا وبينما أنا أفكر في هذه الظاهرة إذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشي وجه الأرض كلها ، وكان بـــارزا بين عَيْنَي التيس قرن عجيب . ثم إن التيس اقترب من الكبش ذي القرنين ونفر منه مغضبًا ثم عمد إليه فكسر قرنيه وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزاً عن مقاومته ، محرومًا من ناصر ينصره عليه ـ « سفر دانيال ٨ : ١ » » .

ثم ذكر الكتاب على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلاً : إن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين ، مادا وفارس، فيلكهما ملك قوي لا تقدر دولة على مواجهته . أما التيس ذو القرن الواحد الذي رآه بعد الكبش ، فالمراد منه ملك اليونان ، والقرن البارز بين عَيْنَي التيس ، يدل على أول ملك من اليونان (٨ : ١٥) . اهـ رسالة (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ومظهر هذه النبوءة المتفق عليه هو الملك (قورش) أو (غورش) والذي يسميه اليونان (سائرس) واليهود (خورس) وهو الذي وحد مملكتي مادا وفارس واستولى على بابل وكانت له ثلاثة توجهات في حروبه : توجُّهٌ نحو الغرب حارب فيه اليونان وقهرهم ، وتوجه نحو الشرق حارب فيه قبائل رحلا ، وتوجه نحو الشمال سيطر فيه على القبائل الجبلية ، وكان من صفاته الرحمة والعدل والحرص على الرعيّة ، وكان على الدين الصحيح لزرادشت الذي قام دينه على التوحيد ثمّ حرّفته الديانة المجوسيّة التي كانت سابقة على دين

زرادشت ، ويرجّح أبو الكلام أنّ (قورش) كان معاصرًا لزرادشت ، وأنّ هذه المملكة التي أقامها قورش أنهاها بعد فترة الإسكندر المقدوني وهو الذي ذكرته رؤيا دانيال بأنّه ذو القرن ، ومن نبوات أشعيا في (قورش) مايلي :

« وإني أقول في حق خورس (غورش) بأنه راع لي وهو يتم مرضاتي كلها ... يقول الرب في شأن مسيحه خورس ، أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم في حوزته وأنزع القوة من سواعد الملوك وأفتح له الأبواب تلو الأبواب . أجل ، إني أمشي بين يديك وأُقَوِّم ما اعوج من سبلك ، وأكسر الأبواب النحاسية ، وأمنحك الخزائن المدفونة والكنوز التي في البيوت المغيبة . أفعل كل ذلك لتعلم أنني أنا الرب ، إله إسرائيل الذي ناداك باسمك صراحة لأجل إسرائيل ، شعبه المختار » (٤٥ : ١) .

وشبه غورش بعقاب الشرق في مكان آخر من الكتاب فقال : « ها ! انظروا ، إني أدعو عقابًا من الشرق أدعو ذلك الرجل الذي يأتي من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتي » (٤٦ : ١١) ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

فسفر أشعيا يشبه قورش بالعقاب ، وسفر دانيال يصفه أنّه ذو القرنين ، وقد عثر على تمثال لقورش يعتبر من أعظم الآثار الفارسيّة القديمة لقورش فيه جناحا عقاب وقرنان ، ومن المعروف أنّ قورش هو الذي أنقذ اليهود من أسر بابل ، ولذلك فإنّ له مقامًا كبيرًا عندهم .

كان ظهور أمر قورش في سنة (٥٥٩) ق . م . في ظروف لم تكن مقدّماتها لتؤهل إلى أن يصل قورش إلى الملك ولم يكد يستقرّ له الملك حتّى دانت له مادا وفارس تلقائيًا ثمّ خضعت له ولايات ومهّد لخضوع ولايات لخلفائه فكانت مجموع الولايات التي خضعت له ولخلفائه ثمانية وعشرين ولاية حتّى انتهى هذا الوضع للإسكندر المقدوني ، وكانت حملته الأولى نحو الغرب إلى بلاد الأناضول التي كانت يونانيّة وقتذاك وهي التي بدأت الحرب فانتصر عليها وعاملها برحمة ووصل بحربه هذه إلى شاطئ البحر وكان هجومه الثاني نحو الشرق ففتح مايسمّى الآن بمكران وبلوخستان وبلخ ، والغالب أنّه فتح بلاد السند في حملته هذه .

وكانت في هذه المناطق قبائل همجيّة يغلب على معظمها الترحّل ، ثم فتح بعد ذلك بابل وأنقذ اليهود من الأسر ، ثم كان هجومه الثالث نحو الشمال أي نحو البلاد التي سمّيت فيما بعد بالقوقاز ، وقد وصل غورش في حربه هذه إلى نهر أطلق عليه ولا يزال يطلق عليه اسم (نهر سائرس) أي نهر غوروش ، وهناك بنى سدًّا حديديًّا في الممر الجبلي الوحيد الذي يمكن أن يعبر منه سكّان شرقي تلك البلاد إلى أرض القوقاز وكانت وفاته سنة (٥٢٩) قبل الميلاد ومن المجمع عليه عند كلّ من كتب عنه من صديق وعدوّ أنّه كان عادلاً رحيمًا حكيمًا ، وأسفار العهد القديم تصفه بالتوحيد والعبوديّة الخالصة لله عز وجل ، وتعليل ذلك أنّه كان من أتباع زرادشت نبيّ الفرس على القول الراجح وذلك قبل أن يحرّف دين زرادشت .

ـ وبعد أن يعرض أبو الكلام أزاد هذا العرض يأتي بالنص القرآني الوارد في حق ذي القرنين ويبرهن على أنه ينطبق على قورش ، وبالنسبة للعين الحمئة التي وقف عندها ذو القرنين يقول أبو الكلام :

« لنضع خريطة الساحل الغربي لآسيا الصغرى أمامنا . نرى فيها معظم الساحل قد تقطع في خلج صغيرة ، لا سيما على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين . كانت سارديز على مقربة الساحل الغربي ، ولا تبعد كثيراً عن أزمير الحاضرة . فلنا أن نقول إن غوروش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز ، وصل من ساحل بحر أيجة إلى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل ، فرأى الشمس تغرب مساء في هذه العين ، هذا هو ماعبر عنه القرآن بقوله ﴿ **وجدها تغرب في عين حمئة** ﴾ [1] . أي أنه تراءى له كأن الشمس تغرب في بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب في مكان ما ، ولكنك إن وقفت على ساحل بحري ، رأيت الشمس كأنها تغرب رويدًا رويدًا في البحر » . ا.هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام أزاد عن المهمة الشرقية ويذكر أن كلًّا من المؤرخين اليونانيين

(١) الكهف : ٨٦ .

هيرودوتس وني سياز يذكرانها ويقولان :

« إن طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة » .

يقول أبو الكلام : (وهذا يطابق ماقاله القرآن : ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا** ﴾ [1] . أي أنه لما وصل إلى نهاية الشرق ، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم مايستترون به عن قيظها ، يعني أنهم كانوا من القبائل الرحالة التي لا تسكن المدن ولاتبني لها البيوت) ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ثم يتحدث أبو الكلام عن المهمة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج . قال أبو الكلام :

كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها ، تاركاً على يمينه بحر الخزر ، إلى جبال القوقاز Caueasus حيث وجد مضيقًا بين جبلين منها .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا : ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا** ﴾ [2] . أي أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرموا من المدنية والعقل والفهم .

والمقصود بسدين ، مضيق في جبال القوقاز . وإنك تجد على يمين القوقاز ، بحر الخزر الذي يسد طريق الحافة الشرقية منها ، وعلى اليسار البحر الأسود الذي يسد طريق الحافة الغربية ، وترى في الوسط سلسلة جبالها الشاهقة التي صارت جداراً طبيعياً ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجين من الشمال إلا مضيق وسطى في هذه الجبال ، يجتازه المهاجون ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه . فبنى غوروش في هذا المضيق سداً حديديًا ، أخذ به الطريق على المغيرين . ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابًا مقفلاً منيعًا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطبة في آسيا الغربية وفي مصر من جهة الشمال . اهـ .

(١) الكهف : ٩٠ .

(٢) الكهف : ٩٣ .

وقال أبو الكلام :

« أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوًا من العقل ، فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم « كولشي » وذكروا في لوحة دارايوش باسم « كوشيا » . هؤلاء الذين شكوا إلى غوروش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة ، وصفهم القرآن بقوله : ﴿ **لا يكادون يفقهون قولا** ﴾[1] . أي لا يفهمون الكلام » . اهـ .

وبعد أن يبرهن أبو الكلام على أن كل ماوصف به القرآن ذا القرنين ينطبق على قورش ينقل عن مؤرخين يونانيين هما في الأصل من أمة معادية للفرس ماقالاه في قورش :

ويقول هيرودوتس : « كان (غوروش) ملكا كريما ، جوادا سمحا للغاية ، لم يكن حريصًا على جمع المال كغيره من الملوك ، بل كان حرصه على الكرم والعطاء . يبذل العدل للمظلومين ، ويحب كل مافيه خير البشر » .

ويقول زينوفن : « كان ملكاً عاقلاً رحيمًا ، اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائلُ الحكماء ، همته تفوق عظمته ، وجوده يغلب جلالته ، خدمة الإنسانية شعاره ، وبذل العدل للمظلومين ديدنه . حل فيه ـ مكان الكبر والعجب ـ التواضع والسماحة » . اهـ .

وبعد كلام طويل ينتقل إلى الحديث عن سد يأجوج ومأجوج . فيقول أبو الكلام :

(علينا أن نتذكر في معالجة هذا البحث أن القرآن ذكر أمرين عن السد بخصوصية ، وهما أنه ، أي السد ، بُنِيَ في مكانٍ ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه ، أي كان المكان مضيقًا جبليًا ، وأن السد الذي أقيم به ، استُخدمت فيه زبرُ الحديد ، وأفرغ عليها النحاس المذاب ، وعلى ذلك يجب أن نجد السد في مضيق جبلي ، ويجب أن يكون هو جدارا حديديًا ، لا جدارا من الحجر والآجر ، ويكون قد سد طريق المضيق الجبلي) . اهـ .

---

(١) الكهف : ٩٣ .

ثم يتحدث عن يأجوج ومأجوج فيقول :

(إن كلمتي « يـأجوج » و « مـأجـوج » تبـدوان كأنها عبريتـان ، ولكنهما في أصلها قـد لا تكونان عبريتين . إنها كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية ، فهما تنطقان باليونـانيـة « غاغ » (Gog) و « ماغاغ » (Magog) وقـد ذكرتـا بهـذا الشكل في الترجمـة السبعينيـة للتوراة ، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوربية .

وقـد ورد هـذا الاسم لأول مرة في التوراة في كتـاب الخلق عنـد ذكره خروج أمم العـالم من ذريـة نوح ، فقـال : « ولـد ليـافث بن نوح ، جمر ، ومـأجـوج ، ومـادي ، ويـونـان ، وتوبال ، ومسـك ، وتيراس » (١٠ : ٣) ثم تكرر ذكرهم في الصحف الأخرى ، وقـد ذكروا بصراحة وتعيين واضحين في صحيفة حزقيـال كما ستراه . وكـذلـك جـاءت نبوءة بظهورهم في مكاشفات يوحنا من العهد الجديد .

فمن كان هؤلاء القوم ياترى ؟ لقـد تضـافرت الشواهـد التـاريخيـة على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، تـدفقت سيولهـا من قبل العصر التـاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو البلاد الغربيـة والجنوبيـة . وقـد سميت هي بـأسماء مختلفـة في عصور مختلفة ، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم « ميغر » في أوربا ، وباسم التتـار في آسيا . ولا شك أن فرعا لهؤلاء القوم ، كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود في سنـة ٦٠٠ ق . م . وأغار على آسيا الغربيـة نـازلا من جبـال القوقـاز . وقـد سماه اليونـان بـاسم « سي تهين » (Sythians) وذكر بنفس هذا الاسم في كتابة دارايوش بـاستخر . ولنـا أن نجزم بـأن هؤلاء هم الذين شكت غاراتِهم الشعوبُ الجبليةُ إلى غوروش ، فبنى السد الحديدي لمنعها .

القبائل المنغولية واليواشية :

تسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية من الأرض « منغوليا » وقبائلهـا الرحـالـة « منغول » وتقول لنا المصادر الصينيـة إن أصل كلمـة منغول ، هو « منكوك (بـالكاف الفـارسيـة بعـد النون) أو « منجـوك » (بـالجيم الفـارسيـة) وفي الحـالتين تقرب الكلمـة من النطـق العبري « ماكوك » (بالكافين الفـارسيتين) والنطق اليونـاني « ميكاك » (بـالكافين الفـارسيتين) .

ويخبرنا تاريخ الصين عن قبيلة أخرى من هذه البقعة ، كانت تعرف باسم « يواشي » والظاهر أن هذه الكلمة مازالت تحرف عند الأمم حتى أصبحت « يأجوج » في العبرية .

منغوليا ، مهد الشعوب القديمة :

إن الجزء المرتفع من الكرة الأرضية الواقع في الشمال الشرقي الذي يسمى الآن بمنغوليا وتركستان الصينية ، كان مهداً لشعوب قديمة لا تحصى . إنه كان معينًا بشريا ، تتدفق مياهه وتتجمع ، حتى إذا بلغت النهاية طغت وانصبت إلى الغرب والجنوب ، وجدت الصين في الشرق منه ، وآسيا الغربية والجنوبية في غربه وجنوبه ، وأوربا في الشمال الغربي منه ، فما زالت سيول القبائل والشعوب تتدفق ، فيستوطن بعض القبائل آسيا الوسطى والبعض الآخر يتقدم فيصل إلى أوربا ، أو ينزل بآسيا الغربية والجنوبية . وكانت هذه القبائل بعد خروجها من مسقط رأسها ، وحط رحالها في البلاد الجديدة ، تفقد خصائصها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة ، فتصير على مرور الأيام شعوبًا بنفسها . ولما كان موطنها القديم لا تتغير أحواله ، لم تزل تنشأ فيه قبائل جديدة ، وتتدفق في دورها إلى الخارج كأخواتها السابقة ، دون أن تتغير هذه البقعة بل تظل على همجيتها القديمة ، ولكن الذين كانوا ينسحبون منها ويسكنون البلاد الأخرى ، كانوا يتحضرون مع مر الزمن ، فتختلف حالتهم الجديدة عن الحالة القديمة ، فبينما المدنية تهذبهم وتزيل بربريتهم ، فيشتغلون بالزراعة والصناعات ، ويعيشون عيشة سهلة هنية ، يبقى إخوانهم في مسقط رأسهم على حالتهم الأولى من الهمجية والخشونة والقسوة ، ولذلك يظلون شبحا مخيفًا للمتحضرين) . اهـ .

ثمّ يتحدّث أبو الكلام عمّا عرف تاريخيًا من موجات متعاقبة لخروج يأجوج ومأجوج ، فموجة كانت نحو آسيا الوسطى ، وموجة نحو آسيا الغربية ، وموجة أخرى نحو آسيا الغربية التي أوقفها (قورش) وموجة نحو الصين اقتضت من إمبراطور الصين (شين هوانغ تي) أن يبني جدار الصين العظيم ، وموجة نحو أوروبّا بقيادة أتيلا أنهت الإمبراطوريّة الرومانيّة ، وموجة نحو الشرق العربي بقيادة جنكيز خان كان من آثارها تدمير أكثر البلدان الإسلاميّة ومنها بغداد (أقول : ولعلها المشار إليها بالحديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج كذا » . وحلّق الرسول ﷺ بين أصبعيه) .

« ويذكر أبو الكلام نبوءة لحزقيال عن يأجوج ومأجوج تذكر جوج بأنّه رئيس منسك وتوبال فيقول ليس منسك إلا مانسميه الآن موسكو ، أمّا توبال فهي بلاد البحر الأسود المرتفعة » ، ومن كلام أبي الكلام نفهم أنّ يأجوج ومأجوج يشكّلون الشعوب التي تعتبر وراء جبال القوقاز كما يشكّلون بالموجات التي انساحوا فيها في البلاد شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا وسيطروا عليها وامتزجوا بها بشعوب أخرى ، إنّهم يشكّلون أكثريّة سكّان هذا العالم ، وهذا الذي يشير إليه الحديث الصحيح الذي يذكر أنّ الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج بعث النار من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وأنّ سبب كثرة بعث النار وجود أمّتين يأجوج ومأجوج ماكانتا في شيء إلا كثّرتاه ، فسكّان أوربا وآسيا الشرقيّة بما في ذلك الصين وسيبيريا ومنغوليا وحتّى الجنس الآري كلّه مظنّة أن يكون لهم صلة بيأجوج ومأجوج ، أمّا من هم الذين انصبت عليهم النصوص بأنّ خروجهم ومجيئهم إلى بلاد الشام قبيل يوم القيامة ، فأمر غيبي يعرف ساعة وقوعه ولنعد إلى كلام أبي الكلام أزاد : يخصّص أبو الكلام آخر بحثه عن سدّ يأجوج ومأجوج ومن كلامه :

(توجد في البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعي ، وقد سد هذا الجدار الجبلي الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب ، إلا طريقًا واحداً بقي مفتوحًا ، وهو مضيق في وسط سلسلة الجبال ، يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق في أيامنا هذه بمضيق داريال ، ويشار إلى موضعه في الأطالس الحاضرة بين ولادي كيوكز Vladi Koukas وطفليس ، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدي من قديم الأزمان ، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذي بناه غوروش إذ تنطبق عليه الأوصاف التي وصف بها القرآن سد ذي القرنين قائلاً إنه استخدمت في بنائه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس بعد أن أذابوه لتتصل مفاصله ، فلا يبقي به خلل ، وقال إنه بني بين جدارين جبليين . وهذا هو مانراه في مضيق داريال جدارين جبليين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدي الذي قفل باتصاله بالجدارين الطريق الذي كان مفتوحًا بينهما .

وإن الكتابات الأرمنية لها أهمية كبيرة في المسألة ، لأنها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، قد سمي هذا السد أو الجدار الحديدي في اللغة الأرمنية من الدهور السالفة

بـ « بهاك غورائي » و « كابـان غورائي » ومعنى الكلمتين واحـد وهو « مضيق غوروش » أو « ممر غوروش » . ولا يخفى أن « غور » جزء لاسم غوروش بلا ريب . أفلا يثبت هـذا أن غوروش هو الذي بنى الجدار وإليه نسبوه من قديم الزمان ؟

وهناك شهادة أخرى لا تقل في أهميتها عن الأولى ، وهي شهادة لغة بلاد جورجيـا التي هي القوقاز بعينها ، فقد سمي هـذا المضيق بـاللغـة الجورجيـة من الـدهور الغـابرة « البـاب الحديدي » وترجمه الأتراك إلى لغتهم « دامركبو » وهو مشهور إلى الآن عندهم .

ألف الكاتب التركي وأستـاذ التركيـة والفـارسيـة في سنت بتربـورغ ، كاظم بـك في سنـة ١٨٤٥ تاريخًا لهذه الجهات باسم « دربند نامه » وترجم الكتـاب إلى الإنكليزيـة بـاسم تـاريخ دربند ، فراجعه ، ص ٢١ .

أمـا المؤرخون القـدمـاء ، فـأول من ذكره منهم ، هو الرحـالـة اليهودي الشهير ، يوسف الذي كان عائشا في القرن الأول الميلادي ثم ذكره بعـد أن عـاينـه بنفسـه المؤرخ بروكوبيس Procopius في القرن السادس الميلادي ، وذلك أن القائد الروماني ، بلي ساريس Bolisarius لما أغار على هذه الجهة في سنة ٥٢٨ م كان الرجل معه فشاهد الأرض وماعليها .

سبق لنـا أن أشرنـا إلى « نهر سـائرس » الـذي يثبت وصول غوروش إلى هـذه البقعـة ، فهنالك في القوقاز أنهار ، ينبع كلها من هذه الجبال . وقد سمي واحد منها بنهر سـائرس أي غوروش . وقد وثقت المصادر الأرمنية والكرجية هذا الاسم . وذكره كـذلـك بعض السيـاح الأوربيين من القرن السـادس عشر ، فهـذا أنتـوني جن كنسن Anthonie Jenkinson الـذي أرسلته شركة تجارية في لندرة إلى إيران من طريق روسيا سنـة ١٥٥٧ م ، يـذكر هـذا النهر في رحلته قائلاً بأنه يسمى بنهر سائرس ، ثم إن جميع الخرائـط التي وضعت لهـذه الجهـات في القرن الثامن عشر ، ذكرت « نهر سائرس » هذا بصراحة تامة) . اهـ .

ثمّ يتحدّث أبو الكلام عن خطأ شائع سبّبه وجود سد آخر على سـاحل بحر الخزر تسمّى دربند وسمّاها العرب باب الأبواب فاختلط على بعضهم الأمر فظنوا أنّ سـد دربنـد هو سـدّ ذي القرنين مع أنّ هذا السدّ بني بالحجارة ولا يوجد بين جبلين ، فيؤكّد أنّ سدّ ذي القرنين

هو الأوّل ويرجّح أنّ هذا السدّ بني متأخّرا وأنّ الذي بناه هو كسرى أنوشروان لضرورات دفاعيّة ، ومن كلام أبي الكلام عن سد دربند :

« توجد على ساحل بحر الخزر الغربي بلدة ، اشتهرت من العصر الساساني باسم « دربند » وسمتها العرب « باب الأبواب » وهي واقعة في نفس المكان الذي انتهت إليه سلسلة جبال القوقاز واتصلت بساحل بحر الخزر . وقد وجد هاهنا جدار حجري من الزمن القديم ، يبتدئ من ساحل البحر ويرتفع على منحدرات الجبل صاعدًا إلى مرتفعاته ، حتى يبلغ طوله نحو ثلاثين ميلاً .

وتفصيل ذلك أنك تجد قبل وصولك بلدة دربند ، جداراً يسد الطريق كله من الساحل إلى مرتفعات الجبل ، فلا يمكنك الدخول في البلدة إلا من باب في الجدار نفسه ، وكذلك إذا خرجت من البلدة ، وجدت جداراً آخر مثل الأول يسد الطريق ، إلا أن به كذلك باباً يمكنك من التقدم . ويمتد الجداران جنبًا لجنب إلى مرتفعات الجبل ، وينقص الفصل بينهما كلما تقدما ، حتى يصبح عند الساحل خمسمائة ياردة . وفي هذا الفصل تقع البلدة ثم ينقص الفصل بعد ميلين كذلك ، فلا يجاوز مائة ياردة . وهنا تنتهي سلسلة الجدارين ، فيصيران جدارا واحداً . ويمتد هذا الجدار إلى ثمانية وعشرين ميلاً ، وينتهي على المرتفعات العالية من الجبل . وكانت قد اشتهرت سلسلة الجدارين عند الفرس باسم « دوبارة » والمكان الذي انتهت إليه هذه السلسلة أقيمت فيه قلعة .

وقد سدت هذه السلسلة جميع الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب سداً محكمًا ، لأنها توغلت إلى داخل البحر ، فسدت طريق الساحل كلية ، ثم امتدت فوق الجبل إلى ثلاثين ميلاً ، فسدت سائر الطرق التي وجدت في منحدرات الجبل سداً تامًا ، وليس لأحد أن يخترق من الشمال إلى الجنوب إلا بطريق واحد وهو الطريق الذي يفتحه البابان في سلسلة الجدار نفسه .

ومن المحقق أن هذا الجدار العظيم وجد قبل الإسلام وسمي المكان في العصر الساساني « دربند » لوجود الجدار به أي باب المملكة المقفل . وقد ذكر الإصطخري ، والمسعودي ، والمقدسي ، وياقوت الحموي ، والقزويني وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب هذا المكان

باسم « دربند » قائلين إنه كان يعد أهم مكان في العصر الساساني . لأن المغيرين ما كانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق ، فكان المكان مفتوحًا للمملكة الإيرانية ، يملكها من يملكه .

ولما فتح العرب هذه الجهات في القرن الأول من الهجرة ، أدركوا أهمية المكان كالساسانيين ، فدعوه « باب الأبواب » عوضًا من « دربند » وسماه البعض « باب الخزر » أو « باب الترك » لأنه كان الطريق لغارات هذه الشعوب . والاسم ترجمة حرفية لاسمه الرومي « كاسبين بورتا » أي باب الخزر » . اهـ .

ويختم أبو الكلام حديثه بقوله :

« لقد كان في عصر غوروش أكبر خطر على آسيا الغربية من جهة قبائل سي تهين ، وكان طريق غاراتهم من مضيق داريال ، ولكن الوضع الجغرافي تغير بعد ألف عام ، فلم يبق خطر من قبل سي تهين ، ولكن حلت محله أخطار أخرى ، كان أكبرها من جهة الإمبراطورية الرومانية الشرقية في بيزنطة التي كانت تنافس الإمبراطورية الفارسية ، وتحاول القضاء عليها . وهي لم تكتف بطرق آسيا الصغرى المطروقة في حروبها ، بل كانت تطرق هذا الطريق كذلك . ثم كانت هناك القبائل التركية في سهول بحيرة يورال وبحر الخزر التي انتشرت جماهيرها في الشمال ، وكانت هي تهاجم الجهات الشمالية من الإمبراطورية الفارسية ، فكان لزاما أن يحصن هذا المكان باهتمام كبير ، وعلى ذلك شيد أنوشروان جدار دربند وسد به هذا الطريق في وجه المهاجمين » . اهـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

أقول :

إنّ هذا التوجّه الذي اتّجه إليه أبو الكلام هو الذي يناسب سبب النزول وهو الذي تقوم به الحجّة ، وهو الذي تتحقّق به المعجزة فيكون ذلك علمًا من أعلام نبوّة رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي ينسجم مع الواقع الحالي للمعرفة البشريّة ، كما أنّه ينسجم مع حديث : « ويل للعرب من شرّ قد اقترب » . وينسجم مع حديث : « أخرج بعث النار .... » . ولا يتعارض مع نصٍّ قرآني إذ يمكن أن تفهم النصوص على ضوئه فقوله

تعالى على لسان ذي القرنين : ﴿ فإذا جاء وعد ربّي جعله دكّاءَ وكان وعد ربّي حقًّا ﴾ [١] لا يشترط في فهمه أن يكون الوعد هو يوم القيامة بل هو اليوم الموعود لخرابه ، وقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ [٢] . لا يشترط أن يكون خروجهم بين يدي الساعة منوطًا بوجود السدّ بل المراد خروجهم من مواطنهم غازين هذا العالم ومنه بلاد الشام ، ويحتمل أن يكونوا هم شيوعيّي هذا العالم - إن بقوا - ، ويحتمل أن يكونوا شعوب الاتحاد السوفياتي خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا الصينيين خاصّة ، ويحتمل أن يكونوا غيرهم ولا يتحدّدون إلا بظهورهم بين يدي الساعة .

- إنّ تحقيقات العلماء كلّها منصبّة على أنّ يأجوج ومأجوج من ذريّة آدم من ولد يافث ابن نوح ويدخل في ذريّة يافث الروم والترك والجنس الآري والجنس الصيني ، وعلى ذلك فسكّان الهند والصين وشعوب شرقي آسيا وشعوب أوربّا أكثريتهم من ولد يافث بن نوح ، فمن هم الذين يعتبر خروجهم ومجيئهم بكثرتهم الكاثرة إلى بلاد الشام ؟ هم يأجوج ومأجوج الذين يعتبر خروجهم من أشراط الساعة ؟ الاحتمالات متعددة ، والظاهر أنهم يأتون من الشرق .

- لقد غزا في عصرنا الاتحاد السوفياتي أفغانستان وأصبح بينه وبين بلدان الخليج أقلّ من أربعمائة كليو متر وهذا نموذج على مايمكن أن يفعله شيوعيّو الاتحاد السوفياتي - إن بقوا - في يوم ما تجاه منطقتنا ، والصينيّون يبلغون اليوم ملياراً ، ولا يبعد أن يجتاحوا آسيا في يوم من الأيّام وهذا نموذج على مايمكن أن يحدث .

وقد وجدت روايات كاذبة حول السدّ ويأجوج ومأجوج ، ووجدت روايات ضعيفة ، فإذا ماوجد تحقيق قويّ يمكن أن تفهم على ضوئه النصوص القرآنيّة والنصوص الحديثيّة الصحيحة والحسنة فإنّه يكون مقدّمًا حتّى يأتي تحقيق آخر أقوى منه .

- ومع ذلك كلّه فالأسلم التسليم والتفويض .

- وقد مرّت معنا بمناسبة الكلام عن عيسى ابن مريم وفي أحاديث الدجّال أحاديث كثيرة لها علاقة بيأجوج ومأجوج ومع ذلك أفردنا لها هذه الفقرة .

---

(١) الكهف : ٩٨ . (٢) الأنبياء : ٩٦ .

نصوص

١٠٨٩ - * روى أحمد عن ابنِ حَرْمَلَةَ وهو خَالدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حرملةَ عن خالتِه قال خطبَ رسول الله ﷺ وهو عاصبٌ رأسَهُ من لَدْغَةِ عقْربٍ فقال : « إنكم تقولون لا عدو وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتِيَ يأجوجُ ومأجوجُ عِراضُ الوجوهِ صِغارُ العيونِ صُهْبُ الشِّعاف ومن كل حَدَبٍ ينسلون كأن وجوههم المجانُّ الْمُطْرَقَةُ » .

١٠٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن زينبَ بنت جَحْشٍ رَضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فَزِعًا يقول : « لا إله إلا الله ، وَيلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَب ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يَأْجوج ومأْجوجَ مثلُ هذه - وحلَّقَ بأصْبَعِهِ : الإبهامِ والتي تَليها - » فقالت زينبُ بنتُ جَحْشٍ : فقلتُ : يارسولَ الله أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال :« نعم ، إذا كَثُرَ الْخَبث » .

هذه رواية البخاري ومسلم .

وفي رواية الترمذي [(١)] قالت : اسْتَيْقَظَ رسول الله ﷺ مِنَ النَّومِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ ، يقول : « لا إله إلا الله ... » وذكر نحوه . وفيه : وَعَقَدَ عَشْرًا .

قوله : « ويل للعرب » إنما خص الويل بهم ، لأن معظم مفسدتهم راجع إليهم ، وقد وقع بعض ماأخبر به ﷺ حيث قال : « إن يأجوج ومأجوج هم الترك » وقد أهلكوا الخليفة المستعصم ، وجرى ماجرى ببغداد ، قاله الكرماني .

قال النووي : « الخبث » هو بفتح الخاء والباء . وفسره الجمهور : بالفسوق والفجور . وقيل : المراد به : الزنا خاصة . وقيل أولاد الزنا . والظاهر : أنه المعاصي مطلقًا .

١٠٨٩ - أحمد (٥ / ٢٧١) .

مجمع الزوائد (٨ / ٦) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

(صُهْبُ الشِّعاف) : صهب الشعور ، والصهبة : الشقرة .

١٠٩٠ - البخاري (١٣ / ١٠٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٤ / ٢٢٠٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(١) الترمذي (٤ / ٤٨٠) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب ما جاء في خروج يأجوج مأجوج .

« ونهلك » بكسر اللام ، على اللغة الفصيحة المشهورة ، وحكي فتحها ، وهو ضعيف أو فاسد . ومعنى الحديث : أن الخبث إذا كثر ، فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون .

١٠٩١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه ، وعقد بيده تسعين » .

قال النووي : « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وعقد سفيان بيده عشرة ، هكذا وقع في رواية سفيان عن الزهري . ووقع بعده في رواية يونس « وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها » .

وفي حديث أبي هريرة بعده « وعقد وهب بيده تسعين » فأما روايتا سفيان ويوسف ، فتفقتان في المعنى ، وأما رواية أبي هريرة فمخالفة لهما ؛ لأن عقد التسعين أضيق من العشرة . قال القاضي : لعل حديث أبي هريرة متقدم ، فزاد قدر الفتح بعد هذا القدر ، قال : أو يكون المراد : التقريب للتمثيل ، لا حقيقة التحديد ، و « يأجوج ومأجوج » غير مهموزين ومهموزان ، قرئ في السبع بالوجهين ، والجمهور بترك الهمزة » .

١٠٩١ - البخاري (١٣ / ١٠٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٨ - باب يأجوج ومأجوج .

مسلم (٤ / ٢٢٠٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

(رَدْم) : ردمتُ الثّلمة ردمًا: إذا سددتها ، والاسم والمصدر سواء : الردم .

(حلّق وعقد عشراً) : حلّق : أي جعل أصبعه كالحلقة ، وعقد عشرًا : هي من مُواضعَاتِ الحساب ، وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط أصبعك الإبهام من باطنها شبه الحلقة ، وعقد التسعين مثلها ، إلا أنها أضيق منها حتى لا يبين في الحلقة إلا خللٌ يسيرٌ .

مسائل وفوائد

(١)

قد مرّ معنا من قبل حديث النواس بن سمعان وفيه :

« فبينما هو كذلك (أي عيسى عليه السلام) إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنّي قد أخرجت عبادًا لي لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطور . ويبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبيُّ الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناقِ البُخْتِ فتَحْمِلُهم فتطرَحُهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَر ولا وَبَر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ... » [١] .

(لا يَدَان) : أي لا قدرة ولا طاقة لأحد بمقاتلتهم .

(فحَرِّزْ عبادي إلى الطور) : أي ضُمّهم إلى الطور واجعله لهم حرزًا . والطور هو الجبل الذي ناجى عليه سيدنا موسى عليه السلام ربه ، وهو بالقرب من مصر عند موضع يسمّى مدين كما قاله ياقوت في معجم البلدان .

(الحَدَب) : المرتفع من الأرض .

(ينسلون) : يسرعون .

(يُحْصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه) : أي يُحاصَرون ويُحْبَسون في جبل الطور .

(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلىالله) : أي يدعون الله ويرغبون إليه في إهلاكهم .

(النغف) : دود يكون في أنوف الإبل والغنم .

(فرسى) : أي موتى .

(يهبط نبي الله عيسى وأصحابه) : أي ينزلون من جبل الطور .

(نتنهم) : رائحتهم الكريهة .

(البخت) : الإبل ذات الأعناق الطويلة القوية .

(لايَكُنُّ) : أي لا يحفظ منه بيت تراب أو حجر أو صوف أو شعر .

(كالزلفة) : أي كالمرآة في صفائها ونظافتها .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(٢)

قال ابن كثير في النهاية :

« يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيح ، يقول الله تعالى يوم القيامة :

« يَاآدمُ فيقولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بصوت : ابْعَثْ بَعثَ النارِ فيقول كم ؟ فيقول من كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمائةٍ وتِسْعٌ وتِسعُون إلى النار وواحدٌ إلى الجنةِ ، فيومئذ يشيب الصغير وتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْل حَمْلَهَا ؛ فَيقالُ : أَبْشِروا ؛ فإن في يأجوجَ ومأجُوجَ لكم فداء ؛ وفي رواية فيقال : إن فيكمْ أُمَّتَيْن مَاكَانتا في شيءٍ إلا كَثَّرتاهُ ، يأجوجُ ومأجوجُ » .

« وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخرومة عيونهم الزلف أنوفهم الصهب شعورهم على أشكالهم وألونهم ، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول ، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير ، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطى بالأخرى ، فقد تكلف ما لا علم له به ، وقال مالا دليل عليه » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

أقول : تطلق كلمة الأتراك على الأقوام القاطنة وراء جبال تركستان ، فلا ينبغي أن ترتبط كلمة الترك بما هو مشهور ومعروف الآن : أن الأتراك هم سكان آسيا الصغرى في شمال بلاد الشام ، فهناك أتراك مسلمون كانت لهم أدوار كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين، فهؤلاء من الأمة الإسلامية ولا يدخلون فيما ورد من كلام للعلماء في كفار الترك .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح :

« ويأجوجُ ومأجوجَ كلٌ واحدٍ من هذين اللفظين : اسمٌ لقَبيلٍ وأُمَّةٍ من الناس ، مَسكنُهم في أقصى الشرق ، ومايُقالُ في خلْقَتِهم وصِفاتِهم مما يُخَيِّلُ إلى سامعه أنهم ليسوا من طبيعة البَشَر ولا على خِلقةِ الناس فكذبٌ لا أصل له . قال الحافظُ ابنُ كثير في « تفسيره » في تفسير سورة الكهف ٣ : ١٠٣ ـ ١٠٤ : « هُمْ من سُلالةِ آدم عليه السلام ، كما ثبت في « الصحيحين » : أنَّ الله تعالى يقول ـ أي يوم القيامة ـ ياآدمُ فيقول : لبَّيْك وسَعْدَيْك ،

فيقول : ابْعَثْ بَعْثَ النـار ـ أي مَيزْ أهلَ النـارِ من غيرهم ـ فيقولُ : ومـابَعْثُ النـار ؟ ـ أي ومامِقدارُهم ؟ ـ فيقول : مِن كل ألفٍ تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنَّـة ، فحينئـذٍ يَشيبُ الصغير ! وتَضَع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهـا ! فقـال ـ أي رسولُ الله ﷺ ـ : إنَّ فيكم أُمَّتَيْنِ ماكانتا في شيءٍ إلا كثَّرتاه : يأجوج ومأجوج » . انتهى .

قـال العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعـالى في تفسيره « محـاسن التـأويل » عنـد ذكرهم في سورة الكهف ١١ : ٤١١٦ : « قـال بعض المحققين : كان يوجـد من وراء جبل من جبال القوقاز المعروف عند العرب بجبل قاف في إقليم داغستان : قبيلتان ، تسمى إحداهمـا : (آقوق) ، والثـانيـة : (مـاقوق) ، فعربها العرب بـاسم (يـأجوج) و (مـأجوج) ، وهمـا معروفان عنـد كثير من الأمم ، وورد ذكرهمـا في كتب أهل الكتـاب ، ومنهما تنـاسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا » .

ثم قال الحـافظُ ابنُ كثير : « ومايُذكَر في الأثرِ عن وَهْب بـن مُنَبِّه في أشكالِهم وصفاتِهم وآذانِهم وطُـولِهم وقِصَرِ بعضِهم ففيـه غرابـةٌ ونكارة . ورَوَى ابن أبي حـاتم عن أبيـه في ذلـك أحاديثَ غريبةً لا تَصِحُّ أسانيدُها » . انتهى . وقال الشيخ أبو حيَّـان الأنـدلسيُّ في تفسيره : « البحر » ٦ : ١٦٣ « وقـد اختُلِفَ في عَـددِهم وصِفـاتِهم ، ولم يصحَّ في ذلـك شيء » . ونقَلَـهُ عنه العلاَّمة الألوسيُّ في تفسيره « رُوح المَعَاني » ٥ : ١٤٢ مُرتضيًـا لـه . ويعني أبو حيـان أنَّ الأخبار التي تُروَى في ذلك ضعيفةٌ لا تَثْبُتُ على مِحَكِّ النَّقْد .

وقد اتفقتْ كلمةُ القُرآنِ الكريم والحديث الشريف على كثرةِ يـأجوجَ ومـأجوج ، وشِـدَّةِ إفسـادهم كما هو صريحٌ في ... [حـديث النـواس بن سمعـان] ، وكما هـو صريـحٌ في حـديث « الصحيحين » الذي نقلنـاه عن الحـافـظ ابن كثير ... ، وكما جـاء ذلـك في أحـاديث كثيرةٍ لا تُحصى .

وقـد أفصح القرآن الكريم عن هـذا أيضًـا فقـال تعـالى في سـورة الكهف مُخبرًا عن ذي القَرْنَيْنِ وعنهم : ﴿ حتى إذا بَلَـغ بَيْنَ السَّـدَّينِ وجَـدَ من دُونِها قـومًـا لا يكادون يفقهـون قولاً ۝ قالوا ياذا القَرْنَينِ إنَّ يأجوجَ ومـأجوجَ مُفسِـدُون في الأرض فهل نَجْعلُ لـك خَرْجًـا

على أن تَجعلَ بيننا وبينهم سَدا ﴾ (١) ؟ ثم قال سبحانه : ﴿ وتركْنَا بعضَهم يومئذٍ يَموجُ في بعض ﴾ (٢) .

وقال الحافظ ابنُ كثير في « تفسيره » ٣ : ١٠٥ « وقال السُّدّيُّ في قوله تعالى : ﴿ وتَرَكْنَا بعضهم يومئذٍ يموجُ في بعض ﴾ (٣) قال : ذاك حين يَخرجون على الناس . وهذا كلُّه قَبْلَ يوم القيامة وبَعْدَ الدجّال ، كا سيأتي بيانُه عند قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ وهُمْ مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون * واقتربَ الوَعْدُ الحقُّ ﴾ (٤) . وقال عند هذه الآية في سورة الأنبياء ٣ : ١٩٥ : « وهذه صِفَتُهم في حال خروجهم » . اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *

---

(١) الكهف : ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) الكهف : ٩٩ .

(٣) الكهف : ٩٩ .

(٤) الأنبياء ٩٦ ـ ٩٧ .

الفقرة الثانية والعشرون

في :

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق

مقدمة

بعد وفاة المسيح عليه السلام بفترة مايرسل الله ريحًا تقبض روح كل مؤمن كما مرّ معنا من قبل ، وأصل هذا الموضوع وهو أن ريحًا تكون بعد المسيح عليه السلام بزمن ما تقبض روح كل مؤمن فلا يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة ، هذا القدر فيه نصوص كثيرة منها حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرناه من قبل وناقشنا بعض أجزائه ، والذي فيه(١) :

« ... ثم يرسل الله ريحًا فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان » .

وفي رواية لأحمد ومسلم وغيرهما (٢) « ... فبينما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً . فتأْخُذَهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ . فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ وكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

(يتهارجون تهارج الحمر) : قال الشيخ عبد الفتاح :

« أي يتسافدون في الأرض تسافُدَ الحمير ، أي يجامع الرجالُ علانيةً النساءَ بحضرة الناس كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون لذلك . والهَرْج : الجماع . وهذا نموذجٌ لشيوع الفساد والفواحش حينذاك » اهـ (التصريح) .

---

(١) انظر الحديث وتخريجه ص ١٠٩٨ .

(٢) انظر الحديث وتخريجه ص ١٠٢٨ ، ١٠٣١ .

وهذه نصوص أخرى تؤكد هذا الشأن :

١٠٩٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن اللهَ يَبعثُ ريحًا من اليمن ، ألْيَنَ من الحرير ، فلا تَدَعُ أحداً في قلبه مِثقالُ حَبَّةٍ من إيمان إلا قَبَضَتْهُ » .

وفي رواية (١) : « مِثقالُ ذَرَّةٍ » .

١٠٩٣ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ إلا على شِرار الناسِ » .

١٠٩٤ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقول : الله الله » .

وفي رواية (٢) « حتى لا يُقال في الأرض : الله الله » .

١٠٩٥ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن عمرو قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يأخُذَ الله شَريطَتَه من أهل الأرض فيبقى فيها عَجاج لا يعرفون معروفًا ولا ينكِرون مُنْكرًا » .

١٠٩٢ - مسلم (١ / ١٠٩) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٠ - باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان .

(١) مسلم : الموضع نفسه .

١٠٩٣ - مسلم (٤ / ٢٢٦٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

١٠٩٤ - مسلم (١ / ١٣٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٦ - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال الترمذي : وروي عنه غير مرفوع ، وهو أصح .

١٠٩٥ - أحمد (٢ / ٢١٠) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٣) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ، ورجالهما رجال الصحيح .

(العَجاج) : الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه .

١٠٩٦ - * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى لا يُقال في الأرض لا إله إلا الله » .

١٠٩٧ - * روى أحمد عن عِلْباءِ السُّلَمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة إلا على حُثَالةٍ من الناس » .

١٠٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعةُ حتى تضطربَ أَلَيَاتُ نساء دَوْسٍ على ذي الخَلَصَةِ » وذو الخلَصة : طاغيةُ دَوسٍ التي كانوا يَعْبُدون في الجاهلية .

وفي رواية : [1] وذو الخلصة : صنم كان يعبده دَوْس في الجاهلية بتَبَالَةَ .

١٠٩٩ - * روى مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يَذْهَبُ الليلُ والنهار ، حتى تُعْبَدَ اللاَّتُ والعُزَّى » قلت : يارسولَ الله ، إن كنتُ لأظُنُّ حينَ أنزل الله تعالى : ﴿ هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَه بالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشركون ﴾ الصف : ٩ . أن ذلك تام ، قال : « إنه سَيَكونُ من ذلك ما شاء الله ، ثم يَبْعَثَ الله ريحًا طَيِّبَة ، فَتَتَوفَّى كُلَّ من كان في قلبه مِثْقالُ

١٠٩٦ - أحمد (٣ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٩٧ - أحمد (٣ / ٤٩٩) .

والمعجم الكبير (١٨ / ٨٤) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ؛ ورجاله ثقات .

١٠٩٨ - البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان .

مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٧ - لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(أليات نساء دوس على ذي الخلصة) : ذو الخلصة : بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبَجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب ، وقيل : هو صنم ، وكان عمرو بن لحيّ نَصبَه بأسفل مكة ، حين نصب الأصنام في مواضع شتى ، فكانوا يُلبسونه القلائد ، ويعلّقون عليه بَيض النعام ، ويذبحون عنده ، فكان معناهم في تسميتهم بذلك : أن عبَّادَهُ خَلَصةٌ ، وقيل : هو الكعبة اليمانية ، والمعنى : أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان ، فترمل نساء دوس طائفاتٍ حوله فترتجُّ أردافهنَّ .

١٠٩٩ - مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٧ - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

حَبَّةٍ من خَرْدلٍ من إيمان ، فيبقى من لا خيرَ فيه ، فَيَرْجِعونَ إلى دينِ آبائهم » .

١١٠٠ ـ * روى مسلم عن عبد الرحمن بن شِمَاسَة رحمه الله ، قال : كنتُ عندَ مَسْلَمةَ ابنِ مُخَلَّد وعنده عبدُ اللهِ بنُ عمرو بنِ العاصِ ، فقال عبدُ الله ، لا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الخلق ، هم شرٌّ من أهل الجاهلية ، لا يَدْعُون الله بشيءٍ إلا ردَّه عليهم ، فبينما هم على ذلك أَقْبَلَ عُقْبَةُ بن عامر ، فقال لهُ مَسْلَمَةُ : ياعُقبةُ ، اسمع مايقولُ عبدُ الله ، فقال عقبةُ : هو أعلم ، وأما أنا ، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزالُ عِصابةٌ من أُمتي يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوِّهم ، لاَ يضُرُّهم مَنْ خالَفَهم حتى تأتِيَهم الساعةُ وهم على ذَلك » ، قال عبدُ الله : أجل ، « ثم يَبْعثُ الله ريحًا كريحِ المِسكِ ، مَسُّها مَسُّ الحريرِ ، فلا تترُكُ نَفْسًا في قلبهِ مِثقالُ حَبَّةٍ من إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ ، ثم يبقى شرارُ الناسِ ، عليهم تقومُ الساعةُ » .

* * *

١١٠٠ ـ مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٥٣ ـ باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... إلخ .

الفقرة الثالثة والعشرون

في :

نار عدن

مقدمة

إن آخر الآيات التي تكون بين يدي الساعة هي خروج نار من قعر عدن تسوق النـاس إلى أرض المحشر ، وقد حاول بعض العلماء أن يحمل الأحـاديث الواردة في ذلـك على مـاظهر في أرض العرب من بترول استُعمل في السيارات وغيرهـا بحيث يستطيع الإنسـان أن يسـافر من اليمن إلى الشام على راحته فيطفىء محرك السيارة حيث شاء ويمشي حيث شاء وذلك فهم خاطىء للنصوص ، فالنار الواردة في النصوص حادثة خارقـة تكون بين يـدي السـاعـة تحشر النـاس بشكل خـارق حتى تلحقهم إلى الشـام مركـز الحشر ثم تقـوم السـاعـة على النـاس ، ولا تقوم الساعة إلا على كافر كما رأينا في الفقرة السابقة .

وهذه بعض النصوص الواردة في هذا الشأن وقد مر معنا بعضها من قبل :

النصوص

١١٠١ ـ * روى مسلم عن حُذَيْفَةَ بنِ أَسيدٍ الغِفاريِّ رفعه : « إنها لن تقومَ الساعةُ حتى تروا قبلَها عشرَ آياتٍ ، فذكر الدخانَ والدجالَ والدابةَ ، وطلوع الشمس مِن مغربها ، ونزولَ عيسى ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثةَ خسوف ، خَسْفٌ بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرةِ العرب ، وآخر ذلك نارٌ تَطْرُدُ الناسَ إلى محشرهم » .

وفي رواية (١) : « وريحٌ تُلقي الناسَ في البحر » .

وفي أخرى (٢) : « ونار تخرج من قعر عدن تسوقُ الناسَ فتبيتُ معهم حيث باتوا ، وتقيلُ معهم حيث قالوا » .

١١٠٢ ـ * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « تُبْعَثُ نارٌ على أهلِ المشرقِ فتحشُرُهم إلى المغربِ تَبيتُ معهم حيثُ باتوا وتَقِيلُ معهم حيث قَالوا يكونُ لها ماسَقطَ منهم وتَخلَّفَ وتَسوقُهم سَوْقَ الجملِ الكَسيرِ » .

١١٠٣ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرجُ نارٌ من حَضْرموت ـ أو من بحر حضرموت ـ قبلَ القيامةِ تَحشُرُ الناسَ » قالوا : يارسولَ الله ، فما تأمُرُنا ؟ قال : « عليكم بالشام » .

١١٠١ ـ مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٣ ـ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .
وأبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .
والترمذي (٤ /٤٧٧) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٢١ ـ باب ما جاء في الخسف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع السابق .
(٢) الترمذي : الموضع السابق .
١١٠٢ ـ مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات .
١١٠٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٤٢ ـ باب ماجاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبَلِ الحجاز .
وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

١١٠٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بنِ سلامٍ عن النبي ﷺ أنهُ سئلَ عن أول أشراطِ الساعةِ فقال النبي ﷺ : « إن أولَ أشراطِ الساعةِ نارٌ تَخْرُجُ من المشرق وتحشُرُهم إلى المغرب » .

١١٠٥ ـ * روى البخاري عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أولُ أشراط الساعة : نار تحشُرُ الناس من المشرق إلى المغرب » .

(قال الحافظ في « الفتح » : وصله المصنف في باب الهجرة في قصة إسلام عبد الله بن سلام موصولاً من طريق حميد عن أنس بلفظ : « وأما أول أشراط الساعة ، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب » ووصله أيضًا في الأنبياء من وجه آخر عن حميد بلفظ : « نار تحشر الناس ... ») .

أقول : الأولية هنا نسبية فهي آخر الأشراط من ناحية وهي الأولى بالنسبة لما بعدها من ناحية أخرى .

١١٠٦ ـ * روى أحمد عن رافع بنِ بشيرٍ السُّلَمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ نارٌ مِن حبسِ سيلٍ تسير بسير بطيئةِ الإبلِ تسيرُ النهارَ وتقيمُ الليل تغدو وتروحُ يُقالُ : غدتِ النار أيها الناسُ فاغدوا ، قالت النارُ أيها الناسُ قِيلوا ، راحتِ النار أيها الناس روحوا ، من أدركَتْه أكَلَتْه » .

١١٠٤ ـ مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٠٥ ـ البخاري (١٣ / ٧٨) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب خروج النار . وقد رواه تعليقًا .

١١٠٦ ـ أحمد (٣ / ٤٤٣) .

والمعجم الكبير (٢ / ٤٢) .

مجمع الزوائد (٨ / ١٢) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة .

مسائل وفوائد

(١)

قال ابن كثير بمناسبة الكلام عن نار عدن :

« فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا ، من أقطار [إلى] محلة الحشر ، وهي أرض الشام ، ... ، وهي [أي : هـذه النـار] التي تخرج من قعر عـدن ، فتحيـط بـالنـاس ، من ورائهم ، تسوقهم من كل جـانب ، إلى أرض المحشر ، ومن تخلف منهم أكلته النار ، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيـا ، ... ، وحيث يهلـك المتخلفـون منهم بـالنـار ، ولـو كان هـذا بعـد نفخـة البعث ، لم يبـق مـوت ... ولا أكل ولا شرب ، ولا لبس في العرصات » . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

(٢)

علق الشيخ عبد الفتاح حفظه الله على الأحاديث التي تـذكر أن النـار تخرج من عـدن أو من المشرق بما يلي :

(قال الحافـظ ابن حجر : ووجـهُ الجمع بين هـذه الأخبـار أنَّ كون النـار تَخرجُ مِن قَعْر عَدَن لا ينافي حَشْرَها من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قَعْر عَدَن ، فإذا خرجت انتشَرَتْ في الأرض كلهـا . والمقصودُ بقـولـه ﷺ : « تحشُرُ النـاسَ من المشرق إلى المغرب » : إرادَةُ تعميم الحشر ، لا خُصوصُ المشرق والمغرب، وأمـا جعـلُ الغـايـة إلى المغرب فلأنَّ الشام بالنسبة إلى المشرق : مغرب » . انتهى بزيادة وتصرف .

وقد تضمَّنَتْ هذه الأحاديثُ بيانَ مكانِ خروج النار ، وبيانَ وَقْتِ خروجهـا ، وكيفيـة سوقها للناس ، ومنتهاها بهم . وجـاء في حـديثٍ آخر بيـانُ حـال النـاس حين يُسـاقُون إلى الحشر في الشام :

روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٢٦ ومسلم في « صحيحه » أيضًـا ١٧ : ١٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يُحشَرُ الناسُ ـ أي إلى الشام قبل قيـام السـاعـة

وهم أحياء ـ على ثلاثِ طرائق ـ أي على ثلاثِ أحوال ـ راغبين وراهبين ، واثنانِ على بعير ـ هذا معطوف على محذوف تقديره : واحد على بعير ، واثنان على بعير ـ وثلاثةٌ على بعير ، وأربعةٌ على بعير ، وعشَرةٌ على بعير ـ أي أنهم يَتعاقبون على ركوب البعير الواحد ، فيركَب بعضُهم ويمشي بعضُهم ـ ، وتَحشُرُ بقيَّتَهم النارُ ، تقِيلُ معهم حيث قالوا ، وتَبيتُ معهم حيث باتوا ، وتُصبِحُ معهم حيث أصبحوا ، وتُمسي معهم حيثُ أمْسَوْا » أي تُلازِمُهم كلَّ الملازمة إلى أن يصلُوا إلى مكان الحشر ، نسألُ الله السلامة والعون) . اهـ (التصريح) .

* * *

الوصل الثاني

في:

الموت والحياة البرزخية

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد

المقدمة

في الموت جانب محسوس وهو محل الرؤية والتعليل الطبي ، وفي الموت جانب غيبي ، فقد أخبرنا الكتاب والسنة عن مفارقة الروح للجسد ، وعن قبض الروح بواسطة ملك الموت وأعوانه فهذا القدر داخل في الاعتقاد :

﴿ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها ﴾ (١) .

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم ﴾ (٢) .

﴿ حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يفرِّطون ﴾ (٣) .

وتحدث عند الموت معانٍ كانكشاف شيء غيبي للإنسان ، ويرافق الموت معانٍ ، ويحدث للروح بعد الموت معانٍ ، وهناك نوع تعلق للروح في جسدها بعد الوفاة ، ومن ههنا يأتي نعيم القبر وعذابه وهي قضايا غيبية ، ثم إن لروح المؤمن والشهيد أوضاعًا خاصة في عالم البرزخ ولروح الكافر أوضاع أخرى ، فهناك حياة برزخية فيا بعد وفاة الإنسان حتى النفخة الأولى إذ تقوم القيامة الكبرى فعندئذ تبدأ مرحلة جديدة في رحلة الإنسان ، وكل هذه قضايا غيبية يجب الإيمان بها وهي مرتبطة بالإيمان باليوم الآخر فالموت هو القيامة الصغرى وبالنفخة الأولى تقوم القيامة الكبرى .

* * *

ويتوضع حول الموت أكثر من موضوع فهناك أدب التعامل مع الموت وهناك الصلاة على الميت وهناك الجانب الغيبي في الموت ، فأما أدب التعامل مع الموت فسنذكره في القسم الرابع في (الأخلاقيات وأحكام الحياتيات والعاديات) ، والجانب الغيبي محله هنا في قسم (العقائد) وهو محل بحثنا هنا ، والقرآن فيه تفصيل كل شيء ومن جملة ذلك الجانب الغيبي في أمر الحياة والموت :

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ (٤) .

---

(١) الزمر : ٤٢ .
(٢) السجدة : ١١ .
(٣) الأنعام : ٦١ .
(٤) تبارك : ٢ .

﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (١) .

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (٢) .

﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾ (٣) .

﴿ ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (٤) .

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط ﴾ (٥) .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ (٦) .

ونصوص السنة توضح وتبين وتزيد التفصيل تفصيلًا .

* * *

والملحدون والماديون وبعض أهل الفلسفة ينكرون الروح وذلك كفر ، كيف والروح تعبر عن نفسها بحركة الجنين بعد أن يمر عليه أربعة أشهر ونيف وتدل على ذاتها بالنوم وبالتنويم المغناطيسي وتعبر عن نفسها وتطلعاتها الأصيلة أو الملابسة بأنواع التطلعات .

وبعض الماديين ينكرون ماورد في بعض النصوص من ذكر أن عذاب القبر يحس به ماسوى الإنس والجن مع أن ذلك مشاهد عند بعض الحيوان فكثيرًا ماتصغي الخيل إذا مرت بالقبور ، ثم إنه من الثابت أن أذن الإنسان إنما تسمع الأصوات التي تكون ذبذباتها ضمن حد معين بينما المخلوقات الأخرى لها عتبات أخرى ، وإنما نذكر هذا من باب التقريب ، وإلا فحيث ثبت النص فواجبنا التسليم :

---

(١) الأنعام : ٦١ .
(٢) إبراهيم : ٢٧ .
(٣) غافر : ٤٦ .
(٤) آل عمران . ١٦٩ .
(٥) الأعراف : ٤٠ .
(٦) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [١] .

* * *

لقد أعطانا الله صورة مصغرة عن الموت بالنوم ولذلك ورد في حديث صحيح : « النوم أخو الموت » وفي الآية ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ [٢] . وكما أن النائم يفرح ويتألم ويتلذذ ويتعذب ولا يحس بما يحدث له من يراقبه فكذلك شأن الميت مع الفارق بين الحالين .

وهاك عرضًا إجماليا لموضوع الموت والحياة البرزخية :

ـ الأمم لها آجال والحيوانات لها آجال وأفراد الإنس والجن لهم آجال فلا يموت أحد حتى يستوفي أجله الذي قدره الله له ، قال تعالى :

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [٣] .

﴿ ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [٤] .

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [٥] .

﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [٦] .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [٧] .

﴿ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها ﴾ [٨] .

﴿ ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ [٩] .

---

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) الأعراف : ٣٤ .
(٤) الأنعام : ٣٨ .
(٥) آل عمران : ١٥٤ .
(٦) الزمر : ٣٠ .
(٧) آل عمران : ١٨٥ .
(٨) المنافقون : ١١ .
(٩) آل عمران : ١٥٨ .

﴿ كل من عليها فانٍ * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (١) .

ـ وإذا كان الموت قادمًا بالنسبة للإنسان فعليه أن يستعد له ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ (٢) .

﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (٣) .

ـ وإنما يتم الموت بقبض روح الإنسان من قِبل الملك الموكل بذلك وأعوانه ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ﴾ (٤) .

والملائكة تبشر أهل الاستقامة عند قبض أرواحهم وتبكّت الكافرين :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون ﴾ (٥) .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (٦) .

ـ وعند الموت وبعده تنكشف للإنسان الكثير من الغيوب فيستبشر المؤمن ويتحسر الكافر ويتمنى الرجوع ويندم ولات حين مندم :

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد ﴾ (٧) .

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (٨) .

---

(١) الرحمن : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) الحشر : ١٨ .

(٣) البقرة : ١٩٧ .

(٤) الأنعام : ٦١ .

(٥) فصلت : ٣٠ ـ ٣١ .

(٦) الأنعام : ٩٣ .

(٧) ق : ١٩ .

(٨) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .

ـ ومن قوله تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [1] سُمي العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعالم البرزخ فالبرزخ هو الواقع بين الشيئين فالبرزخ هو العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ويبقى فيه إلى يوم البعث فجميع الأموات يصيرون إلى عالم البرزخ قبروا أو لم يقبروا .

ـ فإذا قبضت روح الإنسان ذهب بها إلى السماء فإن كان صاحبها مؤمنًا دخلت السماء لتلقى ربها راضية مرضية على الوجه الذي يشاؤه ربنا ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ [2] ثم ترجع إلى الأرض ليكون لها نوع لقاء بجسمها سواء كان مقبوراً أو مذرورًا فتكون ضمة قبر وسؤال ونعيم برزخي وإن كان صاحبها كافرًا أو منافقًا لا تفتح لها أبواب السماء وترد نوع رد إلى جسمها لتسأل وتعذب :

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾ [3] .

ـ وأرواح الأنبياء والشهداء وبعض المؤمنين لها نفحاتها الخاصة في الجنة :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [4] .

ـ ولعالم الروح في البرزخ أحوال على حسب وضع صاحبها ، وللأرواح لقاءات وزيارات وصلات فعالم البرزخ أوسع بما لا يقاس من عالم الدنيا بل هو بالنسبة لعالم الدنيا كعالم الدنيا بالنسبة لعالم البطن .

ومن المتفق عليه بين أهل السنة والجماعة : أن الميت منعَّم أو معذَّب على حسب وضعه وحاله ، ولكن هل هذا النعيم أو العذاب للروح فقط أو للجسد صلة بشكل ما مع الروح في النعيم والعذاب ؟ الذي عليه جماهير أهل السنة والجماعة : أن هذا النعيم أو العذاب للروح وللجسد بكيفية علمها عند الله ؛ قال تعالى :

﴿ فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب

(١) المؤمنون : ١٠٠ .
(٢) الأحزاب : ٤٤ .
(٣) الأعراف : ٤٠ .
(٤) آل عمران : ١٦٩ .

اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم ﴾ (١) .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * أرجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ (٢) .

﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (٣) .

ـ والأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم وبما يعتبر استمرارًا لخير قدموه قال تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ (٤) .

﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ (٥) .

ـ وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة حول الموت والحياة البرزخية وألفت في ذلك الكتب الكثيرة ، ولو أردنا أن نتعرض لكل ماورد لطال بنا المقام ولذلك فإننا سنقتصر على ذكر بعض نصوص السنة النبوية هنا ، وهناك نصوص تأتي في سياقات أخرى كالكلام عن الشهداء وكالكلام عن أدب التعامل مع الموت وكالكلام عن صلاة الجنازة .

ـ ومن العناوين التي ذكرها الشيخ عبد الله سراج الدين في كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) نعرف سعة هذا الموضوع فقد ذكر العناوين الآتية :

الموت وحقيقته ـ كلمات حول الروح الإنساني ـ بشارة الملائكة عليهم السلام عند الموت ـ إنذار الملائكة عليهم السلام للكافر عند موته بالعذاب ـ حسرات الكافرين والعصاة حين ينزل بهم الموت وتمنيهم العودة إلى الدنيا ـ عالم البرزخ ـ الناس على مراتب في لقاء

---

(١) الواقعة : ٨٨ ـ ٩٤ .

(٢) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

(٣) غافر : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) الحشر : ١٠ .

(٥) يس : ١٢ .

ربهم ـ السؤال في البرزخ ـ نعيم القبر وعذابه ـ تعوذه ﷺ من عذاب القبر وأمره بذلك ـ أسباب عذاب القبر ـ نعيم القبر على مراتب متعددة ـ تكليم الله سبحانه وتعالى أوليـاءه ونظرهم إليه سبحانه في عالم البرزخ ـ اطلاع أهل البزرخ وسماعهم ـ انتفاع الأموات بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي يهديها إليهم الاحياء ـ عرض الأعمال على سيدنا محمد ﷺ ـ عرض الأعمال على الأقارب والعشيرة في البرزخ ـ حال أهل البرزخ من حيث الأعمال التعبدية ـ تلاقي الأموات في عالم البرزخ وتساؤلهم وتزاورهم ـ التقاء أهل الدنيا بأهل البرزخ واتصالهم بهم .

فالموضوع واسع ومالايدرك كله لا يترك جله . وسنذكر هنا من النصوص ماهو الألصق بموضوعنا :

بعض النصوص القرآنية
التي تتحدث عن الموت والحياة البرزخية

﴿ كلا إذَا بلغَتِ التَّرَاقيَ * وقيلَ مَنْ راقٍ * وظَنَّ أنَّه الفراقُ * والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاق * إلى ربِّكَ يومئذٍ الْمَسَاقُ * فلا صدَّق ولا صلَّى * ولكنْ كَذَّب وَتولّى * ثم ذهب إلى أهله يَتَمطَّى ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ : أي إذا بلغت الروح أعالي الصدر ، فالتراقي جمع ترقوة ، وللإنسان ترقوتان ، وهما أعلى عظمين في الصدر يكتنفان العنق من جهة الأمام .

وقوله تعالى : ﴿ من راق ﴾ من الرقية ، أي من يرقيه ليشفيه ، والرقية : تكون بتلاوة قرآن أو دعاء . وفسرها بعضهم بأن المراد بذلك : من يرقى بروحه : ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ : قد يراد بها التصاق الساقين وقد يراد بها اجتماع الشدة بالشدة ، فقد اجتمعت عليه شدة النزع في الدنيا وشدة ماسيلقى بعد الموت . وقال السدي : المراد بذلك : لف الساقين بالكفن .

وقوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ : أي المرجع والمآب ، وذلك أن الروح بعد الموت يصعد بها إلى السماء ، فإن كانت مؤمنة فتحت لها أبواب السماء ثم ردت إلى الأرض مكرمة ، وإن كانت غير مؤمنة لا تفتح لها أبواب السماء ، وردت إلى الأرض مسخوطًا عليها .

﴿ كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموتِ وإنما تُوَفَّوْنَ أجورَكم يوم القيامة فمن زُحْزِحَ عن النارِ وأُدخِلَ الجنَّةَ فقد فازَ ﴾ (٢) .

﴿ إن الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تَحْزَنوا

(١) القيامة : ٢٦ ـ ٣٢ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

وأَبْشِرُوا بالجنَّةِ التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون * نُزُلاً من غفورٍ رحيم ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ : أي عند الموت قائلين : ﴿ ألا تخافوا ﴾ : أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ : على ماخلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال ودين ، فإنا نخلفكم فيه .

ورجح ابن كثير : أن المراد بتنزل الملائكة : تنزلهم عند الموت وفي القبر وحين البعث .

﴿ فَلَوْلا إذا بَلغَتِ الحُلقوم * وأنتم حينئذٍ تَنظُرون * ونحن أقْرَبُ إليه منكم ولكن لا تُبْصِرُون * فلولا إن كنتم غيرَ مَدينين * تَرْجِعُونَها إن كنتم صادقين * فأمّا إن كان من المقرَّبين * فرَوْحٌ وَرَيحانٌ وجنةُ نعيم * وأمّا إن كانَ من أصحابِ اليَمينِ * فَسلامٌ لكَ من أصْحَابِ اليَمينِ * وأمّا إن كانَ من المكذّبين الضّالينَ * فنُزُلٌ من حميم * وتصليةُ جَحيمٍ ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت ﴾ : أي الروح ، ﴿ الحلقوم ﴾ : أي الحلق .

وقوله تعالى : ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ : أي إلى المُحْتَضَر ومايكابده دون أن تستطيعوا أن تفعلوا له شيئًا .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ : أي مقهورين بالموت ومجزيين على أعمالكم . ﴿ ترجعونها ﴾ : أي فارجعوا هذه الروح إلى جسدها وامنعوا عنها الموت .

وقوله تعالى : ﴿ فأما إن كان ﴾ : أي المحتضر حاله واحدًا من أحوال ثلاثة ، فلكل حالة جزاؤها بعد الموت ، فالمقرب وصاحب اليمين : مبشران ، والآخر : فإنه مؤنب معذب . الرَّوْحُ : الرحمة . « الرَّيْحان » : الرزق . و« النزل » : الضيافة .

﴿ يابَني آدمَ إمّا يأتينّكم رسُل منكم يَقصّون عليكم آياتي فمن اتّقى وأصلحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحابُ النار همْ

(١) فصلت : ٣٠ ـ ٣٢ .
(٢) الواقعة : ٨٣ ـ ٩٤ .

فيها خالدون * فمنْ أظلمُ ممّن افترى على الله كذبًا أو كذّب بآياته أُولئك ينالهم نصيبُهم من الكتاب حتّى إذا جاءتْهم رسُلُنا يَتَوَفَّونهم قالوا أين ما كنتم تَدْعون من دون اللهِ قالوا ضلوا عنا وشهِدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ [١] .

قوله تعالى : ﴿ **ينالهم نصيبهم من الكتاب** ﴾ : أي ينالهم ماكتب عليهم جزاء على أعمالهم ، وفي الآية دليل على أن الملائكة تقرِّعُ الكافر عند نزع روحه ، وأن الكافر يعرف حقيقة ماكان عليه من الضلال عند نزع الروح .

(١) الأعراف : ٣٥ ـ ٣٧ .

النصوص الحديثية

١١٠٧ ـ * روى الترمذي عن أبي عَزَّةَ ، يَسارِ بن عبدٍ ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى اللهُ لعبدٍ أن يموتَ بأرضٍ جَعَلَ له إليها حاجةً ، [أو بها حاجة] » .

١١٠٨ ـ * روى النسائي عن عبد الله بن عمرو : ماتَ رجلٌ بالمدينة ممن وُلِدَ بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال : « ياليته ماتَ بغيرِ مولدِه » قالوا ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : « إن الرجلَ إذا مات بغيرِ مولدِهِ قِيسَ من مولده إلى مُنقَطعِ أثرِهِ في الجنةِ » .

١١٠٩ ـ * روى رزين عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ رُوحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي أنه لن تَموتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزْقَها وأجَلَها » .

١١١٠ ـ * روى أبو يعلى عن يحيى بنِ طلحةَ قال : رأى عُمَرُ طلحةَ بنَ عبيدِ الله حزينًا فقال مالك ؟ قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلَم كلماتٍ لا يقولُهنَّ عبدٌ عند الموتِ إلا نفَّسَ اللهُ عنه وأشرقَ له لونُه مايَسُرُّه » ، قال فما يمنعني أن أسأله

١١٠٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٣) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١١ ـ باب ماجاء أن النفس تموت حيث ماكُتِبَ لها .
وقال : هذاحديث صحيح .

١١٠٨ ـ النسائي (٤ / ٧) كتاب الجنائز ، ٨ ـ باب الموت بغير مولده . وإسناده حسن .
وابن ماجه (١ / ٥١٥) ٦ ـ كتاب الجنائز ، ٦١ ـ باب ماجاء فيمن مات غريبًا .

١١٠٩ ـ أخرجه رزين ، كما في الجامع . وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي أمامة ، وابن حبان والحاكم وابن ماجه من حديث جابر ، والحاكم من حديث ابن مسعود ، والبزار من حديث حذيفة ، وابن حبان والبزار والطبراني عن أبي الدرداء ، وأبو يعلى عن أبي هريرة ، وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي مطولاً ومختصرًا ، وهو حديث صحيح ، وانظر فيض القدير (٢ / ٤٠٥) .
(روح القدس) : القدس : الطهارة ، وروح القدس : اسم جبريل عليه السلام أي : الروح المقدسة الطاهرة .
(نفث في روعي) : النَّفْثُ : النفخ بالفم ، والرُّوع : النفس ، يقول : نفث في روعي ، أي : ألقى في قلبي ، وأوقع في نفسي ، وألهمني .

١١١٠ ـ مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

عنها إلا القدرةُ عليها ، فقال عمر : إني لأعلمُ ماهي ، قال طلحة : مـاهي ؟ قـال : هل تعلمُ كلمةً هي أفضلُ من كلمةٍ دعا إليها رسولُ الله ﷺ عمَّه عند الموتِ ؟ قال طلحة : هي والله هي : لا إله إلا الله .

١١١١ ـ * روى ابن ماجه عن عائشةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا حَمِيمٌ لَهَا يَخْنُقُهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَابِهَـا قَـالَ لَهَـا : « لا تَبْتَئِسِي عَلَى حَمِيمِـكِ فَـإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَسَنَاتِه » .

١١١٢ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رفعه قال : « لقنوا موتاكم لا إلـه إلا الله فـإنَّ نَفْسَ المـؤمنِ تخرجُ رَشْحًـا ونَفْسَ الكافرِ تخرُجُ من شِـدْقِـهِ كما تخرُجُ نَفْسُ الحمارِ » .

١١١٣ ـ * روى البزّار عن أبي هريرَةَ أن رسـول الله ﷺ قـال : « قـال الله تبـارك وتعالى للنَّفْسِ اخرجي قالتْ لا أخرُجُ إلا كارِهةً قال اخرجي وإن كَرِهْتِ » .

١١١٤ ـ * روى الطبراني عن سودة زوجِ النبي ﷺ قالتْ : قلت : يارسولَ الله إذا أُمِتْنا صلى لنا عثمانُ بنُ مظعونٍ حتى تأتِيَنـا فقـال لهـا رسول الله ﷺ : « لو تعلمين ما أعلَم عن الموتِ يابنتَ زمعةَ علمتِ أنه أشدُّ مما تُقدِّرين » .

١١١١ ـ ابن ماجه (١ / ٤٦٧) ٦ ـ كتاب الجنائز ، ٥ ـ باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزع .

وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح ، ورجاله ثقات .

(حميم) : قريب ، عزيز .

١١١٢ ـ المعجم الكبير (١٠ / ٢٣٣) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

١١١٣ ـ كشف الأستار (١ / ٣٧١) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٥) وقال : رواه البزّار ، ورجاله ثقات .

١١١٤ ـ المعجم الكبير (٢٤ / ٣٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

أقول : لقد مات عثمان بن مظعون مبكرًا بالنسبة لسودة ولذلك قالت هذا الكلام .

١١١٥ - * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يلقَ ابْنُ آدمَ شيئًا قطُّ منذُ خَلَقَه اللهُ أَشَدَّ عليه من الموتِ » قال : « ثم إن الموتَ لأهونُ مما بعدَه » .

١١١٦ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مامِنْ مُسْلمٍ يموتُ يومَ الْجُمعَةِ ، أو لَيْلَةَ الْجُمعَةِ إلا وقاهُ الله فِتْنَةَ القَبْرِ » .

١١١٧ - * روى الترمذي عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنُ يموتُ بعَرَق الجبين » .

وفي أخرى (١) للنسائي : « موتُ المؤمنِ بِعَرَقِ الجبينِ » .

١١١٨ - * روى رزين عن عُبيد بن خالد السُّلَمي - رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : « موتُ الفَجَاءةِ : أَخْذَةُ أَسَفٍ للكافر ورحمةٌ للمؤمن » .

وفي رواية (٢) عن عبيد قال مرة : عن النبي ﷺ ، وقال مرة : عن عبيد « مَوت

١١١٥ - أحمد (٣ / ١٥٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) وقال : رواه أحمد ورجاله موثقون .

١١١٦ - الترمذي (٣ / ٣٨٦) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٢ - باب ماجاء فيمن مات يوم الجمعة . وقال : هذا حديث غريب .

وأحمد (٢ / ١٦٩) .

١١١٧ - الترمذي (٣ / ٣١٠) ٨ - كتاب الجنائز ، ١٠ - ماجاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين . وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والنسائي (٤ / ٥) ٢١ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب علامة موت المؤمن .

(١) النسائي (٤ / ٦) الموضع السابق .

وأحمد (٥ / ٣٥٧) .

وابن ماجه (١ / ٤٦٧) ٦ - كتاب الجنائز ، ٥ - باب ماجاء في المؤمن يؤجر في النزع .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٥ / ٦) .

والحاكم (١ / ٣٦١) وقال حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

١١١٨ - رواه رزين : انظر جامع الأصول بتحقيق محمد حامد الفقي (١١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

وأحمد نحوه في المسند (٦ / ١٣٦) عن عائشة وإسنادها ضعيف .

ورواه أيضًا البيهقي في سننه . وذكره الحافظ في الفتح ونسبه لابن أبي شيبة في مصنفه من حديث عائشة وابن مسعود ، فالمرجو أن ترتقي إلى رتبة الحسن عند ابن حجر إن شاء الله .

(٢) أحمد (٣ / ٤٢٤) .

الفُجَاءة : أخذةُ أسفٍ » .

١١١٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قالَ : « إنَّ أحدَكم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُه بالغَداة والعَشِي ، إنْ كان من أهل الجنةِ فمن أهلِ الجنةِ ، وإن كان مِنْ أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ ، فيقال : هذا مقعدُك حتى يبعثَكَ الله يومَ القيامةِ » .

١١٢٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن عُبادَة بنِ الصامتِ رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَهُ ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ الله لقاءَهُ » زاد البخاري في رواية [1] من طريق همام عن قَتادةَ : فقالتْ عائشة ـ أو بعضُ أزواجِهِ ـ : إنَّا لنكرهُ الموتَ ، قال : « ليس ذلكِ ، ولكنَّ المؤمنَ إذا حضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ برضوان الله وكرامَتِهِ ، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامه ، فأحبَّ لقاءَ الله ، فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعُقوبته ، فليس شيءٌ أكْرَهَ إليه مما أمامه ، كَرِهَ لِقَاء الله ، وَكَرِهَ الله لقاءَهُ » .

= وأبو داود (٣ / ١٨٨) كتاب الجنائز ، باب موت الفجأة . وإسنادها صحيح .
(أسفًا) : الأسِف : الغضبان .

١١١٩ ـ البخاري (٣ / ٢٤٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٩ ـ باب الميت يعرض على مقعده بالغداة والعشي .
مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .
والنسائي (٤ / ١٠٧) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٦ ـ باب وضع الجريدة على القبر .
وابن ماجه (٢ / ١٤٢٧) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٢ ـ باب ذكر القبر والبلى .

١١٢٠ ـ البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤١ ـ باب من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه .
مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٥ ـ باب من أحبَّ لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن ... إلخ .
والترمذي (٣ / ٣٧٩) ٨ ـ كتاب الجنائز ، ٦٧ ـ باب ماجاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .
وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي (٤ / ١٠) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١٠ ـ باب فيمن أحب لقاء الله .

(١) البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤١ ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .
(حُضِرَ) : الإنسان ، واحتُضِر : إذا نزل به الموت .

١١٢١ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كَرِهَ لقَاءَ الله، كَرِهَ الله لقاءَهُ » فقلتُ: يانبيَّ الله، أكَرَاهيَةُ الموت، فكلُّنا نكرهُ الموت؟ قال: « ليس كذلكِ، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمةِ الله ورضوانِهِ وجنَّتِهِ: أحبَّ لقاءَ الله، فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ، وإن الكافِرَ إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسَخَطِهِ، كَرِهَ لقاءَ الله، فكره اللهُ لقاءَهُ ».

ولمسلم [1] قالتْ: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءَهُ، والموتُ قبلَ لقاءِ الله ».

وفي رواية [2]: قال شُرَيح بن هَانِئٍ: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءَه » قال شُرَيح: فأتيتُ عائشةَ، فقلتُ: ياأمَّ المؤمنين، سَمِعتُ أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا، إن كان كذلك، فقد هَلَكْنَا، فقالت: إن الهالِكَ مَنْ هلك بقول رسول الله ﷺ، وماذاك؟ قلتُ: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومن كَرِهَ لقاءَ اللهِ كَرِهِ اللهُ لقاءَه » وليس منا أحدٌ إلا وهو يكرهُ الموت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس الذي تذهبُ إليه، ولكن إذا شَخَصَ البَصَرُ، وحَشْرَجَ الصَّدْرُ، واقْشَعَرَّ الْجِلدُ، وتَشَنَّجتِ الأصابعُ، فعند ذلك مَنْ أحب لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كره الله لقاءَهُ.

١١٢٢ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « أَلَمْ

١١٢١ - البخاري (١١ / ٣٥٧) ٨١ - كتاب الرقاق، ٤١ - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

مسلم (٤ / ٢٠٦٥) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٥ - باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن ... إلخ.

(١) مسلم: الموضع السابق.

(٢) مسلم: الموضع السابق.

(شخص): شخوص البصر: امتداده إلى السماء، والميت إذا أشرف على مفارقة الدنيا شَخص بصره إلى السماء.

(حَشْرَجَ): الْحشرَجةُ: الغرغرةُ عند الموت وتردُّد النَّفَس.

(تشنَّجت): تَشَنُّج الأصابع: اجتماعها وانقباضها متقلِّصةً.

١١٢٢ - مسلم (٢ / ٦٣٥) ١١ - كتاب الجنائز، ٥ - باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه.

تَرَوْا إلى الإنسان : إذا مات شَخَصَ بَصَرُه » ؟ قالوا : بلى ، قال : « فذلك حين يَتْبَع بصرُهُ نَفْسَهُ » .

١١٢٣ ـ * روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : دَخَلَ رسول الله ﷺ على أبي سلمةَ ـ وقد شَقَّ بَصرُه ـ فأغمضَه ، ثم قالَ : « إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِض تَبِعَه البصرُ » فَضَجَّ ناسٌ من أهله ، فقال : « لا تَدْعُوا على أنفسِكم إلا بخيرٍ ، فإنَّ الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون » ثم قال : « اللهم اغفِرْ لأبي سلمةَ ، وارفع درجتَهُ في المهديِّين ، واخلُفْه في عَقِبِهِ في الغابرين ، واغفر لنا وله يارَبَّ العالمين ، وافْسَحْ له في قبرِه ، ونَوِّر له فيه » .

وفي رواية (١) « واخْلُفْه في تَرِكَتِهِ » وقال : « اللهم أوْسِعْ له في قبرِه » ودعوةً أخرى سابعةً نسيتُها .

وفي أخرى (٢) قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حَضَرتمْ المريض ـ أو الميتَ ـ فقولوا خيرًا ، فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ماتقولون » قالت : فلما مات أبو سلمةَ ، أتيتُ النبيَّ ﷺ ، فقلتُ : يارسول الله ، إنَّ أبا سلمة قد مات ، قال : « قُولي : اللهم اغفِر لي وله ، وأعقبني منه عُقبى حَسَنَةً » قالت : فقلتُ ، فأعقبني الله مَنْ هو خيرٌ لي منه : محمد ﷺ .

١١٢٤ ـ * روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « إذا حُضِرَ المؤمِنُ ، أَتَتْ ملائكةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاءَ ، فيقولون : اخرُجي راضيةً مَرضِيًا عنْكِ إلى رَوْحٍ من الله ورَيحْان ، وربٍّ غَيْرِ غضبان ، فتخرجُ كأطيب ريحِ المِسكِ . حتى إنَّه ليناولُه بعضهم بعضًا ، حتى يأتوا به أبواب السماء ، فيقولون : ماأَطيَبَ هذه الريحَ التى جاءَتْكم من الأرض ، فيأتون به أرواحَ

١١٢٣ ـ مسلم (٢ / ٦٣٤) ١١ ـ كتاب الجنائز ، ٤ ـ باب في إغماض الميت والدعاء له ، إذا حُضِر .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٢ / ٦٣٣) الموضع السابق .

١١٢٤ ـ النسائى (٤ / ٨) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ٩ ـ باب مايلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه .

المؤمنينَ ، فَلَهم أشدُّ فَرَحًا من أحدِكم بغائبِه يقدمُ عليه ، فيسألونه : ماذا فَعَل فلانٌ ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دَعُوه ، فإنَّه كان في غَمِّ الدنيا ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ قالوا : ذُهِبَ به إلى أمِّهِ الهاوية ، وإن الكافر إذا حُضِرَ أتتْهُ ملائكة العذاب بمِسْحٍ ، فيقولون : اخرجي ساخطةً مَسْخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل ، فتخرجُ كأَنْتَنِ ريحِ جيفةٍ ، حتى يأتون به باب الأرض فيقولون : ماأنتنَ هذه الريحَ ، حتى يأتون به أرواحَ الكفار » .

١١٢٥ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا خَرَجَتْ رُوحُ المؤمن تلقَّاها ملَكان يُصْعِدَانِها » قال حمادٌ في روايته : فَذَكَرَ من طِيْبِ ريحِها ، وذكَرَ المِسكَ ـ قال : « فيقولُ أهلُ السماء : روْحٌ طَيِّبةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأرضِ ، صلَّى اللهُ عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تَعْمُرينه ، فَيُنْطَلَقُ به إلى ربِّه ، ثم يقولُ : انْطَلِقوا به إلى آخرِ الأَجَل » قال : « وإنَّ الكافرَ إذا خرجتْ رَوحُه » قال حماد : وذَكَر مِنْ نَتْنِها ـ فرد رسول الله ﷺ رَيْطةً كانت عليه على أنفه ـ هكذا ـ وذكر لَعْناً « ويقول أهلُ السماء : رُوح خبيثةٌ جاءَتْ مِن قِبَلِ الأرض ، فيقال : انطَلِقوا به إلى آخرِ الأجل » .

١١٢٦ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الميت تَحْضُرُه الْمَلائِكَةُ . فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا ، قَالوا : اخْرُجي أَيتُها النَّفْسُ الطَّيِّبة ! كَانَتْ فِي الْجسَدِ الطَّيِّب اخْرُجي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ . فَلا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ، حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بهَا إِلَى السَّمَاء . فَيُفْتَحُ لَهَا . فَيُقَالُ : مَنْ هذَا ؟ فَيَقُولُونَ فُلانٌ . فَيقالُ : مَرْحَبًا بالنَّفسِ الطَّيِّبة ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ . ادْخُلِي حَمِيدَةً ، وَأَبْشِري بِرَوْحٍ ورَيْحَانٍ وَربٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ فَلا يَزَالُ يُقَالُ لَها ذلكَ حَتَّى يُنْتَهَى بهَا إِلَى السَّمَاء الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُها النَّفْسُ الْخَبِيثَة ! كَانَتْ فِي

١١٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٠٢) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار...إلخ.

(الرَّيطة) : كل ملاءة لا تكونُ لِفْقين .

١١٢٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٢٣) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣١ ـ باب ذكر الموت والاستعداد له . وإسناده صحيح .

الجسَـدِ الخبيثِ . اخْرُجي ذَميمَـةً ، وَأَبْشِري بِحَمِيمٍ وَغسَّـاقٍ . وآخَرَ مَنْ شَكْلِـهِ أَزْوَاج . فَلا يَزَالُ يُقَـالُ لَهَـا ذَلِـكَ حَتَّى تَخْرُجَ . ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَـا إِلَى السَّمَـاء . فَلاَ يُفْتَـحُ لَهَـا . فَيُقَـالُ : مَنْ هـذَا ؟ فَيُقَـالُ : فُـلان . فَيُقَـالُ : لا مَرْحَبًـا بِـالنَّفْسِ الْخَبيثَةِ ، كَانَتْ فِي الْجَسَـدِ الْخبيثِ ارْجِعي ذَمِيمَـةً . فَـإِنَّهَـا لا تُفْتَحُ لَـكِ أَبْوابُ السَّمَاء . فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّماء ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ » .

١١٢٧ ـ * روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قـال : كان رسول الله ﷺ إذا فَرَغَ من دفنِ الميتِ وقفَ عليه ، وقـال : « استغفروا لأخيكم واسـألوا لـه التثبيت ، فإنه الآنَ يُسأَلُ » .

١١٢٨ ـ * روى النسائي عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قـال : « هذا [يعني سعدَ بنَ معـاذٍ رضي الله عنـه] الـذي تَحَرَّكَ لـه العرشُ ، وفُتِحَتْ أبوابُ السماء ، وشَهِدَه سبعون ألفًا من الملائكة ، لقد ضُمَّ ضمَّةً ، ثم فُرِجَ عنه » .

١١٢٩ ـ * روى الطبراني عن أبي أيـوبَ أن صبيًّـا دُفِنَ فقـالَ رسـول الله ﷺ : « لـو أُفْلِتَ أحد من ضمة القبر لأُفْلِتَ هذا الصبيُّ » .

١١٣٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالـكٍ رضي الله عنـه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ العبدَ إذا وُضع في قبره ، وتولى عنه أصحابُه ، إنَّـه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَـالهم ، إذا انصرفـوا : أتـاه الملكان ، فيُقعِـدَانـه ، فيقـولان لـه : مـاكنت تقـولُ في هـذا الرجل ، محمد ؟ فأمَّا المؤمن ، فيقول : أشهدُ أنَّه عبـدُ الله ورسولُـه ، فيقـالُ لـه : انظُر إلى مقعدِك من النـارِ ، أبْدَلَـكَ الله بـه مقعـدًا من الجنـة » قـال النبي ﷺ : « فيراهما جميعًا » قال قتادةُ : وذُكِرَ لنا أنَّه يُفْسَحُ لـه في قبره ـ ثم رجع إلى حـديث أنس : « وأما الكافرَ ـ أو ـ المنافقَ » وفي رواية « وأما الكافرُ والمنافقُ ـ فيقول : لا أدري ، كنتُ

١١٢٧ ـ أبو داود (٣ / ٢١٥) كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف . وإسناده حسن .

١١٢٨ ـ النسائي (٤ / ١٠٠) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٣ ـ باب ضمة القبر وضغطته .

١١٢٩ ـ مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٠ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ماجاء في عذاب القبر ، ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ ـ كتـاب الجنـة وصفـة نعيمها وأهلهـا ، ١٧ ـ بـاب عرض مقعـد الميت ... إلخ .

أقول ما يقولُ الناسُ فيه ـ فيُقالُ لا دَرَيتَ ، ولا تَلَيتَ ، ثم يُضْرَبُ بِمِطْرَقة من حديدٍ ضَرْبة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها مَنْ يَليه إلا الثقلين » .

ولمسلم [١] أنّ النبيّ ﷺ قال : « إنّ العبدَ إذا وُضع في قبره » ثم ذكر نحو ماتقدّم إلى قوله : وذكر لنا أنه « يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعًا ، ويُمْلأُ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون » لم يزد على هذا .

وفي رواية أبي داود [٢] : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ المؤمن إذا وُضِع في قبره أتاه مَلَك ، فيقول له : ماكنتَ تَعبُدُ ؟ فإنِ اللهُ هداه ، قال : كنت أعبُدُ الله ، فيقول : ماكنت تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبدُ اللهِ ورسولُه ، فما يُسأل عن شيء بعدَها ، فَيُنْطَلَقُ به إلى بيتٍ كان له في النار ، فيُقالُ له : هذا كان لك ، ولكنّ الله عَصَمَكَ ، فأُبْدِلك به بيتًا في الجنة ، فيراه ، فيقول : دَعُوني حتى أَذْهَبَ فَأُبَشِّرَ أهلي ، فيقال له : اسْكُن » .

قال : « وإنّ الكافر ، أو المنافق إذا وضع في قبره : أتاه مَلك فيَنْهضُه ، فيقول له : ماكنتَ تعبدُ ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : لا دَريتَ ولا تلَيْتَ ، فيُقالُ له : ماكنتَ تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقولُ : كنتُ أقولُ مايقولُ الناس ، فيضربه بمطراق بين أذنيه ، فيَصيحُ صَيحةً يسمعُها الخلقُ غيرُ الثَّقلين » .

وفي رواية أبي داود [٣] أنّ نبيّ الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتًا ، فَفَزِعَ ، فقال : « مَنْ أصحاب هذه » ؟ قالوا : يارسول الله ، ناسٌ ماتوا في الجاهلية ، قال : « تعوَّذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : ومِمّ ذاك يارسول الله » قال : « إنّ

---

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر .

(ولا تليت) : يقال : لا درينتَ ولا تليتَ ، أي : لا تَبِعتَ الناس بأن تقول شيئًا يقولونه ، وقيل : هو من قولهم : تلا فلان تِلْو غَير عاقل : إذا عَمِلَ عَمَلَ الجهال ، يعني : هلكتَ فخرجت من القبيلتين ، وقيل : معناه : ولا قرأتَ ، وقلبت الواو ياءً للازدواج .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

المؤمن إذا وُضِع في قبره ....» وذكر نحو ما تقدَّم أولاً .

١١٣١ - * روى أحمدُ عن أمِّ مبشِّرٍ قالتْ : دخلَ عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائطٍ من حَوائطِ بني النجار فيه قبورٌ منهم قد ماتوا في الجاهليةِ ، فسمِعَهم يُعذَّبون فخرجَ وهو يقولُ : « استعيذوا باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ» قالتْ : قلتُ : يارسولَ الله وإنهم لَيُعذَّبون في قبورهم ؟ قال :« نعم عَذابًا تسمعُه البهائم » .

١١٣٢ - * روى أحمد عن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال : أخبرَني من لا أتَّهم من أصحاب النبيِ ﷺ قال : بينما رسول الله ﷺ وبلال يمشيان بالبقيع إذ قال رسول الله ﷺ : « يابلالُ هل تسمع ما أسمع » ؟ قال : والله يا رسول الله ما أسمعه ، قال : « ألا تسمع أهل هذه القبور يعذبون » يعني قبور أهل الجاهلية .

١١٣٣ - * روى أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في نخلٍ لأبي طلحةَ يبرز لحاجته قال وبلالٌ يمشي وراءهُ يكرمُ نبي الله ﷺ أن يمشيَ إلى جنبه ، فمر نبيُّ الله ﷺ بقبرٍ فقام حتى تم إليه بلالٌ فقال : « ويحك يا بلالُ هل تسمع ما أسمع » ؟ قال : ماأسمع شيئًا ؛ قال : « صاحب القبر يعذب » فسأل عنه فوجده يهوديًا .

١١٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ بعد ما غَرَبت الشمس ، فسمِع صوتًا ، فقال : « يهودُ تُعَذَّبُ في قُبورها » .

١١٣١ - أحمد (٦ / ٣٦٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٢ - أحمد (٣ / ٢٥٩) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٣ - أحمد (٣ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٣٤ - البخاري (٣ / ٢٤١) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٧ - باب التعوذ من عذاب القبر .

مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

والنسائي (٤ / ١٠٢) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٤ - باب عذاب القبر .

١١٣٥ - * روى مسلم عن زيد بنِ ثابتٍ رضي الله عنه ، قال : بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النَّجار على بَغْلَةٍ له ، ونحن معه ، إذ حادَتْ به ، فكادت تُلْقيه ، وإذا أَقْبُرٌ ستة ، أو خمسة ، فقال : « مَنْ يعرفُ أصحابَ هذه الأقبر » ؟ قال رجل : أنا ، قال : « فمتى ماتوا » ؟ قال : في الشِّرْكِ ، فقال : « إنَّ هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها ، فلولا أنْ لا تَدَافَنُوا لدعوتُ الله أنْ يُسْمِعَكم من عذابِ القبر الذي أسمعُ منه » ثم أقبلَ علينا بوجهه ، فقال : « تعوَّذوا بالله من عذاب القبر » قالوا : نعوذُ بالله من عذاب القبر ، قال : « تعوذوا بالله من عذاب النار » قالوا : نعوذُ بالله من عذابِ النار ، قال : « تعوذُوا بالله من الفِتَن ماظَهَر منها ومابَطَنَ » قالوا : نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن قال : « تعوذوا بالله من فِتْنَةِ الدَجالِ » قالوا : نعوذُ بالله من فتنة الدجال .

أقول :

لقد مّر معنا من قبل أن أهل الجاهلية إذا بلغهم شيء من الدين الحق عن طريق صحيح كأن بلغهم شيء من دين إبراهيم عن طريق صحيح فإن الحجة قائمة عليهم ويستأهلون العذاب ، واليهود مكلفون بالشريعة الحقة ، ومكلفون بالإيمان بعيسى عليه السلام ثم بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد بلوغهم بعثته فإذا لم يؤمنوا استحقوا العذاب ، وهذا وهذا في فهمنا هو السر الذي استحق به العذاب مَنْ ذكرهم رسول الله ﷺ في الروايات الآنفة الذكر ، وهذا التخريج يمشي على مذهب الأشاعرة الذين يرون أنه لا تكليف بأصول وفروع إلا بعد التبليغ من رسول مرسل ، أما على قول الماتريدية الذين هم من أهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإنس والجن مكلفون بمعرفة الله بمحض العقل وعلى قدر استطاعتهم فإن كل إنسان لم يعرف وجود الله وصفاته التي يتوصل إليها بمحض العقل فإنه معذب ولو لم تبلغه دعوة رسول ، وعلى هذا فلا إشكال في تعذيب بعض أهل الجاهلية ، ويشهد لاتجاه الماتريدية الحديث الصحيح الذي يخبر فيه رسول الله ﷺ أنّ « الله تعالى يقول لآدم : أَخْرِجْ

١١٣٥ - مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

(حادَت) : حاد عن الطريق : إذا مال عنه ، حادت به : أي مالت به .

بعثَ النار . فيُخْرِجُ من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعة وتسعين » .

١١٣٦ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إذا قُبرَ الميتُ » أو قال : « أحدُكم أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المُنْكَرُ ، وللآخر : النَّكيرُ ، فيقولان : ماكنتَ تقولُ في هذا الرجلِ ؟ فيقول : ماكان يقولُ ، هو عبدُ اللهِ ورسولُه ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، فيقولان : قد كُنَّا نعلَم أنَّك تقولُ هذا ، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له فيه ، ثم يقال له : نَمْ . فيقول : أَرجعُ إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نَمْ كنومةِ العروسِ الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه ، حتى يبعثَه الله من مضْجَعِه ذلك ، وإن كان منافقًا قال : سمعتُ الناسَ يقولون قولاً ، فقلتُ مثلَه ، لا أدري ، فيقولان : قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك ، فيقال للأرض : التَئِمي عليه ، فتلتئمُ عليه ، فتختلفُ أضلاعُهُ ، فلا يزالُ فيها معذَّبًا حتى يبعثَه اللهُ من مَضْجَعِه ذلك » .

١١٣٧ - * روى الترمذي عن مولى عثمانَ بنِ عفان قال : كان عثمانُ رضي اللهُ عنه إذا وقفَ على قبرٍ بكى ، حتى يَبُلَّ لِحْيَتَه ، فقيل له : تذكُرُ الجنةَ والنارَ فلا تبكي ، وتذكر القبرَ فتبكي ؟ فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « القبرُ أولُ منزلٍ من منازل الآخرةِ ، فإن نجا منه فما بعدَه أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بَعدَه أَشَدُّ منه » قال : وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما رأيت مَنْظَرًا قطّ إلا القبرُ أفظعُ منه » .

١١٣٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال : مرّ

١١٣٦ - الترمذي (٣ / ٣٨٣) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٠ - باب ماجاء في عذاب القبر .

وقال : حسن غريب . وهو كما قال .

١١٣٧ - الترمذي (٤ / ٥٥٣) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٥ - باب حدثنا هنّاد وحدثنا يحي بن معين .

وقال : حديث حسن غريب ، وإسناده حسن .

(أفظع) : الفظيع الشديد الشنيع .

١١٣٨ - البخاري (١ / ٣٢٢) ٤ - كتاب الوضوء ، ٥٦ - باب جاء في غسل البول .

مسلم (١ / ٢٤٠) ٢ - كتاب الطهارة ، ٣٤ - باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه .

=

رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « أمَّا إنَّهما ليعذَّبان ، ومايعذَّبان في كبيرٍ » ثم قال : « بلى ، أمَّا أحدُهما : فكان يمشي بالنميمةِ ، وأما الآخَرُ : فكان لا يَسْتَتِرُ من بوله » قال : فدعا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ ، فشقَّه باثنين ، ثم غرس على هذا واحدًا ، وعلى هذا واحدًا ، ثم قال : « لعله أن يُخفَّفَ عنهما ما لم يَيْبَسَا » .

وفي رواية (١) « لا يستبرئ من البول » .

وفي أخرى (٢) « لا يَسْتَنْزِهُ عن البول » .

أقول : في الحديث إشارة إلى أهمية وجود النبات على القبر ومن ذلك نأخذ أن من آداب المسلمين مع المقابر أن يجعلوها خضرة بل لو جعلوها كالحدائق لكان لذلك وجه .

١١٣٩ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : مَرَّ رسول الله ﷺ على قبرٍ فقال : « ائتوني بجريدتين » فجعلَ إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه فقيل : يارسول الله أينفعَه ذلك ؟ قال « لنْ يزالَ يُخفَّفُ عنه بعضُ عذابِ القبرِ مادام فيهما نُدُوٌّ » .

١١٤٠ - * روى النسائي عن عبدِ الله بن دينارٍ ، قال : كنتُ جالسًا وسليمانُ بنُ صُرَدٍ وخالدُ بْن عُرْفُطةَ ، فذكروا أنَّ رجلاً تُوُفِّيَ ، مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شُهدا جنازَتَه ، فقال أحدُهما للآخر : ألم يَقُلْ رسول الله ﷺ : « مَن يَقْتُلْه بَطْنُهُ لم

= (ومايعذبان في كبير) : أي : لم يعذَّبا في أمرٍ كانَ يكبر عليهما ، أو يشق عليهما فعلُه لو أرادا أن يفعلاه ، وهو التنزُّه عن البول وترك النمية ، ولم يُرِدْ أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة .

(بعسيب) : العسيب من سَعَف النخل : مابين الكرب ومنبت الخوص وماعليه الخوص ، فهو سَعَف ، والجريد : السَّعف أيضًا .

(١) النسائي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١٦٦ - باب وضع الجريدة على القبر .

(٢) مسلم (١ / ٢٤٠) ٢ - كتاب الطهارة ، ٣٤ - باب الدليل على نجاسة البول ... إلخ .

١١٣٩ - أحمد (٢ / ٤٤١) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٧) وقال : رواه احمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(ندُوّ) : يريد نداوة .

١١٤٠ - النسائي (٤ / ٩٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١١ - كتاب من قتله بطنه . =

يعذَّب في قبره ؟ » فقال الآخر : بلى .

واختصره الترمذي (١) : أنَّ سليمانَ بنَ صُرَدٍ قال لخالد بن عرفطة - أو خالد لسليمان - أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قتله بَطنُهُ لم يعذَّبْ في قبره » ؟ فقال أحدُهما لصاحبه : نعم .

١١٤١ - * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « نفسُ المؤمن مُعَلَّقةٌ بِدَيْنه حتى يُقْضَى عنه » .

١١٤٢ - * روى البزار عن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : قلتُ يارسولَ الله تُبْتَلى هذه الأمةُ في قبورِها فكيفَ بي وأنا امرأةٌ ضعيفةٌ ؟ قال :﴿ يثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

١١٤٣ - * روى الطبراني عن عبدِ الله قالَ إذا حَدَّثْتكم بحديثٍ أَنْبئكُم بتصديقِ ذلك : إن المؤمن إذا ماتَ جليسَ في قبره فيُقالُ : من ربُّك مادينُك من نبيُّك فيقولُ ربيَ اللهُ وديني الإسلامُ ونبيِّي محمدٌ ﷺ فَيُوَسَّعُ له في قبره ويُفْرَجُ له فيه ، ثم قرأ عبد الله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ﴾ .

١١٤٤ - * روى البخاري ومسلم عن البَراء بنِ عازِبٍ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) الترمذي (٣ / ٣٧٧) ٨ - كتاب الجنائز ، ٦٥ - باب ماجاء في الشهداء من هم .

وقال : حديث حسن . غريب . وهو حديث صحيح .

١١٤١ - الترمذي (٣ / ٣٨٩) ٨ - كتاب الجنائز ، ٧٦ - باب ماجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « نفس المؤمن ... » .

وقال : هذا حديث حسن . وإسناده حسن .

١١٤٢ - كشف الأستار (١ / ٤١٠) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٣) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١١٤٣ - المعجم الكبير (٩ / ٢٦٦) .

مجمع الزوائد : (٣ / ٥٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٤٤ - البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ماجاء في عذاب القبر ... إلخ

مسلم (٤ / ٢٢٠١) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧ - باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، والتعوذ منه .

وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر . =

قرأ : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثَّابتِ ﴾ (١) قال : « نزلَتْ في عذاب القبر » .

وفي رواية (٢) : أنّ النبيَّ ﷺ قال : « المسلمُ إذا سُئِل في القبر يشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ ﴾ » .

وفي أخرى (٣) قال : « ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ ﴾ . » نزلت في عذاب القبر ، يقال له : مَنْ ربك ؟ فيقول : رَبِّيَ الله ، ونبيِّي محمدٌ ﷺ » .

١١٤٥ ـ * روى البخاري عن أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنها : أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ : يتعوّذُ من عذابِ القبرِ .

١١٤٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ يهوديَّةً دخلَتْ عليها ، فذكَرَتْ عذابَ القبر ، فقالت لها : أعاذَكِ الله من عذاب القبر ، قالت عائشةُ : فسألتُ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال : « نعمْ ، عذابُ القبر حقٌّ » ، قالتْ : فما رأيتُ رسول الله ﷺ بعدُ صلّى صلاةً إلا تعوّذَ من عذابِ القبر .

وفي رواية (٤) لها قالت : دخلت عليَّ عجوزان من عُجُزِ يهودِ المدينة ، فقالتا : إنَّ أهلَ القبور يعذَّبون في قبورهم ، قالت : فكذَّبْتُهما ، ولم أُنْعِمْ أن أصدِّقَهما ، فخرجتا ، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ ، فقلت له : يارسولَ الله إن عجوزين من عُجُزِ يهودِ المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهلَ القبور يُعذبون في قبورِهم ، فقالَ : « صدقَتَا ، إنهم يُعَذَّبون عذابًا تَسْمَعُهُ

= والترمذي (٥ / ٢٩٥) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ١٥ ـ باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام .
وقال : حديث حسن .

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) البخاري : الموضع السابق .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

١١٤٥ ـ البخاري (٣ / ٢٤١) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٧ ـ باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٦ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .
مسلم (١ / ٤١٠) ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٢٤ ـ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

البهائمُ » ، ثم مارأيتُه بعدَ في صلاته إلا يتعوَّذُ من عذاب القبر .

وفي روايـة النسـائي (١) : أنها سـألتْ رسول الله ﷺ عن عـذاب القبر فقـال : « نعم ، عذابُ القبر حقٌّ » ، قالت عـائشـةُ : فما رأيتُ رسول الله ﷺ يصلِّي صلاةً بعـدُ إلا تعوَّذ من عذاب القبر .

وفي أخرى (٢) لـه قـالت : دَخَلَت عليَّ امرأةٌ من اليهـودِ ، فقـالت : إن عـذابَ القبرِ من البولِ ، فقلت : كَذَبْتِ ، فقالتْ : بلى ، إنـا لنَقْرِضُ منـه الجلـدَ والثوبَ ، فخرجَ رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقـد ارتفعتْ أصواتُنـا ، فقـال : مـاهـذا ؟ فـأخبرْتُـهُ بمـا قـالت ، فقـال : « صَـدَقَتْ » ، قـالت : فما صلَّى بعـدُ يـومئـذٍ إلا قـال في دبر الصلاة : « رَبَّ جبريـلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، أعِذْني من حَرِّ النار ، وعذابِ القبر» .

وفي أخرى (٣) قالت : دخلت يهوديَّةٌ عليها ، فاسْتَوْهَبَتْها شيئًـا ، فوهبت لهـا عـائشـةُ ، فقالت : أجارَكِ الله من عذاب القبر ، قالت عائشةُ : فوقع في نفسي من ذلـك ، حتى جـاء رسول الله ﷺ ، فـذكرتُ ذلـك لـه فقـال : « إنهم ليعـذَّبون في قبورهم عـذابًـا تسمعـه البهائمُ » .

١١٤٧ - * روى البخاري عن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت : قـام رسول الله ﷺ خطيبًا ، فذكر فِتنةَ القبرِ التي يُفْتَنُ فيها المرءُ ، فلما ذكر ذلك ضَجَّ المسلمون ضَجَّـة .

وزاد النسـائي (٤) : حـالتْ بيني وبين أن أفهم كـلامَ رسـول الله ﷺ ، فلـما سكَنَتْ ضَجَّتهمُ ، قلتُ لرجـلٍ قريبٍ مني : أيْ بـارَكَ اللهُ لـك ، مـاذا قـال رسـول الله ﷺ آخِرَ قوله ؟ قال : « قد أُوحِيَ إليَّ ، أنكم تُفْتَنون في القبورِ قريبًا من فِتنةِ الدجال » .

---

(١) النسائي (٣ / ٥٦) ١٣ - كتاب السهو ، ٦٣ - باب التعوذ في الصلاة .
(٢) النسائي (٣ / ٧٢) ١٣ - كتاب السهو ، ٨٨ - باب نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم .
(٣) النسـائي (٤ / ١٠٥) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٥ - باب التعوذ من عذاب القبر .
١١٤٧ - البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٨٦ - باب ما جاء في عذاب القبر ... إلخ .
(٤) النسائي (٤ / ١٠٣) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٥ - باب التعوذ من عذاب القبر .

١١٤٨ ـ * روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ . فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ ، غَيْرَ فَزِعٍ وَلاَ مَشْعُوفٍ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ : فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الإِسْلاَمِ . فَيُقَالُ لَهُ : مَا هـٰذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَصَدَّقْنَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللهَ ؟ فَيَقُولُ : مَايَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللهَ ؛ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ . فَيَنظُرُ إِلَيها يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَاوَقَاكَ اللهُ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ : هذَا مَقْعَدُكَ . وَيُقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ . وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا . فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي . فَيُقَالُ لَهُ : مَاهذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً فَقُلْتُهُ . فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِها وَمَا فِيهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَاصَرَفَ اللهُ عَنْكَ . ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا . يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : هذَا مَقْعَدُكَ . عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ . وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

١١٤٩ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال شهدت مع رسول الله ﷺ جنازةً فقال

١١٤٨ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٢٦) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٢ ـ باب ذكر القبر والبلى . وفي الزوائد : إسناده صحيح .

(ولا مشعوف) : الشعف شدة الفزع حتى يذهب بالقلب .

(فيم كنت) : أي في أي دين .

(ماهذا الرجل) : أي الرجل المشهور بين أظهركم . ولا يلزم منه الحضور . وترك مايشعر بالتعظيم لئلا يصير تلقينا . وهو لا يناسب موضع الاختبار .

(يحطم بعضها بعضًا) : من شدة المزاحمة .

(على اليقين كنت) : يدل على أن من كان على اليقين في الدنيا ، يموت عليه عادة وكذا في جانب الشك .

(إن شاء الله) : للتبرك لا للشك .

(سمعت الناس) : يريد أنه كان مقلدًا في دينه للناس ، ولم يكن منفردًا عنهم بمذهب .

(على الشك) : أي خلاف اليقين اللائق بالإنسان .

١١٤٩ ـ أحمد (٣ / ٣) .

وكشف الأستار (١ / ٤١٢) .

=

رسول الله ﷺ : « ياأيها الناسُ إن هذه الأمةَ تُبْتلَى في قبورِها فـإذا الإنسـانُ دُفِنَ فتفرَّق عنه أصحابُهُ جَاءَهُ ملَـكٌ في يـده مِطراقٌ فـأقعَـدَهُ قـال : مـاتقولُ في هـذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنًا قال أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدًا عبـدُه ورسولُـه . فيقول له : صَدقْتَ ثم يُفتَحُ له بابٌ إلى النـارِ فَيَقولُ هـذا كان مَنزِلَـك لو كفرتَ بربِّك فأما إذ آمنتَ بربك فهذا منزلك فيُفتَح له بابٌ إلى الجنة فيريـد أن ينهضَ إليـه فيقول لـه اسكُنْ ويُفْسَحُ لـه في قبره . وإنْ كان كافراً أو منـافقًـا يقـولُ لـه ماتقولُ في هذا الرجل ؟ فيقولُ : لا أدري سمعتُ الناسَ يقولون شيئًـا . فيقولُ : لا دَرَيتَ ولاَ تَليْتَ ولا اهتديتَ ثمَّ يُفتَحُ له باب إلى الجنةِ فيقولُ : هـذا منزلُـك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت بربك فـإن الله عز وجل أَبْـدَلَـكَ هـذا ويُفتَحُ لـه بـابٌ إلى النـارِ ثم يَقْمَعُـهُ مَقْمَعَـةً بـالمِطراقِ يسمعُهـا خلـق الله كلُّهم غيرَ الثقلين » فقـال بعضُ القوم : يارسولَ الله ما أحدٌ يقوم عليه مَلَكٌ في يدهِ مِطراقٌ إلا هِيل عندَ ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ » وزاد البزار : « ﴿ في الحيـاة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ » .

١١٥٠ - * روى الطبراني عن عبـدِ اللهِ بن مسعـودٍ عن النبيِّ ﷺ قـال : « إن المـوتى لَيُعَذَّبون في قبورِهم حتى إن البهائمَ تسمعُ أصواتَهم » .

١١٥١ - * روى أحمد عن عبـدِ اللهِ بنِ عمرو رضي الله عنهما ، أن رسـول الله ﷺ ذَكَرَ فَتّانَ القبر فقـال عمر أَتُرَدُّ عقولُنـا يـارسولَ الله ؟ فقـال رسـول الله ﷺ : « نعم كهيئتِكم اليوم » فقال عمرُ : بفيه الحجرُ .

١١٥٢ - * روى أبو داود عن البراء بن عـازبٍ رضي الله عنـه ، قـال : خرجنـا مع رسـول الله

= مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) . وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٠ - للعجم الكبير (١٠ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

١١٥١ - أحمد (٢ / ١٧٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١١٥٢ - أبو داود (٤ / ٢٣٩) كتاب الجنائز ، باب في المسألة في القبر ، وعذاب القبر . وإسناده حسن .

ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلٍ من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَدْ بعدُ ، فجلس رسول الله ﷺ وجلَسْنا حولَه كأنما على رؤوسِنا الطَّيرُ ، وبيده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرضِ ، فرفَعَ رأسَهُ فقالَ : « تَعَوَّذوا باللهِ من عذابِ القبرِ » مرتين ، أو ثلاثًا .

زاد في رواية (١) : وقال : « إن الميتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نعَالهم إذا وَلَّوْا مدبرين حين يقال له : ياهذا ، مَنْ ربُّك ؟ ومادِينُك ؟ ومن نَبِيُّكَ ؟ » .

وفي رواية (٢) : « ويأتيه مَلَكان ، فيُجْلِسانه ، فيقولان له : مَنْ ربُّكَ ؟ فيقول : ربيَ اللهُ ، فيقولان له : مادِينُك ؟ فيقول : ديني الإسلامُ ، فيقولان له : ماهذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسولُ الله ، فيقولان له : ومايُدريك ؟ فيقول : قرأتُ كتابَ الله ، وآمنتُ به ، وصدَّقتُ » .

زاد في رواية (٣) « فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ثم اتفقا : « فينادي منادٍ من السماء : أن صَدَق عبدي ، فأفْرِشُوه من الجنةِ ، وألْبِسُوه من الجنةِ ، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنةِ ، فيأتيه من رَوْحِها وطِيبِها ، ويُفْسَحُ له في قبره مَدَّ بَصَرِهِ ، وإن الكافرَ ... » فذكر موتَه ، قال : « فتُعادُ روحُه في جَسدِهِ ، ويأتيه مَلَكان ، فيجلِسانِه ، فيقولان له : مَنْ ربُّك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فيقولان : مادِينُك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري فيقولان له : ماهذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء : أنْ كَذَبَ ، فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حَرِّها وسَمومِها ، ويضَيَّقُ عليه قَبْرُه حتى تَختلِفَ فيه أضلاعُهُ » .

= (ينكتُ) : نكت في الأرض بيده وبقضيب : إذا أثر فيها بذلك .

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

(هاه هاه) : من عادة المشدوه الحائر إذا خوطب أن يقول : هاه هاه ، كأنه يستفهم عما يسأل عنه .

زاد في رواية (١) : « ثم يُقيَّضُ له أعمى أبْكَمُ ، معه مِرْزَبَةٌ من حـديـدٍ لو ضُربَ بَها جَبَلٌ لصـار ترابـا ، فَيَضْربـهُ بهـا ضَربـةً يسمعُهـا مَنْ بين المشرق والمغرب ، إلا الثقلين ، فَيصيرُ ترابًا ، ثم تعاد فيه الروحُ » .

١١٥٣ ـ * روى أحمد عن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه ، قـالَ : خرجنـا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبرِ ولما يُلْحَدْ فجلسَ رسول الله ﷺ وَجَلَسْنا حـولـه وكأنَّ على رؤوسِنـا الطيرَ وفي يـده عـودٌ يَنْكُتُ بـه في الأرضِ فرفـعَ رأسـه فقـال : « استعيذوا بـالله من عـذاب القبر » مرتين أو ثلاثـًا ، ثم قـال : « إنّ العبـدَ المؤمنَ إذا كان في انقطـاعٍ من الـدنيـا وإقبـالٍ من الآخرةِ نزّلَ الله ملائكـةً من السماء بيضَ الوجوه كأنَّ وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنةِ وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنةِ حتى يجلسوا منه مَدَّ البَصرِ ويجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى يجلِسَ عند رأسـه فيقـولَ أيتهـا النفْس الطيبـةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ من الله ورضـوان قـال : فَتَخْرُجُ فيقولُ أيتها النفس الطيبـةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ من الله ورضوانٍ » قـال : « فَتَخْرُجُ عَيْنٍ حتى يـأخـذوهـا فيجعلوهـا في ذلـك الكَفَنِ وفي ذلـك الحَنوطِ ويخرجُ منهـا كأطيبِ نفحةِ مِسكٍ وُجِدَتْ على وجـه الأرضِ » قـال « فيَصْعَـدون بهـا فلا يمرون على ملأ من الملائكـة إلا قـالوا : مـا هـذا الروحُ الطيبُ ؟ فيقولون : فلانُ بنُ فـلانٍ بأحسن أسمائـه التي كانوا يُسمونـه بهـا في الـدنيـا حتى يَنْتَهوا بهـا إلى السماء الـدنيـا فيَسْتَفْتِحون لهم فَيُشَيِّعُهُم من كل سماء مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهَى بها إلى السماء السابعةِ فيقولُ اللهُ عز وجل : اكتبوا كتـابَ عبـدي في عليين وأعيـدوه إلى الأرض في جَسَدِه فيـأتيـه مَلكان فَيُجْلِســانـه فيقولان : من ربُّـك ؟ فيقول ربِّي الله فيقولان : مـادينُـكَ ؟ فيقول : ديني الإسـلامُ . فيقـولان لـه : مـاهـذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقولُ : رسولُ الله . فيقولان له : ماعمَلُـكَ ؟ فيقولُ :

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(أبكم) : الأبكم : الذي خلق أخرسَ .

١١٥٣ ـ أحمد (٤ / ٢٨٧) .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٩) وقال : هو في الصحيح وغيره باختصار ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . =

قرأتُ كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدقتُـه فينـادي منـاد من السماء : أن صَدَقَ عبـدي فافْرِشوا له من الجنةِ وأَلبِسُوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : « فيأتيه من رَوْحِها وطيبها ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ بصرِه » قال : « ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجـه حسنُ الثيـابِ طيب الريحِ فيقول أبشِرْ بـالـذي يَسُرُّك هـذا يومُـك الـذي كنتَ توعـدُ فيقولُ : من أنت فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخيرِ فيقولُ : أنا عملُكَ الصـالح فيقولُ : رب أَقِمِ الساعةَ حتى أَرْجِعَ إلى أهلي ومالي . وإن العبدَ الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل ملائكة سودُ الوجوه معهم المُسوحُ فيجلسون منه مَدَّ البصر ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسِه فيقولُ : أيتها النفس الخبيثةُ اخْرُجي إلى سَخَـطٍ من اللهِ وغَضَبٍ فَتَفَرَّقُ في جَسَـده فَيَنْزِعُها كما يُنزَعُ السَّفُودُ من الصوف المبلول فيأخذُها فإذا أخذَها لم يَدَعوهـا في يـدِه طرفـة عينٍ حتى يجعلوهـا في تلك المسوحِ ويَخْرُجُ منها كأنتن جيفةٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض فَيَصعـدون بهـا فلا يَمرون بها على مَلأ من الملائكةِ إلا قـالوا : مـاهـذه الريحُ الخبيثـةُ فيقولون : فلانُ بنُ فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنْتهَى بهـا إلى السماء الـدنيـا فيستفتحُ لـه فلا يُفْتَحُ » ثم قرأ رسول الله ﷺ : « ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابَه في سجينٍ في الأرضِ السُّفْلى ثم تُطرحُ رُوحـُه طرحًـا » ثم تلا : « ﴿ ومن يشرك بـالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ فيُعادُ رُوحُـه في جَسدِه ويـأتيـهِ ملكانِ فيُجلِسـانـه فيقولان لـه : من ربـك ؟ فيقول : هـاه هـاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء : أن كَذَبَ فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًـا إلى النـار فيـأتيـه من حَرِّهـا وسَمومهـا ويُضَيَّقُ عليـه قَبْرُه حتى تَختلفَ فيـه أضلاعُـهُ ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثيـابِ مُنْتِنُ الريحِ فيقول أبشر بـالـذي يَسوؤكَ هـذا يومُـك الـذي كنتَ تُوعَـدُ فيقول : من أنت ؟ فوجهُـك الـذي يـأتي بـالشَّرِّ فيقول : أنا عملك الخبيثُ فيقول : ربِّ لا تقم الساعة » .

= (السَّفُودُ) : الحديدة التي يشوى بها اللحم .

وفي رواية عنه [١] أيضًا نحو هذا وزاد فيه « فيأتيه آتٍ قبيحُ الوجهِ قبيحُ الثياب منتنُ الريحِ فيقولُ : أبشر بهوانٍ من الله وعذابٍ مقيم فيقول : فَبَشَّرَكَ اللهُ بالشر من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيثُ كنتَ بطيئًا عن طاعةِ الله سريعًا في معصيتِه فجزاكَ اللهُ شرا ثم يُقَيِّضُ له أعمى أصم أبكَم في يدِه مِرْزَبَةٌ لو ضُرِبَ بها جبلٌ كان تُرابًا فيضربه ضَرْبَةً فيصيرُ ترابًا ثم يُعيدُه اللهُ كما كان فيضربُهُ ضَرْبَةً أخرى فيصيحُ صيحةً يَسْمَعُه كلُّ شيءٍ إلا الثقلين » . قال البراءُ ثم يُفْتَحُ له بابٌ إلى النار ويُمَهَّدُ له من فرش النار .

١١٥٤ - * روى أحمد عن أسماءَ ، أنها كانتْ تُحدِّثُ عن النبيِّ ﷺ قالَتْ : « إذا دخلَ الإنسانُ قبرَهُ فإن كان مؤمنًا أحف به عملُه الصلاةُ والصيامُ » قال : « فيأتيه المَلَكُ من نحو الصلاةِ فيردُّه ومن نحو الصيامِ فيردُّه فيناديه اجْلِس » قال : « فيجلِسُ فيقولُ له : ماتقولُ في هذا الرجل » ؟ يعني النبي ﷺ « قال من ؟ قال : محمد ، قال : أشهد أنه رسول الله » قال : «يقول : على ذلك عشت وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ » . قال : « وإن كان فاجراً أو كافراً » قال : « جاءه مَلَكٌ ليس بينه وبينه شيءٌ يَرُدُّهُ » . قال : « فأجْلَسَهُ قال : اجلِسْ ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أيُّ رجلٍ ؟ قال : محمدٌ ، يقول : ماأدري والله سمعتُ الناسَ يقولون شيئًا فقلتُه . قالَ له المَلَكُ : على ذلك عِشْتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ وتُسلَّطُ عليه دابةٌ في قبره معها سوط ثَمَرَتُهُ جَمْرَةٌ مثلُ البعيرِ تَضْرِبُهُ ماشاء اللهُ صَمَّاءُ لا تَسْمَعُ صَوتَه فَتَرْحَمُهُ » .

١١٥٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نِعالهم حين يولون عنه فإذا كان مؤمنًا

(١) أحمد : الموضع السابق .

مجمع الزوائد (٣ / ٤٩) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٥٤ - أحمد (٦ / ٣٥٢) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ١٠٥) .

مجمع الزوائد (٣ / ٥١) وقال : رواه أحمد وروى الطبراني منه طرفًا في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١١٥٥ - مجمع الزوائد (٣ / ٥١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، ولأبي هريرة في الأوسط أيضًا رفعه =

كانتِ الصلاة عنـد رأسِـه ، والزكاةُ عن يمينـه ، والصـومُ عن شمالـه وفعـل الخيرات والمعروف والإحسـان إلى النـاس من قبل رجليـه ، فيُؤتى من قِبلِ رأسِـه ، فتقول الصلاة : ليس قِبلي مَدْخَلٌ ، فيُؤتى عن يمينه ، فتقول الزكاة : ليس قِبلي مدخلٌ ، ويؤتى من قبل شمالِه فيقول الصومُ : ليس قِبلي مَـدْخَلٌ ثم يؤتى من قبل رجليـه : فيقول فِعْلُ الخيراتِ إلى الناس : ليس من قبلي مـدخلٌ فيقـال لـه اجلِس فيجلِسُ وقد مُثِّلَتْ له الشمسُ للغروب فيقال له : ماتقول في هذا الرجلِ الـذي كانَ قِبَلَكم يعني النبي ﷺ فقال : أشْهدُ أنـه رسول الله ﷺ جاءنـا بـالبينـات من عنـد ربنـا فصدقناه واتبعناه ، فيُقالُ له : صَـدَقْتَ وعلى هـذا حييت وعلى هـذا مُتَّ وعليـه تُبعثُ إن شاءَ اللهُ ويفسَحُ له قَبْرهُ مدَّ بصرِه فـذلـك قول الله عز وجل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ ويقال : افتحوا لـه بـابًـا إلى النار فيقال : هذا كان منزِلك لو عصيتَ الله عز وجل فيزدادُ غِبطَةً وسرورًا . ويقال : افتحوا له بابًا إلى الجنة فيُفتحُ له فيُقالُ : هذا منزِلُكَ ومـاأعـدَّه الله لـك فيزدادُ غِبطةً وسرورًا ، فيعادُ الجلدُ إلى مـابـدا منـه ، ويُجعلُ روحُـه في نسم طير يَعْلَقَ في شجر الجنة ، وأما الكافرُ فيُؤتى من قِبلِ رأسه فلا يوجد شيء ، فيؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء ، فيجلِسُ خائفًا مرعوبًا فيُقالُ لـه : مـاتقول في هـذا الرجلِ كان فيكم وما تشهـد بـه ؟ فلا يهتـدي لاسمـه فيقـالُ : محمدٌ ﷺ فيقول : سمعت الناسَ يقولون شيئًا فقلت كما قـالوا فيقـال لـه : صـدقت على هـذا حييت وعليه مُتَّ وعليه تُبعثُ إن شاء الله ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ حتى تختلفَ أضلاعُه فذلك قول الله عز وجل ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** ﴾ فيقال : افتحوا له بابًا إلى الجنة فيقـال لـه : هـذا كان منزِلَـك ومـا أعـدَّ الله لـك لو أطعتَـه ، فيزداد حسرةً وثبورًا ثم يقالُ : افتحوا لـه بـابًـا إلى النـار فيُفْتَحُ لـه إليهـا فيقـالُ : هـذا

= قال : يؤتى الرجل في قبره فإذا أُتِيَ من قِبل رأسِه دفعتْه تلاوةُ القرآن وإذا أُتي من قِبل يديه دفعته الصدقةُ وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيُه إلى المساجد والصبرُ حَجَزَهُ فقال : أما إني لو رأيت خليلاً كنتُ صاحِبَهُ .

وروى البزار طرفًا منه . (كشف الأستار ١ / ٤١٣) .

(ويجعل روحه) : الروح تذكر وتؤنث .

منزلُكَ وما أعَدَّ الله لـك فيزدادُ حَسرةً وثبورًا » . قـال أبو عمر يعني الضرير قلت لحماد ابن سَلَمَةَ كان هذا من أهل القبلة ؟ قال : نعم : قال أبو عمر كأنه يشهـد بهـذه الشهـادةِ على غيرِ يقينٍ يَرجِعُ إلى قلبه كأن يسمَع الناسَ يقولون شيئًا فيقوله .

١١٥٦ - * روى ابن ماجه عن سالم عن أبيـهِ ، قَـالَ جَـاءَ أعْرَابِيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقَـالَ يَارَسُولَ اللهِ : إنَّ أبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ وَكَانَ وَكَانَ ، فَأيْنَ هُوَ ؟ قَـالَ : « في النـار » قـال فكـأنه وَجَـدَ مِنْ ذَلِـكَ فَقَـالَ : يَـارَسُولَ اللهِ فَـأيْنَ أبُوكَ ؟ فَقَـالَ رسـول الله ﷺ « حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْه بالنَّارِ » قَالَ فَأسْلَم الأعْرَابِيُّ بعد وقال : لَقَدْ كَلَّفَني رسول الله ﷺ تَعَبًا مَامَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إلا بَشَّرْتُهُ بالنَّارِ .

١١٥٧ - * روى الطبراني عن قتادةَ أن أنسًا دَفَنَ ابنًا له فقـال : اللهم جـافِ الأرضَ عن جنبيه وافتَحْ أبوابَ السماء لروحِهِ وأبْدِلْه دارًا خيرًا من دارِه .

١١٥٨ - * روى أحمد عن أبي سعيـد الخدري عن رسـول الله ﷺ أنـه قـال : « يـأكل الترابُ كلَّ الإنسان إلا عَجْبَ ذَنَبِهِ » قيلَ : ومـا مَثَلُـهُ يـارسول الله ؟ قـال : « مثلُ حبـةِ خَردَلٍ منه تَنْبُتُون » .

١١٥٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رَضِي الله عنـه ، أنَّ رسـول الله ﷺ قَـالَ : « إذا مَات الإنَسانُ انْقَطَعَ عملُه إلا مِن ثَلاثَةٍ : صَـدَقَـةٍ جَـارِيَـةٍ ، أَوْ عِلمٍ يُنْتَفَعُ بـه ، أو ولدٍ صالح يَدْعُو لَهُ » .

١١٥٦ - ابن ماجه (١ / ٥٠١) ٦ - كتاب الجنائز ، ٤٨ - باب ماجاء في زيارة قبور المشركين .
وقال في الزوائد : إسناد هذا الحديث صحيح .

١١٥٧ - المعجم الكبير (١ / ٢٤٤)
مجمع الزوائد (٣ / ٤٤) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات .

١١٥٨ - أحمد (٢ / ٢٨) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١١٥٩ - مسلم (٢ / ١٢٥٥) ٢٥ - كتاب الوصية ، ٣ - باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .
وأبو داود (٣ / ١١٧) كتاب الصيد ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت .
والترمذي (٣ / ٦٦٠) ١٣ - كتاب الأحكام ، ٣٦ - باب في الوقف . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
والنسائي (٦ / ٢٥١) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ٨ - فضل الصدقة عن الميت .
(صدقة جارية) : الصدقة الجارية : هي الدائرة المتصلةُ ، كالوقف ومايجري مجراه .

١١٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مَالكٍ رضي اللهُ عنهُ ، قَالَ : قالَ رسول الله ﷺ « يَتْبَعُ الميِّتَ ثلاثٌ : أهلُه ، ومالُه ، وَعَمَلُه ، فيرْجِعُ اثنان ، ويبقى واحدٌ ، يرجع أهلُه ومالُه ، ويبقى عَمَلُه » .

١١٦١ - * روى الطبراني عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، عن كعب ، قال : لما حَضَرَته الوفاة أتته أمُّ مبشّر فقالت اقرأ على النبي السلامَ . فقال لها : أو ماسمعتِ رسول الله ﷺ يقولُ : « روحُ المؤمنِ طائرٌ يَعْلَق في شجَرِ الجنةِ حتى يُبْعَثَ يومَ القيامةِ » قالتْ : بلى ولكن ذُهِلْتُ .

١١٦٢ - * روى مالك عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه ، كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جَسَدِهِ يوم يَبْعَثُهُ » .

أقول : الظاهر أن هذا ليس عامًا في كل مؤمن بل هو خاص بالشهداء وبمن يكرمه الله عز وجل من أهل خاصّته .

١١٦٣ - * روى مسلم عن مَسْرُوق رحمه الله قال : سَأَلْنَا عبدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ عَن هذِه الآية ﴿ وَلاَ تحسَبَنَّ الذين قُتِلُوا في سَبيل اللهِ أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون ﴾ (١) فَقَالَ : أَمَا إنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذلك رسولَ الله ﷺ ؟ فَقَال : « أرْوَاحُهم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْش ، تَسْرَحُ مِن الجنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إلى

١١٦٠ - البخاري (١١ / ٣٦٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ - باب سكرات الموت .

مسلم (٤ / ٢٢٧٣) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث (٥) .

والترمذي (٤ / ٥٨٩) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٤٦ - باب ماجاء مثل ابن آدم وأهله وولده وماله وعمله .

وقال : حديث حسن صحيح .

١١٦١- مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٩) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١١٦٢- الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .

(النَّسَمة) : الرُّوح والنَّفْس ، و « يَعْلَقُ » أي يأكل .

١١٦٣ - مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(١) آل عمران : ١٦٩ .

تلْكَ القَنَادِيْلِ ، فاطَّلَعَ إليهم رَبُّهم اطلاعَةً ، فقال : هَلْ تَشْتَهُونَ شيئًا ؟ قالوا : أيَّ شيءٍ نَشْتَهي ونحْن نَسْرح من الجنة حيثُ شِئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مراتٍ ، فلَمَّا رَأَوْا أنَّهُم لم يُترَكُوا من أن يُسأَلُوا ، قالوا : يارب ، نُريدُ أن تَرُدَّ علينا أرواحَنا في أجسادنا حتى نُقْتَلَ في سبيلكَ مرةً أُخْرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُرِكُوا » .

وفي رواية الترمذي [1] : أنه سُئل عن قوله : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتًا بل أحْيَاءٌ عند ربهم ﴾ فقال : أما إنَّا قد سَأَلْنَا عن ذلك ؟ فأُخْبِرْنا أنَّ : « أروَاحهُم في طير خُضْر ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءَتْ ، وتأوي إلى قَناديلَ مُعَلَّقةٍ بالعرشِ ، فاطَّلع ربك اطِّلاعةً ، فقال : هل تَسْتَزِيدون شيْئًا ، فَأَزيدكم ؟ قالوا : ربنا ، وما نَسْتَزِيد ونحن في الجنة نَسْرح حيث شِئْنَا ؟ ! ثم اطَّلع إليهم الثانيةَ ، فقال : هل تَسْتَزِيدُون شيئًا ، فأزيدكم ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أنَّهم لا يُترَكُون ، قالوا : تُعيدُ أرواحَنا في أجسادنا حتى نرجعَ إلى الدُّنْيا فَنُقْتَلَ في سبيلك مرة أُخرى » .

وللترمذي [2] في رواية أخرى ـ مثله ـ وزاد : « وتُقْرِئ نَبِينا السلام ، وتُخْبِرُه أنْ قد رَضِينا ، وَرُضِيَ عنا » .

١١٦٤ ـ * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » .

---

(١) الترمذي (٥ / ٢٣١) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ٤ ـ باب ومن سورة آل عمران . وقال : حديث حسن صحيح .
(تَسْرَحُ) : الماشية : إذا ذهبت للرعي ، فاستعاره للطير .

(٢) الترمذي الموضع السابق . وقال : حديث حسن .

١١٦٤ ـ أحمد (١ / ٢٦٦) .
والمعجم الكبير (١٠ / ٤٠٥) .
مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٤) وقال : رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات ، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط .

١١٦٥ - * روى أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على باب بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » .

* * *

١١٦٥ - أحمد (١ / ٢٦٦)

والمعجم الكبير (١٠ / ٤٠٥) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٨) وقال : رواه أحمد ، والطبراني ورجال أحمد ثقات .

مسائل وفوائد

ذكر أخونا الشيخ الشهيد أديب كيلاني في شرحه لعقائد أهل السنة والجماعة عن الموت والحياة البرزخية مانأخذ منه هذه المقتطفات :

ـ « ولا بد من سؤال الميت ، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها ؛ إذ لا يبعد أن الله تعالى يعيد له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة ، لأن قدرته تعالى صالحة لذلك . وإن مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة ، فقد ذهب القرطبي إلى جواز أن الملكين يعظمان فيسألان الجميع بوقت واحد أو أن ملائكة السؤال عديدون ، كما ذهب إليه الحافظ السيوطي ووافقه عليه الحليمي .

ـ والأنبياء لا يُسألون ، وقيل يسألون عن الوحي وجبريل ، وكذلك الصديقون والشهداء والمرابطون والملازمون لقراءة سورة الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر إليهم ولا يضر الترك مرة بعذر ، وذكر بعضهم سورة السجدة كذلك ، وكذلك من قرأ بمرض موته سورة الإخلاص ، ومريض البطن ، والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسبًا ، والميت ليلة الجمعة أو يومها . والراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يُسألون سؤالاً خفيفًا . والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال بالمكلفين بخلاف الأطفال ...

ـ مما يجب اعتقاده عذاب القبر ، وإنما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عُذّب ، قُبر أو لم يقبر ، ولو غرق أو صلب أو التهمته الضواري أو حُرّق ثم ذرته الرياح ، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب .

ـ والعذاب للكافر والمنافق دائم ديومة البرزخ . وينقطع عن المؤمن العاصي إن خفت جرائمه ، كما يرفع بالدعاء أو الصدقة ، أو غير ذلك ، كما قاله ابن القيم وكل من لا يُسأل في القبر لا يعذب . وضغطة القبر من عذابه ، وهي التقاء حافتيه التقاء برزخيًا يتناسب مع عالم البرزخ ، ومايحكمه من قوانين ، فتضمه الأرض حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو من الضمة أحد حتى الصلحاء ، ماخلا الأنبياء .

ـ وأما المؤمنون الصالحون الذين قدر الله لهم ألا يعذبوا فهم في نعيم القبر . وقد بلغت النصوص في نعيمه مبلغ التواتر . وكما أن العذاب لا يختص بالقبر فكذلك النعيم ، فهو يشمل كل ميت قدر له ، قبر أو لم يقبر ، ولا يختص بالمؤمنين من هذه الأمة ، ولا بالمكلفين ومن النعيم توسيع القبر ، وفتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر ، وكل هذا بما يتناسب مع عالم البرزخ .

ـ والأنبياء ـ وإن كانوا جميعهم أحياء حياة برزخية ـ أكمل حياة من الشهداء ، والشهداء أكمل حياة من بقية الأموات .

ـ وعلى كل فهى أمور خارقة للعادة فلا يقاس عليها غيرها ، ويجب اعتقاد أن الله تعالى يرزق شهيد الحرب من محبوب نعيم الجنات ، إلا أنه يتناولون الأكل والشرب للتلذذ ، لا للاحتياج .

ـ وإنما سمي الشهيد شهيداً لشهادة الله وملائكته له بالجنة والرضا عنه .

ـ ولأن روحه شهدت دار السلام بخلاف غيره ، فإنه لا يشهدها إلا يوم القيامة . وقد قال النسفي : بأن أرواح المسلمين ـ إن دخلت الجنة الآن ، كما دلت عليه الأحاديث ـ لا تكون كالشهيد في الحياة والرزق بل لا تأكل فيها ولا تتمتع . اهـ .

أقول : وكخاتمة لهذا الوصل ، وكجسر للكلام عن الوصل اللاحق نذكر لك ما قاله صاحب الإحياء وهو يوصيك عما ينبغي أن يكون عليه عقلك وقلبك بالنسبة للنصوص التي تتحدث عن اليوم الآخر :

قال الإمام الغزالي في الإحياء :

« إيَّاك أن تُنكِر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياسَ ما في الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدتَ عجائب الدنيا ، ثم عُرِضَتْ عليك قبل المشاهدة لكنتَ أشدَّ إنكارًا لها ، وفي طبع الآدمي إنكارُ كلِّ مالم يأنس به !

ولو لم يشاهد الإنسانُ الحيَّة وهي تمشي على بطنها كالبَرْق الخاطف لأنكرَ تصوُّر المَشْي على غير رِجْل والمَشْيَ بالرجل أيضًا مُستبعَدٌ عند من لم يشاهد ذلك . وَلَوْ لَمْ يُشَاهِد

الإنسـانُ توالُـدَ الحيوان ، وقيـل لـه : إنّ لـه صـانعًا يَصنَـعُ من النُّطفَـة القَـذِرَة مِثْـلَ هـذا الآدميّ : المصوِّرِ ، العاقلِ ، المتكلِّمِ ، المتصرِّفِ ... لاشتَدَّ نُفورُ باطنهِ عن التصديق به .

ففي خَلْق الآدميِّ مع كثرة عجـائبـه واختلاف تركيب أعضـائـه : أعـاجيبُ تزيـدُ على الأعاجيب في بَعْثه وإعادته ، فكيف يُنكِرُ ذلك من قُدرة الله تعـالى وحكمتـه : مَنْ يُشـاهـدُ ذلك في صنعته وقدرته ؟ ! فإن كان في إيمانك ضعفٌ فقوِّ الإيمانَ بالنظر في النشـأة الأُولى : ﴿ أيحسَبُ الإنسـانُ أن يُترَكَ سُدى * ألم يَـكُ نُطْفَـةً من منيٍ يُمْنَى * ثم كان عَلَقَـةً فَخَلَـقَ فَسـوَّى * فَجَعَـلَ منـه الـزَّوْجَيْن الـذَّكَر والأُنْثَى * أليس ذلـك بقـادرٍ على أن يُحيِيَ الموْتَى ﴾ [١] بلى إنّ الله على كل شيء قدير » . اهـ .

* * *

(١) القيامة : ٣٦ ـ ٤٠ .

الوصل الثالث

في:

الساعة وما يأتي بعدها

وفيه:

مقدمات وفقرات وخاتمة

المقدمة

هذا الموضوع من أهم قضايا العقيدة ، لأنه يصف أخطر شيء وأعظم حقيقة يغفل عنها الإنسان ، وهو من أهم الأمور في التربية وأهمها في التعليم ، ومن أهمها فيما ينبغي أن يكون الإنسان منه على تذكر دائم ، ومن ههنا كان التأمل فيه وتذكره يومياً من أساسيات السير إلى الله عز وجل ، وهو زاد الوعظ وزاد جلسات المذاكرة وهو طريق المسلم للوصول إلى مقام المُخْلَص (بفتح اللام) .

فالحسن البصري رحمه الله يقول : « الناس هلكى إلا العالمين ، والعالمون هلكى إلا العاملين ، والعاملون هلكى إلا المخلصين ، والمخلِصون على خطر عظيم » .

فإذا كان المخلِصون على خطر فمن هم الناجون ؟ يذكر الله عز وجل سياسة إبليس عليه اللعنة : ﴿ **لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلَصين** ﴾ (١) فالمخلَص هو الذي سار في طريق النجاة ، وطريق الوصول إلى مقامه هو تذكر الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾ (٢) فلقد وصلوا إلى مقام المخلَص بعمل خالص هو تذكر الدار الآخرة .

وما أكثر الكفر بالآخرة والشك في شأنها والغفلة عنها ، فياويح الكافرين والغافلين بماذا يكفرون ولماذا يغفلون ؟ أيغفلون عن الجنة والنار ؟

* * *

وقضية الآخرة منوطة بالإيمان بالله فمن عرف قدرة الله الذي خلق كل شيء وعرف علم الله الذي لا يغيب عنه شيء وعرف عدله وفضله وكرمه آمن بالآخرة ، وقضية الآخرة كذلك منوطة بالإيمان بالرسول ﷺ فمن آمن به عرف الآخرة لأن عليها مدار البعثة فالبعثة يترتب عليها تكليف ومسؤولية وجزاء .

ومن عرف أن القرآن كتاب الله وعرف معجزاته وإعجازه لا يشك في اليوم الآخر .

---

(١) الحجر : ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) ص : ٤٥ ، ٤٦ .

وأمر اليوم الآخر مداره على الإيمان والتسليم فتلك عوالم نحن مقبلون عليها لا نعرف عنها إلا ما أخبرنا عنه الله عز وجل ورسوله ، وواجبنا في الأخبار : الإيمان والتسليم دون الاعتراض والتشكك : **﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾** (١) .

ولذلك فنحن سنقلل من التعليق على أحاديث هذا الوصل حتى لا نفسد على القارئ تفاعله مع النص وتأثره فيه وسنقسم أبحاث هذا الوصل إلى فِقرات مع ملاحظة أن كثيرًا من النصوص تتعلق بأكثر من فِقْرة .

---

(١) الأعراف : ٥٣ .

الفِقْرات

الفقرة الأولى

عرض إجمالي

تحكم الإنسان وهو في بطن أمه أسباب تختلف نوعًا ما عن الأسباب التي تحكمه بعد ولادته ، ولهذا العالم أسبابه وقوانينه ، ولعالم البرزخ أسبابه وقوانينه ، وللقيامة وما يكون بعدها أسباب وقوانين ، وكل ذلك بعلم الله وإرادته وقدرته ، فإذا ما جاءت النصوص القرآنية أو النصوص الحديثية الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فلا يصح أن يستغرب شيء منها لأن ذلك كفر بوجود الله وصفاته أصلاً ، ومن رأى عظمة هذا الكون وامتداده ملايين السنين الضوئية وأنه كله بقدرة الله كيف يستغرب شيئاً على هذه القدرة أخبر الله عز وجل عنه أو أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله فاعله .

ـ قال تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [(١)] .

ـ لقد خلق الله عز وجل الماء والعرش ، ثم من الماء خلق مجرات هذا الكون ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ [(٢)] ثم خلق الأرض بعد السماء ثم خلق السماوات السبع بعد الأرض ، قال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [(٣)] ، ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ﴾ [(٤)] ، ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ [(٥)] ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ [(٦)] . والسماوات السبع والكرسي والعرش مغيبة عنا في فهمي بدليل أن رسول الله ﷺ قال في حديث صحيح : « والله لقد رأيت ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم » [(٧)] قال الشيخ

---

(١) الرعد : ٥ .
(٢) الذاريات : ٤٧ .
(٣) النازعات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .
(٤) البقرة : ٢٩ .
(٥) الطلاق : ١٢ .
(٦) فصلت : ١٢ .
(٧) المستدرك (١ / ٣٣٠) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقد ورد قريبًا من هذا المعنى في سياقات عند البخاري ومسلم .

عبد الفتاح أبو غدة في كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح عليه السلام) :

وظاهِرُ الحديث في رؤية الجنة والنار أنه ﷺ رآهما رؤية عين ، فمن العلماء مَنْ حَمَلَ ذلك على أن الحُجُبَ كُشِفَتْ له ﷺ دونها ، فرآهما على حقيقتها ، ومنهم مَنْ حَمَلَ ذلك على أنها مُثِّلتا له في الحائط كما تنطبع الصورةُ في المرآة ، فرأى جميعَ ما فيهما . ويَشهد لكلٍّ من هذين القولين أحاديثُ ذكرها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٢ : ٤٤٨ . وقال القاضي عياض : القولُ الأول - وهو أنها رؤيةُ عين حقيقةً - أولى كما حكاه عنه النوويُّ في « شرح صحيح مسلم » ٦ : ٢٠٧ ، وأقرّه . ا.هـ .

أقول : وجمهور العلماء يذهبون أن الجنة الآن فوق السماء السابعة فهي كالجزء منها ، فإذا رآها الرسول ﷺ لم يرها غيره ، فذلك دليل على أنها مغيبة ، وهذا يجعلنا نستأنس أن السماوات السبع كلها مغيبة عنا .

- وجعل الكرسي سقفاً للسماوات السبع : ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ [١] . وجعل العرش سقفاً لهذا العالم : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ [٢] . وقد ورد في الحديث : « ما الكرسي في العرش إلا كحلْقةٍ من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض » [٣] .

- وخلق الملائكة والإنس والجن والحيوانات والنباتات والجنة والنار .

- وكما أن الخلق كان بقدرة الله عز وجل ابتداءً فإنه يحتاج إلى إمداد الله باستمرار ، قال تعالى : ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ﴾ [٤] ، ولذلك شبه بعضهم هذا الكون بالنسبة للإمداد الإلهي كنور الكهرباء في احتياجه لإمداد المولد الكهربائي ولله المثل الأعلى ، ولذلك فلا محل لتساؤل من يتساءل أنّه إذا مات الإنسان والحيوان وتفرقت أجزاؤهما فأصبحت في أجسام أخرى كيف تحشر هذه الأجسام نفسها فذرة الآن غير ذرة اللحظة السابقة واللاحقة ، ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [٥] ، ولا محل للتساؤل كيف تعرض الأعمال كلها وكيف تعرض الأيام والليالي وكيف تشهد الأرض والأعضاء مع

(١) البقرة : ٢٥٥ .
(٢) هود : ٧ .
(٣) الحديث رواه ابن جرير ، وهو صحيح .
(٤) الإسراء : ٢٠ .
(٥) يس : ١٢ .

أن بعض الأعضاء في الأحياء تتجدد .

نقول هذا بمناسبة أن علماء أهل السنة والجماعة يذكرون أن ما مر على الأجساد من أعراض وما مر من أزمنة يعرض كذلك على قول قوي لعلماء العقائد في الإسلام ، فالزمن وما حدث فيه والأعراض التي مر عليها الإنسان والأحوال كلها تعرض يوم القيامة على الإنسان ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله وهو يشرح عقائد أهل السنة والجماعة : فما كان من الأعراض اللازمة للذات من بياض وطول ونحوه فإنه يعاد متعلقاً بها ، وما كان من غير ذلك ـ كالكفر والمعاصي والإيمان والطاعة ـ فإنه يعاد مصورًا بصور حية ، فتكون حسنة من الحسنات وقبيحة في السيئات ، هذا هو الظاهر . وهذه الإعادة ليست دفعة واحدة بل هي على التدريج حسبما كانت في الدنيا ، لكنها تمر كلمح البصر ، وربك على كل شيء قدير .

قال تعالى : ﴿ اليَوْمَ تُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحساب ﴾ [1] اهـ .

وقال : الأرجح أن جميع أزمنة الأجسام ـ التي مرت عليها في الدنيا ـ تعاد لتشهد للإنسان وعليه ، بما أوقع فيها من الطاعات والآثام ، لكنها إعادة على التدريج حسبما مرت في الدنيا وإن كانت في الآخرة أسرع اهـ .

ونعود للسياق الرئيسي في موضوعنا :

ـ هذا الكون بما فيه ماذا سيحدث له ؟

إنه سيكون هناك نفخة في الصور يحدث فيها ما يحدث وهي التي تسمى نفخة الصعق ثم تكون نفخة أخرى يكون فيها بعث كل من مات من الأحياء ، وبالنفخة الأولى تقوم القيامة وبالنفخة الثانية يبدأ اليوم الآخر على قول ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أول اليوم الآخر من وقت الحشر إلى مالا يتناهى على الصحيح . وقيل حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . وإنما سمي آخرًا لأنه متصل بآخر أيام الدنيا لا أنه آخرها .

---

(١) غافر : ١٧ .

وسمي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم بين يدي خالقهم ، ولقيام الحجة لهم أو عليهم . وله أسماء نحو الثلاثمائة اهـ .

ومنهم من يرى أن هناك نفخة قبل النفخة الأولى تسمى نفخة الفزع ، والقول الراجح أنها نفختان فقط .

ـ فماذا يحدث في النفخة الأولى وما بعدها :

أما السموات السبع فتطوى ، والأرضون الست ما عدا أرضنا تجمع : ﴿ والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ [1] ، ومجرات هذا الكون كلها تطوى فكما كانت كتلة واحدة ثم انفصلت ترجع كتلة واحدة : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [2] أما البشر والجن والحيوانات الموجودة وقتذاك فتصعق وتموت ، وأما الأرض فتؤجج بحارها نارًا وتدك جبالها وتنسف وتمد بعد أن كانت كروية فتصبح كالبساط الواحد لا معلم فيها من جبال أو وديان أو أنهار أو غير ذلك .

أما الملائكة فيصعقون إلا بعضهم ، ثم هؤلاء المستثنون على قول ، وأما الأرواح التي قبضت من قبل فتصعق إلا روح موسى عليه السلام ـ على قول ـ ، وأما الجنة وما فيها من الحور العين فلا يحدث لها شيء والنار لا يحدث لها شيء والعرش والكرسي في الظاهر لا يصيبها مما يحدث شيء وقد أخذ العلماء هذه الاستثناءات من قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ [3] ، ومن استقراءات وتحقيقات كثيرة يرد معنا بعضها .

أما الشمس والقمر فيكوران ويجمعان مع بعضها كما ورد في نص صحيح ، ويحتمل أن يدمجا مع بقية العوالم والمجرات ليعود الكون كله كتلة واحدة وذلك كله مقدمة لتكوين جديد ووضع جديد .

ـ وفي النفخة الثانية يتم البعث والنشر للمخلوقات جميعًا ، والنصوص تحدثنا بإجمال عن

---

(١) الزمر : ٦٧ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) الزمر : ٦٨ .

حشر الحيوانات لتحقيق العدل ثم إفناؤها فتكون ترابًا ، وتحدثنا بشيء من التفصيل عن أوضاع للحيوانات لها ارتباط بقضايا الإنسان كالحيوانات التي تجب فيها الزكاة ولا يؤدي الإنسان زكاتها ، وعن الحيوانات التي يقتلها الإنسان عبثًا .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن البعث والحشر :

البعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ، ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك ، كالظفر مثلاً ، والحشر عبارة عن سوقهم جميعًا إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء ، ووزن الأعمال ، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار ، وهو أرض لم يعص الله عليها .

ولا فرق في الحشر بين من يجازى ومن لا يجازى ، كالبهائم والوحوش ، على ما ذهب إليه المحققون ، وصححه النووي . وذهبت طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى ، أما السقط - إن لم ينفخ فيه الروح - فكسائر الأجسام التي لا روح فيها ، وأما - إن نفخت فيه - فيحشر ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول . إ.هـ .

- ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة قال تعالى : ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ [(١)] ، وقد ورد في نصوص حديثية صحيحة هذا التحديد ، ويختلف حال الناس في استشعار طوله وفي مكثهم في الموقف واستقرارهم في الجنة أو النار .

- وبعد البعث يحشر الناس إلى أرض المحشر ومركزها بلاد الشام ، وهناك يكون الموقف ، فمن الخلق من يكون في ظل الرحمن ، ومنهم من يكون بالعراء ، ويخلق الله شمسًا دانية من العباد وتكون شدة الحر أكثر من حر الدنيا بعشرة أمثال ، ويؤمر الناس بالاصطفاف والوقوف استعدادًا كوقفة الجندي وصف العساكر « ويؤتى بالنار لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك ويؤتى بالجنة فتكون ملاصقة للنار وعلى النار الصراط ».

---

(١) المعارج : ٤ .

ـ ويطول الوقوف ويفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم ليبدأ فصل القضاء إما إلى جنة وإما إلى نار فلا يشفع لفصل الخطاب إلا محمد ﷺ وعندئذ تبدأ مواقف جديدة متعددة ، فمن ذلك ما يصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ [1] . وتؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وتميز الأمم عن بعضها بعضًا ، ويكون هناك جدال وعتاب ومعاذير وإقامة حجج ، ويكون هناك في موقف من المواقف عَرض للأمم كلها على النار فتجثوا الأمم كلها باركة على ركبها حول النار ، وفي موقف من المواقف تشهد الأنبياء على أممها ، وتشهد أمتنا لصدق الرسول ﷺ ، ويكون هناك حوار بين الأتباع والمتبوعين ، وفي موقف من المواقف يدعى أئمة الهدى وأئمة الضلالة ، فيرجع أئمة الهدى بالبشرى لمن تابعهم ، ويرجع أئمة الضلالة ببشارة السوء لمن تابعهم . وفي هذه الأجواء تكون براءة من المتبوعين على الضلال ، ويتمنى الأتباع لو أنهم أعيدوا إلى الحياة الدنيا ليتبرأوا ممن اتبعوهم ، ثم تطير صحف أعمال العباد فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره ، ويقال إن الآخذين وراء ظهورهم هم أصحاب الشمال أنفسهم ، ثم يبدأ الحساب وهو قبل الوزن والميزان .

قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : والحساب حق : أي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيرًا كانت أم شرًا ، قولاً كان أو فعلاً ، بعد أخذهم كتبها ، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن ، إلا من استثنى الله تعالى منهم اهـ.

والنصوص تدل على أن بعض أهل الجنة لا يحاسبون . ويذهب بعض الناس إلى أن بعض أهل الكفر لا يحاسبون ، ولكن الظاهر أن هذا القول مرجوح ، لأن إدخال أهل الجنة بدون حساب فضل ، أما أهل النار فمن سنة الله عز وجل أن يقيم عليهم الحجج كاملة . قال الشيخ أديب : ولا يشغله سبحانه محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعًا معا ، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده وكيفية الحساب مختلفة ، فمنه اليسير والعسير ، والسر والجهر ، والتوبيخ والفضل والعدل . ا.هـ .

---

(١) البقرة : ٢١٠ .

وفي مقام الحساب وفي مقامات أخرى تكون شهادات ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : وفيه شهادة الألسنة والأيدي والأرجل والسمع والجلد والأرض والليل والنهار والحفظة ، أما الأنبياء والأولياء وسائر الصلحاء فهم عن كل هذا مبعدون اهـ .

وبعد الحساب : يكون الوزن والميزان فتدعى الأمم كلها إلى الوزن والميزان ، فتحضر الأمم للوزن جاثيةً على ركبها . قال تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تُدْعى إلى كتابها ﴾ (١) .

وهكذا يحضر الناس الوزن وبيد كل واحد منهم صحيفته ، قال الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله : إن أخذ الصحف واجب لوروده بالكتاب والسنة ولانعقاد الإجماع عليه ، فمن أنكره كفر ، والصحف هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا ، ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة ، وإن كانت متعددة في الدنيا اهـ .

فكل إنسان بيده صحيفته ، ولكل إنسان كتابه الذي ضم ما سجلته الملائكة عليه ، وهناك الكتاب الذي سجل فيه كل شيء على الأفراد والأمم .

ويبدأ الوزن والميزان ، أما الكافرون فلا قيمة لأعمالهم ولا وزن ، وأما المؤمنون فتوزن حسناتهم وسيئاتهم إلا من يستثنى ممن لا حساب عليهم أصلاً ، وفي هذا المقام يقول الشيخ أديب رحمه الله : والميزان : هو ميزان واحد على الراجح له قصبة وعمود وكفتان ، كل منهما أوسع من أطباق السموات والأرض ، وجبريل آخذ بعموده ناظر إلى لسانه وميكائيل أمين عليه ، ومحله بعد الحساب ، وقيل لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله .

وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، فيجب الإيمان به ، ونمسك عن تعيين حقيقته .

وقال : أما الكفر فلا فائدة في وزنه ، لأن عذابه دائم ، وقد ورد في كلام القرطبي ما يدل على أنه يوزن حيث قال : فتجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزان الكافر فيرجح الكفر بها .

وقال : اختلف العلماء في الموزون فذهب جمهور المفسرين ، إلى أن الموزون هي الكتب

(١) الجاثية : ٢٨ .

المشتملة على أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب ، والسيئات بآخر .

وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثم تطرح في كفة النور ، وهي اليمنى ، فتثقل بفضل الله سبحانه . وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ، ثم تطرح في كفة الظلمة ، وهي الشمال ، فتخف وهذا في المؤمن . أما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله سبحانه وتعالى . وقيل : قد يوزن الشخص نفسه .

وقال : يجازي الله على السيئات بعقاب يليق بها ، إن جازى عليها ، وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفرًا ، وإلا خلد صاحبه في النار ، والسيئة ما يذم فاعلها عليها شرعًا ، صغيرة كانت أو كبيرة . وسميت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة . والمراد بها التي عملها العبد حقيقة ، أو حكمًا بأن طرحت عليه لظلامة اجترحها بعد نفاد حسناته ، فإنه يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم ، ثم قذف بالظالم في النار .

أما الحسنات فيضاعفها الله تعالى بفضله ، إذ لا يجب عليه ذلك . والحسنة مما يمدح عليها صاحبها شرعًا ، وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة ، والمراد الحسنات المقبولة المعمولة للعبد أو ما في حكمها بأن عملها عنه غيره كما إذا تصدق غيره عنه بصدقة . أما الحسنات المأخوذة نظير ظلامة فلا تضاعف . والحسنات المردودة ما خالطها الرياء ، فهذه لا ثواب فيها أصلاً . والحسنة التي يهم الإنسان بفعلها ولكنه لا يفعلها تكتب حسنة واحدة من غير تضعيف .. وأقل مراتب التضعيف عشر مراتب ، وقد تضاعف إلى سبعين ، إلى سبعمائة ، أو أكثر من غير انتهاء إلى حد تقف عنده . وتفاوت هذه المراتب إنما هو تبع لما يقترن بالحسنة من إخلاص ، وحسن نية اهـ .

ويعرف بالوزن والميزان كل إنسان نتيجة عمله والظاهر أنه قبل الوزن يحاول الناس أن يشربوا من أحواض أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام ، وتشرب هذه الأمة من حوض رسولها ﷺ ، فيَرِدُ من يَرِدُ ويشرب من يشرب ويحبس الناس في الظلمة دون الصراط ، وههنا

يحدث تبدل جديد للأرض ، فمآل الأرض في النهاية إلى أن تكون خبزة يأكلها أهل الجنة وتوجد سموات جديدة ، والظاهر أنه في هذا الموقف يؤمر آدم بأن يخرج بعث النار فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، ويخرج عنق من النار فيأخذ أصنافًا من الناس ويبدأ أهل النار يردون على النار أفواجًا أفواجًا كل أمة مع أئمتها في الضلال وأئمة الضلال يدخلون النار قبل أتباعهم ، والسابقون من الأمم في الغواية يدخلون النار قبل اللاحقين ، فكل شيء في الآخرة على غاية من الترتيب والنظام والعدل والانضباط .

ومن كتب له المرور على الصراط لا يمر إلا بعد شفاعة جديدة من رسولنا ﷺ ، فبعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مرة ثانية فيحيلون الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام فيشفع ويؤذن بالمرور على الصراط ، والظاهر أن المنافقين يبقون مع المؤمنين طامعين في أن يعبروا معهم على الصراط ، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فبعض العلماء يقولون إن هذا السور يضرب في أول الصراط ، والظاهر أنه لا يعبر على الصراط إلا من له نور مهما كان هذا النور ضعيفًا ، والذين يمرون على الصراط بعضهم تكون سيئاتهم أكثر من حسناتهم فلا يعبرون بل يسقطون في النار ، وبعضهم تكون حسناتهم أكثر فيعبرون ، وبعضهم تتساوى حسناتهم وسيئاتهم فيعبرون ، وهؤلاء هم أهل الأعراف الذين يكونون في مكان بين الجنة والنار أمدًا من الزمن ، ومآلهم إلى الجنة بإذن الله .

وعلى ضوء صحائف الأعمال التي تكون بيد المارين على الصراط تقتص الملائكة من بعض المؤمنين لبعض ، فينجو من نجا ، ويسقط في النار من لا تكفي حسناته الزائدة على سيئاته ليأخذها من له عليه حق ، حتى إذا تجاوز الناجون الصراط يبقى بعضهم على الأعراف ، ويحبس الآخرون فلا يؤذن لهم بدخول الجنة حتى يشفع بذلك رسول الله ﷺ ، فهذه شفاعة ثالثة تكون بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء فيحيلونهم على رسولنا عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا المقام تنزع الأحقاد من القلوب ، وتبدأ شفاعات بمن دخل النار من أهل الإيمان ، ثم يدخل أهل الجنة الجنة وتستمر الشفاعات ، ويخرج أهل الإيمان من النار ،

وعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، ويكتب الخلود لكل من أهل الجنـة والنـار ، وكل في موطنه ، وفي ذبح الموت أعظم بشارة لأهل الجنة وأعظم كآبة لأهل النار .

ومن كلام الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله عن الصراط والجنة والنار ما يلي :

كذا الصراط ... [أي] في وجوب الإيمان به ، لورود الدليل السمعي ، مثل أخذ العباد الصحف ومثل الوزن والميزان . ومعنـاه ـ لغـة ـ الطريـق الـواضـح ، لأنـه يصرط المـارة أي يبتلعهم ، وشرعًا : هو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفـار . إلا أن الحليمي ذهب إلى أنهم لا يمرون ، ويجوز أنه قصد بالكفار الـذين لا يمرون من تلقي بهم الملائكة في النار من الموقف . وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء يقولون : « اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ »

وفي بعض الرواياتِ « أنّه أدقُّ من الشعرَةِ وأحـدُّ من السيفِ » ، وهو المشهور ونـازع في ذلـك العز بن عبـد السلام والشيخ القرافي ، وغيرهمـا كالبـدر الزركشي . قـالوا : على فرض صحة ذلك،فهو محمول على غير ظاهره ، بأن يؤول : بأنه كنايـة عن شـدة المشقـة ، وحينئـذ فلا ينافي ما ورد في الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبيه ، وكون الكلاليب فيه . وزاد القرافي : والصحيح أنه عريض ، وفيه طريقان يمنى ويسرى ، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين ، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال ، وفيه طاقات ، كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم . وقـال بعضهم : إنـه يـدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشـاره ، فعرض صراط كل أحد بقـدر انتشـار نوره فـإن نور كل إنسـان لا يتعـداه إلى غيره . ومن هنـا كان دقيقًا في حق قوم ، عريضًا في حق آخرين .

وتفاوتهم في المرور إنما هو بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمات الله تعـالى ، فمن كان منهم أسرع إعراضًا عما حرم الله كان أسرع مرورًا في ذلك اليوم .

النار التي هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة ، واتفـاق علمـاء الأمـة . أوجـدهـا الله تعالى فيما مضى كالجنة التي هي دار الثواب . فالنار حق كالجنة ، وهما موجودتان الآن .

ولم يرد نص صريـح في تعيين مكانها ، كما في شرح المقـاصـد . إلا أن الكثيرين على أن الجنـة فوق السموات السبع وتحت العرش ، وأن النـار تحت الأرضين السبع . والحق تفـويض

علم ذلك إلى اللطيف الخبير .

واختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورات ، أو أربع ، أو جنة واحدة ؟ فذهب ابن عباس إلى أنها سبع ، أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها ، والمجاورة لا تنافي العلو ، وفوقها عرش الرحمن ، ومنها تنفجر أنهار الجنة ، ويليها في الأفضلية « عدن » ثم « الخلد » ثم « النعيم » ثم « المأوى » ثم « دار السلام » ثم « دار الجلال » .

وذهب الجمهور إلى أنها واحدة ، وهذه الأسماء كلها جارية عليها لتحقق معانيها .

وأولاد المشركين في الجنة على الصحيح ، ولا فرق في السعادة والشقاوة بين إنسي وجني .

الناس في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها . ثم يدخل المؤمنون الجنة جردًا مردًا أبناء ثلاث وثلاثين سنة ، طول كل واحد منهم ستون ذراعًا ، وعرضه سبعة أذرع ، ثم لا يزيدون ولا ينقصون اهـ .

ـ ومما مرَّ مَعنا نعرف أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات متميزة ، لا يشاركه فيها غيره ، وهذه الشفاعات الثلاث هي المقام المحمود ، يطلق على ثلاثتها المقام المحمود ، ويطلق على كل منها المقام المحمود ، وله شفاعات أخرى ، فالمقام المحمود يتمثل بثلاث شفاعات :

الشفاعة الأولى : بعد طول المقام في الموقف وهي التي تسمى الشفاعة لفصل الخطاب وهي التي يكون بعدها الجدال والمعاذير والشهادات والحساب والميزان .

الشفاعة الثانية : للإذن لعبور الصراط وتكون بعد لجوءٍ إلى الأنبياء وإحالة على رسول الله عليه صلوات الله وتسلياته .

الشفاعة الثالثة : تكون كذلك بعد لجوءٍ إلى الأنبياء وإحالة إلى رسول الله ﷺ وهي الشفاعة للإذن بدخول الجنة .

ـ وكثيرًا ما يحدث أن رواة الأحاديث يتحدثون بمناسبة الكلام عن المقام المحمود عن شفاعة من هذه الشفاعات الثلاث ويطوون غيرها ، فيلتبس الفهم على القارئ ، والتحقيق أن الأمر كذلك .

ـ ونحن إذا نعرض نصوص السنة قد لا نقف لبيان هذه الحقيقة اكتفاءً بما ذكرناه هنا ، فليبق القارئ على ذكر لذلك .

ـ ومن عقائد أهل السنة والجماعة أنه في الموقف وفي الصراط وفي الجنة وفي النار يكون للملائكة وظائفهم .

ـ وفي الموقف يرى أهل الإيمان الله عز وجل نوع رؤية وإنما تكون الرؤية للجلال والجمال في الجنة وذلك أعظم نعيم أهل الجنة .

ـ والنار على طبقات والجنة على درجات ومنازل وفيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أصناف الملذّات والنعيم والبهجة والسرور والمتعة .

ـ والجن المؤمنون لهم ما للإنس المؤمنين ، والكافرون من الجن لهم ما للإنس الكافرين ، وكذلك شأن الفساق من الجن .

ـ ومشاهد القيامة ووصف النار والجنة يأخذ من الكتاب والسنة حيزًا كبيرًا ؛ لأن ذلك هو المقصد الثاني من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد معرفة الله عز وجل ، وقد أعاد بعض المفسرين الضمير في قوله تعالى : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ [١] على القرآن ، فمن أعظم مقاصد القرآن تبيان أمر اليوم الآخر ، قال تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ [٢] .

ـ ولكي تقوم الحجة على الخلق قيامًا كاملاً جعل الله عز وجل كتابه القرآن معجزًا ، وجعل فيه من المعجزات الكثير ، وجعل أمر محمد ﷺ بينًا ، وأظهر على يديه وعلى لسانه من المعجزات الكثير ، وأرسل قبله الرسل وبعث الأنبياء مبشرين بما بشر به ، ومنذرين بما أنذر به ليكون ذلك توطئة وتمهيدًا وتشييدًا لصرح الإيمان .

ـ وقد رأينا في هذا القسم كيف أن الأديان السابقة فيها شواهد على صحة المعاني

(١) الزخرف : ٦١ .
(٢) الأعراف : ٥٣ .

الكبرى التي بعث بها محمد ﷺ ، ورأينا أنها حرفت وبدلت وطمست معالمها وأصبحت أحكامها ضائعة أو بحاجة إلى تغيير فجاءت الرسالة الخاتمة مصححة وناسخة ومبينة ومطالبة للإنس والجن باتباعها وحدها .

ـ ولا مطمع لمن يريد أن يعرف تفصيلات ما يجري في اليوم الآخر إلا بأن يستعرض نصوص الكتاب والسنة وفهوم الراسخين في العلم من علماء هذه الأمة .

ـ ونختم هذا العرض الإجمالي بالتذكير : أن الله عز وجل يجعل لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولأمتنا من الكرامة والفضل ما يمتازون به على غيرهم من الأمم يظهر ذلك في الموقف وفيما بعده وفي الجنة .

ـ وهذا لا ينفي أن يكون للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من كل الأمم ميزانهم ، وهناك تفصيلات ستمر معنا ، وبعضه قد مر من قبل في القسم السابق عند الكلام عن فضل الأمة المحمدية .

ـ وها نحن سنعرض عليك نصوصًا من الكتاب والسنة في فقرات متعددة تجعلك على بيان في هذه الحقيقة العظمى التي غفل عنها أكثر الخلق .

فائدة :

من عقائد أهل السنة والجماعة ما ذكره الشيخ اللقاني :

وَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتَكَبْ ... كَبِيرَةً ثُمَّ الخُلُودُ مُجْتَنَبْ

وقد شرح هذا البيت أديب الكيلاني بقوله :

وواجب تعذيب بعض : إن تعذيب بعض غير معين من عصاة هذه الأمة ، ارتكبوا الكبيرة ، من غير تأويل ويعذرون به ، وماتوا بلا توبة ، ثابت وواقع شرعًا ، بخلاف من ارتكب صغيرة أو كبيرة بتأويل ، كما يقع من البغاة المتأولين ، أو ارتكبها من غير تأويل لكنه مات بعد التوبة . والمقصود هنا أمة الإجابة . والمراد ببعض طائفة ، ولو واحدًا من كل صنف من أصناف العصاة كالزناة ، وقتلة الأنفس ، وشاربي الخمر . فلابد من نفوذ

الوعيد في طائفة من كل صنف ، أقلها واحد . وهذه المسألة على طريقة الماتريدية ، من أنه لا يجوز تخلف الوعيد . وذهب الأشاعرة إلى جواز تخلفه ، لأنه على تقدير المشيئة ، فإن شاء عذب ، وإن شاء غفر . نعم ، قد ورد تعذيب بعض الموحدين ، والشفاعة فيهم ، لكن لا يعم الأنواع كلها . والحاصل : أن الناس قسمان مؤمن وكافر فالكافر مخلد - إجماعًا - في النار . والمؤمن قسمان ، طائع وعاص ، فالطائع - إجماعًا - في الجنة ، والعاصي على قسمين ، تائب وغير تائب فالتائب - إجماعًا - في الجنة ، وغير التائب متروك للمشيئة ، وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار اهـ (شرح جوهرة التوحيد) .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النفختين وفي : يوم القيامة

بمناسبة الكلام عن يوم القيامة يمرّ علينا ذكر الصور الذي تتم فيه النفختان : النفخة الأولى ، والنفخة الثانية ، نفخة الإماتة وما يعقبها ، ونفخة الإحياء وما يعقبها ، والصور أشبه بالقرن والنافخ فيه هو إسرافيل بإجماع العلماء .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يمر معنا أن هناك خَلْقًا مستثنين من الإماتة قال تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) ، وهناك تحقيقات للعلماء فيمن يستثنى من الصعق . والمطلوب منا الإيمان بالاستثناء إجمالاً دون الدخول في التفصيلات ، وكما أن بعض الأحياء مستثناة من الصعق فهناك بعض المخلوقات لا يدخل عليها تغير بسبب النفخة الأولى كالعرش.

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الثانية تمر معنا كلمة عَجْب الذنب وهو العظم اللطيف الذي هو في أسفل الصلب وهو رأس العُصعُص وهو أول ما يجمع من الأرض في ابن آدم يوم القيامة ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه والظاهر أن هذا الجزء من الإنسان إذا مات لا يدخل في تركيب أي جسم آخر ، وليس المراد ببقائه أنه لا يتحلل ، بل المشاهد أنه يحترق ويتحلل ، ولكن الله عز وجل يحفظ أجزاءه فحيثما ذهبت فهي محفوظة ، وهي أول ما تجمع يوم القيامة ثم يُبنىٰ عليها الإنسان من المطر الذي ينزله الله عز وجل ويتضمن أجزاء المخلوقات ليذهب كل جزء إلى صاحبه .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفختين نذكر المدة بينهما ، ومجموع الروايات تفيد أنها أربعون سنة والله أعلم .

ـ وبمناسبة الكلام عن النفخة الأولى يذكر ما يحدث للأرض ، فالأرض لها تبدلات متعددة ، والتبدل الأول هو ما يحدث من تسجير البحار بأن تصبح نارًا ، والجبال تندك فتكون كالصوف المندوف ثم تصبح كالهباء المنبث في الهواء ، ثم تسوى الأرض جميعًا فلا

---

(١) الزمر : ٦٨ .

يبقى فيها ارتفاع أو انخفاض ، ثم تمد مدًّا بعد أن كانت كروية ، ثم تحدث لها تبدلات أخرى كما ذكرنا من قبل وكما سنرى من بعد ، فقد نقل الألوسي عن بعضهم أن الأرض تبدل صفتها ابتداءً ثم تبدل ذاتها بعد أن تحدّث أخبارها قال : ولا مانع أن تكون هناك تبدلات على أنحاء شتى .

قال ابن كثير في النهاية :

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ : سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات ؟ فقال : « في الظلمة دون الجسر » .

وقد يكون المراد بذلك تبديلاً آخر غير هذا المذكور في هذا الحديث ، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين ، نفخة الصعق ، ونفخة البعث ، فتسير الجبال ، وتميد الأرض ، ويبقى الجميع صعيدًا واحدًا ، لا اعوجاج فيها ولا روابي ولا أودية قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ (١) . أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع وقال تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الجبال كَالعِهنِ المَنْفُوشِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ (٥) . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

ـ وبمناسبة النفخة الثانية تذكر بعض النصوص الصحيحة أن أول من تنشق عنه الأرض رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر .

والنصوص القرآنية والحديثية كثيرة وحسبنا أن نذكر ههنا بعضها مع ملاحظة أن النصوص كثيرًا ما تتحدث عن أكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة .

(١) طه : ١٠٥ ـ ١٠٧ . (٢) النبأ : ٢٠ . (٣) القارعة : ٥ .
(٤) الحاقة : ١٤ . (٥) الكهف : ٤٧ ، ٤٨ .

١ ـ النصوص القرآنية

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين * قل إنما العلمُ عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبينٌ * فلما رأوْه زُلْفَةً سِيئَتْ وجوهُ الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعُون ﴾ (١) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إنْ كنتم صادقين * ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يَخِصِّمون * فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يَرجعون * ونُفخ في الصُّور فإذا هُمْ من الأجداث إلى رَبِّهم ينسِلون * قالوا يا ويلنَا من بعَثَنا من مرقدِنا هذا ما وعدَ الرحمنُ وصدَق المرسَلُون * إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هُم جميعٌ لدينا مُحْضَرون * فاليومَ لا تُظلم نفْسٌ شيئًا ولا تُجْزَون إلا ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

﴿ يسألونك عن الساعةِ أيّان مُرْسَاها * فيم أنتَ من ذِكراها * إلى ربِّك مُنْتهاها * إنما أنت مُنْذِرُ مَن يخشاها * كأنهم يومَ يَرَونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضُحاها ﴾ (٣) .

﴿ يوم نَطْوِي السماءَ كطيِّ السِّجل للكُتُب كما بَدَأْنا أَوّلَ خلقٍ نُعيده وَعْدًا علينا إنّا كنّا فاعِلين ﴾ (٤) .

---

(١) تبارك : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
(زلفة) : أي رأوا العذاب قريبًا منهم .
(سيئت وجوه الذين كفروا) : كئبت واسودت غمًا وذلاً .

(٢) يس : ٤٨ ـ ٥٤ .
(وهم يخصمون) : يختصمون في أمورهم غافلين .
(الأجداث) : القبور .
(ينسلون) : يسرعون في الخروج ٤٢ ـ ٤٦ .
في الآيات نص على النفختين الأولى والثانية .

(٣) النازعات : ٤٢ ـ ٤٦ .
(مرساها) : إرساؤها أي إقامتها وإثباتها .
(منتهاها) : أي إلى ربك مردها ومرجعها ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين .

(٤) الأنبياء : ١٠٤ .
(السجل) : هو ماتحفظ الأوراق بين دفتيه وهذا يفيد أن مجرات هذا الكون وسماواته كلها تصبح كتلة واحدة ، كما أنها كتلة واحدة ثم انفصلت عن بعضها .

﴿ يومَ تبـدل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمٰواتُ وبرزوا لله الواحـدِ القهـار * وترى المجرمين يومئذٍ مُقرّنين في الأصفادِ * سرابيلهم من قَطِرَانٍ وتغشى وجوههم النار ﴾ (١) .

التبدل يكون بالذات والصفات ، وأول تبدل للأرض يكون بالصفات يوم القيامـة عنـد النفخة الأولى ، ثم يكون التبدل بالذات بعد انتهاء الحساب والنـاس محبوسون قَبْل الصراط ، وللسموات تبدلان كذلك ، تبـدل في الصفـات بـأن يجمع الكون كلـه إلا مـا شـاء الله كتلـة واحدة وذلك في النفخة الأولى ، ثم تبدل آخر مع التبدل الثاني للأرض .

﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه والأرضُ جميعًا قَبْضَتُـهُ يومَ القيـامـةِ والسمٰواتُ مطويّـاتٌ بيمينه سبحانه وتعـالى عمـا يشركون * ونُفـخ في الصُّـور فصَعِـقَ مَن في السمٰـواتِ ومن في الأرض إلا من شاءَ اللهُ ثم نُفِخَ فيـه أخرى فـإذا هُمْ قيـامٌ يَنظرون * وأشرقت الأرضُ بنورِ ربهـا وَوُضـع الكتـابُ وجيءَ بـالنبيّين والشهـداء وقُضِيَ بينهم بالحـق وهم لا يُظلمـون * ووُفّيتْ كلُّ نفسٍ ما عمِلتْ وهو أعلمُ بما يفعلون ﴾ (٢) .

في الآيات دليل على طي السمٰوات وقـد رأينـا ذلـك من قبل فهي تطوى مع غيرهـا إلا ما شاء الله استثناءه .

وقوله تعـالى : ﴿ ووضع الكتـاب ﴾ يحتمل اللوح المحفوظ ويحتمل صحف الأعمـال وذلـك يكون بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب وبعد العرضتين الأولى والثانية وعنـدئـذ يكون الحساب والميزان والظاهر أن شهادة الأنبياء وغيرهم إنما تكون في هـذا المقـام قبل بـدء الحساب والله اعلم .

﴿ فـإذا بَرِقَ البصرُ * وخَسَفَ القمرُ * وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ * يقـولُ الإنسـانُ يـومئـذٍ أينَ المَفَرُّ * كلا لا وَزَرَ * إلى ربِّكَ يومئذ المُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئـذٍ بمـا قـدّم وأخّر * بل الإنسانُ على نفسه بَصيرةٌ * ولو أَلْقىٰ مَعَاذِيره ﴾ (٣) .

---

(١) إبراهيم :٤٨ ـ ٥٠ .
(الأصفاد) : القيود . (مقرنين في الأصفـاد) : أي مجموعـة أيـديهم إلى أرجلهم أو أن كل كافر مقرون مع شيطـانـه بالأغلال .

(٢) الزمر : ٦٧ ـ ٧٠ .

(٣) القيامة : ٧ ـ ١٥ . وقوله تعالى : ﴿ لاوزر ﴾ : أي لا ملجأ .

والظـاهر أن جمع الشمس مع القمر يكون مـع طي السمـوات وغيرهـا وذلـك في النفخـة الأولى .

﴿ إذا الشمسُ كُـوِّرَتْ * وإذا النجـومُ انكـدرتْ * وإذا الجبـالُ سُيِّرَتْ * وإذا العِشـارُ عُطِّلَتْ * وإذا الـوحـوش حُشِرتْ * وإذا البحـارُ سجِّرتْ * وإذا النفـوسُ زُوِّجتْ * وإذا المـوءودةُ سُئلتْ * بـأي ذنب قُتِلتْ * وإذا الصحف نشِرتْ * وإذا السماء كُشطتْ * وإذا الجحيمُ سُعِّرتْ * وإذا الجنةُ أُزلفتْ * علِمتْ نفْسٌ ما أَحْضَرتْ ﴾ (١) .

التكوير : اللف للرفع . والمراد هنا : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرهـا في كتلة واحدة . انكدار النجوم : انقضاؤهـا بـدمجها مع بعضهـا ومع مـا شـاء الله . تسيير الجبـال : يكون بعد دكها حتى تكون هباءً فتسوّى مع بقيـة الأرض ، تسجير البحـار : جعلهـا نـارًا ، وذلك كله يكون بالنفخة الأولى . العشار : هي الإبل . وتعطيلها : عدم وجود مالـك لهـا ، وحشر الوحوش : دليل على أن الحيوانات تبعث لإقامة العدل ثم تكون ترابًا ، وهـذا وهـذا مع تزويج الأنفس للأجساد ، وما جاء بعد ذلك في الآيات يكون بعد النفخة الثانية ، والله أعلم .

﴿ فـإذا النجـومُ طُمِستْ * وإذا السماءُ فُرِجَتْ * وإذا الجبـالُ نُسِفتْ * وإذا الرُسُـلُ أُقّتَتْ * لأيِّ يـومٍ أُجِّلتْ * ليـومِ الفصلِ * ومـا أدراكَ مـا يـومُ الفَصْلِ * ويـلٌ يـومئـذٍ للمكذِّبينَ ﴾ (٢) .

﴿ طمست ﴾ طمس النجوم : ذهاب ضوئها بين يدي دمجها مع غيرهـا ، وفسرهـا بعضهم بالانسحاق وما ذكرناه هو تفسيرها ، وقولـه تعـالى : ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ : أي صـدعت وانشقت بين يدي دمجهـا مع غيرهـا ، وقولـه تعـالى : ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ : أي عين لهـا الوقت الذي تحضر فيه للشهادة على أممها وذلـك ـ والله أعلم ـ بعـد الشفـاعـة لفصل الخطـاب وقبل الحساب والميزان

﴿ إذا السماء انشقّتْ * وأَذِنَتْ لربِّهـا وحُقَّتْ * وإذا الأرضُ مُـدّتْ * وألقتْ مـا فيهـا

---

(١) التكوير : ١ ـ ١٤ .

(٢) المرسلات : ٨ ـ ١٥ .

وتخلّتْ * وأذنتْ لربِّها وحُقَّتْ ﴾ [١] .

ذكر البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ عن علي رضي الله عنه أنها تنشق من المجرة ، وهذا يكون مقدمة لدمجها مع بعضها . وقوله تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ أي بسطت وزالت جبالها وآكامها وخرجت من الكروية إلى الانبساط ، وهذا وهذا يكون بالنفخة الأولى . وقوله تعالى : ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ ألقت ما في جوفها من الكنوز والأموات وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها والظاهر أن هذه الأخيرة تكون في النفخة الثانية وما سبقها يكون في النفخة الأولى .

﴿ إذا السماءُ انْفَطَرتْ * وإذا الكواكبُ انتثرتْ * وإذا البحارُ فُجِّرتْ * وإذا القبورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نفسٌ ما قدّمتْ وأخّرتْ ﴾ [٢] .

(الانفطار) : الانشقاق ، وهو وانتثار الكواكب مقدمة لجمعها كتلة واحدة ، وتفجير البحار : أي فتحها على بعضها وذلك مقدمة لتسجيرها ثم لجعل الأرض لا ارتفاع فيها ولا انخفاض وذلك في النفخة الأولى ، يحدث بهذه النفخة نوع من بعثرة القبور ، والظاهر أن مقدمة ذلك في النفخة الأولى حتى إذا كانت النفخة الثانية كان الإحياء والبعث .

﴿ إنّ يَومَ الفَصْلِ كانَ مِيقاتًا * يومَ يُنفخُ في الصُّورِ فتَأتونَ أفواجًا * وفُتحَتِ السماءُ فكانتْ أبوابًا * وسُيِّرتِ الجبالُ فكانت سَرَابًا ﴾ [٣] .

الظاهر أن هذا المشهد يتحدث عن النفخة الثانية في أوله ، وفي آخره يتحدث عما يكون في النفخة الأولى .

﴿ فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نفخةٌ واحدةٌ * وحُمِلَتِ الأرضُ والجبالُ فدُكّتا دَكّةً واحدةً * فيومئذٍ وقعت الواقعةُ * وانشقّتِ السّماءُ فهي يومئذٍ واهيةٌ * والملَكُ على أرجائها ويَحملُ عرشَ ربِّك فوقهم يومئذٍ ثمانيةٌ * يومئذٍ تُعرَضون لا تَخْفَى منكم خافيةٌ ﴾ [٤]

---

(١) الانشقاق : ١ ـ ٥ .
(٢) الانفطار : ١ ـ ٥ .
(٣) عمّ : ١٧ ـ ٢٠ .
(٤) الحاقة : ١٣ ـ ١٨ .

بدأ هذا المشهد في الحديث عما يكون في النفخة الأولى ثم انتقل إلى الحديث عما يكون في النفخة الثانية ، وقد عرض النص مجريات الأمور بما أفاد أنّ ما يجري في النفخة الثانية استمرار لما يجري في النفخة الأولى .

﴿ يا أيها النـاسُ اتقوا ربَّكم إن زَلْزَلَةَ الساعةِ شيءٌ عظيمٌ ٭ يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عما أرضَعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى النـاسَ سُكارى وما هم بِسُكارى ولكنّ عذاب الله شديد ﴾ [٢] .

للمفسرين أكثر من قول حول هذا المشهد متى يكون ، فبعضهم جعل هذه زلزلة هائلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها وبعضهم جعلها زلزلة تكون بعد النشور ، وبعض النصوص تشير إلى أنها زلزلة معنوية تكون في أحد مشاهد يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم عليه السلام أخرج بعث النار ، فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين .

﴿ إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزَالَها ٭ وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها ٭ وقال الإنسانُ ما لَها ٭ يومئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها ٭ بأنّ ربك أوحى لَها ٭ يومئذٍ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتًا ليُرَوْا أعْمَالَهم ٭ فمنْ يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيرًا يَرَهُ ٭ ومنْ يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ ﴾ [١] .

المراد بالزلزال : النفختان الأولى والثانية على رأي بعض المفسرين ، وإخراج الأرض أثقالها كقوله تعالى : **﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾** ، وتتمة السورة تتحدث عما يكون بعد النفخة الثانية .

﴿ القارعة ٭ ما القارعة ٭ وما أدراك ما القارعة ٭ يوم يكون الناس كالفَرَاش المبثوث ٭ وتكون الجبال كالعِهْنِ المنفوش ٭ فأما من ثَقُلَتْ موازينُه ٭ فهو في عيشةٍ راضية ٭ وأما من خَفَّتْ موازينه ٭ فأمُّه هاوية ٭ وما أدراك ما هيه ٭ نارٌ حامية ﴾ [٣] .

المراد بالقارعة ما يحدث في النفخة الأولى ، ثم السورة تتحدث عن بعض آثار النفخة الأولى ، وعما يجري في النفخة الثانية .

---

(١) الحج : ١ ـ ٢ .
(٢) الزلزلة : ١ ـ ٨ .
(٣) القارعة : ١ ـ ١١ .

﴿ أفلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القبور * وحُصِّلَ ما في الصُّدور * إن ربَّهُم بِهِمْ يومئذٍ لخبيرٌ ﴾ (١) .

﴿ ويومَ يُنفَخُ في الصُّور ففزع من في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ إلا مَن شَاء الله وكلٌّ أتوهُ داخرين ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يدل على أنّ هناك خَلْقًا يثبت الله قلوبهم فلا يصيبهم الفزع ، وقوله تعالى : ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ أي كل من المحشورين يأتون إلى الحشر طائعين خاضعين ، وقد يراد بقوله : ﴿ داخرين ﴾ : الذلة فعندئذ يراد بها المجرمون والذين يصيبهم الفزع ، أما أولياؤه جل جلاله فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ في الصُّور ونَحْشرُ المُجْرمينَ يوْمَئذٍ زُرْقًا * يَتخافَتُونَ بينَهم إنْ لبِثْتُمْ إلا عَشْرًا * نَحنُ أعْلَمُ بما يقولون إذْ يقولُ أمثلُهم طَرِيقَةً إنْ لبثتُم إلا يومًا * ويسألونك عن الجبالِ فقل ينسفُها ربِّي نَسْفًا * فيذرُها قاعًا صَفْصَفًا * لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا * يومئذ يتَّبعون الداعيَ لا عِوَجَ له وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمنِ فلا تسمعُ إلا هَمْسًا * يومئذٍ لا تنفَعُ الشَّفاعةُ إلا مَنْ أذِنَ له الرحْمنُ ورضيَ له قوْلاً * يعلمُ ما بيْن أيديهم وما خلْفَهم وَلا يُحيطون به عِلْمًا * وعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّوم وقد خابَ من حَمَل ظُلْمًا * وَمَنْ يعْمل من الصَّالحاتِ وهو مُؤْمِنٌ فلا يَخافُ ظُلْمًا ولا هَضْمًا ﴾ (٣) .

في هذا المشهد حديث عما يكون بعد النفخة الثانية وإجابة على سؤال له صلة بالنفخة الأولى .

وهذا المشهد يتحدث عن كون المجرمين يحشرون عميا زرق العيون لعماهم ، وهناك نصوص تذكر أنهم يحشرون سود الوجوه ، ومن هول الموقف فإنهم يتناجون سرًا ، وقوله تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أي ملكًا يدعوهم إلى مكان الحشر وقوله في وصفهم لاتباعِ الداعي : ﴿ لا عوج له ﴾ أي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه . ومعنى : ﴿ عنت

---

(١) العاديات : ٩ ـ ١١ .
(٢) النمل : ٨٧ .
(٣) طه : ١٠٢ ـ ١١٢ .

الوجوه ﴾ أي ذلت وخضعت وذلك وصف لوجوه المجرمين يوم القيامة .

﴿ كلا إذا دُكّت الأرضُ دكًّا دكًّا * وجاء ربُّك والمَلكُ صَفًّا صَفًّا * وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسانُ وأنّى له الذّكرى * يقول يا ليتني قدّمتُ لحياتي * فيومئذ لا يعذّبُ عذابه أحدٌ * ولا يوثِقُ وَثَاقه أحدٌ ﴾ (١) .

دك الأرض يكون بالنفخة الأولى ومجيء الملائكة واصطفافهم يكون بعد أن يجمع الناس في المحشر وبعد ذلك يؤتى بجهنم تجرها الملائكة .

ويكون المآل أنّ الكافرين يوثقون وثاقًا لا مثل له في الدنيا ويعذبون عذابًا لا مثل له في الدنيا .

﴿ فإذا جاءتِ الطّامّةُ الكُبرى * يومَ يتذكّرُ الإنسانُ ما سَعَى * وبُرِّزَتِ الجحيمُ لِمن يَرَىٰ * فأما من طَغَىٰ * وآثر الحياةَ الدنيا * فإنّ الجحيمَ هي المأوى * وأمّا مَن خاف مقام ربِّه ونَهَى النفسَ عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) الفجر : ٢١ ـ ٢٦ .

(٢) النازعات : ٣٤ ـ ٤١ .

٢ ـ النصوص الحديثية

١١٦٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « ... وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثَوبَهُما بينهما ، فلا يَتبايَعانه ، ولا يَطويانه ، وَلَتَقُومَنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ ، فلا يَطْعَمُهُ ، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يُلِيطُ حوضَهُ فلا يَسقي فيه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه ، فلا يَطْعَمُها » .

١١٦٧ ـ * روى الطبراني عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ما هلك قوم لوطٍ إلا في الأذانِ ولا تقومُ الساعَةُ إلا في الأذانِ » . قال الطبراني معناه عندي والله أعلم في وقت أذانِ الفجرِ وهو وقتُ الاستغفارِ والدعاء .

١١٦٨ ـ * روى الطبراني عن أبي رَزين قال قلتُ يا رسولَ الله كيف يُحيي اللهُ الموتى ؟ قال : « أوَ ما مررتَ بوادي قومِك مَحْلاً ثم يمر به خَضِرًا ثم تمر به مَحْلاً ثم تمر به خَضِرًا كذلك يحيي الله الموتَى » .

١١٦٩ ـ * روى البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لَتَقْمِصَنَّ بِكم قِماصَ البِكرِ » يعني الأرض .

أقول : هل هذا يكون قبل النفخة الأولى أو أن المراد به النفخة الأولى ؟ قولان للعلماء .

١١٦٦ ـ البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٠ ـ باب حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب ... إلخ .

وروى نحوه أحمد (٢ / ٣٦٩) .

وروى نحوه مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٧ ـ باب قرب الساعة .

(يَلِيطُ حوضَه) : يطينه ويصلحه .

١١٦٧ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير آدم بن علي ، وهو ثقة .

١١٦٨ ـ مجمع الزوائد (١ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

١١٦٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٢) وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

(قماص) : الحركة والاضطراب .

(البكر) : الناقة ، وفي رواية : البقر .   (لتقْمِصَنَّ بكم الأرضُ) : يريد الزَّلازل .

١١٧٠ ـ * روى الطبراني عن عُقبةَ بنِ عامرٍ : قال : قال رَسول الله ﷺ : « يطلُعُ عليكم قبلَ الساعةِ سحابةٌ سوداءُ من قبل المَغْرب مِثْلُ التُّرْسِ فلا تزالُ ترتفعُ في السماء وتنتشرُ حتى تملأ السماء ثم ينادي منادٍ أيها الناسُ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه » . قال رسولُ الله ﷺ : « فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجلَ لَيَمْدُرَ حوضه فلا يَسقي منه شيئًا أبدًا والرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجلَ لَيَمْدُرَ حوضه فلا يَسقي منه شيئًا أبدًا والرجل يَحلُبُ ناقتَهُ فلا يَشْرَبُه أبدًا » .

١١٧١ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « كيف أنْعَمُ وقد التقَم صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وَحنَا جَبهتَه ، وأصغَى سمعَه ، ينتظرُ أن يُومَر فَيَنفُخَ ؟ » فكأنَّ ذلك ثَقُلَ على أصحابه ، فقالوا : فكيفَ نفعلُ يا رسولَ الله ، أو نقولُ ؟ قالَ : « قولوا : حسبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ ، على الله توكلنا » . وربما قال : « توكلنا على الله » . وفي رواية : « كيف أنتم ... » .

قال الحافظ في « الفتح » ١١ / ٣١٧ : بعد ذكر حديث أبي سعيد هذا : وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم ، وابن مردويه من حديث أبي هريرة ، ولأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس ، وفيه جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو صاحب الطور يعني إسرافيل ، وفي أسانيد كل منها مقال ، وللحاكم بسند حسن عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ورفعه : إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ، وينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دُريان .

١١٧٢ ـ * روى البخاري (تعليقًا) عن عبد اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال في قوله

١١٧٠ ـ المعجم الكبير (١٧ / ٣٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣١) . رواه الطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله مولى المغيرة ، وهو ثقة.

(يَمْدُر حوضه) : يطينه ويصلحه بالمَدَر وهو الطين المتماسك ، لئلا يخرج الماء من الحوض .

١١٧١ ـ الترمذي (٤ / ٦٢٠) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٨ ـ باب ماجاء في شأن الصور . وقال : هذا حديث حسن .

١١٧٢ ـالبخاري (١١ / ٣٦٧) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٢ ، باب نفخ الصور . وقال الحافظ في الفتح : وصله الطبري وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

تعالى : ﴿ فإذا نُقِرَ في الناقور ﴾ [المدثر : ٨] : الصور ، قال : والراجفة : النفخة الأولى ، والرَّادفةُ : الثانية .

١١٧٣ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ ، فقالَ : ما الصُّورُ ؟ قال : « قَرْنٌ يُنفخُ فيه » .

١١٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يومًا ؟، قال أبو هريرةَ : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أَبيتُ ، قالوا : أربعون سنةً ؟ قال : أبيتُ . « ثم يَنزِلُ من السماء ماءً ، فَيَنْبُتُون كما يَنْبتُ البَقْلُ ، وليس من الإنسانِ شيءٌ إلا بَلِيَ ، إلا عظم واحدٌ ، وهو عَجْبُ الذَّنب ، منه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم القيامة » .

ولمسلم [١] طرف في ذكر عَجْبِ الذَّنَب ، قال : « إن في الإنسان عَظمًا لا تأكُلهُ الأرضُ أبدًا ، فيهُ يُرَكَّبُ يوم القيامة » قالوا : أيُّ عظم هو يارسولَ الله ؟ قال : « عَجْبُ الذَّنَب » .

وفي رواية [٢] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ ابن آدمَ تأكُلُه الأرضُ ، إلا عَجْبَ

١١٧٣ - أحمد (٢ / ١٢٦) .
وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .
والترمذي (٥ / ٣٧٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر . وقال : حديث حسن صحيح .
والدارمي (٢ / ٣٢٥) كتاب الرقائق ، باب في نفخ الصور .
وابن حبان (٩ / ٢٠٩) .
والمستدرك (٢ / ٥٠٢) .
١١٧٤ - البخاري (٨ / ٦٨٩) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب يوم ينفخ في الصور (سورة ٧٨) عمّ يتساءلون .
مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٨ - باب ما بين النفختين .
(١) مسلم (٤ / ٢٢٧١) الموضع السابق .
(٢) مسلم (٤ / ٢٢٧١) الموضع السابق .
والموطأ (١ / ٢٣٩) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .
وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب ذكر البعث والصور .
والنسائي (٤ / ١١١) كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين .
(عَجْب الذَّنب) : هو عظم الصُّلب المستدير الذي يكون في أصل العَجُز ، وأصلِ الذَّنب . =

الذَّنَب ، منه خُلِقَ ، وفيه يُرَكَّبُ » .

أقول : الظاهر أن أجزاء عَجْب الذنب لا يدخل في تركيب أجزاء أخرى فليس المراد ألا تتحلَّل ، والمشاهد أنها تحترق وتتحلل ، ولكن لهذا الجزء من الإنسان ميزة على غيره ، بحيث يحفظ الله أجزاءه ثم تجمع يوم القيامة ويعاد بناء الإنسان عليها .

١١٧٥ - *روى ابن ماجه عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، بِسُوقِ الْمَدِينَةِ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسى عَلَى الْبَشَرِ فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَدَهُ فَلَطَمَهُ ، قَالَ : تَقُولُ هَذَا ؟ وَفِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ . فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ . فَلا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَمَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، كَذَبَ » .

أقول : لا يصح لأحدٍ أَنْ يُفَضِّلَ أحدًا عند الله إلا بوحي ، وعلى هذا فلا يصح أن يُفضل أحدٌ أحدًا على يونس عليه السلام من عند نفسه ، وإلا فالنُّصوص تذكر صراحة تفاضل النبيين وأن محمدًا ﷺ أفضلهم . وقل مثل ذلك في أي تفضيل بين البشر ومن ذلك التفضيل بين الصحابة فمن فضَّل من عند نفسه فقد افترى ، ومن فضَّل بحق بناءً على نص فقد اهتدى ، وعلى ذلك يُحمل كلام بعض الدعاة إلى الله إذ ينهون عن التفضيل بين الصحابة ، فمرادهم التفضيل بلا نص .

١١٧٦ - * روى مالك عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه كان يُحَدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طير يُعَلِّقُ في شجر الجنة ، حتى يُرجِعَهُ الله في جَسدِه يومَ يَبْعَثُهُ » .

١١٧٥ - ابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث . وفي الزوائد إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

(١) الزمر : ٦٨ .

١١٧٦ - الموطأ (١ / ٢٤٠) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٦ - باب جامع الجنائز .

والنسائي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٧ - باب أرواح المؤمنين . ولم يذكر « يعلق » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٢٨) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٢ - باب ذكر القبر والبلى .

(النَّسَمَة) : الرُّوح والنفْس . (يعلق) : يأكل .

أقول : رزق الشهداء في الجنة واضح في النصوص ، وهـذا الحـديث يوسع الدائرة فيعمم ، والظـاهر أنـه مخصوص ببعض النصوص الأخرى ، فهو في الجملـة يـدل على أن بعض المؤمنين ولو كانوا غير شهداء فإن لهم عنـد ربهم كرامـة الكينونـة في الجنـة في الحيـاة البرزخيـة ، ولا شك أن مقام الرسل والأنبياء أرقى من مقـام الشهـداء ويوم عُرِجَ برسول الله ﷺ رأى عـددًا من الأنبياء في السموات فقد رأى في كل سماء رسولاً من الرسل كما ورد في قصة الإسراء .

* * *

٣ - بعض ما يكون بالنفخة الأولى

قال تعالى :

﴿ إذا الشمس كـورت * وإذا النجـوم انكـدرت * وإذا الجبـال سيرت * وإذا العشـار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت ﴾ (١) .

﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت ﴾ (٢) .

﴿ إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت ﴾ (٣) .

﴿ إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجًا * وبست الجبال بسًا * فكانت هباءً منبثًا ﴾ .

(بست الجبال) : فتّتتْ .

﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (٥) .

﴿ فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت ﴾ (٦) .

﴿ ونفخ في الصور فصعقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ (٧) .

﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ (٨) .

﴿ فإذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (٩) .

---

(١) التكوير : ١ - ٦ .
(٢) الانفطار : ١ - ٣ .
(٣) الانشقاق : ١ - ٣ .
(٤) الواقعة : ١ - ٥ .
(٥) الأنبياء : ١٠٤ .
(٦) المرسلات : ٨ - ١٠ .
(٧) الزمر : ٦٨ .
(٨) الحاقة : ١٣ - ١٦ .
(٩) القيامة : ٧ - ١٢ .

١١٧٧ ـ * روى ابن ماجه عَنْ عَبْد الله بْن عُمَرَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : « يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ » وَقَبضَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقولُ : « أَنَا الْجَبَّارُ . أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قَالَ وَيَتَمَايَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ . حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلَ شَيءٍ مِنْهُ حَتَّى أَنِّي لأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ .

(يأخذ الجبار) هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى : ﴿ والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ .

أقول : لقد كان رسول الله ﷺ إذا تحدث عن يوم القيامة ومشاهدها ظهر التأثر البالغ عليه عليه الصلاة والسلام وهذا أدب ينبغي أن يفطن له كل مسلم وخاصة الدعاة إلى الله ، فلا يمرُّون بمشاهد يوم القيامة إلا وقلوبهم يقظى وتأثرهم بها بالغ مبلغه من أنفسهم ومن سامعيه .

١١٧٨ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الشَّمس والقَمرُ مُكَوَّرَان يَومَ القيامة . قال ابن الأثير : (مُكَوَّران) التكوير : لَفُّ العمامة ، والمراد : أن السماءَ والأرضَ تُجمعان وتُلفَّان كما تُلَفُّ العمامةُ .

١١٨٧ ـ ابن ماجه (٢ / ١٤٢٩) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٣ ـ باب ذكر البعث .

وأخرج نحوه ٤ مسلم (٤ / ٢١٤٨) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين ، الحديث الرابع والعشرون .

وأحمد (٢ / ٨٨) .

مجمع الزوائد (١ / ٨٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وقال : هكذا رواه يحيى بن بكير فقال عن عبد الله ابن عمر . ورجاله رجال الصحيح .

١١٧٨ ـ البخاري (٦ / ٢٩٧) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٤ ـ باب صفة الشمس والقمر .

٤ - بعض ما يكون بالنفخة الثانية

قال تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (١) .

﴿ وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت ﴾ ، ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ (٢) .

﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ (٣) .

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٤) .

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (٥) .

١١٧٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تَقِيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها ، مثلَ الأُسطُوان من الذهب والفضة ، فيجيءُ القاتلُ ، فيقولُ : في هذا قتلتُ ، ويجيءُ القاطعُ ، فيقول : في هذا قطعتُ رَحِمي ، ويجيء السارقُ ، فيقول : في هذا قُطعتْ يدي ، ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيئًا » .

وفي رواية الترمذي مثله ولم يذكر السارق وقطع يده (٦) .

قال ابن كثير في النهاية :

وذكرنا في التفسير : أن الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانه ، فيلزمه ولا يفارقه حتى يُرمى بهما إلى النار ، وقال تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾(٧)اهـ (النهاية في الفتن والملاحم).

---

(١) الزمر : ٦٨ .
(٢) التكوير : ٤ ، ٥ ، ٧ .
(٣) النمل : ٨٧ .
(٤) القارعة : ٤ - ٥ .
(٥) الأنعام : ٣٨ .

١١٧٩ - مسلم (٢ / ٧٠١) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٨ - باب الترغيب في الصدقة قبل أن يوجد من لا يقبلها .

(٦) الترمذي (٤ / ٤٩٣) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٦ - باب (منْهُ) حدثنا واصل بن عبد الأعلى ...
وقال : حديث حسن صحيح غريب .
(تقيء الأرض أفلاذ كبدها) : الأفلاذ : القِطَع جمع فلذة ، والقيء : مستعار لها في إخراج كنوزها ، كما يخرج القيء الطعام من الجوف .

(٧) ق : ٢٧ ، ٢٨ .

الفقرة الثالثة
في :
الحشر

- بعد البعث والنشر يكون الحشر ، ومركز الحشر بلاد الشام ، والحشر سَوْقَ الناس والجن ومن يبعثهم الله من الخلائق إلى مكان الحساب الذي تجتمع فيه الخلائق وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم ويعرف كل مصيره ؛ فالحشر جمع الخلائق كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإحيائهم قال تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾ (١) .

- وكُرُبَاتُ الحشر والموقف وما يكون فيه وما يكون بعده شيء هائل إلا على أهل هذا المقام ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (٢) .

- والناس يحشرون عراة حفاة مختونين ومن تحقيقات العلماء أخذًا من بعض النصوص أن رسولنا عليه الصلاة والسلام يبعث كاسيًا وأن إبراهيم عليه السلام أول من يكسى في الموقف .

- ويجتمع الناس في الموقف ويخلق الله شمسًا تدنو من رؤوس العباد فيصيب الناس من الحر عشرة أضعاف حر الدنيا إلاّ من يظله الله بظله وفي مرحلة يؤتى بالنار إلى المحشر كما ورد في نصوص صحيحة ، ويؤتى بالجنة فتكون قريبة ، قال تعالى ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴾ (٤) ، وذلك لكي يبتهج المتقون ويستبشروا ويحزن الآخرون ويخافوا ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين * وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ (٥) .

وفوق النار الصراط والصراط طريق العبور إلى ما بعده ، ومن هناك إلى الجنة بعد الشفاعة الثالثة لرسول الله ﷺ .

---

(١) الكهف : ٤٧ .
(٢) الأنعام : ٨٢ .
(٣) التكوير: ١٣ .
(٤) ق : ٣١ .
(٥) الشعراء : ٩٠ ، ٩١ .

ويطول الموقف بعد الحشر على الناس وهم في الحر والعرق إلا من وردت النصوص أنهم في ظل الله يومئذاك ومن الوقافين عند الحق ، والذين ينظرون المعسرين أو يضعون عنهم ، والواصلون الأرحام ، والأمهات اللواتي ترعى يتامى زوجها ، والمطعمون الطعام ، والعارفون بالله والمتحابون بالله وأصحاب الأخلاق الحسنة والقائمون بحقوق الله ، ومنهم السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله الذين ورد فيهم الحديث الصحيح المعروف .

ـ وعلى طول يوم القيامة وهو خمسون ألف سنة فإنه يخفف على المؤمن فلا يحس بطوله بل هو عليه كوقت قصير من نهار .

ـ وبعض أهل الموقف يخصون بمزيد من العذاب .

ـ ويطول الموقف والناس صافون أقدامهم رافعو رؤوسهم ينتظرون فصل القضاء .

ـ وأهل الإيمان في الظل محشورون مع من يحبونه من أهل الفضل . ولواء الحمد بيد رسول الله ﷺ ، والكافرون محشورون مع من يحبونهم .

وبعد طول المقام يفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا في فصل القضاء فلا يستجيبون إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام فإنه يَشْفَع ويُشَفَّعُ .

وبعد شفاعته عليه الصلاة والسلام لفصل الخطاب تحدث أحداث كبرى ، فتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله ، وتتميز الأمم عن بعضها ، وتكون هناك عرضتان فيهما جدال ومعاذير ثم تطير الصحف آخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره وفي هذه المقامات تكون هناك شهادات الأنبياء على أقوامهم وشهادات أخرى ، ويستدعى دعاة الضلالة ودعاة الهداية ليرجع أولئك ببشارة السوء لمن تابعهم ، ويرجع هؤلاء ببشارة الخير لمن تابعهم ، ويزداد عطش الناس فيردون على أحواض أنبيائهم ، فمنهم من يشرب ومنهم من يُرَدُّ ، ويكون الحساب والميزان ، وبعد الحساب والميزان يحبس الناس قَبْل الصراط ، وعندئذ يحدث تبدل جديد للسموات والأرض ثم يفزع الناس إلى الأنبياء ليؤذن لهم بالمرور على الصراط فيحيلون الأمر إلى رسول الله ﷺ فتكون الشفاعة الثانية ، ويؤذن بالمرور على الصراط .

وعند الحساب والميزان تكون شفاعات وبعد ذلك تكون شفاعات .

والحيوانات يقضى بينها ثم تكون ترابًا .

ومن الحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار تكون هناك مظاهر الجلال الإلهي وتتجلى هيبة الملائكة من ربهم وطاعتهم له ، وتظهر مظاهر من كثرة جند الله وضبطهم للأمور على مقتضى أمر الله وتظهر الجندية الكاملة للملائكة ويظهر من جلال الله ما تزداد به قلوب المؤمنين رهبة وتبلغ قلوب الكافرين الحناجر ، وكل وصف إلا وصف النصوص لما يرجى في عرصات اليوم الآخر قاصر عن تأدية المراد ، ومع دقة الوصف في النصوص ، فالنصوص تذكر أنه يوم يأتي تأويلها على أرض الواقع يظهر للكثيرين أكثر مما قدروه أو توقعوه ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (٢) ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب ، فقال : « عرضت عليّ الجنة والنار ، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا » . قال فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه . قال : غطوا رؤوسهم ولهم خنين (٣) .

والنصوص في الحشر والموقف وما يكون في ذلك اليوم الطويل كثيرة .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل كرامته وولايته وهذه بعض نصوص من الكتاب والسنة في هذا الشأن وقد مرت وستمر معنا نصوص كثيرة لها علاقة بهذا المقام .

---

(١) الزمر : ٦٧ . (٢) الزمر : ٤٧ .

(٣) البخاري (٨ / ٢٨٠) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١٢ ـ باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء ... ﴾ .
ومسلم (٤ / ١٨٣٢) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٣٧ ـ باب توقيره ﷺ . ولها روايات أخرى .

١ - النصوص القرآنية

﴿ سأل سائل بعذابٍ واقعٍ * للكافرين ليس له دافعٌ * من الله ذي المعَارج * تعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنةٍ * فاصبرْ صبرًا جميلاً * إنهم يَرَوْنَه بعيدًا * ونراه قريبًا * يوم تكون السماء كالمُهْلِ * وتكون الجبالُ كالعِهْن * ولا يسألُ حميمٌ حميمًا * يُبَصَّرُونهم يوَدُّ المجرمُ لو يَفْتَدِي من عذابِ يومئذٍ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومَن في الأرضِ جميعًا ثم يُنْجِيه * كلا إنَّها لَظَىٰ * نَزَّاعةً للشَّوَى * تدعُو من أدبرَ وتولى * وجمعَ فأوْعَى ﴾ [١] .

أقول : إن الحديث الصحيح الذي يتحدث عن عذاب من لا يؤدي زكاة الأنعام يذكر صراحة أن يوم القيامة مدته خمسون ألف سنة وذلك صريح في مدة يوم القيامة كما نصت عليه سورة المعارج .

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبُوا حتى يُلاقُوا يومَهم الذي يوعَدون * يوم يخْرجون من الأجداثِ سِرَاعًا كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون * خاشعةً أبصارُهم تَرْهَقُهُم ذِلة ذلك اليومُ الذي كانوا يوعدون ﴾ [٢] .

---

(١) المعارج : ١ - ١٨ .
(المعارج) : مصاعد الملائكة .
(المهل) : المعدن المذاب .
(العهن) : الصوف المصبوغ ألواناً .
(الحميم) : الصديق أو القريب المشفق .
(الفصيلة) : العشيرة .
(الشوى) : جلد الرأس .
(أوعى) : أمسك ماله في وعاء وربط عليه .
(٢) المعارج : ٤٢ - ٤٤ .
(نصب) : أحجار عظموها في الجاهلية .
(يوفضون) : يسرعون .
(ترهقهم ذلة) : تغشاهم مهانة شديدة .

﴿ وَنحشُرُهم يومَ القيامةِ على وجُوهِهم عُمْيًا وبُكمًا وصُمًّا مأْوَاهم جَهَنَّمُ كلما خَبَتْ زِدناهم سَعيرًا ﴾ (١) .

أقول : وللمفسرين أكثر من اتجاه في فهم الآية فبعض المفسرين ذهب إلى أن هذا يحدث لهم بعد الموقف حيث يؤمر بهم إلى النار ، وبعضهم حملها على أنهم يحشرون بعد نشرهم إلى أرض الحشر هكذا ، وبعضهم حملها محامل أخرى والكلام يراد به الكافرون والظاهر أن الكافر يوم القيامة تكون له أكثر من حالة بالنسبة للعمى والصم والبكم ، ففي بعض المواقف يكون أعمى وأصم وأبكم وفي بعض المواقف يكون بصيرًا سميعًا متكلمًا وفي بعض المواقف قد يسلب منه السمع أو البصر أو الكلام ، والله أعلم .

﴿ ويومَ نَحشرُهم جميعًا ثم نقولُ للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيَّلْنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيَّانا تعبُدُون * فكَفَى باللهِ شَهِيدًا بينَنا وبينكم إن كنَّا عنْ عِبادتِكم لغافِلين * هنالك تَبلُو كلُّ نفسٍ ما أسلفَتْ ورُدُّوا إلى الله مولاهمُ الحقِّ وضلَّ عنهم ما كانُوا يفترون ﴾ (٢) .

أقول : وهذا الحوار يكون بين المشركين وبين ما كانوا يعبدون من دون الله أو بينهم وبين ما يصورون لهم ممن كانوا يعبدونهم من دون الله وهذا يكون بعد شفاعة فصل الخطاب إذ تؤمر كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله .

﴿ ويومَ يَحشرُهم كأنْ لم يلبَثُوا إلا ساعةً من النَّهار يتعارَفون بينهم قدْ خَسِرَ الذين كذَّبُوا بلقاءِ اللهِ وما كانُوا مُهتَدِين ﴾ (٣) .

﴿ وأَسَرُّوا الندامةَ لما رأَوا العَذاب وقُضِيَ بينهم بالقِسْطِ وهم لا يُظلمون ﴾ (٤) ﴿ يومَ

---

(١) الإسراء : ٩٧ .
(البكم) : الخرس .
(٢) يونس : ٢٨ - ٣٠ .
(فزيلنا بينهم) : أي فرقنا بينهم وقطعنا الوَصلَ التي كانت بينهم .
(٣) يونس : ٤٥ .
(٤) يونس : ٥٤ .

يدعوكم فتَسْتَجيبُونَ بِحَمْدِهِ وتَظُنُّونَ إنْ لَبِثتمْ إلا قليلا ﴾ [١]

﴿ يدعوكم ﴾ أي يبعثكم ﴿ فتستجيبون ﴾ أي : فتنبعثون للمحاسبة والجزاء . وقوله ﴿ بحمده ﴾ : حامدين الله على كمال قدرته ، والظاهر أن هذا يقوله الكافر والمؤمن بعد إذ انكشف الغطاء فليس أمام الكافر إلا إعلان الولاء والحمد لله ولا ينفعه ذلك .

﴿ ويومَ نحشر من كلّ أمةٍ فوْجًا ممن يُكذّب بآياتنا فهم يُوزَعون * حتى إذا جاءوا قال أكذّبتم بآياتي ولمْ تُحيطُوا بها علمًا أم مَاذَا كنتم تَعمَلون * ووقعَ القَولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينْطِقُون ﴾ [٢] .

إن لكل نبي أمته وبعض أمم الأنبياء منهم مسلمون ومنهم كافرون ، وبعض الأمم كلهم كافرون ، والمراد بالآية والله أعلم أن الكافرين من أمة كل رسول يحشرون مع بعضهم بعضًا ، وقوله تعالى ﴿ يوزعون ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا جميعًا ، وتكون المخاطبة والمحاسبة والظاهر أن الخطاب يكون بعد الشفاعة لفصل الخطاب ، وتميز كل أمة كانت تعبد شيئًا سوى الله عن غيرها ، ومواقف القيامة متعددة وفي كل موقف قد توجد حال لا تكون في موقف آخر .

﴿ ويَومَ نحشرهُم جميعًا ثم نقُول للّذِين أشركوا أينَ شركاؤكُم الذين كنتم تَزعمُون * ثم لَم تكن فِتنَتُهم إلا أنْ قالوا واللهِ ربّنا ما كنّا مشركِينَ * انظرْ كيف كذَبوا على أنْفُسهم وضَلّ عنهم ما كَانُوا يَفْتَرُون ﴾ [٣] .

الظاهر أن هذا المشهد يكون بعد إذ يخاطب المشركون مجتمعين مع ما أشركوا به بعد شفاعة فصل الخطاب ، فيغيبُ عنهم شركاؤهم بعد إذ يجمعون بهم أو بما يُخَيّلُ لهم أنهم شركاؤهم ، ويحدث الجدال فيما بينهم فيخاطبون بعد غيب الشركاء ، ويحلفون كاذبين أنهم لم يكونوا مشركين والمراد بالفتنة في الآية كذبهم الذي هو مظهر خبثهم كما أن النار تفتن الذهب فتخلص زيفه من جوهره .

---

(١) الإسراء : ٥٢ .
(٢) النمل : ٨٣ - ٨٥ .
(٣) الأنعام : ٢٢ - ٢٤ .

﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا عَلَى النّار فقَالُوا يـاليْتنـا نُرَدُّ ولا نُكَذّبَ بـآيـاتِ ربّنـا ونكونَ منَ المؤمنين * بلْ بَدَا لهم ما كانوا يُخفُون من قبـلُ ولوْ رُدُّوا لعَادُوا لِمَـا نُهُوا عنْـه وإنهم لكاذبون * وقالوا إنْ هِيَ إلا حيَاتُنَا الدُّنيا ومَا نحن بمبْعُوثين ﴾ [١] .

﴿ ولَوْ ترى إذْ وُقفوا على ربّهم قال أليس هذا بـالحقّ قـالوا بَلَى ورَبّنـا قـال فـذُوقُوا العَذاب بما كنتم تكفُرون * قدْ خَسِرَ الّذِينَ كذّبوا بلقـاء اللهِ حتى إذا جـاءَتهم السـاعـةُ بغتـة قـالـوا يـاحَسْرتَنـا على مـا فرّطنـا فِيهـا وهُم يحملـون أوزَارَهم على ظهـورِهم ألا سـاءَ مـا يَزِرُون ﴾ [٢] .

من مواقف يوم القيـامـة أن يعرض الكافرون على النـار وحـدهم ، ومن المواقف أن تجثو الأمم كلهـا حول النـار كما سنرى ، ولكن المـوقف الـذي يتحـدث عنـه هـذا النص خـاص بعرض الكافرين وحدهم على النار ليندموا على ما فعلوا ثم يعرضون بعد ذلك على ربهم ليعترفوا بأن ما بعث به الرسل عليهم السلام كان حقّا .

﴿ ويـومَ يَحشرُهم جَميعًا يـامعْشَرَ الجنّ قـدِ اسْتكثرتُم مِنَ الإنس وقـال أوليـاؤُهم مِنَ الإنْسِ ربّنا اسْتَمتَع بعضُنا ببعضٍ وَبَلغنا أجَلَنَا الذي أجّلْتَ لَنَـا قالَ النارُ مثواكم خالدين فيهـا إلا مـا شَاء الله إنّ ربّـكَ حَكِيمٌ عليم * وكـذلـكَ نُوَلّي بعضَ الظـالمين بعضًـا بمـا كانُـوا يكْسِبُون * يامَعشرَ الجنّ والإنسِ ألَمْ يأتكم رُسُلٌ منكم يَقُصُّون عليكم آياتي ويُنذِرُونكم لِقاءَ يومِكم هذا قالوا شَهِدْنَا على أنفسِنَـا وَغرّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيـا وشَهِـدُوا على أنفسِهم أنّهم كانوا كافرين ﴾ [٣] .

يتحدث هذا المشهد عما يكون من تقريع وتوبيخ من الله عز وجل للشياطين ولأتباعهم من الإنس إذ استمتع الشياطين بطاعة الإنس واستمتع أتباعهم من الإنس بـالملـذات والشهوات التي دعاهم إليها الشياطين . والظاهر أن هـذا الخطـاب للفريقين يكون في إحـدى العرضتين اللتين تكونان بعد الشفاعة لفصل الخطاب .

---

(١) الأنعام : ٢٧ ـ ٢٩ .
(٢) الأنعام : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) الأنعام : ١٢٨ ـ ١٣٠ .

﴿ ويومَ تقوم الساعةُ يومئذٍ يَخْسَرُ المبطِلون * وترى كلَّ أمةٍ جاثيةً كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها اليوم تُجْزَوْنَ ما كنتم تعملون * هذا كتابُنا ينطقُ عليكم بالحقِّ إنا كنا نَسْتَنْسِخ ما كنتم تعملون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فَيُدخِلهم ربُّهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تُتْلَى عليكم فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين * وإذا قيل إنَّ وعدَ الله حقٌّ والساعةُ لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظنُّ إلا ظنًّا وما نحن بمستيقنين * وبدا لهم سيئاتُ ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * وقيل اليومَ ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هُزُوا وغرّتكم الحياةُ الدنيا فاليوم لا يُخرجون منها ولا هم يُسْتَعْتَبُون ﴾ [١] .

بعد الموقف الطويل والشفاعة لفصل الخطاب والجدال والمعاذير وبعد تطاير الصحف فإن أحد مشاهد يوم القيامة أن تجثوَ الأمم على ركبها كل منهم معه صحيفته .

وهناك الكتاب الذي يجمع ما كتبته الملائكة عن فعل كل مكلف من الأمم ليكون ذلك بين يدي الحساب والميزان ، ومن المعلوم أنه من أنواع العذاب أن يجلس الإنسان على ركبتيه وأطراف أصابعه فذلك لا يتحمله الإنسان في الدنيا كثيرًا ، والظاهر أن هناك أكثر من موقف من مواقف القيامة يجثو الناس على ركبهم من الهول كما سنرى .

﴿ ياأيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربك كَدْحًا فَمُلاقِيه * فأما مَن أوتيَ كتابَه بيمينه * فسوف يُحاسَب حسابًا يسيرًا * وينقلبُ إلى أهله مسرورًا * وأمّا مَن أُوتيَ كتابَه وراءَ ظهره * فسوف يدعو ثُبورًا * ويَصْلَى سعيرًا * إنه كان في أهله مسرورًا * إنه ظنَّ أنْ لن يحورَ * بلى إن ربّه كان به بصيرًا ﴾ [٢] .

قوله تعالى ﴿ وراء ظهره ﴾ : أي بشماله من وراء ظهره ، وذلك يكون عند تطاير الصحف وبعد الشفاعة لفصل الخطاب وبعد عرضتين من عرضات ثلاث يكون في كل منها إقامة حجة .

---

(١) الجاثية : ٢٧ ـ ٣٥ .

(٢) الانشقاق : ٦ ـ ١٥ .

وقوله تعالى : ﴿ لن يحور ﴾ : لن يرجع أي كان غير مؤمن باليوم الآخر .

ـ ﴿ وقال الذين لا يَرْجون لقاءَنا لوْلا أُنزل علينْا الملائكةُ أوْ نَرَى رَبَّنَا لقد اسْتَكْبَروا في أنفُسِهِم وعتَوا عُتُوًّا كبيرًا * يومَ يَروْنَ الملائِكَةَ لا بُشرَى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حِجرًا محجورًا * وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا * أصحابُ الجنةِ يومئذ خَيْرٌ مُسْتقرًا وأحسنُ مَقيلاً * ويومَ تشقّقُ السماءُ بالغَمامِ ونُزِّل الملائكة تنزيلاً * المُلْكُ يومئذ الحقُّ للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا * ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يَديه يقول ياليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً * ياوَيْلتَا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً * لقد أضلّني عن الذِّكْرِ بعدَ إذ جاءني وكان الشيطانُ للإنسان خَذُولا ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ : إشارة إلى رؤيتهم الملائكة عند الموت والضمير في قوله تعالى ﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ قد يرجع إلى الكفار وقد يرجع إلى الملائكة فإن رجع إلى الكفار فالمراد أنهم يطلبون أن يحال بينهم وبين لقاء الله وإن رجع الضمير على الملائكة فالمراد أن الملائكة تقول لهم : حرامًا محرمًا عليكم الجنة والبشرى . وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ أي أبطلنا أعمالهم فلا قيمة لها ولا وزن لأن شرط قبول العمل هو الإيمان ، وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ﴾ فيه إشارة إلى غمام يكون بعد شفاعة فصل الخطاب وعند تطاير صحف الأعمال وعندئذ يكون نزول الملائكة مع أن للملائكة نزولاً ووجودًا قبل ذلك وهذه الآية تشبه قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٢) .

﴿ وامتازوا اليومَ أيُّها المجرمون * ألم أَعْهَد إليكم يا بني آدم أن لا تَعبدوا الشيطانَ إنه لكم عدوٌّ مبين * وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم * ولقد أَضَلَّ منكم جبِلاً كثيرًا أفَلَمْ تكونوا تعقلون * هذه جهنّمُ التي كنتم تُوعَدون * اصْلَوْها اليومَ بما كنتم تكفرون * اليومَ نختمُ على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاسْتَبَقُوا الصراطَ فأنّى يُبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما

---

(١) الفرقان : ٢١ ـ ٢٩ .

(٢) البقرة : ٢١٠ .

استطاعوا مُضيًّا ولا يَرجعون ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ المراد به على رأي بعض المفسرين الموقف الذي ينفصل فيه أهل الإيمان عن أهل الكفر وذلك يكون بعد شفاعة فصل الخطاب إذ يأمر الله عز وجل كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله ، وقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ هذا يكون يوم القيامة في أكثر من موقف يكون عند الحساب وعند الميزان ويكون قبل ذلك عندما ينكرون ما كانوا عليه من الشرك ، وهذا الموقف قد يتعدد والله أعلم بتفصيلاته وإنما استأنسنا لما ذكرناه استئناسًا ببعض النصوص .

وفي تميز أهل الإيمان عن أهل الكفر قال ابن كثير في النهاية :

فإذا نصب كرسي فصل القضاء انماز الكافرون عن المؤمنين في الموقف إلى ناحية الشمال ، وبقي المؤمنون عن يمين العرش ، ومنهم من يكون بين يديه ، قال الله تعالى :

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) . اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مُسْوَدَّةٌ أليس في جهنم مثوًى للمتكبرينَ * وينجّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسُّهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ (٤) .

قوله تعالى عن الكاذبين على الله بأن وصفوه بما هو منزه عنه أو لم يعطوا الألوهية حقها وجوههم مسودة ذكر البيضاوي في تفسيرها : مسودة مما ينالهم من الشدة أو مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل . أقول ولا مانع من حملها على ظاهرها بأن يعاقبهم الله بأن تكون وجوههم سوداء مظلمة . والظاهر أن الكافرين تصيبهم تلونات قبيحة متعددة يوم القيامة فإنهم يحشرون زرقًا وإذا رأوا صحائفهم سوداء اسودت وجوههم ومن قبل ذلك تسود

(١) يس ٥٩ - ٦٧ .
(٢) يس : ٥٩ .
(٣) يونس : ٢٨ .
(٤) الزمر : ٦٠ - ٦١ .

وجوههم ، وهكذا سواد على سواد وظلمة على ظلمة ، ولعل الذين يفتخرون ببياض الألوان في هذه الدنيا وينتقصون من كانت خلقتهم سوداء يعاقبون بما عابوا عليه غيرهم في الدنيا إذا كانوا من أهل الإيمان ، والمعروف أن المسلم لا عبرة عنده للسواد الخَلْقي وأن الكافرين وحدهم هم الذين يعطون لهذا الأمر وضعه المقيت في الدنيا . والمفازة هي الفلاح .

﴿ ويومَ نُسيِّر الجبال وتَرى الأرضَ بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا * وعُرِضوا على ربِّك صَفًّا لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّلَ مَرّةٍ بل زعمتم ألّنْ نجعلَ لكم موعِدًا * وَوُضع الكتابُ فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون ياويلتَنا مالِ هذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّكَ أحدًا ﴾ (١) .

﴿ ولا تحسبَنّ الله غافلاً عما يعملُ الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخَصُ فيه الأبصار * مُهطِعين مُقنِعي رءُوسهم لا يرتدُّ إليهم طَرْفُهم وأفئدتُهم هواء * وأنذر الناسَ يوم يأتيهمُ العذابُ فيقول الذين ظلموا ربَّنا أخِّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجِبْ دعوتَك ونتَّبعِ الرسُلَ اوَ لم تكونوا أقسمتم من قبلُ مالكم من زوالٍ * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسَهم وتبيَّن لكم كيف فعَلْنا بهم وضربْنا لكم الأمثالَ ﴾ (٢) .

﴿ ومَنْ أظلمُ ممن افْترى على الله كذبًا أولئكَ يُعرضُون على رَبِّهم ويقول الأشهادُ هؤلاء الذين كَذَبوا على رَبِّهم ألاَ لعنة الله على الظالمين ﴾ (٣) .

---

(١) الكهف : ٤٧ ـ ٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ أي مصطفين كالجند في وقفة هيبة وخوف .

وقوله تعالى : ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي عراة غير مختونين لا شيء معكم .

وقوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي صحائف الأعمال وذلك يكون قبل الحساب وبعد مواقف متعددة تكون يوم القيامة .

(٢) إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٥ .

قوله تعالى : ﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ محلقين مقبلين بأبصارهم لا تطرف هيبة وخوفًا .

قوله تعالى : ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين إلى الداعي . ﴿ مقنعي رءوسهم ﴾ : رافعيها .

﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ تبقى شاخصة لا تطرف أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظرون إلى أنفسهم .

﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ : أي خالية عن الفهم لفرط الدهشة والحيرة أو هي من الخوف كأنها غير موجودة .

(٣) هود : ١٨ .

(الأشهاد) : الملائكة والنبيون والجوارح .

قوله تعالى ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ أي في أحد مشاهد الموقف بعد شفاعة الخطاب بأن يحسبوا وتعرض أعمالهم .

﴿ وَأَنذِرْهم يومَ الآزِفَةِ إذ القلوبُ لدَى الحناجرِ كاظمين ما للظالمين من حَميم ولا شفيع يُطاعُ ﴾ (١) .

هذا يدل على أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة ، وأنهم يكونون يوم القيامة في غاية الخوف .

﴿ وياقوم إني أخافُ عليكم يوم التنادِ * يومَ تُوَلُّون مُدْبرين ما لكم من الله من عاصم ﴾ (٢) .

﴿ وكلَّ إنسانٍ أَلزَمْناه طائرهَ في عُنُقه ونُخْرِجُ له يومَ القيامة كِتابًا يَلقاهُ منشُورًا * اقرأ كتابَك كَفى بِنفْسِكَ اليومَ عليكَ حَسِيبًا ﴾ (٣) .

﴿ ألزمناه طائره ﴾ عمله المقدر له . ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابًا ﴾ أي كتاب أعماله وهذا يكون قبيل الحساب والميزان . وفي الآية دليل على أنه لا يدخل النار أحد إلا بحساب على خلاف من قال : كما أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة بلا حساب فبعض أهل النار يدخلون النار بلا حساب .

﴿ ياأيُّها النَّاس اتَّقُوا رَبَّكم واخشَوْا يَوْمًا لا يَجزي والدٌ عن ولَدهِ ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئًا ﴾ (٤) .

أقول : إنما ينتفع الوالد بالولد والولد بالوالد يوم القيامة إذا كانا مؤمنين وأراد الله ذلك أما من سوى أهل الإيمان فلا ينتفع أحد بأحد .

---

(١) غافر : ١٨ .

(الآزفة) : يوم القيامة لقربها . (كاظمين) ممسكين على الغم الممتلئين منه (الحميم) : القريب المشفق أو الصديق القريب .

(٢) غافر : ٣٢ ، ٣٣ .

(يوم التناد) يوم القيامة للنداء فيه إلى الحشر . (يوم تولون مدبرين) : ذاهبين هاربين .

(٣) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

(٤) لقمان : ٣٣ .

﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعضٍ عدوٌّ فإمّا يأتينّكم منّي هدًى فمن اتّبع هداي فلاَ يضلُّ وَلاَ يَشْقى * ومَنْ أعْرَضَ عن ذِكْري فإنّ له مَعيشةً ضَنْكًا ونَحْشُرُهُ يومَ القيامة أعمَى * قال ربِّ لِمَ حَشَرْتَني أعْمى وقدْ كنتُ بصيرًا * قال كذلك أتتْك آياتُنا فنَسيتَها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ (١) .

(المعيشة الضنك) : المعيشة الضيقة ، وحملها بعضهم على الشقاء النفسي والجسدي في الدنيا لغير أهل الإيمان ، وحملها بعضهم على الحياة البرزخية ، وقوله تعالى : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ دليل لمن ذهب أن أول ما يحشر الكافر يوم القيامة يحشر وهو أعمى وهناك اتجاه يقول : إن هذا الحشر يكون بعد إذ يؤمر بالكافرين إلى النار فيحشرون عميًا بكمًا صمًّا ليدخلوا النار وهم كذلك .

﴿ يومَ نَحْشُر المتّقين إلى الرحمن وَفدًا * ونسُوق المجرمينَ إلى جهنم وِرْدًا * لا يَملكُون الشفاعةَ إلا مَن اتّخذَ عندَ الرّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا ﴾ هذه صفة للكيفية التي يذهب بها الكفار إلى النار وهي أنهم يساقون كما تساق البهائم وتدفع دفعًا ويدخلون النار وهم عطاش.

﴿ ويومَ يُعْرَض الذين كفروا على النار أذْهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعْتم بها فاليومَ تُجْزَوْن عذاب الهُونِ بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ (٣) .

﴿ ويومَ يُعْرَضُ الذين كفروا على النار أليسَ هذا بالحق قالوا بلى وربِّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (٤) .

﴿ ومن يطع الله والرسولَ فأولئكَ معَ الذينَ أنعمَ الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشُّهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا ﴾ (٥) .

---

(١) طه : ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٢) مريم : ٨٥ ـ ٨٧ .
(٣) الأحقاف : ٢٠ .
(٤) الأحقاف : ٣٤ .
(٥) النساء : ٦٩ .

في هـذه الآيـة دليـل على أن أهـل الإيمـان يحشرون مـع الأنبيـاء والصـديقين والشهـداء والصالحين فهم معهم في الموقف وهم معهم في الجنة ، ولذلك فإن على أهل الإيمـان أن يطيعوا الله والرسـول وأن يحبـوا الأنبيـاء والصـديقين والشهـداء والصـالحين فـإن المرء يحشر مـع من أحب .

﴿ وَجَعلناهم أَئِمَّةً يَدْعُونَ إلى النَّارِ وَيَوْمَ القيامَةِ لا يُنصرُون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لَعْنةً ويَوْمَ القيامَةِ هم منَ المقبُوحين ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ يدل على أن هنـاك أئمـة ضلال كما أن هنـاك أئمـة هـدايـة وكما أن المؤمن يحشر مع أئمتـه فـإن الكافر يحشر مع أئمتـه ويـدخل النـار معهم .

﴿ يومَ نَدْعـو كلَّ أناسٍ بِإمامِهِـم فمنْ أوتيَ كتابه بيَمينِه فأولئـك يَقرأونَ كتـابَهم ولا يُظْلَمُونَ فَتيلاً * ومَنْ كانَ في هذه أعمى فهوَ في الآخرةِ أعمَى وأضلُّ سَبيلاً ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمـامهم ﴾ أي بنبيهم أو بمقـدمهم في الـدين ويحتمل النص معـاني أخرى وعلى المعنى المـذكور فـالآيـة تـدل على أنـه في مـوقف من مـواقف يـوم القيامـة يـدعى كل إمـام لقوم فـأئمـة الهـدى يكرمون ويرجعون إلى أتبـاعهم مبشرين وأئمـة الضلال يهانون ويرجعون إلى أتباعهم يائسين موئيسين بائسين مبئسين .

﴿ ولقَدْ أرسلنا موسى بآياتِنا وسُلطانٍ مُبينٍ * إلى فرعونَ وملئـه فـاتَّبعُوا أمْرَ فرعونَ وما أمرُ فرعونَ برشيد * يَقْدُمُ قومَه يومَ القيامة فأوْردَهم النـارَ وبئـسَ الوِرْدُ المورُود * وأُتْبِعوا في هذه لَعْنَةً ويومَ القيامةِ بِئْـسَ الرِّفْدُ المرفود ﴾ (٣) .

قوله تعالى : (يقدم قومه) : أي إلى النار كما كان يقـدمهم في الـدنيـا إلى الضلال وهـذا دليل على أن إمام القوم في الهدى أو في الضلالة يكون معه أتباعـه إمـا إلى جنـة إن كان من

(١) القصص : ٤١ ، ٤٢ .
(٢) الإسراء : ٧١ ، ٧٢ .
(الفتيل) . أدنى شيء وأقله .
(٣) هود : ٩٦ ـ ٩٩ .

أهل الهداية وإما إلى نار إن كان من أهل الضلال وهذا يجعلنا نؤكد على أن يحب الإنسان الصالحين وأن يكون له إمام في الخير ينتسب إليه ويتعاون معه على ما يرضي الله ويطيعه في المعروف .

﴿ ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِن شهيد * وضلَّ عنهم ما كانوا يَدْعون من قبل وظنوا ما لهم مِّن مَحيص ﴾ (١) .

﴿ ويومَ يُحشَرُ أعداءُ الله إلى النارِ فهم يُوزَعُون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجُلودهم بما كانوا يعملون * وقالُوا لجلودهم لم شَهِدتُم علينا قالوا أنطقنا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شيء وهو خَلَقَكم أوَّل مرَّة وإليه تُرجَعُون * وما كنتم تَستَتِرون أن يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودُكم ولكنْ ظننتم أن اللهَ لا يعلم كثيرًا مما تعملون * وذلكمْ ظنُّكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فإن يصبرُوا فالنارُ مثْوًى لهم وإن يَسْتَعْتِبُوا فما هم من المُعْتَبِين ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أولهم على آخرهم . وشهادات الأعضاء على الإنسان من زيادة إقامة الحجة .

والشهادة تكون عند الحساب والميزان وتكون في مواقف أخرى ، ولا يدخل أحد النار إلا بعد أن تقوم عليه الحجة كاملة بشهادةِ الملائكة والأنبياء والأعضاء .

وقوله تعالى ﴿ يستعتبوا ﴾ أي يطلبوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون .

﴿ وقيَّضنا لهم قُرَناءَ فَزَيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحَقَّ عليهم القولُ في أمم قد خَلَتْ مِنْ قَبْلهم من الجنِّ والإنس إنهم كانوا خاسرين * وقال الذين كفروا لا تَسْمَعُوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه لعلَّكم تغْلِبُون * فَلَنُذِيقَنَّ الذين كفروا عذابًا شديدًا ولنجزيَنَّهم أسوأَ الذي كانوا يعملون * ذلك جزاءُ أعداء الله النارُ لهم فيها دارُ الخلد جزاءً

(١) فصلت : ٤٧ ، ٤٨ .
(آذناك) : أخبرناك وأعلمناك .
(محيص) : مهرب ومفر من العذاب .
(٢) فصلت : ١٩ ـ ٢٤ .

بِمَا كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربَّنَا أرِنا اللذَيْنِ أضلانا من الجنّ والإنسِ نَجعلْهُمَا تحتَ أقدامِنا ليكونا من الأسفلين ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وقيّضنا ﴾ : أي وقدّرنا .

﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَرٌ * حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِ النُّذُر * فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الدّاعِ إلى شيءٍ نُكُر * خُشَّعًا أبصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتِشر * مُهْطعين إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِر ﴾ (٢) .

قوله تعالى ﴿ يوم يدع الداع ﴾ : الداع هنا : إسرافيل إذ ينفخ في الصور . ﴿ إلى شيء نكر ﴾ : فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة ، ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ مسرعين مادين أعناقهم إليه أو ناظرين إليه ، ويحتمل أن يكون الداعي هنا إسرافيل ويحتمل أن يكون مَلَكًا آخر يدعو الناس إلى مركز الحشر .

﴿ يومَ يجمعُكم ليوم الجَمْع ذلك يومُ التَّغَابُنِ ومن يؤمنْ بالله ويعمَلْ صالحًا يكفِّرْ عنه سيئاتِه ويُدْخِلْه جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوزُ العظيمُ * والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحابُ النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ (٣) .

﴿ ليوم الجمع ﴾ هو اليوم الذي يجمع الله عز وجل فيه الملائكة والإنس والجن والوحوش والأنعام ، ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ أي اليوم الذي يغبن فيه ناس بأن يأخذ المؤمنون منازلهم في الجنة ويأخذ الكافرون منازل المؤمنين في النار لو كانوا كفارًا .

﴿ يومَ يجمعُ الله الرسل فيقولُ ماذا أُجبْتُمْ قالوا لا عِلْمَ لنا إنك أنت علامُ الغيوب ﴾(٤).

في الآية دليل على أن موقفًا من مواقف يوم القيامة يكون للرسل عليهم الصلاة والسلام اجتماع بأمر الله فيسألهم ربهم عما أجابتهم به أقوامهم توبيخًا لهذه الأقوام فينفون العلم إما لهول الموقف أو ينفون العلم المحيط قال البيضاوي : أي لا علم لنا بما كنت تعلمه إنك أنت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم .

(١) فصلت : ٢٥ ـ ٢٩ .
(٢) القمر : ٤ ـ ٨ .
(٣) التغابن : ٩ ، ١٠ .
(٤) المائدة : ١٠٩ .

وقيل : لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة اهـ . (تفسير البيضاوي) .

﴿ يومَ يبعثُهم اللهُ جميعًا فيحلِفون له كما يحلِفون لكم ويحسَبون أنّهم على شيءٍ ألا إنّهم هم الكاذبون ﴾ (١) .

﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً ﴾ (٢) .

﴿ فكيفَ إذا جئنا من كل أُمة بشهيدٍ وجئنَا بك على هؤلاء شهيدًا * يومئذٍ يودُّ الذين كفروا وعصَوا الرّسُولَ لو تُسَوّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ المراد بالشهيد هنا : نبي الأمة فهو يشهد على إجابة أمته ، ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد بكلمة هؤلاء إما أمته وإما الأنبياء جميعًا وإما المؤمنون ممن استجاب له فإنه يشهد لهم وإما الكفرة . والآية تدل على أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام شهادة على أقوامهم أنهم بلغوهم رسالات الله .

﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ﴾ (٤) .

﴿ وتراهم يُعرَضُون عليها خاشعين من الذلّ يَنْظُرون من طَرْفٍ خفي ﴾ (٥) .

قوله تعالى ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي على النار ﴿ خاشعين من الذل ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف ، وقد رأينا وسنرى أن النار يؤتى بها إلى المحشر كما رأينا أن الكافرين يعرضون على النار في أحد مواقف يوم القيامة والآيات التي تدل على أن هناك حالات يبصر بها الكافرون يوم القيامة تشير إلى أن للكافرين بالنسبة للإبصار والصمم البكم حالات يوم القيامة فتارة ينطقون ويسمعون ويبصرون وأخرى لا يكون لهم ذلك ، ويوم

(١) المجادلة : ١٨ .
(٢) الإنسان : ٢٧ .
(٣) النساء : ٤١ ، ٤٢ .
(٤) الشورى : ٤٤ .
(٥) الشورى : ٤٥ .

القيامة طويل وأحواله كثيرة .

﴿ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مُقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومنْ يُضلل الله فما له من سبيل * استجيبوا لربكم مِن قبل أن يأتى يومٌ لا مَرَدَّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ (١) .

قوله تعالى ﴿ وما لكم من نكير ﴾ إنكار لما اقترفتموه لأنه مدّون في صحائف أعمالكم تشهد عليه جوارحكم .

﴿ يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعدَ إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

هناك بياض وسواد خَلْقيان في الدنيا فهذا وهذا لا يقربان من الله أو يبعدان بل العبرة في الدنيا والآخرة للتقوى ، وأما السواد الذي يصيب الكافرين يوم القيامة فإنه عقوبة لهم والبياض إكرام لأهل الإيمان وجعل بعضهم النص على ظاهره لكن البيضاوى في تفسيره قال : البياض والسواد كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك ا . هـ (تفسير البيضاوي) .

﴿ يومَ تجد كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خير مُحْضَرًا وما عملتْ من سوء تَوَدُّ لو أنَّ بينَها وَبيْنَه أمَدًا بعيدًا ﴾ (٣) .

﴿ ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين * لو يعلمُ الذين كفروا حينَ لا يكفُّون عن وجوههمُ النارَ ولا عن ظهورِهم ولا هم يُنْصَرُون * بل تأتيهم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُم فلا يستطيعون ردَّها ولا هم يُنظَرُون ﴾ (٤) .

(١) الشورى : ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٣) آل عمران : ٣٠ .
(٤) الأنبياء : ٣٨ ـ ٤٠ .

﴿ واقتربَ الوعدُ الحقُّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا يا ويلَنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين * إنكم وما تَعبدون من دون الله حَصَبُ جَهنَّمَ أنتم لها واردون * لو كان هؤلاء آلِهةً ما وَردُوها وكلٌّ فيها خالدون * لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يَسمعون ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ : دليل على أن من عبد من دون الله مآله النار إلا من عبد وهو كاره فهذا تحدثت عنه الآية اللاحقة ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ ، و﴿ حصب جهنم ﴾ هو ما يرمى به إليها وتهيج به وهذه الآية تشبه الآية ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ (٢) .

﴿ إنّ الذين سَبقتْ لهم منّا الحُسنَى أولئك عنها مُبعَدون * لا يَسمعون حَسيسَها وهم في ما اشتهت أنفسُهم خالدون * لا يَحزُنهم الفزعُ الأكبرُ وَتتَلقّاهُم الملائكةُ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ (٣) .

﴿ وَيَوْمَ يُناديهمْ فَيقُولُ أينَ شُركائيَ الذينَ كنتم تَزْعُمون * قال الذين حَقّ عليهمُ القولُ ربَّنَا هؤلاء الذينَ أغويْنا أغويْناهم كما غَوَيْنا تبرّأْنا إليكَ ما كَانُوا إيّانا يَعْبدون * وَقيلَ ادعُوا شُركاءَكمْ فَدَعَوْهم فلم يَسْتَجيبُوا لهم وَرَأَوُا العَذابَ لَوْ أنّهم كانُوا يَهتدُون * وَيَومَ يُناديهم فيقُول ماذا أَجَبْتمُ المرسَلين * فعَميَت عليهم الأنْباءُ يومَئذٍ فهم لا يَتَساءَلونَ ﴾ (٤) .

﴿ وَيومَ يُناديهم فيقُول أين شُركائيَ الذين كنتم تَزْعُمون * ونَزَعنا منْ كلّ أُمّةٍ شهيدًا فقُلنا هاتُوا بُرهانَكم فعلمُوا أن الحقّ للهِ وَضَلّ عنهم ما كانُوا يفتَرون ﴾ (٥) .

في هذا المشهد ثلاثة خطابات للكافرين من الله تعالى خطاب يسألهم فيه عما أشركوا وخطاب يسألهم فيه عما أجابوا المرسلين وخطاب يسألهم فيه مرة أخرى عما أشركوا وفي الخطاب الأول يتبرأ الشياطين والمعبودون ممن أشرك بهم وفي الخطاب الثاني يتحير الكافرون بماذا يجيبون وفي الخطاب الثالث يطلب من الأنبياء أن يشهدوا على أقوامهم وعلى تبليغهم رسالات الله وهذه الخطابات تكون بعد شفاعة نبينا ﷺ لفصل الخطاب وبعد أن تتميز

(١) الأنبياء : ٩٧ ـ ١٠٠ . (٢) البقرة : ٢٤ .
(٣) الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٣ . (٤) القصص : ٦٢ ـ ٦٦ .
(٥) القصص : ٧٤ ، ٧٥ .

الأمم عن بعضها بعضًا والله أعلم .

﴿ إِنَّهُ من يأتِ رَبَّه مُجْرمًا فإنَّ له جَهنَّمَ لا يَمُوت فيها ولا يحْيا * وَمَنْ يَأْتِهِ مؤمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالحاتِ فأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرجاتُ العُلَى * جنّاتُ عدْنٍ تَجْري من تحتها الأنْهارُ خالِدِينَ فيها وَذَلك جزاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١) .

﴿ إنَّ الذين فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذابُ جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ ذلك الفوزُ الكبير ﴾ (٢) .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الجنَّةُ للمتَّقِين * وَبُرِّزَتِ الجحيمُ للغاوين * وقيلَ لهم أين ما كنتمْ تَعْبدون * من دُونِ اللهِ هَلْ يَنصرُونكم أو يَنْتَصِرُون * فكُبْكِبُوا فيها هم والغَاوُون * وجُنُودُ إبليسَ أجمعُونَ * قالوا وَهم فيها يَختَصِمون * تاللهِ إنْ كنَّا لفِي ضَلالٍ مُبين * إذ نُسَوِّيكم بِرَبِّ العَالَمين * وما أضلَّنا إلاَّ المجرمُون * فما لنا منْ شافعين * ولا صَدِيقٍ حميم * فلوْ أنَّ لنا كرَّةً فنكون من المؤمنين ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت بحيث يرونها ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أي أظهرت حتى يروها والمعروف أن النار يؤتى بها إلى المحشر وكذلك الجنة ولكن الجنة تكون بعد النار والعبور إليها يكون على الصراط ، والجنة والنار مرئيتان لأهل الموقف .

وقوله تعالى ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ أي في النار ﴿ هم والغاوون ﴾ أي الضالون والمراد بالكبكبة تكرير الكب حتى يستقروا في قعرها . والضمير ﴿ هم ﴾ يعود على الآلهة المعبودة من دون الله فهم وعبادهم يكبكبون في النار هذه الكبكبة الهائلة .

﴿ وأما من أُوتِيَ كتابَه بِشماله فيقول ياليتني لم أوتَ كتابيَهْ * ولم أدرِ ما حسابيهْ * ياليتَها كانتِ القاضيةَ * ما أغنَى عنِّي ماليه * هلكَ عني سُلطانيهْ * خذوه فغُلُّوه * ثم

---

(١) طه : ٧٤ ـ ٧٦ .
(٢) البروج : ١٠ ، ١١ .
(٣) الشعراء : ٩٠ ـ ١٠٢ .

الجحيمَ صَلُّوه * ثم في سلسلةٍ ذَرْعُها سبعون ذراعًا فاسلُكوه * إنه كان لا يؤمنُ بالله العظيم * ولا يَحُضُّ على طعام المسكين * فليس له اليومَ هاهنا حميمٌ * ولا طعامٌ إلا من غِسْلين * لا يأكلُهُ إلا الخاطِئُون ﴾ (١) . من المعلوم أنه بعد الشفاعة بفصل الخطاب وبعد العرضتين اللتين يكون فيهما جدال ومعاذير تطير صحف الأعمال فالمؤمنون يأخذونها بأيمانهم والكافرون يأخذونها بشمالهم وقوله تعالى ﴿ خذوه فغلوه ﴾ أي اجعلوا الأغلال في عنقه ويديه ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ أي أدخلوه أو أحرقوه فيها ، ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه ﴾ قال البيضاوي : « أي أدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيها بينها مرهق لا يقدر على حركة » ، والغسلين : صديد أهل النار .

﴿ مَنْ جاء بالحسنة فله خير منها وهمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمنون * ومَنْ جاء بالسيئةِ فكُبَّتْ وجوههم في النَّار هل تجزَوْن إلا ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

الآية الأولى تدل على أن أهل الإيمان آمنون مما يصيب الكافرين من هلع وفزع وجزع وإهانة وسوء مصير .

﴿ انطلِقُوا إلى ما كُنتم به تكذِّبون * انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ * لا ظليلٍ ولا يُغني مِنَ اللَّهبِ * إنها تَرْمِي بشَرَرٍ كالْقَصْرِ * كأنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ * ويلٌ يومئذ للمكذِّبين ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ أي إلى النار ﴿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ أي إلى ظل دخان جهنم وهو يتشعب لعظمه وهو كقوله تعالى : ﴿ وظل من يحموم * لا بارد ولاكريم ﴾ (٤) ، وللتأكيد على أن ظل الدخان فيه مزيد من العذاب قال ﴿ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴾ ، وقوله تعالى عن النار ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ الشرر هو ما تطاير من النار متفرقًا ، كالقصر : كالبناء المشيد في العظم والارتفاع ﴿ كأنه جمالت صفر ﴾ كأن الشرر إبل سود في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة واللون.

- وتطلق العرب على الجمل الأسود الأصفر . (الجمالة) جمع جمل .

(١) الحاقة : ٢٥ - ٣٧ . (٢) النمل : ٨٩ - ٩٠ .
(٣) المرسلات : ٢٩ - ٣٤ . (٤) الواقعة : ٤٣ ، ٤٤ .

﴿ هذا يومُ لا يَنْطِقُونَ * ولا يُؤذَنُ لهم فيَعتذرونَ * ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ [١] .

قوله تعالى ﴿ هـذا يوم لا ينطقون ﴾ معنـاه أي بمـا لا ينفع أو لا ينطقون أصلا ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ لأنـه لا محل لاعتـذارهم بعـد مـا فعلوه . والظـاهر أن عـدم النطق وعدم السّماح بالاعتـذار يكون في بعض المواقف وإلا فقـد أخبرنـا الله عز وجل أن كل نفس تجادل عن نفسها : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسهـا ﴾ [٢] ، ولكن هنـاك مرحلـة في الـموقف لا محـل فيهـا لنطـق أو اعتـذار لهيبـة الـموقف وهنـاك مرحلـة ينتهي فيهـا النطـق والاعتذار لأن الحجج قد قامت على أهل النار من جهات متعددة فلا فائـدة في نطق ولا اعتـذار.

﴿ هـذا يـومُ الفَصْـلِ جمعنـاكُم والأوَّلين * فـإنْ كان لكم كيـدٌ فكيـدونِ * ويـلٌ يَـومئـذٍ للمكذّبين ﴾ [٣] .

﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أي بين الحق والمبطل .

﴿ كـلا بـل تحبـون العـاجلـةَ * وتـذَرُون الآخرة * وجـوهٌ يـومئـذٍ نـاضرةٌ * إلى رَبِّهـا ناظرة * ووجوهٌ يومئذ باسِرةٌ * تَظنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقرة ﴾ [٤] .

يرى المؤمنون الله عز وجل في عرصات القيـامـة كما يرونـه في الجنـة والظـاهر أن الآيـة تتحدث عن رؤيته في عرصات القيامة بدليل مـا بعـد ذلـك وقولـه تعـالى ﴿ وجوه يومئـذ ناضرة ﴾ أي بهية متهللـة ، ﴿ ووجوه يومئـذ بـاسرة ﴾ أي شـديـدة العبوس . ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ أي تتوقع داهية تكسر فقار الظهور .

﴿ فإذا جاءت الصّاخة * يومَ يَفِرُّ المرء من أخيه * وأمِه وأبيه * وصـاحبتـه وبنيـه * لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغْنيه * وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ * ضاحكـة مُسْتَبْشِرة * ووجوهٌ يومئذ عليها غَبَرةٌ * تَرْهَقُها قَتَرةٌ * أولئك هم الكَفَرَة الفَجَرة ﴾ [٥] .

﴿ الصاخة ﴾ أي النفخة ، ﴿ مسفرة ﴾ أي مضيئة ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ أي

---

(١) المرسلات : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٢) النحل : ١١١ .
(٣) المرسلات : ٣٨ ـ ٤٠ .
(٤) القيامة : ٢٠ ـ ٢٥ .
(٥) عبس : ٣٣ ـ ٤٢ .

غبار وكدورة ﴿ ترهقها قترة ﴾ أي يغشاها سواد وظلمة .

﴿ الذين يُحشَرون على وجوههم إلى جهنّم أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ سبيلا ﴾ (١) .

﴿ فوربِّك لنحشرَنَّهم والشياطينَ ثم لَنُحضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جهنّم جثيًّا * ثم لَنَنْزِعنَّ مِن كلِّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتيًّا * ثم لنحن أعلمُ بالذين هُمْ أولى بها صِلِيًّا * وإنْ مِنْكم إلا واردُها كان على رَبِّك حَتْمًا مقضيًّا * ثم نُنجّي الذين اتقَوا ونَذَرُ الظّالمين فيها جثِيًّا ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾ أي لنحشرن كل كافر مع شيطانه مقرونًا به . ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا ﴾ الظاهر أن هذا يكون لجميع الخلق ليزداد السعيد سعادة بأن أنجي من هذه النار ويزداد الكافر هولاً بما يرى من مآل ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ أي من كل أمة ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ أي أكثر عصيانا فنطرحهم فيها ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ أي أولى بالعذاب بالنار ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الكافرون يردونها مسجونين فيها أبدًا وعصاة المؤمنين يسجنون فيها مؤقتا والمؤمنون يردون عليها فوق الصراط في طريقهم إلى الجنة ، ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ كان ورودهم واجبًا أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعدًا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه . ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ بأن يعبروا إلى الجنة ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ أي باركين على الركب كما كانوا جاثين حولها والظاهر أن الآيات تتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة وذلك بعد الحساب والميزان فإن الجميع يؤخذ بهم حتى يجثوا حول النار فيشاهدوها عن قرب .

﴿ يومَ يُكشَفُ عن ساق ويُدعوْن إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترْهقهم ذلّةٌ وقد كانوا يُدعَوْن إلى السجود وهم سالمون ﴾ (٣) .

هذا المشهد يكون بعد أن تميز الأمم عن بعضها بعضًا ويرى المؤمنون ربهم ويتعرفون عليه فعندئذ يسجد أهل الإيمان ويريد أهل النفاق أن يسجدوا فلا يستطيعون وذلك بعد

(١) الفرقان : ٣٤ .
(٢) مريم : ٦٨ - ٧٢ .
(٣) ن : ٤٢ ، ٤٣ .

الشفاعة لفصل الخطاب .

﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾[1] .

﴿ ناكسو رءوسهم ﴾ أي من الحياء والخزي قائلين : ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي أبصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك والظاهر أن هذا المشهد يكون بعد أن تقوم عليهم الحجة بشهادة الملائكة والنبيين والأعضاء .

---

(١) السجدة : ١٢ .

٢ ـ نصوص حديثية

١١٨٠ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يُحْشَر الناس يومَ القيـامـةِ على ثلاث طرائقَ : راغبين وراهبين ، واثنـان على بعير ، وثلاثةً على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتَحْشُرُ بقيَّتَهم النـارُ ، تَقيل معهم حيث قـالوا ، وتَبيت معهم حيث بـاتوا ، وتُصبِح معهم حيث أصبحوا ، وتُمسي معهم حيث أمْسَوْا » .

أقول : هذه النار التي تحشر الناس إلى الموقف غير النار التي مر ذكرها معنا على أنها آخر أشراط الساعة فتلك تكون قبل قيام الساعة .

١١٨١ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « يُحشَرُ الناس يوم القيامة ثلاثةَ أصناف : صنفًا مشاةً ، وصِنْفًا ركبانًـا ، وصِنْفًـا على وجوههم » ، قيل : يارسولَ الله ، وكيف يَمْشُون على وجوههم ؟ قـال : « إنَّ الذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ على أن يُمْشِيَهم على وجوههم ، أمـا إنهم يَتَّقُون بوجوههم كلَّ حَدَب وشَوكٍ » .

١١٨٢ ـ * روى الترمـذي عن بهز بن حكيم رحمه الله عن أبيـه عن جـده قـال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّكُم تُحشرون رِجالاً ورُكبانا ، وتُجرُّون على وجوهكم » .

١١٨٠ ـ البخـاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٥ ـ باب الحشر .
مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ ـ باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .
والنسائي (٤ / ١١٥) ٢١ ـ كتاب الجنائز ، ١١٨ ـ باب البعث .
(طرائق) : جمع طريقة : وهي الحالة .
(تقيل) : من القائلة ، والقيلولة : كسر الحرّ .

١١٨١ ـ الترمذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ١٨ ـ باب ومن سورة بني إسرائيل . وقال : حديث حسن .

١١٨٢ ـ الترمـذي (٥ / ٣٠٥) ٤٨ ـ كتـاب التفسير ، ١٨ ـ بـاب ومن سـورة بني إسرائيـل . وقـال : حـديث حسن . وهو حسن بشواهده .

١١٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ، قال الله تعالى : ﴿ الذين يُحشَرون على وجوههم إلى جهنم ﴾ (١) أيُحشَرُ الكافرُ على وجهه ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « أَلَيْس الذي أمْشَاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يُمشيَه على وجهه يوم القيامة ؟ » قال قتادةُ حين بَلَغه : بلَى ، وعِزَّةِ ربِّنا .

١١٨٤ - * روى مسلم عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُبْعَثُ كل عبدٍ على ما مات عليه » .

١١٨٥ - * روى الطبراني عن جرير عن النبي ﷺ قال : « من يتزودْ من الدنيا ينفعْه في الآخرة » .

١١٨٦ - * روى أبو يعلى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أنتم الغُرُّ المُحجَّلُون » .

١١٨٧ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بن عمرو قال : كنت عند رسول الله ﷺ يومًا وطلعت الشمس فقال : « يأتي قومٌ يوم القيامة نورُهم كنورِ الشمسِ » قال أبو بكرٍ : نحن هم يارسولَ الله ؟ قال : « لا ولكم خيرٌ كثيرٌ ، ولكنهم الفقراءُ المهاجرون الذين يُحشرون من أقطار الأرض » .

١١٨٣ - البخاري (٨ / ٤٩٢) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة (٢٥) ، ١ - باب الذين يحشرون على وجوههم .. إلخ.
مسلم (٤ / ٢١٦١) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١١ - باب يحشر الكافر على وجهه .

(١) الفرقان : ٣٤ .

١١٨٤ - مسلم (٤ / ٢٢٠٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٩ - باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

١١٨٥ - المعجم الكبير (٢ / ٣٠٥) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٤) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٨٧ - أحمد (٢ / ٢٢٢) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٨) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير وزاد في الكبير : (ثم قال : طُوبى للغرباء طُوبى للغرباء . قيلَ : من الغرباء ؟ قال : ناسٌ صالحون قليلٌ في ناسِ سوءٍ كثيرٍ من يَعصيهم أكثرُ من يُطيعُهم) . وفي رواية : فقال أبو بكر وعمر : نحن هم . وله في الكبير أسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .

أقول : الخصوصية لا تقتضي الأفضلية ، فالذين ذكروا ليسوا أفضل من أبي بكر ولكن لهم خصوصية .

١١٨٨ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامةِ قامتْ ثُلَّةٌ من الناس يَسُدُّون الأفق ، نورُهم كالشمس ، فيُقالُ : النبيُّ الأُميُّ فَيَتَحَشْحَشُ لها كلُّ نبي فيقالُ محمدٌ وأمتُهُ ، ثم تقومُ ثُلةٌ أخرى تَسُدُّما بين الأفقِ ، نورُهم مثلُ كلِّ كوكبٍ في السماء فيقال النبيُّ الأُميُّ،فَيَتَحَشْحَشُ لها كلُّ نبي ثم يُحثى حَثْيتين فيقال : هذا لكَ يامحمدُ وهذا مني لك يامحمد ثم يُوضَعُ الميزانُ ويؤخذُ في الحسابِ » .

١١٨٩ - * روى أبو يعلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ الناس جُمِعوا للحِسابِ » .

١١٩٠ - * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : « إنكم مجموعون بصعيد واحد يُنْفِذُكم البصرُ وتَسْمَعون الدَّاعي » .

١١٩١ - * روى البزار عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا : « إنكم تُحشرون إلى بيت المقدسِ ثم تَجتمعون يومَ القيامة » .

أقول : من المعلوم أن نار عدن التي تخرج قبيل الساعة تحشر الناس إلى الشام فالنص يحتمل الإشارة إلى هذا ويحتمل الإشارة إلى ما يحدث من اجتماع المؤمنين في مرحلة نزول المسيح عليه السلام ويحتمل الحشر بعد البعث وفي كل الأحوال فإن مركز الحشر بلاد الشام ومركز بلاد الشام بيت المقدس .

١١٨٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٨) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله وثقوا .

التَّحَشْحُش : التحرك للنهوض .

١١٨٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٥) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

١١٩٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٣) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رياح النخعي وهو ثقة .

١١٩١ - كشف الأستار (٤ / ١٥٢) .

والمعجم الكبير (٧ / ٣٦٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٣) . وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناد الطبراني حسن .

١١٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ ، كَقُرْصةِ النَّقِيِّ ليس فيها عَلَم لأحد » .

وفي رواية (١) إلى قوله : « كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ » ثم قال : قال سهلٌ ، أو غيره « ليس فيها مَعْلَم لأحد » .

١١٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُحْشَر الناسُ حُفاةً عراةً غُرلاً » قالت عائشةُ ، فقلتُ : الرجالُ والنساء جميعًا ينظرُ بعضُهم إلى بعض ؟ قال : « الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك » .

وفي رواية (٢) : « من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

وللنسائي (٣) في أخرى قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه » .

١١٩٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ على المِنبَرِ يقولُ : « إنَّكم مُلاقُو اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً » زاد في رواية (٤) في أوله : « مشاةً » وزاد في رواية (٥) : قال سفيانُ هذا مما يُعَدُّ أنَّ ابنَ عباسٍ

١١٩٢ - البخاري (١١ / ٣٧٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٤ - باب يقبض الله الأرض يوم القيامة .
مسلم (٤ / ٢١٥٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٢ - باب في البعث والنشور ... إلخ .
(عفراء) : أرض عفراء : بيضاء ، والعفرة : البياض .
(النَّقِيّ) : أراد به الخبز الأبيض الحُوَّارَى .
(١) البخاري (١١ / ٣٧٢) : الموضع السابق .
١١٩٣ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .
مسلم (٤ / ٢١٩٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .
والنسائي (٤ / ١١٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١١٨ - باب البعث .
(٢) مسلم (٤ / ٢١٩٤) : للموضع السابق .
(٣) النسائي (٤ / ١١٤) : للموضع السابق .
١١٩٤ - البخاري (١١ / ٣٧٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .
مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٤ - باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة .
(٤) البخاري (١١ / ٣٧٧) : الموضع السابق .
(٥) البخاري (١١ / ٣٧٧) : الموضع السابق .

سَمِعه من النبيِّ ﷺ .

وفي أخرى (١) قال : قـام فينا رسولُ الله ﷺ بموعظة ، فقال : « ياأيُّها النـاسَ إنَّكم محشورون إلى الله حُفاةً عُراةً غُرْلاً ﴿ كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعيده وعدًا علينا إنا كنَّا فاعلين ﴾ (٢) ألا إنَّ أولَ الخلائِقِ يُكْسَى يوم القيامة : إبراهيمُ عليه السلام ، ألا وإنه سَيُجاءُ برجالٍ من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يـاربِّ ، أصحابي ، فيقول : إنَّكَ لا تدري ما أحدَثوا بَعدَك ، فأقول كما قال العبدُ الصالحُ ﴿ وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمت فيهم ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ العزيز الحكيم ﴾ » (٣) قال : « فيُقالُ لي : إنَّهم لم يزالوا مُرْتَدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم » .

زاد في رواية (٤) : « فأقول : فَسُحْقًا ، فَسُحقًا » .

أقول : هذا النص محمول على من ارتد من أصحابه بعد وفاته وقتل وهو مرتد وهؤلاء الذين حدث لهم ذلك ناس قليلون من جفاة الأعراب الذين لم يتأثروا بالتربية النبوية وسيمر معنا هذا الموضوع بمناسبة الكلام عن الحوض وننقل هناك بعض ما ذكره ابن حجر حوله .

١١٩٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ (٥) قال : « يقومُ أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أُذُنَيْه » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٥) : الموضع السابق .

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) المائدة : ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض .

١١٩٥ ـ البخاري (١١ / ٣٩٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٧ ـ باب قول الله تعالى ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٥) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ ـ باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

والترمذي (٤ / ٦١٥) ٧٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٢ ـ باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) المطففين : ٦ .

١١٩٦ - * روى مسلم عن المقداد الأسودِ رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: « تُدنَى الشمسُ يومَ القيامةِ من الخَلقِ ، حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ » زاد الترمذي « أو اثنين » قال سُلَيمُ بنُ عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض ، أو الميل الذي تُكْحَلُ به العين ؟ - قال : « فيكون الناسُ على قَدْر أعمالِهم في العَرَقِ ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى رُكبتيه ، ومنهم من يكون إلى حَقْويه ، ومنهم من يُلْجِمُهُ العرقُ إلجامًا » وأشارَ رسولُ الله ﷺ بيده إلى فيه .

وفي رواية الترمذي (١) قال : « فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمسُ ، فيكونون في العَرَق كقدر أعمالهم » ... الحديث .

أقول : مر معنا من قبل أن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وهذا يفيد أن شمسنا الحالية لا تبقى فالشمس المذكورة في الحديث شمس أخرى والله أعلم فأمر القيامة غيب .

١١٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يَعرَقُ الناسُ يوم القيامة ، حتى يذهب في الأرض عَرَقُهُم سبعين ذراعًا ، وإنه يُلجِمُهُم حتى يبلغ آذانَهم » .

١١٩٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن عبد العزيز العَطّار عن أنسِ بنِ مالك لا أعلَمُهُ إلا رفَعَهُ قال « لم يلقَ ابنُ آدمَ شيئًا منذ خلَقَهُ الله عز وجل أشدَّ عليه من الموتَ

١١٩٦ - مسلم (٤ / ٢١٩٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

والترمذي (٤ / ٦١٤) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الترمذي (٤ / ٦١٤) : نفس الموضع .

(حقويه) : الحقو : مشدُّ الإزار عند الخصر .

١١٩٧ - البخاري (١١ / ٣٩٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ... ﴾ .

ومسلم (٤ / ٢١٩٦) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٥ - باب في صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهوالها .

١١٩٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

ورواه أحمد(٣ / ١٥٤) باختصار عنه ولم يشك في رفعه ، وإسناده جيد .

أهونُ مما بعدَه وإنهم لَيَلْقَون من هول ذلكَ اليوم شِدةً حتى يُلجِمَهم العرقُ حتى إن السفن لو أُجْرِيَتْ فيه لَجَرَتْ » .

١١٩٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالنار يومئذ لها سبعون ألفَ زِمام ، مع كل زِمام سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرُّونها » .

١٢٠٠ - * روى البخاري ومسلم عن أنس قال : قال رسولُ الله ﷺ « يَجْمَعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامة ، فيهتمُّون لذلك » وفي رواية : « فَيُلْهَمُون لذلك فيقولون : لو استشفعْنا إلى ربِّنا ، حتى يُريحَنَا من مكاننا هذا ؟ » قال : « فيأتون آدمَ فيقولون : أنتَ آدمُ أبو الخلق ، خلقَكَ اللهُ بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمرَ الملائكَةَ فسجدوا لك . اشْفَعْ لنا عند ربك حتى يُرِيحَنَا من مكاننا هذا ، فيقولُ : لستُ هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب . فيستحي ربَّه منها ، ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثَهُ اللهُ إلى أهل الأرض » قال : « فيأتون نوحًا ، فيقول : لستُ هُناكم ، فيذكر خطيئَته التي أصاب ، فيستحي رَبَّه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لستُ هناكم ، وذكر خطيئته التي أصابَ ، فيستحي ربَّه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمه الله وأعطاه التوراةَ » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لستُ هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي رَبَّه منها ، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ اللهِ وكلمتَه فيأتون عيسى رُوح الله وكلمتَه ، فيقول : لستُ هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ، عبدًا غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ» قال : قال رسول الله ﷺ : « فيأتونني ، فأستأذِن على ربي ، فيُؤْذَن لي ، فإذا أنا رأيتُهُ وقَعْتُ ساجدًا ، فَيدَعُني ما شاءَ الله ، فيُقالُ : يامحمدُ ، ارفعْ ، قُلْ يُسْمَع ، سَلْ تُعْطَه اشفع تشفَّع ، فأرفعُ رأسِي ، فأحمدُ ربي

١١٩٩ - مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم ، ... إلخ .

١٢٠٠ - البخاري (٨ / ١٦٠) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة البقرة ، ١ - باب قول الله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

مسلم (١ / ١٨٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

بتحميد يُعلِّمُنيهِ رَبِّي ، ثم أشفع ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا ، فأُخْرِجُهُمْ مِنَ النـار ، وأُدْخِلُهم الجنةَ ، ثم أعودُ فأقع ساجدًا ، فيدَعُني ما شاء الله أن يَـدَعَني ، ثم يقـال لي : ارفع يامحمدُ ، قلْ يُسمعْ ، سَلْ تُعْطَه ، اشفعْ تُشفَّع ، فأرفعُ رأسي ، فأحمد ربي بتحميـد يعلِّمنيه ، ثم أشفعُ ، فيَحُدُّ لي حدًّا ، فأُخرجُهم من النار ، وأُدْخِلُهم الجنـةَ » قـال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة « فأقول : ياربِّ ، مـا بقي في النـار إلا من حَبَسـه القرآنُ » أي وجبَ عليه الخلودُ .

أقول : بدأ الحـديث يـذكر طلب الشفـاعة لفصل القضـاء ، ثم ذكر الشفـاعـة للإخراج من النار ودخول الجنة ، فالحديث طوى مـا حـدث من شفاعة لفصل الخطـاب لأنهـا قـد حصلت وذكر شفـاعـات أخرى لأن السـامـع يفهم ذلـك من سيـاق الخطـاب . قـال ابن كثير في توضيح هذا المعنى في كتابه النهاية :

والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهـذا الحـديث من أكثر طرقـه لا يـذكرون أمر الشفاعة الأولى في أن يأتي الرب لفصل القضاء كما ورد هـذا في حـديث الصور كما تقـدم وهو المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أول الحديث أن الناس إنما يستغيثون إلى آدم فمن بعـده من الأنبياء طمعًا في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ذلك كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه فإذا وصلوا إلى المحشر فإنما يذكرون الشفـاعـة في عصاة الأمـة وإخراجهم من النـار ، وكان مقصود السلف في الاقتصار على هـذا المقـدار من الحـديث هو الرد على الخوارج ومن تـابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها يذكرون هذا القدر من الحـديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث . اهـ .

١٢٠١ ـ * روى البزار مـوقـوفًـا عن حـذيفـة قـال : يجمـعُ اللهُ النَّـاسَ في صعيـدٍ واحـد ولا تَكَلَّمُ نفسٌ فـأول مَنْ ـ أحسَبُـه قـال ـ يتكلَّمُ محمـد ﷺ فيقـول : « لبيـك وَسعـديـكَ والخيرُ في يـديـك والشرُّ ليس إليـك والمَهـديُّ من هَـديت وعبـدك بين يـدَيـكَ

١٢٠١ ـ كشف الأستار (٤ / ١٦٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٧) وقال : رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح .

ومنك وإليك لا ملجأ ولاَ مَنجَى مِنكَ إلا إليك تباركتَ وتعاليتَ سبحانك ربَّ البيت » فهذا قوله ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ .

١٢٠٢ - * روى أحمد عن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يُبعَثُ النـاسُ يومَ القيامة فأكون أنا وأمتي على تَلٍّ ويَكسوني ربِي حُلةً خَضْرَاءَ ثم يُؤذَنُ لي فأقول ما شاءَ الله أن أقول فذلكَ المقامُ المحمودُ » .

أقول : المقام المحمود هو الذي يشفع فيه رسول الله ﷺ لأهل الموقف بعد طول الوقوف ليفصل الله عز وجل في شأنهم وهذه الشفاعة هي التي تسمى شفاعة فصل الخطاب ولرسول الله ﷺ شفاعتان بعدها تكونان بعد أن يلجأ الناس إلى الأنبياء ، فيحال الأمر عليه ، وهي الشفاعة لجواز الصراط ، والشفاعة لدخول الجنة وله مع ذلك ست شفاعات أخرى سنراها والشفاعات الثلاثة الأولى كلها تدخل تحت ما يُسَمَّى المقام المحمود .

١٢٠٣ - * روى الطبراني عن مُعاذِ بنِ جبلٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول اللهُ عز وجل للمؤمنين يومَ القيامةِ وبأول ما يقولون » . قالوا : نعم قال : « إن اللهَ عز وجلَّ يقولُ للمؤمنين : هل أحببتم لِقائي ؟ فيقولون : نعم ياربَّنا ، فيقول : لِمَ ؟ فيقولونَ : رجونا رحمتَك وعَفْوك . فيقولُ : فقد وجبتْ لكم رَحْمتي » .

١٢٠٤ - * روى الترمذي عن عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « يُحْشَرُ المتكبِّرون يوم القيامة أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرجال ، يَغشاهم الذُّل من كلِّ مكانٍ ، يُسَاقُون إلى سِجنٍ في جهنم ، يقال

١٢٠٢ - أحمد (٣ / ٤٥٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٥١) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٠٣ - للمعجم الكبير (٢٠ / ١٢٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٨) . وقال : رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن .

١٢٠٤ - الترمذي (٤ / ٦٥٥) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٤٧ - باب حدثنا سويد بن نصر .

وقال : حديث حسن صحيح .

=

لـه : بُولس ، تعلوهم نـارُ الأنيـار ، يُسقَوْن من عُصـارة أهـل النـارِ طينـةِ الخَبالِ » .

١٢٠٥ - * روى البخـاري عن أبي هريرة رضي الله عنـه أنّ النبيَّ ﷺ قـال : « أوّلُ مَنْ يُدْعى يوم القيـامـة : آدمُ عليـه السلام ، فَتَراءى ذرِّيتُـه ، فيقـال لهم : هـذا أبـوكم آدم ؟ فيقـول : لبَّيْـكَ وَسَعْـدَيـك ، فيقـول : أَخْرِجْ بَعْثَ جهنَّم من ذُرِّيتِـك ، فيقـولُ : يـاربِّ ، كم أُخرِجُ ؟ فيقـول : أَخرِجْ من كُلِّ مـائـةٍ تسعـة وتسعين » ، فقـالـوا : يـارسـولَ الله ، إذا أُخِـذَ مِنّـا من كلِّ مـائـةٍ تسعـة وتسعـون فـاذا يبقى مِنّا ؟ قال : « إنَّ أُمَّتي في الأمم كالشَّعْرَةِ البيضاء في الثور الأسود » .

١٢٠٦ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي سعيـدٍ الخُـدري رضي الله عنـه قـال : قـال النبيُّ ﷺ : « يقـولُ الله عـز وجـل يـوَم القيـامـة : يـاآدمُ ، فيقـول : لَبَّيْـك وسعـديـك » زاد في روايـة :« والخير في يديك فيُنـادَى بصوت : إن الله يـأمُرُكَ أن تُخْرِجَ من ذُرِّيَّتـك بَعْثًـا إلى النـار ، قـال : يـاربِّ ، ومـا بَعثُ النـار ؟ قـال : من كل ألفٍ تسعُمائـة وتسعـة وتسعـون ، فحينئـذٍ تَضَـعُ الحـامـل حملَهـا ، ويشيبُ الـوليـدُ ﴿ وترى النّاس سُكارَى ومـاهم بسكارى ولكنَّ عـذابَ الله شـديـد ﴾ »[1] فشقَّ ذلك على الناسِ حتى تغيَّرت وجوههم .

زاد بعضُ الرواة[2] : قـالـوا : يـارسـول الله ، أيُّنـا ذلـك الرجـلُ ؟ فقـال رسـولُ الله ﷺ : « من يـأجوج ومـأجـوج تسعمائـة وتسعـة وتسعـون ، ومنكم واحـد - ثم أنتم في النـاس كالشَّعْرة السـوداءِ في جَنْبِ الثـورِ الأبيضِ ، أو كالشعرة البيضـاء في

= (طينة الخبال) : جاء تفسيرها في بعض الحديث : قيل : يا رسولَ الله ، وما طينةُ الخبال ؟ قال : « هي صديد أهل النار » .

١٢٠٥ - البخاري (١١ / ٣٧٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٥ - باب الحشر .

١٢٠٦ - البخاري (٨ / ٤٤١) ٦٥ - كتاب التفسير ، تفسير سورة الحج ، ١ - باب ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ .

مسلم (١ / ٢٠١) ١ - كتاب الإيمان ، ٩٦ - باب قوله : « يقول الله لآدم أخرج بعث النار .... » .

(١) الحج : ٢ .

(٢) البخاري (٨ / ٤٤١) الموضع السابق .

جنب الثور الأسود » .

وفي رواية (١) : « أو كالرَّقْمَة في ذِراع الحِمار - وإني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنةِ » ، فكبّرنا ، ثم قال : « ثُلُثَ أهلِ الجنةِ » فكبّرنا ، ثم قال : « شَطْرَ أهل الجنة » ، فكبّرنا .

١٢٠٧ - * روى البخاري عن أبي سعيد قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يقول اللهُ : يا آدمُ ، فيقول : لَبّيك وسَعدَيك ، والخيرُ في يدَيك » . قال : « يقول : أخرِجْ بَعثَ النار ، قال : وما بعثُ النار ؟ قال : من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاكَ حين يشيبُ الصغير ، وتَضعُ كلُّ ذاتِ حمل حملها ، وترَى النَّاسَ سَكْرَى وما هم بسكْرى ولكنَّ عذاب الله شديد » . فاشتدَّ ذلك عليهم فقالوا : يارسولَ الله أيُّنا ذلك الرجلُ ؟ قال : « أبشروا ، فإن من يأجوجَ ومأجوجَ ألفًا ومنكم رجل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، إني لأطمعُ أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة » . قال فحمدْنا الله وكبّرْنا . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، إني لأطمعُ أن تكونوا شطرَ أهلِ الجنة إن مَثلكم في الأمم كمثل الشَّعرةِ البيضاء في جلد الثورِ الأسود ، أو كالرَّقمةِ في ذِراعِ الحمار » .

قال ابن حجر في فتح الباري :

قوله (أخرج بعث النار) ... معناها هنا مَيِّز أهل النار من غيرهم ، وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء ، فقد رآه النبيُّ ﷺ ليلة الإسراء وعن يمينه أسودة ... وعن شماله أسودة الحديث كما تقدم في حديث الإسراء ، وقد أخرج ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن قال : يقول الله لآدم : ياآدم أنت اليوم عدل بيني وبين ذريتك ، قم فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم ... وفي التوفيق بين العددين من كل ألف واحد ومن كل مائة واحد قال الكرماني : والمقصود

---

(١) مسلم (١ / ٢٠٢) الموضع السابق .

١٢٠٧ - البخاري (١١ / ٣٨٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٦ - باب قوله عز وجل : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ .

من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين اهـ . قلت : ومقتضى كلامه الأول تقديم حديث أبي هريرة على حديث أبي سعيد فإنه يشتمل على زيادة ، فإن حديث أبي سعيد يدل على أن نصيب أهل الجنة من كل ألف واحد ، وحديث أبي هريرة يدل على عشرة فالحكم للزائد ، ومقتضى كلامه الأخير أن لا ينظر إلى العدد أصلا بل القدر المشترك بينهما ما ذكره من تقليل العدد ، وقد فتح الله تعالى في ذلك بأجوبة أخر وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد ، وحمل حديث أبي هريرة ومن وافقه على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة ، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ، ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق والثاني بخصوص هذه الأمة ، ويقربه قوله في حديث أبي هريرة « إذا أخذ منا » لكن في حديث ابن عباس « وإنما أمتي جزء من ألف جزء » ويحتمل أن تقع القسمة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة فيكون من كل ألف واحد ومرة من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألف عشرة ، ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعون كافرًا ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيًا والعلم عند الله تعالى . قوله (فذاك حين يشيب الصغير وتضع ، وساق إلى قوله شديد) ظاهره : أن ذلك يقع في الموقف ، وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب ، ومن ثم قال بعض المفسرين : إن ذلك قبل يوم القيامة ، لكن الحديث يرد عليه ، وأجاب الكرماني بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل ، وسبق إلى ذلك النووي فقال : فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال : التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت : كما تقول العرب : وأصابنا أمر يشيب منه الوليد ، وأقول : يحتمل أن يحمل على حقيقته ، فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا والمرضع مرضعة والطفل طفلاً ، فإذا وقعت زلزلة الساعة ، وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة).اهـ. (الفتح) .

أقول : وقع في رواية أبي هريرة (أول من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام) : هذه الأولية هنا تحتمل الأولية المطلقة وتحتمل الأولية النسبية فإن كان المراد الأولية المطلقة فذلك يكون حين يميز أهل النار من أهل الجنة في الموقف قبل الحساب والميزان وإقامة الحجج ، وإن كان المراد الأولية النسبية وهي ما تدل عليه النصوص التي تذكر خطاب الله لرسولنا عليه الصلاة والسلام آذنًا له بالشفاعة لفصل الخطاب ، فذلك يكون في موقف من مواقف يوم القيامة وذلك بعد أن يتم الحساب والميزان وعندئذ يُنَادَى آدمُ ليخرج بعث النار ، وهذا الذي أرجحه في هذا المقام ، وهذه النصوص الواردة في بعث النار تدل على كثرة يأجوج ومأجوج بالنسبة لسكان الأرض ، وهذا يرجح ما ذكرناه أثناء الكلام عن يأجوج ومأجوج ويرد على من يزعم أن سد يأجوج ومأجوج لازال موجودًا يحجزهم عن الخروج وأنهم وإياه في مكانٍ ما على الأرض لا زال مجهولاً ، فهذا يتعارض تعارضًا صريحًا مع الواقع المعروف ومع هذه النصوص ، ثم إن النصوص القرآنية الواردة في يأجوج ومأجوج لا تفيد ما يذكره هؤلاء بل هي محمولة على ما اتجهنا إليه دون تكلف .

١٢٠٨ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول يومَ القيامة لآدَمَ عليه السلام : قُمْ فجهزْ من ذُريتك تسعَمائة وتسعةً وتسعين إلى النار ، وواحدًا إلى الجنة » ، فبكى أصحابه وبكَوا ثم قالَ لهم رسولُ الله ﷺ: « ارفعوا رؤوسَكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » فخففَ ذلك عنهم .

١٢٠٩ - * روى أبو يعلى عن أنس قال : نزلت ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ إلى قوله ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ على النبي ﷺ في مسير له فرفعَ بها صوتَهُ حتى ثابَ إليه أصحابُه ، فقال : « أتدرون أيَّ يومٍ هذا ؟ يومَ يقولُ اللهُ لآدمَ : قم فابعثْ بعثًا إلى النار من كل ألف تسعُمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحدٌ إلى الجنة » فكبر ذلك

١٢٠٨ - أحمد (٦ / ٤٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٣) وقال : رواه أحمد والطبراني وإسناده جيد .

١٢٠٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي ، وهو ثقة .

على المسلمين فقال النبي ﷺ : « سَدِّدوا وقاربوا وأبْشِروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشَّامَةِ في جَنْبِ البعير أو كالرَّقْمةِ في ذِراع الدابة . إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قَطُّ إلا كَثَّرتاه : يـأجوجَ ومـأجوجَ ومن هَلَـكَ من كَفرةِ الجنِّ والإنس».

١٢١٠ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ من النـار يـومَ القيـامـة ، لـه عينـانِ تُبْصِرانِ ، وأُذنـان تَسمَعَـان ، ولِسـان يَنطِقُ ، يقول : إني وُكِّلْتُ بثلاثـةٍ ، بمن جَعَلَ مـع الله إلهـا آخرَ ، وبكل جبَّار عنيدٍ ، وبالمصوِّرين » .

أقول : الظاهر أن هذا العنق يخرج بعد أن تقام الحجة على الناس قيامًا كاملاً بالشهادات وبالصحف وبالوزن والميزان .

١٢١١ ـ * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه قـالَ : قـالَ : رسولُ الله ﷺ : « يُعْرَضُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضاتٍ ، فـأمـا عرضتـان ، فجـدال ومَعَـاذيرُ وأما العَرْضةُ الثالثةُ ، فعند ذلك تطيرُ الصُّحُفُ في الأيدي ، فـآخِـذٌ بيمينِـهِ وآخِـذٌ بشماله » .

أقول : وقد تعجّب ابن كثير في كتابه النهاية من تضعيف الترمذي للحـديث ونـاقش ذلـك.

الظاهر أنه بعد الوقوف الطويل والإذن بالشفـاعـة لفصل القضـاء تكون العرضـة الأولى ويكون السؤال عن الشرك وعن الاستجـابـة للرسل ويكـون تنصـل وعتـاب ، وفي العرضـة الثانية تشهد الرسل وينكر الكافرون ويشهد محمد ﷺ وأمته على صدق شهـادة الرسل وتقوم

١٢١٠ ـ الترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١ ـ باب مـا جـاء في صفـة النـار .
وقال : حديث حسن صحيح غريب .
(عنق) : العُنق : طائفة من الناس ، والمراد به : طائفة من النار كالعنق .
(جبار عنيد) : الجبّار : القهّارُ المتكبّر ، والعنيد : الجائر عن الحق ، كالمعاند له .

١٢١١ ـ الترمذي (٤ / ٦١٧) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٤ ـ باب ما جاء في العرض . وقال : لا يصح هـذا الحـديث من قِبَل أنّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى .
وإسناده ضعيف فإن الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة ولا من أبي موسى الأشعري ، قال الحافظ في « الفتح » بعد نقل كلام الترمذي هذا : وأخرجه البيهقي في « البعث » بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا .

الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فيعرف كل إنسان ذنوبه ثم يكون الحساب والميزان وقد ذهب ابن كثير في كتابه النهاية إلى أن الحساب يكون قبل الميزان ، قال رحمه الله :

قال أبو عبد الله القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال ؛ لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لنفس الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، فيكون الجزاء بحسبها قال : وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات ، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

وبمناسبة الكلام عن حديث العرضات الثلاث نقل ابن حجر في فتح الباري ما يلي :

قال الترمذي الحكيم : الجدال للكفار يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا ، والمعاذير اعتذار الله لآدم وأنبيائه بإقامته الحجة على أعدائه ، والثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر . اهـ .

أقول : أمّا مَا ذكره الترمذي الحكيم في الجدال فَمسلم ، أما ما بعده فغير مُسلم ؛ فكيف يعتذر الله عزّ وجل والموقف موقف جلال ، وتخصيص العرضة الثالثة بالمؤمنين يتنافى مع النص : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [١] .

١٢١٢ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَتُؤدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يومَ القيامة ،حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحاء من الشاةِ القَرْناء » .

١٢١٣ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يُقْتَصُّ

---

(١) الإسراء : ١٣ .

١٢١٢ - مسلم (٤ / ١٩٩٧) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ - باب تحريم الظلم .

والترمذي (٤ / ٦١٤) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

وقال : حديث حسن صحيح .

(الجلحاء) شاة جلحاء : لا قرن لها .

١٢١٣ - أحمد (٢ / ٣٦٣) .

=

للخلقِ بعضُهم من بعض حتى للجَمَّاء من القَرْنَاء وحتى للذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّة » .

أقول : الظاهر أن الاقتصاص للحيوانات من بعضها بعضًا يتقدم على حساب المكلفين لأنه بعد أن يقتص منها يقال لها كوني ترابًا فتكون ترابًا فيتمنى الكافر لو أنه كان معها ، قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا * إنَّا أنذرناكم عذابا قريبًا يوم ينظر المرءُ ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا ﴾ [1] ، غير أن هناك الحيوانات التي لم تُؤدِّ زكاتها ، فهذه يعذب أهلها بها ، فهذه قد تؤخر ، على أن النصوص لم تحدد المقام الذي يقال فيه للحيونات كوني ترابًا ، فتكون ترابًا .

١٢١٤ - * روى الترمذي عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أولَ ما يُسألَ عنه العبدُ يوم القيامةِ من النعيم ، أنْ يُقالَ له : ألم نُصِحَّ لك جِسْمَكَ ؟ ونُروِكَ من الماء البارِد » ؟

١٢١٥ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخُدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يؤتَى بالعبدِ يومَ القيامةِ ، فيقولُ له : ألم أجعل لك سَمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا ؟ وسَخَّرتُ لك الأنعامَ والحرْثَ ؟ وتركتُك تَرْأسُ وتربَعُ ؟ فكنتَ تَظنُّ أنَّك مُلاقِيَّ يومَكَ هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني » .

وقال : معنى قوله : « اليوم أنساك كما نسيتني » : اليوم أتْرُكُكَ في العذاب .

= مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) النبأ : ٣٨ - ٤٠ .

١٢١٤ - الترمذي (٥ / ٤٤٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٨٩ - باب ومن سورة التكاثر . وقال : حديث غريب . وإسناده قوي ، وصححه ابن حبان .

١٢١٥ - الترمذي (٤ / ٦١٩) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٦ - باب (مِنْهُ) حدثنا عبد الله بن محمد ... إلخ .
وقال : حديث صحيح غريب . وإسناده حسن .
(ترأس) : الترؤُّسَ : التقدم على القوم وأن يصير رئيسهم .
(وتربع) : أي : تأخذ المرباع ، وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من المغانم وهو ربعها ، وقد روي « ترتع » بتاءين من التنعم والرتع ، يقال : رتعتِ الإبل ، وأرتَعَها صاحبها : إذا كانت في موضع خَصيب .

الفقرة الرابعة
في :
مشاهد من القرآن الكريم فيما يجري في اليوم الآخر من حوار

إن الإنسان في الدنيا عندما يجد نفسه في خطر فإنه يبذل غاية وسعه للخلاص من الخطر ، وعندما يكون للإنسان حق يجادله فيه الآخرون ، ثم يظهر حقه فإن له مقالاً ، وعندما يُقْهَر الظالمون يعتذرون ، فالإنسان له طبيعته ومواقفه ، واليوم الآخر هو يوم الفصل فيما كان الناس يختلفون فيه ، وهو اليوم الذي تظهر فيه الأمور على حقائقها ، وينكشف فيه صدق الرسل ، ويرى الناس تحقق الوعد والوعيد . وفي هذا كله تجد الإنسان يجادل عن نفسه أقصى الجدال لعل ذلك ينفعه ، وترى أهل الباطل يعتذرون أشد الاعتذار لعل ذلك ينفعهم ، وترى الحوار بين أهل الباطل فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الحق فيما بينهم ، وترى الحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وترى مناشدة أهل النار للملائكة وأهل الجنة ، وترى الكلمة الطيبة من الملائكة لأهل الجنة ، وكل ذلك تجد تفصيلاته في القرآن . وفي هذه الفقرة سنعرض نماذج على ذلك للتذكير كي لا يخلو الكتابُ من هذا الجانب المهم من مشاهد اليوم الآخر :

﴿ وجاءت سَكْرةُ الموت بالحق ذلك ما كنتَ منه تَحيدُ * ونُفِخ في الصُّورِ ذلك يومُ الوعيد * وجاءتْ كلُّ نفْسٍ معها سائقٌ وشهيد* لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد * وقال قرينه هذا ما لديّ عتيدٌ * ألقيا في جهنم كلَّ كَفَّار عنيد * منّاعٍ للخير مُعْتَدٍ مُريب * الذي جعل مع الله إلهًا آخرَ فألقياه في العذاب الشديد * قال قرينهُ ربَّنا ما أطغيتُه ولكنْ كان في ضلالٍ بعيدٍ * قال لا تختصموا لَديّ وقد قدّمتُ إليكم بالوعيدِ * ما يُبدّل القولُ لَدىّ وما أنا بِظَلّام للعبيد * يوم نقولُ لجهنم هل امتلأْتِ وتقولُ هل من مزيد * وأُزْلِفت الجنّةُ للمتّقين غير بعيدٍ * هذا ما توعَدونَ لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ * من خشيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ * ادخلوها بسلامٍ ذلك يومُ الخلودِ

* لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق شهيد ﴾ السائق والشهيد ملكان ، وقيل : السائق كاتب السيئات ، والشهيد كاتب الحسنات . وقوله تعالى : ﴿ وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ﴾ : المراد بالقرين الملك الموكل عليه ، والعتيد الحاضر ، أي يقول الملك هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي . ﴿ ألقيا ﴾ هذا خطاب للملكين السائق والشهيد . قوله تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾ القرين هنا هو الشيطان المقيض له والمقيد معه ﴿ ربنا ماأطغيته ﴾ أي ما أضللته ، وكأن هذا جواب على شكوى من الإنسان باتهام الشيطان ؛ ولذلك قال تعالى :﴿ لا تختصموا لدي ﴾ ، وهذا يفيد أن حوارًا يجري بين الشيطان وبين قرينه من الإنس يُحَمِّل كلٌّ منهما الآخرَ مسؤولية الضلال . والظاهرُ أن هذا الحوار بين الشيطان وقرينه في موقف الحساب .

﴿ وإذْ قال الله ياعيسى ابن مريمَ أأنت قلتَ للناس اتخذوني وأُمِّيَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد عَلِمْتَه تَعْلَمُ ما في نفْسي ولا أعلم ما في نفْسِك إنك أنت علاَّمُ الغُيوب * ما قلتُ لهم إلا ما أَمَرْتني به أن اعبدوا الله ربِّي ورَبَّكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلمَّا تَوَفَّيتَني كنت أنتَ الرقيبَ عليهم وأنت على كلِّ شيء شهيد * إنْ تعذِّبْهم فإنهم عبادُك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيم * قال اللهُ هذا يومَ ينفع الصادقين صِدْقُهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضيَ الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوزُ العظيم ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ فلنسألنَّ الذين أُرْسِلَ إليهم ولنسألنَّ المرسلين ﴾ (٣) هذان السؤالان قائمان في موقف الحساب : يُسألُ الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة وإجابة الرسل ، ويُسأل المرسلون عن البلاغ وعما أجابتهم به أقوامهم ، وفي هذه الآيات نموذج على سؤال المرسلين ، والمرسَلُ إليهم ينكرون عادة أن رسلهم بلغتهم ويتبرؤون ، فيشهد محمد ﷺ وأمته أن الرسل قد بلغت ومن خلال هذا النص الذي معنا نفهم أن النصارى الذين أشركوا

---

(١) ق : ١٩ ـ ٣٥ .
(٢) المائدة : ١١٦ ـ ١١٩ .
(٣) الأعراف : ٦ .

يزعمون أن دعوة عيسى كانت أمرًا لهم بأن يتخذوه وأمه إلهين ، وعيسى عليه الصلاة والسلام ينفي ويرد .

﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسلُ يسحبون * في الحميم ثم في النار يُسْجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلُّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبلُ شيئًا كذلك يُضِلُّ اللهُ الكافرين ﴾ [1] .

الظاهر أن القائلين للمجرمين في النار هم الملائكة . والمشركون عندئذ يعرفون أنهم ما كانوا يدعون جهة يعتد بها ، والظاهر أن هذا السؤال يكون في مرحلة تسبق المرحلة التي يقرن فيها مع المشركين ما كانوا أشركوا به .

﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات يَسْعى نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليومَ جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك هو الفوزُ العظيم * يوم يقولُ المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا انْظُرونا نَقْتَبِسْ من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالْتَمِسُوا نورًا فضُرِبَ بينهم بسُورٍ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمةُ وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذاب * ينادونهم ألم نكن معكمْ قالوا بلى ولكنكم فَتَنْتُم أنفسكم وتَرَبَّصْتُم وارتَبْتُم وغرّتْكم الأمانيُّ حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ * فاليومَ لا يُؤخذُ منكم فِديةٌ ولا من الذين كفروا مأواكم النارُ هي مَوْلاكم وبئس المصير ﴾ [2] .

قوله تعالى : **﴿ يسعى نورهم بين أيديهم ﴾** : الظاهر أن هذا على الصراط ، وذكر الأيمان لأن فيها صحائف الأعمال المنيرة ، وقوله تعالى : **﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾** القائل للمنافقين هذا القول هو المؤمنونَ أو الملائكة **﴿ فالتمسوا نورًا ﴾** أي اطلبوا النور إما من الموقف أو من الدنيا إشعارًا لهم بأن النور إنما يكون من العقائد الصالحة والأعمال الطيبة في الدنيا . وقوله تعالى : **﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾** أي بحائط له باب يدخل منه المؤمنون فيؤول بهم إلى الجنة ، ولذلك قال : **﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾** وذلك لئلا يقربَ هذا البابَ المنافقون . ويبدو أن هذا كائن إما في أول الصراط

---

(١) غافر : ٧١ ـ ٧٤ .

(٢) الحديد : ١٢ ـ ١٥ .

أو في آخر الصراط أو في مكان ما على الصراط .

﴿ ومنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانًا فهو لـه قرين * وإنهم لَيَصدُّونَهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنـا قـال يـاليتَ بيني وبينـكَ بُعْدَ المشرقيْن فبئس القرين * ولن ينفعكم اليومَ إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ ومن يعش ﴾ أيْ يتعامَ عن القرآن ويعرض عنه ﴿ نقيض له شيطانًا ﴾ نسلـط ﴿ فهـو لـه قرين ﴾ أي مصـاحب ﴿ وإنهم ليصـدونهم عن السبيـل ﴾ الضمير في الكلمتين يعود على الإنسان الضال وقرينه ؛ فإن هؤلاء يتعـاونون على صـد الخلق عن سبيل الله ، وهم يتصورون أنهم مهتدون بذلك كما نرى حال الكافرين في عصرنا دعـاة ومـدعوين ، فكل صـاحب دعوة يتوهم أنـه يـدعو النـاس إلى هـدَايـة ، ﴿ حتى إذا جـاءنـا ﴾ أي ذلـك الإنسان الذي أضله الشيطان ﴿ قال يـاليت بيني وبينـك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ، وذلك أن الكفار يحشرون مقرونين مع شياطينهم .

﴿ ولو يَرى الذين ظلموا إذ يَرَوْن العذابَ أنّ القوةَ لله جميعًا وأن اللهَ شـديـدُ العـذاب * إذْ تَبَرّأَ الـذين اتُّبِعُـوا مـن الـذين اتَّبَعُـوا ورأَوُا العـذابَ وتَقَطّعتْ بهم الأسبـابُ * وقـال الـذين اتّبعوا لـو أنّ لنـا كرّةً فنتبرأَ منهم كما تَبَرّأوا منّـا كـذلـك يُريهم الله أعمـالهم حَسَراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ (٢) .

﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا ﴾ أي المُتّبَعُون ممن كانوا يتبعونهم ، ويدخل في المُتّبَعين هنـا أئمة الضلال ومَنْ عُبِدَ من دون الله ، والظاهر أن هذا يكون بعد شفاعة فصل الخطـاب . وقولـه تعـالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسبـاب ﴾ أي الوُصَل التي كانت بينهم من الاتبـاع والاتفـاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وهذا نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبوعين عندمـا تؤمر كل طائفة أن تتبع ما كانت تعبد من دون الله أو عندما يُدْعَى كلّ أناس بإمامهم وذلك بعد شفاعة فصل الخطاب .

﴿ وللـذين كفروا بربهم عـذابُ جهنم وبئسَ المصيرُ * إذا أُلقُوا فيهـا سَمعـوا لهـا شهيقًـا

(١) الزخرف : ٣٦ - ٣٩ .

(٢) البقرة : ١٦٥ - ١٦٧ .

وهي تَفُورُ * تَكادُ تَمَيَّزُ من الغيْظ كلما أُلقِيَ فيها فوجٌ سألَهم خَزَنَتُها ألم يأتِكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبنا وقُلنا ما نزّلَ اللهُ من شيء إنْ أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نَسمع أو نعقِلُ ما كنا في أصحاب السعيرِ * فاعترفُوا بذنبهم فَسُحْقًا لأصحاب السعيرِ إن الذين يخشَوْن ربَّهم بالغيب لهم مغفِرةٌ وأجرٌ كبيرٌ ﴾ [1] .

هذا نموذج على ما تتلقى به الملائكة أصحاب النار من سؤال ، وهو سؤال يأتي بعد أن قامت عليهم الحجة ، وهم يجيبون على هذا السؤال معترفين مقرين بعد إذ رأوا أن إنكارهم من قبل لم يفدهم لكثرة الشهود ولقطعية الشهادات .

﴿ فإذا نُفِخَ في الصُّور فلا أَنْسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فمن ثَقُلَتْ موازينُه فأولئك هم المفلحُون * ومن خفَّتْ موازِينُهُ فأولئك الذين خسروا أنفسَهم في جهنم خالدون * تلفَح وجوهَهم النَّارُ وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربَّنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربَّنا أخرجنا منها فإن عُدْنا فإنَّا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنَّا فاغفِرْ لنا وارحَمْنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سِخْرِيًّا حتى أَنْسَوْكم ذِكْري وكنتم منهم تضحكون * إني جَزَيْتُهم اليومَ بما صبروا أنَّهم هم الفائزون * قال كم لبثتُم في الأرض عَدَدَ سنين * قالوا لبِثنا يومًا أو بعضَ يوم فاسأل العادِّين * قال إنْ لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تَعلمون * أفَحَسِبتم أنَّما خَلقنَاكم عَبَثًا وأنكم إلينا لا تُرجعون ﴾ [2] .

هذا نموذج على نوع مما يحدث من خطاب لأهل النار من الله عز وجل ، ومن دعاء وجواب من أهل النار ، وظاهر النص أن الخطاب مباشر من الله عز وجل لأهل النار ، وبعض المفسرين ذهب إلى أنه بالواسطة .

﴿ فإنَّما هيَ زَجْرةٌ واحدةٌ فإذا هم يَنظرون * وقالوا ياويلنَا هذا يومُ الدين * هذا يومُ الفَصْل الذي كنتم به تكذّبون * احشُرُوا الذين ظلموا وأزوَاجَهم وما كانُوا يَعبُدُون * مِنْ دُونِ اللهِ فاهدُوهم إلى صراط الجحيم * وقِفُوهم إنَّهم مسئولون * مالكم لا تناصَرون * بلْ هُم اليومَ مُستَسْلِمون * وأقبَلَ بعضُهم على بعضٍ يَتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتونَنا

---

(١) تبارك : ٦ ـ ١٢ .

(٢) المؤمنون : ١٠١ ـ ١١٥ .

عنِ اليمين * قالوا بلْ لَمْ تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سُلْطانٍ بل كنتم قومًا طاغين * فحَقَّ علينا قوْلُ ربِّنا إنَّا لذائقُون * فأغويناكم إنَّا كنَّا غاوين * فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركُون * إنَّا كذلكَ نفعَلُ بالمجرمين * إنهم كانُوا إذا قيلَ لهم لا إله إلا اللهُ يَسْتكبرُون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتِنا لِشاعر مجنون * بل جاءَ بالحقِّ وصَدَّق المرسَلين * إنكم لذائقُو العذابِ الأليم * وما تجْزَوْن إلا ما كنتم تعملونَ * إلا عبادَ الله المخلَصين * أولئك لهم رِزْق مَعلومٌ * فواكِهُ وهم مُكْرَمُون * في جنَّاتِ النَّعيم * على سُرُرٍ متقابلين * يُطافُ عليهم بكأسٍ منْ مَعِين * بيضاءَ لَذَّةٍ للشَّاربين * لا فيها غوْلٌ ولا هم عنها يُنْزفون * وعندهم قاصراتُ الطرفِ عِينٌ * كأنَّهن بَيضٌ مَكنون * فأقبلَ بعضُهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إنِّي كان لِي قَرينٌ * يقولُ أئنكَ لَمِنَ المُصَدِّقين * أئذا متْنا وكُنَّا تُرابًا وعظامًا أئنا لَمَدِينون * قال هلْ أنتم مُطَّلِعون * فاطَّلَعَ فرآهُ في سَواءِ الجحيم * قال تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِين * ولولا نعمةُ رَبِّي لكُنتُ من المُحْضَرِين * أفَما نحنُ بميِّتين * إلا موتَتَنا الأولى وما نحنُ بمعَذَّبين * إنّ هذا لَهُوَ الفوزُ العظيم * لِمثل هذا فلْيَعْمَلِ العاملون * أذلك خيرٌ نُزُلاً أمْ شجرةُ الزَّقوم * إنا جَعَلْناها فِتنةً للظَّالمين * إنها شجرةٌ تخرجُ في أصْلِ الجحيم * طَلْعُها كأنَّه رءوسُ الشَّياطين * فإنهم لآكِلُون منها فمالِئُون منها البُطُون * ثُمَّ إنّ لهم عَليها لَشَوْبًا من حَميم * ثم إنّ مَرْجِعَهم لإلى الجَحيم ﴾[1] .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ يحتمل هذا النص أن يكون من إجابة بعضهم لبعض ، أو من إجابة الملائكة لهم ، ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي وأشباههم ، والخطاب من الله عز وجل ، وهذا يفيد أن عباد الأصنام أو عباد صنم ما أو عباد الكواكب أو عباد كوكب ما ، وهكذا قل في سائر المشركين أنهم يحشرون مع بعضهم بعضًا ، والأمر بحشر الأصناف بعضها مع بعض من الله عز وجل . والظاهر كما أنه تحشر الأصناف مع بعضها فإنها تدخل النار مع بعضها وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ كلما ألقي فيها فوج ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ أي فعرفوهم طريقها ليسلكوها ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم ، ومعنى قوله ﴿ وقفوهم ﴾ أي واحبسوهم يوم الموقف . ﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾ هذا سؤال يوجه إليهم تبكيتا

---

(١) الصافات : ١٩ ـ ٦٨ . (٢) الملك : ٨ .

وتوبيخًا ، والسائل إما الله تعالى ، وإما الملائكة ، وفي السؤال إشارة إلى أن سرّ اشتراكهم في الكفر هو التناصر ، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءَلون ﴾ أي الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء ﴿ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي بأقوى ما تستطيعون أن تأتونا به من الشبه لتضلونا ، فيجيب المتبوعون ما يجيبون به ، وفي النص نموذج على حوار متعدد بين أكثر من متكلم .

﴿ ولو تَرَى إذ الظالمون مَوْقوفون عند ربِّهم يَرْجِعُ بعضُهم إلى بعض القولَ يقول الذين اسْتُضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكُنَّا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين اسْتُضْعِفُوا أنحن صددناكم عن الهُدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استُضعِفوا للذين استكبروا بل مَكْرُ الليلِ والنهار إذ تأمروننا أن نكفرَ بالله ونجعلَ له أندادًا * وأسرُّوا الندامةَ لما رأوُا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناقِ الذين كفروا هل يُجْزَون إلا ما كانوا يعملون ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾ أي محبوسون عند ربهم وذلك يكون في موقف الحساب قبل الوزن والميزان وبعد الشفاعة لفصل الخطاب . ﴿ يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ أي يتحاورون وهذا الحوار بين المتبوعين من الإنس من السادة والكبراء وأئمة الضلالة وبين أتباعهم ، وقوله تعالى على لسان المستضعفين : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ أي بل مكركم في الليل والنهار حتى فتنتمونا و أمرتم علينا ضلالكم فأضللتمونا ، ومن يشهد في عصرنا سهر الدوائر الكافرة ودأبها على الإضلال يرى ما ذكرته الآية واقعًا حيًا وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ المراد بذلك ما يقيدون به في النار بعد إذ يدخلونها .

﴿ ويومَ يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يَعبُدون * قالوا سبحانَك أنت وَلِينا من دونهم بل كانوا يعبُدون الجنّ أكثرُهم بهم مؤمنون * فاليومَ لا يملكُ بعضُكم لبعضٍ نفعًا ولا ضَرًّا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذابَ النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [2] .

---

(١) سبأ : ٣١ - ٣٣ .

(٢) سبأ : ٤٠ - ٤٢ .

هـذا نموذج على سؤال الله الملائكـة وجـوابهم فهنـاك نـاس عبـدوا المـلائكـة من دون الله وأظهر ما يظهر ذلـك في ديـانـة الصـابئـة الموجودين في العراق حـاليًـا إذ يعبـدون الأرواح العلوية .

﴿ وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنَّا كنَّا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنَّا نصيبًا من النار * قال الذين استكبروا إنَّا كُلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقـال الذين في النار لخزَنَـةِ جهنم ادعُوا ربَّكم يُخفِّفْ عنَّـا يومًـا من العـذاب * قـالوا أوَلم تَكُ تأتيكم رُسُلكم بالبينات قالوا بلَى قالوا فادعُوا وما دُعـاء الكافرين إلا في ضلال * إنَّـا لننصرُ رسُلَنَا والذين آمنوا في الحيـاة الـدنيـا ويومَ يقومُ الأشهـادُ * يوم لا ينفع الظـالمين معذِرتُهـم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (١) .

هذا نموذج للحوار بين أئمة الضلالة وأتباعهم في النار ، كما أنه نموذج على حوار أهل النـار للملائكة وطلبهم منهم تخفيف العذاب ولو يومًـا واحـدًا ورد الملائكـة عليهم ، وأمثـال هـذه النصـوص التي تتحـدث عن الحـوار بين الأتبـاع والمتبـوعين تـؤكـد أن على المسلم أن يختـار للاقتداء والاتباع من يطمئن إلى ربانيته وولايته ، وأن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وذلك بحبهم وطاعتهم .

﴿ الذين كذَّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلَنَا فسوف يعلمون ﴾ (٢) .

﴿ ويومَ نبعثُ من كل أمـة شهيـدًا ثم لا يُؤْذَنُ للـذين كفروا ولا هم يُستَعْتَبُون * وإذا رأى الـذين ظلمـوا العـذاب فـلا يُخفف عنهم ولا هم يُنْظَرون * وإذا رأى الـذين أشركـوا شركاءهم قالوا ربَّنا هؤلاء شركاؤنـا الـذين كنَّـا نـدعوا من دونـك فـألقوْا إليهم القولَ إنكم لكاذبون * وألقوْا إلى الله يومئذٍ السَّلَمَ وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (٣) .

قوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمـة شهيـدا ﴾ أي نبيـا يشهـد لهم وعليهم بـالإيمـان والكفر ، وفي هـذا المقـام مقـام شهـادة الأنبيـاء على الأمم ﴿ لا يـؤذن للـذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ أي ولا هم يسترضون . وبعد هذا المقام يشكو المشركون متبوعيهم إما من باب

---

(١) غافر : ٤٧ ـ ٥٢ . (٢) غافر : ٧٠ .

(٣) النحل : ٨٤ ـ ٨٧ .

الطلب أن يضاعف لهم العذاب ، وإما من باب الاعتراف بأنهم كانوا مخطئين ، ويكذبهم المتبوعون ويستسلم الجميع لحكم الله رب العالمين حين لا ينفعهم الاستسلام الذي كان مطلوبًا منهم في الدنيا بأن يدخلوا الإسلام ويستسلموا لله فيه .

وتتمة المشهد هو : ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدًا على هؤلاء ﴾ (١) وقد مر معنا من قبل .

﴿ يومَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها وتُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما عملت وهم لا يُظلمون ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ أي عن ذاتها وتسعى في خلاصها لايهمها غيرها فتقول نفسي نفسي ولكن النفس الكافرة لابد أن توفى أعمالها أما النفس المؤمنة فلله فيها مشيئة وهناك شفاعات تصيبها وتنفعها .

﴿ ثم يومَ القيامةِ يُخزيهم.ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العِلْمَ إنَّ الخزْيَ اليومَ والسوء على الكافرين * الذين تتوفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم فألقوُا السَّلَم ما كنّا نعملُ من سوءٍ بلى إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون * فادْخُلوا أبوابَ جهنَّم خالدين فيها فلبئس مثوَى المتكبرين * وقيل للذين اتّقَوا ماذا أنزلَ ربُّكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ ولَدَارُ الآخرة خيرٌ ولَنِعْم دارُ المتَّقين * جناتُ عَدْنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهارُ لهم فيها ما يشاءون كذلك يَجزي الله المتقين * الذين تتوفّاهم الملائكةُ طيِّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بماكنتم تعملون ﴾ (٣) .

وهذا نموذج آخر على ما يكون من سؤال وجواب وحوار يوم القيامة وفيه دعوة للكينونة من أهل التقوى والبعد عن الشرك ومظاهره .

﴿ ويومَ يقول نادُوا شركائيَ الذين زعمتم فدَعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم مَوبِقًا * ورأى المجرمون النّارَ فظنوا أنهم مُواقِعوها ولم يجدوا عنها مَصْرِفًا ﴾ (٤) .

---

(١) النحل : ٨٩ .

(٢) النحل : ١١١ .

(٣) النحل : ٢٧ ـ ٣٢ .

(٤) الكهف : ٥٢ ـ ٥٣ .

﴿ ويوم يقول ﴾ أي الله تعالى للكافرين : ﴿ نادوا شركائي الذين زعمتم ﴾ أي زعمتم أنهم شركائي أو شفعاؤكم يمنعونكم من عذابي والمراد ما عبد من دونه ، وقيل إبليس وذريته ﴿ فدعوهم ﴾ أي فنادوهم ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ أي بين الكافرين وآلهتهم ﴿ موبقًا ﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في شدتها هلاك .

﴿ وبَرَزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كُنّا لكم تبَعًا فهل أنتم مُغْنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجَزِعْنا أم صَبَرْنا ما لَنا من مَحيص * وقال الشيطانُ لما قضِيَ الأمرُ إن اللهَ وعَدَكم وعْدَ الحقّ ووعدتُكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سُلطان إلا أن دعوتُكم فاستجبْتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصرخكم وما أنتم بمُصرخِيّ إني كفرتُ بما أشركتمون من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ أي لما أحكم وفرغ منه ودخل أهلُ الجنةِ الجنّة وأهلُ النّارِ النّارَ فإن الشيطان يقوم خطيبًا في الأشقياء من الثقلين ، وفي النص نموذج على الحوار بين الأتباع والمتبوعين في النار ومحاولة الشيطان أن يخرج من لوم اللائمين على إغوائهم وقوله﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا أنتم تغيثونني .

﴿ هذا وإن للطاغين لشرّ مآب * جهنّمَ يَصْلوْنها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حَميمٌ وغَسّاق * وآخرُ من شَكلِه أزواجٌ ﴾ [2] .

قوله تعالى : ﴿ حميم وغساق ﴾ أي شراب يغلي ، والغساق صديد أهل النار ﴿ وآخر ﴾ أي وعذاب آخر ﴿ من شكله أزواج ﴾ من مثله أجناس .

﴿ هذا فوجٌ مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صَالُو النار * قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذابًا ضِعْفًا في النار ﴾ [3] .

---

(١) إبراهيم : ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) ص : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٣) ص : ٥٩ ـ ٦١ .

النص يـدل على أن أئمة الضـلال يـدخلـون النـار قبـل أتبـاعهم فيكـون بين الأتبـاع والمتبوعين هذا التخاصم الذي ذكره النص الكريم .

﴿ وقالوا ما لنا لا نَرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار * أتخذناهم سِخْرِيًّا أم زَاغتْ عنهم الأبصار * إنّ ذلك لَحَقٌّ تَخاصُمُ أهلِ النار ﴾ (١) .

﴿ ويومَ يحشرهم ومـا يعبـدون من دون الله فيقـول أأنتم أضللتم عِبـادي هـؤلاء أمْ هُم ضلوا السبيل * قالوا سُبْحانَـك مـا كان ينبغي لنـا أن نتّخذ مِن دونـك مِن أوليـاءَ ولكنْ متّعتَهم وآبـاءَهم حتى نَسُـوا الـذِّكْرَ وكانـوا قَـوْمًـا بُـورا * فقـد كـذّبـوكم بمـا تقـولـون فمـا تستطيعون صَرْفًا ولا نصرًا ومن يَظْلِمْ منكمْ نُذِقْه عذابًا كبيرًا ﴾(٢) .

﴿ ويـوم يحشرهم ﴾ أي للجـزاء ﴿ ومـا يعبـدون من دون الله ﴾ أي كل معبـود سـواه ﴿ فيقول ﴾ أي اللهُ تعالى للمعبودين ﴿ أأنتم أضللتم عبـادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ . ﴿ قـالـوا ﴾ الظـاهر من السيـاق أن المراد بـذلـك أن من عُبِـدَ فلم يَرْضَ أو عُبِـدَ ولم يشعر يقولون ﴿ سبحانك ما كان ينبغي لنـا أن نتخـذ من دونـك أوليـاء ولكن متعتهم وآبـاءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورًا ﴾ أي هالكين ﴿ فقد كذبوكم بما تقولون فمـا تستطيعون صرفا ﴾ أي دفعـا للعـذاب عنكم ﴿ ولا نصرا ﴾ يعينكم أحـد عليـه ، وفي النص دليل علىأن كثيرًا ممن عُبِدَ من دون الله لا مسؤولية عليهم .

﴿ قـال ادخلوا في أمم قـد خَلَتْ من قَبْلكم من الجنّ والإنس في النّـار كلمـا دخلتْ أمّـةٌ لعنتْ أُختَها حتى إذا ادّارَكوا فيها جميعًـا قـالت أُخراهم لأولاهم ربّنـا هؤلاء أضلُّونـا فـآتهم عذابًا ضِعْفًا من النّـار قـال لِكلٍّ ضِعْف ولكنْ لا تَعْلمون * وقالت أُولاهم لأخراهم فمـا كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذابَ بما كنتم تكسبون ﴾ (٣) .

في النص دليل على أن الأمم المتقـدمـة في الـزمن تـدخـل النـار قبـل الأمم المتـأخرة في الزمن ، ومن سبق في الضلال فتابعه عليـه لاحقون يلومون السـابقين ، والسـابقون يشمتون

(١) ص : ٦٢ ـ ٦٤ . (٢) الفرقان : ١٧ ـ ١٩ .
(٣) الأعراف : ٣٨ ـ ٣٩ .

بهم ؛ لأن اللاحقين يدّعون فضلاً على المتقدمين كما نرى في عصرنا ؛ إذ يرى اللاحقون أنهم قد سبقوا المتقدمين في العلم والتقدم ، وبعد استكمال النار أهلها يدعو اللاحقون أن يضاعف الله للسابقين العذاب فيعرفهم أن العذاب المضاعف للجميع لمن ضل وأضل بسبب ضلاله وإضلاله ، ولمن ضل متابعًا للأولين بسبب ضلاله وتقوية الضلال وأهله بتقليد الضالين .

﴿ ونادى أصحابُ الجنّة أصحابَ النار أنْ قدْ وجدْنا ما وعدَنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وَعد ربُّكم حقا قالوا نعم فأذّن مُؤذّن بينهم أنْ لعنةُ الله على الظالمين * الذين يَصدُّون عن سبيل الله وَيبغُونها عِوَجًا وهم بالآخرة كافرون * وبينهما حجَابٌ وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلا بِسيماهُم ونادَوْا أصحابَ الجنة أنْ سلامٌ عليكم لَمْ يَدْخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرِفت أبصارُهم تِلقاءَ أصحابِ النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالِمِينَ * ونادى أصحابُ الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جَمْعُكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم اللهُ برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ [1] .

(أهل الأعراف) : قوم تساوت سيئاتهم وحسناتهم فلا هم استحقوا النار فيدخلونها ، ولا استحقوا الجنة فيدخلونها لكنهم يطمعون أن يدخلوها بفضل الله وهم داخلون في المآل ، ويكونون قبل دخولهم الجنة بين أهل الجنة والنار ، والنص يدل عل أن حوارًا يجري بين أهل الجنة والنار ، وبين أهل الأعراف وأهل النار وهذا يفيد أن أهل الجنة يطّلعون على أهل النار وذلك من تمام النعمة والاعتبار ليشكروا .

﴿ ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنّةِ أن أفيضوا علينا من الماء أوْ مِمّا رزقكم اللهُ قالوا إنّ اللهَ حرّمهما على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرّتهم الحياةُ الدنيا فاليومَ ننساهم كما نسوا لِقاء يومِهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ [2] .

﴿ فإذا نُقر في النّاقور * فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ * على الكافرين غيرُ يسير * ذرْني ومن خلقتُ وحيدًا * وجعلتُ له مالاً ممدودًا * وبَنينَ شهودًا * ومهّدت له تمهيدًا * ثم يطمع

---

(١) الأعراف : ٤٤ ـ ٤٩ . (٢) الأعراف : ٥٠ ـ ٥١ .

أن أزيد ۞ كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا ۞ سأرهقهُ صَعودًا ۞ إنه فكّر وقدّر ۞ فقُتل كيف قدّر ۞ ثم قُتل كيف قدّر ۞ ثم نظر ۞ ثم عبَس وبسر ۞ ثم أدبر واستكبر ۞ فقال إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤثر ۞ إنْ هذا إلا قولُ البشر ۞ سأصليه سقَر ۞ وما أدراك ما سقر ۞ لا تُبقي ولا تَذر ۞ لوّاحةٌ للبشر ۞ عليها تسعةَ عشر ۞ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيْقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يُضل الله من يشاء وَيهدي من يشاء وما يعلم جنودَ ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ۞ كلا والقمرِ ۞ والليلِ إذ أدبرَ ۞ والصبح إذا أسفرَ ۞ إنها لإحدى الكُبَر ۞ نذيرًا للبشر ۞ لمن شاء منكم أنْ يتقدّم أو يتأخر ۞ كلُّ نفسٍ بما كسَبتْ رهينة ۞ إلا أصحابَ اليمين ۞ في جناتٍ يتساءلون ۞ عن المجرمين ۞ ما سَلَكَكم في سقر ۞ قالوا لم نكُ من المصلين ۞ ولم نكُ نُطعِم المسكين ۞ وكنا نخوض مع الخائضين ۞ وكنا نكذّب بيوم الدين ۞ حتى أتانا اليقين ۞ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ۞ فما لهم عن التذكرةِ مُعْرضين ۞ كأنهم حُمُرٌ مستنفِرة ۞ فرّتْ من قَسْوَرةٍ ﴾ (١) .

هذا نموذج آخر على حوار بين أهل الجنة وأهل النار .

﴿ الناقور ﴾ الصور ﴿ نقر ﴾ نفخ ﴿ لآياتنا عنيدًا ﴾ أي معاندًا جاحدًا للحق . ﴿ سأرهقه صعودًا ﴾ سأكلفه عذابًا شاقًا لا يطاق . ﴿ وبسر ﴾ اشتد في العبوس وكلوح وجهه ﴿ سأصليه سقر ﴾ سأدخله جهنم ﴿ لواحة للبشر ﴾ مسوّدة للجلود محرقة لها ﴿ الكُبَر ﴾ الدواهي العظيمة ﴿ رهينة ﴾ أي مرهونة عنده تعالى بعملها ﴿ ما سلككم ﴾ ما أدخلكم ﴿ حمر مستنفرة ﴾ حمر وحشية شديدة النفار ﴿ قسورة ﴾ أسد .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ

---

(١) المدثر : ٨ ـ ٥١ .

الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ * ﴾ (١) .

هـذا نموذج على حوار بين أهل الجنـة فيا بينهم ونموذج على أن أهل الجنـة يطّلعون على أهل النار .

والمراد بالقرين في الآيات الصاحب الكافر في الدنيا ، والذي يجمعه مع المؤمن سبب من عمل مشترك أو جوار أو غير ذلك من الأسبـاب التي تجعل المؤمن يجـالس الكافر ، وكيف أن الكافر كان ينكر على المؤمن إيمانه . فههنـا المؤمن يخـاطب الكافر هـذا الخطـاب المـذكور في الآية وقد جاءت هذه الآيـات بعـد الكلام عن اجتماع أهل الجنـة على شرابهم فهم يتحـدثون ويجرهم الحديث إلى هذا الموقف .

﴿ وكـذلـك جعلنـاكم أمـة وسطـا لتكـونـوا شهـداء على النـاس ويكـون الرسـول عليكم شهيدًا ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ أي خيـارًا أو عـدولاً مزكّينَ بـالعلم والعمل ﴿ شهداء على الناس ﴾ أي على معاصريكم وعلى من قبلكم وبعـدكم ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ فيشهد لكم بالعدالة ، وشهادته لكم بالعدالة في الموقف تـأكيـد لشهـادتكم على الأمم ، وهذا يكون عندما تنكر الأمم أن رسلها قد بلغتها وذلك في موقف من مواقف القيامة .

* * *

وبعد :

فلقـد حرصنـا ألا يخلو الكلام عن اليوم الآخر من الإكثـار من النصوص القرآنيـة ليزداد المسلم فهمًا وبصيرة بما يجري في اليوم الآخر ، وحرصنا أن نبين ما استطعنا تسلسل الأحداث في اليوم الآخر لأن الكتابـة في هـذا الشـأن قليلـة فـاقتضى هـذا منـا الإكثـار من النصوص والنقول والتعليقات .

---

(١) الصافات : ٥٠ ـ ٦١ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

الفقرة الخامسة
في :
أحاديث تصف بعض ما في الموقف وما بعده

١٢١٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يارسولَ الله هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ فقال : « هل تُضارُّون في رؤيةِ الشمسِ في الظهيرةِ ليستْ في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا ، قال : « فهل تُضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليس في سَحابةٍ » ؟ قالوا : لا . قال : « فوالذي نفسي بيده ، لا تُضارُّون في رُؤيةِ ربِّكم إلا كما تُضارُّون في رؤية أحدِهما ، فيَلقى العبدُ ربَّه ، فيقول : أيْ فُلْ ، ألَمْ أُكْرِمْك وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبلَ ، وأَذَرْكَ تَرأس وتَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أظننتَ أنك مُلاقِيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي فلْ : ألم أُكْرِمْك وأُسوِّدكَ وأُزَوِّجكَ ، وأُسخِّرْ لك الخيل والإبل ؟ وأَذَرْكَ تَرْأسُ وتَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننتَ أنكَ مُلاقيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثالث ، فيقول : أي فُلْ ، ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ ، وأُزَوِّجْكَ ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبلَ ، وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : أظننتَ أنكَ ملاقيَّ ؟ فيقول : أي رب : آمنتُ بك وبكتابك وبرُسلِك ، وصلَّيتُ وصمتُ وتصدَّقتُ ، ويُثْني بخيرٍ ما استطاع ، فيقولُ ها هنا إذن ، ثم يقول : الآن نبعثُ شاهدًا عليك ، فيتفكَّرُ في نفسه : من ذا الذي يَشهدُ عليه ؟ فيُختَم على فيه ، ويقالُ لفخذِه : انطِقي ، فَتَنْطق فخذُه ولحمُهُ وعظامُه بعمله ، وذلك ليُعذَر من نفسه ، وذلك المنافق ذلك الذي يَسخَطُ الله عليه » .

أقول : في الحديث عن الرؤية وهي خاصة بأهل الإيمان ، وكلام عن المحاسبة والمخاطبة في موقف من مواقف القيامة وهي عامة كما هو ظاهر من الحديث .

١٢١٦ - مسلم (٤ / ٢٢٧٩) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (١٦) .

(تضارون) : روي بتخفيف الراء من الضير ، يقال : ضاره يضيره .

١٢١٧ ـ * روى البخاري عن سعيد بن المسيِّب ، وعطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبرهما : أنَّ الناس قالوا : يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ ؟ قال : « هل تُمارون في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دونه سَحَابٌ » ؟ قالوا : لا يارسولَ الله ، قال : « فهل تمارون في الشمسِ ليس دونَها سَحاب » ؟ قالوا : لا ، قال : « فإنكم تَرونَهُ كذلك ، يُحشَر النَّاسُ يومَ القيامةِ ، فيقول : من كان يَعْبُدُ شيئًا فليتبعْ ، فمنهم مَنْ يتّبعُ الشَّمسَ ، ومنهم من يتَّبعُ القمر ، ومنهم من يتبعُ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمَّةُ فيها منافقوها ، فيأتيهم الله ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا ، فإذا جاء ربُّنا عَرَفْناه ، فيأتيهم الله ، فيقولُ : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ؟ فيدعوهم ، ويُضْرَبُ الصِّراطُ بين ظهرانَي جهنمَ ، فأكون أولَ مَنْ يَجُوزُ من الرُّسلِ بأُمَّتِه ، ولا يتكلَّمُ يومئذ أحدٌ إلا الرُّسُل ، وكلام الرُّسُل يومئذ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفي جهنَّم كلاليبُ ، مثلُ شَوكِ السَّعدانِ ، هل رأيتم شَوك السعدان » ؟ قالوا : نعم ، قال : « فإنها مثلُ شَوك السعدانِ ، غير أنَّه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِها إلا الله تعالى ، تَخطَفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم منْ يُوبَقُ بعمله ، ومنهم من يُخَرْدَلُ ، ثم يَنْجو ، حتى إذا أراد اللهَ رحمةَ مَنْ أراد من أهل النار » وفي رواية : « فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المجازى حتى يُنَجَّى ـ حتى إذا فَرَغَ اللهُ من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرجَ برحمته مَنْ أرادَ من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من كان يَعبُدُ الله ، فيُخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرَّم الله على النار أن تأكلَ أثر السجودَ ، فيُخرَجون من النار ، فكلُّ ابنِ آدم تأكُلُه النار ، إلا أثرَ السجود فيُخرجون من النار قد امْتُحِشُوا ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة ، فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَميل السيل ،

١٢١٧ ـ البخاري (٢ / ٢٩٢) ١٠ ـ كتاب الأذان ، ١٢٩ ـ باب فضل السجود .

(السعدان) : نبت ذو شوك معقف من مراعي الإبل .

(يوبق) : أوبقته الذنوب ، أي : أهلكته .

(يخردل) الخردل : المرمي المصروع ، وقيل : هو المقطع ، والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط ، حتى يقع في النار.

(امتحشوا) : الامتحاش : الاحتراق ، وقيل : هو أن تُذهِبَ النارُ الجلد ، وتبدي العظم .

(الحِبَّة) : بكسر الحاء : البزوراتْ ، وبفتحها ، كالحنطة والشعير .

(حميل السيل) : الزبد وما يلقيه على شاطئه ، وهو فعيل بمعنى مفعول .

=

ثم يَفرَغُ اللهُ من القِصاص بين العِبادِ ، ويبقى رجل بين الجنـة والنـار ـ وهو آخرُ أهلِ النار دخولاً الجنةَ ـ مقبلٌ بوجهه قِبَل النار ، فيقولُ : يارب ، اصرف وجهي عن النار ، قـد قَشَبَني رِيحُها وأحرقني ذَكاهـا ، فيـدعو اللهَ بمـا شـاءَ أن يـدعُوَه ، فيقول : هـل عَسيت إن أفعـلْ ذلـك تسـأل غيرَ ذلـك ؟ فيقـولَ : لا وَعِـزَّتـك ، فيُعطي اللهَ ما شاءَ من عهدٍ وميثـاقٍ ، فَيصْرِفُ اللهُ وجهَـهُ عن النـار ، فـإذا أقبل بـوجهـه على الجنـة ، ورأى بَهْجَتَهـا ، سكتَ مـا شـاء الله أن يَسْكُتَ ، ثم قـال : يـاربِّ ، قَـدِّمني عنـد بـاب الجنـة ، فيقـول الله لـه : أليس قـد أعطيتَ العهـود والمواثيق أن لا تسـأل غير الـذي كنت سـألتَ ؟ فيقول : يـارب لا أكـون أشقى خلقـك ، فيقـول : فمـا عَسيتَ إنْ أُعطِيتَ ذلـك أن تســأل غيرَه ؟ فيقـول : لا وَعِزَّتِكَ ، لا أسألك غيرَ هذا ، فيعطي ربَّه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدِّمُه إلى بابِ الجنة فإذا بلغ بابها ، رأى زهْرتها وما فيها من النَّضرة والسُّرور » .

ـ وفي رواية (١) : « فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت لَه الجنة : فرأى ما فيهـا من الحبرة والسرور ، فسكت مـاشـاء الله أن يسكتَ فيقول : يـارب أدخلني الجنـة ، فيقول اللهُ : ويحك ! ياابنَ آدم ماأَغْدَرَكَ ؟ أليس قد أعطيت العهود أن لا تسأل غير الذي قد أُعطِيت ؟ فيقول : يارب ، لا تجعلني أشقى خَلْقِـكَ ، فيضحَـكُ الله منـه ، ثم يَـأْذَنُ لـه في دخـول الجنــة ، فيقـول : تَمَنَّ . فيتمنى ، حتى إذا انقطـع أُمنِيتُهُ ، قال الله تعالى : تمنَّ من كـذا وكـذا ـ يُـذكِّره ربُّـه ـ حتى إذا انتهت بـه الأمانيُّ قال الله : لك ذلك ومِثْلُه معه » .

قـال أبو سعيـد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما : إنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « قـال الله : لَكَ ذَلك وعشرةُ أمثـالـه » . قـال أبو هريرة : لم أَحْفَـظْ من رسولِ الله ﷺ ، إلا

= (قَشَبني ريحها) : : آذاني ، والقشب ، السّمّ ، والقشيب : المسموم ، فكأنه قال : قد سَمَّني ريحها .

(ذكاها) : ذكا النار ، مفتوح الأول مقصورًا : اشتعالها ولهبها .

(الزهرة) : الحسن والنضارة والبهجة .

(١) البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

(انفهقت) : : أي انفتحت واتسعت . (الحبرة) : السرور والنعمة . =

قوله : « لك ذلك ومثله معه » قال أبو سعيد : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لك ذلك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخرُ أهل النار دخولاً الجنة .

وفي رواية مسلم (١) عن عطاء وابن المسيب ، وقال : قال أبو هريرة : إنَّ الناس قالوا للنبيِّ ﷺ : يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ ... وساق الحديث بمثله . هكذا قال مسلم ، ولم يذكر لفظه ، وأخرجه البخاري عن عطاء وحده بنحوه .

ورواه الترمذي (٢) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أخصر من هذا : أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامة في صعيدٍ واحدٍ ، ثم يَطَّلِعُ عليهم ربُّ العالمين ، فيقول : ألا لِيتبعْ كلُّ إنسانٍ ما كان يَعْبُدُ ، فيمثَّل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النَّارِ ناره ، فيَتَّبعون ما كانوا يعبدون ، ويبقى المسلمون ، فيطَّلعُ عليهم ربُّ العالمين ، فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك ، الله ربُّنا وهذا مكاننا حتى نرى ربَّنا ، وهو يأمرهم ويُثَبِّتهم » . قالوا : وهل نراه يا رسولَ الله ؟ قال : « وهل تُضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلة البدر » ؟ قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « فإنكم لا تُضارُّون في رؤيته تلك الساعة ، ثم يتوارى ، ثم يطلع ، فيعرِّفهم نفسه ، ثم يقول : أنا ربُّكم فاتَّبعوني ، فيقوم المسلمون ، ويوضع الصراط ، فيمرُّ عليه مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه : سَلِّم سَلِّم ، ويبقى أهل النار ، فيطرح منهم فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ ثم يُطرح فيها فوج ، فيقال : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟ حتى إذا أُوعِبُوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها ، وأُزْوِيَ بعضُها إلى بعض ، ثم قال : قطٍ ، قالت : قَطٍ قَطٍ ، فإذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ : أُتِيَ بالموتِ مُلَبَّبًا فيوقف

---

(١) مسلم (١ / ١٦٣ - ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٩١) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٠ - باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

(زويت) : الشيء إلى الشيء : ضممت بعضه إلى بعض ، وجمعته إليه .

(قط قط) : بمعنى حسبي وكفاني .

(ملبَّبًا) : كأنه أخذ بتلابيبه ، وهو استعارة ، والأخذ بالتلابيب : أن يجمع على الإنسان ثوبه ، ويأخذ بمقدَّمه فيجرُّ به .

على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : ياأهل الجنة ، فيطلعون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين ، يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون ـ هؤلاء وهؤلاء ـ قد عرفناه ، هو الموت الذي وُكِّلَ بنا ، فيُضجَع ، فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال لهم : يا أهل الجنة ، خلودٌ لا موت ، ويا أهل النار ، خلودٌ لا موت » .

وروى النسائي [١] منه طرفًا من وسطه ، وهو قوله : « فتأتي الملائكة فتشفع ويشفع الرسل » ، وذَكَرَ الصراط ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فأكون أول من يجيز ، فإذا فرغ الله من القضاء بين خلقه ، وأخرج من النار مَنْ يريد أن يخرج ، أمَرَ الله الملائكة والرسل أن تَشْفَعَ ، فيشفّعون بعلاماتهم ، إنَّ النارَ تأكل كلَّ شيء من بني آدم إلا موضع السجود ، فيصب عليهم ماءُ الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في السيل » .

أقول : في النص الذي مرّ معنا عدد من مشاهد يوم القيامة وهي بعضٌ من كل ، وهي تعطينا تصورًا عن تعليم رسول الله ﷺ وعن طريقة وعْظِه ، فالنص ابتدأ بالإجابة على سؤال ثم كان هناك تذكير بأكثر من مشهد من مشاهد يوم القيامة مما يناسب حال السامعين ، وقد طوى النص مشاهد كثيرة من مشاهد يوم القيامة جاءت بمناسبات أخرى أو ذكرها القرآن الكريم ومنه نعلم أن الواعظ يتخير لوعظه ما يناسب حال السامعين ، والمحدث يتخير لحديثه ما يناسب حال المخاطبين وقل مثل ذلك في المحاضرة والخطبة والدرس والعلم والتعليم وقد حاولنا أثناء العرض الإجمالي ومن خلال التعليقات أن ننقل أكبر قدر من مشاهد يوم القيامة مع إبراز تسلسل الأحداث بالقدر الذي أسعفتنا فيه المراجع ولم نقف عند الكثير من النصوص ؛ لأن أمر القيامة غيب والمسلم مستقر في قلبه التنزيه والتسليم فلا يفوته أن يفهم النصوص على ضوء التنزيه ولا يفوته مع التنزيه أنْ يسلِّم: **﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾** [٢] .

---

(١) النسائي (٢ / ٢٢٩) ١٢ ـ كتاب التطبيق ، ٨١ ـ باب موضع السجود .

(٢) الأعراف : (٥٣) .

١٢١٨ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه ، قال : إن ناسًا في زمن رسولِ الله ﷺ - وفي رواية : قال : قلنا - يا رسولَ الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « نعم ، فهل تضارُّون في رؤية الشَّمسِ بالظهيرة صَحْوًا ليس معها سَحابٌ ؟ وهل تضارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدر صَحوًا ليس فيها سَحابٌ » ؟ قالوا : لا ، يا رسولَ الله ، قال : « فما تضارُّون في رؤية الله تعالى يومَ القيامة إلا كما تضارُّون في رؤيةِ أحدهما ، إذا كان يومُ القيامة أذَّن مؤذِّنٌ : لِتَتَّبِعْ كُلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبُدُ ، فلا يبقى أحدٌ كان يَعبُدُ غيرَ الله - من الأصنام والأنصاب - إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يَبقَ إلا مَنْ كان يعبد الله مِنْ بَرٍّ وفاجر ، وغُبَّرِ أهلِ الكتاب ، فَيُدْعى اليهودُ ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزيرًا ابنَ الله ، فيقال : كَذَبتم ، ما اتَّخَذَ اللهُ من صاحبة ولا ولدٍ ، فماذا تبغون؟ قالوا : عَطِشْنَا ياربَّنا فاسْقِنا ، فيشار إليهم : ألا تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرون إلى النار كأنَّها سَرابٌ يَحْطِم بعضُها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، ثم يُدْعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كُنَّا نعبد المسيحَ ابنَ الله ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتَّخذ الله من صاحبةٍ ولا ولدٍ ، فماذا تبغون ؟ فيقولون : عَطِشْنَا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تَرِدُون ؟ فَيُحشَرون إلى جهنَّم كأنَّها سَرَابٌ يحطمُ بعضُها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجرٍ ، أتاهم الله في أدنَى صورة من التي رَأَوْه فيها ، قال : فما تنظرون ؟ تَتْبَع كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تَعبُدُ ، قالوا : ياربَّنا ، فارقْنَا الناس في الدنيا أفقرَ ما كُنَّا إليهم ، ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نُشرك بالله شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - حتى إنَّ بعضَهم ليكاد أن ينقلبَ ، فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها ؟ فيقولون :نعم ، فيُكشَف عن سَاقٍ ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن اللهُ له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجدُ لله

١٢١٨ - مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

(غُبّر) : جمع غابر ، وهو الباقي ، وغُبّرات جمع الجمع .

(الحطم) : الكسر والدق ، أي ينكسر بعضها على بعض .

=

اتقاءً ورياءً ، إلا جعل اللهُ ظهْرَه طَبقةً واحدةً ، كلما أراد أن يسجدَ خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في صورته التي رَأوه فيها أولَ مرة ، فقال : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ، ثم يُضْرَبُ الجِسرُ على جهنم ، وتَحل الشفاعةُ ، ويقولون : اللهم سَلِّم سَلِّم » قيل : يا رسولَ الله ، وما الجِسْرُ ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فيه خطاطيفُ وكلاليبُ ، وَحَسَكَةٌ تكون بنَجدٍ ، فيها شُوَيْكَةٌ ، يقال لها : السعدان ، فيمرُّ المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق والريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخدوش مُرْسَل ، ومَكْدُوسٌ في نار جهنم ، حتى إذا خَلَصَ المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ، ما من أحدٍ منكم بأشدَّ مناشدةً لله في استيفاء الحق من المؤمنين يومَ القيامة لإخوانهم الذين في النار » وفي رواية « فما أنتم بأشد مناشدةً في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رَأَوا أنَّهم قد نجوا في إخوانهم ، فيقولون : ربَّنا كانوا يصومون معنا ، ويصلُّون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عَرَفتم ، فتُحرَّم صُوَرُهم على النَّار ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا قد أخذت النارُ إلى نصف ساقه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربَّنا ما بقي فيها أحدٌ مِمَّن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير فأخرجوه ، فَيُخْرِجونَ خلْقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربَّنا ، لم نَذَر فيها أحدًا مِمَّن

= (اتقاءً) : فَعَلْت ذلك اتقاءً ، أي خوفًا .

(طبقة) : الطبقة والطبق : الصحيفة الواحدة .

(دحض) : الدَّحضُ : الزلق ، وهو الماء والطين .

(مزلّة) : موضع الزلل ، وأن لا يثبت القدم على شيء فيسقط صاحبها .

(خطاطيف) : الخطاطيف كالكلاليب . المعقّفة : المعوجة .

(كأجاويد الخيل) : الجواد : الفرس الرائع للذكر والأنثى ، والجمع جياد وأجاويد ، وكأنْ أجاويد جمع الجمع .

(مخدوش) : المخدوش : المجروح . و « المكدوس » قال الحميدي : كذا وقع في الروايات : مكدوس ، وقد سمعت بعضهم يقول : إنه تصحيف من الرواة ، وإنما هو مُكَردَس ، فإن صَحّت الرواية في مكدوس ، فلعله من الكدس ، وهو المجتمع من الطعام ، فكأن الإنسان تجمع يداه ورجلاه ويشدُّ ، ويُلقَى في النار ، وهو بمعنى المكردس ، وقد جاء في بعض نسخ مسلم « مكدوش » بالشين المعجمة ، فإن صح ، فهو من الكدش بمعنى الخدش ، والكدش أيضاً : السوق الشديد ، والكدس ـ بالسين المهملة ـ إسراع المثقل في السير ، فيجوز أن يكون منه ، كأنه مثقل بذنوبه ، وله مَنْ يحثُّه على المشي ، وذلك آكد في تعذيبه وتعبه . =

أمرتنـا ، ثم يقـول : ارجعـوا ، فمن وجـدتم في قلبـه مثقـال نصْفِ دينـار من خير فـأخرجوه ، فَيُخرجون خَلقًـا كثيرًا ، ثم يقولـون : ربَّنـا لم نَـذَر فيهـا ممن أمرتنـا أحـدًا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجـدتم في قلبـه مثقـالَ ذرَّةٍ من خيْرٍ فـأخرجوه ، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها خيرًا » وكان أبو سعيد يقول : إن لم تُصَدّقوني بهـذا الحـديث ، فـاقرؤوا إن شئتم : ﴿ **إنَّ الله لا يظْلِمُ مِثقـال ذرَّة وإن تَـكُ حسنةٌ يُضاعِفْهَـا ويُؤتِ من لَـدُنْـهُ أجرًا عظيمًـا** ﴾ (١) . « فيقول الله عز وجل : شَفَعَتِ الملائكـةُ ، وشَفَعَ النبيُّون ، وشَفَعَ المؤمنون ، ولم يبـق إلا أرحمُ الراحمين ، فيقبِضُ قَبْضَـةً من النـار ، فيُخرج منهـا قومًـا لم يَعْمَلُـوا خيرًا قَـط ، قـد عـادوا حُمَمًـا ، فيلقيهم في نَهرٍ في أفواه الجنة ، يقال له : نهر الحيـاة ، فَيَخْرُجُون كما تَخْرُجُ الْحِبَّـةُ في حميـل السَّيـل ، ألا تَرَونَهـا تكـون إلى الحَجَر أو إلى الشجر ، مـا يكـون إلى الشمس أصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ ، وما يكون منها إلى الظل ، يكون أُبَيْضَ » ؟ فقـالوا : يـا رسـولَ الله ، كأنـك كنتَ تَرعَى بـالبـاديـة ، قـال : « فيخرجـون كاللـؤلـؤ ، في رِقـابهم الخواتيم ، يعرفهم أهـل الجنـة ، هـؤلاء عتقـاء الله الـذين أدخلهم الجنّـة بغير عمـل عَمِلُـوه ، ولا خيرٍ قَـدَّمُـوه ، ثم يقـول : ادخلـوا الجنـة ، فمـارأيتمـوه فهـو لكم ، فيقولون : ربَّنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العـالمين ، فيقول : لكم عنـدي أفضلُ من هذا ، فيقولون : يـاربَّنـا ، أيُّ شيء أفضلُ من هـذا ؟ فيقول : رِضـايَ ، فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبدًا » .

قال مسلم : قرأت على عيسى بن حماد ـ زغْبَةَ ـ المصري هذا الحديث في الشفاعة ، وقلتُ له : أُحَدّثُ بهذا الحديث عنك ، أنّك سمِعتَهُ من الليث بن سعد ؟ فقال : نعم .

وقال مسلم عن أبي سعيد : إنَّه قال : قلنـا : يـا رسول الله ، أنرى ربَّنـا ؟ قـال : « هل تضارُّون في رؤيـة الشمس إذا كان يومٌ صَحْوٌ » ؟قلنـا . لا ... وسـاق الحـديث ، حتى انقضى إلى آخره ، وزاد بعـد قولـه : « بغير عمل عَمِلُـوه ، ولا خير قـدَّمـوه » : « فقـال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » . قال أبو سعيد : بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ

---

(١) النساء : ٤٠ .

(حُمَمًا) : جمع حمة ، وهي الفحمة .

من السيف ، وليس فيه : « فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من العالمين » وما بعده .

وفي رواية [١] قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربَّنا ؟ قال : « هل تضارُّون في رؤية الشمس إذا كانت صَحْوًا » ؟ قلنا : لا ، قال : « فإنكم لاتضارُّون في رؤية ربِّكم يومئذ ، إلا كما تضارُّون في رؤيتها » . قال : « ثم ينادي مُنَادٍ : ليذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يَعْبدون ، فيذهبُ أصحابُ الصليب مع صليبهم ، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله عز وجل من بَرٍّ وفاجرٍ ، وغُبَّراتٍ من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنَّمَ تُعْرَضُ كأنها السَّراب ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزيرًا ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تَسقِينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم . ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابنَ الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تَسقينَا ، فيقال : اشربوا ، فيتساقطون ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ ، فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليومَ ، فإنا سمعنا مُناديًا ينادي : لِيَلْحَق كلُّ قوم ما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربَّنا ، قال : فيأتيهم الجبَّار في صورةٍ غير صورته التي رَأَوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : أنتَ ربُّنا ؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء ، فيقال : هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونها ؟ فيقولون : نعم ، الساق ، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كلُّ مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعة ، فيذهب كيْما يسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثم يؤتى بالجسر ، فيجعله بين ظهري جهنم » قلنا : يا رسول الله ، وما الجسر ؟ قال : « مدْحضة مزلَّةٌ ، عليها خطاطيفُ وكلاليبُ ، وحسَكة مُفلْطَحة ،

---

(١) البخاري (١٣ / ٤٢٠) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة .. ﴾ .

(مفلطحة) : المفلطح : الذي فيه عرض .

لها شوكةٌ عقيفةٌ تكون بنجد ، يقال لها : السَّعدان ، يمرُّ المؤمن عليها كالطَّرْف وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مُسلَّم ، وناج مَخْدُوشٌ ، وَمكدُوسٌ في نار جهنم ، حتى يمرَّ آخرُهم ، يُسحَب سَحْبًا ، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدةً في الحق قد تبين لكم مِنَ المؤمن يومئذ للجبار ، فإذا رأوا أنهم قد نَجَوْا شَفَعوا في إخوانهم ، يقولون : ربَّنا ، إخوانُنا كانوا يُصلُّون معنا ، ويصومون مَعنَا ، ويعملون معنا ، فيقول الله عز وجل : اذهَبُوا ، فمن وَجدْتُم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار بذنوبهم ، فبعضُهم قد غاب في النار إلى قدميه ، وإلى أنصاف ساقيه ، فيُخْرِجون من عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فَيُخْرِجُون مَنْ عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذَرَّةٍ من إيمان فأخرجوه ، فيُخْرِجون من عَرَفُوا - قال أبو سعيد : فإن لم تصدّقوني ، فاقرؤوا ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذَرَّةٍ وإن تك حسنةً يضاعفها** ﴾ [(١)] - فيشفع النبيون ، والملائكة ، والمؤمنون ، فيقول الجبار : بَقَيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار ، فيُخْرِجُ أقوامًا قد امتَحِشُوا ، فَيُلْقون في نهر بأفواه الجنة ، يقال له : ماءُ الحياة ، فينبتون في حافَّتيه كما تنبت الحبَّة في حَميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان إلى جانب الظل منها كان أبيض ، فيخرجُون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاءُ الرحمن ، أَدْخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدَّموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » .

وفي رواية النسائي [(٢)] طَرَف منه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مُجادَلَةُ أحدِكم في الحق يكون له في الدنيا بأشدَّ مجادلةً من المؤمنين لربهم في إخوانهمُ الذين

(عقيفة) . العقْف : الملويُّ مثل الصنَّارة ، والتعقيف : التعويج .

(مناشدة) : المناشدة : المسألة .

(١) النساء : ٤٠ .

(٢) النسائي (٨ / ١١٢) ١ - كتاب القسامة ، ١٨ - باب زيادة الإيمان .

أُدخلوا النار » ، قال : « فيقولون : ربَّنا ، إخوانُنـا كانوا يصلُّون مَعَنَـا ، ويصومون معنا ، ويَحُجُّونَ معنا ، فأدخلتَهم النار » ؟ قـال : « فيقول : اذهبوا فـأخرِجوا من عرفتم منهم » قـال : « فيـأتونهم فيعرفـونهم بصـورهم ، فمنهم من أخـذتـهُ النـار إلى أنصـاف سـاقيـه ، ومنهم من أخـذتـه إلى كعبيـه ، فيخرجونهم ، فيقولون : ربَّنـا قدأخرجنا من أمَرتنا » قال : « ثم يقول : أَخْرِجُوا مَنْ كان في قلبه وزن دينار من إيمان ، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار ، حتى يقول : مَنْ كان في قلبه وزن ذَرَّةٍ » قال أبو سعيد : فمن لم يصدّق ، فليقرأ هذه الآيـة ﴿ **إنّ الله لا يظلمُ مثقـالَ ذَرّةٍ وإن تكُ حسنةً يُضاعِفْها ويُؤْتِ من لَدُنْه أجرًا عظيمًا** ﴾ (١) .

أقول : الملاحظ أن الروايات التي مرت معنـا وبعض الروايـات التي ستمر معنـا في هـذه الفقرة تتحـدث عن رؤيـة الله عز وجل في الحشر قبل دخول الجنـة ورؤيـة الله عـز وجـل ثابتة لأهل الإيمان في الحشر وفي الجنة ، وفي حديث أبي سعيد تركيز على مواقف بعينهـا أمـا محل هذه المواقف بالنسبة لتسلسل الأحداث يوم القيامة فـإنه يحتـاج إلى استشراف لعـامـة النصوص . والظاهر من النصوص أن إدخال أهل النارِ النّـار وادخـال أهل الجنـةِ الجنـةَ أنـه يكـون بعـد إقـامـة أنـواع من الحجـج ولكن كما ذكر ابن كثير في النهـايـة أن بعض الرواة يطوون ذكر بعض المشاهد ويركزون على بعض المشاهد ، ردًّا على جـاحـد أو مبتـدع وقـد يكون هذا الطي من رسول الله ﷺ لتركيز معنى معين عند أصحابه في جلسة من الجلسـات ثم يركز على معنى آخر في جلسة أخرى فقد كان من سنته عليه الصلاة والسلام تركيز المعاني في الأنفس حتى إنه كان يكرر الكلمة ثلاثًا لتعقل منه .

وقد مرت معنا في رواية أبي سعيد كلمة يحسن أن نقف عندها لأنها تصادفنـا كثيرًا وهي قوله عن الصراط : « بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدُّ من السيف » فهذه العبـارة حملهـا بعضهم على الحقيقـة ، والتحقيق أنهـا محمـولـة على المجـاز كما مر معنـا في العرض الإجمـالي لأن نصوصًا أخرى تتحدث عن جنبتي الصراط وليس لحدّ السيف جانبان .

---

(١) النساء : ٤٠ .

١٢١٩ - * روى مسلم عن أبي الزبير رضي الله عنه سمع جابرًا يُسأل عن الورود ؟ فقال نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا ، أُنْظُرْ - أي ذلك فوق الناس - قال : فتُدْعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد : الأولُ فالأولُ ، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك ، فيقول : مَنْ تنظرُون ؟ فنقول : ننظر ربَّنا ، فيقول : أنا ربُّكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلَّى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، ويَتَّبعونه ، ويُعطَى كلُّ إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورًا ثم يتَّبعونه ، وعلى جِسْرِ جهنم كلاليبُ وَحَسَك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يَطْفَأُ نورُ المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أولُ زمرةٍ ، وجوههم كالقمر ليلةَ البدر ، سبعون ألفًا ، لا يُحاسَبُون ، ثم الذين يَلُونَهم كأَضْوَأ نجم في السماء . ثم كذلك ، ثم تَحِلُّ الشفاعةُ ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يَزِن شعيرةً ، فَيُجعَلون بفناء الجنة ، ويَجْعَل أهلُ الجنة يَرُشُّون عليهم الماء ، حتى ينبتُوا نبات الشيء في السَّيل ، ويذْهبُ حُرَاقُهُ ، ثم يسألُ حتى تُجعَلَ له الدنيا وعشرةُ أمثالها معها .

١٢٢٠ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقاتِ يومٍ معلوم قيامًا أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم ينتظرون فصلَ القضاء » قال : « وينزلُ الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها النَّاس ألم تَرضَوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمرَكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولى كل أناسٍ منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا بلى » قال : « فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون في الدنيا » . قال : « فينطلقون ويُمثَّلُ لهم أشباهُ ماكانوا يعبُدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون » قال : « ويُمَثَّلُ لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى ويمثَّلُ لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمَّتُهُ » قال :

١٢١٩ - مسلم (١ / ١٧٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب ادنى أهل الجنة منزلة فيها .

١٢٢٠ - المعجم الكبير (٩ / ٤١٧) .

مجمع الزوائد : (١٠ / ٣٤٠) وقال : رواه كله الطبراني من طرق ، ورجال أحدها رجال الصحيح ، غير أبي خالد الدالاني ، وهو ثقة .

قال الحافظ ابن حجر : أبو خالد الدالاني صدوق يخطئ كثيرًا وكان يدلس .

أقول : وطريق الطبراني الأخرى حسنة السند متصلة والله أعلم .

« فيتمثلُ الربُّ تباركَ وتعالى فيأتيهم فيقَولُ ما لكم لا تنطلقون كانطلاق الناس فيقولون : إن لنا لإلها ما رأيناه . فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها » . قال : « فيقول : ما هي فنقول : يكشف عن ساقه » قال : « فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخرُّ كلٌّ من كان نظره ، ويبقى قومٌ ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجودَ فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهمْ سالمون ، ثم يقول : ارفعوا رؤوسَكُم فيرفعون رؤوسهم فيُعطيهم نورَهم على قدرِ أعمالِهِم : فمنهم من يُعطى نورَه مثلَ الجبلِ العظيمِ يسعى بين يديه ، ومنهم من يُعطى نورَهُ أصغَر من ذلك ومنهم من يُعطى مثلَ النخلةِ بيده ، ومنهم من يُعطى أصغرَ من ذلك حتى يكونَ آخِرُهم رجلا يعطى نورَه على إبهام قدميه يضيء مرة وَيَطْفَأُ مرة فإذا أضاء قدم قدمه وإذا طَفِئَ قام » .

قال : « والرب تبارك وتعالى أمامهم ، حتى يَمُرَّ في النار فيبقى أثرهُ كَحَدِّ السيف » قالَ : « فيقولُ : مروا فيمرون على قدرِ نورهم : منهم من يمر كطرفة العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم من يمر كشد الرحل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحثو على وجهه ويديه ورجليه تَخِرُّ يدٌ وتَعْلَقُ يدٌ وتَخر رِجْل وتعلق رجل ، وتصيبُ جوانبَه النارُ فلا يزال كذلك حتى يَخْلُصَ فإذا خَلَصَ وقف عليها فقال : الحمد لله فقد أعطاني الله ما لم يعطِ أحدًا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها » . قال : « فَيُنْطَلَقَ به إلى غدير عند باب الجنةِ فيغتسلُ فيعود إليه ريحُ أهلِ الجنة وألوانُهم فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب أدخلني الجنةَ فيقول الله : أتسألُ الجنةَ وقد نجيتُك من النار ؟ فيقول : رب اجعل بيني وبينها حِجابا لا أسمعُ حَسيسَها » قال : « فيدخُلُ الجنةَ ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حُلمٌ فيقول : رب أعطني ذلك المنزلَ ، فيقول له : لعلك إن أعطيتُكه تسألُ غيرَه ، فيقول : لا ، وعِزتك لا أسألُك غيرَه ، وَأَنَّى منزلٌ أحسن منه ، فيُعطى فينْزِلُهُ . ويرى أمامَ ذلك مَنزلا كأن ما هو فيه إليه حلم ، قال : رب أعطني ذلك المنزَل ، فيقول الله تبارك وتعالى له : فلعلك إن أعطيتُكَه تسألُ

غيرَه ، فيقول وعزتك يارب وأنّى منزلٌ يكون أحسنَ منه ، فيُعطاه وينزلُه ثم يَسكتُ فيقول الله جلَّ ذكرُه : مالك لا تسألُ ؟ فيقول : رب قد سألتُك حتى قد استحييتُك وأقسمتُ حتى استحييتُك . فيقول الله جل ذِكرُه : ألم ترضَ أنِ أُعطيَك مثلَ الدنيا منذ خلقتُها إلى يوم أفنيتُها وعشرةَ أضعافِه ، فيقول : أتهزأُ بي وأنت ربُّ العزةِ ؟ فيضحكُ الرب تبارك وتعالى من قوله » قال : فرأيت عبدَالله بنَ مسعودٍ إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، قد سمعتك تحدث هذا الحديث مرارًا كلما بلغت هذا المكان ضحكتَ ، قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يحدث هذا الحديثَ مرارًا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضَحِكَ حتى تبدُوَ أضراسُه قال : « فيقول الرب جلَّ ذكرُه : لا ولكني على ذلك قادرٌ ، سَلْ : فيقول : ألحقني بالناس ، فيقول الْحَقْ بالناس » قال : « فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قَصْرٌ من درة فَيَخِرُّ ساجدًا فيقال له : ارْفَعْ رأسك ، مالك ؟ فيقول : رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له : إنما هو منزل من منازلك » قال : « ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له ، فيُقالُ له : مه . فيقولُ : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول : إنما أنا خازن من خزانك وعبد من عبيدك ، تحت يدي ألفُ قَهرمانٍ على مثل ما أنا عليه » قال : « فيَنْطَلِقُ أمامَه حتى يَفْتَحَ له القصرَ » قال : « وهو من دُرَّةٍ مُجوفةٍ ، سقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومفاتيحُها منها تَستقبلهُ جوهرةٌ خضراءُ مبطنةٌ بحمراءَ فيها سبعون بابًا ، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراءَ مبطنة ، كلُّ جوهرة تُفْضي إلى جوهرةٍ على غيرِ لونِ الأخرى ، في كلِّ جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حَوارء عَيناء عليها سبعون حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِها من وراء حُلَلِها ، كبدها مرآتُه وكَبِدُهُ مرآتُها ، إذا أعرضَ عنها إعراضة ازدادتْ في عينه سبعين ضِعفًا عما كانت قبل ذلك فيقول لها : والله لقد ازددتِ في عيني سبعين ضعفًا وتقول له : وأنت ازددتَ في عيني سبعين ضعفا ، فيقال له : أشرفْ فيشرفُ . فيقال له : ملك مسيرةُ مائة عام يَنْفُذُه بصرُك » قال : فقال عُمَرَ ألا تسمعُ ما يحدثنا ابن أم عبد ياكعبُ عن أدنى أهلِ الجنةِ مَنزلاً فكيف أعلاهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ . إن الله جل ذِكرُه خلق دارًا جعلَ فيها ما شاء

من الأزواج والثمراتِ والأشربة ثم أطبقَها فلم يرها أحدٌ من خلقه لا جبريلُ ولا غيرُه من الملائكةِ ، ثم قال كعبٌ ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [1] قال : وخلق دون ذلك جنتين وزَيَّنَها بما شاءَ وأراهما من شاءَ من خلقِهِ ، ثم قالَ : من كان كتابُه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحدٌ حتى إن الرجلَ من أهل عِليين ليَخْرُجُ فيسيرُ في ملكِه فلا تبقى خيمةٌ من خيمِ الجنة إلا دخلَها من ضوء وجهه فيستبشرون لريحه ، فيقولون : واهًا لهذا الريح ، هذا ريحُ رجلٍ من أهل عِليين قد خرج يسيرُ في مُلكِه ، قال : ويحكَ يا كعبُ إن هذه القلوبَ قد استرسلتْ فاقبضْها . فقال كعبٌ : إن لجهنمَ يومَ القيامة لزفرةً ما من مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبي مُرسَلٍ إلا خرَّ لركبتيه حتى إن إبراهيمَ خليلَ اللهِ ليقول : ربِّ نفسي نفسي . حتى لو كان لكَ عملُ سبعين نبيًا إلى عملك لظننت أن لا تنجو . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « يقوم الناس لرب العالمين ألف سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » قال : فذكر مثل حديث زيد بن أبي أنيسة .

أقول :

من الملاحظ أنه قد ورد معنا في هذا النص تحديد للزمن الذي يسبق فصل الخطاب ، فأول الرواية ذكرت أربعين سنة ، وآخر النص ذكر رواية أخرى حددته بألف عام ، ولمثل هذا كان للتحقيق من أهله محله في فهم النصوص ، وفي جمع بعضها مع بعض وفي ترجيح الأخذ ببعضها ، وبسبب من هذا وجد في كل علم أئمة هدى سلمت لهم الأمة فمع إيماننا بعدالة الصحابة جميعًا ومع ثقتنا بالعدول من الرواة فإن للوهم أو للخطأ محلا في الرواية ، ولذلك أحالنا القرآن في سياقه على الراسخين في العلم في كل ما تشابه من القرآن ، وهو المنقول تواترًا والمحفوظ من الله عز وجل فكيف بما تشابه من نصوص السنة التي لم يوجد في كل نص منها تواتر بل وجد في بعضها تواتر لفظي أو معنوي وبعضها لم يوجد فيه تواتر أصلاً ، ثم هي لم يدخل كل نص منها بالتحديد في دائرة الحفظ الإلهي ، ومن ههنا كان الرجوع في فهم غير القطعيات في الشريعة إلى فهوم الراسخين في العلم من أئمة الهدى هو الذي ينبغي أن

(١) السجدة : ١٧ .

يكون ملاذ المؤمن قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس » ثم إن رسول الله ﷺ علمنا « فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامِعٍ » ، وكما يكون هذا يكون العكس فرب مبلغ لا يعي أن يضع النصوص في مواضعها ، ولا يحملها على محاملها الصحيحة ولا يعطيها محلها في مجموعة النصوص الواردة في الموضوع الواحد ، ومن ههنا فإننا لا نعطي حق الإمامة في الدين والاجتهاد في الفهم إلا لمن توافرت فيه شروطه ، ثم إن الصحابة أنفسهم قد يوجد عند بعضهم من العلم مالا يوجد عند الآخر مع أن الجميع لا يفوتهم قطعي في الشريعة ولا معلوم من الدين بالضرورة ، ولكن قد يفوت بعضهم ما عند الآخر فإذا جمع ما عند الجميع وترك ما خالف فيه الثقةُ الثقات وما كان فيه علة تمنع الأخذ به استقام الأمر ويبقى القرآن هو الأصل والسنة شارحة له وكل ذلك يجعلنا نحتاج لتحقيقات الراسخين في العلم . وعلى كل الأحوال إذا فاتنا أن نعرف تحقيقات الراسخين في العلم فلا يفوتنا ونحن نقرأ نصوص السنة الثابتة التسليم ، وإذا وجدنا تعارضًا مع القطعيات فإلى القطعيات المرجع ، وإذا لم تكن هناك قطعيات فالتفويض لله والتصديق بما ورد على لسان رسول الله ﷺ - كما أراده رسول الله ﷺ - هو العاصم ، كما لا يفوتنا في كل الأحوال ونحن نقرأ نصوص الكتاب والسنة أن يكون من جملة أهدافنا التأثر والجد والتشمير ليوم النشور ، وهذا يتحقق في كل الأحوال سواءً عرفنا تحقيق أهل التحقيق في الفهم الدقيق نتيجة الرسوخ في العلم والتدبر العميق أو لم نعرفه ، ولنحذر أهل الشذوذ الذين يخالفون إجماع الراسخين في العلم ممن يسيئون الظن بأئمة الهدى الذين أجمعت الأمة على إمامتهم .

١٢٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنّا مع النبيِّ ﷺ في دَعْوةٍ ، فَرُفِعَ إليه الذِّراعُ - وكانت تعجبه - فَنَهَسَ منها نَهْسةً وقال : « أنا سيِّد الناس

١٢٢١ - البخاري (٨ / ٣٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٥ - باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ .

وله طرف فيه: (٦ / ٣٧١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٣ - باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ .

مسلم (١ / ١٨٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

والترمذي (٤ / ٦٢٢) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٠ - باب ما جاء في الشفاعة . وقال : حديث حسن صحيح .

(فنهس) : النهسُ : أخذُ اللحم بمقدَّم الأسنان .

يومَ القيامةِ هل تدرون ممَّ ذاك ؟ يجمع اللهُ الأولين والآخرين في صَعيدٍ واحد ، فيُبْصِرُهم الناظرُ ، ويسمَعُهُم الداعي ، وتدنو منهم الشمسُ ، فيبلُغُ الناسَ من الغَم والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناسُ : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلَغكم ، ألا تنظرونَ مَنْ يشفعُ لكم إلى ربِّكم ؟ فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ : أبوكم آدمَ ، فيأتونه ، فيقولون : ياآدمُ ، أنتَ أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنكَ الجنةَ ، ألا تشفعُ لنا إلى ربِّك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بَلَغَنا ؟ فقال : إن ربي غضِبَ اليوم غضبًا لم يَغضبْ قبله مثلَه ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرةِ ، فعصيْتُ ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذْهَبُوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوحٍ ، فيأتون نوحًا فيقولون : يانوحُ ، أنت أولُ الرسل إلى أهلِ الأرضِ ، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بَلَغنَا ؟ ألا تشفعُ لنا عند ربك؟ فيقول : إن ربي غَضِبَ اليوم غضبًا لم يغضَبْ مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنَّه قد كان لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيمَ ، فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبيُّ الله ، وخليلُه من أهلِ الأرض ، اشفعْ لنا إلى ربِّك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقولُ لهم : إنَّ ربي قد غَضِبَ اليوم غَضَبًا لم يغضَبْ قبله مثله ، ولن يغضَبَ بعده مثله ، وإني كنتُ كذبتُ ثلاث كَذَبات ... فذكرها نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : أنت رسولُ الله ، فضّلكَ برسالاته وبكلامه على الناسِ ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضبًا لم يغضبْ قبله مثله ، ولن يغضَبَ بعده مثله ، وإني قد قَتَلْتُ نَفْسًا لم أُومَرْ بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : ياعيسى ، أنتَ رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ، وروح منه ، وكلمتَ الناسَ في المهد ، اشفعْ لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى ، إن ربي قد غضِب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذْكُرْ ذَنْبًا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ،

اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمدٍ ، فيأتون محمدًا ﷺ » وفي رواية « فيأتونني فيقولون : يا محمد ، أنت رسولُ الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخرَ ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرشِ ، فأقَعُ ساجدًا لربي ، ثم يفتحُ الله عليَّ من محامده وحُسنِ الثناء عليه شيئًا لم يفتحْه على أحَدٍ قبلي ، ثم يقال : يا محمدُ ، ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تُشَفَّع ، فأرفَعُ رأسي ، فأقول : أمتي يارِبِّ ، أمَّتي يارِبِّ ، أمَّتي يارِبِّ ، فيقال : يا محمد ، أدْخِلْ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال « والذي نفسي بيده ، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكّة وهَجر - أو كما بين مكة وبُصرى » وفي كتاب البخاري : « كما بين مكة وحمير » .

أقول : مر معنا أن لرسولنا ﷺ ثلاث شفاعات كلها تدخل تحت مسمّى المقام المحمود سوى شفاعاته الأخرى : شفاعة لفصل الخطاب ، وشفاعة لعبور الصراط ، وشفاعة لدخول الجنة ، وكل هذه الشفاعات تكون بعد أن يلجأ الناس إلى بعض الأنبياء فيحيل كل منهم على آخر حتى يصل الأمر إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام ، وكثيرًا ما تتشابه النصوص فلا يعرف القارئ أي شفاعة من هذه الشفاعات يراد بنص من نصوص الشفاعة العظمى ، ولا يكلّف المسلم أن يعرف كيف يحمل كل نص من هذه النصوص على مقام بعينه بل يخشى عليه من الخطأ فيكفيه أن يعرف أصل المسألة مع التسليم والتفويض والجد والتشمير .

وبمناسبة هذا الحديث الذي مر معنا نقول : إن العلماء يخشون أن يفهم فاهم من هذا الحديث وأمثاله ما يتنافى مع عصمة الأنبياء وهي قضية مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة فما يرد من ذكر المعاصي في حق الأنبياء محمول على أنها كانت قبل النبوة قال فرعون لموسى : ﴿ وفعلتَ فَعْلَتَك التي فعلتَ ﴾ [1] أي قَتْله القبطي فقال موسى عليه السلام ﴿ فعلْتُها إذًا وأنا من الضالين ﴾ [2] ﴿ فوهب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين ﴾ [3] أو هي محمولة على أنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، أو أنها محمولة على اجتهاد مأذون لهم فيه فلم

---

(١) الشعراء : ١٩ .
(٢) الشعراء : ٢٠ .
(٣) الشعراء : ٢١ .

يصلوا باجتهادهم إلى ما هو الصواب عند الله فلهم أجر واحد وهذا ليس معصية ، وحتى بالنسبة للخطأ في الاجتهاد هم معصومون مآلاً لأن الله يصحح لهم ، وعلى هذا فما خلّفه لنا رسول الله ﷺ معصوم قطعاً عن الخطأ وغيره ، لأنه إن حدث خطأ في الاجتهاد فإنهم يكونون مأجورين فيه ثم يصحح لهم ، فالعصمة بالنسبة للمعاصي ثابتة لهم ابتداءً وانتهاءً ، والعصمة بالنسبة للاجتهاد ثابتة لهم انتهاءً ، وعلى هذا فإنه يجب أن نعتقد أن كل ما ورثناه عن رسولنا مما هو من سننه فعلاً فإنه معصوم ولكن الرواة غير معصومين ، ومن ههنا وجد التحقيق والمحققون والاجتهاد والمجتهدون والرواية والمحدثون والجرح والتعديل إلى غير ذلك مما تحتاجه خدمة الشريعة .

تعليق وتأكيد :

- ذُكر في هذه الأحاديث الجامعة مشاهد من الموقف ومايكون بعده ، واخْتُصِرَت فيها مواقف ، فلم تذكر أخذ الصحف والحساب والورود على الحوض ، ذلك أن الرسول ﷺ كان من سنته أن يجمع بين تبشير وإنذار ، ومن ههنا كان يذكر مشهدًا من مشاهد الإنذار ثم يسارع إلى ذكر مشهد من مشاهد التبشير وقد يطوي أشياء تحدث بين المشاهد ليَفَصّلها في مقام آخر .

- رأينا في بعض النصوص أن بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام يعتذرون عن أفعال فعلوها أو فعلتها أقوامهم وقد يتوهم متوهم أنهم يعتذرون عن ذنوب تنقض مبدأ العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا وهم خاطئ ؛ فالرسل معصومون وما يعتذرون منه إنما يعتذرون منه لا لأنه ذنب بل لأنهم يعرفون من جلال الله ما يقتضي منهم كثرة الخوف من أفعال هم مأجورون عليها لأنهم فعلوها باجتهاد أو ترخصوا بها في موقف يجوز فيه الترخص ، أو هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كما ذكرنا .

* * *

الفقرة السادسة
في
الحوض

- أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر ولذلك يكفر منكر الحوض .

- ولكل رسول من الرسل حوضه الذي ترد عليه أمته ، وحوض رسولنا ﷺ هو أكثرهم واردًا .

- واختلف العلماء في مكان الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده ، والراجح أنه قبل الصراط فالناس يعطشون في الموقف . والنصوص تذكر أنه يُرَدُّ عن الحوض أقوام لكفرهم وردتهم ونفاقهم ، والصراط لا يجاوزه إلا أهل الإيمان .

- الثابت أن رسول الله ﷺ تعرض عليه أعمال أمته ، وبعض أحاديث الحوض تذكر أنه عليه الصلاة والسلام يرد عليه بعض أمته ، فتحول الملائكة بينهم وبين الحوض ، وأن رسول الله ﷺ يتساءل عن سبب ذلك فيخبر أن هؤلاء قد ارتدوا ، فهو إذن يجهل ردتهم مما يشير إلى أنه عليه الصلاة والسلام تعرض عليه أعمال أهل الإيمان ولا تعرض عليه أعمال أهل الكفر.

- وحوض رسولنا عليه الصلاة والسلام يأتي ماؤه من نهر الكوثر ، ونهر الكوثر في الجنة ، فمن فضل الله وكرمه أن يخرج من كوثر الجنة ما يصب بالحوض .

- والشرب من الحوض يحمي من الظمأ أبدًا فمن شرب منه لا يظمأ بعده وإنما يشرب بعد ذلك تلذذًا .

قال الشيخ أديب الكيلاني :

قال ملا علي القاري : حديث الحوض رواه من الصحابة بضع وثلاثون وكاد أن يكون متواترًا وقال الدكتور البوطي : الأحاديث الواردة في شأن الحوض ووصفه كثيرة جدًا زادت عن حد التواتر . اهـ . في تعليقه على (شرح جوهرة التوحيد) .

أقول : ومع أن أحاديث الحوض بلغت مبلغ التواتر إلا أن بعض أهل السنة والجماعة لا

يحكم بكفر منكرها بل يحكم بفسوقه أو ضلاله ، وقد لحظنا عبارة ملا علي القاري إذ قال « وكاد أن يكون متواترًا » فهناك خلاف حوال التواتر .

ـ والنصوص الواردة في الحوض تجدها في أكثر من سياق فهي تُذْكر مثلاً في الوضوء ، وتُذْكر في باب الردة ،وهذه بعض نصوص في الحوض :

النصوص

١٢٢٢ - روى مسلم عن أبي ذرّ الغِفَاري رضي الله عنه قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، ما آنيةُ الحوضِ ؟ قال : « والذي نفسُ محمد بيده ، لآنيتُه أكثرُ من عددِ نجوم السماء وكواكبها ، في الليلةِ المظلمة المُصْحِية ، آنيةُ الجنة ، مَنْ شَرِبَ منها لم يظمأْ آخِرَ ما عليه ، يَشْخُبُ فيه ميزابان من الجنة ، مَنْ شَرِبَ منه لم يظمأْ ، عرضُه مثلُ طولِه ، ما بين عمان إلى أيْلَةَ ، وماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحْلَى من العَسل » .

أقول : قوله عليه السلام : « لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية » إشارة إلى أن عدد نجوم السماء كلها أكثر من آنية الحوض ، ولكن آنية الحوض أكثر من النجوم المنظورة في الليلة المظلمة المصحية . وفي هذا التعبير معجزة عظمى فلم تنكشف كثرة نجوم هذا الكون إلا في عصرنا . وعلى هذا الحديث تحمل النصوص التي تطلق أن عدد كيزانه كنجوم السماء .

١٢٢٣ - * روى أبو داود عن عبدِ السلام بن أبي حازم أبي طالوت قال : شهدتُ أبا بَرْزَة رضي الله عنه دخلَ على عُبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ ، فحدَّثني فلان سماهُ مسلمٌ - يعني ابنَ إبراهيم - وكان في السِّماط ، فلما رآه عبيدُ الله ، قال : إن مُحَمَّديَّكم هذا لدَحْدَاحٌ ، ففهمها الشيخ، فقال : ما كنتُ أحْسِبُ أن أبقى في قومٍ يُعَيِّرونني بصحبة محمد ﷺ ، فقال له عبيد الله : إنّ صحبة محمدٍ ﷺ لكم زَيْنٌ غيرُ شَيْنٍ ، ثم قال : إنما بَعثتُ إليك لأسألَكَ عن الحوضِ ، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكر فيه شيئًا ؟ قال أبو برزةَ نعم ، لا مَرَّةً ، ولا مرتين ، ولا ثلاثًا ، ولا أربعًا ، ولا خمسًا ، فمن كَذَّبَ به فلا سقاه اللهُ منه ، ثم خرجَ مُغْضَبًا .

١٢٢٢ - مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

والترمذي (٤ / ٦٣٠) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١٥ - باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . وليس عنده : « يشخب فيه ميزابان في الجنة » .

(يشخب) : شَخَبَ يشخُبُ شَخْبًا : سال وجرى كما يجري الميزاب .

١٢٢٣ - أبو داود (٤ / ٢٣٨) كتاب السنة ، باب في الحوض ، وإسناده صحيح .

(السِّماط) : الصف من الناس . (الدَّحْدَاح) : القصير .

١٢٢٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، قال نبي الله ﷺ : « يُرَى فِيْهِ أَبَارِيْقُ الذَّهبِ والفِضَّة كعدد نجوم السَّمَاء » .

١٢٢٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « حَوضِي مَسيرةُ شهرٍ ، ماؤه أبيضُ من اللَّبَن ، وريحُهُ أطيَبُ من المِسْكِ ، وكِيزانه كنجومِ السماء ، مَنْ شَرِبَ منه لا يظمأُ أبدًا » .

وفي رواية (١) « مسيرة شهر ، وزواياه سواءٌ ، وماؤه أبيضُ من الوَرِقِ ... » وذكر نحوه .

١٢٢٦ ـ * روى مسلم عن حُذيفة بنِ اليمانِ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن حَوضِي لأبْعَدُ من أيْلَةَ من عَدَنٍ ، والذي نفسي بيده : إنِّي لأذودُ عنه الرجالَ ، كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضِه » ، قالوا : يا رسولَ الله وتعرفُنا ؟ قال : « نعم ، تَرِدُون عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلين من آثارِ الوضوء ، ليستْ لأحدٍ غيرِكم » .

أقول : وصف هنا بُعْدَ الحوض كما بين أيلة وعدن وفي حديث سابق ما بين عمان وأيلة ، وأيلة تقع في نهاية البحر الأحمر نحو الشمال على خليج العقبة ، والمسافتان بين عدن وبينها أو بين عمان وبينها متقاربة وقد يكون المخاطبون بمسافة من المسافات يعرفون هذه المسافة أكثر من غيرها .

١٢٢٤ ـ البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض ، وقول الله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٢ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
والترمذي (٤ / ٦٢٨) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١٤ ـ باب ما جاء في صفة الحوض .
وقال : حديث حسن صحيح غريب .
وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٦ ـ باب ذكر الحوض . وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ . واللفظ له .

١٢٢٥ ـ البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض وقول الله : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٢٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
(١) مسلم (٤ / ١٧٩٣) الموضع السابق .
(الوَرِق) : الفضة .

١٢٢٦ ـ مسلم (١ / ٢١٧) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ١٢ ـ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الضوء .

١٢٢٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رَسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده : لأُذودَنَّ رجالاً عن حَوضِي ، كما تُذَادُ الغريبةُ من الإبلِ عن الحوض » .

١٢٢٨ ـ * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو بين ظَهرَانَي أصحابه : « إني على الحوضِ انظرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنكُمْ ، فوالله لَيَقْتَطَعَنَّ دُوني رجالٌ ، فلأَقُولَنَّ : أيْ ربِّ ، مِني ومن أُمَّتي ، فيقولُ : إنك لا تدري ما عَمِلوا بعدَك ، مازالوا يَرجِعُون على أعقابهم » .

١٢٢٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن جُنْدَب بن عبدِ الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا فَرَطُكم على الحوض » .

١٢٣٠ ـ * روى مسلم عن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ألا إنّي فَرَطٌ لكم على الحوض ، وإنَّ بُعْدَ ما بين طَرَفيه : كما بين صنعاءَ وأَيْلَةَ ، كأنَّ الأباريقَ فيه النجومُ » .

١٢٣١ ـ * روى ابن ماجه عن الصُّنَابِحِ الأحْمَسِيِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ فَلا تَقْتَتِلُنَّ بَعْدِي » .

١٢٢٧ ـ (البخاري) (٥ / ٤٣) ٤٢ ـ كتاب المساقاة ، ١٠ ـ باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه .

مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٢٨ ـ مسلم (٤ / ١٧٩٤) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(ليَقْتطعن) : الاقتطاع : أخذ طائفة من الشيء ، تقول : اقتطعت طائفة من أصحابه إذا أخذتهم دونه .

١٢٢٩ ـ البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٢) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٣٠ ـ مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(الفرَط) : المتقدّم على القوم الواردين الماء .

١٢٣١ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣٠٠) ٣٩ ـ كتاب الفتن ، ٥ ـ باب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

١٢٣٢ ـ * روى البزار عن أنس قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يامعشرَ الأنصار مَوْعِدُكم حوضي » .

١٢٣٣ ـ * روى أبو داود عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قال : كُنّا مع رسولِ الله ﷺ ، فنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، فقال : « ماأنتم جُزءٌ من مائة ألف جُزءٍ مِمَّن يَرِد عليَّ الحوض » ، قيل : كم كنتم يومئذ ؟ قال : « سبعمائة أو ثمانمائة » .

١٢٣٤ ـ * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إني لَبِعُقْرِ حوضي أذودُ الناسَ لأهل اليمنِ ، أضربُ بعصايَ حتى يرفضَّ عليهم » ، فَسُئِلَ عن عَرْضِهِ ؟ فقال : « من مَقامي إلى عَمَّان » ، وسئل عن شرابه ؟ فقال : « أشدُّ بياضًا من اللَّبنِ ، وأحلى من العسل ، يَغُتُّ فيه مِيزابانِ يَمُدانه من الجنةِ ، أحدُهما من ذَهبٍ ، والآخَر من وَرِقٍ » .

أقول : ذكر النووي أن المسافات التي وصفت الحوض يدخل فيها القليل تحت الكثير .

أقول : والمراد أن يعرف السامع سعة حجمه ، على أن رواية مسلم عن ثوبان التي تذكر مسافة أقل يرويها الترمذي في الرواية اللاحقة فيذكر نفس المسافة التي وردت في أحاديث أخرى .

١٢٣٢ ـ كشف الأستار (٤ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) .

وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

١٢٣٣ ـ أبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ، باب في الحوض . وإسناده صحيح .

١٢٣٤ ـ مسلم (٤ / ١٧٩٩) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(بعقر حوضي أذود) : عُقْر الحوض : مؤخَّره ، وقوله : « لأهل اليمن » أي : لأجل أن يَرِدَ أهل اليمن ، والذود : الطرد والدفع .

(يرفضّ) : يتفرّق ، وارفضّ الدمع : إذا جرى متفرّقًا مترششًا ، والمراد حتى يسيل عليهم ماء الحوض .

(يغتّ) : غَتَّ الماء يَغُتّ : إذا جرى جريًا له صوت ، وقيل : يَدْفُق الماءُ فيه دفقًا مُتَتابعًا .

وفي روايـة الترمـذي [1] ، عن أبي سَلام الحَبَشِي مَمْطُور ، قـال : بعثَ إليَّ عمرُ بن عبـد العزيز ، فحُمِلْتُ على البريـد ، فلما دخلتُ إليـه ، قلتُ : يـاأميرَ المؤمنين ، لقـد شَقَّ عليَّ مَرْكبي البريدَ ، فقال : يـا أبـا سلاَّم مـاأردتُ أن أشقَّ عليـك ، ولكنْ بلغني عنـك حـديث تحدِّثه عن ثوبانَ عن رسول الله ﷺ في الحوض ، فأحببتُ أن تُشافهَني به ، فقلت : حـدَّثني ثوبانُ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « حوضي مثلُ مابين عَدَن إلى عَمَّانَ البلقاء ؛ مـاؤه أشدُّ بياضًـا من الثَّلج ، وأحلى من العَسَلِ ، وأكوابُـه عـددُ نجومِ السماء ، مَنْ شَرِبَ منه شَربةً لم يظمأْ بعدها أبـدًا ، أولُ النـاس وُرُودًا عليـه فقراءُ المهـاجرين الشُّعْثُ رؤوسًـا ، الـدُّنُس ثيـابًـا ، الـذين لا يَنْكِحـون المنعَّماتِ ، ولا تُفْتَـحُ لهم أبـوابُ السُّدَدِ » ، فقال عمرُ : قـد أَنْكحتُ المنعَّماتِ ـ فـاطمـةَ بنتَ عبـدِ الملـك ـ وفُتحتْ لي أبوابُ السُّدَدِ ، لا جرم لا أَغْسِلُ رأسي حتى يَشْعَثَ ، ولا ثوبي الذي يَلي جسدي حتى يَتَّسِخَ .

أقول : وعَمان البلقـاء هي عمـان الأردن التي هي عـاصمـة المملكـة الهـاشميـة الأردنيـة في عصرنا ، ورغبة عمر في سماع الحديث مشـافهـةً أصل كبير من الأصول التي كان يحرص عليهـا السلف الصالح ، فقـد كانوا حريصين على التلقي المبـاشر ولـذلـك آثـاره في التربيـة القلبيـة والروحية والسلوكية ، فـالتلقي من أهل الأنوار يعطي القلب نورًا ، والتلقي من أهل العلم العاملين يعطي طالب العلم سمتًا وأدبًا وتواضعًا .

١٢٣٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن حارثـة بنِ وهبٍ رضي الله عنـه أنَّـه سمع النبيَّ ﷺ قال : حوضه : « مابين صنعاءَ والمـدينـة » ، فقـال المستوردُ : ألم تسمعْـه قـال : الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : تُرى فيه الآنيةُ مثل الكوكب .

---

(١) الترمذي (٤ / ٦٢٩) ٣٨ ـ كتـاب صفـة القيـامـة ، ١٥ ـ بـاب مـا جـاء في صفـة أواني الحوض .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .
(البريد) : خيل البريد : هي المرصدة في الطريق لحمل الأخبار من البلاد .

١٢٣٥ ـ البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض . وقول الله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .
مسلم (٤ / ١٧٩٧) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

أقول : المسافة الواردة في هذه الرواية وبعض الروايات اللاحقة ورواية مسلم السابقة أقل من المسافة التي ذكرتها روايات أخرى ، وقد يكون في ذلك إشارة إلى تناقص حجم الحوض لكثرة الشاربين ، فهي تصفه في مرحلة من المراحل أو أن القليل يدخل في الكثير كما ذكر النووي فقال :

قال القاضي عياض : وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبًا للاضطراب ، فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد مابين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة ، فبهذا تجمع الروايات . هذا كلام القاضي . قلت : [أي النووي] وليس في القليل من هذه منع الكثير ، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة والله أعلم اهـ .

١٢٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن أمامَكم حَوضي ، مابين جَنبيه كما بين جَرْبا وأذْرُحَ » قال بعضُ الرواة : هما قريتان بالشام ، بينهما مسيرةُ ثلاث ليال .

وفي رواية (١) : « وفيه أباريق كنجوم السماء ، مَنْ ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا .

١٢٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « مابين ناحِيَتَيْ حَوضي ، كما بين صنعاءَ والمدينة » .

١٢٣٦ - البخاري (١١ / ٤٦٣) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض .

مسلم (٤ / ١٧٩٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

وأبو داود (٤ / ٢٣٧) كتاب السنة ، باب في الحوض .

(١) مسلم (٤ / ١٧٩٨) الموضع السابق .

١٢٣٧ - البخاري (١١ / ٤٦٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض ، وقوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

وفي رواية (١) : « مثل مابين المدينة وعَمّان » .

وفي أخرى (٢) : « مابين لابَتيْ حَوْضي » .

وفي أخرى (٣) قال : « يُرَى فيه أباريقُ الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء » .

وفي أخرى (٤) مثله ، وزاد : « أو أكثر من عدد نجوم السماء » .

وفي أخرى (٥) قال : « إن قَدر حوضي كما بين أيْلَةَ وصنعاء اليمنِ ، وإن فيه من الأباريقِ كعددِ نجوم السماء » .

١٢٣٨ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « صِنفان من أمتي لا يَرِدَانِ عليَّ الحوضَ ، ولا يدخُلان الجنةَ : القدريةُ والمرجئةُ » .

١٢٣٩ ـ * روى الطبراني عن العِرباض بنِ سارية أن النبي ﷺ قال : « لتزدَحِمَنَّ هذه الأمةُ على الحَوْضِ ازدحامَ الإبل وردت لِخَمْسٍ » .

١٢٤٠ ـ * روى أحمد عن خولةَ بنتِ حكيمٍ قالت : قلت : يارسول الله إن لك حوضًا ؟ قال : « نعم . وأحبُّ عليَّ من يرده قومُك » . .

---

(١) مسلم (٤ / ١٨٠١) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٠١) الموضع السابق .

(لابَتَي حَوضي) : اللابة . الحَرّة ، وأراد بها ههنا : الجانب .

(٣) مسلم (٤ / ١٨٠١) الموضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ١٨٠١) الموضع السابق .

(٥) مسلم (٤ / ١٨٠٠) الموضع السابق .

١٢٣٨ ـ مجمع الزوائد : (٧ / ٢٠٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة . قال في التقريب : لا بأس به .

١٢٣٩ ـ المعجم الكبير (١٨ / ٢٥٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٥) وقال : رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

(وردتْ لِخَمْسٍ) : وردت على الماء بعد عطشِ خمسِ ليالٍ .

١٢٤٠ ـ أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٢٣٣) .

=

١٢٤١ - * روى أحمد عن يُحَنِّش بن عبد الله أن حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ لما قدم المدينةَ تزوجَ خولةَ بنتَ قيسٍ بنِ فهدِ الأنصاريةِ من بني النجار ، قال : وكان رسول الله ﷺ يزور حمزةَ في بيتها ، وكانت تحدث عنه أحاديثَ ، قالتْ : فأتانا رسولُ الله ﷺ فقلتُ يارسولَ الله : إنه بلغني عنك أنك تحدثُ أن لك يومَ القيامة حوضًا مابين كذا إلى كذا ، قال : « نعم وأحبُّ الناسِ عليّ أن يُروى منه قومُك » قال : فَقَدَّمَتْ إليه بُرْمَةً فيها حريرة ، فوضع رسول الله ﷺ يده في البُرْمةِ ليأكل فأحرقت أصابعه فقال : « حَسٍّ » ثم قال : « ابنُ آدمَ إن أصابَهُ البردُ قال حَسٍّ وإن أصابهُ الحرُّ قال حَسٍّ » .

١٢٤٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَيَرِدَنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ مِمَّن صاحبني ، حتى إذا رأيتُهم ، وَرُفِعُوا إليَّ ، اخْتُلِجُوا دوني ، فَلأَقولَنَّ : أي ربِّ ، أُصيحابي ، أصيحابي ، فَلَيُقَالَنَّ لي : إنَّك لا تدري ماأحدثوا بعدك » .

وفي رواية [1]« لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ من أُمَّتي ... » الحديث ، وفي آخره : « فأقول : سُحْقًا لِمَنْ بدَّل بعدي » .

= مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : هكذا رواه أبو خالد الأحمر عن خولة بنت حكيم ، وقال الناس : عن خولة بنت قيس ، ورجالها رجال الصحيح .

١٢٤١ - أحمد (٦ / ٤١٠) .

والمعجم الكبير (٢٤ / ٢٣١) . مختصرًا .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦١) وقال : رواه أحمد ورواه الطبراني باختصار . وقال : « وأحب الناس إلي أو من أحب الناس إليّ ، أن يرده » ، وقال فيه : فقدمت إليه عصيدة . ورجال أحمد رجال الصحيح .

(البُرْمَة) : القِدْر مطلقًا وجمعها بِرَام .

(الحريرة) : الحسا المطبوخ من الدقيق والدَّسَم والماء .

(حَسٍّ) : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أَمَضَّهُ أو أحْرَقَه غَفْلَة .

١٢٤٢ - البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥٣ - باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٠٠) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(١) البخاري (١١ / ٤٦٤) الموضع السابق .

ومسلم (٤ / ١٧٩٣) كتاب الفضائل ، ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٤٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال : قـال رسولُ الله ﷺ : « أنـا فَرَطُكم على الحوض ، ولَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجـالٌ منكم ، حتى إذا أهـويتُ إليهم لأُنَـاوِلَهُمْ اختُلِجـوا دُوني ، فـأقـولُ : أيْ ربِّ ، أصحـابي ، فيقـال : إنـك لا تدري ما أَحْدَثُوا بَعْدَك ؟ » .

١٢٤٤ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي حـازمٍ رحمه الله عن سهـلِ بنِ سعـد رضي الله عنـه ، قـال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقـول : « أنـا فَرَطُكم على الحـوضِ ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ ، ومن شَرِبَ لم يظمأْ أبـدًا ، ولَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقـوام أَعْرِفُهم ويعْرِفـوني ثم يُحـال بيني وبينهم » ، قال أبو حازم : فسمعَ النعمانُ بنُ أبي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهم هـذا الحـديث ، فقـال : هكذا سمعتَ سهلاً يقول ؟ فقلتُ : نعم ، قال : وأنـا أشهـد على أبي سعيـد الخـدري لسمعتُـه يزيدُ ، فيقول : « فإنهم منِّي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعـدك ، فـأقول : سُحقًا سُحقًا لمن بَدَّلَ بعدي » .

١٢٤٥ ـ * روى مـالـك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ أَنَّـهُ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَسَلَّمَ عَلَى الْمَقْبَرَةِ فقـال : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، دَارَ قَوْمٍ مُـؤْمِنِينَ ! وَإِنَّـا ، إِنْ شَـاءَ اللهُ تَعَـالَى ، بِكُمْ لاحِقُونَ » ثُمَّ قَالَ : « لَوَدِدْنَا أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَـالُوا : يَـارَسُولَ اللهِ ! أَوَلَسْنَـا إِخْوَانَكَ ؟ قَال : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يأتُونَ مِنْ بَعْدِي . وَأَنَـا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَـوْضِ » قَـالُـوا : يَـارَسُـولَ اللهِ ! كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَـأْتِ مِنْ أُمَّتِـكَ ؟ قَـالَ :

١٢٤٣ ـ البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ ـ كتـاب الفتن ، ١ ـ بـاب مـا جـاء في قول الله تعـالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا ... ﴾ .

مسلم (٤ / ١٧٩٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

(اختُلِجُوا) : : أي استلبوا ، وأخذوا بسرعة .

١٢٤٤ ـ البخاري (١٣ / ٣) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ١ ـ باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة ... ﴾

مسلم (٤ / ١٧٩٣) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٩ ـ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .

١٢٤٥ ـ الموطأ (١ / ٢٨) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٦ ـ باب جامع الوضوء .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٩) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٦ ـ باب ذكر الحوض .

ومسلم بنحوه (١ / ٢١٨) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ١٢ ـ باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء . =

« أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَـهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَـةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ، أَلَمْ يَكُنْ يعْرِفُهَا ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ : « فَـإِنَّهُمْ يـأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَـامَـةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ ، مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ » قَالَ : « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ » ثُمَّ قَالَ : « لَيُـذَادَنَّ رِجَـالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . فَأُنَادِيهِمْ : أَلا هَلُمُّوا ! فَيُقَـالُ : إِنَّهُمْ قَـدْ بَـدَّلُوا بَعْـدَكَ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقُولُ : أَلا سُحْقًا ! سُحْقًا ! » .

أقول : الروايات التي تذكر أن هناك أناسًا يُرَدُّون عن الحوض متعددة يمكن أن يُحْمَل بعضها على أمّة الدّعوة دون إشكال ، إلا أن بعضها مما ذكر لفظ الأصحاب ، استغله بعض المبتدعة فشككوا في الصحابة رضوان الله عليهم ، والأمر لا يحتمل ماذهبوا إليه ، وقد ناقش ابن حجر العسقلاني مناقشة مطولة فيما قيل ، وجَمَعَ الروايات الواردة في هذه الشؤون .

وأبسط ما يقال في هذا الشأن إن المراد بالأصحاب في الحديث هم بعض من مات رسول الله ﷺ وقد دخلوا في الإسلام ثم ارتدوا وحاربهم أبو بكر وماتوا على الرّدّة ، أو بعض من الذين تظاهروا بالإسلام وهم منافقون . ومما قاله ابن حجر :

قال الفربري : ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قَبيصة قال : هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر ، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر . وقد وصله الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة . وقال الخطابي : لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين . ويدل قوله « أصيحابي » بالتصغير على قلة عددهم . اهـ (فتح الباري) .

(دهم) : جمع أدهم ، والدهمة السواد .

(بهم) : جمع بهيم ، قيل : هو الأسود أيضًا ، وقيل : الذي لا يخالط لونَـهُ لونٌ سواه ، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر ، بل يكون لونه خالصًا .

فوائد

قالَ ابن كثير في النهاية :

إن قال قائل : فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده ؟ قلت : إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط ، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم ، فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط ، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه . وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء ، وقد قال ﷺ :

« أعرفكم غرا محجلين من آثار الوضوء » .

ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط .

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل ؟ أو بعد ذلك ؟ هذا مما يحتمل كلا من الأمرين ؟ ولم أر في ذلك شيئًا فاصلا ، فالله أعلم أي ذلك يكون .

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي في التذكرة أيضًا : واختلف في كون الحوض قبل الميزان ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبلُ ، قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم ، فيقدم على الميزان والصراط ، قال أبو حامد الغزالي في كتاب علم كشف الآخرة : حكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط ، وهو غلط من قائله . قال القرطبي : هو كما قال ، ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقرى عنه . ثم قال : وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط من جاز عليه سلم ..اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

* * *

الفقرة السابعة

في :

الحساب والميزان

عرض إجمالي

- مرّ معنا أنه في الوقف يحشر الناس ويجمعون مصطفين وينتظرون ثم تكون الشفاعة لفصل القضاء ، ثم يعرض الناس على ربهم عرضة يكون فيها جدال واعتذارات وتنصلات وأسئلة وإجابات ، ثم تكون عرضة أخرى وتكون بها إقامة حجة ، فتشهد الرسل وتشهد هذه الأمة وتشهد الأرض وتقوم الحجة على الخلق ، ثم تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ وراء ظهره ، ويكون في هذه المرحلة أو قبلها شرب من الحوض .

- ثم يكون الحساب والميزان فيُسأل الإنسان عما كلف به ، يُسأل عن سمعه وعن بصره وعن فؤاده : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (١) .

ويسأل عما استرعاه الله ، ويسأل عن العمر والعلم والمال والجسم والشباب ويسأل عن النعيم : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ (٢) . ويسأل عن الآلاء والنعم ، ويحاسب على أعماله ما أراد بها فيسأله عن النيات والإخلاص : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (٣) ، ويحاسب الإنسان على أعمال الظاهر والباطن وخطايا الظاهر والباطن ويحاسب على أمراض القلوب : ﴿ لله ما في السموٰات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ (٤) .

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أنّ بينها

---

(١) الإسراء : ٣٦ .
(٢) التكاثر : ٨ .
(٣) هود : ١٥ ـ ١٦ .
(٤) البقرة : ٢٨٤ .

وبينه أمدا بعيدًا ﴾ (١) . وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاةُ ، وأول ما يحاسب عليه من حقوق العباد الدماء ، ومن أشد ما يحاسب عليه العبد الزكاة والعقوبة عليها تبدأ عند الموت وتستمر في القبر وتكون في الحشر والموقف ويحاسب عليها .

ـ وشهادات يوم القيامة كثيرة والشهداء كثر : فهناك شهادة الأنبياء وشهادة الملائكة وشهادة الجوارح وشهادة العباد بعضهم على بعض ، وشهادة الأرض وكل من هؤلاء يؤدي شهادته في الوقت المناسب يوم القيامة :

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ﴾ (٢) .

﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (٣) .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (٤) .

﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (٥) .

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ (٦) .

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٧) .

ـ وسيجد المكلفون أن الأمور مضبوطة في غاية الضبط فكتاب عام مُحْصٍ فيه كل شيء ، وكتاب خاص لكل مكلف على حدة :

﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ (٨) .

---

(١) آل عمران : ٣٠ .
(٢) النحل : ٨٩ .
(٣) ق : ٢١ .
(٤) النور : ٢٤ .
(٥) يس : ٦٥ .
(٦) فصلت : ٢١ .
(٧) الزلزلة : ١ ـ ٨ .
(٨) الجاثية : ٢٩ .

﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾ (١) .

﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾ (٢) .

﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ (٣) .

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (٤) .

﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ (٥) .

﴿ ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (٦) .

والنصوص القرآنية في الحساب والميزان وما يتعلق بذلك كثير ، منها :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ (٧) .

﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾ (٨) .

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورًا * ويصلى سعيرًا ﴾ (٩) .

﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (١٠).

---

(١) المؤمنون : ٦٢ .
(٢) القمر : ٥٣ .
(٣) القمر : ٥٢ .
(٤) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .
(٥) التكوير : ١٠ .
(٦) الكهف : ٤٩ .
(٧) الإسراء : ١٣ .
(٨) الحاقة : ٢٥ ـ ٣٤ .
(٩) الانشقاق : ٧ ـ ١٢ .
(١٠) الأنبياء : ٤٧ .

﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [١] .

﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ [٢] .

﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ [٣] ، ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ [٤] .

﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ [٥] .

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [٦] .

﴿ فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وماأدراك ماهيه * نار حامية ﴾ [٧] .

﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ [٨] .

﴿ إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ [٩] .

﴿ ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [١٠] .

﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتا ﴾ [١١] .

﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [١٢] .

---

(١) ص : ٢٦ .
(٢) الغاشية : ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) الرعد : ٤١ .
(٤) الرعد : ٢١ .
(٥) النساء : ٤٠ .
(٦) الأنبياء : ٤٧ .
(٧) القارعة : ٦ ـ ١١ .
(٨) الزمر : ٣١ .
(٩) النمل : ٧٨ .
(١٠) آل عمران : ٥٥ .
(١١) النبأ : ١٧ .
(١٢) الزمر : ٦٩ ـ ٧٠ .

﴿ يوم يبعثهم الله جميعًا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ (١) .

ـ وحقوق العباد يشدّد فيها أكثر مما يشدّد في حقوق الله إلا حق التوحيد ومع شدة الهول يوم القيامة فإن الله عز وجل خلق مائة رحمة تسعا وتسعين منها أخرها إلى يوم القيامة ، ولعل المسلم يخرج من قراءة النصوص الواردة في هذه الفقرة بنية جازمة ألا يظلم أحدًا ، وأن يقوم بحقوق الله وحقوق التكليف كاملة ويسعى ليكون من الذين لا حساب عليهم ، وقد استقرأ بعضهم النصوص التي وعد أهلها بألا يحاسبوا فذكر من أهل ذلك أنهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، ومن ذلك قُوّامُ الليل وقُرّاء القرآن والمخلصون والمؤذنون والدعاة إلى الله ومن قام بحق الله وحق العباد والعلماء العاملون والشهداء والعافون عن الناس والحامدون الله على كل حال .

وقد مر معنا من قبل كلام ابن كثير في النهاية أن الحساب يكون قبل الميزان غير أنه من الصعب التمييز بين مجموع النصوص الواردة في الحساب والميزان أيها يكون في الحساب وأيها يكون عند الميزان ، وإن كان بعضها واضحًا أنه في الحساب أو أنه في الميزان ، ولذلك دمجنا الكلام عن هذين الموضوعين في فقرة واحدة ، ولا يدخل في دائرة التكليف أن يعرف المسلم على مايحمل عليه كل نص مما ورد في الحساب والميزان إلا إذا كان قطعيّ الثبوت وقطعيّ الدّلالة والمهمّ بالنّسبة للمسلم أن يؤمن بالحساب والميزان وأن يُسَلِّم بالنصوص الواردة في ذلك وأن تَحْمِلَهُ النصوصُ الواردة في ذلك على تحرير الاعتقاد وإحسان العمل والبعد عن كل مايسخطُ الله عز وجل مما يشتد بسببه الحساب أو يَخفُّ بسببه الميزان .

---

(١) المجادلة : ٦ .

النصوص

١٢٤٦ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من كانت عنده مظْلَمةٌ لأخيه ، مِنْ عِرضِهِ أو شيءٍ منه ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ ، من قبلِ أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ ، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مَظْلَمتهِ ، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبِه ، فَحُمِل عليه » .

وفي رواية (١) الترمذي قال : قال رسولُ الله ﷺ : « رَحِمَ الله عبدًا كانت لأخيه عنده مَظلمةٌ ... » الحديث .

١٢٤٧ - * روى البزار عن ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « من نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ » .

١٢٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن ابن أبي مُليكة ، قال : إن عائشة كانت لا تسمعُ شيئًا لا تعرفه إلا راجعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ ، وإن النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ نُوقِشَ الحسابَ عُذِّب » ، فقالتْ : أليس يقولُ اللهُ تعالى : ﴿ فأما مَنْ أُوتِيَ كتابه بيمينه * فسوف يُحاسَبُ حِسَابًا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا ﴾ [الانشقاق : ٧ - ٩] ؟ فقال : « إنما ذلك العَرْضُ ، وليس أحدٌ يُحاسَبُ يوم القيامة إلا هَلَكَ » .

وفي رواية (٢)« وليس أحدٌ يناقَشُ الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب » .

وفي أخرى (٣) قالتْ : قال رسولُ الله ﷺ : « ليس أحدٌ يُحاسَبُ إلا هَلَك » ،

١٢٤٦ - البخاري (٥ / ١٠١) ٤٦ - كتاب المظالم ، ١٠ - باب من كانت له مظلمة عند الرجل ... إلخ .

(١) الترمذي (٤ / ٦١٣) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٢ - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

١٢٤٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٠) ، وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار والكبير رجال الصحيح ، وكذلك رجال الأوسط غير عمرو بن أبي عاصم النبيل ، وهو ثقة .

١٢٤٨ - البخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عُذِّب .

مسلم (٤ / ٢٢٠٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٨ - باب إثبات الحساب .

(٢) البخاري (١١ / ٤٠٠) الموضع السابق .

(٣) البخاري (٨ / ٦٩٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، سورة الانشقاق ١ - باب ﴿ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾. =

قلت : يارسول الله ، جعلني الله فِداكَ ، أليْسَ الله تعالى يقول : ﴿ فأمَّا من أُوتِيَ كتابه بيمينه ★ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾ ؟ قال : « ذلك العَرْض تُعرَضُون ، ومن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ » .

١٢٤٩ ـ ★ روى الترمذي عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « من حُوسِب عُذِّب » . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

١٢٥٠ ـ ★ روى البخاري ومسلم عن صفوان بن مُحْرِزٍ المازني قال : بينما ابنُ عمرَ رضي الله عنه يطوف ، إذ عَرَض له رجل ، فقال : ياأبا عبدِ الرحمن ، أخبِرْني ماسمعتَ من رسولِ الله ﷺ في النجوى ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُدنَى المؤمنُ من ربه حتى يَضَع عليه كَنَفه ، فيقرِّره بذنوبه : تَعْرِفُ ذَنْبَ كذا وكذا ؟ فيقول : أعرف ربِّ ، أعرفُ ـ مرتين ـ فيقول : سَتَرْتُها عليك في الدنيا ، وأغفِرُها لك اليومَ ، ثم تُطوى صحيفةُ حسناته ، وأما الآخرون ـ أو الكفار ، أو المنافقون ـ فينادَى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم ، ألا لعنةُ الله على الظالمين » .

١٢٥١ ـ ★ روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجلٌ ، فقعد بين يدي رسولِ الله ﷺ ، فقال : يارسولَ الله ، إن لي مملوكين يُكَذِّبونني ويخونونني ويَعْصونني ، وأشتِمُهم وأضرِبُهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إذا كان يومُ القيامةِ يُحسَب ماخانوك وعَصَوْك وكذّبوك وعِقَابُك إياهم ، فإن كانَ عقابُك إياهم بقدرِ ذنوبِهم : كان كَفافًا ، لا لك ، ولا عليك ، وإن كان عِقَابُك إياهم دون ذنوبهم ،

= (نوقش) : المناقشة في الحساب : تحقيقه وتدقيقه ، والاستقصاء فيه .

١٢٤٩ ـ الترمذي (٤ / ٦١٧) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٥ ـ باب منه (أي العرض) . وقال : حديث صحيح حسن .

١٢٥٠ ـ البخاري (٨ / ٣٥٣) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، سورة هود : ٤ ـ باب ﴿ ويقول الأشهاد هؤلاء ... ﴾ .

مسلم : (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ ـ كتاب التوبة ٨٢ ـ بابُ قبول توبة القاتل ، وإن كَثُر قتلهُ .

(النجوى) : في الأصل : السرُّ ، والمراد به : مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة ، وسياق الحديث يدل عليه .

(كنفه) : يقال : أنا في كنف فلان ، أي : في ظله وجانبه .

١٢٥١ ـ الترمذي (٥ / ٣٢٠) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ٢٢ ـ باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام .

وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن .

كان فضلاً لك ، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذُنُوبِهم ، اقْتُصَّ لهم منك الفضلُ » فتنحّى الرجل وجعل يَهتفُ ويَبكي ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « أما تقرأ قول الله تعالى : ﴿ ونَضَعُ الموازين القِسْطَ ليوم القيامة فلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شيئًا وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[1] » فقال الرجل : يا رسولَ الله ما أجِدُ لي ولهؤلاء ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارَقَتِهم ، أُشْهِدُك أنّهم كلّهم أحرارٌ .

١٢٥٢ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ يومًا : « أتَدرون ماالْمُفْلِسُ ؟ » قالوا : المفْلسُ فينا من لادرهم له ولا متاع ، قال : « إن المُفْلِسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصَلاةٍ وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأكل مال هذا ، وسفكَ دمَ هذا ، وضَرَبَ هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فَنيتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ماعليه ، أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطْرَحُ في النار » .

١٢٥٣ ـ * روى الترمذي عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا تزولُ قَدمَا عبدٍ يومَ القيامة ، حتى يُسأَلَ عن أربع : عن عُمُره فيما أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ماعمِل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟ » .

١٢٥٤ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لا تزول قدمَا ابْنِ آدمَ يومَ القيامة من عند ربه ، حتى يُسْأَلَ عن خمس : عن عُمُرِهِ فيما أفناه ؟ وعن شبابِهِ فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وماذَا عَمِلَ فيما عَلِمَ ؟ » .

---

(١) الأنبياء : ٤٧ .

١٢٥٢ ـ مسلم (٤ / ١٩٩٧) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ، ١٥ ـ باب تحريم الظلم .
والترمذي (٤ / ٦١٣) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ٢ ـ باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

١٢٥٣ ـ الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١ ـ باب في القيامة . وقال : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال.

١٢٥٤ ـ الترمذي (٤ / ٦١٢) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١ ـ باب في القيامة .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن ؛ يشهد له الذي قبله .

١٢٥٥ - * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامر قال قال رسول الله ﷺ : « أولُ خصمين يومِ القيامة جاران » .

١٢٥٦ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ عن النبي ﷺ قال : « تجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراءُ هذه الأمةِ ومساكينُها ؟ فيقومون ، فيقول : ماذا عملتم ؟ فيقولون ربنا ابتليتنا فصَبَرْنا ووليْتَ الأمورَ والسلطانَ غيرَنا فيقول الله جل ذكره صدقتم - أو نحو هذا - فيدخلون الجنة قبل الناس بزمان ويبقى شِدةُ الحسابِ على ذوي الأمورِ والسلطان » قالوا : فأين المؤمنون يومئذ . قال : « يُوضَعُ لهم منابرُ من نورٍ يظلِّلُ عليهم الغمامُ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعةٍ من نهار » .

١٢٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسولَ الله ، أنؤاخذُ بما عَمِلْناه في الجاهلية ؟ قال : « مَنْ أحسنَ في الإسلامِ لم يُؤاخَذْ بما عَمِل في الجاهلية ، وَمَن أساء في الإسلام أُخِذ بالأولِ والآخِر » .

قال النووي :

أما معنى الحديث فالصحيح فيه ماقاله جماعة من المحققين أن المراد بالإحسان هنا الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعًا وأن يكون مسلمًا حقيقيًا فهذا يغفر له ماسلف في الكفر بنص القرآن العزيز والحديث الصحيح الإسلام يهدم ماقبله وبإجماع المسلمين والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه بل يكون منقادًا في الظاهر مظهرًا للشهادتين غير معتقد للإسلام بقلبه فهذا منافق باق على كفره بإجماع المسلمين فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام وبما عمل بعد إظهارها لأنه مستمر على كفره وهذا معروف في استعمال الشرع يقولون حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك والله أعلم ا . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٢٥٥ - أحمد (٤ / ١٥١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٩) . وقال : رواه أحمد بإسناد حسن .

١٢٥٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٧) . وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة .

١٢٥٧ - البخاري (١٢ / ٢٦٥) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ، ١ - باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة .

مسلم (١ / ١١١) ١ - كتاب الإيمان ، ٥٣ - باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ؟

١٢٥٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « أولَ ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء ».

وللنسائي (١) : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « أوّلُ مايحَاسبُ عليه العبد : الصلاةُ ، وأولَ مايُقْضَى بين الناس : في الدماء ».

١٢٥٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « قال الرب عز وجل : يُؤتَى بحسناتِ العبدِ وسيئاته يومَ القيامة فَيَقِيضُ بعضَها ببعض فإن بقيتْ حسنةٌ واحدةٌ أدخلَه الله الجنةَ » . قال : قلت : فإن لم يبقَ ؟ قال: « ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ مَاعَمِلوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة** ﴾ » : قال قلت : أرأيتَ قوله : ﴿ **فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قُرَّةِ أعين** ﴾ . قال : « هو العبدُ يَعْمَلُ السِّرَّ أسَرَّهُ الله له يومَ القيامة فيرى قُرةَ أعينٍ ».

١٢٦٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنّا عندَ رسولِ الله ﷺ ، فَضَحِكَ ، فقال : « هَلْ تَدرون مِمَّ أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « مِنْ مخاطبة العبدِ رَبّه ، فيقول : يارب ألم تُجِرْني من الظلم ؟ » قال « يقول بلى، فيقول : فإني لا أجيزُ اليوم على نفسي شاهدًا إلا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، والكرامِ الكاتبين شهودًا » قالَ « فيُخَتم على فيه ، ويقال لأركانه : انطِقي ، فَتَنْطِقَ بأعماله ، ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا

١٢٥٨ - البخاري (١٢ / ١٨٧) ٨٧ - كتاب الديات ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ﴾ .

مسلم (٣ / ١٣٠٤) ٢٨ - كتاب القسامة ، ٨ - باب المجازاة بالدماء في الآخرة .

والترمذي (٤ / ١٧) ١٤ - كتاب الديات ، ٨ - باب الحكم في الدماء .

والنسائي (٧ / ٨٣) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢ - باب تعظيم الدم .

(١) النسائي (٧ / ٨٣) الموضع السابق .

١٢٥٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

(يَقِيضُ) : قايضه مُقايضَة بادله بمتاع .

١٢٦٠ - مسلم (٤ / ٢٢٨٠) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، الحديث السابع عشر .

(لا أجيز اليوم) : أي : لا أمضي ولا أقبل عليَّ شاهدا .

=

لَكُنَّ وسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ » .

١٢٦١ - * روى أحمد عن عبد الله بن أنيس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يَحْشُرُ اللهُ العبادَ يومَ القيامة » أو قال : « الناسَ عُراةً غُرلاً بُهْمًا » . قال قلنا : وما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيءٌ ثم يُناديهم بصوتٍ يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ أنا الديانُ أنا المَلِك ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخُلَ النارَ وله عند أحد من أهلِ الجنة حقٌّ حتى أُقِصَّهُ منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخُلَ الجنةَ ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أُقِصَّه منه حتى اللطمةُ » قال : قلنا كيف : وإنما نأتي عراةً غرلا بُهْمًا قال : « الحسنات والسيئات » .

١٢٦٢ - * روى أحمد عن حُرَيثٍ بن قَبِيْصَةَ قال : قدمتُ المدينةَ ، فقلت : اللهم يسِّر لي جليسًا صالحًا ، قال : فجلستُ إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، فقلت : إني سألتُ اللهَ أن يرزقَني جليسًا صالحًا ، فحدِّثني بحديثٍ سمعتَه من رسولِ الله ﷺ ، لعلَّ الله أن ينفعَني به ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العبد يوم القيامة من عَمَلِهِ : صَلاتُهُ ، فإن صَلَحَتْ ، فقد أفلح وأَنْجَح ، وإن فَسَدَتْ ، فقد خاب وخسر ، فإن انتقَص من فريضته شيئًا ، قال الربُّ تبارك وتعالى : انظروا ، هَلْ لعبدي من تَطوعٍ ؟ فيكمل بها ماانتقصَ من الفريضة ، ثم يكون سائرُ عملِه على ذلك » .

= (المناضلة) : النضال في السهام : أن ترمي أنت ورامٍ آخر ، يطلب كل منكما غَلَبَة صاحبه . والمراد به هاهنا : المجادلة والمخاصمة .

١٢٦١ - أحمد (٣ / ٤٩٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : هو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

(أُقِصَّه) : أَقْتَصّ له .

١٢٦٢ - أحمد (٤ / ١٠٣) وهو حديث صحيح بشواهده .

والترمذي (٢ / ٢٦٩) أبواب الصلاة ، ٢٠٥ - باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاةُ .

وقال : حسن غريب .

والنسائي (١ / ٤٦٤) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب المحاسبة على الصلاة .

واسم الراوي حريث بن قبيصة ويقال : قبيصة بن حريث ، والثاني أشهر .

وفي أخرى [١] عن أبي هريرة بمعناه أخصر منه .

١٢٦٣ - * روى أبو داود عن تميم الداري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بهذا المعنى قال : « ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تُؤخَذُ الأعمالُ على حَسَب ذلك » .

١٢٦٤ - * روى الطبراني عن أبي الدرداء قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لو غُفِرَ لكم ماتأتون إلى البهائم لغفر لكم كثير » .

١٢٦٥ - * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامرٍ انه سمع النبي ﷺ يقول « إن أولَ عظمٍ من الإنسان يتكلمُ يوم يُخْتَمُ على الأفواه فَخِذُه من الرِّجْلِ الشمال » .

١٢٦٦ - * روى أحمد عن معاويةَ بن حَيدةَ قال : أتيتُ النبي ﷺ عليه وسلم فقال : « مالي آخُذُ بحُجَزِكم عن النارِ ألا إنَّ ربي عزَّ وجلَّ داعيَّ وإنه سائِلي هل بلَّغْتَ عِبادي ، وإني قائلٌ ربِّ إني قد بَلَّغْتُهم فليبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ ثم إنكم مدعُوون مُقَدَّمَةً أفواهكم بالفِدام ، إن أولَ مايبينُ عن أحَدِكم لَفخِذُه وكفُّه » قلت يانبي الله : هذا ديننا قال : « هذا دينكم وأينما تحْسنْ يَكْفِك » .

١٢٦٧ - * روى أحمد عن أبي عسيب قال : خرجَ رسول الله ﷺ يومًا فمر بي فدعاني فخرجتُ إليه ، ثم مرَّ بأبي بكرٍ رَحِمه اللهُ فدعاه فخرجَ إليه ، ثم مر بعمرَ فدعاه فخرجَ إليه

---

(١) النسائي (١ / ٢٣٢) ٥ - كتاب الصلاة ، ٩ - باب المحاسبة على الصلاة .

١٢٦٣ - أبو داود (١ / ٢٢٩) كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » .

١٢٦٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٧) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

١٢٦٥ - أحمد (٤ / ١٥١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٣٣٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٦ - أحمد (٥ / ٤ ، ٥) بلفظ : « مالي أمسك بحجزكم ... » .

(الفدام) : ما يشد على فم الإبريق أو الكوز من خرقة لتصفية الشراب ، أى أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١) . وقال : رواه أحمد في حديث طويل ورجاله ثقات .

١٢٦٧ - أحمد (٥ / ٨١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

=

فَانطلقَ حتى دخلَ حائطًا لبعضِ الأنصارِ ، فقال لصاحب الحائط « أطْعِمْنا » فجاء بِعِذْقٍ فوضَعَه فأكلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ثم دعا بماءٍ باردٍ فشربَ فقال : « لتُسْأَلُنَّ عن هذا يومَ القيامةِ » قال : فأخذَ عُمَرُ العِذْقَ فضَربَ به الأرضَ حتى تناثر البُسْرُ قِبَلَ رسولِ الله ﷺ ثم قالَ يارسولَ الله إنا لمسئولون عن هذا يومَ القيامة ؟ قال : « نعم إلا من ثلاث : خِرْقَةٍ كَفَّ بها عورتَه أو كِسرةٍ سَدَّ بها جَوْعَتَه أو جُحْرٍ يَنْدخِلُ فيه من الحرِّ والقرِّ » .

١٢٦٨ - * روى أبو يعلى عن أم سلمةَ زوجِ النبي ﷺ قالتْ : كان النبي ﷺ في بيتي وكان بيده سِواكٌ فدعَا وصيفةً له - أولها - حتى استبانَ الغضبُ في وجههِ فخرجتْ أم سلمةَ إلى الحُجُراتِ فوجدتِ الوصيفةَ وهي تلعب بِبَهْمَةٍ فقالتْ ألا أراكِ تلعبين بهذه البَهْمَة ورسول الله ﷺ يدعوك فقالتْ لا والذي بعثك بالحق ماسمعتُكَ : فقال رسول الله ﷺ « لولا خَشيةُ القَوَدِ لأوجَعْتُكِ بهذا السِّواك » ، وفي رواية : « لولا القِصاصُ لضربْتُكِ بهذا السواك » ، وفي رواية : « لولا مخافةُ القِصاصِ لأوجَعْتُك بهذا السَّوطِ » .

١٢٦٩ - * روى البزار عن أبي هريرةَ قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « من ضَربَ سَوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة » .

١٢٧٠ - * روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله

=
(الحائط) : البستان .

(العِذْقَ) : العُرْجُون بما فيه من الثمر .

(البُسْر) : التمر قبل أن يكون رُطَباً .

١٢٦٨ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٣) . وقال : روى هذا كله أبو يعلى والطبراني بنحوه ، وقال : دعا وصيفة له ولم يشك ، وقال : لولا مخافة القود يوم القيامة ، وإسناده جيد عند أبي يعلى والطبراني .

(بَهْمَة) : هيَ وَلَدُ الضأن ذكرًا كان أو أنثى .

١٢٦٩ - كشف الأستار (٤ / ١٦٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٣) . وقال : رواه البزّار والطبراني في الأوسط ، واسنادهما حسن .

١٢٧٠ - البخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٩ - باب من نوقش الحساب عُذِّبَ .

مسلم (٢ / ٧٠٣) ١٢ - كتاب الزكاة ، ٢٠ - باب الحث على الصدقة ، ولو بشق تمرة ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٦١١) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ١ - باب في القيامة . وقال : حديث حسن صحيح .

وابن ماجه (١ / ٦٦) المقدمة ، ١٣ - باب فيما أنكرت الجهمية .
=

ﷺ : « مامنكم منْ أحدٍ إلا سَيكَلِّمُهُ ربُّه ، ليس بينه وبينه تَرْجُمان ، فَيَنْظُرُ أَيمن منه ، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ ، ويَنْظُرُ أَشْأَمَ منه ، فلا يرى إلا ما قَدَّم وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النارَ تلْقَاءَ وَجْهه ، فَاتَّقُوا النَّار ولو بِشِقِّ تَمرةٍ » . زاد في رواية [1] : « فمن لم يجد فَبِكلِمَة طَيِّبةٍ » .

١٢٧١ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمتي على رؤوس الخلائق يومَ القيامةِ ، فَيَنْشُرُ له تسعةً وتسعين سِجِلا ، كلُّ سجِلٍّ مِثلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثم يقولُ : أَتُنْكِرُ من هذا شيئًا ؟ أَظَلَمَكَ كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يارِبِّ ، فيقول : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فيقول : لا ، يارب ، فيقول الله تعالى : بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنا حسنةً ، فإنه لا ظُلْمَ اليومَ ، فَتُخْرَجُ بطاقةٌ فيها : أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله ، فيقول : احضرْ وَزنَك ، فيقول : ياربِّ ماهذه البطاقة مع هذه السجلاتِ ؟ فيقول : فإنك لا تُظْلَمُ ، فَتُوضَعُ السجلاتُ في كِفَّةٍ ، والبطاقة في كِفةٍ ، فطاشت السِّجلاتُ ، وثَقُلَتِ البطاقةُ ، ولا يَثْقُلُ مع اسم اللهِ شيءٌ » .

* * *

= (تَرْجُمان) الترجمان : ناقل الكلام من لغة إلى لغة .

(أيمنَ منه وأشأم منه) : يعني عن يمينه وشماله ، واليد اليسرى تسمَّى : الشُّؤْمَى .

(١) البخاري الموضع السابق ، ومسلم : الموضع السابق .

١٢٧١ - الترمذي (٥ / ٢٤) ٤١ - كتاب الإيمان ، ١٧ - باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال : حسن غريب .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٧) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

(سجل) : السجلُّ : الكتاب الكبير .

(بطاقة) : البطاقة : رقيعة صغيرة ، وهي ما تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه .

(طاشت) : خفَّت .

الفقرة الثامنة

في :

الصّراط

عرض إجمالي

ـ بعد الحساب والميزان تقرر النتيجة ويكون الحشر إلى أرض أخرى قبل جهنم ، وهناك تبدل أرضنا هذه أرضًا أخرى وتبدلُ السمٰوات ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ (١) ، فهذا تبدل آخر للأرض كائن ، والناس في الظلمة دون الصّراط .

ـ والنّار مظلمة ، والصّراط مظلم ، وهذه الأرض مظلمة ، وإنما ينير لكل إنسان نوره الذي اكتسبه بالإيمان والعمل الصالح .

ـ ويفزع أهل الإيمان إلى الأنبياء ليؤذن للناس بالمرور على الصراط فيعتذرون إلا محمدًا ﷺ فَيشْفَعُ ويُشَفَّعُ ويكون هو وأمته أول من يجوز على الصراط وهذا الجواز هو الذي فسر فيه بعضهم قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًّا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا ﴾ (٢) .

ـ ويمر الناس على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار مختلفة ، والمنافقون لا نور لهم قال تعالى :

﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانيُّ حتى جاء أمر

---

(١) إبراهيم : ٤٨ .

(٢) مريم : ٧١ ، ٧٢ .

الله وغركم بالله الغَرور * فاليوم لا يُؤخذ منكم فديةٌ ولا من الذين كفروا مأواكم النـار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ (١) ، **﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾** (٢) .

ـ ولهول المرور على الصراط يقول الأنبياء وتقول الملائكة : اللهم سلم سلم .

ـ وعلى ضوء نتيجة الحساب والميزان تدقق الملائكة بأحوال المارين ، وقد ورد في حديث صحيح أنه يحبس المؤمنون في قنطرة بين الجنة والنار ليقتص من بعضهم لبعض ، وقد فهم بعضهم أن على الصراط قناطر يدقق في كل قنطرة على نوع من الأعمال .

ـ ثم الناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين : نوع تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء أهل الأعراف ، وهو سور بين النار والجنة ونوع يكون من أهل الجنان ومن هناك تبدأ مناشدة أهل الجنة ربهم بإخوانهم المؤمنين الذين أدخلوا النار ، ولرسولنا ﷺ في هذا المقام شفاعات : منها الشفاعة بدخول الجنة ، فيكون هو وأمته أول الداخلين ، ومنها شفاعته لبعض أهل الإيمان من أهل النار . وللأنبياء في ذلك المقام شفاعات بأفراد من أممهم ، وللأطفال شفاعات بآبائهم وأمهاتهم ، وللعلماء شفاعات بأصحابهم ، وللمؤمنين شفاعات بإخوانهم.

ـ وقد ورد في وصف الصراط نصوص يحتمل بعضها المجاز ، ولكن الأصل هو الحمل على الظاهر والتسليم حتى يقع : **﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾** (٣) .

ـ ومما يُخَفِّفُ على المؤمن هول المرور على الصراط ملازمته المساجد ، والإحسان في الصدقة ، وإقالة المسلم بمصيبته وعثرته ، وتيسير الإنسان ماعسر على غيره ، وإعانة العباد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم وحماية المؤمن من المنافقين .

---

(١) الحديد : ١٢ ـ١٥ .　　(٢) التحريم : ٨ .

(٣) الأعراف : ٥٣ .

- وبعد أن يُنقّى أهل الإيمان ولم يبق إلا دخول الجنة يعطيهم الله خَلْقَهُمَ الذي قدره لهم في الجنة كطول آدم وعَرضه ويعطيهم شبابًا وحُسنًا ونضارةً .

- وإذا كان أهل الإيمان يمرُّون على الصراط ، وبعض العصاة منهم يتساقطون في النـار ، فإن أهل النفـاق لا يعبرون على الصراط أصلاً على قول للعلمـاء ، وبعض العلمـاء يقول : إن السور الـذي يضرب بينهم وبين أهـل الإيمـان يكـون في آخر الصراط أو في مكانٍ مـا منـه ، وعلى هـذا القـول فـإن أهـل النفـاق يمرُّون على الصراط أو على بعضـه ، ولكنهم لا نـور لهم فيسقطون في جهنم وعلى القول بأن السور يضرب بينهم وبين أهل الإيمان قَبْل الصراط فـإن حالهم حال الكافرين الذين يُذهب بهم إلى النار ، وقـد رأينـا بعض النصوص التي تُفَصّل فيما يجري لأهل النار وعليهم ، والظاهر أنه بعد الحساب والميزان يُخْرِجُ آدم بَعْثَ النار ، ويخرج عنق من النار ، فيأخذ أصنافًا من الناس إلى النار ، وكما أنه لا يوجد شيء في هذا الكون إلا على غاية النظام والترتيب والانضباط فكذلك الحال في اليوم الآخر كل شيء بترتيب ونظـام وانضباط .

- والنصوص الواردة في الصراط كثيرة تمر بمنـاسبـات متعـددة وهـذه بعض الروايـات في ذلك :

النصوص

١٢٧٢ - * روى أحمد عن أبي سعيد قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُوضَعُ الصِّراطُ بَيْنَ ظَهْرانَيْ جَهَنَّمَ . عَلَى حَسَكٍ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ . ثمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ . فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوجٌ بِهِ . ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ بِهِ . وَمَنْكُوسٌ فِيهَا » .

١٢٧٣ - * روى أحمد عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ قال : « يُحمَلُ الناسُ على الصراط يوم القيامة فتتقادَعُ بهم جَنْبَتَا الصراطِ تَقادُعَ الفَراشِ في النارِ ، فَينجِّي الله تعالى برحمته من يشاء » قال : « ثم يُؤذَنُ للملائكةِ والنبيينَ والشهداء أن يشفعوا فَيَشفَعون ويُخرِجون فيشفعون ويُخرِجون » زادَ عَفَّانُ « مرة ويشفعون ويُخرِجون من كان في قلبه ما يزنُ ذرةً من إيمان » .

أقول : الملاحظ أن هذا الحديث يذكر أن للصراط جنبتين وهذا يرجح تأويل ما ورد في وصف الصراط بأنه كحد السيف ، بأن المراد بذلك صعوبة المرور عليه وأن المرور عليه مخيف وقد ذهب بعضهم إلى أن صراط كل إنسان على حسب حاله .

١٢٧٢ - أحمد (٣ / ١١) .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٠) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٣ - باب ذكر البعث . وهو صحيح .

وروى مسلم نحوه (١ / ١٦٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريقة الرؤية .

(حسك) : جمع حَسَكة . نبات تعلّق بصوف الغنم . ورقة كورق الرِّجلة وادق . وعند ورقه شوك مُلَزَّ صُلْبٌ ذو ثلاث شُعَب ا هـ قاموس .

(السعدان) : نبت ذو شوك ، وهو من جيّد مراعي الإبل تسمن عليه .

(فناج مسلّم إلخ) : أي يكونون على أنحاء : فبعضهم مسلّمون من آفته . وبعضهم مخدوجون أي ناقصون من خلقتهم . وبعضهم منكوس أي يلقى في النار على رأسه .

١٢٧٣ - أحمد (٥ / ٤٣) .

والروض الداني (٢ / ١٤٢) .

وكشف الأستار (٤ / ١٧١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضًا ورجاله رجال الصحيح .

(تتقادع) : أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض .

١٢٧٤ - * روى الترمذي عن مجاهد بن جبر قال : قال ابنُ عباس : أتدرون ماسَعةَ جهنمَ ؟ قلت : لا ، قال : أجَلْ والله ماتدري ، حدَّثتني عائشةُ : أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ والأرضُ جميعًا قَبْضَتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه ﴾[الزمر : ٦٧] قالت : قلتُ : فأين الناسُ يومئذٍ يارسولَ الله ؟ قال : « على جِسرِ جهنم » .

أقول : ورد في حديث آخر : « في الظلمة دون الجسر » والجمع بينهما أن يكون بعضهم قد بدأ الجواز على الصراط وبعضهم ينتظر .

١٢٧٥ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « شِعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : ربِّ سَلِّم سَلِّمْ » .

١٢٧٦ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَخْلُصُ المؤمنون من النارِ ، فَيُحْبَسُون على قَنطرة بين الجنة والنار ، فيُقْتَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا ، أُذِنَ لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لأحَدُهُمْ أهدَى بمنزلهِ في الجنة منه بمنزلهِ كان في الدنيا » .

١٢٧٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامةَ قال : قالَ رسول الله ﷺ : « يجيءُ الظالمُ يومَ القيامةِ حتى إذا كان على جسرِ جهنم بين الظُّلْمةِ والوَعْرَةِ لقيه المظلوم فعَرَفَه وعرفَ ماظلَمَهُ به فما يَبْرَحُ الذين ظُلِموا يقصون من الذين ظَلَموا حتى ينزعوا مافي أيديهم من الحسناتِ فإن لم تكن لهم حسناتٌ رد عليهم من سيئاتهم حتى يُورَدَ الدَّرْكَ الأسْفَلَ من النار » .

١٢٧٤ - الترمذي (٥ / ٣٧٢) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٤١ - باب ومن سورة الزمر .
وقال : حديث حسن صحيح غريب .

١٢٧٥ - الترمذي (٤ / ٦٢١) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصور .
وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن بشواهده .

١٢٧٦ - البخاري (١١ / ٣٩٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٨ - باب القصاص يوم القيامة .

١٢٧٧ - ومجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٤) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية بمناسبة الكلام عن الصراط :

ثم ينتهي النـاس بعـد مفـارقتهم مكان المـوقف ، إلى الظلمـة التي دون الصراط وهي على جسر جهنم كما تقدم عن عائشة : أن رسول الله ﷺ سئل أين النـاس يوم تبـدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : « هم في الظلمة دون الجسر » .

وفي هـذا الموضع يفترق المنـافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنـون ، ويحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم كما قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبأَيْمَـانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّـاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَـالِدِين فِيهَـا ذَلِـكَ هُوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ * يَـوْمَ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ والْمُنَـافِقَـاتُ لِلَّـذِين آمَنُوا انظُرُونَـا نَقْتَبِسْ مِنْ نُـورِكُمْ قِيـلَ ارْجِعُـوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُور لهُ بَابٌ باطِنُه فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَـادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَـالُـوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وغرَّتْكُمْ الأَمَـانِيُّ حَتَّى جـاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بـاللهِ الْغَرُورُ * فـالْيَوْمَ لا يُؤْخَـذُ مِنْكُمْ فِـدْيَـةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ لا يُخْـزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّـذينَ آمَنُـوا مَعَـهُ نُـورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبـأَيْمَـانِهِمْ يَقُولونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وعن عبيد بن عمير ، أنه كان يقول : أيها الناس إنه جسر مجسور ، أعلاه دحض مزلـة ، والملائكـة على جنبـات الجسر يقولون : رب سلم قـال : وإن الصراط مثل السيف على جسر جهنم ، وإن عليه كلاليب وحسكًا ، والذي نفسي بيده ، إنه ليؤخـذ بـالكلاب الواحـد أكثر من ربيعة ومضر .

---

(١) الحديد : ١٢ ـ ١٥ .

(٢) التحريم : ٨ .

وعن سعيد بن أبي هلال قال :

بلغنا أن الصراط يوم القيامة وهو على الجسر يكون على بعض النـاس أدق من الشعر ، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع . رواه ابن أبي الدنيا . اهـ (النهاية في الفتن) .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

الشفاعات

ـ الشفـاعـة سؤال الخير للغير وهي تكون يـوم القيـامـة من الأنبيـاء والملائكـة والعلمـاء العاملين والشهـداء والصـالحين والمؤمنين وأولاد المؤمنين والمؤمنـات ممن مـات صغيرًا ، وتشفع بعض الأعمال فيشفع القرآن ويشفع الصيام .

ـ والشفاعـة عنـد الله لا تكون إلا بـإذنـه ﴿ **من ذا الـذي يشفـع عنـده إلا بـإذنـه** ﴾ [1] ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ [2] .

ـ ومن أعظم شفاعات رسول الله ﷺ شفاعته لفصل القضاء ثم شفاعتـه لعبور الصراط ثم شفاعته لدخول الجنة ومن شفاعاته عليه الصلاة والسلام شفاعتـه في قوم يـدخلهم الجنـة بغير حساب ، ومنهـا شفاعته في قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ألا يعذبوا ، ومنهـا الشفـاعـة في إخراج عصاة المؤمنين من النار ، ومنها شفاعته عليه الصلاة والسلام لأقوام أن ترفع درجاتهم في الجنة .

ـ ومن الأسباب في أن ينال العبد المؤمن شفاعتـه عليـه الصلاة والسلام : الـدعـاء عقب الأذان ، وسؤال الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله ﷺ . ومن أسباب الشفاعة الموت في أحـد الحرمين ، ومن أسبابها كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ .

ـ قال تعـالى : ﴿ **فمـا تنفعهم شفـاعـة الشـافعين** ﴾ [3] دلت الآيـة بمفهومهـا على أن غير الكافرين تنفعهم شفاعـة الشـافعين من رسل وأنبيـاء وملائكـة وصـديقين وشهـداء وصـالحين وآخرين من أهـل الإيمـان ، وقـد مرت معنـا نصـوص في الشفـاعـة وستمر معنـا نصـوص في سياقات أخرى .

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .
(٢) الأنبياء : ٢٨ .
(٣) المدثر : ٤٨ .

قال ابن كثير في النهاية ذاكرا أنواع شفاعاته عليه الصلاة والسلام :

فالنوع الأول منها : شفاعته الأولى . وهي العظمى : الخاصة به ، من بين سائر إخوانه ، من المؤمنين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم . حتى الخليل إبراهيم وموسى الكليم . ويتوسل الناس إلى آدم ، فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عندها . ويقول : لست بصاحبها . حتى ينتهي الأمر إلى سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . محمد رسول الله ﷺ دائمًا . فيقول : « أنا لها . أنا لها » فيذهب ، فيشفع عند الله عز وجل في أن يأتي للفصل بين عباده ، ويريحهم من مقامهم ذلك . ويميز بين مؤمنهم وكافرهم ، بمجازاة المؤمنين بالجنة . والكافرين بالنار .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة . وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوا .

النوع الرابع من الشفاعة : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها ، فوق ماكان يقتضية ثواب أعمالهم .

وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعًا آخر من الشفاعة . وهو : الخامس : في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، ولم أر لهذا شاهدًا فيما علمت ، ولم يذكر القاضي فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ ، أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين ، كما تقدم ، وهو يناسب هذا المقام .

وذكر أبو عبد الله القرطبي في التذكرة :

نوعًا آخر سادسًا من الشفاعة : وهو شفاعته في عمه أبي طالب ، أن يخفف عذابه ...

واستشهد بحديث أبي سعيد في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده أبو طالب فقال :

« لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار ، يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه » .

ثم قال : فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١) .

قيل لـه : لا تنفعـه في الخروج من النـار ، كا تنفع عصـاة الموحـدين . الـذين يخرجون منها ، ويدخلون الجنة .

النوع السابع من الشفـاعـة : شفـاعتـه ﷺ لجميع المؤمنين قـاطبـة ، في أن يؤذن لهم في دخول الجنة .

النوع الثامن من الشفـاعـة : شفـاعتـه في أهل الكبـائر من أمـة محـد ممن دخل النـار ، فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . اهـ (النهاية في الفتن) .

أقول : والتحقيق أنها عشر شفاعات : فهناك شفاعة فصل الخطاب ، وهناك الشفـاعـة لجواز الصراط وهناك الشفاعة لدخول الجنة ، وفي كل من هذه الشفاعـات الثلاث يفزع النـاس إلى آدم ونـوح وابراهيم ومـوسى وعيسى عليهم السـلام ، ثم يـؤول الأمر إلى أن يشفـع محـمـد ﷺ ولم يذكر في كلام ابن كثير الشفاعة لجواز الصراط والشفاعـة لـدخول الجنـة مع أن الرسول ﷺ يذكر أن الناس يفزعون إليه ثلاث فزعات يوم القيامة ، ولغموض هذا المقـام فـإنـه يلتبس على البعض حمل بعض النصوص على محـاملهـا الصحيحـة وقـد مرت معنـا من قبل نصـوص كثيرة في الشفاعة وفيما يأتي نذكر بعض النصوص :

---

(١) المدثر : ٤٨ .

النصوص

١٢٧٨ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا سيدُ ولدِ آدمَ يَومَ القيامة ، ولا فخرَ ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ ، ومامن نبي يؤمئذ - آدمُ فمن سواه - إلا تحت لوائي ، وأنا أولُ من تنشقّ عنه الأرضُ ولا فخر » قال : « فيفزع الناس ثلاث فَزَعات ، فيأتون آدمَ ، فيقولون: أنت أبونا آدم ، فاشفعْ لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبتُ ذنبًا فأُهبطتُ به إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحًا ، فيأتون نوحًا ، فيقول : إني دعَوْتُ على أهل الأرض دعوةً فأُهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى إبراهيمَ ، فيأتون إبراهيمَ ، فيقول : إني كذبتُ ثلاث كَذِبات » ، ثم قال رسولُ الله ﷺ : « مامنها كَذْبَةٌ إلا مَاحلَ بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى ، فيأتون موسى ، فيقولُ : قد قتلتُ نَفْسًا ، ولكن ائتوا عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولُ : إني عُبِدْتُ من دون الله ، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ ، فيأتوني ، فأنطلقُ معهم » . قال ابن جُدْعان : قال أنسٌ : فكأني أنظر إلى رسولِ الله ﷺ ، قال : « فآخُذُ بحَلْقَةِ بابِ الجنة ، فأُقَعْقِعُها ، فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : محمدٌ ، فيفتحون لي ويُرَحبّون ، فيقولون : مَرْحَبًا ، فأخِرُّ ساجدًا ، فيُلْهِمُني الله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسَك ، سَلْ تُعْطَ ، واشفع تُشَفَّع ، وقل يُسمَع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثَكَ ربُّك مقامًا محمودًا ﴾ (١) » قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة : « فآخُذُ بحلْقة باب الجنة فأُقَعْقِعُها » .

أقول : تحدث عليه الصلاة والسلام عن الفزعات الثلاث ثم اختصر ، فَفَصَّل في الفزعة الأخيرة وهي الفزعة لدخول الجنة والفزعة الأولى لفصل القضاء والفزعة الثانية لعبور الصراط.

١٢٧٨ - الترمذي (٥ / ٣٠٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ١٨ - باب ومن سورة بني إسرائيل (الإسراء) .

وقال : هذا حديث حسن . قال محقق الجامع : وهو كما قال .

(فيفزَع) : فزِعْتَ إلى فلان : إذا لجأتَ إليه ، واعتمدتَ عليه .

(مَاحَلَ) : المماحلة : المخاصمة والمجادلة .

(١) الإسراء : ٧٩ .

١٢٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « كلُّ نبي سأل سؤالاً » - أو قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ قد دعاها لأمته - وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ولمسلم قال (٢) قال رسول الله ﷺ : « أنا أولُ الناس يَشْفَع في الجنةِ ، وأنا أكثرُ الأنبياء تَبَعًا يومَ القيامة ، وأنا أولُ مَن يَقْرَعُ بابَ الجنةِ » .

١٢٨٠ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليمان ، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسولُ الله ﷺ : « يجمعُ اللهُ تبارك وتعالى الناسَ ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلفَ لهم الجنةُ ، فيأتون آدمَ ، فيقولون : ياأبانا ، استفتح لنا الجنةَ فيقولُ : وهل أخرجَكم من الجنةِ إلا خطيئةُ أبيكم ؟ لستُ بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ الله » قال : « فيقول إبراهيمُ : لست بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ ، اعمِدُوا إلى موسى الذي كلمه تكليمًا » قال : « فيأتون موسى ، فيقول : لستُ بصاحبِ ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحه ، فيقولُ عيسى : لست بصاحبِ ذلك ، فيأتون محمدًا ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وترسلُ الأمانةُ والرَّحِم ، فتقومان جَنْبتَي الصراط يمينًا وشمالاً ، فيمرُّ أوَّلكم كالبرق » ، قال : قلتُ بأبي وأمي : أيُّ شيء كالبرق ، قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يَمُرُّ ويرجع في طرفَةِ عين ؟ كمَرِّ الريح ، ثم كمَرِّ الطير ، وشدِّ الرِّجال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبيُّكم قائم على الصراط ، يقول : ربِّ سَلم سَلم ، حتى تعجزَ أعمالُ العبادِ ، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيعُ السيرَ إلا زحفًا » .

أقول : مَرَّ معنا أن الناس يفزعون إلى رسول الله ﷺ ثلاث فزعات وله في كل منها

١٢٧٩ - البخاري (١١ / ٩٦) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ١ - باب لكل نبي دعوة مستجابة .

مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٦ - باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .

(١) مسلم (١ / ١٨٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٥ - باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع .... » .

١٢٨٠ - مسلم (١ / ١٨٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(تزلف) : أي : تقرب وتدنى .

(شدّ) : الشدُّ : العَدْوُ .

شفاعة ففزعة لفصل الخطاب وفزعة لدخول الجنة وفزعة للإذن بالمرور على الصراط ، وهذا الحديث تحدث عن هذه الفزعة .

١٢٨١ - * روى البخاري ومسلم عن مَعْبَد بن هلال العَنَزِي ، قال : انطلقنا إلى أنس بن مالك ، وتشفَّعنا بثابتٍ ، فانتهينا إليه وهو يصلّي الضحى فاستأذَنَ لنا ثابت ، فدخلنا عليه ، وأجْلَسَ ثابتًا معه على سريره فقال له : ياأبا حمزة ، إن إخوانك من أهلِ البصرة يسألونك أن تُحدِّثَهم حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ ، قال : « إذا كان يومُ القيامة مَاجَ الناسُ بعضهم إلى بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع لذرِّيَّتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيمَ ، فيقول لست لها ، ولكنْ عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى ، فيقول : لستُ لها ، ولكنْ عليكم بعيسى ، فإنه رُوح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى ، فيقول : لستُ لها ، ولكن عليكم بمحمدٍ ، فأُوتى فأقول : أنا لها ، ثم أَنطلق فأستأذنُ على ربي ، فيؤذَن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليها إلا أن يُلهمَنيها ، ثم أخرُّ لربنا ساجدًا ، فيقول : يامحمد ، ارفع رأسَك ، وقل يُسْمَع لك ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول : يارب أُمَّتي أُمتي ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرِجْهُ منها ، فأنطلِق فأفعل ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يامحمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسْمَع لك ، وسَلْ تُعْطَهْ ، واشْفَع تُشَفَّع ، فأقول : ياربِّ أُمتي أُمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حَبَّةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها ، فأنْطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد ، ثم أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يامحمد ، ارفع رأسك وقُلْ يُسمَع لك ، وسَلْ تُعطَه ، واشفع تُشَفَّع ، فأقول : ياربِّ ، أُمَّتي أُمَّتي . فيقال لي : انطلِق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حَبَّةٍ من خردل من إيمانٍ

١٢٨١ - البخاري (١٣ / ٤٧٣) ٧٩ - كتاب التوحيد ، ٣٦ - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .
مسلم (١ / ١٨٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلةً .
(يلهمنيها) : الإلهام : ضرب من الوحي الذي يلقيه الله في قلوب عباده الصالحين .

فأخرجه مِنَ النار ، فأنطلِق فأفعل » هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كُنَّا بظهر الجبَّان ، قلنا : لو مِلْنا إلى الحسن فسلَّمنا عليه وهو مستخفٍ في دار أبي خليفة ؟ قال : فدخلنا عليه ، فسلَّمنا عليه ، قلنا : ياأبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة ، فلم نسمع بمثل حديثٍ حدَّثَناه في الشفاعة ، قال : هِيهِ ، فحدَّثْناه الحديثَ ، فقال : هِيهِ ، قلنا : مازادنا ؟ قال : قد حدثَّنا به منذ عشرين سنةً ، وهو يومئذ جميع ، ولقد ترك شيئًا ماأدري : أنسيَ الشيخ ، أم كره أنْ يحدِّثكم فتتَّكلوا ؟ قلنا له : حدِّثْنا ، فَضَحِكَ وقال : خُلِق الإنسان من عجل ، ماذكَرتُ لكم هذا إلا وأنا أُريد أن أحدِّثكموه ، قال : « ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة ، فأحْمَدُه بتلك المحامد ، ثم أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يامحمد، ارفع رأسك ، وقل يُسمَع لك ، وسل تُعطَهْ واشفع تُشفَّع ، فأقول : ياربِّ ، ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : فليس ذلك إليك ، ولكن وعِزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخرجَنَّ منها من قال : لا إله إلا الله » قال : فأشهد على الحسن أنَّه حدثَّنا به أنه سمع أنسَ بن مالك - أراه قال : قبل عشرين سنة - وهو يومئذ جميع .

١٢٨٢ - * روى البخاري تعليقًا : عن قتادة عن أنس أن النبيَّ ﷺ قال : « يُحْبَس المؤمنون يوم القيامة ... » وذكر نحوه ، وفي آخره : « ما بقي في النار إلا من حَبَسَهُ القرآن » . أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا هذه الآية ﴿ عَسَى أن يبعثكَ ربُّك مقامًا محمودًا ﴾ [(١)] قال : وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ . زاد في رواية [(٢)] : فقال النبيُّ ﷺ : « يَخْرُج من النارِ من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزِن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايَزِنُ بُرَّةً ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايَزِنُ ذرة » .

أقول : هذا الحديث يتحدث عن الفزعة الثالثة (الفزعة التي لدخول الجنة) إلا أنه

= (الجبّان) : والجبّانة : المقابر .

١٢٨٢ - البخاري (١٣ / ٤٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة .... ﴾ .

(١) الإسراء : ٧٩ .

(٢) البخاري(١٣ / ٣٩٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .

يطوى الكلام عنها لحصولها كما ذكرنا من قبل ، ويتحدث عن شفاعة رسول الله ﷺ لأهل الإيمان ممن دخلوا النار .

١٢٨٣ - * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامةِ ، فقال : « أنا فاعل إن شاء الله » قلت : فأين أطلبُك ؟ قال : « أول ما تطلُبني على الصراط » قلت: فإن لم ألقَكَ على الصراط ؟ قال : « فاطلبني عند الميزان » قلتَ : فإن لم ألقكَ عند الميزان ؟ قال : « فاطلبني عند الحوض ، فإني لا أخْطئ هذه الثلاثةَ مواطنَ » .

١٢٨٤ - * روى الترمذي عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « أتاني آتٍ من عند ربي ، فخيَّرني بين أن يُدْخِلَ نِصف أُمَّتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، فهي نائلةٌ من مات لا يشرك بالله شيئًا » .

١٢٨٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « يفتقد أهل الجنة ناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا فيأتون الأنبياء فيذكرونهم فيشفعون فيهم فيشفعون يقال لهم الطلقاء وكلهم طلقاءُ يُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة » .

١٢٨٦ - * روى الطبراني الأوسط والصغير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل من أهل هذه القبلة النارَ من لا يُحصي عدَدَهم إلا اللهُ ما عَصَوا الله واجترؤوا على معصيتِه وخالفوا طاعَتهُ فيُؤْذَنُ لي في الشفاعةِ فأثني على الله ساجدًا كما أثني عليه قائمًا فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع » .

١٢٨٣ - الترمذي (٤ / ٦٢١) ٣٨ - صفة القيامة ، ٩ - باب ما جاء في شأن الصراط .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

١٢٨٤ - الترمذي (٤ / ٦٢٧) ٣٨ - صفة القيامة ، ١٣ - باب [منه] . وسنده حسن .

وابن ماجه بنحوه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٧ - باب ذكر الشفاعة .

وهو عنده عن أبي موسى الأشعري . وفي الزوائد صحيح ورجاله ثقات .

١٢٨٥ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

١٢٨٦ - الروض الداني (١ / ٨٠) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٦) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والصغير وإسناده حسن .

١٢٨٧ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أمّا أهلُ النارِ الذين هم أهلُها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن ، ولكنْ ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فأماتتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذِن بالشفاعةِ ، فجيءَ بهم ضَبائرَ ضبائرَ ، فَبُثُّوا على أنهارِ الجنة ، ثم قِيلَ : ياأهلَ الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتون نَباتَ الحِبَّةِ في حَميلِ السَّيل » فقال رجل منَ القَوْم : كأنّ رسولَ الله ﷺ قد كان بالبادية .

١٢٨٨ - * روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال : « يَخْرُجُ قومٌ من النار بشفاعة محمد ﷺ ، فيدخلون الجنة يُسَمَّوْن الجهَنَّميِّين » .

١٢٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَخْرُجُ من النار قَوْمٌ بالشفاعة ، كأنهم الثَّعاريرُ » ، قلنا : ماالثَّعاريرُ ؟ قال : « الضَّغَابيسُ » .

وفي رواية (١) : « إن الله يُخْرِجُ ناسًا من النار فيُدخِلُهم الجنة » .

وفي أخرى (٢) : « إن الله يُخْرِجُ قومًا من النار بالشفاعة » .

١٢٩٠ - * روى ابن ماجه عَنْ أَبي مُوسى الأشْعَريِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « خُيرتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجنَّةَ . فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ .

١٢٨٧ - مسلم (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٢ - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار .

(ضبائر ضبائر) : الضبائرُ : جماعات الناس ، تقول : رأيتهم ضبائر : أي جماعات في تفرقة ، جمع ضبارة .

١٢٨٨ - البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

وأبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السُّنّة ، باب في الشفاعة .

والترمذي (٤ / ٧١٥) كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب [منه] .

١٢٨٩ - البخاري (١١ / ٤١٦) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلاً .

(الثعارير) : صغار القثّاء ، وهي الضغابيس أيضاً .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

١٢٩٠ - ابن ماجه (٢ / ١٤٤١) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٧ - باب ذكر الشفاعة .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

لأَنَّهـا أَعَمُّ وَأَكْفَى . أَتُرَوْنَهَـا لِلْمُتَّقِينَ ؟ لاَ . وَلكِنَّهـا لِلْمُـذْنِبِينَ ، الْخَطَّـائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ » .

١٢٩١ - * روى الطبراني عن أبي أمامةَ عن رسول الله ﷺ : « صنفـان من أمتي لن تَنالَهما شَفاعتي : إمامٌ ظَلومٌ غَشومٌ ، وكلُّ غالٍ مارق » .

١٢٩٢ - * روى أحمد عن أبي موسى قال : غزونا مع رسولِ الله ﷺ في بعض أسفارِه فعرَّسَ بنا رسولُ الله ﷺ ، فانتهيت في بعض الليل إلى مَنَاخِ رسُولِ الله ﷺ فلم أَجِدْهُ فخرجتُ أطْلُبُهُ بارزًا ، فإذا رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يطلب ماأطلبُ . قال فبينا نحن كذلك ، إذ اتجه إلينا رسولُ الله ﷺ . قال : فقلنا يارسول الله : أنت بأرضِ حَربٍ ولا نأمنُ عليك ، فلولا إذ بدَتْ لك حاجةٌ قلت لبعضِ أصحابِكَ فقامَ معكَ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « إني سمعتُ هزيزًا كهزيز الرحا ، وحنينًا كحنين النحل ، وأتاني آتٍ من ربي فخَيَّرَني بين أن يَدخِلَ ثُلثَ أمتي الجنةَ وبين الشفاعةِ ، فاخترت لهم شفاعتي وعلمتُ أنها أوسعُ لهم » قال : فقلنا : يارسول الله ادعُ اللهَ أن يجعَلنا من أهل شفاعتك فدعا لهما ثم إنهما انتهيا إلى أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأخبراهم بقولِ رسول الله ﷺ قال : فجعلوا يأتونه ويقولون : يارسولَ الله ادعُ اللهَ أن يجعلنا من أهلِ شفاعتكِ فيدعو لهم . فلما أَضَبَّ عليه القومُ وكَثُروا قالَ رسول الله ﷺ : « إنها لمن ماتَ وهو يشهد أن لا إله إلا الله » .

وفي رواية عند الطبراني[1] : فسِرْنا حتى إذا كنا بقريبٍ من الصبح نزلَ فاجْتمعنا حولَه وكذلك كنا نفعلُ فعَقَلَ ناقتَه ثم جعلَ خَدَّهُ على عِقالِها ثم نامَ وتفرقْنا فرفعتُ رأسي فإذا أنا لا أراه في مكانِه فذَعَرَني ذلك ، فقمتُ فإذا أنا أسمعُ مثلَ هزيزِ الرحاء من قِبَلِ الوادي ، إذ جاء رسولُ الله ﷺ مستبشرًا قال : قلتُ يارسولَ الله أين كنتَ ؟ قال : « كأنه راعك

١٢٩١ - المعجم الكبير (٨ / ٣٢٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٣٥) . وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير ثقات .

١٢٩٢ - أحمد (٤ / ٤١٥) .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٨). وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات ، وقد رواه في الصغير بنحوه .

حين لم ترَني في مكاني ؟ » قلتُ : أي والله ، قد راعني . قالَ « أتاني جبريلُ عليه السلام آنفًا فخيرني بين الشفاعة وبين أن يَغْفِرَ لنصفِ أمتي فاخترتُ الشفاعة » فنهضَ القومُ إليه فقالوا : يارسول الله اشفعْ لنا قال : « شَفاعتي لكم » فلما أكثروا عليه قال : « من لقي اللهَ يشهدُ أن لا إله إلا الله دخلَ الجنة » .

١٢٩٣ - * روى البزار عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال : انطلقتُ في وَفْدٍ إلى رسولِ الله ﷺ فأتيناه فأنخنا بالباب ومافي الناسِ أبغضُ إلينا من رجل نَلِجُ عليه ، فما خرجنا حتى ماكان في الناس أحبُّ إلينا من رجل دخلنا عليه فقالَ قائلٌ منا : يارسول الله ألا سألتَ ربك مُلْكًا كَملكِ سليمانَ قال : فضحكَ ثم قال : « فلعلَ لصاحبِكم عند الله أفضلَ من مُلك سليمانَ ، إن الله لم يَبعثْ نبيًّا إلا أعطاه دعوةً ، منهم من اتخذ بها دنياه فأعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصَوه فأُهْلِكُوا بها وإن الله أعطاني دعوةً فاختبأتُها عند ربي شفاعةً لأمتي يومَ القيامةِ » .

١٢٩٤ - * روى البزار عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي : جُعِلتْ لي الأرض طهورًا ومسجدًا وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ ولم تَحِلَّ لنبي كان قبلي ، ونُصِرْتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ على عدوي ، وبُعِثْتُ إلى كل أحمرَ وأسود ، وأعطيتُ الشفاعةَ وهي نائلة من أمتي مَنْ لا يشركُ بالله شيئًا » .

١٢٩٥ - * روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبدِ الله قال : قال رسول الله ﷺ « إن ناسًا من أمتي يُعذَّبون بذنوبهم فيكونون في النارِ ما شاءَ اللهُ أن يكونوا ، ثم يُعيرُهم أهلُ الشركِ فيقولون : مانرى ماكنتم فيه من تصديقِكم وإيمانِكم نفعَكم فلا يبقى مُوحِّدٌ إلا أخرجه اللهُ » ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ (١) .

١٢٩٣ - كشف الأستار (٤ / ١٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٠) وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجالهما ثقات .

١٢٩٤ - كشف الأستار (٤ / ١٦٦) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٩) . وقال : رواه البزّار بإسنادين حسنين .

١٢٩٥ - مجمع الزّوائد (١٠ / ٣٧٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفي وهو ثقة.

(١) الحجر : ٢ .

١٢٩٦ ـ * روى الطبراني عن مصعب الأسلمي قال : انطلقَ غلامٌ منا فأتى النبيَّ ﷺ ، فقالَ : إني سائلُكَ سؤالا ، قال : « وماهو ؟ » قال : أسألك أن تجعَلَني ممن تشفعُ له يوم القيامةِ . قالَ : « من أمرَكَ هذا ـ أو ـ من عَلَّمَكَ هذا ـ أو ـ من دلك على هذا ؟ » قال : ما أمرني به أحدٌ إلا نفسي : قال : « فإنك ممن أشفع له يوم القيامة » .

١٢٩٧ ـ * روى أحمد عن بعضِ أصحابِ النبيِّ ﷺ أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول : « إنهُ يقال للولدان يومَ القيامةِ : ادخُلُوا الجنةَ فيقولون : يارب حتى يَدْخُلَ آباؤنا وأمهاتنا » قال : « فيأبون » . قال : « فيقول الله عز وجل : مالي أراهم مُحْبَنْطِئين ادخلوا الجنة » قال : « فيقولون : يارب آباؤنا فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

١٢٩٨ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق رحمه الله كنت مع رهط بإيلياءَ ، فقال عبد الله بن أبي الجدعاء : سمعت رسولَ الله ﷺ قال : « يدخل الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي : أكثرُ من بني تميم » ، قلنا : سواك يارسول الله ؟ قال : « نعم سواي » .

١٢٩٩ ـ * روى أحمد عن أبي بَرْزة قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن من أمتي لَمَنْ يشفعُ لأكثر من ربيعة ومُضَرَ وإن من أمتي لمن يَعظِمُ للنار حتى يكون رُكْنًا من أرْكانها » .

١٣٠٠ ـ * روى أحمد عن أبي أمامة قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ليَدْخُلَنَّ

١٢٩٦ ـ المعجم الكبير (٢٠ / ٣٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٩) . وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٢٩٧ ـ أحمد (٤ / ١٠٥) .

مجمع الزوائد (٢ / ١١) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(مُحْبَنْطِئين) : قال ابن الأثير : المُحْبَنْطِي هو المتنع امتناع طَلِبَةٍ لا امتناع إباء .

١٢٩٨ ـ الترمذي (٤ / ٦٢٦) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١٢ ـ باب [منه] .

وقال : حديث حسن صحيح غريب . وهو كما قال .

١٢٩٩ ـ أحمد (٤ / ٢١٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٠٠ ـ أحمد (٥ / ٢٥٧ ،

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح ، غير عبد الرحمن بن ميسرة ؛ وهو ثقة .

الجنةَ بشفاعةِ رجل ليس بنبيٍّ مثلُ الحيين ربيعةَ ومُضَرَ » فقال رجل : يارسولَ الله أو ماربيعةُ من مضرَ قال : « إنما أقول ماأقول » .

١٣٠١ ـ * روى البزّار عن أنس بنِ مالك قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إن الرجل لَيَشْفَعُ للرجلينِ والثلاثةِ » .

١٣٠٢ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن من أمتي مَن يشفع في الفِئامِ من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم مَن يشفع للعُصْبة ، ومنهم يشفع للواحد ، حتى يدخلوا الجنة » .

وزاد رزين : « وإنما شفاعتي في أهل الكبائر ، وإنه لَيُؤمَرُ برجل إلى النار ، فَيَمُرّ برجل كان قد سقاه شرْبة ماءٍ على ظمأ ، فيقول : ألا تشفع لي ؟ فيقول : ومَن أنت ؟ فيقول : ألستُ أنا سقيتُك الماء يوم كذا وكذا ؟ فيعرفه ، فيشفع فيه ، فَيُرَدُّ من النار إلى الجنة » .

* * *

١٣٠١ ـ كشف الأستار (٤ / ١٧٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) . وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٢ ـ الترمذي (٤ / ٦٢٧) ٣٨ ـ كتاب صفة القيامة ، ١٢ ـ باب [مِنْهُ] . وقال : هذا حديث حسن .

(الفئام) : الجماعة من الناس .

الفقرة العاشرة

في :

الجنة والنار

١ - المقدمة

إن نهايتكم أيها الإنس والجن إما إلى جنة وإما إلى نار فهل أنتم متذكرون أو غافلون ؟

- من أجل أن تتذكر هذه النهاية بُعِثَ الرسلُ عليهم الصلاة والسلام وأُنزلتِ الكتبُ وكانت المعجزات وظهرت الكرامات لتقوم الحجة على الخلق .

- وها إن القرآن بين يديك وهو معجزة فيها معجزات يحدثك عما سيكون بين يديك ، وها إن محمدًا ﷺ - من كان القرآن معجزته وأكرمه الله بمعجزات أخرى ، ومن بشر به من قبله من الرسل ، ومن كانت صفاته وثمراته تدل عليه - أنذرك وبشرك .

- وها أنت ترى بقايا الوحي الإلٰهي في كثير من الأديان مع كثرة التغيير والتبديل تحدثك عما أعده الله لأهل طاعته وأوعد به أهل معصيته .

وكما أن الأصل في الأمور الغيبية أن نتلقاها عن المعصوم محمد ﷺ فإذا ثبتت عنه كان من واجبنا التسليم فإن أمر الآخرة كله كذلك وأمر الجنة والنار من ذلك .

وهناك قضايا من أمر الإيمان يكفي فيها الإيمان الإجمالي وهناك قضايا لا بد فيها من الإيمان التفصيلي ، وفي كل الأحوال فالإيمان التفصيلي الذي هو أثر عن معرفة النصوص كلها وفهمها حق الفهم على ضوء تحقيقات العلماء الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة هو الأرقى .

وإذا مر معك وأنت تقرأ النصوص ما لم تعتد أن تشاهده في الدنيا من أمر الآخرة ففر إلى الإيمان وفر إلى تصديق الله ، وفر إلى تصديق رسول الله ﷺ ، فلا أصدق من الله ورسوله ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ [1] ﴿ ومن أصدق من الله حديثًا ﴾ [2] اللهم لا أحد .

---

(١) الأحزاب : ٢٢ .

(٢) النساء : ٨٧ .

ـ والنار هي السجن الذي أعده الله للكافرين والعصاة قال تعالى : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴾ (١) والجنة هي دار السلام ودار النعيم المقيم أعدها الله لأهل الإيمان فكل ما فيها سلام وكل من فيها سلام قال تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ (٢) .

ـ والجنة والنار قد خلقهما الله من قبل فهما موجودتان قال تعالى عن النار ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (٣) ، ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا ﴾ (٤) . وقال عن الجنة ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (٥) ، فكل من الجنة والنار قد خلق وأعد وكتب له الخلود ، والجنة علوية وهي الآن فوق السماء السابعة والنار مغيبة لا يعلم مكانها إلا الله ومن أطلعه الله على ذلك ويوم القيامة يؤتى بالنار ويؤتى بالجنة فتكونان متلاصقتين ويعبر الناس من أرض المحشر إلى الجنة على الصراط وقد مرت معنا نصوص كثيرة تدل على ذلك .

ـ والنار من السعة بما يهول قال تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (٦) والجنة من السعة بما يهول قال تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ (٧) ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ (٨) .

ولا تستغربن عرض الجنة أن يكون كذلك فمحيط الدائرة أوسع من قطرها والسموات السبع على القول الراجح كروية فإذا كانت الجنة فوق السماء السابعة فمحيط السماء السابعة أكبر من قطرها الذي هو عرض السمٰوات والأرض .

ـ والجنة والنار باقيتان أبدًا وأما قوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابًا * لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا ﴾(٩) فالمراد والله أعلم أنهم يعذبون العذاب أحقابًا ثم يكون عذاب أشد أو أنه كلما انتهى حقب بدأ حقب إلى ما لا نهاية له .

---

(١) الإسراء : ٨ .
(٢) الأنعام : ١٢٧ .
(٣) البقرة : ٢٤ .
(٤) الكهف : ٢٩ .
(٥) آل عمران : ١٣٣ .
(٦) ق : ٣٠ .
(٧) الحديد : ٢١ .
(٨) آل عمران : ١٣٣ .
(٩) النبأ : ٢٣ ـ ٢٥ .

ـ وأما قوله تعالى ﴿ فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ ﴾ (١) أي غير مقطوع ، فليس المراد بالاستثناء نفي الديمومة بل المراد بالاستثناء أن الجنة والنار خالدتان خلود السمٰوات والأرض باستثناء ما حدث للسمٰوات والأرض يوم القيامة فإن ذلك لا يصيبها وللعلماء اتجاهات أخرى في فهم الآيتين ، فمن قطعيات الاعتقاد الإيمان بديمومة الجنة والنار فمن أنكر ذلك وقع في الضلال المبين .

قال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل الجنة :

« وثبت أن أول زمرة منهم على صورة القمر ثم الذين يلونهم في البهاء كأضوأ كوكب دري في السناء ، وأنهم يجامعون ولا يتناسلون ولا يتوالدون إلا ما يشاؤون . وأنهم لا يموتون ولا ينامون ، لكمال حياتهم وكثرة لذاتهم وتوالي نعيمهم ومسراتهم ، وكلما ازدادوا خلودًا ازدادوا حسنًا وجمالاً وشبابًا وقوة وكمالاً ، وازدادت لهم الجنة حسنًا وبهاء وطيبًا وضياء ، وكانوا أرغب شيء فيها وأحرص عليها وكانت عندهم أعز وأغلى وألذ وأحلى ، كما قال تعالى ﴿ خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً ﴾ » (٢) . اهـ . (النهاية في الفتن والملاحم) .

وقال ابن كثير وهو يتحدث عن أهل النار :

« إذا خرج أهل المعاصي من النار فلم يبق فيها غير الكافرين فلا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى : ﴿ ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ (٣) . فلا خروج لهم منها ولا محيد لهم بل هم خالدون فيها أبدًا وهم الذين حبسهم القرآن وحكم عليهم بالخلود ، كما قال تعالى ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا * خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا ﴾ (٥) وقال تعالى في سورة النساء ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدًا وكان

---

(١) هود : ١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٢) الكهف : ١٠٨ .

(٣) الأعلى : ١١ ـ ١٣ .

(٤) الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥ .

ذلك على الله يسيرًا ﴾ [١] اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

ولشيخ الإسلام تقي الدين السبكي رسالة سماها : « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » ، رد فيها على من ادعى غير ذلك وجمع فيها النصوص القطعية الواردة في ذلك وختمها بقوله :

« فهذه الآيات التي استحضرناها في بقاء الجنة والنار وبدأنا بالنار لأنا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها . وقد ذكرنا نحو مائة آية منها نحو من ستين في النار ، ونحو من أربعين في الجنة ، وقد ذكرنا الخلود وما اشتق منه في أربع وثلاثين آية في النار وثمان وثلاثين في الجنة ، وذكرنا التأبيد في ثلاث في النار مع الخلود ، وفي ثمان في الجنة منها سبع مع الخلود . وذكر التصريح بعدم الخروج أو بمعناه في أكثر من ثلاثين . وتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقة معناها ، وأن ذلك ليس مما استعمل فيه الظاهر في غير المراد ، ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك ونقلوه خلفًا عن سلف عن نبيهم ﷺ وهو مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة ، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك ، ومن رد ذلك فهو كافر ومن تأوله فهو كمن تأول الآيات الواردة في البعث الجسماني وهو كافر أيضًا » اهـ (الاعتبار) .

ـ فحدد يا أخي بصر الإيمان إلى مقرك ومستقرك وأقبل على الله بالذكر والفكر والتأمل في المصير وأكثر من قراءة القرآن فإنه الذي يذكرك بكل شيء ، وها نحن نعرض عليك بعض النصوص حول الجنة والنار مع شيء من التعليقات بما يتناسب مع غرض الكتاب ، وهي نصوصٌ من الكتاب والسنة فيما وصفت به النار والجنة وبعض نعيم أهل الجنة وبعض عذاب أهل النار وفي بعض ما استحق به أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ ونبدأ هذه الفقرة بذكر مشاهد من القرآن الكريم حول ما ذكرناه .

---

(١) النساء : ١٦٨ ، ١٦٩ .

٢ ـ مشاهد من القرآن الكريم

﴿ إذَا وَقَعَتِ الواقعةُ ۞ ليس لوقْعتها كاذِبةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَافعةٌ ۞ إذا رُجَّتِ الأرضُ رجًّا ۞ وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا ۞ فكانتْ هباءً مُنْبَثًّا ۞ وكنتمْ أزواجًا ثلاثةً ۞ فأصْحابُ الميْمَنةِ ما أصْحابُ الميْمَنةِ ۞ وأصْحَابُ المَشْأَمةِ ما أصْحَابُ المشأَمَةِ ۞ والسَّابِقُون السَّابِقُون ۞ أُولئكَ المُقَرَّبُون ۞ في جَنَّاتِ النَّعيم ۞ ثُلَّةٌ من الأوَّلينَ ۞ وقليلٌ من الآخرينَ ۞ على سُرُرٍ موْضُونَةٍ ۞ متَّكئِينَ عليها مُتقابلين ۞ يَطُوفُ عليهم وِلدانٌ مُخَلَّدون ۞ بأكوابٍ وأبَاريقَ وكأسٍ من مَعِينٍ ۞ لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنزِفُون ۞ وفاكهَةٍ مما يتَخَيَّرون ۞ ولَحْمِ طَيْرٍ مما يشتهون ۞ وحُورٌ عِينٌ ۞ كأمثال اللؤلؤِ المكْنَون ۞ جزَاءً بِما كانوا يَعْمَلُون ۞ لا يسْمعُون فيها لغوًا ولا تأثِيماً ۞ إلا قِيلاً سَلامًا سَلامًا ۞ وأَصْحَاب اليَمين ما أصحَابُ اليَمين ۞ في سِدْرٍ مَخْضودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ۞ وظِلٍ مَمْدُودٍ ۞ ومَاءٍ مَسْكُوب ۞ وفاكِهةٍ كَثيرَةٍ ۞ لاَ مقطُوعةٍ وَلامَمنوعةٍ ۞ وفُرُش مرْفُوعةٍ ۞ إنَّا أَنْشأْنَاهُنَّ إنْشاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُن أبكارًا ۞ عُرُبًا أترابًا ۞ لأصْحاب اليَمين ۞ ثُلَّة منَ الأوَّلين ۞ وثُلة من الآخرين ۞ وأَصْحَابُ الشِّمال ما أصحابُ الشِّمال ۞ في سَمُومٍ وحَميمٍ ۞ وظِلٍ من يَحْمُومٍ ۞ لا باردٍ ولا كَرِيمٍ ۞ إنَّهُمْ كانُوا قبلَ ذلكَ مُتْرَفِين ۞ وكانُوا يُصِرُّونَ على الحِنْثِ العظيم ۞ وكانُوا يَقُولون أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرابًا وعِظامًا أئِنَّا لمبْعُوثُون ۞ أوَ آباؤنا الأوَّلُون ۞ قل إنَّ الأوَّلين والآخرين ۞ لمجْمُوعُون إلى ميقاتِ يَوْمٍ معلوم ۞ ثُمَّ إنكم أيُّها الضَّالون المكذِّبُون ۞ لآكِلُون من شَجَرٍ من زَقُّوم ۞ فمالِئُون منها البُطون ۞ فَشَارِبونَ عليه منَ الحميمِ ۞ فَشَارِبُون شُرْبَ الهِيم ۞ هذا نُزُلُهُمْ يومَ الدين ﴾ (١) .

جاءت سورة الواقعة بعد سورة الرحمن وقد ختمت سورة الرحمن بالحديث عن أهل النار وبالجنتين اللتين أعدهما الله للمحسنين ووصفتها ثم بالحديث عن الجنتين اللتين أعدهما الله لأهل اليمين ووصفتها ، ثم جاءت سورة الواقعة فبدأت بالحديث عن أن الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : أهل يمين وأهل الشمال وسابقون وفصلت فيا أعد الله لكلٍّ ، وختمت سورة الواقعة بما أعد الله للمقربين ، وهم السابقون ، وما أعده لأهل اليمين وما أعده لأهل الشمال . فالسورتان تتكاملان في العرض وقد بدأنا بذكر ما ورد في أوائل سورة الواقعة مما أعده الله

(١) الواقعة : ١ ـ ٥٦ .

عـز وجـل للسـابقين وأهـل اليمين وأهـل الشمال ، ونكتفي بتفسير الكلمـات التي تحتـاج إلى تفسير :

﴿ الواقعة ﴾ : القيامة . ﴿ كاذبة ﴾ : نفس كاذبة تنكر وقوعها . ﴿ خافضة رافعة ﴾ : خافضة للأشقياء رافعة للسعداء . ﴿ رجت الأرض رجًا ﴾ زلزلت . ﴿ بست الجبال ﴾ : فُتّتتْ . ﴿ هباءً منبثًا ﴾ : غبارًا متفرقًا منتشرًا . ﴿ أزواجًا ﴾ أصنافًا . ﴿ الميمنة ﴾ : اليمن أو اليمين . ﴿ المشأمة ﴾الشؤم أو الشمال . ﴿ ثلة ﴾ : أمة كثيرة من الناس . ﴿ سرر موضونة ﴾ منسوجة من الذهب بإحكام . ﴿ ولدان مخلدون ﴾ : مُبْقَوْنَ على هيئة الولدان في البهاء . ﴿ أكواب ﴾ : أقداح . ﴿ أباريق ﴾ : أوان لها عرى وخراطيم . ﴿ كأس من معين ﴾ : قدح من خمر جارية من العيون . ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ : لا يصيبهم صُداع بشربها . ﴿ ولا ينزفون ﴾ : لا تذهب عقولهم . ﴿ حور عين ﴾ : نساء بيض واسعات الأعين حسانها . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون في أصدافه . ﴿ لغوًا ﴾ كلامًا باطلا لا خير فيه ﴿ تأثيما ﴾ : نسبة إلى الإثم . ﴿ سدر ﴾ : شجر النبق . ﴿ مخضود ﴾ : مقطوع شوكه ﴿ طلح منضود ﴾ شجر الموز أو مثله نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه ﴿ ظل ممدود ﴾ : دائم لا يتقلص . ﴿ ماء مسكوب ﴾ : مصبوب يجري في غير أخاديد . ﴿ عربًا أترابًا ﴾ متحببات إلى أزواجهن مستويات في السن . ﴿ سموم ﴾ : ريح شديد الحرارة تدخل المسام . ﴿ حميم ﴾ ماء بالغ الحرارة . ﴿ يحموم ﴾ دخان شديد السواد . ﴿ لا كريم ﴾ : لا نافع من أذى الحر . ﴿ الحنث ﴾ : الذنب العظيم ـ الشرك ـ ﴿ زقوم ﴾ شجر كريه جدًا في النار ﴿ شرب الهيم ﴾ الإبل العطاش التي لا ترْوَى .

﴿ فَإذا انشقّت السماءُ فكانتْ وَردَةً كالدِّهانِ * فبأي ءالآء ربِّكما تُكذِّبَان * فيومئذ لا يُسأل عن ذنْبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ * فبأي ءالآء ربِّكما تكذِّبان * يُعْرَفُ المجرمون بِسيماهم فيؤخذُ بالنَّواصي والأقْدامِ * فبأي ءالآء ربِّكما تُكذِّبان * هذه جهنَّمُ التي يُكذِّب بها المجرمون * يطوفون بينها وبينَ حميمٍ آنٍ * فبأي ءالآء ربِّكما تُكذِّبان * ولمنْ خافَ مقامَ ربِّه جنَّتان * فبأي ءالآء ربِّكما تكذِّبان * ذوَاتَا أفنان * فبأي ءالآء ربِّكما تُكذِّبان * فيهما عينان تجريان * فبأي ءالآء ربِّكما تُكذِّبان * فيهما من كلِّ فاكهة زوجان * فبأي ءالآء

ربّكما تُكذّبان * متكئين على فُرُش بَطائِنُها من إسْتَبْرق وجَنَى الجنّتَين دانٍ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * فيهنّ قاصراتُ الطّرْفِ لم يَطْمِثْهُنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * كأنهن الياقوتُ والمَرْجانُ * فبأي ءالاء ربّكما تكذّبان * هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسانُ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * ومن دونهما جنّتان * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * مُدْهآمّتان * فبأي ءالآء ربّكما تكذّبان * فيهما عينان نَضّاختان * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * فيهما فاكهة ونخل ورمانٌ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * فيهنّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * حور مقصوراتٌ في الخيام * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * لم يَطْمِثْهُنّ إنس قبلهم ولا جانٌ * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * متّكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسَان * فبأي ءالآء ربّكما تُكذّبان * تبارك اسمُ رَبّك ذي الجلال والإكرام ﴾ [١] .

هذه الآيات من سورة الرحمن جاءت مباشرة قبل الآيات التي مرت معنا من سورة الواقعة وهي تتحدث عن مضمونها مع تفصيلات هنا أو هناك في الوصف فيا أعده الله لأهل الشمال أو لأهل اليمين أو للسابقين ، وقد بدأ الحديث في سورة الواقعة عما أعده الله للسابقين وبدأ الحديث هنا عما أعده الله لأهل النار ثم ثنى بالكلام عما أعده الله للمحسنين السابقين بدليل ختم الآيات التي تتحدث عن ذلك بقوله تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [٢] ثم تحدثت عن الجنتين اللتين أعدهما الله لأهل اليمين وهما دون تلك الجنتين ، وقوله تعالى ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [٣] هل المراد به الانشقاق الذي يكون يوم القيامة ثم ما يؤول إليه حال الناس بعدالموقف والسؤال والحساب أو المراد به انشقاق آخر يكون في جهة العلو يسبق إدخال أهل النار النار ؟ الآية تحتمل هذا وهذا . وقوله تعالى ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ [٤] يرجع القول الذي يقول بأنه انشقاق آخر غير الانشقاق الأول ، فكأن هذا الانشقاق يكون بعد أن يتم الحساب والميزان وتقوم الحجة على الخلق ولم يبق إلا أن يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة ، ومما قاله

(١) الرحمن : ٢٧ ـ ٧٨ .
(٢) الرحمن : ٦٠ .
(٣) الرحمن : ٣٧ .
(٤) الرحمن : ٣٩ .

صاحب كتاب « كلمات القرآن تفسير وبيـان » في شرحـه الكلمـات التي تحتـاج إلى شرح في هذا النص ما يلي :

﴿ فَكانت وَرْدَةً ﴾ : كالورْدَةِ في الْحُمْرَة .

﴿ كَالدِّهان ﴾ : كدُهْنِ الزَّيْتِ في الذَّوبَان .

﴿ بِسِيَاهُمْ ﴾ : بِسواد الوجُوهِ ، وَزُرْقَةِ الْعُيُون .

﴿ فيُؤخَذُ بِالنَّوَاصِي ﴾ : بِشُعُور مُقَدَّم الرُّؤوس .

﴿ حَميمٍ آنٍ ﴾ : ماءٍ حَارٍّ تَنَاهَى حَرُّهُ .

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ : بستانٌ داخِلَ الْقَصْرِ وَآخَرُ خَارِجَهُ .

﴿ ذَوَاتَا أَفْنَان ﴾ : أَغْصَان . أو أَنْواعٍ مِنَ الثِّمار .

﴿ عَيْنَان ﴾ : التَّسْنِيمُ والسَّلْسبيلُ .

﴿ زَوْجَان ﴾ : صِنْفَانِ : مَعْرُوفٌ وَغَرِيبٌ .

﴿ إِسْتبرقٍ ﴾ : غَليظِ الدِّيبَاج .

﴿ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ : مَا يُجْنَى منْ ثِمارِها .

﴿ دَانٍ ﴾ : قَرِيبٌ مِنْ يَدِ الْمتَنَاوِلِ .

﴿ قَاصِرَاتُ الطرْف ﴾ : قَصَرْنَ أَبْصَارَهُن على أَزْوَاجِهِنَّ .

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ : لَمْ يَفْتَضَّهُنَّ قَبْل أَزْوَاجِهِنَّ .

﴿ وَمن دُونِها جَنَّتَان ﴾ : ... أدنى من السَّابِقَتَين .

﴿ مُدْهَامَّتان ﴾ : خضْراوَان شَديدتَا الخُضْرة .

﴿ نَضَّاخَتَان ﴾ : فَوارتان بالماء لا تنْقَطِعَان .

﴿ خَيْراتٌ حِسَانٌ ﴾ : خَيِّراتُ الأخلاقِ حِسانُ الوُجوه .

﴿ حُورٌ ﴾ : نِساءٌ بِيضٌ حِسانٌ .

﴿ مَقْصُوراتٌ في الخِيَام ﴾ : مُخَدَّراتٌ في بُيوت من اللُّؤلؤ .

﴿ رَفْرفٍ ﴾ : وَسَائِدَ أَوْ فُرُشٍ مُرْتَفِعَةٍ .

﴿ عَبْقَرِيٍّ ﴾ : بُسُطٍ ذَاتِ خَمْل رَقيق .

﴿ تَبارَكَ ﴾ : تَعالى . أو كثر خَيْرُه وَإِحْسَانُهُ .

﴿ ذِي الْجَلاَل ﴾ : العظَمة وَالاسْتِغْنَاء الْمطلق .

﴿ الإِكْرَام ﴾ : الفَضْل التَّام والإِحْسَان . اهـ .

﴿ إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنـات تجري من تحتهـا الأنهـار يُحَلَّون فيهـا من أسـاور من ذهب ولـؤلـؤا ولبـاسهم فيهـا حرير ✽ وهـدوا إلى الطيب من القـول وهُدُوا إلى صراط الحميد ﴾ (١) .

﴿ يُحلّون ﴾ : أي يَلْبَسون الحلي في أيديهم من الذهب كما يحلون بـاللؤلؤ إمـا مرصع بـه الـذهب في الأيـدي أو يحلون فيـه في أعنـاقهم ، وكلام أهـل الجنـة هـو الكلم الطيب ، وهم مهديون هدَاية كاملة خلقية إلى كل ما يحبه الله ويرضاه فالجنة دار السلام .

﴿ جناتُ عَدْنٍ يدخلونها ومَنْ صَلَحَ مِن آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم والملائكة يَـدخُلونَ عليهم من كلِّ باب ✽ سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقبى الدار ﴾ (٢) .

﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة أو هي الجنات التي في وسط الجنة .

والآيـة تـدل على أن أزواج الصـالحين وآبـاءهم وذريـاتهم يقربون من منـازل من هم أعلى منهم إذا اجتمع للأولين علو منزلة ولهؤلاء صلاح وأن المـلائكـة تـدخـل على أصحـاب الجنـة منازلهم مسلمة عليهم مقدمة لهم ما أراد الله من هدايا وتحف وكل ذلك لزيـادة الإكرام والإينـاس .

---

(١) الحج : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكم نارًا وَقُودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تُجزَوْن ما كنتم تعملون ﴾ (١) .

﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ أي يلون أمرها وهم الزبانية ، وعدتهم كما ورد في سورة المدثر تسعة عشر وهم غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخَلْقِ شداد الخَلْق أقوياء على الأفعال الشديدة ، ونهي الكافرين عن الاعتذار لا ينفي وقوع الاعتذار منهم ولكنه تأكيد بأن الاعتذار لا ينفعهم .

﴿ مَثَلُ الجنة التي وُعِد المتقون تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها تلك عُقبى الذين اتَّقَوا وعُقبى الكافرين النارُ ﴾ (٢) .

﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ أي ثمرها دائم لا ينقطع وظلها لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والمراد بكلمة ﴿ عقبى ﴾ المآل والمنتهى .

﴿ مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المُتَّقُون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسن وأنهارٌ من لبَنٍ لم يتغيَّر طعمُه وأنهارٌ من خمر لَذَّةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى ولهم فيها من كلِّ الثمرات ومَغْفِرَةٌ مِن رَّبِّهم كَمَنْ هوَ خالدٌ في النار وسُقُوا ماءً حميًا فقطَّعَ أمعاءَهم ﴾ (٣) .

الماء الآسن : الماء الذي تغير طعمه وريحه . وخمر الجنة غير خمر الدنيا . وقوله تعالى عن أهل النار ﴿ وسقوا ماءً حميًا فقطع أمعاءهم ﴾ أي بدل تلك الأشربة التي لأهل الجنة يشربون ماءً حارًا يقطع أمعاءهم من فرط الحرارة .

﴿ إنَّا هديناه السبيلَ إمَّا شاكرًا وإمَّا كَفُورًا * إنا أعْتَدْنا للكافرين سلاسلَ وأغلالا وسعيرًا * إن الأبرارَ يشربون من كأس كان مزاجُها كافورًا * عينًا يشربُ بها عبادُ الله يفجِّرونها تفجيرًا * يوفون بالنَّذْر ويخافونَ يومًا كان شره مستطيرًا * ويُطعمُون الطَّعامَ على حُبِّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نُريدُ منكم جَزاءً ولا شُكورًا *

(١) التحريم : ٦ ، ٧ .
(٢) الرعد : ٣٥ .
(٣) محمد : ١٥ .

إنّا نخافُ من ربِّنا يومًا عَبوسًا قمطريرًا * فوقاهم اللهُ شرّ ذلك اليوم ولَقّاهم نَضْرةً وسرورًا * وجزاهم بما صبروا جَنّةً وحريرًا * مُتكئين فيها على الأرائك لا يَرَوْن فيها شمسًا ولا زَمْهَرِيرا * ودانيةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلا * ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فِضّةٍ وأكوابٍ كانت قَواريرَ * قواريرَ من فضةٍ قدّروها تقديرًا * ويُسْقَوْنَ فيها كأسًا كان مزاجُها زنجبيلاً * عينًا فيها تُسمى سَلْسَبِيلا * ويطُوفُ عليهم ولِدانٌ مخلّدُون إذا رأيتهم حَسِبْتَهم لؤلؤًا منثورًا * وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيمًا ومُلكًا كبيرًا * عاليَهم ثيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساورَ من فضةٍ وسقاهم ربُّهم شرابًا طَهورًا * إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيُكم مَشكورًا ﴾ (١) .

قال صاحب (كلمات القرآن تفسير وبيان) في شرح المفردات ما يلي :

﴿ هَدَيْنَاه السَّبيلَ ﴾ : بَيّنّا لهُ طريقَ الهدايةِ وَالضّلال .

﴿ سَلاَسِلَ ﴾ : بَهَا يُقَادُونَ وَفي النّار يُسْحَبُون .

﴿ أغلالاً ﴾ : بها تجمع أيديهمْ إلى أعناقِهم وَيُقيّدونَ .

﴿ كأس ﴾ : خَمْر أو زُجاجة فيها خَمْرٌ .

﴿ مِزاجُهَا ﴾ : مَا تُمْزَجُ الكَأسُ بِهِ وَتُخْلَطُ .

﴿ عَيْنًا ﴾ : مَاءَ عَيْن أو خَمْرَ عَين .

﴿ يَشْرَبُ بِها ﴾ : يَشْرَبُ مِنها . أوْ يَرْتوي بها .

﴿ يُفَجّرُونَها ﴾ : يُجْرُونَها حَيثُ شَاءُوا مِن مَنَازِلِهِم .

﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ : فاشيًا مُنْتَشِرًا غاية الانتشار .

﴿ يَومًا عَبُوسًا ﴾ : تَكلحُ فيهِ الوُجوهُ لِهَولِهِ .

﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ : شديد العُبُوس .

---

(١) الإنسان : ٢ ـ ٢٢ .

﴿ لَقّاهُمْ نَضْرَةً ﴾ : أَعْطَاهُمْ حُسْنًا وَبَهْجَةً في الوَجْوهِ .

﴿ الأَرائك ﴾ : السُّرُر في الحجال . والحِجال : جمع حجلة متحركة بيت يزين بالقباب والأَسِرَّة والستور .

﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾ : بَردًا شَديدًا .

﴿ دَانِيةً عَليهم ظِلالُها ﴾ : قَريبَةً مِنْهُمْ ظِلالُ أَشجَارها .

﴿ ذُلّلتْ قُطُوفُها ﴾ : قُرِّبَتْ ثِمَارُها لِتنَاولِها .

﴿ أَكْواب ﴾ : أَقدَاحٍ بلا عُرَى وَخراطيم .

﴿ قَوَاريرَ ﴾ : كالزجَاجَات في الصَّفاء .

﴿ قَدَّرُوها ﴾ : جَعَلُوا شَرَابَها عَلَىَ قَدْر الرِّي .

﴿ كَأْسًا ﴾ : خَمْرًا أَوْ زُجَاجَة فيها خَمرٌ .

﴿ مِزاجُها ﴾ : مَاتُمزَجُ به وَتُخلَطُ .

﴿ تُسَمى سَلسَبيلاً ﴾ : يوصفُ شَرابُها بالسَّلاسةِ في الانسياغ .

﴿ ولْدَانٌ مُخلَّدُون ﴾ : مُبَقَّونَ عَلَى هيئةِ الولدَان في البهاء .

﴿ لؤلؤًا مَنْثُورًا ﴾ : كَاللؤلُؤ المُفرّق في الحسن وَالصَّفاء .

﴿ ثِياب سُنْدُسٍ ﴾ : ثيابٌ مِن ديباج رَقيق » . اهـ .

﴿ إستبرق ﴾ : الديباج الغليظ . والكافور والزنجبيل معروفان وهما في الآخرة غيرهما في الدنيا في الطعم واللذة .

﴿ أما الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فلهم جناتُ المأوَى نُزلاً بما كانوا يعملون * وأما الذين فَسَقُوا فمأواهم النارُ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب

النار الذي كنتم به تُكذبون ﴾ [١] .

(النزل) : الضيافة ، فأهل الجنة ضيوف الله ولكنها ضيافة أبدية وإذا طالب الله العبد أن يكرم ضيفه فكيف تكون ضيافة الله لأهل ضيافته من الإكرام والكرامة مما يزداد إلى ما لا نهاية .

﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندْخلُهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبدًا لهم فيها أزواجٌ مطهّرَةٌ ونُدخِلُهم ظلاً ظَليلا ﴾ [٢] .

﴿ أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من المرأة في الدنيا خَلْقًا أو خُلُقًا . (الظل الظليل) الظل الدائم الذي لا ينسخه شيء .

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضُها كعرض السماء والأرض أعدت للذين ءامنوا بالله ورسله ﴾ [٣] .

﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تَأْتيَهم بغتةً وهم لا يشعرون * الأخِلاءُ يَومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلا المتقين * يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون * الذين ءامنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * ادخُلوا الجنة أنتم وأزواجُكم تُحْبَرُون * يُطافُ عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أُورثتُموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ [٤] .

﴿ تحبرون ﴾ تُسَرُّون سرورًا ظاهر الأثر .

﴿ وبَشِّرِ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنَّات تَجري من تحتها الأنهار كلما رُزِقُوا منها مِنْ ثمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزِقْنا من قَبلُ وأُتُوا به متشابها ولهم فيها أزواجٌ مُطَهّرةٌ وهم فيها خالدون ﴾ [٥] .

﴿ متشابهًا ﴾ : أي مع مثله في الدنيا في الصورة مختلفًا في الطعم والمقدار .

---

(١) السجدة : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) النساء : ٥٧ .
(٣) الحديد : ٢١ .
(٤) الزخرف : ٦٦ ـ ٧٣ .
(٥) البقرة : ٢٥ .

﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليينَ * ومـا أدراك مـا عِليُّون * كتـابٌ مرقومٌ * يشهـدُه المقرّبـون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائــك يَنظُرون * تَعْرِفُ في وجـوهِهم نَضْرةَ النعيم * يُسْقَوْنَ من رَّحيقٍ مختـومٍ * ختـامه مِسْكٌ وفي ذلك فَلْيتنَـافسِ المتنـافسـون * ومزاجه من تسنيم * عينًا يشربُ بها المقرَّبون * إنّ الّذِين أجرموا كانوا من الـذين ءآمنوا يضْحَكون * وإذا مَرُّوا بهم يَتَغامزُون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكِهِين * وإذا رَأَوْهم قالوا إنّ هؤلاء لضالون * ومـا أُرْسِلوا عليهم حـافظين * فـاليوم الـذين ءامنوا من الكفـار يَضحَكون * على الأرائك ينظرون * هل ثُوِّب الكفارُ ما كانوا يفعلون ﴾ [1] .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كتَاب الأبرار ﴾ : مَا يُكْتبُ من أعمالهم .

﴿ لفي عليين ﴾ : لَمثبتٌ في ديوان الخير .

﴿ الأرائك ﴾ : الأَسِرَّة في الحِجال . والحِجال : جمع حجلة ـ محركة ـ بيت يزين بالقباب والأسرة والستور .

﴿ نَضْرةَ النّعيم ﴾ : بهجتَه وَرَوْنَقه وَبَهَاءَهُ .

﴿ رَحيق ﴾ : أَجْودِ الخَمْر وَأَصْفَاهُ .

﴿ مَخْتُوم ﴾ : إنَاؤهُ حتى يَفُكّهُ الأبرارُ .

﴿ ختامُهُ مِسكٌ ﴾ : ختام إنَائه المِسْكُ بدَلَ الطِّين .

﴿ فَلْيَتَنَافَس ﴾ : فَليتسَارَعْ أوْ فَلْيستَبِقْ .

﴿ مِزَاجهُ ﴾ : مَا يُمْزَج بِهِ وَيُخلط .

﴿ تَسنيم ﴾ : عَينٌ عَاليَة شرابها أشرف .

﴿ يَشْرَبُ ﴾ : يَشربُ منها .

---

(١) المطففين : ١٨ ـ ٣٦ .

﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ : يُشيرون إليهم بالأَعْين استهزاء .

﴿ فَكِهِين ﴾ : مُتَلَذِّذين باستِخفَافهم بالمؤمنينَ .

﴿ ثُوِّب الكُفَّارُ ﴾ : جُوزُوا بسُخْريتهم بالمؤمنين اهـ .

﴿ وكذلكَ أَخْذُ ربِّكَ إذا أخذَ القُرى وهي ظالمةٌ إنّ أخذَه أليمٌ شديدٌ * إنّ في ذلك لآيةً لمن خافَ عذابَ الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ * وما نُؤخِّرُه إلا لأجلٍ معدودٍ * يومَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنِه فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ * فأمّا الذينَ شَقُوا ففي النّار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ * خالدين فيها مادامت السمٰواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربُّك إن ربّك فعّالٌ لما يُريدُ * وأمّا الذين سُعِدُوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السمٰواتُ والأرضُ إلا ما شاءَ ربُّك عطاءً غيرَ مَجذوذٍ ﴾ (١) .

﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين ، أي كثير شاهدوه ، فالجن والإنس والملائكة ممن يشهدونه . ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ : أي بإذن الله تعالى وهذا في موقف . وقوله تعالى ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (٢) في موقف آخر . والاستثناء في قوله تعالى ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾إشارة إلى أن الخلود الحالي للسمٰوات والأرض خلود نسبي ينقطع بيوم القيامة أما خلود الجنة والنار فخلود لا ينقطع بما حدث بمشيئة الله بقيام القيامة . (الزفير) إخراج النفس والشهيق رده بصورتين منكرتين ﴿ غير مجذوذ ﴾ أي غير مقطوع . وقد وجّه الدكتور سعيد رمضان البوطي الاستثناء ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ الوارد في أهل الجنة والنار توجيهًا آخر فقال في كتابه : « كبري اليقينيات الكونية » عند هذه الآية : « إن الاستثناء إنما هو من قوله : ﴿ شقوا ﴾ و﴿ سعدوا ﴾ أي : جميع الأشقياء خالدون في النار إلا من شاء الله منهم ألا يخلد فيها ، وهم العصاة من أهل الإيمان والتوحيد ، كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة الأخرى . وجميع أهل السعادة خالدون في الجنة إلا ما شاء الله منهم أن يعذب في النار إلى أمد قبل ذلك ، وهم أولئك الذين غمرت حياتهم بالمعاصي والأوزار من المؤمنين ، ولم تكتب

---

(١) هود : ١٠٢ - ١٠٨ .

(٢) المرسلات : ٣٥ ، ٣٦ .

لهم الشفاعة أولاً . وإنما لم يأت الاستثناء بصيغة إلا من شاء الله ، لأن المراد من المستثنى منه العدد المجرد ، وذلك كقوله تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ فقد عبر عن النساء « بما » لملاحظة العدد » . اهـ .

﴿ إن المتقين في مقـام أمينٍ * في جنـات وعيـون * يلبَسـون من سُنْـدُسٍ وإسْتَبْرقٍ متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة ءامنين * لا يذوقون فيها المـوتَ إلا المـوْتـةَ الأولى ووَقـاهم عـذابَ الجحيم * فضـلا من رَّبِّـك ذلـك هـو الفـوزُ العظيم ﴾ (١) .

كما يُزوّجُ أهل الجنة من الحور العين فإن لهم زوجاتهم من أهل الدنيا ، فليس في الجنة أعزب ولا عزباء والمزوجات من أهل الدنيا يكُنَّ أجمل في أعين أزواجهن من الحور العين على جمالهن .

﴿ تلك الدَّارُ الآخِرَةُ نجعلُها للذين لا يُريدونَ عَلُوًّا في الأرض ولا فَسَادًا والعاقِبةُ للمتَّقين ﴾ (٢) .

هناك ناس يريدون العلو لأنفسهم ـ لا في سبيل الله ـ ولا يريدون فسادًا ، وهناك ناس يريدون الفساد مع العلو وهناك ناس يريدون الفساد بلا علو ، والذين ينالون رضوان الله هم الذين لا يريدون علوًّا ولا فسادًا وإنما يريدون العلو لكلمة الله بأنفسهم أو بغيرهم مع الإخلاص لله تعالى ومع البعد عن الفساد والإفساد .

﴿ فأمَّا مَن أُوتي كتابَه بيمينـهِ فيقولُ هاؤم اقرأوا كتابيَه * إنِّي ظننتُ أني ملاقٍ حسابيَه * فهو في عيشةٍ راضيةٍ * في جَنَّةٍ عاليةٍ * قطوفُها دانيةٌ * كلُوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (٣) .

﴿ وسيقَ الذين اتَّقَوا ربهم إلى الجنةِ زُمَرًا حتى إذا جاءوها وَفُتِحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتُم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمدُ لله الذي صدقَنَا وعدَه

---

(١) الدخان : ٥١ ـ ٥٧ .
(٢) القصص : ٨٣ .
(٣) الحاقة : ١٩ ـ ٢٤ .

وأورثنا الأرض نَتَبوأُ من الجنة حيثُ نشاءُ فنعم أجرُ العاملين ﴾ (١) .

﴿ زمرًا ﴾ جمع زمرة والمراد بها الجماعة ، وإنما يساقون إلى الجنة زمرًا للإسراع بهم ولأن أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات فأهل كل درجة يساقون مع بعضهم وقول الملائكة : ﴿ سلام عليكم ﴾ أي لا يعتريكم بعدُ مكروه . ﴿ طبتم ﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي وهذا يدل على أن أهل الجنة لا يدخلونها إلا بعد أن ينقوا تنقية كاملة ظاهرًا وباطنًا ، ومن آثامهم وظلمهم . ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ ذهب بعضهم إلى أن المراد بالأرض هنا أرض الجنة وحملها بعضهم على التبدل الذي يطرأ على الأرض فتكون به خبزة يأكلها أهل الجنة فتكون لهم وراثة الأرض خالصة بلا منازع .

﴿ وترى الملائكةَ حافّين من حول العرشِ يُسبِّحون بحمد ربِّهم وقُضِيَ بينَهم بالحقِّ وقِيلَ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴾ (٢) .

﴿ وترى الملائكة ﴾ أي أيها الداخل إلى الجنة ﴿ حافّين ﴾ أي محدقين ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بين الخلق بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار والضمير في ﴿ قيل ﴾ يعود على الملائكة أو على أهل الجنة .

﴿ والذين ءامنوا وعَمِلُوا الصّالحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم من الجنة غُرَفًا تَجري من تحتِها الأنهارُ خالِدِين فيها نِعْمَ أجرُ العاملين ﴾ (٣) .

﴿ لكِنِ الذين اتَّقَوْا ربَّهم لهم غُرَفٌ من فوقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجري من تحتِها الأنهارُ ﴾ (٤) .

﴿ إن المتّقِين في جنّاتٍ وعيون * ءاخِذين ما آتاهم ربُّهم إنَّهم كانوا قبل ذلك مُحْسِنِين * كانوا قليلا من الليل ما يَهْجَعُون * وبالأسحارِ هم يَسْتَغْفِرون * وفي أموالهم حَقٌّ للسائل والمحروم ﴾ (٥) .

---

(١) الزمر : ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) الزمر : ٧٥ .
(٣) العنكبوت : ٥٨ .
(٤) الزمر : ٢٠ .
(٥) الذاريات : ١٥ ـ ١٩ .

﴿ إنّ الذينَ ءامنوا وعَمِلُوا الصّالحاتِ يَهديهم ربُّهم بإيمانهم تَجري منْ تحتهم الأنهارُ في جنّات النعيم * دَعْوَاهم فيها سُبْحانَك اللّهم وتحيّتُهم فيها سلامٌ وآخرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العَالمين ﴾ (١) .

﴿ لِلّذينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادةٌ ولا يَرْهَقُ وجوهَهم قَتَرٌ ولا ذِلّةٌ أولئك أصحابُ الجنةِ هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

﴿ الحسنى ﴾ أي الجنة ﴿ وزيادة ﴾ أي النظر إلى وجه الله الكريم ﴿ ولا يرهق ﴾ أي ولا يغشى . ﴿ قتر ﴾ غبرة فيها سواد .

﴿ إنّ المتّقينَ في جَنّات وعُيون * ادخلُوها بسَلامٍ ءامنينَ * ونَزَعْنا ما في صُدورِهم مِنْ غِلٍّ إخوانًا على سُرُرٍ مُتَقابِلينَ * لا يَمَسُّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بِمُخرجينَ ﴾ (٣) .

نزع الغل من قلوب المؤمنين يكون قبل إدْخالهم الجنة .

﴿ إن للمتّقين مَفازًا * حدائقَ وأعنابًا * وكواعبَ أترابًا * وكأسًا دِهاقًا * لا يَسمعون فيها لَغْوًا ولا كِذّابًا * جزاءً من ربِّك عَطاءً حِسابًا * ربِّ السّموات والأرضِ وما بينهما الرّحمٰن لا يملكون منه خِطَابًا * يومَ يَقومُ الروحُ والملائكةُ صَفًّا لا يتكلّمون إلا من أذِنَ له الرّحمٰنُ وقال صوابًا * ذلك اليومُ الحقُّ فمن شاء اتّخذَ إلى ربِّه مآبا * إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا يومَ يَنْظُرُ المرءُ ما قدّمت يداه ويقول الكافرُ ياليتني كنتُ ترابًا ﴾ (٤) .

(المفاز) : فوز وظفر بكل محبوب . (الكواعب) : هن نساء الجنة وهن النسوة اللواتي لهن نهود مستديرة بأجمل ما يكون من الأحجام . (الأتراب) : المتساويات في السّن .

﴿ الروح ﴾ : إما جبريل وإما الملك الموكل بالأرواح أو خلق عظيم أعظم من الملائكة وإذا كانت الملائكة والروح على جلالة قدرهم يقفون مصطفين ولا يتكلمون إلا بعد إذن وبشرط أن يكون الكلام صوابًا فهذا يدل على جلالة الموقف وقوة الانضباط فيه . ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت ترابًا ﴾ : قيل في تفسيرها إن ذلك يقوله الكافر بعد أن

---

(١) يونس : ٩ ، ١٠ .
(٢) يونس : ٢٦ .
(٣) الحجر : ٤٥ ـ ٤٨ .
(٤) النبأ : ٣١ ـ ٤٠ .

يرى أن الحيوانات أصبحت ترابًا بأمرًا الله بعد أن يقتص من بعضها لبعض فيتمنى أن لو كان مآله كذلك وقيل غير ذلك .

﴿ إن المتّقين في جنّات ونعيم * فاكهين بما ءاتاهم ربُّهم ووقاهم ربهم عذابَ الجحيم * كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا بما كنتم تعمَلُون * متكئين فيها على سُرُرٍ مَصفُوفَةٍ وزوّجناهم بحورٍ عينٍ * والّذين آمنوا واتّبَعتْهم ذريتهم بإيمان ألحقْنا بهم ذريّتهم ومآ ألتنـاهُم من عملهم من شيء كُلُّ امرئ بما كَسَب رهين * وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ مما يَشتَهُون * يتنازعون فيها كأسًا لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ * ويطوف عليهم غِلمانٌ لهم كأنّهم لؤلؤٌ مكنونٌ * وأقبلَ بَعضُهم على بعضٍ يتساءَلون * قالوا إنّا كنا قبلُ في أهلنا مُشفِقين * فمَنّ اللهُ علينا ووقانا عذاب السّموم * إنّا كنّا من قبلُ ندعُوه إنه هو البرُّ الرحيمُ ﴾ [1] .

﴿ عين ﴾ جمع عَيناء وهي ذات العين الواسعة الجميلة . ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ أي في دخول الجنة والدرجة بشرط وجود الإيمان وهذا يدل على أن صلاح الآباء ينفع الأبناء إذا كانوا مؤمنين . ﴿ وما ألتناهم ﴾ أي وما أنقصناهم . ﴿ رهين ﴾ أي مرهون عند الله فلا يفكه إلا إيمانه وعمله الصالح . ﴿ يتنازعون فيها ﴾ يتجاذبون . ﴿ كأسًا ﴾ خمرًا . ﴿ لا لغوٌ فيها ﴾ لا كلام ساقط . ﴿ ولا تأثيم ﴾ ولا فعل يوجب الإثم على خلاف خمر الدنيا التي يرافقها اللغو والإثم . ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون . ﴿ عذاب السموم ﴾ نار جهنم النافذة من المسام .

﴿ وجوه يوْمَئذٍ ناعمةٌ * لسعيها راضيةٌ * في جَنّةٍ عالية * لاتسمعُ فيها لاغيةً * فيها عينٌ جاريةٌ * فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وأكوابٌ موضوعَةٌ * ونمارقُ مَصْفُوفَةٌ * وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [2] .

(النمارق المصفوفة) : الوسائد والمرافق يُتّكَأُ عليها موضوع بعضها إلى جنب بعض . (الزرابي المبثوثة) : البسط الفاخرة المفرقة في المجالس .

﴿ إنّ الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ إنّا لا نضيع أجرَ من أحسنَ عملا * أولئك لهم

(١) الطور : ١٧ ـ ٢٨ .

(٢) الغاشية : ٨ ـ ١٦ .

جناتُ عَدْنٍ تَجري من تحتِهم الأنهارُ يُحَلَّوْن فيها من أساورَ من ذهبٍ ويَلْبَسُونَ ثيابًا خُضْرًا من سُنْدُسٍ وإستَبْرقٍ متَّكِئين فيها على الأرائكِ نعم الثَّوابُ وحَسُنَتْ مُرتَفقًا ﴾ (١) .

﴿ الأرائك ﴾ جمع أريكة وهي مايُتَّكأُ عليه ويراد به هنا ـ والله أعلم ـ السرر التي عليها الأرائك .

﴿ وإن للمتَّقين لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جناتِ عدنٍ مفتَّحة لهم الأبوابُ ۞ مُتَكِئينَ فيها يَدْعُون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ ۞ وعندهم قاصِراتُ الطَّرْفِ أترابٌ ۞ هذا ما تُوعَدون ليوم الحسابِ ۞ إن هذا لَرِزْقُنا ما لَه مِن نفادٍ ﴾ (٢) .

﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ أي ما له من انقطاع وفناء .

﴿ جنَّات عَدْنٍ التي وَعَد الرحمنُ عبادَه بالغيبِ إنَّه كان وعدُه مَأْتِيا ۞ لا يَسمعون فيها لَغْوًا إلا سَلامًا ولهم رزقُهم فيها بُكرةً وعَشيًّا ۞ تلك الجنةُ التي نُورثُ من عبادنا مَنْ كان تَقِيًّا ﴾ (٣) .

﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا ﴾ : فسرها بعضهم بأن المراد بذلك الدَّيمومة فلا صباحَ ومساءَ في الجنة ، وفسرها بعضهم بأن ذلك جرى على عادة أهل الرفاه في الدنيا وذلك عدا ما يشتهونه فهو موفر لهم في كل حال .

﴿ جناتُ عَدنٍ يدخُلونها يُحلَّون فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤًا ولباسُهم فيها حرير ۞ وقالوا الحمد لله الذي أذهبَ عنَّا الحَزَنَ إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ ۞ الذي أحَلَّنا دارَ المُقامةِ مِن فضلهِ لا يَمسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمسُّنا فيها لُغوب ﴾ (٤) .

﴿ الحزن ﴾ : كل ما يحزن ويغم . (النصب) : التعب والمشقة . (اللغوب) : الإعياء من التعب والفتور .

﴿ قُل أذلكَ خيرٌ أمْ جَنَّةُ الخلدِ التي وُعِدَ المتَّقونَ كانتْ لهم جزاءً ومصيرًا ۞ لهم فيها ما

(١) الكهف : ٣٠ ـ ٣١ .
(٢) ص : ٤٩ ـ ٥٤ .
(٣) مريم : ٦١ ـ ٦٣ .
(٤) فاطر : ٣٣ ، ٣٥ .

يَشاءونَ خالدِين كانَ على ربِّك وعدًا مسئُولاً ﴾ (١) .

﴿ إنّ أصحابَ الجنّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكِهون * هم وأزواجُهم في ظِلالٍ على الأرائك مُتّكِئون * لهم فِيها فاكِهةٌ ولهم ما يدعُون * سلامٌ قوْلا من ربٍّ رّحيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ شُغُل ﴾ : نعيم عظيم يلهيهم عما سواه . ﴿ فاكهون ﴾ متلذذون أو فرحون . ﴿ ما يَدّعون ﴾ أي ما يتمنون أو يطلبون . وقال البيضاوي عند قوله تعالى : ﴿ في شُغُل ﴾ : إنه أبهم (الشغل) تعظيمًا لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيهًا على أنه أعلى ما يحيط الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام اهـ .

﴿ إنّ المتّقين في ظلال وعيون * وفواكهَ مما يَشتهونَ * كلُوا واشربوا هَنيئًا بما كنتمْ تَعمَلون * إنّا كَذلكَ نَجزي المحسنينَ * ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين ﴾ (٣) .

﴿ إنّ الّذين كَفروا لو أنّ لهم ما فِي الأرض جَميعًا ومِثْلَهُ معه لِيَفْتَدُوا به من عذابِ يومِ القيامةِ مَا تُقُبِّل منهم ولهم عذابٌ أليم * يُريدون أن يَخرُجُوا من النّارِ وما هُم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ ﴾ (٤) .

﴿ وَيْلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الّذي جمعَ مالا وعدّدَهُ * يَحْسَبُ أنّ مالَه أخْلَده * كلا لَيُنْبَذَنّ في الحُطَمَةِ * وما أدراكَ ما الحُطَمةُ * نارُ اللهِ الموقَدةُ * الّتي تَطّلِعُ عَلَى الأفئِدَةِ * إنّها عليهم مؤصَدَةٌ * في عَمَدٍ ممددَةٍ ﴾ (٥) .

﴿ وَيْلٌ ﴾ : عذابٌ أوْ هَلاكٌ أوْ وَادٍ في جَهَنّم .

﴿ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ : طَعّانٍ غَيّابٍ عَيّابٍ للنّاس .

﴿ عَدّدَهُ ﴾ : أحصَاه . أوْ أعَدّهُ للنّوائب .

﴿ أخْلَدَهُ ﴾ : يُخَلّدهُ في الدُّنيا .

---

(١) الفرقان : ١٥ ـ ١٦ .
(٢) يس : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٣) المرسلات : ٤١ ـ ٤٥ .
(٤) المائدة : ٣٦ ـ ٣٧ .
(٥) الهمزة : ١ ـ ٩ .

﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ : لَيُطْرَحَنَّ .

﴿ الحُطَمة ﴾ : جهنم . لِحَطْمِها كلَّ ما يُلْقَى فيها .

﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الأفئدَةِ ﴾ : تَغْشَى حَرارتُها أَوْساطَ القُلوب .

﴿ مُؤصَدَةٌ ﴾ : مُطبَقَةٌ مُغْلَقةٌ أبْوابُها .

﴿ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ : بأعْمدَةٍ مَمْدُودَةٍ عَلَى أبوَابِها .

وهذا وصف يؤكد أن جهنم سجن ولكنه ليس كسجون الدنيا .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * ما أغْنَى عَنْهُ مَالُه وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ * وامرأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * في جيدِها حَبْلٌ من مَسَدٍ ﴾ (١) .

﴿ تَبَّتْ ﴾ : هَلَكتْ أوْ خَسِرَتْ أو خَابَتْ .

﴿ وَتَبَّ ﴾ : وَقَد هَلَكَ أوْ خَسِرَ أوْ خابَ .

﴿ مَا أغْنَى عَنْهُ ﴾ : مَا دَفَعَ التَّبَابَ عَنْهُ .

﴿ مَا كَسَبَ ﴾ : الذي كَسَبَهُ بِنَفْسِه .

﴿ سَيَصْلَى نَارًا ﴾ : سَيَدْخُلُهَا أوْ يُقَاسِي حَرَّها .

﴿ في جيدِها ﴾ : في عُنُقِهَا .

﴿ مِنْ مَسَدٍ ﴾ : مِمَّا يُفْتَلُ قَويًّا مِنَ الحِبَال .

قال البيضاوي ﴿ في جيدها حبل من مسد ﴾ أي حبل من نار اهـ .

أقول : والذين فسروه بأنه حبل من ليف أخذوه على معناه في الدنيا ولا غرابة فالنار فيها شجر الزقوم فحال الآخرة غير حال الدنيا فإذا احترق الشجر والليف في نار الدنيا فإن لنار الآخرة خصائصها ، وعلى كل الأحوال فإن النص يفيد الإذلال والمهانة على ما كانت

---

(١) المسد : ١ ـ ٥ .

تفعله في الدنيا .

﴿ هٰذان خَصمَان اختَصموا في رَبِّهم فالـذين كفروا قُطِّعَتْ لهم ثيـابٌ من نـارٍ يُصَبُّ من فَوقِ رُؤوسِهمُ الحميمُ ، يُصهَرُ بـهِ ما في بطونِهم والجلُودُ ، ولهم مقـامِـعُ من حـديـد ، كلما أرادوا أن يَخرجوا منها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فيها وذُوقُوا عَذَابَ الحريق ﴾ (١) .

﴿ هـذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ هـذان فـوجـان اختصموا في الله : وهم المـؤمنـون والكافرون وقـد ذكر الله عز وجل مـا أعـد للكافرين الـذين يخـاصمون المـؤمنين في الله فقـد قدرت لهم على مقادير جثثهم ثياب من النار تحيط بهم إحاطـة الثيـاب ، وهل المراد بـذلـك أن النار التي تحيط بهم هي الثيـاب أو أن لهم ثيـابًا من نـار زيـادة على نـار جهنم ؟ النص يحتمل هذا وهذا . والحميم الماء الحار . ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ سياط من حديـد يجلـدون بها .

﴿ إنّ المنافقين في الدّرْكِ الأسفلِ من النارِ ولن تجدَ لهم نصيرًا ﴾ (٢) .

أي في الطبقـة التي في قعر جهنم لأنهم أخبث الكفرة فقـد ضموا إلى الكفر استهـزاءً بـالله وخداعًا للمسلمين .

﴿ إنّ الذينَ يَرمُونَ المُحْصَنات الغافِلاتِ المؤمِنَاتِ لُعِنُوا في الدُّنيـا والآخِرَةِ ولهم عَـذَابٌ عظيمٌ ، يَومَ تَشْهَدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانوا يعملون ، يَوْمَئذٍ يُوَفِّيهم اللهُ دِينَهم الحقَّ ويعلمون أنّ اللهَ هو الحقُّ المبين ﴾ (٣) .

﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغـافلات ﴾ عـما قُـذِفْنَ بـه المؤمنـات بـالله ورسوله ، إنّ الـذين يرمون هؤلاء أي يقـذفونهن بـالزنـا . وقـد قيل إن الوعيـد المـذكور في النص في حق المنافقين الذين قذفوا عائشة رضي الله عنها وقيل إنه في حق كل قاذف مـا لم يتب وتقبل توبتـه ويعف أصحـاب الحقوق عن حقوقهم ومـا أشـد هـذا الـوعيـد في حـق كل من يقذف أعراض المؤمنين والمؤمنات .

---

(١) الحج : ١٩ ـ ٢٢ .　　(٢) النساء : ١٤٥ .

(٣) النور : ٢٣ ـ ٢٥ .

﴿ وإنْ تَعْجَب فَعَجبٌ قولُهم أئذا كُنّا تُرابًا أئنّا لفي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الذين كَفَروا بربِّهم وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهم وأولئك أصحابُ النّارِ هم فيها خَالدِوُن ﴾ (١) .

﴿ أولئك الأغلال في أعناقهم ﴾ أي يُسحبون بها في النار .

﴿ إنّ الذين كفروا بآياتنا سوفَ نُصليهم نارًا كُلّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بَدّلناهم جُلُودًا غيرَها لِيذُوقوا العذابَ إنّ اللهَ كانَ عزيزًا حكيمًا ﴾ (٢) .

أي يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى أو يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدًا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية .

أقول : من أقوال علماء التشريح في عصرنا أن أشد أنواع الأعصاب حساسية بالألم هي أعصاب الجلود ، فالآية فيها معجزة علمية من معجزات القرآن .

﴿ كُلُوا وتَمتَّعوا قليلا إنّكُم مُجْرِمون * ويلٌ يؤمئذٍ لِلمُكَذّبين * وإذا قِيلَ لهم ارْكَعوا لا يَرْكعون * ويلٌ يؤمئذٍ للمكذّبين * فبأيِّ حديثٍ بَعْدَه يؤمِنون ﴾ (٣) .

دل النص على أن أهل النار يأكلون ويتمتعون في الدنيا وهم غافلون عن الله ، وما كلفهم به ، وبذلك استحقوا ما استحقوه من العذاب .

﴿ والذين يكنزُون الذّهبَ والفِضّةَ ولا يُنفِقُونها في سبيل الله فبشّرهُم بعذابٍ أليمٍ * يومَ يُحْمَى عليها في نارِ جَهَنّمَ فتكوَى بها جِباهُهُم وجُنُوبُهم وظهورُهم هذا ما كَنَزْتُم لأنفسِكم فذُوقوا ما كنتم تَكنِزُون ﴾ (١) .

هذا الوعيد لمن لا يؤدي حق الله في ماله فإنه يعذب به في نار جهنم ، وهناك العذاب في الموقف بوطء الأنعام لمن لم يؤد زكاتها في الدنيا كما ورد في حديث صحيح سنورده في جزء الزكاة .

---

(١) الرعد : ٥ .
(٢) النساء : ٥٦ .
(٣) المرسلات :٤٦ ـ ٥٠ .
(٤) التوبة : ٣٤ ـ ٣٥ .

﴿ إن المجرمين في عذابِ جَهَنَّمَ خالدون * لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادَوا يا مالكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّك قال إنكم ماكثون ﴾ [1] .

﴿ لا يُفَتَّرُ عنهم ﴾ لا يخفف عنهم . ﴿ مبلسون ﴾ آيسون من النجاة . و ﴿ مالك ﴾ هو خازن النار ورئيس الزبانية وقولهم ﴿ لِيَقْضِ علينا ربك ﴾ أي ليتنا فيكون الجواب ﴿ إنكم ماكثون ﴾ أي مقيمون أبدًا لاخلاصَ بموتٍ أو غيره وهذا من أعظم الأدلة على كفر القائلين بفناء النار .

﴿ ولا يحسبَنّ الذين يبخلُون بما آتاهم اللهُ من فضلِه هو خيرًا لهم بل هو شرٌّ لهم سَيُطَوَّقون ما بَخِلُوا به يومَ القيامة ﴾ [2] .

ورد في حديث صحيح أن الذي لا يؤدي زكاة ماله يطوقه الله عز وجل يوم القيامة بثعبان يطوق عنقه يأخذ بشدقيه وسيمر معنا الحديث في جزء الزكاة ، وهذا يدل على أن من بخل بزكاة الأموال من ذهب وفضة وأمثالها له عذابه في الحشر ، وإذا دخل النار كان له عذاب خاص بسبب ما كنز مما لم يؤد زكاته .

﴿ يومَ تُقَلَّبُ وجوهُهم في النّار يقولون ياليْتَنا أطعْنا اللهَ وأَطعْنا الرسولا * وقالوا ربَّنا إنَّا أطعْنا سادتَنا وكبراءَنا فأضَلُّونا السبيلا * ربَّنا ءاتِهم ضِعْفَيْنِ من العذاب والْعَنْهم لعْنًا كبيرًا ﴾ [3] .

﴿ إنَّ الذين يَشْتَرون بعهد الله وأَيْمانهم ثمنًا قليلا أولئك لا خَلاقَ لَهم في الآخِرَة ولا يُكَلِّمُهم اللهُ ولا ينظُرُ إليهم يومَ القيامَةِ ولا يُزَكِّيهم ولهم عَذابٌ أليمٌ ﴾ [4] .

﴿ يشترون ﴾ يستبدلون . ﴿ بعهد الله ﴾ أي بما عاهدوه عليه . ﴿ وأيمانهم ﴾ أي بما أقسموا أنه لو جاءهم الرسول الحق لآمنوا به ولنصروه . ﴿ لا خلاق ﴾ لا نصيب لهم من رحمة الله في الآخرة . ﴿ لا يكلمهم الله ﴾ أي : بما يسرهم أو لا يكلمهم أصلاً سخطًا منه عليهم لما

(١) الزخرف : ٧٤ ـ ٧٧ .
(٢) آل عمران : ١٨٠ .
(٣) الأحزاب : ٦٦ ـ ٦٨ .
(٤) آل عمران : ٧٧ .

قـــامت عليهم من الحجـج ثم أصروا على الكفر . ﴿ ولا ينظر إليهم ﴾ نظرة رحمـــة . ﴿ ولا يزكيهم ﴾ أي ولا يثني عليهم جـزاء على فعلهم في الـدنيـا إذ إنهم من حبهم للثنـاء في الدنيا عرفوا الحق وتركوه إرضاء للناس . وعلى القول بأنـه لا يكلمهم أصلا فـإن ذلـك محمول على بعض مواقف يوم القيامة .

﴿ إنَّ الـذين يكتُمـون مـا أنـزلَ الله من الكتـاب ويشتَرون بـهِ ثمنًـا قليـلا أولئـك مـا يـأكلُـون في بطـونِهم إلا النَّـارَ ولا يُكلِّمُهم اللهُ يـومَ القيـامَـةِ ولا يُـزَكِّيهم ولهم عَـذَابٌ أليمٌ ﴾ [(١)] .

كما أن من كفر أصلا له من العذاب ما ذكر في ما قبل هذا النص فإن من يكتم مـا أنزل الله وهو قادر على إظهاره فإن له هذا العذاب الذي ذكرته الآيـة ، وكـذلـك من يسـأل عن علم يفترض عليه تعليه فيَكتمه يلجم يوم القيامة بلجام من نار ، وقوله تعـالى ﴿ مـا يـأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ فسرها البيضـاوي بقولـه : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ : إمـا في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنـار لكونهـا عقوبـة عليـه ، أو في المـآل أي لا يـأكلون يوم القيامة إلا النار في بطونهم ملء بطونهم اهـ .

﴿ كيف يهدي الله قومًا كفروا بعـد إيمـانهم وشهدوا أن الرسول حق وجـاءهم البينـات والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنةَ الله والملائكةِ والناس أجمعين * خـالـدين فيهـا لا يُخَفَّفُ عنهم العـذابُ ولا هُمْ يُنْظَرون * إلا الـذين تـابـوا من بعـد ذلـك وأصلَحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [(٢)] .

هناك ناس يرتدون ولا أمل في رجوعهم إلى الإسلام لأنهم ارتدوا بعد قيام الحجـة كاملـة عليهم ، فهؤلاء ينفي الله أن يكونوا محل هـدايتـه مرة أخرى وهؤلاء يستـأهلون اللعنـة من الله والملائكة والمؤمنين ومن الناس أجمعين في الدنيـا وفي الآخرة ، وهنـاك نـاس يرتـدون ثم يرجعون فيتوبون ويصلحون فهؤلاء يعدهم الله عز وجل مغفرة منه ورحمة .

﴿ كلا إنّهم عن ربِّهم يَوْمئذٍ لَمحجُوبون * ثم إنهم لصَالـو الجحيم * ثم يقال هـذا الـذي

---

(١) البقرة : ١٧٤ . (٢) آل عمران : ٨٦ ـ ٨٩ .

كنتم به تكذّبون ﴾ (١) .

﴿ كلا إنهم عن ربهم يَوْمَئِذٍ لمحجوبون ﴾ : أي إنهم لا يرون الله عز وجل لا في عرصات القيامة ولا بعد دخولهم النار فهم محرومون من هذه الرؤية على خلاف المؤمنين الذين يرون ربهم في عرصات القيامة ويرونه بعد أن يدخلوا الجنة .

﴿ فاتقُوا النَّارَ التي وَقُودُها النَّاسُ والحجارةُ أُعِدَّتْ للكافرين ﴾ (٢) .

﴿ والطُّور * وكتابٍ مَسْطورٍ * في رَقٍّ منشورٍ * والبيتِ المعمورِ * والسقفِ المرفوع * والبَحْرِ المَسْجُور * إنَّ عذابَ رَبِّك لواقعٌ * ماله مِنْ دافعٍ * يومَ تَمورُ السَّماءُ مَوْرًا * وتَسيرُ الجبالُ سَيْرًا * فويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين * الذين هم في خَوْضٍ يلعبون * يومَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنَّم دَعًّا * هذه النارُ التي كنتمْ بها تكذِّبُون * أفَسِحْرٌ هذا أم أنتمْ لا تُبصِرون * اصْلَوْها فاصْبِروا أو لاتصبروا سواءٌ عليكم إنَّما تُجْزَوْن ما كنتم تعملون ﴾ (٣) .

﴿ والطور ﴾ قسمٌ بِجَبَلِ طُور سيناء الذي كلم اللهُ عنده موسى . ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتُوبٍ على وَجه الانتظام والمراد به القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿ في رق ﴾ ما يُكْتَبُ فيه جلدًا أو غيره ﴿ منشور ﴾مبسوط غير مختوم عليه وقد استعير للكتاب المراد في الآية السابقة ﴿ البيت المعمور ﴾ إما كعبة الأرض وإما كعبة السماء وهي في السماء الرابعة والمراد بعمارتها كثرة قاصديها للعبادة ﴿ والسقف المرفوع ﴾ السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ المُوقَدِ نارًا يوم القيامة ﴿ إن عذاب ﴾ جَوابُ القسم بما سَبَقَ ﴿ تمور السماء ﴾ تضطرب وتدور كالرحى وذلك بين يدي طيِّها كطي السجل ﴿ فويل ﴾ هلاك أو حسرة أو شدة عذاب ﴿ خوض ﴾ انْدِفاع في الأباطيل والأكاذيب ﴿ يُدَعُّون ﴾ يُدفَعونَ بعنْفٍ وشِدَّة ﴿ اصلوها ﴾ ادْخلُوها أو قَاسُوا حَرَّها .

﴿ إنَّ جهنَّمَ كانت مرصادًا * للطاغين مآبًا * لابثين فيها أحقابا * لا يَذُوقون فيها بَرْدًا ولا شَرابًا * إلا حَمِيًا وغَسَّاقًا * جزاءً وِفاقًا * إنَّهم كانوا لا يَرجُون حِسابًا * وكذَّبوا

---

(١) المطففين : ١٥ ـ ١٧ .
(٢) البقرة : ٢٤ .
(٣) الطور : ١ ـ ١٦ .

بآياتنا كذّابا * وكلّ شيء أحصيناه كتابًا * فذوقوا فلن نَزيدَكم إلا عذابا ﴾ (١) .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ كَانَتْ مِرصادًا ﴾ : مَوْضِعَ تَرَصُّدٍ وَتَرَقُّبٍ لِلكَافرين .

﴿ للطَّاغِين مَآبا ﴾ : مَرجِعًا وَمَأْوى لَهُمْ .

﴿ أحقَابًا ﴾ : دُهُورًا مُتَتَابِعةً لا نِهاية لَهَا .

﴿ بَرْدًا ﴾ : نَوْمًا أو رَوْحًا مِنْ حَرِّ النَّار .

﴿ حَمِيًا ﴾ : مَاءً بالِغًا نِهايةَ الحَرَارَةِ .

﴿ غَسَّاقًا ﴾ : صَدِيدًا يَسِيلُ مِنْ جلُودهم .

﴿ جَزَاءً وِفاقًا ﴾ : جَزَيْنَاهُمْ جَزاءً موافقًا لأَعْمالهِم .

﴿ كِذَّابًا ﴾ : تَكْذِيبًا شَدِيدًا .

﴿ أحصيناه كتابًا ﴾ : حَفِظْنَـاه وضَبَطْنَـاهُ مكتوبًـا إمـا في اللوح المحفوظ أو في صحف الحفظة من الملائكة أو في الكتاب الذي ينسخ عن صحف الملائكة وقـد كفر قوم بفهمهم من قوله تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ إذ وهموا فظنوا أن النـار تفنى في النهـايـة وهو خلاف الإجماع والنصوص المحكمة القطعية ، والمراد ﴿ لابثـين فيها أحقابًا * لا يـذوقون فيهـا بردًا ولا شرابًا * إلا حميًا وغساقًا ﴾ فهنـاك أحقـاب يكون هـذا عـذابَهم ثم تـأتي أحقـاب أخرى فيجمع إلى هذا العذاب عذاب آخر قال تعالى ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا ﴾ أو أن المراد أنه كلما انتهى حقب جاء حقب آخر إلى مالا نهاية .

﴿ وَجَعَلنَا جَهنَّم للكافرين حَصيرًا ﴾ (٢) .

﴿ حصيرًا ﴾ أي سجنًا يحصرون فيه وبعضهم فسرها بأن المراد فيها أنها فراش ومهـاد لهم وهذا لا ينفي كونها سجنًا لقوله تعالى ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ .

---

(١) النبأ : ٢١ ـ ٣٠ .

(٢) الإسراء : ٨ .

﴿ والذين كَسَبُوا السَّيِّئات جزاءُ سَيِّئَةٍ بمثلِها وتَرْهَقُهم ذِلَّةٌ ما لهم منَ اللهِ من عاصمٍ كأنَّما أُغْشِيتْ وُجُوهُهم قِطَعًا منَ الليلِ مُظْلِمًا أولئك أصْحابُ النَّارِ هم فيها خالدون ﴾ (١) .

قوله تعالى ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أي تغشاهم ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا ﴾ أي لفرط سوادها وظلمتها والسواد يصيب الكافرين في الحشر وفي النار وهو في النار أشد .

﴿ إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سلطانٌ إلا مَنِ اتَّبعكَ من الغاوين * وإن جَهَنَّمَ لَموعِدُهُم أجمعين * لها سبعةُ أبوابٍ لِكلِّ بابٍ منهمْ جزءٌ مَقْسومٌ ﴾ (٢) .

قال البيضاوي : لها سبعة أبواب : يدخلون فيها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، ﴿ لكل باب منهم ﴾ من الأتباع ﴿ جزء مقسوم ﴾ أُفْرِزَ له ، فأعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين . اهـ .

أقول : هذا اتجاه للعلماء فهموه استقراءً وأما الجنة فلها ثمانية أبواب كما ورد في نصوص كثيرة .

﴿ أفَمَن يتَّقي بوجهِهِ سوءَ العذابِ يومَ القيامَةِ وقِيلَ للظالمينَ : ذُوقُوا ما كنتم تكسبون ﴾ (٣) .

من عادة الناس في الدنيا أنهم يحمون وجوههم بأيديهم أما في النار فإنهم يحمون أنفسهم بوجوههم ، قال البيضاوي (﴿ أفمن يتقي بوجهه ﴾ أي يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولا يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه) اهـ .

﴿ يستعجلونك بالعذابِ وإنَّ جهنَّمَ لَمُحيطة بالكافرين * يَوْمَ يغشَاهُمُ العَذَابُ من

(١) يونس : ٢٧ .
(٢) الحجر : ٤٢ ـ ٤٤ .
(٣) الزمر : ٢٤ .

فوقهم ومن تحتِ أرجُلِهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ (١) .

﴿ لمحيطة بالكافرين ﴾ أي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها . ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ أي من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ أي الله أو الملائكة بأمر الله ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه .

﴿ وسِيقَ الَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا حتى إذا جاءوها فُتحتْ أبوابُها وقال لهم خزنَتُها ألم يأتِكم رُسُلٌ منكم يَتلُون عليكم آياتِ ربِّكم ويُنْذِرونكم لِقَاءَ يومِكم هذا قالوا بلَى ولكن حَقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين * قِيل ادْخُلوا أبوابَ جهنمَ خالدين فيها فبئسَ مَثوى المتكبرين ﴾ (٢) .

﴿ ولو ترى إذ فَزِعوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريبٍ * وقالوا ءامَنَّا به وأنَّى لهم التَّناوُشُ من مكانٍ بعيدٍ * وقد كفروا به من قبلُ وَيَقْذفُون بالغيبِ من مكانٍ بعيدٍ * وحِيلَ بينَهم وبينَ ما يَشْتَهون كما فُعِلَ بأشْياعِهِم مِن قبلُ إنَّهم كانوا في شكٍّ مُريبٍ ﴾ (٣) .

﴿ فزعوا ﴾ خافوا عند الموت أو البعث . ﴿ فلا فوت ﴾ فلا مهرب ولا نجاة من العذاب . ﴿ مكان قريب ﴾ موقف الحساب . ﴿ التناوش ﴾ تناول الإيمان والتوبة . ﴿ مكان بعيد ﴾ هو الآخرة . ﴿ يقذفون بالغيب ﴾ يرجمون بالظنون . ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يمكن أن يراد أن مما يعذبون به أن يُحال بينهم وبين شهواتهم ويمكن أن يراد به أنهم يشتهون الإيمان والعمل الصالح لينجوا بذلك من النار وقد حيل بينهم وبينه لأن محل ذلك الدنيا . ﴿ بأشياعهم ﴾ بأمثالهم من الكفار . ﴿ مريب ﴾ مُوقع في الريبة والقلق .

﴿ هل أتاكَ حديثُ الغاشية * وُجُوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ * عامِلَةٌ ناصِبةٌ * تَصْلَى نارًا حامِيَةً * تُسْقَى من عينٍ آنِيَةٍ * ليس لهم طَعَامٌ إلا من ضَريعٍ * لا يُسْمن ولا يُغني من جوعٍ ﴾ (٤) .

---

(١) العنكبوت : ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢) الزمر : ٧١ ـ ٧٢ .
(٣) سبأ : ٥١ ـ ٥٤ .
(٤) الغاشية : ١ ـ ٧ .

قال صاحب « كلمات القرآن تفسير وبيان » في شرح المفردات ما يلي :

﴿ الغَاشِيَة ﴾ : القيَامَة تَغْشَى النَّاس بأهْوالها .

﴿ خَاشِعَة ﴾ : ذَليلةٌ خاضِعَةٌ مِنَ الْخِزْي .

﴿ عَامِلةٌ ﴾ : تَجُرُّ السَّلاسِلَ وَالأَغْلالَ فِي النَّار .

﴿ نَاصِبَةٌ ﴾ : تَعِبَةٌ مِمَّا تُلاقيه فِيها مِنَ العذاب .

﴿ تَصْلَى نارًا حَامية ﴾ : تَدخُلُ أو تُقاسي نارًا تناهى حَرُّهَا .

﴿ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ : بَلغتْ أنَاها (غايتَها) في الحَرارة .

﴿ ضَرِيعٍ ﴾ : شيء في النَّار ، كَالشوكِ مُرٌّ مُنْتن .

﴿ لا يُغْني مِنْ جُوع ﴾ : لا يدْفَعُ عنهم جُوعًا . اهـ .

﴿ قل إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامَةِ ألا ذلك هو الخسرانُ المبين * لهم من فوقِهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظللٌ ذلك يُخوفُ اللهُ به عبادَه يا عبادِ فاتقون ﴾ (١) .

﴿ **الخاسرين** ﴾ الكاملين في الخسران . ﴿ **خسروا أنفسهم** ﴾ بالضلال وأهليهم بالإضلال . ﴿ **لهم من فوقهم ظلل** ﴾ أي أطباق من النار . ﴿ **ومن تحتهم ظلل** ﴾ سمى ما تحتهم ظللا لأنه أطباق بالنسبة لمن تحتهم .

﴿ إن يومَ الفَصْلِ ميقاتُهم أجمعين * يَومَ لا يُغْني مَوْلًى عن مَوْلًى شيئًا ولا هم يُنصرُون * إلا من رَحِمَ اللهُ إنه هو العزيز الرحيم * إنَّ شجرت الزَّقُّوم * طَعامُ الأثيم * كالمُهْلِ يَغْلي في البطون * كغَلْي الحَميم * خُذوه فاعْتِلُوه إلى سواء الجحيم * ثم صُبُّوا فوق رأسِهِ من عذابِ الحميم * ذُقْ إنَّك أنت العزيزُ الكريمُ * إنَّ هذا ما كنتم به تمتَرون ﴾ (٢) .

﴿ **يوم الفصل** ﴾ يوم القيامة والحساب . ﴿ **شجرت الزقوم** ﴾ من أخبث الشجر تنبت

---

(١) الزمر : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) الدخان : ٤٠ ـ ٥٠ .

في النار ، قال عنها ربنا : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنَّهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إنّ لهم عليها لشَوْبًا من حميم ﴾ (١) . ﴿ كالمهل ﴾ كالمعدن المذاب . ﴿ فاعتلوه ﴾ فجروه بعنف وقهر . ﴿ سواء الجحيم ﴾ وسط النار . ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ يدل على أن لأئمة الكفر عذابًا أشد من عذاب غيرهم فقرهم وسط الجحيم ﴿ به تمترون ﴾ تجادلون وتمارون .

﴿ إنّا أعْتَدْنا للظالمين نارًا أحاط بهم سُرادِقُها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالْمُهْل يَشوي الوجوه بئسَ الشرابُ وساءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢) .

فسر بعضهم السرادق هنا بما يحيط بالبيت ، وفسرها بعضهم بالجدار وقد وردت نصوص في كثافة وعرض جدران النار ستمر معنا . ﴿ كالمهل ﴾ كالمعدن المذاب . ﴿ ساءت مرتفقا ﴾ ساءت مكانًا يقر فيه الإنسان ويسكنه وكأنه محل ارتفاقة وهذا شأنه في الهول والعذاب .

﴿ واستفتحُوا وخابَ كلُّ جبارٍ عنيد * من ورائه جهنمُ ويُسقَى من ماءٍ صَديدٍ * يَتَجَرَّعُهُ ولا يكادُ يُسيغُه ويأتيه الموتُ من كُلِّ مكانٍ وما هو بِمَيِّتٍ ومِن ورائه عذابٌ غليظٌ ﴾ (٣) .

﴿ استفتحوا ﴾أي استنصر الرسل بالله على الظالمين . ﴿ خاب كل جبار ﴾ خسر وهلك كل متعاظم متكبر . ﴿ عنيد ﴾ معاند للحق مجانب له . ﴿ من ورائه ﴾ أي أمامه أو من وراء حياته . ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ أي ما يسيل من جلود أهل النار . ﴿ يتجرعه ﴾ يتكلف بلعه لحرارته ومرارته . ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ أي لا يكاد يبتلعه لشدة كراهيته ونتنه . ﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ أي أمامه في كل وقت يستقبل عذابًا أشد مما هو فيه وقيل هو الخلود في النار .

﴿ والذين كفروا لهم نَارُ جهنَّمَ لا يُقضَى عليهم فيموتوا ولا يُخفَّفُ عنهم من عذابها كذلك نَجْزي كلَّ كفور * وهم يَصْطَرِخون فيها ربَّنا أخرِجْنا نعمل صالحًا غيرَ الذي كُنّا

---

(١) الصافات : ٦٤ ـ ٦٧ . (٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) إبراهيم : ١٥ ـ ١٧ .

نعمل أوَ لمْ نُعَمّرْكمْ ما يتذكر فيه مَنْ تذَكّرَ وجاءكمُ النذيرُ فذوقوا فما للظّالمين من نصير ﴾ (١) .

﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ رد على من كفر بقوله إن عذاب أهل النار ينقلب عليهم عذوبة فيتلذذون به وهذا من الكفر الذي اشتهر وانتشر في بعض الدوائر .

﴿ بَل كذّبوا بالساعةِ وأعْتدْنا لمن كذبَ بالساعةِ سعيرًا * إذا رأتْهم من مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لها تَغيُّظًا وزفيرًا * وإذا أُلقوا منها مكانًا ضَيّقًا مُقَرّنين دَعوْا هنالك ثُبُورًا * لا تَدْعُوا اليومَ ثُبُورًا واحدًا وادْعُوا ثبورًا كثيرًا ﴾ (٢) .

﴿ إذا رأتهم ﴾ أي إذا كانت بمرأى منهم وكانوا على مرأى منها . ﴿ من مكان بعيدٍ ﴾ وهو أقصى ما يمكن أن ترى منه .﴿ سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ﴾ سمعوا لها - على بعد المكان - تغيظًا وزفيرًا أي صوت تغيظ ، شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه . ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ﴾ أي في مكان . ﴿ ضيقًا ﴾ وذلك لزيادة عذابهم فكلما ضاق المكان على الإنسان كان ذلك أشد في عذابه . ﴿ دعوا هنالك ﴾ ينادون في ذلك المكان . ﴿ ثبورًا ﴾ الثبور الهلاك ، أي يطلبون الهلاك ولا يجدونه .

﴿ ألم ترَ إلى الذين يجادِلون في آياتِ اللهِ أنّى يُصْرَفُون * الذين كذّبوا بالكتابِ وبما أرسلْنا به رُسُلَنا فسوفَ يَعْلَمون * إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يُسْحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ (٣) .

﴿ أنى يصرفون ﴾ : كيف يُصرفون عن الآيات مع صدقها ووضوحها . ﴿ الأغلال ﴾ القيود ، تجمع الأيدي إلى الأعناق ، ومع الأغلال فإن هناك سلاسل يلفون بها ويسحبون بها زيادة في الإهانة والعذاب . ﴿ الحميم ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة . ﴿ يسجرون ﴾ أي يحرقون فتزداد النار بهم إيقادًا . قال تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ .

ونختم هذه المشاهد بذكر وصف الكافرين في الدنيا ومواقفهم من الحق فاستحقوا بذلك ما استحقوا :

---

(١) فاطر : ٣٦ - ٣٧ .
(٢) الفرقان : ١١ - ١٤ .
(٣) غافر : ٦٩ - ٧٢ .

﴿ لقد حَقّ القولُ على أكثرِهم فهم لايؤمنون * إنّا جعلْنا في أعناقِهم أغلالا فهي إلى الأذقانِ فهم مُقْمَحُون * وجعلنا من بين أيديهم سَدًا ومن خلفهم سَدًا فأغشيناهم فهم لا يُبْصِرون ﴾ [١] .

﴿ لقد حق القول على أكثرهم ﴾ أي قوله : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾[٢]. ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ﴾ أي غير مرئية حيث لاتغني عنهم الآيات والنذر ﴿ فهي إلى الأذقان ﴾ أي الأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم . ﴿ فهم مقمحون ﴾ أي رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له . ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا ﴾ أي أحاط بهم سدان من أمامهم ومن خلفهم فإن نظروا أمامهم لا يبصرون وإن نظروا خلفهم لا يبصرون وإن نظروا إلى المستقبل لا يبصرون وإن نظروا إلى ماضيهم لا يعتبرون وإن نظروا إلى ماضي الأمم لا يعتبرون . ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ أي ألبسنا أبصارهم وبصائرهم غشاوة ـ فاحمد الله يا أخي على أن كنت من أهل الإسلام ولم تكن من هؤلاء الذين تراهم واقعًا يتحرك .

---

(١) يس : ٧ ـ ٩ .

(٢) هود : ١١٩ .

٣ - نصوص حديثية في النار

١٣٠٣ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ أن رسول الله ﷺ قال : « هـذه النـارَ جُزْءٌ من مائةِ جُزْءٍ من جهنَّمَ » .

١٣٠٤ - * روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَثَلَ ناركم هـذه من نـار جهنَم لهي أشـدُّ من دُخـانِ نـارِكم هـذه بسبعين ضِعفًا » .

١٣٠٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسولَ الله ﷺ قـال : « نارُكم هذه التي توقِدون : جزءٌ من سبعين جُزءًا من نـار جهنم » ، قـالوا : والله إنْ كانت لكافية يا رسولَ اللهِ ، قال : « فـإنهـا فُضِّلَتْ عليهـا بتسعـة وستين جُزْءًا ، كلُّهـا مثل حَرِّها » .

أقول :

نحن نعلم أن نار الدنيا ليست واحدة في الحرارة فهناك نار في الدنيا هي جزء من مـائـة جزء من نار جهنم وهناك نار في الدنيا هي جزء من سبعين جزءًا .

١٣٠٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : كُنَّـا مع رسول الله ﷺ ، إذْ سَمِع وَجْبَة ، فقال : « أَتَدْرُونَ ما هـذا ؟ » قلنـا : اللهُ ورسولُـه أعلمُ ، قـال : « هـذا

١٣٠٣ - أحمد (٢ / ٣٧٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٤ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٠٥ - البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٠ - باب صفة النار .

مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - في شدة حر نار جهنم .

والترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٧ - باب ما جاء في صفة جهنم .

والموطأ (٢ / ٩٩٤) ٥٧ - كتاب جهنم ، ١ - باب ما جاء في صفة جهنم .

وليس في الموطأ « كلها مثل حرها » .

١٣٠٦ - مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(وَجْبةً) : الوَجْبَة : صوتُ وقعِ الشيء .

حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خَرِيفًا ، فهو يَهْوِي في النار الآن حيث انتهى إلى قعرها » زاد في رواية (١): « فسمعتم وَجْبَتَها » .

أقول :

هذا النص يدل على أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسمعون شيئًا من أمر الغيب .

١٣٠٧ ـ * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو أنَّ رَصَاصةً مثلَ هذه ـ وأشار إلى مثل الجُمْجُمَةِ ـ أُرسِلَتْ من السماء إلى الأرضِ ـ وهي مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ ـ لَبَلَغتِ الأرضَ قبل الليل ، ولو أنَّها أُرسِلَتْ مِنْ رَأسِ السّلسلة لَسَارَت أربعينَ خريفًا الليلَ والنهار ، قبل أن تَبلُغَ أصلَها ، أو قَعْرَها » .

وفي كتاب الترمذي المطبوع لو أن رُضَاضة ـ بالضاد المعجمة ـ والرضاضة فتات الشيء وفي شرح السنة : لو أن رَضْرَاضة والرَّضْرَاض : الحصى الصغار .

قال محقق الجامع : وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا إسناد حسن صحيح .

وحسن إسناده أيضًا الشيخ شعيب في شرح السنة ١٥ / ٢٤٩ لكن ضعفه بعضهم ، وظني أن ذلك لوجود درّاج أبي السمح إذ قال عنه ابن حجر في التقريب : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ، ضعيف) ا . هـ .

لكن الناظر في ترجمته في التهذيب يرى أنه وجد من وثقه ومن ضعفه وها أنذا أنقل ما قيل فيه :

« قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : حديثه منكر ، وقال أبو داود لما سئل عنه : سمعت أحمد يقول : الشأن في دراج ، وقال عثمان الدارمي عن ابن معين : ثقة ، قال عثمان : دراج ومشرح بن هامان ليسا بكل ذاك ، وهما صدوقان . وقال الدوري عن ابن معين : دراج

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٥) في الكتاب والباب السابقين .

١٣٠٧ ـ الترمذي (٤ / ٧٠٩) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١٦ ـ باب حدثنا سويد ... إلخ .

ثقة ، وأبو الهيثم ثقة ، وقال الآجرى عن أبي داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال في موضع آخر : منكر الحديث . وقال أبو حاتم في حديثه ضعف ، وقال الدارقطني : ضعيف . وقال في موضع آخر : متروك . وقال فضلك الرازي لما ذكر له أن ابن معين قال دراج ثقة ؛ فقال : ليس بثقة ولا كرامة . وقال ابن عدي : عامة الأحاديث التي أمليتها عن دراج مما لا يتابع عليه ، ومما ينكر من حديثه : أصدق الرؤيا بالأسحار ، والشتاء ربيع المؤمن ، والشباع حرام ، وأكثروا من ذكر الله حتى يقال : مجنون ، ولا حليم إلا ذو عثرات . وأرجو أن أحاديثه بعد هذه التي أنكرت عليه لا بأس بها . وقال ابن يونس : كان يقص بمصر ، يقال توفي سنة (١٢٦) . قلت : وذكره ابن حبان في الثقات في عبد الرحمن ، وذكر أن اسم أبيه السمح وخرج حديثه في صحيحه ، وذكر ابن أبي حاتم عن أحمد بن صالح المصري : دراج لا يعرف اسم أبيه وحكى ابن عدي عن أحمد بن حنبل أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف ، وقال ابن شاهين في الثقات : ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس . اهـ تهذيب التهذيب (٣ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

أقول : يستأنس بهذا النص أن السموات السبع قريبة نسبيًا من الأرض بالنسبة لما نعرفه الآن من أبعاد بين النجوم من جهة وبين المجرات من جهة ، وهذا من جملة الأسباب التي حملتنا على القول بأن السموات السبع مغيبة عنا وأنها من أمر الغيب .

١٣٠٨ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) فقال : « لو أن قَطْرَة مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَت في الدنيا لأَفْسَدَتْ على أهل الدنيا مَعَايِشهم ، فكيف بمن يكونُ طعامَهم ؟ » .

١٣٠٨ ـ الترمذي (٤ / ٧٠٦) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ٤ ـ باب ما جاء في صفة شراب أهل جهنم .

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

الزَّقُّوم : هو ما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ الصافات : ٦٤ ، ٦٥ .

١٣٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اشتكتِ النارُ إلى ربها ، فقالت : ربِّ ، أكل بعضي بعضًا ، فأذن لَهَا بِنَفَسَيْن : نَفَسٍ في الشتاء ، ونَفَسٍ في الصيف ، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ ، وأشدُّ ما ترون من الزمهرير » .

وللبخاري (١) : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتدَّ الحر فأبْرِدوا بالصلاة ، فإن شِدَّة الحر مِنْ فَيْحِ جهنمَ ، واشتكت النارُ إلى ربِّها ، فأذِن لها في كل عام بِنَفَسين : نفس في الشتاء ، ونَفَس في الصيف ، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير » .

ولمسلم (٢) قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قالت النار : رَبِّ أَكَلَ بَعضي بَعضًا ، فأْذَنْ لي أَتَنَفَّسُ ، فأذِن لها بِنَفَسَيْن : نَفَسٍ في الشتاء ، ونَفَس في الصيف ، فما وجدتم من بَرْدٍ أو زمهرير فَمن نَفَس جهنم ، وما وجدتم من حرٍّ أو حَرور فمن نَفَس جهنم » .

وفي أخرى (٣) له : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا كان الحرُّ فأَبْرِدُوا عَنِ الصلاة ، فإن شدَّة الحَرِّ من فَيْح جهنمَ » ، وذكرَ : « أنَّ النّار اشتكت إلى ربِّها ، فأَذِنَ لها في كلِّ عام بنَفَسيْن : نَفَس في الشتاء ، ونَفَس في الصيف » .

أقول :

إن أمر النار غيب ومحلّها غيب وكيفية تنفسها وتأثيرها على الأرض وأهلها غيب وواجبنا في ذلك كله التسليم لأن أمر الغيب لا يدخل في دائرة البحث المادي ولا يتناقض معه بل يكمّله .

١٣٠٩ - البخاري (٢ / ١٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .
مسلم (١ / ٤٣١) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٢ - باب استحباب الإبراد بالظهر .

(١) البخاري (٢ / ١٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٩ - باب في الإبراد بالظهر .

(٢) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .

(٣) مسلم (١ / ٤٣٢) ٥ - كتاب المساجد ، ٩ - باب الإبراد بالظهر .

١٣١٠ - * روى البخـاري ومسلم عن النعمانِ بن بشيرٍ رضي الله عنـه قـال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أَهْوَن أَهْلِ النار عـذابًـا يومَ القيـامـة : لَرجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قدمَيه جَمرتَان ، يَغلي مِنهما دِماغُهُ » .

وفي رواية [1] : « له نَعلان وشراكان من نار يَغلي مِنهما دماغُه كما يغلي المِرجَلُ ، ما يَرَى أنَّ أحدًا أشَدُّ منه عذابًا ، وإنه لأهْوَنُهمْ عذابًا » .

١٣١١ - * روى مسلم عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ منهم مَنْ تَأْخُذُه النارُ إلى كَعبيه ، ومنهم من تأخُذُه إلى رُكبتيه ، ومنهم من تأخذُه إلى حُجْزَتِه ، ومنهم من تأْخُذُهُ النارُ إلى تَرْقُوَته » .

وفي أخرى [2] له : « إن منهم من تأخذه النـار إلى كعبيـه ، ومنهم من تـأخـذُه إلى حُجْزَتِه ، ومنهم من تأخذه إلى عُنُقِه » .

وفي أخرى [3] مثل الأولى ، وجعل مكان « حُجْزَته » : « حَقوَيه » .

١٣١٢ - * روى الترمـذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : « إن الحميم لَيُصَبُّ على رؤوسهم ، فينفُذُ حتى يَخْلُصَ إلى جوفـه ، فَيَسْلُت مـا في جوفـه حتى يمْرُقَ من قَدميهِ - وهو الصَّهْرُ - ثم يُعاد كما كان » .

١٣١٠ - البخاري (١١ / ٤١٧) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٩٦) ١ - كتاب الإيمان ، ٩١ - باب أهون أهل النار عذابًا .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٣١١ - مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٨٥) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٢ - باب في شدة حر نار جهنم .

(٣) مسلم : في الموضع السابق .

١٣١٢ - الترمذي (٤ / ٧٠٥) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٤ - باب ما جاء في صفة شراب أهل النار .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(الحميم) : الماء الحارُّ المتناهي الحرارة .

(فينفذ) : نفذ ينفُذ : إذا خرق وجاز في الشيء .

(فيسلت) : أي : يحلق ويستأصل ما في جوفه .

(يمرق) : مرق السهم يمرق : إذا نفذ في الرميّة .

(الصَّهْر) : الإذابة ، صَهَرْت الشحم أصْهَرُه : إذا أذبته .

١٣١٣ - * روى مسلم عن أبي هَريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ضِرس الكافر - أو ناب الكافر - مثلُ أُحُدٍ ، وغِلَظُ جلده : مسيرةُ ثلاث » .

وفي رواية الترمذي (١) قال : قال رسول الله ﷺ : « ضِرسُ الكافر يوم القيامة مثلَ أحدٍ ، وفخِذُهُ مثلُ البيضاء ، ومَقْعَدُهُ في النارِ مسيرةُ ثلاثٍ مثلُ الرَّبَذة » يعني كما بينها وبين المدينة ، والبيضاء : جبل ، وقيل : مدينة من مدائن المغرب .

وله في أخرى (٢) : « ضِرْسُ الكافِر مثْلُ أُحُد » .

وفي أخرى (٣) قال : « إن غِلَظَ جلد الكافر : اثنان وأربعون ذراعًا ، وإن ضِرْسَه مثلُ أُحُدٍ ، وإنَّ مَجْلِسَهُ من جهنم ما بين مكَّة والمدينة » .

أقول : من المعروف في الدنيا أن الأشياء تتمدّد بالحرارة والظاهر أن جسم الكافر في تمدّد دائم بسبب النار ليزداد عذابًا كلما طالت مدّة مكثه في النار .

١٣١٤ - * روى الطبراني عن سليم بن عامر الكلاعي قال : قلنا للمقدام بن معدي كَرِب الكندي : يا أبا كريمة إن الناس يزعمون أنك لم تر رسولَ الله ﷺ فقال : بلى والله لقد رأيته ولقد أخذَ بشحمة أُذُني هذه وأنا أمشي مع عم لي ثم قال لعمي : « أترى أنه يذكُرُه » . قلنا يا أبا كريمَة حدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ . قال : سمعته يقول : « يُحشَرُ ما بين السِّقْطِ إلى الشيخِ الفاني يوم القيامة في خلق آدمَ وقلب أيوبَ وحُسنِ يوسُفَ مُرْدًا مُكَحَّلين » فقلنا يا رسولَ الله فكيف بالكافر قال : « يَغلُظُ للنار حتى يكونَ غِلظُ جلده أربعين ذراعًا وقريضةُ الناب من أسنانه مثلَ أحدٍ » .

١٣١٣ - مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) الترمذي (٤ / ٧٠٣) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ٣ - باب ما جاء في عظم أهل النار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٧٠٤) : في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٧٠٣) : في الموضع السابق .

١٣١٤ - المعجم الكبير (٢٠ / ٢٨٠) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٣٣) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، وأحدهما حسن .

١٣١٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه ، قال : « ما بين مَنكِبَي الكافر في النارِ مسيرةُ ثلاثةِ أيام للراكبِ المُسرع » . وفي رواية لم يذكر « في النار » .

١٣١٦ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلْقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّة فيها قَدَمهُ ، فَيَنْـزوي بعضُها إلى بعضٍ ، وتقول : قَطْ قَطْ ، بعِزَّتِكَ وكَرمِك ، ولا يزال في الجنة فَضْلٌ ، حتى يُنْشِئ الله لها خَلْقًا ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجنة » .

وفي رواية [1] : أن النَّبيَّ ﷺ قال : « لا تزالُ جهنَّمُ تقول : هَلْ مِنْ مزيد ؟ حتى يَضَعَ رَبُّ العِزَّة فيها قَدَمَهُ ، فتقول : قَطْ قَطْ وعِزَّتكَ ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض » .

أقول : أجمع أهل السنة والجماعة على أن كل ما ورد في حق الله عز وجل من صفات وأوصاف محمول على ما يليق بجلاله وتنزيهه عن مشابهة خلقه ويفضلون التسليم مع التنزيه ولا ينكرون على الراسخين في العلم من أئمة الهدى إذا أوّلوا بما يجمع بين التنزيه وما تحتمله لغة العرب في الخطاب وبما لا يتناقض مع محكم .

نقول هذا بمناسبة ذكر القدم في النص وقد مرت معنا من قبل نصوص كانت تقتضي منا مثل هذا التعليق فليكن هذا على ذكر من القارئ حيثما ورد وصف قد يحمله الغافل أو الجاهل على ما لا يليق بالله عز وجل مما يتنافى مع التنزيه أي عن مشابهة الله بخلقه .

١٣١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَدخُلُ أهلُ الجنةِ الجنَّة ، وأهلُ النارِ النار ثم يقول : انظروا مَنْ

١٣١٥ - مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

١٣١٦ - البخاري (١٣ / ٣٦٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٧ باب قول الله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مسلم (٤ / ٢١٨٧) : الموضع السابق .

(قطْ قطْ) : بمعنى حسبي وكفايتي .

١٣١٧ - البخاري (١ / ٧٢) ٢ - كتاب الإيمان ، ١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان .

مسلم (١ / ١٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٢ - باب إثبات الشفاعة .

وجدتم في قلبه مثقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إيمان فـأَخْرِجوه ، فَيُخرَجُون منهـا حُمَماً قد امْتُحِشوا ، فَيُلْقَونْ في نهر الحيـاة - أو الحيَـا - فَيَنْبُتون فيـه كما تنبتُ الحِبَّـةُ إلى جانب السَّيْل ، ألم تَروْها كيف تَخرُج صفراءَ ملتوية ؟ » هذا لفظ مسلم .

وعند البخاري : « فيُخرجُون منها قد اسودُّوا » وقال : « من خردلٍ من خير » .

١٣١٨ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن قومًا يُخرَجُون من النار يحترقون فيهـا ، إلا داراتِ وجوههم ، حتى يَـدْخُلوا الجنة » .

وقد جاء في حديث آخر[1] : « إن النار لا تأكل مواضع السجود » .

١٣١٩ - * روى الترمذي عن جابر بن عبـد الله رضي الله عنهما قـال : قـال رسول الله ﷺ : « يُعـذَّبُ نـاسٌ مِنْ أهلِ التوحيـدِ في النـارِ حتى يكـونـوا فيهـا حُمَمًـا ، ثم تُدرِكُهم الرَّحمةُ ، فيُخرَجون ، فَيُطْرَحُون على أبوابِ الجنة » ، قـال : « فَيَرُشُّ عليهم أهلُ الجنة الماءَ ، فَيَنْبُتون كما يَنْبُتُ الغُثَاءُ في حُمَالَةِ السَّيْل ، ثم يَدْخُلون الجنة » .

١٣٢٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قـال : « تَـأْكُلُ النَّـارُ ابْنَ آدَمَ إلا أثر السُّجُوْدِ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أنْ تَأْكُلَ أَثَرَ الْسُّجُودِ » .

١٣١٨ - مسلم (١ / ١٧٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(١) النسائي (٢ / ٢٢٩) ١٢ - كتاب التطبيق ، ٨١ - باب موضع السجود .

(دارات) : جمع دارة ، وهي ما يحيط بالوجه من جوانبه ، أراد : أن وجوههم لا تأكلها النار ؛ لأنها محل السجود .

١٣١٩ - الترمذي (٤ / ٧١٣) ٤٠ - كتاب صفة جهنم ، ١٠ - باب منه .

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

١٣٢٠ - البخاري (١٣ / ٤١٩) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

وابن ماجه (٢ / ١٤٤٦) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٨ - باب صفة النار .

واللفظ لابن ماجه .

أقول :

هؤلاء الذين يخرجون من النار بعد احتراق ما يحترق منهم هم أهل توحيد ، ومن رحمة الله عز وجل يبعض أهل التوحيد أنه يميتهم في النار حتى يخرجهم منها فإذا لم يبق في النار إلا كافر فعندئذ يذبح الموت بين الجنة والنار ، وإذا كان أمثال ما ذكرنا مآلهم إلى الجنة فمن باب أولى أهل الأعراف .

١٣٢١ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو وقال : أهل النار يدعون مَالِكًا فلا يُجيبُهم أربعين عامًا ثم يقول : إنكم مَاكِثون ، ثم يدعون ربَّهم فيقولون : ﴿ رَبَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدنا فإنا ظالمون ﴾ فلا يُجيبُهم مِثْلَ الدنيا ، ثم يقولُ ﴿ اخْسَئُوا فيها ولا تُكَلِّمون ﴾ ثم ييأسُ القومُ فما هو إلا الزفير والشهيقُ تُشبهُ أصواتُهم أصواتَ الحميرِ أولها شهيق وآخِرُها زَفيرٌ .

١٣٢٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ في قول الله عز وجل : ﴿ زدناهم عذابًا فوق العذاب ﴾ قال : زيدوا عقاربَ أنيابُها كالنخلِ الطوال .

١٣٢٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال : قالت بنو إسرائيل يا موسى يخلقَ رَبُّك عز وجل خَلْقًا ثم يُعذِّبُهم ، فأوحى اللهُ إليه : أن ازْرعْ فزرعَ ، ثم قال احصُدْ فحصَدَ ، ثم قال ذَرِّه فذَرَّاه فاجتمع القماش ، فقال : لأي شيءٍ يَصْلُحُ هذا ؟ قال : لِلنار ، قال : فكذلك لا أُعَذِّبُ من خَلْقي إلا مَنْ استأهلَ النارَ .

فائدة :

قال ابن كثير في النهاية ذاكرًا وجهة النظر التي تذكر أن النار طبقات ولكل طبقة اسم:

١٣٢١ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٢٢ - المعجم الكبير (٩ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٤٨) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح .

١٣٢٣ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠١) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

قال القرطبي : قال العلماء : « أعلى الدركات جهنم . وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ ، وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية » .

فأما المنافقون : ففي الدرك الأسفل من النار بنص القرآن لا محالة .

قال القرطبي :

« ومن هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها لجلتها ، نحو جهنم ، وسعير ، ولظى . فهذه أعلام ، وليست لباب دون باب » .

وصدق فيا قال ، رضي الله عنه . اهـ (الفتن والملاحم) .

٤ ـ نصوص حديثية

في ما وصف به أهل الجنة وبعض نعيم أهلها

١٣٢٤ ـ * روى مسلم عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال : « مَنْ يَدْخُل الجنةَ يَنْعَمُ ، ولا يَيْأسُ ، ولا تَبْلى ثيابُهُ ، ولا يفْنى شَبابُه » .

١٣٢٥ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، ينادي مُنَـادٍ : إنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبدًا ، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبـدًا ، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبـدًا ، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبـأسوا » ـ وفي روايـة : تبتئسـوا ـ فـذلـك قـولـه عـز وجـل : ﴿ ونُودُوا أنْ تلكم الجنةُ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ (١) .

١٣٢٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أَعْدَدْتُ لعبـاديَ الصـالحين مـالا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ، ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ » واقرؤوا إن شئتم : ﴿ فـلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مـا أُخْفِيَ لهم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (٢) .

وفي روايـة (٣) ، قـال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ .

وفي أخرى (٤) ، قـال : « يقول الله عز وجل : أُعـدَدْتُ لعبـادي الصـالحين مـالا

١٣٢٤ ـ مسلم (٤ / ٢١٨١) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ٧ ـ باب في صفات الجنة وأهلها .

١٣٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ٨ ـ باب في دوام نعيم أهل الجنة .

والترمذي (٥ / ٣٧٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٤١ ـ باب « ومن سورة الزمر » .

(١) الأعراف : ٤٣ .

١٣٢٦ ـ البخاري (٨ / ٥١٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ فلا تعلم نفس ... ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ ـ كتاب الجنة ، الحديث الثاني .

(٢) السجدة : ١٧ .

(٣) البخاري : الموضع السابق .

(٤) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة ، الحديث الرابع .

عَيْنٌ رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ ذُخْرًا ، بَلْـهَ مـا أطلَعَكم عليه » ، ثم قرأ : ﴿ فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعين ﴾ » .

وفي رواية [١] « من قُرَّات أعين » .

وللبخاري إلى قوله : « على قلب بشر »[٢] ولمسلم نحو الثالثة ، ولم يـذكر الآيـة ، وقـال: « بَلْهَ ما أطلَعَكم اللهُ عليه » [٣] .

قال محقق الجامع : قال البخاري تعليقًا : وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صـالح : قرأ أبو هريرة : قرات أعين ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله أبو عبيد القـاسم بن سلام في كتاب « فضائل القرآن » له عن أبي معاوية بهذا الإسنـاد مثلـه سواء ، وقـال ابن الجوزي في « زاد المسير » ٦ / ٣٤٠ : وقرأ أبـو الـدرداء ، وأبـو هريرة ، وأبـو عبـد الرحمن السلمي ، والشعبي ، وقتادة : قرات أعين ، وقـال الحـافـظ في « الفتح » ٨ / ٣٩٦ : وقـال أبو عبيـد : ورأيتها في المصحف الذي يقال لـه : الإمـام « قرة » بـالهـاء على الوحـدة ، وهي قراءة أهل الأمصار . اهـ .

١٣٢٧ - * روى مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : شَهِدْتُ مِنْ رسول الله ﷺ مَجْلِسًا وصفَ فيه الجنةَ ، حتى انتهى ، ثم قال في آخِرِ حديثه : « فيها مالا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ » ، ثم اقترأ هـاتين الآيتين : ﴿ تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يَدْعُون ربَّهم خوفًا وطَمَعًا ومِمَّا رزقناهم ينفقون * فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مـا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعيُنٍ جَزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [٣] .

قال أبو صخر حُمَيد بن زيادٍ : فأخبرتُ بها محمدَ بنَ كعبِ القُرَظِيَّ ، فقـال : أبو حـازم حدَّثَكَ بهذا ؟ قلتُ : نعم ، قال : إن ثَمَّ لَكَيْسًا كثيرًا ، إنهم أخفَوْا لله عَمَلا ، فأخفى الله لهم

---

(١) ، (٢) البخاري : الموضع السابق .

(٣) مسلم : (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثالث .

١٣٢٧ - مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ - كتاب الجنة الحديث الخامس .

(٣) السجدة : ١٦ ، ١٧ .

(كَيْسًا) : عقلا وفطنة .

ثوابًا ، ولو قَدِمُوا عليه أَقَرَّ تلك الأعينَ .

١٣٢٨ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن موضعَ سَوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها » واقرؤوا إن شئتم ﴿ فمن زُحْزِحَ عَنِ النار وأُدْخِلَ الجنَّةَ فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور ﴾ (١) .

١٣٢٩ ـ *روى الطبراني عن ابنِ عباسٍ عن النبي ﷺ قال : « لما خَلَقَ الله جنةَ عَدْنٍ خَلَقَ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ » ، وفي رواية للطبراني (٢) « خلق الله جنة عدنْ بيده ودَلَّى فيها ثمارَها وشقَّ فيها أنهارها ثم نظرَ فيها فقالَ لها تكلمي فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقالَ وعزتي لا يجاوِرُني فيك بخيلٌ » .

١٣٣٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَدْخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين » .

١٣٣١ ـ * روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « يَدْخُلُ أهلُ الجنة جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين ، أبناءَ ثلاثين ، أو ثلاثٍ وثلاثين سنةً » .

١٣٣٢ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قالَ النبي ﷺ : « أهل

١٣٢٨ ـ الترمذي (٥ / ٢٣٢) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٤ ـ باب « ومن سورة آل عمران » .

وقال هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) آل عمران : ١٨٨ .

١٣٢٩ ـ المعجم الكبير (١١ / ١٨٤) .

(٢) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد .

١٣٣٠ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٨) .

وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده جيد .

١٣٣١ ـ الترمذي (٤ / ٦٨٢) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٢ ـ باب ما جاء في سن أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن بشواهده .

(جردًا) : الجُرْد جمع أجرد ، وهو الذي لاشعر عليه .

١٣٣٢ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٩) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٨ ـ باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وهو حديث حسن بشواهده .

=

الجنةِ جُرْدٌ ، مرد ، كَحْلَى ، لا يَفْنى شبابُهم ، ولا تَبلى ثيابُهم » .

١٣٣٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أوَّلَ زُمْرَةٍ يدخلون الجنة : على صُورةِ القَمَرِ ليلةَ البدرِ ، ثم الذين يلونهم عَلَى أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً ، لا يبولون ، ولا يَتَغَوَّطون ، ولا يَتْفُلون ، ولا يَمْتَخِطون ، أمشاطُهُم الذهب ، ورَشْحهم المسك ، ومَجامِرُهم الألُوَّةَ - الألَنْجُوج عُود الطيب - أزواجُهُمُ الحور العين ، على خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ ، على صورةِ أبيهم آدم ستُّونَ ذِرَاعًا في السماء » .

وفي رواية [١] قال : قال رسولُ الله ﷺ « أولُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُوَرُهَم على صورة القمر ليلةَ البدرِ ، لا يَبْصُقُون فيها ، ولاَ يَمْتَخِطون ، ولا يَتَغَوَّطون ، آنيتُهَم فيها الذَّهَبُ ، أمْشاطُهَم من الذهبِ والفضةِ ، ومجَامِرُهم الألُوَّةُ ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ ، ولِكُلِّ واحد منهم زوجتان ، يُرى مُخُّ سوقِهما من وراء اللحم من الحُسْن ، لا اختلافَ بينهم ولا تَباغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قلبٌ واحدٌ ، يسَبِّحُون الله بُكْرَة وعَشيًّا » .

وللبخاري [٢] في رواية نحو الثانية ، وفيه « قُلُوبُهم على قلب رَجُلٍ واحدٍ » وفيه : « لا يَسْقَمون ولا يَمْتَخِطون » وفيه : « وَوَقُودُ مَجامِرِهم الألُوَّةُ » قال أبو اليمان : يعني العُودَ .

وفي أُخرى [٣] : قال النبيُّ ﷺ : « أول زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجنة : على صورة القمرِ ليلة البدرِ ، والذين على آثارِهم كأحْسَنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءة ، قلوبُهم على قلبٍ واحدٍ ، لا تَباغُضَ بينهم ولا تَحاسُدَ ، لكل امرئٍ زوجتان من الحورِ العينِ ، يُرى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراء العظمِ واللحم » .

= (كَحلى) : جمع كحيل ، مثل قتيل وقتلى ، والكحيل : الذي تبين أجفانه كأنها مكحولة من غير كحل .

١٣٣٣ - البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ١٠ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب من صفات الجنة وأهلها .

(الألوَّة) : الألنجوج : من أسماء العود الذي يتبخر به ، ومن أسمائه : الكباء .

(١) البخاري (٦ / ٣١٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

ومسلم : الموضع السابق

(٢) ، (٣) البخاري : الموضع السابق .

ولمسلم [1] : أن النبيَّ ﷺ قال : « أولُ زُمْرَةٍ تدخل الجنة من أُمَّتي على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ نجمٍ في السماء إضاءةً ، ثم هُمْ بعد ذَلِكَ مَنَازِلُ » .

ثم ذكرَ نحو الأولى ، وفيه قال ابن أبي شيبة : « على خُلُقِ رجل » وقال أبو كريب « على خَلقِ رجُلٍ » .

وفي أخرى من رواية محمد [2] بن سيرين قال : إما تفاخروا ، وإما تذاكروا : الرجالُ أكثر في الجنة ، أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أوَ لم يَقُلْ أبو القاسم ﷺ : « إنَّ أولَ زُمْرَةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلةَ البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزبُ » ؟ .

وفي رواية ابن عُيَيْنَة [3] : اختَصَمَ الرجال والنساء : أيُّهم في الجنة أكثر ؟ فسألوا أبا هريرةَ ، فقال : قال أبو القاسم ﷺ ... وذكر مثلَ ذلك .

قوله « لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان » : قال النووي : إن ظاهره أن النساء أكثر أهل الجنة . وفي الحديث الآخر أنهن أكثر أهل النار فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم . وهذا كله في الآدميات ، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير . اهـ .

وقال ابن حجر :

(قوله « ولكل واحد منهم زوجتان » أي من نساء الدنيا ، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعًا في صفة أدنى أهل الجنة منزلة « وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا » وفي سنده شهر بن حوشب وفيه مقال ، ولأبي يعلى في حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبي هريرة في حديث

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٧٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ٦ - باب أول زمرة تدخل الجنة .

(٢)، (٣) مسلم : للوضع السابق .

مرفوع « فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم » ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رفعه « إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثنتان وسبعون زوجة » وقال غريب ، ومن حديث المقدام بن معد يكرب عنده : « للشهيد ست خصال » الحديث وفيه : « ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » ، وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والدارمي رفعه : « ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وسبعين وثنتين من أهل الدنيا » وسنده ضعيف جدًا ، وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرج أبو الشيخ في « العظمة » والبيهقي في « البعث » من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه : « إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو إنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب » وفيه راوٍ لم يسم ، وفي الطبراني من حديث ابن عباس : « إن الرجل من أهل الجنة ليفضي إلى مائة عذراء » وقال ابن القيم : ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في حديث أبي موسى : « إن في الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم » قلت : الحديث الأخير صححه الضياء ، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة : « ثم يدخل عليه زوجتاه » ، والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان ، وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التثنية تنظيرًا لقوله جنتان وعينان ونحو ذلك ، أو المراد تثنية التكثير والتعظيم نحو لبيك وسعديك ، ولا يخفى ما فيه . واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه ، وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف المتقدم : « رأيتكن أكثر أهل النار » ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة ، لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر : « اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء » ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة ، وليس ذلك بلازم لما قدمته ، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة ، والله أعلم) اهـ (الفتح) .

١٣٣٤ - * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّ أهْلَ الجنة يأكلون فيها ويَشربون ، ولا يَتْفُلُون ، ولا يبولون ، ولا يتغوَّطون ، ولا يتمخَّطون » قالوا : فما بالُ الطعام ؟ قال : « جُشَاءٌ ورَشْحٌ كرشح المِسْك ، يُلْهَمون التسبيحَ والتحميدَ ، كما يُلْهَمون النَّفَس » .

وفي رواية [1] بدل « التحميد » « الحمد » وفي أخرى [2] « التكبيرَ » .

وأخرج أبو داود [3] منه « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون » لم يزد .

١٣٣٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ أهلَ الجنةِ ليتراءَوْنَ أهلَ الغُرَف من فوقهم ، كما تتراءَوْنَ الكوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأفق من المَشْرقِ إلى المغْربِ ، لتَفَاضُلِ ما بينهم » ، قالوا : يارسولَ الله تلكَ منازلُ الأنبياء ، لا يبلُغُها غيرُهم ؟ قالَ : « بلى ، والذي نفسي بيده ، رِجَالٌ آمَنُوا بالله وصَدّقوا المرسلين » .

١٣٣٦ - * روى البزار عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ قال : « خلقَ اللهُ تبارك وتعالى الجنةَ لَبِنَةً من ذهبٍ ولَبِنَةً من فضةٍ ومِلاطُها المِسْكُ ، وقالَ لها تَكَلَّمي ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ فقالت الملائكةُ طوباكِ منزلَ الملوكِ » .

١٣٣٧ - * روى البزار عن أبي هريرةَ أن النبي ﷺ قال : « الجنةُ لَبِنَةٌ من فضةٍ

١٣٣٤ - مسلم (٤ / ٢١٨٠) ٥١ - كتاب الجنة ، ٧ - باب في صفات الجنة وأهلها .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في الشفاعة .

١٣٣٥ - البخاري (٦ / ٣٢٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٨ - باب ما جاء في صفة الجنة .

مسلم (٤ / ٢١٧٧) ٥١ - كتاب الجنة ، ٣ - باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف .

١٣٣٦ - كشف الأستار (٤ / ١٨٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) . وقال : رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال عن النبي ﷺ قال : إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة والباقي بنحوه ، ورجال الموقوف رجال الصحيح ، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف .

١٣٣٧ - كشف الأستار (٤ / ١٩٠) . .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

=

ولبنة من ذهب ومِلاطُها المِسْكُ » .

١٣٣٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسولَ الله مالَنَا إذا كُنَّا عندك رَقَّتْ قلوبُنا ، وزَهِدنا في الدنيا ، وكانت الآخرةُ كأنَّها رَأْيُ عَيْنٍ ؟ فإذا خَرَجْنا من عندك فأنِسْنا في أهالينا ، وشَمَمْنا أولادَنا : أنكَرْنا أنفسَنا ؟ قال : « لو أنَّكم إذا خَرَجْتُم تكونونَ على حالِكم عندي :لزارتْكم الملائكةُ في بُيوتِكم ، ولصافحتكم في طُرُقِكم ، ولو لم تُذْنِبوا لَذَهَبَ بكم ولجاء الله بخلق جديدٍ يُذْنِبُون ، فَيَغْفِرُ لهم » ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، مِمَّ خُلِقَ الخلقُ ؟ قال : « من الماء » ، قلتُ : الجنةُ ما بناؤها ؟ قال : « لبنَةٌ من فِضَّةٍ ، ولَبِنَةٌ من ذهب ، ومِلاطُها المِسْكُ الأَذْفَرُ وَحصْباؤها اللؤلؤُ والياقوتُ ، وتُرْبَتُها الزعفرانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ ، ولا يبأسُ ، ويَخْلُدُ ولا يموتُ ، لا تَبْلَى ثيابُهم ، ولا يَفْنَى شبابُهم » ، ثم قال : « ثَلاثةٌ لا تُرد دعوتُهم : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حين يُفْطِرُ ، ودعوةُ المظلوم يَرْفَعُهَا فوقَ الغمام ، وتُفتَحُ لها أبوابُ السماء ، ويقول الرب تبارك وتعالى : وعِزَّتي لأَنْصُرَنَّكِ ولو بعد حين » .

١٣٣٩ - * روى الطبراني عن ابن عمرَ قال : سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الجنة فقال « مَنْ يَدْخُلِ الجنة يحيا فيها لا يموتُ وينعم فيها لا يبأسُ ، لا تَبلى ثيابُه و لا يفنى شبابه » قيل يا رسول الله ما بناؤها ؟ قال : « لَبِنَةٌ من ذهبٍ ولبنة من فضة مِلاطُها

= (المِلاط) : الطين الذي يجعل بين أحجار البناء .

١٣٣٨ - أحمد (٢ / ٣٠٤) .

والترمذي (٤ / ٦٧٢) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢ - باب ما جاء في صفة الجنة .

وقال : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي ، وليس هو عندي بمتصل .

وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدله عن أبي هريرة .

وقال محقق الجامع : لفقراته شواهد ، فهو حسن بشواهده .

وابن ماجه (١ / ٥٥٧) ٧ - كتاب الصيام ، ٤٨ - باب في الصائم لا ترد دعوته .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٥ / ١٨٠) .

(الأذفر) : مسك أذفر : إذا كان طيب الريح ، والذفر : يقال في الطيّب والكريه .

(يَبْأس) : بئس يبأس : إذا افتقر واشتدت حاجته فهو بائس .

١٣٣٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن .

المِسْكَ وتُرابها الزعفران حصباؤها اللؤلؤَ والياقوتَ » .

١٣٤٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتانِ من فضةٍ ، آنيتُهما وما فيها ، وجَنَّتان من ذَهَبٍ ، آنيتُها وما فيها ، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكِبْرياء على وجهه في جَنَّةِ عَدْنٍ » .

وفي رواية الترمذي (١) « إن في الجنة جَنَّتَين من فضة ... » وذكر الحديث .

قال ابن حجر : ويعارضه حديث أبي هريرة : قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان ، وله شاهد عن ابن عمر أخرجه الطبراني وسنده حسن وآخر عن أبي سعيد أخرجه البزار ولفظه : « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » الحديث ، ويجمع بأن الأول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها ، والثاني صفة حوائط الجنان كلها ، ويؤيده أنه وقع عند البيهقي في البعث في حديث أبي سعيد : « أن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة » وعلى هذا فقوله « آنيتها وما فيها » بدل من قوله « من ذهب » ويترجح الاحتمال الثاني اهـ (الفتح) .

١٣٤١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « إن للمؤمنِ في الجنةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ ، طولُها في السماء ستون ميلا - وفي رواية : عَرضُها - للمؤمن فيها أهلُونَ ، يَطوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بعضُهُم بعضًا » .

وفي رواية الترمذي (٢) « إن في الجنة خيمةً من لؤلؤة : مجوفةٍ ، عرضها ستون

١٣٤٠ - البخاري (١٣ / ٤٢٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .

مسلم (١ / ١٦٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٠ - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .

(١) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

١٣٤١ - البخاري (٨ / ٦٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - باب ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٢) ٥١ - كتاب الجنة ، ٩ - باب في صفة خيام الجنة .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٣ - باب ما جاء في صفة غرف الجنة .

ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهلٌ ، ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمن » .

١٣٤٢ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن المرأةَ من نساء أهلِ الجنَّة لَيُرَى بَياضُ سَاقِها مِنْ وراء سبعينَ حُلَّةً ، حتى يُرى مُخُّهَا ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ [1] « فأما الياقوت ، فإنه حجَرٌ لو أدخلتَ فيه سِلْكا ثم استصفيتَه لأُرِيتَهُ من ورائها » .

١٣٤٣ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بنِ مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لو اطَّلَعَتِ امرأةٌ من نساء أهلِ الجنةِ إلى الأرض لملأتْ ما بينهما ريحًا ولأضاءتْ ما بينهما ، ولَتَاجُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

١٣٤٤ - * روى الترمذي عن أنس (رفعه) : « غدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولَقَابُ قوسِ أحدِكم أو مَوضِعُ قدِّهِ في الجنة خيرٌ من الدنيا

١٣٤٢ - الترمذي (٤ / ٦٧٦) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٥ - باب في صفة نساء أهل الجنة .

وقال : وروي عن ابن مسعود ، ولم يرفعه ، وهو أصح من حديث عبيدة بن حميد .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٤) .

(١) الرحمن : ٥٨ .

١٣٤٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد .

١٣٤٤ - الترمذي (٤ / ١٨١) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ١٧ - باب ما جاء في فضل الغُدُوّ والرَّواح .

وقال : هذا حديث صحيح .

وروى أحمد نحوه (٣ / ١٤١) .

وللبخاري نحوه (٦ / ١٥) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٦ - باب الحور العين .

ولمسلم نحوه (٣ / ١٤٩٩) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٣٠ - باب فضل الغدوة والروحة .

قوله (ولقاب قوس أحدكم) قال ابن الأثير :

(القاب والقِيبُ : بمعنى القَدْر ، وعَيْنُها واو ، من قولهم : قَوَّبوا في هذه الأرض : أي أثَّروا فيها بِوَطْئهم ، وجعلوا في مَسافتها علامات . يقال : بَيْني وبَيْنه وقابُ رُمح وقاب قَوْس : أي مقدارهما) اهـ.

وحكى الهروي عن مجاهد : (قاب قوسين : أي مقدار ذراعين . قال مجاهد : والقوس : الذّراع ، بلغة أزد شَنُوءَة) اهـ .

(قِدّه) : القِدّ : السوط ، والمعنى لقدر قوس أحدكم والموضع الذي يسع سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وما فيها ، ولو أنّ امرأة من نساء أهل الجنة اطّلَعَتْ إلى أهل الأرض لأضاءتْ الدنيا وما فيها ، ولملأت ما بينهما ريحًا ، ولنَصيفُها ـ يعني : خِمارَها ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

١٣٤٥ ـ * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لو أنّ ما يَقِلُّ ظُفُرٌ مما في الجنة بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ له ما بين خَوَافِقِ السموات والأرضِ ، ولو أنّ رجلا من أهل الجنة اطلَعَ ، فبدا سِوارُه ، لَطَمَس ضوءَ الشمس ، كما تَطْمِس الشمسُ ضوءَ النجوم » .

١٣٤٦ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال : « يُعطَى الْمُؤمِنُ في الجنةِ قُوَّةَ كذا وكذا من الجماع » ، قيل : يا رسول الله أَوَ يُطيق ذلك ؟ قال : « يُعطى قوةَ مائة » .

١٣٤٧ ـ * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أَنُفْضي إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : « إي والذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُفْضي في اليومِ الواحدِ إلى مائة عذراءَ » .

١٣٤٥ ـ أحمد (١ / ١٦٩) .

والترمذي (٤ / ٦٧٨) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٧ ـ باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن .

(يَقِلّ) : أقلّ الشيء يُقلّه : إذا حمله .

(لتزخرفت) : الزخرفة : الزّينة ، والزُّخرُف : الذّهبُ .

(خوافق) السماء : الجهات التي تخرج منها الرياح الأربع .

١٣٤٦ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٧) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٦ ـ باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة .

وقال : هذا حديث صحيح غريب ، وإسناده حسن .

والدارمي (٢ / ٣٣٤) . باب في أهل الجنة ونعيمها .

وإسناده صحيح من حديث زيد بن أرقم .

١٣٤٧ ـ كشف الأستار (٤ / ١٩٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ، ورجال هذه الرواية الثانية رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة .

قال عنه في التقريب : صدوق ضعفه مسلمة بلا حجة .

١٣٤٨ - * روى الطبراني عن زيد بن أرقم قال : جاءَ رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم : تَزْعُمُ أن أهلَ الجنة يأكلون فيها ويَشْرَبون قال : « نعم ، والذي نفسي بيده إن الرجلَ لَيُعْطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع » فقال اليهودي : إن الذي يأكل ويَشْرَبُ تكون له الحاجة والجنة مُطَهَّرةٌ ، قال : « حاجة أحدِهم عَرَقٌ يَفيضُ من جلده كريحِ المِسكِ فإذا بطْنُه قد ضَمَرَ » .

وفي رواية [(١)] : بينا نحن عند النبيِّ ﷺ إذ أقْبَل رجلٌ من اليهودِ يقال له ثَعْلَبةُ بنُ الحارثِ فقال : السلام عليك يا محمدُ فقال : « وعليكم » . فقال : اليهودُ تَزْعُمُ أن في الجنة طعامًا وشرابًا وأزواجًا . فقال النبيﷺ : « نعم ، تؤمن بشجرة المسك » قال : نعم قال « وتَجدُها في كتابِكُم » قال : نعم قال : « فإن البولَ والجنابةَ عَرَقٌ يسيلُ من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مِسكٌ » .

١٣٤٩ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن ابنِ عُمرَ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أزواجَ الجنَّةِ لَيُغَنِّينَ بأحسنِ أصواتٍ سَمعها أحدٌ قَطُّ ، إن مما يُغنين : نحن الخَيراتُ الحِسانُ أزواجُ قومٍ كِرام يَنظرْنَ بقُرةِ أعيان . وإن مما يغنين به : نحن الخالداتُ فلاَ نَمُتْنَه نحن الآمناتُ فلا يَخَفْنَه نحن المقيماتُ فلاَ يَظْعَنَّه » .

١٣٥٠ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال « إن الحورَ في الجنة يُغَنِّينَ يَقُلْنَ : نحن الحورُ الحِسانُ هُدينا لأزواجٍ كِرام » .

١٣٥١ - * روى الطبراني عن عُقبةَ بنِ عَبْدِ السُّلَمي قال : كنتُ جالسًا مع النبيِّ ﷺ

١٣٤٨ - المعجم الكبير (٥ / ١٧٧) .
وكشف الأستار (٤ / ١٩٧) .
(١) المعجم الكبير (٥ / ١٧٨) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٦) وقال : رواه كله الطبراني في الأوسط وفي الكبير بنحوه وأحمد إلا أنه قال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، وقال لأصحابه إن أقر لي بهذه خصمته ، والباقي بنحوه . ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة .
١٣٤٩ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٩) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .
١٣٥٠ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٩) .
وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .
١٣٥١ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

فجاءَ أعرابيٌّ فقال يارسول الله : أَسْمَعُكَ تَذْكُرُ في الجنة شجرةً لا أعلمُ أكثر شوكًا منها ـ يعني الطَّلْحَ ـ فقال رسول الله ﷺ « يَجْعَلُ مكانَ كلِّ شوكةٍ منها خُصوةَ التَّيْس المَلْهودِ ـ يعني الخَصِيَّ منها ـ سبعون لونًا من الطعام لا يشبه لونٌ آخَرَ » .

١٣٥٢ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما في الجنةِ شجرة إلا وساقُها من ذَهَبٍ » .

١٣٥٣ ـ * روى الطبراني عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن في الجنة شجرةً مستقلةً على ساقٍ واحدٍ ، عَرْضُ ساقِها ثنتان وسبعون » .

١٣٥٤ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ سنةٍ ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ ممدود ﴾ (١) ولَقَابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ أو تَغْرُبُ » .

وفي رواية (٢) يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ قال : « إن في الجنةِ شجرةً يسير الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يَقْطَعُها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ ممدود ﴾ » .

وفي رواية مسلم (٣) مثل الأولى إلى قوله : « سنة » ومثل الثانية إلى قوله : « يقطعها » وأخرج الترمذي إلى قوله : « سنة » .

وأخرج الترمذي الأولى (٤) ، وله في أخرى (٥) زيادة : « وفي الجنة شجرة يسير

١٣٥٢ ـ الترمذي (٤ / ٦٧١) ٣٨ ـ كتاب صفة الجنة ، ١ ـ باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد . وإسناده حسن .

١٣٥٣ ـ المعجم الكبير (٧ / ٢٦٦) .

كشف الأستار (٤ / ١٩٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه البزار والطبراني ، وإسناد الطبراني حسن .

١٣٥٤ ـ البخاري (٦ / ٣١٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٨ ـ باب ما جاء في صفة الجنة .

(١) الواقعة : ٣٠ .

(٢) البخاري (٨ / ٦٣٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ وظل ممدود ﴾ .

(٣) مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١ ـ باب إن في الجنة شجرة .

(ولقاب) القابُ : القَدْرُ .

(٤) الترمذي (٤ / ٦٧١) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١ ـ باب ما جاء في صفة شجر الجنة .

(٥) الترمذي (٥ / ٤٠٠) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٥٧ ـ باب « ومن سورة الواقعة » .

=

الراكبُ في ظِلّها مائة عامٍ لا يقطعُها ، واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وظِلٍّ مَمْدُود ﴾ وموضعُ سَوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فمن زُحْزِحَ عنِ النار وأُدْخِلَ الجنَّةَ فقد فازَ وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور ﴾ »[1] .

١٣٥٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي حازم رَحِمَه الله عن سهل بنِ سعدٍ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها » قال : فحدَّثتُها النعمانَ بنَ أبي عياشٍ الزُّرَقي ، فقال : حدَّثني أبو سعيدٍ الخُدري عن النبيِّ ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسيرُ الراكبُ الجوادَ الْمُضَمَّرَ السريعَ مائةَ عامٍ لا يقطعها » .

١٣٥٦ ـ * روى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ ـ وذكر سدرَة المنتهى ـ قال : « يسيرُ الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها : مائةَ سنةٍ ، أو يَسْتَظِلُّ بظلِّها مائةُ راكب ـ شك يحيى ـ فيها فَراش الذهب ، كأن ثَمرَها القلالُ » .

١٣٥٧ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « في الجنة مائةُ درجةٍ ، ما بين كل درجتين مائةُ عامٍ » .

١٣٥٨ ـ * روى الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال :

= وهذه الزيادة قد أخرجها البخاري ومسلم مفردة .

(١) آل عمران : ١٨٥ .

١٣٥٥ ـ البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١ ـ باب إن في الجنة شجرة .

١٣٥٦ ـ الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٩ ـ باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(الفَنَن) : الغُصْنُ ، وجمعه أفنان .

(القِلال) : جمع قُلَّة ، وهي حُبٌّ يسع مَزادةً من الماء .

١٣٥٧ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٤) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٤ ـ باب ما جاء في صفة درجات الجنة .

وقال هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

١٣٥٨ ـ الترمذي (٤ / ٦٧٥) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٤ ـ باب ما جاء في صفة درجات الجنة . =

« في الجنةِ مائةُ درجةٍ ، ما بين كلِّ درجةٍ ودرجةٍ كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجةً ، منها تَفَجَّرَ أنهارُ الجنةِ الأربعةُ ، ومن فوقِها يكونُ العرشُ ، فإذا سألتُم الله فاسألوه الفِردَوْس » .

١٣٥٩ ـ * روى البزار عن العِرباض بنِ سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إن سألتم الله فسلوه الفِرْدَوْسَ » .

١٣٦٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبْزةً واحدةً ، يَتَكَفَّؤُها الجبَّار بيده كما يتكفَّؤُ أحدُكم خبزتَهُ في السَّفَرِ ، نُزُلاً لأهلِ الجنةِ » فأتى رجلٌ من اليهود فقال : باركَ الرحمنُ عليك يا أبا القاسم ، ألا أُخْبِرُكَ بنُزُلِ أهلِ الجنة يومَ القيامة ؟ قال : « بلى » قال : تكونُ الأرضُ خُبزةً واحدةً ، كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبيُّ ﷺ إلينا ، ثم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجذُه ، ثم قال : ألا أخبِرُكَ بإدامِهِم ؟ قال : « بلى » قال : إدامُهم بالام ونون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونُونٌ ، يأكل من زَائدة كَبِدِهما سبعون ألفًا .

١٣٦١ ـ * روى أحمد عن جابرِ بن عبدِ الله قال : قال رسول الله ﷺ لليهود : « إني سَائِلُهم عن تُرْبَة الجنة وهي دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ » فسألَهم ، فقالوا : خُبْزَةٌ يا أبا القاسم ، فقال النبي ﷺ : « الخبز من الدَّرْمَكِ » .

= وهو حديث صحيح ، وعند البخاري أتمُّ منه .

١٣٥٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٩١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٨) وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

١٣٦٠ ـ البخاري (١١ / ٣٧٢) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٤ ـ باب يَقبض الله الأرض يوم القيامة .

مسلم (٤ / ٢١٥١) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين ، ٣ ـ باب نزل أهل الجنة .

(يتكفَّؤها الجبار) : الجبَّار : اسم من أسماء الله عز وجل ، ويتكفَّؤها أي : يَقَلِّبها ويُميلُها ، من قولك : كفأت الإناء : إذا قلبته وكببته .

(نُزُلا) النُّزُل : ما يُعد للضيف من الطعام والشراب .

(بالام) : قد جاء في متن الحديث أنه الثور ، ولعلّ اللفظة عبرانية . و « النون » : الحوت ، وهو عربي .

١٣٦١ ـ أحمد (٣ / ٣٦١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير مجالد ، ووثقه غير واحد ، وإسناده حسن . =

١٣٦٢ ـ * روى الطبراني عن طارقِ بنِ شهابٍ قال : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : أَخْبِرْنا ما أولُ ما يأكلُ أهلُ الجنةِ إذا دخلوا ؟ قال : « أولُ ما يأكلون كَبِدُ الحوتِ » .

١٣٦٣ ـ * روى الترمذي عن معاوية : هو جدُّ بهزِ بنِ حكيم ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن في الجنةِ بَحْرَ العسل ، وبَحرَ الخَمْر ، وبَحْرَ اللَّبَنِ ، وبَحرَ الماء ، ثم تنشق الأنهارُ بعدُ » .

١٣٦٤ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : سُئل رسولُ الله ﷺ ما الكوثرُ ؟ فقال : « ذاك نَهرٌ أعطانيه اللهُ ـ يعني في الجنة ـ أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العَسَل ، فيه طيرٌ أعناقُها كأعناق الْجُزر » قال عُمَرُ : إنَّ هذه لناعمةٌ ، قال رسول ﷺ : « أَكَلَتُها أنعمُ منها » .

١٣٦٥ ـ * روى الترمذي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر في الجنة ، حافَّتاهُ من ذهب مجراه على الياقوت والدُّرِّ ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أحلى من العسل وأشدُّ بياضًا من الثلج » .

١٣٦٦ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرَ : لما نزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [1]

= (الدَّرْمَك) : الدقيق .

١٣٦٢ ـ المعجم الكبير (٨ / ٢٨٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن بهرام وهو ثقة .

١٣٦٣ ـ الترمذي (٤ / ٦٩٩) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢٧ ـ باب ما جاء في صفة أنهار الجنة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقائق ، باب في أنهار الجنة .

١٣٦٤ ـ الترمذي (٤ / ٦٨٠) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٠ ـ باب ما جاء في صفة طير الجنة .

وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن .

(الجُزُر) : جمع جزور ، وهو البعير ذكرًا أو أنثى ، إلا أن اللفظة مؤنثة .

١٣٦٥ ـ الترمذي (٥ / ٤٥٠) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٩١ ـ باب « ومن سورة النصر » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٤٥٠) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٩ ـ باب صفة الجنة .

١٣٦٦ ـ الترمذي (٥ / ٤٤٩) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٩٠ ـ باب « ومن سورة الكوثر » . وصححه .

(١) الكوثر .

قـال رسـول الله ﷺ : « هـو نهرٌ في الجنـةِ حَـافَّتـاه من ذهبٍ يجري على الـدُّرِّ والياقوتِ ، تُربَتُه أطيبُ من ريح المِسْك ، وطعمُه أحلى من العسل ، وماؤه أشدُّ بياضًا من الثلج » .

١٣٦٧ ـ * روى أحمد عن أنسٍ قالَ : قال رسول الله ﷺ : « إن طيرَ الجنّـة كأمثـال البُخْتِ ترعى في شجر الجنـة » فقـال أبـو بكر : يـا رسـول الله إن هـذه لطيرٌ نـاعمـة . فقال : « أَكَلَتُها أنْعمُ منها ـ قالها ثلاثًا ـ وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » .

١٣٦٨ ـ * روى أبو يعلى عن أبي سعيدٍ الخُدري أن رسول ﷺ قـال : « عُرِضَتْ عليَّ الجنةُ فذهبتُ أتناول منها قِطْفًا أريكموه فحيلَ بيني وبينه » . فقـالَ رجلٌ يـا رسول اللهَ : ما مَثَلُ الحبةِ من العِنَبِ قال : « كأعظمِ دَلْوٍ فَرَتْ أمُّك قط » .

١٣٦٩ ـ * روى أحمد عن أبي سعيدٍ الخُدري عن رسول الله ﷺ قـال : « إن الرجـل ليتكئُ في الجنة سبعين سنةً قبلَ أن يتحول ، ثم تـأتيـه امرأتـهُ فينظرُ وجْهَـهُ في خـدِّهـا أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤةٍ عليهـا تضيء مـا بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلامَ ويسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد . وإنـه ليكون

والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في الكوثر .

وأخرج البخاري نحوه (١١ / ٤٦٣) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض .

وأخرج مسلم نحوه أيضًا (١ / ٣٠٠) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ١٤ ـ باب حُجّة من قال ... إلخ .

١٣٦٧ ـ أحمد (٣ / ٢٢١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) وقال : رواه الترمذي باختصار ، ورواه أحمد ، ورجـالـه رجـال الصحيح غير سيـار بن حاتم وهو ثقة .

وقال عنه الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام .

(البُخْت) : جِمال طوال الأعناق .

١٣٦٨ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٤) .

وقال : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

(القِطْفُ) : العُنْقود .

(فَرتْ) : أصل الفَرْي : القَطْع . يقـال : فَريْتُ الشيء أفْرِيـه فَرْيًا إذا شَقَقْتُـه وقَطَعْتـه لـلإصـلاح ، فهـو مفريّ وفَريّ ، وأفْرَيْتُهُ : إذا شَقَقْتَه على وجه الإفسـاد . تقول العَرب : تَركْتـه يَفْرِي الفَرِيَّ : إذا عمل العمل فـأجـاده .

(من النهاية) .

١٣٦٩ ـ أحمد (٣ / ٧٥) .

عليها سبعون ثوبًا أدناها مثلُ النُّعمان ، من طوبى فيُنفِذُها حتى يرى مُخُّ ساقِها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتُضيء ما بين المشرق والمغرب » .

١٣٧٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة سُوقًا يأْتُونَها كلَّ جُمُعَةٍ ، فتَهُبُّ ريحُ الشَّمال ، فتحثُو في وجوهِهم وثيابِهم ، فيزدادون حُسنًا وجمالا ، فيَرْجِعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسنًا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازْدَدْتُم بعدَنا حُسنًا وجَمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالا » .

١٣٧١ - * روى البزار عن عبدِ الله بنِ عمرو قال وقامَ آخرُ فقال : يا رسول الله أخبرنا عن ثيابِ أهل الجنة أَخَلْقٌ يُخلق أم نسج يُنْسَجُ فضحِكَ بعضُ القومِ . فقال رسول الله ﷺ : « مِمَّ تضحكون من جاهلٍ يسألُ عالمًا ؟ » أين السائلُ ؟ قال : أنا ذا يا رسول الله . قال : « تَنْشَقُّ عنها ثِمارُ الجنةِ » .

١٣٧٢ - * روى الطبراني عن عبدِ الرحمنِ بن ساعدةَ قال كنتُ أحبُّ الخيلَ فقلت : يا رسولَ الله هل في الجنة خيل ؟ فقال : « إنْ أَدخَلكَ اللهُ الجنة يا عبدَ الرحمنِ كان لكَ فيها فَرسٌ من ياقوتٍ له جناحان يطيرُ بك حيثُ شئتَ » .

١٣٧٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن أدنى مَقْعَدِ أحدِكُم من الجنة ، مَن يقول له : تَمَنَّ ، فيتمنَّى ، ويتمنَّى ، فيقول له : هل تمنَّيتَ ؟ فيقول ، نعم ، فيقول له : فإنَّ لكَ ما تمنَّيتَ ومِثلَهُ مَعَهُ » .

= مجمع الزوائد : (١٠ / ٤١٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسنادها حسن .
(النُّعْمان) : قد يراد بالنعمان في الحديث اللون الأحمر وقد يراد به ما يُتَنَعَّمُ به .

١٣٧٠ - مسلم (٤ / ٢١٧٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ٥ - باب في سوق الجنة .

١٣٧١ - كشف الأستار (٤ / ١٩٦) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، ورجاله ثقات .

١٣٧٢ - مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٣) وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

١٣٧٣ - مسلم (١ / ١٦٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٨١ - باب معرفة طريق الرؤية .

١٣٧٤ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالكٍ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجةً لَمَنْ يقوم على رأسه عَشْرَةَ آلافِ بَنْدٍ لكل واحدٍ صحيفتانِ ؛ واحدةٌ من ذهبٍ والأخرى من فضةٍ في كلّ واحدةٍ لونٌ ليس في الأخرى مثْلُه ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يجدُ لآخرها من الطيب واللذة مثلَ الذي يجد لأولها ثم يكونُ ذلك ريحَ المِسكِ الأَذْفَرِ ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخوانًا على سُرر متقابلين » .

١٣٧٥ ـ * روى الطبراني عن جابر بن عبد الله قال سُئل رسول الله ﷺ : فقيلَ يا رسول الله أينام أهل الجنةِ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » .

١٣٧٤ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٣٧٥ ـ كشف الأستار (٤ / ١٩٣)

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

٥ - في بعض ما ورد في آخر أهل النار خروجًا منها

١٣٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النار خُرُوجًا منها ، وآخِرَ أهل الجنة دخولا الجنة : رَجلٌ يَخرُجُ من النار حَبوًا ، فيقول الله له : اذْهبْ فادْخلِ الجنة ، فيأتيها ، فيخيَّلُ إليه أنها مَلأى ، فيرجعُ فيقول : يا ربِّ ، وجدتُها مَلأى ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : اذهبْ فادخُل الجنةَ » قال : « فيأتيها ، فَيُخَيَّلُ إليه أنها مَلأى ، فيرجع فيقول : يا ربِّ وجدتُها ملأى ، فيقول الله عز وجل له : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثلَ الدنيا ، وعَشرةَ أمثالها ، أو إنَّ لك مثل عشرةِ أمثال الدنيا ، فيقول : أَتسْخَرُ بي - أو أتضحكُ بي - وأنت الملك ؟ » قال : فلقدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحكَ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُه ، فكان يقال : ذلك أدْنى أهلِ الجنة منزلةً .

قال محقق الجامع :

قال الحافظ في « الفتح » : قائل « وكان يقال » هو الراوي ، وأما قائل المقالة المذكورة ، فهو النبي ﷺ ، ثبت ذلك في أول حديث أبي سعيد عند مسلم ، ولفظه : « أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار » ... وساق القصة .

ولمسلم [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني لأَعْرِف آخرَ أهلِ النار خروجًا من النار : يَخْرُجُ منها زَحفًا ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة » قال : « فيذهبَ فيدخُلُ الجنةَ ، فيجدُ الناسَ قد أخذوا المَنَازلَ ، فيقالُ له : أتذكر الزمانَ الذي كنتَ فيه ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : تَمَنَّ ، فيتمنَّى ، فيقالُ له : لك الذي تمنَّيت ، وعشرةُ أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بي وأنت الملكُ ؟ » قال : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضحكُ حتى بَدَتْ نَواجذُه .

أقول : بالنسبة لآخر أهل الجنة دخولا إليها هناك آخرية مطلقة ، وهناك آخرية

١٣٧٦ - البخاري (١١ / ٤١٨) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (١ / ١٧٣) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٣ - باب آخر أهل النار خروجًا .

(١) مسلم : الموضع السابق .

نسبية ، فالآخرية المطلقة يراد بها آخر من يبقى من أهل الإيمان في النار ثم يخرج منها والآخرية النسبية متعددة فهناك آخر من يحاسب ممن يستأهل دخول الجنة ، وهناك آخر من يعبر الصراط من أهل الجنة ، وهناك آخر من يدخل الجنة ممن استحقوا دخولها وسبقهم غيرهم ، وهناك آخر من يدخل الجنة بالشفاعات . وقد مرت من قبل نصوص في شأن آخر من يدخل الجنة وههنا نصوص وبعضها محمول على آخرية مطلقة وبعضها محمول على آخرية نسبية والتفصيل في ذلك مظنة الخطأ ومظنة الخلط بين المواقف والعبرة حاصلة بدون هذا التفصيل وإنما أشرنا هذه الإشارة ليعرف القارئ أن من أسباب اختلاف الروايات في هذا الشأن هو ما ذكرناه .

١٣٧٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « آخِرُ مَنْ يَدْخلُ الجنةَ رَجُلٌ ، فهو يمشي مَرَّةً ، ويكْبُو مَرَّةً ، وتَسْفَعُهُ النارُ مرةً ، فإذا ما جاوَزَها التَفتَ إليها ، فقال : تبارك الذي نَجَّاني منْك ، لقد أعطاني اللهُ شيئًا ما أعطاه أحدًا منَ الأوَّلين والآخرين ، فَتُرفَعُ له شجرةٌ ، فيقول : ياربِّ ، أَدْنِني من هذه الشجرة فلأَسْتَظلَّ بظلِّها ، وأشربَ من مائها ، فيقولُ الله عزَّ وجل : يا ابنَ آدم لَعلِّي إن أعْطَيتُكَها سألتني غيرَها ؟ فيقولُ : لا ، ياربِّ ، ويعَاهدُه أن لا يسأله غيرَها » قال : « وربُّه عزَّ وجل يَعْذِره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فَيدْنِيه منها ، فَيَستَظلُّ بظلها ، ويشربُ من مائها ، ثم تُرفَعُ له شجرةٌ هِي أحسن من الأولى ، فيقول : أي ربِّ ، أدْنِني منْ هذه لأشربَ من مائها ، وأستَظِلَّ بظِلها ، لا أسألك غَيرها ، فيقول : ياابن آدم ، ألم تعاهِدْني أنْ لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لَعلِّي إن أَدْنَيتكُ منها تسألني غيرها ؟ فَيُعَاهدُه أن لا يسألَهُ غيرَها ، وربُّه تعالَى يعْذِرُه ، لأنه يرى مالا صَبْرَ له عليه ، فَيُدْنِيه منها ، فَيَسْتَظل بظلِّها ، ويشربُ من مائها ، ثم تُرفَعُ له شجرةٌ عند باب الجنة ، وهي أحْسَن منَ الأُوليين ، فيقول : أي ربِّ أدْنِني من هذه لأستَظلَّ بظلها ، وأشربَ من مائها ، لا أسألُكَ غَيرها ، فيقولُ : يا ابنَ آدم ، أَلَمْ تعاهِدني أن

١٣٧٧ - مسلم (١ / ١٧٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٨٣ - باب آخر أهل النار خروجًا .

=

لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى ، يارب ، هذه لا أسـألـكَ غيرهـا ـ وربـهُ عز وجل يَعذرُه ، لأنه مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منهـا سمع أصوات أهل الجنـة ، فيقول : أي ربِّ أدْخِلْنيهـا ، فيقـولُ : يا ابنَ آدم ، مـا يَصريني منـك ، أيُرضيك أن أُعْطيك الدنيا ومثلَها معها ؟ قال : يارب ، أتستهزئ مِني وأنتَ ربُّ العالمين » فَضَحِـكَ ابن مسعود ، فقـال : ألا تسـألوني مِمَّ أضحَـك ؟ فقـالوا : مِمَّ تضحـكُ ؟ فقال : هكذا ضَحِـك رسولُ الله ﷺ ، فقـالوا : مِمَّ تَضحَـكُ يـا رسولَ الله ؟ فقـال : « مِنْ ضحك ربِّ العالمين ، حين قال : أتَسْتَهْزِئُ مني وأنت ربُّ العـالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر » .

١٣٧٨ ـ * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنـه أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال : « إن أدْنى أهل الجنةِ منزلةً : رَجُلٌ صَرفَ اللهُ وَجْهَـهُ عن النـارِ قِبَلَ الجنـة ، وَمَثَّل لـه شجرةً ذاتَ ظِـلٍّ ، فقـال :أيْ ربِّ ، قَرِّبني من هـذه الشجرة لأكـونَ في ظِلِّها ... » وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ، ولم يذكر : فيقول : « يـا ابن آدم ، ما يَصْريني منك ؟ ... » إلى آخر الحديث .

وزاد فيه : « ويُذكِّره الله ، سَل كذا وكـذا ، فـإذا انقطعتْ بـه الأمـاني ، قـال الله : هو لك وعشرة أمثاله » قال : « ثم يدخل بيته ، فتـدخل عليـه زوجتـاه من الحور العين ، فيقـولان : الحمد الله الـذي أحيـاك لنـا ، وأحيـانـا لـك » ، قـال : « فيقول : ما أُعْطِيَ أحدٌ مثلَ ماأعطيتُ » .

١٣٧٩ ـ * روى مسلم عن أبي ذر الغفـاري رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « إني لأعلم آخِرَ أهل الجنة دخولا الجنـة ، وآخِرَ أهلِ النـارِ خروجًـا منهـا : رجلٌ يؤتَى بـه يـوم القيـامـة ، فيقـال : اعْرِضُوا عليـه صِغـارَ ذنـوبـه ، وارْفَعـوا عنـه

= (ما يَصْريني) : منك ، أي : ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك ، وأصل التصرية : القطع والجمع ، ومنـه : الشـاة المصراة ، وهي التي جمع لبنها وقطع حَلْبُه .

١٣٧٨ ـ مسلم (١ / ١٧٥) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٣٧٩ ـ مسلم (١ / ١٧٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة .

والترمذي (٤ / ٧١٣) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١٠ ـ باب حدثنا هنّاد ... إلخ .

كِبارَها ، فيُعرَضُ عليه صِغارُها ، فيقالُ له : عَمِلْتَ يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعَمِلتَ يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، لا يستطيعُ أن يُنْكِرَ ، وهو مُشْفِق من كِبار ذنوبه أن تُعْرضَ عليه ، فيقال له : فإن لك مكانَ كل سيئة حسنة ، فيقول : ربِّ ، قد عَلِمْتُ أشياءَ لا أراها هاهنا » قال : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُه .

١٣٨٠ ـ * روى مسلم عن المغيرة بن شعبَة رضي الله عنه يَرْفَعُهُ إلى النبيِّ ﷺ قال : « سأل موسى عليه السلام ربَّه : ما أدنَى أهلِ الجنة منزلة ؟ قال : هو رجلٌ يَجيءُ بعد ما أُدْخِلَ أهلُ الجنة الجنة ، فيقال له : ادْخلِ الجنة ، فيقول : أي ربِّ ، كيف وقد نَزَل الناسُ منازلهم ، وأخذوا أَخَذاتِهم ؟ فيقال له : أما ترضى أن يكونَ لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيتُ ربِّ ، فيقول : لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه ، فقال في الخامسة : رضيتُ ربِّ ، فيقول هذا لك وعشرةُ أمثاله ، ولك ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ ، فيقول : رضيتُ ربِّ ، قال ربِّ : فأعلاهم منزلةً ؟ قال : أولئك الذين أردتُ ، غَرَستُ كَرامَتَهمْ بيدي ، وختمتُ عليها ، فَلَم ترَ عَيْنٌ ، ولم تسمع أُذنٌ ، ولم يَخْطُرْ على قَلْب بشر » ، قال : « ومصداقُه في كتاب الله عز وجل : ﴿ **فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخفيَ لهم من قُرَّة أَعْيُنٍ** ... ﴾ »(1) .

١٣٨٠ ـ مسلم (١ / ١٧٦) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٤ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة .

الترمذي (٥ / ٣٤٧) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٣٣ ـ باب « ومن سورة السجدة » .

وقد أخرجه إلى قوله : « فيقول رضيت رب » في الثالثة .

(1) السجدة : ١٧ .

قال ابن الأثير :

(أَخَذاتِهم) : أخذ الناسُ أخذاتِهم ، أي : نزلوا منازلَهم المختصة بهم ، زاد الحميديُّ في غريبه : واستَوفَوْا مراتبهم . والإخَاذة : الأرض يأخذها الرجل لنفسه يحوزها ، قاله ابن فارس . اهـ .

٦ - رؤية الله تعالى في الآخرة

مقدمة

قال تعالى عن الكفار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [١] .

وهذا يفيد أن ذلك عقوبة لهم ويفيد أن أهل الإيمان يرونه .

وقال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ [٢] .

وقال تعالى عن موسى : ﴿ رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخر موسى صعقًا ﴾ [٣] .

فَطَلَبُ موسى الرؤية وهو العارف بربه دليل على إمكانها ، وتعليق الله عز وجل إياها على ممكن دليل على إمكانها ، ولذلك أجمع أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلاً واجبة نقلا واقعة فعلاً للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [٤] ، ﴿ ولا يحيطون به علمًا ﴾ [٥] .

ومن كلام أهل السنة والجماعة أن من ادعى رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة فقد كفر واختلفوا في ثبوت الرؤية في الدنيا لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ؛ فالجمهور على ثبوتها والمسألة خلافية منذ عصر الصحابة ، والراجح ثبوت الرؤية له عليه الصلاة والسلام .

قال النووي : « اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا ، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، وزعمت طائفة من أهل البدع : المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله

---

(١) المطففين : ١٥ .
(٢) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) الأعراف : ١٤٣ .
(٤) الشورى : ١١ .
(٥) طه : ١١٠ .

ﷺ ، وآيات القرآن فيها مشهورة ، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا ، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري : أحدهما وقوعها ، والثاني لا تقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط . وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك ؛ بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم » . اهـ (شرح النووي على مسلم) .

وقال ابن حجر :

وأدلة السمع طافحة بوقوع ذلك في الآخرة لأهل الإيمان دون غيرهم ، ومنع ذلك في الدنيا إلا أنه اختلف في نبينا ﷺ وما ذكروه من الفرق بين الدنيا والآخرة أن أبصار أهل الدنيا فانية وأبصارهم في الآخرة باقية جيد ، ولكن لا يمنع تخصيص ذلك بمن ثبت وقوعه له ، ومنع جمهور المعتزلة من الرؤية متمسكين بأن من شرط المرئي أن يكون في جهة ؛ والله منزه عن الجهة ، واتفقوا على أنه يرى عباده ، فهو راء لا من جهة ، واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم : يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب : « كما ترون القمر » إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية ، وذلك أمر زائد على العلم وقال بعضهم : إن المراد بالرؤية العلم . وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات ، وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم وهذا أقرب إلى الصواب من الأول ، وتعقب الأول بأنه حينئذ لا اختصاص لبعض دون بعض ؛ لأن العلم لا يتفاوت ، وتعقبه ابن التين بأن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيدا

فقيها أي علمته ، فإن قلت رأيت زيدًا منطلقًا لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقا قوله في الخبر : « إنكم سترون ربكم عيانًا » ، لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم ، وقال ابن بطال : ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ، وتمسكوا بأن الرؤية توجب كون المرئي محدثًا وحالا في مكان ، وأولوا قوله ﴿ ناظرة ﴾ بمنتظرة وهو خطأ لأنه لا يتعدى بإلى ، ثم ذكر نحو ما تقدم ثم قال وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود ، والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم ، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي . قال وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وبقوله تعالى لموسى : ﴿ لن تراني ﴾ والجواب عن الأول : أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعًا بين دليلي الآيتين ، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته ، وعن الثاني : المراد لن تراني في الدنيا جمعًا أيضًا ، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته مع ما جاء من الأحاديث الثابتة على وفق الآية ، وقد تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف ، وقال القرطبي : اشترط النفاة في الرؤية شروطًا عقلية كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خَبْطٍ لهم وَتَحَكُّم ، وأهل السنة لا يشترطون شيئًامن ذلك سوى وجود المرئي ، وأن الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئي وتقترن بها أحوال يجوز تبدلها والعلم عند الله تعالى . أ . هـ (فتح الباري) .

وقد مرت معنا نصوص حول الرؤية في ما مضى وهذه نصوص أخرى ولقد خصصنا لهذا البحث عنوانًا لأهميته في عقائد أهل السنة والجماعة :

النصوص

١٣٨١ ـ * روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كُنَّا عندَ رسول الله ﷺ ، فنظَر إلى القمر ليلة البدرِ ، وقال : « إنكم ستَرَوْن ربَّكم عَياناً ، كما تَرون هذا القمَر ، لا تُضَامُّون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلَبُوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا » ، ثم قرأ ﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وقَبْل الغروب ﴾[1] .

١٣٨٢ ـ * روى الطبراني عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ « أتاني جبريلُ ﷺ وفي يده مرآة بيضاءُ فيها نُكْتَةٌ سوداءُ ، فقلتُ : ما هذه يا جبريلُ ؟ قال : هذه الجُمعةُ يَعْرِضُها عليك رَبُّكَ لِتكون لك عيدًا ولِقومِك من بعدك ، تكون أنتِ الأولَ ، وتكونُ اليهودُ والنصارى من بعدك » قال : « ما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها خيرٌ ، لكم فيها ساعةٌ من دعا رَبَّهُ فيها بخيرٍ هو له قَسْمٌ إلا أعطاه إياه ، أو ليْسَ له بقسْمٍ إلا ادَّخَرَ له ما هو أعظمُ منه ، أو تعوَّذ فيها من شرٍّ هو عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه ، قلت : ما هذه النُّكْتَةُ السوداءُ فيها ؟ قال : هي الساعةُ تقومُ يومَ الجمعةِ ، وهو سيِّدُ الأيام عندَنا ، ونحن ندعوه في الآخرةِ : يوم المزيدِ » قال : « قلتُ : لِمَ تدعونه يومَ المزيد ؟ قال : إنَّ ربَّك عز وجل اتخذَ في الجنة واديًا أَفْيَح من مسك أبيضَ ، فإذا كان يومُ الجُمعة نزلَ تبارك وتعالى مِن عليين على كُرسيّه ثم حُفَّ الكرسي بمنابرَ مِن نورٍ ، وجاءَ النبيون

١٣٨١ ـ البخاري (٨ / ٥٩٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ .

مسلم (١ / ٤٣٩) ٥ ـ كتاب المساجد ، ٣٧ ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر .

وأبو داود (٤ / ٢٣٣) كتاب السنة ، باب في الرؤية .

والترمذي (٤ / ٦٨٧) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٦ ـ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(لا تُضَامُّون) : لا يَزدحم بكم في رؤيته .

(١) ق : ٣٩ .

١٣٨٢ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٤٢١) .

وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم ، وإسناد البزار فيه خلاف .

حتى يَجلِسوا عليها ، ثم حُفَّ المنابر بكراسيَّ من ذهبٍ ، ثم جاء الصِّديقون والشُّهداءَ حتى يَجلسوا عليها ، ثم يَجيءُ أهلُ الجنةِ حتى يَجلِسوا على الكَثيب ، فيتجلى لهم ربُّهم تَبارك وتعالى حتى يَنظُروا إلى وجهه ، وهو يقول : أنا الذي صَدَقْتُكُم وعدي ، وأَتْممْتُ عليكم نِعْمَتي ، هذا مَحَلُّ كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضى ، فيقولُ عز وجل : رضائي أحلَّكم داري ، وأَنالَكُم كَرامتي ، فسلوني فيسألونهُ حتى تنتهيَ رَغْبَتُهُم ، فَيُفْتحُ لهم عندَ ذلك ما لا عين رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر إلى مقدارِ مُنْصَرَفِ الناس يومَ الجمعةِ ، ثم يَصْعَدُ تبارك وتعالى على كرسيِّه ، فيصعدُ معه الشهداءُ والصدِّيقون ـ أحسَبُه قال ـ : ويَرْجِعُ أهلُ الغُرف إلى غُرفهم ، دُرةٌ بيضاءَ لا فَصْمَ فيها ولاقَصْمَ ، أو ياقوتةٌ حمراءَ ، أو زَبَرْجُدَةٌ خضراء منها غُرَفُها وأبوابها ، مُطَّرِدَةٌ فيها أنهارها ، متدلِّيةٌ فيها ثمارُها ، فيها أزواجُها وخدمُها فليسوا إلى شيء أحوجَ منهم إلى يوم الجُمعةِ ليزدادوا فيه كَرامةً ، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى ، ولذلك دُعِي يومَ المزيد » .

١٣٨٣ ـ * روى مسلم عن صُهَيْب الرومي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا دخل أهلُ الجَنةِ الجَنةَ ، يقول تَبارك وتعالى : تريدون شيئًا أَزِيدُكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيِّضْ وجوهنا ؟ ألم تُدخلنا الجنةَ وَتُنَجِّنا من النار ؟ » قال : « فَيَكْشِفُ الحجابَ ، فما أُعْطُوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِّهم تبارك وتعالى » زاد في رواية : ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ ﴾[1] .

١٣٨٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ أن الناس قالوا : يا رسولَ الله هل نَرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « هل تضارون في القمر ليلة البدر » ؟

١٣٨٣ ـ مسلم (١ / ١٦٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٠ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه .
والترمذي (٤ / ٦٨٧) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٦ ـ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(١) يونس : ٢٦ .

١٣٨٤ ـ البخاري (١٣ / ٤١٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ... ﴾ .
مسلم (١ / ١٦٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨١ ـ باب معرفة طريق الرؤية . وهو جزء من حديث طويل .

قالوا : لا يـا رسولَ الله ، قـال : « فهل تضـارُّون في الشمس ليسَ دونهـا سحـاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله النـاسَ يومَ القيـامـة ، فيقول من كان يعبـد شيئًـا فليتبعـه فيتبع من كان يعبـد الشمسَ الشمسَ ، ويتَّبعُ من كان يعبـد القمرَ القمرَ ، ويتبع من كان يعبـدُ الطواغيتَ الطواغيتَ ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ، أو مُنافِقُوهـا ، ـ شـكٌّ إبراهيم ـ فيـأتيهم اللهُ فيقول : أنـا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عَرَفْناه ، فيأتيهم اللهُ في صورتـه التي يعرفـون ، فيقـول : أنـا ربكم ، فيقـولـون أنت ربُّنـا فيتَّبعـونـه ، ويَضربُ الصرَاط بين ظَهْري جهنمَ ، فـأكـون أنـا وأُمتي أولَ مَن يُجيزُهـا ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسُلُ ودعوى الرسل يومئذ : اللهمَّ سلِّم سلِّم ... » .

أقول :

فالرؤيه للمؤمنين ثابتة وكذلك هي في بعض مواقف يوم القيـامـة ، وهي ثـابتـة لبعض المؤمنين في البرزخ ، فقـد ورد في حـديث صحيح أنَّ الله عز وجل كلم والـد جـابر بعـد أن استشهد كفاحًا أي ليس من وراء حجاب .

قال الخطابي عن رؤية الله عز وجل في مواقف القيامة :

وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنـة لكرامـة أوليـاء الله وإنما هذه للامتحان والله أعلم .

١٣٨٥ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي سعيـد الخُـدريّ رضي الله عنـه قـال : قلنـا : يـا رسول الله هل نرى ربنـا يـوم القيـامـة ؟ قـال : « هـل تضـارون في رؤيـة الشمس والقَمر إذا كانت صَحوًا ؟ » قلنـا : لا ، قـال : « فـإنكم لا تضـارون في رؤيـة ربِّكم يوْمئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » ، ثم قال : « ينادي منادٍ ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانـوا يعبـدون فيـذهب أصحـابُ الصَّليب مـع صليبهم ، وأصحـاب الأوثـان مـع

١٣٨٥ ـ البخاري (١٣ / ٤٢٠) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٤ ـ باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ .

مسلم : (١ / ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٠ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه .

وهو جزء من حديث طويل .

أوثـانهم وأصحـاب كلّ آلهـةٍ مـع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبـدُ الله مِن برٍّ أو فـاجرٍ وغُبرَاتٌ من أهـل الكتـاب ، ثُمَّ يـؤُتى بجَهَنَّم تعرضُ كأنها سَرابٌ ، فيقـال لليهود : ما كنتم تعبدُون ؟ قالوا : كنّـا نعبـدُ عُزَيرًا ابن اللهِ ، فيقـال : كـذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينَا ، فيقـال : اشربوا فيتسـاقطون في جهنمَ ، ثم يقـال للنصـارى : مـا كنتم تعبـدون ؟ فيقولون : كنـا نعبد المسيح ابن اللهِ ، فيقال كـذبتم لم يكن للهِ صـاحبـةٌ ولا ولـدٌ ، فما تريـدون فيقولون نريد أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبـد الله من بر أو فـاجرٍ ، فيقـال لهم : مـا يحبسكم وقـد ذهب النـاسُ ؟ فيقـولـون : فارقناهم ونحن أحْوجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا منـاديـًا ينـادي : ليلحق كلٌّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنَا » . قال : « فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورتـه التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقولُ : أنا ربكم ، فيقولون : أنت رَبُّنا ، فلا يكلمـه إلا الأنبياء ، فيقول : هل بينكم وبينَـهُ آيـة تعرفونَـه ؟ فيقولون : السَّـاق . فيكشفُ عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهرُه طَبقًا واحدًا ... » .

٧ - في ذبح الموت

١٣٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يؤتى بالموتِ كهيئة كَبْش أملحَ ، فينادي مناد : يا أهل الجنةِ ، فَيَشرئبُّون ويَنظرون ، فيقول لهم : هل تَعرِفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموتُ ، وكلُّهم قد رآه ، ثم ينادي مُنادٍ : يا أهلَ النارِ ، فيشرئبون وينظرون ، فيقول لهم : هل تَعرِفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه ، فَيُذبَحُ بين الجنة والنار ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موتَ ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موتَ » ، ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلةٍ وَهم لا يؤمنون ﴾ [(١)] وأشار بيده إلى الدنيا .

وأخرجه [(٢)] الترمذي قال : « إذا كان يومَ القيامة أُتِيَ بالموت كالكبْش الأمْلَح ، فيوقفُ بين الجنة والنار ، فَيُذبح وهم ينظرون ، فلو أنَّ أحدًا مات فَرَحًا لمات أهلُ الجنة ، ولو أن أحدًا مات حَزَنًا لمات أهل النار » .

١٣٨٧ - * روى البخاري، ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ ، وأهلُ النارِ إلى النارِ : جيء بالموتِ ، حتى يُجعَلَ بين الجنةِ والنارِ ، فيذبحَ ، ثم يُنَادي منادٍ : يا أهلَ الجنةِ لا موتَ ، يا أهلَ النارِ لا موت ، فيزدادُ أهلُ الجنة فَرَحا إلى فرحهم ، وأهلُ النارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهم » .

١٣٨٦ - البخاري (٨ / ٤٢٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٨٨) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون .

(١) مريم : ٣٩ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣١٥) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٢٠ - باب « ومن سورة مريم » .

وقال : حديث حسن صحيح .

(كبش أملح) الأملح : المختلط البياض والسواد .

(فيشرئبون) اشرأب إلى الشيء : إذا تطلع ينظر إليه ، ومالت نحوه نفسه .

١٣٨٧ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٨٩) ٥١ - كتاب الجنة ، ١٣ - باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ . =

1425

وفي رواية (1) : أن النبيَّ ﷺ قال : « يُـدْخِل اللهُ أهلَ الجنـةِ الجنـة ، وأهلَ النـارِ النـارَ ، ثم يقوم مؤذِّن بينهم ، فيقول : يـا أهل الجنـة لا موتَ ، ويـا أهلَ النـار لا موت ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه » .

(1) مسلم : الموضع السابق .

٨ ـ في متفرقات

في الجنة والنار وبعض صفات أهلهما

وبعض ما يحصل لأهل كل منهما

١٣٨٨ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رَسولُ الله ﷺ : « آتي بابَ الجنة يومَ القيامة فأَستَفْتِحُ ، فيقولُ الخازنُ : من أنتَ ؟ فأقول : محمدٌ ، فيقولُ : بك أُمِرْتُ أن لا أَفْتَحَ لأحدٍ قَبْلَكَ » .

١٣٨٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله عَز وجل يقولُ لأهلِ الجنةِ : يا أهلَ الجنة ، فيقولون : لَبَّيكَ ربَّنا وسَعدَيك ، والخيرُ في يديك ، فيقولُ : هل رَضِيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يا ربَّنا وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا مِنْ خَلقكَ ؟ فيقول : ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلك ؟ فيقولون : وأيُّ شيء أفضلُ ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني ، فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا » .

١٣٩٠ ـ * روى أبو يعلى عن أنس بن مالك قال : قالَ رسولُ الله ﷺ « سألت ربي اللاهينَ من ذُرية البشر أن لا يُعَذِّبهم فأعطانيهم » .

١٣٩١ ـ * روى أحمد عن مُطَرِّف قالَ : قالَ لي عِمرانُ : إني لأُحَدِّثُك بالحديثِ اليومَ

١٣٨٨ ـ مسلم (١ / ١٨٨) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨٥ ـ باب في قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع ... » .

١٣٨٩ ـ البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار .

مسلم (٤ / ٢١٧٦) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ٢ ـ باب إحلال الرضوان .

والترمذي (٤ / ٦٨٩) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ١٨ ـ باب حدثنا سويد بن نصر . وقال حديث حسن صحيح .

١٣٩٠ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) .

وقال : رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة ، ولفظها : سألت الله اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم .

(اللاهين) : قيل هم البُلْه الغافلون وقيل الذين لم يتعمدوا الذنوب وإنما فرط منهم سهوًا ونسيانًا وقيل هم الذين لم يقترفوا ذنبًا .

١٣٩١ ـ أحمد (٤ / ٤٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٩٥) وقال : رواه أحمد موقوفًا وهو شبه المرفوع ، ورجاله رجال الصحيح .

لعل اللهَ يَنْفَعَكَ به بعدَ اليوم : اعلمْ أن خِيارَ عبادِ الله يومَ القيامة الحمَّادون .

١٣٩٢ - * روى مسلم عن أبي التَّيَّاح قال : كان لمُطَرِّف بن عبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ امرأتان ، فخرجَ من عندِ إحْدَاهُما ، فلما رَجَعَ قالتْ له : أتيتَ من عندِ فلانة ؟ قال : أتيتُ من عندِ عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ ، فحدَّثنا : أنَّ رسول الله ﷺ قال « إن أَقَلَّ ساكني الجنة النساءُ » .

١٣٩٣ - * روى أحمد عن أبي بكرٍ الصديق عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا يدخلُ الجنةَ بخيلٌ ولا خَبٌّ ولا خَائِنٌ ولا سَيِّئُ المَلَكَةِ ، وأوّلُ من يَقْرَعُ بابَ الجنةِ المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين اللهِ عز وجل ، وفيما بينهم وبين مواليهم » .

١٣٩٤ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « عُرِضَ عَلَيَّ أولُ ثلاثةٍ يَدْخُلون الجنةَ : شهيدٌ ، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ، وعبدٌ أحسَنَ عبادةَ الله ونَصَح لمواليه » .

١٣٩٥ - * روى البخاري عن طريفٍ أبي تميمة قال : شهدتُ صفوانَ وجُندبا وأصحابَهُ وهو يوصيهم فقالوا : هل سمعتَ من رسولِ الله ﷺ شيئًا ؟ قال : سمعتُه يقول : « من سمَّع سمَّع اللهُ به يومَ القيامة » ، قال : « ومن شاقَّ شقَّق اللهُ عليه يومَ القيامة » فقالوا : أوصنا ، فقال : « إنَّ أولَ ما ينتنُ من الإنسان بَطنه ، فمن استطاع أن لا يأكلَ إلا طيِّبًا فليفعل ، ومن استطاع أن لا يُحالَ بينه وبين الجنَّة بملءِ كفٍّ

١٣٩٢ - مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٦ - باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

١٣٩٣ - أحمد (١/ ٤) .

والترمذي (٤ / ٣٤٣) ٢٨ - كتاب البر والصلة ، ٤١ - باب ما جاء في البخيل .

وقال : هذا حديث حسن غريب .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤١١) وقال : قلت رواه الترمذي وابن ماجه باختصار - رواه أحمد وأبو يعلى وقد حسنه الترمذي بهذا الإسناد .

(الخَبّ) : الخدّاع .

(سيئ الملكة) : أي سيئ المعاملة لمملوكيه .

١٣٩٤ - الترمذي (٤ / ١٧٦) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ١٣ - باب ما جاء في ثواب الشهداء .

قال محقق الجامع : ورواه أيضًا أحمد في المسند والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

١٣٩٥ - البخاري (١٣ / ١٢٨) ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٩ - باب من شاقّ شقّ الله عليه .

من دم هراقِه فليَفعلْ » . قلتُ [أي راوي كتاب البخاري] لأبي عبد الله : من يقولُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ ، جندَب ؟ قال : نَعم جندب .

مما قاله ابن حجر في شرحه : (قوله : « من شاق شقَق الله عليه » : من أدخل على الناس المشقة أدخل الله عليه المشقة فهو من : الجزاء من جنس العمل . قوله : « من سمَّع سمَّع الله به » : من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه ، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ... وقيل من شهّر بغيره ... فيكون أيضًا من : الجزاء من جنس العمل ، والمراد في الحديث النهي عن القول القبيح في المؤمنين وكشف مساويهم وعيوبهم وترك مخالفة سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم والنهي عن إدخال المشقة عليهم والإضرار بهم وكانت وصية صفوان هذه لمجموعة من الخوارج) .

وزِيدَ في رواية : قال : فبكى القوم فقال جندب : لم أر كاليوم قط قومًا أحق بالنجاة من هؤلاء إن كانوا صادقين ـ ولقد صدقت فراسته لذا قال : إن كانوا صادقين فإنهم لما خرجوا بذلوا السيف في المسلمين وقتلوا الرجال والأطفال وعظم البلاء بهم .

وفي رواية (١) : عن جندب بن عبدِ الله قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « من استطاعَ أن لا يحولَ بينه وبين الجنةِ مِلءُ كَفٍّ من دَمٍ يُهْرِيقُه كأنما يَذبحُ دجاجةً كلما يَعرِضُ لباب من أبواب الجنة حال بينه وبينه ، ومن استطاع منكم أن لا يجعلَ في بطنه إلا طيبًا فإنَّ أولَ ما ينتنُ من الإنسانِ بَطْنُه » .

١٣٩٦ ـ * روى أحمد عن أبي هريرةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « سألتُ ربي عز وجل فوعدني أنْ يَدخُلَ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا على صورة القمر ليلةَ البدر ، فاسْتَزَدْتُه فزادَني مع كل ألفٍ سبعين ألفًا ، فقلتُ : أي ربِّ إن لم يكن هؤلاء

(١) المعجم الكبير (٢ / ١٦٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٩٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٩٦ ـ أحمد (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

مُهاجِرَ أُمتي ِقال إذًا أُكْمِلُهم لكَ من الأعراب » .

١٣٩٧ ـ * روى أحمد عن معاويةَ بنِ حَيدة أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرُها وأكرمُها على الله عز وجل » .

١٣٩٨ ـ * روى أحمد عن حُذيفةَ قال : غابَ عنا رسولُ الله فلم يَخْرُجْ حتى ظننا أنه لن يَخْرُجَ ، فلما خرجَ سجد سجدةً حتى ظننا أن نفسه قد قُبِضَتْ فيها ، فلما رفع رأسَه قال : « إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا أفعلُ بهم ؟ قلت : ما شئتَ ربي هم خَلْقُكَ وعبادُكَ . فاستشارني الثانية ، فقلتُ له : كذلك ، فقالَ لا نخزيكَ في أمتك يا محمدُ ، وأخبرني أن أولَ من يدْخُلُ الجنةَ من أمتي سبعون ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا ليس عليهم حسابٌ ، ثم أرسل إليَّ ، فقال ادعُ تُجَبْ وسَلْ تُعطَه ، فقلتَ لرسوله : أو مُعطيَّ ربي عز وجلَ سؤلي ؟ قال : ما أرسلني إليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر ، وغَفَرَلي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيّا صحيحًا وأعطاني أن لا تجوعَ أمتي ولا تُغْلَبَ ، وأعطاني الكوثَرَ من الجنةِ يَسيلُ في حوضي ، وأعطاني العِزَّ والنَّصْرَ والرعْبَ يسير بين يدي ولأمتي شهرًا ، وأعطاني أني أولُ الأنبياء أدخُلُ الجنةَ وطَيَّبَ لي ولأمتي الغنيمةَ وأحلَّ لنا كثيرًا مما شَدَّدَ على مَنْ قَبْلَنا ولم يَجْعَل علينا من حَرَج » .

١٣٩٩ ـ * روى أحمد عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إن اللهَ عز وجل وعَدَني أن يُدْخِلَ الجنةَ من أمتي أربَعَمائةَ ألف » فقال أبو بكر زدنا يا رسولَ الله ، قال : « وهكذا »وجمع كفيه فذكر نحوه .

١٤٠٠ ـ * روى أحمد عن أنس أن النبي ﷺ قال : « وَعَدَني ربي عز وجل أن

١٣٩٧ ـ أحمد (٥ / ٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

١٣٩٨ ـ أحمد (٥ / ٣٩٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٨٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

١٣٩٩ ـ أحمد (٣ / ١٦٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٠ ـ أحمد (٣ / ١٩٣) .

=

يَدخل الجنةَ من أمتي مائةَ ألفٍ » فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه : زدْنا يا رسول الله ، قال : « وهكذا » وأشار بيده ، قال : يا نبي الله زدنا قال « وهكذا » قال عمر : قطكَ يا أبا بكر قال : مالنا ولكَ يا ابنَ الخطاب . قال عمر : إن الله إن شاءَ يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ كلَّهم بحَفْنةٍ . قال النبي ﷺ : « صَدَّقَ اللهُ عُمرَ » .

١٤٠١ ـ * روى أحمد عن ابنِ مسعودٍ قال : قال لنا رسولُ الله ﷺ « كيف أنتم ورُبُعُ أهلِ الجنةِ ، لكم رُبُعُها ولسائرِ الناسِ ثلاثةُ أرباعها » ، فقلنا : اللهُ ورسولُه أعلمَ . قال : « فكيف أنتم وثُلُثُها » قالوا : فذاك أكثرُ . فقال رسول الله ﷺ : « أهلُ الجنةِ يومَ القيامة عشرون ومائةُ صف أنتم منها ثمانون صفًّا » .

١٤٠٢ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسولِ الله ﷺ أنه قال : « هل تَدرُون أولَ من يَدخُلُ الجنة مِنْ خَلْقِ الله عز وجل ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُه أعلَمُ . قالَ : « الفقراءُ المهاجِرون الذين تُسَدُّ بهم الثغُور ، وتُتَّقى بهم المكارهُ ، ويموتُ أحدهم وحاجتُهُ في صدره لا يستطيع لها قضاءً ، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم . فتقولُ الملائكة : نحن سُكّانُ سمائك وخيرتُك من خَلْقك أفتأمُرُنا أن نأتيَ هؤلاء فَنُسلم عليهم » قال : « إنهم كانوا عبادًا يَعْبدُوني لا يُشْرِكون بي شيئًا ، وتُسَدُّ بهم الثغورُ ، وتُتَّقى بهم المكارهُ ، ويموتُ أحدُهُم وحاجتُهُ في صدره لا يستطيعُ لها قضاءً . قالَ : « فتأتيهم الملائكة عند

= مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٤) وقال رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(قطكَ) : حسبك .

١٤٠١ ـ أحمد (١ / ٤٥٣) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٢٠٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٣) وقال : قلت : هو في الصحيح باختصار رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق .

وفي التقريب : صدوق يخطئ .

١٤٠٢ ـ أحمد (٢ / ١٦٨) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٥٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٩) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

ذلك فيدْخُلون عليهم من كل بابٍ ﴿ سلامٌ عليكم بما صَبَرتم فَنِعْمَ عُقبى الدار ﴾ [1] » .

١٤٠٣ ـ * روى أحمد عن عبدِ الله بن عمرو قالَ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : « إن أولَ ثُلَّةٍ تدخُلُ الفقراءُ المهاجرون الذين تُتَّقى بهم المَكارهُ ، وإذا أُمِروا سَمِعوا وأطاعوا ، وإذا كانتْ لرجلٍ منهم حاجةٌ إلى السلطان لم تقضَ حتى يموتَ وهي في صدرِهِ ، واللهُ عز وجل يدعو يومَ القيامة الجنة فتأتي بزخرُفِها وزينَتِها ، فيقولُ : إن عبادِي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتِلوا وأُوذوا في سبيلي وجاهدوا ادْخُلوا الجنةَ فيدْخُلُونها بغيرِ حسابٍ » .

١٤٠٤ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله بن عُمَرَ قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « تَدْخُلُ فقراءُ أمتي الجنةَ قبلَ أغنيائهم بأربعينَ خريفًا » ، فقيل : صِفْهم لنا . فقال : « الدَّنِسة ثيابُهم ، الشَّعِثَةُ رؤوسُهم ، الذين لا يؤذَنُ لهم على السُّدَّاتِ ، ولا ينْكِحون المتنعماتِ ، تُوكَلُ بهم مَشارقُ الأرض ومَغاربُها ، يُعطُونَ كلَّ الذي عليهم ولا يُعْطَوْن كلَّ الذي لهم » .

١٤٠٥ ـ * روى أحمد عن أبي سعيدٍ الخُدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين في الله لتُرى غرَفُهم فِي الجنةِ كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فَيقالُ : مَنْ هؤلاء ؟ فَيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » .

---

(١) الرعد : ٢٤ .

١٤٠٣ ـ أحمد (٢ / ١٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٩) وقال : رواه أحمد والطبراني وزاد فيه : « ادخلوا الجنة بلا عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبّحُكَ الليلَ والنهار ونقدسُ لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتَهم علينا ؟ فيقولَ اللهُ جلَّ ذكرهُ : عبادي الذين قاتلوا في سبيلي فأوذوا في سبيلي ، فتدخُلُ عليهم الملائكةُ من كل بابٍ سلامٌ عليكم بما صَبَرتُم فنعم عقبى الدار » ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عُشّانة وهو ثقة .

(ثُلّة) : الجماعة من الناس .

١٤٠٤ ـ المعجم الكبير : (١٢ / ٣١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله ثقات .

(السُّدّات) : جمع سُدة بالضم : باب الدار .

١٤٠٥ ـ أحمد (٣ / ٨٧) .

مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٧٤) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٠٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة رفعه : « يدخل الجنةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدة الطير » .

قال النووي : (قيل مثلها في رقتها وضعفها كالحديث الآخر أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة وقيل في الخوف والهيبة ، والطير أكثر الحيوان خوفًا وفزعًا كما قال الله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعاتٍ من السلف في شدة خوفهم ، وقيل المراد متوكلون) اهـ (شرح النووي على مسلم) .

١٤٠٧ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسُولُ الله ﷺ : « ألا أُخبرُكم بمن يَحرُم على النار ، وبمن تَحرُم عليه النار ؟ على كلِّ قريبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » .

١٤٠٨ - * روى البزار عن ابنِ عباسٍ أن النبي ﷺ سُئِلَ مَنْ في الجنةِ ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيدُ في الجنة والمولودُ في الجنة ، والموءودةُ في الجنة » .

١٣٠٩ - * روى أحمد عن أبي أمامَة قالَ : استَضْحكَ رسولَ الله ﷺ يومًا ، فقيلَ له : يا رسولَ الله ما يُضْحِكُكَ ؟ قال : « قَوْمٌ يُساقون إلى الجنةِ مقرنين في السَّلاسِلِ » .

أقول : المراد بهؤلاء والله أعلم الأسرى الذين يسلمون بعد أسرهم .

١٤١٠ - * روى الطبراني عن شريكِ بنِ طَرِيفٍ قال : قالَ : رسولَ الله ﷺ : « لن

١٤٠٦ - مسلم (٤ / ٢١٨٣) ٥١ - كتاب الجنة ، ١١ - باب يدخل الجنة أقوام ... إلخ .

١٤٠٧ - الترمذي (٤ / ٦٥٤) ٣٨ - كتاب القيامة ، ٤٥ - باب حدثنا هنَّاد .

وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

١٤٠٨ - كشف الأستار (٣ / ٣٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢١٩) وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن معاوية بن مالج ، وهو ثقة .

وفي التقريب : صدوق ربما وهم .

١٤٠٩ - أحمد (٥ / ٢٥٦) .

ومجمع الزوائد (٥ / ٣٣٣) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد إسناديْ أحمد رجاله رجال الصحيح .

١٤١٠ - المعجم الكبير (٧ / ٣٠٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٧) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح .

يَدْخُلَ الجنةَ أحَدٌ منك بعملٍ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يَتَغمَّدني اللهُ برحمةٍ منه وفضلٍ » .

١٤١١ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يَدْخُلَ الجنةَ أحدٌ إلا برحمة الله » قالوا : ولا أنت ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله » وقال بيده فوق رأسه .

١٤١٢ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يَتحدَّثُ - وعنده رَجُلٌ من أهل البادية - « أنَّ رَجلا استأذَنَ ربَّه في الزرع ، فقال : ألستَ فيما شئتَ ؟ يقول : بلى ، ولكن أُحبُّ ذلك ، فيؤذَنُ له ، فيبْذُرُ ، فَيبادِرُ الطرْفَ نباتُه واستحصادُه ، وتكويرُه أمثالَ الجبَال ، فيقولُ الرب سبحانه : دونَكَ يا ابنَ آدم ، فإنه لا يشبعُكَ شيء » فقال الأعرابيُّ : إنكَ لَنْ تجدَه إلا قرشيًّا أو أنصاريًا ، فإنهم أصحابُ زرعٍ ، فأما نحن : فَلَسْنَا بأصحابِ زرعٍ ، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَت نواجِذُه .

١٤١٣ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ المؤمنَ إذا اشتهى الولدَ في الجنة ، كان حمْلُهُ ووضعُهُ وسِنُّهُ في ساعةٍ واحدة كما يشتهي » .

١٤١٤ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « صِنفَان من أهل النار ، لم أرهما : قومٌ معهم سِياطٌ كأذناب البقر ، يَضرِبون بها

١٤١١ - أحمد (٣ / ٥٢) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٦) وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .
١٤١٢ - البخاري (١٣ / ٤٨٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٨ - باب كلام الرب مع أهل الجنة .
١٤١٣ - الترمذي (٤ / ٦٩٥) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢٣ - باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة .
وقال : هذا حديث حسن غريب .
وأحمد (٣ / ٩) .
وابن ماجه (٢ / ١٤٥٢) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٩ - باب صفة الجنة .
والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٧) .
والدارمي (٢ / ٣٣٧) كتاب الرقاق ، باب في ولد أهل الجنة .
وقال محقق الجامع : إسناده حسن .
١٤١٤ - مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٣٤ - باب النساء الكاسيات العاريات . =

الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ ، مُميلات مائلات ، رؤوسهن كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخُلنَ الجنة ، ولا يجدْن رِيحَها وإنَّ ريحها لَتُوجَدُمِنْ مَسِيرةِكَذا وكَذا » .

١٤١٥ - * روى أحمد عن عُمارة بن خُزَيمة قال : بينما نحن عند عمرو بن العاص في حجٍّ أو عُمرةٍ قال : بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ في هذا الشِّعْب : إذ قال : « انظروا هل ترون شيئًا » فقلنا نَرىَ غِرْبانًا منها غُرابٌ أعصَمُ أحمرُ المِنْقَارِ والرِّجْلين . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخُلُ الجنَّة من النساء إلا من كان منهن مثلَ هذا الغراب في الغِرْبان » .

أقول : المؤمنات من النساء كثيرات بفضل الله تعالى ، ومآلهن الجنة ، ولكن قسمًا كبيرًا منهن يدخلن النار بما يفعلنه من موجبات دخول النار ، ثم يكون المآل إلى الجنة بفضل الله تعالى ، فالنص يتحدث عن مرحلة متقدمة بالنسبة للجنة .

١٤١٦ - * روى أحمد عن عبدِ الرحمنِ بن شِبْلٍ قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إن الفُسّاقَ أهلُ النار » ، قالوا يارسول الله : ومن الفُسّاقَ ؟ قال : « النساء » قال رجل : يا رسولَ الله أو لسن أمهاتنا ونساؤنا وأزواجُنا وبناتُنا ؟ قال : « بلى ! ولكنهن إذا أعطين لم يَشْكُرْنَ وإذا ابتلين لم يصبرْنَ » .

١٤١٧ - * روى البخاري ومسلم عن أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنه قال : قال النبيُّ

=

(كاسيات عاريات) : أي يكشفْن بعضَ أجسامِهنّ وقيل : هو أن يَلْبسنَ ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها ، فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مميلات) : مائلات ، أي : زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج ، ومميلات : يعلّمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أي : متبخترات في مشيهن ، مميلات ، أي : يُمِلْنَ أعطافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

(رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ) : البخت : جِمالٌ طِوالُ الأعناقِ .

١٤١٥ - أحمد (٤ / ١٩٧) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٦) وقال : وفي رواية كنا مع عمرو بن العاص في حجٍّ أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران إذا امرأة في هودجها فذكر نحوه . رواه أحمد ورجاله ثقات .

(الظهران) : موضع بالقرب من مكة

١٤١٦ - أحمد (٣ / ٤٢٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٤) وقال : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي راشد الحبراني ،وهو ثقة .

١٤١٧ - البخاري (١١ / ٤١٥) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٥١ - باب صفة الجنة والنار .

=

ﷺ : « قُمتُ على بابِ الجنةِ ، فكان عامَّةَ من دَخَلها المساكينَ ، وأصحابُ الجَدِّ مَحْبُوسون ، غيرَ أن أصحابَ النارِ قد أُمِرَ بهم إلى النار ، وقمتُ على باب النار ، فإذا عامَّةَ من دَخَلها النساء » .

١٤١٨ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عباس قال قالَ رسولُ الله ﷺ : « اطَّلَعْتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراءَ ، واطلعت في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء » .

١٤١٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن حارثة بن وهبٍ رضي الله عنه سمعَ رسولَ الله ﷺ : يقول « ألا أخبِرُكم بأهل الجنة ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعِّف ، لو أقسمَ على الله لأبَرَّهُ ، ألا أُخبِرُكم بأهل النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكبِرٍ » .

ولمسلم [١] في رواية : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ » قالوا : بلى ... وذكره ، وكذلك في أهل النار ، قالوا : بلى . وله في أخرى [٢] مثله ، وقال في ذكر أهل النار : « كلُّ جواظٍ زَنيم متكبِّرٍ » .

١٤٢٠ ـ * روى مسلم عن عِياض بن حِمَاد المُجَاشِعي رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قالَ ذاتَ يوم في خُطبته : « ألا إن رَبِّي أمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلْتُم مما علمني يومي هذا ، كُلّ مال نَحَلْتُه عبدًا حلالٌ ، وإني خَلَقْتُ عِبَادي حنفاءَ كلَّهم ، وإنهم أَتَتْهُمْ

= مسلم (٤ / ٢٠٩٦) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ٢٦ ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

الجَدُّ : الحَظُّ والسَّعادة .

١٤١٨ ـ أحمد (١ / ٢٣٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٦١) وقال : رواه أحمد ، وإسناده جيد .

١٤١٩ ـ البخاري (٨ / ٦٦٣) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٩٠) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون .

والترمذي (٤ / ٧١٧) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١٣ ـ باب حدثنا محمود .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(عتل) : العُتُلّ : الغليظ الجافي الذي لا ينقاد إلى الخير .

(جوّاظ) : الغليظ الفظّ .

(زنيم) : الزَّنيم : الدَّعِيُّ الملصَق بالقوم وليس منهم ، وقيل : هو اللئيم .

١٤٢٠ ـ مسلم (٤ / ٢١٩٧) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٦ ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

الشياطين فاجتالَتْهم عن دِينهم ، وحَرّمَتْ عليهم ما أحللتَ لهم ، وأَمَرَتْهُم أن يُشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطانًا ، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض ، فمقَتَهم ، عَربهُم وعَجَمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بَعَثْتُك لأَبْتليَكَ وأَبْتليَ بكَ ، وأنزلتُ عليك كِتابًا لاَ يَغْسِلهُ الماءُ ، تقرؤه نائمًا ويقظانَ ، وإن الله أمرني أن أُحَرِّقَ قريشاً ، فقلت : ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسي ، فيَدَعُوهُ خُبْزَةً ، قال : استَخْرِجْهم كما أخرجوك ، واغزُهم نُغزِكَ ، وأنفِقْ فَسَنُنفقُ عليك ، وابعثْ جيشًا نبعثْ خمسةً مثله ، وقاتلْ بمن أَطاعَك ، قال : وأهلُ الجنة ثلاثةٌ : ذو سلطان مُقسطٌ مُتَصدِّقٌ مُوفَّقٌ ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قُربى ومسلم ، وعفيفٌ مُتَعَفِّف ذو عيال . وأهلُ النار خمسةٌ : الضعيف الذي لا زَبْرَ له ، الذين هم فيكم تبعًا لا يَتبَعون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يَخفى له طمعٌ وإن دَقَّ إلا خانَهُ ، ورجلٌ لا يصبح ولا يُمسي إلا وهو يُخادِعُك عن أهلك ومالك » وذكر البخل أو الكذب « والشِّنْظِير الفَحَّاش » .

زاد في [1] رواية : « وإن الله أوحى إليَّ : أن تَواضَعوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ ، ولا يبغي أحدٌ على أحد » .

وقال في حديثه : « وهم فيكم تبعًا ، لا يبغون أهلا ولا مالا » فقلتُ : فيكون ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتُهم في الجاهلية ، وإن الرجل ليرعى على الحي مابه إلا وليدتُهم يَطَؤها .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٨) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٦ ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ... إلخ .

(اجتالتهم الشياطين) : أي : استخفّتهم ، فجالوا معهم ، ويقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى : اجتالتهم الشياطين ، أي : جالوا معهم في الضلالة .

(أمرني أن أُحَرِّقَ قريشاً) : كناية عن القتل ، ومثله في ذكر قتال أهل الرِّدَّةِ ، فلم يزل يحرق أعضاءهم حتى أدخلهم من الباب الذي خرجوا منه ،ومنه حديث المواقع في رمضان : « احترقتُ » أي : هلكتُ .

(الثَّلغ) : الشَّدخ ، وقيل : هو فَضْخُكَ الشيء الرطب بالشيء اليابس .

(لا زَبْرَ له) : أي : لا عقل له ، ولا تماسك ، وهو في الأصل مصدر .

(الشنْظِير) : من الأ[illegible] [illegible]سيئ الخُلق ، والفحّاش : المبالغ في الفحش .

١٤٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « حُجِبَت النارُ بالشهوات ، وحُجِبَتِ الجنةُ بالمكاره » .

١٤٢٢ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الجنةُ أقربُ إلى أحدِكم من شراكِ نَعْلِه ، والنارُ مثلُ ذلك » .

١٤٢٣ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال : رسولُ الله ﷺ : « حُفَّت الجَنَّةُ بالمكارِه ، وحُفَّتِ النار بالشهوات » .

١٤٢٤ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ الله الجنةَ ، قالَ لجبريلَ : اذهب فانظرْ إليها ، فذهبَ فنظر إليها ، فقال : وعِزَّتِك لا يسمع بها أحدٌ إلا دَخَلها . فَحَفَّها بالمكاره ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها ثم جاء فقال : وعزَّتِك لقد خَشيتُ أن لا يدْخُلها أَحَدٌ » قال : « ولما خلقَ اللهُ النارَ ، قال لجبريلَ : اذهبْ فانظر إليها ، فذهبَ فنظرَ إليها ، ثم جاءَ فقال : وعِزّتِك لا يَسمَعُ بها أحد فيدخُلها ، فَحَفَّهَا بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع ، قال : وعزتِّك لقد خشيتُ أن لايبقى أحدٌ إلا دَخَلها » .

وزاد النسائي (١) في ذكر الجنة بعد قوله : « قال لجبريل : اذهب إليها » : « وإلى

١٤٢١ - البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٨ - باب حجبت النار بالشهوات .
مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الثاني .
وله « حُفَّتْ » بدل « حُجِبَتْ » .
١٤٢٢ - البخاري (١١ / ٣٢١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٢٩ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم ..إلخ .
١٤٢٣ - مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ - كتاب الجنة ، الحديث الأول .
والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .
وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح .
١٤٢٤ - أبو داود (٤ / ٢٣٦) كتاب السنة ، باب في خلق الجنة والنار .
والترمذي (٤ / ٦٩٣) ٣٩ - كتاب صفة الجنة ، ٢١ - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره .
وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .
(١) النسائي (٧ / ٣) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٢ - باب الحلف بعزة الله تعالى .
والإحسان بترتيب ابن حبان (٩ / ٢٤٣) .
والمستدرك (١ / ٢٧) .

ما أعددتُ لأهلها فيها » وكذلك زاد في ذكْر النار مثله .

١٤٢٥ - * روى مسلم عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « يَخرُجُ من النار أربعةٌ ، فيُعْرضون على اللهِ عز وجل ، فيلتَفتُ أحدهُم فيقول : أي ربِّ ، إذْ أخرجتني منها فلا تُعِدْني فيها ، فينجيه اللهُ مِنها » .

١٤٢٦ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ قالَ : قال رسول ﷺ : « كلُّ أهلِ النار يَرى مَقْعَدهُ مِنَ الجنةِ فيقولُ : لو أن الله هداني فتكونَ عليه حَسْرَةً » قال : « وكلّ أهلِ الجنة يرى مَقْعَدهُ من النار فيقولُ : لولا أن الله هداني فيكونَ له شكرًا » .

وفي رواية (١) : « لا يدخُلُ أحدٌ النارَ إلا رأى مقعدهُ من الجنةِ لو أحسنَ ليكونَ عليه حسرةً ، ولا يدخُلُ أحدٌ الجنة إلا رأى مقْعَدهُ من النار لو أساء ليزدادَ شكرًا » .

١٤٢٧ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُؤتَى بأنعم أهلِ الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فَيُصبَغُ في النَار صَبغَةً ، ثم يقال : يا ابنَ آدمَ ، هل رأيت خيرًا قطُّ ؟ هل مَرَّ بك من نعيم قَطُّ ؟ فيقولُ : لا والله ياربِّ ، ويؤتَى بأشدِّ الناس بؤسًا من أهلِ الجنة ، فَيُصبَغُ صَبغَةً في الجنة ، فيقَال له : يا ابنَ آدمَ ، هل رأيتَ بؤسًا قط ؟ هل مَرَّ بك مِنْ شِدَّةٍ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله ياربِّ ، مامرَّ بي بُؤس قَطُّ ، ولا رأيتُ شِدَّةً قَطُّ » .

١٤٢٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تَحاجَّتِ الجنةُ والنار ، فقالت النارُ : أُوثِرْتُ بالمتكَبِّرين والمتجبرين ،

١٤٢٥ - مسلم (١ / ١٨٠)١ - كتاب الإيمان ، ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة .

١٤٢٦ - أحمد (٢ / ٥١٢) .

(١) أحمد (٢ / ٥٤١) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٩) وقال : رواه كله أحمد ، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح .

١٤٢٧ - مسلم (٤ / ٢١٦٢)٥٠ - كتاب صفات المنافقين ، ١٢ - باب صبغ أنعم أهل الدنيا ... إلخ .

(فيُصبَغ) : أي : يُغمس في النار أو الجنة غمسة ، كأنه يدخل إليها إدخالةً واحدة .

١٤٢٨ - البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ .

وقالت الجنةُ : فمالي لا يدخُلُني إلا ضُعفاءُ الناس وسَقَطُهُم ؟ » .

زاد في رواية [١] : « وغِرَّتُهُم فقال الله عز وجل للجنة : أنت رَحْمَتي ، أَرْحَمُ بك مَن أشاءُ منْ عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أُعذِّبُ بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدةٍ منهما ملؤُها ، فأما النارُ : فلا تمتلئُ حتى يضَع رجلَه » .

وفي رواية [٢] : « حتى يضعَ اللهُ تبارك وتعالى رِجْلَهُ فتقول : قطْ قَط قَطْ ، فَهنالكَ تمتلئُ ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض ، ولا يظلمُ الله منْ خَلْقِه أحدًا ، وأما الجنةُ فإن الله يُنشئ لها خَلْقًا » .

وللبخاري [٣] قال : « اختَصَمَتِ الجنةُ والنار إلى ربِّهما ، فقالت الجنةُ : ياربِّ مَالَها لا يَدْخُلُها إلا ضعفاءُ الناس وسَقَطُهُمَ ؟ وقالت النارُ : يعني أُوثرت بالمتكبرين ، فقال الله للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنتِ عذابي أصيبُ بك من أشاء ، ولكلٍّ واحدةٍ منهما ملؤها ، فأما الجنةُ ، فإن الله لا يَظْلمُ مِنْ خَلْقِه أحدًا ، وإنه يُنْشِيءُ للنار من يشاء ، فَيُلْقَونَ فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ ويُلقون فيها ، فتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضعَ قَدَمه فيها ، فتمتلئَ ، ويُزْوَى بعضُها إلى بعض ، وتقول : قطْ قطْ قطْ » .

قال معلق فتح الباري :

جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي ، صوابه « ينشئ للجنة » كما تقدم برقم ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة ، وكما في رقم ٧٣٨٤ من طريق قتادة عن أنس ، فتبين منهما أن الراوي هنا سبق لفظه من الجنة إلى النار ، ويسمونه في مصطلح الحديث (المنقلب) اهـ .

وقال ابن حجر : قال أبو الحسن القابسي المعروف في هذا الموضع إن الله ينشئ للجنة

= مسلم (٤ / ٢١٨٦) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(١)، (٢) مسلم (٤ / ٢١٨٧) : الموضع السابق .

(٣) البخاري (١٣ / ٤٣٤) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٢٥ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ إن رحمة الله قريب .... ﴾.

. (قط) : حسبي وكفاني .

خلقًا وأما النار فيضع فيها قدمه قال : ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا . اهـ .

١٤٢٩ ـ * روى أحمد عن علي بنِ خالدٍ أن أبا أمامةَ مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلكم يدخُل الجنةَ إلا من شَرَدَ على الله شِرادَ البعيرِ على أهله » .

١٤٣٠ ـ * روى أبو داود عن حارثةَ بن وهبٍ رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لا يدخلُ الجنةَ الجَوّاظُ ، ولا الجَعْظَرِيُّ » ، قال : والجَوّاظ : الغليظ الفظ .

١٤٣١ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار : « وكل جعظري جَوَّاظٍ مستكبرٍ جَمّاعٍ مَنّاعٍ ، وأهلُ الجنة الضعفاءُ المغلوبون » .

١٤٣٢ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنسِ بن مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال : « أتيتُ ليلةَ أسري بي على رجال تُقْرَضُ شفاههم بمقاريضَ من نار قلتُ : من هؤلاء يا جبريلُ ؟ قال : هؤلاء خطباءُ أمتك الذين يأمرون الناسَ بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتابَ أفلا يعقلون » .

١٤٣٣ ـ * روى أحمد عن أبي سعيدٍ قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَخرُجُ عُنُقٌ مِنَ

١٤٢٩ ـ أحمد (٥ / ٢٥٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد المدني ، وهو ثقة .

١٤٣٠ ـ أبو داود (٤ / ٢٥٣) كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق .

وإسناده حسن .

(الجوّاظ) : المنوع ، وقيل : السمين المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين .

(الجعظري) : الفظ الغليظ المتكبر .

١٤٣١ ـ أحمد (٢ / ٢١٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٤٣٢ ـ كشف الأستار (٤ / ١١٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) وقال بعد أن ذكر نحو هذا الحديث : رواها كلها أبو يعلى والبزار ببعضها والطبراني في الأوسط ، وأحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح .

١٤٣٣ ـ أحمد (٢ / ٣٣٦) . وروايته مختصرة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

=

النار يومَ القيامة فتكلمَ بلسانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ لها عينان تبْصرُ بها ولها لسانٌ تكلمُ به فتقولُ : إني أُمرتُ بمن جعلَ مع اللهِ إلهًا آخر ، وبكل جبارٍ عنيد ، وبمن قتل نفسًا بغير نفس ، فتنطلقُ بهم قبل سائر الناسِ بخَمسمائة عام » .

١٤٣٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أَصْحَابَ الصُّوَر يُعذَّبُونَ يَوْم القِيامةِ يقالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم » .

١٤٣٥ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يقولُ الله تعالى لأَهْونِ أهل النار عذابًا : لو كانتْ لك الدنيا كلُّها ، أَكُنتَ مُفْتَديًا بها ؟ فيقولُ : نعم ، فيقولُ : قد أردتُ منك أَيْسَرَ مِنْ هذا ، وأنت في صُلبِ آدم : أن لا تُشرِكَ بي ولا أُدْخِلَكَ النَّار ، وأُدْخِلَكَ الجنة ، فأبيتَ إلا الشِّركَ » .

وفي رواية له (١) وللبخاري قال : « يُجَاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ ، فيقَالُ له : أرأيتَ لو كان لك مِلء الأرض ذَهبًا ، أَكُنْتَ تَفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : لقد كنتَ سُئلتَ ما هو أيسرُ من ذلك : أن لا تشركَ بي » .

= وكشف الأستار (٤ / ١٨٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٢) وقال : وفي رواية : « فتنطوي عليهم فتقذِفَهم في جهنم » رواه البزار واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحوه ، والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادى الطبراني رجاله رجال الصحيح .

١٤٣٤ ـ البخاري (١٢ / ٥٢٨) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٥٦ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

مسلم (٣ / ١٦٦٩) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... إلخ .

وأحمد (٦ / ٨٠) .

وابن ماجه (٢ / ٧٢٨) ١٢ ـ كتاب التجارات ٥ ـ باب الصناعات .

١٤٣٥ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٠) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين ، ١٠ ـ باب طلب الكافر الفداء ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢١٦١) : الموضع السابق .

والبخاري (١١ / ٤٠٠) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٤٩ ـ باب من نوقش الحساب عذب .

ط ـ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان

قال ابن كثير في كتاب النهاية رادًا على من زعم أن الجنة والنار ستخلقان وليستا موجودتين الآن :

قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ سَابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرْضِ السَّماء والأرْض أُعِدَّتْ لِلَّذِين آمَنُوا بالله وَرُسُلِهِ ذلك فَضْلُ الله يؤتيه مَنْ يَشاءُ والله ذو الفَضْل العظيم ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ واتَّقوا النَّار التي أُعِدَّتْ للكَافِرين ﴾ (٣) .

وقال في حق آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقومُ السَّاعةُ أَدْخِلُوا آلَ فرعَوْنَ أَشَدَّ العَذَاب ﴾ (٤) .

وقال تعالى :

﴿ فلا تَعلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُم مِنْ قرةِ أَعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يَعْملون ﴾ (٥) .

وثبت في الصحيحين (٦) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

---

(١) آل عمران : ١٣٣ .

(٢) الحديد : ٢١ .

(٣) آل عمران : ١٣١ .

(٤) غافر : ٤٦ .

(٥) السجدة : ١٧ .

(٦) البخاري (٨ / ٥١٥ ، ٥١٦) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، تفسير سورة السجدة . =

قلب بشر ، ذخرًا بَلْه مـا أطلعتم عليـه » . ثم قرأ : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ . الآية .

[بله : تأتي هنا بمعنى فضلاً عما أطلعتم عليه ، ومعناها في الأصل : دعْ] .

وفي الصحيحين (١) ، من حديث مالك ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا ماتَ . عُرِضَ عليهِ مَقعدُه بالغداة والعشي . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، فقيل : هذا مَقْعَدُك حتى يبعثَك اللهُ يَومَ القيامة » .

وفي صحيح مسلم (٢) ، عن أبي مسعود : « أرواحُ الشهداء في حواصل طير خُضْر ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءتْ ، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ في العرش » .

وروينا من حديث الإمام أحمد بن حنبل (٣) ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن في طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم يبعثه » .

وتقدم الحديث المتفق عليه (٤) : من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « حُفّت الجنةُ بالمكاره ، وحفت النارُ بالشهوات » .

وذكر الحديث المروي (٥) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن

= مسلم (٤ / ٢١٧٥) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها ، حديث ٤ .

(١) البخاري (٣ / ٢٤٣) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٩ ـ باب الميت يعرض عليه مقعده ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢١٩٩) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت ... إلخ .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٠٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٣٣ ـ باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ... إلخ .

وهو مرفوعٌ إلى النبي ﷺ .

(٣) أحمد (٣ / ٤٥٥) .

(٤) البخاري (١١ / ٣٢٠) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٢٨ ـ باب حجبت النار بالشهوات .

مسلم (٤ / ٢١٧٤) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيها وأهلها ، حديث ١ .

(٥) الترمذي (٤ / ٦٩٣ ، ٦٩٤) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢١ ـ باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره ... إلخ . =

أبي هريرة مرفوعًا : « لما خلق اللهُ الجنـة قـال لجبريلَ : اذهبْ فـانظرَ إليهـا » الحـديث .

وتقدم الحديث الآخر [١] : « لما خلقَ اللهُ الجنةَ ، قال لها : تكلمي : فقالتْ : قـد أفلح المؤمنون » .

وفي الصحيحين [٢] : عن أبي هريرة ، وعنـد مسلم : عن أبي سعيـد ، عن النبي ﷺ ، قال : « تَحَاجَّت الجنة والنار » . الحديث .

وفيهما [٣] : عن ابن عمر ، مرفوعًا : « الحُمَّى من فَيْحِ جهنم » .

وفيهما [٤] : عن أبي ذر ، مرفوعًا : « إذا اشتـد الحرُّ فـأبْرِدُوا بـالصلاة ، فـإن شـدة الحرِ من فَيْحِ جهنمَ » .

وفي الصحيحين [٥] : « إذا دخَـل شَهرُ رمضـان فُتحَتْ أبـوابُ الجنـة ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النارِ » .

وقد ذكرنا في حديث الإسراء : أن رسول الله ﷺ ، رأى الجنةَ والنار ليلتئذٍ .

وقال الله تعالى [٦] : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْـرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى * عِنْـدهـا جَنَّـةُ الْمَأْوَى ﴾ .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٣ ، ٤) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣ ـ باب الحلف بعزة الله تعالى .

(١) مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٧) .

(٢) البخاري (٨ / ٥٩٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، سورة « ق » .

مسلم (٤ / ٢١٨٦ ، ٢١٨٧) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٠ ـ باب صفة النار وأنها مخلوقة .

مسلم (٤ / ١٧٣١) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢٦ ـ باب لكل داء دواء واستحباب التداوي .

(٤) البخاري (٢ / ١٨) ٩ ـ كتاب المواقيت ، ٩ ـ باب الإبراد بالظهر في شدة الحر .

مسلم (١ / ٤٣١) ٥ ـ كتاب المساجد ، ٣٢ ـ باب استحباب الإبراد بالظهر ... إلخ .

(٥) البخاري (٤ / ١١٢) ٣٠ ـ كتاب الصوم ، ٥ ـ باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ... إلخ .

مسلم (٢ / ٧٥٨) ١٣ ـ كتاب الصيام ، ١ ـ باب فضل شهر رمضان .

(٦) النجم : ١٣ ـ ١٥ .

وفي الصحيحين [(١)]« ثم أُدخلتُ الجنةَ ، فإذا جَنَابِذُ اللؤلؤ ، وإذا تُرابُها المِسكُ ».

[جَنَابِذ اللؤلؤ : قِباب اللؤلؤ واحدتها جُنْبُذَة] .

وفي صحيح [(٢)] مسلم : من طريق قتادة : عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قِباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك » .

وفي مناقب عمر : أنه ﷺ قال : « أُدخلتُ الجنة فرأيت جاريةً تتوضأ عند قصرٍ ، فقلتُ : لمن أنتِ؟ قالتْ : لعُمَرَ بنِ الخطاب . فأردتُ أن أَدْخُلَهُ ، فذكرتُ غَيْرَتَكَ » . فبكى عمرُ وقال : أَو عليك أغارُ يا رسول الله ؟ !

والحديث في الصحيحين [(٣)] ، عن جابر .

وقال لبلال [(٤)] : « دخلتُ الجنة فسمعتُ خَشْفَ نعليك بين يدي في الجنةِ ، فأخبرني بأرجى عملٍ عَمِلْتَه في الإسلام » ،فقال : ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعةً من أني لا أتطهر طَهورًا تامًا في ساعةٍ من ليل ولا نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصليَ .

وأخبرني عن الرميصاء أنه رآها في الجنة .

أخرجاه [(٥)] عن جابر بن عبد الله .

---

(١) البخاري (٦ / ٣٧٥) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٥ ـ باب ذكر إدريس عليه السلام ... إلخ .
مسلم (١ / ١٤٩) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٤ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(٢) وهو في البخاري (١١ / ٤٦٤) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٣ ـ باب في الحوض ... إلخ .
وأحمد (٣ / ١٩١) .

(٣) البخاري (٩ / ٣٢٠) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١٠٧ ـ باب الغيرة .
مسلم (٤ / ١٨٦٢) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٢ ـ باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

(٤) مسلم (٤ / ١٩١٠) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٢١ ـ باب من فضائل بلال رضي الله عنه .
أحمد (٢ / ٣٣٣) .

(٥) البخاري (٧ / ٤٠) ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٦ ـ باب مناقب عمر بن الخطاب .
مسلم (٤ / ١٩٠٨) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ١٩ ـ باب من فضائل أم سليم .

[الرميصاء : قال ابن الأثير : (يقال غَمِصَت العَين ورَمِصَت ، من الغَمَص والرمَص ، وهو البياض الذي تَقْطعه العين ويَجتمع في زوايا الأجفان ، والرمص : الرطْب منه ، والغَمص : اليابس ، والغُمْصِ والرُّمْص : جَمْع أغْمَص وأرْمَص ، وانتصبا على الحال لا على الخَبر ، لأن أصبح تامّة ، وهي بمعنى الدُخول في الصباح . قاله الزمخشري) اهـ من النهاية] .

وأخبر في يوم صلاة الكسوف [١] ، أنه عُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ ، وأنه دَنَتْ منه الجنةُ ، وأنه هَمَّ أن يأخُذَ منها قِطْفًا من عنب .

وفي الصحيحين [٢] : من طريق الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عَمرو بنَ عامرِ بن لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ ... يَجرُّ قُصْبَه في النار » .

[قُصْبه : القُصْب : المِعَى] .

وقال في الحديث الآخر [٣] : « ورأيتُ فيها صاحبَ المِحْجَن » .

وقال رسول الله ﷺ [٤] : « دخلت امرأةٌ النارَ ، في هرةٍ حَبَسَتْها حتى ماتَتْ ، فلا هي أطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكلُ من خَشاش الأرض » « ولقد رأيتها تَخمِشُها » .

وأخبر [٥] عن الرجل الذي ينَحّي غُصْنَ شَوكٍ عن طريق المارةِ ، فقال : « فلقد رأيتَهُ يستظلُّ به في الجنةِ » .

وفي الحديث : في صحيح مسلم [٦] : عن أبي هريرة ، بلفظ آخر .

---

(١) البخاري (٢ / ٥٤٠) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ٩ ـ باب صلاة الكسوف جماعة .
ومسلم (٢ / ٦٢٦) ١٠ ـ كتاب الكسوف ، ٣ ـ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ... إلخ .
وابن ماجه (١ / ٤٠٢) ٥ ـ كتاب إقامة الصلاة ، ١٥٢ ـ باب ما جاء في صلاة الكسوف .
والنسائي (٣ / ١٣٧ ـ ١٣٩) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ١٤ ـ باب نوع آخر .
(٢) البخاري (٦ / ٥٤٧) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٩ ـ باب قصة خزاعة .
مسلم (٤ / ٢١٩٢) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون ...إلخ .
(٣) النسائي (٣ / ١٣٩) ١٦ ـ كتاب الكسوف ، ١٤ ـ باب نوع آخر .
(٤) البخاري (٥ / ٤١) ٤٢ ـ كتاب المساقاة ، ٩ ـ باب فضل سقي الماء .
(٥) مسند أحمد (٣ / ١٥٤) .
(٦) مسلم (٤ / ٢٠٢١) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ٣٦ ـ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق .

وفي الصحيحين (١) : عن عِمران بن حُصين ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « اطَّلعْتُ في الجنة ، فرأيت أكثرَ أهلِهـا الفقراءَ ، واطلعتُ في النـار ، فرأيتُ أكثرَ أهلِهـا النسـاء » .

وفي صحيح مسلم (٢) : من طريق المختار بنِ فُلْفُل المخزومي : عن أنسٍ ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « والذي نفسي بيـده ، لو رأيتم مـا رأيتُ ، لضَحِكْتُم قليلا ، وَلَبَكيتُم كثيرًا » قالوا : يا رسول الله فما رأيتَ ؟ قال : « رأيتُ الجنةَ والنارَ » .

وأخبر (٣) أن المتوضئَ إذا تشهد بعد وضوئه فإنه تُفْتَح له أبوابُ الجنـةِ ، يـدخُلُ من أيها شاء .

وفي صحيـح البخـاري (٤) : من حـديث شُعبـةَ ، عن عَـدي بنِ ثـابتٍ ، عن البَراء بن عَازبٍ ، قال : لما توفي إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ قال : « إن له لَمُرْضِعًا في الجنة » .

وقال البيهقي (٥) : أخبرنا الحاكم :... [وساقَ سنده] .

عن أبي هريرةَ (٦) ، قال : قـال رسول ﷺ : « أولادُ المؤمنين في جبلٍ في الجنـة ، يَكفُلُهم إبراهيمُ وسارةُ حتى يَرُدَّهم إلى آبائهم يومَ القيامة » .

وكذا رواه وكيع : عن سفيان ـ وهو الثوري ـ . والأحاديث في هذا كثيرة جدًا .

وقال الله تعالى (٧) : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

والجمهور على أن هذه جنة المأوى اهـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

---

(١) البخاري (٩ / ٢٩٨) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ٨٨ ـ كفران العشير .

ومسلم (٤ / ٢٠٩٦) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

وهو عند مسلم عن ابن عباس ، وليس عن عمران .

(٢) مسلم (١ / ٣٢٠) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ٢٥ ـ باب تحريم سبق الإمام .

(٣) مسلم (١ / ٢١٠) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٦ ـ باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٤) البخاري (٦ / ٣٢٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٨ ـ باب ما جاء في صفة الجنة .

(٥) السنن الكبرى (٤ / ٩) كتاب الجنائز ، باب السقط يغسل ويكفن .

(٦) أحمد (٢ / ٣٢٦) .

والمستدرك (١ / ٣٨٤) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٧) البقرة : ٣٥ .

الفقرة الحادية عشرة

﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾

في تاريخ العالم ظهرت ممالك ودول وإمارات وظهر ملوك ورؤساء وأمراء ، وكل ذلك يخلقه جل جلاله بعلمه وإرادته وقدرته وكل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المُكَلَّفُون على مملكته وأسمائه ، فمن خلال معرفة الحكم والملك تعرف اسْمَي الله : الحَكَم والمَلِك ، ومن خلال سعة الكون تعرف عظمة الله وتعرف اسم الله : العظيم ، ولكن مهما تأمل الإنسان وتفكر فإنه لا يقدر الله حق قدره ، قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علمًا ﴾ [2] . انظر إلى اسم الملك وتدبر ما مَرّ معنا في هذا القسم فهل تقدر هذا الاسم حق قدره ؟

انظر إلى سعة هذا الكون وما فيه من مخلوقات غيبية وحسية تعرف سعة مملكته وهو قادر على أن يخلق ما لا يتناهى من أمثالها وغير أمثالها ، ثم انظر إلى انتظام مملكته وحسن تقديره وبديع صنعه ولطيف حكمته وجميل إحسانه ، ثم انظر إلى أنّ كل ما قضاه أنْ يكون مسجلا في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ ، وأنّ كل ما يجري لا يخرج عما سجله القلم ، وأنت ترى عجز الملوك والحكام عن التخطيط الشامل ، وترى عجزهم عن تنفيذ كل ما سطروه ، ثم انظر إلى ترتيبات شؤون الملائكة لتعرف أي جند جنده ، ثم انظر إلى اصطفاء الرسل وإنزال الشرائع لتعرف أي كمال في رسله ورسالاته ، ثم انظر إلى قهره في الدنيا وإمداده لتعرف انتقامه وحلمه ، ثم تأمل أي سجن أعده للمخالفين عن أمره : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا ﴾ [3] . وتأمل مكافأة أوليائه بالجنة ، ثم تأمل كيف يقيم الحجة على خلقه بالإشهاد والكتابة والحساب لتعرف عدله ، ثم تأمل هول الموقف إذ يقف الناس صافين أقدامهم رافعي رؤوسهم غاية الاستعداد والخوف ، وكيف تأتي الملائكة صفًا صفًا وكيف تحفُّ الملائكة بالعرش لتعرف أي جلال جلاله . ثم انظر إلى قبوله شفاعة الشفعاء لتعرفَ أي إكرام إكرامه .

---

(١) الأنعام : ٩١ . (٢) طه : ١١٠ .

(٣) الإسراء : ٨ .

إن غـايـة مـا ذكر من جـلال الملـوك ومن ترتيبـاتهم ومن عـدلهم ومن قهرهم ومن سعـة سلطـانهم ومن أعمـالهم أن تتعرف من خلال نقصهم على كمالـه ومن خلال كمالاتهم على حقـارة ذلك بالنسبة لكمالاته .

فاعرف أيها المسلم أن الملك الحق هو الله عز وجل وكن له عبدًا بكل ما تقتضيـه صفـات العبودية وترنم مع الحداة :

لا تَـدْعُنِـي إلا بِيَـاعَبْـدَهُ فـإنَّـهُ أَشْـرَفُ أَسْمـائـي

* * *

خاتمة الباب الثاني

ذكرنا في فصل اليوم الآخر بعض ما يكون بين يدي الساعة ، كما ذكرنا شيئًا عن الموت والحياة البرزخية .

وذكرنا بعض ما يكون يوم القيامة وما بعد ذلك ، وما ذكرناه في هذا الفصل هو بعض ما ورد في اليوم الآخر ، فالنصوص في شأن اليوم الآخر أوسع ؛ لأن الكلام عن اليوم الآخر نجده من الكثرة في نصوص الكتاب والسنة بحيث يحتاج الإنسان لاستكمال المعرفة الممكنة إلى دراسة الكتاب والسنة ، ولكن الحاجة إلى التعليم تقتضي التبويب .

والمطلوب من المسلم أن يكون عنده تصور إجمالي عن اليوم الآخر ، ويندب له أن يعرف التفصيلات ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، كما يطالب المسلم بالتصديق والتسليم ، وألا يفر إلى التأويل في شأن اليوم الآخر ، إلا إذا وجد الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة يؤولون ، فله بهم أسوة ، والتفويض أسلم وأحكم وأدل على الإيمان ، كما أنّ مما يندب للمسلم أن يتأمل في ما هو كائن من أحداث اليوم الآخر فيتأمل ما أخبر به الرسول ﷺ ووقع ، ليزيده ذلك يقينًا فيما أخبر عنه ولم يقع ، أنه واقع ، فيتذكر قرب الساعة ويتذكر ما يكون بين يديها من أهوال وفتن ، فينوي ويدعو أن يكون ظاهرًا وباطنًا على ما هو الأحبّ لله تعالى .

ثم ليتذكر الموت وليتأمل ما ورد في الحياة البرزخية ويجدد مع الله نية ، ثم يتذكر النفخة الأولى وما يكون فيها فيتذكر ما يحدث للأرض والسموات ، وما يحدث للمخلوقات ، ثم يتذكر النفخة الثانية وما يكون بعدها من نشر وحشر ، وموقف وشفاعة لرسول الله ﷺ لفصل الخطاب ، وما يكون بعد ذلك من جدال ومعاذير ، وإقامة حجة وتميُّز لأهل التوحيد والإيمان عن أهل الشرك والكفر ، وليتذكر بعث النار ، وليتذكر قبل ذلك الجنة والنار وقد جيء بها ثم ليتذكر حال العطش ، وأن الريّ لا يكون إلا مِنَ الحوض ، وليحذر أن يُرَدّ عن الحوض ، ثم ليتذكر الحساب والميزان وليطلب من ربه أن يكون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب . وليتذكر انحباس الناس دون الصراط فلا يعبرون إلا

بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، ثم ليتذكر المرور على الصراط ، ويتذكر أن على الصراط قناطر ، فيتذكر هول المرور وهول المُقاصّة ، ثم ليتذكر أنه حتى إذا تجاوز الصراط فإنه لا دُخول إلى الجنة إلا بعد أن يتطهر من أمراضه القلبية كلها ، ليكون مؤهلا لهيئة أهل الجنة في طولهم وحسنهم وعرضهم ، ثم ليتذكر أنه لا دخول إلى الجنة إلا بشفاعة جديدة من رسول الله ﷺ ، فيعرف لهذا الرسول ﷺ بعض قدره ، ثم ليتذكر الجنة وما أعده الله فيها ، وليذكر تفاوت الناس في منازلهم فيطلب ويعمل ليكون من أهل عليين وليتذكر النار وأهلها الباقين فيها ، وأهلها الذين يخرجون بشفاعات الشافعين ، فينوي ويعمل ويدعو ويبكي من أجل أن يكون من الشافعين ، وهكذا فلتكن لك يا أخي المسلم جولات من التأملات اليومية فيما سيكون ، فهذا باب كثرت عنه الغفلة ، فقل داخلوه وهو الذي لو عقل الناس ما نسوه طرفة عين ، ومع هذا كله فإنه مما ينبغي أن يكون له من يومك نصيب تلاوة القرآن الكريم والتأمل في كل آية ، فإن فيه علم الأولين والآخرين ، وتأمل الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر وتدبرها وأعطها حقها من الرهبة والرغبة ، فتلك من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ثم ليكن لك نظرك في السنة النبوية وما فيها من تذكير بما يستقبل الإنسان ، فإن استطعت أن تبكي فتلك علامة على سلامة القلب وعلى تشربه العلم والحكمة ، ولينبثق عن ذلك كله قيام بحق الله ابتداءً بكثرة العبادة والذكر ، وتوسطًا بالقيام بحقوق الله ، وحقوق العباد في المعاملة وانتهاءً بتعلق القلب بالله وبيعًا للنفس في مرضاته .

ولننتقل الآن إلى الباب الثالث من قسم العقائد وهو تحت عنوان : (مباحث عقدية) .

الباب الثالث

في:

مباحث عقدية

وفيه:

مقدمة وفصول

المقدمة

ذكرنا في قسم السيرة النبوية الكثير من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وندر أن يمر معنا قسم إلا وفيه من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وأثناء تفسيرنا للقرآن مرت معنا معجزات كثيرة ، والمعجزة القرآنية هي أعظم المعجزات على الإطلاق في كل العصور لظهورها وديمومتها ، وظهور المعجزة على يد الرسول علامة الرسالة .

ولقد كان من سنة الله عز وجل ليتأصل الإيمان ويتعمق ولتبقى حجج الله على خلقه متوالية أن جعل الكرامات على يد أوليائه استمرارًا للمعجزات وتثبيتًا لأهل الإيمان .

ومع الكرامات نجد المعونات والتأييدات والتوفيقات التي يكرم الله عز وجل بها عباده المؤمنين على مقتضى الأسباب ولكن بما يظهر معه توفيق الله للمؤمنين أو بركته .

ومن الكرامات أو المعونات استجابة الدعاء ، وإنما جعل جلّ جلاله المعجزات بالقدر الذي تقوم به الحجة حتى لا تصبح عادة فتضعف بذلك حجيتها ، ومن ناحية أخرى فإن الذين يكذبون بالآيات بعد ظهورها يستحقون العذاب :

قال الله تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا** ﴾ [1] .

ولقد جعل الله عز وجل ظواهر الكون ومظاهره بحيث يعرف بها الله عز وجل ، وجعل عز وجل في المعجزات والكرامات والمعونات مزيدًا من الحجج وعلامة على قدرته جل جلاله ، ومن خلال ذلك يعرف المكلف ربه عز وجل ويعرف رسل ربه وأولياءه ، ويقتضي ذلك منه إيمانًا والتزامًا بوحي الله عز وجل ، وإجلالاً لله ولرسله وأوليائه .

وهذا هو دين الله الإسلام ، الذي هو معرفة الله ورسوله والتصديق بقول الله ورسوله ، والالتزام بأمر الله ورسوله ، وإذا كان الكون وقوانينه وما فيه من روائع وخدمات مسخرًا للإنسان :

---

(١) الإسراء : ٥٩ .

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ [١] .

﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ [٢] .

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ﴾ [٣] .

وإذا كان الإنسان باحثًا عن المصلحة والمنفعة حريصا عليها لايني يبحث عن أمور دنياه ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾ [٤] .

فقد جعل الله عز وجل أمر استكشاف الدنيا للإنسان ومن ههنا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » [٥] .

وقال جل جلاله : ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ﴾ [٦] .

ومن هذا وغيره قسم علماء العقائد الأحكام التي يصدرها الإنسان إلى ثلاثة :

فهناك الحكم العقلي الذي يدرك بمحض العقل .

وهناك الحكم العملي الذي يدرك بالتجربة والاستقراء والاستنتاج وهو الذي يسمونه بالحكم العادي .

وهناك الحكم الشرعي الذي يعرف بواسطة الوحي .

ولكلٍّ مجاله ، ولكل وسائل البحث فيه ومن لم يعرف أنه لا يتناقض حكم عادي مع حكم عقلي أو شرعي ولا حكم عقلي مع حكم عادي أو شرعي ، ولا حكم شرعي مع عقلي أو عادي فقد أخطأ التصور ، ومن طلب من الشرع أن يعرفه على الحكم العادي إلا بقدر ما يحتاجه الحكم الشرعي ، أو طلب من الشرع أن يعرفه بالحكم العقلي إلا الأحكام العقلية

---

(١) البقرة : ٢٩ .
(٢) هود : ٦١ .
(٣) لقمان : ٢٠ .
(٤) الأعلى : ١٦ ، ١٧ .
(٥) مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ، ٣٨ ـ باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا ...
(٦) الروم : ٧ .

التي تحتاجها إقامة الحجة على صحة الشرع فإنه يأتي البيوت من غير أبوابها ، نعم فقد يخرق الله الحكم العادي بمعجزةٍ أو كرامةٍ لتقوم الحجة على الخلق أو ليزداد أهل الإيمان إيمانًا .

وهناك حالة من خرق العوائد تأتي استدراجًا لأصحابها كما يظهر على يد المسيح الدجال وذلك لا يكون إلا إذا كانت حجة الله على أصحاب ذلك قائمة بأنهم كاذبون في دعواهم .

إن معرفة هذه القضايا تأتي بالدرجة العليا من الأهمية في قسم العقائد ولذلك أحببنا الإشارة إليها هنا مؤكدين ما مر معنا من قبل ، وبمناسبة أننا ضمّنّا هذا البابَ كلامًا عن المشوشات على المعجزات والكرامات والمعونات .

إن في المعجزات والكرامات حجة لله على خلقه ، ويشوش على ذلك في حق بعض الناس الخوارق التي هي من باب الاستدراج كما يظهر على يد المسيح الدجال ، وإنما جعل الله عز وجل هذا النوع من الخوارق ليبقى للعقل وللشرع دوره في الإثبات والنفي . فالاستقامة على الشرع شرط وجود الكرامة وإلا فهي استدراج ، وموافقة الدعوى للحكم العقلي شرط وجود الخارقة التي هي حجة لصاحبها ، فعندما يدعي المسيح الدجال الألوهية وهو أعور ، وهو جسد فدعواه تنقضها العقول ، فالعقول تثبت أن لله صفات الكمال وأنه تنزه عن صفات الحوادث .

ومن ههنا كان هذا النوع من الخوارق تشويشا على المعجزة والكرامة في حق الجاهلية والسفهاء ، وهناك مشوشات أخرى على المعجزات والكرامات :

فهناك الكهانة والتنجيم اللذان يشوشان على النبوءة والكشف ، واللذان هما أثر عن إيحاء الشياطين وإنما يُعْرَفُ أصحاب ذلك من الكذب وعدم الاستقامة .

ومن المشوشات على المعجزة والكرامة السحر ، وهناك فارق بين السحر والخارق : أن السحر يجري على مقتضى عالم الأسباب ، بينما المعجزة والكرامة خرق لعالم الأسباب .

ومن ههنا أدخلنا في هذا الباب فصولاً حول هذه المشوشات :

وقد وقع أهل الجاهلية في إسفافات خطيرة من جملتها قضية تحكيم الأزلام والطيرة التي تعني في النهاية تحكيم الجماد والطير في قرار الإنسان ، وقد أبدلنا الله بها الاستخارة فلا

أروع ولا أشرف .

ومن طبيعة الإنسان التفاؤل والتشاؤم ، ولذلك تأثيره على سلوك الإنسان وهو بشكل من الأشكال له علاقة بالتوكل ، فالتفاؤل يرافقه توكل والتشاؤم إضعاف للتوكل .وضعف فيه .

والإنسان بطبيعته إذا أصابته مصيبة يفر إلى غيره فإذا كان الفرار إلى الله فما أحلاه ، ولكنه يفر أحيانًا إلى عالم الأسباب ، فإذا كان فراره مقيدًا بالحكم الشرعي فلا حرج ، ومما يفر إليه الإنسان أن ينسب أشياء إلى عالم الأسباب ناسيًا خالقها ، ومما يفر إليه الإنسان التميمة والرُّقى ، فإذا فر إلى مباح شرعًا فذلك له وجهه وإلا فقد وقع في المحظور ، وقد أدخلنا هذه الأبحاث في هذا الباب لأن لها صلة بالعقائد .

ولا زال هذا الإنسان مجهولاً ، ولا زال بعض الناس لهم خاصيات ، ومن الخواص التي ذكرها الشارع خاصية العين ، ولورودها في كلام الشارع ولأن فيها جانبًا غيبيًا أدخلناها في هذا الباب .

وانتقال المرض من إنسان لإنسان ومن حيوان لحيوان أو من حيوان لإنسان أو من إنسان لحيوان مشاهد معروف ، ولكن هذه قضية متداخلة ومتسلسلة وخفية ولذلك أهدرها الشارع ، وعلى هذا نفهم قوله عليه الصلاة والسلام : « لاعدوى »[1] فليس المراد بذلك أن أحدًا لا يُعدي أحدًا بمرض فذلك منفي بالمشاهدة ومنفي في أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ ؛ وإنما المراد أن العدوى لا يترتب عليها حكم ولا مسألة ، ولالتباس هذا الأمر أدخلناه في العقائد .

وكان أهل الجاهلية ينذرون لأصنامهم وأوثانهم ، والنذر عبادة ، ثم إن النذر يعني في النهاية إنشاءً لعبادة يوجبها الإنسان على نفسه ، وهي قضية يختلف فيها الحكم الفقهي بالحكم الاعتقادي ويقع فيها لبس قد يوصل إلى شرك أو إثم فأدخلنا موضوع النذر هنا ، واليمين

---

(١) البخاري (١٠ / ١٧١) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٢٥ ـ باب لا صفر .
ومسلم (٤ / ١٧٤٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .

بالله فيه معنى التعظيم لله واليمين بغيره فيه تعظيم لـذلـك الغير ، وفي كل الأحوال فـإن الأمر مرتبط بالعقائد بشكل من الأشكال وإن كانت تفريعات من مسائل الإيمان تـدخل في كتب الفقه ، فأدخلنا هذا الموضوع ههنـا .

فهذه موضوعات هذا الباب الذي أسميناه : مباحث عقدية :

السحر والكهانة والتنجيم وقطع نسبـة الأشيـاء إلى الله والطيرة والفـأل والشؤم والعـدوى والعين والرُّقى والنذور والأيمان وقد جعلناها في فصول ، وهذه هي فصول هذا الباب :

الفصل الأول : في بعض المشوشات الزائفة على النبوة : السحر والكهانة والتنجيم .

الفصل الثاني : في نسبة الحادثات إلى الأسباب مقطوعة عن الله عز وجل .

الفصل الثالث : في الطيرة والفأل والشؤم والعدوى وما يجري مجراها .

الفصل الرابع : في العين والتمائم والرُّقى .

الفصل الخامس : في النذر .

الفصل السادس : في اليمين .

* * *

الفصل الأول

في:

بعض المشوشات الزائفة على النبوة

السحر والكهانة والتنجيم

وفيه:

مقدمة ونقول ونصوص

المقدمة

إذا أردت أن تقيم الحجة على الناس برسالات الرسل ، فإن من جملة ما تحتج بـه خوارق العادات التي تظهر على أيديهم أو معهم ، وهي التي تسمى بالمعجزات ومن جملة ذلك : إخبار الرسل عن مستقبل لم يقع فيقع كما أخبروا فإذا ما احتججت على الناس بهذا فرّ بعض الناس من هذه الحجج : فتحدثوا عن السحر وعن الكهانة وعن التنجيم وكأنهم يعتبرون أن ما يظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام هو من هذا القبيل .

قال تعالى : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ [1] .

وغاب عن هؤلاء أن المعجزة لا دخل لعالم الأسبـاب بهـا ، أمـا السحر فهو جزء من عـالم الأسباب ، عرفه من عرفه ، وجهلـه من جهلـه ، وكـذلـك قل فيا يحصل من غرائب بسبب رياضة روحية أو تدريبات خـاصـة ، فـا هي إلا من عـالم الأسبـاب ، أمـا المعجزة فليست كذلك ، ولذلك كان من المهم جـدًّا أن يكون عنـد المسلم معرفـة يفرق بهـا بين مـا هو سحر وخارق للعادة سواء كان معجزة لرسول أو كرامة لولي ، كذلك من المهم جدًّا أن تكون عنـد المسلم معرفة يفرق بها بين ما هو كهانة أو تنجيم ، وبين ما هو نبوءة نبي ، فنبوءات الأنبيـاء حق خالص فما أخبروا به أنه واقع ، فإنه كائن حتمًا ، أما الكهانة والتنجيم فإنها يختلـط فيهما الحدس والتوسم والكـذب والاحتمال ، فـالفـارق كبير بين وحي هو أثر عن علم الله المحيـط ، وبين إيحـاءات الشيـاطين وهـواجس الكاذبين ، وإذا صَدَقَ الكاهن يـومًـا فهي مرة مختلطـة بأكاذيب ، وهي إما بالحدس أو من باب إلقاءات الشيـاطين الـذين قـد يسمعون الكلمـة من الملائكة حال استراقهم السمع فيخلطون بها ما يخلطون .

المهم أن يكون عند المسلم معرفة يميز بها بين ما هو سحر وتنجيم وكهـانـة ، وبين مـا هو معجزة وكرامة ونبوءة صادقـة ، والإسلام إذ ذكـر المعجزة والكرامـة ، وأنبـاء الغيب لم ينفِ أن يكون هناك سحر وكهانـة وتنجيم ، إلا أنـه حرم السحر والكهـانـة والتنجيم ، وحرم على المسلم أن يكون ساحرًا أو يتبع السـاحر أو يصـدق الكاهن والمنجم ، ومن ههنـا فـإن التعرف

---

(١) القمر : ٢ .

على السحر والكهانة والتنجيم له ثلاثة آثار عملية .

الأثر الأول : التمييز بين ذلك ، وما يصدر عن الأنبياء والأولياء .

الأثر الثاني : ينأى المسلم بنفسه أن يدخل في دائرة دعاوى السحرة والكهنة والمنجمين .

الأثر الثالث : أن يعتقد أن السحر والكهانة لهما وجودهما ، فلقد نص القرآن في أكثر من مكان على أن للسحر وجودًا قال تعالى : ﴿ يعلّمون الناس السحر ﴾ [1] ، والكهانة ذكرت في السنة النبوية وإذا كان الأمر كذلك فقد عقدنا هذا الفصل ليكون المسلم على ذكر لهذه الأمور ، وهذه نقول ونصوص تشير إلى بعض ما ذكرناه :

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

نُقولٌ

في :

السحر والكهانة والتنجيم

قال فريد وجدي في دائرة معارفه عن السحر :

... قال العلماء هو ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشياطين مما لا يقدر عليه الإنسان .

قال ابن خلدون في مقدمته : هو علم بكيفية الاستعدادات ، تقتدر النفوس البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر ...

ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره ؛ كانت كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد في كتب الأمم والأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم ، وكان لهم فيها التآليف والآثار ، ولم يترجم لنا كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم ، وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم .

[و] اعلم أن وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ (١) .

وقد شاهد الأوربيون أن في الأقيانوسية عقيدة تأثير الساحر على الإنسان منتشرة كل

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

الانتشار ، ويكفيه للاستيلاء عليه أن يملك خصلة من شعره أو أي قطعة من جسمه وقد لا يعوزه غير خرقة كانت له .

وللسحرة في أفريقيا شأن يذكر ؛ فأين يتوجه السائح يجد الساحر معتبرًا كأنه شخص إلهي عنده الأسرار الملكوتية يشفي من الأمراض ويطرد المردة والجنة وينزل الأمطار على الأماكن الجدبة . فلا يتحول ملك الصقع الذي هو فيه لمحاربة عدو أو لسكنى جهة أو للبحث عن أنعام ضالة إلا استشاره ، وجعل رأيه متنزلا من حكيم حميد ، ويدعونه هناك مانجانا أو نيانجا .

[و] تكثر عند الأفريقيين التمائم والتعاويذ والطلاسم فإنهم يعزون لها أمورا خارقة للعادة تحفظ من الحسد وتشفي من الأمراض وتجلب الرزق وتوجب المحبة والانعطاف فإذا بدا لأحدهم أن طلسما أخطأ غرضا ولم ينتج النتيجة المنتظرة منه لا يشك في أصله ولا يزيد على أن يبدله بسواه معتقدًا فيه العقيدة عينها التي كانت عنده لسابقه .

ولما احتل الإسبانيون أمريكا وجدوا للسحر الاعتبار نفسه الذي لأمثالهم في جميع بقاع الأرض . رأوهم منقطعين في الفيافي يأوون إلى الغيران صائمين متقشفين محافظين على رسوم محدودة من الرياضة النفسية يزعمون أنها أوصلتهم إلى مناجاة الأرواح والتسلط على نواميس الطبيعة .

ورأوا أن للسحرة في أمريكا الشمالية اطّلاعًا واسعًا على خواص النباتات ، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة ، وكانوا يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر .

وقد دلت المخطوطات المصرية القديمة التي وجدت على ورق البردى أن السحر كان له في مصر الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف حتى رُتبت له رسوم وطقوس وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين .

[و] الأمم التي تعتبر أنبغ الأمم في السحر والنجامة هم الكلدانيون .

وقد ذكر القرآن الكريم السحر في مواضع كثيرة وقد مضى متقدمو الأمة معتقدين

وجوده وأنه من العلوم السرية التي يُتحصل عليها بالرياضة وغيرها . ومال بعضهم وكثير من المتـأخرين إلى زعم أن السحر سرعـة في اليـد وصنـاعـة في التمويـه وليس لهـا سبب مما وراء الطبيعة . وهو قول ليس له دليل يسنده ، كا أنه ليس لنـا دليل على إثبـات السحر إلا مـا نص عليه القرآن ، ثم ما نقرؤه في كتب الخوارق التي ظهرت في أوروبا من منذ تسعين سنـة باسم اسبرتزم وغيره مما يرينا جليا أن هنالك عالما روحانيًا وفيه من الكائنات ما لا نتصوره وأننا نستطيع أن نناجي تلك الكائنات وتنـاجينـا بوسـائل خـاصـة . ومتى كان هـذا ممكنـا وتقرر أن الوجود عامر بالآيات المغيبة عنا فلا يبعد أن يكون السحر تابعا لقوى روحـانيـة وأنه ليس بمجرد صناعة أو سرعة في يد السـاحر . اهـ .

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن التنجيم :

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته :

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عـالم العنـاصر قبل حـدوثهـا من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة .

ثم إنه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حَدْسٍ وتخمين وحينئذ يحصل عنـده الظن بوقوع الكائن .

وقد بان لك بطلان هذه الصناعـة من طريق الشرع ، وضعف مـداركهـا مع ذلـك عن طريق العقل مع مالها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد ، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحايين اتفاقًـا لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك من لا معرفة لـه ويظن اطراد الصـدق في سـائر أحكامهـا وليس كـذلـك فيقع في رد الأشياء إلي غير خالقها . ثم ما ينشأ عنها كثيرًا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليـه ذلك التوقع من تطاول الأعداء والمتربصين بالدولـة إلى الفتـك والثورة ، وقـد شـاهـدنـا من ذلك كثيرًا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشـأ عنهـا من المضـار في الدين والدول .

ولكن لا يجوز لنـا الانتقـال من هـذه المـادة حتى نورد تـاريـخ علم التنجيم من المصـادر

الأوربية ليكون المبحث تامًا من كل وجه فنقول :

يطلق التنجيم عند الأوربيين على صناعة الإنباء بالحوادث المستقبلة من النظر في الكواكب والحوادث العلوية . وقد رأى العلماء الباحثون في أساطير كل أمة أقوالا عن هذه الصناعة وإن لم تكن بالغة من الإتقان مبلغًا يرفعها إلي درجة العلوم المقررة . أول أمة رقت هذا العلم إلى درجته المعروفة هي أمة الكلدانيين ، ثم أخذه عنهم المصريون الأقدمون وعن هؤلاء أخذه اليونان فنقله عنهم الهنديون والرومانيون . وانتقل هذا العلم من العالم القديم إلى القرون الوسطى ، واشتغل به ناس كثيرون وعكفوا عليه وما زال آخذًا من الأذهان محلا إلى القرن الماضي حيث انتشرت العلوم الكونية وعرف الناس حقائق الأجرام السماوية فقل الاشتغال به وكاد يزول لولا أن العالم لا يخلو في كل زمان من رؤوس لا ترى لها لذةً إلا في التمسك بكل قديم وإنْ ناقض العقل والحس معًا ، ولا تزال هذه الصناعة تأوي إلى رؤوس في الشرق والغرب فيتلقف بعض الناس ما يقوله أهلها كأنه الوحي ، ويذهبون في النظر فيه وتأويله وتوجيهه كل مذهب ويلتمسون لقائليه الأعذار مها كذبتهم الحوادث حتى إننا لنرى أن من الناس من يسهل عليه أن يتهم عقله في فهم أقوال أولئك الأفاكين ولا يسهل عليه أن يتهمهم بالإفك .

على أن مبنى هذه الصناعة ظاهر البطلان ، لا يحتاج إلى إطالة بيان ، وذلك أن أكثر الأقدمين كانوا يؤلهون الكواكب ويعبدونها وكانوا يتخيلون أن لكل منها نصيبًا من إدارة الكون ، وكان الكلدانيون والمصريون من أكثر الأمم تشبثًا بهذه العقيدة ، فلا عجب أن تكون صناعة التنجيم نتيجة لازمة لهذه العقائد الباطلة ، فما دامت الكواكب آلهة وأبناء آلهة وأن لها أرواحا وحياة وتصريفا في الكون فما الذي يمنع من تعرف إرادتها ، بوجهة حركاتها ، أو بوقت اقترانها بسواها ، فلما جاء الإسلام وأسقط الآلهية الخيالية والحسية وقرر عبادة الخالق الحق وحده لم يبق لصناعة التنجيم مجال لأن طبيعة الإسلام تنافي التأثير لغير الله اهـ

وقال فريد وجدي في دائرة معارفه عن الكهانة :

والكهانة هي استخدام الجن في معرفة الأمور المغيبة ، وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان إذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة دخيلته أو مستقبله منه ذهب إلى الكاهن

فأخبره بما يهمه منه . وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر إليه فيخبره بما يريد ، وليس هذا الاستخدام ببعيد عن العقل ؛ فإن ما يحصل في أوروبا من استحضار الأرواح يسهل فهمه على الباحثين اهـ .

وقال البغوي في شرح السنّة :

« فالكاهن : هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ، ويدّعي معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب ، وكان في العرب كهنةٌ يدّعون معرفة الأمور ، فمنهم من كان يزعُمُ أن له رئيسًا من الجنّ ، وتابعة تُلقي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يدّعي أنه يستدرك الأمور بفهم أُعطيه . والعرّاف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالمسروق من الذي سرقها ، ومعرفة مكان الضالة ، وتُتّهم المرأة بالزنى ، فيقولُ : من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور . ومنهم من يسمي المنجّم كاهنًا » اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة [١] مثبتًا السحر وإمكانية تأثيره على أجساد الأنبياء وأن ذلك لا يترتب عليه ضرر في مهمات الرسل :

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [٢] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [٣] وَقَالَ سُبْحَانه وَتَعَالَى : ﴿ ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ في العُقَدِ ﴾ [٤] . وقَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يُخَيَّلُ إليْهِ مِنْ سِحْرِهِم أَنَّها تَسْعىٰ ﴾ [٥] .

فنفيُ السحرِ جهلٌ ، والرد على من نفاهُ لغوٌ وفضلٌ .

فأما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع بإثباته ، فليس كذلك ، لأن السحر إنما يعمل في أبدانهم [أي في أبدان الأنبياء] وهم بشرٌ يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على

(١) شرح السنة (١٢ / ١٨٤) . (٢) البقرة : ١٠٢ .
(٣) طه : ٦٩ .
(٤) الفلق : ٤ . (والنفاثات) : السواحر تنفث ، أي : تتفل بلا ريق .
(٥) طه : ٦٦ .
(يُخَيَّلُ) : أي . يُشَبَّه ، والتخاييل : كل ما لا أصل له .

غيرهم ، وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل ، وتأثير السمّ ، وعوارض الأسقام فيهم ، وقد قتل زكريا وابنه وسُمّ نبيُّنا ﷺ بخيبر . فأما أمر الدين ، فإنهم معصومون فيما بعثهم الله جل ذكره ، وأرصدهم له ، وهو جلَّ ذكره حافظ لدينه ، وحارس لوحيه أن يلحقه فسادٌ أو تبديلٌ ، وإنما كان خُيِّلَ إليه أنه يفعلُ الشيء من أمر النساء خصوصًا ، وهذا من جملة ما تضمّنهُ قوله : ﴿ فيتعلمون منهما ما يُفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ (١) فلا ضرر إذًا يلحقه فيما لحقه من السحر علي نبوته وشريعته والحمد لله على ذلك ، والسحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثهِ ، ونفخهِ ، وهمزهِ ، ووسوسته ، ويتلقاه الساحر بتعليمه إياه ، ومعونته عليه ، فإذا تلقاه عنه ، استعمله في غيره بالقول والنفث في العُقَدِ ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس ، ولذلك صار الإنسان إذا سمع ما كره يحمى ويغضب ، وربما حُمَّ منه ، وقد مات قوم بكلام سمعوه ، وبقول امتعضوا منه ، ولولا طول الكتاب لذكرناهم . هذا كلام الخطابي في كتابه اهـ .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢) :

عمل السحر حرام ، وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرًا ، ومنه ما لا يكون كفرًا ، بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر ، كفر واستتيب منه ، ولا يقتل ، فإن تاب ، قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر ، عزر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ، بل يتحتم قتله كالزنديق ، قال عياض : وبقول مالك قال أحمد وجماعة من التابعين . اهـ .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٢) شرح مسلم (١٤ / ١٧٦) .

نصوص
في :
السحر والكهانة والتنجيم

١٤٣٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه فَعَلَ الشيءَ وما فعلَه ، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ وهو عندي ، دعا اللهَ ودعاهُ ، ثم قال : « أشَعَرْتِ يا عائشةُ ، أن اللهَ قد أفْتاني فيما استَفْتَيتُه فيه ؟ » قلتُ : وماذاك يا رسولَ الله ؟ فقال : « جاءني رجلان ، فَجَلَسَ أحدُهما عند رأسي ، والآخرُ عند رِجليَّ ، ثم قال أحدُهما لصاحبِهِ : ما وَجَعُ الرَّجُلِ ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طَبَّهُ ؟ قال : لَبيدُ بن الأعْصَم اليهوديّ ، من بني زُرَيق ، قال : فيماذا ؟ قال : في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ ، قال : فأين هو ؟ قال : في بئرِ ذِي أرْوَان - ومن الرُّواة من قال :في بئرِ ذَرْوَان ، قال : وذَرْوَان : بئرٌ في بني زُرَيقٍ - فذهب النبيُّ ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئرِ فنظرَ إليها ، وعليها نَخْلٌ ، قال : ثم رجع إلى عائشةَ ، فقال : « والله لكأنَّ ماءَها نُقَاعَةُ الحِنَّاء ، ولكأنَّ نخلَها رُؤوسُ الشياطين » ، قلت : يا رسول الله ، أفأخرجتَه ؟ قال : « لا ، أمَّا أنا فقد عافاني الله وشفاني ، وخشيتُ أن أُثَوِّرَ على الناس منه شَرًّا ، وأمر بها فَدُفِنتْ » .

وفي رواية[(١)] : كان رسول الله ﷺ سُحِر ، حتى كان يُرَى أنه يأتي النِّساءَ ولا يأتيهنَّ .

وفيها : رجل من بني زريق حليف ليهودي وكان منافقًا .

قال محقق الجامع : قال النووي في شرح مسلم : قال القاضي عياض : كل ما جاء في

١٤٣٦ - البخاري (١٠ / ٢٣٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٠ - باب السحر .

مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٧ - باب السحر .

(١) البخاري (١٠ / ٢٣٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٩ - باب هل يستخرج السحر ؟ .

(مَطبُوبٌ) المطبُوبُ : المَسحُورُ ، سُمّي بذلك تَفَاؤلا بالطِّبِّ الذي هو العِلاج ، كما قيل للَّديغ : سليمٌ تَفَاؤلا بالسلامة .

(جُفّ طَلْعَةٍ) الجُفّ : وعاءُ الطَّلْعِ وغشاؤه الذي يَكنُّه .

(أثوّرَ) بمعنى : أُثيرَ ، أي : أظهِرَ وأهَيّجَ .

الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر ، لا لخلل تطرق إلى العقل ، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة ، قال : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه واعتقاده .

١٤٣٧ - * روى النسائي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سَحَرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود ، فاشْتَكى لذلك أيامًا ، فأتاه جبريلُ فقال : إن رجلا من اليهود سَحَرَكَ ، عقدَ لك عُقَدًا في بئرِ كذا وكذا ، فأرسل رسولُ الله ﷺ فاستخرجها فحلَّها ، فقام رسولُ الله ﷺ كأنما أُنْشِطَ من عِقَالٍ ، فما ذكر ذلك لذلك اليهوديّ ولا رآه في وجهه قطُّ .

أقول : والظاهر أن هذه حادثة أخرى غير التي ذكرتها الروايةُ السابقةُ .

١٤٣٨ - * روى مالك عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّها أَعْتَقَتْ جَارِيَةً لَهَا عَنْ دُبُرٍ مِنْهَا ، ثُمَّ إنَّ عَائِشَةَ مَرِضَتْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا سِنْدِيٌّ ، فَقَالَ : إِنَّكِ مَطْبُوبَةٌ ، فَقَالَتْ : من طَبَّنِي ؟ قال : امرأةٌ مِنْ نَعْتِهَا كَذا وَكَذا ، وَقَدْ بَالَ في حَجْرِهَا صَبِيٌّ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : ادْعُ لِي فُلَانَةَ ، لِجَارِيَةٍ لَهَا تَخْدُمُهَا ، فَوَجَدُوهَا في بَيْتِ جِيرَانٍ لَهَا ، في حَجْرِهَا صَبِيٌّ قَدْ بَالَ ، فَقَالَتْ : حَتَّى أَغْسِلَ بَوْلَ هذَا الصَّبِيِّ ، فَغَسَلَتْهُ : ثُمَّ جَاءَتْ فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ : أَسَحَرْتِينِي ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَتْ : أَحْبَبْتُ العِتْقَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَاللهِ لا تَعْتِقِي أَبَدًا ، فَأَمَرَتْ ابْنَ أَخِيهَا أَنْ يَبِيعَهَا مِنَ الأَعْرَابِ مِمَّنْ يَسِيئُ مَلَكَتَهَا ، ثُمَّ ابْتَعْ بِثَمَنِهَا رَقَبَةً حَتَّى أُعْتِقَهَا ، فَفَعَلَتْ . قَالَتْ عَمْرَةُ : فَلَبِثَتْ عَائِشَةُ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الزَّمَانِ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَأَتْ فِي النَّوْمِ أَنِ اغْتَسِلِي مِنْ ثَلاثِ أَبْؤُرٍ يَمُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَإِنَّكِ تُشْفَيْنَ فَاغْتَسَلَتْ ، فَشُفِيَتْ » .

١٤٣٧ - النسائي (٧ / ١١٢) ٣٧ - كتاب تحريم الدم ، ٢٠ - سحرة أهل الكتاب .

وإسناده صحيح .

١٤٣٨ - رواه مالك وإسناده صحيح .

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة للبغوي (١٢ / ١٨٩) : وهو مما انفرد بروايته أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة أحد رواة الموطأ عن مالك ، وقد قالوا : إن في موطئه زيادة نحو مائة حديث عن سائر الموطآت ، وهو من آخر الموطآت التي عُرضت على مالك رحمه الله .

أقول : إن كلام السندي لعائشة يدل على أن هنـاك نـاسًا يكتشفون السحر والسـاحر ، وقـد وجـد في البيئـات الإسلاميـة من يحلون السحر إذا وقـع بطريـق مشروع ، مثـل هـذا لا حَجْرَ عليه ولا إنكار فيه ، وهناك فارق بين الساحر وبين من يحل السحر أو يكتشفه .

١٤٣٩ ـ * روى أبـو داود عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما أنَّ رسـولَ الله ﷺ قال : « مَنِ اقْتَبسَ عِلْمًا من النُّجوم اقْتَبسَ شُعْبَةً من السِّحْرِ ، زاد مازاد » .

١٤٤٠ ـ * روى البخـاري عن قَتَـادةَ بن دِعَـامـة قـال : خلق الله هـذه النجومَ لثلاثٍ ، جعلَها اللهُ زِينةً للسماء ، ورجومـاً للشيـاطين ، وعلامـاتٍ نهتـدي بهـا ، فمن تـأوَّلَ فيهـا غيرَ هذا ، فقد أخطأ حظَّه ، وأضاعَ نصيبَهُ ، وتكلَّفَ ما لا يعنيه ، وما لا علم له به ، وما عَجَزَ عن عِلمِهِ الأنبياءُ والملائكةُ ، صلوات الله عليهم أجمعين .

وعن الرَّبيع مثله ، وزاد : والله مـا جعل الله في نجمٍ حيـاةَ أحـدٍ ولا رِزقَـهُ ولا موتَـه ، وإنما يَفْتَرون على الله الكذبَ ، ويَتعلَّلون بالنجوم .

قال محقق الجامع :

ذكره البخاري تعليقاً ٦ / ٢١١ في بدء الخلق ، باب في النجوم إلى قوله : ولا علم لـه بـه ، قال الحافظ في « الفتح » : وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه بـه ، وزاد في آخره : وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة ، من غرس بنجم كذا كان كـذا ، ومن سافر بنجم كذا كان كذا ، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولـد بـه الطويل والقصير ، والأحمر والأبيض ، والحسن و الدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الـدابـة وهـذا الطـائر شيء من هذا الغيب . اهـ .

أقول : إنما ترمى الشياطين بالشهب ، والشهب جزء من عالم النجوم ، فأُطْلِقَ ههنا الكلُّ وأريد الجزءُ وذلك من باب قوله تعالى : ﴿ الذين قـال لهم النـاس إنَّ النـاسَ قـد جمعوا لكم

١٤٣٩ ـ أبو داود (٤ / ١٥) كتاب الطب ٢٢٠ ـ باب في النجوم .

وابن ماجه(٢ / ١٢٢٨) ٣٣ ـ كتاب الأدب ، ٢٨ ـ باب تعلم النجوم .

وهو حديث حسن .

١٤٤٠ ـ البخاري (٦ / ٢٩٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٣ـ باب في النجوم .

فاخشوهم فزادهم إيماناً ﴾ (١) .

قال ابن الأثير :

(الرُّجوم) جمع رَجْم ، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يُرْجَم به ، ومعنى كونها رجوماً لهم : أن الشهب التي تنقضُّ لرمي الشياطين ، منفصلة من نار الكواكب ، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها ، لأنها ثابتة في الفَلَك على حالها ، وما ذاك إلا كقَبسٍ يؤخذ من نار ، والنار ثابتة في مكانها . اهـ .

أقول : ليس شرطاً أن تكون الشهب منفصلة عن الكواكب المرئية ، بل قد تكون قطعًا من كواكب منفجرة ، والمعروف أن في مجموعتنا الشمسية كوكبًا متفجرًا أضحت أجزاؤه مبعثرة ، وموقعه بين المريخ والمشترى .

١٤٤١ - * روى مسلم عن صفية بنت أبي عبيد رحمها الله عن بعض أزواج رسول الله ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَن أتى عرَّافًا فسأله عن شيءٍ فصدَّقهُ ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا » .

١٤٤٢ - * روى الطبراني عن ابنِ عُمَرَ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أتى عَرَّافًا لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين ليلة » .

١٤٤٣ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدَّقهُ بما يقول ، أو أتى امرأةً في دُبُرِهَا - وفي رواية : امرأةً حائضًا - فقد برِئَ مَّا أُنْزِلَ على محمد » .

---

(١) آل عمران : ١٧٣ .

١٤٤١ - مسلم (٤ / ١٧٥١) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(عرَّافًا) العرَّافُ كالكاهن ، وقيل : هو الساحر .

١٤٤٢ - مجمع الزائد (٥ / ١١٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٤٤٣ - أبو داود (٤ / ١٥) كتاب الطب ، باب في الكاهن .

وأحمد (٢ / ٤٠٨) .

والترمذي (١ / ٢٤٣) كتاب الطهارة ، ١٠٢ - باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض .

أقول : هناك نـاس لهم صلـة بجن مؤمنين ، فهؤلاء يمكن أن يعرفوا بواسطـة هؤلاء الجن بعض أحداثٍ وقعت ، فإذا ثبت صدقهم فإن هؤلاء لا يـدخلون في بـاب الكهـانـة والعرافـة ومـا يقـدمونـه من خـدمـات ليس بمستنكر إذا كانوا لا يُلَبِّسـون على النـاس ، ولا يقربـون محرمًا ، وأمرهم مستقيم ولا يستعملون وسيلة حرمها الشارع .

١٤٤٤ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : « إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَت الملائكةُ بأجنِحتها خُضْعانًـا لقولـه ، كأنـه سِلسِلـةٌ على صَفْوَانٍ ، فإذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهِم ، قالوا : مَاذَا قال رَبُّكُمْ ؟ قالوا : الحَقَّ ، وهو العَلِيُّ الكَبِيرُ ، فَيَسْمعها مُسْتَرِقُ السَّمع ـ ومُسترِقُو السمع هكذا ، بعضـه فوق بعــض ـ ووصف سفيان بكَفِّه ، فَحَرَّفها ، وبَدَّدَ بين أصـابعـه ـ فَيسمعُ الكلمـةَ ، فيُلقيهـا إلى من تحتَه ، ثم يُلقيها الآخر إلى مَنْ تحته ، حتى يُلقيَها على لِسان السَّـاحر أو الكاهن ، فَرُبَّما أدركها الشِّهابُ قبلَ أَنْ يُلقيَها ، وربمـا ألقـاهـا قبل أن يُـدْرِكَـه ، فَيكـذِبُ معها مائةَ كَذْبَةٍ فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا ، كذا وكـذا ؟ فَيُصَـدَّقُ بتلـك الكلمــة التي سُمِعتْ من السماء » وذكر في روايــةٍ : قراءة مَن قرأ (فُرِّغَ) وقــال سفيان عن عمرو : (فُزِّعَ) قال : وهي قراءتنا .

أقول : إن الناقل إلى الكاهن هو شيطـان من الشيـاطين ، وهو غير مؤتمن على النقل عن الملائكـة أو غيرهم ، وهـذا فـارق كبير بين وحي الأنبيـاء وكهـانـة الكُهَّـان ، وحي الأنبيـاء معصوم ، لأنه يصل إلينا بواسطة معصومين من الملائكـة والنبيين ، وغير ذلـك محلـه الاتهـام

= وابن ماجه (١ / ٢٠٩) ١ ـ كتاب الطهارة ، ١٢٢ ـ باب النهي عن إتيان الحائض .
والدرامي (١ / ٢٥٩) كتاب الصلاة والطهارة ، باب من أتى امرأته في دبرها .
وهو حديث صحيح .

١٤٤٤ ـ البخاري (٨ / ٥٣٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عَنْ قلوبهم قالوا ... ﴾ .
والترمذي (٥ / ٣٦٢) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٣٥ ـ باب ومن سورة سبأ . وقال حديث حسن صحيح .
(خُضعانًا) الخَاضِعُ : المُطيع المُنقَادُ الذليل ، وخُضْعانًا جمعُه .
(صَفوَان) الصَّفوانُ : الحجرُ الأملس .
(فُزِّعَ عن قُلوبِهِمْ) أي : كُشِفَ عنهـا الفَزَعُ ، ومن قرأ (فُرِّغَ) بـالراء والغين المعجمـة ، أراد : فُرِّغَت قلوبُهم من الخوفِ .
(فَحَرَّفَها) حَرَّفَها : أي أمَالَها عن جِهَتِهَا المستقيمة .

والتكذيب ، وقد يَصْدُقُ الكذوب .

١٤٤٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسولُ الله ﷺ عن الكُهَّان ؟ فقال : « ليسُوا بشيءٍ » قالوا : يا رسولَ الله إنهم يُحَدِّثُونا أحيانًا بالشيء ، فيكون حقًا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « تلك الكلمةُ من الحق يخطَفُها الجِنِّيُّ ، فيقذفُها في أُذُن وَليِّه ، فيخلِطُون معها مائة كذبة » .

زاد في رواية (١) : « فَيُقَرقِرُها في أُذُن وَليِّه كقَرقَرَةِ الدَّجاجة » .

وفي رواية (٢) « فيَقُرُّها في أُذن وَليِّه قرَّ الدَّجاجةَ » .

وفي رواية (٣) ، قالت : سألتُ أنا رسول الله ﷺ ... وذكرت مثله .

وللبخاري في رواية (٤) ، قال : « الملائكةُ تُحَدِّثُ في العَنَان ـ والعَنانُ : الغمامُ ـ بالأمر يكون في السماء ، فتسمعُ الشياطينُ الكلمة ، فُتَقُرُّها في أُذُنِ الكاهنِ كما تَقُرُّ

١٤٤٥ ـ البخاري (١٠ / ٢١٦) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٦ ـ باب الكهانة .

مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٥ ـ باب تحريم الكهانة .

(الكُهّانُ) : جمع كاهن ، وهو الذي يُخبِرُ عن بعض المضمرات فيصيبُ بعضًا ويُخطئُ أبعاضًا ، يَزْعُمُ أنَّ الجِنَّ تخبره بذلك كما كان يفعله في الجاهليةِ شقٌّ وسَطيح ، وغيرهما من الكهان ، وهو مما أبطله الإسلام وحَرَّمهُ ، ونهى عن الذهاب إليه ، واستماع كلامه وتصديقه بما يخبر به .

(يَخطَفُها) : أي : يَسلُبُها بسرعة .

(فيقذفها) يَقْذِفُها : أي يُلقيها إليه .

(١) البخاري (١٣ / ٥٣٥) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٥٧ ـ باب قراءة الفاجر والمنافق .

(كقرقرة الدّجاجة) القرقرة : تَرْديدك الكلام في أُذُن الأصَمّ حتى يفهم كما يُستخرج ما في القَارُورَةِ شيئًا بعد شيءٍ إذا أُفْرِغَتْ ، ومَنْ رواه كَقَرّ الدجاجة ، أراد : صوتَها إذا قطعته ، يقال : قَرَّت الدجاجة تَقُرُّ قَرًّا وقريرًا : إذا قطعت صوتها ، فإن رَدَّدَتهُ قيل : قَرقَرَتْ قَرقَرةً ، ومنه صَرَّ البابُ : إذا صَوَّتَ ، وصَرصَرَ البَازي ، لما في صَوته من الترديد ، والمعنى : أن الجنّي يقذف تلك الكلمة إلى وَلِيّه الكاهن فيتسامع به الشياطين ، كما تُؤذِنُ الدجاجة بصوتها صَاحِبَاتِها فَتَتَجاوبُ ، ومن شأنها : أن الواحدة منهن إذا صَاحَت صَاحَ سَائِرُهن . قال الخطابي : ويجوز أن تكون الرواية « كقَرّ الزُّجَاجة » بالزّاي ، وتَعْضُدُها الرواية الأُخرى « كما تقر القارورة » والقارورة : الزُّجاجة . يقول : فيَقُرُّه في أُذُنِ الكاهن ، كما يقر الشيء في القارورة وفي الزجاجة ، والله أعلم .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٥ ـ باب تحريم الكهانة .

(٣) مسلم : نفس الموضع السابق .

(٤) البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

القَارُورَةُ ، فيزيدُون معها مائة كذبة » .

وفي أخرى له نحوه ، وزاد في آخره ، « من عند أنفُسهم » .

قال البغوي في شرح السُّنّة في تفسير الخطف :

يخطفها الجنّي . أي : يأخذها ويستلبها بسرعة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إلا من خطِف الخَطْفة ﴾ (١) أي استَرَقَ السمع بسرعة اهـ .

أقول : لابد من التفريق بين ما هو إخبار عن المستقبل وبين ما هو إخبار عن حاصل ، وبين صلة إنسان مسلم بجني مسلم ، وبين صلة بالشياطين ، فصلة الإنسان المسلم بجني مسلم ثابتة وواقعة ، وقد يترتب عليها شيء من نفع .

١٤٤٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار : أنهم بينا هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بنَجْمٍ واسْتَنَارَ ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُميَ بمثل هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : وُلِدَ الليلةَ رجلٌ عظيم ، ومات رجلٌ عظيم ، فقال رسولُ الله ﷺ : « فإنها لا يُرمَى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياته ، ولكنَّ ربَّنا - تبارك اسمه - إذا قضى أمرًا سَبَّحَ حملةُ العرش ، ثم سبحَ أهلُ السماء الذين يَلُونَهم ، حتى يَبْلُغَ التَّسبيحُ أهلَ هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلُون حملةَ العرشِ لحملةِ العرشِ : ماذا قال ربُّكم ؟ فيخبِرونهم ما قال ، فَيَسْتَخبِرُ بعضُ أهل السموات بعضًا ، حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماء الدنيا ، فيخطِف الجنُّ السَّمع فيَقْذفُون إلى أوليائهم ، ويرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌ ، ولكنهم يُقرِّفُون فيه ويزيدُون » .

---

(١) الصافات : ١٠ .

١٤٤٦ - مسلم (٤ / ١٧٥٠) ٣٩ - كتاب السلام، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

والترمذي : (٥ / ٣٦٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب ومن سورة سبأ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية (١) : رجال من أصحاب رسول الله ﷺ » وزاد « وقال الله : ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وهو العليُّ الكبيرُ ﴾ (٢) .

وللترمذي (٣) في أخرى : أن ابن عباس قال : بينما رسولُ الله ﷺ جالسٌ .... وذكر الحديث ، ولم يذكر فيه : عن رجل من الأنصار .

١٤٤٧ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قالَ : من أتى كاهنًا أو عرافًا وتيقنَ بما يقولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

* * *

---

(١) مسلم (٤ / ١٧٥١) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٥ - باب تحريم الكهانة .

(٢) سبأ : ٢٣ .

(٣) الترمذي (٥ / ٣٦٢) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٣٥ - باب « ومن سورة سبأ » . وقال : حديث حسن صحيح .

١٤٤٧ - المعجم الكبير : (١٠ / ٩٢) .

مجمع الزوائد : (٥ / ١١٨) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال فصدقه . وكذلك رواية البزار ورجال الكبير والبزار ثقات .

الفصل الثاني

في:

نسبة الحادثات إلى الأسباب

مقطوعة عن الله عز وجل

وفيه:

مقدمة ونصوص

مقـدمـة

الإيمان بالأسباب جزء من عقيدة المسلم . ولكن الجزء الآخر من عقيدة المسلم ألا يعتمد عليها ، فهذا ينافي التوكل ، وألا يجعل لها تأثيرًا فهذا يتنافى مع الإيمان بشمول تعلق الإرادة الإلهية بالحوادث وشمول تعلق القدرة الإلهية بما تعلقت به الإرادة ، وذلك قول بالقوة المودَعة التي ذهب إليها المعتزلة وهو نوع شرك يصل بصاحبه إلى ضلال أو كفر ، ولذلك قال علماؤنا : من عطّل الأسباب فقد كفر ، ومن جعل لها تأثيرًا فقد أشرك .

فالمسلم لا ينفي ارتباط الأسباب ببعضها ولكن يعتقد أن كل ما جرى ويجري إنما هو بعلم الله وإرادته وقدرته ولذلك كان من أذكار المسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله . وكنموذج على ماقلناه لنأخذ حادثة المطر ، فأن يتعرف الإنسان على احتمالات نزول المطر فهذا شيء مُقرّ والله عز وجل قال : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته ﴾ [1] ، ومن القديم كان العربي من خلال شمه للرياح ورؤيته للسحاب يدرك إمكانية نزول المطر ، فهذا جزء من عالم الأسباب لا اعتراض ولا إنكار بل ينبغي إثباته وقد طُوِّرت في عصرنا وسائل لاستكشاف احتمالات ما يجري ولكن ما تقدمه هذه الوسائل يبقى في حدود الاحتمالات ، ولكن الشيء الذي يكمل هذا التصور أن نعتقد أن ما يحدث هو بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وأن إنزال المطر النافع هو أثر رحمته وعنايته ، فمن غفل عن ذلك مع صحة الاعتقاد فلا إثم عليه ، ومن اعتقد أنه لا تدخل لله في ما يجري ، ونسب ما يحدث إلى الأسباب قاطعًا إياها عن المسبب فهو ضال إن كان يقول بالقوة المودعة ، وكافر إن كان يؤمن بأنه لا دخل ابتداءً وانتهاءً لله فيما يجري .

وهذا موضوع مباحثه طويلة وأدلته كثيرة وقد وُفِّقَ أهل السنة والجماعة فيه للحق ، وضل عنه كثيرون ، وكنموذج على بعض ما ورد في هذا الشأن ما ورد في موضوع نزول المطر ، فالله عز وجل قال : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ [2] ، وقال ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا فترى الودق يخرج

---

(١) الأعراف : ٥٧ .

(٢) فاطر : ٢٧ .

من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون * وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين * فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يُزْجِي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الوَدْق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ [٢] .

ومن ههنا لفت رسول الله ﷺ النظر إلى أن المسلم يستقبل المطر بنسبته إلى الله كدأب المسلم في كل شيء ، وهذا لا ينفي الإيمان بعالم الأسباب .

وهذه نصوص في هذه المسألة تعرف منها موقف الإسلام بالقول بالأسباب ، وألا يجعل لها تأثيرًا بل المؤثر هو الله ، قال تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ [٣] .

---

(١) الروم : ٤٨ ـ ٥٠ . (٢) النور : ٤٣ .
(٣) الرحمن : ٢٩ .

النصوص

١٤٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد رضي الله عنه ، قال : صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية في إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف ، أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : قال : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي ، وكافرٌ ، فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمنٌ بي ، كافرٌ بالكوكبِ ، وأما من قال : مُطِرْنا بِنَوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب » .

وفي رواية [(١)] النسائي قال : مُطِرَ الناسُ على عهد رسول الله ﷺ ، فقال : « ألم تسمعوا ما قال ربُّكم الليلةَ ؟ قال : ما أَنْعَمْتُ على عبادي من نعمة إلا أصْبَحَ طائفةٌ منهم بها كافرين ، يقولون : مُطِرْنَا بنَوء كذا ، ونَوْء كذا ، فأما من آمن بي وحَمدَني على سُقْيَاي ، فذلك الذي آمن بي ، وكفر بالكوكب ، ومن قال : مُطِرْنا بِنَوء كذا وكذا ، فذلك الذي كفر بي ، وآمن بالكوكب » .

قال ابن الأثير :

(إثر سماء) السماء هاهنا : المطر ، سُمّي بذلك ، لأنه ينزل من السماء .

(النَّوْء) : واحد الأنواء ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كلَّ ليلة في منزلةٍ منها ، ويسقط في الغرب كلَّ ثلاث عشرة ليلة منزلةٌ مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابِلَها ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة ، وطلوع رقيبها : يكون مَطرٌ ، فينسبون المطر إلى المنزلة ، ويقولون : « مُطِرنا بنَوء كذا » وإنما سُمّي نوءًا ، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ، ينوء نوءًا ، أي :

١٤٤٨ - البخاري (٢ / ٣٣٣) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٥٦ - باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم .
مسلم (١ / ٨٣) ١ - كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .
وأبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، ٢٢ - باب في النجوم .
والموطأ (١ / ١١٢) ١٣ - كتاب الاستسقاء ، ٣ - باب الاستمطار بالنجوم .

(١) النسائي (٣ / ١٦٤) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

نهض وطلع ، وقيل : إن « النوء » : هو الغروب ، فهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : لم نسمع في النوء أنه السقوط ، إلا في هذا الموضع ، وإنما غلّظ النبيُّ ﷺ في أمر الأنواء ، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها ، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى ، وأراد بقوله : « مُطِرنا بنوء كذا » أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلانيُّ ، فإن ذلك جائز ، فقد قيل : « إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أراد أن يستسقيَ ، فنادى بالعباس بن عبد المطلب : كم بقي من نَوْء الثريا ؟ فقال : إنَّ العلماءَ بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعًا بعد وقوعها » فما مضت تلك السبع حتى غِيثَ الناس ، وأراد عمر : كم بقي من الوقت الذي قد جَرَتِ العادة أنه إذا تمّ أتى الله بالمطر ، وأما قوله : « كافر بي » فيحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ويحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشكر ، يعني أنه كَفَر نعمةَ الله ، حيث نسبها إلى غيره .

وعلم النجوم المنهي عنه : هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستجيء في المستقبل ، وأنهم يدركون معرفتها بتسيير الكواكب ، وانتقالاتها واجتماعها وافتراقها ، وأنَّ لها تأثيرًا اختياريًا في العالم ، فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات ، والاهتداء بها في الطرقات ، ومعرفة القبلة ، وأشباه ذلك ، فليس به بأس . اهـ .

١٤٤٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ألم تَرَوْا إلى ما قال ربُّكم ؟ قال : ما أنعمتُ على عبادي من نعمة إلا أصبحَ فريقٌ منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكبُ ، وبالكوكب » .

وفي رواية [1] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبحَ فريقٌ من الناس بها كافرين ، يُنْزِلُ اللهُ الغيثَ ، فيقولون : الكوكبُ كذا وكذا » .

وفي رواية النسائي [2] ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « قال الله عزوجل ما أنعَمْتُ

١٤٤٩ - مسلم (١ / ٨٤) ١ - كتاب الإيمان ، ٣٢ - باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(١) مسلم : نفس الموضع .

(٢) النسائي (٣ / ١٦٤) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

على عبـادي من نعمـة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولـون : الكـوكبُ ، وبالكوكب » .

١٤٥٠ - * روى النسـائي عن أبي سعيـد الخـدري رضي الله عنـه قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لو أَمْسَكَ الله القَطْر عن عباده خمس سنين ، ثم أرسلـه لأصْبَحَتْ طـائفـةٌ من الناس كافرين ، يقولون : سُقِينا بِنَوءِ المِجْدَح » .

١٤٥١ - * روى الطبراني عن العباس بن عبدِ المطلب قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المـدينـة فـالتفت إليهـا فقـالَ : « إن الله قـد بَرَّأَ هـذه الجـزيرةَ من الشِّرْكِ ولَكِنْ أخـافُ أن تُضِلَّهم النجـومُ » ، قـال : « يَنْـزل الغيثُ فيقـولـونَ مُطِرْنـا بنـوء كـذا وكذا » .

* * *

١٤٥٠ - النسـائي (٣ / ١٦٥) ١٧ - كتاب الاستسقاء ، ١٦ - باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

وفي سنده عتاب بن حنين ويقال ابن أبي حنين : المكي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات .

(المِجْدَح) : بكسر الميم : نجم يقال له : « الدَّبَران » وبعضهم يضم الميم .

١٤٥١ - مجمع الزوائد (٨ / ١١٤) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار ، وإسناد أبي يعلى حسن .

الفصل الثالث

في:

الطيرة والفأل والشؤم والعدوى

ومَا يجري مجراها

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

للوهم تأثيره على الإنسان حتى قالوا : ما قادك شيء مثل الوهم . وكثيرًا ما تعصف الأوهام بالإنسان ، فتخرجه من دوائر الطمأنينة والتعقل إلى دوائر القلق والحيرة والخَرَقِ ، وجاءت شريعة الإسلام وأعطت الإنسان التثبت والتعقل والطمأنينة من خلال الذكر والتوكل والتشريع بحيث غدا حرًّا من تعبد الأوهام .

ومن مظاهر تعبد الإنسان للوهم أن يُحكِّمَ في تصرفاته الجمادات والحيوانات ، فترى أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام بأن يضعوا أقلامًا في شيء ما ، وبعض هذه الأقلام مكتوب عليها : نعم أو لا ، فإذا أراد الإنسان السفر أو غيره أدخل يده هو أو غيره فإذا خرج سهم يقول له : لا ، ترك ، وإذا خرج سهم يقول : نعم ، فعل ، فهذا مظهر من تحكيم الجماد بالإنسان ، وكان من عاداتهم الطيرة التي نهى عنها الشرع ، ومن صورها : إذا أراد إنسان أن يسافر أو يعمل عملا أرسل الطير ، فإن رجعت عن يمينه تفاءل فأقدم ، وإن رجعت عن شماله تشاءم وأحجم ، فهذا مظهر من مظاهر تحكيم الحيوان بالإنسان ، وعدا عن كون هذا وهذا استخفافًا في العقل البشري فهو كذلك تحكيم للوهم في إرادة الإنسان ، ولذلك تأثيراته على أعصاب الإنسان وجسمه وقلبه ، ولا زال بعض الناس يفعلون شبيهًا بهذا فترى بعضهم يبحث عن حظه بضربة نرد أو بإلقاء علبة أو بغير ذلك من صور ، كلها تحوي فكرة تعبيد النفس للوهم ، والتشاؤم كله تعبيد للنفس للوهم ، وما يترتب على ذلك من انعكاسات تظهر في أمراض نفسية شتى ، وما أكثر أمراض النفس التي تعد في عصرنا من اكتئاب إلى السويداء إلى الخوف إلى القلق وللتشاؤم دخل في هذه الأمراض ، وللعدوى دخل كبير في الوهم مع أنها حاصلة إلا أن كثرة الخشية من العدوى تورث التوهم الذي يؤدي إلى خلل مع علاقات الناس ، كما أنها قد تؤدي إلى شرور بين الناس خاصة إذا أخذ الناس يرفعون دعاوى على بعضهم بأن فلانًا أعداني ، أو أن إبل فلان أعدت إبلي ، وهي قضايا ظنية ، ومن الناحية الطبية ، فالعدوى في كثير من الأحيان إنما توجد إذا وجد عند الجهة الأخرى استعداد للعدوى .

ومن ههنا أقر الشارع العدوى كحقيقة ، وعلَّم الإنسان الاحتياط ولكنه أهدر آثارها ،

وهكذا عالج الإسلام الذي أنزله الله طبًّا للإنسان في كل شيء ، عالج الوهم في حياة الإنسان وحرره من أن يتعبد للجمادات أو الحيوانات أو للأوهام بأي شكل من أشكال التعبد والطاعة ، ومن ههنا حرّم الإسلام الاستقسام بالأزلام وحرم الطيرة وعالج التشاؤم وأهدر العدوى ، فلم يعلق عليها أية مسؤولية ، وأبدلنا بذلك كله توكلا على الله وطمأنينة قلب لقضائه ، واستخارة حيث تندب الاستخارة ، واستشارة حيث تندب الاستشارة ، وحسن ظن بالله ، وحسن ظن في الخلق في محله ، وغير ذلك مما يكون عليه المسلم السوي في اعتقاده وأعماله وفي نفسه وقلبه وعقله ، وهذه قضايا لا يعرف قيمتها إلا من عرف كيف تتمزق النفس بالأوهام عندما يكون إسلام أو عندما لا يكون إسلام ، لم يصل بعد إلى القلب فيجعله يستقر باليقين ، ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (١) .

ولارتباط هذه المعاني بالعقيدة والإيمان فقد عقدنا هذا الفصل في هذا الباب .

---

(١) الرعد : ٢٨ .

النصوص

١٤٥٢ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : إن النبيَّ ﷺ قال : « لا عدوى ، ولاصفرَ ، ولا هامةَ » ، فقـال أعرابيٌّ : يـا رسولَ الله ، فما بـالُ إبل تكون في الرمل كأنها الظِّباءُ ، فيأتي البَعيرُ الأجْرَبُ ، فيدخل فيها فيُجْرِبُها كلَّها ؟ فقـال : « فَمن أعْدَى الأولَ ؟ » .

قال البخاري : ورواه الزهريُّ عن أبي سلمة عن عبد الرحمن ، وسنان بن أبي سنان ، وفي رواية سنان وحده : بنحو ذلك .

وفي رواية لأبي سلمة [1] : أنه سمع أبا هريرة بعدَ يقول : قال النبيُّ ﷺ : « لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِـحٍّ » . وأنكر أبـو هريرة حـديثَ الأولِ ، قلنـا : ألم تُحـدِّثْ : أنـه « لا عدوى ؟ » فَرَطَن بالحبشية ، قال أبو سلمة : فما رأيتُه نَسِيَ حَديثًا غيرَه .

وفي رواية أخرى [2] عن أبي سلمةَ : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عـدوى » ويحـدِّث : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » . قال الزهري : قال أبو سلمـة : كان أبـو هريرة يحـدِّث بها كليهما عن رسـولِ الله ﷺ ، ثم صمت أبـو هريرة بعـد ذلـك عن قولـه : « لا عـدوى » ، وأقـام على أن « لا يُـورِدُ مُمرِض على مصِـحٍّ » . قـال : فقـال الحارث بن أبي ذُبَاب - وهو ابن عمِّ أبي هريرة - قد كنتُ أسمعك يـا أبـا هريرة تحدِّثنـا مع هـذا الحـديث حـديثًـا آخرَ قـد سكَتَّ عنـه ، كنتَ تقـول : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لا عـدوى »؟ فـأبى أبـو هريرةَ أن يعرف ذلـك ، وقـال : « لا يـورِدُ ممرِض على مصِح » . فَماراه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فَرَطَن بالحبشية ، فقـال للحـارث : أتـدري مـاذا قلتَ ؟قـال : لا ، قـال أبو هريرة : إني قلت : « أُبَيتَ » . قـال أبـو سلمـة : ولعَمْري ، لقـد كان أبـو هريرة يحدِّثنا : أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « لا عـدوى » . فـلا

١٤٥٢ - البخاري (١٠ / ١٧١) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٥ - باب لاصفر .

مسلم (٤ / ١٧٤٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

(١) البخاري (١٠ / ٢٤١) ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٣ - باب لا هامة .

(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٣) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

أدري : أَنسِيَ أبو هريرة ، أو نَسَخَ أحَدَ القولين الآخر ؟ .

وفي روايــة أخرى [١] قــال : سمعت رسـولَ الله ﷺ يقـول : « لا طِيَرَة ، وخيرهـا الفأْلُ » . قيل : يا رسولَ الله ، وما الفأْلُ ؟ قال : « الكلمةُ الصالحةُ يسمعُها أحدُكم » .

وعند البخاري [٢] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طِيَرَةَ ، ولا هامـةَ ، ولا صفرَ » .

وله في أخرى [٣] زيادة : « وفِرَّ من المَجْذُومِ كما تَفِرُّ من الأسد » .

وفي رواية لمسلم [٤] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا هـامـةَ ، ولا نَوْءَ ، ولا صفرَ » .

وفي أخرى [٥] : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا طِيَرَة ، وأُحِبُّ الفأْلَ الصالحَ » .

قال أبو داود : قال بقيَّةُ : سألت محمد بن راشد عن قوله : « ولا هامة » ؟ فقـال : كان أهل الجـاهليـة يقولون : ليس أحدٌ يموتُ فيُـدفَن إلا خرج من قبره هـامـةٌ . وعن قـولـه : « ولا صفر » ؟ قـال : كانوا يَسْتَشْئِمُونَ بـدخـول صفر ، فقـال النبيُّ ﷺ : « لا صفر » . قال : وسمعتُ من يقول : هو وَجَع يأخذ في البطن ، يزعمون أنـه يُعْـدي . قـال أبو داود : وقال مالك : كان أهل الجاهليـة يُحِلُّونَ صفرَ عـامًـا ، ويُحرِّمونـه عـامًـا ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « لا صفر » .

(ولا هَامَة) الهَامَ جمع هامَة ، وهو طائر كانت العرب تزعم أن عِظَـامَ الميت تصير هـامـةً فتطير ، وكانوا يقولون : إن القتيل تخرج من هامته ـ أي : رأسه ـ هـامـةٌ ، فلا تزال تقول : اسْقُوني ، حتى يُقْتَلَ قاتلُه .

---

(١) البخاري (١٠ / ٢١٢) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٣ ـ باب الطيرة .
ومسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .

(٢) البخاري (١٠ / ٢١٥) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٥ ـ باب لا هامة .

(٣) البخاري (١٠ / ١٥٨) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ١٩ ـ باب الجذام .

(٤) مسلم (٤ / ١٧٤٤) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٣ ـ باب لا عدوى ولا طيرة .

(٥) مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .

(لا يُورِدُ مُمْرِض على مُصِحٌّ) المُمْرِض : هو الـذي إبلـه مِرَاضٌ ، والمُصِحُّ : الـذي إبلـه صِحَاح ، فنهى أن يُورِد صاحبُ الإبل المِراض إبلَه على إبلِ ذِي الإبل الصحاح .

(فَرَطن) الرَّطانَةُ : التكلُّم بالعجمية أي لغة كانت .

(فَمَارَاهُ) المُمَارَاةُ والمُجادَلةُ : المُخاصمة .

(أُتِيتَ) أي : دُهِيت وتغيَّر عليك حِسُّكَ ، فتوهمتَ ما ليس بصحيحٍ صحيحًا .

(خَيْرُها الفَـأْلُ) هو مثل أن يكون الرجل مريضًـا ، فيسمعَ آخرَ يقول : يـا سـالم . أو يكون طالبًـا ، فيسمع آخرَ يقول : يـا واجـد . فيقع في ظنـه أن يَبْرأَ من مرضـه ، ويَجِـد ضَالَّتَه ، فيتوقَّع صحة هذه البشرى ، ويتنفَّس بذلك نفَسهُ ؛ لأنه وقع من القـائل على جهـة الاتفاق ، تقول منه : تفَاءَلْتَ ، والافْتئالَ : افْتِعـالٌ منـه ، فـالفـأل : فيما يُرجى وقوعـه من الخير ، ويَحسن ظـاهرُه ويَسُرُّ ، والطِّيَرَةُ : لا تكـون إلا فيما يَسـوءُ ، وإنمـا أَحبَّ النبيُّ ﷺ الفأل ؛ لأن الناس إذا أمَّلُوا فائدةً من الله ،ورَجَوْا عائـدتـه عنـد كل سبب ضعيفٍ أو قوي : فهم على خير ، وإن لم يُدركوا ما أمَّلوا ، فقد أصابوا في الرجاء من الله وطلب مـاعنـده ، وفي الرجـاء لهم خيرٌ مُعَجَّـل ، ألا ترى أنهم إذا قطعـوا أمَلَهم ورجـاءهم من الله كان ذلــك من الشر ؟ . فـأمَّـا الطِّيَرَة : فـإن فيها سوءَ الظَّنِّ ، وقطعَ الرجـاء ، وتوقعَ البلاء وقُنُوطَ النفس من الخير ، وذلك مذموم بين العُقَلاء ، منهيٌّ عنه من جهة الشرع .

(و لا نَوءَ) النَّوْءُ : واحـدُ الأنـواء ، وهي ثمـانيـة وعشرون نجمًـا ، هي منـازل القمر ، تسقط كلَّ ثلاث عشرةَ ليلةً ، منها منزلـةٌ من طلوع الفجر وتطلع أخرى مُقـابلَهـا ، فتنقضي هذه الثمانيـة والعشرون مع انقضـاء السنـة ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلـة وطلوع نظيرها يكون مطرٌ ، فَيَنْسُبُون المطر إلى المنزلة ، ويقولون : مُطِرنـا بنَوْء كـذا ، وإنمـا سُمِّي نَوءًا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ، أي : طلع ونهض ، وقيل : إن النوء هو الغروب ، وهو من الأضداد ، قال أبو عبيد : ولم يُسمع في النوء أنـه السقوط إلا في هذا الموضع .

وإنما غلَّـظ النبيُّ ﷺ في أمْر الأنواء ، لأن العرب كانت تَنْسُب المطر إليهـا ، فـأمَّـا مَن

جعل المطر من فعل الله عز وجل ، وأراد بقوله : مُطِرنا بنوء كذا ، أي : في وقت كذا ، وهو هذا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز .

وفي معنى النوء قال البغوي في شرح السنة :

قوله : « ولا نَوءَ » أراد به ما كانت العرب تنسبُ المطر إلى أنواء الكواكب الثانية والعشرين التي هي منازل القمر ، وتقول : مُطرنا بنوء كذا ، فأبطل الشرعُ أن يكون بنوء النجوم شيء إلا بإذن الله ا . هـ .

أقول : لقد لاحظنا في الحديث الذي مرّ معنا إثبات العدوى ، ولذلك ورد : لايوردن ممرض على مصح . كما رأينا أن فيه نفي العدوى ، والجمع بينهما أن الشارع أثبت العدوى كواقع ، وطالب بالاحتياط منها ، ونفى أن يترتب على العدوى مسؤولية قضائية .

وقد مرّ في الحديث النهي عن التشاؤم بذكر ما جرت عادة العرب أن تتشاءم منه ، ومن ذلك التشاؤم من صفر ، وأبطل الحديث خرافة الهامة التي كانت موجودة عند العرب في الجاهلية ولا زالت بعض الشعوب تتشاءم حيث لا ينبغي التشاؤم ، ومن ذلك تشاؤم الغربيين بالعدد رقم - ١٣ - ، وهو من قبيل تشاؤم الجاهلية .

١٤٥٣ - * روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ مقامًا ، فقال : « لا يُعدي شيءٌ شيئًا » . فقال أعرابيٌّ : يا رسول الله ، فما بالُ الإبل يأتيها البعيرُ الأجربُ الحشَفَة بذنبه فيُجربُها كلَّها ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ : « فَمَنْ أجربَ الأولَ منها ؟ ألا لا عَدْوى ولا صَفَر ، إن الله خَلَقَ كلَّ نَفْسٍ وَكَتَبَ حياتَها وَرِزْقَها ومصائبها ومحابَّها » .

١٤٥٤ - * روى مسلم عن عمرو بن الشريد رضي الله عنه ، عن أبيه قال : كان في وَفْدِ ثَقيفٍ رجلٌ مجذوم ، فأرسل إليه النبي ﷺ : « إنَّا قد بايَعناك ، فارْجِعْ » .

١٤٥٣ - الترمذي (٤ / ٤٥٠ ، ٤٥١) ٣٣ - كتاب القدر ، ٩ - باب ما جاء لا عدوى .وهو حديث حسن .

قال ابن الأثير :

(يُعْدي) : أعدى المريض : إذا تجاوز من واحدٍ إلى آخر ، كما يتعدى الجَرَبُ .

١٤٥٤ - مسلم (٤ / ١٧٥٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٦ - باب اجتناب المجذوم ونحوه .

أقول : هذا الحديث أحد الأدلة على أن العدوى ثابتة بـالشرع ، وإنما المنفي هو إثبـات المسؤولية المادية بسببها .

١٤٥٥ ـ * روى الطبراني عن ابنِ عباس قـال : قـال رَسولُ الله ﷺ : « لا عـدوى » . فقال أعرابي : يا رسول الله فإنَّا نأخذ الشاةَ الجربة فنطرحُها في الغنمِ فتجرَبُ . فقـالَ رسول الله ﷺ : « يا أعرابي من أجرب الأولى » .

١٤٥٦ ـ * روى أبـو داود عن عبـدِ اللهِ بن مسعـودٍ رضي الله عنـه ، أن رسـولَ الله ﷺ قـال : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيرة شرك ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ » ـ ثـلاثـًا ـ « ومـا منَّـا إلا ، ولكنَّ الله يُذهبُه بالتوكلِ » .

وفي رواية الترمذي [(١)] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الطِّيرة من الشِّرْك ، ومـا منَّـا إلا ، ولكنَّ اللهَ يُذْهبه بالتوكل » .

ورواه أيضًا ابن حبان [(٢)] .

(الطِّيَرةُ) ما يُتَشَاءَمُ به من الفأْل الرديء وغيره ، واشتقاقها من الطَّيْر ، وكانت العرب تتطيَّر من الغراب والأخيل ونحـوهـا من الطَّيْر ، وتتشـاءَم بـه ، وترى أن ذلـك مـانـع من الخير ، فنفى الإسلام ذلـك ، وقـال : « ولاطِيَرَةَ » : وهو مصـدر ، كالتَّطَيُّر ، تطَّير الرجـل تَطَيُّرًا وطِيَرَةً ، كما قـالـوا : تَخَيَّرْتُ الشيء تَخيُّرًا وخِيَرَةً ، ولم يجيء من المصـادر على هـذا القياس غيرُهما .

وقال البغوي في شرح السنة مبينًا ماهية الطيرة :

وذلـك أن العرب كانت تتطير ببروح الطير وسنـوحهـا ، فيصـدهم ذلـك عمـا يمّـوه من مقاصدهم ، فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفعٍ ، أو ضرٍ ، ويقال :

١٤٥٥ ـ المعجم الكبير : (١١ / ٢٣٨) .

مجمع الزوائد : (٥ / ١٠٢) وقال : رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح .

١٤٥٦ ـ أبو داود (٤ / ١٧) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

(١) الترمـذي (٤ / ١٦٠ ، ١٦١) ٢٢ ـ كتـاب السير ، بـاب مـاجـاء في الطيرة وقـال : هـذا حـديث حسن صحيح

(٢) الإحسان بترتيب ابن حبان : (٧ / ٦٤٢) .

الطيرةَ أن يخرج لأمر ، فإذا رأى مـا يحبُّ ، مضى ، وإن رأى مـا يكره انصرف ، فـأمـا ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه ، فليس بطيرة ، إذا مضى لحاجته ، وتوكل على ربه . قال ابن عباس : إن مضيتَ ، فتوكل ، وإن نكصتَ فتطير . وقال إبراهيم : قال عبد الله : لا تَضرُّ الطِّيرةُ إلا من تطير . اهـ .

(وما مِنَّا إلا) في هذا الكلام محذوف ، تقديره : وما منَّا إلا ويَعْتَريه التَّطَيُّر ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له ، فحذف ذلك اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع ، وقد جاء في كتاب الترمذي : أن هذا من كلام ابن مسعود ، وليس من الحديث ، والله أعلم .

١٤٥٧ ـ * روى أحمد عن بُرَيْدَة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ كان لا يَتَطيَّرُ من شيءٍ ، وكان إذا بَعَثَ عامِلاً سألَ عن اسمهِ ؟ فإذا أعْجبَهُ فَرحَ به ، وَرُئي بِشْرُ ذلك في وجههِ ، وإن كَرِه اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهيةُ ذلك في وجهه .

قال ابن الأثير :

(بِشْرُ) البِشْرُ : طَلاقَة الوجه وأمَاراتُ الفرح التي تظهر على الإنسان عند رؤيةِ ما يَسُرُّ ، أو سماعه . ا هـ .

قال البغوي : وينبغي للإنسان أن يختار لولده وخدمه الأسماء الحسنة ا . هـ .

١٤٥٨ ـ * روى مسلم عن مُعَاوِيَة بْنِ الحَكَم ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : مِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ شَيءٌ تَجِدُونَهُ في أنْفُسِكُمْ ، فَلا يَصُدَّنَّكُم » . قَالَ : قُلْتُ : وَمِنَّا رِجَالٌ يأْتُونَ الكُهَّانَ ؟ قَالَ : « فَلا تَأْتُوهُم » . قَالَ : قُلْتُ : ومِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ . قَالَ : « خَطَّ نَبِيٌّ ، فَمَنْ وَافَقَ عِلْمَهُ عَلِمَ » .

١٤٥٧ ـ أحمد (٥ / ٣٤٧) .

وأبو داود (٤ / ١٩) : كتاب الطب ، ٢٤ ـ باب في الطيرة .

١٤٥٨ ـ مسلم (١ / ٣٨٢) ٥ ـ كتاب المساجد ، ٧ ـ باب تحريم الكلام في الصلاة .

قال البغوي في شرح السنة في تفسير قوله عليه السلام « يخطون » :

قال الخطابي : فقد يحتمل أن يكون معناه : الزجر عنه ، إذ كان من بعده لا يوافق خطه ، ولا ينال حظه من الصواب ؛ لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي ، وعَلَمًا لنبوته ، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعًا في نيله والله أعلم . روي عن طاووس قال : سمعتُ ابن عباس يقول : إن قومًا يحسِبون بأبي جادٍ ، وينظرون في النجوم ، وما أرى لمن فعل ذلك من خلاق اهـ .

أقول : أبي جاد : المراد بها الأحرف الأبجدية نسبة إلى (أبجد هوز) والمعروف أن العرب تعطي لكل حرف منها عددًا ، وبعض الناس يحسبون أعداد الأحرف لشيء ما وعلى ضوء ذلك يقدمون أو يحجمون . وهذا الذي نهى عنه ابن عباس وسفَّه أهله لأنه تحكم وتحكيم لغير العاقل بالعاقل ، وهو في الأصل شيء غير معقول المعنى ولم يأت به شرع .

١٤٥٩ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا عَدْوى ، ولا طِيَرَة ، ويُعْجِبُني الفَأْلُ » . قالوا : وما الفَأْلُ ؟ قال : « كلمةٌ طيِّبة » .

وروى البخاري مثله ، وقال [(١)] : « ويعجبني الفأْلُ الصَّالحُ : الكلمةُ الحسنةُ » .

وروى مسلم مثله ، وقال [(٢)] : « ويُعجبني الفأْلُ : الكلمةُ الحَسنةُ ، الكلمةُ الطيبةُ » .

قال ابن الأثير :

(لا عَدْوَى) يقال : أعداه المريض : إذا أصابه منه بِمُقَارَنَتِهِ ومُجَاوَرَتِهِ أو مُوَاكَلَتِهِ ومُبَاشَرَتِهِ .

١٤٥٩ ـ البخاري (١٠ / ٢٤٤) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٥٤ ـ باب لا عدوى .
مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .
(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٤ ـ باب الفأل .
(٢) مسلم (٤ / ١٧٤٦) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .

١٤٦٠ ـ * روى الطبراني ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُبَلِّغُنَا من لِقاحنا » . فقام رَجلٌ فقال : أنا . فقالَ له رسول الله ﷺ : « ما اسمك » ؟ قال : صخرٌ أو جَنْدَلٌ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلِسْ » . ثم قال : « من يبلِّغنا لبنَ لقاحنا » ؟ فقامَ رَجلٌ آخر فقال له رسول الله ﷺ : « مَا اسمك » قال : يعيشُ . قال : « بلغْنا من لقاحنا » .

١٤٦١ ـ * روى الترمذي ، عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يُعْجِبُه إذا خرجَ لحاجة : أن يسمعَ : يا راشدُ ، يا نجيحُ .

وفي الصحيحين [1] معناه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤٦٢ ـ * روى الطبراني ، عن أبي الدرداء قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « لن ينالَ الدرجاتِ العُلى من تَكَهَّن أو استقسم أو رَجَعَ من سفر تَطيرًا » . وفي رواية : « أو تطير طَيرة ترده عن سفرٍ لم ينظر إلى الدرجاتِ العُلى » .

١٤٦٣ ـ * روى أبو داود عن قَطَنَ بن قَبيصة عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « العِيَافَةَ والطِّيرةَ والطَّرْقُ : من الجِبْتِ » .

قال ابن الأثير :

(العِيافة) : زجرُ الطير والتفاؤل بها ، كما كانت العرب تفعله ، عَافَ الطيرَ يَعيفُه : إذا زَجَرَه .

١٤٦٠ ـ المعجم الكبير : (١٧ / ٢٩٢) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) وقال : رواه الطبراني ، وفيه سعيد بن أسد بن موسى ، روى عنه أبو زرعة الرازي ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات .

١٤٦١ ـ الترمذي (٤ / ١٦١) ٢٢ ـ كتاب السير ، ٤٧ ـ باب ما جاء في الطيرة .

وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(١) البخاري (١٠ / ٢١٤) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٤٤ ـ باب الفأل .

مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٣٤ ـ باب الطيرة والفأل .

١٤٦٢ ـ مجمع الزوائد (٥ / ١١٨) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات .

١٤٦٣ ـ أبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، باب في الخط وزجر الطير . وهو حديث حسن . وقال أبو داود : الطَّرْقُ : الزَّجْرُ ، والعِيافةُ : الخطّ .

(الطَّرْقُ) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخطُّ في الرمل ، كما يفعله المنجم لاستخراج الضمير ونحوه ، وقد جاء في كتاب أبي داود : أن الطَّرق : الزَّجر ، والعِيافة : الخط .

(الجبْتُ) كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

قال البغوي في شرح السنة :

وأراد بالعِيافة : زجرَ الطَّير . والطَّرقُ : هو الضرب بالحصى ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مِطرقةُ الصائغ والحداد ؛ لأنه يَطرقُ بها . وقال ابن سيرين : الجبتُ : الساحرُ ، والطارقُ : الكاهنُ .

قال ابن جرير في (جامع البيان) ٨ / ٤٦٥ :

والصواب من القول في تأويل ﴿ **يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ أن يقال : يصدقون بمعبودَيْنِ من دون الله يعبدونها من دون الله ، ويتخذونها إلهين ، وذلك أن « الجبت » و « الطاغوت » اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائنًا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتًا وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله . اهـ .

أقول : الحاصل أن الحديث نهى عن ضرب الرمل الذي عرفنا فيما مضى أن الخط فيه لاستخراج أمر كان معجزة لنبي ، وقد حرم في شريعتنا ، كما حرم في الحديث الطيرة التي هي زجر الطير والبناء على خط سيرها سلبًا أو إيجابًا من العمل ، كما نهى الحديث عن ضرب الحصى للبناء على ذلك ، كأن يضرب الإنسان حصاةً فإذا وقعت في مكان مضى لشأنه وإلا أحجم ، فكل ذلك وكل ما أدخله الشراح في شرح الحديث من صور على اختلاف تفسيراتهم ، كل ذلك يدخل في اتباع خطوات الشيطان ، فهي من الجبت الذي هو عبادة غير الله والخضوع له .

١٤٦٤ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا غول » .

قال ابن الأثير :

(ولا غُول) الغُول : هذا الحيوان الذي كانت العرب تزعم أنه يَعْرِضُ لها في بعض الأوقات والطُّرُقِ ، فيَغْتَالُ الناس ، وإنه ضَرْبٌ من الشياطين ، وليس قوله : « ولا غُول » نَفْيًا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبْطَالُ زعم العرب في اغتياله وتَلَوُّنِه في الصور المختلفة ، يقول : لا تُصَدِّقُوا بذلك . ا .هـ .

أقول : إن النصوص أثبتت إمكانية تشكل الجن ببعض الصور ، فهذه الحيثية ليست منفية في الحديث ، ولكن تصورًا وهميًا من تصورات الجاهلية عن شيء يسمونه الغول فيتوهمون بسببه ، قد أبطله الإسلام .

وقد قال الله عز وجل عن الإنسان : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ (١) فالإنسان ، محفوظ إلا إذا قضى الله عليه قضاء ، ولذلك فإن المسلم يغلب عليه حال التوكل فلا يخشى إلا الله ، فإذا داهمه أمر عمل بمقتضى أمر الله .

١٤٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا عدوى ، ولا طِيَرَةَ ، وإنما الشؤم في ثلاث : في الفرسِ ، والمرأةِ ، والدَّارِ » .

وفي رواية (٢) قال : ذكروا الشؤم عند النبيِّ ﷺ ، فقال : « إن كان الشؤم : ففي الدَّارِ ، والمرأة ، والفرس » .

١٤٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٤٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة .

(١) الرعد : ١١ .

١٤٦٥ - البخاري (١٠ / ٢١٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٤٣ - باب الطيرة .

مسلم (٤ / ١٧٤٧) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

(٢) البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .

مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .

ولمسلم [١] : « في المرأة والفرس والمسْكَن » .

١٤٦٦ - * روى أبو داود عن سعد بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا هامةَ ، ولا عدوى ، ولا طِيَرة ، وإن تكنْ الطِّيَرَةُ في شيء : ففي الفرسِ ، والمرأةِ ، والدَّارِ » .

١٤٦٧ - * روى أبو داود عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رجل : يا رسولَ الله ، إنَّا كنَّا في دارٍ ، كثُر فيها عددنا ، وكثر فيها أموالنا ، فتحوَّلْنا إلى دارٍ أخرى ، فقلَّ فيها عددُنا ، وقلَّتْ فيها أموالنا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ « ذَرُوها ذَمِيمةً » .

قال ابن الأثير :

(ذَرُوها ذَمِيمةً) أي : اتركوها مذمومةً ، وإنما أمرهم بالتحوُّل عنها إبْطالاً لما وقع في نفوسهم من أنَّ المكروهَ إنما أصابهم بسبب الدَّار وسُكناها ، فإذا تحوَّلوا عنها انقطعت مَادَّةُ ذلك الوَهْم ، وزال ما خَامَرَهم من الشُّبهة والوَهم الفاسد ، والله أعلم .

١٤٦٨ - * روى أحمد عن أبي حسان نحوه وفيه : قالت عائشة : والذي أنزل القرآن على محمدٍ ما قالها رسول الله ﷺ قط إنما قال : « كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك » .

وفي رواية [٢] : « كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في الدار والمرأة والدابة » . ثم قرأت عائشة : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ﴾ [٣] الآية .

---

(١) مسلم الموضع السابق .

١٤٦٦ - أبو داود (٤ / ١٩) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وهو حديث صحيح .

١٤٦٧ - أبو داود (٤ / ٢٠) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

وإسناده حسن .

١٤٦٨ - مسند أحمد (٦ / ٢٤٠) .

(٢) مسند أحمد (٦ / ٢٤٦) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٤) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) الحديد : ٢٢ .

١٤٦٩ - * روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنْ كان في شيءٍ : ففي الفرس والمرأةِ والمسْكَن » . يعني : الشؤمَ .

وفي رواية مسلم والنسائي عن جابر مثله (١) .

قال ابن الأثير :

(إنْ كان الشؤم في شيء) يعني : إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاثة ، وتخصيصه المرأة والفرس والرَّبْع والدَّار ؛ لأنه لما أَبْطَل مذهب العرب في التطير بالسَّوانِح والبَوَارح من الطير والظِّباء ونحو ذلك ، قال : فإن كان لأحدكم دارٌ يكره سُكْنَاها ، أو امرأة يكره صحبتها ، أو فرسٌ لا يُعجبُه ارْتِبَاطُه ، فَلْيُفَارِقْها ، بأن ينتقلَ عن الدار ، ويبيعَ الفرس ، ويُطلِّقَ الزوجة ، وكان مَحَلُّ هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه ، وسبيلُه سبيلُ الخروج من كلام إلى غيره .

وقد قيل : إن شُؤْمَ الدار . ضِيقُها وسُوءُ جارِها ، وشؤْمُ الفرس : أن لا يُغزَى عليها ، وشؤم المرأة : أن لا تَلِدَ .

قال ابن حجر حول هذا الحديث :

قال ابن قتيبة : ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أن لا طيرة ، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة . قلت : فمشى ابن قتيبة على ظاهره ، ويلزم على قوله : أن من تشاءم بشيء منها نزل به ما يكره ، قال القرطبي : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ ، وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس ، فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره .

١٤٦٩ - البخاري (٦ / ٦٠) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٤٧ - باب ما يذكر من شؤم الفرس .
مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل .
والموطأ (٣ / ٩٧٢) ٥٤ - كتاب الاستئذان ، ٨ - باب ما يتقى من الشؤم .
(١) مسلم (٤ / ١٧٤٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٤ - باب الطيرة والفأل ...
والنسائي (٦ / ٢٢٠) ٢٨ - كتاب الخيل ، ٥ - باب شؤم الخيل .

قال ابن العربي : معناه إن كان خلق الله الشؤم في شيء مما جرى من بعض العادة فإنما يخلقه في هذه الأشياء ، قال المازري : مجمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقا فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها . وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا الحديث ، فروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال : قيل لعائشة إن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الشؤم في ثلاثة » . فقالت : لم يحفظ ، إنه دخل وهو يقول :« قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم في ثلاثة » . فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله . قلت : ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع ، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان ، أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال : « الطيرة في الفرس والمرأة والدار » . فغضبت غضبًا شديدًا وقالت : ما قاله ، وإنما قال : « إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك » . انتهى . ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك ، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك ، لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك ، وسياق الأحاديث الصحيحة يبعد هذا التأويل لأنه ﷺ . إنَّما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه .

قال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر : سمعت من يفسر هذا الحديث يقول : شؤم المرأة إذا كانت غير ولود ، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه ، وشؤم الدار جار السوء . وروى أبو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك ، أنه سئل عنه فقال : كم من دار سكنها ناس فهلكوا . قال المازري : فيحمله مالك على ظاهره ، والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعًا . وقال ابن العربي : لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار ، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل . وقيل : معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحبية ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب . ا . هـ (فتح الباري) .

أقول : في النصوص التي ذكرت الشؤم في الدار والمرأة والفرس حض على حسن الاختيار للمرأة والمسكن والفرس وإباحة لمفارقة ما يكرهه الإنسان منها ، فكأن هذه النصوص تبين أن هذا النوع الذي يمكن أن يدخل في مسمى الطيرة لا يعتبر من الطيرة المنهي عنها والتي كان عليها أهل الجاهلية ، ويبدو أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون في بعض الأحوال من مجرد رؤية المرأة أو الفرس أو الدار ، فهذا النوع من الطيرة منفي في الإسلام وعلى هذا يحمل كلام عائشة رضي الله عنها ، وعلى الأول تحمل الروايات الأخرى .

* * *

الفصل الرابع

في:

العين والتمائم والرقى

وفيه:

مقدمة ونصوص

المقدمة

لم تزل في الإنسان عوالم مجهولة ، ولم تزل تستكشف في الإنسان خواص وخصائص ، ولم يزل الإنسان يستكشف من دقائق أسرار الكون ما يقرب إليه فهم الكثير من المغيبات ، فتأثير الإشعاعات المختلفة على الجسم البشري مثلاً يقرب إلينا فكرة أن يكون لبعض أعين الناس خاصية التأثير في إنسان آخر أو في شيءٍ ما ، وهذا كلام نقوله لتقريب فكرة الإصابة بالعين التي أثبتها الشارع ، إنه من خلال استقراء لحوادث كثيرة نجد أن إنسانًا ما تعرض لنوع من الضرر أو المرض بسبب رؤية من إنسان رافقتها كلمة أو لم ترافقها وهذا الموضوع أثبته الشارع وتكلم عنه وفيه جانب غيبي ، ولذلك رأينا الحديث عنه وإثباته في هذا الباب ، ونحن وإن كنا قد حاولنا في ما مرّ آنفًا أن نقرب موضع الإصابة بالعين إلى الأذهان بما ذكرناه ، إلا أن أصل الموضوع لا يُبْحَث هكذا في العادة ، فالله عز وجل إذا أراد أن يصيب إنسانًا بإصابة ، أصابه بها عن طريق عالم الأسباب أو بشكل مباشر ، وقد جعل الله عز وجل جزءًا من عالم الأسباب أن يصيب أناسًا بأعين ناس ، وجعل لهذا النوع من الإصابات وقاية كي لا يقع وعلاجًا إن وقع .

وبعض نصوص هذا الفصل تتحدث عن هذه الشؤون . والإنسان إذا وقع في مأزق يفر في العادة فرارين ، فرارًا إلى الله بالدعاء ، وفرارًا إلى عالم الأسباب بالأخذ بها ، فمثلاً إذا مرض المريض دعا وبحث عن العلاج ، واجتماع هذين الفرارين مباح للمسلم بل مطلوب منه ، ومن ههنا نجد أن الإسلام حض على الوقاية كما حض على التداوي وأذن مع التداوي بالرقية وهي نوع دعاء من الأخ لأخيه أو من الإنسان لنفسه أو هي طلب استشفاء أو شفاء من الله تعالى لنفس الإنسان أو لأخيه .

ومن ههنا وجدت نصوص في الرقية وإذا كان للرقية دخل في أمر الغيب لأنها طلب شفاء من الله مباشرة فقد أدخلناها في أبحاث هذا الفصل ، وقد ذهب بعض العلماء إلى جواز حمل نوع من المكتوبات يعلقها الإنسان على نفسه وعلى أهله ، ليحرزهم من شرٍّ وهي ما يسمى بالتمائم ، والذين أجازوها إنما أجازوها بشروط من مثل أن تكون مفهومة وأن لا يكون فيها

شرك وأن تكون بشيء مشروع ؛ وإذ كان الأمر يختلط فيه ما هو مخل بالاعتقاد بما هو مباح فقد رأينا لذلك أن ندخل هذا البحث ههنا وهكذا كان عنوان الفصل : في : العين والتمائم والرقى .

النصوص

١ - في : العين

١٤٧٠ - * روى مسلم عن عبـدِ الله بن عبـاسٍ رضي الله عنهما عن رسـولِ الله ﷺ : « العَينُ حقٌ ، ولو كان شيءٌ سابقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العينُ ، وإذا اسْتُغْسِلتم فاغْسِلوا » .

(إذا اسْتُغْسِلْتم فاغسلوا) كان من عادتهم : أن الإنسان إذا أصابته العين من أحدٍ جاء إلى العائن ، فجَرَّدَ من ثيابه وغَسلَ جسده ومعاطفه ووجهه وأطرافه ، وأخـذ المَعينُ ذلـك المـاءَ فصبَّه عليه ، فيَبْرأ بإذنِ الله تعالى .

قال الشوكاني في نيل الأوطار :

ظاهره : إثبات العين التي تصيب إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه إياهـا ، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر .

قال المازري : أخذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى ؛ لأن كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فهو من مجوزات العقول فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى . وهل من فرق بين إنكارهم هـذا وإنكارهم ما يخبر به في الآخرة من الأمور . اهـ .

١٤٧١ - * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنهـا ، قـالتْ : كان يُؤمَرُ العَـائِنُ ، فيتوضأُ ، ثم يغتسِلُ منه المَعينُ .

١٤٧٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة ، قـالَ : قـالَ رسـول الله ﷺ : « العينُ حـق

١٤٧٠ - مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرضى والرقى .

١٤٧١ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب ، باب ما جاء في العين .

وإسناده حسن .

(العائِن) : الذي تُصيبُ عينُه .

(المعين) : المُصابُ بالعين .

١٤٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٤٣٩) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ويحضرها الشيطان وحسدُ ابنِ آدمَ » .

أقول : ذكر الحسد بمناسبة الإصابة بالعين فيه إشارة إلى التأثير النفسي ، فالإنسان يمكن أن يؤثر نفسيًا في إنسان آخر ، وتختلف قوة التأثير من إنسان لآخر ، وكم كلمة أمرضت إنسانًا ، فكيف إذا اجتمع على نفسٍ التأثير النفسي والكلمة الحاسدة ووسوسة الشيطان ، وما يمكن أن يكون في أعين بعض الناس من خواص .

١٤٧٣ - * روى البزار عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتابِ اللهِ وقضائِه وقدرِه بالأنفسِ » . قال البزار : يعني بالعين .

أقول : ذكرت هذا الحديث هنا لتفسير البزار الأنفس بالأعين ، وعندي أن النفس هنا قد يراد بها معنى آخر ، فقد يراد بالنفس الدم ، ومن عناوين الفقهاء : (ما لا نفس سائلة له) أي ما لا دم سائلاً له ، فإذا كان المراد بالنفس هنا الدم ففي الحديث معجزة طبية ، فما عُرف في عصرنا أن أمراض الدم وما يطرأ عليه هي من أكثر مسببات الموت .

١٤٧٤ - * روى أبو داود عن شَيْبان القِتْباني أن مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدٍ استعملَ رُوَيْفِعَ بنَ ثابتٍ على أسْفَلِ الأرضِ ، قال شَيْبان : فَسِرنا معه من كُومِ شَريك إلى عَلْقَماءَ - أو من عَلْقَماءَ إلى كُومِ شَريك - يريد : عَلْقام ، فقال رُوَيْفِعٌ : إنْ كان أحدُنا في زمن رسول الله ﷺ لَيأْخُذَ نِضْوَ أخيه ، على أن له النِّصْفَ مما يَغْنَمُ ولنا النصفُ ، وإنْ كان أحدُنا لَيَطيرُ له النَّصْلُ والرِّيشُ ، وللآخرِ القِدْحُ ، ثم قالَ : قالَ لي رسولُ الله ﷺ : « يارُوَيْفِعُ ، لعلَّ الحياة ستطولُ بكَ بعدي ، فأخْبِرِ الناسَ أنه من عَقَدَ لِحْيَتَه ، أو تقلَّدَ وَتَرًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمدًا منه بَريءٌ » .

١٤٧٥ - * روى أحمد عن أبي ذرّ قالَ : قال رسولُ الله ﷺ : « إن العينَ لَتُولِعُ

١٤٧٣ - كشف الأستار (٣ / ٤٠٣) . وقال : لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

١٤٧٤ - أبو داود (١ / ٩) كتاب الطهارة ، باب ما ينهى عنه أن يستنجي به .

(تَقَلَّدَ وَتَرًا) : كانوا يتقلدون الأوتار ، ويزعمون أنها تَرُدُّ العين ، وتَدْفَع عنهم المكاره ، فَنُهوا عن ذلك .

١٤٧٥ - أحمد (٥ / ١٦٧) .

=

الرجلَ بإذن اللهِ حتى يَصعدَ حالقًا ثم يتردَّى منه » .

١٤٧٦ - * روى مالك عن محمد بن أبي أمامةَ بنِ سهلِ بن حُنَيفٍ أنه سمع أباه يقول : اغْتَسلَ أبي - سَهْلُ بنُ حُنَيف - بالخَرَّار ، فنزع جُبة كانتْ عليه ؛ وعامرُ بنُ ربيعةَ ينظرُ إليه . وكان سهلٌ شديدَ البَيَاض ، حَسَنَ الجِلْدِ ، فقال عامرٌ : ما رأيتُ كاليوم ، ولا جلدَ مُخَبَّأَةٍ عَذْرَاءَ ، فوُعِك سهلٌ مكانَه ، واشْتَدَّ وَعْكُه ، فأُخبِرَ رسولُ الله ﷺ بوَعْكِه ، فقيلَ له : ما يَرْفَعُ رأسَه . وكان قد اكْتُتِبَ في جيشٍ . فقالوا له : هو غيرُ رائحٍ معك يا رسولَ الله ، والله ما يرفعُ رأسَه . فقال : « هل تتَّهمونَ أحدًا ؟ » قالوا : عامرَ بنَ ربيعةَ . فدعاه رسولُ الله ، فَتَغَيَّظَ عليه ، وقال : « عَلامَ يَقْتُلُ أحدُكم أخاه ؟ ألا برَّكْتَ ؟ اغْتَسِلْ له » . فغسل عامرٌ وجهَهُ ، ويديه ، ومِرْفَقَيْه ، ورُكْبَتَيْه ، وأَطْرَافَ رجليه ، ودَاخِلَةَ إزاره ، في قَدَح ، ثم صُبَّ عليه من ورائه ، فَبَرأَ سهل من ساعته .

وفي رواية (١) نحوه إلى قوله : واشْتَدَّ وَعْكُه وبعده : فَأَتى رسولَ الله ﷺ ، فأخبره بالذي كان من شأن عامر ، فقال رسولُ الله ﷺ : « عَلامَ يقتلُ أحدُكم أخاه ؟ ألا برَّكْتَ ؟ إن العين حقٌّ ، تَوضَّأْ له » . فتوضأ له عامرٌ ، وصُبَّ عليه من خلفه ، فَرَاحَ سَهْلٌ مع رسولِ الله ﷺ ليس به بأسٌ .

وفي بيان ما ينبغي فعله للمصاب قال البغوي :

قال الزهريُّ : يؤتى الرجلُ العائن بقدح ، فيُدخِلُ كفه فيه ، فيُمضمِض ، ثم يَمجُّهُ في القدح ، ثم يغسل وجهَه في القدح ، ثم يُدخل يده اليسرى ، فيصبُّ على كفه اليمنى في

= وكشف الأستار (٢ / ٤٠٢) . وقال : لا نعلم صحابيًا رواه غير أبي ذرّ ، ولا نعلم له إلا هذا الطريق .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٦) . وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد ثقات .

١٤٧٦ - الموطأ (٢ / ٩٣٩) ٥٠ - كتاب العين ، ١ - باب الوضوء من العين .

(مُخَبَّأة عذراء) : الخبْأة : المخدرة ، والعذراءُ : البكرُ ، والجمع : العَذَارى .

(ألا برّكت) : من البركة ، وهي الزيادة والنماء ، أو الثبات والدوام ، أي : هلاَّ دعوتَ له بالبركة .

(داخلَة إزاره) : هي الطرف الذي يلي جسد المؤتزر . وقيل : أراد موضع داخلة إزاره من جسده ، لا إزاره .

(١) الموطأ (٢ / ٩٣٨) الموضع السابق .

قال محقق الجامع : وهو حديث حسن .

القدح ، ثم يُدخل يده اليمنى ، فيصب على يـده اليسرى ، ثم يُـدخل يـده اليسرى ، فيصبُّ على مرفقـه الأيمن ، ثم يُـدخـل يـده اليمنى ، فيصبُّ على مرفقـهِ الأيسر ، ثم يُـدخـل يـده اليسرى ، فيصبُّ على قدمـهِ اليمنى ، ثم يُـدخل يـده اليمنى ، فيصبُّ على قـدمـه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصبُّ على ركبتـه اليمنى ، ثم يُـدخل يـده اليمنى ، فيصبُّ على ركبتِـه اليسرى ، ثم يغسِل داخِلـة إزاره ، ولا يوضع القـدح في الأرض ، ثم يُصبُّ على رأس الرجلِ الذي أصيب بالعين من خلفهِ صَبَّةً واحدة .

واختلفوا في غسل داخلةِ الإزار : قال أبو عبيد : إنما أراد بـداخلـةِ إزاره ، طرف إزاره : الذي يلي جسده ، مما يلي جانب الأيمن ، فهو الذي يُغسل قـال : ولا أعلمـه إلا جـاء مفسرًا في بعض الحديث هكذا . اهـ .

وقال البغوي في شرح السنة مبيّنًا أدب الرؤية لما يُعْجِب :

وروي عن هشام بن عروة ، عن أبيه أنه كان إذا رأى من مالـه شيئًـا يُعجبُـه ، أو دخل حائطًا من حيطـانـه قـال : مـا شـاء الله ، لا قوة إلا بـالله . وروي عن عـائشـة أنهـا كانت لا ترى بأسًا أن يُعوِّذَ في المـاء ، ثم يُعـالج بـه المريض . وقـال مجـاهـد : لا بـأس أن يكتب القرآن ويغسله ، ويسقيه المريض ، ومثله عن أبي قلابة ، وكرهه النخعي ، وابن سيرين .

وروي عن ابن عباس أنـه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليهـا ولادتهـا ، آيتين من القرآن وكلمـات ، ثم يُغسل وتسقى . وقـال أيوب : رأيت أبـا قـلابـة كتب كتـابًـا من القرآن ، ثم غسله بماء ، وسقاه رجلاً كان به وجعٌ ، يعني : الجنون اهـ .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار :

أرشـد الشـارع إلى مـا يـدفعـه بقولـه في قصـة سهل بن حنيف المـذكـورة « ألا بركت عليه » وفي رواية ابن ماجه : « فليدع بالبركة » . ومثله عند ابن السني من حديث عامر ابن ربيعة . وأخرج البزار وابن السني من حديث أنس رفعه : « من رأى شيئًـا فـأعجبـه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره » . وقـد اختلف في القصـاص بـذلـك ، فقـال القرطبي : لو أتلف العائن شيئًا ضمنه ، ولو قتل فعليه القصـاص أو الـديـة إذا تكـرر ذلـك

منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر . قال الحافظ : ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا : إنه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا . وقال النووي في الروضة : ولا دية فيه ولا كفارة ؛ لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل أصلا وإنما غايته حسد وتمنٍ لزوال نعمة ، وأيضًا فالذي ينشأ عن الإصابة حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين . ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلة الناس وأن يلزم بيته ، فإن كان فقيرًا رزقه ما يقوم به فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي أمر عمر بمنعه من مخالطة الناس ، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة . قال النووي : هذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه . اهـ .

١٤٧٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ العينَ حقٌّ » . ونهى عن الوَشْمِ .

١٤٧٨ ـ * روى ابن ماجه عن أبي سعيد ، قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجانِّ ثُمَّ أَعْيُنِ ٱلإِنْسِ ، فَلَمَّا نَزَلَ ٱلْمعَوِّذَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ .

١٤٧٩ ـ * روى مسلم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : رخَّص رسولُ الله ﷺ في الرُّقيةِ من العين ، والحُمَةِ ، والنَّملة .

وفي رواية أبي داود (١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رُقْيَةَ إلا من عيْنٍ أو حُمَةٍ

١٤٧٧ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٣) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٦ ـ باب العين حق .

مسلم (٤ / ١٧١٩) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ١٦ ـ باب الطب والمرض والرقى .

(الوَشْم) : هو الذي يُغَيَّرُ به لون موضع الجسم ، بنيلٍ أو كُحل ، بأن يُغرَزَ الجلدُ بإبرةٍ ويُحْشى مغارزها بذلك ، فيبقى أثره أبدا .

١٤٧٨ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦١) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٢ ـ باب من استرقى من العين .

١٤٧٩ ـ مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢١ ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

والترمذي (٤ / ٣٩٣) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ١٥ ـ باب ما جاء في الرخصة في ذلك . وقال : حديث حسن غريب.

(١) أبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ـ باب ما جاء في الرقى .

أو دَمٍ يرقأ » .

وفي رواية لم يذكر العين .

قال ابن الأثير :

(النَّملة) : قُرُوحٌ تخرج في الجنبين ، وقد تخرج في غير الجنب ، تُرقى فتذهب بإذن الله تعالى .

(لا رُقْيَة إلا من عين أو حُمَة) تخصيصه العين والحُمَة لا يمنع جواز الرقية في غيرهما من الأمراض ، لأنه قد ثبت أنه رَقى بعض أصحابه من غيرهما ، وإنما معناه : لا رُقْيَة أولى وأنْفعَ من رُقْيَة العين والسُّمِّ ، كما قيل في المثل : لا فتى إلا عليٌّ ، ولا سيف إلا ذو الفَقَارِ .

١٤٨٠ - * روى البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ قال لجاريةٍ في بيتِها رأى في وجْهِهَا سَفْعَةً - يعني : صُفْرَةً - فقال : « بها نظرةٌ ، اسْتَرْقُوا لها » .

١٤٨١ - * روى مالك عن عروة بن الزبير رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ دخلَ بيتَ أُمِّ سَلَمةَ وفي بيتها صَبيٌّ يبكي ، فذكروا أن به العينَ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « ألا تَستَرْقُون له من العين ؟ » .

١٤٨٢ - * روى الترمذي عن عِمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا رُقَيةَ إلا من عَيْنٍ أو حُمَةٍ » .

١٤٨٠ - البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٥ - باب رقية العين .

مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(نظرة) : يقال به نظرة : إذا أصابته العين من الجِنّ ، وقد يطلق أيضًا على الإنس .

١٤٨١ - الموطأ (٢ / ٩٤٠) ٥٠ - كتاب العين ، ٢ - باب الرقية من العين

وهو مرسل ، فإن عروة بن الزبير لم يدرك رسول الله ﷺ ، قال أبو عمر بن عبد البر : مرسل عند جميع رواة الموطأ ، وهو حديث صحيح .

١٤٨٢ - الترمذي (٤ / ٣٩٤) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٥ - باب ما جاء في الرخصة في ذلك .

وأبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرُّقى .

١٤٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يأمُرُ أنْ نَستَرْقِيَ من العين . وفي رواية [1] : « أمرني » .

١٤٨٤ ـ * روى الترمذي عن عبيد بن رَفاعة الزُّرَقي رضي الله عنه ، أن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ قالَت : يارسولَ الله ، إن وَلَدَ جعفرٍ تُسرع إليهم العينُ . أفأستَرقي لهم ؟ قال : « نعم ، فإنه لو كان شيء سابَقَ القَدَرَ لسبَقَتْهُ العينُ »

١٤٨٣ ـ البخاري (١٠ / ١٩٩) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٥ ـ باب رقية العين .

مسلم (٤ / ١٧٢٥) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢١ ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(١) البخاري : الموضع السابق .

١٤٨٤ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ١٧ ـ باب ما جاء في الرقية من العين .

وقال : حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

٢ ـ في : التمائم

قال البغوي في شرح السنة :

التمائم : جمع التميمة ، وهي خَرزات كانت العربُ تعلقهـا على أولادهم يتقـون بهـا العين بزعمهم ، فأبطلها الشرعُ ، ويقال : التميمةُ : قلادة يعلق فيها العود .

وقـال عطـاء : لا يعـد من التمائم مـايكتب من القرآن . وسئـل سعيـد بن المسيِّب عن الصحف الصغار يكتب فيه القرآن ، فيعلق على النساء والصبيان ؟ فقال : لا بـأس بـذلـك إذا جعل في كير من وَرِق ، أو حديد ، أو يخرز عليه . اهـ .

١٤٨٥ ـ * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العـاصِ رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال :« إذا فَزِعَ أحدُكم في النوم فَلْيَقل : أعوذ بكلمـات الله التَّـامَّـة من غضبـه وعذابـهِ وشرِّ عِبـادِه ، ومن همزات الشيـاطين وأنْ يَحضُرونِ ، فـإنها لَنْ تَضُرَّهُ » . وكان عبـد الله يُلقِّنُهـا مَن بلغ من أولاده ، ومن لم يبْلُـغ منهم ، كتبهـا في صَـكٍّ وعلَّقهـا في عُنُقِهِ .

قال محقق الجامع :

هذا عمل صحابي ، وقد اختلف العلماء من الصحابة والتـابعين فمن بعـدهم في تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته ، فقالت طائفة : يجوز ذلك ، وهو عمل عبد الله بن عمرو ابن العـاص وغيره من الصحـابـة والتـابعين ، وحملـوا حـديث « إن الرقى والتمائم والتـولـة شرك » على التمائم التي فيها شرك ، وقالت طـائفـة : لا يجوز ذلـك ، وهو قول عبـد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحـابـة والتـابعين ، والأفضل ترك تعليق التمائم من القرآن وغيره ، واستعمال الترقيـة بـالمعوذات وغيرهـا كما ورد ذلـك عن الصـادق المصـدوق ﷺ في

١٤٨٥ ـ الترمذي (٥ / ٥٤١) ٤٩ ـ كتاب الدعوات ٩٤ ـ باب حدثنا محمود بن غيلان ...إلخ . وقال : هـذا حـديث حسن غريب .

وأبو داود (٤ / ١٢) كتـاب الطب ، بـاب كيف الرقي ؟ ولم يـذكر « النوم » إنما قـال : إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُعَلِّمهم من الفَزَع كلماتٍ ... ، وذكر الحديث ، وهو حسن بشواهده .

(صَكّ) : الصَكُّ : الكتاب يُكتَب به وثيقةٌ بشيء .

أحاديث كثيرة .

١٤٨٦ - * روى أحمد عن مالكِ بنِ أنسٍ رحمه الله سئل عن تعليق التمائم والخرز فقال : ذلك شِرْكٌ ، وقال : بلغني أن ابنَ عمرَ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما يُبَالي ماأتى مَن شَربَ تِرْياقًا ، أو تَعلق تميمةً » .

١٤٨٧ - * روى الترمذي عن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبْدِ اللهِ بنِ عُكَيم - أبي مَعْبَدٍ الجُهَني - أعودُه وبه حُمرةٌ ، فقلت : ألا تُعَلِّقُ تَميمَةً ؟ فقال : نَعُوذُ بالله من ذلك ، قال رسولُ الله ﷺ : « من تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه » .

١٤٨٨ - * روى أبو داود عن جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرَةِ ، فقال : « هو من عملِ الشيطانِ » .

قال ابن الأثير : .

(النُّشْرة) كالتَّعويذ والرُّقْيَة ، يقال : نشرتُه تَنْشيرًا : إذا رَقيتَه وعَوَّذْتَه ، وإنما سميت نُشْرة ، لأنها يُنْشَر بها عن المريض ، أي : يُحَلُّ عنه ماخامره من الداء .. اهـ .

والنشرة المنهي عنها : هي النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به .

قال البغوي في شرح السُّنّة :

والنشرة : ضرب من الرقية يعالج بها من كان يُظن به مس الجن ، سميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ، أي : يُحلُّ عنه ماخامره من الداء ، وكرهها غير واحد ، منهم إبراهيم . وحكي عن الحسن أنه قال : النُّشرةُ من السحر ، وقال سعيد بن المسيِّب : لا بأس بها . اهـ .

١٤٨٦ - أحمد (٢ / ٢٢٣) بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص . وأخرجه رزين ، وهو حديث حسن .

(تِرْياقًا) : التِّرْيَاقُ والدِّرْيَاقُ معروف ، وليس شربه مكروهًا من أجل أن التداوي به حرام ، ولكن من أجل ما يقع فيه من لُحُوم الأفاعي وغيرِها من النجاسات ، وهي محرَّمة ، وما لم يكن فيه حرام ولا نجس فلا بأس به .

١٤٨٧ - الترمذي (٤ / ٤٠٣) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢٤ - باب ما جاء في كراهية التعليق. وهو حديث حسن بشواهده .

١٤٨٨ - أبو داود (٤ / ٦) كتاب الطب ، باب في النُّشرة . وإسناده صحيح .

١٤٨٩ - * روى ابن ماجة عن عمران بن الحصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ فقال : « ما هذه الحَلْقَةُ » ؟ قال : هذه من الواهنة ، قال : « انزعْها فإنَّها لا تزيدك إلا وَهْنًا .

١٤٩٠ - * روى أحمد عن عمرانَ بنِ حُصينٍ أن رسول الله ﷺ : أبصر على عَضُدِ رجلٍ حَلْقةً أراه قال : من صُفْرٍ قال : « ويحك ماهذه ؟ » قال : من الواهنة . قال : « أما إنها لا تَزيدُك إلا وهنا انْبِذْها عنك فإنك لو مُتَّ وهي عليك ماأفلحتَ أبدًا » .

١٤٩١ - * روى أحمد عن عقبةَ بنِ عامرٍ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من يُعَلِّقْ تَميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ومن يعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له » .

١٤٩٢ - * روى أحمد عن عُقبةَ بن عَامرٍ الجُهني أن رسول الله ﷺ أقبلَ إليه رَهْطٌ فبايعَ تسعةً وأمسكَ عن واحدٍ فقيلَ له يارسولَ الله بايعت تسعة وتركتَ هذا ؟ قال : « إن عليه تَميمةً » فأدخلَ يَدَهُ فقطعَها فبايَعهُ . وقال : « من عَلَّقَ تَميمةً فقد أشرك » .

١٤٨٩ - ابن ماجه (٢ / ١١٦٧) ٣١ - كتاب الطب ، ٣٩ - باب تعليق التمائم .

وفي الزوائد : إسناده حسن .

١٤٩٠ - أحمد (٤ / ٤٤٥) .

ومجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني وقال : إن مُتَّ وهي عليك وُكلت إليها : قال وفي رواية موقوفة : انبذها عنك ؛ فإنك لو مت وأنت ترى أنها تنفعك لمتَّ على غيرالفطرة » . وفيه مبارك بن فضالة وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(الواهنة) : في النهاية : عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها ، فيُرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد وربما عُلِّق عليه جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة . وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نهاه عنها ؛ لأنه إنما أخذها على أنها تعصمه من الألم ، فكانت عنده في معنى التمائم المنهيّ عنها .

(انْبِذْها) : نَبَذَه : ألقاه ، من باب ضرب .

١٤٩١ - أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجالهم ثقات .

(الوَدَعَ) : جمع وَدَعة ، وهو شيء أبيض يُجْلَبُ من البحر يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم ، وإنما نهى عنها ؛ لأنهم كانوا يعلقونها مخافةَ العَيْن .

١٤٩٢ - أحمد (٤ / ١٥٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٠٣) وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

٣ - في : الرقى

قال البغوي في شرح السنة :

والمنهي من الرقى ماكان فيه شرك ، أو كان بذكر مردة الشياطين ، أو ماكان منها بغير لسان العرب ، ولا يُدرى ماهو ، ولعله يدخله سحر ، أو كفر ، فأما ماكان بالقرآن ، وبذكر الله عز وجل ، فإنه جائز مستحب . اهـ .

قال الشوكاني في نيلِ الأوطار :

قال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية فقال : لا بأس أن ترقي بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله . قلت : أيرقي أهلُ الكتاب المسلمين ؟ قال : نعم إذا رقوا بما يُعرفُ من كتاب الله وبذكر الله . ا هـ .

أقول : وللشافعي فيما ذهب إليه من جواز رقية أهل الكتاب للمسلمين مايستدل به كما سنرى ، وإذا حدث شفاء فإن ذلك ليس من باب الكرامة للراقي ، وإنما هو من باب المعجزة لرسوله .

١٤٩٣ - * روى مسلم عن عِمران بنِ حُصينٍ رضي الله عنه قال : قال نبيُّ الله ﷺ : « يَدْخُل الجنَّة من أُمَّتي سبعون ألفًا بغير حساب » قالوا : ومَن هم يارسولَ الله ؟ قال : « هم الذين لا يَكْتَوُون ، ولا يَسْتَرْقُون ، وعلى ربهم يتوكَّلون » ، فقام عُكَّاشةُ فقال : ادْعُ الله أن يجعلَني منهم ، فقال : « أنت منهم » ، فقام رجلٌ فقال : يانبيَّ الله ، ادْعُ الله أن يجعلني منهم ، قال : « سبَقَك بها عُكَّاشةُ » .

وفي رواية [١] نحوه ، وزاد فيه « ولا يَتَطَيَّرُون » ولم يذكر فيها قول عكاشة إلى آخره .

١٤٩٣ - مسلم (١ / ١٩٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٤٩٤ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ مسعود قال التزمنا الحديثَ عندَ رسول الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ ثم غدونا إليه فقال : « عُرِضَتْ عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأتمهَا فجعل النبي يمر ومعه الثلاثَةُ والنبيّ يمرّ ومعه العِصابةُ ، والنبي يَمرُّ ومعه النَّفَرُ ، والنبي ليس معه أحدٌ ، حتى مر عليَّ موسى ﷺ معه كبكبةٌ من بني إسرائيلَ فأعجبوني فقلتُ : من هؤلاء ؟ فقيل هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيلَ » ، قال : « فقلت فأين أمتي ؟ فقيل : لي : انظر عن يمينك فنظرت فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت ؟ فقلت : رضيتُ ربِّ » قال : « فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب » . فقال النبي ﷺ : « فدى لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا ، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظِّراب ، فإن قَصَّرتُم فكونوا من أهل الأُفقِ فإني قد رأيتُ ثَمَّ ناسًا يتهاوشون » : فقام عكاشة بن محصن فقال : ادعُ الله لي يارسولَ الله أن يجعلني من السبعين ، فدعا له ، فقام رجل آخر فقال : ادعُ الله يارسولَ الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقك بها عكاشة » . ثم تحدثنا فقلنا : من ترون هؤلاء السبعين الألف ؟ فقال : قوم ولدوا في الإسلام ثم لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » .

١٤٩٥ - * روى البخاري عن عامرٍ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ قال : لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ ، فذكرته لسعيدِ بن جُبيرٍ ، فقال : حدَّثنا ابنُ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « عُرِضَت عليَّ الأمم ، فجعل النبيُّ والنَّبيَّانِ يَمُرُّون معهم الرَّهْطُ ، والنبيُّ ليس معه أحدٌ ، حتى رُفع لي سوادٌ عظيم ، فقلت : ماهذا ؟ أمتي هذه ؟ قيل : بل هذا موسى وقومُه ، قيل : انْظُر إلى الأُفق ، فإذا سوادٌ عظيمٌ قد ملأَ الأُفقَ ، ثم

١٤٩٤ - أحمد (١ / ٤٠١) .

والمعجم الكبير (١٠ / ٦) .

وكشف الأستار (٤ / ٢٠٢) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٤٠٥) . وقال : رواه أحمد بأسانيد ، والبزار أتم منه ، والطبراني وأبو يعلى باختصار كثير ، وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح .

١٤٩٥ - البخاري (١٠ / ١٥٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ١٧ - باب من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو .

قيل لي : انظر هاهنا وهاهنا في آفـاقِ السماء ، فـإذا سواد قـد ملأ الأفق ، قيل : هذه أُمتك ، ويدخلُ الجنة من هؤلاء سبعون ألفًـا بغير حسـاب » ثم دخل ولم يُبَيِّنْ لهم ، فأفاضَ القومُ ، وقالوا : نحن الذين آمنا بالله ، واتَّبَعْنـا رسولَـه ، فنحن هم ، أم أولادنـا الذين وُلِدَوا في الإسلام ، فإنَّـا وُلِـدْنـا في الجـاهليـة ، فبلغ النبيَّ ﷺ ، فخرجَ فقـالَ : « هم الذين لا يَستَرْقُون ، ولا يتطيَّرون ، ولا يَكْتَوون ، وعلى ربهم يتوكلون » ، فقـال عُكّاشـةُ بنُ مِحْصَنٍ : أمِنْهم أنـا يـارسولَ الله ؟ فقـال :« نعم » ، فقـال آخر : أمنهم أنـا ؟ فقال : « سبقك بها عُكّاشة » .

وللبخاري في أخرى [(١)] عن ابنِ عباسٍ قالَ : خرجَ علينا رسول اللهِ ﷺ يومًـا ، فقـال : « عُرِضت عليَّ الأمم ، فجعل يَمُرُّ النبيُّ معه الرجلُ ، والنبيُّ معه الرجلان ، والنبيُّ معه الرَّهْطُ ، والنبيُّ ليس معه أحدٌ ، ورأيتُ سَوَادًا كثيرًا سَدَّ الأفق ، فَرَجوتُ أن تكـون أمتي ، فقيـل : هـذا مـوسى ، ثم قيـل : انظر ، فرأيت سـوادًا كثيرًا سَـدَّ الأفق ، فقيل : انظر هكـذا وهكـذا ، فرأيت سـواداً كثيراً سَـدَّ الأفـق ، فقِيـلَ : هؤلاء أُمَّتُكَ ، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخُلُون الجنة بغير حِسابٍ » فتفرَّق النـاسُ ، ولم يُبَيِّنْ لهم ، فتذاكرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ ، فقالوا : أمَّا نحن فولدنا في الشِّرْكِ ، ولكنَّـا آمنَّـا بـالله ورسـولـه ، ولكنّ هـؤلاء هم أبنـاؤنـا ، فبلـغَ النبيَّ ﷺ ، فقـال : « هم الـذين لا يتطيَّرون ، ولا يَسترقون ، ولا يكْتَوون ، وعلى ربهم يَتوكَّلـون » فقـام عُكّاشةُ ابنُ مِحْصَنٍ ، فقال : أمِنهم أنـا يـارسولَ الله ؟ قـال : « نعم » ، فقـام آخر ، فقـال : أمِنهم أنا ؟ فقال : « سبقك بها عُكاشة » .

أقول : الرُّقْيَةُ في حق بعض الناس ليست هي الأكمل ؛ لأن لهم قدمًا عظيمًـا في التوكل ، والإشارة في هذه الأحاديث إلى فضل ترك الاسترقاء من أمثـال هؤلاء لا ينفي جواز الرقيـة فقد فعلها رسول الله ﷺ .

قال البغوي عند قوله : « لا رُقْيَةَ إلا من عين أو حمة أو نملة » :

---

(١) البخاري (١٠ / ٢١١) للوضع السابق .

ولم يُرِدِ به نفيَ جواز الرقية في غيرهما ، بل تجوز الرقيةُ بذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأوجاع .

ومعنى الحديث : لا رقية أولى وأنفع منهما . اهـ .

١٤٩٦ - * روى الترمذي عن المغيرة بن شُعْبةَ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنِ اكْتَوى أو اسْتَرْقَى ، فقد بَرِئَ من التَّوَكُّلِ » .

أقول : التقدير : فقد برئ من التوكل الكامل ، بدليل ماسيأتي من أن بعض الصحابة قد استرقوا وبعضهم قد اكتوى ففعلهم لا ينفي أن أصل التوكل موجود عندهم لكن كال التوكل يقتضي عدم الاكتواء والاسترقاء وهو مقام أصحابه في الأمة الإسلامية قلة .

١٤٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ رخَّص لأهل بيتٍ من الأنصار في الرُّقْيَةِ من كلِّ ذي حُمَةٍ .

وفي رواية (١) قال : سألتُ عائشةَ عن الرُّقْيةِ من الحمة ؟ فقالت : رخص رسولُ الله ﷺ في الرقية من كلِّ ذي حُمَةٍ .

أقول : لقد رأينا كلام العلماء أكثر من مرة : في أن الترخيص في الرقية المقيدة لا ينفي الإطلاق بدليل فعل الرسول ﷺ والصحابة كا سنرى .

١٤٩٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قالَ : أَذِنَ رسولُ الله ﷺ لآل بيتٍ من الأنصار أن يرقُوا من الْحُمَةِ والأُذُنِ ، قال أنسٌ : كُويتُ من ذاتِ الجَنبِ

١٤٩٦ - الترمذي (٤ / ٣٩٣) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٤ - باب ما جاء في كراهية الرقية . وقال : حديث حسن صحيح .
وأحمد (٤ / ٢٤٩) .
وابن ماجه (٢ / ١١٥٤) ٣١ - كتاب الطب ، ٢٣ - باب الكي .
وابن حبان (٧ / ٦٢٩) .

١٤٩٧ - البخاري (١٠ / ٢٠٥) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٧ - باب رقية الحية والعقرب .
مسلم (٤ / ١٧٢٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .
(١) البخاري : الموضع السابق .

١٤٩٨ - البخاري (١٠ / ١٧٢) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٦ - باب ذات الجنب .

ورسولُ الله ﷺ حَيٌّ ، وشَهِدَني أبو طلحةَ ، وأنسُ بنُ النَضْر ، وزيد بنُ ثابتٍ ، وأبو طلحة كَوَاني .

قال ابن الأثير :

(الحُمَة) بـالتخفيف : سُمُّ العقرب ونحوهـا ، كالزُّنبُور وغيره ، وقـد تُسمى إبرة العقرب والزنبور حُمَةً .

١٤٩٩ ـ * روى أبو داود عن الشفاء بنت عبدِ الله رضي الله عنها ، قـالتْ : دخلَ عليّ رسولُ الله ﷺ وأنا عندَ حفصةَ ، فقـالَ : « ألا تُعلِّمين هـذه رُقْيَـةَ النَّملـة كما علَّمْتيهـا الكتابةَ ؟ » .

١٥٠٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قـالتْ : كانَ رسولُ الله ﷺ إذا اشْتكى الإنسانُ الشيءَ منـه ، أو كانت بـه قَرْحـةٌ أو جرْحٌ ، قـال بـأصبعـه هكـذا ـ وضع سفيان سبَّابتَـه بـالأرض ثم رفعهـا ـ وقـال : « بسم الله تُرْبـةُ أرْضنـا ، برِيقَـةِ بعضِنـا ، يُشْفى به سقيمُنا ، بإذن ربِّنا » .

١٥٠١ ـ * روى الترمذي عن أبي سعيدٍ الخُـدري رضي الله عنـه أن النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذ ويقول: « أعوذ بالله من الجانِّ ، ومن عين الإنسان » فلما نزلت المعوِّذتـان ، أخـذَ بها ، وترك ماسواهما .

١٥٠٢ ـ * روى البخاري عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلتُ أنا وثـابتٌ على أنسِ ابن مالك ، فقال ثابت يـاأبـا حمزةَ ، اشتكيتُ ، فقـال أنسٌ : ألا أُرْقِيـك بُرقيـة رسول الله

١٤٩٩ ـ أبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى .

(النملة) : قروح في الجنب

١٥٠٠ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٨ ـ باب رقية النبي .

مسلم (٤ / ١٧٢٤) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٢١ ـ باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

١٥٠١ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٥) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ١٦ ـ باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين . وقـال : حـديث حسن غريب.

قال محقق الجامع ، وهو كما قال .

١٥٠٢ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ ـ كتاب الطب ، ٣٨ ـ باب رقية النبي .

وأبو داود (٤ / ١١) كتاب الطب ، باب كيف الرقى .

=

ﷺ ؟ قال : بلى ، قال : « اللهمّ ربَّ الناسِ ، مُذْهِبَ البـاسِ ، اشفِ ، أنتَ الشـافي ، لا شَافيَ إلا أنت ، شفاءً لا يغَادِر سَقَمًا » .

١٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يعوذُ بعضَ أهله ، يمسحُ بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس ، اذهب البأس ، اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقمًا » .

وفي رواية [1] : فلما مرض ﷺ وثقل ، أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع ، فانتزع يده من يدي ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ، واجعلني مع الرفيق الأعلى » فذَهبتُ أنظر فإذا هو قد قضى .

١٥٠٤ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ ، فقال : يامحمد ، اشْتكيتَ ؟ فقال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك .

١٥٠٥ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسولُ الله ﷺ إذا اشْتكى رَقَاهُ جبريلُ ، يقول : باسم الله يُبْرِيك ، ومن كل داءٍ يشفيك ، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حَسد ، ومن شرِّ كلِّ ذي عين .

١٥٠٦ - * روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده مُنْذُ أَسْلَمَ ، فقال له : « ضَعْ يدَكَ على الذي يَألم من جَسدِكَ ، وقل : باسم الله ، ثلاثَ مراتٍ ، وقُلْ سَبْعَ مَراتٍ : أعُوذُ بالله

= والترمذي (٣ / ٣٠٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ماجاء في التعوذ للمريض . وقال حديث حسن صحيح .

١٥٠٣ - البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٨ - باب رقية النبي ﷺ .

مسلم (٤ / ١٧٢٢) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٩ - باب استحباب رقية المريض .

(١) مسلم (٤ / ١٧٢٢) الموضع السابق .

١٥٠٤ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

والترمذي (٣ / ٣٠٢) ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب ما جاء في التعوّذ للمريض . وقال : حديث حسن صحيح .

١٥٠٥ - مسلم (٤ / ١٧١٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

١٥٠٦ - مسلم (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٤ - باب استحباب وضع يده على موضع الألم ، مع الدعاء .

وقُدْرَتِهِ من شَرِّ ماأجِد وأُحَاذِرُ » .

وعند الموطأ (١) « بعزة الله وقدرته من شرِّ ماأجد » قال : فقلتُ ذلك ، فـأذهبَ اللهُ ما كان بي ، فلم أَزَلْ آمُرُ بها أهلي وغيرَهم .

وفي رواية الترمذي (٢) وأبي داود (٣)مثل الموطـأ ، وأول حـديثهما : أتـاني رسولُ الله ﷺ وبي وجَعٌ قد كاد يُهلكني ، فقال رسولُ الله ﷺ : « امْسَحْ بيمينـك سَبْعَ مَرَّات ، وقل : أعُوذُ بعزَّةِ الله وقدرته » ... الحديث .

١٥٠٧ - * روى الترمذي عن محمد بن سالمٍ الربعي البصري قالَ : قالَ لي ثابتُ البُنـاني : يـامحمـدُ ، إذا اشتكيتَ فضَعْ يـدَك حيث تَشتكي ، ثم قلْ : « بـاسم الله ، أعُـوذُ بِعـزَّةِ الله وقُدرتِه من شرِّ ماأجـد من وجعي هـذا » ، ثم ارْفَعْ يـدَك ، ثم أعِـدْ ذلـك وتِرًا ، فـإنَّ أنس بن مالكٍ حدَّثني : أن رسولَ الله ﷺ حدَّثه بذلك .

١٥٠٨ - * روى البخـاري عن عبـد اللهِ بن عبـاسٍ رضي الله عنهما أن نفرا من أصحـاب رسولِ الله ﷺ مَرُّوا بماءٍ فيهم لَديغٌ - أو سَلِيم - فعرَض لهم رجلٌ من أهل الماء ، فقـال : هل منكم من رَاقٍ ، فإن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا ؟ فانطلقَ رجلٌ منهم ، فقرأ بفاتحةِ الكتابِ على شاءٍ ، فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكَرِهُوا ذلك ، وقـالوا : أخـذتَ على كِتَـابِ الله أجرًا ، حتى قَدِمُوا المدينةَ ، فقالوا : يارسولَ الله ، أخـذ على كتـابِ الله أجْرًا ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « إن أحقَّ ماأخذتم عليه أجرًا كتابُ الله » .

١٥٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : كنـا في مسيرٍ

(١) الموطـأ (٢ / ٩٤٢) ٥٠ - كتاب العين ، ٤ - باب التعوذ والرقية في المرض .

(٢) الترمـذي (٤ / ٤٠٨) ٢٦ - كتاب الطب ، ٢٩ - باب حدثنا إسحاق بن موسى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أبـو داود (٤ / ١٢) ٢٧ - كتاب الطب ، باب كيف الرقى .

١٥٠٧ - الترمـذي (٥ / ٥٧٤) ٤٩ - كتـاب الـدعـوات ، ١٢٦ - بـاب في الرقيـة إذا اشتكى .

وقـال حسن غريب من هـذا الوجه ، قال محقق الجامع : وهو كما قال .

١٥٠٨ - البخاري (١٠ / ١٩٨) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٤ - الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب .

١٥٠٩ - البخاري (٩ / ٥٤) ٦٦ - فضائل القرآن ، ٩ - باب فضل فاتحة الكتاب .

مسلم (٤ / ١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٣ - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

لنا ، فنزلنا منزلا ، فجاءت جاريةٌ ، فقالت : إن سَيِّدَ الحيِّ سَلِيمٌ ، وإن نفرنا غَيَبٌ ، فهل منكم رَاقٍ ، فقامَ معها رجلٌ ماكنا نأبُنُهُ برُقْيَة ، فَرَقَاه فَبَرَأ ، فأمر له بثلاثين شاةً ، وَسقَانا لَبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنتَ تُحسِنُ رُقْيةً ؟ أوْ : كنتَ ترقي ؟ قال : لا ، مارقيتُ إلا بأمِّ الكتاب ، قلنا : لا تُحْدِثوا شيئًا حتى نأتيَ - أو نسأل - رسولَ الله ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبيِّ ، فقال : « وما كانَ يُدْرِيه أنها رقية ، اقْسِمُوا ، واضْرِبُوا لي بسهم » .

وفي رواية (١) قالَ : انطلقَ نفرٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ في سَفْرةٍ سافرُوها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العربِ ، فاسْتَضَافُوهُم ، فأبَوْا أن يُضيِّفُوهم ، فلُدغَ سيِّدُ ذلك الحيِّ ، فَسَعَوْا له بكل شيءٍ لا ينْفَعُه شيءٌ ، فقالَ بعضُهم : لو أتيتُم هؤلاء الرَّهْطَ الذين نزلوا بكم ، لعلهم عندهم بعضُ شيء ؟ فأتَوْهم ، فقالوا : ياأيها الرَّهْطُ ، إنَ سيِّدَنا لُدغَ ، وسَعَيْنا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيء ، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ ؟ فقال بعضهم : إني والله لأرْقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضَيِّفُونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تَجْعَلُوا لنا جُعْلاً ، فصَالَحُوهم على قَطِيع من الغَنَم ، فانطلق يَتْفُلُ عليه ويقرأ : ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين ﴾ فكأنما أُنْشِطَ من عِقالٍ ، فانطلق يمشي ، وما به قَلَبَةٌ ، قال : فأوفَوْهم جُعْلَهُم الذي صَالحوهم عليه ، وقال بعضهم : اقْتَسِمُوا ، فقال الذي رَقَى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ فنذكرَ له الذي كان ، فننظر الذي يأمرنا به ، فقَدِموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له ، فقال : « ومايدريكَ أنها رُقْيَة ؟ » ثم قال : « قد أَصَبْتُم ، اقْسِمُوا ، واضْرِبوا لي معكم سهمًا » ، وضحك النبيُّ ﷺ .

وفي رواية الترمذي (٢) قال : بعثَنا رسولُ الله ﷺ في سَرِيَّةٍ ... وذكر نحوه ، وفيه « أن أبا سعيد هو الذي رقاه ، وفيه : أنه قرأ ﴿ الحمد ﴾ سَبعَ مَرَّاتٍ ، وأن الغنم كانَتْ ثَلاثِينَ شَاةً .

---

(١) البخاري (٤ / ٤٥٣) ٣٧ - كتاب الإجارة ، ١٦ - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب .

(٢) الترمذي (٤ / ٣٩٨) ٢٩ - كتاب الطب ، ٢٠ - باب ما جاء في أخذ الأجرة على التعويذ .

وقال هذا حديث حسن .

قال ابن الأثير : .

(سَلِيم) السَّليم : اللَّديغ ، سُمِّيَ به تفاؤلا له بالسلامة .

(النَّفَر) هاهنا : الرجال خاصة ، أرادت : أن رجالنا غُيَّبٌ ، والغُيَّبُ : الغائبون عن الحي ، جمع غائب .

(نَأْبِنُهُ) أَبَنَه بكذا يَأْبِنُه ويَأْبُنُهُ : إذا اتَّهمَهُ به .

(جُعْلاً) الجُعْل : الأجرة التي تُجْعل لك على أمر تفعله .

(يَتْفُل) التَّفْل : أكثر من النفث ، فإن النفث لا يكون معه بزاق يُرَى ، والتفل لا بد له من ذلك .

(أُنْشِط من عِقَال) العِقَال : الحبل الذي تشد به ركبة البعير لئلا يَسْرَحَ ، وأَنْشَطتُ البعير : إذا حَلَلْتَ عِقَاله ، ونشطتُه : إذا شددته ، وقد جاء في بعض الروايات : « كأنما نُشِط من عِقال ، والمعروف : أُنْشط .

(قَلَبَةَ) ما به قلبة ، أي : ما به عِلَّة ، قيل : هو مأخوذ من القُلاب وهو داءٌ يأخذ البعير ، فيشتكى منه قَلْبُه ، فيموت من يومه .

١٥١٠ - * روى أبو داود عن خارجة بنِ الصلتِ التيمي عن عمه علاقة بن صحار قال : أَقْبَلْنا من عند رسولِ الله ﷺ ، فأتينا على حيٍّ من العرب ، فقالوا : إنا قد أُنبِئْنا أنكم قد جئتم من عند هذا الرجل بخير ، فهل عندكم من دواءٍ ، أو رُقْيَةٍ ، فإن عندنا مَعْتوهًا في القُيُودِ ؟ قال : فقلنا : نعم ، قال : فجاؤوا بمعْتُوهٍ في القُيُودِ ، فقرأتُ عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غُدْوَةً وعَشيَّةً ، كُلَّما ختمْتُها أَجْمَعُ بَزَاقي ، ثم أَتفُلُ ، قال : فكأنما أُنْشِطَ من عِقَال ، فأعْطَوني جُعلاً ، فقلتُ : لا ، حتى أسأل النبيَّ ﷺ فقال : « كُلْ ، فلَعمري مَن أكل برقيةِ باطل ، لقد أكلتَ برقيةِ حق » .

١٥١٠ - أبو داود (٤ / ١٤) كتاب الطب ، باب كيف الرُّق ؟ .

(مَعْتُوه) : المعتوه : المجنون .

وفي رواية (١) عن عمّه أنه أتى النبيَّ ﷺ فأسْلَمَ ، ثم أقبل راجعًا من عنده ، فمرَّ على قومٍ عندهم رجلٌ مجنونٌ موثَقٌ بالحديد ، فقال أهلُه : إنَّا حُدِّثنا أنَّ صاحبكم هذا جاءكم بخير ، فهل عندك شيء تُداويه ؟ فَرَقَيْتُه بفاتحة الكتاب ، فَبَرَأ ، فأعطَوْني مائةَ شاةٍ ، فأتيت رسولَ الله ﷺ ، فأخبرته قال : « هل إلا هذا ؟ » - وفي رواية (٢) : « هل قلتَ غير هذا ؟ » - قلتُ : لا ، قال : « خُذها ، فَلَعَمْري لَمن أكل برُقيةٍ باطلٍ ، لقد أكلتَ برقيةٍ حق » .

١٥١١ - * روى مسلم عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قال : أَرْخَص رسولُ الله ﷺ في رُقْيَةِ الحيَّةِ لبني عمرو بن حزمٍ ، قال أبو الزبير : فسمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : لَدَغَتْ رجلاً منا عَقْرَبٌ ، ونحنُ جلوسٌ مع رسولِ الله ﷺ ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، أَرْقِي ؟ قال : « مِن استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فَلْيفْعَلْ » .

وفي رواية (٣) قال : رخَّص النبيُّ ﷺ لآل حزم في رقية الحية ، وقال لأسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ : « مالي أرى أجسام بني أخي ضَارِعةً ، تُصيبُهم الحاجةُ » ، قالت : لا ، ولكنِ العَيْنُ تُسْرِعُ إليهم ، قال : « أرْقِيهم » ، قالت : فعرضتُ عليه ، فقال : « ارقيهم » .

وفي أخرى (٤) قال جابر : كان لي خالٌ يَرْقِي من العقرب ، فنهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقَى ، قال : فأتاه ، فقالَ ، يا رسولَ الله ، إنَّكَ نَهيْتَ عن الرُّقى ، وإني أَرْقِي من العقرب ؟ فقال : « مَن استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فليفعلْ » .

وفي أخرى (٥) قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقى ، فجاء آلُ عمرو بنِ حزمٍ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنه كانت عندنا رُقْيَةٌ نرقي بها من العقرب ، وإنك نهيتَ

---

(١) أبو داود (٤ / ١٣) للوضع نفسه .

(٢) أبو داود (٤ / ١٣) الموضع نفسه .

١٥١١ - مسلم (٤ / ١٧٢٦) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(٣) ، (٤) ، (٥) مسلم : الموضع السابق .

(ضَارِعة) : رجل ضارع الجسم ، أي : ضعيف الجسم ، ناحل الجسم .

عن الرُّقى ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : « ما أرى بأسًا ، من استطاع منكم أن ينفعَ أخاه فليفعلْ » .

١٥١٢ ـ * روى ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : لَدَغَتْ عَقْرَبٌ رَجُلاً فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ فُلَانًا لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ . فَقَالَ : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ ، حِينَ أَمْسَى : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، مَا ضَرَّهُ لَدْغُ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ » .

قال في النهاية :

(أعوذ بكلمات الله التامات) : إنما وصف كلامه بالتام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب . كما يكون في كلام الناس . وقيل : معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوِّذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه .

١٥١٣ ـ * روى ابن ماجه عن عائشة ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ فِي ٱلرُّقْيَةِ .

١٥١٤ ـ * روى الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه قال : قلتُ : يا رسولَ الله أرأيْتَ رُقَاةً نَستَرقي بها ، ودَوَاءً نتَداوى به ، وتُقَاةً نَتَّقيها : هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئًا ؟ قال : « هو من قَدَرِ الله » .

١٥١٥ ـ * روى مالك عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : دخل عليَّ أبو بكر ويهوديةٌ ترْقيني ، فقال : ارقيها بكتاب الله .

أخرجهَ الموطأ عن عَمْرَة : أن أبا بكرٍ دخل على عائشة وهي تشتكي ويهوديةٌ تَرقيها ..

١٥١٢ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦٢) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٥ ـ باب رقية الحية والعقرب .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

١٥١٣ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٦٦) ٣١ ـ كتاب الطب ، ٣٨ ـ باب النفث في الرقية . وإسناده صحيح .

١٥١٤ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٩) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ٢١ ـ باب ما جاء في الرُّقى والأدوية . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(تُقَاةً) : التُّقاةُ : ما يُتَّقي ويحذر .

١٥١٥ ـ الموطأ (٢ / ٩٤٣) ٥٠ ـ كتاب العين ، ٤ ـ باب التعوذ والرقية في المرض . ورجال إسناده ثقات .

١٥١٦ ـ * ابن ماجة عن شقيق بن سلمة قال : سمعت عبد الله يقول : عليكم بالشِّفَاءَيْنِ : القرآنِ ، والعسلِ .

١٥١٧ ـ * روى أحمد عن محمد بنِ حاطبٍ قال : دَنيتُ إلى قِدْرٍ وهي تغلي ، فأدخلتُ يدي فيها فاحترقت ، أو قال فورمَتْ . فذهبتْ بي أمي إلى رجلٍ بالبطحاء فقال شيئًا ونفثَ ، فلما كان في إمرة عثمانَ قلت لأمي : من كان ذلك الرجلُ ؟ قالتْ : رسولُ الله ﷺ . ورواه الطبراني بنحوه [(١)] ، إلا أنها قالت : يا محمدُ احترقت يد محمدٍ .

وفي رواية [(٢)] عنده : فانطلقت بي أمي إلى رجل جالس في الجبانةِ فقالتْ : يارسولَ الله ، فقالَ : يالبيك وسعديك ، ثم أدنتني منه ، فجعلَ ينفثُ ويتَكلَّمُ بكلام لا أدري ما هو ، فسألت أمي بعد ذلك ما كان يقولُ ؟ قالت : كان يقول : « أذهب البأس ربَّ الناسِ اشفِ أنتَ الشافي لا شَافِيَ إلا أنت » .

١٥١٨ ـ * روى أحمد عن محمدِ بنِ حاطبٍ قالَ : انصبَّ علي يدي شيء من قِدرٍ ، فذهبتْ بي أمي إلى رسولِ الله ﷺ وهو في مكان : قال : فقال كلامًا فيه : « أذهب الباس ربَّ الناسِ » أحسبُه قال : « واشفِ أنت الشافي » قال : وكان يتفلُ .

١٥١٩ ـ * روى الطبراني عن عليٍّ قال : لدغت النبيَّ ﷺ عقربٌ وهو يُصلي فلما فَرَغَ قال : « لعن اللهُ العقربَ لا تدع مصليًا ولا غيره » ثم دعا بماء وملح فجعلَ يمسَحُ عليها

١٥١٦ ـ ابن ماجه (٢ / ١١٤٢) ٣١ ـ كتاب الطب) ، ٧ ـ باب العسل .

في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

والحاكم (٣ / ٢٠٠)وصححه ، ووافقه الذهبي .

وفيض القدير (٤ / ٣٤٢) وقال المناوي : قال البيهقي في « شعب الإيمان » : الصحيح موقوف على ابن مسعود .

١٥١٧ ـ أحمد (٣ / ٤١٨) ،

ومجمع الزوائد (٥ / ١١٢) . وقال ورجال أحمد ، ورجال هذه الطريق رجال الصحيح .

(١) مجمع الزوائد (٥ / ١١٣) .

(٢) أحمد : الموضع السابق .

١٥١٨ ـ أحمد (٤ / ٢٥٩) ، (٣ / ٤١٨) .

مجمع الزوائد (٥ / ١١٢) . وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

١٥١٩ ـ الروض الداني (٢ / ٨٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ١١١) ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير و إسناده حسن .

ويقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ .

١٥٢٠ - * روى مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا نَرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسولَ الله ، كيف ترى في ذلك ؟ قال : « اعْرِضُوا عليَّ رُقاكم » ، ثم قال : « لا بأس بما ليس فيه شِرْكٌ » .

١٥٢١ - * روى الطبراني عن عبادةَ بنِ الصامتِ قال : كنت أرقي من حُمَةِ العين في الجاهلية ، فلما أسلمت ذكرتُها لرسول الله ﷺ ، فقال : « اعرضها عليّ » فعَرَضْتُها عليه فقال : « ارق بها فلا بأس بها » ولولا ذلك ما رقيتُ بها إنسانًا أبدًا .

١٥٢٢ - * روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالتْ زينبُ امرأتُه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » ، قالت : قلت : لِمَ تقولُ هذا ؟ والله ، لقد كانت عيني تَقْذِفُ ، وكنت أَخْتَلِفُ إلى فلانٍ اليهوديِّ فيَرْقِيني ، فإذا رَقَاني سَكَنَتْ ، فقال عبدُ الله : إنما ذلك عملُ الشيطان ، كان يَنْخَسُها بيده ، فإذا رَقَاها كفَّ عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقولُ : « أذهِبِ الباسَ ، ربَّ الناسِ ، اشْفِ أنتَ الشَّافي ، لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤكَ ، شِفَاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا » .

قال البغوي في شرح السنّة :

والتولَةُ : ضرب من السحر . قال الأصمعي : وهو الذي يحبب المرأة إلى زوجها ، وهو بكسر التاء ، فأما التُّولةُ بضم التاء : فهو الداهية اهـ .

١٥٢٠ - مسلم (٤ / ١٧٢٧) ٣٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك .

وأبو داود (٤ / ١٠) كتاب الطب - باب ما جاء في الرُّقى .

١٥٢١ - مجمع الزوائد (٥ / ١١١) وقال الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن .

١٥٢٢ - أبو داود (٤ / ٩) كتاب الطب - باب في تعليق التمائم .

(التِّوَلَة) : بكسر التاء وفتح الواو : ما يُحبّبُ المرأة إلى زوجها من أنواع السحر ، وقيل : التِّوَلَة - بكسر التاء وضمها - شبيه بالسحر .

١٥٢٣ ـ * روى أبو داود عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه ، رفعه : « من عـادَ مريضًـا لم يحضر أَجَلُـهُ فقـالَ عنـده سبعَ مرات » : « أسـأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَشْفيَك ، إلا عافاه الله من ذلك المرضِ » .

١٥٢٤ ـ * روى الطبراني عن رافع بن خديج قـال دخل رسول الله ﷺ على ابنِ نُعيمـانَ فقال : « أذهب الباس رب الناس إلهَ الناس » .

* * *

١٥٢٣ ـ أبو دواد (٣ / ١٨٧) كتاب الجنائز ـ باب الدعاء للمريض عند العيادة .

والترمذي (٤ / ٤١٠) ٢٩ ـ كتاب الطب ، ٢ ـ باب حدثنا محمد بن المثنى ... وقال : حديث حسن غريب .

والمستدرك : (٢ / ٢١٣) وصححه ، ووافقه الذهبي .

١٥٢٤ ـ معجم الزوائد (٥ / ١١٤) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الفصل الخامس

في:

النذر

وفيه:

عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد

عرض إجمالي

أدْخَلْنا فصل النذر في مباحث العقائد ؛ لأن النـذر في الأصل إنشـاء عبـادة ، وقـد وقع بعض الناس في صور من الغلو في النذر تقتضي تصحيحًـا ، ومن ههنـا أدخلنـاه في مبـاحث العقيدة ، وإن جرت عادة الفقهاء أن يدخلوه في أبواب الفقه . ونحن إذ أدخلناه ههنا فـإنّـا سنتحدث عن بعض مسائله في الأقسام التالية : فأول ما نتكلم به عن النذر هو أن الأصل في المسلم أن يبتعـد عن النـذور ، وأن يفعـل الخير مـا استطـاع دون أن ينـذر ؛ لأنـه إذا نـذر ما يجب الوفاء به فقد يدخله ذلك في دائرة الحرج ؛ لأنه قبل النذر يكون في فسحة ، فـإذا نـذر مـا يجب الوفـاء بـه افترض عليـه الوفـاء لقولـه تعـالى : ﴿ وليـوفـوا نـذورهم ﴾ [١] ، ﴿ يـوفـون بـالنـذر ﴾ [٢] ، ﴿ يـا أيهـا الـذيـن آمنـوا أوفـوا بـالعقـود ﴾ [٣] ، ﴿ وأوفـوا بالعهد ﴾ [٤] ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ [٥] ، والنذر نوع من العهد من النـاذر مع الله عز وجل ويدخل في العقود والعهود .

ومن ثم قال الشافعية والحنابلة : النذر مكروه كراهة تنزيـه لا تحريم ؛ وقـال الحنفيـة : هو مباح في الطاعـات . وفرّق المـالكيـة بين النـذر المطلق واعتبروه منـدوبًـا ، وبين النـذر المكرر ، كصوم كل يوم خميس مثلا فكروهٌ .

ولا يصـح النـذر من الصبي أو المجنـون أو الكافر . والنـذر على أنـواع : الأول : قربـة ، فيجب الوفاء بها على تفصيل بين المذاهب ، الثـاني : معصيـة ، فيحرم الوفـاء بهـا ، وهنـاك خلاف حول وجوب كفارة اليمين بمثل هـذا النـذر ، الثـالث : المكروه : فيكره الوفـاء بـه ، وهو كسابقه في وجوب كفارة اليمين في الخلاف ، والنوع الرابع : النذر المباح ، فيباح الوفـاء به وتركه وفيه تفصيلات :

أما بالنسبة للنذر بقربة ، فيفرق الحنفية بين القربة المقصودة لذاتها من جنسها واجب ، وبين القربة التي ليست مقصودة بذاتها وليس من جنسها واجب .

---

(١) الحج : ٢٩ .
(٢) الإنسان : ٧ .
(٣) المائدة : ١ .
(٤) الإسراء : ٣٤ .
(٥) النحل : ٩١ .

فالشافعية : أوجبوا الوفاء بكل قربة كعيادة المريض والسلام والزيارة والصوم والحج والاعتكاف ، وأما الحنفية : فلم يوجبوا الوفاء إلا بنذر عبادة مقصودة لذاتها من جنسها واجب : كصلاة وصيام ، أما ما لم يكن من جنسها واجب فلا يجب الوفاء به كعيادة المرضى والوضوء وتكفين الميت ومس المصحف والأذان وبناء المساجد ومن نذر المعصية يحرم عليه الوفاء بها ولا يجب عند الجمهور على الناذر شيئًا ، وقال أبو حنيفة والحنابلة : عليه كفارة يمين .

وكذلك النذر بالمكروه : يكره الوفاء به وعلى صاحبه كفارة يمين عند الحنفية .

وأما إذا نذر المباح ، فيباح له أن يفعله أو أن يتركه ، وقال الحنفية والمالكية والشافعية : في الأصح لا كفارة عليه إن لم يفِ بنذره ، وقال الحنابلة : إن لم يفِ فعليه كفارة يمين .

والصيغة التي ينعقد بها النذر عند الحنفية هو النذر لله صراحة أو ضمنًا مثل قوله : لله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أو عليّ نذر أو هذا هدي أو صدقة ، أو مالي صدقة أو ما أملك صدقة .

والنذر في العادة على نوعين : مطلق ومقيد ، فالمطلق مثل أن يقول : عليّ أن أصوم كذا ، أو أصلي كذا ، وأما المقيد فهو المعلق بشرط كقوله : إن قدم فلان أو شفى الله مريضي فعليّ كذا .

وكلا النوعين يجب الوفاء به إذا تحققت شروط وجوب الوفاء .

ولا يعتبر النذر بالفريضة أو الواجب سواءً عينيًا أو كفائيًا من باب النذر ؛ لأنه واجب في أصل الشرع ، ولكنه يتأكد القيام به .

ومن كلام الشافعية : أن نذر اللجاج يسمى أيضًا يمين اللجاج والغضب ويمين الغلق ، وهو الذي قصد به الناذر حث نفسه على فعل شيء أو منعها غير قاصد للنذر ولا القربة ، مثل قوله : إن لكت فلانًا فللّه عليّ صوم ، فالأظهر عندهم في هذا النوع أن الناذر بالخيار إن شاء وفّى بما التزم ، وإن شاء كفّر كفارة يمين . وقال الحنابلة مثلَ ذلك .

وإن نذر صلاة ركعتين في المسجد الحرام فأدّاها في ما هو أقل شرفًا منه أو في أرض عادية أجزأه عند أئمة الحنفية ما عدا زفر ، وقال المالكية : يلزمه أن يؤدي الصلاة والاعتكاف في المكان الذي سمّى ، وقال الشافعية إذا نذر الصلاة أو الاعتكاف في المساجد الثلاثة : المسجد الحرام أو مسجد المدينة أو مسجد الأقصى ، لزمه الأداء في المكان وكذلك قال الحنابلة .

* * *

الفقرات

الفقرة الأولى : في حكم النذر ومتى يجب الوفاء به .

الفقرة الثانية : في النذر فيما لا يطيق .

الفقرة الثالثة : في حكم مراعاة المكان في النذر .

الفقرة الرابعة : في قضاء الحي نذر الميت .

الفقرة الخامسة : في نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية .

الفقرة السادسة : في متى يكون للنذر حكم اليمين .

الفقرة السابعة : في نذر صيام يوم النحر .

الفقرة الثامنة : في نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس .

الفقرة التاسعة : في موضوعات متعددة .

الفقرة الأولى

في :

حكم النذر ومتى يجب الوفاء به

١٥٢٥ - * روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لا يَأْتِي ابنَ آدَمَ النَّذْرُ بَشيءٍ لَمْ أكُنْ قَدَّرتُه لَهُ ، وَلكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إلى القَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ ، فَيَسْتَخْرِج بِهِ مِن البَخِيلِ ، فَيؤْتِيني عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِيني عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ » .

وفي رواية (١) : أنّ النبي ﷺ قَالَ : « لا يأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بَشيءٍ لَمْ يَكُنْ قَدَّرْتُهُ له ، وَلَكِنْ يُلْقِيه النَّذْرُ وَقَدْ قَدَّرْتُه لَهُ ، يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ » .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٢) : أنّ النبيّ ﷺ قَالَ : « إنّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ مِن ابن آدم شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ ، وَلَكنّ النَّذرَ يُوَافِقُ القَدَر ، فَيُخْرَجُ بذلك مِن البخِيلِ مَا لَمْ يكُن البَخيل يُريدُ أنْ يُخرِجَ » .

وفي أخرى له (٣) عن النبيّ ﷺ أنه نهى عن النذر ، وقال : « إنّه لا يردُّ من القَدَرِ شيئًا ، وإنما يستخرَج به من البخيل » .

وفي أخرى (٤) أن النبيّ ﷺ قال : « لا تنذِروا ، فإن النذرَ لا يغني من القدر شيئًا ، وإنما يستخرَج به من البخيل » .

١٥٢٥ - البخاري (١١ / ٥٧٦) ٨٣ - كتاب الإيمان والنذور ، ٢٦ - باب الوفاء بالنذر ، وقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ .

قال ابن حجر في (فتح الباري) : هذا من الأحاديث القدسية لكن سقط منه التصريح بنسبته إلى الله عز وجل .

(١) البخاري (١١ / ٤٩٩) ٨٢ - كتاب القدر ، ٦ - باب إلقاء العبد النذر إلى القدر .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٦٢) ٢٦ - كتاب النذر ، ٢ - باب النهي عن النذر وأنه لا يردُّ شيئًا .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

قال ابن الأثير :

(النهي عن النذر) إنما هو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل ، لكان في ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ، إذ كان بالنهي يصير معصيةً ، فلا يلزم الوفاء به ، وإنما وَجْهُ الحديث : أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يَجُرُّ لهم في العاجل نفعًا ، ولا يصرف عنهم ضرًّا ، ولا يرد قضاءً ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدّره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا فعلتم ذلك فاخرجوا عنه بالوفاء ، فإن الذي نذرتموه لازم لكم .

١٥٢٦ - * روى الطبراني عن ابن عمر : نهى النبي ﷺ عن النذر وأمر بالوفاء به .

وفي أصل النذر قالت المذاهب الأربعة ما يلي :

الحنابلة - قالوا : النذر مكروه ولو عبادة لنهيه عليه الصلاة والسلام عنه وقال : « إنه لم يأت بخير » « وإنما يُستخرَج به من البخيل » ، والنذر لا يَرد قضاء ولا يملك الناذر به شيئًا جديدًا ولا يَرفع واقعًا ، فإذا وقع منه وجب الوفاء به ... [على تفصيل] .

المالكية - قالوا : النذر المطلق مندوب ، وهو ما أوجبه على نفسه شكرًا لله تعالى على ما حصل ووقع فعلا من نعمة أو دفع نقمة ، كمن نجّاه الله من كربة أو شفى مريضه أو رزقه مالاً أو علمًا فنذر لله قربة يفعلها شكرًا ، فالإقدام على مثل هذا النذر مندوب والوفاء به فرض لازم . أما النذر المعلق : وهو أن ينذر قربة معلقا على شيء في المستقبل محبوب وليس للعبد فيه مدخل كقوله : إن شفى الله مريضي فعليّ كذا فاختلف فيه ؛ فبعضهم يقول بالكراهة وبعضهم يقول بالجواز ، ومحل هذا فيمن لا يعتقد أن مثل هذا النذر نافع في حصول غرضه ، وإلا كان محرمًا والناذر الذي يعتقد أن نذره ينفع يخالف قول النبي ﷺ ، إنه لا ينفع فإذا وقع يجب الوفاء به ، وإذا علق النظر على أمر من فعل العبد كقوله : إن فعلت كذا فعليّ كذا فإنه مكروه بلا خلاف وكذا إذا نذر نذرًا مكروهًا كأن نذر أن يصوم كل يوم فإنه يثقل على النفس فعله فيكره ويجب الوفاء بها بعد وقوعها على أي حال . أما

١٥٢٦ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

نذر مالا طاقة له به فهو حرام .

الحنفيـة ـ قـالوا : النـذر الصحيح المستكمل للشروط الآتيـة قربـة مشروعـة ، أمـا كونـه قربة فَلِمَا يلازمه من القرب كالصلاة والصوم والحج ونحوهما ، وأمـا كونـه مشروعـًا فللأوامر الواردة بإيفائه .

الشافعية ـ قـالوا : الإقـدام على النـذر قربـة في نـذر التبرر ، لأنـه منـاجـاة لله تعـالى ، ولـذلـك لا يصـح من الكافر . مكروه في نـذر اللجـاج . اهـ (من الفقـه على المـذاهب الأربعة) . وها نحن ننقل لك من كتاب الفقـه على المـذاهب الأربعـة مـا تعرف بـه شروط وجوب النذر عند الحنفية :

قال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة معرفًا النذر وذاكرًا شروط وجوب الوفـاء به على مذهب الحنفية :

النذر هو أن يوجب المكلف على نفسه أمرًا لم يلزمه به الشارع .

وحكمه وجوب الوفاء به متى كان صحيحًا مستكملا للشرائط الآتي بيانُها لقول الله تعالى : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ .

ولابـد للنـاذر من أن ينـذر لله تعـالى ، فلا يحل النـذر لولي ولا لمقرب وإن وقع يكون باطلاً . ويشتـرط لصحـة النذر سبعة شروط :

الأول : أن يكـون من جنس المنـذور فرض أو واجب اصطـلاحي على الأصح كالصـوم والصلاة والصدقة ، فإذا نذر أن يصوم تطوعًا فإنه يجب عليه الوفاء ؛ لأن الصوم من جنسـه فرض وهو صوم رمضان . وكذا إذا نذر أن يصلي نافلة فإنه يجب عليـه الوفـاء ؛ لأن الصلاة من جنسها واجب هو الصلوات الخمس . وكذا إذا نذر أن يتصدق فـإن الصـدقـة من جنسهـا واجب وهو الزكاة إلا الاعتكاف فـإنـه يجب عليـه الوفـاء بنـذره ، مـع أنـه ليس من جنسـه واجب على التحقيق ، لأن الإجماع منعقد على وجوب الوفاء بنذره .

وإذا لم يكن من جنس المنـدور فرض أو واجب اصطـلاحي فـإنـه لا يجب على النـاذر الوفاء به كعيادة المريض ، ودخول المسجد ولو مسجد الرسول ﷺ ، أو المسجد الأقصى . أو

الحرم المكي ، لأنه ليس من جنسها فرض مقصود . وكذا لو نذر تسبيحًا أو دعاء عقب الصلاة فإنه لا يجب الوفاء به ؛ لأنه ليس من جنسه فرض . أما إذا نذر تكبيرًا فإنه يجب الوفاء به ؛ لأن التكبير من جنسه فرض وهى تكبيرة الإحرام . وكذا إذا نذر الصلاة على النبي ﷺ فإنه يجب الوفاء به على الصحيح ؛ لأنه من جنسها فرضٌ وهو الصلاة عليه في العمر مرة .

الثاني : أن يكون المنذور عبادة مقصودة ، فلا يصح النذر بما هو وسيلة كالوضوء ، والاغتسال ، ومس المصحف ، والأذان ، وتشييع الجنازة وعيادة المريض ، وبناء المساجد وغير ذلك ، فهذه الأمور وإن كانت قربة إلا أنها غير مقصودة لذاتها ، بل المقصود هو ما يترتب عليها ، فالضابط الكلي في صحة النذر : أن يكون المنذور عبادة مقصودة من جنسها فرض .

الثالث : أن لا يكون المنذور معصية لذاته ، فإذا نذر أن يقتل فلانا أو يشرب الخمر أو يزني كان يمينًا ولزمته الكفارة بالحنث . أما إذا نذر أن يصوم يوم عيد الفطر أو الأضحى فإنه يكون قد نذر محرمًا لعارض لا لذاتها ، فإن الصيام في ذاته طاعة ، وتحريمه في هذا اليوم عارض بنهي الشارع ، فيصح نَذره ويلغو لأنه يوم العيد فيجب قضاؤه في يوم آخر . ومثله ما إذا نذر أن يصلي ركعتين من غير وضوء ، فإنه يصح نذره ؛ لأن نذر الصلاة صحيح ويلغو قيد من غير وضوء ، فيجب أن يصلي ركعتين بوضوء ، لأن التزام المشروط وهو الصلاة التزام الشرط وهو الوضوء ، وكذا نذر أن يصلي ركعة واحدة فإنه يلزمه أن يصلي ركعتين . وكذا نذر أن يصلي ثلاثة فإنه يلزم بأربعة .

الرابع : أن لا يكون فرضًا عليه قبل النذر ، فلو نذر حَجة الإسلام لم يلزمه شيء غيرها .

الخامس : أن لا يكون ما التزمه أكثر مما يملكه ، فلو نذر ألفا وهو لا يملك إلا مائة يلزم بالمائة فقط .

السادس : أن يكون ممكن الوقوع ، فلو نذر مستحيلاً كأن يصوم أمس فإنه لا يصح نذره ، وكذا إذا نذرت الحائض أن تصوم أيام حيضها فهو باطل ؛ لأن صوم أيام الحيض

مستحيل شرعًا ، وكذا إذا نذرت أن تصوم غدًا ثم أصبحت حائضًا فإن نذرها باطل ، وهذا عند محمد ، وقال أبو يوسف : يجب عليها القضاء في الصورة الثانية .

السابع : أن لا يكون ملكًا للغير .

واعلم أن النذر المطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا دراهم ولافقير ، فإذا نذر أن يتصدق يوم الجمعة بهذا الدرهم على فلان فتصدق يوم الخميس أو يوم السبت بغير هذا الدرهم على شخص آخر جاز . وكذا لو عين شهرًا للاعتكاف أو للصوم فعجل صح ، وكذا إذا نذر أن يحج سنة كذا فحج سنة قبلها صح ، أما النذر المعلق فإنه يتعين فيه الوقت فقط : إذ لا يصح تقديمه على وقوع المعلق عليه بخلاف تأخيره عنه فإنه جائز . أما تعيين الفقير والدرهم والمكان فيه فليس بلازم ، فيصح أن يدفع غير الدرهم المنذور لفقير آخر غير الذي ذكره ، فلو نذر لفقراء مكة جاز الصرف لفقراء غيرها ، سواء كان النذر مطلقًا أو معلقًا .

والنذر عمل اللسان ، والقياس يقتضي أنه لا ينعقد إلا بلفظ : لله عليّ كذا ، أو عليّ كذا ، أما إذا قال : إن عوفيت صمت كذا ، فإنه لا ينعقد به النذر قياسًا ، وينعقد استحسانًا . اهـ .

* * *

الفقرة الثانية

في :

النذر فيما لا يطيق

١٥٢٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن عُقْبة بن عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَذَرَتْ أُخْتِي أَنْ تَمْشِي إلى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ حَافِيَـة ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهـا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُـهُ ، فَقَالَ : « لِتَمشِ و لْتَرْكَبْ » .

وفي روايـة الترمـذي (١) : حـافيـةً غير مُختمرةٍ ، فقـال : « مُرُوهـا فلتختمر ولتركَبْ ولْتَصُمْ ثلاثة أيام » .

وأخرج أبو داود الروايتين (٢) ، وأخرج النسائي (٣) الثانية .

قال البغوي في شرح السنة :

« نـذرهـا ترك الاختمار معصيـة ، لأن ستر الرأس واجب على المرأة ، فلم ينعقـد فيـه نذرها ، وكذلك الحَفاء ، ولو نذر رجل أن يحجّ حافيًا ، فلا يلزم الحفـاء أيضـاً لما فيـه من إتعاب البدن ، ولو نذر أن يحج ماشيًا يلزمـه المشي إلا أن يعجز ، فيركب من حيث عجز ، ويلزمه المشي من دُويرة أهلـه ، وقيل : من الميقـات ، وإذا ركب لعجز هل يلزمـه شيء أم لا ؟ اختلف أهل العلم فيه ، فذهب أكثرهم إلى أن عليه دمَ شاة ، وهو قول مـالـك ، وأظهرُ قولي الشافعي ، وأصحها ، وذهب بعضهم إلى أنـه لا يجب إلا على وجـه الاحتيـاط لحـديث أنس أنـه أمره بـالركوب مُطلقًا ، ولم يـأمره بفـديـة وحيث أمر ، فـاستحبـاب ، كما رُوي : « وَلْتُهْدِ بَدَنَةً » ، ولا تجب البَدَنَةُ لزومًا » اهـ .

١٥٢٧ ـ البخاري (٤ / ٧٩) ٢٨ ـ كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ ـ باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٢٦٤) ٢٦ ـ كتاب النذر ، ٤ ـ باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

(١) الترمذي (٤ / ١١٦) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، باب حدثنا محمود بنُ غيلان ... إلخ . وقـال : حـديث حسن.

(٢) أبو داود (٣ / ٢٣٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(٣) النسائي (٧ / ١٩) ٣٥ ـ كتاب [redacted] ٣٢ ـ باب من نذر أن يمشي إلى بيت الله تعالى .

١٥٢٨ ـ * روى أبو داود عن عبد الله بن عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما ، قَـالَ : جَـاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَـالَ : يَـا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ أُخْتِي نَـذَرَت أن تَمْشِي إلى البَيْتِ ـ أوْ قَـالَ : أنْ تَحـجَّ مَـاشِيَـةً ـ فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يَصْنَـعُ بشقَـاء أُخْتِـكَ شَيْئًـا ، فَلْتَحُجَّ رَاكِبَةً ، ولْتُكَفِّرْ يَمينَهَا » .

أقول : إن على المسلم أن يحتـاط فلا ينـذر ، وإذا نـذر فيما يطيق ويتـورط كثيرون من الناس ، فينذرون ما لا يطيقون ، والحديث يفتيهم أن يـدفعوا كفـارة يمين عمـا عجزوا عن الوفاء به .

١٥٢٩ ـ * روى أبو داود عن عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ : إنَّ أختَ عُقبة بنِ عامرٍ نَذَرَتْ أن تَحجَّ مَاشِيَةً ، وَإنَّها لا تُطِيقُ ذلِكَ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِ أُخْتِكَ ، فَلْتَرْكَبْ ، وَلْتُهْدِ بَدَنَةً » .

وفي أخرَى (١) : « إنَّ اللهَ تَعَالَى لا يصْنَعُ بِمَشْيِ أُخْتِكَ إلى البَيْت شَيْئًا » .

أقول : مر معنا قول البغوي : إن قولـه عليـه الصلاة والسلام : « ولتهـد بـدنـة » ليس محمولا على اللزوم ، وإذن فهو محمول على الاستحباب .

١٥٣٠ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أَنَس بن مَـالِـكٍ رَضِيَ الله عَنْـهُ أنَّ رَسُـولَ الله ﷺ رَأى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابنَيْهِ ، فَقَالَ : « مَا بَـالُ هـذَا ؟ » قَـالُوا : نَـذَرَ أنْ يَمْشِيَ ، قَـالَ : « إنَّ الله عَنْ تَعْذِيبِ هذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ ، وَ أَمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ » .

١٥٢٨ ـ أبو داود (٢ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

١٥٢٩ ـ أبو داود (٢ / ٢٣٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية . وهو حديث صحيح .

(١) أبو داود (٢ / ٢٣٦) : الموضع السابق . وهو عن عقبة بن عامر في هذه الرواية .

١٥٣٠ ـ البخاري (٤ / ٧٨) ٢٨ ـ كتاب جزاء الصيد ، ٢٧ ـ باب من نذر المشي إلى الكعبة .

مسلم (٣ / ١٢٦٣) ٢٦ ـ كتاب النذر ، ٤ ـ باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود (٢ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والترمذي (٤ / ١١١) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٩ ـ باب ماجاء فيمن يحلف بالمشي ولا يستطيع .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٤٢ ـ باب ما الواجب على من أوجب على نفسه نذرًا فعجز عنه .

وابن ماجه (١ / ٨٩) ١١ ـ كتاب الكفارات ، ٢٠ ـ باب من نذر أن يحج ماشيا .

قال ابن الأثير : (يُهادى) جاء فلان يُهادى بين رجلين ، أي : يمشي متكئًا عليهما من ضعفه .

١٥٣١ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبي ﷺ أدْرَكَ شيْخًا يَمْشِي بَيْنَ ابنَيْهِ ، يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِا ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « مَا شَأْنُ هـذَا ؟ » قَـالَ ابنَـاهُ : يَـا رَسُولَ اللهِ ، كَانَ عَلَيْـهِ نَـذْرٌ ، فَقَـالَ النبيُّ ﷺ : « ارْكَبْ أيُّهـا الشَّيْخُ ، فَـإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عنْـكَ وعَنْ نَذْرِكَ » .

١٥٣٢ - * روى الترمذي عن أَنس رَضِيَ اللهُ عَنْه قَـالَ : نَـذَرَتِ امْرَأَةٌ أنْ تَمْشِيَ إلى بَيْتِ اللهِ ، فَسُئِـلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذلِـك ؟ فَقَـالَ : « إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِهَـا ، مُروهَـا فَلْتَرْكَبْ » .

أقول : هذه نذرت حجًا والحج فريضة وعبادة مقصودة ، ونذرت مشيًا ، وهو ليس من جنسه واجب ، وليس عبادة مقصودة ، وقد رأينا قول الحنفية : أن النذر في كل من هـاتين الحالتين لا يجب .

ولـذلـك نجد النص ألغى المشي وأوجب الحـج ، ولكن لاحترام كلمـة النـذر لله أوجبت بعض النصوص لمن عجز عن الوفاء بنذر أن يعتبر كلامـه يمينًـا ويكفر عن يمينـه ، وبعضهم حمل ذلك على الندب حيث لا يجب الوفاء ، وعلى الوجوب حيث يجب الوفاء وعجز .

١٥٣٣ - * روى مالك عن عُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ اللَّيْثِي قال : خَرَجْتُ مع جَدَّةٍ لي عَلَيْهَـا مَشْيٌ إلى بَيْتِ اللهِ ، حَتَّى إذَا كُنَّـا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَجَـزَتْ ، فَـأَرْسَلَتْ مَـوْلَىً لهـا يَسْـأَلُ ابنَ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَسَأَلَ ابنَ عُمر ؟ فَقَالَ لَهُ : مُرْهـا فَلْتَرْكَبْ ثُمَّ لْتَمْشِ ، مِنْ حَيْثُ عَجَزَتْ .

أقول : الظاهر أن ابن عمر أفتى بـأن تجمع بين المشي والركوب بعـد المكان الـذي عجزت فيه ، وذلك مذهبه لكن صاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته قـال : من قـال : لله علي أن

١٥٣١ - مسلم (٢ / ١٢٦٤) ٢٦ - كتاب النذر ، ٤ - باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة .

وأبو داود : (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ - باب ماجاء في النذر في المعصية .

١٥٣٢ - االترمذي (٤ / ١١١) ٢١ - كتاب الأيمان والنذرو ٩ - باب ما جاء فين يحلف بالمشي ولا يستطيع .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال : وفي الباب عن أبي هريرة ، وعقبة بن عامر ، وابن عباس .

١٥٣٣ - الموطأ (٢ / ٤٧٣) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٢ - باب فين نذر مشيًا إلى بيت الله فعجز . ورجاله ثقات .

أحج ماشيًا يلزمه الحج ماشيًا ... فإن عجز عن المشي ركب وعليه دم عند الحنفية والمالكية والشافعية وفي رواية عن أحمد ، والدم عند المالكية بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد بدنة أو بقرة ، والأرجح عند الحنابلة أنه إذا عجز عن المشي ركب وعلية كفارة .

* * *

الفقرة الثالثـة

في :

حكم مراعاة المكان في النذر

١٥٣٤ ـ * روى أبو داود عن ثابتِ بنِ الضّحاكِ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَال : نَذَرَ رَجُلٌ على عهْدِ رَسُول الله ﷺ أنْ ينحَرَ إبلاً ببُوَانة ، فَأتى رسَولَ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ ؟ » قالوا: لا ، قال : « هَلْ كَانَ فِيها عِيدٌ مِنْ أعْيادِهِم » ؟ قالوا : لا ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإنَّهُ لا وَفَاءَ لنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ الله ، ولا فِيما لا يملك ابنُ آدم » .

أقول : نص فقهاء الحنفية أن تعيين المكان والفقير والدرهم ليس بلازم ، وعلى هذا فإن الذبح ببُوانةَ يحمل الحنفية الوفاء به على الندب لا على اللزوم .

١٥٣٥ ـ * روى أبو داود عن عَمْرو بن شُعَيبٍ عَن أبيهِ عَنْ جَدِّهِ أنَّ امْرَأةً أتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، إنّي نَذَرْتُ إنْ انْصَرَفْتَ مِنْ غَزوَتِك سَالِمًا غَانِمًا أن أضْربَ عَلى رَأسِكَ بِالدُّفِّ ؟ قَالَ : « إنْ كُنْت نَذَرْتِ فَأوْفِي بِنَذْرِك ، وإلا فَلا » ، قَالَتْ : وَنَذَرتُ أن أذْبَحَ لمَكَان كَذَا وَكَذَا ـ مَكَانٍ يَذْبَحُ فيه أهلُ الجَاهِلِيَّةِ ـ فَقَالَ : « هَلْ كَانَ بِذلِك المَكَانِ وثَنٌ مِنْ أوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعبَدُ ؟ » قَالَتْ : لا ، قَالَ : « هلْ كَانَ فيهِ عِيدٌ مِن أعْيَادِهِم ؟ » قَالَتْ : لا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَوْفِي بنَذْرِك » .

أقول : الضرب بالدف ليس من جنسه فريضة أو واجب وعلى هذا ففتوى الحنفية أنه لا يجب الوفاء به والأمر بالوفاء هنا محمول على الندب .

١٥٣٤ ـ أبو داود (٣ / ٢٣٨) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء للنذر . وإسناده صحيح .

(بُوَانَة) : اسم موضع في أسفل مكة دون يلملم .

١٥٣٥ ـ أبو داود (٣ / ٢٣٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر . وإسناده حسن .

وأحمد (٥ / ٣٥٦) . وإسناده حسن أيضًا .

ومسلم (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ ـ باب فضائل حسان بن ثابت ، رضي الله عنه .

وقال البغوي ـ وهو شافعي ـ في شرح السنة :

قال أبو سليمان الخطابي : ضرب الدُّف ليس مما يعدُّ في باب الطاعات التي يتعلق بها النذور ، وأحسن حاله أن يكون من باب المباح غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة مقدم رسول الله ﷺ حين قدِم من بعض غزواته ، وكانت فيه مساءةُ الكفار ، وإرغامُ المنافقين ، صار فعله كبعض القرب ، ولهذا استحبَّ ضرب الدُّف في النكاح لما فيه من إظهاره ، والخروج به عن معنى السفاح الذي لا يظهر ، ومما يشبه هذا المعنى قولُ النبي ﷺ في هجاء الكفار : « اهجوا قريشًا فإنَّه أشدُّ عليها من رَشْقٍ بالنَّبلِ » أخرجه مسلم [١] . اهـ .

أقول : لا كفارة على مَنْ نذر مباحًا ، ولا يجب عليه الوفاء عند الحنفية والمالكية والشافعية في الأصح ، وقال الحنابلة عليه كفارة يمين إذا لم يفِ بنذر مباح .

ومن كلام صاحب الفقه الإسلامي : لو نذر صدقة ما لا يملك لا يصح نذره بالاتفاق ، فإذا قال : كل ما أملك في المستقبل فهو صدقة ، وكل ما أشتريه أو أرثه فهو صدقة صح النذر خلافًا للشافعية .

* * *

(١) مسلم (٤ / ١٩٣٥) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٣٤ ـ باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الفقرة الرابعة

في :

قضاء الحي نذر الميت

١٥٣٦ - * روى مالك عن عبدِ الله بنِ أبي بَكْرِ بنِ عمرو بنِ حزم عَنْ عَمَّتِهِ أنَّها حَدَّثَتْهُ عَنْ جَدَّتِهِ أنَّها كَانَتْ جَعَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا مَشْيًا إلى مَسْجِدِ قُبَاءَ ، فماتَتْ وَلَمْ تَقْضِه ، فأفْتَى عَبْدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ابْنَتَها أنْ تَمْشِيَ عَنْهَا .

أقول : أصل هذا النذر لا يجب الوفاء به إلا على الاستحباب ، ولا يجب على أحد وفاء نذر الميت إلا إذا تطوع ، فإذا تطوع إنسان بذلك فالمرجو أن يسقط النذر عن صاحبه .

١٥٣٧ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : اسْتَفْتَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ رَسُولَ الله ﷺ في نَذْرٍ كَانَ عَلى أُمِّهِ ، فتوفِّيَتْ قَبْلَ أنْ تَقْضِيَهُ ، فأمَرَهُ أنْ يَقْضِيَه عَنْهَا .

وفي أخرى للنسائي (١) : « أنَّ سَعْدًا أتَى النَّبيَّ ﷺ ، فَقَالَ : إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وعليها نذر ، أفيُجْزِئ عَنْهَا أن أعْتِقَ عَنْهَا ؟ قال : « أعتِقْ عَنْ أُمِّكَ » .

١٥٣٨ - * روى الطبراني عن مروان بن قيس - وكان قد أخذ الرَّغْبَةَ عن أهله على عهد

١٥٣٦ - الموطأ (٢ / ٤٧٢) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ١ - باب ما يجب من النذور في المشي . ورجاله ثقات .

١٥٣٧ - البخاري (٥ / ٣٨٩) ٥٥ - كتاب الوصايا ، ١٩ - باب ما يستحب لمن توفي فجاءة أن يتصدقوا عنه .

مسلم (٣ / ١٢٦٠) ٢٦ - كتاب النذر ، ١ - باب الأمر بقضاء النذر .

وأبو داود (٣ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب في قضاء النذر عن الميت .

والترمذي (٤ / ١١٧) ٢١ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٨ - باب ما جاء في قضاء النذر عن الميت .

وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٢٠) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٥ - باب من مات وعليه نذر .

وابن ماجه (١ / ٦٨٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٩ - باب من مات وعليه نذر .

(١) النسائي (٦ / ٢٥٢) ٣٠ - كتاب الوصايا ، ١ - باب الكراهية في تأخير الوصية .

١٥٣٨ - المعجم الكبير (٢٠ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩٢) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات .

النبي ﷺ - قال : جاء رجل إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يـا رسولَ الله ، إن أبي تُوفِي وقـد جعل عليه أن يمشيَ إلى مكةَ وأن ينحرَ بَدَنَةً ولم يتركْ مـالا فهل يُقضى عنـه أن يُمشى عنـه وأن يُنْحَرَ عنه بدنة من مالي ؟ فقـال النبي ﷺ : « نعم اقضِ عنـه وانحر عنـه ، وامشِ عنـه أرأيت لو كان على أبيـك دين لرجل فقضيت عنـه من مـالـك أليس يرجـع الرجل راضيًا ؟ فإن الله تعالى أحق أن يُرضى » .

أقول : يلاحـظ أن الرسول ﷺ كان يعمق فكرة الوفـاء بـالنـذر سـواء كان الـوفـاء بـه مباحًا أو مندوبًا ، أو مفروضًا ، وذلك لتعميق الأدب مع الله ألا يعد الإنسانَ رَبَّهُ وعـدًا إلا وفَّى بـه ، وهـذا يقتضي من المربين شيئين ، أولاً : أن يعظمـوا على المسلم فكرة الالتزام مـع الله ، وأن يؤدبوه على عدم الإقدام على ذلك فيا لا مندوحة عنه . ثانيًـا : إذا التزم بنـذر أو وعد مع الله أن يفي به ، فإذا كان الالتزام مع المخلوق أو الوعد له يطلب الوفـاء بـه ، فحق الله أولى .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

نذر الجاهلية إذا وافق عبادة إسلامية

١٥٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما أنَّ عُمرَ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ : يَا رَسُول الله ، إنِّي نَذَرْتُ في الجَاهِلِيَّةِ أنْ أعتَكِفَ يَومًا في المَسْجِدِ الحَرَام ؟ قَالَ : « أَوفِ بنَذْرِكَ » .

قال المالكية : يندب للكافر بعد إسلامه فعل النذر المشروع في الإسلام الذي نذره حال كفره ، وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الوفاء لهذا النذر ، حتى إن بعضهم ذهب إلى أنه يجب الوفاء به أسلم أو لم يسلم ، وهذا مبني على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما أنهم مخاطبون بأصولها .

* * *

١٥٣٩ - البخاري (٤ / ٢٧٤) ٣٣ - كتاب الاعتكاف ، ٥ - باب الاعتكاف ليلاً .

مسلم (٣ / ١٢٧٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٧ - باب نذر الكافر ، وما يفعل فيه إذا أسلم .

وأبو داود (٣ / ٢٤٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام .

والترمذي (٤ / ١١٢) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١١ - باب ما جاء في النذر وجعله عن ابن عمر عن عمر . وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٢١) كتاب الأيمان والنذور ، ٣٦ - باب إذا نذر ثم أسلم قبل أن يفي .

الفقرة السادسة

في :

متى يكون للنذر حكم اليمين

قال الحنابلة وهم يذكرون الصور التي ينقلب فيها النذر إلى يمين :

ينقسم النذر المنعقد إلى ستة أقسام :

الأول : النذر المطلق وهو أن يقول : على نذر ، أو لله عليَّ نذر ولم ينو بنذره شيئًا معينًا سواء قال : إن فعلت كذا ، أو لم يقل ، فيلزمه بهذا كفارة يمين .

الثاني : نذر اللجاج والغضب ، وهو تعليق النذر بشرط يقصد منه الناذر المنع من المعلق عليه ، أو الحث عليه ، أو التصديق عليه إن كان خبرًا كقول : إن كلمتك فعليّ صوم كذا ، يريد منع نفسه من كلامه وكقول : إن لم أضربك فعليّ صلاة كذا ، يريد حث نفسه على ضربه . وكقول : إن لم أكن صادقًا فعليّ صوم كذا يريد تحقيق الخبر ، وحكم هذا النذر أن الناذر مخير بين كفارة اليمين إذا وجد الشرط وبين فعل المنذور .

الثالث : نذر المباح كقوله : لله عليّ أن ألبس ثوبي أو أركب دابتي ، وحكم هذا أن الناذر مخير أيضًا بين فعل المنذور وكفارة اليمين . فنذر المباح كالحلف بفعله ، فإنه إذا حلف أنه يأكل أو يشرب فإنه يكفر أو يفعل .

الرابع : نذر المكروه كالطلاق وأكل الثوم والبصل وترك السنة ونحو ذلك ، وحكم هذا أنه يستحب للناذر أن يكفر كفارة اليمين ، فإذا فعل المكروه فلا كفارة عليه ؛ لأنه وفّى بنذره .

الخامس : نذر المعصية كشرب الخمر ، وصوم يوم الحيض والنفاس ، ويوم العيد ، وأيام التشريق ، وحكم هذا أنه لا يجوز الوفاء به ، ويقضي الصوم في أيام أخرى وعليه كفارة ، فإن وفّى أثم ولا كفارة بنذره عليه .

وقال الحنفية :

ينقسم النذر إلى قسمين : نذر معلق على شرط ، ونذر مطلق . والنـذر المعلق ينقسم إلى قسمين :

الأول : معلق على شيء يراد وقوعه كقوله : إن شفى الله مريضي فللّه عليَّ كذا ، فـإنـه معلق على شفاء المريض وهو مرغوب في حصولـه للنـاذر ، وحكم هـذا لزوم الوفـاء بـه عنـد تحقيق المعلق عليه متى استوفى الشروط ...

الثـاني : معلق على شيء لا يراد حصولـه كقولـه : إذا دخلت الـدار فعليَّ كـذا نـذر ، أو إن كلمت فلانا . وهذا القسم هو يسمى نذر اللجاج عند الشـافعيـة ، لأن المقصود منـه المنع عن الفعل . وحكه أن ناذره مخير بين فعل المنذور وبين كفارة اليمين .

وقال المالكية :

تجب الكفارة بأربعة أمور : الأول : النـذر المبهم ، وهو الـذي لم يعين فيـه المنـذور كأن يقول : لله عليّ نذر ، أو نـذر لله علي إن فعلت كـذا ، أو إن لم أفعل كـذا فـإنـه تجب فيـه الكفارة إن حنث ، وكـذا إذا قـال : إن شفى الله مريضي عليّ نذر ، أو لله عليَّ نـذر فشفى الله مريضه ، فإنه يجب عليه كفارة اليمين اهـ من (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال الشافعية :

مَنْ نذر يريد البر فيجب عليه الوفـاء ، ومن نـذر اللجـاج ويسمى نـذر الغضب ويمين الغلق ، وهو النذر المرتبط بما لا يريـد وقوعـه بـأن يقصـد النـاذر حث نفسـه على شيء أو منعها مثل : إن كلمت فلانًا فللّه عليّ صوم ، فالناذر هاهنا بالخيار إن شـاء وفّى وإن شـاء كَفّر كفارة يمين .

١٥٤٠ - * روى أبو داود عن عبدِ الله بن عباس رَضِيَ الله عنهُمَا أن رسول الله ﷺ قَالَ : « مَنْ نَذَرَ نَذْرًا لم يُسَمِّه ، فكَفَّارتهُ كَفارةُ يمين ، ومَنْ نَذَرَ نَذْرًا لا يُطيقُه ، فكَفَّارَتُه كفَّارَةُ يمينٍ ، ومَنْ نَذَرَ نَذْرًا أطَاقَهُ ، فَلْيَفِ بهِ » وفي رواية : إنه موقوف .

١٥٤١ - * روى مسلم عن عُقبة بن عَامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « كفَّارَةُ النَّذْرِ إذا لَمْ يَسَمِّ شَيْئًا ، كَفَّارَةُ اليَمِينِ » .

١٥٤٢ - * روى مالك عن عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا سُئِلَتْ عَن رَجُلٍ ، قال : مَالِي في رِتَاجِ الكَعبةِ؟ فَقَالَتْ : يُكَفِّرُهُ مَا يُكفِّر اليَمينَ .

أقول : نص فقهاء الحنفية على أن نذر العبادة غير المقصودة لذاتها لا ينعقد به النذر ، ومن ذلك ما هو وسائل للعبادة كبناء المساجد ، ومن ههنا كان نذر الإنسان مالا للكعبة لا ينعقد نذرًا وفيه كفارة يمين على مذهب عائشة رضي الله عنها ، واعتبر هذا النذر الوارد في النص فقهاء الشافعية وآخرون أنه نذر لجاج وغضب وكفارته كفارة يمين .

١٥٤٣ - * روى أبو داود عن سعيدِ بن المُسَيَّب رَحِمه اللهُ أنَّ أخَوَيْنِ مِنَ الأنصَارِ كَانَ بَيْنَهُمَا مِيراثٌ ، فَسَأَلَ أحَدُهُمَا أخَاه القِسْمَةَ ، فَقَالَ لهُ الآخَرُ : إنْ عُدتَ تَسْأَلُني القِسْمَةَ فَكُلُّ مَالي في رِتَاجِ الكَعْبة ، فعَادَ يَسأَلُه ، فأتَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : إنَّ الكَعْبَةَ لَغَنيةٌ عَنْ مَالك ، كفِّرْ عَنْ يَمينِك ، و كَلِّمْ أخَاكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا يَمينَ عَلَيْكَ ، وَ لا نَذْرَ في مَعصيَةِ الرَّب ، و لا في قَطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَ لا فِيمَا لا تَمْلِكُ » .

١٥٤٠ - أبو داود (٣ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرًا لا يطيقه .

روى هذا الحديث وكيع وغيره عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، أوقفوه على ابن عباس ، والموقوف أصح .

١٥٤١ - مسلم (٣ / ١٢٦٥) ٢٦ - كتاب النذر ، ٥ - باب في كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

وأبو داود (٣ / ٢٤١) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر نذرًا لم يسمه . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٤ - باب ما جاء في كفارة النذر إذا لم يسمَّ .

وقال : حديث حسن صحيح غريب .

والنسائي (٧ / ٢٦) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ - باب كفارة النذر . ولم يقل : « إذا لم يسم شيئًا » .

١٥٤٢ - الموطأ (٢ / ٤٨١) كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .

١٥٤٣ - أبو داود (٣ / ٢٢٧) كتاب الأيمان والنذور ، باب اليمين في قطيعة الرحم .

قال ابن الأثير :

(الرِّتاج) : الباب ، يقال : جعلت مالي في رِتـاج الكعبـة ، أي : جعلتـه لهـا ، وليس المراد الباب نفسه ، وإنما المعنى : أن يكون مـالـه هَـدْيًـا إلى الكعبـة أو في كسوتهـا والنفقـة عليها .

أقول : في هذه الرواية نموذج على ما يسمى بنـذر اللجـاج وهي إحـدى الصور التي نص عليها فقهاء الحنابلة والشافعية أنها تنقلب يمينًا .

١٥٤٤ ـ * روى النسـائي عن عِمْران بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عنـهُ ، قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا نَذْرَ في مَعصِيَةٍ ، و لا فيمَا لا يملِكُ ابنُ آدم » .

وَفي أُخْرَى (١) لَهُ قَالَ : « لا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ ، و كَفَّارَتُهُ كفَّارَةُ يمينٍ » .

وفي أُخْرَى (٢) « لا نَذْر في غَضَبِ اللهِ ، وَكَفَّارَتُه كَفَّارَةُ يمينٍ » .

وهذا طرف من حديث طويل أخرجه مسلم وأبو داود (٣) .

١٥٤٥ ـ * روى أبو داود عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَـال : « لا نَـذْرَ في مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمينٍ » .

١٥٤٦ ـ * روى مالك عن يَحيَى بن سَعيدٍ رَحِمَـهُ اللهُ أنّـهُ سِمِعَ القَـاسِمَ بنَ محمـدٍ يقُولُ :

١٥٤٤ ـ النسائي (٧ / ١٩) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ ـ باب النذر فيما لا يملك .

(١) النسـائي (٧ / ٢٦) الموضع السابق .

النسائي (٧ / ٢٨) الموضع السابق .

(٣) مسلم (٢ / ١٢٦٢) ٢٦ ـ كتاب النذر ، ٣ ـ باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد .

أبـو داود : (٣ / ٢٣٩) كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ ـ باب في النذر فيما لا يملك .

١٥٤٥ ـ أبو داود (٣ / ٢٣٢) كتاب الأيمان والنذور ، ٢١ ـ باب ماجاء في النذر في المعصية .

والترمذي (٤ / ١٠٣) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ١ ـ باب ما جاء عن رسول الله ...

وقال : هذا حديث لا يصح .

والنسـائي (٧ / ٢٨) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٤١ ـ كفارة النذر .

(الكفارة) معروفة ، وأصلها من : التغطية والسّتر ، وهي فَعّالة من ذلك .

١٥٤٦ ـ الموطـأ (٢ / ٤٧٦) ٢٢ ـ كتـاب النـذور والأيمـان ، ٤ ـ بـاب مـالا يجـوز من النـذور في معصيـة الله .

وإسناده صحيح .

أَتَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ ، فَقَـالَتْ : إِنِّي نَـذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ ابْنِي ، فَقَـالَ ابنُ عَبّـاسٍ : لاتَنْحَرِي ابنَكِ ، وكفِّري عَنْ يَمِينـكِ ، فَقَـالَ شَيْخٌ عِنْـدَ ابْنِ عبّـاسٍ : إِنَّ اللهَ تَعَـالى قَـالَ : ﴿ الذِيْنَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِنْ نِسَائِهِم ﴾ [المجادلة : ٢] ثم جَعَلَ فيهِ مِنَ الكَفَّارَةِ مَا رَأَيْتِ .

أقول : من نذر أن يذبح ولده نَحَرَ شاةً عند أبي حنيفة وجزورًا عند مـالك ، وقـال الشافعية : لا شيء عليه . وقال أحمد في رواية عنه : عليه كفارة يمين ، ومن نذر ذبح نفسه أو أجنبي فهـو نـذر معصيـة ولا قيـاس فيـه ، وعليـه كفـارة يمين عنـد أحمـد أو ذبح كبش ويطعمه المساكين ، ولا شيء عليه عند الشافعية وآخرين .

١٥٤٧ - * روى الطبراني عن مسروقٍ قالَ : أُتِيَ عبدُ اللهِ بِضَرْعٍ فأخـذ يـأكل منـه فقـال للقوم : ادنوا ؛ فـدنـا القوم وتَنَحّى رجل منهم ، فقـال عبـدُ اللهِ : مـا شـأنُـك ؟ قـال : إني حَرَّمْتُ الضَّرْعَ . قـال : هـذا من خُطـواتِ الشيطـانِ : ادْنُ وكلْ وكَفِّر يمينـك ، ثم تـلا ﴿ يا أيُّها الذين آمنُوا لا تُحَرِّموا طَيِّبات ما أَحَلَّ اللهُ لكُمْ ﴾ .

أقول : لا يعتبر فقهاء الحنفية نذر المعصية منعقدًا ولا يوجبون فيه شيئًـا ، ومـا ورد من أن كفارته كفارة يمين فمحمول على الندب . ونص فقهاء الحنابلـة على أن نـذر المعصيـة يحرم الوفاء به وتجب به كفارة يمين ، أما تحريم الحلال ففيه كفارة يمين بنص القرآن قـال تعـالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ (1) ، ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ (2)

* * *

١٥٤٧ - المعجم الكبير (٩ / ٢٠٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(١) التحريم : ١ .

(٢) التحريم : ٢ .

الفقرة السابعة

في :

نذر صيام يوم النحر

١٥٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا ، سأَلَهُ رَجُلٌ فقَالَ : نَذَرْتُ أَنْ أَصُومَ كلَّ يوم ثُلاثاء ، أو أَرْبِعَاءَ ، مَا عِشْتُ ، فَوَافَقْتُ هذَا اليَوْمَ يَوْمَ النَّحْرِ ، قَالَ : أَمَرَ الله بَوفاء النَّذْرِ ، وَنَهَانَا أَنْ نَصُومَ يَوْمَ النَّحْرِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ مِثْلَهُ ، لا يَزِيدُ عَلَيْهِ .

وفي رِوَايَةٍ (١) قَال : أَمَرَ النبيُّ ﷺ بوَفَاء النَّذْرِ ، وَنَهَى عَنْ صَوْم هذا اليَوْمِ .

وللبُخَارِي (٢) مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بنِ أَبِي حُرَّةَ الأَسْلَمِي ، أَنَّهُ سَمِعَ ابنَ عُمَرَ في رَجُلٍ نَذَرَ أَنْ لا يَأْتِي عَلَيْه يَومٌ - سَمَّاهُ - إلا صَامَ ، فَوَافَقَ يَومَ أَضْحَى أَوْ فِطرٍ ، فقَالَ : لَقَدْ كَانَ لَكَ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسنَةٌ ، لَمْ يَكُنْ يَصُومُ يَوْمَ الأَضْحَى والفِطْرِ ، وَ لا يَرَى صِيَامَهُمَا .

وَفِي أُخرَى (٣) ، أَنَّه سُئِلَ عَمَّنْ وافق نَذْرَهُ في الصَّومِ أَضْحَى أَوْ فِطْرًا ؟ فَقَالَ : أَمرَ رَسُولُ الله ﷺ بوَفَاء النَّذْرِ ، وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَن صَوْمِ هذين اليَوْمَيْن ، فَأَعَادَ عَلَيْه وَلَمْ يَزد عَلَى هَذا .

أقول : فتوى الحنفية أنه يجب على الناذر أن يفطر وأن يقضي يومًا بدله ، وكذلك صوم أيام التشريق ويوم الفطر ، والحنابلة أنه يجب عليه أن يفطر وعليه كفارة يمين ، وعلى كل من المذهبين فإنه إن صام أجزأ عنه وأثم . وجمهور العلماء على أنه لا يصح نذره ولا يجوز له أن يصوم ولا يجب عليه أن يقضيه .

١٥٤٨ - البخاري (١١ / ٥٩١) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٢ - باب من نذر أن يصوم أيامًا فوافق النحر أو الفطر .

مسلم (٢ / ٨٠٠) ١٣ - كتاب الصيام ، ٢٢ - باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى .

(١) البخاري (٤ / ٢٤٠) ٣٠ - كتاب الصوم ٦٧ - باب صوم يوم النحر .

(٢) البخاري (١١ / ٥٩٠) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ٣٢ - باب من نذر أن يصوم أيامًا .. .

(٣) البخاري (١١ / ٥٩١) الموضع السابق .

الفقرة الثامنة

في :

نذر المقيم بمكة أو بالمدينة المنورة الصلاة ببيت المقدس

١٥٤٩ - * روى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قالَ : جاء الشريدُ إلى رسولِ الله ﷺ يومًا فقال : يـا رسولَ الله إني نَـذَرْتُ إنِ اللهُ عز وجل فتح عليـك مكـة أن أصَلِّيَ في بيتِ المقدس . فقال النبي ﷺ : « ههنا فصل » . ثلاثَ مرات

١٥٥٠ - * روى مسلم عن عبـد الله بن عبـاس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً شَكَتْ شَكْـوى ، فقَـالتْ : إنْ شَفَـانِي اللهُ لأخْرُجَنَّ فلأُصَلينَّ في بَيْتِ المقـدِسِ فَبَرأَتْ ، ثُمَّ تجهَّـزَتْ تُريـدُ الخُرُوجَ ، فَجَاءَتْ مَيْمُـونَـةُ تُسَلِّمُ عَلَيْهَا ، فَـأخْبَرَتْهـا بـذَلِـكَ ، فَقَـالَتْ : اجْلِسِي فَكُلِي مـا صَنَعْتِ ، وَصَلِّي في مَسْجِـدِ الرَّسُولِ ﷺ فـإني سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُـولُ : « صَـلاةٌ فيهِ أفْضَلُ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيما سِوَاه من المَساجِدِ ، إلا مَسْجِدَ الكَعْبَةِ » .

١٥٥١ - * روى أبـو داود عن جـابرِ بنِ عبـدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رَجُلاً قَـامَ يَـوْمَ الفَتْحِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إني نَذَرْتُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ إنْ فَتَحَ الله عَلَيْـكَ مَكَّـة : أنْ أُصَلِّيَ صَلاةً في بَيْتِ المَقْدِسِ - زَادَ في رِوَايَةٍ : رَكْعَتَيْنِ - فَقَالَ : « صَلِّ هَا هُنَا » ، ثُمَّ أعَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « صَلِّ هَا هُنَا » ، ثُمَّ أعَادَ عَلَيْهِ : فَقَالَ : « فَشَأْنَكَ إذًا » .

أقول : من نذر أن يصلي في مكان أو يتصدق في مكان حيث ما صلى أو تصدق جـازت صلاته وصدقته ، فكيف إذا كان في المكان الـذي صلى فيـه فضل على غيره ، إلا أنـه لو فعل فلا حرج عليه ، وهذا مذهب الحنفية .

وقد مرّ معنا أن مَنْ نَـذَرَ أن يصلي ركعتين في المسـاجـد الثلاثـة ، فصلاهـا في أي مكان

١٥٤٩ - مجمع الزوائد (٤ / ١٩٢) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير مرسلاً ورجاله ثقات .

١٥٥٠ - مسلم (٢ / ١٠١٤) ١٥ - كتاب الحج ، ٩٤ - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

١٥٥١ - أبو داود (٣ / ٢٣٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس .

والدارمي (٢ / ١٨٤) - ومن كتاب النذور والأيمان ، باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس ...

أجزأ عنه عند أبي حنيفة وصاحبيه ، وقال المالكية لزمه أن يصلي حيث أَلْزَمَ نفسه .

وقال الشافعية : من نذر صلاة في مكان جاز له أن يصلي في غيره إلا إذا نـذر الصلاة في مسجد من المساجد الثلاثة فيجب عليه الوفاء كما نذر وكذلك قال الحنابلة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

موضوعات متعددة

١٥٥٢ - * روى الطبراني عن عليِّ بنِ أبي طـالبٍ قـال : حفظتُ لكم من رسول الله ﷺ ستًّا : « لا طَلاقَ إلا من بعد نِكاحٍ ، ولا عِتاقَ إلا من بعد مُلْكٍ ، ولا وفـاءَ لنَـذْرٍ في مَعصيـةٍ ، ولا يُتْمَ بَعد حُلُمٍ ، ولا صُماتَ يـومٍ إلى الليل ، ولا وصال في الصيامِ » .

١٥٥٣ - * روى أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال : « لا وفاء لنـذر في معصيـة الله عز وجل » .

قال البغوي في شرح السنة - وهو شافعي - :

فيه بيانُ أن النذر لا ينعقد في المعصية ، ولا يلزمُه به شيءٌ حتى لو نذر صومَ يوم العيد لا يجب عليه شيء . ولو نذر نحر ولـده ، فبـاطل ، وإليـه ذهب جـاعة من أصحـاب النبي ﷺ ، منهم ابنُ عمر ، وهو قولُ مـالـك ، والشـافعي ، وذهب قـوم إلى أن من نـذر معصيـة يلزمه كَفارةُ يمين ، وهو قول الثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق اهـ .

١٥٥٤ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا نـذر إلا فيما أُطيعَ اللهُ عـز وجـل فيـه ، ولا نَـذْرَ في قَطيعـةِ رَحِمٍ ، ولا طَـلاقَ ولا عِتـاقَ فيما لا يَمْلِكُ » .

١٥٥٢ - الروض الداني (١ / ١٦٩) .

مجمع الزوائد (٤ / ٣٣٤) وقال : رواه الطبراني في الصغير ، ورجاله ثقات .

١٥٥٣ - أحمد (٣ / ٢٩٧) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٦) وقـال . رواه أحمد ، وسليمان بن موسى قيل : إنه لم يسمع من جابر . ورواه برجـال الصحيح وهو موقوف على جابر .

١٥٥٤ - المعجم الكبير (١١ / ٢٧) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٦) . قال : ورواه الطبراني في الأوسط وزاد : « ولا يمين في غضب » وأسقط : « ولا نـذر في قطيعة رحم » ورجال الكبير ثقات .

١٥٥٥ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ ، فَسَأَلَ عَنهُ ؟ فَقَالُوا : أَبو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلاَ يَقْعُدَ ، وَيَصُومَ وَلا يُفْطِرَ بِنَهَارٍ ، وَلا يَسْتَظِلَّ وَلا يَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مُرُوهُ فَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلْيَقْعُدْ ، وَلِيَتَكَلَّمْ ، وليُتِمَّ صَوْمَهُ » .

قَالَ مَالِكٌ : فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِتْمَامِ مَا كَانَ للهِ طَاعَةً ، وَتَرْكِ مَا كَانَ مَعْصِيَةً ، وَ لم يَبْلُغْنِي أَنَّه أَمَرَهُ بِكَفَّارَةٍ .

أقول : من مثل هذا الحديث نعرف موقف الإسلام من تعذيب الجسد لمجرد التعذيب ، وهي قضية كانت تراها بعض الأديان عبادة ، وحرَّمها الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ (١) ، وهذا من مظاهر قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٢) .

١٥٥٦ - * روى الترمذي عن ثابتِ بن الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلى العبْدِ نَذْرٌ فيمَا لا يَمْلِكُ » .

١٥٥٧ - * روى أبو داود عن عَبْدِ اللهِ بن عمرو بن العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا نَذْرَ إلا فِيمَا يُبْتَغَى بهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى ، وَ لا يَمينَ فِي قَطِيعَةِ رَحِمٍ » .

١٥٥٥ - البخاري (١١ / ٥٨٦) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .

وأبو داود (٣ / ٢٣٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

١٥٥٦ - الترمذي (٤ / ١٠٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٢ - باب ما جاء لا نذر فيما لا يملك ابن آدم .

وهو طرف من حديث طويل قد أخرجه الجماعة إلا الموطأ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، قال : وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وعمران بن حصين .

١٥٥٧ - أبو داود (٣ / ٢٢٨) كتاب الأيمان والنذور . باب في اليمين في قطيعة الرحم .

قال ابن الأثير :

(قطيعة الرحم) : أن يقطع بِرّه وإحسانَهُ عن أقاربه وأهله .

١٥٥٨ ـ * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيفِ بنذرِهِ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلا يَفِ به » .

وفي رواية [1] « فَلْيُطِعْهُ ، ولا يَعْصِه » .

١٥٥٩ ـ * روى أحمد عن عِمرانَ بن حُصين قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المُثْلَةِ قال : وقال : « إن من المثلة أن ينذرَ الرجلُ أن يَحُجَّ ماشيًا فلْيهدِ ولْيَرْكَبْ » .

١٥٦٠ ـ * روى الطبراني عن عطاء بن أبي رباحٍ أن رجُلا أتى ابنَ عباسٍ فقال : إني نذرتُ لأَذْبَحَنَّ نفسي فقال ابن عباس : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ ﴾ .

أقول : لقد مرّ معنا من قبل ما نعرف به توجيهات هذه النصوص ، فالنذر في المعصية لا ينعقد عند بعضهم أصلا ، ومن ذلك أن ينذر الإنسان أن يذبح نفسه أو أن يذبح ولده

١٥٥٨ ـ البخاري (١١ / ٥٨٥) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ ـ باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .

والترمذي (٤ / ١٠٤) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٢ ـ باب من نذر أن يطيع الله فلْيُطِعْهُ .

وقال : حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٣٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في النذر في المعصية .

والنسائي (٧ / ١٧) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٢٧ ـ باب النذر في الطاعة .

(١) النسائي : الموضع السابق .

١٥٥٩ ـ أحمد (٤ / ٤٢٩) .

والمعجم الكبير (١٨ / ١٥٨) . مجمع الزوائد (٤ / ١٨٩) وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

١٥٦٠ ـ المعجم الكبير (١١ / ١٨٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٩٠) . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط .

وفي رواية في الكبير عن ابن عبّاس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشًا ، فذكر نحوه ، ورجاله رجال الصحيح .

أو أن يقطع رحمه ، وبعض الفقهاء أوجب كفارة يمين ، وهذا ابن عباس يفتي : من نـذر أن يذبح نفسه بأن يذبح كبشًا أخذًا مما فعله إبراهيم عليـه السلام إذ أراد أن يـذبح ابنـه ففـداه الله بكبش ، وأمـا النـذر فيما لا يملـك فلـه أكثر من صورة : أن ينـذر أن يتصـدق أو ينحر ملك الغير ، فهذا لا ينفذ حتمًا ، وأما إن كان هو نفسـه لا يملـك شيئًـا ونـذر أن يتصـدق ، فهل هذا النذر دَيْنًا في ذمته أو أنه لا يجب عليـه ؟ من العلمـاء من ذهب إلى أنـه لا يجب عليه كما مرّ معنا .

* * *

نقولٌ ومسائل و فوائد

قال الشوكاني رحمه الله :

الراجح عند الكثير من العلماء وجوب الوفاء ممن التزم أن يتصدق بجميع مالـه إذا كان على سبيل القربة . وقيل إن كان مَليًّا لزمه ، وإن كان فقيرًا فعليه كفارة يمين ، وهذا قول الليث ووافقه ابن وهب وزاد وإن كان متوسطًا يخرج قدر زكاة مالـه . والأخير عن أبي حنيفة بغير تفصيل وهو قول ربيعة . وعن الشعبي وابن أبي ليلى لا يلزمه شيء أصلا . وعن قتادة يلزم الغني العشر والمتوسط السبع والمملق الخمس . وقيل يلزم الكل إلا في نذر اللجاج فكفارة يمين . وعن سحنون يلزمه أن يخرج مَا لا يَضُرُّ بِهِ . وعن الثوري والأوزاعي وجماعة يلزمه كفارة يمين بغير تفصيل . وعن النخعي يلزمه الكل بغير تفصيل . وإذا تقرر ذلك فقد دل حديث كعب أنه يشرع لمن أراد التصدق بجميع مالـه أن يمسك بعضه ، ولا يلزم من ذلك أنه لو نجزه لم ينفذ ، وقيل إن التصدق بجميع المال يختلف باختلاف الأحوال : فمن كان قويًّا على ذلك يعلم من نفسه الصبر لم يمنع وعليه يتنزل فعل أبي بكر الصديق وإيثار الأنصار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن لم يكن كذلك فلا ، وعليه يتنزل « لا صدقة إلا عن ظهر غني » ، وفي لفظ : « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى » اهـ .

قال الشرنبلالي في مراقي الفلاح وهو من الحنفية :

وعيادة فلان بعينه لا يكون معنى القربة فيه مقصودًا للناذر ، بل مراعاة حق فلان ، فلا يصح التزامه بالنذر . وفي ظاهر الرواية : عيادة المريض وتشييع الجنازة وإن كان فيه معنى حق الله تعالى فالمقصود حق المريض والميت ، والناذر إنما يلتزم بنذره ما يكون مشروعًا حقا لله تعالى مقصودًا . اهـ .

قال الطحطاوي في حاشيته على مراقي الفلاح :

(قوله : بل مراعاة حق فلان) هو المقصود له . (قوله : فلا يصح التزامه) منه يؤخذ عدم صحة النذر للأموات .

قال في الدُّر : واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام ، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربا إليهم فهو باطل وحرام . اهـ .

قال في البحر : لوجوه :

منها : أنه نذر لمخلوق ، ولا يجوز ؛ لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق .

ومنها : أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك .

ومنها : أنه إن ظن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى كفر ، اللهم إلا أن يقول يا الله : إني نذرت لك إن شفيت مريضي ، أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة ، أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، أو الإمام الليث ، أو أشتري حصرًا لمساجدهم ، أو زيتًا لوقودها . أو دراهم لمن يقوم بشعائرهم إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذر لله عز وجل .

وذكر الشيخ : إنما هو بيان لمحل صرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه أو مسجده فيجوز بهذا الاعتبار ، إذ مصرف النذر الفقراء وقد وجد ، ولا يجوز أن يصرف ذلك إلى غنيٍّ غير محتاج إليه ولا لشريف منصب ، لأنه لا يحل له الأخذ مالم يكن محتاجًا فقيرًا ، ولا لذي نسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيرًا ، ولا لذي علم لأجل علمه ما لم يكن فقيرًا ، ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ، ولا ينعقد ولا تشتغل به الذمة ، وإنه حرام بل سحت . اهـ .

أقول : قد مرّ معنا أن فقهاء الحنفية يرون أن من نذر أن يتصدق على فقير فله أن يتصدق على غيره ، وإن نذر أن يتصدق على فقراء مكان فله أن يتصدق على فقراء مكانٍ آخر .

* * *

الفصل السادس

في:

اليمين

وفيه:

عرض إجمالي وفقرات ومسائل وفوائد

عرض إجمالي

جعلنا بحث الأَيْمان في قسم العقائد ؛ لأن اليمين بالله أحد المظاهر الكبرى لاستشعار الإنسان عظمة الله ، ولذلك تجده عفويًا على كل لسان وفي كل دين ، ولما كان بعض الناس يحلفون بغير الله ، وفي ذلك نوع تعظيم يشابه تعظيم الله ، فقد ورد التغليظ في ذلك ومنع منه الشارع .

وهناك حالات تساهل فيها الشارع لانتفاء شبهة المشابهة في التعظيم ، وهذه معان تتعلق بالعقائد تعلقًا صريحًا ، ولذلك أدخلناها هاهنا .

ولما كان هتك حرمة اسم الله عظيمًا ، فقد رتب الشارع على أنواع من الأَيْمانِ أحكامًا .

وترى المسائل الداخلة في أبحاث الأَيْمان كثيرة جدًا لكثرة ما يستحدثه الناس في هذا الشأن ، ونحن سنحاول أن نعرض لأمهاتٍ من أحكام الأَيْمان بين يدي النصوص . نقول وبالله التوفيق :

اتفق الفقهاء على مشروعية اليمين ، إلا أنهم كرهوا الإفراط في الحلف بالله تعالى لقوله تعالى : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ [1] وقال الشافعي : ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا ، و تتأكد كراهة الأَيمان إذا حالت بين الإنسان وبين البرّ لقوله تعالى : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** ﴾ [2] وذكر الحنابلة أن الأَيمان خمسة أنواع : أحدها واجب ، وهي التي تنجي إنسانًا معصومًا من الهلاك . والثاني مندوب : وهو الذي تتعلق به مصلحة كالإصلاح بين متخاصمين ، أو إزالة حقد من قلب مسلم عن الحالف أو غيره أو دفع شر . والثالث المباح : مثل الحلف على فعل مباح أو تركه . والرابع المكروه : وهو الحلف على مكروه أو ترك مندوب . والخامس المحرم : وهو الحلف الكاذب .

ومن حلف بالأصنام ونحوها معتقدًا تعظيمها فإنه يكفر بذلك ، وإذا جرت على لسانه

---

(١) القلم : ١٠ .

(٢) البقرة : ٢٢٤ .

بشكل عفوي ولا يقصد التعظيم فقد واقع الحرام وعليه في الحالين أن يتوب وأن ينطق بالشهادتين .

وصيغة اليمين المشروعة هي : أن يقسم الإنسان باسم من أسماء الله الحسنى أو بصفة من صفات الله . وهناك صور كثيرة اعتبرها العلماء يمينًا وأوجبوا فيها الكفارة ، وهناك صور اختلف الفقهاء في اعتبارها أيمانًا تجب فيها الكفارة .

والأيمان على ثلاثة أقسام : يمين منعقدة ، وهي التي يجب على من حنث بها الكفارة . ويمين لغو ، وهي التي لا يجب على صاحبها شيء . ويمين غموس ، وهي التي تغمس صاحبها في النار ، وقد اختلف في شأنها ، هل تجب فيها الكفارة مع التوبة ، أو أن صاحبها يأثم ولا تلزمه كفارة لعِظَم جريمته . وتعريف اليمين الغموس عند الحنفية والمالكية : بأنها اليمين الكاذبة قصدًا في الماضي أو الحال ، أو هي الحلف على أمر ماض أو في الحال متعمدًا الكذب فيه نفيًا أو إثباتًا ، وقد ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة على الراجح عندهم : أنه يأثم صاحبها ولا كفارة عليه لعِظَم الجناية ويجب عليه التوبة والاستغفار . وقال الشافعية كما تجب التوبة تجب الكفارة في اليمين الغموس . وقد عرف عامة الفقهاء اليمين اللغو وهو : أن يحلف على أمر يظنه كذلك وليس كذلك . وعرفها الشافعية بأنها التي يسبق اللسان إلى لفظها بلا قصدٍ لمعناها أو يريد اليمين على شيء فيسبق لسانه إلى غيره ، فهي اليمين التي لم تنعقد عليها النية . وقد اتفق الفقهاء على أن يمين اللغو لا كفارة فيها . وأما تعريف اليمين المنعقدة : فهي أن يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وحكم هذه اليمين وجوب الكفارة عند الحنث مهما كان الشيء المحلوف عليه ، فإن كان المحلوف عليه معصية فإنه يفترض عليه أن يحنث وأن يكفر عن يمينه ، وإذا اقتصر الحالف على لفظ : أقسم أو أحلف أو أشهد أو أعزم يكون يمينًا عند الحنفية والحنابلة وفي الأصح عند الشافعية ،وقال المالكية يكون يمينًا إن نوى وأراد اليمين بالله . وحروف القسم هي : الباء والواو والتاء .

وإذا لم يذكر الحالف شيئًا من هذه الأحرف كأن قال : الله لا أفعل كذا يكون يمينًا عند الجمهور . وقال الشافعية : لا يكون يمينًا إلا بنية ، وإذا قال : وايم الله أو وأيمن الله يعتبر يمينًا عند المالكية والحنابلة والحنفية ، وقال الشافعَية إنْ نوى اليمين كانت يمينًا . وإلا

لم تكن يمينًا ، ومن حلف على غيره أن يفعل شيئًا ما إن نوى يمين نفسه فهو يمين عند الشافعية وآخرين ، ويسنُّ للمخاطب أن يبرّ الحالف ولا يجب عليه ، فإن لم يبره المحلوف عليه ؛ فالكفارة على الحالف ، وإن أراد يمين المخاطب أو لم يرد يمينًا ، بل أراد التشفع بالله عز وجل في الفعل لم يكن يمينًا و من قال إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام فقد أفتى الحنفية بأن ذلك يكون يمينًا موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه مع الإثم .

وقال المالكية والشافعية وبعض الحنابلة لا يعتبر يمينًا ولا تجب فيه الكفارة ، وقد ارتكب بقوله كبيرة من الكبائر ، أما لو قالها على قصد الرضى بالكفر أو فعل الفعل كفر في الحال ، فإن لم يعرف قصده فقد رجّح الشافعية عدم الحكم بكفره ، أما إذا قال مثل هذا الكلام كاذبًا على فعل فعله في الماضي ، فقد كفر بمجرد القول عند كثير من الفقهاء ولا كفارة عليه وإنما عليه التوبة والتشهد ، ومن حرم شيئًا من ماله على نفسه أو حرم حلالا على نفسه فإنه يمين عند الحنابلة والحنفية ، واتفق الفقهاء على أن اليمين في الدعاوى تكون على نية المستحلف ، وأما في غير الدعاوى فقد قال الحنفية : اليمين على نية الحالف إذا كان مظلومًا ، وعلى نية المستحلف إن كان ظالمًا ، ومن حلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، فإن كان مما يجري على اللسان ولا يراد به التعظيم ، فإنه لا كفارة عليه إجماعًا لكنه مكروه . وقال الشافعي : أخشى أن يكون معصيةً . وبعضهم ذهب إلى أن ما جرى على ألسنة العرب ولا يراد به التعظيم فالأمر فيه واسع . وقال المالكية والحنفية : إذا حلف الحالف على شيء واحد بعينه مرارًا ولا يريد إلا التأكيد فليس عليه إلا كفارة . واحدة ، أما إذا لم ينو التأكيد ففي كل يمين كفارة ، وقال الحنابلة : ليس عليه إلا كفارة واحدة . ومن حلف فاستثنى بأن قال : إن شاء الله تعالى ، أو إلا أن يشاء الله أو إن أعانني الله أو يسر الله ، أو بمعونة الله أو بتيسيره ، أو إلا أن أحب غير ذلك ونحوه ، وكان ذلك متصلاً مع لفظ اليمين لم تنعقد اليمين ، وإنْ فُصِلَ الاستثناء عن لفظ اليمين انعقدت . وقال الشافعي لا بأس بالسكتة الخفية للتذكر أو للتنفس أو لانقطاع الصوت . وذكر المالكية أن السعال أو العطاس أو التثاؤب لا يعتبر فصلا .

والأَيْمان عند الحنفية : مبنية على العرف والعادة . وقال الشافعية : الأَيْمان مبنية على الحقيقة اللغوية إلا إذا احتمل اللفظ شيئًا آخر ونواه الحالف فيعمل بنيته . وقال مالك في المشهور من مذهبه : المعتبر في الأيمان : النية فإن عدمت فقرينة الحال ، فإن عدمت فعرف اللفظ ، فإن عدم فدلالة اللغة .

والعبرة عند الحنابلة للنية ، فإن لم ينو شيئًا رجع إلى سبب اليمين ، ويتفرع على هذا البحث خلافات كثيرة في كثير من المسائل ، وهناك يمين يسميها الحنفية يمين الفور : وهو أن يحلف الإنسان على شيء في المستقبل ، فتكون دلالة الحال ظاهرة على أنه يريد التأقيت كأن يقول شخص لآخر : تعال تغدى معي ، فيقول : والله لا أتغدى ، ثم رجع إلى منزله فتغدى . ومثل ذلك كل حالة أراد بها صاحبها التوقيت ولم يرد الديمومة وكانت دلالة الحال تدل على ذلك إلا أن زفر ـ من فقهاء الحنفية ـ اعتبر هذه اليمين منعقدة كغيرها .

ومن حلف على شيء غير متصور الوجود أصلا بأن يكون مستحيلا عقلا . كأن قال : والله لأشربن ماء هذا الكوز وليس في الكوز ماء ، فقد أفتى أبو حنيفة ومحمد ومالك وبعض الحنابلة بأن هذه اليمين لا تنعقد .

أما إذا حلف على ما هو مستحيل عادة لا عقلا فإن الجمهور على أن يمينه منعقدة . وقال الشافعية والحنابلة : لا كفارة ولا حنث على غير المكلف كالصبي والمجنون والنائم ، ولا كفارة على المغمى عليه والمخدر لضرورة والساهي والمكره .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فإنه يستحب له أن يحنث و يكفر عن يمينه ، ولا يجوز أن يكفر قبل اليمين باتفاق العلماء ، أما إذا حلف وأراد الحنث فقد قال الحنابلة : يجوز فعل الكفارة قبل الحنث وبعده ، وكذلك قال الشافعية ، إلا أنهم قالوا : الكفارة بعد الحنث أفضل ، وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث ، ولا تجب الكفارة على الفور بل هي واجبة على التراخي ، والاستعجال بها أفضل ، والموسر يخير في الكفارة بين أحد أمور ثلاثة : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو إعتاق رقبة فإذا عجز الإنسان عن الخصال الثلاثة المذكورة لزمه صوم ثلاثة أيام ، ولا يصح الصيام إلا إذا كان الإنسان عاجزًا عن المال الذي يصرفه في الكفارة زائدًا عن كفايته في يومه وليلته وكفاية

من تلـزمـه نفقتـه ، والعبرة للعجـز وقت الأداء لا وقت الـوجـوب عنـد الحنفيـة والمـالكيـة والشافعية ، والمعتبر عند الحنابلة وقت الوجوب ، أي حـالـه عنـد الحنث . والإطعـام هو أن يقيت الإنسان عشرة مسـاكين أو مسكينًـا واحـدًا عشرة أيـام غـداءً وعشـاءً ، ويكفي عنـد الحنفية دعوة المساكين إلى الطعام وإباحته لهم ، وعند غير الحنفية لابـد من التمليـك بـالفعل أخذًا ، ويكفي عند الحنفية أن يدفع للمسكين عن اليوم الواحـد نصف صـاع من حنطـة أو ما يعدل عند الحنفية حوالي ألفي غرام إلا قليلاً أو ثمنه .

أما مقدار طعام الإباحة عند الحنفية فأكلتان مشبعتان غداءً وعشـاءً أو فطرًا وسحورًا أو غداءين في يومين ، فذلـك يجزئ عن إطعـام مسكين يومًـا واحـدًا . والعبرة أن يطعمهم ممـا يطعم أهله ، وأجاز أبو حنيفة وأبو محمد إعطاء فقراء أهل الذمـة كفـارة الأَيْمان وغيرهـا من الكفارات والنذور .

ويشترط في المـدفـوع إليهم الطعـام أن يكـونـوا مسـاكين أحرارًا وإن كان صغيرًا يـأكل الطعام يجزئ ، وأما الكسوة فلابد من تمليكها عند عامة الفقهاء ، وأدنى الكسوة عند الحنفية ما يستر عامة البدن . وقال الحنابلة : تتقـدر الكسوة بمـا تجزئ الصلاة فيـه مراعىً في ذلـك حـال الرجل والمرأة . وقـال المـالكيـة : أقل ذلـك للرجل ثـوب يستر جميـع بـدنـه ، وللمرأة مايجوز لها فيه الصلاة وذلك ثوب وخمار . وقال الشافعيـة : يجزئ أقل مـا يطلق عليـه اسم الكسْوة من إزار أو قميص أو ملحفة فيجوز عند الشافعية الكسوة بـالسراويل والعمامـة . أمـا الرقبة فيشترط عنـد الحنفيـة أن تكون مملوكـة ملكًـا كاملاً للمعتق ، وأن تكون كاملـة الرق سليمة من العيوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة ، ذكرًا أو أنثى ، مسلمة أو كافرة .

واتفق الفقهاء على أن الحانث إن لم يجد طعامًا ولا كسوة ولا عتقًا يجب عليـه أن يصوم ثلاثة أيام ، واشترط الحنفية والحنابلة أن تكون متتابعة ، ولا يشترط التتـابع عنـد المـالكيـة والشافعية ولكنه يستحب ، ومن أوجب التتابع فإنه يوجب على من قطع التتـابع ولو لعـذر كمرض أو سفر أو حيض أن يستأنف الصوم من جديد مرة أخرى ، وكذلك إذا بـدأ صيـامـه قبل يومي العيد وأيام التشريق فعليه أن يفطر ويبطل التتابع وعليه أن يستـأنف الصيـام من جديد .

الفقـرات

الفقرة الأولى : في أقوال العلماء في اليمين .

الفقرة الثانية : في بعض ما ورد في القرآن الكريم في اليمين .

الفقرة الثالثة : في بعض ما ورد في الحلف بغير الله .

الفقرة الرابعة : في اليمين الغموس .

الفقرة الخامسة : في أن الاستثناء في اليمين يلغي اليمين .

الفقرة السادسة : في من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها .

الفقرة السابعة : في متفرقات في الأيمان .

الفقرة الأولى

في :

بعض أقوال العلماء في اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لِلْحَلِفِ : يَمِينٌ بِاسْمِ يَمِينِ اليَدِ ، وَكَانُوا يَبْسُطُونَ أَيْمَانَهُمْ إِذَا تَحَالَفُوا ، وَيَقُولُونَ فِي اليَمِينَ : وَايْمُنَ اللهِ ، وَيَحْذِفُ بَعْضُهُمُ النُّونَ ، فَيَقُولُ : وَايْمُ اللهِ.اهـ.

وقال صاحب الهداية ـ وهو من فقهاء الحنفية ـ :

الأيمان على ثلاثة أضرب : اليمين الغموس ، ويمين منعقدة ، ويمين لغو . فالغموس : هو الحلف على أمر ماض يَتَعَمَّد الكذب فيه ، فهذه اليمين يأثم فيها صاحبها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف كاذبًا أدخله الله النار» ولا كفارة فيها إلا التوبة والاستغفار .

وقال الشافعي رحمه الله : فيها الكفارة لأنها شرعت لرفع ذنب هتك حرمة اسم الله تعالى ، وقد تحقق بالاستشهاد بالله كاذبا فأشبه المعقودة . ولنا أنها كبيرة محضة والكفارة عبادة تتأدى بالصوم ، ويشترط فيها النية فلا تناط بها بخلاف المعقودة لأنها مباحة ولو كان فيها ذنب فهو متأخر متعلق باختيار مبتدأ ، وما في الغموس ملازم فيمتنع الإلحاق ، والمنعقدة ما يحلف على أمر في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله ، وإذا حنث في ذلك لزمته الكفارة لقوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان ﴾ [1] وهو ما ذكرنا . واليمين اللغو أن يحلف على أمر ماض وهو يظن أنه كما قال والأمر بخلافه ، فهذه اليمين نرجو أن لا يؤاخذ الله بها صاحبها . ومن اللغو أن يقول : والله إنه لزيد وهو يظنه زيدًا ، وإنما هو عمرو ، والأصل فيه قوله تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم ﴾ الآية إلا أنه علقه بالرجاء للاختلاف في تفسيره اهـ .

وقال صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في حكم اليمين :

---

(١) المائدة : ٨٩ .

يختلف حكم الحلف باختلاف الأحوال ، فتارة يكون واجبًا إذا توقف عليه واجب ، كما إذا توقف عليه إنقاذ إنسان بريء مصون الدم من الهلاك ، وقد يكون حرامًا كما إذا حلف على ارتكاب محرم أو حلف بما لا يباح الحلف به . اهـ .

ومن كلام المالكية :

الأصل في اليمين أن يكون جائزًا متى كان باسم الله تعالى أو بصفة من صفاته ولو لم يطلب منه الحلف ، وقد يستحب إذا كان فيه تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور ، على أن تكثير الحلف من غير ضرورة من البدع الحادثة بعد السلف ، ومتى كان اليمين مباحًا كان الحنث مباحًا وعليه الكفارة ، إلا أن يكون الخير في الحنث فإنه حينئذ يتبع ذلك في الحكم ، فإن حلف على ترك واجب وجب الحنث ، وإن حلف على فعل معصية وجب الحنث ، وينعكس الحكم إذا حلف على فعل واجب أو ترك معصية وهكذا.

والحنابلة :

قالوا : الحلف يكون واجبًا وحرامًا كما ذكر ، ويكون مكروهًا إذا كان على فعل مكروه أو على ترك مندوب . ومن الحلف المكروه : الحلف على البيع والشراء لحديث : « الحلف منفق للسلعة ممحق للبركة » [١] .

ويكون مندوبا إذا تعلقت به مصلحة كإصلاح بين متخاصمين ولو كان الحالف أحد المتخاصمين ، أو إزالة حقد في قلب مسلم أو دفع شر عنه أو عن غيره . أما الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية فليس بمندوب .

ويكون مباحا كالحلف على فعل المباح أو تركه ، أو على الخبر بشيء هو صادق فيه أو يظن أنه صادق فيه ، ومنه الحلف على فعل الطاعة وترك المعصية اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

---

(١) ابن ماجة (٢ / ٧٤٥) ١٢ ـ كتاب التجارات ، ٣٠ ـ باب ما جاء في كراهية الأيمان في الشراء والبيع .

ومن كلام الشافعية :

الأصل في الحلف الكراهة لقوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ [(١)] ، وقد يكون مباحًا غير مكروه كما إذا حلف على فعل طاعة أو ترك مكروه ، أو في دعوى عند حاكم مع الصدق ، أو كان لتأكيد أمر في حاجة إلى التأكيد ، أو كان لتعظيم شأن أمر . ويكون مندوبا إذا توقف عليه فعل مندوب أو ترك مكروه .

أما الحنث فتعتريه الأحكام الخمسة ، فتارة يكون واجبًا كما إذا حلف على معصية أو ترك واجب ، فمن حلف ليشربن الخمر ، أو لا يصلي فإنه يفترض عليه أن يحنث وعليه الكفارة . وتارة يكون حرامًا إذا كان بالعكس ، كما إذا حلف أن يقيم الصلاة المفروضة أو لا يزني فإنه يفترض عليه البرّ باليمين ويحرم عليه الحنث ، وتارة يكون مندوبًا كما إذا حلف على فعل مندوب وترك مكروه ، وتارة يكون مكروهًا كما إذا حلف على ترك مندوب وفعل مكروه . وتارة يكون خلاف الأولى كما إذا حلف على فعل مباح أوتركه كالأكل والشرب ، فالأولى أن يبر باليمين صونًا لاسم الله تعالى وهو في جميع الأحوال تجب عليه الكفارة إذا حنث اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

ومن كلام الحنفية :

الأصل في اليمين بالله أو بصفة من صفاته أن يكون جائزًا ، ولكن الأولى أن لا يكثر منه اهـ (الفقه على المذاهب الأربعة) .

وقال في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة :

لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى كالحلف بالنبي ﷺ ، والكعبة ، وجبريل ، والولي وغير ذلك من كل معظم ، ولا كفارة على الحنث في الحلف به ، وإذا قصد الحالف بذلك إشراك غير الله معه في التعظيم كان ذلك شِرْكًا ، وإذا قصد الاستهانة بالحلف بالنبي والرسول ونحو ذلك كفر اهـ .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .

أقول : وقد تفنن الناس خلال العصور أنواعًا من الأيْمان وأنواعًا من الطرق لتأكيد ما يريدون فاقتضى ذلك فتاوى مطولة وأبحاثًا كثيرة . وها نحن أولاً ننقل لك صورًا من أقوال المذاهب تبين لك نماذج ما ذكرناه ، وإذا أردت التوسع في معرفة ذلك فأمامك كتب المذاهب الفقهية التي تجد فيها مئات الصفحات عن الأيْمان وأنواعها وما يترتب على كل صيغة من آثار وأحيانًا من بلاء :

الحنفية ـ قالوا : الحلف بالتعليق نحو : عليّ الطلاق لا أفعل كذا ، أو إن فعلت كذا يلزمني الطلاق ، إن كان الغرض منه الوثيقة أي اتثاق الخصم بصدق الحالف جاز بدون كراهة ، وإن لم يكن الغرض منه ذلك أو كان حلفًا على الماضي فإنه يكره ، وكذلك الحلف بنحو : وأبيك ولعمرك ونحو ذلك .

الشافعية ـ قالوا : يكره الحلف بغير الله تعالى ويكره الحلف بالطلاق .

الحنابلة ـ قالوا : يحرم الحلف بغير الله تعالى وصفاته ولو بنبي أو ولي ، فمن حلف بذلك يستغفر الله تعالى ويتوب ويندم على ما فرط منه ولا كفارة عليه . ويكره الحلف بالطلاق والعتاق .

المالكية ـ قالوا : الحلف بمعظم شرعا كالنبي والكعبة ونحوهما فيه قولان : الحرمة ، والكراهة والمشهور : الحرمة ، أما الحلف بما ليس بمعظم شرعا كالحلف بالأنصاب والدماء التي كان يحلف بها في الجاهلية ، أو بشيء من المعبودات دون الله تعالى فلا خلاف في تحريمه إذا لم يقصد تعظيمها ، وإلا كفر .. وكذلك لا ينبغي الاختلاف في تحريم الحلف بالآباء والأشراف ورؤوس السلاطين وحياتهم وما شاكل ذلك .

أقول : المذاهب الأربعة على كراهة الحلف بالطلاق ، وعلى وقوع الطلاق إذا حنث بما حلف عليه .

إذا حلف على غيره أو سأله بالله :

إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله ، أو أحلف عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعل كذا ففيه تفصيل المذاهب :

الحنفية ـ قالوا : إذا قال رجل لآخر : والله لتفعلن كذا وكذا ، أو بالله لتفعلن كذا ، فإن أراد به استحلاف المخاطب ولم يرد أن يحلف هو فلا يكون يمينًا ولا شيء عليهما ، وإن أراد أن يحلف بذلك أو لم يرد شيئًا فإنه يكون يمينًا ، ويحنث إذا لم يطعه المخاطب .

وإذا قال له : أقسمت لتفعلن كذا ، أو قال : أقسمت بالله ، أو أشهد بالله ، أو أحلف بالله أو أعزم بالله لتفعلن كذا ، سواء قال عليك أو لم يقل فإنه ينعقد يمينًا يلزم به الحالف ، ولا شيء على المخاطَب إلا إذا أراد به الاستفهام فإنه لا يكون يمينًا حينئذ .

المالكية ـ قالوا : إذا حلف على رجل بأن قال له : حلفت عليك بالله لتفعلن كذا ، أو لا تفعل كذا فلم يطعه حنث الحالف وعليه الكفارة ، ولا شيء على الآخر : وكذلك إذا قال : أقسمت عليك فإنه إن لم يطعه وجبت الكفارة على من أقسم إلا إذا قصد بذلك غير اليمين ، فإنه في هذه الحالة فيه خلاف ، والمشهور أنه لا شيء عليه ، وكذا إذا لم يقصد شيئًا .

ولو قال : حلفت عليك ولم يقل بالله ولم ينوه فلا كفارة عليه . وكذا لو قال : أعزم عليك بالله ، أو عزمت عليك بالله ، أو سألتك بالله ولم يقصد به اليمين ، فالأصح أنه لا يكون يمينًا .

ويندب لمن سأله أحد بالله أو أقسم عليه به أن يبر قسمه ، وأن يجيبه إلى طلبه إذا لم يكن هناك مانع شرعي ولم يتذرع السائل بذلك إلى الإلحاف ومضايقة الناس ، ويتأكد الندب فيما تجب فيه الكفارة .

الشافعية ـ قالوا : إذا قال لغيره : أقسم عليك بالله أو أسألك بالله لتفعلن كذا ، فإنه يكون يمينًا إذا قصد به يمين نفسه ، أما إذا قصد به يمين المخاطب ، أو قصد الشفاعة عنده ، أو لم يقصد شيئًا فإنه لا يكون يمينًا ، فإذا حلف الشخص على آخر أنه يأكل فإذا أراد تحقيق الأكل وأنه لابد منه كان يمينًا ، وإن أراد أتشفع عندك بالله أنك تأكل ، أو أراد يمين المخاطَب كأن قصد جعله حالفا بالله فلا يكون يمينًا ، لأنه لم يحلف حينئذ لا هو ولا المخاطب ، ويحمل عند الإطلاق على الشفاعة ، ويسن للمخاطب إبراره في القسم إذا أراد

به يمين نفسه .

الحنابلة ـ قالوا : إذا أقسم على غيره فإن قال : والله لتفعلن يا فلان كذا ، أو لا تفعلن كذا فلم يطعه حنث الحالف وعليه الكفارة . لا على من لم يطعه على الراجح . وإن قال : أسألك بالله لتفعلن كذا ، وأراد بذلك اليمين يكون يمينًا ، والكفارة على الحالف أيضًا . أما إذا أراد به الشفاعة فإنه لا يكون يمينًا ، ويسن إبرار القسم كما تسن إجابة السؤال بالله . اهـ .

الفقرة الثانية

في :

بعض ما رود في القرآن الكريم في اليمين

ـ قـال تعـالى : ﴿ ولا تجعلـوا الله عرضـة لأَيْمانكم أن تبروا وتتقـوا وتصلحـوا بين النـاس ﴾ [١] أي : لا تجعلوا أَيْمانكم حـائلـة بينكم وبين البر والتقوى والإصـلاح بين النـاس ، وقد جاءت النصوص الكثيرة تحض من حلف على يمين فرأى غيرهـا خيرًا منهـا أن يكفر عن يمينه ويأتي بالذي هو خير .

ـ وقال تعالى في اليمين الكاذبة : ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ [٢] .

ـ وقال تعالى في اليمين اللغو واليمين المنعقدة : ﴿ لا يؤاخذكم الله بـاللغو في أيمـانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأَيْمان ﴾ [٣] .

ـ وقال تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [٤] .

ـ وقال تعالى : ﴿ واحفظوا أَيْمانكم ﴾ [٥] .

ـ وقال تعالى : ﴿ ولا تنقضوا الأَيْمان بعد توكيدها ﴾ [٦] .

ـ وقال تعالى : ﴿ ولا يـأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمسـاكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ﴾ [٧] .

أقول : وقد بينت السنة الحالات التي يجوز للإنسان أن يحنث بيمينه فيها وهناك حالات يفترض على الإنسان فيها ، أن يحنث ، وهناك حالات يندب للإنسان أن يحنث فيها .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .
(٢) المجادلة : ١٤ .
(٣) المائدة : ٨٩ .
(٤) البقرة : ٢٢٥ .
(٥) المائدة : ٨٩ .
(٦) النحل : ٩١ .
(٧) النور : ٢٢ .
(ولا يأتل) : أي لا يحلف ولا يمتنع .

الفقرة الثالثة

في :

بعض ما ورد في الحلف بغير الله

١٥٦١ - * روى النسائي عن قُتَيْلَـةَ (امرأةٌ مِنْ جُهَيْنَـةَ) أنَّ يَهُودِيًّـا أتَى النبيَّ ﷺ فقال : إنَّكُم تُنَدِّدُونَ و تُشْرِكُونَ ، تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللهُ وَ شِئْتَ ، وَتَقُولُونَ : والكَعْبَـةِ ، فَأَمَرَهم النبيُّ ﷺ إذَا أَرادُوا أنْ يَحْلِفُوا ، أنْ يَقُولُوا : « وَرَبِّ الكَعْبَةِ » : وَ يَقُولُ أَحَدُهُم : « مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ شِئْتَ » .

قال ابن الأثير :

(ما شاء الله وشئت) إنَّما فرَّق بين قوله : « ما شاء الله وشئتَ ؛ وما شاء الله ثم شئتَ » لأن الواو قد ذهب قوم إلى أنَّها موضوعة للجمع والمشاركة ، لا للترتيب ، فإذا قال : « ما شاء الله وشئتَ » كان قد جمع بينه وبين الله عز وجل في المشيئة ، ولهذا قال القائل بهذا : إذا قلتَ : (قام زيد وعمرو) يجوز أن يكون عمرو قد قام قبلَ زيدٍ ، فأما إذا قال : « ما شاء الله ثم شئتَ » ترتَّبتْ مشيئةُ الله تعالى قبل مشيئته فلهذا قال لهم النبيُّ ﷺ : قولوا : « ما شاء ثم شئتَ » .

١٥٦٢ - * روى أحمد والترمذي عن سعدِ بن عُبَيْدةَ أنَّ ابنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلا يَقُولُ : لا والكَعْبَةِ ، فَقَالَ له : لا تَحْلِفْ بغَيْرِ اللهِ ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » . وقال الترمذي : هذا على التغليظ .

١٥٦١ - النسائي (٧ / ٦) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب الحلف بالكعبة .

وإسناده حسن .

١٥٦٢ - أحمد (٢ / ١٢٥) .

والترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .

وقال : هذا حديث حسن . وهو كما قال .

والإحسان بترتيب ابن حبان (٦ / ٢٧٨) .

والمستدرك (٤ / ٢٧٩) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

أقول : قول الترمذي : « هذا على التغليظ » يفيد أن ابن عمر لا يريد الكفر الحقيقي ، وإجماع العلماء منعقد على أن الحلف بالكعبة لا يعتبر يمينًا ، والراجح عند العلماء أنه مكروه ، وذهب بعضهم إلى أنه حرام .

١٥٦٣ ـ * روى الطبراني عن عبدِ الله قالَ : لأنْ أحلِفَ بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلِفَ بغيره وأنا صادقٌ .

أقول : هذا من عبد الله رضي الله عنه : يؤكد حرمة الحلف بغير الله حتى إنه ليراه أفظع من اليمين الغموس .

١٥٦٤ ـ * روى أبو داود عن طلحةَ بنِ عُبَيْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنْهُ يَعْني في قِصَّةِ الأعْرابي : فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الجَنَّةَ وَأَبِيهِ إنْ صَدَقَ » .

قال ابن الأثير :

(أفلح وأبيه) هذه كلمة جارية على ألْسُنِ العَرَبِ ، تسْتَعْمِلُها كثيرًا في خطابها وتريد التأكيد ، وَأَمَّا نَهْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أن يُحلِفَ الرجلُ بأبيه ، فيحتمل أن يكون هذا القول منه قبل النهي ، ويحتمل أن يكون جرى منه على عادة الكلام الجاري على اللسان ، وهو لا يقصد به القسم ، كاليمين المعفو عنها من قبيل اللغو ، أو أنه أراد التأكيد ، لا اليمين ، فإن هذه اللفظة تجري في كلام العرب على ضربين : للتعظيم ، والتأكيد ، والتعظيم : هو المنهي عنه ، وأما التأكيد ، فلا، لقوله :

لَعمرُ أبي الواشين لا عَمرُ غيرِهم ... لقد كلَّفتْني خِطَّةً لا أريدُها

فهذا توكيد ، لأنه لا يقصد أن يقسم بأبي الواشين ، وهذا في كلامهم كثير . اهـ .

أقول : من كلام ابن الأثير نعرف أن بعض العلماء اعتبر أن هذا الحديث منسوخ ، وأنَّ

١٥٦٣ ـ المعجم الكبير (٩ / ٢٠٥) .
مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .
١٥٦٤ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء .

بعضهم اعتبره أنه مما يجري على ألسنة الناس دون أن يراد فيه القسم ولا التعظيم ، وبالإجماع لا كفارة فيه .

وهو في أدنى حالاته مكروه بعد ورود النهي الصريح عن الحلف بالآباء عن رسول الله ﷺ عند بعضهم ، وعند بعضهم مباح إذا لم يرافقه اعتقاد فاسد .

١٥٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم » .

وزادوا فيها ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ : فَوَ اللهِ ما حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ، ذَاكِرًا وَلا آثِرًا .

وَفِي أُخْرَى (١) أَنَّ النبيَّ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ يَقُول : وَأَبِي ، وَأَبِي ، فقال : « إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحلِفُوا بآبَائِكُم ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلا يَحْلِفْ إِلا بالله ، أَوْ لِيَسْكُتْ » .

وفي أُخْرَى (٢) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلا يَحْلِفْ إِلا بالله » . وكانت قُرَيشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا ، فَقَالَ : « لا تَحلِفُوا بآبَائِكُمْ » .

وللبخاري (٣) : أن النبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وَلَهُ فِي أُخْرَى (٤) أَنَّه قَالَ : « لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم » وَكَانَتِ العَرَبُ تَحْلِفُ بِآبَائِها .

١٥٦٥ - البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤ - باب لا تحلفوا بآبائكم .
مسلم (٣ / ١٢٦٦) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ١ - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى .
وأبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالآباء .
والترمذي (٤ / ١٠٩) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب في كراهية الحلف بغير الله .
وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي (٧ / ٤) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٥ - باب الحلف بالآباء .
قوله : (ولا آثرًا) أي : ولا راويًا لها عن أحد .

(١) الترمذي (٤ / ١١٠) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله .
وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٦٧) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ١ - باب النهي عن الحلف بغير الله .

(٣) البخاري (١١ / ٥٣٠) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٤ - باب لاتحلفوا بآبائكم .

(٤) البخاري نفس الموضع . وليس فيه : « وكانت العرب تحلف بأبائها » .

١٥٦٦ - * روى ابن ماجة عن ابن عمر قال : سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً يَحْلِفُ بِأَبِيهِ ، فَقَالَ : « لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ أُحْلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ » .

١٥٦٧ - * روى أبو داود عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا تَحلِفوا بِآبَائِكم وَ لا بِأُمَّهَاتِكُم ، وَلا بِالأَنْدَادِ ، وَلا تَحلِفُوا إلا بِالله ، و لاتَحْلِفُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » .

١٥٦٨ - * روى مسلم عن عَبْد الرَّحمنِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِيّ وَلا بِآبَائِكُم » .

وفي رواية النسائي (١) « لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم وَلا بِالطَّوَاغِيتِ » .

قال ابن الأثير :

(الطواغي) والطواغيت : الأوثان ، وهو ما كانوا يعبدونه ، وكذلك الشياطين ، وكل رأس في ضلالة فهو طاغوت ، والجمع : طواغيت ، والطواغيت : جمع طاغية .

١٥٦٩ - * روى أحمد عن بريدة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » .

قال ابن الاثير :

(مَن حَلَفَ بالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا) قَالَ الخَطَّابِيُّ : يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ الكَرَاهَةُ فيها مِن أَجْلِ أَنَّه أُمِرَ أَن يَحْلِفَ بالله وَصِفَاتِهِ ، وَلَيْسَتِ الأَمَانَةُ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ أَوَامِرِهِ ، وَفرْضٌ

١٥٦٦ - ابن ماجه (١ / ٦٧٩) ١١ - كتاب الكفارات ، ٤ - باب من حلف له بالله فليرض .

قال في الزوائد : رجال إسناده ثقات .

١٥٦٧ - أبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء .

والنسائي (٧ / ٥) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٦ - باب الحلف بالأمهات . إسناده صحيح .

١٥٦٨ - مسلم (٣ / ١٢٧٨) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٢ - باب من حلف باللات أو العزى .

(١) النسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذر ، ١٠ - باب الحلف بالطواغيت .

١٥٦٩ - أحمد (٥ / ٣٥٢) .

أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالأمانة .

مِنْ فُرُوضِهِ ، فَنَهَوا عَنْهُ ، لِمَا في ذلكَ مِن التَّسوِيَةِ بَيْنَها و بَيْنَ أَسْمَاء اللهِ وَصِفَاتِهِ ، عَلَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وأصحَابَه قالوا : إذا قَالَ : وَأَمَانَةِ الله ، فَهِيَ يَمينٌ ، وَعَلَيْهِ الكَفَّارَةُ ، وخَالَفَهَم الشَّافِعِيُّ في الأَمْرَيْنِ .

أقول : ووافق الحنفية المالكية والحنابلة ، ووافق الطحاوي من الحنفية الشافعية فلم يعتبره يمينًا ، وعلى كل الأحوال فالوارد في النصوص : « الحلف بالأمانة » والمسألة المختلف فيها : « الحلف بأمانة الله » .

١٥٧٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن ابن عمر ، أن رجلا سمع رجلا يحلِفُ بالأمانةِ فقال : ألست الذي تحلف بالأمانةِ .

أقول : استفهام ابن عمر للإنكار .

١٥٧١ ـ * روى أبو داود عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ : إِنِي بَرِيءٌ مِنَ الإسلام ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا ، فَهوَ كَمَا قَالَ ، وإن كَانَ صَادِقًا ، فَلَنْ يَرْجِعَ إِلى الإِسْلامِ سَالِمًا » .

أقول : إن الجرأة على مثل هذا اليمين حتى لو كان الإنسان صادقًا تعتبر مثلبة ونقصًا في دين الرجل . أما من حيث اعتباره يمينًا فقد قال الحنفية وفي رواية عن أحمد يكون يمينًا موجبة للكفارة إذا فعل الشيء المحلوف عليه . وقال المالكية والشافعية والحنابلة في الرواية الصحيحة عندهم : لا يكون يمينًا ولا كفارة عليه بالحنث فيه ، والحلف به معصية إذا قصد تبعيد نفسه عن المحلوف عليه . أما لو حلف على قصد الرضا بالكفر فقد كفر في الحال ، فإن لم يعرف قصده فقد رجح الشافعية عدم الحكم بكفره ، هذا إذا أضاف قوله إلى المستقبل ، أما إذا أضاف قوله إلى الماضي وكان قد واقع ما أراد البراءة منه فقد اختلف في

١٥٧٠ ـ مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

١٥٧١ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ٦) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب الحلف بالبراءة من الإسلام . وإسناده حسن .

وابن ماجة (١ / ٦٧٩) ١١ ـ كتاب الكفارات ، ٢ ـ باب من حلف بملة غير الإسلام .

والمستدرك : (٤ / ٢٩٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

تكفيره ومن لم يكفره بنى عدم تكفيره على أنه لم يقصد الكفر وإنما قصد ترويج كلامه وتصديقه فيه .

١٥٧٢ - * روى الترمذي عن ثابتِ بنِ الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَال رَسُولُ الله ﷺ : « مَن حَلَف بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإسْلامِ كَاذِبًا فهو كَمَا قَال » .

قال ابن الأثير :

(فَهُوَ كَمَا قَالَ) مَعْنَى هذَا القَوْل : هُوَ أَنْ يَقُول الإنْسَان في يَمِينِه : إنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَنا كَافِرٌ أَوْ يَهُودِيٌّ أو نَصْرَانِيٌّ ، وَنَحْوَ ذلك ، وَيَكُونُ كَاذِبًا في قوله ، قال النبيُّ ﷺ : إذَا قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ كَاذِبٌ ، فَقَدْ صَارَ إلَى مَا قَالَهُ مِن الكُفْرِ وَغَيْرِهِ ، وَهذَا يَنْعَقِدُ به يَمِينٌ عِنْدَ أبي حَنِيفَة ، فَإنَّه لا يُوجِبُ فِيهِ إلا كَفَّارَةَ يمين ، وَأَمَّا الشَّافِعيُّ : فَلا يَنْعَقِدُ عِنْدَهُ بذلك يمين ولا كَفَّارَة فِيهِ .

قال البغوي في شرح السنة :

إذا حلف الرجل بغير الإسلام ، فقال إن فعل كذا ، فهو يهودي ، أو نصراني ، أو بريء عن الإسلام ، ففعل ، ذهب جماعة من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى أنَّ عليه كفارةَ اليمين ، وبه قال النخعي ، وإليه ذهب الأوزاعي ، والثوري ، وأصحاب الرأي ، وأحمد ، وإسحاق ، وذهب قوم إلى أنه أتى بأمر عظيم ، ولا كفارة عليه ، وهو قول أهل المدينة ، وبه يقول مالك ، والشافعي ، وأبو عبيد ا . هـ .

أقول : وعليه أن يجدد إيمانه بلفظ الشهادتين ، وعليه أن يستغفر ويتوب ، وعلى مذهب الحنفية عليه أن يجدد عقد زواجه إن حُكِمَ بكفره على رأي من يقول بأن من حلف على أمر

١٥٧٢ - الترمذي (٤ / ١١٥) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٥ - باب ما جاء في كراهية الحلف بغير ملة الإسلام .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأبو داود (٣ / ٢٢٤) كتاب الأيمان والنذور ، باب في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

والنسائي (٧ / ١٩) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣١ - النذر فيما لا يملك .

وهو طَرَفٌ من حديث قد أخْرَجَه البخاري والترمذي وأبو داود .

وَزَادَ النسائي في هذا الطرف زيادة أخرى ، هي من جملة الحديث الطويل قال « وَمن قتل نَفْسَه بشيء عذبه الله به في نار جهنم » .

ماضٍ بمثل هذه الأَيْمان وكان يعلم أنّ كلامه لا يوافق ما قاله .

١٥٧٣ ـ * روى النسائي عن سعد بن أبي وَقّاصٍ رضِيَ الله عنْهَ قال : كُنّا نَذكر بعْض الأَمْرِ ، وأنا حَديثُ عَهْدٍ بالجَاهِليّةِ ، فَحَلَفْتُ باللات والعُزّى ، فقال لي أصحابُ رسولِ الله ﷺ : بِئسَ ما قُلْتَ ، ائْتِ رسُولَ الله ﷺ فأخبرهُ ، فإنّا لا نراكَ إلا قد كَفرتَ ، فلَقيتُه فأخبرْتُه ، فقال : « قل : لا إلـه إلا اللهُ وحده ـ ثلاثَ مَرّاتٍ ـ وتَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشّيطانِ الرجيمِ ـ ثَلاثَ مَرّاتٍ ـ واتْفُلْ عن شِمالِكَ ـ ثلاث مَرّاتٍ ـ ولا تَعُدْ له » .

وفي أخرى [1] قال : حَلَفْتُ باللاّتِ والعزّى ، فقَالَ لي أصْحَابي : بِئْسَمَا قُلْتَ ، قُلتَ هُجْرًا ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، فَذَكَرْتُ ذلكَ لَهُ ، فَقَال : « قُلْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحده لا شَريكَ لَه ، لـه الملكُ ، وَلَـهُ الحمدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديرٍ ، وانْفُثْ عَنْ يَسَارِكَ ـ ثلاثًا ـ وتعوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيمِ ، ثُمَّ لا تَعُدْ » .

قال ابن الأثير :

(فَلْيَقُلْ : لا إلهَ إلا الله) قَالَ الخطّابيُّ ، وَفِي قَوْلِـه : « مَنْ حَلَفَ باللاتِ والعُزّى ، فَلْيَقُل : لا إلَه إلا الله » دَليل على أن الحالف بها وبما كان في معناهما لا يلزمه كفارة اليمين ، وإنما يلزمه الإنابة والاستغفار ، وهو مذهب الشافعي .

أقول : الحلف باللات والعزى وما شابه ذلك إن أراد به صاحبه التعظيم فقد كفر وعليه تجديد إيمانه كما يجب عليه تجديد عقد زواجه عند الحنفية .

أما إذا جرت على لسانه من غير قصد فكذلك يجب عليه تجديد إيمانه والاستغفار وهذه حالة دون الحالة الأولى .

١٥٧٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه أنّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ مِنْكُم ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ : باللات والعُزّى ، فَلْيَقُلْ : لا إلهَ إلا الله ، وَمَنْ قَالَ

١٥٧٣ ـ النسائي (٧ / ٧) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١٢ ـ باب الحلف باللات والعزى .

(١) النسائي : الموضع السابق .

١٥٧٤ ـ البخاري (١١ / ٩١) ٧٩ ـ كتاب الاستئذان ، ٥٢ ـ باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله .

مسلم (٣ / ١٢٦٧) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٢ ـ باب من حلف باللات والعزّى ؛ فليقل لا إله إلا الله . =

لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أُقَامِرْكَ ، فَلْيَتصدَّقْ » قَالَ أبو دَاودَ : « يَعْني بِشَيءٍ » .

وَقَالَ مُسْلِمٌ : هَذَا الحَرْفُ - يَعْني قَوْلَهُ : « تَعَالَ أُقَامِرْكَ فليتصدَّقْ » لا يَرويه أحدٌ غَيْرَ الزهْري ، قَالَ : وللزُّهْري نَحْوٌ من تِسعِينَ حَرفًا يَرْويهِ عَنِ النبيِّ ﷺ لا يُشَارِكه فيه أحَدٌ ، بأسَانِيدَ جيادٍ .

(فَليتصدَّق) قال الخطابيُّ : فليتصدَّق بِقَدْرِ مَا كَانَ جعله خطرًا في القِمار .

أقول : وهذا من باب : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

قال أبو بكر (ابن خزيمة) : فلم يأمر النبي ﷺ الحالف باللات ولا القائل لصاحبه تعال أُقامرك ، بإحداث وضوء فالخبر دال على أنّ الفحش في المنطق وما زجر المرءَ عن النطق به لا يوجب وضوءًا خلاف قول من زعم أن الكلام السّيء يوجب الوضوءَ .

أقول : قال الحنفيّة : يندب الوضوء لمن قال قولا فيه إساءة ، ودليلهم على ذلك الأحاديث الكثيرة التي تذكر أنّ الوضوء يغسل الخطايا .

* * *

= وأبو داود (٣ / ٢٢٢) كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالأنداد .

والترمذي (٤ / ١١٧) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٧ - باب : حدثنا إسحاق بن منصور .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والنسائي (٧ / ٧) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١١ - باب باللات .

وابن ماجه (١ / ٦٧٨) ١١ - كتاب الكفارات ، ٢ - باب النهي أن يحلف بغير الله .

الفقرة الرابعة

في :

اليمين الغموس

١٥٧٥ - * روى أبو داود عن جَابِر بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهما ، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال : « لا يَحْلِفُ أحدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هـذَا عَلى يَمِينٍ آثِمَةٍ ، وَلَو عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ ، إلا تَبَوَّأَ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، أَوْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

وفي رِوَايَةِ المُوَطَّأ (١) : أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي بيَمِينٍ آثِمَةٍ تبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

١٥٧٦ - * روى الطبراني عن سَلَمَةَ بن الأكوع أن رسول الله ﷺ قال على المِنبرِ : « لا يحلِفُ أحد على يمين كاذبةٍ إلا تَبَوَّأَ مَقعدَه من النار » .

١٥٧٧ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال أشهدُ لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما من عبدٍ أو أمَةٍ تحلِف عند هذا المنبر على يمين آثمة ولو على سواكٍ رَطْبٍ إلا وَجَبَتْ له النار » .

١٥٧٨ - * روى الطبراني عن عِمران بنِ حُصين قال : كنا نَعُدُّ اليمينَ الغموس من الكبائرِ .

أقول : مرّ معنا أنّ هناك خلافًا بين الفقهاء حول ما يكفر اليمين الغموس :

١٥٧٥ - أبو داود (٣ / ٢٢١) كتاب الأيمان والنذور - ٣ ، باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي ﷺ .
والموطأ (٢ / ٧٢٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ . وإسناده صحيح .
١٥٧٦ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، ورجاله ثقات .
١٥٧٧ - أحمد (٢ / ٣٢٩) .
مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) ، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات .
١٥٧٨ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه كثير أبو الفضل ، روى عن جماعة ، ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات .

فالحنفية قالوا : ليس فيه كفارة يمين وعليه التوبة والاستغفار . والشافعية قـالوا : عليـه كفارة يمين والتوبة والاستغفار . والجميع متفقون على أنه لابـد من رد الحقوق إلى أصحـابهـا . وممن وافق الحنفية في أنه لا تجب فيه الكفارة المالكية وهو الراجح عند الحنابلة .

* * *

الفقرة الخامسة

في :

أنّ الاستثناء في اليمين يلغي اليمين

قال البغوي في شرح السنة :

(والعمل على هذا عند عامة أهل العلم أن الاستثناء إذا كان موصولاً بـاليمين ، فلا حنث عليه ، ولا فرق بين اليمين بالله ، أو بالطلاق والعتاق عنـد أكثر أهل العلم . وقـال مـالـك ، والأوزاعي : إذا حلف بطـلاق أو عتـق ، فـالاستثنـاء لا يغني عنـه شيئًـا ، ويقـع الطـلاق والعتاق ، وقال أصحاب مالـك : الاستثناء إنمـا يعمل في يمين يـدخلهـا الكفـارة حتى قـال مالك : إذا حلف بالمشي إلى بيت الله ، واستثنى ، فاستثناؤه ساقط ، والحنث له لازم .

واختلف أهـل العلم في الاستثنـاء إذا كان منفصلاً عن اليمين ، فـذهب أكثرهم إلى أنـه لا يعمـل إلا أن يكـون بين اليمين والاستثنـاء سكتـة يسيرة كسكتـة الرجـل للتـذكر ، أو للعي ، أو للتنفس ، فـإن طـال الفصلُ ، أو اشتغل بكلام آخر بينهما ، ثم استثنى ، فلا يصـح .

وذهب بعضهم إلى أن الاستثنـاء جـائـز مـادام في المجلس ، رُوي ذلـك عن طـاووس ، والحسن ، وقـال قتـادة : لـه أن يستثني مـالم يتكلم ، أو يقم ، وقـال أحمد : لـه أن يستثني ما دام في ذلك الأمر ، وقـال ابن عبـاس : لـه الاستثنـاء بعـد حين ، وقـال مجـاهـد : بعـد سنين ، وقال سعيد بن جبير : بعد أربعة أشهر .) اهـ .

١٥٧٩ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قـالَ : « مَنْ حَلَفَ ، فَقَالَ : إنْ شَاءَ الله ، لَمْ يَحْنَثْ » .

وعِنْدَ النَّسـائي (١) : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ ، فقـال : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَقَد اسْتَثْنَى » .

١٥٧٩ ـ الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٧ ـ باب ما جاء في الاستثناء في اليمين .

(١) النسائي : (٧ / ٣٠) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ٤٣ ـ باب الاستثناء .

١٥٨٠ - * روى النسائي عن عَبْدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، قَـالَ : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، فَقَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَقَدِ اسْتَثْنَى » .

وَفِي أُخْرَى (١) : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ فاستَثْنَى ، فَإن شَـاءَ رَجَعَ ، وَإن شَـاءَ تَرَكَ غَيْرَ حِنْثٍ » .

وَفِي رِوَايةِ التِّرمِذِي (٢) : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، فَقالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، فَلا حِنْثَ عَلَيهِ » قال الترمذي : وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا .

وفي رِوَايـةِ الموطـأ (٣) موقوفًـا عن نـافِعٍ عن ابنِ عُمَرَ أَنَّـه كان يَقُـولُ : مَنْ قَـالَ وَاللهِ ثُمَّ قَالَ : إنْ شَاءَ الله ، ثُمَّ لَمْ يَفعَلِ الذي حَلَفَ عَلَيْه ، لَمْ يَحْنَثْ .

١٥٨١ - * روى الطبراني عن ابنِ عبـاسٍ قـال : قـال رسول الله ﷺ : « والله لأغزونَّ قريشًا » . ثم قـال : « إن شـاءَ الله » . ثم قـال : « والله لأغزون قريشًـا » . ثم قـال : « إن شاء الله » . ثم قال : « والله لأغزون قريشًا » ثم قال : « إن شَاء اللهُ » .

١٥٨٢ - * روى البخـاري ومسلم عنْ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنـهُ ، قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ الله ﷺ : « قَـال سُلَيْمَـانُ عَلَيْــهِ السَّـلامُ : لأَطُـوفَنَّ الليلَـةَ عَلَى تِسعينَ امرَأَةً ، كُـلُّ امْرَأَةٍ تأْتِي بِفَارِسٍ يجاهِـد فِي سَبيلِ الله ، فَقَـالَ لَـهُ المَلَـكُ قل : إن شَـاءَ اللهُ ، فلم يقل : إن شـاءَ الله ، فلم تَحْمِـلْ مِنْهُنَّ إلا امرَأَةٌ واحِـدةٌ ، جَـاءَت بشِـقِّ رَجُـلٍ ، فَقالَ وايمُ الذي نَفسي بيَدِهِ ، لَو قـال إن شَـاءَ اللهُ لجَـاهـدوا في سبيل الله فُرسَـانًـا أجْمَعُون » .

١٥٨٠ - النسائي (٧ / ٢٥) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣٩ - باب الاستثناء .

(١) النسائي : نفس الموضع .

(٢) الترمذي (٤ / ١٠٨) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما جاء في الاستثناء في اليمين . وقـال : هو حـديث حسن يشهد له حديث أبي هريرة .

(٣) الموطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٦ - باب ما لا تجب فيه الكفارة من اليمين .

١٥٨١ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . ورواه أبو يعلى أيضًا .

١٥٨٢ - البخاري (١١ / ٥٢٤) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٣ - كيف كان يمين النبي ﷺ ؟ .

مسلم (٣ / ١٢٧٦) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٥ - باب الاستثناء .

(الشِّقُّ) : من كل شيء : نصفه .

وفي رِوَايَةٍ [١] عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بن دَاوُدَ : لأَطُوفَنَّ الليلةَ بِمائةِ امْرَأَةٍ ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلامًا يُقَاتِل فِي سَبِيلِ الله ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ : قُلْ : إنْ شَاءَ الله ، فَلَمْ يقُلْ ، ونَسِيَ ، فَطَافَ بِهنَّ ، وَلَمْ تَلِدْ مِنهُنَّ إلا امْرَأَة نِصْفَ إنسانٍ » ، قال النبيُّ ﷺ : « لَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ ، وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ ».

وفي رِوَايةٍ نَحْوه [٢] ، وَقَالَ : « تِسْعِينَ امْرَأَةً » قَالَ : « وَلَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ الله ، لَم يَحْنَثْ ، وَكَان دَرَكًا لَه في حَاجَتِهِ » قَال : « وَقَالَ مَرَّةً : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لو اسْتَثْنَى » وفي رواية [٣] : « سَبْعِين امْرَأَةً » .

وَفِي أُخْرَى [٤] قَالَ : « كَان لسُلَيمانَ سِتُّونَ امْرَأَةً ، فَقَالَ : لأَطُوفَنَّ علَيْهِنَّ الليلةَ » وذَكَرَ نَحْوَهُ ، وفي آخره : فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « وَلَو كانَ اسْتَثْنَى لَوَلَدَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ غُلامًا فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبيلِ الله » .

وللبُخَارِي [٥] : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « قَالَ سُلَيْمَانُ ابنُ دَاودَ : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، أو تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ .... » وَذَكَر نَحْوَهُ ، وَفيه : « والذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ قَالَ : إنْ شَاءَ اللهُ ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيل الله فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ » .

وَلَهُ فِي أُخْرَى [٦] نَحْوهُ ، وَقَالَ : « عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً » ، وَفِيه : « وَلَم تَحْمِلْ شَيْئًا » .

أقول : لا تنافي بين الروايات في ذكر أعداد مختلفة ، فبعضها عبّر عن الكثرة ، وبعضها ذكر أزواجه فيما يبدو دون سراريه ، وبعضها ذكر طوافًا على أزواج وسرارٍ .

---

(١) البخاري (٩ / ٣٣٩) ٦٧ ـ كتاب النكاح ، ١١٩ ـ باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي .

(٢) البخاري (١١ / ٦٠٠) ٨٤ ـ كتاب كفارات الأيمان ، ٩ ـ باب الاستثناء في اليمين .
(دَرَكًا) : الدَّرَك : اللحوق بالشيء .

(٣) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان ... ﴾ .

(٤) مسلم (٣ / ١٢٧٥) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٥ ـ باب الاستثناء .

(٥) البخاري (٦ / ٢٤) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٢٣ ـ باب من طلب الولد للجهاد .

(٦) البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٤٠ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ .

الفقرة السادسة

في :

من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها

قال البغوي في شرح السنة :

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا ﴾ (١) الآية .

قال الأزهري : ﴿ عرضةً لأيمانِكُم ﴾ أي : مانعًا لكم عن البر ، والاعتراض : المنع ، وكلُّ شيء منعك عن أمر تريده فقد اعترض عليك ، وتعرض لك ، والأصل فيه : الطريقُ المسلوك يعترض فيه بناءٌ أو شيء يمنع السابلة من سلوكه ، وقيل :العُرضة : الاعتراض في الخير والشر يقول : لا تعترضوا باليمين في كل ساعة ألا تبرُّوا ولا تتقوا . اهـ

١٥٨٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ الرحمنِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ الرحمنِ ، لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَتَتْكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إليها ، وإنْ أَتَتْكَ عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عَلَيها ، وَإِذَا حَلَفْتَ على يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيْرًا مِنهَا ، فائتِ الذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ » .

وفي رواية لأبي داود (٢) : لم يذكر حديث « الإمارة » وأول حديثه : « إذا حَلَفتَ » .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ .

١٥٨٣ ـ البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

مسلم (٣ / ١٢٧٣) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ، ٣ ـ باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ ـ كتاب النذور والأيمان ، ٥ ـ باب ما جاء فيمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها . وقال : حديث حسن صحيح .

والنسائي (٨ / ٢٢٥) ٤٩ ـ كتاب آداب القضاة ، ٥ ـ باب النهي عن مسألة الإمارة .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٢٩) كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يكفّر قبل أن يحنث .

وله في أخرى [١] : « فَكَفِّرْ عن يمينكَ ، ثُمَّ ائْتِ الذي هو خير » .

وللنسائي [٢] أيضا قال : « إذا حَلَفَ أحدُكم على يمين ، فرأى غيرَها خيرًا منها ، فَلْيُكَفِّرْ عن يمينه ، ولينظر الذي هو خيرٌ فَلْيَأته » .

أقول : يدخل في هذا الشأن أمور متعددة :

فأول ما يدخل فيه : الحلف على المعصية ، فيحرم على الإنسان أن يفعلها وتجب في ذلك الكفارة ، كما لا يصح للإنسان أن يبر إذا حلف على مكروه وعليه الكفارة ، وإذا حلف على مباح فرأى المصلحة في غيرها فله أن يحنث وعليه الكفارة ، وهناك حالات تحتاج الموازنة فيها بين الخيرية وغيرها إلى علم وفقه أو فتوى من أهل ذلك ، وذلك في الأوضاع الاستثنائية ، كأن يكون الإنسان بين ضررين أو شرين فالأخف في الضرر والأخف في الشر يعتبر خيرًا بالنسبة للحالف والأحاديث الواردة في موضع فعل الخير وترك ما دونه كثيرة كما سنرى في هذه الفقرة .

ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها هل يجوز له أن يكفّر قبل الحنث ؟

قال أبو حنيفة : لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث مطلقًا ؛ وأجاز تقديم الكفارة على الحنث الحنابلة والشافعية والمالكية ، والأفضل عند المالكية والشافعية تأخير الكفارة إلى ما بعد الحنث مراعاة للخلاف .

١٥٨٤ - * روى مسلم عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، فَرَأَى غَيْرَها خَيْرًا مِنْهَا ، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَفعَلْ » زَادَ في رِوايةٍ [٣] « الذي هُوَ خَيْر » .

---

(١) أبو داود : الموضع السابق .

(٢) النسائي (٧ / ١١) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ - باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٤ - مسلم (٣ / ١٢٧٢) ٢٧ - كتاب الايمان ، ٣ - باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .

(٣) مسلم : الموضع نفسه .

وفي رواية (١) قال : أعْتَم رَجُلٌ عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أهْلهِ فَوَجَدَ الصِّبيةَ قَدْ نَامُوا ، فَأَتاهُ أهلُهُ بطعامِهِ ، فَحَلَفَ لا يأكُل مِنْ أجْل صِبْيتهِ ، ثُمَّ بدا له فأكَلَ ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَر ذلك له ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يمين فَرَأى غَيْرهَا خيْرًا مِنْها ، فَليَأْتِها ، وَلْيُكَفِّر عَنْ يَمينِه » .

١٥٨٥ - * روى مسلم عن تَميم بن طَرَفَةَ الطَّائي رَضِيَ اللهُ عنْه ، قَالَ : جَاء سَائِلٌ إلَى عَدِيِّ بنِ حَاتم يَسْأله نَفَقَةً - أَوْ في ثَمنِ خَادمٍ ، أو في بَعْض ثَمنِ خَادِمٍ - فَقَالَ : لَيْسَ عِنْدي مَاأُعْطِيكَ ، إلا دِرْعِي ومِغْفَرِي ، فأَكْتُبُ إلى أهلي أن يُعْطُوكَها ، قَالَ : فَلَمْ يَرْضَ ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ ، فَقَالَ : أَمَا وَالله لا أُعْطِيكَ شَيْئًا ، ثم إنَّ الرجُلَ رَضِيَ ، فَقَالَ : أما والله لوْلا أني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ ، ثُمَّ رَأى أَتْقَى للهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوى » ما حَنِثْتُ في يميني .

وفي أُخْرَى (٢) أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إذا حَلَفَ أحدكم على اليَمين ، فَرَأى خَيْرًا مِنْها ، فَلْيُكَفِّرْهَا ، وليَأْتِ الذِي هو خَيْرٌ » .

وفي أخرى للنسائي (٣) : « فليأتِ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وَلْيتْرُكْ يَمينَهُ » .

١٥٨٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيرة رضيَ الله عنه أن النبيَّ ﷺ قَالَ : « نَحنُ الآخِرُونَ السَّابقون » وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لأنْ يَلَجَّ أحَدُكم بيَمينِهِ في أهْلهِ

---

(١) مسلم : (٣ / ١٢٧١) الموضع السابق .
والموطأ (٢ / ٤٧٨) ، ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٧ - باب ما تجب فيه الكفارة من الأيمان .
والترمذي (٤ / ١٠٦) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب ما جاء فين حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها . وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(أعْتَم) الإنسان : إذا دخل في العَتَمة ، وهي ظلمة أول الليل .

١٥٨٥ - مسلم (٣ / ١٢٧٢) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منها ، أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه .
(المِغْفَر) : زَرَدٌ يلبس على الرأس .
(٢) مسلم : الموضع نفسه .
(٣) النسائي (٧ / ١١) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ - باب الكفارة بعد الحنث .

١٥٨٦ - البخاري (١١ / ٥١٧) ٨٢ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ ...

آثَمُ لَهُ عند اللهِ مِن أنْ يُعطِيَ كَفَّارَتَهُ التي افتَرَضَ اللهُ عليه » .

وللبخاري [1] قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ استَلَجَّ في أهْلِـهِ بيَمِينٍ ، فَهُو أعظَمُ إثْمًا ليبرَّ ، يَعْنِي الكَفَّارَةَ » .

قال ابن الأثير :

(لَجَّ واستلجَّ) في يمينه : إذا لَجَّ في الاستمرار عليها ، وترك تكفيرها ورأى أنه صادق فيها ، وقيل : هو أن يحلف ويرى أن غيرها خير منها ، فيقيم على ترك الكفارة والرجوع إلى ما هو خير .

(آثَمُ) : أكثر إثْمًا ، لأنه قد أُمِرَ أن يأتِيَ الذي هو خير .

أقول :

اختلف العلماء في قول القائل (أعاهد الله) هل هو يمين أوْ لا ، فعلى القول بأنّها يمين فمن رأى غير ما عاهد عليه الله أبرّ أو عجز عن الوفاء فإنّ عليه الكفّارة ، وعلى القول : إنّها ليست بيمين فإنّه لا كفّارة على صاحبها ، وإذا عجز أو رأى غيرها خيرًا منها بالمعيار الشرعي فليأت الذي هو خير ولا كفّارة عليه .

قال البغوي في شرح السنّة :

ولو قال : عليَّ عهدُ الله وميثاقُه ، فليس بيمين إلا أن يريد به اليمين ، وكذلك لو قال : شَهِدْتُ بالله ، أو أشهد بالله ، أو عزمتُ بالله ، أو أعزِمُ بالله ، فلا يكون يمينًا إلا أن يُريده ، ولو قال : أقسمتُ بالله ، أو حلفتُ بالله ، أو أقسِمُ بالله ، أو أحلِفُ بالله ، فإن أراد بالأول إخبارًا عن يمين في الماضي ، أو أراد بالثاني وعد يمين في المستقبل ، فليس بيمين ، وإن أراد بها يمينًا في الوقت ، فهو يمين ، وإن أطلق ، ففيه قولان ، ولو قال : شهدت أو أشهد ، أو عزمتُ ، أو أعزِمُ أو أقسمتُ ، أو أقسِمُ ، ولم يقيده بذكر الله ، فليس بيمين وإن

مسلم (٢ / ٥٨٥) ٧ ـ كتاب الجمعة ٦ ـ باب هداية هذه الأمة ليوم الجُمُعَة .

(١) البخاري : الموضع السابق .

نواه ، وعند أبي حنيفة : كلها يمين اهـ

١٥٨٧ ـ * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها ، قالَت : مَا كَانَ أَبُو بكرٍ يَحنَثُ قَطُّ في يَمِينٍ ، حَتَّى نَزَلَتْ كفَّارةُ اليَمِينِ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ حَنِثَ إِذَا رَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَكَفَّر .

وفي رِوَايَةٍ (١) ، أنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ يَحْنَثُ في يَمِينٍ قَطُّ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَفَّارةَ اليَمِينِ ، فَقَالَ : لا أَحْلِفُ عَلَى يمينٍ فَرَأَيْتُ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وَكَفَّرْتُ عَن يَمِيني .

وفي أخرى (٢) ، إلا قَبِلْتُ رُخصَةَ الله ، وفَعلْتُ الذي هُوَ خيْرٌ .

١٥٨٨ ـ * روى أبو داود عن أبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَال : « إنِّي وَ اللهِ إنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلى يَمينٍ فَأَرى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا كفَّرْتُ عنْ يَميني ، وَ أَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ » . أو قال : « إلا أَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وَكفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي » .

وعِنْدَ النسَائي (٣) قَالَ : قَالَ النبيُّ ﷺ : « مَا عَلَى الأَرْضِ يَمينٌ أَحلِفُ عَلَيْهَا فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا أَتَيْتُهُ » .

ولَهُ في أُخْرَى (٤) قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي رَهْطٍ من الأَشْعَرِيينَ نَسْتَحْمِلُهُ ، فَقَالَ : « وَ اللهِ لا أَحْمِلُكُم ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُم عَلَيْهِ » ، ثُمَّ لَبِثْنَا مَا شَاء اللهُ ، فأُتِيَ بِإِبِلٍ فَأَمرَ لنا بثلاثِ ذَوْدٍ ، فلمَّا انطلقنا قال بعضُنا لبعضٍ : لا يُبَارِكُ اللهُ لَنَا ، أَتَيْنَا

١٥٨٧ ـ البخاري (١١ / ٥١٦) ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ .

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) البخاري (٨ / ٢٧٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٨ ـ باب ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

١٥٨٨ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٩) كتاب الأيمان والنذور ، باب الرجل يُكفِّر قبل أن يحنث .

(٣) النسائي (٧ / ٩) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

(٤) النسائي : الموضع السابق .

رسُولَ الله ﷺ نَستحمِلُهُ ، فحَلَفَ لا يَحْمِلَنَا ، قَالَ أَبُو مُوسَى : فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرْنَا ذلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « مَا أَنَا حَمَلْتُكم ، بل اللهُ حَمَلَكُم ، إنِّي وَاللهِ لا أَحْلِفُ على يَمين ، فأَرَى غيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إلا كفَّرتُ عَنْ يَميني ، وأَتَيْتُ الذي هُوَ خَيْرٌ » .

وفي رِوَايَةِ البُخَارِي وَمُسْلِم [٢] نَحْوُ هذِهِ التي للنَّسائي ، وَزَادَ فيهَا : « فَأَمَرَ لَنَا بثَلاث ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى » وَ فِيها : « وَ إِنِّي وَاللهِ إنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ أَرَى غيْرَها خَيْرًا مِنْها ، إلا كفَّرتُ عَنْ يَميني ، وَ أَتَيْتُ الذِي هُوَ خَيْرٌ » .

زَادَ في رِوَايَةٍ [٣] : « وَأَتَيْتُ الذِي هُوَ خَيْرٌ ، وكفَّرتُ عَنْ يَميني » .

قال ابن الأثير :

(نستحمله) استحملتَ الإنسان : إذا طلبت منه شيئًا تركبه ، أو تحمل عليه مَتَاعَكَ .

(الذود) من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى التسع من الإناث خاصة ، وقيل : ليس للإناث به اختصاص ، إنما اللفظة مؤنثة .

(الذُّرَى) : الأسنمة ، وصفها أنها « غرّ » أي : أنها بيض حسان لسمنها .

أقول : يلاحظ أن بعض الروايات تذكر التكفير ثم الحنث ، وبعض الروايات تذكر الحنث ثم التكفير ومن هاهنا وُجِدَ من الفقهاءَ مَنْ يقول : إذا كَفَّر ثم حنِث تجب عليه إعادة الكفارة ، ومنهم مَنْ يقول : تجزىء الكفارة ولو كانت قبل الحِنْث وقد مرَّ معنا هذا من قبل ونزيد الأمر وضوحًا :

قال البغوي في شرح السنة :

اختلف أهلُ العلم في تقديم كفارة اليمين على الحنث ، فذهب أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى جوازه ، كما ورد به الحديث ، ويُروى ذلك عن ابن عمر ، وابن

---

(٢) البخاري (١١ / ٥١٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ... ﴾ .

مسلم (٣ / ١٢٧١) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٣ - باب ندب من حلف يمينًا ، فرأى غيرها خيرًا منه ... إلخ .

(٣) البخاري : الموضع السابق .

عباس ، وعائشة ، وبه قال الحسن البصري ، وابنُ سيرين ، وإليه ذهب مالك ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، إلا أن الشافعي يقول : إن كفّر بالصوم قبل الحنث ، لا يجوز ، إنما يجوز تقديم العتق أو الإطعام ، أو الكسوة ، كما يجوز تقديم الزكاة على الحول . ولا يجوز تعجيلُ صوم رمضان قبل وقته .

وذهب قوم إلى أنه لا يجوز تقديمُ الكفارة على الحنث ، وهو قول أصحاب الرأي ، وجوزوا تعجيل الزكاة قبل الحول ، ولم يجوِّز مالك تعجيل الزكاة ، وجوز تعجيلَ الكفارة ، وقال الثوري : إن كفّر بعد الحنث أحبُّ إليّ ، وإن كفّر قبل الحنث ، أجزأه . اهـ .

١٥٨٩ ـ * روى النسائي عن أبي الأحْوصِ عنْ أبيه قَالَ : قُلت : يَارَسُولَ اللهِ أرَأَيْتَ ابنَ عَمٍّ لي ، آتيهِ أسْأَلُهُ ، فَلا يُعْطِيني وَلا يَصِلُني ، ثُمَّ يَحتَاجُ إليَّ فَيأتيني فَيَسْأَلُني ، وَقَدْ حَلَفْتُ أنْ لا أُعْطِيَهُ وَلا أصِلَه ؟ فَأَمَرني أن آتِيَ الذي هو خَيْرٌ و أُكَفِّرَ عَنْ يَمينِي .

* * *

١٥٨٩ ـ النسائي (٧ / ١١) ٣٥ ـ كتاب الأيمان والنذور ، ١٦ باب الكفارة بعد الحنث .

الفقرة السابعة

في :

متفرقات في الأَيْمان

اليمين على نية المستحلف :

١٥٩٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « اليمينُ على نيَّةِ المستحلفِ » .

وفي رواية قال (١) : « يَمينُكَ عَلَى ما يُصَدِّقُكَ به صَاحِبُكَ » .

اليمين اللغو :

١٥٩١ - * روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيةَ ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغوِ في أَيْمَانِكُم ﴾ [المائدة : ٨٩] في قَولِ الرَّجُلِ : لا والله ، بلَى وَ اللهِ » .

وَفي رِوايةِ أَبي داود (٢) في اللغو في اليَمين ، قالَت عَائشةُ : قال رَسولُ الله ﷺ : « هُوَ قَوْلُ الرجُلِ في بَيْتِه : كلا وَ اللهِ ، وبَلَى وَ الله » .

قال ابن الأثير :

(اللغو) من الكلام : مالا ينعقد عليه القلبُ ، هذا أصله ، وقيل : اللغو من الكلام : الباطل ، وقيل : الكلام المختلط ، والكلُّ متقارب ، وهو في لفظ الحديث قد ذكر معناه ، وقيل : هو أن يحلف الإنسان على شيء وهو يرى أنه صادق ، ثم تبيَّن له خلافه ، وهو

١٥٩٠ - مسلم (٣ / ١٢٧٤) ٢٧ - كتاب الأيمان ، ٤ - باب يمين الحالف على نية المستحلف .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٥٩١ - البخاري (١١ / ٥٤٧) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ١٤ - باب ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ ...
والموطأ (٢ / ٤٧٧) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٥ - باب اللغو في اليمين .

(٢) أبو داود (٣ / ٢٢٣) كتاب الأيمان والنذور ، باب لغو اليمين .
وَرَوَاهُ أيضًا عَنْهَا مَوْقوفًا . وصحح الدارقطني الوقف على عائشة رضي الله عنها دون الرفع .

الخطأ وقيل : هو اليمين في المعصية ، وقيل : في الغضب ، وقيل : في الهزل والمراء ، وقيل : في النسيان .

إبرار المُقْسِمِ :

١٥٩٢ - * روى ابن ماجه عن البَراء بنِ عَازِبٍ قالَ : أَمَرَنَا رَسولُ اللهِ ﷺ بإبْرَارِ المُقْسِمِ .

١٥٩٣ - * روى أحمد عن عائشة قالت أهدت امرأة إليها تمرًا في طبق فأكلت بعضًا وبقي بعضٌ فقالت : أُقْسِمُ عليكِ إلا أكلتِ بقيتَهُ فقال النبي ﷺ : « أَبِرِّيها ، فإن الإثم على المُحنَثِ » .

١٥٩٤ - * روى الطبراني عن أبي حازم أن ابن عمر مر على رجل ومعه غُنيماتٌ له فقال : بكم تبيعُ غنمك هذه ، بكذا وكذا ؟ . فحلف أن لا يبيعَها . فانطلق ابنُ عمرَ فقضى حاجتَه فمر عليه فقال : يا أبا عبد الرحمن خذها بالذي أعطيتني قال حلفتَ على يمينٍ فلم أكن لأعين الشيطانَ عليك وأن أُحْنِثَكَ .

أقول : هذا ورع من ابن عمر ، وإلا فقد كان بإمكانه أن يشتريها منه ، وأن يأمره بدفع الكفارة .

بعض ما حَلَفَ به رسول الله ﷺ أو حلَف :

١٥٩٥ - * روى البخاري عن عَبْدِ اللهِ بن عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قالَ : أَكْثَرُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْلِفُ : « لا ، وَمُقَلِّبِ القُلوبِ » .

١٥٩٢ - ابن ماجه (١ / ٦٨٣) ١١ - كتاب الكفارات ، ١٢ - باب إبرار القسم .

وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (١١ / ٥٤١) ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ، ٩ - باب قول الله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ .

١٥٩٣ - أحمد (٦ / ١١٤) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨٢) وقال : ورجال أحمد رجال الصحيح.

١٥٩٤ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨٣) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

١٥٩٥ - البخاري (١٣ / ٣٧٧) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١١ - باب مقلب القلوب ، وقول الله تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ .

وأرْسَلَهُ مالكٌ (١) قالَ : بَلَغَني أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ : « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وَعِنْدَ التِّرمِذي (٢) وأبي داود (٣) : كَثيرًا مَا كَانَ يَحْلِفُ بِهذهِ اليَمين : « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وفي رواية النسائي (٤) قال : كَانَتْ يمِينٌ يَحْلِفُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ « لا ، ومُقَلِّبِ القُلُوبِ » .

وفي أخرى (٥) لـه : كانَتْ يَمينُ رَسُولِ الله ﷺ التي يَحْلِفُ بِهَا : « لا ، ومُصَرِّفِ القُلُوبِ » .

١٥٩٦ - * روى أبو داود عن أبي سَعيدٍ الخدْري رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَال : كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا اجْتَهَدَ في اليَمينِ قالَ : « والذي نَفْسُ أبي القَاسِمِ بِيَدِهِ » .

١٥٩٧ - * روى ابن ماجه عن أبي هُرَيرَة قَالَ : كَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ الله ﷺ « لا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ » .

هذا نموذج يعلمنا فيه رسول الله ﷺ التأكيد بصورة يمين دون أن يكون يمينًا .

هل للحلف مكان ؟

١٥٩٨ - * روى مالك عن أبي غَطَفَانَ بنِ طَريفٍ المُرّي قَالَ : اخْتَصَمَ زَيْدُ ابن ثَابِتٍ

---

(١) الموطأ (٤ / ٤٨٠) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٩ - باب جامع الأيمان .

(٢) الترمذي (٤ / ١١٣) ٢١ - كتاب النذور والأيمان ، ١٢ - باب ماجاء كيف كان يمين النبي ﷺ .
وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود (٣ / ٢٢٥) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت .

(٤) النسائي (٧ / ٢) ٣٥ - كتاب الأيمان والنذور ، ١ - باب أخبرنا أحمد بن سليمان ..... .

(٥) النسائي : الموضع السابق .

١٥٩٦ - أبو داود (٣ / ٢٢٦) كتاب الأيمان والنذور ، باب ما جاء في يمين النبي ﷺ ما كانت . وهو حديث حسن .

١٥٩٧ - ابن ماجه (١ / ٦٧٧) ١١ - كتاب الكفارات ، ١ - باب يمين رسول الله ﷺ التي كان يحلف بها . وإسناده حسن.

١٥٩٨ - الموطأ (٢ / ٧٢٨) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٩ - باب جامع ما جاء في اليمين على المنبر . وإسناده صحيح .

=

وَابنُ مُطيعٍ إلى مَرْوان وَهُوَ أميرُ المدينَة في دَارٍ كَانَتْ بَينَهُمَا ، فَقَضَى مَرْوَانُ عَلَى زَيْدِ بنِ ثَابتٍ باليَمينِ عَلَى المِنْبرِ ، فقال زيدٌ : أحْلِفُ له مكاني هذا ، فَقَالَ مَرْوَانُ : لا واللهِ ، إلا عند مَقَاطِعِ الحقوقِ ، فَجَعَلَ زَيْدٌ يحلِفُ أنَّ حَقَّه لحَقٌّ ، وأبَى أنْ يَحلِفَ على المِنْبَرِ ، فَجَعَلَ مَرْوَانُ يعجَبُ مِنْ ذلِكَ .

الترهيب من اقتطاع الحقوق بالأَيْمان وفي أنَّ البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر :

١٥٩٩ - * روى الطبراني عن الحارث بن البَرصاء قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول وهو يمشي بين جمرتين من الجمار وهو يقول : « من أخذ شيئًا من مال امرئ مسلم بيمين فاجرة فليتبوأ بيتًا في النار » .

١٦٠٠ - * روى الطبراني عن أبي رُهْم السَّمْعي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أسرقِ السراقِ من يسرقُ لسانَ الأمير ، وإن من أعظم الخطايا من اقتطعَ مالَ امرئٍ مسلمٍ بغير حق ، وإن من الحسناتِ عيادةَ المريض ، وإن من تمامِ عيادتِه أن تضعَ يدَكَ عليه وتسأله كيف هو ، وإن من أفضل الشفاعاتِ أن تشفعَ بين اثنين في نكاح حتى تجمع بينهما ، وإن من لِبْسَةِ الأنبياء قبلي السَّراويلَ وإن مما يُستجابُ عنده الدعاءُ العُطَاسَ » .

١٦٠١ - * روى البخاري عن عبدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امرِئٍ مُسْلِمٍ بغَير حَقِّهِ لَقيَ اللهَ وهو عَلَيه غضبانُ » قالَ عَبدُ الله : ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْداقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إنَّ الذينَ

= وأخرج البخاري نحوه (٥ / ٢٨٤) ٥٢ - كتاب الشهادات ، ٢٣ - باب يحلف المدعي عليه حيثما وجبت عليه اليمين .

١٥٩٩ - المعجم الكبير (٣ / ٢٥٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

١٦٠٠ - مجمع الزوائد (٤ / ١٨١) وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . وفي بعضهم كلام لا يضر .

١٦٠١ - البخاري (١٣ / ٤٢٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٤ - باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ .

يَشْتَرُونَ بِعَهْـدِ اللهِ وأَيْمَانِهِم ثَمَنًـا قليـلا ... ﴾ إلى آخرِ الآيـة (١) .

زادَ في رِوَايةٍ(٢) بِمَعْنَاهُ ، قال : فَدَخَلَ الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ الكِنْديُّ فقَالَ : مـا يُحَـدِّثُكم أبُو عَبْـدِ الرحمن ؟ قُلْنَـا : كَـذَا وَكَـذَا ، قَـالَ : صَـدَقَ أبو عَبْـد الرحْمن كَـانَ بَيْنِي وبَيْنَ رجُـلٍ خُصُومَةٌ في بِئْرٍ ، فَاخْتَصَمْنَا إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَـالَ رَسُولُ الله ﷺ : « شَـاهِـدَاكَ ، أوْ يَمِينُـه » ، قُلْتُ : إنَّـه إذَنْ يَحْلِفُ وَلا يُبَـالِي ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يَمين صَبْرٍ يَقْتَطِـعُ بِهَـا مَـالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُـوَ فيهَـا فـاجِرٌ ، لَقِيَ اللهَ وَهُـوَ عليـه غَضْبَانُ » ونَزَلَتِ الآيـة ﴿ إنّ الـذين يشترون بِعَهْدِ اللهِ وأَيْمَانِهِم ثَمَنًـا قَليلا ﴾ إلى آخرِ الآيـة.

١٦٠٢ ـ * روى أحمد عن عياضِ بنِ خالدٍ قـالَ : رأيتُ رجلين يَختصِمانِ عنـد مَعقلِ بنِ يسـارٍ . فقـال مَعْقِلُ بنُ يسـارٍ قـال رسول الله ﷺ : « من حلَفَ على يمين ليقتطعَ بهـا مالَ رجل لقيِ اللهَ تبارك وتعالى وهو عليه غضبان » .

١٦٠٣ ـ * روى أبـو داود عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عنـهُ قَـالَ : قَـال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يمينٍ مَصبُورَةٍ كَاذِبًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ بوَجْهِه مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ » .

قال ابن الأثير :

(مصبورة) أصل الصبر : الحبس ، وقُتِل فـلان صبرًا ، أي : حَبْسًـا على القتـل ، وقهرًا عليه ، ويمين الصبر : هو أن يلزم الحاكمُ الخصمَ اليمين حتى يحلف ويَقِفَه ويلزمه بها ، وقوله : « يمين مصبورة » يعني : لازمة لصاحبها من جهـة الحكم ، وقيل لليمين : مصبورة ـ وإن كان

---

(١) آل عمران : ٧٧ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٣) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٣ ـ باب ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً .. ﴾ .

ومسلم (١ / ١٢٣) كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

وأبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والنذور ، ٢ ـ باب فيمن حلف ليقطتع بها مالا لأحد .

والترمذي (٣ / ٦٢٥) ١٣ ـ كتاب الأحكام ، ١٢ ـ باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

وقال : حديث حسن صحيح .

الاقتطاع : أخذ الشيء والاستبداد به ، كأنه قَطَعَ بعضٍ من كلٍّ .

١٦٠٢ ـ أحمد (١ / ٤٢٦) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٩) وقال : ورجال أحمد ثقات .

١٦٠٣ ـ أبو داود (٣ / ٢٢٠) كتاب الأيمان والنذور ، ١ ـ باب التغليظ في الأيمان الفاجرة . وإسناده صحيح .

صاحبها في الحقيقة : هو المصبور ـ؛ لأنه إنما صُبِرَ من أجلها ، فأضيف الصبر إلى اليمين مجـازًا واتّساعًا .

(فليتبوأ) تَبوَّأتَ المنزل : إذا اتخذته سكنًا تنزل فيه وتسكنه .

١٦٠٤ ـ * روى أحمد عن عدي بن عُميرةَ قال : خـاصَم رجلٌ من كِنـدَة يقـال لـه امرؤُ القَيْسِ بنُ عـابس رَجلا من حضرموتَ إلى رسـولِ الله ﷺ فقضى على الحضرمي بـالبينـةِ فلم يكنْ له بينةٌ فقضى على امرئ القيس باليمين . فقال الحضرمي : أمكنْتَهُ من اليمين يـا رسولَ الله ذهبتْ والله ـ أو وربِّ الكعبةِ ـ أرضي فقال النبي ﷺ : « من حَلَفَ على يمينٍ كَاذِبةٍ ليَقْتطِعَ بها مالَ أحدٍ لقي اللهَ عز وجل وهو عليه غضبـانُ » . قـالَ رجـاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿ إنَّ الَّذينَ يَشْتَرونَ بِعَهْد اللهِ وأيمـانِهِم ثَمَنًا قَليلا ﴾ فقـال امرؤ القيس : مـاذا لِمَنْ تَرَكَها يا رسولَ الله ؟ قالَ : « الجنةُ » قال : فأُشهدُك أني قد تركتُها له كلَّها .

١٦٠٥ ـ * روى مسلم عن وَائِـلِ بنِ حجر رَضِيَ اللهُ عنـهُ ، قَـالَ : جـاءَ رَجُـلٌ مِن حضرَموتَ ، وَرَجُلٌ مِنْ كِنـدةَ ، إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ : فَقَـالَ الحضرَمي : يـا رسولَ الله ، إنّ هذا قَد غَلَبَني عَلَى أرضٍ كَانَتْ لأَبِي ، فَقَالَ الكِنْديُّ : هِيَ أرْضِي في يَدِي ، أزرَعُهَا ، لَيْسَ لَهُ فيهَا حَقٌّ ، فَقَـالَ النبيُّ ﷺ للحَضْرَميّ : « أَلَـكَ بَيِّنَـةٌ ؟ » قَـالَ : لا ، قَـالَ : « فَلَـكَ يمينُهُ » ، قَالَ : يـا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ الرَّجُلَ فَـاجِرٌ لا يُبَـالي عَلَى مَـا حَلَفَ عَلَيْـهِ ، وَ لَيسَ يتَورَّعُ عَن شَيءٍ ، فَقَالَ : « لَيْس لَكَ مِنْهُ إلا ذلِكَ » ، فَانْطَلَقَ لِيَحْلفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّـا أَدْبَرَ : « أَمَّـا لَئِنْ حلفَ على مَـالـهِ لِيَـأْكُلَـهُ ظُلْمًـا : لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهوَ عَنـهُ مُعرِضٌ » .

وفي رِوَايـةٍ (١) قـال : كُنْتُ عِنْـدَ رسُولِ الله ﷺ ، فَـأَتَـاهُ رَجُلانِ يَخْتَصِمَـان في أرضٍ ،

١٦٠٤ ـ أحمد : (٤ / ١٩١) .

والمعجم الكبير (١٧ / ١٠٨) .

مجمع الزوائد (٤ / ١٧٨) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجالهما ثقات .

١٦٠٥ ـ مسلم (١ / ١٢٣) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فقال أحدهما : إنَّ هـذا انتَزى عَلَى أَرْضِي يَـا رَسولَ اللهِ فِي الجَـاهِلِيَّـةِ ـ وَهُوَ امْرُؤُ القَيْسِ بنُ عَابِسٍ الكِنْدِيُّ ، وَخَصْمُهُ : رَبِيعَةُ بنُ عِبْدَانَ ـ فَقَال : « بَيِّنَتُكَ » ، فَقَـالَ : لَيْسَ لِي بَيِّنَـةٌ ، قَالَ : « يَمِينُهُ » قَالَ : إذَن يَذْهَبُ بِهَا ، قَالَ : « لَيْسَ لَكَ إلا ذلِكَ » ، قَال : فَلَمَّـا قَـامَ لِيَحْلِف ، قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ اقتَطَـعَ أَرْضًـا ظَـالِمًـا ، لَقِيَ اللهَ وَهُـوَ عَلَيْـهِ غَضْبَانُ » . وفي رواية : رَبِيْعةُ بنُ عَيْدَان » .

١٦٠٦ ـ * روى مسلم عن ابن عبـاس أن رسـول الله ﷺ قـال : « لَـوْ يُعْطَى النَّـاسُ بِدَعَاوِيهِم ادَّعَى قومٌ دماءَ رِجَالٍ وأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ اليَمِينَ عَلَى المُدَّعَى عَلَيْهِ » .

ولمسلم وللبخاري [(١)] أن رسولَ الله ﷺ قضى باليمين على المدَّعى عليه .

وللبخـاري [(٢)] أن امرأتين كانتـا تَخْرِزانِ في بَيْتٍ ، وفي الحُجْرَةِ ، فخرَجتْ إحْـدَاهُمَـا ، وقد أُنْفِذَ بإشفىً في كَفِّهـا ، فـادَّعتْ على الأخرى ، فَرُفِعَ ذلـك إلى ابن عبـاس ، فقـال ابن عبـاس : قـال رسولُ الله ﷺ : « لَـوْ يُعطَى النـاسُ بِـدَعْوَاهم ، لَـذَهب دِمَـاؤُهُم وأمْـوالُهُم » ، ذَكِّروهـا بـالله ، واقرؤوا عليهـا : ﴿ إن الـذين يشترون بِعَهْـدِ الله ﴾ [(٣)] فذكَّروها فاعترفت ، فقال ابن عباس : قال النبيُّ ﷺ : « اليَمِينُ على المدَّعَى عليه » . عليه » .

١٦٠٧ ـ * روى مسلم عن إياس بن ثعلَبةَ الحارثي ـ وَهُوَ أبو أمَـامَـة ـ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَـالَ : « مَنِ اقتَطَعَ حَقَّ امْرِي مُسلِمٍ بيَمِينِـهِ ، حَرَّم اللهُ عليـه الجنَّـةَ ، وَأَوْجَبَ لَـهُ

= (انتزى على أرضي) أي : وثَب عليها وغلبني على أخـذهـا ، والتنزّي والانتزاء : تَسَرُّعُ الإنسـان إلى الشَّرّ ، ووثوبـه إلى ما ليس له الوثوب إليه .

١٦٠٦ ـ مسلم (٣ / ١٣٣٦) ٣٠ ـ كتاب الأقضية ، ١ ـ باب اليمين على المدعى عليه .

وابن ماجه (٢ / ٧٧٨) ١٣ ـ كتاب الأحكام ، ٧ ـ باب البينة على المدعى ، واليمين على المدعي عليه .

(١) مسلم : الموضع السابق .

والبخاري (٨ / ٢١٢) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٣ ـ سورة آل عمران ، ٣ ـ باب : ﴿ إن الذين يشترون... ﴾ .

(٢) البخاري (٨ / ٢١٣) المؤضع السـابق .

(الإشفى) : : آلة الخرز للإسكاف . وتنون ولا تنون .

(٣) آل عمران : ٧٧ .

١٦٠٧ ـ مسلم (١ / ١٢٢) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٦١ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

والنسائي (٨ / ٢٤٦) ٤٩ ـ كتاب آداب القضاة ، ٣٠ ـ القضاء في قليل المال وكثيره .

النَّارَ» قالوا : وَ إنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا ؟ قَالَ : « وَإن كانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاك » .

وفي رِوَايَةِ الموَطَّأ [١] : « وَإن كَـانَ قَضِيبًـا مِنْ أَرَاكٍ ، وَإن كَـانَ قَضِيبًـا من أَرَاكٍ ، وإنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ » . قَالَها ثَلاثَ مرَّاتٍ .

١٦٠٨ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنــه ، أنَّ رسـولَ الله ﷺ قال : « رأى عيسى رَجُلا يَسْرِق ، فقال لـه : أسرقتَ ؟ قـال : كلا والـذي لا إلـه إلا هو ، فقال عيسى : آمنتُ بالله ، وكَذَّبتُ عَيني » .

كفارة الأيمان المنعقدة :

١٦٠٩ - * روى مـالـك عن نـافع مولى ابن عمر ، أنَّ عبـدَ الله بنَ عُمَرَ كان يقُـول : مَنْ حَلَف بيمين فوَكَّدَهـا ، ثم حَنِثَ ، فعليـه عِتْقُ رَقَبـةٍ ، أو كِسْوَةُ عَشْرَةِ مَسـاكينَ ، وَمَنْ حَلَفَ بيَمينٍ فَلَمْ يُؤَكِّدْها ، ثُمَّ حَنِثَ ، فَعَلَيه إطْعَامُ عَشْرَةِ مساكينَ ، لكلِّ مِسْكينٍ مُدٌّ من حِنْطَةٍ ، فمن لم يَجِدْ فَصِيَامُ ثلاثة أيام .

وفي رِوَاية [٢] أنَّ ابنَ عُمَرَ كَان يُكفِّر عن يَمِينِه بإطعام عَشْرَةِ مَسـاكِينَ ، لِكُلِّ مِسْكينٍ مُدٌّ مِن حِنْطةٍ ، وَكَانَ يُعْتِقُ المِرارَ ، إذا وكّدَ اليَمِينَ .

أقول : هـذا التفريق بين اليمين المؤكـدة وغيرهـا لابن عمر ، وإلا فـالفقهـاء لا يفرقون ، فمتى كانت اليمين منعقدة فكفارتها واحدة ، وهي ماذكره الله تعالى بقوله :

﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ [٣] .

---

(١) الموطأ (٢ / ٧٢٧) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ٨ - باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ .

١٦٠٨ - البخـاري (٦ / ٤٧٨) ٦٠ - كتـاب أحـاديث الأنبيـاء ، ٤٨ - بـاب قـول الله [١٦ : مريم] ﴿ واذكر في الكتـاب مَريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٣٨) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٤٠ - فضائل عيسى ، عليه السلام .

١٦٠٩ - الموطأ (٢ / ٤٧٩) ٢٢ - كتاب النذور والأيمان ، ٨ - باب العمل في كفارة اليمين . وإسناده صحيح .

(٢) الموطأ : الموضع السابق .

(المُدُّ) : مكيال رطلين أو رطل وثلث أو ملء كفي الإنسان المعتدل .

(المِرار) : الجواري الناعمة .

(٣) المائدة : ٨٩ .

المسائل والفوائد

- الكفارة تجب في اليمين المنعقدة عند الحنفية والمالكية سواء كان الحانث عامدًا أو ساهيًا أو مخطئًا أو نائمًا أو مغمىً عليه أو مجنونًا أو مكرهًا .

- إذا حلف شخص أن يقضي حق غيره في وقت فقضاه قبله لم يحنث بيمينه عند الحنفية والحنابلة .

- صفات الله تعالى التي ترد في باب القسم ثلاثة :

أحدها : مالا يستعمل في عرف الناس وعاداتهم إلا في وصف الله كقولهم وعزة الله وعظمته .

والثاني : صفة تستعمل لله ولغيره كالقدرة والإرادة والمشيئة فهذه كالأولى يعتبر الحلف بها إذا أضيفت إلى الله يمينًا .

الثالث : الحلف بصفة تستعمل لله تعالى ولغيره ولكن يمكن أن يراد بها أكثر من معنى ، فمثلا علم الله قد يراد به الصفة وقد يراد به المعلوم فالأصل في مثل هذه الصفات أن الحلف بها يمين إلا أن ينوي الحالف بالعلم المعلوم وبالقدرة المقدور ، هذا ما قاله الشافعية والحنابلة في هذا الموضوع والحنفية لا يفرّقون بين هذا النوع من الحلف والذي قبله ؛ لأن العبرة عندهم للعرف فما دام المتعارف عليه أن يحلف بصفات الله فكل صفة له جل جلاله يعتبر الحلف بها يمينًا مطلقًا .

- إذا قال قائل وعهد الله فهو يمين عند الحنفية والمالكية والحنابلة وفي وجه ضعيف عند الشافعية والراجح عندهم أنها لا تعتبر يمينًا ما لم ينو الحالف بها اليمين .

- إذا قال الحالف : ووجه الله فهو يمين .

- لو حلف إنسان بالمصحف أو بالقرآن فإن المالكية والشافعية والحنابلة يعتبرونه يمينًا واختلف الحنفية في ذلك وقدماؤهم مجمعون على أن ذلك لا يعتبر يمينًا . ومع أن الشافعية والمالكية والحنابلة اعتبروه يمينًا فإنهم استثنوا من ذلك ما إذا أراد الحالف بهذا الحلف الخطبة

أو الصلاة أو ورق المصحف أو جلده أو نقوشه ، وإنما اعتبروه يمينًا ، لأن القرآن كلام الله فالحلف به كالحلف بصفة من صفات الله عز وجل .

ـ ومن حلف بحق الله فإنه يمين عند المالكية والحنابلة والشافعية في الأصح ومن باب أولى أن يحلف بالحق ؛ لأنه اسم من أسماء الله تعالى ، وقد اختلف الحنفية في الحلف بحق الله فقال أبو حنيفة ومحمد وفي رواية عن أبي يوسف : لا يكون يمينًا.

ـ من قال حالفًا : لعمر الله فإن الجمهور يعتبرها يمينًا موجبة الكفارة ، وقال الشافعي : إن قصد اليمين فهي يمين وإلا فلا .

* * *

خاتمة قِسم العقائد

مؤمنون لا فلاسِفة

خاتمة قسم العقائد

مؤمنون لا فلاسفة

لقد أعطى الإسلام للبحث العقلي وللنظر العلمي مداهما الصحيح ، والمسلم إذ يدرس النصوص يبقى مطمئنًا أنّ النصوص لا تخالف عقلا ، ولا علمًا ، وهو إذ يدرس العلوم الإسلاميّة باستيعاب عقل ودقّة فهم وتحقيق عليم لا يفوته أن يعرف أدبه مع النصوص فهو بعد إذ يطمئن إلى سلامة الفهم ، وإلى مواطأة فهمه لفهوم الراسخين في العلم يعرف أنّ أدبه مع النصّ التلقي بالتسليم ، والتفاعل القلبي والعملي مع النصّ بما يقتضيه المقام ، فمعرفته أنّ الله سميع تقتضي منه أن يستشعر أنّ الله يسمعه ، ومعرفته أنّ الله ليس كمثله شيء تقتضيه أن ينزّه الله عز وجل عن كل ما يخطر ببالـه ، ومعرفته أنّ الله عز وجل ينزل كلّ يوم في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا تقتضيه أن يكون له في ذلك الوقت تهجّد ودعاء واستغفار ، ومعرفته بالرسل تقتضي اقتداء ، ومعرفته بالملائكة تقتضيه حياءً ، ومعرفته بالقرآن تقتضيه خشوعًا وتأثّرًا وبكاءً واتّباعًا ، ومعرفته بالسنّة تقتضي التزامًا واهتداءً ، فهو يتلقّى النصوص بعقل مسلّم وقلب مُخبِت ، ويعطي كلّ نصّ حكمه وحقّه ، فالمسلم ليس فيلسوفًا يَسْبَحُ في خيالات الأوهام ، أو في متاهات الأحلام يتعبّد لأصنام العقل ، أو يبقى في دائرة الفكر ، وإنّما هو عقل وقلب وشعور وجسد ، وهو في هذا كلّه يتفاعل مع النصوص تفاعل المؤمن لا تفاعل المتردّد ، وتفاعل المخبت المطيع الخاشع لا تفاعل العقل الجامد أو القلب القاسي .

إنّ أعظم ما تَعَبّدَ اللهُ عز وجل به عبادَه ، هو معرفتُه ، وإنّما يُعْرَفُ جلّ جلاله حقّ المعرفة بما خلق وبما أنزل ، والخلق نوعان : مشهود ومغيّب ، وقد أنزل الكتاب وجعل السنّة من الوحي وهي شارحة للكتاب ، وبذلك كلّه يُعْرَفُ اللهُ عز وجل حقّ المعرفة .

وموقف المسلم العارف بالله من الكتاب والسنّة الإيمان بالنصوص والتسليم لله في الحكم سواء في ذلك أحكامه في العقائد أو في العبادات أو في مناهج الحياة ، وقد أخذتَ تصوّرًا في هذا القسم عن عقائد الإسلام وها إنّك في القسم اللاحق تأخذ تصوّرًا عن عباداته الرئيسيّة ،

وفي القسمين الأخيرين تأخذ تصوّرًا عن مناهج الحياة في الإسلام .

فإلى القسم الثالث من أقسام (الأساس في السنّة وفقهها) وهو في العبادات الرئيسيّة ، وليَعْلَم أنه بإقامة العبادات تكون للعقيدة حياتها وحيويتها ، ومظهر الحياة والحيوية إقامة العبودية كاملة ، وذلك بإقامة مناهج الحياة ، وليَعْلَم أن الذكر والفكر مفتاحان من مفاتيح الإسلام للعقل وللقلب ، فليكثر المسلم منهما ، وليقبل على الأخذ عن الراسخين في العلم ، ويدع أهل الشذوذ والأهواء والجدل ، فذلك من جملة ما يحفظه ثابت القدم ، على الصراط المستقيم . والحمد لله رب العالمين .

* * *

الفهرس

الموضوع الصفحة

* * *